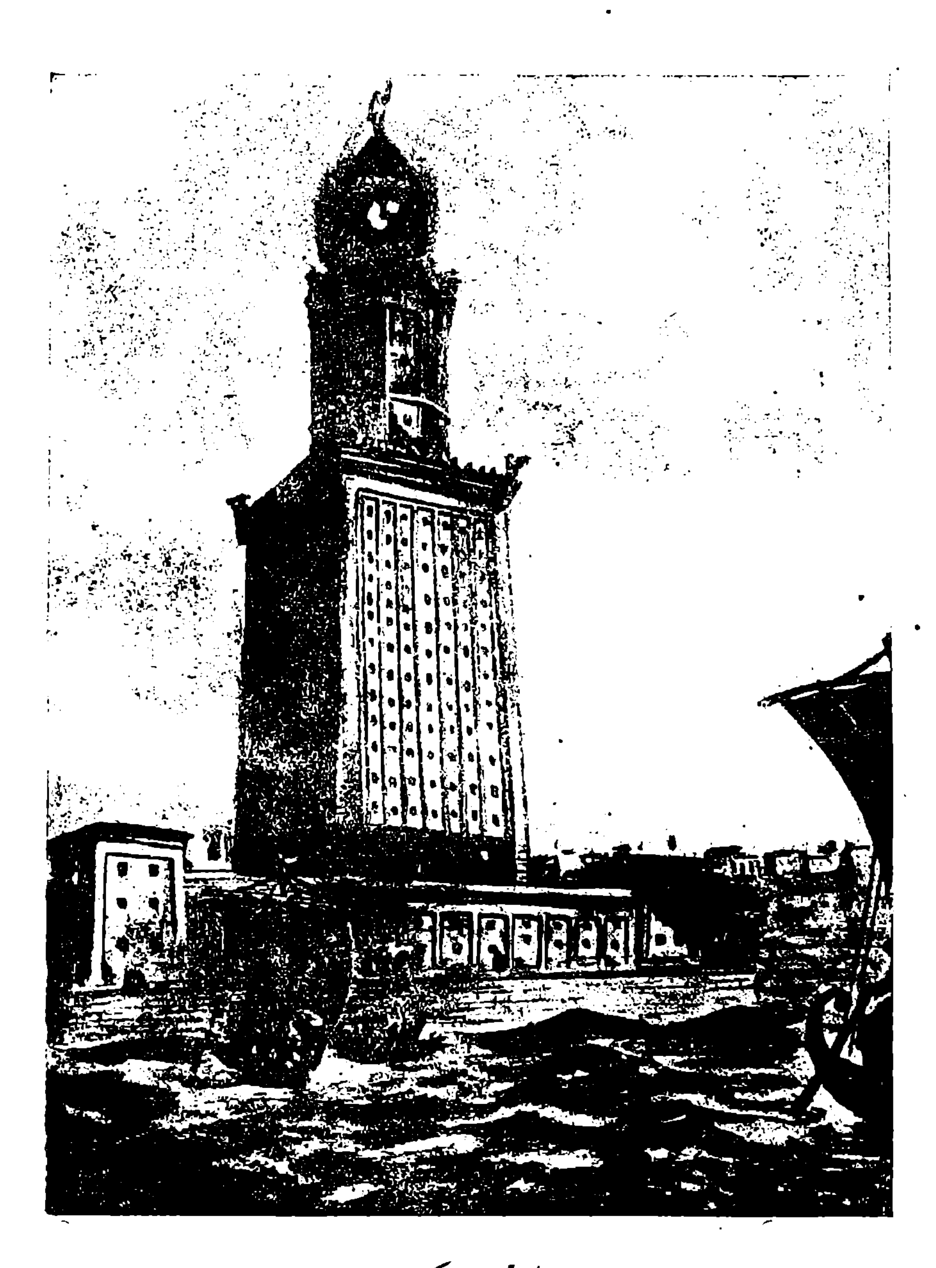


منارة الاسكندرية

ذكرى الماضي ورمز المستقبل

(راجع مقال « مجد الاسكندرية : جامعة فاروق الاول » صفحة ٨)

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8



الجزء الاول من المجلد الثاني بعد المائة

١ يناير سنة ١٩٤٣ — ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ

البصر الثاني

بين الحرب الجوية وإظلام المدن

في الإظلام الذي يشمل طائفة كبيرة من أعظم مدن الأرض يتجه الفكر الى ما يقال عن حاسة بصر تمكن الناس من الرؤية في الظلام . فهل هناك حاسة من هذا القبيل ؟ وما مدى الاعتماد عليها ؟ وهل صحيح ما يقال عن رؤية عود ثقاب مشتعل مسافة أميال ؟ واذا كان ذلك صحيحاً فأيّ لونٍ يفضّل في طلاء مصابيح الشوارع في المدن المظلمة ؟ وما الصلة بين هذه الحاسة وبين الجزر وفيتامين A في الخضر وغيرها ؟

هذه الأسئلة جميعاً تهمّنا من ناحيتين ، احداهما علمية محض لأن في البحث عن الاجابة الصحيحة عنها تتجلّى آياتُ اللهِ في خلقهِ وتنكشف طائفة من أسرار التكوين العضوي . والثانية عملية . مردّها الى قدرة هؤلاءِ الطيّارين الذين يطيرون في ظلام الليل الدامس ، متجهين الى الهجوم أو الدفاع ، والى لون الطلاءِ الذي يجب ان تطلى بهِ مصابيح الشوارع ، لكي تتيح للمسرين بصيصاً من ضوءٍ ، بغير أن يكون في وسع الطيارين مشاهدتها من علٍ

والواقع ان حاسة البصر في الليل تختلف عن حاسة البصر في النهار . فالرؤية في الحالة الواحدة تختلف اختلافاً تامًّا عن الرؤية في الحالة الثانية . فحاسة البصر في النهار تمكننا من قراءَة الكتب وتبيُّن الألوان والتمتع بمشاهد الطبيعة وصور المصوّرين ومعرفة الأصدقاءِ . ولكن حاسة البصر ليلاً لا تتيح لنا شيئاً ما من هذا . فلا تمكننا من القراءَة ولا من تبيُّن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الألوان أو تمييز التفاصيل في ما تقع عليهِ العينان . إلاّ أنها مع ذلك تمكننا من الرؤية بها في الظلام ، ومن هنا منفعتها العملية في هذا الزمان

ونحن في حاجة الى البصرين ، لاتساع نطاق الضياء الذي يطرق حواسّنا في درجات شتّى من الضعف والقوة . ففي الناحية الواحدة ضياء الشمس المتوهجة المنعكس عن رصيف أبيض أو قريبٍ من البياض ، وفي الناحية الأخرى لمحة عابرة من قميص أبيض في ظلام حرج كثيف في الليل . والحدّ الفاصل هو ضياء البدر . فكلّ ضوءٍ يفوق ضياء البدر يمكننا من الرؤية بحاسة البصر في النهار . وكل ضوءٍ دون ضياء البدر نستطيع أن نرى بهِ معتمدين على حاسة البصر في الليل . ففي الحالة الأولى يكون الانسان كالفراخ والسحالي والسلاحف وهي حيوانات لا ترى إلاّ في النهار على الأكثر . وفي الثانية يكون كالخفافيش والبوم والفئران ، وهي حيوانات لا ترى إلاّ في الليل على الأكثر

***

إنّ سكنى المدن قلَّما تقتضي من سكانها الاعتماد على حاسة البصر في الليل. فإضاءة الشوارع على النمط الحديث ، تزيل هذه الحاجة . وحاسة البصر في الليل ، في أحد سكان المدن ، لا شأن لها إلاّ في ظلام الليل عندما يستيقظ النائم، أو اذا استلقى فترة ما في حجرة مظلمة قبل النوم. فعندئذٍ يتبين ان بعض الاجسام في الحجرة قد أخذت تظهر معالمها ، مع انها كانت غائبة عن بصرهِ أثر اطفاء المصباح الذي كان يقرأ بنورهِ . ولكنّ سكان الريف ، يعرفون ما حاسة البصر في الليل ، لأنهم يعتمدون عليها ، في اجتياز الحقول وصيد القنافذ والانتقال بوجهٍ عام في الليالي المظلمة

واستعمال حاسة البصر في الليل متعذرٌ على حين فجأة ، إذ لابدّ من انقضاء وقت قبلما تحدث الملاءمة الفسيولوجية بين جهاز البصر والبيئة المظلمة . وهذا مدلول عليهِ في الانتقال من حجرة الاستقبال المضاءَة في دار صور متحركة، الى بهو العرض الكبير المعتم . فعندما تسلِّم المستقبلَ تذكرتك و تتبعهُ عند مدخل البهو، لا تكاد ترى شيئاً فيهِ، فتمضي متعثراً الى مقعدك ، ثم ينقشع الغمام رويداً رويداً وبعد نصف ساعة يبدو لك ان ضوءَ البهو قد زاد مع انك تعلم انهُ لم يزد . والواقع ان عينيك تغيرتا لا ضوء البهو ، فقد تعودتا الظلام واصبحتا الوف الأضعاف اشدَّ احساساً بالنور مما كانتا عند دخولك

وليس في الوسع المبالغة في وصف شدة احساس العينين بالضوءِ بعدما تتعوَّدان الظلام مدى نصف ساعة. ففي قدرة عينين في هذه الحالة ان تريا شمعة على بعد اثني عشر ميلاً ، حتى ولو لمعت

لمعةً خاطفة لا يزيد أمدُها على جزءٍ من الف جزءٍ من الثانية. وشعلة عود الثقاب كضوء الشمعة. والطيار الذي تعوَّدت عيناهُ الظلام لا يعجز عن أن يتبين عود ثقاب مشتعلاً على بعد خمسةٍ وعشرين ميلاً في ليلٍ صافٍ. ويلوح ان حدود البصر في هذه الأحوال ليست طول المسافة ولا قدرة العين، بل تحدُّب الأرض والعثير المنتشر أو الضباب الذي في الهواء. ومن هنا تجب العناية عناية دقيقة في اثناء الإظلام بحجب كل ضوءٍ. فكلُّ من يشعل عود ثقاب في شارع في أثناء إظلام كامل، كمن يضيءُ منارة كبيرة للطيار، إذ لا ريب في ان عينيْ الطيار تعوَّدتا الظلام قبل الاغارة، وفي وسعهِ ان يرى ضوءًا أضعف كثيراً من ضوء عود ثقاب. وطيارو المطاردات الليلية يتعين عليهم ان يبقوا نصف ساعةٍ على الأقل في حجرة دامسة الظلام قبل التحليق بطائراتهم في الفضاء. فطائرات الاعداء المغيرة لا تنير مصباحاً ما فيها، وعلى طياري المطاردات أن تكون عيونهم أشد ما تكون احساساً بالضوء لتتبين خطوط المغيرات في بحر الظلام الأوسع، او وهجاً ضعيفاً أزرق في الدخان الصادر الخلفي من أنبوبها

***

ان القدرة على البصر في النهار والبصر في الليل ليست موزَّعة توزيعاً متساوياً في العين. فأسباب البصر النهاري التشريحية والفسيولوجية مركزة في الوسط، فعندما ننظر الى جسم ما نظراً مواجهاً فنحن نعتمد على حاسة البصر نهاراً. ولكنَّ هذا يعني، ان هذا الجزء من العين، ضعيف الابصار عند ما يكون الضوء ضعيفاً. ففي هذه الحالة لا نستطيع ان نرى الشيء اذا حدَّقنا فيهِ تحديقاً. ويقابل هذا ان على حواشي المنطقة التي تركزت فيها أسباب البصر في النهار، توجد أسباب البصر في الليل. ففي النهار قلما نستعمل هذا الجزء من العين. فمن منا يفكر مثلاً في قراءة كتاب بالنظر اليهِ شزراً. اننا ننظر اليهِ مواجهة. ولكن عندما يضعف الضوء وتظلم الدنيا، تصبح الحواشي التي تركزت فيها أسباب البصر الليلي، وسيلتنا الى الرؤية وهي عمادنا في حالة الاظلام الذي يرين على المدن

وعلماءُ الفلك أدركوا من عهد بعيد، ان خير طريقة لرؤية نجم غائر، هي بالنظر الى موقعهِ شزراً لا بالنظر اليهِ مواجهةً. ففي صورة الدب الأكبر نجم يكاد يكون غائراً وقد تراهُ في ليل صافي الأديم بالنظر المباشر اي بقدرة البصر في النهار. ولكن اذا كان أديم الليل غير تام الصفاء فانك ان نظرت اليهِ مباشرة تراهُ لمحة ثم يخفى. ولكن اذا نظرت نظراً مباشراً الى نجم كبير قريب منهُ، فانك تنظره واضحاً من طرف مقلتك. والثريا مثل أوضح على هذه الحقيقة. انظر اليها نظراً مواجهاً ترَ فيها عدداً معيَّناً من النجوم ولكن انظر اليها من طرف مقلتك بعد ان تتعوَّد عيناك الظلام، ترَ فيها عدداً أكبر من النجوم

ومن هنا يلوح انهُ خير للمرء في شارع تام الاظلام ان ينظر الى الاشياء شزراً، أي،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من طرف المقلة . وهذا أمر يجب أن يألفه المرء ويتعود الاعتماد عليهِ ، ولا يستتب له الاَّ بالممارسة حتى يؤلف. فاذا لمحت شيئاً ما من طرف مقلتك ، وظننت أنك تستبينهُ بالنظر اليهِ مواجهة ، ثم حدَّقت فيهِ، غاب عنك

ومما لا ريب فيهِ انهذا النظر من طرف المقلة لا يستبين التفاصيل ولكنهُ يمكنك من ان تتبين شكل الجسم بوجهٍ عام ، وهو خير من أن لا تتبينهُ على الاطلاق وتصطدم بهِ . ولذلك يحسن بالسلطات ان تكتب التعليمات المقصود بها توجيه الناس في الظلام بحروف كبيرة بسيطة وان ترسم السهام رسماً مبالغاً فيهِ ولا سيما رؤوسها ، ويجب ان تكون جميع هذه الحروف والرسوم بالأبيض على أرض سوداء أو بالأسود على أرض بيضاء

***

وقدرة البصر في الليل لا تميز بين الألوان . فالعشب الذي تراه في الظلام بهذا البصر الثاني ليس أخضر ، والطوب ليس أحمر . ولكن هناك فرق بين اشراق الألوان المختلفة . ففي النهار نرى اللون الأصفر مشرقاً ، واللون الأزرق داكناً ، واللون الاخضر بين بين . ولكن مراتب الاشراق في هذه الألوان تختلف في الليل عند ما تُرى بالبصر الثاني ، عنها في النهار عند ما ترى بالبصر العادي

ولعلَّ أبلغ مثل على هذا الفرق ، يبدو في اللونين الأحمر والأزرق . ففي النهار يسهل التفريق بين ورقة حمراء وأخرى زرقاء ولو كان اشراقهما من مرتبةٍ واحدة . ولكن خذ هاتين الورقتين الى حجرة خافتة الضوء ، وانظر اليهما بعد ما تتعوَّد عيناك الظلام فماذا ترى ؟ انك أولاً لا تراهما ملونتين . وثانياً ترى الورقة الزرقاء أشد اشراقاً من الورقة الحمراء ، بل انك لا تكاد ترى الحمراء

وما يصدق على الورق يصدق على المصابيح المطلية بالطلاء الأحمر أو الطلاء الأزرق . ادهن مصباحين أحدهما باللون الأحمر والآخر باللون الأزرق ، بحيث يكون اشراقهما من رتبة واحدة . ثم ضع أمام المصباحين لوحاً واحداً من الزجاج المدخن . وبعد ما تتعوَّد عيناك الظلام انظر اليهما ، فترى اشراق المصباح الأزرق أقوى من اشراق المصباح الأحمر مئات الأضعاف . وهذا الفرق متصلٌ صلة وثيقة بمسألةٍ من أهم المسائل الخاصة بإظلام المدن لحجبها عن أعين الطيارين المغيرين . والمسألة هي هذه . . كيف نستطيع أن نضيء مصابيح الشوارع مثلاً ، بأضعف ضوءٍ ممكن ليهتدي بهِ الناس ، بغير ان يراه الطيار المغير ؟ والردّ على هذا السؤال : بتلوين المصابيح ، اذا أُحسن اختيار اللون . ويجب ان نتذكر ان عيني الطيار المغير، قد تعوَّدتا الظلام وانهُ يعتمد على قدرة البصر في الليل . وأنت في الشارع بينما هو فوق محلق في الفضاء . فأنت تريد ان تتبين موقع خطوك لئلاً تعثر . فبك حاجة الى ضوء . ومهما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يكن لون المصباح الذي تستعمله فيجب ان يكون على درجة من الضياء تكفيك للابصار بقدرة البصر النهاري . ولكن الطيار قد يكون متربصاً ليرى بصيصاً ما . فاذا اخترت اللون الازرق بدا في عيني الطيار المحلق مئات الاضعاف أقوى من اللون الاحمر . والنتيجة لا تحتاج الى بيان أوفى

ثم ان اشراق الضوء الأزرق في الليل أعظم من اشراق الضوء الأحمر ، وهو لذلك أشدّ تأثيراً في اضعاف القدرة على البصر في الليل — أي قدرة البصر الثاني . فملاءمة العينين للبصر في الليل ليس أمراً سهلاً سريع التحقيق . وهي تستغرق نصف ساعةٍ على الأقل . ولا يمكن استعجالها . ولكن الملاءمة التي لا تكسب إلاّ في نصف ساعة على الأقل قد تضيع في لمحة خاطفة . والتعرض لضوء باهر يضيّعها ، وعندئذ لا مفرّ من الانتظار نصف ساعة أخرى أو نحوها لتفوز ثانية بالملاءمة الفسيولوجية البصرية . ومدى تضييع هذه الملاءمة واكتسابها ثانية ، يختلف باختلاف مدى التعرّض للضوء ، وشدة اشراق ذلك الضوء كما يبدو لحاسة البصر الليلي . وعلى قدر ما يكون الاشراق قويًّا ، وأمد التعرُّض طويلاً ، يزداد الوقت الذي لا بدَّ من مضيّه قبل اكتساب الملاءمة البصرية ثانية

ولما كان اشراق الضوء الأزرق أبهى بالقياس الى البصر الليلي من قدر مماثلٍ له من الضوء الأحمر ، فاستعماله للرؤية يكون أفعل في اضعاف قدرة البصر الليلي . بل انك لتصاب بعمى قصير عابر بعد التعرض له ، الى أن تتاح الفرص الكافية لحدوث الملاءمة

واذن فاستعمال المصابيح المطلية بالطلاء الأزرق في المدن التي تقتضي حالة الحرب اظلامها ، غير مستحسن بل ضارٌ لسببين ، أما الأول فهو أنهُ أهدى للطيّار المغير ، وأما الثاني فهو انهُ أفعل في اضعاف قدرة البصر الليلي للمدلجين . والمصابيح المطلية بالدهان الأحمر هي دون غيرها ما يجب استعماله في هذه المدن وخيرها ما كان أشدَّها حمرةً

ويضاف الى ما تقدَّم ان الضوء الأزرق أسوأ ما تستضيء بهِ اذا شئت أن تتبيَّن تفاصيل شيءٍ ما . وأسوأهُ ما كان أصفاهُ زرقةً . فالعيون البشرية لا تستطيع أن تستبين استبانة واضحة جسماً ما بالاعتماد على الضوءِ الازرق . والكتابة لا تبدو واضحة اذا كان المصباح الذي تقرأ على ضوئهِ مطليًّا بالدهان الأزرق . والقراءة في هذه الحالة تضني العينين . قال الكاتب [1] —

انهم يستعملون المصابيح الزرق في لندن وان السلطات المسؤولة أوصت

---

(١) عالم من علماء فسيولوجية البصر وكيميائه ويدعى الدكتور سليج هخت ويشغل منصب أستاذ البيولوجيا الطبيعية « بيوفيزيكس » بجامعة كولومبيا منذ سنة ١٩٢٦ وهو مؤلف مؤلفات مشهورة في أعمال الشبكية ودقة الابصار وابصار الالوان وكذلك في الاساس الكيميائي للبصر ، وقد نشر مقاله الذي لخصناه تلخيصاً وافياً هنا في مجلة هاربرز الاميركية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باستعمالها في الولايات المتحدة وان المخازن فيها تستعد لبيعها للجمهور . ولكن هذا غلط . فاستعمال الضوء الازرق في الاظلام خطر واستعمال الضوء الاحمر سليم . وقد أدرك الانكليز أخيراً هذا وكذلك الجيش والاسطول في الولايات المتحدة

***

وهناك أخيراً في موضوع البصر في الظلام مسألة الصلة بين فيتامين A والعشو أو العمى في الظلام . فالعشو أو العمى في الظلام هو العجز عن الرؤية عند ما يكون الضوء ضعيفاً حتى بعد ما تتاح الفرصة الوافية لملاءمة العينين الفسيولوجية لحالة الظلام . ومرد هذا عند ما يصيب جماعات من الناس ، الى امتناعهم او عجزهم مدة طويلة عن أكل الخضر والزبدة

والعشو يشفى بتناول طعام يحتوي على فيتامين A . وسبب ذلك اننا نحتاج الى هذا الفيتامين لتوليد مادة تدعى « ارجواني البصر » visual purple وهي هذه المادة التي تجعل العينين شديدتي الاحساس بالضوء مهما يكن خافتاً ، أي انها لازمة للبصر في الليل. فأولئك الذين يأكلون طعاماً نزع منهُ كل فيتامين A لا تتولّد هذه المادة في عيونهم واذا امتحنت عيونهم حينئذ ظهر فيها نقص في قدرتها على الاحساس بالضوء . واذا بقي شخصٌ ما ، شهراً كاملاً يأكل طعاماً ليس فيهِ فيتامين A ، احتاج الى مقدار من الضوء لرؤية جسم ما في الليل ، يزيد مائة ضعف على المقدار الذي كان يرى بهِ وهو سويٌّ واتاحة الفرصة الكاملة لحدوث الملاءمة الفسيولوجية اللازمة للرؤية في الليل لا تجديهِ

ومن حسن الحظ ان الذين يعوزهم فيتامين A في طعامهم قلائل بل نوادر . فالجزر والكوسى وجميع الخضر ، والزبد والبيض تحتوي على مقادير وافية منهُ ويندر بين الناس من لا يعتمد على طائفة من هذه المواد في طعامهِ . فالعشو على الأكثر ليس مردهُ الى نقص فيتامين A بل قد يكون مرده لسبب مرضي آخر كاضطراب الكبد او الكليتين

والشفاء من العشو الذي يسببه نقص فيتامين A فعلٌ بطيءٌ . وقد يستغرق في أكثر الحوادث أسابيع وأشهراً لا ساعات او أياماً. ولذلك يخطىء من يظن انهُ اذا أكل جزرة أو جزرتين قبل الخروج الى شوارع مدينة مظلمة ، تحسنت قدرتهُ على الرؤية في الليل

ومع ذلك فلا بدَّ من التنبيه ، الى ان الأصحاءَ الاسوياء ، يختلفون اختلافاً بيناً في دقة إحساس عيونهم بالضياء الخافت . وهذا التفاوت طبيعي وهو من قبيل تفاوتهم في القصر والطول والوزن وما أشبه . فبعض الناس ، خلق على ما نعلم وهو دقيق الاحساس بالضياء الخافت وبعضهم ليس كذلك . ولذلك قد يحسن ان تحاول السلطات غربلة الناس من هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الناحية ، فالذين تتصف عيونهم بدقة الاحساس بالضياء يعينون لمراقبة الطائرات المغيرة على السطوح في مدينة معرضة للغارات الجوية ، والذين لا تتصف عيونهم بدقة الاحساس هذه يعلمون ذلك فيعمدون الى الحذر والحيطة عند ما يسرون

* * *

وكذلك نستطيع أن نلخص هذا البحث النفيس في قواعد عامة واضحة

أولاً — تذكر ان الملاءمة البصرية للرؤية في الظلام تستغرق وقتاً ولا تُعلم طريقة ما لاستعجالها . فاذا خرجتَ من حجرة باهرة الضوء فلا تندفع حالاً الى الشارع المظلم لأنهُ يبدو لك اشدَّ ظلاماً مما هو حقيقة ، فعليك ان تتمهل واذا استطعت فتلبث قليلاً في الظلام قبل ان تخرج . تلبث عشر دقائق على الأقل بعد خروجك من الحجرة المضاءَة ، ونصف ساعةً ان كان ذلك ممكناً

ثانياً — اذا أصبحت في الشارع المظلم فلا تشعل عود ثقاب تستضيء بهِ أو لفافةً من التبغ . فضوءُ العود يبدو كشعال لطيار محلّق ، ويضيع عليك ما كسبته من قدرة البصر في الليل ، في اثناء تلبثك في الظلام قبل الخروج الى الشارع

ثالثاً — تعود ان تنظر في الليل ، الى الاشياء بمؤخر الموق وهـذا يقتضي تعوّداً ويستغرق وقتاً ولـكن في وسع كل احد ان يتعوده بالممارسة

رابعاً — عند ما يكون الضوءُ خافتاً تتعذَّر رؤية الألوان . فمن العبث أن تقيم في مدينة يرين عليها الإظلام الدقيق ، اعلاماً ملوَّنة لهدي المسْرين

خامساً — اذا كان لا بدَّ من اقل قدر مستطاع من الضوء لهذه الأعلام ، مثل الأعمدة القائمة في منتصف الشوارع ، فليكن الضوءُ احمر . واذا كان لا بدَّ من استعمال مصباح كهربيّ صغير للاستضاءَة بهِ فليطلَ زجاجهُ بطلاء احمر أو ليلصق عليهِ ورق « السلوفان » الأحمر

سادساً — لاحظ الطعام الذي تأكلهُ وليشمل المواد التي تحتوي على فيتامين A فنقص هذا الفيتامين يسبب حالة العشو . ولكنَّ أكل هذه المواد قبل الخروج في الظلام لا يعزِّز القدرة على البصر في الليل . واذا كان شكٌّ ما يساورك من حيث قدرتك الطبيعية على الرؤية في الليل ، بعد الملاءمة اللازمة ، فاذهب الى طبيب . واذا كان الضعف ناشئاً عن نقص غذائي كان من السهل اصلاحه ولكنهُ يستغرق وقتاً ما

سابعاً — تذكر أن عينيك أداة دقيقة فيجب أن تعنى بهما . فلا تقرأ في حجرة ضوءُها ضعيف او « ازرق » ولا تقرأ حتى على ضوء مصباح احمر الاّ اضطراراً . فقراءَة الكتب المطبوعة والصحف والخياطة من الاعمال التي تقتضي ضياءً باهراً للنهوض بها بغير تكليف العين مشقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مجد الاسكندرية

جامعة فاروق الاول

اذا ذكرت الاسكندرية بين حواضر العلم في العصر القديم كانت حتماً في رأس الطليعة . فلعلمائها في ميادين العلم النظري والعملي مكتشفات ومخترعات ما فتىء بعضها آية في الابداع والابتداع الى عصرنا هذا . ولأدبائها وفلاسفتها في نواحي الأدب والفلسفة القدح المعلى والذكر الخالد . ولعلهُ ما من مدينة في التاريخ القديم أو المتوسط تستطيع ان تباهي بكوكبة من العلماء والمفكرين كالكوكبة التي تستطيع ان تباهي بها الاسكندرية : « حتى ولا اثينا في أوج عزها » . وان مدينة تستطيع ان تنظم في عقد عظمائها ، علماء من طبقة اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيرو وهبَّارخس وبطلميوس وهيروفيلوس واراسستراتس وارانُسْثينيس وغيرهم ، ويقرن ذكرها في تاريخ العلم المحض والمطبَّق بأصول الهندسة المسطحة وقواعد التشريح ومبادىء الطبيعة المحققة المجرَّبة وقياس محيط الأرض ومعرفة ميل دائرة البروج ووضع نظام كوني ظلَّ سائداً أذهان العلماء الى خاتمة القرون الوسطى ، ان مدينة هذا شأنها لمدينة خليق بأن يستوحى تاريخها ، لا للاشادة بمجد غابر مجيد أو للبكاء على علم مضاع ، اكتفاءً بالاشادة والبكاء ، بل لاقامة الدليل على ان البلاد التي أظلَّت أولئك العلماء والفلاسفة وأنجبت بعضهم ، وأتاحت لهم جميعاً مجال الابداع في العلم والفلسفة ، تستطيع اليوم بما تلقاهُ من تشجيع مليكها الفتيِّ الطموح الى العلى ، وعناية رجال الحكم فيها ، على اختلاف نزعاتهم وأحزابهم ، وتحفز شبابها الى الانتظام في موكب الفكر العالمي ، أن تعيدَ من ذلك العهد الزاهر سيرتهُ الأولى

ولنا في افتتاح جامعة فاروق الاول بالاسكندرية ، بعد استواء جامعة فؤاد الاول بالقاهرة على أركانٍ راسية ، أن نطلَّ من كوَّة الخيال ، على مستقبل العلم والفكر في هذا القطر السعيد ،وأن نربط في عالم الواقع ، بحاضرنا ، بين ماضينا المجيد ومستقبلنا الذي وضع زمامهُ في أيدينا . ومن يدري ، فاننا اذا أحسنا التوجيه والارشاد وأجدْنا العمل ، فقد نكون على عتبة عصرٍ يُعيد الى الذهن عهد الازدهار العلمي والفني بالاسكندرية في عصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البطالسة ، وعهد مدرسة الحكمة في بغداد ، ومطلع النهضة العلمية الاوربية في القرنين الثامن عشر ومستهل التاسع عشر

***

كان الباعث الأول على التفكير في انشاء جامعة فؤاد الاول توأماً في الحقيقة . أما أولهما فعملي تقتضيه حالة التقدم العلمي في البلاد والاقبال على طلب العلم العالي بين شبابه ، فازدحم وفود الطلاب بأبواب جامعة فؤاد الاول ، فضاق نطاق كلياتها جميعاً عن الاتساع لهم ، فكان لابدّ من التفكير في انشاء جامعة أخرى في القطر المصري ، تتيح للشبان والشابات العطشى الى ورود مناهل العلم العالي ، سبيلاً لتحقيق امانيهم . واما الثاني فمثالي ، يتصل من ناحية بمجد الاسكندرية العلمي في العصور الغابرة ، وضرورة بعثه واستيحائه ، ويتصل من ناحية أخرى بمقام مصر في نهضتها الجديدة . فبلدٌ يعدُّ شعبهُ ستة عشر مليوناً من السكان وترنو اليه انظار الشعوب العربية ، ويطمح الى ان يتخذ في موكب العمران مكاناً يليق بماضيه المجيد وآمال نهضته العصرية ، لا تكفيه جامعةٌ واحدة وقد لا تكفيه جامعتان ولا سيما اذا كانت المقابلة مع طائفة من البلدان الغربية ، التي لا تضاهي مصر سكاناً وثروة ومنزلة عالمية على مفترق الطرق بين الشرق والغرب ، وهي مع ذلك تباهي بجامعات كثيرة

وكان احمد لطفي السيد باشا اول من اقترح انشاء جامعةٍ في الاسكندرية على مجلس الجامعة المصرية وكان ذلك في نحو سنة ١٩٣٧ فلقي اقتراحه موافقة من ناحية ومعارضة من ناحية . وكان رائد الموافقين وحجتهم ، انهُ لا مفرَّ من التفكير في وسيلة لتخفيف الازدحام على جامعة القاهرة ، وان منطق التاريخ القديم والبعث الجديد ، يقتضي السعي الى استحياء المجد الاسكندري القديم . وكان في الفريق المعارض من يستكثر على مصر جامعةً واحدة فكيف يرضى بجامعتين ، ومن يقول ان البلاد ليس فيها اساتذة اكفاء لسدّ كل حاجة الجامعة المصرية ، ولا بدَّ من الاستعانة باساتذةٍ من الاقطار الاوربية ، ومن يذهب الى ان نفقات الجامعة المصرية تبلغ نحو مليون جنيه كلَّ سنةٍ فاذا انشئت جامعة اخرى بالاسكندرية تضاعفت النفقة وخير من ذلك انفاق هذا المال في وجوه عملية كتحسين الصناعة والزراعة

على ان الردَّ على وجوه الاعتراض هذه لم يكن بعيد المنال . فالجامعة المصرية القديمة كانت تعتمد على الاساتذة الاجانب في عهدها الاول ثم تخرَّج من ابنائها عددٌ وافرٌ من الشبان تمكنوا من علومهم وتقلدوا المناصب العلمية العالية في كفاية وامتياز . وهم الآن الكثرة في هيئة التدريس والاجانب هم القلّة . واذا كان لابدَّ من استحضار الاجانب لجامعة الاسكندرية المقترحة في المرحلة الأولى ، فليستحضر الاجانب

أما المعترضون بالمال فحجتهم ضعيفة من أساسها ، لأنهُ اذا كانت مصر تباهي بتاريخها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العريق فيجب ألاّ تكتفي بالمباهاة ، واذا كانت تطمح الى المقام العالي الذي تنصرف اليهِ آمالها، بين امم الشرق العربي ، وفي صلتها باوربا واميركا ، فعليها ان تشيّد هذه الآمال على اركان راسية ، ومثل مصر العليا يجب ان تتشوَّف الى أوسع آفاق الحياة ، والحياة ليست كلها زراعة وصناعة ، بل ان ارتقاءَ التعليم ، وتوفير سبيل البحث والابتكار يفضيان حتماً الى ترقية أساليب الزراعة والصناعة . وما من تقدُّم عظيم طرأ على الزراعة والصناعة والمواصلات والمخاطبات ، إلاّ وكان مردُّه الى العلم البحت . فالجامعة ضرورةٌ من الوجهتين المثالية والعملية جميعاً ، ولا بدَّ مما ليس منهُ بدّ

وقد وقف الامر عند هذا الحدّ في التفكير الذي حركهُ لطفي باشا بمقترحهِ الاول

ولكن ازدحام وفود الطلاب بأبواب جامعة القاهرة حقيقة لا سبيل الى تجاهلها . فهل تنشأ فروع للكليات القائمة ولاسيما لكليات الآداب والحقوق والطب ؟

فلما استقالت وزارة المغفور لهُ محمد محمود باشا وعاد احمد لطفي السيد باشا مديراً لجامعة فؤاد الأول ، تجدَّد التفكير في مقترحهِ السابق . وتألفت لجنة من مجلس جامعة فؤاد الأول لبحث الموضوع ودراستهِ وكان من أعضاءِ هذه اللجنة الدكتور علي باشا ابراهيم (وزير الصحة حينئذٍ) وهو من أشد رجال مصر تحمساً للجامعة الثانية وأشدهم مطالبة بانشاءِ ثالثة في أسيوط . وعبد الحميد بدوي باشا (وزير المالية حينئذٍ) وهو من أشدّ الناس حرصاً في انفاق مال الدولة . فتعذر على اللجنة أن تصل الى اتفاق لأن وزير المالية وقف سدًّا منيعاً من الناحية المالية دون اقرار المشروع فتقرَّر أن يحتكم الوزيران الى مجلس الوزراءِ

وكان دولة حسين سرّي باشا رئيساً لمجلس الوزراء والدكتور محمد حسين هيكل باشا وزيراً للمعارف،وكان الدكتور علي باشا ابراهيم وزيراً للصحة يجاهد في الدفاع عن فكرة انشاءِ جامعة فاروق الاول. واقتنع هيكل باشا بمبدإ انشاءِ جامعة الاسكندرية فاستصدر مشروع قانون بانشاء كلية مستقلة للحقوق في الاسكندرية ، فاعترض الدكتور طه حسين على ذلك بقوله انهُ اذا كانت هذه الكلية تابعة لجامعة فؤاد الأول فهي ليست مستقلة ، واذا كانت تابعة لجامعة الاسكندرية فجامعة الاسكندرية لم تنشأ بعد. فوضعها شاذّ من الناحيتين . ولكن المشروع قدِّم للبرلمان . على ان الدكتور طه كان مقتنعاً بعدم سدادهِ فاجتهد ان يحبطهُ، وفاز باستمالة الدكتور هيكل باشا الى رأيهِ . وهيكل باشا كان يعرف اشتداد بدوي باشا في مقاومة مشروع الجامعة الجديدة في مجلس الوزراء من الناحية المالية ، فاتفق الرأي على مخاطبة سري باشا في الموضوع ، فاقتنع ، وهو الرجل الذي يعلم بالدراسة والخبرة ، منزلة الجامعات في ارتقاء العلوم النظرية والتطبيقية ، وكذلك تقرر عرض المشروع الأول — مشروع لطفي باشا — على مجلس الوزراء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واتفق كذلك الدكتور هيكل باشا والدكتور طه على خطة للعمل ، فاقتسما الدفاع عن المشروع وتأييده ، فهيكل باشا يتولى ذلك في مجلس الوزراء ، والدكتور طه في الصحافة ، فأصابا التوفيق في ما سعيا اليه وقرّر مجلس الوزراء حينئذٍ مبدأ انشاء جامعة فاروق الأول . وكان مؤيدو مشروع انشاء جامعة الاسكندرية ، قد فازوا من محمد محمود باشا بوعد في خطبة العرش، بانشاء هذه الجامعة ، فكان هذا الوعد سنداً قويّاً لهم في حمل مجلس وزراء سري باشا على الموافقة . اما متى تنشأ الجامعة وكيف ، فالوقت لم يتسع امام وزارة سرّي باشا لتنفيذ القرار لأنها استقالت في فبراير سنة ١٩٤٢

فلما وليت وزارة النحاس باشا الحكم ، وجدت فكرة الجامعة قائمةً والمبدأ مقرّراً فكانت مهمتها ان تتولى التنفيذ .فنظر في المشروع من ناحية تحقيقه وفي قوانين جامعة فؤاد الاول لوضع القانون الأساسي للجامعة الجديدة ، وأعِدَّ مشروع القانون وأقرّه مجلس الوزراء وعرض على البرلمان فوافق عليه ووضع الاعتماد للجامعة الجديدة في الميزانية وأقرت الميزانية فأصبحت جامعة فاروق الأول حقيقة

على ان هذه الحقيقة يجب أن تتجسّم كليات وأساتذة وطلاّباً ، يشملها نظامٌ دقيق . وتحقيق هذا شاقٌ المشقة كلها . ولكن القانون صدر ، والمال متاح ، وقد وقع عبء التنفيذ العمليّ على عاتقي معالي وزير المعارف نجيب الهلالي باشا والدكتور طه حسين بك ، وأبلى الدكتور علي ابراهيم باشا في انشاء الجامعة الجديدة وتنظيم كلية الطب بها أحسن البلاء . وعلى رغم اضطراب الحالة الحربية خلال الصيف اتصل العمل في انجاز التنظيم اللازم وانشاء هيئة الاساتذة . وكذلك استطاعت جامعة فاروق الأول أن تفتح أبوابها للطلاب في يوم ١٧ اكتوبر قبل افتتاح سنة الدراسة الجديدة في جامعة فؤاد الاول بأيام . وقد بدأت الدراسة في ستّ من كلياتها وهي كليات الآداب والعلوم والحقوق والزراعة والتجارة والهندسة وينتظر أن تفتح كلية الطب أبوابها في شهر يناير ١٩٤٣ . وبلغ عدد الطلاب الذين سجّلوا أسماءهم في هذه الكليات حتى منتصف دسمبر ١١٠٠ طالب منهم خمسٌ وخمسون طالبة في مختلف الكليات ، وبينهم طلاب من جميع الأمم الشرقية ، في الكليات جميعاً ، من سوريا وفلسطين والعراق والحجاز وتركيا ، ويمثلون لجميع الجنسيات الاوربية المتمصّرة

والتاريخ سيسجّل للهلالي باشا وللدكتور طه هذه المأثرة العظيمة . فبينما كانت الحرب على أبواب الاسكندرية ، والذعر منتشراً في طبقات شتى من الناس ، والمستقبل بيد الله ، كان الهلالي باشا والدكتور طه مكبين على دراسة المشكلات الكثيرة المعقدة التي لا بدَّ من حلّها قبل انشاء جامعةٍ كبيرة تنسب الى جلالة الملك فاروق الأول ، وتطمح الى احياء مجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسكندرية العلمي والفني ، وتحقيق جانب من آمال مصر العلمية والأدبية

وكان في مقدمة المشكلات التي عالجاها مشكلة الاساتذة . فخلاّها باختيار فريق من أساتذة جامعة فؤاد الأول ومن رجال وزارة المعارف وسائر الوزارات كالصحة والعدل ، من المصريين والأجانب ، وتعيينهم في كليات الجامعة الجديدة . والمساعي مبذولة الآن لاختيار فريق من الأساتذة الاجانب ليتولوا تدريس مواد يتعذَّر الآن اختيار مصريين لتولي تدريسها . ومن هؤلاء أساتذة انكليز من انكلترا وانكليز من جنوبي افريقية وفرنسيون من الذين هجروا فرنسا الى الولايات المتحدة ، وسويسريون وغيرهم . فهيئة التدريس نظمت بغير مشقة كبيرة ، وهي هيئة من الاكفاء . ولعل مشكلة المعامل في كلية العلوم كانت أشق على الحل من مشكلة هيئة التدريس . فالعلوم الحديثة لا تدرس بغير معامل مجهزة بالأدوات اللازمة للتجريب والاختبار . وقد أخذ من هذه الأدوات ما سهل أخذه ، من وزارة المعارف وكليتي الطب والعلوم ، بغير ان يؤثر هذا الأخذ في سير الدراسة في هذه المعاهد ، ويصح القول الآن بأن معامل كلية العلوم لا بأس بها الآن

أما مباني الجامعة الجديدة فقد نزلت الوزارة للجامعة عن المدرسة العباسية بالاسكندرية وهي دار فخمة متسعة ، فجعلت داراً لأربع كليات هي كلية العلوم والحقوق والآداب والتجارة وللمكتبة العامة . وحلت كلية الهندسة في المدرسة الصناعية التابعة لجمعية العروة الوثقى . وأجرت الوزارة للجمعية دوراً أخرى . وجعل المستشفى الأميري في الأسكندرية داراً لكلية الطب ، فهذا المستشفى مدرسة للطب ومستشفى تابع لها . وكانت التحية الأولى التي وجهتها بلدية الاسكندرية الى الجامعة الجديدة ان وهبتها مبلغ خمسين الف جنيه ليكون ريعها مرتباً لثلاثة أساتذة في الحضارة اليونانية الرومانية والحضارة الاسلامية والهندسة البلدية

على ان جامعة فاروق الاول لا يصحُّ ان تكون ولن تكون صورة طبق الاصل لجامعة فؤاد الاول . فالتعليم العالي يجب ان تتوافر فيه الحرية الكافية لاختيار المنهج وطرائق التدريس والمواد التي تدرَّس. ومدينة الاسكندرية لها موقعها الجغرافي الخاص بها على ساحل البحر المتوسط وهي باب تطلُّ منهُ مصر على تاريخ هذا البحر العريق في حضارات الأمم ، وعلى اوربا وما يليها من أمم هذا العصر . ثم ان للاسكندرية تاريخها القديم ولاسيما في عصر ازدهارها في العصر اليوناني الروماني ، كما لها مقامها التجاري والصناعي الخطير ، ومنزلتها كثغر من اكبر الثغور في البحر المتوسط في العصر الحاضر . فيجب ان يوجه التعليم الادبي والعلمي فيها توجيهاً يختلف عن توجيهه في جامعة فؤاد الاول ، على ان يضمن في الجامعتين قدر اساسيٌّ من اصول الثقافة يوفَّر للطلاَّب جميعاً . واذا كانت جامعة فؤاد الاول تنظر الى الشرق القديم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتاريخ العربي والحضارة الاسلامية فان جامعة فاروق الاول تنظر الى حضارة اليونان والرومان واوربا الحديثة . واذا كانت الاولى تعنى عناية خاصة باللغات السامية والايرانية والتركية وآدابهـا فان الثانية تعنى باللاتينية واليونانية واللغات الأوربية وآدابها . ثم ان موقع الاسكندرية الجغرافي ومنزلتها التجارية تحتم على جامعتها توجيه الاهتمام الخاص الى علوم الاحيـاء المائية والاوقيانوغرافيـا والهندسة البحرية والصناعية وما اشبه. وكذلك تنشأ بين الجامعتين منافسة في الخير والعلم، بغيران يكون بينهما اصطدام او مطابقة

وهناك كذلك فرق بين الهيئتين اللتين تشرفان على الجامعتين. ففي جامعة فؤاد الاول مجلس ادارة الجامعة قوامه مدير الجامعة ووكيلها وعمداء الكليات وواحد وعشرون أستاذاً يمثلون الكليات السبع ووكيل المعارف ووكيل المالية وأربعة أعضاء أو خمسـة آخرون يعيّـنون بمرسوم من غير الجامعيين. فالمجلس كبير وعـدد أعضائه يبلغ أربعة وثلاثين عضواً أو خمسة وثلاثين عضواً فالمناقشات فيه متعذرة والمسائل التي تطرح للبحث لا تدرس دراسة وافية . ولذلك توخّـى منظمو جامعة فاروق الأول أن يكون أعضاء مجلس ادارتها أقل من أعضاء مجلس ادارة فؤاد الأول ، فهو مؤلف من المدير والوكيل وعميد كل كلية وأستاذ يمثلها ولم يعيَّـن من غير أقطاب الجامعة إلاّ مدير بلدية الاسكندرية بحكم منصبه . فعدد أعضـاء المجلس سبعة عشر عضواً ، ينضمّ اليهم ممثل وزارة المعارف . وفي جامعة فؤاد الاول يعيَّـن المدير بمرسوم وينتخب الوكيل من العمداء ولا عمل لهُ الاّ اذا غاب المدير فينوب عنهُ . أما في جامعـة فاروق الاول فالمدير يعين بمرسوم والوكيل يعيِّـنهُ وزير المعارف ولهُ عمل يتولاّه وينهض به هو مساعدة المدير فيقتسمان العمل وهذا يتيح لهما فرصة الاشراف على العمل في الكليات إشرافاً دقيقاً

***

فنرجو ان تحقق جامعة فاروق الاول الأمل المعقود عليهـا ، وهو الأمل الذي وصفهُ الشمسي باشا[1] بين يدي المغفور له الملك فؤاد الاول فقال « أنْ نربي في شبيبة المتعلمين فيها ملـكات حب العلم والتعمق فيها ، وحب البحث العلمي لتخرج في مصر طوائف من العلماء الباحثين المتجردين لطلب الحقائق العلمية ، واولئكم الذين يستطيعون ان يثبتوا لبلادهم العظمة العلمية والفنية الجديرة باسمها القديم ، وحينئذٍ يتهيأ لمصر ان تحتمل قسطها في بنـاء الحضارة العالمية ، وان تتشارك جماعة الأمم في العمل على تقدم المدنية ورفعة الانسانية »

(١) في الاحتفال بوضع حجر الاساس في بناء الجامعة بحديقة الاورمان في الجيزة يوم ٧ فبراير ١٩٢٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف ينبغي

ان تكون العلاقات الاقتصادية لتحقيق تعاون عالمي

لصاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا[1]

طالما عني أقطاب السياسة والاقتصاد في جميع بلدان العالم المتمدين بمسألة تنظيم العلاقات الاقتصادية العالمية. وكثيراً ما سمعناهم ينادون بلسان بلادهم بضرورة حل هذه المسألة وشهدنا ما بذلوه من محاولة وسعي لوضع المبادىء التي تكفل التعاون المجدي بين الامم في هذه الناحية. ومن هذه المبادىء ما سجل عقب انتهاء الحرب العالمية الماضية في وثائق رسمية. ولكن ذلك لم ينته بها الى نتيجة. ثم اندلعت نار الحرب الحاضرة فلم يبق منذ نشوبها زعيم سياسي ولا قائد من قادة الشعوب في القارات الخمس من أي لون ومن أي فريق، كان دون أن يعلن على رؤوس الاشهاد اعتناقه تلك المبادىء ويشيد بما يعود من وراء اتباعها، من الخير العميم على جميع الاقطار

غير ان هناك بين وضع المبادىء وتطبيقها طائفة من الحقائق منها ما يقع تحت سلطان السياسة ومنها ما يتصل بالبيئة الاجتماعية ومنها ما هو خاضع للسنن الاقتصادية وهي لا تستقر على حال لأنها تابعة لظروف الزمان والمكان. وهذه الحقائق — لا القواعد والمبادىء الموضوعة — هي التي يجب أن تكييف التنظيم المقصود اذا ما أريد الوصول به الى الغاية المنشودة

لقد كنت أود أن لا يتعدى حديثي حدود الناحية التي تتبعت شؤونها عن كثب ولها في نفسي مكانة خاصة وأعني بها الناحية الصناعية التي ما برحت أحوطها بعنايتي وأقف عليها أخص جهودي منذ ثلاثين سنة لولا ان المبادىء التي يجب أن تهيمن على العلاقات الاقتصادية العالمية هي عين المبادىء التي تنطبق على جميع نواحي النشاط الانساني. وفي مقدمة هذه المبادىء مبدأ التضامن والاخاء البشري وهو المبدأ الذي أجمعت الاديان السماوية على تلقينه. وكان شعار جميع الثورات الاجتماعية وهدفها. ولكنه للأسف الشديد لم يخرج في كثير من الاحوال عن حيز الآمال ولا أقول الاوهام

---

[1] — حديث ألقي في ردهة يوورت التذكارية بالجامعة الاميركية في القاهرة في ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهناك نزعات جنسية ودينية لا تزال عالقة بالأذهان في بلدان كثيرة . ومن شأن هـذه النزعات أن تفرق بين الجماعات وتبذر بينهم بذور التقاطع والشقاق . ومع ذلك لم يقتصر الأمر على مجرد وجود هذه النزعات بل منها ما اندمج في صلب تشريع تلك البلدان

وهـذه الأوهام والنزعات التي يرجع اليها الشيء الـكثير من المتاعب هي التي يجب على القادة والسياسيين أن يعملوا على استئصال شأفتها اذا ما أريد تحقيق الغاية التي يصبون اليها وهي اقامة نظام جديد في العالم يكون أقرب الى الوفاء بالمطالب الانسانية

يتعين عليهم ذلك ، فقد حان الوقت الذي يجب أن يعلم فيـه الناس أن ليس ثمة أجناس منحطة وأجناس راقية ، بل كل ما في الأمر ان هناك جماعات لم تسعدها احوالها الخاصـة أو ظروف الأمكنة التي تقطنها، ولـكنها تتطلع جميعاً الى ما يصلح حالها وانهـا جميعاً على حق في المطالبة بهذا الاصلاح

أما المبدأ الأساسي الثاني فهو مبدأ الحرية وأقصد بها الحرية بأتم معانيهـا وفي جميع أوضاعها وان دعت الحاجة الى مراقبتها وتنظيمها وتوجيهها في اتجاهها الصحيـح . واعتقادي ان هذا المبدأ هو النبراس الذي يجب أن يستضاء بنوره في وضع بقية المبادىء وأن يطبع بطابعه جميع وجوه النشاط وعوامله وفي مقدمتها العامل الانساني

نعم يجب أن يكون في استطاعة كل انسان أن يوجه نشاطه الى حيث يستطيع الاستفادة منه على الوجه الذي يعود عليه وعلى المجتمع بأعظم قسط من الخير

أما ما نراه في أيامنا هذه من قواعد صلبة ونظم جافة تحد من حرية الناس في الارتحال من بلد الى آخر سواء للاقامة الدائمـة أو الموقوتة وتقضي بالتنقيل على الراغبين في الهجرة بأسئلة لا حدَّ لها وبالتدخل في شؤونهم الخاصة وتعطيل مصالحهم باجراءات لا نهاية لها، فيفضل زيد على عمرو ويسمح للأول بدخول البلد الذي يؤمهُ ويحال بين الثاني وبين نيل بغيته، فليس من وراء كل ذلك إلا عرقلة مجرى العلاقات الاقتصادية والحيلولة دون الاستفادة على الوجه الأتم بالعنصر البشري الذي هو أهم عناصر الانتاج قيمة وأعظمها شأناً وسيظل كذلك مهما يبلغ من تقدم المخترعات الآلية وغيرها . وليس معنى ذلك فتح البـاب على مصراعيه لـكل وارد دون احتياط أو ضمان . ولـكن هناك فرقاً شاسعاً بين اطلاق العنان لحرية الهجرة دون مراعاة لما يعترض هذه الحرية من اعتبارات اجتماعية واقتصادية وسياسية وصحية وما اليها ، وبين النظم التي تخضع بالسماح لشخص ما بدخول بلد ما لاعتبـارات تتصل بجنسه ودينه وثروته وماضيه الأدبي والصحي والسياسي

ان من الواجب أن يسهـل على أفراد الطبقات العاملة ورجال الاعمال دخول بلاد غير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بلادهم والخروج منها وأن تفتح الأبواب للمشروعات التي يرجى منها منفعة للبلاد التي يريد أصحاب هذه المشروعات أن يأووا اليها على ان يشترط عليهم بطبيعة الحال الى يحترموا عاداتها وقوانينها وان يرعوا حق الضيافة

ولقد كانت هذه المسألة موضع مناقشات طويلة وقرارات طنانة اتخذتها عصبة الأمم أملاً في التوصل الى خفض الحوائل التي أقيمت في وجوه الناس في اوائل القرن الحاضر فحالت دون حريتهم في التنقل غير ان تلك المناقشات والقرارات كانت من التفاهة بحيث لا يعتد بها ويرجع ذلك الى انعدام الشعور بالامن بين الامم وارتياب كل واحدة منها في نيات جاراتها

لهذا كان من المتعين وضع نظام دولي يؤمن به جانب كل عدوان من هذه الناحية

هذا فيما يتعلق بالاشخاص . ثم ان هناك رؤوس الأموال وهذه أيضاً يجب تحريرها من الاغلال التي تجعل تداولها غاية في الصعوبة ان لم تحل دونه اطلاقاً

فكما ان كل انسان يجب ان يتاح له الانتقال الى حيث تستطاع الاستفادة من خدماته على وجه أوفى ، كذلك يجب ان يكون في الامكان نقل ثمرة جده واجتهاده الى حيث تكون الحاجة اليها أعظم، لانهما متلازمان اذا حبس احدهما جمد الآخر . وما أكثر البلدان التي لا يستطيع الانسان ان يخرج منها المال الذي اكتسبهُ بكده وعملهِ اذا اراد الانتقال الى بلاد أخرى وعندئذٍ يجد نفسه امام شيئين لا ثالث لهما فاما ان يبقى حيث هو ولو اضطر الى ان يقضي بقية حياته متعطلاً واما ان ينزل عن التمتع المشروع بثمرة عملهِ

على ان مشقة تداول الاشخاص والاموال لا ترجع الى القيود التشريعية وحدها بل ان لمسألة النقود دخلاً كثيراً في هذه الصعوبة . وما دامت الفكرة قد اتجهت الى انشاء اتحاد او اتحادات للامم الاوربية او غير الاوربية فلعل من الواجب ايضاً ان يفكر في توحيد العملات والصرف . وناهيك ما يضطر المسافر الى الحصول عليهِ ثم استبداله من صنوف العملات الاجنبية التي يحتاج الى الانفاق منها في اثناءِ طريقه برًّا من مصر الى لندن مثلاً

والى جانب حرية تداول الاشخاص ورؤوس الاموال يجب العمل على تسهيل تداول الافكار اذ ليس ثمة من يستطيع ان يقول ان التقدم الرائع في وسائل النقل التلغرافي والاثيري والجوي والبري والبحري يستغل اليوم الى أقصى حدود الاستغلال وفي أتم حرية . فهناك عقبات يطلق عليها اسم الرقابة تحول دون الاتصال الفكري بين الامم

وان كنت أتكلم على حرية وسائط النقل فانما اقصد الاوقات العادية طبعاً — أي أوقات السلم — لا هذه الفترة التعسة التي أصبح فيها تقدم تلك الوسائط في حكم العدم في بعض نواحيهِ . وحسبنا ان الرسالة التي يبعث بها أحد التجار تستغرق قبل ان تصل الى يد عميلهِ وقتاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أطول مما كانت تستغرقهُ في العصور الغابرة ايام كان يستعان على نقل البريد بالعربات التي تجرها الجياد

والآن انتقل الى مسألتين دقيقتين لا يتسع المقام للافاضة فيهما وتوفيتهما حقهما من البحث فلا أتكلم عنهما الاَّ لماماً وهما مسألة توزيع المواد الاولية ومسألة تبادل المنتجات الصناعية والزراعية وغيرها بين الاهلين

اما اولاها وهي مسألة التموّن بالمواد الأولية فطالما كانت الشغل الشاغل لكثير من الكتّاب بل لقد سالت في سبيل حلها الدماء . فكم من حرب استعمارية وغير استعمارية أثارت، وكم من خلاف قام بسببها بين الدول عن رغبة او ضرورة تدفعها الى السعي للاستيلاء على مصادر تلك المواد . وقد أخذ الساسة القابضون على أزمة الحكم في البلدان المتحاربة والمحايدة يشيرون في خطبهم منذ بدء الحرب الحاضرة الى ما تقضي بهِ الضرورة من تسوية مسألة توزيع المواد الأولية واتخاذ التدابير التي تكفل لكل أمة ان تصل الى مصادر التموين من هذه المواد

ومما يدل على ان الأمم لا تتمتع جميعها بكامل حريتها في ارتياد تلك المصادر ان هذه المسألة قد جعلت في عداد المسائل التي سوف تتناولها التسوية النهائية عند انتهاء الحرب

نعم ان لكل انسان من حيث المبدأ ان يبتاع ما يحتاج اليهِ من المواد الأولية بمعنى ان أسواق هذه المواد طليقة يؤمها من يشاء اذا ما استثنينا أصنافاً لا يسمح باخراجها وأخرى تشدد الحكومات في مراقبة الاتجار بها بالنظر الى قلة ما يوجد منها في أيدي الحكومات التي تملكها . غير ان الامر يصبح على خلاف ذلك في بعض الحالات متى عمدت الحكومة التي تسيطر على مصدر التموين الى اقامة العقبات في سبيل الوصول اليهِ أو جعلت الوصول اليهِ كبير النفقة لغير ابناء بلادها باتخاذها شتى التدابير المنعية كالحد من وسائط النقل او زيادة أجوره أو حظر الاستغلال او الحد منه او منح الاعانات او احتكار الاستغلال والبيع أو ما شا كل ذلك

إنه لا ينكر طبعاً على الدول التي تنتج بلادها مواد اولية معينة ان تحتفظ لنفسها ببعض الحق في استعمال هذه المواد في أغراضها الخاصة وفرض ضريبة جمركية على ما يصدر منها . أما أن تلجأ تلك الدول ولا سيما الدول التي تسيطر على امبراطوريات شاسعة الأرجاء مترامية الاطراف او التي تكون الطبيعة قد هيأت لها احتكار بعض المواد أو ما يقرب من الاحتكار، أقول اما ان تلجأ هذه الدول الى الحد من عرض تلك المواد في الأسواق الأجنبية فهذا ما لا أظن في الاستطاعة نعتهُ بالتعاون العالمي بل هو الى حدٍّ ما لا يتفق مع ما تريده الحكمة الالهية من ان يكون لكل انسان حق التمتع بنصيب من جميع الخيرات التي حبتها الأرض والتي شاءت ان يكون توزيعها على وجهٍ يربط القارات والبلدان بعضها بالبعض الآخر فلا يستغني أحدها عن الآخر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللوصول الى تحديد العرض تسلك تلك الدول سبلاً متعددة . فهي تصل الى غرضها مباشرة بواسطة تحديد الانتاج في منجم او اقليم من الأرض، او عن طريق الاختزان او اعدام المنتج او توسيع نطاق المعدات القومية على وجه يمكنها من ان تحول في داخل بلادها جميع المقادير المنتجة من احدى المواد او الشطر الأكبر منها ، فترغم البلدان الأجنبية على مشترى منتجاتها التامة الصنع . كذلك تلجأ تلك الدول في سبيل الوصول الى غايتها الى تنظيم وسائط النقل على النحو الذي تستطيع به توجيه الانتاج جميعه ، شطر بلد واحد والى رفع أسعار البيع للبلدان الاجنبية وما شاكل ذلك . ومن شأن هذه الوسائل جميعاً ان تقلل مباشرة من العرض في الأسواق الأخرى بسبب ما تحدثهُ من قلة السلعة فيها كما انها تؤدي من طريق غير مباشر الى ارتفاع غير طبيعي في الأسعار تستفيد منه الصناعة او التجارة القومية

ولا شك ان للجري على مثل هذه السياسة آثاراً خطيرة ولا سيما فيما يتعلق بطائفة من المنتجات كالمطاط والنترات والبن والنحاس وكثير غيرها مما ينحصر انتاجه في اقليم واحد او اقليمين من التي حبتها الطبيعة بخير حرمت غيرها اياه

ولقد انتهى اتباع هذه السياسة الى أعمال أدهشت ذوي العقول الرزينة وأثارت حنق جماهير الناس فمن ذلك ما شهدناه من اتلاف مقادير هائلة من البن في البرازيل ومن رواسب السكر (mélasse) في جاوه . بل وفي مصر أيضاً . ومن النبيذ في فرنسا ومن القمح في بعض الاقاليم وهلمَّ جرًّا . ومن أمثال ذلك ما اتضح من التلاعب أو ما هو في حكمه بغية رفع الأسعار لمصلحة طائفة قليلة من الناس دون أن يعبأ المتلاعبون بما يعود من وراء عملهم من الضرر على مئات الملايين من المستهلكين الرقيقي الحال

فأمثال هذه الأعمال وأمثال هذه السياسة يجب العمل على القضاء عليها لأنها مما يحط من قدر الانسان وكرامته بل هي من الاسباب الأساسية للحرب التي تعاني الانسانية شرورها

وقد أرادوا أن يسوغوا بعض هذه التدابير فزعموا ان البلدان التي اتخذتها اضطرت اليها اضطراراً بسبب زيادة الانتاج عن حاجة الاستهلاك العالمي، مع ان هذه الزيادة ليست حقيقية بصفة عامة فيما يتعلق بالمنتجات وهي في الرتبة الاولى من الضرورة ، ولا فيما يتعلق بالمواد الأولية الأساسية . وكل ما في الأمر هو ان هناك على الدوام قلة استهلاك في بعض البلدان والاقاليم يرجع سببها الى سوء توزيع الدخل القومي والعالمي

ولا أدل على ذلك من أن مسألة اصلاح هذا التوزيع ما برحت تعالج وتبحث منذ نصف قرن وانها أصبحت منذ نشوب الحرب الحاضرة في مقدمة ما يشغل أفكار الساسة . وقد قطعوا شوطاً بعيداً في سبيل معالجتها وخصوصاً عن طريق فرض الضرائب ذات التدرج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التصاعدي ومن التشريع الاجتماعي غير انهُ لا يزال هناك الشيء الكثير مما يجب عمله وسوف يعمل رغماً عن كل مقاومة واعتراض . نعم لقد عقدوا العزائم على سبق الحوادث والسير في هذا السبيل في تؤدة وانتظام حتى لا تدهمهم الحوادث يوماً من الأيام فيضطروا تحت ضغطها الى أن يهرولوا في هذا العمل على غير هدى (وكم كنت أود أن لا تكون بلادنا من تلك التي ينتظر فيها الساسة ان تدفعهم الحوادث بدل أن يعملوا على تفادي وقوعها)

***

وأما المسألة الثانية الهامة وهي أشد تعقداً من الأولى فمسألة تبادل المنتجات المصنوعة بين الأمم . وتتصل هذه المسألة اتصالاً وثيقاً بحرية التبادل التجاري والحماية الجمركية والاقتصاد الموجه أي ما يسمونه économie dirigée والاقتصاد المرسوم وهو الذي يطلقون عليهِ اسم planisme وغير ذلك من النظم النظرية التي يدل على صعوبة تحقيقها ما أدلى به فحول علماء الاقتصاد في جميع الاقطار من آراء متضاربة لا سبيل الى التوفيق بينها

كذلك تتصل هذه المسألة بشؤون المالية العامة لأن خزانة الدولة في كثير من البلدان تستمد شطراً كبيراً من غذائها مما يجبي في هذه البلدان من ضرائب جمركية

والحق اني ، اذا ما سئلت عن رأيي ، لست ممن يميلون الى انتحال المبادىء التعميمية المطلقة أو يعتقدون فائدة فرضها . بل اني ممن يثقون بفائدة العهود الدولية وهي عهود يمكن تسهيل الوصول بها الى الغرض المقصود بما تقفه الامم الصناعية الكبرى حيال انفاذها من موقف تعززه بعقوبات اقتصادية دولية تفرض على الامم الخارجة على تلك العهود لغير سبب وجيه . أما العودة الى حرية التبادل التجاري بين الامم فهي اليوم أبعد عن حيز الاستطاعة منها في أي وقت مضى بعد ان أخذت جميع الامم التي لم يكن قوام اقتصادها صناعيًّا تنشىء في بلادها في خلال هذه الحروب طائفة من الصناعات التي لا يخشى عليها من الاندثار بعد الحرب وليس من المعقول أن يطلب الى هذه الامم أن تتخلى عن هذه الصناعات ليخلو الطريق لمصنوعات غيرها

وعلى هذا فان كل ما يمكن تحقيقه هو الاتفاق على المضي شيئاً فشيئاً في الغاء الضرائب الجمركية التي يقصد بها الى الحماية المفرطة وهي التي لا يختلف اثنان من أهل البصائر فيما تنطوي عليه من ضرر من الناحية القومية . والى جانب ذلك يجب عقد اتفاقات دولية لمكافحة الاغراق (اي الدمبنج) على مختلف صوره واوضاعه وخصوصاً ما يتخذ منه اداة لحرب منافسة غير مشروعة يقصد بها القضاء على ما يقوم به المنافس من انتاج عادي رابح

ثم يجب تحديد حصص جبرية للاستيراد والاصدار كما يجب وضع حد ادنى للاجور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عامة في كل بلد يراعي فيهِ بيئته الاقتصادية والاجتماعية ودخله القومي . وتنظيم ارتباط المصالح الصناعية الكبرى بعضها بالبعض والعدول — بواسطة اتفاقات دولية — عن الاستئثار باستغلال المخترعات والمبتكرات التي تهم العالم في مجموعه الى غير ذلك

كذلك يجب ان يقوم كل بلد من البلدان — كما كان يفعل في عهد المعاهدات التجارية — بجرد مطالبهِ ومستطاعاته فيعين الحد الادنى لما يحتاج اليه والنواحي التي يمكنهُ ان يتساهل فيها لغيره والنواحي التي لا بد من أن يتساهل لهُ الغير فيها

وقد اطلعنا في الصحف على ما يستفاد منهُ ان الحكومة قررت تأليف لجنة من كبار الموظفين عهدت اليها في اجراء جرد من هذا النوع . غير اننا لم نجد في مشروع الحكومة ما يحقق شرطين اساسيين لا بد منهما لنجاح هذه اللجنة في مهمتها وهما تقسيم العمل بين اعضائها والاستعانة بفريق من الفنيين المتخصصين بمثل هذا العمل

على ان شؤون الاقتصاد الحديث هي من التشعب بحيث لا تستطيع لجنة مهما تبلغ من دراية اعضائها ان تعالج جميع ما سوف يعرض لها من معضلات ولو استطاعت ذلك لما انتهت منه في الوقت الملائم . وعلى هذا فان الواجب ان يقسم العمل على عدة لجان فرعية وان يستعان فيها بخبراء يدفع لهم اجر لكي يتفرغوا لعملهم فيها فيقوموا باعداد المسائل التي يجب عرضها على كل واحدة من هذه اللجان الفرعية . ثم تقدم كل لجنة منها تقريرها الى اللجنة المركزية فتطرحه هذه على بساط البحث والنقاش في اجتماعات عامة يحضرها الخبراء

***

ومجمل القول ان مصر يجب عليها ان تتأهب للمستقبل من الآن لكي لا تؤخذ على غرة متى حان وقت التناقش في بعض المسائل التي اوجزناها

يجب عليها ذلك حرصاً على خير اقتصادنا الغض الذي هو الآن في ابان نهضته ونموه . فقد قمنا بشق الأنفس منذ الحرب الماضية بتشييد صرح صناعي عاد علينا بفوائد لا تقع تحت حصر وهذا الصرح الذي نعتز به ونحمد الله على وجوده بين ظهرانينا في هذه المحنة القاسية يجب ان يصان من الأذى والاَّ كان تعريضه للخطر تقصيراً لا يغتفر

وقد أضفنا كثيراً الى هذا الصرح منذ سنة ١٩٣٩ فان كنا لا نطمع في بقاء كل ما أضفناه اليهِ متى وضعت الحرب اوزارها فان القسم الاكبر منهُ يرجى له البقاء . وربما دعت الضرورة في سبيل الوئام بين الامم الى التضحية بشيء من مصالحنا الصغرى التي هي وليدة حاجات الحرب الوقتية ولكن يجب أن ندافع بكل ما أوتينا من قوة عما لا مندوحة لنا عن استبقائه للمحافظة على اتزان اقتصادنا ورفع مستوى المعيشة بين الطبقات العاملة في بلادنا .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



العلم رائد

الحياة العلمية في مصر

بعد ربع قرن

للدكتور علي بك مصطفى مشرفة
عميد كلية العلوم

— ١ —

العلم مجموعة من الدراسات لها غرض ثابت ومنهاج واضح ودائرة محددة . فأما عن الغرض فهو الوصول الى المعرفة . وأما عن المنهاج فإن العلم يستخدم في بحثه نتائج الخبرة المباشرة عن طريق الحواس كما يستخدم التفكير المنطقي المنظم . وأما عن دائرة العلم فهذه هي الطبيعة : أو هي كل ما يمكن أن يشاهد بطريقة مباشرة أو غير مباشرة . هذه الأمور الثلاثة على بساطتها كثيراً ما تغرب عن بال من يتعرضون للكلام عن العلم والعلماء . وتنقسم العلوم كما تعلمون الى أقسام مختلفة تبعاً لموضوعاتها . فعلم الفلك مثلاً موضوعه الأجرام السماوية وحركاتها في الفضاء وصفاتها الطبيعية . وعلم الكيمياء موضوعه المركبات والعناصر وطرائق تآلفها وتفرقها . وعلم النبات موضوعه النبات ، وعلم الحيوان موضوعه الحيوان وهكذا . على أن تقسيم العلوم إنما هو أمر اعتباري ، فالطبيعة متصلة الأجزاء ، ولذلك فالعلم متصل الاجزاء ، والعلم بالمعنى الذي وضحتهُ يسمى في بعض الاحايين بالعلم البحت تمييزاً لهُ عن العلم التطبيقي أو التكنولوجيا ، والعلاقة بين العلم والبحث وبين العلم التطبيقي تشبه العلاقة بين العلم والعمل . فالكيمياء مثلاً أحد العلوم البحتة ، فهي دراسات يقصد بها معرفة تفاعلات العناصر والمركبات معرفة موضوعية ، والعالم الكيميائي انما يعنى بالوصول الى هذه المعرفة ، والكشوف الكيمائية انما هي الزيادة في هذه المعرفة . أما الكيمياء الصناعية فعلم تطبيقي يقصد به تطبيق الكيمياء على الصناعة واستخدام نتائج العلم البحت في خدمة الصناعات البشرية . فالعلوم التطبيقية إذن ليست علوماً بالمعنى الصحيح ، وانما هي صناعات أو فنون أو هي كما يسميها الافرنج تكنولوجيا . ومن أبسط الأمثلة على ذلك العلاقة بين هندسة اقليدس وبين فن المساحة أو صناعةِ المساحين ، فاقليدس كما درسناه في المدارس الثانوية مجموعة من القضايا مستنتجة من تعريفات وبدهيات أولية تعنى بدراسة الفضاء الذي نعيش فيه وبخواص هذا الفضاء الذاتية ، فهي علم بحت بل لقد قيل انها تفكير بحت . أما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صناعة المسّاحين فأمر آخر يقصد بهِ تجزئة الاراضي بنسب معلومة بين ملاّكها أو رسم خرائط يرجع اليها في خدمة المصالح البشرية

ونحن اذا رجعنا الى تاريخ العلوم وجدنا ان اشتغال الناس بالعلوم البحتة وطلب المعرفة لذاتها قديم كقدم المدنيـة البشرية ، فالمصريون والبابليون والاغريق والعرب بحثوا عن الحقيقة الموضوعية شغفاً بها ورغبة فيها وليس هذا بغريب اذ أن الطفل في حداثتهِ شغوفٌ بطلب المعرفة ، ولوعٌ بمعرفة ما لم يكن يعرف . هذا التعطش الى ادراك الحقيقة جزءٌ لا يتجزأ من النفس البشرية يلازم الانسان من مهده الى لحده ، وهو قوة يستخدمها المربون في تعليم النشء وتثقيفه كما انه عامل أساسي في تطور العمران . على انه اذا كان حب المعرفة متأصلاً في نفوس الناس جميعاً فان التفرغ للعلم والعناية به وقدره حق قدره من مميزات الخاصة دون العامة من الناس . فمن لم يتذوّق حلاوة العلم في صغره شبّ جاهلاً ، بل ان الـكثيرين ممن تعلموا ووصلوا الى درجة لا بأس بها من المعرفة قلما يجدون في العلم متعة أو لذة فكرية . ومن أصعب الامور على العالم أن يقنع الجاهل بقيمة العلم . كما ان من أصعب الامور على قواد الفكر في أمة جاهلة ان يقودوا الرأي العام فيها نحو الاهتمام بالعلم وهم يلجأون في الغالب الى نوع من التحايل البريء ليصلوا الى أهدافهم ، فالجاهل لكي يقتنع يطلب شيئاً ماديًّا يقتنع به ، واذن وجب لاقناعه بمزايا العلم ان تترجم هذه المزايا الى أشياء مادية ملموسة يفهمها اصحاب المتخيلات الضيقة

وفي العصور الماضية من تاريخنا وعلى وجه الخصوص في العصر الاسلامي كان الحكام والامراء يقربون العلماء ويعترفون بفضـلهم وييسرون لهم عيشهم لكي يتمكنوا من القيام بواجبهم السامي في خدمة العلم ، ولولا ذلك لما ازدهرت العـلوم في العصر الأموي والعصر العباسي ولما خلد العرب لأنفسهم ما خلدوه من فضل على العلوم ، وكانت الحياة العلمية في الامة ناضجة قوية ولو انها كانت محصورة في دائرة من خاصة الناس ، فكانوا يغشون مجالس العلماء ويختلفون اليها وكان ذلك كله مظهراً من مظاهر الحياة العلمية في الامة

ولمـا انتقلت معارف العرب الى الافرنج في أوربا نهجوا نهج العرب وقام أمراؤهم وملوكهم باحتضان الحركة العلمية وتشجيعها فأسست الجامعات في القرون الوسطى وخاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ثم تلا ذلك النهضة الفكرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل السادس عشر فأنشئت المجامع العلمية في القرن السابع عشر وازدادت الحياة العلمية والفكرية نشاطاً وحركة بين الاوربيين حتى وصلت الى ما هي عليه في عصرنا الحالي .

ونحن في مصر ماذا كان حظنا من هذا كله ؟ من المسلم به أننا قنا بنصيب حسن واشتركنا اشتراكاً جديًّا في تقدم العلم في عصور الحضارة المختلفة الماضية ، بل ان من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المؤرخين من يجعل للمصريين القدماء فضل السبق في استنباط العلوم ووضع أسس الحضارة البشرية وسواء أصح هذا الرأي أم لم يصح فلا شك في أننا قمنا بدور هام في تاريخ العلوم منذ فجر التاريخ حتى نهاية العصر الاسلامي أي الى نحو القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي، كما أنه مما لا شك فيه أيضاً انه قد أتى علينا حين من الدهر لم يكن عملنا العلمي فيه شيئاً مذكوراً . هذا الحين يمتد ما يقرب من ألف سنة من القرن العاشر إلى القرن العشرين على وجه التقريب فكأنما ضرب على آذاننا في الكهف سنين عددا ، ولا أحاول اليوم أن أبحث في أسباب هذه الغفلة الطويلة وإنما اكتفي بالاشارة إليها كأمر واقع . على انهُ لا بد لي في هذا الصدد من الإشارة إلى ما بذل من جهود صادقة في النصف الأول من القرن الماضي لبعث الحياة العلمية في مصر في عهد المغفور له محمد علي الكبير ، فمن المعلوم أنهُ بذل جهد جبار لإحياء العلوم بيننا وأنهُ أرسل البعوث العلمية إلى بلاد اوربا وأنهُ نجح فعلاً في تخريج نفر غير قليل من العلماء المصريين . ولو أن هذه الحركة اتسعت وانتشرت لكان حاضرنا العلمي خيراً مما هو الآن بكثير ولكان في استطاعتي أن أحدث اليكم عن مستقبلنا العلمي حديثاً آخر يرتكز إلى حاضر مجيد ولكن الحال قد شاءت أن تخبو النار التي أوقدت وأن يوارى اوارها فكانت الحياة العلمية في مصر في أول القرن العشرين هي هي في أول القرن التاسع عشر وكأنما أضيف قرن آخر الى مرحلة سباتنا العلمي أو على الأصح كأنما تحركنا فرجعنا الى حيث بدأنا

وان من واجب كل مشتغل بالحركة الفكرية في مصر اليوم أن يوجه عناية خاصة الى دراسة هذه التجربة الفاشلة في حياتنا العلمية في القرن الماضي وليس يكفي ان ننسبها الى ضعف سياسي أو اضمحلال خلقي ، مع ان هذين العاملين لهما ولا شك أثر بليغ فيما حدث ، بل يجب ان ندرس الوسائل التي استخدمت والجهود التي بذلت وان نعرف حقيقة أهدافها ثم علينا بعد ذلك أن نستنبط الاسباب المباشرة لاضمحلال الحركة وعقمها ليكون لنا من تاريخنا الحديث نبراس نستضيء به في توجيه مجهودنا الحالي . وفي الحق إن إنشاء حركة علمية وتغذيتها وإنماءها لكي تقوى وتشتد ، وإن غرس شجرة المعرفة في أمة لكي تكون شجرة طيبة أصلها ثابت تؤتي أكلها — ان هذا كله ما كان يوماً ما من الهنات الهينات ، وليس يكفي أن يقال إننا أنشأنا كيت وكيت من المعاهد العلمية أو شيدنا هذا وذاك من دور العلم والتعليم أو أرسلنا البعوث أو اعتمدنا الميزانيات، كل هذا وان كان لازماً الا انهُ غير كاف فمن السهل التغرير بالأمة في هذه الشؤون كما هو من السهل التغرير بها في شؤونها الاخرى وخاصة إذا كانت الاغلبية الساحقة من هذه الأمة لا تزال على فطرتها البريئة ، فسياسة المظاهر شيء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ان انشاء المجامع العلمية قد اقترن بالحياة الفكرية الحديثة منذ نشأتها . فالمجمع العلمي في انكلترا وهو الذي يسمى « الجمعية الملكية » بدأ حياته منذ سنة ١٦٤٥ وأُسس بصفة رسمية عام ١٦٦٠ حين أصدر الملك شارل الثاني ملك انكلترا مرسوماً ملكيًّا بإِنشائهِ وأنشىء المجمع الفرنسي قبل ذلك بقليل وأنشئت المجامع في برلين وفينا وروما وغيرها من عواصم اوربا حوالي الوقت نفسهِ ، ولولا انشاء هذه الهيئات لما وصل العلم الى ما وصل اليه اليوم من تقدم وقوة ، بل انني لا أغالي اذا قلت انه لولا انشاء هذه المجامع العلمية لما تقدم العلم تقدماً يذكر

***

سأنتقل الى ناحية اخرى من نواحي حياتنا العلمية وهي الجامعات . والجامعات أقدم من المجامع العلمية ، يرجع عصر انشائها في اوربا كما قدمت الى القرنين الثاني عشر والثالث عشر فهي معاهد تنتهي الى القرون الوسطى وترتبط ارتباطاً وثيقاً بعصر الحضارة الاسلامية . وقد اعتاد مؤرخو الافرنج ان ينسبوا نشأة الحركة الفكرية في اوربا ، بعض النسبة ، الى سقوط القسطنطينية وخروج الكتب منها الى انحاء القارة الاوربية ، الاَّ ان المنصفين منهم قد بدأوا يعيدون النظر في هذا الرأي المبني على شيء كثير من التحيز . فالقسطنطينية سقطت عام ١٤٥٣ والاتصال الفكري بين الشرق والغرب سبق هذا التاريخ بأكثر من خمسة قرون فمن الثابت انهُ في النصف الأول من القرن التاسع أرسل قيصر الروم في القسطنطينية الى الخليفة المأمون في بغداد مجموعة كبيرة من المخطوطات الإغريقية ، فقام العرب بترجمة هذه الكتب ، ثم نقلت هذه التراجم العربية الى اللغة اللاتينية واستخدمت في التدريس في معاهد العلم الاوربية في القرنين العاشر والحادي عشر وما بعدها . وقد انشئت جامعة باريس حوالي عام ١١٦٠ واكسفورد حوالي عام ١١٧٠ وتولوز عام ١٢٣٣ ومونبلييه عام ١٢٨٩ وفينا عام ١٣٦٤ وهايدلبرج ١٣٨٥ ، وتلا ذلك انشاء جامعات أخرى ، على أن بعض الجامعات الاوربية يرجع تاريخه الى ما قبل ذلك بكثير ، كجامعة ساليرنو بايطاليا يرجع تاريخها الى القرن التاسع وبولونيا الى اواخر القرن العاشر . أما جامعتنا الأزهرية ، فيرجع تاريخها كما هو معلوم الى اوائل القرن العاشر الميلادي . واللفظ اللاتيني Universitas كان في الأصل يستخدم للدلالة على كل جماعة او هيئة ، فاذا اريد به الجامعة اضيفت اليه عبارة نحو Magistrorum et Scholarium للدلالة على معنى العلم والتدريس ، ثم تطوَّر الحال حتى صارت الكلمة تدل بذاتها في أواخر القرن الرابع عشر على الجامعة بالمعنى الذي نفهمه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اليوم . وكانت الجامعات تعرف على انها مدارس عامة Studium generale وكانت مبانيها على نمط يقصد من ورائه حماية الطلبة والاساتذة باجتماعهم في صعيد واحد مع المحافظة على الأغراب منهم الذين كانوا يأتون من بلاد بعيدة لتلقي العلم على النحو المألوف عندنا في الأزهر الشريف وقد استقر أمر الجامعات واستتبت نظمها في القرون الوسطى ومنحها الملوك والبابوات حمايتهم ورعايتهم وأصدروا المراسيم بانشائها وتنظيمها . فالجامعات اذن في اوربا ليست وليدة النهضة العلمية ، بل سابقة لها ومؤدية اليها وهي لم تقم على الثورة الفكرية ، بل على شيء آخر ، هو أقرب ما يكون الى الرزانة التي يتصف بها رجال الدين والى الثبات والتؤدة والسير على وتيرة واحدة ، وكانت الروح المتغلبة هي روح التقوى وروح الطاعة وروح النظام ، كما أن نظمها كانت تنطوي على نفس هذه الروح ، فتجعل الأساتذة طبقات ، أو درجات منها الكبير ومنها الصغير وتوجب على ذي الدرجة الصغيرة احترام ذي الدرجة الكبيرة ، فالحاصل على درجة الدكتوراه مميز على غيره يرتدي أردية خاصة حمراء اللون تشبه أردية الأساقفة ويحضر مجالس خاصة لا يحضرها غيره

***

هذه الارستقراطية العلمية مافتئت من أظهر صفات الجامعات وألزمها لكيانها ، ففي أكسفورد وكمبردج مثلاً نجد روح المحافظة على التقاليد ظاهرة في الحياة الجامعية حتى يومنا هذا . والحاصل على درجة جامعية مميزة على غيره له حقوق ليست لهم وهو يشعر بهذا الامتياز على غيره كما أنهم يشعرون بامتيازه عليهم وما الأردية الجامعية الا رمزاً على هذا الامتياز ، والنظام الجامعي الحديث نظام دقيق يجمع اعضاء الجامعة في أسرة واحدة ويجعل على كلٍّ واجبات نحو هذه الاسرة ويعاقب من يخرج على النظم الموضوعة أو يثور عليها . والى جانب هذا هناك احترام متبادل بين افراد الأسرة الجامعية صغيرهم وكبيرهم وحرية صحيحة قوامها هذا الاحترام المتبادل وليس لأحد ان يتعرض لحرية غيره في القول أو في العمل ما دام النظام محفوظاً . وحرية القول او حرية الفكر امر مقدس في نظر الجميع كما أن لكلٍّ حرية مكفولة في العمل على اقناع غيره برأيه ما دامت وسائل الاقناع متمشية مع النظام الجامعي . وفي معظم البلاد المتحضرة تكفل الدولة هذه الحرية الجامعية وتعمل على صيانتها . فالجامعات الحديثة اذن تجمع بين صفتين متكاملتين : النظام الدقيق والحرية . أقول متكاملتين لانهُ لاغنى لإحداهما عن الاخرى بل ولا خير في إحداهما بغير الاخرى فحيث لا يوجد النظام تكون الحرية فوضى وحيث لا توجد الحرية يكون النظام استعباداً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ناسكة الصحراء

أيتها الجرداء في بلقعٍ قفرٍ من النابتِ والسائرِ
مفردةٌ تنأى بأحزانها عن هجمةِ النازلِ والزائرِ
وعن حديث اللهو من صاحبٍ وعن فضولِ النابش الخابرِ
وعن نزاعِ العيش في عيشةٍ متاعها للفاجرِ الظافرِ
وعن سواد الحقد في باطنٍ مغلّفٍ بالنور في الظاهرِ
.... عن عالم زورٍ أباطيلهُ حقٌّ ، ولكنْ في يد القاهرِ

***

أيتها الشمطاء ! في موقفٍ كأنهُ مقبرةُ القابرِ
أظلّها الموتُ بأطيافهِ فما خلتْ من شبحٍ خاطرِ
يا عجبا من نابتٍ في فمٍ يقضمُ في الذابل والناضرِ !
واقفة صمّاء في رقعةٍ تَصَمُّ عن نجوى خُطى العابرِ
كأنها وحشيّةٌ غالها مسٌّ من الجنّانِ والعامرِ
خاويةُ الرأسِ ولكنها عامرةٌ بالشَّعَر الثائرِ
مغبرّةٌ شعثاء محنيّةٌ أمالها ثِقْلُ النوى الفاقرِ
كأنما تنظرُ في هوّةٍ تشيبَ فيها نظرةُ الناظرِ
ملتاعةٌ شعّث أفنانها زلزالُ رَوْعٍ نافضٍ قاهرِ
صوّامة الأيام من عفّةٍ ناسكةٌ في جلدها الضامرِ
لا تسألُ الشمس شعاعاً ، ولا تسأل عن نوْءِ الحيا الماطرِ
لا تطعمُ الماءَ على جوعها غذاؤها من رملها الزاخرِ
وهو غذاءٌ جائعٌ ملهَبٌ يلتهمُ الأحياءَ بالخاطرِ

فكيف سالمتِ سُعارَ الفلا   يا دوحةً رمليـــة الحافرِ
ناقضتِ أترابكِ في نبتةٍ   خضراءَ ، يا بنت الثرى العاقرِ

***

ما عجبي منكِ وما دهشتي !!   اختلطَ الواردُ بالصادرِ
نحن ـ كلانا ـ غُربةٌ صُوِّرت   تمثالَ حيٍّ ساكنٍ حائرِ
محتدمِ الأشواقِ مشبوبها   تحتَ جمودِ الظاهرِ الفاترِ
تأخذنا العينُ ولو غلغلت   ذابتْ ، وكانتْ شحمةَ الصاهرِ
نحنُ ـ كلانا ـ أملٌ مؤمنٌ   بحقِّه في عالمٍ كافرِ
أثبتنا الخذلانُ في وحشةٍ   تطفأُ فيها جمــرةُ الناصرِ
نحنُ ـ كلانا ـ صرخةٌ حرةٌ   مأسورةٌ في زفرةِ الزافرِ
وكبرياءٌ أُلبِستْ ذلّةً   وعُوِّدت إطراقــةَ الصاغرِ
تختلفُ الأيامُ من حولنا   ونحن وقفٌ للردى الجائرِ
نحنُ الأحاديثُ ، وأرواحنا   معلّقـاتٌ في فمِ الآثرِ

***

يا أختَ ذي النونِ اشتري ظُلّةً   لمستكنٍّ آبدٍ ثائرِ
تألفه الأُلّافُ من أنسهِ   ونفسهُ في فزعٍ نافرِ
وقلبهُ يزأرُ في سجنهِ   مثل زئيرِ الأسدِ الخادرِ
يدبُّ نبّاضاً بهمّاتهِ   مثل دبيبِ الوحشِ في الحاجرِ
يا أخت ذي النون اسكني واسمعي   لا تنكري زمجرةَ الزائرِ
إن ضجيجَ الروحِ في أسرها   مَنْبَهَةُ المأسورِ للآسرِ
استمعي نجوايَ في عزلةٍ   تخشعُ فيها شفرةُ الجازرِ
في معبدِ الروحِ ومحرابها   تسجدُ همساً صرخة الزاجرِ
يجثو ضِرامُ الشرِّ في نورها   ويزدهي في صمتها الطاهرِ
تسمو الأماني بين أرجائها   قد طُهِّرتْ بالألم العاصرِ

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

مغزى الصراع

كسب الحرب وتجديد النفوس
وتهيئتها للعصر المقبل

ان هذا الصراع هو الناحية الحربية من ثورة عالمية على الحضارة . وقد تهيأت الثورة ، في ثنايا الانحلال الطارىء على أخلاق الافراد والجماعات ، فسبقت نشوب الحرب وستمضي بعدها ، إن لم تطهر الأمم الينابيع التي تمتح منها ، وان لم تجدد النفوس ، بينما هي تثني كل عضل وتشد كل عصب ، لكي تتغلب على الذين انتضوا السلاح في وجه الحضارة . والواقع ان العملين عمل واحد ، يتعذر فصل احدهما عن الآخر

وما الحضارة ؟ هي مجموعة من القواعد يلتزمها الناس في معاملاتهم ، ومن العهود يحترمونها ، ومن المنشآت والعادات والتقاليد أفرغت فيها تجارب الامم واختبارها طوال القرون الماضية . وجذورها ممتدة منتشرة ، فيما أخذ الناس أنفسهم بهِ من مبادىء ثقافة ودين وانسانية . والناس يأخذون بهذه المبادىء ليقينهم ، أنها ترعرع الصالح ، وتروض الباطل فلا يستفحل شره . فاذا أقدم الناس على تحطيم القواعد ، واستباحة العادات بدلاً من تطويعها لملاءمة الزمن فالمرض ماشٍ في جذور الحضارة وأغصانها وورقها

وما الهمجية ؟ ان عاقبتها واحدة وان كانت طبيعتها مزدوجة . فهي تنتهي دائماً الى الايمان بالقوة . انها تتنكر للقواعد المرعية والعادات وتتهكم بها ، لانهُ اذا كان السلطان غاية ، واذا كان السلطان يكتسب بتحطيم القواعد والتنكر للعادات والعهود ، فليكونا . وهي للسبب نفسه تهدم المنشآت التي أحاطتها القرون بهيبتها . فالهيئة الدينية ــ كالبيعة والجامع ــ والأسرة والمدرسة ، لا قيام لها الاّ اذا كان لها سلطان ما في دائرتها الخاصة ، ولكن الهمجي الذي يسعى الى « السلطان العاري » — كما وصفهُ برتراند رسل في كتابهِ السلطان Power — لا يسعه أن يعترف بسلطان آخر غير سلطانه . أي عليهِ ان يحكم بالارهاب . وليس يقابل الحكم وفقاً للقانون ونواميس الاخلاق والاجتماع ، الاّ حكم الارهاب

***

وللهمجية وجهان ، أحدهما يولد في ثنايا الحضارة نفسها ، فينخر فيها كالسوس ، ويوهن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفضائل والأخلاق ، والآخر يهددها من الخارج بالعنف . ولكنّ الهمجية سواء أهذا كانت أم ذاك، وسواء أصفة من صفات الشيخوخة كانت، أم من صفات الفتوّة والاندفاع ، فهي في الحالين العدو الدائم للحضارة . وعند ما تتراخى قوة الحضارة ، يظهر الهمجي على صفحات التاريخ . ومهما يتنوّع شكلهُ ، فانهُ في المقام الأول ، متحفز في قلب المرء ووجدانه ليدفع بصاحبه الى هدم حضارته ، بايهان ايمانه فيها والوسوسة له بأن الفضائل الاصيلة ، لا مكان لها ولا منزلة

من ثمار كل حضارة صناعة يولدها العلم القائم . ولكن صحة الحضارة لا تقاس دائماً بارتقاء صناعتها . فآتي الصناعة في العصر الحديث عظيمة . ولكن استعمالها مرهون بأخلاق الافراد والجماعات ، فاما أن تستعمل أداة لصون لباب الحضارة وتوسيع آفاقها وتعميم نعمها ، وإما لهدمها . وقد تبقى الصناعة مزدهرة في حضارة دبّ فيها دبيب الفساد . ولكنها لن تزدهر طويلاً . اذ لا بد أن يقوم الهمجي ، عندما يطغى الفساد ، فيستعمل الآلات للفتك بمخترعيها . واذن فلا مفرّ للانسان ، في ظل حكم الارهاب ، من الانحدار في طريق ، اقتضى منه التصعيد فيه ، نصَباً وضنىً وقروناً طويلة . ففي ظل حكم من هذا القبيل ، يغدو العلم عقيماً ، ويدب في الصناعة نفسها دبيب الفناء . فالعقل الانساني ، لا يكون مبدعاً خلاقاً ، إلاّ اذا كان حرّاً . والهمجي في نفوسنا هو ألد أعدائنا ، وأقوى عدة لخصوم الحضارة عليها

فالنضال اذن نضالان . نضال لكسب الحرب ، أي لهزيمة القوى الخارجية التي تهدد الحضارة بالعنف . ونضال لتجديد النفوس وتهيئتها للعصر المقبل . ولا خير يجنى من دحر العدو الخارجي ، إلاّ اذا دحر العدو الداخلي كذلك

***

ويخطىء من يظن أن الشعوب ترضى بمعاناة هذه التجارب والمحن لأنها ترغب في العودة الى الحالة التي سبقت نشوب الحرب . بل هي راضية بما تعاني وتقاسي في سبيل أمل ، يتيح لها فرصة أخرى لتكتب في تاريخ البشر فصلاً جديداً . وما هذا الأمل ؟ انه الأمل المعقود على أن يتعلم الناس أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم حكماً صالحاً ، وأن يساهموا في نصيب عادل من خيرات الأرض ونتاج العمل . وأن يشتركوا في بناء مساكن أجمل وأصح من مساكنهم الآن ، وأن ينشئوا حدائق وميادين وطرقاً ومعامل ، تسبغ على الحياة في المدن والريف مسحة من الجمال والرضى ، وأن يتقاسموا فرحة المتعة بالحق في المدارس والجامعات ، وأن يعربوا عن آرائهم في الصحف والكتب والاذاعات وغيرها اعراباً أحكم وأبلغ من اعرابهم الآن ، وأن يتاح لهم الاقبال على أعمالهم وعباداتهم ، كل يوم في خشوع وانصاف وسماحة وكرامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مثل كمالية بعيدة المنال ! وانها لكذلك . ولكنها في الواقع لا تمس الا طرفاً من الأمل البشري الذي يمكن تحقيق بعضه ، اذا كان الناس أحراراً ، ويسعون حقاً ورشداً الى انشاء عالم أصلح من العالم الذي هوى ولن يعود . فالحرب ، انما تدور رحاها في سبيل هذا الأمل ، وكل امرىء يستطيع أن يسدي خدمة الى تحقيق يسير من هذا الأمل اذا بدأ في نفسه

وقد قال الفيلسوف برتراند رسل في هذا المعنى: « قد يبدو لك من الغرور أن تظن ان في وسعك اسداء يد عظيمة لتحسين أحوال الناس ؛ ولكن هذا الظن وهم . فعليك أن توقن بأنك قادر على تحسين العالم . ان الاجتماع الخيّر قوامه أفراد أخيار ، كالكثرة التي تنتخب الرئيس قوامها أصوات الافراد من الناخبين . وفي وسع كل امرىء أن يسدي صنيعاً ببثّ شعور اللطف والرضا في بيئتهِ بدلاً من تحريك روح السخط والغضب ، وبتعزيز الميل الى التعقل دون الميل الى الهستريا ، وبنشر السعادة والرخاء بدلاً من البؤس والشقاء . ومجموع هذه الأعمال هو الفارق بين الخير والشر في العالم . فاذا كنت قطباً سياسيًّا كانت بيئتك واسعة . واذا كنت أحد الناس ، كانت بيئتك محدودة . ففي الحال الأولى تستطيع كثيراً ، وفي الثانية تستطيع قليلاً ، ولكنك على كلّ حال تستطيع، ويجب أن تصنع شيئاً ما . فكل والد أو والدة ، ينشىء ولدهُ بحيث يكون أميلَ إلى التعقل والدماثة ، انما يعمل ما يجب ان يعمل لاصلاح العالم وإقامة أركان السعادة فيهِ ، وكلٌّ من يقاوم النزوع الى التعصب — وهو نزوع يحيق بنا جميعاً — يضع لبنةً في بناء مجتمعٍ تستطيع الجماعات المختلفة فيهِ أن تعيش في مودّة متبادلة . قد تقول : ما أقلّ مايستطيعهُ امرؤٌ واحد ضد شرٍّ كبير ! ولكن الشرور الكبيرة مردُّها ، الى اجتماع شرور صغيرة . والخير العظيم ينشأ على المنوال نفسهِ

«وقد تقول ما يستطيعهُ امرؤٌ فردٌ ضد العالم . ولكنك لو كنت شريراً لكان نصيبك من الشر الاكبر يسيراً كذلك . فالخير والشرُّ على السواءِ ينبعان من أعمال الافراد ، ولا يقتصر ذلك على الافراد المميزين بل يشمل جميع الرجال والنساءِ الذين تتقوّم الجماعات بهم »

واذا كان في الوسع استخراج عبرة أساسية واحدة ، من رزايا الحرب ، وقد دخلت سنتها الرابعة ، فهذه العبرة مؤداها ان السيطرة الغاشمة على الشعوب المغلوبة المستبدّ بها ، قد وضحت للامم الحرة والمغلوبة على أمرها سواء بسواء ، انها تواجه امتحاناً لقدرتها اولاً ، ولحقها ثانياً ، في أن تعيش حرة . لأن ثمن الحرية ، هو اليقظة الدائمة والكفاح المستمر ، فهي تقتضي من أبنائها تحمل التبعات العظيمة الناشئة عن التمتع بمزاياها ، واذن فالبسالة والتضحية والصلابة في ميادين الانتاج والقتال ، يجب ان يساوقها ايمان صادق بقيمة الاستقامة الخلقية وكرامة الفرد البشري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ضباب ورماد

قصة رمزية

بقلم : عادل كامل المحامي

لم يكن في الليل نجمٌ واحد وطلع النهار بغير شمس

هكذا احتجبت شخوص مسرح الطبيعة وراء الستار . وقيل للبشر المتفرج أن انزووا في جحوركم فليس الليلة تمثيل ولن يكون عرضٌ في الصباح . ويسألون عن الخبر فتهمس أعلام الطبيعة الصغرى من شجر وأنهار :

— لقد اعتكفت أُمهاتنا الكبرى في أبراجها العلوية

ويردد البشر الواجف :

— ما الخبر ؟

فتبتسم الورود الثرثارة ثم تميل على أعوادها متمتمة :

— إنهنَّ يتدارسنَ أمراً خطيراً

شاعت في وجه البسيطة نُذُر الأمر الخطير . ونبض الجوُّ بالهمس والصوت المكتوم . فتملك الآدميين فزعٌ غامض انطوى عليه لاشعورهم ثم تسرَّب الى أفئدتهم في صورة إحساس ملهوف : إحساس ترقب شيء يخشونهُ ولا يدرونهُ ولكنهم يريدونهُ

لازمهم هذا الشعور وهم يتممون زينتهم أمام المرايا . وظلَّ في حاشية وعيهم وهم يشربون قهوتهم الساخنة . ثم رافقهم وهم يسعون وراء ما يوصلهم الى محال أعمالهم . وكانوا لا يزالون يدركونهُ وهم يقرأون صحفهم . ثم رجعوا بهِ إذ آووا الى بيوتهم يأكلون ويتماوتون

أما هو فلم يغادر حجرتهُ مع قوافل النمل الآدمي بل بقي قابعاً الى جوار النافذة يرقب طلائع هذا الصباح الرمادي . وكان في يده كوب من الشاي أخذ يرتشف منه ثم يطلق أنفاسهُ الساخنة على زجاج النافذة فيكتسي أديمهُ بضباب فضيّ . وكأنما خالجتهُ فكرة فأطرق مبتسماً : إن نهار هذا اليوم يراه الخلق من خلال زجاج ناضح بالضباب ولكنهُ ما يلبث أن ينقشع فيبين . أما هو فان نافذة حياتهِ ليس فيها مطل واحد صافي الأديم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الضباب . . . هذه حياته وهذا عنصره . وان كان لقدره لون ما فهو لون الرماد . الرماد يوم وُلد والرماد الى أن يموت . ان الناس يتألقون جمراً ثم يستحيلون تراباً ، أما هو فيعيش في الموت حيث وُلد . انهُ دودة آدمية لا يحوي جسمها دماً بل قيحاً

قيحاً ... يا للبشاعة ! لشدَّ ما تمنى لو حوت عروقهُ دماً حارًّا قانياً ! لشدَّ ما اشتهى دفءَ الحياة يسري في أوصاله فيحرّك مستنقع نفسهِ الراكد ! لشدّ ما زعق وصاح في خلوته!

— انني مضطهد مظلوم . لِمَ حقت عليَّ لعنة الضباب والرماد بينما ينعم غيري بسورة الجمر والدم . . .

الضباب والرماد . . .

اما من فرار من ربقة هذين الشيطانين الغليظين ! انه لا يطلب من جلاديه سوى ساعة واحدة يعيشها كبقية الخلق ، يعيشها بقلبهِ وامعائهِ ودمهِ . يعيشها كما يعيش النبت إذ يمتصُّ حياتهُ من الأرض أمه . يعيشها بجذور كيانه الممتدة في جوف الكون . وبعد ذلك لن يضجره إن مات في الرماد أو عاش فيه

لحظة من جمر ودم . . . .

***

تصرّمت ساعات قصيرة من النهار وهو لا يزال على هجوعهِ يحلم ويرقب . وكان الصباح يزداد دكنة حتى خشي البشر أن تكون الشمس قد أصابها ضرٌّ فتك بها إذ كيف ترضى بهذه العتمة تغزو صباحها وهي شمس ! وكيف تهادن البرودة فتتركها تجمد الأطراف وتميت النبت وهي شمس ! وكيف تحتمل رؤية طرقات المدينة مقفرة موحشة كسارب المقابر وهي شمس !

ليس هذا صبحهم ولا تلك شمسهم . وأحسَّ الناس أن دنيا هذا اليوم غريبة عليهم أجنبية عن ادراكهم حتى صوّر لهم أنهم يعيشون في كوكب آخر غير الأرض — المريخ أو زحل . فكان أن خافوا واكتئبوا

أما هو فقد قهقه في سريرته إذ أدرك لتوِّه أن اليوم يومهُ والصباح صباحه . انها فرصة العمر قد أتيحت له ليحيا في عنصره فهاهوذا الضباب قد تكاثف لينشقَّ منهُ ابن الضباب وها هي ذي الدنيا الغريبة على البشر قد جاءَت تبسط صدرها لربيب الشياطين . لعل الرجاءَ قد أثمر فاستجاب جلادوه الدعاء

نزل « ابليس الصغير » الى الطريق يضرب في جنباتهِ الخاوية وقلبه يحدّثهُ بأن العالم اليوم ملكه وحده . وكأنما هو زعيم سياسيٌّ غداة استيلائه على مقاليد الحكم فأصبح وحده الآمر الناهي بين رجالهِ وأعوانه . وفرح بهذا الخاطر وانبسط فراح يحدّث نفسهُ حديثاً عجباً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— هكذا أنا . انني أشرف الناس جميعاً لأنني أقذعهم سخرية . أنا اكثرهم احتراماً لأنني صعلوك . صعلوك بين الملوك . ملوك صعاليك وصعاليك ملوك . ليس لي دم أزرق ... ها ... ولا أحمر . ان دمي أبيض . انهُ القيح الملقح ضدَّ كل شعور واحساس . انهُ دم الآلهة المنزهين عن الغضب والفرح والحب والحزن . ان كل ما ليس آدمي إلـه ... أو شيطان . فليكن دمي من رحيق الأبالسة فلست مبتئس ما دمت لا أمتُّ الى البشر بصلة

لشدَّ ما أمقت آدم وأبناء آدم وحواء وبناتهـا . ولم تـكن سـعادتي لتكمل لولا انهم يمقتونني كما أمقتهم . ولـكن من منا بادأ الآخر بالـكره ؟ لو انهم ابتدروني ببغضهم فأنا شخص ممقوت يصدُّ السهام بأخرى من نوعها . بينما لا أستحق ثواباً على كرهي لهم ان لم أكن أمقتهم في حين انني محبوب . محبوب ممن ... منهم ؟ من نفسي ؟ من الآلهة أم من الشياطين ؟ هـذا لا يهم . يكفي أن أكون شخصية محبوبة في ذاتها . ولـكن هذا هراء . فأنا شخصية بغيضة لا جدال في ذلك وعليَّ أن أبني سعادتي على هذا الأساس . وإلاّ فأنا ملعون من نفسي بقدر لعنتي منهم

بودلير . . . هذا الشيطان الملعون المحبوب . ولـكن ما لي ولهُ . انني لا أنهج نهج أحد في الوجود وإلاَّ أصبحتُ بشراً كبعض أحزاب البشر

فاوست . . . انه معتوه . لقد رغب طامداً في الشيطنة وما هو بشيطان . دفع الثمن من دمهِ وأثبت المعاملة في صك كأنما يعقد صفقة في سوق مع ان الشيطنة هبة وموهبـة . ولذا فما كاد الأجل أن ينصرم ويشرف المسكين على أبواب الأبد حتى تراه يعول وينتحب كالنساء . وكلام كثير عن تأنيب الضمير والتوبة والندم . يا للعار . . . كان عليه أن يفخر بنهايتهِ كأي قديس استشهد في سبيل الله . فالحق انهُ يجب أن يكون للأبالسة قديسين كما للانبياء

عيب البشر انهم لا يثبتون على حال فتأتيهم الرهبة في أعقاب الرغبـة ويجري الندم في ذيول سعادتهم . أين هو الرجل الثابت الصامد كهرم خوفو ؟ ولـكنهم أمواج رقيقة مذعورة يقطعها عود من العشب . هؤلاء البشر . . .

هذا وغيره وكثير سواه

ما كان أتعسني منذ لحظة حين تمنيت ساعة من حجر ودم ا الرجل الصمل هو العنيد كالحمار ، الغبيُّ كالبغل . هو الذي لا يتمنى غير نفسه . لهذا قدَّس جدودي الثور وعبدوه

هذا وغيره وكثير سواه

ولـكن هل أنا حقـًّا كما أصوّر نفسي لنفسي أم أكون في الواقع شخصية أخرى مخالفة ؟ هل من أجالسهم وأحادثهم يدركون فيَّ هذه الصورة أم تراهم يقولون « يا له من فتى طيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خجول ! « ... وحق نفسي لأقطعنَّ ألسنتهم ولأدقنَّ رؤوسهم بالارض

ومع ذلك أفإن كنت غير نفسي وقابلت نفسي حول مائدة شراب فهل كنت أقول عنها مثل ما يقولون ؟ هل يفرض عليَّ الناس شخصية اجتماعية أواجههم بها وينكرون عليَّ أن أظهر بينهم بشخصيتي الفردية دكتور جيكل ومستر هايد . .

لا كان الناس ولا كانت آراؤهم التعسة . انهم إن قالوا عنيْ هذا القول فانما يقولونهُ ليستروا خوفهم مني ورهبتهم اياي وهذا جهد ضائع . فما أنا معنيٌّ بخوفهم أو مشتاق لرضائهم أو شاعر بوجودهم . انني وحدي من صنع نفسي

ولـكن . . .

ما لتلك الخواطر تزحم رأسي فتضني نفسي في يوم هرمي

أيكون هذا شعراً ؟ ما علينا . لأمض في بطن دنياي أحادثها فليس اليوم وقت المناجاة

أوصلتهُ هذه التأملات الى خارج المدينة فما ان أفاق منها حتى وجد نفسه وسط حقول مغشى عليها من فرط البرد وقد أقفرت شعابها من كل داب وخلت أجواؤها من كل طائر. القى ببصره على تلك المروج المذعورة فبدت له في اطار الصباح الرمادي كبعض أحلام النائم التي تنتابه في مطلع الفجر . لم يكن في الصورة المنشورة امامه مشهد واحد حقيقي

واستهوته هذه الفتنة الجديدة فمضى وسط الحقول متخيلاً انهُ صاحب هذا الفضاء بأسره. وراقته فكرة ان يكون غنيًّا غنيًّ طائلاً فابتسم ثم قهقه في صوت مكتوم . ان يكون صاحب ملايين . . . انهُ يستطيع حينئذٍ ان يكره البشر بكل ما أوتي من قوة وان يظهر هـذه الـكراهية بشتى ما يحلو له من وسائل . يستطيع مثلاً ان يشتري قانون الحكام وان يبتاع ذمم اولي الأمر . فاذا ما أمن جانب الدولة وازاح عن عاتقه خطر السجن سهل عليهِ بعدئذٍ أن ينال الناس في أعزّ ما يقدسونهُ وأن يسخر علناً بكل ما يضعونهُ موضع الاحترام وان يسفه كل رأي يربط به القوم أمانيهم .لهُ حينئذٍ أن يحقر ويلطخ كل معانيهم كالوطن. والحرية. والمساواة . والعدالة . بل والدين نفسه — دون ان يخشى عقاباً أو يأبه بآراء الرعاع

ويصبح في مقدوره ان يتفنن في هذه الاساليب وان يجعل منها نظاماً قائماً على مؤسسات ثابتة تكون عنوان مسبَّة دائمة في جبين الناس وهم لا يدرون . فهو يستطيع عن طريق ملايينه ان يجعل من سائس اصطبلاته زعيم حزب سياسي لا يلبث ان يشتري له الاعوان ، ويجمع من حولهِ الانصار ، ثم يحلي اصابعه بالجواهر ويرشق في سترته الازهار ، ويطلقه من بعد ذلك يخطب في قطعان الناس ، فما ان يهل عليهم ببلاهته المجسدة وغبائه البشع حتى يضجون بالهتاف والتصفيق وينتهون بحملهِ على الاعناق . وتصبح لغة الاصطبلات التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحدثهم بها لغة السياسة المثلى وعنوان البراعة ورمز البلاغة

فاذا استطاع بعد ذلك ان يوصله الى كرسي الحـكم . . . ما أعظمها سخرية ! وكم تكون الطعنة نجلاء والمسبة فاحشة حين يخلعه بعد ذلك من منصبه ويعيده الى وظيفته الاولى فيعلم قطيع الخراف الآدمية ان حاكمهم الذي أشادوا بعبقريته لم يكن سوى سائس في اصطبل

ألهته هذه السوانح الشيطانية حيناً من الزمن فما ان أفاق منها حتى وجد نفسه ينتفض من فرط البرد . فقد كانت برودة الجو تنفذ في الجسم كإبر من جليد والريح تهب مثلوجة كأنها أنفاس الأبالسة . وكان صاحبنا قد غادر حجرته برأس عار وعلى منكبيه رداء خفيف ما لبث أن تآمر مع الجو فاستضاف برودته

نظر الى يديه المقرورتين برهة وهو يبتسم . كانتا ناصعتي البياض لا يشوبهما سوى صفرة خفيفة في سبابة اليد اليمنى من أثر التبغ . وراقه ما لاحظه من نعومتهما ورقة أديمهما حتى كانهما أكف العذارى الخود لايفارقن مخادعهن ولا تلمس اصابعهن غير المخمل والحرير وقد بلغ من فرط رقتهما ان كادت البشرة تشف عما تحتها من عظام وشرايين. لشد ما أعجبه هذا ! ان يده ليست يد رجل . . .

غير ان البرد القاسي عاد يعكر عليه صفو راحته. فعمد الى حائط متهدم ليحتمي في جوفه ولكنه وجد ان القر قد سبقه اليه .وفجأة شعر بأن نفسه قد تخلخلت وباتت بغير أساس . وبأن صدره أصبح فارغاً خرباً موحشاً .وكان كلما لفحه الريح بأكفه الميتة ازداد شعوره بوحدته وبقلة حيلته

أجل ها هي الريح تصرخ في وجهه بانه وحيد وحيد .لا صاحب له ولا قرين . يقيناً انه ولد من ابوين وكان لهذين الأبوين أقارب وأنسباء وأصدقاء فأين ذهب هؤلاء جميعاً اذ بات ثم أصبح فاذا به في عالم لايعرف من مخلوقاته أحداً ألم يكن يعنيه أمر هذه الوحدة وهو قابع في حجرته ولكنه وسط هذا البرد اللئيم شعر بحاجته الى الدفء فتاقت نفسه الى الجموع يستتر ويكمش

اذن فما أتعس الانسان ! انه تافه هفاف يصطنع مشاعره من درجة الحرارة ومن لون المرئيات ومن طعام كثير الفلفل . فهو يحب ويكره ويحسد ويثور ، ويغضب وينتقم ، ويرضى ويفرح ، لأنه لمح قشرة موز ملقاة في عرض الطريق ، او رأى القميص الداخلي لامرأة سائرة أمامه متدلياً من تحت ردائها الخارجي ، أو لأنه سمع بائعاً ينادي على بضاعته بنغمة شاذة . أتكون مشاعر الآدميين من التفاهة والرقة بحيث تستثيرها هذه النكرات الحسية ! وهل منع الانسان حقًا من أن يشعر شعوراً أصيلاً ثابتاً لا يحركه سوى الأمر الخطير والمعنى الجسيم !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذن ما باله قد ترك شيطنته وأنكر اعتزازه بوحدته وراح يسعى وراء الجموع متمنياً وجود القرناء لمجرد احساسه بريح باردة تلفح وجهه !

ومع ذلك فان هذه العلل العقلية جميعها لم تنجح في تحويل شعوره الى الوجهة التي اراد. وما لبث ان أحسَّ بأن حاجته الى الدفء قد تدرجت الى نوع من الحنين الملح الى شيءٍ مجهول لا يستطيع ادراكه . شعر بأنه يريد ان يحتضن الى صدره شيئاً ما وان يطبق عليهِ بذراعيه فيعتصره . كأن في أحشائهِ قطباً مغناطيسيًّا يتلهف الى الاكتمال بقطب معاكس او كأنما هو جائع الى شيء فيريد ان ينطلق في بسيط الأرض باحثاً عن الشبع

عجباً ! أيكون « ابليس الصغير » متعطشاً الى حب امرأة !

انهُ يذكر ان هذا الشعور بالجوع العاطفي كثيراً ما انتابهُ وهو لا يزال طالباً في الجامعة تلك الأبنية المهيبة الانيقة التي لا تحمل من معاني اسمها سوى انها مكان معدّ لاجتماع نفر متفرق في صعيد واحد . كان يخرج منفرداً ليجوس في الحدائق المحيطة بها فيخطر في طرقاتها المورقة وتقع عيناه على النبات الأخضر وعلى الماء الراكد السجينَ ، ويطرق اذنيهِ صوت الدوح تسامر جاراتها ، وشدو الطيور تسمع أهل الأرض أنغام السماء . وحين تتعب قدماه وتسأم نفسهُ كان يأوي الى مقعد مهجور في ركن ظليل فيجلس ويطرق . وما من مرة طال بهِ المقام في هذه العزلة الصامتة الا وتنبه من أحلامه الحزينة على احساسه بدمعه الساخن يتساقط على كفيه

كان يبكي من غير وعي . إلاّ أن وعيهُ الداخلي كان يدأب على إشعاره في كل بادرة تسنح لهُ بأنهُ وحيد وأنهُ محروم . كان يحسُّ بأن نفسه تكاد تتشقق من شدة الجفاف وان فؤاده يصرخ مطالباً بالعطف والحنان اللذين لا يستطيع العيش بدونهما

ويذكر أن في ذلك الوقت كان اذا ذهب الى مسرح أو سينما لم يكن يعنى بجل ما يعرض عليهِ من مشاعر مصوّرة . غير أن ثمة نوعاً واحداً من المشاهد لم يفشل مرة في استثارته وتحريك لواعجه . فكان يكفيه أن يرى أمًّا تمرُّ بيدها على جبين ابنها المحموم ، أو أختاً تستقبل في أحضانها أخيها العائد من سفر طويل ، أو فتاة تحمي عشيقها بجسمها لتدفع عنهُ خطراً ما . حتى يشعر بأن قلبهُ يعتصر عصراً

بل ان كثيراً من مشاهد الحياة العادية ككلب يقبل مبصبصاً بذنبهِ لتحية صاحبه ، أو زوج يساعد زوجه على الصعود في الترام ، أو بائع جرائد يصلح من هندام زميل لهُ ، أو عابر يأخذ بيد أعمى ليوصلهُ الى الجانب الآخر من الطريق ، أو بائع فقير يجود بشيءٍ من بضاعتهِ على شحاذ ، أو أم ترقب طفلها وهو يلعب وسط المروج . . . كان أيُّ واحد من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه المشاهد كفيلاً بأن يغمر عينيه بالدمع ويجعل شفتيه ترتجفان . ثم لا يلبث أن يعض على نواجذه ويمضي في طريقه كسيفاً وقد عصفت به مشاعره المضطربة

وكان يخيل اليه ألاّ نجاة له بغير الحب . فالحب على حسب ما كان يرى هو المظهر والمصدر لما يحتاج اليه الفتى من حنان عاطفي

وأخيراً أحبَّ . ثم قبع في وكره ينتظر الثمار . فكان بعد ذلك ما لا يود أن تمر مجرد ذكراه بباله . واذا به في ذات يوم يهجم على حبه فيخنقهُ ثم يحطم تمثال من أحب

وقال : لأكن هذا الفتى الصلب العود المصفح القلب الذي يأنف من أن يبذل أنبل مشاعره في الهوس والسخافات . وكان يحلو له أن يردد قول الاعرابي « ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة ! انما ذلك لضعف فيكم يا بني عذرة »

وأحاط نفسه بالسياج فأصبح في عصمة أنوفة منيعة وبدأ يشعر بجبروت الآلهة

فما باله اليوم اذن يعود الى وساوس ايفاع الشبان !

ازداد شعوره بالبرد فغادر مكانه وانثنى صوب المدينة . وكان كلما خطا خطوة آلمته قدماه وكأنما يسير على قتاد مرهف . وبعد ان سار شوطاً مضنياً وقف تحت خميلة وارفة وهو مقرور . ووقع بصره على قرية بعيدة يتصاعد من أكواخها الدخان فاشتاق النار . وكانت القرية مضمومة على منازل متقاربة تتوسّطها قبة بيضاء لجامع أو لمدفن أحد الأولياء . ولم يكن بجوار القبة مئذنة . وفي أنحاء متفرقة من هذا المشهد قامت أشجار الجميز الفرعوني العجوز فبدت كشحاذين مكفوفين يدبون على عصيّ . وظهرت في الافق البعيد قلعة القاهرة الشامخة تشرف على المدينة فتدمغ كل منظر فيها بطابعه القاهري . وكان الضباب يغلف هذا المشهد بأسره فيبدو كصورة خيالية من تلك الصور التي تصنع خصيصاً للسائحين الاجانب فيبتاعونها كتذكار ممثل للطابع القاهري

* * *

غادر مكمنه من جديد واستأنف السير حثيثاً حتى وصل الى المدينة . وكانت الطرقات لا تزال مقفرة من السابلة والعربات تجري مذعورة بين حين وآخر كأنما تفر من عدو مطارد وكان السكون مخيماً في كل مكان حتى خيل اليه أنهُ يهبط مدينة قد اكتسحها الغزاة فسلبوا متاجرها وفتكوا بأهلها

شاهد مطعماً في طريقه . وشعر بأنه جائع فدخلهُ وبدأ يأكل ما طلب من طعام . غير انه لم يتناول سوى لقيمات حتى أحسَّ بأنه قد فقد شهيتهُ تماماً فأمسك عن الأكل وأشعل لفافة أخذ يشهق دخانها بنهم

وفجأة وقعت عيناه على فتاة في الجانب الآخر من الطريق تقف أمام نافذة مكتبة . فتاة

متوسطة القامة هيفاء القد ، ترتدي السواد ولها شعر في لون الذهب . لم تكن هذه اول فتاة صادفها في يومه . فقد مرت أمامهُ كثيرات غيرها رآهن يهرولنَ مطرقات كأنما قد مات أزواجهنَّ وأخواتهنَّ ثم لا يلبثنَ ان يتلاشينَ في الضباب . ومع ذلك فقد وجد نفسه — ولسبب مجهول — يغادر مائدته ويدفع حسابه ثم يخرج الى الطريق . لعل ما أثار اهتمامه بهذه الفتاة هو انها لم تكن مذعورة وجلى كسائر الخلق في هذا الحرب بل وقفت منتصبة في مهابة وهدوء تتصفح في امعان وتركيز الكتب المعروضة في واجهة المكتبة

وقف برهة يتأملها من جانب الطريق الآخر . . وخيِّل اليهِ انها شاعرة بوجوده اذ لم تلبث حيناً حتى حانت منها التفاتة لم تستغرق ثواني خاطفة . وهبط على الفتى تردد وخشية فهمَّ بالرجوع الى المطعم ولكنهُ وجد الفتاة تدخل المكتبة فعبر الطريق للتوّ ولحق بها . ولما دخل المكتبة جعل يحدق فيها عن بعد فرأى عينين زرقاوين . وشفتين ورديتين . وبشرة في لون الحنطة . وفيما عدا ذلك كان وجهها مغلقاً صامتاً لا تبين قسماته عن عاطفة او معنى . ثم تكلمت فسمع صوتاً كترجيع الريح وسط الغابات المنعزلة في قلل الجبال . كانت تسأل عن ديوان لشاعر مات في شرخ شبابه فعرف الناس بعد موته انه لم يكن بشراً مثلهم بل روحاً علوية هبطت عليهم من السماء . وبدا على الكتبي المنكمش في دثاره انه لم يسمع باسم هذا الشاعر من قبل . فهزَّ رأسه واعتذر عن عدم وجود هذا الكتاب لديه

غير ان الفتاة لزمت مكانها فلم تتحرك وصمتت برهة ثم قالت في امارة وسيطرة بأنها مستوثقة من وجود هذا الكتاب الذي تطلبه لديه وتضايق الكتبي من لهجة الفتاة فأجاب في حدة خفيفة بانه أعرف الناس ببضاعته وها هي الكتب معروضة امامها فلتبحث فيها كما تشاء

وكان هو في هذه الاثناء قد اقترب حتى أصبح يواجهُ الفتاة . فلما سمعها تعبر عن استيثاقها من وجود الكتاب امتلأ قلبه دهشة . فقد كان هو الآخر يعرف ان الكتاب موجود كما كان يعرف موضعه من المكتبة . ولكن هذا شيء آخر . فهو يعرف مواضع جميع الكتب في معظم مكتبات المدينة لأنه يعيش معظم حياته في حناياها . أما الفتاة فكيف تأتى لها هذه المعرفة وهو لم يشاهدها في سوق الكتب من قبل ثم انها لم ترَ الكتاب ولم تعرف موضعه !

وفي حركة هادئة رفع الفتى يده فاستخرج الديوان من وسط الكتب وقدَّمه اليها بغير لفظ . ولكنها لم تتناوله منه الا بعد ان ظلت يده مبسوطة به بعض الوقت . فلما أصبح في كفيها ألقت عليه نظرة ثم رفعت للفتى وجهها الصامت وتحركت شفتاها بلفظ فرد

— اشكرك

أما هو فلم يجب . بل ظل يحدجها بعينين مدهوشتين كأنما يشاهد رؤيا من عالم آخر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومع ذلك فلم يبدُ على الفتاة انها تضيق بنظراته . ولكنها ايضاً لم تبتسم له بل قالت بعد برهة :

— لِمَ تحملق فيّ؟

ولكن الفتى ظلّ على صمته حيناً طويلاً وأخيراً تكلم من غير ان يحوّل بصره عنها :

— آه لو أن شعرك أسود . . .

— ان ردائي أسود

وبعد برهة صمت استطردت قائلة :

— أرى انك تهتم بالألوان

— بل بما توحي به من معانٍ . ان السواد هو العنصر الذي أعيش فيهِ

— السواد ...

— أكان من الممكن ان تكونين زنجية ؟

— ان عينيّ زرقاوان

— انهما جميلتان

ولكنهما لا ترضيانك ؟

— لا أدري

ثم قال مقطباً :

— مَن أنتِ !

— أنا . . .

وصمتت برهة ثم أجابت

— انني أحبّ قراءة شعر الملائكة

* * *

خرج معها الى الطريق وسار بجوارها وهو مقطب . وبعد برهة سمعها تقول له :

— لِمَ تتبعني ؟

التفت اليها وقد ازداد وجهه عبوساً ثم خاطبها في شيء من الحدة :

— لست أتبعك بل أسير الى جوارك . ان كلينا مدفوع بيد واحدة وهو ما يضايقني

فبدا على شفتي الفتاة طيف ابتسامة غامضة :

— حقّاً !

ووجد الفتى نفسه يصرخ لغير سبب :

— أجل وكأني موشك على الاستغاثة بالشرطي ليمنعك مني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ولكنك تركت مكانك ولحقت بي !

— اذن فقد رأيتني حين كنت في المطعم !

لم تجب الفتاة فساد الصمت بينهما . وعلى حين غرة توقف الفتى عن السير وقبض على ذراع الفتاة بأصابع عصبية وأخذ يحدجها بنظر من نار . اما هي فلم يبدُ عليها أثر ما لهذه المفاجأة بل نظرت اليهِ في هدوء وهو يقول :

— أكنت تتوقعين رؤيتي اليوم ؟ اعترفي

ولكنها رفعت عينيها الى السماء ولوّحت بيدها في الفضاء :

— اليوم ضباب ، انظر ، ما أشدّ التفافهُ حولنا

واستأنفا السير فعاد الى اطراقه وهو كظيم . أدرك لتوّه ان هذه الفتاة الغامضة تقبض عليه بيد من حديد وانها تستطيع معه ما تشاء

لقد هبطت عليه من الضباب . ومع ذلك شعرت بأنها ليست من عنصره ، فهو لا يستطيع ان يسيطر عليها كما يسيطر على مخلوقات مملكة الظلمات التي يعيش فيها . فهو وسط الابالسة حاكم وأمير . وفي حنايا الجحور المستورة يتأتى له ان يأمر فلا يردّ له أمر . ثم انه يقدر على التحكم في معظم النفوس البشرية ان استطاع ان يدلف اليها من المسارب التي تلائمه مسارب — الدود الأملس والحيات السود حيث لا حكم للقوة السوقية ولا للعنف القبيح بل يطلق المجال للحيلة الملتوية والعقل النافذ والايهام البارع . ولكنهُ لا يجد مع هذه الفتاة ثغرة ينساب اليها منها آه لو كانت سوداء الشعر ولم تكن عيناها زرقاوين...

ومع ذلك فقد أحسّ بلذة غريبة في سيطرتها عليه وعبوديته لها. وتأمل هذا الشعور الجديد الذي يملأ صدره فأحب لو استطاع دوامه بعض الحين ليتمكن من وضعه تحت مجهره فيجري عليه تجاربه . وحدّث نفسه بأن لا خطر عليه من هذه العاطفة النامية ما دام هو لا يوحد ما بينها وبين نفسه او يلقي بكيانه في خضمها . فهو على يقين من قدرته على ابقاء رأسه فوق سطح الماء . وما دام الأمر كذلك فهو يستطيع ان ينتشل نفسه متى شاء . فهذه القدرة على تجنيب نفسه من كل قيد وكفالة الحرية التامة لها في الفكر والعمل هي أثمن ما استطاع انتزاعه من كبد هذه الدنيا البغيضة . وهو في سبيل محافظته على هذه الامارة الروحية قد قطع صلاته بكل الناس ونفض عن قلبهِ قيد كل عقيدة ودين

حينئذٍ أحسّ بأنهُ يمسك الكون في كفيهِ وبأنه في عصمته المعنوية هذه أقوى بكثير من كل طاغية او امبراطور . اذ لا شيء على الأرض يستطيع ان يعتدي على شبر من آفاقه الممتدة الى ما وراء النجوم . ولا شعب يهدده بالقيام في وجهه ولا ثورة تقدر ان تسقطه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن عرشه . في حين ان الحكام عبيد لارادة المحكومين وعبيد لنفوسهم المشبعة بأغراض عمياء تقودهم من أنوفهم الى هنا وهناك

التفت الى الفتاة وقال :

— اترضين بمصادقتي ؟

— لِمَ ؟

— لأنني أريد ان أحبك

أطلقت الفتاة ضحكة من مقطع واحد وقالت :

— أنت فتى طيب القلب

أثارت هذه الاجابة ثورته فصاح :

— لماذا تراوغين ؟

— لست أراوغ

— بل أنت ككل النساء . هل المرأة لا تستطيع الاّ ان تكون قطرة من زئبق تتخذ كل شكل ولا شكل لها . وتسعى الى كل غرض من غير ان يكون لها غرض ! لماذا لاتكونين قطعة من الحديد الصلب ؟

— ماذا تريد

— ان نتحابّ

— أنت لا تستطيع الحب

— انني اذا أردت الحب فلا شيء في العالم يمنع من قدرتي عليه

— ولكن الحب ليس ارادة بل هو على العكس من ذلك تماماً . فهل أنت مستعد ؟

نظر الفتى الى وجهها الباهت العذب فأحس بالحنان يتفجر من صدره وودّ لو حوى هذا الوجه في يديه وغمره بالقبل

— أجل

صمتت الفتاة برهة طويلة وهي سائرة الى جواره . ثم التفتت اليهِ مبتسمة وقالت :

— هل أنت مستعد لأن تنجب مني أطفالاً ؟

توقف الفتى عن السير فجأة وصرخ مذعوراً

— لا لا . إلاّ هذا

ضحكت الفتاة وضربت بكفها على كفه قائلة :

— أرأيت ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— لا . انني لا أحب الحياة فكيف تطلبين مني ان أعاونها على الاستمرار والبقاء

— ولـكن أنا هي الحياة أيها الفتى الطيب . فان رغبت فيَّ فعليك ان تحب الحياة اولاً

واصل الفتى سيره الى جوارها وهو مغيظ . فها هي الفتاة تكرر دعوتهُ « بالفتى الطيب القلب » — هذا التعبير البغيض الذي خشي منذ لحظات ان يكون المجتمع قد أطلقهُ عليهِ . وبعد برهة رفع رأسهُ وقال :

— هل تتعهدين بأن تبقي الى جواري دائماً فاستطيع أن أضغط على لحم ذراعك كلما أردت ؟

— انني بجوارك ما دمت تؤمن بأن الحب ليس ارادة وبأن الحياة طاعة وخضوع. ثم...

— ثم ماذا ؟

— لا بدَّ ان تنجب مني أطفالاً

وجم الفتى . ولـكن وجومهُ لم يستغرق سوى برهة قصيرة انطلق بعدها يقول :

— سأفعل كل ما تطلبين . ان عبوديتك تلذّ لي وأشعر بأن أحب الأشياء اليّ هو ان أطيع أمراً لك . انني اعبدك . أتفهمين ؟

وأمسك بكفها يقبلها

شعر بسعادة غامرة لم تعرفها حياتهُ من قبل . وودّ لو اختلى بالفتاة ليبكي بين يديها بدمع غزير ثم يحدّثها عن كل ماضيهِ . أراد ان يبثها لواعجهُ وان يطلعها على أشجانه التي تضنيهِ ثم يسألها الصفح عما سلف ويطلب منها الارشاد والعون على المستقبل

لقد طلبت منهُ ان يخضع للحياة وان يتنازل عن إرادته . آه لو درت بانهُ الآن مستعد لان يكون أسيراً لها وعبداً لأهوائها . . . أن يكون خادمها وكلبها وموطىء قدميها . . . فان مرت بأناملها الناعمة بعد ذلك على جبهته ، او نادته باسمهِ اوضحكت في وجهه فقد نال كل شيء أجل . ان عبوديته لها أجمل من حرية نفسه اضعافاً . كل شيء يهون ويتضاءل ما دام جسدها الحار الى جواره

***

أمضى مع الفتاة بقية النهار في حان فلما ان جنَّ الليل وجد نفسه يسير معها في دروب مظلمة . وكان طوال هذه الفترة يحدب عليها ويدللها كما لو انها طفل صغير ناعم . وتمنى لو استطاع ان يحمل عنها عبء التنفس والـكلام والحركة حتى يجنب مخلوقته الثمينة كل عناء او طيف عناء . فكان يحضر اليها كل ما تطلب ويعدُ لها ما تشاء من مأكل ومشرب . وصارت أعظم أمنية له ان يراها راضية قانعة في ركنها الدافىء حيث يغمرها بنظراته الملهوفة . وهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في كل هذا يدأب على تلمسها والضغط على يدها حتى يطمئن الى بقائها بجواره

ولأول مرة في حياته أدرك معاني التقديس والعبادة والصلاة

كان الجوّ لا يزال فاتك البرودة شديد العتمة والريح تصفر في الطرقات كذئاب جائعة . ولقد خيّل اليهِ أول أن خرج من الخان ان هذه العناصر الصديقة تعتب عليهِ هجره إياها وانشقاقهُ عليها ولكنهُ أشاح بوجههِ وهزّ كتفيهِ . ما له الآن ولها ؟

ولكن طال سيره مع الفتاة في جوف الليل فكان لا يرى وجهها كما امتنع عليهِ الضغط على لحم ذراعها الحار الذي أصبح مستوراً في معطف كثيف . وكأنما البرد واحتجاب الفتاة عنهُ قد تآمرا على النفوذ الى عاطفتهِ الوليدة فما لبث أن غلّفاها في إطار من الضباب . ولم يعد الفتى يشعر بالأثر البالغ الذي كان لفتاته عليهِ منذ لحظات بل أصبح ينصت في وجل الى زمجرة الريح الغاضبة فبدت له كوعيد طاغية مستبد يهدده بالويل والثبور

أحاط الفتى خصر فتاته بذراعهِ وضغط عليهِ متمتماً

— لا . لن يأخذوك مني سأقاومهم الى النهاية

ولكن الريح اشتدت وأخذت تلفح وجههُ بسنان كالإبر . فأدرك الفتى أن صحبتهُ القديمة قد بدأت العمل . وسرعان ما شاهد الضباب يهبط من جديد على المدينة ليلف معالمها ويحيل مشاهدها الى أحلام مخيفة كخرافات الاساطير

سحب الفتى ذراعهُ الذي كان يلفّ بهِ صاحبتهِ وابتسم في حسرة

— لا بأس أيها الرفاق . اتركوها لي حقبة وانا أعاهدكم بأني لن أنجب منها أطفالاً

أما الريح فلم تهدأ . وأخذ الضباب يثقل ويتكاثف . حتى هذه الترضية لم تخفف من حدة عشيرته الباغية

— لماذا أنتم غضابى ! اتركوني برهة وثقوا بأني سأنجح في ضم من تدعي انها الحياة الى زمرتكم يا أهل الظلام

التفتت اليه الفتاة تسألهُ :

— فيما تفكر

لم يجب الفتى أول الأمر . ثم انطلق يضحك ضحكاً مكتوماً لم تنفرج عنه شفتاه وقال

— أفكر في رجل لهُ ذنب وفي رأسه قرنان

نظرت اليهِ الفتاة في لهفة فخيّل اليه انه قد نجح في إخافتها . ولأول مرة في هذا اليوم أحسّ بيدها تمسك بذراعه وتضغط عليها . لقد كان هو الذي يبدأها دائماً بالمخاصرة والعناق فماذا دفع الفتاة الساعة لأن تكون البادئة ! أتراها قاربت منزلها فهي تحييهِ من قبل أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تفارقه ؟ أم لعلها شعرت بما يدور في رأسهِ من أفكار فهي تحاول أن تشد عضده ليقوى على مكافحة غرمائه ؟

انها ان همت الآن بفراقه فعليه ان يمالك نفسه فلا يظهر حسرة أو حزناً بل يسألها في عدم مبالاة عن موعد لقائهما المقبل ثم يصافحها وينطلق

وسمع الريح تهمس في أذنيه وتقول :

— بل فلتعطها نقوداً فهذا أوقع

* * *

كانا يسيران على افريز ضيق والفتاة تتمتم بلحن خافت حزين . وصادفهما حائط أبيض ممدود في جوف الليل كصراط يوم القيامة . وهمّ الفتى بسحب فتاته الى ناحية الحائط الخارجية ولكنهُ وجدها تلزم ناحيته الأخرى فخطا ليلحق بها . ثم خطر لهُ أن لا يتبعها . لم يتبعها ؟ فليمض كل منهما من أحد جانبي الحائط الذي ان فصلهما برهة فلسوف يلتقيان في نهايته . ولكنهُ لم يكد يخطو خطوة في الجانب الآخر حتى هبط عليه شعور غامض قابض فعزم على أن يعود فيلحق بصاحبته . ولكنهُ لم يفعل . بل واصل سيره فما أن بلغ منتصف الحائط حتى سمع همساً يملأ مسامعه

— انك لم تتبعها . ها أنت حرٌّ من جديد فهنيئاً لك بسيادتك المستعادة أنت حرٌّ . حرٌّ . حر . . .

ووجد نفسه يقهقه قهقهة شيطانية ويقول :

— أجل . لم تعد الفتاة معبودتي والهي . ما هي إلاّ حشرة مسكينة سأجري عليها تجاربي بينما أوهمها بأنني مشغوف بحبها . ها ! ها ! هاي !

وفجأة شعر بأن قلبه يهبط ويهبط الى غير قرار . وأحسّ بالدمع يسيل ساخناً من عينيه والغصة تملأ حلقه فصرخ قائلاً :

— رحماك أيتها النفس العاتية ! اتركيني أعيش . . .

وأسرع الى نهاية الحائط وجال بعينيه باحثاً عن الفتاة فلم يجدها . . .

لم يحاول البحث عنها . بل سار في طريقه مطرقاً وهو موقن بأنه قد فقدها الى الأبد

وفي هذا الحين دوّى الفضاء بصوت الرعد القاصف وومض البرق في عرض السماء . ثم بدأ المطر ينهمر

وتلاشى شبح الفتى في جوف الظلمات من جديد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثلاثة قرون على ولادة

نيوتن

امير العلم

لقدري حافظ طوقان

لا أظن ان أحداً يجهل ما لاسحق نيوتن من منزلة عالية وأثر فعال في تقدم العلوم الرياضية والطبيعية . ولولاه لما خطا حساب التكامل والتفاضل خطوات فاصلة ، ولما كان في وسع العلماء تسخير هذا العلم في الاختراع والاكتشاف ، واليه يرجع الفضل في افراغ الجاذبية في قوانينها ومعادلاتها وفي كشف نظريات متعددة تتعلق بالضوء والانكسار والانعكاس

ولقد اعترف العلماء بنبوغ نيوتن وأشادوا بذكر عبقريته ، فقال فولتير : « ... لو اجتمع جميع نوابغ العلماء لكان نيوتن في المقدمة ... » وقال لابلاس : « ... ان لكتاب المبادىء الذي وضعه نيوتن مقاماً فوق كل ما أنتج العقل البشري « ... وقال لاغرانج عن هذا الكتاب : « ... انه اعظم ما أنتج العقل البشري ... » وقال ليبنتز وهو من معاصري نيوتن وأحد كبار العلماء حينما سألتهُ ملكة بروسيا عن رأيه في نيوتن « ... لو جمعت كل ما كشفه علماء الرياضة منذ فجر التاريخ الى الآن لوجدت ان ما كشفه نيوتن هو النصف الأهم منهُ ... » وقال بلايفير : « ... لقد أضاف نيوتن الى مستنبطاته البديعة في الرياضيات أهم المكتشفات الطبيعية ، وقد لبست علوم الهيئة والبصريات والميكانيكا من حلل التجدد والتقدم أثواباً قشيبة ... ما من رجل عمل على ترقية المعارف كما عمل نيوتن . انهُ لم يكتف بكشف الحقائق الجديدة ونشرها ، بل علّم الناس أسلوباً جديداً للبحث عنها ... » وقال السير أوليفر لودج : « انهُ فخر علماء الانكليز ... » وقال طمسن : « ... ان مباحث نيوتن في الطبيعيات كافية لأن تجعلهُ في مصاف أعظم العلماء ... » وقال جينز الفلكي المشهور : « ... انهُ أعظم رجال العلم على الاطلاق ... »

هذه اعترافات بعض رجال العلم من معاصريه ، ومن الذين أتوا بعده ومن الذين لا يزالون على قيد الحياة ، وهي تدل على المكانة العظيمة التي بلغها نيوتن بين فحول علماء الطبيعيات والرياضيات

وعلى الرغم من مكتشفاته المتعددة ، ومن النظريات الرياضية التي ابتدعها والنواميس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الميكانيكية التي كشفها ، فقد كان يعدُّ نفسهُ على عتبة اليقظة العقلية ، وانه « . . . لا يزال طفلاً واقفاً على الشاطىء يكشف من حين الى آخر صدفة براقة أو حجراً صقيلاً ، وأمامه بحر المعرفة الزاخر لا يزال مجهولاً ... » . كان ذا روح علمي صحيح ، سيطر عليه في أعماله وسيرته ، وكان مثلاً عالياً للعلماء ، وقدوة حسنة للمفكرين

وقد يظن بعضهم ان عالماً كنيوتن لا بد ان يكون ملحداً لا يؤمن بالله ، ولا يعتقد في وجود قوة خالقة منظمة ، وان مردَّ ذلك الى اشتغاله بالفلسفة الطبيعية ،وجولاتهِ في ميادينها وغوصه في بحوثها ومعادلاتها وأرقامها ... والحقيقة خلاف ذلك ، فقد كان لاهوتيًّا يؤمن بالله ، ويحمل على جميع الذين ينكرونهُ ، وكان يدعو الى تمجيده وعبادته

وفي رأيي ان الانسان اذا ازداد تعمقاً في العلوم،ووقوفاً على اسرار الكون ازداد ايماناً بالله ، وتجلت له عظمتهُ بصورة لا يحيطها شك او ابهام ، فالعلم الصحيح من شأنهِ ان يوضح روائع الوجود في النواميس المسيطرة على اجزائهِ وان يكشف عن القوانين التي تسيرها مما يدفع العالم الى الايمان بالله ، وادراك قدرته والشعور بواجب عبادته ، والعمل بأوامره

وعلى هذا فليس غريباً ان نرى نيوتن متديناً ، وهو الذي كشف ناحية من نواحي عظمته في الجاذبية التي تسير بموجبها الارض والشمس والقمر والكواكب والنجوم واجرام اخرى من شهب ومذنبات ونيازك

ان في سيرة نيوتن الدينية لعبرة للذين يتظاهرون بالالحاد بحجة انهم طبيعيون وانهم واقفون على بواطن العلوم .ولو كانوا طبيعيين فعلاً مدركين لاسرار الكون في انظمته ونظامه، لآمنوا بمبدعه ولأنكروا الالحاد ومقتوه ، ولكنهم سطحيون لا يعرفون من العلوم الاّ قشورها ، ولا من اسرار الكون الاّ لفظها ، وراحوا يسترون ضعفهم وجهلهم بالتظاهر بالالحاد ، وبأن ما يقولون ليس الاّ نتيجة لدراسة وبحث ، وما دروْا انهم بذلك أقاموا الدليل على نقص ادراكهم ، وقصر نظرهم ، وضيق أفق تفكيرهم

لقد سيطر الروح العلميّ والدينيّ على نيوتن فأثر في طباعه ، واخلاقهِ ومعاملتهِ للناس . كان يزدان بالتواضع وخفض الجناح ، يحكم العقل في اعماله ولا يسير الاّ على هداهُ ووحيه ، منجهاً بكليته الى الدرس والبحث ، عاملاً على كشف انظمة هذا الكون ، متأملاً في آلاء الله وروائع نواحيه . ومع هذا كله فما صفت له الحياة ، وقد أفسدها عليهِ الحسد واللؤم ، فقد سلط عليه الحاسدون سهامهم فما كشف كشفاً الاَّ قام من يدعي السبق اليهِ ، ولا أتى برأي جديد الاّ اعترضه بعض معاصريه مسفهين ، ولا أخرج مؤلفاً الا انبرى بعض الفلاسفة بالطعن والتخطئة ، وكان يضطر ازاء ذلك الى الردّ والمصاولة ، ولا يخفى ما يقتضيهِ هذا من اجهاد الفكر وإنفاق الوقت في امور لا طائل تحتها ولا فائدة من ورائها ، ويعترف بذلك فيقول :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«...لقد أضنتني المجادلات» فذهبت براحة باله ، ونغصت عليه عيشه . . . .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان أحسن حالاً من كثيرين من العلماء الطبيعيين والفلكيين الذين سبقوه أو عاصروه في البلاد الأخرى . لم يلقَ اضطهاداً ، ولا أصابهُ عذاب ، ولا أحاطه سجن ، بل كان في رعاية قومه ومحل تقديرهم واكرامهم . انتخبوه عضواً في البرلمان ، وعينوه رئيساً لدار سك النقود ، ورئيساً للجمعية الملكية ، وبقي في الرآسة أربعاً وعشرين سنة . وعند موته دفنوه في كنيسة وستمنستر ، ونصبوا له التماثيل ، كما أقاموا له الاحتفالات احياءً لذكراه ، واعترافاً بفضلهِ على العلم والاكتشاف

وفي أثناء دراسته وضع نيوتن النظرية ذات الحدين المعروفة في الجبر ، وأتى بمسائل أدت الى التكامل والتفاضل ، فوضع أساس المعامل التفاضلي وحساب التكامل ، وبين المعاني المنطوية فيهما ، وقد ساعدته طرقه فيها على التوسع في بحوث ميكانيكا النظام الشمسي ، وهو أروع البحوث التي طرقها نيوتن ، وفرع التفاضل والتكامل هذا من أجل الفروع الرياضية وهو من أهم الأسلحة التي يستخدمها العلماء ، والمخترعون ، في تذليل الصعوبات التي تواجههم عند تطبيق النظريات الطبيعية والنواميس الكونية. ويمكن القول انه لولا نيوتن والرياضيات التي كشفها لما تقدم الاختراع والاكتشاف تقدمهما المنشود

وكذلك كشف ان ضوء الشمس قِوامهُ أشعة مختلفة تنعطف عند الانكسار بمقادير متباينة . وانه بذلك يتألف من سبعة ألوان يطلق عليها الطيف الشمسيّ ، ومن هنا تبيّن أن ضوء الشمس ليس بسيطاً وانما هو مركب يتفرق عند مروره في منشور الى مركبات عديدة أهمها الألوان السبعة المعروفة ، وانه اذا تجمعت هذه المركبات حدث من تجمعها ضوء أبيض . وتجاربه في هذا الصدد مشهورة يمكن الرجوع اليها في كتب الطبيعة . وقد تمكن في هذه الكشوف من شرح طريقة جديدة للمراقب الفلكية ليس لظاهرة تفرقة الضوء دخل فيها ، وصنع مراقب بلغت قوة تكبير بعضها أربعين ضعفاً . وله مذهب في طبيعة الضوء بقي سائداً ومعترفاً به مدة طويلة ويعرف باسم مذهب الدقائق Corpuscular وهو معارض للنظرية الموجية . وعلى الرغم من ظهور طائفة كبيرة تقول بأن الضوء أمواج مستعرضة ، فقد تغير الاتجاه في هذا القرن ، وهو يقضي بجمع النظرية الموجية ونظرية الدقائق أي ان الضوء دقائق ولكنها تسير سيراً موجيًّا

أما في الميكانيكا الحديثة ، فاليه يرجع الفضل في تكوينها والسير بها خطوات واسعة فاصلة . ولعلّ أخطر بحوثه فيها بحث الجاذبية فقد كشف عن قانونها ولم يكن ذلك عن طريق الصدفة ، بل كان نتيجة لبحث وتأمل ودراسة . لقد بين ان الجذب موجود بين كلّ كتلتين ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وان مقدار الجاذبية بين دقيقتين ماديتين يتناسب تناسباً طردياً مع كتلتيهما وعكسياً مع مربع المسافة بينهما ، وقال ان هذا القانون يسري على الأرض وما عليها وعلى الأجرام السماوية بل وعلى جميع موجودات هذا الكون

ولقد أدى كشفهُ لهذا القانون الى وضع القواعد الاساسية لعلم الديناميكا ، وهذه القواعد هي القوانين الثلاثة المعروفة (بقوانين نيوتن) . وعلى هذا فقوانين كپلر الثلاثة يمكن استخراجها منهُ ، فهو (أي قانون الجاذبية) ينطبق على حركات الشمس والقمر والكواكب والنجوم المبعثرة في الفضاء . أما القوانين الثلاثة فهي :

١ — يبقى الجسم في حالة السكون او الحركة المستقيمة المنتظمة ما لم تؤثر فيهِ قوة تغير حالتهِ ويعرف هذا القانون بقانون القصور الذاتي

٢ — ويشير القانون الثاني الى ان ما تحدثهُ القوة من التغيير في كمية التحرك لجسم ما ، يكون على قدر تلك القوة ، فكلما كبرت القوة عظم (تبعاً لها) التغيير الذي تحدثهُ في كمية التحرك للجسم

٣ — أما القانون الثالث فهو لكل فعل رد فعل مساوٍ له ويضاده في الاتجاه ، أي ان الجزاء على قدر العمل ، وان غريزة الأجسام تدعوها الى دفع الشر بمثلهِ

وكذلك هو أول من مضى في استخراج قانون متوازي اضلاع القوى على أسلوب منطقي خالٍ من الغموض . وقد وضع الجاذبية وما نتج عنها من قوانين وما استخرج منها من نتائج وتفسيرات لظواهر متعددة (فلكية وطبيعية) في كتاب اشتهر باسم (البرنسيبا) ويعد هذا الكتاب من أجل الكتب في الطبيعة ، ويتجلى لنا فيهِ «.. اثر نيوتن في الميكانيكا وهو اثر من يضع الاساس ويعلو به فوق سطح الارض بحيث لا يكون في مقدور من يخلفه غير البناء على الاساس الذي وضعه من غير اخلال به او تغيير للاسلوب الموضوع للبناء ، وقد ظلت الحال كذلك الى قبيل وقتنا الحاضر ...»

واختم كلامي عن نيوتن ومآثره الرياضية والطبيعية واثرها في العمران بما قاله العالم الاميركي الشهير ملكن : « انه اذا أزلنا من العمران الحالي أحد القوانين الرياضية التي وضعها وحققها نيوتن وجب أن نزيل كل آلة لتحويل القوة الى حركة لأنها كلها بنيت على هذا القانون الرياضي الشامل . ومع ذلك لما كشف نيوتن قانونه لم يكن قصده استنباط آلة بخارية أو سيارة أو طيارة ، ولكن هذه المستنبطات بنيت عليه . فاذا أزلناه تهدم عمراننا كأنه بيت من ورق ... »

بعد هذا القول أليس نيوتن جديراً بلقب أمير العلم ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الساعة

إن الساعة — هذا الالــه الأشأم الرهيب الذي لا يشعر —
ليهددنا ببنانه ويقول : (تذكر !)
إن الآلام المرتعشة لتستقرّ في قلبك الذي يشيع فيهِ الذعر
كأنما تستقر في هدف ،
وإن اللذة المتطايرة تفرّ الى الأفق كما تفرّ جنيَّــة الى مساربها الخفية .
وإن كل لحظة تلتهم منك متعة مَن السرور ، هي نصيب كل إنسان مدى حياته .
إن الثانية لتسر إليك ثلاثة آلاف وستمائة مرة في الساعة هامسة :« تذكر »
وإن «الآن» ليقول لك بصوته الذي يشبه صوت الحشرة :
«أنا زمن مضى وقد مصصت حياتك بخرطومي المدنس »
تذكر ، تذكر ، تذكر [1] أيها المسرف .. !
لحنجرتي المعدنية تتكلم كل لسان .
تذكر أيها العابث الفاني أن الدقائق تِبرٌ ، فعليك أن لا تدعه يُفلت
دون أن تستخرج منهُ الذهب !
تذكر أن الزمن مقامر جشع يربح كل مقامرة بلا خداع ،فهذه سنّته . . !
تذكر أن النهار يزول والليل يطول ،
وأن الهاوية دائماً ظمأى ، وساعة الماء تصب ماءها.
بعد لحظة ستدق الساعة التي تقول لك فيها الصدفة الالهــية
والفضيلة الجليلة : زوجـُك التي ما زالت بكراً،
كما تقول لك الحسرة : « آه ! هذا الملاذ الأخير »
ويقول لك كل شيء أيضاً :
« مت ! أيها الجبان العريق ! لقد فات الأوان ! »

عثمان علي عسل

---

(١) «تذكر» رددها بودلير هنا ثلاث مرات مرة بالانكليزية ومرة بالفرنسية واخرى باللاتينية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غرائب العشر[1]

نبات تستخرج منه عجائب صناعية

لعوض جندي

ان ملكت نباتاً يستطيع انقاذك من الغرق ، وكان ليفه أو شعره صالحاً لصنع نسيج يكاد يبلغ متانة القنب، وأوراقه صالحة لصنع المطاط (الكاوتشوك أو الصمغ الرن) وسيقانه يمكن تحويلها الى ورق متين وقبعات خفيفة الوزن ، وبذوره تنتج زيتاً لذيذاً يشبهُ زيت البسلة الصينية كل الشبه — إن نباتاً هذا شأنه وهذه خيراته ومزاياه يصحُّ وصفهُ بأنه كنز من الذهب

ونعني به نباتاً يكاد يزرع في أرجاءِ بلاد الولايات المتحدة الاميركية قاطبة حيث يحسب بلا مراءٍ ذخيرة من ذخائرها الوطنية . وما هذا النبات إلاَّ شجيرة تدرُّ حليباً نباتيًّا ذا منافع جليلة . وتنمو هذه الشجرة في كل مكان حتى المواضع التي لا تصلح لنمو الحشيش ، ولا تسطو عليها الحشرات أبداً . ولذلك يرى الدكتور بوريس بركمان Dr. Boris Berkman في شيكاغو ان هذا النبات خليق بالاعجاب لأنه مهلك للحشرات فقد جرَّب هذا العالم تجارب علمية فنية أثبتت رأيه هذا

وشهد الدكتور بركمان في المؤتمر الذي عقد حديثاً خاصًّا بالبحث في المحصولات الجديدة المراد زرعها في أميركا فقال ان في شمال ولاية متشيغان ١٥٠٠٠ فدان من الأراضي البور زرعت في ١٩٤٢ بشجيرات العشر وسينشأ هناك مصنع للتجارب . أما في سنة ١٩٤٣ فينتظر بلوغ المساحة التي ستزرع بهذا النبات مليوناً من الأفدنة وذلك في ست ولايات

وأشار بركمان على قومه بزراعة هذا الصنف من النبات في المساحات التي لا تصلح لنمو غيره من المحصولات وأيضاً في الأطيان التي لا يكون فيها منافساً لغيره من النباتات الموجودة فيساعد كثيراً على اصلاح تربتها اصلاحاً نهائيًّا . واليك منافع هذا النبات : —

أولاها مساعدة البلاد الاميركية على ايجاد بديل لحرير الكابوك[2] الذي انقطع وروده اليها في هذه الحقبة وهو الذي كان قواماً لصنع عطيفات (جاكتات) البحارة الواقية من الغرق

---

(١) بضم العين وفتح الشين Milkweed واسمه العلمي Asclepias وهو اسم جنسه (المقتطف)

(٢) راجع باب الاخبار العلمية في هذا الجزء من المقتطف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذ كانت الولايات المتحدة الاميركية تستورد كل سنة عشرة آلاف طن كابوك من الشرق الأقصى أي من جاوى وسيلان وجزائر الهند الهولاندية ومن البلدان التي غزاها اليابانيون

ويلوح للقارىء ان هذا القدر ضئيل غير انه اذا عرف أن عطيف الانقاذ من الغرق انما يستنفد في صنعهِ ثلاثة أرطال من الكابوك ، لا يشك في انه يصنع من العشرة الآلاف الطن المشار اليها ٦٦٠٠٠٠٠ عطيف. وبين الحرير الذي ينتج من شجر العشر وحرير الكابوك شبه عظيم ومن أجل هذا يسهل احلال الأول محل الثاني في المصنوعات

وكان الرأي ان الكابوك يستحيل أن يحل غيره محلهُ لانهُ من الشعور النباتية القليلة الوجود المجوفة التي تحتوي على خلايا هوائية. وهذا سبب ما يتصف به من الخفة في العوم وانقاذ مستعمله من الغرق . ولكنَّ شجر العشر على ما يقول الدكتور بركمان هو النبات الأميركي الفذ ذو الشعر المماثل حقيقة لشعر الكابوك وهو الذي غدت البلاد الاميركية في حاجة ماسة اليهِ الآن . وهناك عدا الكابوك مصدر آخر وحيد يمكن استعمالهُ مادة لصنع مناطق النجاة من الغرق ونعني به الفلين وهو ايضاً من الحاصلات العسير جدًّا الحصول عليها في هذه الايام التي حمي فيها وطيس القتال ، اذ ما فتئت اسبانيا أكبر دولةٍ تصدر الفلين ولكن استئثار المانيا بمعظم مواردها حال دون ارسال الفلين الى الولايات المتحدة الاميركية

بيد أن الدكتور بركمان يرى ان حرمان بلاده الفلين الاسباني ليس امراً خطيراً ما دام العشر أخف من الفلين من خمس مرات الى ست . وقد دلت التجارب التي جربت في حرير العشر أن الرطل منهُ يظل خفيفاً بعد مكثه في الماء ٤٨ ساعة فيحتمل ٥٠ رطلاً من الاثقال التي توضع فوقه وأن العطيف الذي ينسج من رطلين أو ثلاثة ارطال من ذلك الحرير يحمل رجلاً في الماء نحو ١٠٠ ساعة

واقترح الدكتور بركمان على ولاة الامور في اميركا طريقة لصنع جميع بطانات ثياب الطيارين البحريين من حرير العشر لان هذا الحرير يدفئ لابسه اكثر من الصوف وهو أخف من الصوف ست مرات ، اذا قابلنا كل طبقة منهُ بمثلها من الصوف . وحينئذٍ يتمتع الطيارون بملابس رفيعة دافئة خفيفة الوزن في أثناء أعمالهم الحربية . فاذا اتفق سقوطهم في اليم كانت ملابسهم الخاصة بالطيران واقية لهم من الغرق حينما يسقطون

ولما كان الدكتور بركمان طبيباً فانهُ لم يغفل طريقة حشو الوسائد بحرير العشر بدلاً من الريش المألوف وقاية للناس الذين يصابون بالتهيج الجلدي حينما يستنشقون رائحة الريش. ويتسنى تلبيد حرير العشر مثل الفرو وتحويله الى قبعات صيفية خفيفة كالريش لا يخترقها الماء .ويقول الدكتور بركمان ايضاً ان كثيرين من أمهر العلماء قد درسوا المنافع الممكن جنيها من هذا النبات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكنهم كانوا دائماً يضلون السبيل لما كان يعترضهم من العقبات الفنية التي استعصى عليهم حلها ونعني بها كيفية التصرف بالعصير اللبني وهو أهم عناصر النبات ومنه اشتق اسمه milkweed وهو يشبه لبن أشجار المطاط (الكاوتشوك) المعروفة باسم پارا Para

والحقيقة ان أوراق شجر العشر وسيقانه تحتوي على لبن مطاط ولكنه ليس كافياً لتسويغ قصر استعماله على صنع المطاط دون كل شيء آخر . وقد أدخل كثيرون من المخترعين هذا اللبن النباتي في كثير من المصنوعات إذ أعلن حديثاً ان إحدى الشركات الكبيرة لصنع الطائرات في الساحل الاميركي الغربي قد تولت صناعة ذلك المطاط الجديد وتجربته في أعمالها . وكان غيرهم من أرباب المصانع القديمة يتعذّر عليهم فتح لوز ذلك النبات أو قرونه بطرق أيسر من الطريقة اليدوية المألوفة لأن هذه الطريقة لا يمكن تنفيذها في بلاد الولايات المتحدة الأميركية . فحل الدكتور بركمان هذه العقدة حلاً سهلاً وذلك بتجفيف اللوز فيتفتح بنفسهِ وقد اخترع أيضاً دولاباً لحلج حرير العشر ، يفصل البذور من الشعر أسوةً بمحالج القطن المشهورة

ومن البذور يستخرج زيت ثمين وتحتوي البذور على ٢٥ ./. من ذلك الزيت . وهي نسبة تفوق ما يستخرج من البسلة الصينية أو فول الصويا . وزيت بذور العشر من الزيوت المجففة للطلاء (البويا) ويستعمل في صقل المصنوعات الخشبية مثل زيت البسلة الصينية سواء

ومن لوزه يمكن استخراج ٥ ./. مطاط و٥ ./. شمع وعدا ذلك يمكن انتاج ألياف فاخرة لصنع الورق . وهذه الأعمال تستنفد اللوز بأجمعه ولكنها ليست جميع المنافع الجليلة التي تجنى من ذلك النبات . فمن السيقان تستخرج ثلاثة أنواع مختلفة من الشعر أولها يسمى bast أي ليف النبات وهو يحتوي على ٩٢ ./. من السلولوس ويكاد يضارع القطن لأن القطن يحتوي ٩٤ ./. من السلولوس ويدخل في صنع قطن البارود مثل النيتروسلولوس . ويحوّل الى حرير صناعي أو ورق أو أي شيءٍ من الأشياء المعتاد صنعها من زغابة القطن

وقدّر الدكتور بركمان ان الفدان الذي يزرع بهذا النبات، ينتج الف رطل أو بالتين من الألياف المماثلة للقطن الناعم من جهة احتوائه على السلولوس

والصناعات التي تنتفع انتفاعاً كبيراً بهذه الالياف المستخرجة من السيقان خمس على الأقل وهي أولاً : صناعة الورق . وثانياً : الصناعة الكيميائية الخاصة بانتاج الحرير الصناعي والمفرقعات وثالثاً : صناعة المنسوجات لأن بعض ألياف السيقان أو شعرها أمتن من أي نوع منها ما عدا الجوت . ورابعاً : صناعة خشب الحيطان التي تنتج المواد العازلة للحرارة . وخامساً : صناعة العجائن الكيميائية لأن سلولوس ذلك النبات يتيسر تحويلهُ الى عجائن كيميائية جميلة

وينتظر أن يكون لترويج زراعة هـذا النبات في بلدان الولايات المتحدة الاميركيـة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مستقبل عظيم باعتباره محصولاً من المحصولات الرابحة جداً لأن الفلاح الذي يحصد اللوز والسيقان من فدان واحد يبيعها بأربعين ريالاً كل سنة . واذا تمكن من جمع الاوراق أيضاً باعها بخمسين ريالاً في السنة من كل فدان . ثم ختم الدكتور بركمان مقاله باسداء نصحه الى الزراع الذين يقبلون على زرع هذا الصنف من النبات العجيب قائلاً ان نجاحهم متوقف على انشاء مصانع قريبة من مناطق الزراعة لكي تحول محصولاتهم الى منتجات نفيسة نافعة

ووصفت مجلة الميكانيكا الاميركية في أحد اجزائها الحديثة هذا النبات البديع فقالت :—

قضى عالم أميركي خمس سنوات جاداً في تجربة نبات العشر المألوف فاستخرج منهُ مطاطاً ذا بروتين غزير فلا يحترق ولا يذوب ولا يتحلل في البنزين بل يتصلب عند ملامسته البنزين او الكحول

ويتاح استغلال هذا النبات بعد زرعه بتسعة اشهر . وهذا يخالف شجر البارا الذي يستخرج منهُ المطاط اذ يمكث ١٥ سنة حتى يتم نضجه وهو المصدر الآخر الطبيعي الوحيد المشهور للمطاط . ويقال إن انتشار زراعة العشر في أراضي الولايات المتحدة سيجعلها بعد سنتين تستغني عن استيراد المطاط من الخارج

ومخترع هذا النوع من المطاط وليم شارب الكيميائي وصاحب المخترعات التي تربي على ٤٠٠ اختراع ومنها محرك بنزيني ذو دف وجهاز للاستدلال على الغواصات . وهو ايضاً واضع رسومات كثير من الطائرات وملحقاتها

وقد فحص حديثاً مصنع دوجلاس للطائرات المطاط المستخرج من هذا النبات. ويقول الذين شاهدوه إنهُ اسود حالك عديم الرائحة متين مثل جلد الاحذية . وقد اختبر المخترع هذا المطاط في اجزاء صغيرة مثل حياض وقود الطائرات اذ أشعل فيها البنزين اكثر من ٥٠٠ مرة فلم تتلف بل ظل المطاط المبطنة به مرناً كما كان قبل اشعال البنزين فيه. وأطلقت رصاصات لا عدد لها على احواض مغطاة بثلاث طبقات من المطاط المشار اليه ملآى بالبنزين فلم تهرق منها قطرة واحدة ، وليس في هذه الحياض من المعدن الا هيكلها . أما غطاؤها فكله من المطاط ما عدا ما يقرب من رطل واحد من المعدن لكل قدم مربعة من السطح . والطبقة الداخلية لمطاط الحوض تقاوم تأثير البنزين . أما طبقة القلب فتكون من المطاط اللين الذي يتصلب حالما يلامسه الوقود . على حين ان الطبقة الخارجية تماثل الانبوب الداخلي من عجل السيارات وتقوّى بشبكة من أسلاك مصنوعة من خليط النيكل

والخيش المستعمل لحزم الرزم والبالات اذا رش عليه صنف سائل من أصناف المطاط الجديد فلا يحترق . وقد غطست قطع ثخينة من هذا المطاط سنة كاملة في البنزين فاحتفظت بمرونتها وقامت بوظيفتها قياماً يكاد يضارع الشقق الحديثة الضغط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويزكو شجر العشَر زكاءً طبيعيًّا في كثير من أنحاء العالم . ويعتقد الثقات أن الاطيان المزمع زرعها بهذا النبات تستطيع في سنتين أن تمون الطائرات المدنية والحربية جميعها في الولايات المتحدة الاميركية بما تحتاج اليه من المطاط . ويقول شارب ان الاطيان المزروعة بهذا المطاط بلغت مساحتها ٢٧٠٠٠ فدان وذلك في جنوب كاليفورنيا وحدها ويمكن أن تنتج ١٠٠٠٠٠ طن من النبات يستخرج منها ٥٠٠٠٠ طن من المطاط . وزرع المخترع هذه الاعشاب البرية في خطوط وذلك في أواخر اكتوبر سنة ١٩٤١ ثم حصدها في يوليه سنة ١٩٤٢ فكان متوسط محصول كل شجيرة خمسة ارطال وبلغت غلة الفدان ٢٨ طنًّا. وتقلع الشجيرات حينما تكون هشة خضراً ثم تغسل وتعصر مثل قصب السكر

والعصير الذي يستخرج منها يحفظ سبعة ايام ثم يصفى ويخزن وحينئذ تضاف اليه زريعة من البكتيريا لتحدث فيه تخمراً يتولد منهُ ضرب جديد من المطاط. وتطفو قشدته أو لبنهُ في خلال يومين فتقشد على شكل طبقة رقيقة

وحينما نتذكر العمل الذي تؤديه البكتيريا في صنع الجبن [1] وخمر التفاح وغيرهما من منتجات الاغذية ، فاننا لا نعجب من قيام بعض سلالات تلك البكتيريا بانتاج المطاط حينما تضاف زريعاتها الى اللبن النباتي اذ تتضاعف جماعات البكتيريا فتأكل المواد النشوية وتحول كثيراً من اللبن الى پروتين . والسر في التجفيف إذ تتولد كريات دقيقة في هاتيك المخاليط فتعطي اللبن المرونة اللازمة ويتيسر تحويل تسعة اعشار ذلك اللبن الى درجات شتَّى من المطاط . ويجمع اللبن كل يومين ثم تخض القشدة بمخضة تزيل الرطوبة الزائدة على الحاجة وكذلك الجزيئات الغريبة ثم يوضع السائل في غلاية ساخنة مفرغة من الهواء وحينئذ تضاف اليه المواد الكيميائية والمادة المزيلة للرائحة ويطبخ السائل ساعة كاملة على حرارة ٣٠٠ درجة فرنهيت ، حتى تصير مادته مثل عجينة لينة تكاد تشبه قوام القطران الثقيل في مثل تلك الدرجة الحرارية . وبعد ذلك يبسط المزيج على صوان معدنية وتسلط عليه الأضواء التي تحت الحمراء فتجف تلك المادة بعد انقضاء ساعة جفافاً يجعلها صالحة للمصنع فيحولها الى لفات مثل مطاط بارا . وتستغرق عمليات الحصاد والصنع والضغط جميعها زمناً قلما يزيد على ثلاث ساعات . والبروتين الغزير صالح جدًّا للاستعمال في أسلحة الحرب خاصة. وبينما يحتوي مطاط شجر بارا في المتوسط على ١٫٥ ٪ من البروتين فان البروتين الذي تولده البكتريا في مطاط العُشَر يبلغ ٢٨ ٪ وهذا مما يجعلهُ يقاوم التجمد والاحماض والمواد الكيميائية

(١) راجع مقالنا «العفن غذاء ودواء» في مقتطف مارس سنة ١٩٣٣ !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت

ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

تمهيد للمترجم

كاتبة هذا المقال هي الباحثة في الشرقيات السيدة نابية أبوت Nabia Abbot بمعهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو . ولها كتاب طبع في شيكاغو سنة ١٩٣٩ عن نشأة الخط العربي الشمالي (١) وتطوره في كتابة المصاحف . ويظهر ان لها أبحاثاً متفرقة في « المجلة الاميركية للغات السامية وآدابها » The American Journal of Semitic Languages and Literatures التي تخرجها جامعة شيكاغو أربع مرات في كل عام : وهي المجلة التي ترجمنا عنها هذا البحث الطريف

وهذا البحث يعرض لنا عرضاً شائقاً صوراً للمرأة العربية في فجر الاسلام . وهذه الصور مبعثرة في كتب التاريخ والسير ، وقد تجد الصورة الواحدة ملونة بألوان تتفق مع ميول الرواة والمؤرخين وأهوائهم المذهبية والسياسية والقبلية « نسبة الى القبيلة » . إلا ان السيدة نابية أبوت استطاعت بحذقها ومهارتها وفطرتها النسائية أن تؤلف بين هذه الالوان المتنافرة حيناً والمتآلفة حيناً آخر ، وأن تجمع منها صوراً منسجمة الالوان مؤتلفة الضياء والظلال

ولقد رجعت الباحثة الى طائفة من المراجع المختلفة ما بين عربي وأفرنكي ، وشرقي وغربي ومخطوط ومطبوع مما سيجده القارىء في هوامشها التي تدل على بسطة في الاطلاع وسعة في البحث وتمكن من الموضوع

ولقد حافظت في الترجمة جهدي أن أكون أميناً في النقل ، حريصاً في الاداء . وخاصة في عبارة الباحثة نفسها . أما ما يعرض خلال ذلك من مناقشة أو محاورة أو قصة طريفة فقد بعدت قليلا عن الكاتبة وعباراتها ، ورجعت الى العبارة العربية والرواية التاريخية في مظانها ومصادرها من كتب السير والتاريخ والادب العربية . ويجد القارىء مثلا لذلك في حديث هند بنت عتبة مع النبي عليه السلام في المبايعة ، وحديث هند مع الخنساء في مفاخرة كل منهما صاحبتها بمصيبتها . ولم يخرجني تلمس العبارة العربية عن جادة الامانة في الترجمة

ورأيت أن أضيف الى المقال بعض تعليقات توسع أطراف الموضوع مما اضطرت الباحثة الى اجماله أو اغفاله ، ووضعت هذه التعليقات بين حاصرتين في حرف أصغر من الحرف الذي جمع به أصل البحث دلالة على انها من قلم المترجم لا من كلام الباحثة الفاضلة

وأنا سعيد اذ أتاح لي صديقي — رئيس تحرير المقتطف — هذه الفرصة الكريمة لنقل هذا البحث الطريف المفيد عن الانكليزية ، فقد جعلتني هذه الترجمة أرجع الى كثير من المراجع التي أشارت اليها الباحثة وأستخرج منها ما يفيدني علماً ويكسبني معرفة — وخاصة كل ما يتعلق بالسيرة النبوية

وكذلك عادت فائدة هذا العمل إلي ، فاذا وجد القراء في البحث نفسه فائدة — وذلك ما لا يخامرني فيه ريب — فالفضل في ذلك عائد الى الباحثة التي لاءمت بين تلك الاشتات المنثورة هنا وهناك وأخرجت منها صورة حية ناطقة للمرأة العربية في نواح مختلفة من حياتها . كما أن الفضل لمحرر المقتطف الذي أشار علي بترجمة هذا المقال حتى يطلع عليه قراء العربية لان المجلة الاميركية التي نقلناه عنها ليست في متناول الكثير من أهل العلم وطلاب البحث

ودقة هذا البحث وطرافته وسعة أطرافه مما يشهد لكاتبته بالفضل والعلم الغزير ، فلندع مقالها يتحدث عنها

محمد عبد الغني حسن

---

(١) تفرعت من الخط العربي الشمالي فروع منها الخط الكوفي والخط المكي والخط المدني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ١ —

وضحت في مقال سابق أن جزيرة العرب في القديم كان فيها ملكات تفردنَ بالسلطان ، وأن بعض هؤلاء الملكات كنَّ كاهنات يدعون الى الآلهة المحليين . وهكذا كان هؤلاء الملكات يحاذين في السلطة الدينية والزمنية ملوك الدين والدنيا الذين كثيراً ما ورد ذكرهم في تاريخ الشرق القديم

(ملك الدين والدنيا هي ترجمة وضعتها لكلمتي Priest-King التي استعملتها الباحثة . وقد أجاز لنا وضع هذه الترجمة قول الشاعر :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله

وقول الشاعر الآخر :

أضحى أمام الهدى المأمون مشتغلا بالدين والناس بالدنيا مشاغيل)

ولقد كاد يختفي عصر ملكات جزيرة العرب — تلك الجزيرة التي أنجبت في زمن سحيق « جوليا » ملكة حمص و « زنوبيا » ملكة تدمر

(هي زينب ملكة تدمر ، وتعرف عند الرومان بزنوبيا أمبراطورة الشرق . تولت عرش تدمر بعد زوجها أذينة الذي قتل عام ٢٦٧ ميلادية ، وغزت مصر واتسعت رقعة مملكتها فأثار ذلك سخط الرومان عليها ، فزحف عليها اورليان قيصر الروم فخرجت لملاقاته قرب انطاكية وحمص . وكانت الدائرة عليها . ثم أعاد الكرة عليها في بلادها حتى تداعت أمام جيوشه أسوار تدمر . وأخذت زنوبيا أسيرة الى عاصمة الرومان في موكب أوهنها فيه ثقل قيود الذهب في رجليها . وهي غير الزباء ملكة الجزيرة ومشارق الشام التي نهضت للاخذ بثأر أبيها من قاتله جذيمة الابرش — المترجم عن الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ٢١٩ ، ٢٢٧ ودائرة معارف Nuttal وبلوغ الارب للالوسي ص ١٧٧ ج ٢)

وقبل ظهور الاسلام ببضعة قرون وهي الفترة التي أطلق عليها المؤرخون من المسلمين اسم عصر الجاهلية ، ظهر في جزيرة العرب ملكات لم يصل الينا من تاريخهنَّ الاَّ القليل ، منهن بلقيس الحميرية ، وماوية الغسانية ، وهند اللخمية

(لعلها هند بنت النعمان بن المنذر اللخمية . فاذا صح هذا فان هذه لم تملك العرب يوماً ، ولكنها كانت بنت النعمان ملك الحيرة ، وتزوجها عدي بن زيد العبادي الذي بلغ منزلة عظيمة في ديوان كسرى . وعدي هذا هو الذي اجتهد عند كسرى حتى ملك النعمان بن المنذر الحيرة — عن بلوغ الارب ص ٢٦٢ جـ ٢ ، والدر المنثور)

وكثير من ملكات الغسانيين واللخميين والكنديين لم يصلنا من أخبارهنَّ الاَّ القليل فيما لدينا من مصادر . حتى ان بعضهنَّ لا نعرف عنهنَّ الاَّ اسماءَهنَّ . وقد يكون سبب ذلك ندرة المصادر وفقرها من ناحية . أو تحيز المصادر الاسلامية في القرنين الثاني والثالث وعلى كل حال فان ندرة الاخبار عن المرأة في العصور السابقة للاسلام قد يكون فيها بعض الدلالة على ما خسرته المرأة العربية من مزية الظهور في ميدان الحياة العامة

وقد يكون تغير الاحوال الاجتماعية الناشئ عن الاتصال بالأمم والممالك المجاورة سبباً في حرمان المرأة العربية — في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنهُ — النفوذَ والمزايا التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تمتعت بها أختها في العصر القديم . ومهما يكن من الامر فان ذلك كله لايعني ان المرأة العربية في تلك الحقبة أصبحت عديمة النفوذ في الأوجه المختلفة من حياتها الخاصة والعامة . فلقد كانت تتمتع بنصيب من الحرية ، وكانت على اختلاف طبقاتها تمثل دور الزوجة الصالحة والأم الطيبة. كما استطاعت ان تظهر نفسها في هذين الدورين أشد ما تكون قوة واكثرما تكون حرية

أما في الشعر — وقد كان هوى سائداً في جزيرة العرب قبل الاسلام - فقد ظهرت المرأة العربيةظهوراً بيناً . ولم يقتصر ظهور المرأة في الشعر الجاهلي على أن تكون هي موضوعاً للغزل عند الشعراء الغزلين ، يظهرون محاسنها ويتغنون بها في شعر عاطفي ، بل تعدى ذلك الى أن الشريف من العرب وهو على حال بين الحضارة والبداوة طمع في حكومتها الادبية ورفع من منزلة آرائها كناقدة

فهناك قصة امرىء القيس الكندي المعروف بالملك الضليل واعظم شعراء العربية،فقد ظلّ بعد مقتل أبيه جائلاً بين احياء العرب حتى نزل على بني طي وتزوج واحدة من نسائهم تعرف بأم جندب

(تضبط الباحثة أم جندب بفتح الدال والصواب ضمها مع الجيم — عن جورجي زيدان والاعلام للزركلي)

وكان امرؤ القيس معاصراً للشاعر المشهور علقمة بن عبدة

(كتبته الباحثة ابن عبيدة والصواب عبدة بفتح العين والباء — عن الاغاني وزيدان والزركلي)

فتنازعا أمارة الشعر ، ولم يعترف احدهما لصاحبه . واخيراً اقترح علقمة أن تكون الحكومة في هذه الخصومة الادبية لأم جندب ورضي امرؤ القيس بهذه الحكومة. فدعتهما ام جندب ليصنع كل منهما قصيدة من وزن واحد وقافية واحدة يصفان بها الجياد . فلما فرغا من عمل القصيدتين حكمت أم جندب لعلقمة على زوجها امرىء القيس فغضب وطلق امرأته فتزوجها علقمة [1]

وهذه القصة قد تكون خرافية — لأن الخصومة بين هذين الشاعرين ليست موضع اليقين [2] الا أن ظهور المرأة العربية الناقدة في بلاد ظهر فيها كثير من النساء الشواعر المعترف بمنزلتهن الادبية المختلفة ليس امراً بعيد الاحتمال . لأن العربي قبل الاسلام قد اعترف — في الحق — باشتراك المرأة الشاعرة في كثير من النواحي العامة [3]

وفي هذه المناسبة يستطيع المرء أن يذكر اسم الشاعرة تماضر الخنساء أعظم شواعر الجاهلية وهي التي أدركت ظهور الاسلام. واعتنقت الدين الجديد، وكان النبي يعجب بشعرها ويثني عليها [4]

---

(١) الاغاني ج ٧ ص ١٢٦ — ١٢٨

(٢) تاريخ الادب العربي لكليمان هيوار (٣) رياض الادب في مراثي شواعر العرب الاب شيخو اليسوعي (٤) الاصابة لابن حجر ، وشرح ديوان الخنساء الاب شيخو ص ١٩ — ٢٣

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الحياة الدينية التي ترتبط على وجه العموم بالتقدم السياسي والاقتصادي والخير العام للشعب نرى طبقة معينة من النساء كان لهنّ في الجاهلية شأن منظم محدود المعالم . ومن هؤلاء الكاهنة والعرّافة وربة البيت والمتنبئات من حين الى حين . ويظهر أن عملهنّ كان يماثل من وجوه كثيرة عمل من يقابلهنّ من الرجال المعروفين باسم الكاهن والعرّاف ورب البيت والمتنبيء

(من العرافين المشهورين في تاريخ الادب العربي عراف اليمامة وعراف نجد وفيهما يقول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعراف نجد ان هما شفياني

ويقول شاعر آخر

ولو جاء عراف اليمامة يبتغي شفائي لرد الطرف وهو حسير

وفي ربة البيت يقول أحدهم :

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ضمي اليك رحال القوم والقربا)

والمصادر المعروفة لدينا عن الكاهنة في الأدب العربي اكثر من أن تحصى (٥) . والسير القديمة تربط بين هؤلاء الكواهن وبين التيارات الكبرى في سياسة القبائل والهجرات المختلفة .ونذكر على سبيل المثال هنا القصة المشهورة عن الزرقاء

(أشارت الباحثة هنا الى مصدر هذه القصة في دائرة المعارف الاسلامية مادة تنوخ — وهي ليست تحت يدي . ولعلها تريد زرقاء اليمامة المشهورة بحدة بصرها)

التي استطاعت برؤاها وصدق منطوقها أن تكون رائداً لتحرك التنوخيين من اليمن الى بلاد الحيرة (٦)

وهناك ايضاً قصة تعادل هذه القصة في تبيان ما للكاهنة من مقام وهي قصة «طريفة» التي صحبت قبائل أخرى من اليمن الى بلاد الحجاز (٧)

وكان للكواهن شأنهنّ في حرب البسوس بين بكر وتغلب ، وفي واقعة ذي قار (٨) بين العرب والفرس

(سبب هذه الواقعة قتل النعمان بن المنذر اللخمي عديّ بن زيد العبادي وكان عدي من تراجمة كسرى بن هرمز . وقد قتل كسرى النعمان بسبب مكيدة صنعها زيد بن عدي انتقاماً لابيه . فقامت الحرب بين الفرس والعرب — الطبري ج ٢ ص ١٥٢ . بلوغ الارب ج ٢ ص ٢٦٥)

ولقد جاء في مسند أحمد بن حنبل

(ضبطته الباحثة مسند بفتح الميم والصواب ضمها)

ان كاهنة تنبأت لقريش بمبعث الرسول قبل البعثة بعشرين عاماً (٩) وروى ذلك ايضاً ابن

(٥) دائرة المعارف الاسلامية ج ٢ ص ٦٢٤ — ٦٢٦ ، Wellhausen ص ١٣٠ ، والاب انستاس ماري الكرملي ، والاب هنري لامنس في كتابه بلاد العرب الغربية قبل الهجرة طبع بيروت ص ٦٠ (٦) ملحق دائرة المعارف الاسلامية مادة تنوخ (٧) الاغاني ، ومروج الذهب للمسعودي (٨) هنري لامنس المصدر السابق (٩) مسند احمد بن حنبل طبع القاهرة ص ٣٣٢ وتاريخ ابن عساكر المعروف بالتاريخ الكبير ص ٣٦٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عساكر في تاريخه الكبير . وكثيرات من هؤلاء الكواهن ورد ذكرهنّ في وقت النبي — عليه السلام — فهناك « الغيطلة » [١٠]القرشية

(وهي من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة وقيل لاولادها الغياطل . وفيهم يقول ابو طالب عم النبي :

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا بني خلف قيضاً بنا والغياطل

من قصيدته التي يقول فيها عن محمد عليه السلام

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الارامل

يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل

وابن هشام صاحب السيرة يذكر أن بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثر هذه القصيدة — عن ابن هشام ص ١٧١)

وهناك كاهنة بني حدس [١١]وحزام كاهنة بني سعد ، وفاطمة بنت النعمان التي ظهرت في مكة في زمن الهجرة . وهناك كاهنة لم تذكر المصادر اسمها ظهرت في المدينة في قرابة ذلك الوقت [١٢]

ولم يختفِ هؤلاء الكواهن اختفاءً تامـاً[١٣] بعد ظهور النبي الذي كان يقول عنهُ خصومه انهُ كاهن

(وفي كتب السيرة ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن ورأي فيهم . فقال لهم ماذا تقولون في محمد ؟ قالوا : نقول كاهناً . قال والله ما هو بكاهن)

ولقد بدأت سجاح التميمية دورها في ادعاء النبوة — كما سنرى عما قليل — بظهورها كاهنة ولم تكن أعمال الكاهن أو الكاهنة في العادة مقيدة بقيود . وكثيراً ما كان الكاهن يتولى عمل الحاكم الذي يفصل بين الناس [١٤] في الخصومات . ومن الصعب أن نتتبع الكواهن اللائي قمنَ بمهمة الحكم في الأمور الاّ أنهُ ورد لبعضهنّ ذكر في كتب السير[١٥]

وفي بعض الاحيان كانت الكاهنة تقوم على بيت لعبادة الهة معينة فتدعى من أجل ذلك ربة البيت . وخصائص وظيفة ربة البيت لا تبدو واضحة لنا ، ولو ان طبيعتها الدينية الزمنية ليست موضعاً للشك

وربة البيت لا يدور اسمها كثيراً في كتب السير كما يدور اسم الكاهنة ، وقد يكون مردّ

---

(١٠) سيرة ابن هشام طبعة ويستنفلد ص ١٣٢ (١١) المصدر السابق ٧٩٧ (١٢) طبقات ابن سعد ج ١ الورقات ٤٩ ، ١١٠ ، ١٢٦ (١٣) الاغاني ج ٢١ ص ٢٧٥ (١٤) كتاب لامنس السابق ص ١٠٩ ، ١٣٥ ، ١٥٨ (١٥) الاغاني ج ٢١ ص ٢٠٦ يذكر عدداً من هؤلاء ، وكذلك الاب أنستاس الكرملي في كتابه السابق ص ٦٠ وكذلك المستشرق فرايتاج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك الى تغير في مقامها الاجتماعي في العصور القريبة من ظهور الاسلام او الى تغير في معنى كلمة رب . . وربة ، وقد أخذت اولاهما معنى جديداً في الاسلام

ففي الجاهلية كانت اللفظتان تطلقان على الكائنات البشرية ، فلما جاءَ الاسلام صار «الرب» اسماً لله تعالى وحده ،[١٦] اما الربة فلم يعد لها استعمال ديني . وبالرغم من ذلك فقد ظهر في عهد النبوة اثنتان أو ثلاث من هؤلاء الربات[١٧] ولكن واحدة منهنَّ واسمها سارة بنت نبهان اعتنقت الاسلام[١٨] .أما المتنبئات من العرب فانهنَّ يظهرنَ في التاريخ أقل ندرة من هؤلاءِ الربات . وفي الحق اننا نعرف واحدة من اكثر هؤلاءِ المتنبئات نشاطاً — وهي سجاح المشهورة التي سيرد ذكر ادعأها النبوة بعد قليل ، وقد ظهرت حركتها بعد وفاة النبي •

— ٢ —

لقد رأينا (تشير الباحثة الى مقال لها سابق عنوانه « ملكات العرب قبل الاسلام » نشر في المجلة الامريكية للغات والآداب السامية سنة ١٩٤١) كيف كانت الملكات في بلاد العرب القديمة يقدنَ مراراً جيوشهنَّ أو يصحبنَ أزواجهنَّ في غاراتهم . وما كانت الملكة تفعلهُ في الحرب كانت كل امرأة اخرى تفعلهُ . ولهذا ليس بالعجيب ان نجد المرأة العربية في فجر الاسلام تلعب ادواراً عديدة في أيام العرب[١٩] . وفي بعض الاحيان كانت المرأة العربية الباعث على الغارات بين القبائل . وفي بعض الاحيان كانت تستعمل فطنتها لتشترك في الحروب بالتجسس على اخبار العدو حرصاً على مصلحة أسرتها أو قبيلتها . وكثيراً ما كانت تثير الحماسة في نفوس الرجال أو تساعدهم اذا لم تخرج معهم الى ميدان القتال . وكثيراً ما رأينا امرأة دفعت أخاها أو زوجها أو ولدها الى أعمال البطولة . وما اشتهت المرأة العربية من لقب أحلى لديها من أن تلقب بالمنجبة او أم الابطال[٢٠]

ومع ذلك فان مهمة تحريض المحاربين على القتال وبث الشجاعة في نفوسهم الى حد الموت لم تكن متروكة في الغالب الى وطنية المرأة العادية بل كانت بدلاً من ذلك موكولة الى نظام مميز كل التمييز نستطيع أن نسميه نظام المرأة المحرضة أو الباعثة على الظفر[٢١] وفي هذا النظام نرى امرأة من طبقة اجتماعية ممتازة تضرب في قبة لها تمثل بيتاً مقدساً لاله هذه القبيلة ، بينما نرى نساء أخر مختلفات العدد يصحبنها

(١٦) لامنس ص ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٤ (١٧) المصدر السابق ص ١٥٢ (١٨) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٢٧ ، ومقال في مجلة الثقافة الاسلامية التي تصدر بالانكليزية عدد ١٣ ص ٢٩٨ سنة ٣٩ بعنوان « أوائل السابقات الى الاسلام »

(١٩) المرأة في أيام العرب طبع لندن سنة ١٩٣٥ ص ١٣ (٢٠) مقالات في تاريخ العرب تأليف كوسان دي برسفل طبع باريس ، وتاريخ الادب العربي لنيكلسون والاغاني ج ١٦ ص ٢٠ (٢١) جيير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومن هؤلاءِ النساءِ تتكوّن عصبة مقدسة على مشهد ومسمع من الرجال المحاربين وقد يخضنَ معهم الغمرات من مبدئها يحرضنَ الرجال ويغرينهنّ بالقتال وهنّ يغنينَ الأغاني المحمسة مصحوبة بعزف المزاهر

وزعيمة هذه العصبة هي المرأة المحرضة نفسها وقد أرخت غدائرها وكشفت عن بعض جسدها لتثير في نفوس الرجال البسالة والشرف والحماسة . وقد اجتمع الرجال حولها وحول النساء معها وحمي الوطيس الى أن يكتب لقومها النصر او الهزيمة

(روى الطبري ج ٢ ص ١٥٣ ان امرأة من بكر وقفت في واقعة ذي قار تحضض الناس بقولها

ان تهزموا نعانق ونفرش النمارق

أو تهربوا نفارق فراق غير وامق)

ولا شك أن في مزاولة هذه الحرفة دلالة دينية قديمة محاطة بشيء من الغموض ، ولكن أثرها النفسي في نفوس المحاربين لا ينبغي ان يُغفل تقديره (٢٢) فان أسر هذه المحضضة — تبعاً لتقاليدهم في الحروب — معناه خسارة الموقعة. وما يترتب على ذلك من ازدراء النساء اللائي كنَّ سبباً في قهر المحاربين ! اما أسر بقية النساء فانهُ يعني استرقاقهنّ وهوانهنّ

وفي ساعات الحرج ولحظات القنوط — كما حدث في واقعة ذي قار (٢٣) — يجمع الرجال بين أمرين : اما ان يعرقبوا الابل الحوامل للنساء او يقطعوا وُضُنَ الهوادج وحُزُم الرحال حتى يسقط النساء على الأرض وهذه الحيلة التي تعجز النساء في لحظة يتعرضنَ فيها للخطر الداهم — يقصد بها ان تبعد من عقول الرجال كل فكرة ترمي الى الارتداد او الهرب وكذلك ترى الرجال مضطرين الى القتال او الموت

وقد لعبت المرأة دوراً آخر خطيراً في أثناء المعركة وبعد انتهائها (٢٤) : — فكانت منهنّ جماعات أشبه بجماعات الصليب الأحمر خلف خطوط القتال . بينما كان أكثرهنّ شجاعة يتقدمنَ في وسط المعمعة يحملنَ الماء ليسقينَ العطشى من الجنود ويضمدنَ جراحهم . وبعد انتهاء المعركة ترى النساء في الميدان وقد تناثرت فيه الأشلاء ، وامتلأ بالجرحى والساقطين من الاعياء ، يحملنَ عصيًّا وهراوي يجهزنَ بها على المجروحين من أعدائهنّ حتى يسلمنهم الى النزع الأخير . وفي حالات قليلة قد يلجأ بعض هؤلاء النساء الى المثلة والتعذيب الوحشي وتشويه الاجسام ليشفينَ حقد نفوسهنّ الظامئة الى الانتقام (٢٥) .

(٢٢) لامنس ص ١٢٠ — ١٢٥ (٢٣) النقائض ج ٢ ص ٦٤٣ ، ولزيادة البحث أنظر جيير

(٢٤) جيير (٢٥) جيير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مؤتمر
الآلهة الثلاثة

لنقولا الحداد

اجتمع الآلهة الثلاثة القيمون على انسان الارض لكي يبحثوا فيما بلغ اليه من الرقي ويروا ماذا يجب ان يفعلوا لاطراد رقيه . فقال زفس اله القوة — اله السموات والأرض — : أنا وهبته الحياة لكي ينمو ويتكاثر . وقد علمت انهُ ملأ الأرض

وقالت مينرفا الهة الحكمة : انا وهبته العقل لكي يحسن تدريب الحياة في سبيل الرقي وقد علمت انه ظفر بسنن الطبيعة واعتقلها

وقالت استرايا إلهة العدالة . أنا غرست فيه جرثومة الحق الالهي . وقد علمت انه ارتقى به حتى انه اخترع نظاماً جديداً للكون العام هو نظام الاجتماع

فقالت مينرفا : لماذا تحسبين نظام الاجتماع نظام الكون العام ، ولا تقولين نظام الكون الانساني فقط ؟

فقالت استرايا : لأن هذا النظام اقتبسته سائر الأكوان نظاماً فلكيّاً وجرت عليه ، وهي مغتبطة به لأنه وقاها من التصادم

فقالت مينرفا : ان نواة نظام الاجتماع الفلكي هذا هي قوة الجاذبية . فهل الانسان اخترع الجاذبية يا ترى ؟

فقال زفس اله القوة : ان الجاذبية قوة الكون القصوى . وأنا الى الآن لم أعرف سرّ هذه القوة . فاذا كان الانسان قد اخترعها فيكون عارفاً سرها . فاذاً هو قد تجاوز قوتي . ولذلك أسجد له وأطرح سيفي بين يديه

وقالت مينرفا : اذا كان الانسان قد عرف سر الجاذبية او اخترعها فيكون عقله قد تجاوز قوة عقلي الذي وهبته اياه . واذن أسجد له وأسلمه صولجان حكمتي

وقالت استرايا : اذا كان الانسان قد ظفر بسرّ قوة الطبيعة القصوى فظفره لا يضمن لي ان حكمته قد بلغت حد الكمال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقالت مينرفا : سمعاً يا أخويَّ . لقد زودنا الانسان بنعم الحياة والعقل والخلق ؛ وتركناه يدير شؤون نفسه بقوى هذه النعم . ولقد هجرناه هنيهة من الزمن . نخيرٌ لنا ان نعود الى الأرض ونفحص أحواله ونرى الى أي حد بلغ رقيه . فاذا وجدنا انه قد بلغ هذه الدرجة العليا من الرقي نقلناه الى كوكب أرقى لكي يستمر رقيه فيه . وان لم يكن رقيهُ قد تمَّ فلا بأس ان ننقل منهُ بذوراً ونزرعها في الكوكب الآخر

فحبذ الآخران هذا الرأي وارفضَّ المؤتمر على قصد تنفيذ هذه الخطة

***

اجتمعوا بعد التفتيش والفحص لكي يتلوا تقاريرهم

قال زفس : ما وصلت الى الارض حتى استقبلتني سيدة اشتبهت بأني أعرفها ، وقالت: كنت انتظر قدومك

قلت : لماذا ؟ وكيف عرفتِ اني قادم ؟

قالت : انا لوسينا الهة النور وقد جئت لكي أرى ماذا جنى نوري على أهل الأرض وبالطبع أنت . . .

قلت : نعم جئت لكي أرى نتاج الحياة التي وهبتها للانسان . وانتظر ان أراه وقد نما وتكاثر وملأ الأرض

فقالت زميلتي ، لم يملأ إلاّ اوربا وبعض آسيا وقليلاً من القارات الاخرى . فالأرض لا تزال تسع عشرين ضعفاً من سكانها . ومادمت أنا أبعث اليها بنوري وحرارتي ففي امكانها أن تغذي مائة ضعف من بنيه

قلت .. عجباً . بحسب نظرية ملتوس يجب أن تكون الأرض قد امتلأت وأفرغت في سيار آخر عدة مرّات منذ ستة آلاف سنة الى اليوم . فماذا دهى هذا الانسان حتى انهُ لم يملأ الارض بعد ؟

قالت . . هلمَّ أظهرك على ما دهاه

***

وجلسنا في متنزّه الى جنب انسانين أمامهما لوحة عليها أشياء لم أفهمها . فقالت زميلتي هذه ألعوبة يسمونها شطرنجاً . وهذه القطع التي عليها تمثل ملكين ووزيريهما وجنودهما . وهما يتحاربان . فمن يقتل من هؤلاء يطرح خارج ساحة المعركة

وكنت أرى المتحاربين يطرحون واحداً بعد الآخر الى ان بقي واحد فقط . فقلت : وما معنى هذا ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قالت : في الكل الا واحداً بقي الملك له وحده . هكذا يفعل بنو الانسان الآن
قلت : ويحهم كيف ذلك ؟
قالت : تعال وانظر

ومضت بي الى مكانٍ على الارض حسبتهُ جانباً من جهنم اذ رأيت بضعة ملايين من الرجال في صفين يقذف كلٌ منهما نيراناً على الآخر. فقالت زميلتي : ما رأيتهُ في لعبة الشطرنج انما هو تمثيل لهذا الذي نراه هنا الآن . سيظل بنو الانسان يقتتلون الى ان يبقى واحدٌ فقط يكون مالك الأرض

قلت : تبّاً له ! ماذا ينتفع هذا الانسان الواحد اذا فني جميع الناس وبقيَ الملك له وحده أنقاضاً وأطلالاً

قالت زميلتي : بالطبع هو يفنى أيضاً «وتعود الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمةٌ وروح الله يرف على وجه المياه »

قلت : ويلاه ! لماذا فعل هذا الانسان الراقي هذا الفعل الجنوني

قالت زميلتي : الجواب عند الهة الحكمة . هي المسئولة

***

عندئذٍ انبرت الهة الحكمة

قالت : نزلت الى الأرض فاذا بي أرى نيراناً تسقط من الجو وتقذف من سطح الارض، ومن تحت الارض ومن البحر ومن تحت الغمر . فصرخت : « ويحي . هل ضللت الطريق الى الارض فساقني القدر الى جهنم ؟ »

واذا بالمريخ إله الحرب يستقبلني ضاحكاً قائلاً : ليتكِ ضللتِ . وليت القدر ساقك الى جهنم . فكنتِ تجدينها هامدة . انما أنتِ في الارض الآن

قلت : ويحك اظن هذه ثورة جهنمية وهي فعلتك يا شرير

فقال المريخ : لا يا سيدتي . أنتِ تعلمين اني لا أتبرع بل ألبّي الدعوة . دُعيت فاستجبت

قلتُ : عجباً . أيّ شرير دعاك الى هذه الفعلة الشنعاء

قال : ذاك الواقف هناك يشاهد المعركة

قلت : من ذاك ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال : هو نصف إله ويسمى زاراوسترا الجديد ابن نيتشه

قلت : وماذا يريد زاراوسترا الجديد هذا من هذه المعركة الهائلة :

قال : ندعوه ونستجوبه

استدعاه . فسألته : ماذا تريد يا هذا من جرّاء هذه المعركة الطاحنة التي يفني الناس بها بعضهم بعضاً ونحن قد زوّدناهم بكل ما ينميهم ويكثرهم ويسعدهم فلماذا جئت تشقيهم

قال : لم أقصد ان أشقيهم . وانما أريد أن يكون الانسان نصف إله ترشيحاً له لالوهية كألوهيتكم . ولا يمكن أن يصل الى درجة نصف إله ما لم يتصفّ ببوتقة النار والحديد

قلت : ويحك من قال لك انه بهذا التقتيل وهذا التدمير يتصفّى ويرتقي الى الالوهيــة

قال : نعم . بهذا التقتيل يفنى الضعيف ويبقى الأقوى . نحن نريد انساناً متفوّقاً تتسلسل منه سلالة متفوّقة . لذلك استدعيت المريخ لـكي يثير حرب التصفية

قلت : تبّاً لك . من قال لك ان الحرب بوتقــة تصفي الانسان فيفنى الضعيف ويبقى القوي ؟ اني أرى العكس . أرى ان الأقوياء يفنون أولاً والضعفاء يفنون أخيراً

قال : ان داروين وبعض الفلاسفة قالوا ان تنــازع البقاء سنّــة في الاحياء ، ولاسيما في الحيوانات العجماء فالأصلح يبقى . وغير الصالح يفنى

قلت : ولـكن هذه السنة ليست للانسان الاجتماعي المتعاون بل هي للحيوان الاعجم فقط

قال : الانسان حيوان خاضع للسنة نفسها .

قلت : ولـكننا وهبناه العقل والحكمة لـكي يخرج من حكم هذه السنة ، ويبتدع سنّــة التعاون والتضامن الاجتماعية . فأنت قد أفسدت هذا التدبير

قال : لا يا سيدتي . لم يخرجه العقل من دائرة هذه السنّــة . بل بالعكس قوّاه جدّاً في عمل التنازع . فقد استنبط من وسائله وأدواته ما تجاوز التنازع الحيواني الى الف دائرة وراءها . لم يستطع الحيوان أن يخاطب اخاه الحيوان من اوروبا الى اوستراليا ، ولا ان يضغط على زر فتسير السفينة أو الطائرة من تلقاء نفسها بغير أن يكون فيها احد، ويقذف قنبلة فتدك قلعة . ولسوف يستطيع الانسان ان يضغط زرّاً في اميركا فينسف جبال حملايا . هذه افعال عجيبة لا يستطيعها الحيوان . وانما العقل الانساني استطاعها . هذا هو فضل العقل الذي وهبتموه للانسان يا سيدتي

فنظرت في زميلنا المريخ كأني استفهم منه كيف فعل العقل هذا الشر وهو اعظم هبة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهبناها للانسان فقال . الجواب عند استرايا الهة الحق الالهي والعدالة ومصدر الاخلاق الصالحة

***

عند ذلك تقدمت استرايا بوجه شاحب وهي مكفهرة من فرط الحزن والاسى وقالت ، أتأسف أن موهبة الخلق الصالح التي وهبت للانسان قد ذهبت سدًى . ضرب الانسان بها عرض الحائط . لم يزل هذا الانسان حيواناً شرساً على الرغم من انهُ ناطق عاقل ذكي . فهو كما قال زاراوسترا الجديد يسير على سنة التنازع بمنتهى الشدة وقد استعمل العقل الذي وهبتهُ إياه مينرفا الهة الحكمة سلاحاً للتنازع الحادّ

فقال زفس : لا بد ان هناك قوة غريبة عنا أفسدت فيهِ عملنا . والاّ لكان قد ارتقى الى رتبة نصف الالوهية . اعطيناه القوة الحيوية الفائقة والعقل السامي والخلق الصالح . فماذا يعوزه لكي يكون نصف اله ! ان طريقة زاراوسترا في تمحيصه لكي يتطهر من الضعف ويصبح من القوة بحيث يدنو من رتبة الالوهية ، هي طريقة خدَّاعة لانها تفضي الى انقراضه لا الى خلق الانسان المتفوّق . لا بد ان يكون زاراوسترا الجديد هذا من طغمة شريرة أو انهُ مغرور مخدوع

فقالت استرايا : لا بد ان يكون من أبالسة جهنم او انهُ موحى اليهِ منهم وقد ارسل سفيراً الى الارض لكي يفسد الانسان ويمهد السبيل الى فتح الابالسة ملكوت الانسان واستعماره

فقالت مينرفا . لهو الرأي الارجح . فما الحيلة اذن ؟

قال : أظن الرأي الامثل الآن هو ان نذهب الى سيدنا اله الآلهة ونستفتيه في الامر توطئة الى التماس معونته لنا في تطهير الارض من الابالسة الدخلاء الذين أفسدوا الانسان .

فقالت استرايا : اجل اذا لم ينتقَّ الانسان من هذا الفساد فعبثاً نعمل في ترقيته . اني أثني على اقتراح اخينا زفس

ووافقت مينرفا ايضاً

***

امتثل الآلهة الثلاثة لدى اله الآلهة . وبسطوا له قضية الانسان . فما أمهلهم حتى يرووا تفاصيلها . بل نفخ وتأفف غاضباً وقال :— الأجل هذا الانسان الحقير الفاسد لجأتم اليّ ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد ضقت ذرعاً بهذا الانسان منذ زمان وتركته يقضي على نفسه بنفسه . عندي من ادارة الكون ما يكفيني للاهتمام

فقالت مينرفا : ولكن المسألة تحتاج الى قليل من اهتمامك يا سيدنا . حسبك ان تطرد الشيطان من ملكوت الانسان فيتطهر الانسان من الشرور

فقال اله الآلهة ضاحكاً : ويحك . لو طردت الشيطان من مملكة الانسان لما بقي انسانٌ على الارض . لا يبقى الاّ أبالسة الجحيم

فاستغربوا هذا القول وقالت استرايا : كيف ذلك يا مولانا

قال : لان الناس اصبحوا جميعاً شياطين . وأصبح الابالسة يستجيرون من شرور الناس ويضرعون اليّ ان اطهر الارض والجحيم من شر الانسان

فبهتوا وقالت منيرفا : اذاً لقد قطعت الامل من اصلاح الانسان يا مولانا

قال : نعم لم يعد لي في الانسان مسرة ولا مأرب

قال زفس : لعلك يا مولاي اذا استرجعت منه حريته وجعلته لا يسير الاّ بارادتك فلا بدّ ان ينصلح

قال : اذا فعلتُ كما تقول فلا يبقى لنا ذلك الانسان الذي أردته . لا يبقى بينهُ وبين البهيم فرق . فاتركوه وشأنه يهلك بعمل يديه

قالت مينرفا : اذا استمر على هذه الحال يفنى يا سيدي

قال : فليفنَ ، خير للكون ان يتطهر من هذه الخليقة التي اعددنا لها جميع وسائل الرقي وأفسحنا أمامها مجال حريتها ففسدت . وصرنا نخشى ان تتلوث سائر الاكوان بفسادها

فقالت مينرفا : اذا فني هذا الانسان أفلا تخلق يا سيدي خليقة أخرى أصلح للبقاء والرقي منهُ

قال : لقد جربت هذه التجربة فأخفقت . فلا أعيد التجربة مرة أخرى

فقال زفس : ونحن ماذا نعمل يا سيدي متى باد معملنا ؟

قال : ابحثوا عن صناعة اخرى لكم

فقالت : مينرفا . ألا تسلّطنا على دولة الشيطان التي خربت مملكتنا لكي نعمل في تقويضها

قال : بل اذهبوا . وقوّضوا دولة الانسان لان دولة الشيطان جزءت منها . فاذا أرحتم الشيطان من شر الانسان تاب ذاك عن شروره . واذا نجحتم في تقويض دولة الفساد عودوا اليّ فامنحكم أوسمة الشرف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تأثير التحليق

في أجسام الطيارين

ان الحرب الجوية ، في ناحية من نواحيها ، سباق بين قدرة الطائرات على التحليق في الجو ، وبين قدرة المدافع المضادة على قذف قنابلها في الفضاء قذفاً محكماً الى حيث تحلق الطائرات . فمن المشكوك فيه ان الطائرات كانت قادرة أن ترتفع في الحرب العالمية الأولى الى مستوى يزيد على ١٦ الف قدم . ومعظمها كان يطير قريباً من سطح الأرض . ولكن مدى المدافع المضادة للطائرات ودقتها في اصابة الأهداف ارتقيا ارتقاءً عظيماً . وكذلك قدرة الطائرات على التحليق في أطباق الفضاء . فكثير من الغارات الجوية الآن، تلقى فيها القنابل من ارتفاع ٣٠ الف قدم ، وكثير من المعارك الجوية بين المطاردات البريطانية والألمانية دار على هذا الارتفاع أو فوقهُ . والخبراء يقولون ان هناك مدافع مضادّة تقذف قنابلها الى ارتفاع ٣٥ الف قدم ، وانها تحكم رمايتها بأساليب تعتمد على الامواج اللاسلكية القصيرة

ولذلك نرى بين صناع الطائرات الحربية اتجاها عامًّا الى تعزيز قدرتها على التحليق في الجوّ . فالقاذفات الاميركية المعروفة بالقلاع الطائرة تستطيع أن تحلق الى ارتفاع لا تكاد تبلغهُ الطائفة الكبرى من المطاردات الألمانية . ففي وسعها من الوجهة النظرية — على الأقل — أن تغير على مدن أوربا بغير أن تفقد طائرة ما منها . ولكنَّ ذلك يكاد يكون متعذراً من الوجهة العملية ، لا لتقصير الطائرات ولكن لضعف الطيارين اذ لا غنى للانسان عن الهواء . وقد صنعت طائرات تستطيع التحليق الى مرتفعات ليس في طاقة الانسان أن يعيش فيها اذا بلغت أقصى حدودها من التحليق ، فمدار التفوق الجوي على اختيار الرجال الذين يستطيعون التحليق بغير أن يتعرضوا لما يتعرض له غيرهم من أوصاب التحليق

وأهم العقبات دون التحليق هي البرد ، وتفلت فقاقيع الهواء من الدم ، والحاجة الى الاكسجين . والثالثة أهمها . فعلى ارتفاع ١٥ الف قدم يميل الطيارون غير المجهزين بأجهزة الاكسجين المخزون ، الى فقد يقظتهم وتنبههم الذهني وسيطرتهم الدقيقة على جميع حركاتهم . وعلى ارتفاع ١٨ الف قدم يحيق بهم الخطر، وبين ارتفاع ١٨ الف قدم و٢٤ الف قدم يفقدون الوعي وعلى ارتفاع ٢٥ الف قدم تحدث الوفاة في خلال ثلث ساعة الى نصف ساعة . وكمامات الاكسجين تنفع المجهزين بها وتقيهم الى ارتفاع ٣٥ الف قدم وأفضلها الى ارتفاع ٣٧ الف قدم وأغرب أعراض هذه الحالة ، هي جهل المصاب انهُ في خطر . والواقع ان بعض المصابين أميل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى المرح والغبطة وفقاً لتفاقم الخطر الذي يحفّ بهم . ولعلّ أبلغ وصفٍ لهذه الحالة هو أول وصف لها،وقد كتبهُ تيساندييه قبل سبعين سنة عندما ارتفع بمنطاد . وكان هو ورفاقهُ يملكون أجهزة تتيح لهم استنشاق الاكسجين المخزون عند الحاجة اليه ، ولكنهم لم يستنشقوه لأن خفة الضغط أحدثت فيهم ضرباً من الثمل فشعروا بحسن حالهم وهم في الواقع قوب قوسين من الموت او أدنى . فمات رفاق تيساندييه و بقي هو حيًّا يرزق ، فوصف حاله فقال : «على ارتفاع ٢٢٩٠٠ قدم أصبتُ بخدَرٍ ومع ذلك دوَّنت في مذكراتي ما تراءى لي ولكنني لست أدري كيف فعلت . فلما بلغنا ارتفاع ٢٤٦٠٠ قدم كان شعور الخدَر عجيباً .ولكنني مع ذلك لم أشعر بألم ولا أدركت اني في خطر . بل على الضد من ذلك شعرت بغبطة ، فقد كنا ماضين في التحليق وكنا مغتبطين بأننا نحلّق.وتولاّني ضعف شديد على ارتفاع ٢٦ الف قدم فعجزت عن تحريك رأسي لرؤية رفاقي . ورغبت في أن أدعوهم ولكن لساني كان كأنهُ شلّ . وفجأة شعرت انني عاجز عن كل شيء وفقدت وعي»

ان اعراض هذه الحالة الناشئة عن التحليق اشبه ما تكون بأعراض الثمل . فيضعف البصر والسمع ضعفاً بيّناً وتتخدَّر الحواس ويفقد المرء سيطرتهُ على اعصابهِ . والتحول النفسي شبيهٌ كذلك بالتحوُّل النفسي الذي يصيب الثمل،فإما كآبة شديدة وإما ابتهاج وغبطة . وفي الحالين يعجز عن ادراك حقيقة حاله وتضعف قدرته على الحكم السليم ضعفاً متدرجاً ، وفي حالة الذهول التي تسبق الغيبوبة والموت قد يقهقه قهقهة هستيرية او يتملكهُ سخط مفاجئ

إن الغلاف الغازي الذي يحيط بكرة الأرض عمقهُ نحو مائة ميل وهو خليط من الأكسجين والنتروجين والغازات النادرة ، ونسبة مقادير هذه المواد بعضها الى بعض في هذا الخليط واحدةٌ لا تختلف باختلاف الارتفاع عن سطح الأرض . ولكن الضغط يتغير فهو يبلغ ١٤٫٧ الرطل على البوصة المربعة عند سطح البحر،ويهبط الى ثلث ذلك على ارتفاع ثلاثين الف قدم . والواقع ان الاكسجين يُدفع دفعاً في جدران الرئتين الى الدم ،عند سطح البحر بفعل ضغط الهواء ، ثم يوزعهُ الدم في الجسم . فاذا ارتفع المرء وخف الضغط نقص مقدار الاكسجين الذي يدخل الدورة الدموية عن طريق الرئتين ، واذا كان الارتفاع عظيماً جدًّا وخفَّ الضغط كثيراً فاستنشاق اكسجين نقي يولّد من الأجهزة لا يكفي لانقاذ حياة الطيار

ثم ان ضعف الضغط له تأثير آخر ، فهو فقاعات من غاز النتروجين وهذه الفقاعات تبدأ تتولّد على ارتفاع ١٨ الف قدم في سائل الحبل الشوكي ثم تتكوَّن في الدم على ارتفاع ٣٠ الف قدم . وهذه الحالة تشبه حالة الغوَّاص عند ما يغوص ويرتفع فجأة . فاذا لم يخفض الطيّار طائرته فقد يحدث تولدهذه الفقاعات فيه شللاً وقد تليه الوفاة . وربما أفضى خفض الضغط الخارجي على جسم الطيار الى تمدد الغازات في المعدة والامعاء فيحدث تمددها اعتقالاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في العضلات ولذلك يتجنب الطيارون الحربيون أكل الطعام الذي يولد غازات . وقد يدفع الغاز المتمدد الحجاب الحاجز الى فوق ، فيضغط القلب والرئتين ويحدث الاغماء . وهناك اصابات أخرى كانفجار طبلة الأذن أو صداع شديد ناشئ عن انحباس الهواء في احدى الفجوات العظمية في عظم الأنف والوجه او نوبات من السعال العنيف لأن الهواء اللطيف لا يكفي لقذف المخاط او الأجسام الدقيقة من قناة التنفس

ولما كان ضغط الهواء هو الباعث على جميع هذه الأحوال فالحل الأمثل للمشكلة هو صنع الطائرة بحيث يكون الطيار داخلها وكأنه داخل حجرة على سطح البحر . أي ان تبتكر وسيلة لاحاطة الطيار بجو يكون فيه الضغط الجوي طبيعيًّا . وقد جرب هذا الحل من وجهين . أما الأول فرداء يحيط الجسم بطبقة من الهواء المضغوط ضغطاً يعدل درجة الضغط على سطح البحر ، وفي أعلاه خوذة تحيط الرأس والوجه . وقد صنعه أولاً وَيْلي بوست الأميركي سنة ١٩٣٣ واستعملهُ طيارٌ ايطالي في سنة ١٩٣٨ فحلق الى ارتفاع ٥٦٫٠٤٦ قدماً . ولكن الرداء ضخم وحركة مرتديه شاقة، ومجال الرؤية أمامهُ من وراء زجاج الخوذة محدود ولا يستعملهُ جيش ما . أما الطريقة الأخرى فطائرة أحكم سدُّ منافذها وجعل ضغط الهواء داخلها ضغطاً طبيعيًّا . وقد صنعت طائرات للركاب في الولايات المتحدة فثبت ان هذا الحل مستطاع من الوجهة العملية . ولكن هذا المبدأ لم يطبق في الطائرات الحربية لأن البناء على هذا الاساس يزيد الوزن وحركة المراوح اللازمة لتجديد الهواء تستأثر بجانب من الطاقة التي يولّدها المحرك . وعلاوة على ذلك ، لم يكن ثمة ضرورة الى عهد قريب لتجهيز الطائرات الحربية بما يلزم لها للتحليق الى أكثر من ٣٠ الف قدم

وأخيراً هنا مسألة البرد . فحرارة الجو على ارتفاع ٢٠ الف قدم تبلغ ١٢٫٣ درجة تحت الصفر بالميزان المئوي . وعلى ٣٠ الف قدم تبلغ ٤٠ درجة تحت الصفر . وقد وجد ارمسترنج انهُ متى بلغ البرد درجة الصفر وأصبح الطيار مضطرًّا الى لبس القفاز الكثيف ، تهبط قدرة الطيار او كفاءته مقدار ٢٠ في المائة ، فاذا كانت درجة البرد ٤٠ تحت الصفر هبطت كفاءته الى ١٣ في المائة من أصلها، وعندئذٍ يصاب على الغالب بكآبة شديدة، وتصبح مهمته بل حياتهُ لاشأن لها في نظره . والملابس الكثيفة مهما تكن كثافتها لا تجديه كثيراً عندما تكون الحرارة تحت الصفر فصنعت ملابس تدفأ بالكهربية وهي تصلح لأعلى ارتفاع بلغهُ الطيارون ولكنها تستنفد طاقة ثمينة. وفي خريف السنة الماضية (١٩٤١) أوصت ادارة التموين في الجيش الاميركي بصنع اثني عشر الف ثوب من هذه الأثواب المدفأة بالكهربية . ولعلَّ خير طريقة للتغلب على هذه المصاعب الآن ، هي طريقة اختيار الطيارين الذين يفوقون غيرهم في قدرتهم الطبيعية على تحمل الضغط الخفيف والبرد الشديد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المدخل

الى علم الحيوان

للاب أنستاس ماري الكرملي

— ٢ —

٨ — ﴿ الملاحظة السابعة : ما يظهر هذا الدرس من الفوائد ﴾ الآن نذكر بعض الألفاظ التي اهتدينا الى معانيها ، عند الرجوع الى معرفة أصولها . ومن غريب ما اتفق لنا الاهتداء اليهِ : (العيقب) و(العيقُوبة) ، سمعناها في جبل لبنان . بجوار بيروت . فمنهم من أطلقهما على الطائر المسمَّى كوكو ، ومنهم من أطلقهما على المسمى نُوْماً أو ضرباً منهُ ، وقد وجدنا في اليونانية Kikubos تدل على طائرين : الأول هو ضرب من البوم اسمهُ بالفرنسية Chat-Huant وبلسان العلم Syrnium ، وعلى المسمى كوكو ، أي Cuculus والكلمتان العربيتان من كلام عوامّ أهل لبنان ولم نجدها في كتاب عربي يوثق بعربيتهِ . ولا جرم ان هذين اللفظين بوزنيهما الغريبين وصلا الى أبناء لبنان من عهد يونان وهذا من أجلّ غرائب بقايا اللغات المندثرة

ومما اهتدينا اليهِ بفضل معرفة أصلهِ (العَفْد) بفتح العين واسكان الفاء وفي الآخر دال ، قال في التاج واللسان : العفد (بالضبط الذي ذكرناه) الحمام بعينهِ ، أو طائر يشبههُ والجمع عُفْدان . اه . والصواب انه طائر يشبه الحمام كل الشبه ، ولولا طول ذنبه لظنهُ الناس حماماً . أما الحقيقة فانهُ المسمى في لسان العلم بـ Sterna والكلمة يونانية من Apous-Apodos أي بلا رجلين ، لأنه سريع الطيران ولا يكاد يرى واقفاً إلاّ في النُدْرة ويظنهُ الناظر حماماً في هيئته

وقد عرفنا معنى العرناس الذي يقول فيهِ اللغويون ، ولاسيما اللَّيث في كتاب العين : العِرْناس كقرطاس هو طائر كالحمامة لا تشعر بهِ حتى يطير من تحت قدمك (قدميك) فيفزعك كالعُرنوس بالضمّ . فهذا كلام فضفاض لا يَصف ما وراءَه ، أو ما تحتهُ من المعنى ، إذ يدلّ على ان كل مَن يمشي في داره ، أو في أرضهِ يشعر بطائر يطير من تحت قدميه . فهذا كلام بيّن على ان هذا الطائر غير معيَّن الجنس ، ويكون في أغلب البيوت ، ويشمل كل ما كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذا جناحين ، وألِف المكان أيًّا كان نوعهُ ، أو جنسه ، فهو المسمى بالفرنسية Volaille وبالانكليزية Poultry فهو من اليونانية Ornis مبنًى ومعنى . واذا تقرت في كتب متون اللغة الافرنجية الى العربية لا تجد من ذكر هذه اللفظة العربية مقابلاً للفظة الاعجمية ، فالظاهر أنهم لم يهتدوا اليها . كما انك لا تجد في المعاجم العربية من بيَّن هذا المعنى بياناً واضحاً جليًّا ، مصوراً لك الحقيقة كما هي . فهذا نفتح درس الألفاظ الضادية الاستعمال ، والبحث عن أصولها الاولى

ومن أسماء الطير التي اهتدينا اليها الشَرْق «قال شمر : الشرق طائر بين الحدأة والصقر وفي العُباب : والشاهين ، ولونهُ أسود . قال شمر : وأنشد اعرابي في مجلس ابن الاعرابي :

انتفجي يا أرنب القيعان وابشري بالضرب والهوان
أو ضربة من شرق شاهيان

وهكذا فسَّرهُ وجمعهُ شُرُوق ، وهو من سباع الطير . قال الراجز :

قد اغتدى والصبح ذو بريق بملحم احمر سوذنيق
أجدل أو شرق من الشروق

انتهى نقلهُ عن تاج العروس بحروفهِ

والكلمة من اليونانية Kirkos بمعناهُ . وهي مفتوحة الاول في العربية مكسورته في اليونانية ، ولا عبرة في الحركات عند التعريب . فالفِصْح مفتوح الاول في العبرية ، وهو مكسورهُ في العربية . والقِنديل مفتوح الاول في اللاتينية وهو مكسورهُ في العربية . والشَطْرنج مفتوح الاول في الفارسية ، مكسوره في لغتنا وهكذا الى ما لا نهاية لهُ

والعراقيون يعرفون (الخَرب) ككتف . وينسبون اليهِ حكايات شتَّى ، هي أقرب الى الخرافات منها الى الحقائق. وأما كتب اللغة فتذكر الخَرَب وزان السَبَب ، وهو ذكر الحبارى . وقيل هو الحبارى كلها ، ذكراً كان أو أنثى . وهو لفظ ينظر الى اليونانية Arpé وقد قال عليه تومسن في كتابهِ الطيور اليونانية ، Thompson A Glossary of Greek Birds. 35 ان هذا الطائر مجهول أو خُرَافيّ ، وهو عدوُّ النورس ، وصديق الحدأة . وقد سمعتُ مثل هذا القول في بغداد ، وكنت صغير السن . ولا يزال العرب النازلون على دجلة والفرات يَروون مختلف الروايات ، بخصوص الخرب ، وكل واحد يروي حكاية تختلف عن رواية صاحبه ، ولو يجمع ما يسمع منهم ، لتقوَّم من ذلك رسالة ظريفة

ونحن لا نريد أن نمعن في ذكر ما ظفرنا به من التحقيقات العجيبة ، عند البحث عن الألفاظ العلمية ، التي حققنا أعيانها بهذه الطريقة ، فهذا أمرٌ لا يتم إلاَّ في صفحات عدة بل في مجلد ضخم ، فاجتزأنا بما ذكرنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٩ — ﴿ الملاحظة الثامنة : لا يكتفي بعضهم بالمعرَّب بل يشوّهه ﴾ لا يجتزىء بعضهم بالمعرب ، بل قد يشوّههُ ، فيبتعد المصحَّف عن الاصل ، ويتيه الباحث في موضوعه فيضل الطريق . هذه (القُوقُنُس) أو (القُقْنُس) (بقافين) فهي تعريب اليونانية Kyknos فنهم من أبقاها على ما هي ، ومنهم من ذكرها بصورٍ أخرى ، مثل : (قَقْنوس) و (قُوقْنُوس) . وهناك من اختلف في ضبط هذه المعربات الأربعة . ومنهم من جعل القاف الاولى فاء . ومنهم من عكس الأمر

وجاء من حذف من (القوقنس) النون والسين فقال (القوق) ومنهم من جعل القاف الأولى فاءً فقال (الفُوق) والمعنى باقٍ على حالهِ ، وذكرها كثيرون من لغويينا العرب ، وبينهم صاحب لسان العرب ، وتاج العروس ، ، والدميريّ في حياة الحيوان ، وصاحب العباب أي الصاغاني . وغيرهم من اللغويين المحدثين بصور شتى ، ومن أراد التفاصيل في هذا الموضوع فليراجع مقالة العلامة كرلو نلّينو المستشرق الايطالي المدرجة في مجلة المجمع العلمي العربيّ (١٠ : ٧٥ وما يليها) . ونقول مثل ذلك على الطائر الخرافي المسمى (فُينِقَس) Phoinix فقد نقل الى (فَقَنُّس) و (قَفَنُّس) والى تصحيفات لا تُحْصَى وقد تكلمنا على هذا الاسم في مجلة الثقافة ٢ : ٩٩٧ وظنهُ بعضهم (القُوقْنُس) نفسه ، فهذا خطأ على خطاء ، اذ لم يميزوا بين الطائر الحقيقي والطائر الخرافي . ثم زادوه تصحيفاً ان سماه بعضهم (القرقيس) كما فعل القزويني وسماه ابن الفقيه (بنجس) فأين هذه المصحَّفات من الحقيقة الخالية من كل تصحيف

﴿ ١٠ — الملاحظة التاسعة : يجب ان لا تنقل اسماء الحيوان العربية عن المستشرقين الاّ بتحفظ عظيم ﴾ . ليس المستشرقون في درجة واحدةٍ من العلم ، والتحقيق ، والامعان في اللغة ، ففيهم من هم من الدرجة العليا . ومنهم من هم من الدركة السفلى ، ومنهم من هم بين هاتين الدرجتين . ونرى كثيرين من الكتاب المعاصرين ينقلون عن الغربيين بدون أدنى تحفظ ، ولا تورع ، كل ما يجدونهُ من الالفاظ ، والاوضاع ، التي يدوّنونها سمعاً عن بعض عوام ديار الشرق ، فينقلون الينا من الأوهام ما لا يخطر لبشرٍ ولو في الحلم . ونحن نذكر لك بعض الشواهد :

في مستنقعات العراق مالك حزين ، ارجوانيّ الكون نسميه (رُكَيْوِيّ) بضم الراء وفتح الكاف ، واسكان الياء ، يليها واو مكسورة ، فياء مشددة . وهي نسبة الى الركيوة ، مصغر الرَكْوَة (بتثليث الراء) وهي رقعة تكون تحت العواصر ، تكون حمراء دائماً ، وحمرتها معروفة ، وحمرة هذا الطائر المائي تشبهها . ومن ذلك اسمهُ . وقد سمع هذا الاسم (چيزمن)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورفاقه فكتبوها (ارخياوي) لانهم لا يستطيعون تمييز الحروف العربية بعضها من بعض، فنقلها احد كتّاب هذا العصر ، بهذه الصورة ولم يتمكن من ان يعرف ان مثل هذا اللفظ لا ينطق به عراقي لخلوه من مبنىً عربي ، ومن معنى فصيح

ودونك شاهداً آخر يسطو على زرع العراق في بعض السنين ضرب من القَملّ (وهو هوامّ تتلف الزرع وتفنيه) ، يسميه بعضهم الرُقيقة ، تصغير الراقة ، وهي السلحفاة وسميت كذلك لمشابهتها لهذه الدابة المائية ويلفظونها بإسكان الراء ولفظ القافين كافين معقودتين اي Rgégué ويلفظها البعض الآخر (رْكيجة) اي Rgéjé فأخذ بعض الكتّاب يكتبونها (اركيجة) بالف في الأول ، لعلمهم : ان الالفاظ الضادية لا تبتدىء بالساكن بل بهمزة وصل . وزاد آخرون ان قلبوا الهمزة عيناً ، وكتبوها (عركيجة) وهكذا كتبها الانكليز والهنود من علماء الحشرات ، وطبعوها بهذا التشويه . ولم يهمهم الاّ تحقيق اللفظ ثم نقلها عنها العراقيون انفسهم ، من أرباب الصحف ومؤلفي الكتب المصنفة في موضوع حشرات العراق الضارّة . فنشرنا مقالة طويلة في مجلة غرفة تجارة بغداد (٥ : ١٤١ الى ١٥٤) بينّا فيها تحقيق اسم هذه القَمّلة ومترادفاتها ، وكل ما يتعلق بها وأن اسمها العلمي هو Eurygaster

وعندنا من هذه الشواهد ما يقع في كتاب ضخم قائم بنفسه ، فحسبنا التذكير

﴿ ١١ الملاحظة العاشرة : في لغتنا عدة الفاظ تفيد عدة حيوانات فلا يجوز ، حصرها في حيوان واحد ﴾ يرى الأدباء المشتغلون بعلم الحيوان ان في لغتنا كلمة واحدة تدل على عدة حيوانات يختلف بعضها عن بعض . وهو امر لا يرى في سائر اللغى ولما كان بعض المشتغلين بعلم الحيوان ، ممن درسوه في الديار الاجنبية ، وبلغاتهم الخاصة بهم ، لا يرون مثل هذه الاوضاع ، يحاولون ان يسيروا بالعربية كما يسير الاجانب بلغاتهم ومصطلحاتهم ، ونسي ادباؤنا ان مزايا لساننا غير مزايا ألسنتهم ، وان لغتنا هي مجموع لغى عدة قبائل ، فقد تدل الكلمة الواحدة على حيوان في قبيلة ، وتدل على حيوان آخر في قبيلة اخرى . وقد تتفق جميع القبائل على حيوان واحد، للفظ واحد وقد يختلف المدلول حتى ليدل على حيوانين أو ثلاثة أو اكثر فيكون من الخطأ توحيد تلك المعاني ، ومن الخطا ايضاً ان يقال : ان القبيلة الواحدة وضعت للفظ الواحد ما يدل على حيوانين في وقت واحد ، أو ثلاثة أو اربعة أو أكثر من ذلك .

والذي سبّب هذا التشويش والارتباك ان اللغويين لم ينسبوا في دواوينهم اسم القبيلة التي كانت تستعمل اللفظ الفلاني بالمعنى الفلاني ، بيد ان العاقل يهتدي بسهولة الى اختلاف المعاني ، اذ من المحال ان تستعمل القبيلة الواحدة لفظاً واحداً ، لتدلّ به على حيوانات مختلفة ، ونحن نذكر هنا بعض تلك الالفاظ (راجع ما كتبناه في الملاحظة الثانية)

﴿ ١٢ الملاحظة الحادية عشر : قد تعرب الكلمة الدخيلة بصور شتى ﴾ قد تعرب الكلمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدخيلة بأوجه شتى. إما لان الواحد يجهل ما وضعه من سبقه ، واما لأن الواحد لا يستحسن ما وضعه من سبقه ، أو لأن الكلمة التي وضعها من سبقه تخالف بعض الاصول العربية في احكامها

فقد عرّب بعضهم اليونانية اوقيانوس ôkeanos بصورتها الاصلية أي (اوقيانوس) ، وربما قالوا بحر اوقيـانوس . قال القزويني : « ان البحر الذي في مغـرب المعمورة ، على ساحل بحر الاندلس ، يسمى البحر المحيط ، ويسميه اليونانيون اوقيانوس » وقد سماه بعض السلف بحر اوقيانوس . ومعنى الاوقيانوس المحيط قال صاحب تاج العروس في مادة (ك ب ر ت) نقلاً عن القزويني « . . . الكبريت الأصفر ، وان معدنه في المغرب في موضع بقرب بحر اوقيانوس » . وقد اختلف الكتاب في رسم هذه الكلمة الغربية فجاءت بصور مختلفة مثل : الاوقيانوس ، والأقيانوس ، والاوقيانس ، والاوقينس ، والاقيانس ، والقينس (كزينب) وقد وردت في كتاب قصص الأنبياء لمحمد بن عبد الله الكسائي طبع ليدن سنة ١٩٢٢ ص ٩ ، وهذه عبارته : « ثم خلق الله سبعة أبحر ، فأولها اسمه بيطش ، وهو المحيط بالارض ، من وراء جبل قاف ، ومن ورائه بحر اسمه الاصم ، ومن ورائه بحر اسمهُ قَـيْـنَـس» اه — والقاموس كما هو مذكور في جميع كتب اللغة ، والافريدوس . ذكره البستاني في محيط المحيط في مادة (ف ر د س) ، وهذه عبارته : أفريدوس ، اسم البحر السابع المحيط بالأرض ، او هو تحريف الاوقيانوس . » اه — ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وهو منقول عن فريتغ ، وهو مورده الأعظم . وفريتغ يقول انهُ نقله عن دساسي De Sacy في ٢ : ٢٥٣ . وهذان المستشرقان لم يضبطا الكلمة . فالتقييد من المعلم بطرس البستاني وجاء فيه في كتاب عجائب البلدان وهو لعلي بن عيسى وهو من مخطوطات خزانتنا هو «بحر محيط بالارض ، الا ان السفن لا تجري فيهِ ، لأن حواشي الأرض مكفوفة هناك كف الثياب» (كذا). وعقيون قال في القاموس : وعقيون كصهيون: بحر من الريح تحت العرش فيهِ ملائكة من ريح ، معهم رماح من ريح، ناظرين الى العرش ، تسبيحهم سبحان ربنا الأعلى

١٣ — ﴿ الملاحظة الثانية عشرة : كيفية تعريب الكلمة الاجنبية ﴾ في جميع لغات الدنيا ترى كلم ممدودة ومقصورة ، أي فيها حروف علة ممدودة ، وفيها حروف علة غير ممدودة . وقد وضع علماء اللغة السامية علامات لذلك حفظاً لسلامة اللفظ من تشويهه . وكان السابقون الى ذلك علماء اللغة العبرية ، فالارمية ، فالعربية ، الى غيرها . أما علمـاء اللغى اليافثية ، فانهم لم يضعوا مصطلحات لها . وهم يتلقونها ممن سبقهم ، وذلك لفظاً لا رسماً ، كاللغات القديمة من لاتينية ويونانية ، وسكسونية . وأما أرباب الالسنة الحديثة ، كالايطالية والفرنسية ، والاسبانية ، والانكليزية فانهم جاروا أصحاب اللغى القديمة ، لـكنهم حاولوا وضع بعض العلامات . بيد انها لم تعم البلاد ، ولا العباد . فبقوا يتلقون تلك الاصوات من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخذ ، والسماع ، والتقليد لا من باب التقييد والتدوين . واذا كان الامر كذلك ، فلا يحسن بمن ينقل الكلمة الافرنجية الى العربية ، ان ينقلها بحروفها كلها ، بل يراعي حروف المدّ ، وحروف القصر في الكلمة ، فيرسم (الممدودة بأحرف علة) و (غير الممدودة بالحركات) ، لوجود هذه العلامات عندنا وخلوها من سائر الالسنة كما ألمعنا اليه . فيجب اذن ان يرسم الكردنال والأسقف والمطران ، والبطرك ، كما رسمناها هنا ، لا كما يفعل بعضهم فيكتبها : كاردينال ، وأپِسْقُوبُوس ، ومَتروبوليتانوس ، وباطريارخوس ، الى نظائرها المخالفة لاصول النقل الى العربية . وهكذا يقال في علم الحيوان والنبات والجماد . فان كُتَّاب هذا العصر ، من نقلة الالفاظ الافرنجية ، جاؤونا بمصطلحات تنوء بها الجبال لثقلها ، وتنفر منها الطباع[1]

١٤ — ﴿ لا يحق للشعوبية أن ينسبوا القصور الى العربية ﴾ كنت أسمع — وأنا صغير — ان بعض الذين تلقوا العلوم والآداب في المدارس الاجنبية ، كانوا يقولون ان العربية لا تؤدي الرسالة العلمية التي تؤديها سائر اللُّغى الأجنبية . وهؤلاء الناس هم شعوبية يكرهون كل ما يتعلق بالعرب . ولو أنصفوا لجاروا المستشرقين المعاصرين الذين يتعجبون من ان اللغة المُضَريّة أدَّت خدماً عظيمة لا توصف في العصر العباسي — الذي يسميه بعضهم القرون الوسطى ، فان علماء ذلك العهد ، عالجوا جميع العلوم ، والفنون ، والصنائع ، حتى انهم لم يبقوا كتاباً يونانيًّا علميًّا الاّ نقلوه الى لغتنا الضادية ، لا بل وضعوا بعض المصطلحات في البلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، والتصوّف ، وعلم الكلام ، والفقه ومختلف الصنائع لم يتمكن الى الآن علماء الغرب من وضع مجانسات لها في لغاتهم . فهل يقال بعد هذا العربية مقصّرة في آداء واجباتها ؟ —

زد على ذلك ان في اوضاع العرب ، ما لم يكن يظن انها في لغة مُضر . انظر كيف انك تجد فيها اسم (البَغر) وهو الياك Yack قبل ان عرفه اهل الغرب . وتكلموا كلاماً طويلاً على القوق Kuknos قبل ان يطلق الغربيون لسانهم على هذا الطائر . وقد وصفوا الصِرّ وهو الطائر المسمى بالكناري عند بعضهم ، قبل ان يضع له الأفرنج كلمتهم المأخوذة من اسم جزيرة الخالدات . ونحن لا نريد ان يطول نفسنا في هذا الموضوع اكثر من هذا ، لاننا نكون قد تكلمنا في بحث تضيق فيه الصدور على غير جدوى

هذا ما أردنا تبيانه والبحث طويل ذو شجون ، فاكتفينا بهذا القدر

(١) أشار الاب الكرملي الى وضع حروف عربية وعلامات ضبط جديدة للحروف الغربية فتعذرت تهيئة بعض الرسوم المقترحة للطبع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فضائل الصلاة

الصحية

للدكتور شوكت موفّـق الشطي

ب — إقام الصلاة وفوائدها الصحية

لا بدّ لنا قبل البحث عن فوائد الصلاة الصحية ان نعرّف الصلاة عند المسلمين وأنواعها وشروطها وحركاتها فالصلاة في اللغة الدعاء وفي اصطلاح المسلمين عبادة بدنية لا نيابة فيها أصلاً تتم بأقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة ، مفتاحها الطهور والوضوء وهي من أجل الاركان بعد الشهادتين . تنقسم الصلاة الى أنواع منها الصلاة المفروضة والصلاة النافلة وهي تشمل المسنونة والمندوبة أما أوقات الصلاة فهي خمس على كل مكلف وهي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء . ولابدّ لصحة الصلاة من شروط منها الطهارة من الحدث وطهارة الجسد والثوب والمكان حتى موضع القدمين واليدين والركبة والجبهة ولها أركان منها القيام والركوع والسجود والرفع منهما

القيام — يفرض على المصلي أن يقف منتصباً معتدلاً الى أن يركع

الركوع — هو انحناء الصلب حتى يستوي الرأس بالعجز بحيث يمكن مس الركبتين باليدين وكمال الركوع أن يمد ظهره مستوياً ويجعل رأسه بأزاء ظهره وأن يسوي الراكع بين ظهره وعنقه

السجود — هو مرتان في كل ركعة والحد المفروض في السجود أن يضع بعض كل عضو من الأعضاء السبعة الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين) ويشترط في السجود أن يكون على يابس تستقر جبهة المصلي عليه . ويفرض على المصلي في الرفع من الركوع والرفع من السجود الاعتدال والطمأنينة . وقد فسر الرفع والاعتدال والطمأنينة هو ان يعود المصلي في الرفع من الركوع الى الحالة التي كان عليها قبل ان يركع من قيام او قعود مع طمأنينة فاصلة بين رفعة من الركوع وهوية للسجود واما الرفع من السجود الأول وهو المسمّى بالجلوس بين السجدتين فهو ان يجلس مستوياً مع طمأنينه بحيث يستقر كل عضو في موضعهِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويجب ان تكون حركات الصلاة مرتبة الاركان بأن يقدّم القيام على الركوع والركوع على السجود وهكذا بحسب ترتيبها الوارد في الحديث الشريف (اذا قمت الى الصلاة فكبّر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها) وللصلاة سنن منها رفع اليدين عند الشروع ومنها وضع اليد اليمنى على اليسرى تحت سرته ومنها تفريج القدمين حال القيام بحيث لا يقرن بينهما ولا يوسع الا بقدر ومنها ان يضع المصلي يديهِ على ركبتيهِ حال الركوع وان تكون اصابع يديهِ مفرجة وان يبعد الرجل عضديه عن جنبهِ ومنها ان يسوي بين ظهره وعنقهِ في حالة الركوع وان يسوي رأسه بعجزه ومنها أن ينصب ساقيه وان ينزل الى السجود على ركبتيهِ ثم يديهِ ثم وجهه وبعكس ذلك عند القيام من السجود بأن يرفع وجهه ثم يديهِ ثم ركبتيهِ ومنها ان يبعد الرجل في حال سجوده بطنه عن فخذيه ومرفقيه عن جنبيه وذراعيهِ عن الأرض ومنها الجلوس بهيئة مخصوصة ومنها الالتفات بالتسليمة الاولى جهة اليمين حتى يرى خده الأيمن والالتفات بالتسليمة الثانية جهة اليسار حتى يرى خده الأيسر . أما عدد ركعات الصلاة فسبع عشرة ركعة فرضاً و (٣٧) ركعة من وتر وسنة ومندوب ومستحب

فاذا أنعمنا النظر فيما مرَّ رأينا ان على المسلم تخصيص مدة لا تقل عن ساعة ونصف الساعة للوضوء ولاداء الصلاة والقيام بحركاتها التي لا تكاد تترك مفصلاً من مفاصل الجسم المتحركة دون ان تحركه وتحرك معه معظم عضلات الجسم

ولا يخفى ان وظيفة العضلات لا تقف عند حد تحريك الاطراف وانتقال البدن من مكان الى آخر فحسب بل لها فعل أعظم وأهم وهو تأثيرها النافع في جميع وظائف البدن اجمالاً كفائدتها في الدوران والغذاء وحصول الحرارة البدنية الغريزية وهي كذلك تهيء بيئة داخلية ثابتة وتنشط القوة الضرورية لأعمال الفكر

تعد الصلاة عملاً رياضيًّا عظيماً يدخل في زمرة الرياضة المعتدلة . ولا يخفى أن الانسان لا يكون حرًّا في أوقاته وعمله لذلك كان لا بد له من تنظيم رياضة او تمرينات خاصة به ليستفيد في وقت قصير أقصى ما يمكنهُ من فائدة

والصلاة بتوقيتها واعتدالها وما يسبقها من وضوء وطهارة وغسل أحياناً أفضل الرياضات لأنها رياضة طبيعية تشبه بنتائجها نتائج الرياضة الغريزية او السويدية وتتفوقها بانتظام توقيتها وتكرارها خمس مرات في اليوم فحركات الصلاة طراز غريزي في الرياضة وبتأثيرها الحسن في العضلات والمفاصل والعظام وتنشيط نموها وعملها تفيد في المحافظة على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تناسق الجسم وجماله ولها مع ما يسبقها من وضوء تأثير مبهج ممرح ومنشط وهذا فضلاً عن تأثيره الروحي العظيم

الصلاة فرض على كل مسلم عاقل تؤمر بها الأولاد شرعاً لسبع سنين . وهو الزمن الذي يبدأ فيهِ الولد يصرف جانباً من وقتهِ للدراسة او لتعلم صنعة من الصنائع فتقل رياضته التي كانت قبل هذه السن غريزة فيهِ مع ان حاجته الى النوع المعتدل منها في هذا الزمن شديدة جدًّا فقيامه بالصلاة الذي يؤمر بها شرعاً في هذه السن تسد قسماً من حاجة جسمهِ الى الرياضة

ولا تقل الحاجة في اليفع والمراهقة والبلوغ الى الرياضة عما في الاطفال والاولاد . وكذلك الامر في الكهولة والشيخوخة لذلك حشرنا الرياضة بالصلاة في زمرة رياضات العمر. ويلاحظ الباحث ان المتروض بالصلاة كما جاء بها الشرع والمؤدي لها على أتم وجوهها صحيح الجسم ، قوي الارادة ، حسن الاعتماد على نفسه ، جلداً على الطوارىء أكظم لغيظهِ وأضبط لنفسه عند الغضب او الخطر ويكون كذلك أحزم وأشجع وأعلى نظراً في الحياة كريماً محبًّا للخير والنفع العام لان في الصلاة علاوة على الحركات البدنية النافعة معاني نفسانية جسيمة وتذكيراً للامر بالمعروف والنهي عن المنكر لذلك فرضت الصلاة على المسلمين طول الحياة ليروّضوا بها اجسامهم ونفوسهم وليحسنوا بها ظاهرهم وباطنهم في آن واحد . وللصلاة ايضاً فوائد خاصة علاوة على فوائدها العامة نجمعها فيما يلي : —

١ — صلاة الصبح : يكون اداؤها في وقت معين وهو من طلوع الفجر الصادق الى قبيل طلوع الشمس ويؤدي اداء هذا الفرض الى تعويد الانسان التبكير في اليقظة من النوم وتنظيف أعضاء الجسم المكشوفة وتنشيطها وتنبيه اجهزة النفس والدوران والاغتذاء وتفتح شهيتهِ الى استمراءِ طعام الصبح وسرعة هضمه وتدعوه الى تنظيم اعمال ذلك اليوم الدنيوية وتدبيرها بهمة ونشاط دون فتور وملل

٢ — صلاة الظهر : ووقت اداء هذا الفرض يبدأ من الزوال الى ان يصير ظل كل شيء مثليه فان أديت هذه الفريضة في بدء أوانها أذهبت عن الجسم ما لحقه من تعب في الجد والعمل وأزلت عن النفس ما لحقها من غم وهم ونبّهت جهاز الهضم وغيره من الأجهزة فزادت الرغبة في الطعام ومتى كان الطعام مأخوذاً عن رغبة وشهية كانت فائدته للجسم أعم وأنفع . وان قام المصلي بأداء هذا الفرض في آخر وقته كان قيامه بهِ داعياً الى تسريع هضم طعام الظهر عدا ما فيهِ من فوائد عامة

٣ — صلاة العصر : ووقت أداء هذه الصلاة من انتهاء زمن الظهر الى غروب الشمس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتعرف هذه الصلاة بالصلاة الوسطى والأوامر بالمحافظة عليها كثيرة ولها من الفوائد الخاصة ان التكاليف بادائها مواقت لزمن يكون الانسان فيه منهمكاً بفكره وجسمه فان لم يروّض عن نفسه بتنشيط فكره وجسمه ولّد ذلك فيه بعض الاضطراب الذي لا يلبث ان يزداد مع الزمن . ويناسب وقت اداء هذه الصلاة وقت الهضم فيسرع بالصلاة وتتيسر تطوراته

٤ — صلاة المغرب : وزمن أداء هذا الفرض بين غروب الشمس والشفق الأحمر وله من التأثير الخاص في الجسم واتمام الهضم ما لوقتي الظهر والعصر

٥ — صلاة العشاء : وزمنها من الشفق الأحمر الى الصبح فان أقيمت صلاة العشاء قبل طعام العشاء كانت منبهة للرغبة فيه وان أديت قبل النوم كانت مسرعة لهضم طعام المساء

وعدا ذلك فان لحركات الصلاة الخاصة منافع جسيمة في كثير من الأمراض بدأ العلماء يعرفون فضائلها ويوصون مرضاهم بها فالركوع بتقليصه عضلات البطن يقوي هذا الجدار ويمنعه عن الاسترخاء وينبه حركات الأحشاء والامعاء فيتخلص الشخص من ربقة القبض الشديد الضرر. وأما السجود فيعرف طبيًّا بالوضعة الركبية الصدرية يقلّص عضلات البطن تقليصاً أعم وأشد ويحرك الحجاب الحاجز وينبه المعدة فيدفع ما بها ويخلصها من الوقوع في مرض التمدد المزعج ويقيها من مرض بلع الهواء (aérophogie) الكثير الظاهر . وقد أصبح نفع هذه الوصفة في مداواة بعض أمراض المعدة والوقاية منها أمراً ثابتاً ومدرسيًّا وللصلاة أثر ايضاً في ادامة راحة الفكر ولذلك قيمة كبيرة في صحة الجسم فان في الاستسلام بالصلاة لخالق السموات والأرض القوي القادر على كل شيءٍ الفعَّال لما يريد أثراً في شفاءِ كثير من الامراض الروحية التي لم تعرف بعد لها تغيرات تشريحية تناسب مظاهرها وأعراضها . وربما كان سبب الشفاء بالايمان والاعتقاد في مثل هذه الحوادث نشاط غدد صم كسولة وتنبه فروع دقاق للعصب السمباتي الغريب التأثير الكثير الأفعال في الجسم والذي لم يسبر بعد غوره تماماً . ولم يكشف العلم عن جميع أسراره وخفاياه . وباعتقادي انه ما من طبيب ممارس إلاّ وقد رأى خلال ممارسته حوادث شفاءٍ لا يستطيع تأويلها بما عرف عن علم الطب حتى الآن وكان للايمان والاعتقاد أثر كبير في توجيه المريض شطر الشفاء

هذا ولا يسعني أن أختتم هذا البحث دون أن أنبه الى بعض مقاصد الصلاة فليس المقصود بالوضوء والغسل والصلاة تنظيف الظاهر بالماءِ فحسب بل فيهِ أيضاً دعوة الى تنظيف الباطن من الأخلاق الرذيلة. وقد قصد الشارع الحكيم أن يغرس في الناس خلق نظافة الظاهر ليطهروا بواطنهم ويغيروا من قبيح أخلاقهم بالجميل منها . وفي الصلاة أيضاً اشراب القلوب بالحرية وتعويد المساواة والاخاء وتعويد النفوس الطاعة لمن تجب له الطاعة والسلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحدة الكون

للشاعر السكندناوي بويزن

قرابة مقدّسة لا أتخلّى عنها

تربطني بكل ما يتنفّس

انا ابن الارض والبحر والهواء

أنشدَتْ العواصف «السلورية»[1] الجشّاء هدهدتي[2]

وفي أشكال دائمة التغيّر

من شجر وطير ووحش

كوّنت الأعصر الجاهدة شكلي

ان هذه الاسلاف الضخمة قد تركت

من نفوسها العظيمة في نفسي، نفحةً

تتحدى الموت. أنمو وأزهر كالشجر

شاعراً بجذور ارضية ذاهبة في الأعماق

تربطني بالتراب. ولكن مع فروعها الذاهبة في الفضاء

ترتفع نفسي الى ملك النور والنهار

---

(١) العصر السلوري أحد العصور الجولوجية في الحقبة الاولى (القديمة الحياة) يليه العصر الديفوني (الحجر الرملي) فالعصر الكربوني (٢) هدهدت الام الصبي حركته او غنت له لينام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

لمحمود مصطفى الدمياطي

الغرض من وضع اصطلاحات علم النبات في لغتنا العربية انما هو ايجاد لفظ عربيّ دقيق يقابل اللفظ الانجليزيّ أو الفرنسيّ الذي اعتمدوه في ذلك العلم ويؤسفني انهُ لا يوجد في المعجمات التي بين أيدينا ما يمكن تسميته بالاصطلاحات النباتية بالمعنى العلميّ الصحيح كما أن ما وضعهُ الباحثون في هذه الناحية الى الآن — فضلاً عن قلّتهِ اذا قيس الى اتساع نطاق ذلك العلم — ينقصهُ بعض الدقة في الاستقصاء ويعوزه التوحيد والاتفاق . ولاشك في أن وضع هذه الاصطلاحات حسبما ذكر وتداولها من شأنهما تيسير سبل الدراسة والبحث في هذا العلم وتحريره من عوامل الغموض وعدم الدقة في اداء المعاني الاصطلاحية . ولهذا رأيت أن أنشر تباعاً بعض ما اجتمع لديّ من هذه الاصطلاحات على ما وسعهُ جهدي ليكون موضع النظر لدى الهيئات العلمية ذات الاختصاص من أساتذة الجامعة وأعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية وأساطين الباحثين في هذا الباب ولاسيما الأمير الجليل مصطفى الشهابي والدكتور أمين باشا المعلوف من رجالات القطر الشقيق وهما من يرجع اليهما الفضل في وضع كثير من هذه الاصطلاحات ونشرها في مجلتي المجمع العلميّ العربيّ والمقتطف الأغر . ويهمني أن تتناول هذه الهيئات الموقرة والباحثون الفضلاء الاصطلاحات التي سأنشرها بالنقد والتمحيص ناظرين الى ما وضع ازاء كل منها من تعريف . أما الطريقة التي اتبعتها فيما تقدم فهي ردّ الألفاظ الاصطلاحية الانجليزية أو الفرنسية الى أصولها في اللاتينية والاغريقية للوقوف على مدلولاتها اللغوية في هاتين اللغتين ولمعرفة أصل اشتقاقها ثم الرجوع بعد ذلك الى المعجمات العربية لاختيار لفظ يدلّ على المعنى المنشود فاذا تمّ لي ذلك بحثت معنى الاصطلاح من الناحية العلمية بالرجوع الى كتب النبات ثم نقلته الى العربية

وأرجو أن اكون بهذا قد وفقت لخدمة هذا العلم ولسدّ الفراغ الذي تشعر به المكتبة العربية والله الهادي إلى خير طريق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ بيت الأقاروس ﴾ acarodomatium هو بيت صغير مهيئهُ بعض النباتات للأقاروس وهو جنس دُوَيِّبات الحِكَّة (الجَرَب) والحَجَن . والذي يستنتج الى الآن من ذلك ان هذه الأنواع من النباتات تدع الدويبات الآنفة الذكر تأوي اليها وتهيء لها وقاء من هذه البيوت ليعيشا معاً معيشة تضايف [1] يتبادلان فيها النفع

﴿ التبخّر المطلق ﴾ [2] absolute transpiration (transpiration absolue) هو ما تثبته التجربة من متوسط ما يفقده النبات من الماء

﴿ المَجْزُوم ﴾ [3] abrupt, premorse (abrupt,e, f., mordu) هو الذي يظهر كانهُ مقطوع من اسفله أو اعلاه . ومثاله الجذر المجزوم في النبات يكون أسفله منتهياً بغتة . كذلك الورقة المجزومة يبدو جزؤها العلويّ كأنهُ ناقص بل كأنهُ مبتور بشَفْرة حادّة كما في اوراق شجرة الزَّنْبَق [4]

﴿ الانْحِجَاز ﴾ abjunction هو ان يتكوّن في طرَف الحامل الغُبَيْرِيّ [5] حاجز فتنشأ معهُ غُبَيْرَة [6]

﴿ الحسَكَة ﴾ acantha, spine, prickle (épine) هي الشوكة . ولفظة حسكة اي acantha بالاغريقية تجيء سابقة في الاصطلاحات المركبة مثل acanthocarpous ومعناها الحسكيّ الثمر و acanthocladous ومعناها ذو الفروع الحسكيّة

﴿ الحسَكيّ ﴾ acanaceous (épineux, euse, f., herissé, e. f.) هو كل شائك من النبات . ويطلق على قسم (شَعْب) من النباتات الشائكة تكوّن أزهارها وبذورها رأساً كالحسك [7]

﴿ التحلّل ﴾ abstriction حالة عامة تشمل حالتي الانفصال والقَذْف فيما يختص بالغبيرة كما سيأتي بعد

﴿ الريشيّة الناقصة ﴾ [8] abruptly pinnate, equally pinnate, paripinnate (abrupti-pennée, pari-pennée) هي ورقة ريشية مركبة من وريقات منسقة على جانبي

---

(١) symbiosis واصطلح مجمع فؤاد الاول اللغة العربية على تسمية هذه الكلمة « بالتكافل »

(٢) ويقال له « النتح المطلق » ايضاً (٣) اصطلح الدكتور جورج بوست الجراح والنباتي الاميركي المشهور على مجذوم بالذال وكلاهما واحد (٤) اسمها العلمي Liriodendron tulipifera L. وبالانكليزية tulip-tree وبالفرنسية tulipier وفصيلتها المغنولية Magnoliaceae

(٥) sporophore (٦) spore اصطلح بوست على « غبيرة » (واحدة تصغير الغبار) واعتمد مجمع فؤاد الاول للغة العربية لفظة « البوغ » (ج . أبواغ)

(٧) اسمه العلمي Onopordon و Cnicus و Carduus وبالانكليزية thistle

(٨) اصطلح بوست على كلمة « الريشية الشفعية »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ضلعها الوسطى (عَيْرها) وليست في نهايتها وريقة فرديَّة أو عِطْفَة (عِرْناس) [١] كورقة شجر التمر الهنديّ (العَردِيْب)

❁ المُسْرِع ❁ accelerator, activator (accélérateur, activant, e, f,.) هو اية مادة تزيد فعل الأنزيم

❁ الشاذ ❁ aberrant كل نبات يتميَّز في بنيته بصفات تخالف الصفات الثابتة لجنسه أو نوعه

❁ الشذوذ ❁ هو ظهور خاصَّة في نبات لا تنتقل بالتوارث الى نسله لسبب يرجع عادة الى البيئة

❁ التضايف مع الأقاروس ❁ acarophily, acarophytism هو تبادل النفع بالتضايف بين النباتات والأقاروس كما تقدم في بيت الأقاروس

❁ الطبقة الفاصلة ❁ absciss layer, abscission layer هي طبقة من الخلايا البارنكيميَّة تنشأ في قاعدة رُجَيْلة الورقة (ذنيبها) أو في قاعدة الفرع أو تنشأ دفينةً في النَّجَب (القِلف) [٢] فيتسبب عنها انفصال الورقة أو الفرع أو انفصال قشرة من النجب

❁ عادم الساق ❁ acauline, acaulose (acaule) هو الذي يظهر كأن لا ساق لهُ كنبات زهر الربيع [٣]

❁ الفاصل الشبيه بالفلّين ❁ abciss-phelloid هو الخلايا غير المستحيلة الى فلين من الطبقة الفاصلة من النجب

❁ الانفصال ❁ abscission هو التساقط المطّرد لجزء من أجزاء النبات بسبب الطبقة الفاصلة وهو أيضاً انفصال غبيرة فطر بانكسار جزء عقيم من الحامل الغبيريّ

❁ القذف ❁ abjection هو أن تنقذف غبيرات الفطر من الحامل الغبيريّ

❁ المقَصَّر ❁ abbreviated لفظة تستعمل للمقابلة في وصف شيئين متجاورين للدلالة على أيهما أقصر من الآخر . ومثاله الكأس المقصرة في الزهرة فهي أقصر من جارتها انبوب التويج [٤] كما في زهرة حشيشة الرئة البحرية [٥]

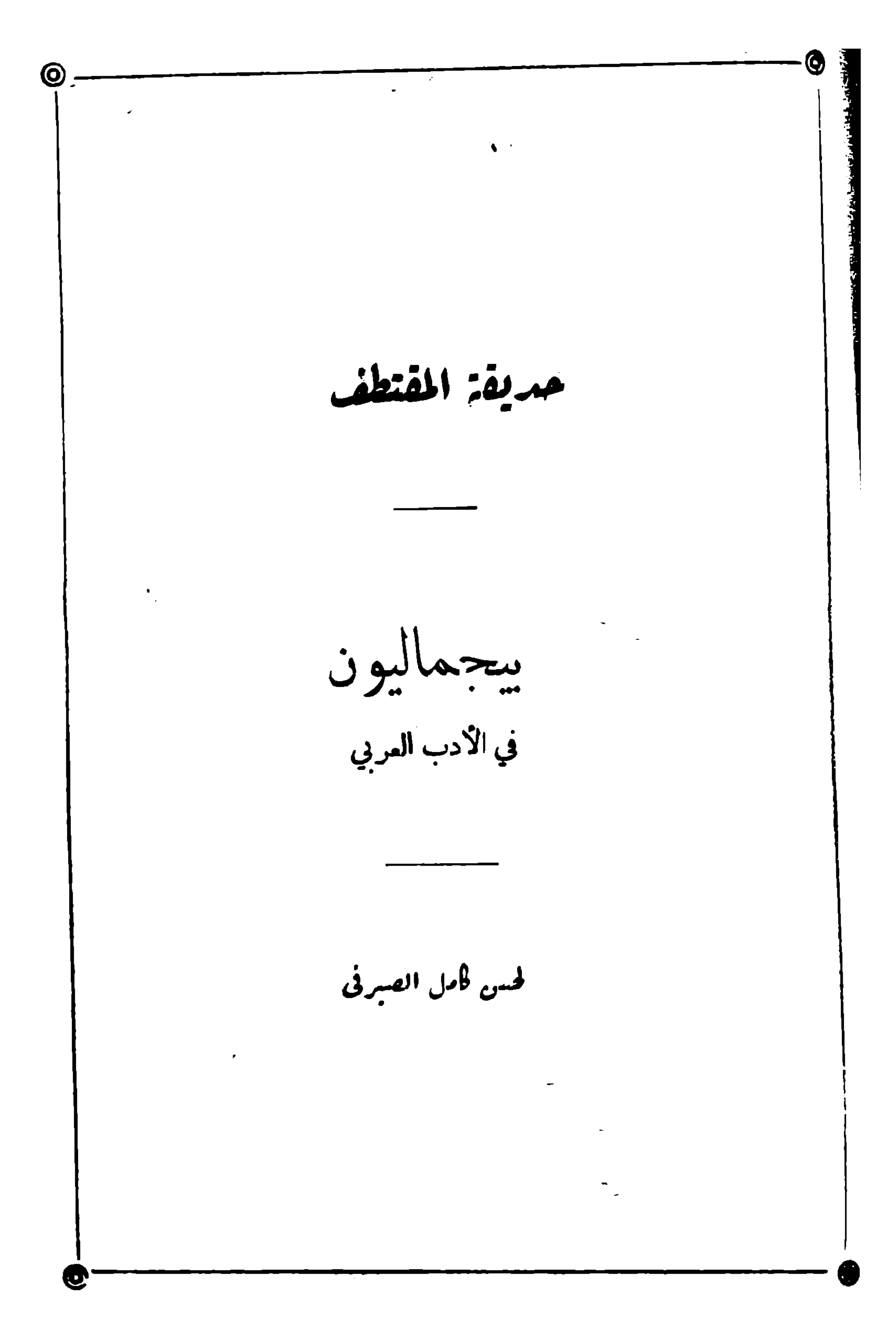
❁ القصور ❁ abortion هو نقص النمو في سيره الطبيعي أو نقص في النتاج ناشيء عن نقص النمو

❁ القاصي ❁ abaxial هو وجه (صفحة) الورقة — أو البتلة أو غيرهما — الذي لا يقابل المحور

---

(١) tendril (٢) lark (٣) اسمه العلمي Primula وبالانكليزية primrose (٤) اعتمد مجمع فؤاد الاول للغة العربية لفظة «النورة» للتويج و«الكم» للكأس و «النورية» للبتلة و «الكمية» للسبلة (٥) اسمها العلمي Pulmonaria maritima

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



حديقة المقتطف

بيجماليون
في الأدب العربي

لحسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بيجماليون
في الادب العربي (١)

لحسن كامل الصيرفي

يحبُّ الفنان أن يعيش في الخيال اكثر من العيش في الحقيقة ، وأن يحيا في الوهم اكثر مما يحيا في الواقع ، لان الواقع ، يصدمه ويصدم خياله . ولذلك يخلق له من فنه وعبقريتهِ ، عالماً يختلف عن عالم الناس بعواطفهِ وميولهِ المتعالية المجرّدة عن طبيعة الحياة ، وغرائز الحياة. يخلق له هذا العالم ليفرَّ اليهِ من الواقع ، ويستريح اليهِ من الحقيقة . .فالمثّـال يرتفع في فنه عن مثاله الاصلي ليخرج بهِ عن حقيقتهِ في الوجود ، والموسيقيُّ يرتفع بأنغامهِ عن صوت الحياة المدوِّي من حولهِ ، والشاعر يخلق له من مسرَّات الحياة وآلامها جسراً يعبر عليهِ الى العالم الذي يسمو على هذه المسرّات والآلام في طبيعتها الارضية وصورها الدنيوية . وما الرمزية في الأدب إلاّ دليلٌ على فرار الفنان من الواقع الى الخيال ، ومن الحقيقة الى الظلال ليتوارى فيها من بهرة الحقائق ومن لفحة شمسها

وفي الأُسطورة الإِغريقية « بيجماليون » تصوير للقلق الذي يساور الفنان في حياتهِ أمام المثـل الاعلى المتجلِّـي لهُ ، والذي يريد أن يرتفع اليهِ فتجذبهُ الحياة الى حقائقها وتردّه الى حظيرتها ، فيتجرع كأْس الألم المرّة ، ليهب العالم بعده حلاوة إبداعه وتساميه . فان هذه الأُسطورة لتروي لنا انهُ كان في جزيرة (قبرص) مثالٌ بارعٌ ارتفع الى الذروة السامقة في فنهِ هو « بيجماليون » ، وان هذا المثال لما رأى تهتك النساءِ في تلك الجزيرة قد بلغ حدًّا بعيداً من الانحطاط والتردِّي في حمأة الخلاعة والرذيلة ، عاف الزواج ، وكرهَ هذا النوع من الحياة ، فأراد أن يسمو عليها وان يرتفع بخيالهِ عما يعيش فيهِ جسده ، فاعتزل الناس الى فنهِ وعبقريته ، يستوحيهما أخلد آثاره ، وأروع آياته ، فابتدع تمثالاً من العاج لفتاة بارعة الجمال أحبها ، ووضع في صنع تمثالها كلَّ روحه ، وكل ما

---

(١) أذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تختلج به نفسه ، من مُثُل عليا ، فلما انتهى منهُ ، فُتن به وهام هياماً شديداً بلغ حدَّ الرغبة في أن تنبعث في هذا التمثال روح الحياة حتى يدبَّ ويسعى أمامه ويحيا معهُ ، فابتهل الى إلهـة الحب والحياة « ڤينوس » أن تحقق رغبتهُ ، وتجيب طلبتهُ ، فأجابتهُ الإلهـة الى أمنيته ، فما لبث ان وجد تمثاله العاجيَّ إنسانةً حية تناديه ويناديها ، فتزوَّجها ورزق منها « باخوس » مؤسس المدينة المعروفة باسمه في جزيرة قبرص

***

هذه هي الأسطورة الإغريقية التي تصوِّر لنا مدى هيام الفنـان بفنه ، ومدى تعلقه بالوهم والخيال ، وفراره اليهما من الحقيقة والحياة . وقد عالج هذه الأسطورة في الادب الغربيّ الكاتب البيروڤي « فنتوري غارسيا كالدرون » ، وكان من حسن حظ العربية ان نقلتها اليها مجلة « المقتطف » منذ سنوات ، ثم أعادت نشرها من جديد في المجموعة القصصية التي أخرجتها باسم « موكب الحيـاة » وقدمتها هدية إلى قرّائهـا هذا العام ... كما عالجها أيضاً الكاتب الارلندي « برنارد شو » ومثلت مسرحيتهُ على الشاشة البيضاء

ولقد شاءَ كاتبان من كتّـاب العربية أن يسديا يداً بيضاءَ الى الأدب العربي الحديث بأن يجعلا من هـذه الأسطورة مادةً لمسرحيتين جميلتين يعالجان فيهما حياة الفنان داخل إطارها . وكان من حسن حظ هـذه الأسطورة أن يكون رائدها في العربية هذان الكاتبان الأستاذان توفيق الحكيم وخليل هنداوي ، فإن لهما من علوِّ كعبهما في الأدب وبُعد نظرهما ما يضمن لمسرحيتيهما البقاء . ولقد نشر الحكيم مسرحيته في كتاب ، أما هنداوي فقد نشرت مجلة (المقتطف) مسرحيتهُ في عدد أغسطس سنة ١٩٤٢ ولم تنشر بعد في كتاب

وقد عالج كلٌّ منهما موضوعهُ من ناحية ، واتجه كلٌّ منهما في سبيله وجهة خاصة ، ونظر الى الأسطورة بعين غير التي نظر بها الآخر . فكيف كانت نظرة كلٍّ منهما ؟ وماذا كان اختلاف وجهتهمـا ؟ وما مدى التفاوت في ذلك الاختلاف ، ومدى ما وُفق كل منهما اليهِ في اتجاههِ ؟ . . هذا ما أحاول بحثهُ في هذا الحديث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لقد وضع توفيق الحكيم مسرحيتهُ في أربعة فصول ، في حين جعلها خليل هنداوي في فصل واحد . فالأفق في مسرحية الحكيم أوسع ، ولكن اتساع هذا الأفق اضطره الى خلْق شخصيات متعددة ، والى خلق حوادث أخرى يحيط بها فكرة المسرحية ، وأن يدير فيها الحديث في موضوعات أخرى — وإن كانت تمسُّ الحبَّ والحياة والفنّ — إلاَّ انها كثيراً ما تطغى على جوهر الفكرة العامة في أسطورة بيجماليون ، واضطره إطالة الحوار بين الإلهين « أبولون » و « ڤينوس » أن يجعل من هذا الحوار مناقشة فيها كثير من خُلُق الناس لا من خلق الآلهة وطبائعهم ، وإن كان اليونانيون قد جعلوا لآلهتهم طبائع يشتركون فيها مع الناس ... فجعل الحكيم من سخرية أبولّون بڤينوس ومن سخرية ڤينوس بأبولّون مواقف تنزل عن مرتبتهما . أما ما عدا ذلك فقد بلغ فيهِ الحكيم مرتبة الإبداع في إدارة الحوار ، وفي ابراز فكرته شيئاً فشيئاً

وفكرة الحكيم هي تصوير الحيرة التي تلازم الفنّان ، والقلق الذي يساوره فلا يهدأ ، لأن نظره يتبع الأفق كلما امتدَّ ، فهو لا يرضى بما هو فيهِ ، لأنهُ يطلب ما هو أسمى ، فاذا ارتفع الى هذا وجد رغبتهُ أسمى منهُ . . . وقد بدأ الحكيم مسرحيتهُ دون أن يكشف الستار عن الفتاة التي أوحت الى « بيجماليون » صنع تمثاله ، ولكنه أطلعنا على انهُ ابتدع تمثالاً ، وأن الناس يتحدثون عن غرام هذا المثّال بما صنعت يداه . ثم نرى أبولّون وڤينوس معجبين بما صنعت يدُ هذا الإنسان الفاني ، ونسمع أبولّون يقول : « هؤلاءِ البشر يا ڤينوس يمتازون عنا نحنْ الآلهة هذا الامتياز : في طاقتهم أحياناً أن يسموا على أنفسهم . أما نحن فلا نستطيع ان نسمو على أنفسنا . إن قوّة الفنّ أو ملكة الخَلْق عند هؤلاءِ لقادرةٌ أحياناً أن توجد مخلوقات جميلة ليس في إمكاننا نحن الآلهة أن نأتي بمثلها أو نجاريهم في شأوها لأنهم أحرارٌ في السموّ ، ونحن سجناءُ في النواميس »

ثم نستمع بعد ذلك الى ابتهالات « بيجماليون » الى « ڤينوس » أن تنفخ في تمثالهِ الحياة ، وما نلبث ان نراه مشدوهاً أمام التمثال وهو يسمع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنهُّـده ويسمع نداءَه إياه حين أجابت الآلهة أمنيته . ثم نرى الحياة قد بثّت في العاج طباعها الدنيوية ، فتهرب تلك الفتاة مع فتى الفنَّان ثم تعود اليه وقد عرفت مكانته من السموِّ ، وعرفت شيئاً عن حقيقة نفسها . ولكن الفنَّان المتطلع الحائر لا يرضى بما كان يتمنى أن يتحقق له ، فهو يرى ان الجمال الذي ابتدعهُ قد شوَّهتهُ الآلهة بالحياة التي بعثتها فيهِ ، فجعلت منه حقيقة مدركة لا تفترق في شيءٍ عن حقائق الوجود ، تسري عليها طبائع الحياة وقوانينها ، تعمل ما يعمل الناس ، وتسير الى الفناءِ كما يسير كل مخلوق ، فينقم على الآلهة صنعها ، ويصرخ بهم أن يردُّوا اليهِ عملهُ ويأخذوا عملهم . يردوا اليهِ فنَّـهُ . يردوه اليهِ تمثالاً من العاج كما كان ...

فاذا أجابت الآلهـة نداءَه أحسَّ بعد ذلك الألم ، وأحسَّ الوحـدة والفراغ ، وعادت طبيعتهُ القلقة الى ثورتها ونضالها . واذا هو يرى هذا التمثال البارد الجامد قد فقد أمامهُ جمالهُ الذي كان فيهِ ... لقد كان هذا الفنان يقدِّس الفنَّ ويراه أنبل من الحياة ، فها هوذا يراها الآن أنبل من الفن . واذا هو يعود الى الأماكن التي اجتمع فيها بجالاتيا تمثالهِ عندما كانت الحيـاة تسري فيها ، يتنسم عبير الذكرى ولذة الحلم الضائع ، فلا يجد ما يملأ فراغ نفسه . واذا هو أمام الوحدة القاسية ، وأمام الفراغ المفزع يهوي على تمثالهِ يحطّـمهُ . وعندها ينتهي صراعهُ مع الفن لاستلاب مفتاحه وامتلاك المسلوب ، وصراعـهُ مع ملكاتهِ وغرائزه ، وصراعهُ مع المصائر والاقدار ، ثم ينتهي صراعهُ مع الحياة فتفلت من جسده

***

هذه هي مسرحية توفيق الحكيم ، وهذه هي فكرته واتجاهها . وجمال هذه الفكرة منبثٌّ في حوارها ، وفيما أبدع لها الحكيم من فنّـه

أما مسرحية خليل هنداوي فهي تصويرٌ لما يجده الفنان من راحة في الوهم لا يستطيع ان ينالها في ضوء الحقيقة . وقد جرى فيها هنداوي على نحوٍ آخر جعلها قريبة من بدء تاريخ الأسطورة ، فها هي ذي «جالاتيا» تلك الفتاة الفاتنة

التي صنع « بجماليون » تمثالاً لها فأبدع صنعه ، وقد دعاها لتشهد حفلة إزاحة الستار عن تمثالها . ونسمع من حوارهما معاً . انه يعلن لها ان قد سلخ من جسدها جسداً آخر أتقنه الفن ، وان هذا الجسد سيبقى له كلما شاءَ رآه . فتجيبهُ بأن هذا الجسد ترجمةٌ مشوَّهة عنها ، لأنهُ لا ينطوي على ما تنطوي عليهِ أعماق نفسها ، فيردُّ عليها قائلاً : « إنهُ ليس بالجسد المجرَّد كما تزعمين . إن التماثيل لَتحيا حياةً أعمق من حياتنا ، ان الغرض الذي يضعه الفنان على فم التمثال لَيبقى معبراً عن نفسه للطبيعة ما ظلَّ قائماً إزاءَها . إن « ڤينوس » المخلوقة من لحم ودم غدت رفاتاً سحيقة ، أما ڤينوس الرخامية فهي تتكلم كلَّ يوم ، وتبعث من جمالها موجة كلَّ يوم ... من هو الفنان الذي لا تحيا في رأسه ڤينوس الحجرية ؟ »

... ثم تخرج « جالاتيا » بعد أن تيأس من ردِّ الفنان عن هوى تمثالها ، وتتركه لوهمه

وفي المشهد الثاني نرى « جالاتيا » مع صديق لبيجماليون تتحدث معهُ عما حلَّ بصديقه الفنان الذي جذبه الفنُّ ، فيجيبها بأن ليس في الانجذاب من عار عليهِ . ولكنها ترد عليه بأن هذا الانجذاب جعلهُ ينكر حقائقنا ، ويفلت من حياتنا ، ويفرُّ من أيدينا . ثم تطلب اليهِ أن يسعى الى إنقاذ صديقهِ مما هو فيهِ ، وانها ترى أن لا بدَّ من تحطيم التمثال ، فينهاها عن ذلك لأن نتيجتهُ جنون « بيجماليون » ، ويرى أن هناك حيلةً للإنقاذ تفتَّق عنها ذهنهُ ، هي أن « التمثال يجب ان يبقى ، ويجب ان نوهمهُ بأنهُ يتحرك ، وأنهُ يحيا ، والحياة وحدها تطلقهُ من أوهامهِ » ... فتنزل مرغمة على رأيهِ

وفي المشهد الثالث يأخذها هذا الصديق الى دار « بيجماليون » ليعمل على ما فيهِ إنقاذه ، فيجدانهِ محتضناً تمثاله ، وقد أغفت عيناه ، فيشير عليها الصديق أن تنسلَّ فتختبىءَ وراءَ التمثال ثم تجيب على الفنان عند ما يناجي التمثال حتى يحسَّ ان الحياة قد انبعثت في التمثـال كما يتمنى ، فتستعدّ « جالاتيا » لذلك . وعند ما يفيق المثّـال من غشيته ويأخذ في مناجاة تمثاله ، تردُّ هي عليه نجواه ، فتستولي عليهِ الدهشة

ونسمع الحوار الجميل الذي يديره خليل هنداوي على لسانيهما، ونسمع «جالاتيا» تقول له وقد علمت مدى افتتانه بتمثاله، ومدى إيثاره إياه عليها وهي الأصل فيه: «أخاف ان تثور الغيرة في صدر غادتك» فيجيب. «تلك لا أعرفها» فتقول لهُ: «ولكن اذا حييت هل تستطيع ان تفرّق ما بيننا اذا اجتمعنا معاً. ألسنا هي أنا، وأنا هي؟»

وعند ذلك يخرُّ صعقاً، فيسرع صديقه الى التمثال فينتزعه من مكانه، ويشير الى «جالاتيا» أن تقف حيث كان التمثال، فتقف وتهتف بالمثال: «بيجماليون! أنا ابنة عبقريتك، إنني أحبك . . . تعالَ اليَّ. لقد كسيَ الرخام لحماً، واستحال الجمال الصامت جمالاً ناطقاً» فيتقدم اليها مدفوعاً بالوهم الساحر وبحلاوة انتصار فكرته. وفي سكرته ونشوته يهتف: «لن أرى لجالاتيا إلاّ وجهاً واحداً». فتردُّ عليهِ: «ولن تراني الاّ واحدة» ويلتفت صديقه اليها فينبئها قائلاً: «لقد أرسلتُ التمثال الى منزلي. إياك ان تقصي عليهِ قصة ذلك. يجب ان يبقى على وهمه الذي لا يحيا بدونه. قد يكون هذا الوهم كل ما له في الحياة. إنك كنت وهمه، والفنان لا يحيا إلاّ في الاوهام»

***

وهذه هي مسرحية خليل هنداوي، وهذه هي فكرته أيضاً. وجمالها كذلك فيما يدور به حوارها ... ولقد رأينا من هذا العرض وجوه الاختلاف في اتجاه كل منهما، ومدى قرب أحدهما أو بعده عن ظلال الأسطورة، وما وُفّق اليه كلٌّ منهما في عرض فكرته، وفي إبرازها جميلة ساحرة. وان في هذه الاسطورة إسحراً يتجدد للخيال كل يوم، ويتجدد للعين المبصرة. وإن وراءَ أفقها لمعانيَ فاتنة تهتف بكل عبقرية خلاّقة أن تتقدم لتذوق من فنّها ما تهبه الوجود نغماً عبقريَّ النشيد، وعبيراً من فراديس الخيال



https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

الحرب وتقدم العلم

يرى الدكتور تشارلز ستاين المستشار العلمي لشركة دوبون ده نمور الاميركية ان المكتشفات العلمية الناشئة عن ضرورات الحرب، ستنفع الناس بعد ما تضع الحرب أوزارها، نفعاً لا حدود لهُ، وان ما كشفهُ العلماء ولاسيَّما الكيميائيون في السنتين الاخيرتين، يجعل سنة ١٩٤٠ وكأنها قطعة من التاريخ القديم. فالحرب قد حشدت في بضعة أشهرٍ وجوهاً من التقدم العلمي والصناعي، كانت لولاها تستغرق نصف قرن من الزمان. وكثير مما كان لايدور في خيالٍ، قبل سنتين غدا اليومَ حقائق واقعة

بين أمس القريب واليوم

خذ مسألة المطّاط. فقد قضى العالم نحو قرنٍ من الزمان قبلما بلغت غلة المطاط الطبيعي الخام مليون طن في السنة. ومع ذلك فالولايات المتحدة تتأهب الآن لتحقق مثل هذا القدر من الانتاج في سنتين، وذلك بصنع المطاط، من كحول النفط، أو من الفحم والجير

وسيبلغ ما تنتجهُ من الالومنيوم في آخر سنة ١٩٤٣ سبعة أضعاف ما كانت تنتجهُ منهُ في سنة ١٩٣٩. مع ان ما كانت تنتجهُ في سنة ١٩٣٩ لم تبلغهُ إلاّ بعد خمسين سنة من التقدم الصناعي. وستستخرج من ماء البحر وغيره، مقداراً من المغنيزيوم يفوق مائة ضعف المقدار الذي كانت تستخرجهُ في سنة ١٩٣٩.

وفي صناعة الطائرات تعدُّ الآن وسائل لصناعتها، تكفي لصنع عددٍ من الطائرات في سنةٍ واحدةٍ، يفوق كلَّ ما صنعتهُ منها في السبع والثلاثين سنة السابقة. وبارتقاء صناعة العجائن الكيميائية والفلزات الخفيفة وهندسة الطائرات، غدا في الوسع الآن صنع طائرات تطير الى أوربا وتعود بغير أن تحطَّ حاملة حملاً نافعاً يبلغ عشرين طنًّا. وحجم هذه الطائرات يفوق أربعة أضعاف، طائرات النقل الشهيرة المعروفة باسم «كليبر»

المغنيزيوم من ماء البحر

هذا في المجمل. ولكن دقق النظر قليلاً في موضوع الالومنيوم والمغنيزيوم. فالمشروعات التي أعدَّت — وما فتئت تعدُّ استجابةً للمطالب الحربية — تكفي لاستخراج قدر من الالومنيوم في سنةٍ واحدةٍ، لبناء عددٍ من مركبات القطارات يزيد ثلاثة أضعاف على جميع المركبات المستعملة الآن في الولايات المتحدة، واستخراج هذا المقدار من الالومنيوم يقتضي استعمال طاقة كهربية تفوق ما كان يستهلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منها في ١٩٤٠ في ٤٧ ولاية من الولايات المتحدة الثماني والاربعين . وبرغم ارتفاع أجور العمل وزيادة ضرائب الدخل هبط سعر الوحدة من الالومنيوم ٢٥ في المائة عما كان عليه سنة ١٩٤٠ . فالالومنيوم أصبح فلزاً في المقام الاول بين فلزات الحضارة الحديثة

ولكن قصة المغنيزيوم أبعث على الغرابة . فوزنهُ ثلثا وزن الألومنيوم وربع وزن الصلب . وكان الرطل منهُ يباع بخمسة دولارات في سنة ١٩١٥ وكان استعمالهُ الى عهد قريب ، في البناء والصنع نادراً . ولكنهُ اليوم أرخص، حجماً بحجم ، من الألومنيوم، ويدخل في صنع الطائرات الحربية

أما المورد الاول الذي يستخرج منهُ الآن فهو أقدم موارده وأغناها أي ماء البحر وقد استنبط لذلك أسلوب كيميائي عجيب . فماء البحر يدفع بمضخات كبيرة قوية ٣٠٠ مليون جلون كل يوم ،في جهاز معقد التركيب ولا يستخرج من هذا الماء الآن إلاّ عنصر المغنيزيوم والبروم ، بالترسيب . ولكن في الوسع أن تستخرج من ماء البحر ما تشاء ، اذا أتقنت أسلوب الاستخراج ، لأنهُ يحتوي على مقادير كبيرة في مجموعها ، من كل عنصر، وان كانت هذه المقادير ،في كميات محدودة من الماء ، لا تذكر وقد يتعذر تبينها

معركة بريطانيا والوقود

واذا كان القوّاد الحربيون يعدُّون معركة بريطانيا ، احدى المعارك الحاسمة في هذه الحرب ، فان علماءَ الوقود والمحركات الداخلية يعدُّونها أعظم تجربة من نوعها وأدق اختبار لأصناف الوقود المستعملة

فالكيميائيُّ الذي يستطيع أن يستخرج من النفط الخام ، نوعاً من الوقود الخاص بالطائرات ، يفوق غيرهُ في تمكينهِ الطائرة التي تتحرك بهِ من السبق في الارتفاع ، والسبق في السرعة ، والسبق في المدى ، يكون قد أسدى الى أسلحة الطيران والى حركة النقل الجوّي خدمةً عظيمة . وبهذا المعنى كانت معركة بريطانيا ، في نظر بعضهم معمل تجارب لا يضارع

وفي هذا الباب من البحث ، تدلُّ الدلائل على ان كيميائيي الوقود السائل قد شقوا طرقاً جديدة ، من شأنها ان تجعل المحركات واصناف الوقود المستعملة الآن ، وكأنها بقايا عهد مضى

عجائب برميل من النفط

لا . لا تشح بوجهك عن ذلك البرميل الوسخ من النفط الخام . انهُ يحتوي على الوف من المركبات الكيميائية. وكثيراً ما استهوى الكيميائيين وفتن لبّهم ، استنباط أساليب تمكنهم من ان يصنعوا من هذا النفط ، كل شيء تقريباً ، تحت الشمس .إن لبنات البناء بين ايديهم في النفط ، وهي الايدروجين والكربون . فاذا اضافوا اليهما الاكسجين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وغيره من العناصر ، بالنسبة اللازمة ، والكيفية المطلوبة ، صنعوا كحولاً جديداً ، أو أحماضاً جديدة ، أو سوائل مذيبة أو عطوراً أو عقاقير أو ما تريد. وقد استنبطوا في العهد الأخير أساليب جديدة لتحطيم جزيء النفط بفعل الوسيط الكيميائي ، ففتحوا الباب ، لادخال النفط في ميدان صناعي ، كان قطران الفحم الحجري مستأثراً به من قبل

المطاط الصناعي من النفط

ومستقبل هذا التحول لا يحده خيال . فالمطاط الصناعي — وهو على ما نعلم ليس مطاطاً بل مادة جديدة تجمع مزايا المطاط ، وتصلح لوجوه أخرى كثيرة من الاستعمال — يصنع الآن من «البوتادين» و«الستيرين» وهما مادتان تولدان بالتركيب الكيميائي من النفط . أي إن النفط يصبح بشيء من المداورة مطاطاً . ثم هناك مادة « الطولوين » وهي من الأركان في صناعة « المتفجرات » وصناعة «الصباغة» وغيرهما ، وهي من المواد التي تستخرج من النفط

ويسهل على الكيميائي أن يستخرج من النفط مادة الاثيلين في ناحية ، ومادة البنزين في ناحية أخرى . وهما من فصيلتين كيميائيتين مختلفتين . فكأنك تستخرج الخمر والماء القراح من زجاجة واحدة . أو كأنك تقدّ لحم الخنزير ولحم الضأن من حيوان واحد

الامونيا والعجائن الكيميائية

أما صناعة العجائن الكيميائية فلا تُحد آفاقها . وتركيب الأمونيا بالضغط العالي، من المكتشفات الكيميائية العظيمة في هذا العصر، ومتى استقرّت بعد الحرب على الأساس الصناعي الذي يُهيّأ لها الآن في خلال الحرب ، كان استغلالها في منزلة كشف قارة جديدة ، بكر الموارد الطبيعية، وليست الأسمدة الكيميائية الا مادة واحدة من عشرات المواد التي تصنع من الأمونيا المركبة بالكيمياء

وفي معامل الكيميائيين الآن ما يشير ، الى احتمال صنع زجاج لا ينكسر ويطفو على وجه الماء ، وخشبٍ لا يحترق ، ومادة كالصفّاح مركبة من طبقات من الخشب وأخرى من العجائن فتصلح للبناء. والجوارب التي تصنع من الماء والهواء والفحم — وقد كانت من عجائب الفترة التي سبقت الحرب — ليست الا مثلاً لما يحتمل استحداثهُ في ملابس الناس من هذه المصادر الرخيصة ، من أحذية لا جلد فيها ، الى شبك نوافذ لا سلك فيهِ ، الى كريات آلات (بيل) لا تحتوي على فلزٍ ما

***

نعم ان الانتاج الحربي الآن ، يقتضي تحويل مقادير كبيرة من المواد الطبيعية ، ووقف معظم أساليب الصناعة الجديدة ، على الحرب . فالانتاج للتدمير . ولكن العالم ينتج غداً للبناء والانشاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المخترع نقولا تسلا

لعل نقولا تسلا Tesla الأميركي السربي الأصل من أعلى المخترعين والمكتشفين منزلة في العلوم الكهربية وما يتصل بها، من فنون الراديو والتلفزة . هذا الرجل في السابعة والثمانين من عمره الآن ، وهو عليل يسكن حجرة في فندق صغير بنيويورك. ولولا منحة تمنحه اياها الحكومة اليوغسلافية لاستعطى أو مات جوعاً، مع أنه الرجل الذي كان سبباً في إثراء شركات كهربائية عظيمة وهو لا يجني من مخترعاته ومكتشفاته ربحاً ماليًّا لأنه أباحها

علاج مرض منيير بالفيتامين

روت مجلة الجمعية الطبية الاميركية ، ان جماعة من الباحثين في مستشفي نيويورك وجامعة كورنل وضعوا تقريراً طبيًّا قالوا فيه ان الفيتامين المقاوم للبلاغرا المعروف باسم الحمض النيكوتينك ناجع في معالجة مرض منيير ، وهو حالة من اعراضها الدوخة وطنين الأذنين وأحياناً الصمم . وكان يعالج الى عهد قريب بعملية جراحية يقطع فيها عصب من الأعصاب

الحمض النيكوتينيك والنياسين Niacin

وعلى ذكر الحمض النيكوتينيك ، نقول ان هناك اعتراضاً على استعماله بهذا الوضع في تعزيز الخبز لمنع البلاغرا لأن غير العلماء يخلطون بينهُ وبين النيكوتين . ولذلك اقترحت لجنة علمية من المختصين بالموضوع — وهي تابعة لمجلس الطعام والتغذية في معهد البحث القومي الاميركي — كلمة نياسين في الاستعمال العام محلّهُ

ويحتفظ باستعمال الاسم الأصلي في الكتابة العلمية

مصدر جديد لفيتامين A

نقلت مجلة سينس الاميركية ، ان في دهن البال (الحوت) مادة تدعى كيتول Kitol وانها تتحول الى فيتامين A بتسخينها على ان تكون الحرارة ٥٠٠ درجة بمقياس فارنهيت

وقد كانت هذه المادة تنبذ حتى الآن عند استخراج فيتامين A من دهن البال . ولم تعلم صفتها هذه — أي قابليتها للتحول الى فيتامين A — قبل الآن ، لأن الحيوان نفسه عجز عن تحويلها . ومادة الكيتول هذه تكثر في دهن كبد البال (الحوت) وأصناف اخرى من أدهان السمك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اشعاع غريب ينبعث من النبات

تبعث الحقول والحراج الخضر في الفضاء اشعاعاً عجيباً أحمر . ولكننا لا نراه لان الضياء الاخضر المنعكس عن سطوح الاوراق الخضر يحجبهُ عن عيوننا . والعلماء لا يستطيعون ان يتبينوه إلاّ باجهزة خاصة دقيقة الحسّ . على أن البحث الحديث أثبت ان دراسة هذا الاشعاع وثيقة الصلة بفهم افعال الاجسام الحية على سطح الارض

وليس بخافٍ ان الشمس هي المصدر الذي تستمدُّ منهُ الارض ومن عليها وما عليها الطاقة اللازمة لكل عمل طبيعي او حيوي . وقد تؤخذ الطاقة مباشرةً من الشمس كما تفعل حبات اليخضور (الكلوروفيل) في اوراق النبات، وقد تؤخذ مداورة كتوليد الطاقة من الماء المنحدر ، وهو لم يرتفع الى رأس المنحدر الاّ بفعل حرارة الشمس التي بخرته ثم انعقد مطراً منهمراً ثم جرى نحو البحر

وتأثير اشعاع الشمس في حياة النبات والحيوان يبدأ في فعل التركيب الضوئي (Photosynthesis) فالأوراق الخضر هي أكبر المعامل الكيميائية على سطح الارض وأعظم منتج لمواد الطعام ، وأغزر مورد للوقود . وبفعلها يرتبط مصير الامم بل مصير الانسان نفسه على سطح الأرض . ففي الاوراق الخضر يتحد ثاني اكسيد الكربون بالماء فيتولد من اتحادها السكر . وحبات اليخضور هي الوسيط في هذا التفاعل لانها تتيح طاقة الشمس في شكل يحدث التفاعل الكيميائي . فهذا التفاعل لا يتمُّ بدونها لأنها تستطيع ان تقتنص، بأسلوب لم يفهم بعد ، من طاقة الشمس قدراً يحدث الاتحاد . وهذا السكر البسيط المتولد من اتحاد ثاني اكسيد الكربون والماء يتحوّل نشاءً ومواد نشوية ومواد زلالية وأحماضاً عضوية وأدهاناً وغير ذلك من مركبات النبات . وكثير من هذه المركبات غذاءٌ للنبات نفسه أو للنبات غير الاخضر أو للحيوانات . ومنها ما يهضم ويمثل فيولد طاقةً في الجسم، ومنها ما يخزن ثم تنطلق طاقته بفعل آخر ، كاحتراق الفحم والنفط

ولكن القدر الذي تقتنصهُ حبات اليخضور من طاقة الشمس لا يستعمل كلهُ في فعل التركيب الضوئي ، على ما بيَّن الباحثان مكايستر وميرز ، وهما من علماء قسم الأشعة والاحياء في المعهد السمثصوني بوشنطن . وبعض هذه الطاقة تشعُّه الأوراق الخضر حرارة وبعضهُ تألقاً (fluorescence) فكأن جزيء اليخضور يهتز اهتزازاً يدفعهُ الى اطلاق ضوء مرئي . وقد دلّت تجارب هذين العالمين على ان الضوء الذي ينطلق على هذا النحو، من أمواج منطقة الضوء الأحمر في الطيف ويبلغ مقدار ما يتحول اشعاعاً أحمر منبعثاً من النبات على هذا النحو عشر واحد في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المائة من الطاقة التي تمتصها حبات اليخضور

إن رؤية هذا الاشعاع الاحمر مستطاعة لو كانت شبكيات عيوننا غير حساسةٍ باللون الاخضر . أو اذا استعملت مصافٍ لونية تحجب اللون الاخضر . فعندئذٍ تحجب الاشعة الخضر من الضياء المنعكس عن أوراق النبات ، فلا يرى إلاّ الضياء الأحمر اليسير المنبعث منها

وظاهرة التألق في النبات معروفة من عهد غير قريب . ولكن العلماء عجزوا في الماضي عن دراستها من حيث صلتها بالتركيب الضوئي . ولكن ما كان متعذراً قبلاً أصبح مستطاعاً الآن بفضل مكايستر إذ استنبط جهازاً دقيق الاحساس يتأثر بمقدار ما يمتصهُ النبات من ثاني اكسيد الكربون ، في أحوال شتى من الضياء والظلام . وبهذه الطريقة يستطيع الباحث أن يتبيَّن التطوُّر الحادث في التركيب الضوئي ، بالقياس الى التطور في ظاهرة التألق

وبذلك يصبح مقدار ما يمتصُّهُ النبات من ثاني اكسيد الكربون مقياساً لمدى فعل التركيب الضوئي

فصيلة عقاقير « السلفانيلاميد » والسل

بعد ما كشفت فصيلة عقاقير « السلفانيلاميد » وظهرت عجائب فعلها في شتّى الأمراض ، تجدَّدت العناية بالبحث عن عقّار نوعيّ يفيد في علاج السل . وجربت عقاقير هذه الفصيلة

ففي مستشفى مونتيفيوري بمدينة نيويورك عولج فريقٌ من المصابين بجرعات كبيرة من السلفانيلاميد ، فلم يتغيَّر سير المرض فيهم تغيُّراً يذكر بفعل هذا العقار . واتجهت طائفة من الباحثين في كثير من المستشفيات ومعامل البحث الى التجريب العملي ، فأضافوا مقادير كبيرة من السلفاتيازول والسلفاپيريدين الى مزدرعات باشلس السل فلم يؤثر هذان العقاران في منع نموّ الباشلس تأثيراً يذكر . ولذلك لا يرجَّح أن ينجع العلاج بهما . ولكنَّ شعاعة من الرجاء في هذا النضال ضدَّ السل بدت من ناحية معهد مايو الطبي المشهور بشيكاغو من عهد قريبٍ ، إذ عُلم ان الباحثين هناك استعملوا عقاراً آخر من فصيلة السلفانيلاميد يدعى « پرومين » Promin فثبت لهم بعد التجريب والامتحان ان هذا العقار يقف سير المرض في حيوانات التجارب وقد كانت خنازير الهند . فأقبل الأطباء خلال السنة الماضية ، على تجربتهِ في بعض المصابين من الناس ، ملتزمين الحذر الدقيق ، والنتائج التي أسفر عنها بحثهم تبعث على الأمل ولكنها ليست حاسمة حتى الآن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكابوك (Kapok) : ومزاياه النباتية والصناعية

الكابوك أو الكهبوك : والقابوق أو الكابوج — كما جاء في معجمات اللغة الانكليزية — شعر أوليف نباتي ميسيك أملس، خفيف جداً ، يغطي بذور نوع خاص من شجرة القطن الحريري

ويزرع شجره في شبه جزيرة الملايو .

ويستعمل الكابوك في حشو الوسائد والنمارق ومناطق الانقاذ من الغرق ، وما اليها

• والكابوك نبات من نباتات جزيرة جاوى وهو من أنفع النباتات التي اكتشفت لانتاج الشعر النباتي (وهو على حد قول تجار القطن في مصر — قطن شعر أي محلوج) الصالح لنسج المنسوجات

وقد اتجهت اليه الانظار لمزاياه العجيبة كمادة صالحة لحشو الملابس الواقية من الغرق

وأبرز صفاته خفته فالرزمة من الكابوك اذا ألقيتها في الماء اولاً طفت واستطاعت ان تحمل فوقها ما يعدل وزنها ٣٢ مرة ، واذا غطست في الماء ثلاثين يوماً ظلت صالحة لرفع ثقل يبلغ ٢٥ ضعف وزنها

والفلين على خلاف ذلك لا تزيد خفته على خمس او سدس خفة الكابوك . وتظهر هذه المزية جلياً عند غرق السفن اذ يضطر كل راكب وملاح من ركابها وبحارتها الى الكفاح للنجاة من الغرق أو اي خطر ينتابها . وسبب هذا التفوق العجيب أن حرير الكابوك عند فحصه بالمجهر يبدو ذا تركيب دقيق جداً . وجلّه من شعر على شكل أنابيب وثقوب دقيقة ولذلك تجد هذه المادة دائماً ملأى بالهواء من كل جانب وهذا سبب خفتها وطفوها على وجه الماء

***

بيد أن الطبيعة لم تغفل عن صون تلك الخاصية من التلف فجهزت ذلك النبات بمزايا سامية لكيلا تدخله المياه عاجلاً فتصيره كتلة قابلة للغرق ، اذ غطت خيوطه الدقيقة بمادة شمعية صيرتها غير قابلة لامتصاص المياه ثم جعلتها سريعة الجفاف بحيث لا تستهدف للتعفن

والشجرة التي يؤخذ منها الكابوك ، تنمو في جزيرة جاوى وفي بلاد الهند الصينية وهي موطنها الاصلي . وهي تحتاج في نضجها الى زمن يتفاوت بين أربع وخمس سنين فقط ويستخرج الكابوك من الثمر الذي تحمله شجرته وهو شبيه بلوز شجيرات القطن

وطريقة حصاده من الغرابة بمكان وهي من المشاهد الخليقة بالعيان . اذ يهجم الوطنيون زرافات ووحداناً وفي أيديهم قضبان طويلة من الخيزران ليضربوا بها لوز الكابوك فيسقطوه على الأرض كما يسقط التفاح من شجرته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما الجاويون وهم أشد نشاطاً من غيرهم فكثيراً ما يتسلقون الشجر ويجنون محصوله وقد جرت عادة الشعوب المتخلّفة في كل مكان على أن تعهد الى الصغار والنساء في القيام بأشق الأعمال ومنها شق لوز الكابوك واستخراج محتوياته بأيديهم ثم بسطها على الأرض ، وهي عادة من بلاط الاسمنت لتجفيف تلك المادة الصفراء الحريرية ثم يحيطون موضع التجفيف بالاسلاك لكيلا تطير الالياف حينما تهبّ عليها الريح فتستقرّ حتى تجففها الشمس . ثم توضع هذه المادة الليفية المرنة الخفيفة في اكياس لنقلها في السفن

ويعنى أشد العناية بتعبئة هذه المادة الناعمة في الاكياس ، لانها اذا كبست فيها كبساً محكماً سحقت سحقاً لأنها سريعة العطب فتفقد بعض مزاياها الطبيعية . وقد وسّع باحث فرنسي هو مسيو چان . م . ده سان رينيه M. Jean de Saint René نطاق استعمال قطن الكابوك بابتداعه وسيلة لادخال هذا الشعر في صنع المنسوجات ،وكانت التجارب السابقة جميعها التي استعملت لندف شعر الكابوك اسوة بالقطن قد أخفقت لأن هذه المادة ضعيفة جداً بحيث لا تحتمل الندف اذ يمزقها فتصير كدقائق الغبار

وتقضي طريقة هذا المخترع بتفكيك شعر الكابوك ونفشه وتمشيطه . اما الباحثون السابقون فكانوا لا يعبأون بوجوب المحافظة على المجاري الهوائية التي تتخلل شعر الكابوك. فتمكن هذا العالم الفرنسي بعد سنين طويلة من الظفر بما عجز عنهُ الاولون وعدُّوه مستحيلاً . ثم وجَّه همّه الى غزل هذه المادة ونسجها منسوجات مختلفة فصادفته عقبات كأداء جمة فتغلب عليها بعبقريته وطول أناته

ومنها ان شعر الكابوك خلاف الصوف أوالقطن ليس له سطح خشن يجعل دقائقه المختلفة يشتبك بعضها ببعض ، فعالج هذا النقص بالوسائل الصناعية وهي تسليط حرارة عليه ذات درجة ملائمة فأكسبته الخشونة المنشودة فكان من بنات أفكار ذلك الفرنسي الخصب القريحة اختراع صمغ يلصق الشعر بعضه ببعض ليتاح انتاج الدرجة المرغوب فيها من درجات النعومة والخشونة المطلوبة للخيوط المراد استعمالها

ويوجد الكابوك في أقطار أخرى من العالم عدا جنوب شرقي أسيا . ومن أشجاره أنواع مختلفة تنمو في المناطق الحارة من قارتي اميركا وافريقية . والكابوك في الحقيقة ليس منافساً لغيره من المنسوجات لأن خصائصه الطبيعية وخفته البالغة جعلته مادة صالحة جداً لصنع ثياب اللاّحين التي تستعمل لانقاذهم من الغرق

ومن أجل هذا عنيت الاميرالية الفرنسية كل العناية باستعماله لهذه الغاية

عوض جندي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

الصدّيق أبو بكر

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل باشا — صفحاته ٤٠٨ من القطع الكبير — طبع بمطبعة مصر

ليس لأمة من أمم الارض ما لأمتنا من المواد السليمة التي تستطيع أن تشيّد بها بنيان تاريخها متيناً واضحاً رائع الجمال خالداً بالمفاخر على الدهر . ولم تتأخر أمة كما تأخرت أمتنا في تشييد بناء تاريخها معتمدة على مواده التي حفل بها تراثنا الثقافيّ ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة من دقائق حقائقه إلاّ ترك لها أثراً يستعين بهِ المؤرخ على مسايرة الحوادث كأنهُ من شهودها ، وعلى دراسة نفوس رجالها كأنما هو من معاصريهم بل من صميم بيئاتهم . وتاريخ الأمة دليل مطمحها ، وموجّه قافلتها ، ومعيّن طريقها في الحياة . ومن أشعته تستنير مصابيح أملها في نهضاتها ، ومن عزمات قادته الاولين تتجدّد عزماتها فيما تؤديه من رسالة ، وما تبتغيه من سعادة وخير . وحسبنا من سلفنا ما تداركوا من أخبار ونصوص ، حفظوها لنا في أسفارهم كما يحفظ الآباء أمانات البيوت والأسر لمن يخلفهم عليها من بنين وحفدة . وكان على من رأى منّا تأثير التاريخ — تأليفاً وتدريساً — في بعث الأمم المنجبة وايقاظ نجابتها ، أن يسلّحوا أمتهم بهذه القوة الادبية العظمى في هذا الدور المحزن من أدوار ضعفها وذبذبتها وأمراضها الخلقية والقومية والاجتماعية . ولا يستطيع أن يضطلع بهذا العبء إلاّ المؤمن بهذا التاريخ ، الضنين بمفاخره ، المعتبر بأخطائه ، المقارن تصرّفات رجاله وظروفهم بأشباهها ونظائرها في هذا العصر وفي كل عصر ، وهو — مع ذلك — يميز بين الروايات المنقولة عن أهل الأمانة والعدالة والفهم وصادق الاطلاع وبين الروايات التي تنقل عن أهل الرقاعة والهوى والملق والجهل ، ويعرف من خصائص الأمة التي يدوّن تاريخها ما يجعلهُ ثاقب النظر صادق الفهم يصيب أهداف الحق في أكثر أحكامه

تاريخنا لم يكتب بعد . هذه حقيقة محزنة ، ومما يزيدنا حزناً أننا لا عذر لنا فيما أبطأنا بهِ من كتابة تاريخنا ، لان أسلافنا خلّفوا لنا من مواده ما تتمنى أرقى الامم أن لو كان لها من موادّ تاريخها وأسانيده مثل ذلك أو بعضه . ومن أسباب تأخرنا في النهوض بهذه المهمة أن الذين فهموا منا شروط المؤرخ وما يجب عليه تثقفوا ثقافة أجنبية فنشأوا أجانب عن تاريخهم ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والذين تثقفوا ثقافة عربية — كالازهريين — لمّا يتمرّسوا بكتابة التاريخ على النحو الذي يبعث فيهِ الحياة ويعرض أحداثه نابضةً بالحركة والقوة كما تعرض الصور المتحركة على الشاشة البيضاء

أقول هذا في صدد صدور كتاب جديد للدكتور السيد محمد حسين هيكل يؤرّخ بهِ حقبة من أدق حقب تاريخنا وأروعها وأعظمها خطراً وأثراً ، وهي الحقبة التي يتولى فيها قيادة هذه الامة (الصدّيق ابو بكر) كما أراد الدكتور ان يسميه في عنوان هذا الكتاب الجديد أو كما أراد ان يسمي بهِ كتابهُ . فأقول بلا تحفظ ان هذا الكتاب أمتن مؤلفات هيكل باشا وأجودها ، وقد هضم موضوعه من المصادر المحدودة التي اعتمد عليها ، وساير أحداثه حتى كأنهُ كان فيها أو معها . ولا أزعم أنه بنى بهِ هـذا الجزء من تاريخنا ، فان صرح تاريخنا لما يُبنَ بعد ، ولكنهُ أجود ما ألفهُ المعاصرون للنشء المعاصر ، وسيستفيد منهُ هذا النشء ما لا يستفيده من غيره

وكان يكون عمل الدكتور أتم وأجود لو أنهُ كان أسخى في تنويع مصادره ولا سيما قريب التناول منها كالبداية والنهاية لابن كثير ، فقد كان من حق كتابه عليهِ ان يرجع الى هذا المصدر العظيم حتى لو كان مخطوطاً غير مطبوع ، فكيف به وقد طبع . وكان يكون عمله أتمَّ وأجود لو لم يعتمد على مصادر واهية ككتاب الأمامة والسياسية ، فهو لقيط مجهول النسب ، وابن قتيبة بريء منهُ ، ولم يذكر لهُ مترجموه كتاباً بهذا الاسم ، وأسلوب القول فيهِ يخالف أسلوب ابن قتيبة في كتاب المعارف وفي سائر كتبه ، والكتاب يشعر بأن مؤلفه كان بدمشق وابن قتيبة لم يخرج من بغداد الاّ الى الدِّيْنَوَر ، والمؤلف يروي عن ابي ليلى وأبو ليلى كان قاضياً بالكوفة قبل مولد ابن قتيبة بخمسٍ وستين سنة ، ونقل خبر فتح الاندلس عن امرأة شهدته وفتح الاندلس كان قبل مولد ابن قتيبة بنحو مائة وعشرين سنة ، ويذكر فتح موسى بن نصير لمراكش وهذه المدينة شيدها يوسف بن تاشفين بعد ابن قتيبة بمائتي سنة . فكتاب الامامة والسياسة لا يجوز لمؤلف ان يجعله في مصادره

وعلى ذكر المصادر نقول ان كتاب هيكل باشا كانت تزداد محاسنه لو انهُ التزم العَزْو في المواضع المهمة الى مصادرها ، خصوصاً عند اختلاف الروايات ، فالروايات تختلف باختلاف أقدار رواتها ، ولا نعني المؤلفين كالطبري وغيره بل نعني من يروي عنهم الطبري وغيره من الرجال . فقد يروي المؤرخ الواحد روايات متفاوتة عن رجال متعددين قياماً بحق الأمانة ، وهؤلاء الرجال يتفاوتون كما يتفاوت من نعرفهم من معاصرينا الأقربين ، فالخبر الذي يرويه أحمد تيمور باشا مثلاً لا يعدله الخبر الذي يرويه الشيخ التفتازاني ، وهكذا الناس في كل زمان ومكان . وعلماؤنا الأقدمون ألفوا كتباً خاصة ببيان أقدار هؤلاء الرواة ، فتعيين اسم الراوي عند اختلاف الروايات عظيم الشأن في الموازنة بينها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي الفصل الحادي عشر طرق المؤلف موضوعاً ذهب فيهِ الى أن احتفاظ عرب الشام وعرب العراق بخصائصهم وبحياتهم وبلغتهم العربية كان من الطلائع التي مهدت للفتح العربي والامبراطوية الاسلاميـة . وليس معنى هذا ان دولتي فارس والروم لم تحاولا استخدام المتصلين بهما من العرب في مقاومة النهضة التي انبعثت من الجزيرة العربية ، بل معناه أن عرب الشام وعرب العراق كانوا أقدر على فهم حقائق الدعوة الجديدة وادراك مراميها ، ويأتي بعدهم سكان البلاد الاصليون في فلسطين وسوريا والعراق ، فانهم آراميون وفينيقيون وكلدانيون ، وهذه الامم سامية ، وقـد ثبت اتصال أصولها بالاصول العربية ، بل تمكن المحققون الاوربيون والاميركيون من تعيين أزمان هجرتهم الى العراق والشام من جزيرة العرب نفسها ، فالعقلية السامية كانت سريعة الفهم لمرامي النهضة التي انبعثت من جزيرة العرب ، وكان من أثر استجابتها لهذه الدعوة أن بادرت الى تعريب ألسنتها لما بين العربية والآرامية والفينيقية والكلدانية من أواصر القربى ووحدة الاصول ، يضاف الى ذلك أن هذه الامم كانت برمة بظلم الدولتين المتغلبتين . فلما طلعت عليهـا القومية العربية بأخلاق رجالها وعدالتهم وصفاء فطرتهم وسمو دعوتهم وبمثلهم الانسانية العليا كانوا أسرع استجابة لذلك من العناصر الاخرى . واعتبرْ ذلك بما كان من اهل حمص عند ما شعر الفاتحون العرب بان الروم تجهزوا في الشمال بحملة لا تقوى على صدّها الحامية العربية المقيمة في حمص فقررت الانسحاب ، وقبل ان تنسحب دعت اعيان الاهالي ورجال دينهم وعرض عليهم قائدها ان يأخذوا ما كان جُـبي منهم من أموال الجزية ، وقال لهم اننا نأخذ الجزية في مقابل حمايتكم ، وقوتنا المحلية لا تقوى على حمايتكم فلا يحلّ لنا أن ننسحب واموال الجزية معنا نخذوها وتمهدوا لنا بأن تردّوها الى اصحابها فأجابهم هؤلاء الاعيان : والله ان الروم لو انهم جبوا منا الاموال الاميرية واضطروا الى مثل ما اضطررتم اليه لما أعادوا الينا ديناراً واحداً مع ما بيننا من وحدة الدين ، وان حكومة يكون فيها هذه الرحمة وهذا الانصاف لا نرضى بها بديلاً ، ونحن مستعدون لأن ننضم الى جندكم وان ندفع حملة الروم بكل من يستطيع منا حمل السلاح

وحسبنا مقياساً لاخلاق العرب في تلك الحقبة ما ذكره هيكل باشا في ص ٢١٠ من أن عمر أقام عاماً كاملاً على قضاء المدينة — وكانت العاصمة، وكانت تجهز منها الجيوش ، وهي تعج بالناس من حضر وبدو — فلم يختلف اليهِ متقاضيان ، ولا نظن هذه المنقبة مما امتازت بهِ مدينة أخرى على ظهر الارض في عصرٍ ما من عصورها

وهذا الجانب من خصائص الامة العربية في ذلك العصر كان يمكن أن يكون منه مادة غزيرة يتألف منها الجواب على سؤال المؤلف في ص ٣٦٧ : « لماذا كتب القدر الحكيم منذ الأزل في لوحهِ فاصطفى الله نبيه الـكريم من شبه جزيرة العرب دون غيرها من ارجاء العالم ؟ »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فان الجواب على هذا السؤال يجد المجيبُ عليه في خصائص الامة العربية وصفاء فطرتها ومتانة أخلاقها ما يملأ مجلداً ضخماً يتجلى فيه بعض حكم الله في اختيار الاسلام من هذه البقعة التي برهن أهلها على صفات لا يعرفها التاريخ مجتمعة في غيرهم

ويوم تتحقق نبوءَة برنارد شو التي ذكرها المؤلف في ص ٣٧٤ — ولا أعتقد أنها تتحقق الاَّ برجوع العرب الى أنفسهم واضطلاعهم برسالتهم — فيومئذٍ يكون بلوغ الضمير الانساني نضجهُ أدنى مما نظر اليهِ هيكل باشا بعين التشاؤم حيث رآه محتاجاً الى عشرات الاجيال ومئاتها، فالمعجزات التي اعتاد التاريخ العربي أن يفاجىء الانسانية بها يحتمل ان تعيد نفسها مرة أخرى اذا عرف العرب كيف يؤهلون أنفسهم لمُثُلهم العليا بالرجوع الى أخلاق سلفهم الأولين

ولما وصلت في تلاوة كتاب هيكل باشا الى الفصل السابع عشر الذي عقده لحكومة أبي بكر خفت عليهِ أن يسلك طريقاً سبقه الى سلوكها آخرون ولا أحسبهم إلاَّ ندموا ، فرأيتهُ يتخطى الموضوع بخطوات بلغت الغاية في السداد . نعم انهُ كان قد ذهب في ص ٧٥ الى انهُ « لا محل للقول بأن لولاية الامر في الاسلام نظاماً مقرراً » ثم عاد في ص ٣٢٨ فردَّد مثل هذا القول ، إلاَّ انه لا شك في انهُ انما يعني شكل الانتخاب في السقيفة ، أما أن نظام الحكم في الاسلام مقيد بمبادئه التشريعية ، وان هذه المبادىء ضمنت للانسانية أسمى معاني العدل وحرية العقيدة وحفظ الحقوق، فذلك ما برهن عليه مؤلف سيرة (الصديق أبي بكر) بأقوى البراهين وأصرحها

وتعرض في فصل قبل هذا لتاريخ جمع القرآن ، وكان من حق هذا الفصل أن يكون من وجهاته الفنية في غير هذا الكتاب ، وان يكتفي عنهُ باجمال وجيز ، ولا أنكر أن المؤلف أحاط منهُ بكل ما أتت عليه مصادره فوفاها حقها من البيان ، لكن مثل قرائه كانوا في غنى عما اضطر اليهِ من تفصيل وإسهاب

وتعجل المؤلف في ص ٣٤٣ بالكلام على الحكم في زمن عثمان وما بعده ، ولو أنهُ انتظر حتى يكتب لنا تاريخ تلك الأدوار كما كتب لنا تاريخ زمن الصديق فلعلَّ ما يكتبه يومئذ يكون أسد وأحكم

وفي الكتاب أخطاء في ضبط بعض الأعلام ، وفي خريطة الكتاب كتبت (بنو) فلان برسم (بني) في عشرات المواضع، وكان ينبغي ان ينزه كتاب معتنى به كهذا الكتاب عن مثل هذه الأخطاء، والمؤاخذ في أكثر ذلك مَن نوه المؤلف في ص ٣٧٨ و٣٧٩ بقيامهم على هذه الامور

وبعد فان جمهور الشباب المثقف كان في حاجة الى مثل هذا الكتاب في تاريخ الخليفة الأول من الخلفاء الراشدين ، وسيجد فيه ان شاء الله فائدة ومتعة وخيراً كثيراً

محب الدين الخطيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سهاد

مسرحية بالعربية الفصحى — لمحمود تيمور — في ١١٦ صفحة من القطع الصغير — مطبعة عيسى البابي الحلبي

ان مسرحيات تيمور — مثل شخصيته — لا تجد فيها تعقيداً في الأشخاص ، ولا غموضاً في الأفكار ، ولا اشتباكاً في سرد الحوادث ، كما هو الشأن عند بعض القصاص . ولكنها بسيطة الى أقصى حدود البساطة . وكثيراً ما تذكرني — وأنا أقرؤها — بمحمود تيمور نفسه محدثاً حلو الحديث شائق العرض هادىء الطبع في سماحة ورجاحة واعتدال ، فلا ترى منهُ نبوةً عصبية ولا جفوةً حسية ، ولا اضطراباً في الحديث ، ولا تذبذباً في النغم . ولكنهُ دائماً هادىء لا يعنف ، لين لا يقسو ، نفاذ البصيرة من غير ادعاء . الاشارة الصغيرة من يديه ، أو اللمحة الصغيرة من عينيه ، أو البسمة الرقيقة من شفتيه فيها أبلغ العبارات . . وكذلك شأنه في قصصه ومسرحياته

بطلة المسرحية اسمها سهاد ، وهي أميرة عربية نكبت في زوجها وهي صغيرة . فبرمت بالعالم واستوحشت بالدنيا ، وأنست بالصحراء المترامية ، والليل الساجي ، والبلبل المغرد

ومجاهد — بطل القصة الثاني — أمير عربي ، قفز من التصعلك والفقر الى البطولة والإمارة ، وكان في أيام فقره يهيم على وجههِ في الأرض يضرب على « نايه » . فأحبته سهاد وهو لا يدري بحبها لهُ . وودت لو تنزل عن غناها ومجدها في سبيل فنهِ وهواه . ولكنه باع روحه الشعرية الفنّية الى ساحر من سحرة الهند ليتقرب الى سهاد وما سحره في الحق إلاّ المدنية وحب المجد الزائف والعرَض الزائل

ان مجاهداً باع سموه الروحي . وباع نفسه التي أولعت بالعزف على الناي . وعاد الى سهاد قائداً مظفراً . ظاناً أنهُ لا شك كاسبٌ قلبها ورابح ودها . ولكنها مع الأسف والخيبة أنكرت عليه أنهُ غيّر نفسه الأصيلة الفطرية الشاعرة الى نفس متغيرة متلونة طمعت في الحياة والمنازل والأقدار ... ولكن هنا حيرة في الموقف ، فان مجاهداً لم يبع نفسه الاّ في سبيل سهاد ومن أجلها . فكيف تضيع عليهِ الصفقة أو تفسد عليهِ السلعة ؟ ؟ وهنا تتكفل سهاد بالجواب عن هذه الحيرة المثارة في نفس القارىء حيث تقول ص ١٠٦ (طال بحثي عن الفنان الفقير فيك ، فلم أعثر له على أثر . . . كنتُ أتمثلهُ على نحو آخر ، طيفاً سماويًّا من عالم الأحلام ، نغمة عذبة يتوضح فيها الفن والجمال . . . .) . ومن هنا تدخل في المسرحية شخصية الأمير سيف الدين وهي شخصية ثانوية قصد بها المؤلف أن يوازن بين رجل ورجل في نظر شابة شاعرة بعيدة مطارح الخيال كسهاد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومسرحية سهاد من النوع العاطفي الذي يسمو بالانسان الى عالم الخيال والكمال ، ولعلَّ محمود تيمور قصد منها أن تكون درساً لمن ألهاهم التكاثر ، وأحبوا المال حباً جماً ، وفتنتهم زخارف الحضارة وطلاؤها الخادع

فالليل — في نظر سهاد — له روعة لا تعدلها روعة ص ٨٦ ، وفي الظلام كثير من المفاتن لا تستطيع أن تراها كل العيون ص ٨٦ ، وعازف الناي عندها صاحب فن رفيع ص ٩١ ، والشعراء عندها لا يقلبون حقائق الحياة ، وانما يسبغون عليها من خيالهم الفياض جمالاً وفتنة أو ينفخون فيها من روحهم الصافية ، ويلونونها بالألوان الزاهية الجذابة ويكشفون عن أسرارها اللطاف ص ٨٦ . وفي المسرحية روحُ فكهة هي روح تيمور حين يقصد الفكاهة في حديثه ، وقد قصد تيمور أن يكون القزمان أقميش وقرطيش موضوع الفكاهة في المسرحية ، فكل حركة منهما تثير الضحك . وكل لفظة منهما تبعث على الأغراق في السخرية ، حتى أن اسميهما لم يجريا على المألوف من أسماء الخدم ولهذا شاع الهزؤ بهما بين الصغير والكبير ، ألم تجد العجوز « أميمة » منهما مجالاً للوعيد المضحك حينما قالت لهما : أن لم تجيدا الرقص فسيكون لحمكما من نصيبي؟ ص ٧٤ . أما الحوار بين أميمة وبينهما بشأن الفاكهة التي أعدت للضيفان فهو ممتع ومضحك وكأن ذلك الأمتاع والأضحاك يعدان القارىء للحزن — في آخر الرواية — على خاتمة الأمير مجاهد وعودته يجرر اذيال الحسرة والحرمان

***

والحق ان الخاتمة مؤلمة حزينة فقد تركنا محمود تيمور نبكي مع الامير مجاهد على حبه الضائع ، وأن كان البكاء ليس من شيم الأبطال . كما تركنا محمود تيمور مع الاميرة الخائنة الرجاء سهاد ترقب خطى الأمير مجاهد في اهتياج وهو يرحل من عندها بعد ان خسر الفنَّان روحه وباعها برخيص الجاه ليشتري به حب سهاد التي ظلت على حبها لفنها فقط وبقيت على اخلاصها لفطرتها السليمة الحلوة

أما أسلوب تيمور فهو عربي مشرق السِّمات ، لا تجد فيه أثراً لهجنة ، ولا لوثة من عجمة ، ولعلهُ بذلك يرد أبلغ رد على من يتهمونهُ باستعمال العامية في بعض مسرحياته . فلم تكن كتابته بالعامية لأن أداة الفصحى لم تطاوعه ولكنها كانت عن رأي ارتآه

وهذه العناية بالأسلوب واختيار اللفظ وانتقاء الجيد من العبارات ، مع ما رزقه المؤلف من براعة السَّرد ، ولطف القَصّ ، وحسن العرض ، وبراعة الحوار كفيلة ان تجعل من محمود تيمور قاصًّا من طراز رفيع ، يُقرأ للفائدة واللذة الفنية والعبرة لا للتسلية العابرة والمتعة الخاطفة

محمد عبد الغني حسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشخصية الناجعة

للاستاذ سلامة موسى — مطبعة المجلة الجديدة — صفحاته ١٤٨

يمتاز رجال المعرفة الاجتماعية، وفي طليعتهم علماء النفس والاجتماع، بسعيهم الى تطبيق الطريقة العلمية في بحثهم وهذه الطريقة تقوم غالباً على الملاحظة والتجربة والتحقيق — وهي نفس الطريقة التي تعتمد عليها العلوم الموضوعية — والمعرفة الاجتماعية هي المدى العلمي الذي يتناول كافة الظواهر التي تتعلق بالانسان وصلته بالمجتمع الذي يعيش فيه . ولتعدد هذه الظواهر ينبغي على الباحث أن يلم بالعلوم الاقتصادية والمذاهب النفسية ودراسة خصائص الانسان « الانتروبولوجيا » والاخلاق والتربية . والاستاذ « سلامة موسى » رجل واسع الثقافة وهو أحد رجال المعرفة الاجتماعية ويعد في الطليعة من رواد الفكر الحديث عندنا . فهو أديب دائب الدرس والتفكير يكتب في الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والأدبية بأسلوب العالم المفكر أي بالأسلوب الواضح السهل وبهذا الأسلوب العلمي يكتب كثيراً من أدق المباحث السيكولوجية . فتخرج سائغة مفهومة لا تريب القارىء لأنها بعيدة عن الغموض المعنوي أو التقعّر اللفظي . فقد كان الأستاذ يكتب عن ماركس وفرويد واليوت سمث وغاندي والبشرية ومصر أصل حضارة العالم وغيرها من الموضوعات التي ترفع من شأن أدبنا الحديث وتجعلهُ قادراً على تمثيل المعارف الحديثة بل تجعلهُ يساهم في تجديد الحياة وتطورها ولا يقف موقف الجمود والركود. وهو اليوم مشغوف بالبحوث السيكولوجية والأخذ في تطبيق المذاهب النفسية بوجه عام على مجتمعنا المصري بل على حياتنا الفكرية. وأحدث مؤلفاته ذلك الكتاب الذي أخرجه للشباب عن « الشخصية الناجعة » . والشخصية موضوع حديث من الموضوعات الهامة التي يتناولها بالبحث والتحليل الكتاب السيكولوجيون . فلقد كتب عنها « مكدوجل » آخر فصل في كتابه Energies of Men وكتب عنها روبرت وودورث في كتابه « السيكولوجية » Psychology وكتب عنها « الدوس هكسلي » فصلاً ممتعاً في كتابه « دراسات سديدة » Proper Studies . على ان هذه الدراسات عامة ليس فيها تخصيص أو تحديد والأمثلة فيها قليلة. أما كتاب «الشخصية الناجعة» فهو لون جديد من التأليف عندنا، والأمثلة فيه غزيرة واقعية. والشخصية كما يقول المؤلف هي « ثمرة الوسط والمجتمع » والذي يقصد من معنى الشخصية انها مجموع الصفات التي يمتاز بها شخص ما في معاملة الناس بحيث يؤثر فيهم تأثيراً يؤدي الى نجاحه سواء في صناعته أو في حرفته أو في علاقاته مع الأفراد . والشخصية تتكون بالاجتماع والانسان تنمو شخصيته وتقوى بمقدار اختلاطه بأوساط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مختلفة لانهُ يتعلم طرقاً وأساليب في تناول الاشياء ومعالجتها تجعلهُ يختار أهداها الى النجاح والتأثير في الغير . فكأن الشخصية تتكون من عادات اجتماعية خاصة وتنعدم بانعدام الاجتماع. ونعني هنا الاجتماع الذي يحملنا المسؤوليات ويهذبنا جسداً وروحاً ويهيئنا للادراك والتقدير اللذين يعتمدان على عقل مثقف يدفع بالنفس الى تعيين السلوك الواجب اتباعه في مختلف المواقف .

ولقد تحدث المؤلف في الفصل الاول عن ماهية الشخصية وفي الفصل الثاني عن عوائق النمو للشخصية وفي الفصل الثالث عن درجات الشخصية ووصف في الفصل الرابع التمرينات اللامعة لتنمية الشخصية وفي الفصل الخامس عن الشخصية والنجاح وفي الفصل السادس عن تغير الشخصية . ثم الخاتمة وقد تحدث فيها عن الشخصية الجديدة الملائمة للقرن العشرين

ويجدر بي ان اشير هنا الى ان الواجب ان يقرأ هذا الكتاب من الفه الى يائه فهو جدير باهتمام القارىء وهو موضوع لتوجيه الشباب الوجهة الصالحة ولكن على القارىء الحصيف ان يقف عند الفصلين الرابع والخامس فيطيل الوقوف . ففي الفصل الرابع وصف تمرينات لتنمية الشخصية فتحدث فيه المؤلف عن الاجتماع المختلط والمناقشة والالقاء واللغة والثقافة واللغة والرقص والتمثيل واعتياد عادات جديدة والهواية والدفاع عن قضية عادلة وهذه كلها ترمي الى جعل الشاب اجتماعيًّا على شيء من المهارة في اللغة والايماءة والحديث مع الرشاقة والبشاشة . وان العمود الفقري للشخصية هو المسؤولية والمرانة

اما الفصل الخامس فقد شرح فيه المؤلف الشخصية الانسانية والشخصية الناجحة والعادات وصلتها بالشخصية الناجحة ورسم خارطة الحياة واختيار الصناعة وفصل حياة العالم الاحيائي والشاعر الكبير « جيته » من حيث هو شخصية كاملة ، أو من حيث هو « شخصية » مثالية للتفكير والتوجيه .. ومن رائع ما كتب عن الشخصية الجديدة للقرن العشرين انها الشخصية الايجابية التي تجيب على اسئلة الحياة ومشكلاتها بنعم وليس بلا . اي انها تعمل وتبني ولكنها مع ذلك قادرة على ان تنقض وتهدم . فيجب ان نبني الصحة والمعرفة والفن والرخاء »

وان وزارة المعارف لتحسن كثيراً لو قررت قراءة هذا الكتاب في مدارسها الثانوية بل في الجامعتين المصريتين . فالكتب العربية الخاصة بالنفسيات قليلة جدًّا وليست كلها جديرة بالدرس وبالبقاء وانما هذا الكتاب يعد بحق من كتب الجيل الناهض

حليم متري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حياة قلب

لاحمد الصاوي محمد — ١٤٤ صفحة من القطع الوسط — طبع شركة فن الطباعة
نشرته مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

منذ ثمانية أعوام قلتُ في مستهل كلمة لي عن كتاب للاستاذ أحمد الصاوي محمد ، « ان الصاوي شاعر انفرط عقد لآلئه ، وهو في طريقه الى ربة الشعر » . واليوم أرى ان أصدق دليل على قولي كتابه « حيـاة قلب » ، فهنـا شاعرٌ له جميع مزايا الشعر ، ولكن القافية والوزن ليسا من وسائل أدائهِ ، وإنما وسائله ، في العاطفة المشبوبة ، والتعبير الشعري الحي ، والرنين المنبعث من قلب لمسته يد الحب فحولته نغماً متصاعداً . وطالبه الفنُّ بالاخلاص فصدق الرواية وكشف الستار عن حقيقة روحه وقلبه

فبينما كان الصاوي يعمل ، خلال الشهور السود من هذه الحرب الطاحنة ، في الترفيه عن قرائه بنقل ما سطره الكتّاب عن حوادث هذه الحرب وفظائعها وأهوالها وأسرارها ، وفي أثناء اهتمامه باخراج كتبه : « مأساة فرنسا » و « اسرار انهيار أوربا » و « الرقص على البارود » و « الوحش الأصفر » ، التفت ناحية الروح والقلب ، فأخرج أربعة كتب أخرى هي : « المرأة لعبتها الرجل » و « الموجة العذراء » و « حياة قلب » ثم « غانيات »

والصاوي حين يكتب للروح والقلب ، يخفق على القرطاس ولهذا تحسُّ فيما يكتب خفق القلوب ولهفة النفوس . ومن قرأ قصة « عائدة » التي نشرها منذ أربعة عشر عاماً شعر بهذا الاحساس ، ومن حسن حظ قراء كتاب « حياة قلب » أن هذه القصة هي احدى فصول هذا الكتاب

***

واني أترك للاستاذ الصاوي الحديث عن كتابه هذا فيقول :

« هذا الكتاب هو حلقة من عمره ، بلا زيادة ولا نقصـان . . . ليس فيها أثر للادعاء أو الخيال . . صوّر فيهـا ذلك الدور العنيف من شبابه المقيد في الشرق بقيود الحرمان ، ينطلق في الغرب بغير حساب ، ويسعى الى الهيجا بغير سلاح .. أمحت من حياتهِ الآن تلك النارية ، فهو لا يحاول في هذه الصفحات زهواً أو مباهاة ، أو دعاية وغواية أو تبريراً يوفّق بهِ في نفسهِ بين الانسانية والحيوانية . . . انما قد أراد هنا ان يردَّ الى الشباب بعض وديعته كما هي : حياة قلب غض ، بكل ما في هذه الحياة من محاسن ومساوىء . . . ربما كان في ذلك الاعتراف بعض عزائهِ عندما يشيب شعره ويشيخ قلبه ... ولعلّ فيهِ بعض الندامة ، فيغفر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لهُ الله ما تقدم من ذنبهِ وما تأخر . . . فيقول وهو يتصفح حياة قلبه ، مع الشاعر ڤرجيل : هذه الذكريات ، ستكون يوماً ما هنائي »

فهنيئاً للاستاذ الصاوي بهذه الذكريات العذبة التي أسبغت على الأدب الحديث لوناً من الفن القصصي جديداً الصيرفي

ديوان « اشراقة »

للشاعر السوداني المرحوم التيجاني يوسف بشير

ان أعظم قصيدة للشاعر عندي ... حياته . وقد ختمت قصيدة التيجاني الكبرى بأروع مقطع . اذ اخترمه الموت مبكراً في سن الخامسة والعشرين وفيه أحفل ما يكون بالأغاريد وخياله أخصب ما يكون بالمعاني

وقد هزَّت الأريحية النائب الفاضل الأستاذ محمد محمود جلال والوجيه الكريم الأستاذ علي البرير فقاما بطبع ديوان الشاعر فأسديا للادب يداً لا تنسى استحقا عليها أجزل الشكران. وها هو ذا بين أيدينا ديوان « إشراقة » حيث الحرية والتسامي والانطلاق من قيد الرغيف والدرهم الى عرش السيطرة على النفوس وأي شيء أسمى في الانسان من نفسه وأي مُلك يداني مُلك من سيطر على أسمى ما في الانسان ؟! . . . ليزأر أنصار البحتري وأبي تمام والفرزدق وأمثالهم ما شاءوا فقد انقضى العصر الذي كان فيهِ الشاعر بوقاً لكل نافخ وها هم أولاءِ شعراء الجيل يؤثلون للشاعر مكانه الجدير به بين القادة . ولينفضْ النحاث خلائف سيبويه وابن الاعرابي والأصمعي ايديهم من الشعر الحديث يلتمسوا فيه الغريب والدارس والآبد من الالفاظ فما لهم عليه من سلطان طالما القواعد مرعية والاصول متبعة واللغة سليمة ، ولكن ليقبل كل ظامىء الروح متوقد الحس مرهف الشعور فهو واجد ما يشتهي هنا في ابيات التيجاني من قصيدته (جمال وقلوب)

وعبدناك يا جمال وصغنا لك أنفاسنا هياماً وحبا
ووهبنا لك الحياة وفجر نا ينابيعها لعينيك قربى
وحبوناك ما يزيدك يا لغ ز وضوحا وأنت تفتأ صعبا
من ترى وزع المفاتن يا حسـ ن ومن ذا أوحى لنا أن نحبا

وفي قصيدة « قلب الفيلسوف » حشدٌ من المعاني السامية النبيلة والاشراقات التي لا تتهيأ إلاّ للملهمين وقد سحرتني هذه القصيدة حين قرأتها أولاً في مجلة « المقتطف » وهي من مفاخر الشعر الحديث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مغداك في حجر الآباد مغداه وفوق دنياك في الايام دنياه
ودون مغناك من ابهاء شامخة كوخ النبي وفي علواء مغناه
أطل من جبل الاحقاب محتملا سفر الحياة على مكدود سيماه
منبأ من سماء الفكر ممسكة على الرسالة يمناه ويسراه

وقصيدة «في محراب النيل» لا تقرأها إلاّ وتشعر بالرهبة والجلال والروعة كأنك داخل أحد الهياكل المقدسة وفيها يخاطب النيل :

حضنتك الاملاك في جنة الخلد ورفت على وضيء عبابك
وأمدت عليك أجنحة خضراً وأضفت ثيابها في رحابك
فتحدرت في الزمان وأفرغت على الشرق جنة من عبابك
نخرتك القرون تشمر عن ساق بعيد الخطى قوي السنابك !

وان مقوِّمات الشعر: الخيال (الفكرة) والعاطفة والتعبير لتبدو في شعر التيجاني منسجمة أبدع انسجام. نعم ان عاطفته لا تتخلى عن فكره وخياله لأنهُ لا يطرق الاّ الموضوع الذي تشبعت به نفسه وفاض عليه احساسه . اما التعبير فقامهُ بقدرة تأديته المعنى مع أننا نلمس في تعابيره الماماً واسعاً باللغة واطلاعاً دقيقاً وقدرة فائقة على التصرف في الالفاظ لا تقل عن قدرته على ابداع المعاني. ولكن اللغة والالفاظ تستقر في وضعها الطبيعي أي انها وسيلة لا غاية

والتيجاني في ديوانه يعاني صراعاً نفسانيًّا عنيفاً هو صراع بين روح صوفية سامية زاهدة ونفس ظامئة نهمة تهيم بالجمال والحسن فبينما ترى له قصائد «الصوفي المعذب» و«الله» و«الزاهد» و«قلب الفيلسوف» ترى له قصائد «جمال وقلوب» و «من هنا وهناك» و«رب ما أعظم الجمال وأمجد» فهو القائل :

أحبك حتى تبيد السماء ويبتلع النيرات الابد

ثم يعبر عن خوالج نفسه وقد فتنها الحسن :

رقصت في الفضاء نفسي حتى اوشكت من يدي ان تتبدد !

أما قصيدته «توتي في الصباح» وقد نشرت في «المقتطف» ايضاً فإنها من عيون القصائد الوصفية بل انهُ فيها نفحة من شعراء البحيرات الانكليز على حد تعبير الصديق رئيس تحرير المقتطف

وهذه العجالة لا تكفي لتناول نواحي هذا الشاعر بالافاضة ولكننا سنوفيه حقه حين نستكمل بحثنا عن الشعراء المحدثين . وختاماً ان ظفر الشعر الحديث بمثل هذا الشاعر لما يبهج النفس ولكن اللوعة لفقده لاحدّ لمداها وفي هذين الشعورين حياة له أبداً تتجدد

محمد فهمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الأول

من المجلد الثاني بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



E. Mittwoch.

المستشرق متفوخ (أنظر ترجمتهُ صفحة ١٨٠)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني بعد المائة

١ فبراير سنة ١٩٤٣ — ٢٦ محرم سنة ١٣٦٢

العلم والامراض العقلية

١ — العلاج بالانسولين

كان الطبيب مانفرد ساكل يعالج طائفة من مدمني المورفين بمستشفى في برلين سنة ١٩٢٧ فخطر له أن يجرب الانسولين في علاجهم . وهذا العقار هو توْر الغدّة الحلوة (البنقرياس) ومن فعله عون الجسم على استعمال السكر الذي في الدم . فظنَّ ساكل ان هـذا العقار قد يكون فعـالاً في انقاذ هؤلاءِ المرضى المدمنين من ضرورة زيادة الجرع المعتادة التي تكفيهم من المورفين ، فيكون الانسولين وسيلة لانقاذهم من إدمان المورفين

ومن المعلوم في دوائر الطب ان نقص السكر في الدم نقصاً سريعاً يفضي الى ردّ فعل عنيف في الجسم اي الى صدمة . فاذا حقن المصاب بداءِ البول السكري (ديابيطس مليتوس) بقدر من الانسولين أكبر مما يجب أن يكون هبط مقدار السكر في الدم الى أقل من مستواهُ اللازم فيصبح المصاب المحقون وكأنهُ ثملٌ أو مخدّر وقد يفقد وعيهُ أو تستولى عليهِ غيبوبة . فكان لابدَّ لساكل من أن يجرّب تجاربهُ الأولى في الحيوانات ، لأن الحقن بالانسولين يحدث هذا النقص السريع في مقدار السكر . وبعد تجارب متعددة أتقن فيها أسلوب الحقن والمراقبة وما أشبه ، بدأ تجاربهُ بالمصابين منَ الناس

كان ردُّ الفعل في بعض المدمنين الذين حقنهم بالانسولين ، أن أصيبوا بتشنّجٍ . ولكن معظمهم تصبب العرق منهُ تصبباً غزيراً ثم أخلد الى السكينة والنوم . فلما استيقظوا من غيبوبتهم بعد ساعات عجب الطبيب لسلوكهم ، إذ لاحظ ان ألوان الخوف والقلق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتوفز الأعصاب والشعور بالاضطهاد التي كانت تساورهم قد خفّت أو زالت . فالهائجون أخلدوا الى السكينة، والمنطوون على أنفسهم القاطعون كلّ صلة لهم بعالم الحقيقة عادوا يدركون الحقيقة والواقع، والنازعون الى الانزواء أو الخصام انقلبوا الى المودّة والتعاون

لم يكن ساكل يتوقع هذه النتيجة الغريبة . لحملتهُ على التفكير . لأنهُ اذا كان الانسولين يحسّن الحالة العقلية في المدمنين ، فماذا يحول دون تأثيرها هذا التأثير في المجانين . فبدأ كذلك يجرب طريقته في مرضى العقول، وفاز بنتائج شجعتهُ على المضي . ولكن الريبة كانت تحيط بأعماله في برلين ولم يُتح لهُ مجال حرّ لمواصلة مباحثه وتجاربه ، الى أن انتقل الى ڤينا ، حيث أباح لهُ الدكتور پوتزل Potzl مدير عيادة أمراض الأعصاب بجامعة ڤينا ، فرصة تطبيق أسلوبه على كلّ مصاب بالخبل (شيزوفرينيا) يدخل تلك العيادة . فلم تنقض أشهر حتى تواترت الروايات من ڤينا ، عن عجائب ما يفعلهُ الدكتور ساكل

وكل علاج جديد لمرض الخبل حريٌّ بأن يحرّك العناية والنقد في آن . لأن هذا المرض معدود في طليعة الأوصاب العقلية التي يصاب بها البشر ، وهو أكثر ما يكون اصابةً للفتيان والفتيات ، دون العشرين قليلاً أو بعيدها . وكثيراً ما يوصف بأنهُ عاصفة مستمرة تعصف بالمصاب ، فتتهافت شخصيتهُ ، فيسمع أصواتاً ويرى رؤى من نسج الوهم ، ويميل أحياناً الى العنف . ويقول الدكتور روي هُسكنز ، ان هذا المرض يقابل إصابة رجل « كان فيه شياطين » على ما جاء في انجيل لوقا ٨ : ٢٧

بدأ ساكل العلاج بطريقته في مايو ١٩٣٣ وبعد قليل تجمّع بين يديه وصف خمسين حالة عالجها في عيادة الامراض العصبية في ڤينا . وكانت العادة المتبعة ، أن يفحص المصابون ثم ينقلون الى مستشفيات الدولة للعلاج بالأساليب المتبعة في علاج الأمراض العقلية . ولكن ساكل تمكن بعد اتفاقه مع پوتزل من معالجتهم بالانسولين . وقد نجح العلاج في أربعٍ وأربعين حالة ، وأخفق في ستة مصابين ، فأرسلوا الى مستشفيات الدولة لمعالجتهم . أما المصابون الذين نجح علاج ساكل فيهم فقد عادوا الى دورهم والى مزاولة أعمالهم

وقد كانت عودتهم الى الصحة العقلية متدرجة . فثمة شابة كانت أوهامها مفرغة في قالب حروف وأرقام ورموز أخرى، وشمها زوجها —عن بعدٍ— على ذراعها . وبعد ما عولجت ستة عشر يوماً بالانسولين قالت : « يلوح لي أن بصري آخذ في الضعف فلست أرى الوشم على ذراعي » . وبعد سويعات رأتهُ ثانية . ثم زال بعد الحقن بالانسولين ، وكانت مدة زواله أطول من المدة السابقة . وكذلك تدرّجت الى الصحة العقلية ولكن ثبوت هذه الأوهام في ذهنها أطال الزمن المنقضي قبل اعترافها بزوال الوشم تماماً ، وأخيراً خمدت هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العواصف التي عصفت بعقلها ، ووجّه فكرها وشعورها توجيهاً طبيعيًّا سويًّا

وكان أصعب ما اعترض سبيل الدكتور ساكل معرفة طول الغيبوبة التي يجب ان تستولي على المصاب وعدد الحقن . فمنهم من تكفيه ثماني حقن ومنهم من لا يبدأ جسمهم بالاستجابة إلاّ بعد خمسين حقنة ، ثم يبدأ الطبيب في تقليل مقدار الانسولين تدريجاً . ولا بدَّ على كل حال من مراقبة المريض مراقبة دقيقة بعد حقنه حتى لا يصاب بهبوط

فكيف يفسّر تأثير الانسولين في العقل المصاب؟ تعدَّدت الآراءُ وليس بين الخبراء إجماع. فطريقة حدوث الخبل ليست مفهومة على وجهٍ دقيق ، فلا غرو ان يكون علاجه بالانسولين غير مفهوم كذلك حتى الآن . واذن فهذا العلاج قائمٌ على التجربة والاختبار ، على الاكثر . ولكنَّ هذا لا يمنع ترحيب أطباء العقول والاعصاب بهِ ، أيما ترحيب

وفي سنة ١٩٤٠ وضع كشف بالمصابين الذين عولجوا في مستشفيات نيويورك . ولمعرفة تأثير هذا العلاج ومداهُ ، أُخذ من الكشف أسماءُ الذين انتهى علاجهم في مارس ١٩٣٨ او قبل ذلك . فاذا عددهم ١٠٣٩ مصاباً ومصابة . وعند البحث عن احوالهم في شهر مارس من سنة ١٩٤٠ وجد أن ١٣٢ منهم محتفظون بصحتهم العقلية تامةً وان ١٤٨ منهم كانت حالتهم أحسن كثيراً وان ١٩٢ منهم كانت حالتهم احسن قليلاً . واذن فنحو ٤٥ في المائة من الذين عولجوا ، كانوا بعد انقضاءِ سنتين على انتهاءِ علاجهم ، إما قد شفوا شفاءً تامًّا وإما تحسنت حالتهم تحسناً متفاوتاً

٢ — العلاج بالمترازول

وبينما كان ساكل مهتمًّا بتجربة طريقته واقامة الدليل على فائدتها في النمسا ، كان طبيب عقليٌّ آخر في هنغاريا يجرب طريقة اخرى قائمة على المبدإِ نفسهِ اي على احداث صدمة في جسم المصاب . وكان اسم هذا الطبيب الدكتور لادسلاوس فون مدونا احد اطباء المعهد الهنغاري الملكي للمجانين . وكان فون مدونا قبل ذلك معنيًّا بتشريح الدماغ ، فاسترعى نظره الفرق التشريحي ، بين دماغ المصروع ودماغ المخبول . ففي دماغ المصروع تبيَّن نموًّا يفوق النموَّ السويَّ في النسيج الذي يصل بين خلايا الدماغ . وفي المخبول وجد هذا النسيج ضامراً ضعيفاً . وتبين كذلك ان المرءَ قلما يصاب بالخبل والصرع معاً . وان المخبولين رقاق الاجسام بوجهٍ عام بارزي العظام ، بينما المصروعون قصار عراض سمان . وهذه الفروق التي لاحظها كانت فروقاً عامة ، قد يكون لها شذوذ . ثم تبين اخيراً ، انهُ اذا شذَّ أحد مخبول وأُصيب بالصرع ، فان خبله يخف بعد نوبة الصرع . وخرج فون مدونا من كلّ هذا بنتيجة عامة واحدة ، وهي ان الخبل والصرع حالتان متناقضتان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقال في نفسه اذا صح هذا الاستنتاج ، فلماذا لا نستعين بهذا التناقض في العلاج ؟ واذا كان تشنج المصروع يفضي الى تحسن حال المخبول ، واذا كان الصرع والخبل لا يلتقيان في فردٍ ما بوجهٍ عام ، فلماذا لا تحدث صدمة تشبه تشنج المصروع ، في امرئٍ مخبول ، فنقاوم الخبل بنقيضهِ الطبيعي وهو الصرع او صدمة الصرع

ومن المشهور عند الاطباء ، ان عقاقير معينة تحدث تشنجاً . فاختار فون مدونا منها الكافور لتجربته في تجاربه الاولى . ثم جرب عقار المترازول Metrazol في طائفة تالية من التجارب. وهذا العقار هو الآن العقار المفضل عند الذين يطبقون طريقة فون مدونا في هذا الضرب من العلاج

يحقن المترازول في وريد فيعقبهُ بعد ثوانٍ معدودات تشنج عنيف . ويدوم التشنج من ثلاثين ثانية الى ثمانين ثانية ، تتخللها حركات عصبية عنيفة ، وتلوّ وتصلب ، ثم تأخذ المصابَ سنة نوم عميق يدوم دقائق . والعلاج بالمترازول أسرع فعلاً من العلاج بالأنسولين ، فيتيح للطبيب معالجة مصاب ما في زمن قصير محدود . وفي سنة ١٩٣٩ راجع الطبيبان فون مدونا وأمريك فريدمان ٢٩٣٧ حالة عولجت بالمترازول واذا ٧٣٧ حالة منها نالت شفاءً تامًّا أو أكثر قليلاً من ٢٥ في المائة

بدأ فون مدونا طريقتهُ باستعمال حالة الصرع أو ما يشابهها لمقاومة الخبل ، ولكن أطباء آخرين استعملوا صدمة المترازول في علاج حالات أخرى من الأمراض العقلية . وتجاربهم تدلُّ على ان صدمة المترازول أنجع في علاج هذه الحالات منها في علاج الخبل نفسهِ ، وبخاصة في علاج حالات « الملانخوليا » و « المانيا » المستعصية ، بينما صدمة الأنسولين أنجع في علاج الخبل . ومع ذلك فهناك حالات تستوقف الانظار ، عجز فيها الانسولين عن شفاء مخبولين ، ولكن المترازول كان ناجعاً فيها . ويقابل هذا ان هناك حالات أخرى لم ينجع فيها المترازول ونجع الانسولين . والواقع أن المرضى الذين يقاومون مقاومة شديدة التأثر بأحد العلاجين ، يعنون على الغالب للعلاج الآخر . ويرى فون مدونا ان حالات الخبل المستعصية يجب ان تعالج بالانسولين والمترازول على التوالي ، وذلك الى ان تتيح لنا المباحث البيولوجية الدقيقة معرفة حقيقة ما يحدث في جسم المصاب تحت العلاج

والظاهر ان تحولاً عنيفاً جدًّا يحصل في جسم المصاب ، لان شدة صدمة المترازول ، أسفرت في غير حادثة واحدة ، عن خلع الفك أو كسر الفخذ أو شجّ احدى الفقار ، وهذا أو ذاك يحدث في جزء صغير من الثانية ، عند ما ينخلع المصاب أو يلتوي بعنف في أثناء التشنج . وهذه الحوادث وخوف المصاب تكرار العلاج ، حملت بعض أطباء العقول على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الامتناع عن استعمال المترازول . ومع ذلك فغيرهم يرحب بهِ أعظم ترحيب . فالدكتور بنت الاستاذ بكلية الطب في جامعة نبراسكا يقول « ان العلاج به، من وجوه التحوُّل الخطيرة الشأن في أساليب الطب العقلي الحديث . نعم ان استعماله قائم على التجربة . ولكنهُ سيبقى الى ان يحل محلهُ أسلوب آخر أحكم وأدق لان فيه على ما يلوح عنصراً أساسيًّا صحيحاً »

على أن هذه الاصابات الناشئة عن حالات التشنج العنيف ، لا يمكن تجاهلها . ولذلك عنيت الدوائر الطبية التي تهتم بهذه المسائل ، خلال سنة ١٩٤١ بعقار يدعى « كرار » Curare ، يعطى المصاب قبل المترازول فيخفف صدمة الاخير . وهذا العقار خلاصة نباتية استعملها أولاً هنود أميركا الجنوبية لسم رؤوس حرابهم بها . ودرس كلود برنار الفسيولوجي الفرنسي المشهور فعلها في القرن الماضي وأثبت انها لا تؤذي اذا أخذت شرباً . ثم استعملت في وجوه شتى . وفي سنة ١٩٤٠ جرّب الدكتور بنت في مستشفى الولاية بعاصمة نبراسكا ، تجارب جديدة بهذا العقار فوجد انهُ اذا أعطي المصاب جرعة منهُ بضع دقائق قبل حقنه بالمترازول خف عنف التشنج الذي يلي الحقن . وقلت كذلك نسبة العظام التي تصاب بشجّ أو كسرٍ

والدكتور فون مدونا يعترف بأن المترازول يهز الجسم هزًّا عنيفاً ولكنهُ يعتقد ان هذا الهزّ لازم للقضاء على سلسلة الافعال المرضية ولاعادة الدماغ المؤوف الى حالته الطبيعية ويعتقد كذلك ان دراسة الحالات التي تعنو للانسولين ولا تعنو للمترازول أو تعنو للمترازول ولا تعنو للانسولين قد تفضي الى الكشف عن أساليب اقل عنفاً في القضاء على سلسلة الأفعال التي تفضي الى الخبل . وعندئذٍ يُعدَل عن الصدمة والغيبوبة اللتين تصحبان العلاج بالانسولين وعن الحالة الشبيهة بالصرع التي تصحب العلاج بالمترازول، الى أفعال كيميائية بطيئةٍ تغني عن هذا الهزّ العنيف الذي يصيب الجسم في العلاجين

٣ — العلاج بالصدمة الكهربية

والطريقة الثالثة الحديثة في معالجة الامراض العقلية هي الطريقة الكهربية وهي أحدث من الطريقتين السابقتي الذكر ومرجعها الى الطبيبين شرتي وبيني الايطاليين في عيادة الامراض العقلية والعصبية بروما . وقد بدأ هذان الطبيبان تجاربهما في الكلاب سنة ١٩٣٨ ثم طبقاها على بضعة مصابين من البشر . ثم عني رجال الطب في فرنسا والمانيا وبريطانيا بهذه الطريقة وفي أواخر سنة ١٩٣٩ بدأت أنباء العلاج الناجع بها تظهر في الصحف الطبية البريطانية . وحوالي هذا الوقت شرع أطباء الولايات المتحدة يعيرونها اهتمامهم

واحداث الصدمة الكهربية في المريض تقتضي القاءَهُ على مائدةٍ ثم وضع قطعتين من

المطاط على صدغيهِ ، تتخللهما قطع من النحاس للاتصال الكهربي ، ثم يطلق تيار كهربي تتفاوت طاقتهُ بين سبعين فولطاً ومائة فولط مدى جزء من الثانية فيخترق رأسهُ ، وعندما يجري التيار يغيب المريض عن الوعي ، ثم تتحرك نخذاهُ وذراعهُ حركة عصبية ، ويهزهُ تشنج ، ثم يغفو ويفيق بعد دقائق . وهذا الأسلوب من العلاج لا يلازمهُ خوف التكرار كما يحصل في العلاج بالمترازول . ولعلَّ هذا سببهُ ان المصاب يفقد وعيهُ حالما يسري فيهِ التيار الكهربي ، فلا يحسُّ بطلائع التشنج التي تسبق صدمة المترازول . وما روي عن الحالات التي عولجت على هذا النحو ، يشير الى نجاح العلاج في ١٥ الى ٥٠ المائة منها

من حالات الأمراض العقلية حالة تعرف بالجنون السوداوي ، وهي لا تعنو للانسولين إلاَّ نادراً ولكن البحث الحديث أثبت ان الصدمة الكهربية تنجع فيها ، كما ينجع العلاج بالمترازول . وحالة الجنون السوداوي حالة يتداول فيها المصابَ دورُ الجنون ودور السوداء (عن معجم دورلند الطبي) والمصابون بها هم على الغالب نهبٌ موزَّعٌ بين النشاط والتراخي ، أو بين الهياج والهبوط ، أو بين التمادي في الزهو والبهجة وبين التمادي في الانقباض وتعنيف النفس والميل الى الانتحار

وقد وضع ثلاثة أطباء أميركيين من مستشفى بنسلفانيا تقريراً عن المصابين بالجنون السوداوي الذين عالجوهم بالصدمة الكهربية ، وهم ثلاثة عشر مصاباً فشفي اثنا عشر مصاباً منهم ، والثالث عشر دون الباقين لم تصلح حالهُ . وفي المدة نفسها عولج ثلاثة مصابين بالخبل ، بالصدمة الكهربية ، فلم ينجع فيهم العلاج . ثم ثبت ان الصدمة الكهربية ناجعة في علاج حالة ملانخولية تصيب الكهول . وقد عولج ثلاثة عشر مصاباً بها ، بالصدمة الكهربية ، فشفي ستة وتحسنت حال خمسةٍ ، ولم تنجع في الاثنين الباقيين . وتشير التقارير الواردة من مستشفيات أخر الى نتائج لا تختلف عما احتواهُ هذا التقرير بوجهٍ عام

٤ — العلاج بالتبريد

وأحدث عهداً من العلاج بالصدمة الكهربية ، العلاج بالتبريد . وقد أذيع خبرهُ أولاً في ربيع سنة ١٩٤١ من بوسطن بالولايات المتحدة الاميركية . فقد روى الطبيبان تالبوت وتيلتسون أن عشرة مخبولين عولجوا بالانسولين والمترازول وغيرها من أساليب العلاج فلم يجنوا فائدةً ما

وأُعطي هؤلاء المصابون مخدّراً خفيفاً جعلهم لا يحسون البرد ولفوا بملايات مزدوجة مطلية بطلاء خفيف من المطاط ويسيل فيها مبرِّد سائل ، فخفضت حرارتهم الى دون الحرارة الطبيعية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان أمد كل علاج يتفاوت من أربع وعشرين ساعة الى اثنتين وسبعين ساعة ، وفي خلالها كانت حرارة الجسم الباطنيـة بين ٣٢ درجة مئوية ونحو ٢٧ درجة مئوية وأحياناً أقلّ .
وكان أحد هؤلاء المصابين صبيّـة مضى عليها سنتان لم تخاطب خلالها أحداً . ولكن عندما كانت حرارة جسمها حوالي ٣٢ درجة مئوية كانت تتكلم كلاماً لا تعثر فيهِ ولا اضطراب . فلما ارتفعت حرارتها الى ٣٤ درجة مئوية اضطرب كلامها وتهـافت . وبعد العلاج الثالث بالتبريد ، احتفظت بصفاء ذهنها أو بحالة قريبة من الصفاء . وتقرير هذين الطبيبين يشير الى أن أربعـة من المصابين العشرة الذين عولجوا بهـذه الطريقة ، أصـابوا تحسُّناً يذكر .
ومهما يكن أسلوب العلاج ، وسواء أتبريداً كان أم صدمة كهربية أم أنسولينا أم مترازولا أم غيرها ، فليس ثمة ريب في أن العلاج يحدث تأثيراً عنيفاً في الجسم ، ولا سيما في الجهاز العصبي المركزي . وبصرف النظر عما يحدث في أثناء التشنج عند العلاج بالمترازول، من كسر العظام أو شج الفقار ، فهناك ما يشير الى ان طائفة من خلايا المخ تصاب او يقضى عليها نتيجة للتغير العنيف الطارىء على الجسم . وفي حالات معروفة ، بقي المصاب يصاب بالتشنج بعد انتهاء العلاج ، فأضيف الصرع الى الخبل . وهناك مصابون آخرون تحسنت حالتهم العقلية تحسناً واضحاً ، ثم ارتدوا الى جنونهم . وفريق غير يسير من أطباء العقول يخشون النتائج البعيدة ، أو العواقب البعيدة لهذه الأساليب من العلاج ، ويذهبون الى ان نفعها الثابت لم يقم الدليل عليهِ بعد ، وانهُ يجب عد هذه الأساليب في دور التجربة ولم تتعده
ويقابل هؤلاء فريق آخر من الأطباء يذهب الى ان القضاء على الخلايا المريضة أمرٌ نافع والى ان أساليب العلاج بالصدمة قد تحدث تأثيراً في الخلايا المريضة دون الخلايا السليمة أي انها تكون اختيارية بطبيعتها (Selective) . وبازالة الخلايا المريضة ينجو الدماغ من وحداتهِ المريضة المؤوفة

وليس ثمة ريب في ان الاشارة باستعمال العلاج العنيف لا محل لها اذا نفع اللين . ولذلك يقول الدكتور فريدمان احد أطباء عيادة الطب العقلي ببرن عاصمة سويسرا ، ان العلاج والشفاء بالاساليب السيكولوجية ، مفضلان ، لأن ارشاد اعمال التفكير الى الطريق الصحيح خير من إماتتها !

ولكنَّ اطباء كثيرين يعرفون حالات متعددة عجز فيها الطب النفسي عن كسر الحاجز الذي يفصل الشخصين ، على حد قول احد المخبولين « ان هناك لوحاً من الزجاج بيني وبين الانسانية » . ففي بعض الاحيان لا يجدي اللين في ازالة هذا الحاجز ولا بدَّ من العنف لكسره ، كعنف صدمةٍ ، أو عنف مبضع جرَّاح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ — العلاج بالجراحة

نعم مبضع الجرّاح ، لأن للجراحة اسلوباً في معالجة هذه الحالات . ولا ريب في ان البضع والقطع اشدّ اساليب علاجها عنفاً على الإطلاق . والعمليـة الجراحية تدعى عملية « القطع » لأن الجرّاح فيها يقطع الصلة بين خلايا قشرة المخ داخل الجبهة ، وخلايا باطـن المخ في اعلى العمود الفقري ، وهو الجزء من الدماغ المعروف باسم « التلاموس » thalamus

وقد ابتكر هذا الأسلوب الجراحي اولاً ، الدكتور مونيز البرتغالي في سنة ١٩٣٥ . ثم استعمله طبيبان من أساتذة كلية الطب في جامعة جورج وشنطن الأميركية ولكنهما أدخلا تعديلاً عليهِ . وكان الطبيبان الأميركيان قد قصرا عمليتهما الجراحية على المصابين بضرب من الملانخوليا يصـاب بهِ الكهول على الأكثر ، ولكنّ جراحي معهد مستشفى بنسلفانيا بمدينة فلادلفيا قرّروا تجربتهُ في المخبولين اذا أخفقت كل وسيلة أخرى في علاجهم . واختار الجرّاح الدكتور ستركر خمسة مصابين من جماعة قطع الأمل من شفائهم لإجراء العملية عليهم . وكانوا جميعاً قد صيبوا قبل خمس سنوات على الأقل وعولجوا بالانسولين والمترازول وغـيرها فلم ينجع علاج ما فيهم . وكان هؤلاءِ الخمـة أربع نساء ورجلاً واحداً وكان أصغرهم سنّـا في الخامسة والعشرين وأ كبرهم سنّـا في التاسعة والثلاثين وأجرى العمليات الدكتور فرنسيس غرانت

وقد قال الدكتور ستركر في تقريره ، وهو محافظ شديد المحافظة في قولهِ ، ان الشفاء التام بفضل هذه العملية غير منتظر ولكن حالة المصابين الخمسة تحسّـنت . ومقابلة سلوكهم بعد العملية بهِ قبلها تشير الى أن التحسن كان كبيراً ، وفي حالة امرأة واحدة كان تحسناً عجيباً . فهذه المرأة كانت تساورها أصوات تعذبها حتى رجت الطبيب أن يثقب طبلتي أذنيها لكيلا تسمع شيئاً بعد ذلك وهذه الأصوات المعذبة دفعتها الى الصخب والعنف . ولكـنها الآن بعد اجراء العملية ، سيدة متوسطة العمر ، وقد تزوجت ورزقت بطفل (برغم مشورة الطبيب) وحياتها الاجتماعية والعائلية موسومة بالهناءة والرغد وهي امرأة سوية من كل ناحيـة . فالتغير الذي طرأ عليها كان في منزلة معجزة . ومما يشك فيهِ ان يكون في تاريخ الامراض العقلية ، تحوّل تام كتحولها من الخبل إلى العقل والرضى

فالنتائج التي أسفرت عنها هذه العمليات الجراحية وغيرها من أساليب العلاج تقضي — في رأي الأطبـاء — على القول بأن الجنون مرضٌ نفسـاني يحيط الخفاء بهِ من كل ناحية ، ولا يعنو إلاّ للعلاج النفساني . فلا يكفينا في المسـتقبل — على قول الدكتور فوستركندي — « أن نعالج العقل المريض بالفلسفة والكلام »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرقٌ بصير

وغربٌ مبصر (١)

لميخائيل نعيمة

تفرّدت اللغة العربية بكمالات كثيرة ولاسيما في معالجة النفس البشرية وما انطوت عليه من قوى ومشاعر ونزعات . وفي ذاك دليل على أن بُناة هـذه اللغة الكريمة قد سبروا في النفس أغواراً سحيقة وإلاّ لما خلقوا لغة تمكنهم من تصوير دفائن النفس في أدق معانيها ، وأشفّ ألوانها ، وألطف ظلالها ، فما كانت اللغة يوماً أكثر من أداة للافصاح عن حاجة في النفس أو حاجة في الجسد . فعلى قدر ما تتسع تلك الحاجات وتتنوّع طواياها تتسـع اللغة وتتنوّع أساليبها . وشعبٌ غزير الحس ، مرن الفكر ، وثـاب الخيال لا بدَّ من أن يخلق لغة غزيرة الألوان ، مرنة المفاصل ، وثّـابة البيان

من أكمل كمالات العربية وأسماها تمييزها ما بين «البصيرة» و«البصر» وجعلها الكلمتين فرعين من أرومة واحدة ، بل توأمين من بطن واحد . ولكن ذاك الفرع غير هذا . ولكن هذا التوأم غير ذاك . فكأنهما واحد وليسا بواحد . فالعين إذ تمر بهما تحسّ ما بينهما من تجانس . ولكنها تحس مع التجانس تبايناً . والأذن إذ تلتقطهما تستأنس في الاثنين برنـةٍ تكاد تكون واحـدة ولكنها غير واحدة . فهما أبداً متلاصـقان متباعدان ، ومتشابهان متناقضان . أما التلاصق والتشابه ففي المصدر ، وأما التناقض والتباعد ففي الطريق والواسطة

فالبصر — ومركزه العين — يحصر كل همّـه في التقاط أشكال الاشياء وألوانها ومن أشكالها وألوانها يحاول أن ينفذ الى كنهها . حين ان البصيرة — ومركزها القلب أو الوجدان — همّـها الوصول الى بواطن الاشـياء دون التلهي بظواهرها . فالاثنان يدأبان وراء المعرفة . لكن سبيل الواحد غير سبيل الآخر . أما أي السبيلين أفضل وأكفل بالوصـول الى المعرفة فأمرٌ لكل منكم الحق أن يبتَّ فيه بحسب هواه

أما أنا فقـد قلت من زمان — وما أزال أقول — بأسبقية البصـيرة على البصر في

(١) أذيعت من راديو الشرق = بيروت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بلوغ الغاية المنشودة التي هي الفهم الاقصى المؤدي الى الحرية القصوى

. لن يبلغ البصر قلب الحقيقة قبل أن يبلغ حدوده ويدرك عجزه وقصوره ، ويلوذ بالبصيرة فينقلب بصيرة . أما البصيرة فلا حدود لها ، مثلما لا حدود للحقيقة التي تتوخاها. فهي ، وان توكأت على البصر ، لا تسير على نوره . فالمحدود لا يسع سوى المحدود . وما كان بغير حدود لا يسعهُ إلاّ ما كان بغير حدود

والآن اذا ما قلت لكم ان الشرق هو بصيرة العالم وان الغرب هو بصره فما إخالكم تسيئون فهم ما أقول ، فتحسبوا ان الشرق كله بصيرة ولا بصر ، وان الغرب كله بصر ولا بصيرة . ذاك يعني تجريدكم الشرق عن كل حسّ خارجي ، وتجريدكم الغرب عن كل شعور باطني . وهو غير الواقع وغير المعقول . وجلّ ما أرمي اليهِ هو القول بأن زبدة الشرق في بصيرته وزبدة الغرب في بصره . وان الاثنين توأمان متلاصقان يبدوان كأنهما واحد ولكنهما غير واحد . لقد اتبع الشرق هدْي البصيرة . واتبع الغرب هدْي البصر . فأنجب الاول الانبياء وأنجب الثاني العلماء . فكانت هدية الانبياء الى العالم أدياناً ترفع الأرض الى السماء وكانت هدية العلماء علوماً تهوي بالسماء الى الأرض

لكنما الأنسان ، وقوى الانسان ، من ظاهرة وباطنة ، في مد وجزر متلازمين. فللبصيرة، مثلما للبصر ، مدٌّ يتلوه جزر ، وجزر يتلوه مدّ . ومنذا ينكر ان من بصيرة الشرق قد فاض على العالم مدٌّ جارف من الكمالات والجمالات الروحية ؟ منذا ينكر على الشرق قوة اندفعت من قلبه وفكره وروحه الى كل قلب وفكر وروح فتغلغلت في نبضاتها وسيطرت على خلجاتها ، وتسلطت على أقدس أشواقها وأعز أمانيها ؟

منذا ينكر على الشرق سلطانه على كل ابناء الأرض منذ كانت الارض وكان الشرق ؟ واي سلطان يتوخاه انسان على انسان ، أقوى من السلطان على القلب والفكر والوجدان ؟

ما هي بالهدية الطفيفة ان تهدي الى العالم بأسره إلهاً ، ومع الاله اليقين بأنهُ أبوك الشفوق الرحوم العادل ، ومع اليقين الرجاءَ بالانعتاق من ربقة الموت وآلام الموت

تلك هي هدية الشرق الى العالم . وهي هدية ما تلقفها العالم حتى أصبح كله معبداً لالهٍ تعددت أسماؤه ولكنهُ واحد . واذا الناس يفتحون أبواب قلوبهم وأفكارهم وبيوتهم لذلك الاله فلا يأكلون ولا يشربون ، ولا يزوّجون ولا يتزوّجون، ولا يعملون ولا يستريحون، ولا يولدون ولا يموتون الاّ باسمهِ وبمشيئتهِ

- وكأن بصيرة الشرق اذ هدت العالمَ الى الله حاولت ان تعطّل بصره من قبل ان تفتح بصيرته . فكان من ذلك ردّ الفعل الفظيع الذي بدأنا نشهده في العصور الأخيرة . وأعني طغيان البصر على البصيرة . فالبصر اليوم في مدٍّ والبصيرة في جزر . وكما استغرق مدّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البصيرة أجيالاً بل عصوراً طويلة ، يستغرق مدّ البصر عصوراً طويلة . ولعلّ العصر الذي نحن فيهِ هو نهاية تلك العصور

لقد كان من مدّ البصر ان حياة الانسان المادية أخذت تتقلب من حال الى حال بسرعة خاطفة فنظمٌ تنهار ونظمٌ تشاد وحواجز تندك وأخرى ترتفع وممالك تمحى وغيرها يسطر ولآلىء تغدو حصى وحصًى تغدو لآلىء . ما كان أمس حراماً يصبح حلالاً وما كان حلالاً يمسي حراماً

هو ذا الانسان يهزأ بالنسر في جوّه ، وبالحوت في بحره ، وبالأسد في عرينهِ . وهو يمنطق بصوته الأرض ، ويحبس نور النهار في أسلاك يسلّطها على الليل فتمحو ظلامه . ويجترح من العجائب أشكالاً وألواناً في مختبراتهِ العجيبة . ولا ينقصه — على حد قول البسطاء — إلاّ أن يخلق انساناً نظيره ثم أن يغلب الموت

حقّـا انهُ لتيار هائلٌ جارف تتعالى أمواجه وتتدافع في كل ناحية . وفي تدافعها صخب الزلازل وعتوّ العواصف ، مع شيء من بهجـة الفصول ، ورونق السماء ، وسحر الفوز بالغنيمة ، وجاذبية القوة الظافرة . فلا غرو اذا ما هي غمرت المعمورة وبهرت الأبصار فهي بنت البصر وللبصر الحق أن يعتزَّ بها . فهو ما أنجبها إلاّ لينعم بمواهبها وخدماتها

لا غرو أن يقف العالم ، وفي جملته هذا الشرق ، مشدوهاً تجاه مدنيّـة الغرب المبصر ، وأن يهلّـل لها ويكبر ، وأن يغفر لها كل زلاّتها ، ثم أن يعقد عليها آمالاً أبعد بكثير من مدى سلطانها . فهي ، على ما فيها من مرارة ، غنّـية بالحلاوة التي لا يصعب على أي انسان تذوّقها . لأنها حلاوة يتذوقها الحسّ . أما حلاوة المدنية القائمة على البصيرة فدون تذوقها شق النفس وقهر الجسد. لذلك كانت الأولى أقرب الى متناول الناس وأذواقهم من الثانية. ففيها — كما جاء في بعض الحكايات — « ما يُحلّـي ويُسلّـي ويعشّي الحمار ». والحكاية — اذا كنتم تجهلونها — هي حكاية مكارٍ معهُ حمار بلغ عند المساء فندقاً في الطريق فعزم أن يبيت ليلتهُ فيه. ثم طلب الى صاحبَ الفندق أن « يأتيه بشيءٍ رخيص يحلّي ويسلي ويعشّي الحمار » فما كان من صاحب الفندق إلاّ أن جاءه ببطيخة . فتحلّـى بلبها وتسلّـى ببذرها وعشّـى حماره من قشرها

ومدنية البصر للجماهير كتلك البطيخة لذاك المكاري . ففيها ما يدغدغ الذوق ، ويسلي العين والأذن ، ويلهي الانسان عن نفسهِ . مثلما فيها غذاء — أو بعض الغذاء — للبهيمة في الانسان . أما القلب فتتركه فارغاً . وأما الروح فتعلقه على مشنقة الشك والحيرة والابهام . إلاّ انها ذات قيمة من غير شك . فليس من الحكمة نبذها ومن الجهل المطبق التفتيش فيها عن التغذية الكاملة للانسان الطامح الى الكمال

ذاك اذا ما أخذتموها من حيث تريد هي أن تؤخذ ، أي من حيث محاسنها لا غير . أما اذا تفحصتم مساوئها فلن تجدوا مدنية قبلها بلغت ما بلغتهُ من التكالب والتباغض والقساوة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مع الكثير من التبجح بالعكس . وإمّا عجبتم لمشهد غريب فاعجبوا معي لهذا الشرق — وقد أهدى الى العالم المحبة والقناعة والتضامن والتآخي — يقف اليوم على مفرق طريق البصيرة والبصر كسير القلب ،ذليل الجفن ، ضامر الصدر والبطن،وعينه الفارغة ممدودة نحو الغرب ، وفي يساره قائمة بأسفاره المقدسة واسماء انبيائهِ ، ثم اسمعوه يستعطي بصوت متهدج فيهِ الانسحاق ، وفيهِ المسكنة والانحدار .وماذا عساه يستعطي؟ انهُ ليستعطي طيارات ودبابات ومدمرات ومدافع وقنابل . واني لأسمعهُ يقول :

« من يقايضني قنبلة محرقة باية منزلة؟ وطيارة او دبابة بسفر مقدس ؟ بل من يقايضني مخترعاً واحداً بعشرة أنبياء ؟ »

ما هذا ، ما هذا ؟ أبصيرة تستجدي بصراً ؟ أشمس تستغيث بذبالة ؟

أجل . ان بصراً نشيطاً لخير من بصيرة كليلة .وبصيرة الشرق حلّ بها كلال منذ ان بلغت من مدّها أقصاه . وان ذبالة تشتعل لخير من شمس اعتراها الكسوف .وشمس الشرق حلَّ بها كسوف منذ ان انكفأ الشرق على ذاته في جزره الطويل . إلاّ أن الكلال يزول بالراحة. والكسوف ، من بعد ان يبلغ حدّه ، ينجلي عن شمس كلها نار وكلها نور . ومن ثمَّ فالحياة —وهي أم التوأمين بالسواء ، أم البصيرة والبصر، أم الشرق والغرب—ما درجت بالشرق الى أسمى ذراه حتى عادت فدرجت بالغرب الى اسمى ذراه والذروتان ستلتقيان حتماً في ذروة واحدة هي ذروة الانسان الموحَّد والمالك زمام نفسه وزمام الارض والسماء

اما زمان الملتقى فلن ينقاد تحديد قربه وبعده الى الذين يقيسون الزمان بالساعات والسنين، والفضاء بالأذرع والفراسخ. فهو قريب ، أو قريب جدًّا لمن في بصيرتهم أبصار ، وفي بصرهم بصائر . وبعيد ، وبعيد جدًّا لمن بصائرهم كفيفة وعلى أبصارهم غشاوات

والى ان يكون الملتقى لا بد للشرق من وثبة بعد هجعة ، وللغرب من هجعة بعد وثبة . بل لا بدَّ لذاك وهذا من وثبات بعدها هجمات

واني لأرجو لهذا الشرق ان تكون وثبته القادمة وثبة تجلو الغشاوة عن بصيرته وعن بصر أخيه الغرب . وثبة فيها القوة دون البطش ، والمعرفة دون الادعاء ، والرفعة دون الكبرياء ، والقناعة دون الخنوع ، والايمان دون التعصب، والسلام دون الانتقام ، والنور دون النار ، والسكينة دون الاستكانة . وكيف لمن سيم الذل دهراً ان يسوم سواه الذل يوماً ؟ ولمن ذاق طعم الفقر ان يشتهيه لغيره ؟ لا يشبع من أجاع جاره . ولا يعلو مَن نعله على عنق قريبه

ما دامت البشرية على هذه الأرض دام شرقها في حاجة الى غربها ، وغربها في حاجة الى شرقها . وكان ما يرفع الواحد يرفع الآخر ، وما يحط هذا يحط ذاك . فما طار نسرٌ بجناح واحد ولا صفقت يمينٌ بغير يسار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شاعر الحب والفلوات

ذو الرُّمَّـة

محمود محمد شاكر

— ١ —

« ذو الرُمّـة : لقبٌ غلَـب عليه ، واسمهُ « غَيْـلان بن عقبة بن مسعود » من بني عدي بن عبد مناة . وأمه «ظبية بنت عبيد أو بنت مصعب» من بني أسد . وإخوته لأبيه وأمه : « مسعود » و « هشام » و«جرفاس»،وكلهم شعراء . وكان هشام من عقلاء الرجال . وخاله أبو جِنّـة الاسديّ « حكيم بن عبيد أو ابن مصعب » ، وكان شاعراً . وابن عمّـهِ « أوْفى بن دلهم العدوي » ، وهو أحد من يَرْوَى عنهم الحديث ، وكان رجلاً صالحاً . وصاحبته ميّ بنت عاصم بن طلبة بن قيس بن عاصم المنقريّ . وجدها قيس بن عاصم هو الذي قال فيه رسول الله : هذا سيد أهلِ الوبَر . ثم شبَّب ذو الرمة بخرقاء العامرية ليكيد بها مَيَّـة ـ وذلك قبيل وفاتهِ بقليل ـ ثم نزع الى صاحبته حتى مات »

قبس يتوقّـد في عيني هذا الغلام البدويّ النحيف ، وقد أخذت أمه بيده تريد ذلك الشيخ سيد بني عديّ بن عبد مناة « الحُصينَ بن عبدة بن نعيم العدوي » وجاءَت المسجد والناس على صلاتهم ، حتى اذا ما انفتلوا عن موقفهم ، وانفضُّوا عن إمامهم أقبلت عليهِ : يا أبا الخليل إن ابني هذا يروَّع بالليل كأنما يفزِّعهُ شيطان ، وإني لأخاف عليه ، فاكتب لي معاذة أعلقها على عنقه . قال الشيخ: إيتيني برَقّ أكتب لك فيه . قالت : فان لم يكن ، فهل يستقيم في غير رقٍ أن يكتب له ؟ قال : فجيئيني بجلدٍ . فانطلقت الأم الوالهة حتى أتتهُ بقطعة جلدٍ غليظ ، فكتب الشيخ لهُ معاذة فيه ، فعلقتها في عنقه مشدودة على يساره في حبل أسود فمكث الغلام بهـا ما شاء الله أن يمكث ، حتى قال شعراً . وان أمهُ [illegible]شي بهِ الى بعض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حوائجها ، فلما كانت ببعض الطريق ، مرّت بالشيخ سيد بني عديّ بن عبد مناة ، وهو جالس في ملإٍ من أصحابه ومواليه . دنت وسلّمت وقالت : يا أبا الخليل : هذا غلامك غيلان قد شبَّ وقال ، ألا تسمع قوله وشعره ؟ قال : بلى ! يا أم مسعودٍ ! فتقدّم الغلام فأنشدهم ، فاذا أبلغ قائل ، وأنطق متكلم ، وأحسن صوتٍ في أحبّ إنشادٍ ، كأنما يرتل مزامير داود . قال الشيخ لقد أنجبتِ يا أمّ مسعودٍ ! أحسن ذو الرمة ! وانهُ لشاعرٌ ! فمن يومئذٍ ذهب بلقبه « ذي الرمة » ، لذلك الحبل الاسود البالي الذي كان في عنقه ، والذي كانت فيه المعاذة . (والرمة قطعة من حبلٍ بالية)

ولم يلبث أن خرج الغلام «ذو الرمة» ، هو وأخوه مسعود وابن عمه (أوْفى) ، في بغاء إبلٍ ضلّت لهم ، حتى اذا أجهدهم العطش ، وردوا ماءً . واذا حِواءٌ عظيم . فقال مسعود لأخيه الغلام : إيت الحِواءَ فاستسق لنا . فانطلق ، فاذا عجوزٌ جالسة فاستسقاها . فالتفتت وراءها وقالت : يا ميّ ! اسق الغلام !... ودخل ذو الرُّمة على ميّ وهي تخيطُ ثوباً لها ، وهي تتغنّى بأرخم صوتٍ

يا من رأى برقاً يَمُرُّ حينَا ؟ زمزَمَ رعْداً وانتَحى يمينا
كأنّ في حافاتِهِ حنينَا أو صوتَ خيلٍ ضُمَّرٍ يَرِدْنَا

فقطعت غناءَها ، وقامت اليهِ تصبُّ في قربته من الماءِ . وعلى الفتاة بُرْدٌ فارسيٌّ لا جيب ولا كمّ يسمونهُ «الشوذر» . فلما مالت على القربة تصبُّ ، رأى ذو الرُّمَّة فلها بالنظر اليها... غلامٌ متوقدٌ ينظر من عيني بازٍ ، إلى فتاة أحسن من النار الموقدة في الليلة القرّة في عين المقرور . مسنونة الوجه ، أسيلة الخد ، شماء الأنف ، حُسّانة الجيد ، هيفاء أملود ، واردة الشعر ، عليها وَسْم جمال ، تنظر عن عيني غزال . فجعل يستطعم حديثها ، حتى انطلقت تحدثهُ ويحدّثها ، والماء يذهب يميناً وشمالاً . رقّت الفتاة للغلام حين نمَّ صوتهُ على هواه . فقالت له : يا ذا الرمة ! لقد كلّفك أهلك السفر ، على ما أرى من صغرك وحداثة سنك !! وتفطن لهما العجوز ، وتقبل عليهما ، وتقول : يا بنيّ ! ألهتك ميّ عما بعثك أهلك له ! أما ترى الماءَ يذهب يميناً وشمالاً ؟ فلم يخشَ أن يقول لها يا أماه ! أما والله ليَطولَنَّ هيامي بها !! ... ثم يملأ قربتهُ وينصرف ، ويأتي أخاه وابن عمه . ولم يطل بهِ الامر حتى أخذه من هواه ما قرب وما بعد ، فيلف رأسهُ وينتبذ دونهما ناحية ، حتى دنا رحيلهم فارتحلوا ، وميّ أحلام ليله ونهاره

وشبّ الغلام في وَهج الحبّ . . في سعير الحرمان ، فإذا هو شابٌّ آدم ، رقيق البشرة ، مدوَّر الوجه ، أكحل حلو العينين ، برّاق الثنايا ، حسن المضحك ، أقنى الانف ، أنزع الرأس ، حسن الشعرة جعدها ، خفيف العارضين .... بدويٌّ جميل المنظر ، لوَّحته البيد والاسفارُ ؛ وإذا هو يفترُّ عن شاعر عاشق مُلْهم لُجّيّ الصبابة ، لا يشكو الحبَّ أحد أحسن من شكواه ، مع عفةٍ وعقل رصين . وإذا هو يتعشق الأطلال في البوادي والقفار ، فيقف عليها متأملاً قد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفذت بهِ أشواقه إلى سرّ الرمال ، فلا ينعتُ الفلوات ، وسرابها ، وأسفارها، وسَفْرها، وما فيها من شيء ... شاعرٌ ، أبرعَ من نعته . ويتسامع الناس بهذا « الغلام من بني عديّ » الذي يركب أعجاز الإبل وينعت الفلوات ، حتى يحسده فحول الشعراء كجرير والفرزدق ، فيؤخروا ذكره لما يرون من حداثة سنه ، وأنهُ لا يحسن من الشعر ما يحسنون . .. هـذا المدحَ ، وهذا الهجاءَ ، وهذا الفخر!!

ولكن الفتى البدويّ العاشق يندفع الى الحَضَر فيكثر أن يأتي الكوفة والبصرة يدَعُ رجزَ أهل البادية ، ويأخذ في القصيد . ويلمُّ بأهل الحضر فإذا هو عندهم من أظرف الناس وأرقهم : بدويٌّ عاشق ، عفيف الطرف ، عذب المنطق . إذا نازع أحداً الكلامَ لم يسأم حديثه ، وإذا تكلّم تكلم أبلغ الناس ، يضع لسانهُ حيث شاء ، لم يكن أحد من القوم أحلى كلاماً ، ولا أجلى منطقاً ، ولا أحسن جواباً منـهُ ، حتى كانوا يرون أن كلامه أكبر من شعره

ولم يزل الفتى يتردد بين ديار ميّ في بلاد بني منقر ، وبين دياره في بلاد بني عديّ ، وبين الكوفة والبصرة . فتجلو أرض الحضر وحديث أهلها بعض ما في نفسـه من جفاء البادية . حتى إذا لجَّ به هواه عاد إلى بلاد ميّ ينظر الديار بعينين ظامئتين ، فإذا خفَّ ما به انقلب إلى أهله ، يحادث بينهم قلبه . ولا يزال يردد ذكر ميّ حتى عرف بها وعرفت بهِ ، ولم يكن ما بهِ إلاّ هوى فتى لفتاة هو عليها — إن شاء — قادر . فقنع بذكرها وحبها زمناً ، وجعلت عناصر المأساة تتجمع من هنا ومن هناك ومن ثمة ، وذو الرمة في أسفاره يتطوح بين البوادي والحضر ، يستزير طيف ميّ على البعد ، قد عمي عن لجاءات الغير !

لم تلبث مي أن تزوجت أحد رجال قومها : « عاصماً المنقري » . نسيت الغلام الذي عجبت منه ومن أخيه مسعود ، يوم

« رأتْ غلامَي سَفَرٍ بعيد يَدَّرِعان الليل ذا السدود »

« مثل ادّراع اليَلْمَقِ الجديد »

نسيت ميّ عينيه تنظران في عينيها ، وهي تصبّ له الماء في قربته، فيشغلها الحديث ويشغله، فيذهب الماء يميناً وشمالاً . نسيتْ ذلك الهيام الذي انبعث في صوت الغلام يدعو هواها إلى هواه . لم تأبه لذلك القلب الغض الذي تنسَّمها فاستراح ، ثم فارقها ليتعبّد لها ولطيفها في الليل والنهار . . . مات صدى كلماته وهو يقول لأمها : « أما والله ليطولنَّ هيامي بها » ، فلم تجد لها في نفسها رجعاً

ويعرف ذو الرمة خبر زواج ميّ ، فيجن جنوناً

يومئذٍ ينبثق ينبوع الشعر في قلب هذا البدوي العاشق المحروم . الأمل ، اليأس ، اللوعة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدمع ، الصبوة ، الأحلام ، وساوس القلب ، ديارها، زوجها ، أخوها ، الغدر ، الذكريات ، النظرة الأولى . . . كل هذه أخذت تتدفق في خطرات قلبه تحت الضربة الأولى من ضربات الغيرة المغيظة ، المحنقة ، الحاقدة . ميٌّ ... ميٌّ ... ميٌّ ... ، هكذا يتردد صدى الضربات الملحة التي لا تفتر ولا تنقطع... ميٌّ ... ميٌّ ... ميٌّ ...، صدى يتردد في أذنيه من عن يمينه وشماله ؛ قد ملأ عليه أرضه وسماءه

***

ميٌّ ... ميٌّ... وتضرمت الروح باللهب القدسيّ ، وانبعثت في عيني « ذي الرمة » تلك الشعلة الخالدة التي لا يطفئها شيءٌ ، وأكلت النار التي لا تخبو كل غشاءٍ كان يحول بينهُ وبين ميّ . وإذا الفتى اللاهي جليد « قد حلّمته العشائر ».ويخرج من بلواه ... من غيرته ... من أحقاده ، قد نصب وجهه لهجير الحياة ، فإذا قسماته تتوهج بالعزم ، والصبر ، والمغالبة ، وفي عينيه تلك النظرة النافذة المتأملة الساكنة ، ثابتةً لا تنهزم

لقد كان أحبّ فتاة هو عليها — إن شاء — قادرٌ ، وهو اليوم يحب امرأة قد ضمها خدْر بعلها ، فلا سبيل لهُ عليها . أحبَّ الفتى فتاته ، ولكنه اليوم رجل يحب أنثى قد تصدّى وجودها لوجوده . ذهب الفتى وذهبت الفتاة ، وبقي الرجل والمرأة

أيُّ سرّ عجيب يمسُّ الفتاة اللاهية المتقلبة فإذا هي تستحيل إلى وجودٍ كاملٍ . . إلى قلب يسع الدنيا ... إلى حب ثابت حافل ؟ أي سرّ هذا الذي يحيل عاشقها الفتى إلى قوةٍ زاخرة منشئة مبدعة متجلية ، لا تقف ولا تتردَّدُ ؟ أي سر فيها يمنح العين دقة ونفاذاً ؟ أي سر ينفث في البصيرة وعياً مستوعباً لا يضيق ؟ بل أي سر هذا الذي يرد إلى العبد حريته ليزداد في حريته تعبداً للرّق ؟

وينظر ذو الرمة فيرى الأسى قد سبقته بين يديه . فما من شاعر من العشاق إلاّ قد ابتلي بمثل ما ابتلي به : امرأة ذات بعل لا سبيل لهُ عليها . أهي إذن « المرأة » وحدها لا الفتاة ؟ أهي وحدها التي تحقق لهُ معنى وجوده ؟ فليذهب ليخالس الطرف إلى مي زوج «عاصم المنقريّ» . ويركب ناقته «صَيْدَح» ، حتى إذا انتهى إلى ديارها لمح « ميّاً » مع الصبح تستقبل النهار

وتجلو بفَرْعٍ من أراكٍ كأنه	من العنبر الهندي والمسك يُصْبَحُ
ذُرى أُقْحُوانٍ راحهُ الليل وارتقى	إليه الندى ، من رامة ، المتروّح
هجانَ الثنايا مُغْرِباً لو تبسمت	لأخرس عنه ، كاد بالقول يفصح
هي البرءُ والأسقام ، والهمُّ ، والمنى ،	وموت الهوى ، لولا التنائي المبرح

ويعود « ذو الرمة » إلى ديار أهله ، إلى أخيه مسعود ، إلى الذي جعل يركب معه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفلوات ، يطيعه تارة حين يستوقفه على ديار مي ، ويعصيه تارة أخرى ويلومه . ولم يزل ذاك أمره ، يهيم في ديار مي أ كثر من عشرين سنة ، ومي لا تزداد في عينيه إلاّ ملاحة ، وينفجر شعره من قلبه ، يشكو ما يلقاه من حبها ، وما يقاسيه من البيد في الحنين إليها والوجد بها . ولا يلقى صاحبته إلاّ والحيُّ خُلوف ، لم يبقَ في الديار إلاّ النساءُ ، فيشكو لها ويتوجع ، فتمسح عنهُ بعض عذابه . ويتردّد شعره بين البادية والحضر فلا يزال يعجب الناس ويحسده الشعراءُ

ويلجُّ الشوقُ بذي الرمة يوماً ، فيركب ناقته في ليلة ظلماءَ يريد أن يضيف « عاصماً المنقري» زوج ميّ ، وهو يطمع في أن لا يعرفهُ فيدخله بيته ، فيقريه ، فيرى ميًّا ، ويتزوَّد من وجهها ، ويكلمها . فلما نزل به فطن له عاصم وعرفهُ ، فلم يدخله . وأخرج إليهِ قِراه وتركه بالعراءِ ، فلمحته مية تحت الليل فعرفته . وجعل ذو الرمة يتململ ، فلما كان في جوف الليل تغنى غناء الركبان ببعض شعره :

أراجعة يا ميّ أيامنـا التي «بذي الرمث» أم لا ؟ مالهن رجوع !
ولو لم يَشُقني الظاعنون لشاقني حمـام تغنَّى في الديار وقوع
تجاوبنَ فاستبكينَ من كان ذا هوى ، نـوائح ما تجري لهنَّ دموع !
دعاني الهوى من نحو ميّ ، وشاقني هوًى من هواها : تالد ونزيع
إذا قلت عن طول التنائي قد ارعوى ، أبى مُنْشَنٍ منه عليَّ رجيع

فغضب عاصمٌ ، وقام إلى امرأته وقال : قومي نصيحي به وسبيه ، وقولي : أي أيام كانت لي معك « بذي الرمث » ؟ ! فأبت ميّ وقالت لزوجها : يا سبحان الله ! ضيف ! ! والشاعر يقول ! فانتضى عاصم سيفه وقال لها : لأضربنك بهِ حتى تأتي عليك أو تقولي ! ففزعت وصاحت بذي الرمة وسبته كما أمرها زوجها . هذا صوت ميّ !! ذَهل ذو الرمة ، فلما استقر في سمعه كلامها ، نهض على راحلته فركبها ، وانصرف عنها وعن ديارها مغضباً يريد أن يصرف قلبه عنها إلى غيرها . وعاد إلى ديار قومهِ مغيظاً يتمزَّق ، وأبى على نفسه ذكر مي . . . وهيهات

وجاء قَدَرُه ، فخرج في سفر في بعض أصحابه ، فلما كان بفَلْج — في طريق الحاج من البصرة إلى مكة — إذا جوار خارجات من بيت يردنَ آخر ، وفيهنَّ جارية طويلة ، حسنة ، حلوة ، شهلاء ، بها فَوَهٌ ، فنظر إليها فوقعت في عينه وفي قلبهِ الغيظ المحنق ، وذكر ميًّا فأراد هذه يكيدها بها إذا تناقل الناس ما بينه وبينها ، وما يقول فيها . فأخذ إداوَته فخرَّقها ، ودنا من هذه الجارية يبتغي حديثها فقال : إني رجل على ظهر سفر ، وقد تخرَّقت إداوتي فأصلحيها . فنظرت إلى عينيه وقالت له تهزأ به : والله إني ما أحسن أعمل ، وإني لخرقاءُ ! (والخرقاء التي لا تعمل بيدها شيئاً لكرامتها على أهلها) ، فسماها يومئذٍ خرقاء . وانطلق يشبب بها ويذكرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في بعض شعره ، يريد أن يغيظ بذلك ميّاً ، فرمى إليها أول ما رمى ببيت تداولتهُ الرُّواة

تمام الحجّ أن تقف المطايا على خرقاءَ واضعة اللثام

فجعلها منسكاً من مناسك الحج ، لا يتم إلاّ به ! ! ولكنه كان لا يطيق ان يدع ذكر مي فلم يقل في خرقاء الاّ قصيدة أو قصيدتين ، ورجع إلى ميّ

ثارت نفس ذي الرمة ثورتها على مي ، وقلق ، فاضطرب في البلاد حتى أبعد ، فذهب إلى أصبهان ، فلم يطق أن يقيم بها فعاد إلى دياره ... صبيٌّ مروَّع يتفزَّع بالليل ، وغلامٌ عاشق يتزوَّد بعينيه من ميّ نظرة بعد نظرة ، وبين جنبيه نفس ملتاعة يحرّقها الوجد في وقدة البيد تحت الشمس السافرة ، ثم شابٌّ تأكل الغيرة قلبه ، يثور بالليل والنهار فزعاً إلى مي ، إلى المرأة التي لا سبيل لهُ عليها إلاّ بالوساوس والأوهام . الى أين ومن أين ؟ من البادية . . . إلى الحضر ... إلى البادية .. من الديار ... إلى الاطلال ، وميٌّ تناديه في سرّ روحه فيهوي إليها كأنهُ شهاب تقاذفهُ الفضاء . فلم يلبث ذلك الشاب القصير ، النحيف ، الخفيف العارضين ، أن استحال شيخاً شَخْتاً دقيق العظام ، قد براهُ الحب والضنى ولمّا يشرف على الاربعين . حتى إن أمهُ لتقول ، وقد تحلق الناس عليه واجتمعوا . فأنكر — من لم يعرفهُ — دمامته ، : أيها القوم اسمعوا إلى شعره ، ولا تنظروا إلى وجهه ! !

فلم يلبث ذو الرمة على ذلك أن اشتكى « النُّوطة » — وهي زيادة تحدث في النحر كأنها غُدَّة ، تمور بين الجلد واللحم إذا حركتها — فوجع بها دهراً حتى قال :

أَلِفْتُ كلابَ الحي حتى عرفنني ومُدَّت نِساج العنكبوت على رحلي

فلما تماثل عزم على أن يخرج إلى الشام ، إلى هشام بن عبد الملك ، فقال لأخيهِ مسعود : يا مسعود ! قد أجدني تماثلت ، وخفّت الأشياء عندنا ، واحتجنا إلى زيارة بني مروان ، فهل لك بنا فيهم ؟ فقال نعم ! فأرسلهُ إلى إبلهِ يأتيهِ منها بلبن يتزوّده ، وواعده مكاناً . وركب ذو الرمة ناقته فقمصت به ، وكانت قد أعفيت من الركوب ، فانفجرت النوطة التي كانت به . فلما بلغ موعد أخيهِ جهد فقال : أردنا شيئاً وأراد الله شيئاً . وإن العلة التي كانت بي قد انفجرت . فمكث أياماً حتى ثقل ، وكان معه من أخواله الحجاج الأسدي فسأله : يا غيلان ! كيف تجدك ! فقال : أجدني والله يا أبا المثنى اليومَ في الموت لا غداة أقول :

كأني غداة الزُّرْق يا مي مدنف يكيد بنفس قد أحمّ حمامها

فلما احتضر كان آخر ما قاله :

يا ربِّ قد أشرفت نفسي، وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيتَ آثاري

يا مخرج الروح من جسمي إذا احتضرت، وفارج الكرب ، زحزحني عن النار

فمن مبلغ ميّاً منية هذا القلب الذي شب في حبها حتى هَرِم قبل حين هَرَم ؟؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تجفيف الطعام

صناعة جديدة عظيمة الشأن
وجزء من خطط الحرب

ان تجفيف الطعام ، أي نزع الماء منهُ بأساليب شتى ، صناعة جديدة غرضها المقدَّم الآن ، حربيٌّ ، ولكنها تفتح في تاريخ الطعام والتغذية صفحة جديدة

أما كيف يؤثر تجفيف الطعام في سير الحرب فيلخّص في قول وزير الزراعة الاميركي كلود ويكرد : كلُّ طنٍّ من الماء يستخرج من اللبن الحليب واللحم والبيض والفواكه والخضر ، في منزلة طنٍّ من القنابل تلقى على أرض المحور . وكلُّ طنٍّ من الماء نمتنع عن نزعهِ من هذه المواد الغذائية ، قد يعني جوعاً لفريق من رجالنا المسلحين أو أبناء حلفائنا

ان الدول المتحدة تحارب الآن حرباً كلية شاملة عالمية النطاق ، ومواصلتها تقتضي تنقيل عشرات الألوف من الرجال ومقادير كبيرة جدًّا من السلاح والعتاد . وهذا التنقيل يتمُّ على الاكثر بالسفن مسافات شاسعة . ومهما تكن سفن النقل المتاحة للدول المتحدة وافرة ، فانها لا تكفي لنقل كلّ ما يلزم . واذن فمواد الطعام الاميركية التي ترسل من أميركا الى جيوشها في القارات الاربع أو الخمس ، والى حلفائها ، يجب أن تحشدَ في أقل نطاق وأضيق مجال . فليس في هذه السفن مكان للماء يُنقل بغير ضرورة في بحار الأرض السبعة . والى هذه الحقيقة مَرَدُّ المصانع الكبيرة التي أنشئت لتجفيف الطعام على مدار الساعة ليل نهار ، ومَرَدُّ أخرى كثيرة تنشأ الآن ، في جميع أنحاء الولايات المتحدة الاميركية

في هذه المصانع تعدُّ أصناف من موادّ للطعام ، لم ترها ربَّات البيوت في الولايات المتحدة ، ولكنها متاحة في المطابخ الانكليزية مثلاً ، وللجنود الاميركيين والروس وغيرهم . ومتى وضعت الحرب أوزارها ، فسيكون لصناعة تجفيف الطعام نصيب في أعمال السلام والتعمير بعدها ، عن طريق توفير الطعام المغذي للناس ، بثمن يسير في فترة تكون الحاجة فيها الى السفن لا تزال كبيرة

يعلمنا التاريخ ان الحروب كان لها أثر في ارتقاء نواحٍ من صناعات اعداد الطعام . فالحروب النبوليونية شهدت ابتكار اسلوب لحفظ الطعام في العلب ، والحرب الأهلية الاميركية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسلوب صنع اللبن الحليب المكثّف ، والحرب العالمية الاولى طريقة إعداد اللبن الحليب المبخّر . أما الحرب العالمية الثانية فأعظم العناية فيها ، بتجفيف الطعام . فالأميركيون وغيرهم بدأوا يتعلمون ، كيف يستبقون الماء ، عندما يصدرون موادّ الطعام

هل تعلم ان البيضة الجديدة ثلاثة أرباعها ماء ؟ وان اللحم الجديد ثلثاه ماء ؟ وان معظم الخضر والفواكه تسعة أعشارها ماء ؟ اذن لماذا التعرّض لجميع المشاق والمخاطر التي تلازم النقل البحري في هذه الأيام ، في سبيل نقل طعام من ثلثيه الى تسعة أعشاره ماء ؟ حتى في قلب الصحراء اللوبية ، لا بد ان يكون نقل الماء من النيل أسهل وأقل خطراً من نقله من حقول الولايات المتحدة أو استراليا

فنقل مواد الطعام المثقلة بما تحتويه من ماء ، لا ينطوي على خطر وتبذير في الطاقة وحسب ، بل يكاد يكون متعذراً الآن . لأن السفن المتاحة لا تكفي لنقل كلّ ما تحتاج اليه القوات المسلحة في شتى ميادين القتال . ولولا صناعة التجفيف ، لكانت أكداس الطعام في حقول أميركا وعلى أرصفة مرافئها ، بغير جدوى للشعوب التي تحتاج اليها أما الجيوش التي ترسل الى بلدٍ غير بلدها ، فتنقل معها عادة مقادير من مواد الطعام ، تكفيها ستة أشهر . ومعظم هذا الطعام في ما يتعلق بالجيوش الاميركية — على قول ويكرد — سيكون طعاماً مجففاً

واذن فتجفيف الطعام تقدّم تقدماً مطّرداً حتى غدا عنصراً أصيلاً من عناصر الخطط الحربية العامة . ففي مايو من سنة ١٩٤١ عندما بدأت الولايات المتحدة تطبق قانون « الاقراض والتأجير » على الطعام المرسل الى بريطانيا ، كانت شحنات الطعام الاولى التي أرسلت اليها ، تحتوي على لحم محفوظٍ في علب ، وبيض في قشره ولبن حليب مبخر . فالبريطانيون كانوا في حاجة الى هذه المواد ، وهذه المواد كانت مركّزة تركيزاً كبيراً بحسب المقاييس المعروفة والسائدة حينئذٍ

ولكن بعض الطعام يصيبهُ الفساد في الطريق ولاسيما البيض . ويروى ان شحنة سفينة كاملة من البيض الجديد فسدت لأن السفينة تأخرت في وصولها الى المرفأ البريطاني ، وكان الوقت صيفاً والحرارة عالية في باطن السفينة

على ان مشكلة ما يفسد من اصناف الطعام ليست شيئاً مذكوراً بالقياس الى ضرورة توفير المكان في سفن النقل ، لنقل اشياء اخرى . فالبيض المجفف لا يستغرق الاّ ربع المكان الذي يستغرقهُ البيض الذي في قشره . وتجفيف الخضر يخفض المكان الذي تشغله خفضاً يتفاوت بين نصف حجمها وجزءٍ من خمسة عشر جزءًا منهُ . واللبن المجفف لا يشغل الاّ ربع مكان اللبن المبخر . وعلى المعدّل لا تشغل الاطعمة المجففة الاّ سدس المكان الذي تشغلهُ الاطعمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفسها قبل تجفيفها . ثم إن الاطعمة المجففة لا تحتاج الى تبريد . ومنها ما لا يلزم وضعهُ في علب من « صفيح » . وهذه مسألة لها خطرها الحربيّ ، لأن الصفيح من المواد اللازمة في الصناعة الحربية . اما ما يلزم وضعهُ في علب صفيح منها ، فمقدار الفلز الداخل في صنع علبهِ ، اقلُّ من الفلز الداخل في صنع العلب المألوفة

ويقول وزير الزراعة الاميركية ، إن على مكتبهِ احقاقاً زجاجية تحتوي نماذج من هذه الاطعمة المجففة . وكثيراً ما سألهُ زوّاره فيها فكان يقول : هنا لحم مجفف وهو أشبهُ ما يكون بقطع صغيرة رقيقة من البطاطس المقلوّ . وهنا مسحوق أبيض هو اللبن المجفف ، وهناك مسحوق أصفر ، هو البيض الكامل محّاً وزلالاً بعد تجفيفهِ . وهنالك شيءٌ أخضر يشبهُ عشب البحر ، هذا هو اللوبياء المجففة

وتجفيف الطعام ليس جديداً في تاريخ العمران بل هو قديم قدمهُ ، ولكن التجفيف الحديث يختلف عن التجفيف القديم في امرين . اما الاول فهو ان الاطعمة المجففة بالاساليب الحديثة أجفُّ كثيراً من الاطعمة المجففة بالشمس والهواء . فالتجفيف بالشمس والهواء كان يبقي في الطعام المجفف ربع ما كان فيهِ من ماءٍ على الاقل . ولكن أساليب التجفيف الحديثة تعتمد على درجات عالية من الحرارة ، ودفع تيارات من الهواء الساخن ، واستعمال الفراغ أحياناً . وهذه الاساليب تخفض معدل الرطوبة في الطعام المجفف الى ثلاثة في المائة من اصلها . وخفض الرطوبة الى هذا المستوى ، يحقق أمرين أحدهما ان حفظ الطعام يكون أتم ، وثانيهما ان المكان الذي يشغلهُ يكون أقلّ

هذا من ناحية التجفيف نفسهِ اي من ناحية مقدار الماءِ الباقي في الطعام المجفف او مقدار الماء المزال منهُ . اما الفرق الآخر ، فهو ان معظم الاطعمة المجففة بالاساليب الحديثة ، تعود الى اصلها عند نقعها في الماء . اي ان صب الماء عليها يعيد الحياة اليها

وقد روى الوزير ويكرد ما رآه بعينهِ من هذا القبيل فكان على قوله ، كأنما يرى عجيبة . ونشر في المقال الذي نلخص عنهُ هذه الصفحات ، صوراً كثيرة شمسية ملوّنة ، ترى فيها الطعام وهو مجفف ، ثم بعد بلّهِ واعداده في أطباق الطعام ، والصور مصداقٌ لما يقول

على ان الاطعمة المجففة ليست جميعاً في حاجة الى البلّ ، لأن عودتها الى حالتها الأصلية ليست ضرورة لا مفرَّ منها . فقد صنعوا مثلاً ألواحاً كألواح الشكولاته ، من المشمش والقراصيا والرطب (البلح) والعنب المجفف المضغوط ، وهذه الالواح توضع في جراية الطوارىء التي يجهّز بها جنود الهابطات ومن على شاكلتهم

وأهم من عودة الاطعمة المجففة الى حالتها الاصلية بعد بلّها او نقعها ، احتفاظها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعناصرها الغذائية ونكهتها. فاللبن الحليب القشود المجفف يحتوي على جميع المواد الصلبة التي يحتوي عليها اللبن العادي ما عدا قشدته ويحتفظ بقيمته الغذائية الاصلية . واللبن الكامل المجفف يحتفظ بقيمته الغذائية الاصلية اذا استثنينا فيتامين C ولما كان هذا الفيتامين ليس ضروريًّا في اللبن ففقده ليس شيئاً خطيراً . والبيض المجفف من ناحية الغذاء كالبيض الجديد

ويعتقد علماء وزارة الزراعة الاميركية ان الخضر المجففة تحتوي بوجهٍ عام على نفس المقادير التي تحتوي عليها الخضر الغضَّة من البروتين والكربوايدرات والمعادن . ومنها ما يحتوي أكثر من ذلك . فطائفة من الخضر لا تكون غضة تماماً عند ما تشرى في السوق. فمقدار الفيتامين الذي فيها يكون قد نقص . ولكن مصانع التجفيف تجفف الخضر بعيد جنيها وقبل نقص مقدار الفيتامين الذي فيها فتحتفظ بهِ

فقليل من الكاروتين مثلاً يفقد في التجفيف . وما يفقد من كلوريد الثيامين (فيتامين ب، B_1) لا يزيد على ١٨ في المائة . وقد لا يبلغها ، وما يفقد من الريبوفلافين (فيتامين ب٢ B_2)في الجزر والكرنب لا يزيد على الثلث . أما البطاطس فلا يفقد شيئاً . وما تفقده الخضر المورقة من الحمض الاسوربيك (فيتامين C) بالتجفيف لا يزيد على نصف ما تفقده منهُ اذا بقيت يومين أو ثلاثة أيام في الدكان قبل بيعها

فواضح أن فيتامين C من الفيتامينات التي يعسر الاحتفاظ بها على كل حال . ولكنهُ ضروريّ الضرورة كلها في عصير البرتقال المجفف لأن هذا العصير يفقد أهم جانب من قيمته الغذائية اذا فقد هذا الفيتامين ، فهو يُطلب لما فيهِ من فيتامين C . ومع ذلك تمكن العلماء من استنباط طرق لتحضيره محتفظاً بمعظم هذا الفيتامين . وعصير البرتقال المجفف لا يشغل الا عشر المكان الذي يشغلهُ العصير السائل . وعند ما يحل في الماء يعدل عصير البرتقال الغض لذة ونكهة وفائدة . والاطفال في انكلترا يستطيبونه

أما اللحم المجفف فلم تبلغ دراستهُ الغذائية مبلغاً يصح الوقوف عنده . ولكن العلماء ماضون فيها . الا ان هناك مسألة واحدة كانت حتى الآن مستأثرة بعنايتهم وهي هل اللحم المجفف سليم من ناحية المرض . وعند ما بدأت شحنات الطعام ترسل الى بريطانيا بحكم قانون الاقراض والتأجير ، اشتد الطلب على اللحم المجفف ولكن قسم البحث الزراعي بوزارة الزراعة الاميركية ، فضل تأجيل ذلك أسابيع ، الى ان تتاح الفرصة لعلمائهِ لامتحان اللحم المجفف الذي مضى شهران على تجفيفه وخزنهِ . فلما ثبت انهُ سليم وافقوا على اصداره . ولكنهم رغبة في ضمان سلامته ، يطلبون من طاهي هذا اللحم المجفف ان يغليهُ اغلاءً تامًّا لاجتناب كل احتمال تلوث مكروبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والبحث ماضٍ في طريقهِ ولا سيما في اللحم الذي مضى على تخزينهِ أكثر من شهرين

أما أساليب التجفيف فتختلف . فتجفيف اللحم مثلاً يتمُّ بالقاء قطع من لحم البقر على اسطوانتين ساخنتين دائرتين والمسافة بينهما ثمن بوصةٍ واحدة . فيشوى سطح القطع عند مسّها سطح الاسطوانة الساخنة ، ودوران الاسطوانتين في اتجاهين مختلفين يسحق قطع اللحم بينهما فتتسطح وتصبح رقعاً صغيرة ثم تسقط في طبق كبير بعد قشطها ويكون نصف مائها قد زال . ثم تؤخذ الأطباق وتوضع على رفوف خزانةٍ يدور فيها هواء ساخن فلا تنقضي ساعة حتى يكون الماء الذي في اللحم قد هبط الى ٥ في المائة وتكون رقع اللحم قد غدت جاهزة لوضعها في العلب

المبدأ بسيط كما يبدو من الوصف المتقدم . ولكنَّ التطبيق ليس يسيراً ويجب أن يكون خاضعاً لاشراف علمي صناعي دقيق . فحرارة الاسطوانتين الدائرتين يجب أن تكون ١٧٠ درجة مئوية ، ومعدَّل الدوران يجب أن يكون مضبوطاً دقيق الضبط ، وحرارة الهواء الساخن الذي يدور في الخزانة يجب أن تكون ٦٥ درجة مئوية ، وقطع اللحم التي تلقى بين الاسطوانتين يجب أن تكون من حجم معيّن . والمسافة بين الاسطوانتين يجب أن لا تزيد ولا تنقص عن ثمن بوصة . فاذا كانت قطع اللحم أكبر من الحجم المعين ، عجز الهواء الساخن عن تجفيف باطنها . واذا كان الهواء أسخن مما يجب جفَّ سطح القطعة وتيبَّس ومنع رطوبة باطن القطعة من التبخر والخروج

ومن الأساليب المتبعة توليد فراغ جزئي ، فيجفف اللحم حينئذٍ على درجات من الحرارة دون الدرجات التي تقدم ذكرها في الأسلوب الأول

والغريب ان اللبن يمكن تجفيفهُ بأسلوب كأسلوب الاسطوانتين . ذلك بأن حرارة الاسطوانة تجفف اللبن قبل أن يسيل الى أسفل . وهناك طريقة أخرى لتجفيف اللبن وهي رشّهُ رذاذاً في أعلى حجرة خاصة أعدت لتجفيف الرذاذ ، بحركة هواء ساخن فيها يجفف قطيرات الرذاذ ، ثم تسقط القشور الجافة في قعر الحجرة . وهذا النوع من اللبن المجفف تسهل اعادتهُ لبناً سائلاً باضافة الماءِ وتحريكهِ بملعقة . ولذلك تفضلهُ الأسر الانكليزية .

والبيض يجفف معظمهُ بطريقة الرذاذ ومنهُ ما يجفف بكسر قشرهِ ووضعهِ في صوانٍ في حجر يدور فيها هواء ساخن ، أو بمدّ البيض غشاءً رقيقاً على سير متحرّك في حجرة ساخنة . أما الخضر والفواكه فتجفف بغير أسلوب واحد ، ولكن أعمَّها قائم على وضع الخضر في صوانٍ ثم تحريكها في نفق ينفخ فيهِ تيار من الهواءِ الساخن

وقد حسب الحسّاب ان مصنعاً واحداً للتجفيف يستطيع في يوم واحد أن ينزع من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاطعمة التي تجفف فيهِ،قدراً من الماءِ يفوق وزنهُ وزنَ الفلزات التي دخلت في انشاء المصنع . وحسب غيرهم ان نصف الفلزات اللازمة في بناء سفينة نقل متوسطة ، يكفي لانشاء مصنع تجفيف ينزع من مواد الطعام المجففة فيهِ سنتين ، قدراً من الماء يعدل شحن ٨٧٥ سفينة مثلها

وقد اتسع نطاق هذه الصناعة في الولايات المتحدة اتساعاً عظيماً سريعاً . ففي سنة ١٩٤٠ كان وزن البيض المجفف سبعة ملايين ونصف مليون رطل . فبلغ في اواخر سنة ١٩٤٢ ثلاثمائة مليون رطل على المعدل . وتضاعف في خلال هاتين السنتين ما يجفف من اللبن المقشود. اما الخضر المجففة فزادت من ستة ملايين رطل الى اثنين وعشرين مليون رطل

ان المقام الأول الآن في صناعة تجفيف مواد الطعام لضرورات الحرب . وسيكون المقام الأول فيها بعد الحرب لضرورات الغوث والتعمير . فالحاجة الى الطعام في شتى أنحاء الأرض ستكون عظيمة والحاجة الى السفن كذلك . والطعام المجفف يوفق بين الحاجتين ويتيح للشعوب التي استبدت بها ضرورات الحرب ، مقادير وافرة من الطعام المغذي في أقل متسع من سفن النقل . ولا ريب في أن مزايا هذه الصناعة الجديدة ستكون خلال فترة الغوث والتعمير وبعدها ، من أمضى الأسلحة المستعملة لتحرير الناس من الفاقة والجوع

ابتهال

للشاعر الاميركي أدوِنْ ماركَمْ

علمني أيها الأب أن أسير متئداً كما تنمو الأعشاب . أنزل السكينة على قلبي حتى يثبت كالصخر الأصم ، لصدمات العالمَ المفتون . وليكن له في احتدام قوته رقة الزهرة . ودع هذا القلب الظامىء يترع كأسهُ ليستقبل السماءَ في بشر الشقيق الريّان. واذا ما أُفعم القلب ريّا ، ودبّت الحياة الجديدة فيهِ ، فليحمل تاجهُ في وداعة الشقيقة الموقرة بالندى

***

علمني أيها الأب أن أمنح عطفي دون ملل ، كما تمنح الشجرة ظلّها للعابرين ، هذا الظلّ الذي يشيع روحَ الطرب في الجنادب الغردة في الظهيرة ، وتستروح بنسماته العليلة هذه الحشرات الدؤوبة في رحلة الحياة . فدعني اذاً أنشر البهجة والهناءة على ما حولي ، من مراعٍ فسيحة وشعاب نائئة ، كما تنشر تلك الشجرة الحانية ظلالها، فتفيء اليها الأرواح العابرة المتعبة لحظاتٍ ، أفرغت فيها الحياة كلّ صفوها وجمالها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



العلم رائد

الحياة العلمية في مصر

بعد ربع قرن

للدكتور علي بك مصطفى مشرفة
عميد كلية العلوم

— ٢ —

ونحن في مصر شيدنا جامعة على النمط الأوربي الحديث ، فعلينا أن نحتفظ لها بحريتها وان نكفل لها نظامها ومن الصعب بل لعله من المستحيل على من لم يتعلم تعليماً جامعياً أن يتفهم حقيقة النظم الجامعية فالنظام الجامعي كأي نظام آخر لا يعرفه إلاّ من خبره وتقوم الجامعات بنصيب وافر في تقدم العلم ، فالاستاذ في الجامعة يشعر ان اول واجب عليهِ متابعة البحث العلمي ويضع هذا الواجب فوق واجباته الاخرى كالقاء الدروس وتنظيم الدراسات وما اليها . وجميع أساتذة الجامعات أعضاء في المجامع والجمعيات العلمية المختلفة كل في دائرة تخصصهِ ولا يقتصر الاستاذ على متابعة ابحاثهِ الخاصة بل عليهِ أن يكون ملهماً لغيره ممن هم دونهُ في المرتبة العلمية ومشرفاً على بحوثهم ومرشداً لهم ولذلك لا يصل الاستاذ الى كرسي الاستاذية إلاّ بعد ان يثبت قدرته على البحث العلمي المبتكر وعلى إرشاد غيره فيهِ

فأعضاء هيئة التدريس في كل فرع من فروع العلم يؤلفون اسرة ، رئيسها الاستاذ صاحب الكرسي تعمل كوحدة متماسكة في ميدان البحث العلمي يسترشد صغيرها بكبيرها ويتعاون الجميع على البحث والابتكار

وميدان التنافس بين الجامعات هو ميدان البحث ، والتفاضل بين الجامعات إنما يكون على أساس إجادة كل منها في هذا الميدان ، فليست الجامعة باتساع مبانيها ولا بوفرة عدد أساتذتها ولا بكثرة طلابها ، بل برفعة شأنها العلمي بين نظيراتها ، وإذن فعلينا في ربع القرن الآتي أن نحتفظ لجامعتنا بمقامها العلمي ، وأن نعمل على رفع شأنها في ميدان البحث والابتكار وألا نسمح لمستوى أساتذتها العلمي بأن ينخفض ، قيد أنملة عما يجب أن يكون عليهِ

على أن الجامعة ، وإن أمكن تصوّرها مجموعةً من الأساتذة والباحثين إلاّ أن لها ناحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أخرى لعلها أبرز في نظر الجمهور وأوثق ارتباطاً بالحياة اليومية ، وهي ناحية كونها مدرسة لتثقيف النشء وإعداده . فالنشء يطلب العلم وهو يطلبه كغاية كما يطلبه كوسيلة . وعلينا أن نجيبه إلى طلبه ، والجامعات الحديثة تنظم الدراسات المختلفة وتنوعها وتراعي في عملها هذا إعداد النشء لنواحي الحياة وضروبها ، وليس في مقدور أمة اليوم ان تحتفظ بمقامها بين الأمم إذا هي لم تعمل على إعداد نشئها اعداداً علمياً صحيحاً ، ومن الخطإ كل الخطإ أن نصرف الشباب عن العلم أيّاً كانت حجتنا في ذلك ، فالعلم خير محض ، وهو إلى هذا كما يقول الانكليز: قدرة تمكن صاحبها من تذليل الصعاب ومقابلة الاحداث . والتعليم العالي لا يجوز قصره على غرض واحد هو التبحر في العلم والابتكار فيه فان هذا إنما يتاح للأقلية الضئيلة ممن يتعلمون تعليماً عالياً

أما الأغلبية الساحقة فيجب ان تنوع لها الدراسات التي تمكنها من العمل المنتج في شتى المرافق ، فالزارع والتاجر والصانع والطبيب والمهندس في حاجة إلى العلم ليتمكنوا من النهوض بواجبهم

واذا لم يتسع التعليم الجامعي لجميع هؤلاء فيجب إنشاء مدارس عليا تتولى تثقيف النشء في هذه السبل المختلفة وكثير من الجامعات الاوربية الحديثة نشأ كمدارس عليا تخدم أغراضاً خاصة ، فجامعة ردنج نشأت كمدرسة عليا للزراعة ثم تطوّرت وارتفع شأنها حتى صارت جامعة تمنح درجات وتتنافس مع غيرها في ميدان البحث العلمي . وفي النظام المتبع في القارة الاوربية تتولى مدارس فنية عليا تسمى Technische hochschule « تكنشه هوخشوله » إعداد النشء لجميع الاعمال الفنية والهندسية

وفي لندن الكلية الامبراطورية للعلوم والتكنولوجيا وهي من أضخم معاهد لندن وأغناها وهذه يعدّ فيها الطلبة في الهندسة الكهربائية والبناء والتعدين والكيمياء الصناعية وعدد آخر وفير من الصناعات ويمنحون شهادات باتمام دراستهم دون ان يحصلوا على درجة جامعية . وفي هذه الكلية الامبراطورية نجد الطالب الذي يقوم بهذه الدراسات الفنية جنباً الى جنب مع الطالب الذي يدرس للحصول على درجة جامعية . وسواء اتبعنا في مصر هذا النظام المشترك الموجود في لندن أم اتبعنا نظام القارة الاوربية في الفصل بين الجامعات والمدارس العليا الفنية فلا شك في أن علينا أن نسلك هذا السبيل وان نحل هذه العقدة التي صارت مشكلة من مشكلاتنا القومية

ورأيي أن إنشاء مدارس عليا مستقلة مع احتمال تطوّر بعضها أو تطورها جميعاً في المستقبل لتكون كليات جامعية هو الحل الذي يناسب حالتنا الخاصة إذ اننا نستطيع بهذه الطريقة المحافظة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على مستوى عال في البحث والابتكار العلمي للجامعة دون أن نصد الشباب عن التعليم العالي وهذا الموضوع ينقلنا بطريقة طبيعية الى ناحية أخرى من نواحي مستقبل الحياة العلمية .

أشرت في أول حديثي أن الغرض من العلم واضح وهو المعرفة ، وأن العلم يطلب الحقيقة لذاتها ، ولكن الحياة العلمية في كل أمة تصل الى أبعد من هـذا ، فقديماً قيل علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر ، والتبحر في العلم والابتكار فيه كما قدمت انما يتاح للأقلية الضئيلة . أما الأغلبية الساحقة فتطلب العلم كوسيلة لا كغاية ، وليس في هـذا خفض من شأن العلم ولا مساس بمقامه ، فالعلم منشأ لذة فكرية في ذاته وهو أيضاً قوة لحل المشكلات البشرية ، فلذته وقيمته مضاعفتان

والحياة العلمية بيننا يجب أن تشمل هذه الناحية التطبيقية للعلوم . وكما أنه من الخطأ أن يقتصر تفكيرنا العلمي على الناحية المادية فكذلك من الخطأ أن يقتصر على الناحية الأكاديمية ، بل اني لا أعدو الحقيقة اذا قلت ان مستقبل مصر في الجيل القادم وما بعده سيبنى على مقدار نجاحنا في انشاء الروابط المتينة الحية بين العلوم البحتة والعلوم التطبيقية أو بين العلم والعمل ، ولهـذا يجب انشاء هيئة أو أكثر من هيئة لتوثيق هـذه الروابط

فمن ناحيـة نجد الصناعات في مصر في حاجـة قصوى الى الفنيين لحل مشـكلاتهـا الخاصة . ومن ناحية أخرى نجد الشباب في مرحلة التعليم العالي يطالب المجتمع بعمل مفيد يؤديه ، وقد كنا الى عهد قريب نستقدم خبراء أجانب كلما أردنا حل مشكلة من مشكلاتنا الصناعية فدبغ الجلود في حاجة الى خبير أجنبي وصناعة الزجاج في حاجة الى خبير أجنبي والصناعات الأخرى جميعاً كذلك ، وهذا الخبير الأجنبي كيف نشأ وكيف أعد ؟ ستجدون انه في جميع الأحوال قد تعلم تعليماً عالياً ثم طبق علمه في ناحية من نواحي الصـناعة ، ونحن تواقون الى انشاء صناعات متعددة بين ظهرانينا . وفي كل صناعة من هذه الصناعات مشكلة أو مشكلات متعددة تتطلب الحل . والشباب يتعلم العلم فالمنطق يقضي بالجمع بين هذين الطرفين . وقد صدر مرسوم منذ أمد قريب بانشاء معهد لهذا الغرض يطلق عليه اسم المغفور له الملك فؤاد . ومنذ صدور هذا المرسوم لم يحدث شيء جدي الى حد علمي لتحقيق الغرض المنشود منهُ . والمسألة في ذاتها ليست معضلة من المعضلات فهي لا تعدو الجمع بين العلم والصناعة . وفي كل أمة متحضرة نجد الى جانب البحث العلمي البحت بحثاً من نوع آخر يسمى البحث العلمي الصناعي أو التطبيقي فكل مصنع من المصانع الكبرى بهِ قسم خاص لبحث مشكلات الصناعة التي يزاولها وبهِ معامل وعلماء متخصصون يتفرغون لحل المسائل التي تنشأ في هذه الصناعة . فكما أن تقدم العلم أساسهُ البحث كذلك تقدم الصناعة أساسهُ البحث أيضاً . ومن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخطأ كل الخطأ أن يظن أن في استطاعتنا الاعتماد على غيرنا في حل مسائلنا الفنية الصناعية . صحيح اننا نستطيع أن ننقل من غيرنا الكثير من أصول الفن والصناعة ولكن المشكلات الصناعية التي تنشأ عندنا والتي تتطلب الحل لامفر من الاعتماد فيها على عملنا نحن . فالظروف تتغير من بلد الى أخرى ونتائج البحث الصناعي ليست كنتائج البحث العلمي منشورة للجميع بل انها تحاط بسياج من التكتم فاذا نجحت وصارت لها قيمة اقتصادية أحيطت بسياج من الحقوق القانونية . وكثيرٌ من مشكلاتنا الصناعية خاصٌ بنا كاستخراج الثروة المعدنية الذي يرتبط بجيولوجية أرضنا وكصناعاتنا الزراعية التي ترتبط بأنواع محاصيلنا وبظروفنا الاقتصادية

وفي رأيي انهُ يمكن البدء في تحقيق هذا الغرض بدءًا متواضعاً بتخصيص مبلغ غير كبير من المال للبحث الصناعي ، فالشباب بعد أن يتم تعليمه العالي الأكاديمي يوجه نحو البحث الصناعي في معمل خاص أو في معاملنا الحالية يرشده في ذلك أساتذة متخصصون واذا نجحت هذه التجربة واقتنع أرباب الصناعات في مصر بفائدة هذه البحوث كان في الوسع تخصيص مبالغ أكبر لهذا الغرض . وفي أوربا يخصص أرباب الصناعات مبالغ طائلة للبحوث الصناعية لاقتناعهم بفائدتها بل ان بعضهم ليخصص أمواله للبحوث العلمية البحتة لاقتناعهم بأن تقدم العلوم البحتة هو أساس التقدم الصناعي ، فمثلاً نجد « السير الفرد يارو » وهو قطب من أقطاب الصناعات في انجلترا يمنح المجمع البريطاني في لندن مبلغ مائة الف جنيه ليصرف ريعه في البحث العلمي البحت ، وتقدر الأموال التي يخصصها أرباب الصناعات في انكلترا واميركا للبحث العلمي بمئات الملايين من الجنيهات

***

ولا بدَّ من الاشارة الى ناحية أخرى من نواحي حياتنا العلمية يجب علينا أن نتعهدها بالعناية في السنين القادمة ، هي ناحية التأليف العلمي وأقصد بالتأليف العلمي تدوين العلوم باللغة العربية بحيث تصبح لغتنا غنية بمؤلفاتها في مختلف العلوم . ولاشك في أننا في أشد الحاجة الى كتب عربية في كل فرع من فروع العلم ففي حين نجد كل لغة من اللغات الحية غنية بكتبها ومؤلفاتها العلمية تنفرد اللغة العربية بفقرها المدقع في المؤلفات العلمية ، ولا أظنني أعدو الحقيقة اذا قلت انه لا يكاد يوجد كتاب واحد في أي فرع من فروع العلم يمكن عدُّهُ مرجعاً أو حجة . والكتب التي تظهر يكون مستواها عادة منخفضاً لا يزيد على مستوى التعليم الثانوي أو المرحلة الأولى من التعليم العالي ، وهذا الأمر جد خطير فاننا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذا لم ننقل العلوم الى لغتنا ولم ندونها بقينا عالة على غيرنا من الأمم وبقيت دائرة العلم في مصر محصورة في النفر القليل الذين يستطيعون قراءة الكتب الأجنبية العلمية وفهمها . وحالنا اليوم تشبه ما كانت عليه حال العرب في القرنين الثامن والتاسع أو ما كان عليه حال أوربا في القرون الوسطى فالعرب تنبهوا الى ضرورة نقل علوم الاغريق الى اللغة العربية فقام الخلفاء والأمراء بتشجيع العلماء على الانقطاع الى النقل والتأليف . ولعلكم تذكرون المكتبة الكبرى في أيام الخليفة المامون التي كانت تعرف بخزانة الحكمة وان كثيراً من علماء ذلك العصر كانوا منقطعين اليها يشجعهم على ذلك ما تحلى بهِ المأمون من الرغبة في العلم وتقريب أهله وأدنائهم وبسط كنفه لهم ومعونته إياهم . وقد كان من نتيجة هذا كله ان صارت اللغة العربية لغة العلم والتأليف وبقيت محتفظة بسيادتها العلمية على لغات الأرض جميعاً عدة قرون . ونحن اذا شئنا أن نعيد الى لغتنا مجدها العلمي علينا أن نعنى بتشجيع التأليف والتدوين والنقل ، وعلى الدولة ألاّ تضن بالمال الواجب انفاقه في هذا السبيل . ومن الممكن البدء في هذا العمل فوراً بميزانية سنوية لا تتجاوز بضعة الألوف من الجنيهات وهو لعمري مبلغ صغير اذا قيس بالنتائج الهامة التي تنجم عن صرفه ، والطريقة المثلى لذلك هي ان تعهد الدولة الى القادرين من العلماء في كل فرع من فروع العلم بنقل الكتب العلمية وتأليفها وأن تتولى الدولة طبع هذه الكتب ونشرها ولا يجوز ان يترك الأمر للمجهود الفردي بل لا بد من تضافر العلماء وتعاونهم في هذا السبيل فكل كتاب ينقل او يؤلف يجب ان تقوم عليهِ لجنة تجمع خيرة من تخصصوا في موضوع الكتاب . ولا يخفى ما في هذا العمل من مشقة كما أنكم تدركون ما له من ارتباط بتطور اللغة العربية العلمية ومصطلحاتها . والتأليف العلمي هو الوسيلة الطبيعية لتوليد هذه المصطلحات في لغتنا فكل لغة حية انما تنمو عن طريق التأليف والكتابة واللغة العلمية وليدة التفكير العلمي . والمصطلحات العلمية في اللغات الأوربية انما نشأت بهذه الطريقة ونتجت عن نمو العلم والتأليف ومن العبث ان يقوم مجمع بفرض المصطلحات على المؤلفين فرضاً وانما تأتي مهمة المجامع بعد مهمة المؤلفين لا قبلها فالمجمع اللغوي يجمع ما ورد في الكتب العلمية من مصطلحات أو يدوّنها و يفسرها . على أنه لما كان الأمر مرتبطاً كما قدمت بتطور لغتنا ونموها فان من الواجب ان يكون في كل لجنة من اللجان التي يعهد اليها في التأليف عضو متضلع من اللغة العربية وأساليبها حتى تخرج اللغة العربية سليمة وحتى ترتبط لغة التأليف العلمي بلغة الأدب ارتباطاً طبيعيًّا مثمراً ، ولكي أُقيم الدليل على مبلغ ما وصلت اليهِ اللغة العلمية في العصر العربي من جمال في الأسلوب وسلامة في العبارة سأقرأ نبذة من مقدمة محمد ابن موسى الخوارزمي لكتابه في الجبر

والمقابلة ، وهو الكتاب الذي وضع فيه الخوارزمي أسس علم الجبر نخلد بذلك اسمه في تاريخ العلوم قال : —

« ولم يزل العلماء في الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب مما يصنفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة نظراً لمن بعدهم واحتساباً للاجر بقدر الطاقة ورجاء ان يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ويبقى لهم من لسان صدقه ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ويحملونه على أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه ، إما رجل سبق الى ما لم يكن مستخرجاً قبلهُ فورثه من بعده،وإما رجل شرح مما أبقى الأولون ما كان مستغلقاً فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه ، وإما رجل وجد في بعض الكتب خللاً فلمَّ شعثه وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه » . أفليس هذا الأسلوب مع دقته العلمية أسلوباً جميلاً سهلاً جديراً بأن نتوخاه وننسج على منواله ؟ . ثم اسمعوا الى عبارتهِ في العدد : —

« واني لما نظرت الى ما يحتاج اليه الناس من الحساب وجدت جميع ذلك عدداً ووجدت جميع الأعداد إنما تركبت من الواحد ووجدت جميع ما يلفظ بهِ من الأعداد ما جاوز الواحد الى العشرة يخرج مخرج الواحد ثم تثنى العشرة وتثلث كما فعل بالواحد فتكون منها العشرون والثلاثون الى تمام المائة ثم تثنى المائة وتثلث كما فعل بالواحد والعشرة الى الألف ثم كذلك تردّد الألف عند كل عقد الى غاية المدرك من العدد »

وهكذا كان التأليف العلمي يجمع بين وضوح العبارة وسلامتها ، بين منطق العلم وروعة الأدب . لهذا أرى أن يختار المؤلفون على قدر الإمكان ممن يحسنون صناعة اللغة فاذا تعذر ذلك اشترك معهم من يعاونهم في ذلك

***

وموضوع التأليف العلمي وارتباطه بحياتنا الفكرية انما هو جزء من موضوع أوسع وأعم ألا وهو العلاقة بين حياتنا العلمية الماضية والمستقبلة وهو موضوع الأسس التي يجب أن نبني عليها صرح مجهودنا العلمي . فالحياة العلمية في كل أمة عنصر هام من عناصر ثقافتها العامة . وكما ان الأمة المتحضرة تكون لها ثقافة أدبية ترتبط بتاريخها وتتجسم في لغتها ويكون عنواناً عليها ذلك التراث الخالد من شعر شعرائها ونثر كتابها ، وكما أن الأمة المتحضرة أيضاً تكون لها ثقافة فنية تتمثل فيما أبدعته أيدي فنانيها في مختلف عصور تطوّرها من تلك الرموز الملموسة على المشاعر الخفية تلك الرسالات الملهمة التي تنبعث عن قلب الفرد فتصل الى قلب الامة وربما تعدته الى قلب الانسانية ذاتها ، أقول كما أن الامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المتحضرة تكون لها هذه الثقافة الأدبية وتلك الثقافة الفنية وغيرها من ثقافة خلقية ودينية وسياسية وما اليها ، كذلك تكون للامة المتحضرة ثقافة علمية ترتبط بتاريخ التفكير العلمي فيها وتحتوي ما ابتكرتهُ عقول أبنائها من الآراء والنظريات العلمية وما وصلت اليه من الكشوف في سائر ميادين البحث العلمي وما نقلتهُ وهذبته واستساغته من آراء غيرها مما دخل في صلب المعرفة البشرية على مرّ العصور والاجيال . وحياتنا العلمية في حاجة الى أن تتصل بماضينا فتكسب بذلك قوة وحياة وإلهاماً . ونحن في مصر اليوم ننقل المعرفة عن غيرنا ثم نتركها عائمة لا تمت بصلة إلى ماضينا ولا تتصل بتربتنا فهي بضاعة أجنبية عليها مسحة الغرابة ، غرابة في اللفظ وغرابة في المعنى ، وإذا ذكرت النظريات قرنت بأسماءٍ أعجمية لا يكاد المرء منا يتبين معالمها ، واذا عبر عن المعاني فبألفاظ مخيفة يفر منها الفكر وترتبك أمامها المتخيلة ، وفي الخمس والعشرين سنة القادمة وما بعدها يجب أن نعمل على تغيير هذا الحال ، فأولاً يجب أن ننشر الكتب العلميــة التي وضعها العرب ونقل عنهــا الافرنج ككتب الخوارزمي وأبي كامل في الجبر والحساب وكتب ابن الهيثم في الطبيعة وكتب البوزجاني والبيروني والبتاني وغيرهم كثيرون من قادة التفكير العلمي وعظماء الباحثين المدققين

هذه الكتب موجودة الآن ولكن أين ؟ انهـا محفوظة في مكتبات ومتاحف في مشارق الارض ومغاربها يعرف عنها الافرنج أكثر ممـا نعرف ، ويتولون ترجمتها وشرحها والتعليق عليها وينشرون هذا كله بلغات اجنبية في مجلاّتهم العلمية ، وما أجدرنا بأن نكون نحن القــائمين على ذلك ، وثانياً يجب أن نعني بتمجيد السلف من علمائنا وباحثينا فيكون لنا في ذلك حافز للاقتداءِ بهم وتتبع خطاهم . وقد بذلت بعض الجهود في هـذا السبيل في السنين الاخيرة فأقيم حفل لتخليد ذكرى ابن الهيثم ونشر كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة وعلينا في السنين الآتية أن نعزّز هذه الحركة وان ننظمها ، فالتأليف العلمي وإحياء كتب العرب وتمجيد علمائهم أمور ثلاثة يجب أن تدرج في جدول أعمال حياتنـا الفكرية في المستقبل القريب

***

هذا بعض ما عنَّ لي في موضوع حياتنا العلمية في الخمس والعشرين السنة القادمة ، وهو كما قدمت إنما يمثل السياسة التي أرى ان نتبعها . أما نجاحنا أو إخفاقنا فأمرٌ لا أتعرض له وقد ذكرت خبر اخفاقنا في مجهودنا العلمي في القرن الماضي، فلعلَّ حظنا في هذه المرة يكون أسعد وسبيلنا يكون أرشد والسلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حرقة

إمضِ عن شأنيَ الطريح على مسلكٍ زلِقْ

لا تسل عن شكاته سر تطبيبهِ سُرِقْ

لا تظنّن ما بهِ شرَقَ اللهو بالحُمُقْ

انّ سكراً سما بقلبي الفتى خدّر النزقْ

صبّ في كوبيَ الغرير حُميّا الصبا القلِقْ

سئم الطوقُ ضجّةَ الحِسِّ فاستشرفَ الأفُقْ

بادرتهُ الشموسُ باغيةَ الشوق تعتنقْ

ألهبتهُ الضّحى فأوْدى به الفَوْتُ في الشفَقْ

ألغواياتُ وُلدُ انفاسِ عذراءَ تحترِقْ

بشر فارس

أسيار عاشر

أبعد من بلوطو ؟

كشف هرشل عن السيار اورانوس سنة ١٧٨١ وبعد البحث في الأرصاد القديمة ثبت ان هذا السيار كان قد رصد كثيراً في القرن السابق للكشف عنهُ . ولكن بوفار وجد سنة ١٨٢٠ ان الأرصاد القديمة المدونة عنهُ لا تتفق والأرصاد الجديدة ولما وضع جداوله ضرب بالأرصاد القديمة عرض الحائط حاسباً ان الخطأ فيها صادر عن مدونها . ولكنه لم يلبث ان رأى الخطأ يتطرق الى جداوله وأرصاده أيضاً حتى بلغ معظمهُ سنة ١٨٤٤ . فعني بسل باصلاح هذا الخطأ بزيادة ما هو مقدَّر لجرم زحل لأن هذه الزيادة تحدث هذا الفرق في رأيه . ولكن لم يلبث ان ظهر لهُ ان الجرم الذي يجب تعيينه لزحل لكي يعلل هذا الخطأ أعظم مما يسلم بهِ العلم . فعدل عن ذلك . والمرجح ان تعليل هذا الخطأ بسيار خارج اورانوس جال في خواطر بوفار وبسل وغيرهما ولكن أول من اعتقد في ذلك وصرح بضرورة البحث عن مكان هذا الجسم كان القس هسي الانكليزي وهو من هواة علم الفلك . ففي سنة ١٨٣٦ كتب رسالة الى السر جورج آري العالم الفلكي يستطلع فيها رأيهُ في الموضوع ويتبرع بالبحث عن هذا السيار اذا قدّر احد العلماء موقعهُ بالحساب الرياضي فأجاب آري بأنهُ لم يقتنع بعد بأن هناك جسماً خارجيًّا يحدث هذا الاضطراب في فلك اورانوس . وعني بوفار مع ابن أخيهِ بالمسألة حوالي سنة ١٨٣٧ ولكنهما لم يبلغا فيها حدًّا بعيداً

***

وفي سنة ١٨٣٥ كان الهر نقولاي مدير مرصد مانهيم يتحدث عن مذنب هالي فذكر ظنهُ أن هناك سيَّاراً وراء اورانوس يؤثر في المذنب كما يدلُّ على ذلك الفرق بين أرصاد المذنب القديمة والارصاد الجديدة . وفي سنة ١٨٤٣ أعلنت جمعية العلوم الملكية بغوتنجن انها تمنح مبلغاً من المال لأول من يضع نظرية كافية لتعليل حركات اورانوس وعينت شهر سبتمبر سنة ١٨٤٦ لنهاية المباراة . وقد جاءَ في بعض المدوّنات ان بسل زار انكلترا في سنة ١٨٤٢ وفيما هو يتحدث مع السر جون هرشل الفلكي المشهور أعرب عن اقتناعهِ بأن سيَّاراً غير معروف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يحدث الاضطراب المشاهد في فلك اورانوس . وعليهِ فالمسألة كانت حينئذٍ قد بلغت الحدّ الذي تحتاج عنده الى عالم رياضي بارع يكبُّ عليها ليحلّها . وقد وجد هذا الرجل في شخص جون كوتش ادمز وكان حينئذٍ طالباً بكلية سانت جون بجامعة كمبردج فانهُ أكبَّ على حلّ هذه المعضلة الرياضية الفلكية سنة ١٨٤٣ فوجد حالاً ان الاضطراب في فلك اورانوس يمكن تعليله بسيار يدور حول الشمس على ما يقضي بهِ ناموس بود (Bode) وقضى السنتين التاليتين في درس اهليلجية فلكه . وفي سبتمبر سنة ١٨٤٥ بعث بنتائج مباحثهِ الى الاستاذ جيمز تشالس . وفي أول نوفمبر أرسل العناصر التي كشفت عنها مباحثهُ الرياضية الى الفلكي آري قائلاً ان الاضطراب في فلك اورانوس يمكن تعليلهُ بوجود سيّار وصف عناصره — أي بعده عن الشمس وجرمهُ واهليلجية فلكهِ الخ . وكان اراجو قد اقترح هذا البحث الرياضي الفلكي على لفريبه الفلكي الفرنسي ، وهو عالم كان سبق لهُ وضع رسائل في علم الفلك النظري نالت اعجاب العلماء . ونشرت رسالته الاولى التي تليت في الاكادمية الفرنسية في ١٠ نوفمبر ١٨٤٥ أي بعيد وصول رسالتي ادمز الى الاستاذ تشالس والفلكي آري . على ان مباحث لفريبه كانت أتمَّ من مباحث ادمز . ولما رأى آري ان العناصر التي يعينها ادمز للسيَّار الجديد تتفق والعناصر التي يعينها لفريبه تقريباً اقترح على الاستاذ تشالِسْ في ٩ يوليو سنة ١٨٤٦ البحث عن السيَّار بالتلسكوب . وبدأ تشالس رصدهُ في ٢٩ يوليو سنة ١٨٤٦ وكان يلزم أن ترصد كل رقعة يحتمل وجود السيَّار فيها مرتين لتعيين موقع كل نجم فيها وموازنتها بالنجوم في الازياج المعروفة حتى يكشف عن كل نجم أو سيَّار بينها ليس معيناً لهذه الرقعة في الازياج

***

وفي ٣١ اغسطس سنة ١٨٤٦ بعث لفريبه برسالته الثانية الى الاكادمية الفرنسية في موضوع السيار الذي وراء اورانوس وفي ١٨ سبتمبر سنة ١٨٤٦ كتب الى الفلكي غال وكان المساعد الاول في مرصد برلين مقترحاً عليهِ البحث في هذا السيار . فتسلّم الرسالة في ٢٣ سبتمبر وعرضها على مدير المرصد فوافق هذا على اجراء البحث وطلب المسيو داره D'Arrest التلميذ بالمرصد ان يعاون الوكيل في ارصاده فأذن له في ذلك . واليهِ يعود جانب من الفضل في كشف السيَّار لالحاحهِ في الموازنة بين النجوم المرصودة والنجوم التي في احد الازياج المطوية في درج مهمل ، بعد ما كاد الوكيل يقرر الكف عن البحث . وكذلك كشف السيار نبتون في مساء ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٤٦ . وقد ثبت بعدئذٍ ان تشالس رصده في ٤ اغسطس ولكنهُ لم يعرف انهُ هو السيار المنشود

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد اختلف الباحثون في نسبة هذا الكشف الفلكي العظيم . هل ينسب الى ادمز السابق في عمل الحسابات اللازمة وعرضها على رجلين من رجال العلم ، أو ينسب الى لفرييه السابق في نشر حساباته ؟ هل ينسب الى الثاني لأن غال الذي أرسل لفرييه تعليماته اليهِ ، وفق الى الكشف عن السيار ، ولا ينسب الى الاول مع ان تشالس رصده قبل وصول تعليمات لفرييه الى غال ، ولكنهُ لم يعرف انهُ هو ؟ والغالب الآن ان ادمز ولفرييه قسيمان

***

هذا في ما يتعلق بكشف السيار نبتون . ولكن هل وراءه سيار آخر ؟ كان الفلكي الاميركي الأستاذ برسيفال لوِل مقتنعاً بوجود سيار آخر وقضى حياتهُ معنيًّا بالبحث الرياضي على طريقة ادمز ولفرييه لتعيين بعده وقدره وجرمه وسرعته . وفي مستهل سنة ١٩٣٠ عني علماء الفلك في مرصد فلاجستاف بولاية اريزونا الأميركية ، أسابيع متوالية برصد جرم سمويّ من القدر الخامس عشر تتفق حركتهُ وحركة السيار الذي تنبأ بهِ لوِل. واتفق الرأي العلمي بعد ذلك على ان هذا الجرم هو هذا السيار فدعي بلوطو . ومن المراصد التي شاركت في تصويره وتعيين عناصره بعد اذاعة كشفه مرصد حلوان .

والآن يذهب الدكتور رتشردصن أحد علماء مرصد جبل ولسن الى ان وراء بلوطو سياراً آخر وقد عيَّن عناصره بالحساب الرياضي كما فعل ادمز ولفرييه ولوِل من قبل . والرصَّاد يبحثون عنهُ الآن . ومرد بحث رتشردصن الى مذنب هالي المشهور . فقد تأخر هذا المذنب عند ظهوره في سنة ١٩١٠ عن الميعاد المعيَّن له بالحساب الرياضي الدقيق ثلاثة أيام . ومذنب هالي يدور في فلك اهليلجي مستطيل حول الشمس ويستغرق دورانهُ سبعاً وسبعين سنة . وكان عندما اقترب من الأرض في سنة ١٩١٠ على بعد ١٤٫٣٠٠٫٠٠٠ ميل حتى لقد ذهب فريق من العلماءِ حينئذٍ ان الأرض مرَّت في غبار ذيلهِ في ٢١ مايو سنة ١٩١٠ وعند ما يكون هذا المذنب على أبعد بعدهِ عن الأرض يكون على ٢٫٥٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل وهو يفوق بعد الارض عن الشمس سبعة وعشرين ضعفاً

فلما كشف بلوطو سنة ١٩٣٠ ظن انه الجرم الذي يحدث هذا الاضطراب في دورة المذنب ثم ظهر ان كتلته لا تكفي لاحداثه . فعمد رتشردصن الى الرياضة العالية ، للبحث عن جرم آخر . وعندد ان حجم هذا السيار يجب ان يكون من رتبة حجم الأرض ، وان بعده عن الشمس يفوق بعدها عنها خمسة وثلاثين ضعفاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف ينبغي

ان يكون التعليم الاقتصادي في مصر لتساهم في التعاون العالمي [1]

لعبد الرحمن فكري بك
وكيل وزارة التجارة والصناعة

تختلف النظم الاقتصادية وتتكيف باختلاف الأغراض التي يسعى المشرفون على شئون الأمم الاقتصادية الى تحقيقها. في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت الحكومات ترمي الى تدعيم سلطانها وإنماء دخلها حتى تستطيع بما لديها من الاموال توسيع نطاق الصناعات الحربية فيها وتجييش الجيوش اللازمة للغزو والدفاع عن سلامتها ولأن ترفع بين الأمم كلمتها اذ أن ذلك العصر كان عصر تأليف القوميات وتكوين الأمم وكانت الغلبة فيه للقوي فلم يكن والحالة هذه امام حكومات ذلك الزمن مجال للاهتمام بصالح الأفراد او للعمل على رفع مستواهم. كان الفرد جزءاً من الآلة التي تعمل على اثراء الحكومة ولم يكن غرضاً في ذاته بل كان وسيلة الى تحقيق غرض آخر ألا وهو تدعيم سلطان الدولة فكان الاهتمام به لا يتجاوز القدر اللازم للابقاء على اجزاء تلك الآلة في الانتاج فكان أجره لا يتكافأ مع إنتاجه او العناية برفاهيته واطمئنانه بل كان يتحدد عند المستوى الأدنى الذي يكاد ان يقوم بأوده

كان غرض تدعيم سلطان الدولة اولاً هو الذي أملى على التجاريين Mercantilists نظرية إقامة الحواجز الجمركية العالية في طريق الواردات من المنتجات الأجنبية حتى تقل وتضمحل ومنح الصادرات جميع التسهيلات وشتى الاعانات حتى تزيد وتربو كي تحصل الدولة على أكبر قدر من الذهب تتمكن به من السيطرة على الاسواق المالية وقد تستعمله في أثناء الحروب في الحصول على حاجاتها من المواد الاولية من الأسواق الأجنبية اللازمة لمواصلة القتال

وهذا الغرض نفسه هو الذي أوحى الى الحكومات عند فرضها الضرائب أن لا تفرق بين الغني والفقير بين القادر على دفع الضرائب الذي لا يتأثر ببضعة جنيهات تقتطع منهُ وبين

(١) محاضرة ألقيت في الجامعة الاميركية بالقاهرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك الذي تنتقص من طعامه دريهمات يجبر على دفعها الى الحكومة وكانت الضرائب كثيرة متشعبة

ولكن الحال ما لبثت حتى تبدلت وتغير الغرض وأصبح الاهتمام اكبرَ بالفرد في ذاته وانقلبت النظريات واختلفت النظم وأخذ المشتغلون بالشئون الاقتصادية يبحثون في وسائل رفع الأجور وفرضوا حدوداً دنيا لا يمكن لأجر العامل ان ينخفض دونها وعملوا على تأمين العمال من شرور البطالة ومخاطر الحياة وعلى ابتناء المساكن الصحية للطبقات العاملة واعانة الضعفاء منهم وغير ذلك من مختلف الخدمات الاجتماعية التي تدخل الاطمئنان على نفوسهم

كذلك تغيرت سياسة التجارة الخارجية وأصبحت تتأرجح بين الحرية والحماية المقيدة وفقاً لمصلحة المجموع لا وفقاً لمصلحة الحكومة ودخلها. ثم ان نظام الضرائب تغير هو الآخر فأعفي من دفعها اولئك الذين لم تصل ايراداتهم الى حد معين مع تصاعد نسبة الضريبة كلما زاد الدخل فراعت الحكومات عدم ارهاق ذوي الايرادات الضئيلة المحدودة ، بالضرائب لتمكينهم من ان يحيوا حياة طيبة

ترون حضراتكم من كل هذا ان النظم الأقتصادية تتشكل وتتغير وفقاً للغرض الذي يسعى القائمون على تنظيم الأقتصاد الى تحقيقه لذلك فقبل ان نضع صورة للنظام الاقتصادي في العالم او في مصر بعد الحرب الحالية يجب ان نحدد الغرض الذي يرمي ذلك النظام الى تحقيقه

وفي اعتقادي ان العالم لن يرجع بعد الحرب الحالية الى ما كانت عليه الحال في القرن الثامن عشر او الى ما كانت عليه حال بعض البلدان قبل قيام هذه الحرب من العناية اولاً بتدعيم سلطان الدولة كغرض في ذاته بل انهُ لا يخالجني أدنى ريب في أن اتجاه الرأي في العالم قاطبة أخذ يتحوّل صوب العمل على تحسين حال الفرد والاهتمام بهِ في المقام الاول فان زادت الحكومة في دخلها فلاسعاد أفراد الشعب المحرومين وليس لتعزيز ميزانية الحرب، وإن انتهجت الدولة سياسة اكثر حرية في ميدان التجارة الخارجية فلأن ذلك سيساعد على استمتاع الافراد بحياة أكثر رفاهية من ذي قبل وهكذا في شتى المناحي سيكون الغرض الأساسي هو رفع مستوى المعيشة للفرد

وها هو ذا مؤتمر هيئة العمل الدولية الذي عقد في نوفبر من العام الماضي يضمّن قراراته وجوب اتخاذ التدابير اللازمة والعاجلة لتغذية الشعوب التي أضنتها الحرب الحالية ولتعمير البلاد المخربة ولتدبير المواد الاولية للاقطار المحتاجة اليها رغبة في اعادة النشاط الاقتصادي بها والمعاونة على تدبير المساكن الضرورية للعمال وعائلاتهم حتى يعيشوا في جوّ من الحرية والاطمئنان مع العمل على تكييف الاتجاه الصناعي حتى يكون متفقاً والاحوال العالمية في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أوقات السلم ولاستخدام العمال وبذل الجهود المؤدية الى رفع مستوى معيشتهم في جميع أنحاء العالم

ذلك فيما نعتقد سيكون الغرض الذي يسعى العالم الى تحقيقه بعد الحرب الحالية ولا نخال مصر شاذّة عن هذا السبيل بل ان القائمين بالأمر فيها قد بدأوا بالفعل يضعون نصب أعينهم ذلك الغرض الأسمى. والمنتظر ان النظام الاقتصادي في مصر بعد الحرب الحالية سيكون غرضهُ الأول رفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب إلاّ أن رفع هذا المستوى يقتضي العمل على زيادة الدخل الأهلي ولن يزيد الدخل الأهلي إلاّ عن طريق زيادة الكفاية الانتاجية فما هي الوسائل الى زيادة الكفاية الانتاجية ؟

لا يزال في الزراعة متسع لكثير من وجوه التحسين فبتحقيق سياسة الري والصرف التي رسمتها وزارة الاشغال وبتنفيذ سياسة وزارة الزراعة لتحسين اختيار البذور وتقسيمها على المناطق بحسب نوع الارض واستعمال الاسمدة الكيميائية والآلات الزراعية وبالعناية بالتعليم الزراعي سيزداد انتاج المحاصيل وبالتالي يزداد الدخل الفردي والاهلي

والثروة المائية لا تزال غير مستغلّة الاستغلال الكافي كما أن مصر ما زالت في أول عهدها بالاهتمام بزيادة دخلها الاهلي من السياحة فأمامها متسع كبير للعمل على تنشيطها واعداد العدّة لاجتذاب العدد العديد من السياح من جميع أنحاء العالم

إلاّ أن هذه الجهود متى تضافرت في هذه النواحي فلن تزيد دخول الافراد بالقدر الذي يمكنهم من رفع مستوى معيشتهم وليس من سبيل للوصول الى هذه الغاية إلاّ عن طريق الصناعة فالواجب علينا أن نتجه بجهودنا صوب هذه الناحية. فالصناعة في مصر أكبر واسطة لزيادة الدخل الاهلي وما يستتبع ذلك من رفع مستوى المعيشة للطبقات المشتغلة بها وان تقتصر فائدتها على رجال الصناعة وعمالها بل تمتد منافعها الى فريق كبير من التجار والمشتغلين بالنقل الذين يتولون توزيع منتجاتها في داخل البلاد والاشراف على تصديرها الى الاسواق الاجنبية . ومن القول المعاد أن نذكر ان مصر صالحة كل الصلاح لقيام كثير من الصناعات فيها . فقد ثبت بالدليل القاطع صدق هذا القول ولا أدل على ذلك من انهُ قد نشأت في مصر في غضون الحرب الماضية وما بعدها بعض الصناعات كما انهُ قد اتسع العمل والانتاج في بعض الصناعات الاخرى التي كانت قائمة

وقد خطت مصر في سبيل تعزيز صناعاتها المحلية خطوات واسعة حتى انها قبل قيام الحرب الحالية كانت تكفي نفسها كفاية تامة أو في حدود ٩٠ ٪ من حاجة استهلاكها المحلي من صناعات السكر والكحول وطحن الغلال وزجاج المصابيح وغزل القطن والاحذية والصابون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والاسمنت والطرابيش. وفي حدود ٨٠ ٪ من صناعتي الاثاث والكبريت. هذا وقد باتت صناعة غزل القطن ونسجه تكفي لسد نحو ٤٠ ٪ من حاجتها من الاقمشة القطنية السميكة

ولم يقف الانتاج في هذه الصناعات عند تلبية مطالب البلاد الداخلية فحسب بل تعداه الى تصدير جزء كبير الى الخارج كما هي الحال في زيت القطن وكسبه وبذرته والسكر والعسل الاسود وفضلات الطحن وغيرها

هذه الناحية الهامة من نواحي الانتاج ما زالت في حاجة الى تنظيم واسع وقد يكون في قيام معهد للابحاث مزود بكل ما تحتاج اليه معاهد الابحاث الصناعية من آلات وأدوات وأموال ويشرف عليه خبراء يتخصصون في أنواع الصناعات المختلفة ، وقد يكون في انشاء هيئة للتمويل الصناعي تعمل على مساعدة الصناعات القديمة على الاستمرار والاتساع وتساهم في انشاء الصناعات الجديدة من حيث انشاء الشركات الجديدة المأمونة الجانب ، قد يكون في الاهتمام بهاتين الناحيتين بداية تبشر بمستقبل زاهر في ميدان الصناعة

هذه الناحية من التنظيم الاقتصادي ستكون بلا شك حجر الزاوية في النظام الاقتصادي في مصر بعد الحرب وسيستتبع قيامها استمرار السياسة المصرية في التجارة الخارجية تلك السياسة التي تقوم على أساس مزدوج من تسهيل التبادل التجاري وحماية غير مبالغ فيها للصناعات المحلية الناشئة . وفي الواقع لم تشذ مصر عن هذه القاعدة الا بحكم الاحوال القاهرة الخارجية فلم تفرض رسوم جمركية عالية على الوارد من بعض المنتجات الزراعية او الصناعية الا رغبة في حماية الانتاج الزراعي والصناعة المحلية من المزاحمة غير المشروعة التي كانت تلتجىء اليها بعض البلاد كمنح اعانات تصدير أو تخفيض أجور الشحن البحري أو اتباع نظام اغراق الأسواق الأجنبية بالبضائع . ومن المرجح انهُ إذا زالت الأسباب التي من أجلها فرضت الرسوم الجمركية العالية، أن تعود السياسة المصرية سيرتها الأولى من تسهيل التبادل التجاري المقترن بحماية الصناعة الناشئة . وفي اعتقادي ان حماية الصناعات الناشئة لن تتطلب منا حماية جمركية مبالغاً فيها بل ستكون تلك الحماية بالقدر الذي يسمح للصناعات المصرية أن تقوم والتي تحول دون مزاحمة المنتجات الاجنبية لها وهي في نشأتها ومن المحتمل ان لا تكون السياسة المصرية مناقضة لنظم التبادل التجاري في البلاد الأخرى إذ المرجح ان سياسة تيسير التبادل التجاري ستسود العالم ولكن من المستبعد كلية قيام حرية مطلقة في التبادل العالمي . ففي كثير من البلاد يستلزم الاحتفاظ بالمستوى العالي للمعيشة حماية ببعض الصناعات وحتى في البلاد القديمة والعريقة في الصناعة كانكلترا سيتطلب الأمر الابقاء على بعض الرسوم الجمركية الخاصة لبعض الصناعات ما دام غرض السياسة الاقتصادية الانكليزية هو رفع مستوى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعيشة لطبقات الشعب . وقد كتب اللورد Keynes أحد كبار الاقتصاديين الانكليز في احد مؤلفاته الحديثة ان انكلترا اذا عدلت عن سياستها التقليدية في التجارة الخارجية فما ذلك الا حرصاً منها على الاحتفاظ بمستوى من العيش مرتفع

ومن المحتمل ان تدخل بعض التغييرات على نظام الضرائب الحالية تحقيقاً لرفع مستوى المعيشة لأفراد الشعب . فمبدأ الضريبة المتصاعدة لم يؤخذ به تماماً في مصر ومن الراجح ان نظام الضرائب في مصر سيتدرج في التعديل بشكل يسمح بالتصاعد النسبي المشاهد في كثير من البلاد الأجنبية حتى تتحقق العدالة بين دافعي الضريبة كما انه من المحتمل النظر من جديد بكثير من الاهتمام في فرض ضرائب جديدة حتى تستطيع الحكومة الانفاق على نواحي الاصلاح الاجتماعي التي يتطلبها رفع مستوى المعيشة . وتعلمون حضراتكم أن نواحي الاصلاح الاجتماعي تقتضي أموالاً وفيرة فوفقاً للتقرير الذي قدمه السير وليم بيفردج والذي نشر ملخص له في الصحف أخيراً تبلغ الأموال التي يقدر انفاقها في انكلترا في هذه النواحي ٧٠٠ مليون جنيه في السنة الاولى من تنفيذ مقترحاته ونحن لا نتطلع الى تحقيق جميع هذه الاصلاحات الاجتماعية دفعة واحدة ولكننا نحبو الى ان ننهج في هذا السبيل نهج البلاد المهتمة بشئون الاصلاح الاجتماعي تدريجيًّا على قدر ما تسمح به مقدرتنا المالية

ترون حضراتكم من هذا ان مصر في نظامها الاقتصادي كما صورناه ستساهم في التعاون العالمي من حيث الغرض وفي كثير من التفاصيل.ولا إخال مصر من حيث نظام عملتها ستكون أقل تعاوناً مع بقية بلاد العالم الأخرى . فأنها كما تعلمون مرتبطة بالجنيه الاسترليني وهي العملة السائدة في جزء كبير من العالم فلن يغير من سياستها المالية شيئاً ان تتبع نظاماً عالميًّا موحداً اذا ما دعيت الى ذلك . ونحن لا نعلم على وجه التحقيق ما ينتظر أن يكون عليه نظام العملة في المستقبل وهل سيكون من الميسور العودة الى قاعدة الذهب أو اتباع نظام آخر يكون من شأنه تسهيل سبل التبادل التجاري والمالي بين مختلف الأمم ولكن هناك أمراً واحداً نرجح قيامه وهو ان مصر ستكون على استعداد للعمل بما يستقر عليه الرأي بين الامم بعد الحرب فيما يتعلق بالعملة رغبة منها في التعاون مع بلاد العالم للاشراف على كل ما من شأنه زيادة التبادل التجاري

فاذا ما ذهبت مصر في تنفيذ ما استقر عليه الرأي من الاصلاحات الاجتماعية ورفع مستوى معيشة الشعب وحياته الثقافيّة الى الحد الذي نتمناه، فهي ولاشك متمشية مع بقية أمم العالم ومتعاونة معها على تحقيق المثل العليا في الميدان الاقتصادي تلك المثل التي ترنو اليها أعين الشعوب وتتطاول اليها أعناقها في أيام السلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

توزيع سكان القطر

ناحية هامة للصحة الاجتماعية

الدكتور حسن كمال
مساعد مفتش صحة القاهرة

١ — ﴿ زيادة تعداد السكان وتركزهم في جهات دون الاخرى ﴾ للقطر المصري مزايا جغرافية وأهلية تتحكم في كثير من نواحيه الاجتماعية . لهذا نجده بحكم عزلته وقدم مدنيته واعتزاز أهلهِ بطباعهم وعقائدهم وحدة قائمة بذاتها . وعلى الرغم من ذلك فقد اعتراه حديثاً تغيير اقتصادي وعمراني غيره نوعاً فأنشأ حالة جديدة . ففي عام ١٨٠٠ ميلادية كان تعداد سكان القطرعلى ما أثبت في إحصائية الحملة الفرنسية ٢٤٦٠٢٠٠ نسمة . وفي سنة ١٨٨٢ بلغ هذا التعداد ٠٢١ ٨٠٤ ٦ نسمة وعام ١٩٣٧ بلغ ٥٢٥ ٩٠٤ ١٥ نسمة . وهذا تغيير من جهة تعداد السكان له شأنه . وهناك تغيير زراعي حلّ بالقطر لا يقل عن ذلك شأناً . فساحة الأراضي المزروعة زادت كثيراً عما كانت عليهِ بتحول نظام الحياض العتيق بالتدرج الى نظام الرّي المستديم الشائع الآن . فأمكن الحصول على محصولين أو ثلاثة في السنة من الأرض الواحدة . لكن هذا التقدم الزراعي لم يجارِ التقدم في زيادة السكان فمتوسط ما يخص الفلاح الواحد من الارض انحط من ٨٧ر٠ فدان (عام ١٨٩٧) الى ٤١ر٠ فدان (١٩٣٧) فكأنما قد تضاعف الفقر الزراعي في الأربعين السنة الاخيرة (معالي عبد الواحد بك الوكيل — المجلة الطبية المصرية يونيو سنة ١٩٣٩ ص ٨٢٠)

حدث بعد ذلك انتعاش في الصناعة . فشغلت الصناعة في مصر المحل التالي للزراعة . وخففت من حدّة الضائقة الزراعية بعض التخفيف . ونشأت صناعات في جهات معينة من القطر واستوطنتها وأصبحت من مميزاتها الرئيسية وحافظت على كيانها بالرغم من منافسة الصناعات الأجنبية لها . ولما نشبت الحرب الكبرى عام ١٩١٤ تعذّر استيراد كثير من المصنوعات الأجنبية فاضطرت البلاد الى توجيه عنايتها الى صنع ما تيسّر لها مما أثّر تأثيراً محموداً في نهضة مصر الاقتصادية

إلاّ ان عامل الصناعة له اتجاهٌ غير اتجاه عامل الزراعة . فالزراعة تقتضي توزيعاً عادلاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

للسكان بحسب المساحة أما الصناعة فتوجب اكتظاظ العمال في المراكز الصناعية ولا بد من وجود توازن بين هاتين الناحيتين وإلاَّ طغت احداها على الأخرى . وقد حصل هذا الطغيان فعلاً . فنظرة واحدة الى الجدول الآتي كفيلة بأن تظهر للقارىء مدى ذلك :

القاهرة	يخصها	٣٤	نسمة	للفدان	الواحد	ومساحتها	٣٨ ٠٠٠	فداناً
الاسكندرية	«	٣٨	«	«	«	«	١٨ ٠٠٠	«
البحيرة	«	١	«	«	«	«	١٠٦ ٠٠٠	«
الغربية	«	١ر١	«	«	«	«	١١٣٨ ٠٠٠	«
الدقهلية	«	٢	«	«	«	«	٦٣١ ٠٠٠	«
الشرقية	«	١ر٣	«	«	«	«	٨٥١ ٠٠٠	«
المنوفية	«	٣	«	«	«	«	٣٨٣ ٠٠٠	«
القليوبية	«	٢ر٥	«	«	«	«	٢٢٧ ٠٠٠	«
الجيزة	«	٢ر٧	«	«	«	«	٢٥٢ ٠٠٠	«
الفيوم	«	١ر٤	«	«	«	«	٤١٣ ٠٠٠	«
بني سويف	«	٢ر١	«	«	«	«	٢١٦ ٠٠٠	«
المنيا	«	١ر٨	«	«	«	«	٤٨٢ ٠٠٠	«
اسيوط	«	٢ر٤	«	«	«	«	٥٠٠ ٠٠٠	«
جرجا	«	٣	«	«	«	«	٣٧ ٥٠٠	«
قنا	«	٢ر٣	«	«	«	«	٤٣٥ ٠٠٠	«
اسوان	«	١ر٣	«	«	«	«	٢٦٤ ٠٠٠	«

وكلما ترعرعت الصناعة في مكان ما نزح الفلاحون اليه وهجروا أرضهم طلباً للكسب فينحط المستوى الاقتصادي في الريف ويعلو في المدن . ولما كان القطر المصري على وشك النهوض بالصناعة خصوصاً بعد أن تضع الحرب الحالية أوزارها كان واجباً علينا أن نوزع المراكز الصناعية بقدر الامكان توزيعاً عادلاً يتمشى مع حاجة البلاد الزراعية أيضاً . ومنهُ يتضح ان هذا العمل يتطلب مجهوداً مشتركاً لادارات الصناعة والتجارة والعمل والزراعة والصحة في هيئة لجنة مشتركة . أما اشتراك الصحة فلمنزلة المكان من الناحية الصحية . فأوبئة المدن أشد فتكاً من أوبئة الريف . والامراض التي تنتقل بالرذاذ والحشرات المنزلية أكثر وأفتك في المدن منها في القرى .وتوزيع السكان توزيعاً عادلاً على جهات القطر عامل عظيم الشأن في منع الأوبئة ومقاومتها اذا ماظهرت . خذ مثلاً اكتظاظ العمال في المحلة الكبرى بعد نجاح مشروع النسيج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بنك مصر فقد اضطرت الشركة هناك لبناء مساكن خاصة لعمالها . ففي الحالة الاخيرة كان الربح الرائد الاول دون صحة العمال مع ان من يرغب في الربح يتحتم عليه النظر الى مشروعه من هاتين الناحيتين معاً

وفوق ذلك فالمنتظر ان يتطور الامر تطوراً سريعاً يبعث على القلق . وذلك من وجهة تضاعف السكان في مدة الخمسين سنة القادمة وما يتبعهُ من زيادة محسوسة في تعداد الشبان

قال الدكتور كليلاند (مقتطف مايو سنة ١٩٣٥ ص ٥٣٢) ما معناهُ : ان حياة الفرد بالقطر المصري عام ١٩٢٧ كانت ثلاثين عاماً . وان نسبة الشبان الذين يقل عمرهم عن عشرين عاماً بلغ ٤٧٫٧ ٪ من مجموع السكان . بينما بلغت هاتان النسبتان للسكان البيض في الولايات المتحدة عام ١٩٣٠ نحو ٦١ عاماً لمعدل حياة الفرد و ٣٨٫٨ ٪ لعدد الشبان دون العشرين . وفي الواقع ان القطر المصري في وقتنا الحاضر ما زال في المرحلة التي بلغتهـا بلدان غرب أوروبا منذ قرن وربع قرن . وهو في مستوى واحد مع الهند تقريباً حيث كان معدل الحياة الانسانية عام ١٩٣١ نحو ٢٦٫٩ سنة ويلاحظ ان ثلثي سكان القطر المصري أي ٦٥ ٪ منهم يقل عمرهم عن ثلاثين سنة . بينما نجد هـذه النسبة في انكلترا بلغت ٥٠ ٪ عام ١٩٣١ . وقد أخذت نسبة الأعمار تتغير في مصر فانخفضت نسبة الاطفال الذين هم دون العاشرة من ٢٩٨٫٦ في الألف الى ٢٨٤٫٢ في الالف كما ازداد عدد الاشخاص ما بين العاشرة والاربعين من ٣ و٤٨٠ في الالف الى ٥٠٧٫٩ في الالف

وهذا دليل على ان سكان مصر يتجهون نحو الشيخوخة شيئاً . ولكن يجب ملاحظة ان ذلك من شأنهِ ان يزيد عدد الاشخاص المخصبين من الناحية التناسلية اي البالغين من العمر ما بين الخامسة عشرة والتاسعة والاربعين . وهذا يؤدي الى احتمال زيادة معدَّل الزواج والولادة. وفي الواقع انهُ اذا استمرَّت الزيادة في عدد المواليد على المعدَّل الحالي فلابدَّ ان يتضاعف عدد السكان في الاثنتين والخمسين السنة القادمة . وفضلاً عن ذلك فان تحسن الحالة الصحية وما ينتج عنهُ من قلة معدل الوفيات بين الأطفال سيؤدي الى زيادة ظاهرة في عدد الشبان بين السكان

٢ — « اضرار التركز من ناحية الصحة الاجتماعية » الضائقة المعاشية وكثرة الذرية معضلتان حديثتان ضجَّ منهما المصريون . فتقدم الوالدون الى دور العلم زرافات طالبين الاعفاء من المصاريف . وطلب الموظفون ترقيات وعلاوات . وبدأنا نلمس نتائج زيادة السكان وصعوبة الاقتصاد . الاَّ ان هنـاك نتائج أخرى كامنة أبعـد أثراً في الصحة الاجتماعية منها أزمة الزواج بين الطبقة المثقفة . ولهذه وحدها خطرها الاجتماعي . ثم كثرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطلاق وقضايا النفقة الشرعية التي فاقت اخيراً كل ما كانت عليهِ سابقاً[1] . بعد ذلك نادى بعضهم بضرورة هجرة المصريين الى السودان والعراق والبلدان المجاورة للسعي في الرزق . ثم اتجهت الانظار الى الطب علّها تجد في تحديد النسل مخرجاً من هذا المأزق . وأخيراً شخص القوم نحو رجال الدين عسى ان يجدوا لديهم مسوغاً شرعيًّا للغرض نفسه

وهــذه امور ان دلت على شيءٍ فعلى العجز عن الحل السليم . وما تحديد النسل في الحقيقة الاّ تقتيل للابناء واستحياء للنساء أو قل وأد أمة تريد استعادة نشاطها وتجديد عنفوانها . فحقّ عليها قوله تعالى (واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت). تلك حالة غاية في الغرابة . قطرٌ متوفر الزراعة فيه الفقر مدقع . شاسع المساحة بهِ المنازل مكتظة . غزير الشمس وافر الهواءِ النقي بهِ الامراض ترتع . تباين ما أشده . وتناقض لا يصدَّق لو لم يكن حقيقة واقعة . تلك حالنا اليوم فما بالك بعد

لقد آن أوان تنفيذ قانون المساكن لاشتماله على شروط التهوية والاضاءة والمساحة وغيرها من مستلزمات الصحة المنزلية . آن الأوان لان القطر بعد هذه الحرب سوف يتجهُ الى بناءِ المنازل في المدن وتأسيس الكثير من القرى بل قل المدن . وبهذا القانون وحده يمكن منع الاكتظاظ وضمان صحة السكان في المدن . وقوانين المساكن معروفة . فلكل بلد قانونهُ مما يتفق مع جوّها وعاداتها وطرق معاشها . فلابد اذن أن يكون قانون مساكننا متفقاً مع جوّنا وعاداتنا وطرق معاشنا . وانني أرجو في هذا الصدد ان أوجه النظر الى مسألتين هامتين من الوجهة الصحية خاصتين بالحياة في المدن . اولاهما خاصة بالاقلال من النزلات المعوية عند الاطفال قصد الاقلال ما أمكن من كثرة وفياتهم . وثانيهما خاصة بنقاوة جو المدن من الدخان قصد الاقلال من امراض الصدر في المناطق الصناعية . وتتلخص الاولى في ضرورة مد شوارع واسعة وعدم استعمال الحيوانات كوسائل للنقل . فقد ثبت ببلاد الانكليز ان النزلات المعوية عند الاطفال هناك انخفضت اخيراً كثيراً عما كانت عليهِ قبل خمسة وعشرين عاماً وان هذا الانخفاض ناجم عن امور ثلاثة (١) ارشاد الامهات الى طرق

---

[1] (١) فكتاب الاحصاء القضائي السنوي أثبت فيه ما يأتي : —

	اشهادات الزواج بالمحاكم الجزئية	اشهادات الطلاق بالمحاكم الجزئية	النسبة المئوية	الصفحة
سنة ١٩٢٣—٢٤	٣٥٧٠٧٢	٦٧٦٨٦	١٩ ٪	١٢
سنة ١٩٣٥—٣٦	٢٠٠١٣٠	٥٥٢٧٢	٢٧٫٥ ٪	١٨

وبتاريخ ٢٢ / ١٢ / ١٩٤٢ نشرت جريدة الاهرام تحت عنوان « مائة الف طلاق في عام واحد » العبارة التالية — كان مما استرعى أنظار ذوي الشأن كثرة حوادث الطلاق اذ بلغ عددها في هذا العام مائة الف على حين ان عقود الزواج بلغ عددها ثلاث مائة الف أي ان نسبة الطلاق للزواج هي حوالي ٣٣ ⅓ في المائة . ولهذا رؤي التعجيل باستصدار التشريع الخاص بحماية الاسرة المصرية وهو يقضي بمنع الطلاق إلا اذا كان أمام القاضي كما انه ينص على عقوبة الحبس في حالة مخالفة ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العناية بأطفالهن عن طريق مراكز رعاية الطفل (٢) الاكثار من استعمال اللبن المجفف (٣) انعدام براز الحيوانات وبولها اثر استعمال سيارات النقل (المجلة الطبية الانكليزية ٢٥/٧/٤٢ ص ١٩٤١)

وتتلخص الثانية في منع انتشار الدخان بالمناطق الصناعية بل وفي المدن ايضاً . نعم ان الاشتراطات الصحية الحالية تقتضي بعد المدخنة مسافة ٢٥ متراً عن المساكن المجاورة وارتفاعها مسافة مترين عما جاورها . الا ان العمارات الكبيرة الحديثة كثيرة المساكن . فقد يبلغ تعداد مساكن كل عمارة حوالي السبعين شقة عدا الدكاكين . ولكل شقة مدخنة المطبخ واخرى للتدفئة . كما ان لبعض الدكاكين مداخن ايضاً . يتضح من ذلك ان تعداد مداخن العمارة الواحدة قد يصل الى المائتين وهو تعداد قد يجاوز ضرره ضرر مصنع كبير . مع ملاحظة ان هذه العمارات تشاد وسط المدن بينما المصانع تشاد خارج المدن . والاتجاه الان في المعمار نحو انشاء العمارات الشاهقة الضخمة التي تدر ربحاً وفيراً ولا تشغل مساحة كبيرة . فالشروط الصحية الحالية سوف لا تكون كافية لدرء ضرر الدخان في المستقبل . وقد يكون من المقترحات المفيدة لذلك اشتراط استعمال وقود لا يولد دخاناً أو تعديل بناء المداخن حتى تمنع وصول الدخان الى الخارج وأيضاً ضرورة الحصول على رخصة لكل مدخنة وان يشجع ما امكن استعمال الكهرباء وغاز الاستصباح للاغراض المذكورة. وواضح انه ما دام هناك دخان في مدينة لا يمكن اعد تلك المدينة صحية . فالهواء النقي في الصحة العامة لا يقل شأناً عن مياه الشرب المشرحة

٣ — ﴿ امراض تركز السكان وعلاجها ﴾ جاء بمجلة (Annal. Intern. Med 1940, 141) ان الدكتور بورتز (Bortz)طبيب مستشفى لانكناو Lankenau بفلادلفيا بامريكا تحرى حالات ٢٠٠ مريض مصابين بامراض متباينة كأمراض الدورة الدموية والبول السكري أو امراض المعدة والامعاء والجهاز التنفسي والعصبي فوجد ان ٧٥٪ من هؤلاء ازدادت حالتهم سوءًا وامتنع شفاؤهم من جراء سوء حالتهم الاجتماعية كعدم الاستقرار المالي وسوء الحالة الصحية في البيئة والاجهاد الجسماني . وليلاحظ ان هذه الحالات بالذات معروفة بين فلاحينا وعمالنا وقد نجمت عنها المشاحنات العائلية والفزع من المرض والفصل من الخدمة كما أوجدت حالة تعجيز الشخص عن ملاءمة نفسه لأحواله الحيوية . من اجل ذلك انشئت بالبلاد الراقية ادارة للصحة الاجتماعية. لكن هذا الانشاء لم يحصل فجأة بل كان نتيجة أخذ ورد كثيرين ففي انكلترا مثلاً حصل عام ١٩٠٨ ان بحثت الجمعية الطبية الانكليزية هذا الموضوع فتقدم المرحوم الدكتور فوذرجل (E. R. Fothergill) يعضده الدكتور الفرد كوكس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(Alfred Cox) (راجع المجلة الطبية الانكليزية ٢٠/٦/١٩٤٢ ص ١٥١) طالباً تخصيص قسم بالجمعية الطبية الانكليزية للصحة الاجتماعية . والى القارىء ترجمة ما جاء في أقواله منذ اربعة وثلاثين عاماً. « اذا كان هناك أمر أوضح من غيره في هذا العهد فهو اهتمام الحكومة بأمور الشعب الحيوية . وقد استوثقنا من ان كثيراً من القوانين المقترحة الآن لا يمكن تنفيذها من غير الاستئناس برأي رجال الصحة ومنذ ذلك الوقت قدّر الانكليز مقام الصحة الاجتماعية . وأخذ هذا التقدير ينمو شيئاً فشيئاً حتى استقر الرأي نهائياً هذا العام (١٩٤٢) على انشاء معهد خاص لذلك بجامعة اكسفورد يديره استاذ تلخص اختصاصاته فيما يلي : —

اولاً — بحث أثر العوامل الاجتماعية والنسلية (genetic) والبيئة والمنزلية في إحداث الأمراض والعاهات الآدمية

ثانياً — معرفة وانماء وسائل صيانة الفرد والمجتمع من التيارات الاجتماعية التي تؤثر في نموها والمحافظة على الكفاءة العقلية والجسمية دون المساس بوسائل العلاج الطبي المستعملة الآن

ثالثاً — اعداد المعهد لتعليم الصحة الاجتماعية لطلبة الطب والاطباء ممن تختارهم لجنة كلية الطب بجامعة اكسفورد وكلما طلبت الجامعة ذلك من المعهد

وخصص لهذا المعهد ١٠٠٠٠ جنيه سنوياً من ريع هبة لورد نفيلد (Nuffield) مدة عشر سنوات للانفاق منها على تأثيث المعهد ومرتبات موظفيه . وجعل الاشراف على هذا المعهد في يد لجنة مؤلفة من ستة أعضاء . وسيكون هذا المعهد بداية لمباحث اجتماعية هامة . ومن المؤكد انهُ من أهم ما سيعنى به بحث نتائج التجارب الطويلة التي اكتسبها بعض الأطباء الذين عدّوا المرض نتيجة لاهمال الوقاية ووليد نقص الصحة الاجتماعية وانه لو اتخذت العدة لتحسين الصحة الاجتماعية لانعدم كثير من الأمراض والعاهات ولحل محلها الصحة واليسر المادي . والسماع الطبي الذي يحمله الطبيب في جيبه للاستعانة به على سماع ألفاظ المرضى الخافتة وزجاجة الدواء التي يتأبطها المريض ليتناول ما بها رغبةً في الشفاء والشرط الذي يشق الجراح به جسم مريضه استئصالاً للداء — أقول ان هذا السماع وهذه الزجاجة وهذا المشرط، إن هي في الحقيقة الا دلائل العجز الطبي عن استبعاد المرض لا أكثر ولا أقل . على ان هذا لا يصح ان يتخذ وسيلة للحط من قيمة الأطباء المعالجين لأن هؤلاء الأطباء قضوا قروناً باحثين عن المرض ثم بدأوا أخيراً يستعينون في صناعتهم برجال الاحصاء . ولولا هؤلاء الأطباء الاكلينكيين لعجز رجال الصحة اليوم عن أداء أعمالهم . وكل هذه حقائق لا جدال فيها — لكن المطلوب الآن — من الطبيب المعالج ان ينظر الى مريضه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظرة طبيب يعني بالعلاج والوقاية في آن واحد ، وان يعدّ المرض الذي يعالجه نتيجة لعوامل جسمية ونفسية متعددة يجب بحثها ومعالجتها وان ينظر الى العائلة كوحدة صحية في المجتمع لها مكانتها من حيث اسعاده بالصحة واتعاسه بالمرض

ان توزيع السكان من الأسس التي يقوم عليها صرح الصحة الاجتماعية . وما قلته سابقاً عن انشاء معهد خاص لذلك انهو في الحقيقة الا احدى طرق علاج هذا الموضوع الخطير . جاء بالمجلة الطبية الانكليزية (٣٠ / ٥ / ٩٤٢ ص ٦٧٤) ان الاهتمام بالمواليد وطريقة توزيع السكان بانكلترا واسكتلندا حدا وزارة الصحة البريطانيـة على نشر كتاب أبيض عن ذلك هو في الحقيقة مذكرة أساسها احصائيات عام ١٩٣٩ مع بيانات اخرى قدمت الى اللجنة الملكية التي أنشئت لذلك . وقد بحثت في هذه المذكرة مشكلة توزيع العمال توزيعاً جغرافيـّا يتفق مع مصلحة البلاد الاقتصادية والصحية . وقد كان اعداد ذلك الكتاب الأبيض قبل الحرب الحالية فلم تراع وقت كتابته هجرة الاهالي في أثناء هذه الحرب وان كانت هذه الهجرات عابرة وتزول بزوال الحرب . وجاء بالكتاب المذكور ايضاً ان تعداد سكان بريطانيا العظمى لا يزال آخذاً في الزيادة وكانت هذه الزيادة تحصل قبل الحرب العالمية الماضية (١٩١٤ — ١٩١٨) بمعدل ١ ٪ كل عام . الاّ ان هذا المعدل نقص بعدئذٍ الى ½ ٪ . والمنتظر ان هذا التعداد سيأخذ في النقص ويعزى استمرار هذه الزيادة في السكان الى سببين اولهما خفض نسبة وفيات الأطفال عما كانت عليه في السبعين سنة الاخيرة . ثانيهما ازدياد الهجرة الى داخل الجزر البريطانية وقد كان تعداد المواليد السنوي ببريطانيا عام ١٨٤٠ أقل من ٦٠٠ ٠٠٠ ثم زاد بعد ذلك حتى أربى على المليون في المدة بين ١٨٧٦ و ١٩١٤ . بعدئذٍ هبط هذا التعداد الى ٧٠٠ ٠٠٠ . وفي الكتاب المذكور احصائيات للسكان في السنين القادمة مبينة على أساس الوفيات والاخصاب والهجرة . ومنها يتضح انه في المدة بين ١٩٥١ و ١٩٦١ سيكون تعداد السكان ببريطانيا بين ٤٧ و ٤٨ مليوناً . وهذه الاحصائيات ولو انهـا لا تمت الى القطر المصري بصلة الاّ انها تظهر للقارىء منزلة بحث توزيع السكان من الوجهة الصحية وما هو متخذ ازاءه من اجراءات هامة في البلاد الراقية

٤ — ﴿الهجرة الى أطراف القطر والاجراءات الصحية الواجب اتخاذها نحوها﴾ : إن تضاعف تعداد سكان القطر المصري السابق ذكره سيسبب هجرة الاهالي الى الجهات التي تدر عليهم الربح . وهذه الجهات هي بقدر ما تسمح به ظروف الاقتصاد الحالية ، أولاً أقاصي شمال الدلتا حيث بدىء في اصلاح الاراضي البور هناك وقسم بعضها الى اقطاعيات لتوزيعها على الاهالي. ثانياً أقاصي الصعيد بسبب زيادة مساحة الاراضي المنزرعة صيفاً واستغلال مساقط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خزان أسوان واستغلال موارد المعادن هناك . ثالثاً منطقة الواحات حيث المساحات الشاسعة القابلة للزراعة دون الايدي العاملة الكافية

هذه هي اتجاهات الهجرة المقبلة — وهي هجرة لحمتها الاقتصاد والتجارة وسداها اكتظاظ الاهالي وفقرهم . فماذا أعددنا لهذا التغيير المنتظر ؟ هل بدأنا نفكر فيما عساه ان يحصل اذا ما ترك الحبل على الغارب ؟ اننا اذا لم ننظر الى ذلك نظرة طب واقتصاد زاد الفقر وعمَّ المرض. اما اذا أعددنا العدة الصحية له فان انقلاباً اقتصاديًّا كالمنتظر سيكون في مصلحة القطر تماماً . فكما ان العقل السليم في الجسم السليم كذلك الانتاج الجسيم من الجسم السليم . والفلاحون مأوى لعدة امراض من بلهارسيا وانكلستوما وديدان معوية ورمد حبيبي وبلاجرا وملاريا وقراع واكزيما وسوء تغذية وأمراض زهرية وغيرها . هذه العلل في مجموعها تكفي لان تهد كيان أعظم أمة . ولولا وجود الشمس والهواء النقي في قطرنا لما كان هناك انتاج زراعي ولا كانت هناك مشروعات اقتصادية

هذه الصورة المحزنة سوف تتكرر في جميع جهات القطر التي ينتقل اليها الفلاح بحالته الراهنة سواء كانت هذه الجهات بشمال الدلتا او جنوب الصعيد أو الواحات الا اذا اتخذت اجراءات صحية فعالة . فالى ان تتخذ هذه الاجراءات فان البلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية والرمد الحبيبي والملاريا والبلاجرا والقراع والاكزيما وسوء التغذية والامراض الزهرية وغيرها سوف تتضاعف بتضاعف السكان وتنتشر بانتشارهم. فكما ان الفلاح يبذر القطن والفول والذرة والبقول في الأراضي الزراعية الجديدة فهو سوف يبذر فيها بذور البلهارسيا والانكلستوما والديدان المعوية والزهري والرمد الحبيبي والقراع وغيرها . وكما ان قلة الانتاج الحالي راجع الى مرض الفلاح كذلك انتاج المستقبل سيكون قليلاً بالنسبة عينها وللسبب عينه وستتكلف خزانة الدولة الملايين من الجنيهات للصرف في علاج البلهارسيا والانكلستوما والرمد الحبيبي والزهري والقراع الخ كما تصرفها الآن في الريف الحالي

ان للمشروعات الزراعية الحديثة اجراءات صحية لو اتخذت لضمنت نجاحها . وان الزمن الذي كانت فيه القوانين تسن والمشروعات الزراعية والاقتصادية تعتمد دون الرجوع الى الجهات الصحية مضى وانقضى . ففي قناة (بناما) مثال بليغ على إهمال الوجهات الصحية بادىء ذي بدىء وهو إهمال انتهى بوقف المشروع بعد المضي فيه . حتى اذا ما أشرك رجال الصحة إشراكاً فعليًّا وجعلت لهم الهيمنة عليه نجح وانجز . وحكاية ذلك طريفة يجمل بالانسان تلخيصها . ففي عام ١٨٨١ بدأ (دلسبس) حفر قناة (بناما) وصرف فيها الاموال الطائلة ثم تغلبت على رجاله الامراض وانهار العمل بعد ثلاثة عشر عاماً قضيت في الشغل المضني ولم يكونوا قد أنجزوا ما يقرب من النصف وانفقوا فيه ما لا يقل عن ٢٦٠ مليون دولار . وفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عام ١٩٠٠ لما قامت الحرب بين اسبانيا واميركا اعدت الولايات المتحدة عدتها لحفر القناة وأوفدت بعثة طبية برآسة الكولونيل جورجاس الى منطقة بناما بعدما اظهر كفاءة ممتازة في تطهير منطقة هافانا من الحمى الصفراء . فبدأت البعثة عملها وبعد ثمانية عشر شهراً وفد العمال والمهندسون من الولايات المتحدة للحفر . لكن تفشى وقتئذٍ وباء الحمى الصفراء فاضطر أمامه الكولونيل جورجاس أن يقف العمل حتى يطهّر المنطقة من الوباء . من أجل ذلك قام خلاف مستحكم بينهُ وبين كبير المهندسين انتهى بأن طلب كبير المهندسين اقالة الكولونيل جورجاس بحجة انهُ رجل غير عملي . وعرض الأمر على رئيس الجمهورية المستر ثيودور روزفلت وقتئذٍ فأصدر هذا الرئيس القرار المنتظر من أمثاله وهو يتلخص في اقالة كبير المهندسين وابقاء الكولونيل جورجاس واطلاق يده هناك وتعيينهِ عضواً باللجنة العليا للقناة . فطهّر جورجاس منطقة (بناما) من الوباء ومن ثم قام المهندسون والعمال فأتموا العمل (راجع كتاب وطسون Rural Sanitation in the Tropics ص ١٠٢ و ١٠٣)

وما يقال عن قناة بناما يقال عن المشروعات المماثلة . فانماش شمال الدلتا وأقاصي الصعيد والواحات مشروعات هامة دائمة غير عابرة . فهي من هذه الوجهة تستحق العناية الصحية لأنها ستكون مأوى لأجيال المستقبل . ولا ريب في ان مشروع الصحة القروية الجديد الذي وضعهُ معالي الدكتور عبد الواحد بك الوكيل اذا نفذ في تلك الأقاليم سيؤتي ثماراً جيدة بل ان فائدته هناك تكون أضعاف فائدته في الريف المأهول الحالي لأنه سيهيمن هناك على تخطيط القرى والمدن والمصانع والمواصلات ويضمن للفلاحين الذين يستوطنوا تلك الجهات مأوى صحياً وماءً مرشحاً كافياً للشرب والاستحمام ومراكز للاشراف الصحي وغير ذلك من خيرات هذا المشروع الجليل . والتنفيذ في المناطق البكر أسهل عملاً وأضمن فائدة من التنفيذ في مناطق ملوثة . فمناطق شمال الدلتا اذا خططت تخطيطاً صحياً وزراعياً وخصصت فيها مواقع القرى والعزب والمدن الخ . وبدىء فيها بتنفيذ مكافحة الحفاء ووضعت الاشتراطات الصحية لكل مستعمر أسوة بما هو متبع في الشركات أمثال شركة مصر الجديدة والمعادي وحدائق القبة ولكن بما يتفق مع أحوال تلك البلاد المعاشية الريفية وقدرة الاهالي الحالية — أقول اذا اتخذت أمثال هذه الاحتياطات الصحية ضمن المشروع نجاحه التام

ان المادة الثانية من القانون رقم ٦٩ لسنة ١٩٣٣ الخاص بالعزب تحتم أن لا تنشأ عزبة إلاّ بعد الترخيص بها أثر موافقة مجلس المديرية . والمادة الثالثة تشترط أن يقدم طلب الترخيص الى المديرية بمعرفة المالك أو من يقوم مقامه ويجب أن يرفق بهِ رسم الموقع المراد انشاء العزبة فيهِ ورسم مبانيها و (١) أن يكون لكل عزبة في الجهات التي لا يتيسر فيها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحصول على مياه النيل الصالحة آلة رافعة للمياه في النقطة التي يمكن الحصول فيها على مياه صالحة و(٢) أن تكون المباني ذات منافذ كافية بحيث يتخللها ضوء الشمس والهواء و (٣) أن تدك أرض حجر السكن بطبقة من مادة صماء ... وأن تطلى جدرانها بمونة البياض ..وترش بالجير و (٤) عمل مرحاض قروي في كل منزل أو انشاء مراحيض صحية عمومية لكل صف أو أكثر من منازل العزبة و (٥) تخصيص محل لوضع السماد العضوي (سباخ المواشي) وجاءَ بالمادة الرابعة انهُ لا يجوز الترخيص بانشاء عزبة تكون حدودها الخارجية على أقل من ٢٠ متراً من جسر النيل أو المصرف و ١٠٠ متر من جبانة و ١٠ أمتار من طريق زراعي و ٣٠٠ متر من بركة بحرية و ٢٠٠ متر من بركة في جهة أخرى

تلك شروط صحية تتمشى مع عادات اهل العزب ومستواهم وحالة معيشتهم وقدرتهم المالية الاّ ان هذا القانون لم يتعرض لنوع مباني العزب وأغلبها من اللبن او الطوب . كذلك لم يتعرض القانون للسقوف ولا للارضيات لمنع الرطوبة ولا لتحديد مساحة الفتحات ولا لأمكنة ربط المواشي . كما ان الاشتراطات الخاصة بالمسافة بين كل عزبة و بين النيل والمصرف الخ. وهي اشتراطات مرضية ، لم تراع فيها علاقة العزب بعضها ببعض ولا العزب بالمدن. ومنطقة مثل منطقة شمال الدلتا يجب أن يعين فيها مكان كل قرية وكل عزبة بما يتفق مع المسافة المزروعة والمواصلات والمدن الحالية والمستقبلة وطريقة تصريف المحصول في المستقبل . فهذا المشروع يتطلب نظراً أبعد كثيراً من النظر الحالي ولا يجوز تحديد شروط العزب الصحية وفقاً لرغبة المالك واختياره فالعزب يجب ان تكون ملك الدولة او على الاقل خاضعة في تأسيسها للجهات المشرفة على صحة الجمهور وأمنه وتوزيعه ورخائه

ألا يصح ان يعدّل القانون المذكور بما يكفل ذلك وان تبين الاشتراطات الصحية الضرورية بالقياس الى موقع العزب وتخطيطها ومنازل فلاحيها فلا يسمح ببناء عزبة في أراضٍ منخفضة ولا بالقرب من مبانٍ اخرى وان يخصص في كل عزبة حوش كبير للاجتماعات الدينية وغيرها وان تخصص اماكن لخزن المحصول لحين تصريفه وغير ذلك وان يكاف صاحب كل عزبة الاشراف على نظافتها وكل فلاح تنظيف الطرقات والحوش . كذلك يجب مراعاة تطهير المساقي والمصارف القريبة حتى لا تركد فيها المياه ويتوالد بها البعوض

هذا فيما يتعلق بالمناطق الزراعية الجديدة . اما المناطق الزراعية الحالية فمتروك امرها لمشروع تحسين القرية . واما المناطق الصناعية الجديدة وعلى الاخص ذات العلاقة بكهربة اسوان كالتعدين وغيره فأمر على جانب كبير من خطر الشأن الصحي وتقتضي وضع التصميمات واتخاذ الاحتياطات الصحية من الآن ، حتى اذا بدىء في بحثه كانت جميع الارشادات والاشتراطات الصحية جاهزة كاملة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللموضوع أيضاً وجهة أخرى غير ما ذكر خاصة بالأهالي الذين يرغبون في استيطان المناطق الجديدة . وانني أرى أن أمثال هؤلاء لا يجوز ان يسمح لهم بالاقامة بتلك الجهات الجديدة الاّ بعد معالجتهم من جميع الامراض وتحصينهم ضد الأوبئة وتمرينهم عمليًّا على أعمالهم الفنية . وليكن في مشروع الجزيرة بالسودان درسٌ بليغ لنا ، ففي الاجراءات الصحيـة التي اتخذتها حكومة السودان مع العمال الذين أرسلوا الى تلك الجهة لبناء خزان سنار مثال طيّب يجب السير على منواله في المناطق الزراعية المزمع توزيعها على الأهالي . فالكشف الطبي على العمال في وادي حلفا لضمان خلوهم من الأمراض كان خطوة اولى قبل السماح للعمال بالسير الى سنار . وكان أيضاً عاملاً عظيماً في جعل تلك المنطقة خالية على قدر الطاقة من آفات الفلاحين المصريين أو الآفات غير المنتشرة هناك على الأقل . ان اجراءات من هذا النوع تحدُّ كثيراً من انتشار الأمراض فاذا ضمت اليها الاشتراطات الصحية السابقة وأنشئت ادارة صحية محلية هناك ضمن السكان في تلك المناطق صحتهم وهناءتهم

ونحن نذكر هنا من قبيل المثال حادثة يصح ان تكون درساً لا ينسى لكل من يهمه أمر توزيع الأراضي البور واستغلالهـا زراعيًّـا . فمن سنوات فكـر بعضهم في تطهـير القاهرة من الأطفال المتشردين بارسالهم الى تفاتيش الأراضي البور بالوجه البحري راجياً بذلك اصابة عصفورين بحجر واحد . فأرسل هؤلاء المتشردين على عجل دون الكشف عليهم طبيًّـا واتخاذ الاحتياطات الصحية لهم في محل اقامتهم . فكانت النتيجة مطابقة تماماً لمشروع حفر قناة بناما في عهد رآسة (دلسبس) فانتشرت بينهم الامراض والعلل . مع ان علاجهم كان أيسر جدًّا في القاهرة قبل ارسالهم الى تلك الجهات السحيقة . فكانت هذه محاولة خاسرة

لقد كان للغارات الجوية الأخيرة على الاسكندرية وغيرها تأثير عظيم في رجال الصحة المسؤولين . ففي عام ١٩٤٠ كان يرد على القاهرة آلاف المهاجرين يوميًّا بدون سبق انذار وكنت اذ ذاك متولياً أعمال مفتش صحة المدينة فقام التفتيش في الاشراف الصحي على اعداد المحلات وتأثيثها والكشف على المهاجرين حال حضورهم وتطهير أمتعتهم القذرة وتوفير استحمامهم وعزل المصابين منهم بأمراض معدية وتحويل المصابين بأمراض أخرى الى المستشفيات المختصة مع مراقبة اغذيتهم والاشراف الصحي اليومي عليهم . وتحصينهم ضد الأمراض المعدية فلما اتخذت جميع هذه الاجراءات سلمت القاهرة من خطر الهجرة وسلم المهاجرون من الامراض ولم تحدث اصابة واحدة بمرض معد بينهم منشؤها الهجرة

تلك ملاحظاتي عن توزيع السكان بالقطر المصري وطريقة معالجتها . وللموضوع منزلتهُ العظيمة في صحة المجتمع وقوة انتاجه ورخائه . ولا شك ان هذه المنزلة جديرة بالعناية به في قطر كبلادنا يصبو الى التقدم والاصلاح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موكب الخريف[1]

لعبدالله عبدالرحيم بك

الريح تنفث نفثة الـ ـمضنى وللأنهار شكوى
والطير ترسل لاعج الا أدواء في الأسحار شدوا
فتغص عين بالدمو ع وتستجيش البث نجوى
والشمس تنشر من خلا ل السحب شاحبة وتطوى
فكأنها دنف يسا وره الضنى عضواً فعضوا
سئمت جوارحهُ الفرا ش ولم تعد تغنيه سلوى
والغصن في اطراقــه متضرع شفتهُ بلوى
واذا الغصون تمايلت حكت الذبيح اذا تلوّى
كم منظرٍ ترك الفؤا د يذوب من فرط الشجونْ

***

تلقى فسيح الأفق عن حُبك الغمام يضيق صدرا
يحكي السحابُ البحر في اثباجهِ مدًّا وجزرا
متجهم كالليث ما ينفك صعب الخلق وعرا
فيخال من رصد الفضا ء قد استحال الأفق بحرا
واذا الرياح تناوحت سالت جفون السحب قطرا
واذا تملكت الشجو نُ السحب ، آض الماء جمرا
والريح في كبد الفضا ء تضج كالباكين حسرى
فكأنها الثكلى تلمّـــس تحت جنح الليل قبرا
عيّ اللسان عن البيا ن فأفصح الدمع الهتونْ

***

وترى الشقائق أطبقت جفناً وألوت بالرؤوسِ
كمخبّلٍ عصفتْ بمهـجتهِ حميّا الخندريس
ان قام أقعده العيا ء وعاقه خور النفوس

---

(١) نظمت بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم أخي هيثم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تلقاه حين تخلّجت رجلاه كالطير الحبيس
وشجا الشقائق ما دها الصفصاف من يوم عبوس
خلعت غصونُ الدوح عن اعطافها بردَ العروس
واستبدلت بمطارف الحسناء أكفان الرموس
دهرٌ جرت أفلاكه حين استدارت بالنحوس
والقلب ينزو من أسىً في الصدر كالطير السجينْ

***

تلقى الطبيعة في الخريف تغط في نوم ثقيلِ
ملك العياء على الطبيعة نشوة الأمل الجميل
فالأرض في صمت المريب ووحشة الدنف العليل
تحكي بوحشتها الخليل أمضّهُ فقدُ الخليل
فأشاح من مضض عن الذكرى بغصّات القتيل
أو كالسقيم يغضُّ من طرفٍ ويطرق عن ذهول
يا ليت شعري ما الذي أغرى الطبيعة بالخمول
أأمضّها فقدُ الأليفِ ولاعج الداء الوبيل
فغفتْ كمحزون تنازع قلبَهُ الألمُ الدفينْ

***

ألفيت كرَّ الدهر يُنسي المرء أوطاناً وجارا
وحوادث الايام تسدل دون ما نهوى ستارا
لكنَّ جرحي لم يزل في الصدر يستعر استعارا
لم يُطفِ فيضُ مدامعي للبث في جنبيَّ نارا
أو تنسني الايام فقد أخي وتمنحني اصطبارا
أأروم بعدك يا أخي سلوى وقد بدلت دارا
وغدوت رهن حفيرة كالشلو تعتنق القفارا
اني اذاً ضيعتُ عهدك يا أخي وأتيت عارا
هيهات ينسيني الزمانُ العهدَ أو كرُّ السنينْ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



ذباب

قصة

لايفان كانكار
الاديب السلوفيني

نقلها

عبد الوهاب الأمين
بغداد

« ولد ايفان كانكار — أعظم أدباء سلوفينيا — وهي جزء من يوغوسلافيا في سنة ١٨٧٦ وتوفي في سنة ١٩١٨ وهو مؤلف كثير من الروايات والمسرحيات والاقاصيص. وقد قرض الشعر وكتب في الادب. « كان مسقط رأسه في « فرنيكا » قرب مدينة « لوبليانا » وعاش في صباه فقيراً معدماً ثم هاجر من سلوفينيا الى « فينا » عاصمة النمسا (وكانت سلوفينيا آنذاك تحت حكم النمسا) ، فنبغ وظهر شأنه في عالم الادب ، ولكنه مع ذلك عاش مدة طويلة بائساً فقيراً يشتغل بالصحافة الحرة. وقد أشعلت النار في الطبعة الاولى من ديوانه بأمر من أسقف « لوبليانا » لانه عده منافياً للآداب العامة. وأدبه على وجه العموم دليل واضح على تعمقه في دراسة النفس الانسانية وهو مفرغ في قالب بسيط الاسلوب قريب من الامثال ويتصف بعطف خاص على الطبقات المظلومة »

كان لجاري ابن وحيد في السادسة من عمره ، جميل الطلعة وسيم الملامح وسامة تفوق الحد الطبيعي ، وشعره أصفر — كالشعير الخالص — يصل الى كتفيه. يوهم منظره الجانبي الناظر بأنهُ تمثال من الرخام ، وخداه الأملسان يكادان يكونان خدي بنت ، وفي فكهِ فقط يبدو شيءٌ من البروز والطول والشدة. وعيناه — وهما زرقاوان لمّاعتان — تبدوان شديدتي المكر ، وفي نظرتهما شيءٌ من الثقة والعزم. كان هذا الصبي عندما دخلت الغرفة ، واقفاً امام حوض الغسيل ، وعليه سيماء التفكير العميق ، فالتفت اليَّ ببطءٍ وسألني بصوت خافت هادىء : —

— هل رأيت قبل هذا ذباباً يموت ؟

— كلاَّ

— حسناً ! تعالَ وألقِ نظرك

وكان حوض الغسيل مملوءًا حتى الشفة تقريباً. وعلى وجه الماء طفت مجموعة كبيرة من الذباب الميت ، وقد تجمعت كأنها تريد ان تدرأ عن نفسها الموت. فمد يده واصطاد تلك الاجسام السود الميتة ورمى بها الى الأرض ، ثم ذهب توًّا الى فراشهِ المعدّ له ، وكان الذباب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فوق أغطية الفراش ، وعلى الوسائد ، فاصطاد قبضة منهُ ، وأطلقها جميعاً ما عدا ذبابة واحدة ، فرمى بها في حوض الغسيل قائلاً : — انظر الآن مليًّا !

في اللحظات الاولى كانت الذبابة تطفو هادئة على وجه الماء ولا تزال أجنحتها جافة لم تبتل . فقال الصبي : — انها لا تدري بعد أين هي الآن !

فأخذت تطفو هنا وهناك ، وترفع أجنحتها وتذهب في كل اتجاه

— لقد أدركت الآن ! انها تحاول أن تجد لنفسها مخرجاً ! ثم وقف على اطراف اباهيمهِ ورنا بطرفه الى حوض الغسيل وقال : — انظر ! ان الذبابة حيوان شجاع ، ولكن حمقها بقدر شجاعتها ! ان سلاحها الوحيد هو الجناحان ، ولكنها مع ذلك تضرب بهما في الماء حتى لقد ابتل احدهما ! . . ومع هذا فهي ليست من الحمق بقدر ما خيل اليَّ ، ولعلها سمعتني ! لقد وقفت تستريح وتحاول تجفيف جناحيها

ولما استراحت قذفت نفسها بسيقانها الست وأخذت تعوم متجهة نحو الشاطىء ، وعيناها الهائلتان — وقد بدتا اكبر من كيانها كله — تحملقان في بياض حوض الغسيل !

فانحنى الصبي الى الماء حتى كاد وجههُ يبتل ، وقال : لكأني أسمع حفيف جناحيها !

ومضت الذبابة في عومها قدُماً نحو الساحل . فأعادتها موجة متراجعة ، ولم تستطع اقدامها المبتلة ان تجد لها ممسكاً على وجه البلورة الناعمة . فعادت كما كانت ، وأصبحت ، وهي تحاول الاستراحة ، تمعن في الابتعاد — مرغمة — عن الساحل ، ولكنها اندفعت فجأة ، بعامل اليأس والقنوط ، الى الامام . فتكونت في الماء رابية . واعادتها الموجة الى فوق وهي جافة فاستجمعت كل قوة املها ورفعت نفسها عالياً ، وقد سقط رأسها وفيه تانك العينان العظيمتان الى أسفل . وأخذت سيقانها المتزحلقة تبحث عن فجوة لها . وشرعت تزحف شيئاً فشيئاً فوق الحافة الملساء . واخذت تحاول ان تخفف عن نفسها بتحريك الاجنحة ، ولكنها كانت مبتلة ملتصقة وميتة بجوار ذلك الجسم المنهوك ، وكان أسوأ ما في الأمر انها لم تكن تستطيع الاستراحة لأنها كانت تنزلق الى الهاوية عند كل وقفة تقفها . وأخيراً وصلت الى القمة ، حيث كانت حافة الحوض متقوسة تقوساً فسيحاً ، وهناك استراحت طويلا ثم شرعت تمدد سيقانها وتمسح الواحدة بالأخرى . وكذلك كان جناحاها ايضاً يرتجفان. فقال الصبي : انها تظن نفسها قد نجت الآن ! ما أشد لمعان عينيها الكبيرتين ! وابتسم ببرود ، وهو يشير بسبابته الى الأمام . واندفعت الذبابة في الماء وبلغ من قوة اندفاعها انها غطست فيه عميقاً قبل ان تستطيع العودة ببطء ومشقة الى سطحه ، وهناك تأرجحت بهدوء قليلاً كأنها ميتة ، وقد بدت أصغر مما كانت عليهِ أولاً ، فظهرت وكأنها لا تكبر البرغشة شيئاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأشار الصبي قائلاً : — لقد أصبح جناحاها الآن بدون جدوى

وكذلك كانا هما في الحقيقة لا يتأثرهما النظر . وقد التصقا بجسمها كأنهما قطعتا نسيج مبلول ، وقد حركت سيقانها قليلاً ثم فاءت الى السكون مرة أخرى

قال الصبي :—والآن انها تكاد تموت من مجرد الخوف ، فهي لاتستطيع أن ترى الشاطىء الآن مرة اخرى ولكنني سأوقظها !

قال ذلك وذهب قدماً الى الفراش وقبض على ذبابة أخرى ورمى بها في الماء دافعاً اياها بأصبعه نحو الذبابة المشفية على الموت . وكانت هذه الذبابة الأخيرة تبدو أصغر من الاولى وأقوى لانها اندفعت هائجة في الموج،رافعة نفسها بقوة ، وجناحاها يؤزّان ازّا . وكان ازيزها هذا يشبه صلاة بحار ناء قد أشفى على الموت غرقاً غير انهُ عزم على ان لا يموت !

وعند ما هدأت دارت دورة كاملة ونظرت حواليها بهدوء فأخذت الذبابة الاولى تعود اليها الحياة عند ما سمعت بشريكتها في الغم والكرب وبدأت سيقانها النحيلة تلبط لبطات قصيرة وخفيفة . فوجّه الصبي نظري قائلاً : ان الذباب مخلوقات لا قلوب لها ! فقد تكون هاتان الذبابتان أختين ، او قد تكونان لدتين تلعبان معاً . ولكن انظر ماذا يحدث الآن !

كانت الذبابة الثانية قد شعرت — وهي تلقي بنظرها الى سطح الماء واقفة— بالذبابة الاولى تسبح بقوة اليائس نحو الساحل وقد ترصدت عيناها الجرف اللامع الأملس ، فضربت الماء بضع ضربات قويات وانقضت عليها ودفعت بها الى أسفل ، كما يفعل من تحطمت سفينته فيتعلق بقوة بسارية طافية . فقاومتها الاولى مقاومة لم تستمر الاّ دقيقة أو دقيقتين واستنفدت كل ذرة من قوتها لكي تدور نصف دورة من تحت الماء وترى ما حواليها . ثم استدار رأسها الكليل تحت تلك التي ركبت فوقها بدون رحمة . ثم ضمّت سيقانها جميعاً حوالي جسمها . فأعلن الصبي قائلاً : هذه هي الخاتمة !

واندفعت الذبابة الثانية مبتعدة عن الاولى وقد ابتلت عيناها ، وهي تعوم بقوة وشجاعة في اتجاه الساحل وهو عكس اتجاه الاولى تماماً ، فراقبها الصبي مبتسماً ابتسامة خفيفة وقال :

— على رسلك ايتها السابحة الشجاعة . ثم اخذ عود ثقاب من فوق المائدة التي قرب الفراش وأغرق الذبابة الى عمق ثلاث عقد تحت الماء ، ولما أطلقها شرعت تصعد عائدة ببطء كأنها تتسلق خيطاً ، وهي متجهة نحو الساحل قدماً ، وأخذت تنتفض لتجفف جسدها غير أن جناحيها كانا مثقلين بالماء لا يتحركان الاّ بصعوبة . ثم اشرأبت تنظر في كل اتجاه ، وتقيس المسافة الى الساحل بكل حذر

وغمست ستةً من المجاذيف في الماء ! ست سيقان دقيقات قويات ! وسبحت وهي تخفق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الماء خفقات متواليات مليئات عزماً ، كما يفعل البحار الذي خبر طرق البحار وهو يعرف مدى قوته والهدف الذي هو أمامه . فقال الصبي : انها قادرة ! ولعلها احدى اللواتي حاولن الهروب عندما ذهبت لآتي بغيرهنَّ . لقد كان في الماء وقتئذ عشرون ذبابة بالضبط ، ولما عدت لم يكن هناك سوى خمس عشرة واحدة . والآن !

وصلت السابحة الشجاعة الى الساحل في وقت قصير جدًّا . ثم وقفت هنيهة لكي تدع الموجة المقبلة تدفعها الى الجرف المنحدر . فقال الصبي : انها لتستطيع أن تفعلها ! انظر اليها أين سبحت ! لقد اتجهت الى النقطة الصغيرة التي فيها ضوء الشمس !

وكان شعاع من شمس الصباح يضيء وجه البلورة الناعم . وهناك تشبثت الذبابة بسيقانها الممتدة كيما تتفادى السقوط الى أسفل

— لقد اكتسبت خبرة ، وهي تريد أن تجفف جسمها ، وتتفادى تعب التسلق الى القمة !

وشرعت تنظف سيقانها وتجفف وجهها بتؤدة واحتراس وهي لا تزال معلقة في المنفرج الاملس الذي يكاد يكون عموديًّا ، ولكنها كانت متعلقة بثبات ، لأن سيقانها جفت بسرعة في ضوء الشمس ، وفارقت أجنحتها جسدها وخفقت خفقة خفيفة . وكان الصبي يرقبها بعينين تبرقان فقال : والآن !

والمرة الثانية دفعها بأصبعه فنزلت منقضة في الماء الى قعره تقريباً ولما عادت الى سطحه مرة أخرى ، كانت سيقانها منتشرة ، وأجنحتها ترتجف ، ثم كرت ثانية نحو الساحل ، ولم تعد الآن تسبح بعزم كعزمها السابق ، بل أصبحت أشد سرعة وأقل ثقة بنفسها ، وتلك علامة القلق وغشاوة البصر كليهما . فقال الصبي بخبث هادىء : —

— انها ستعيد الكرَّة ، وستكون كالآدمي تماماً . ما أثقل تنفسها ! . هناك منهنَّ من لا تستطيع الوصول الى الساحل أبداً ! ومن الغريب أنهنَّ لا يصرخن باكيات !

وفي الحق لقد وصلت الى الساحل واستراحت هناك ، فأعادها الى الماء مرة أخرى لكي تعوم بجانب الذبابة الأولى التي كانت تتأرجح هناك وهي تموت

— انها لن تسبح طويلاً الآن ! انها لتشم رائحة الموت ومقبرته ! وأنا نفسي لا أرغب في أن أضطجع الى جنب رجل ميت ، وأظنني لو فعلت ذلك أموت رعباً فور الساعة في ذلك المحل . . . سوف ترى سلوك الذباب بين يدي الموت !

وقبض قبضة كبيرة من الذباب وطوح بها في الماء ، فعادت تلك الكومة السوداء خليطاً مضطرباً دائراً ، وأخذن — من خشية الموت — تصدم احداهنَّ الأخرى وتدفعها تحت الماء بقوة وبدون رحمة . فكرر الصبي قوله : من الغريب انهنَّ لا يصرخنَ باكيات !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعندما عادت الكومة تتضاءل قليلاً — والظاهر أنهنَّ كنَّ يردنَ الابتعاد جميعاً عن الذبابات الميِّتات — أعادهنَّ مرة أخرى بعلبة الكبريت . وبدأ الصراع من جديد ، وأصبح من الصعب تمييز الذبابات واحدة واحدةً في ذلك الخليط المتكدس . فشرع الصبي يقول متفلسفاً :

— لقد كانت الذبابات جميعاً حاطّة من قبل بهدوء ورضى على الوسائد ... ولا بد أن يكون بينها أمهات وأطفال ، وأخوات ، ولكنها لا تتعارف الآن ، بل تريد كل واحدة أن تقتل الاخرى فقط ! كذلك كان يتفلسف ! وكان خلال ذلك الوقت عاملاً على اعادة كل هاربة منهنَّ الى الكومة . وكذلك مضى في اللعب بهنَّ الى ان أدركهنَّ الاعياء — فشرعت الواحدة منهنَّ تلو الأخرى — تطبق أجنحتها وسيقانها على جسمها وتدلي برأسها المبتل في الماء . وهنا حدث أمرٌ عجيب . فبينما كنَّ من قبل تهاجم الواحدة منهنَّ الأخرى ، أخذن الآن — في هذه اللحظات القلائل الأخيرة — يتقاربنَ ويتجمعنَ ، وتضم الواحدة منهنَّ جسمها الى الأخرى حتى تكونت منهنَّ أخيراً كتلة كثيفة متجانسة تتأرجح على الماء المتماوج !

— سأريك الآن كيف تموت الذبابة وهي بين يدي الموت ! وقبض على ذبابة واحدة ووضعها بعناية فوق الكتلة السوداء ، فتلفتت مراراً حواليها ، ثم استقرت ساكنة وعيناها الكبيرتان تلمعان . فأشار الصبي بجذل : —

— انها تعرف الآن انها بين يدي الموت !

فحاولت الذبابة ان تقوم بقوة ولكن التيار اضطرها الى ان تنزل أكثر فأكثر بين الأموات الذين كانوا يحيطون بها من كل جانب ، وكانت أجسامهنَّ الباردة المبتلة تصطدم بها وعيونهنَّ التي عميت تحملق . وعلى حين غرة وبدون ان تكافح كفاحاً ما ، طوت اجنحتها على جسدها ورمت برأسها في الماء . فقال الصبي موضحاً : — لقد كانت هذه الذبابة تستطيع ان تسبح نصف ساعة ، وربما كانت تستطيع الوصول الى الساحل ، لأن أجنحتها لم تبتل . ولكنها ماتت رعباً ! . ثم قبض على الكومة كلها ورمى بها من النافذة الى الساحة . . . الى الصباح المشرق في الربيع

وفي العشية ، كنت جالساً قرب النافذة في غرفتي ألقي بنظري الى الساحة ، وكان الاطفال يلعبون هناك والفتيات الصغيرات قد ارتدينَ أثواباً ذات ألوان فرحة زاهية تلمع في ضياء الشمس ، وكان صاحبي جالساً بينهنَّ على الرمل . فكنت أرى نظرته الشديدة الباردة وشعره الجميل الذي يلمع كالذهب الخالص ، والفتيات يتزاحمنَ حوله وهنَّ غيارى ، ولكنه بقي من الهدوء والبرود كما كان بجانب كومة الذباب

فداخلني منهُ رعب صامت !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سوريا

في الرحلات الاسلامية[1]

لنقولا زيادة

كانت الرحلة عنصراً قوياً في حياة المجتمع الاسلامي في عصوره الزاهرة . فقد رحل الناس لزيارة مهبط الوحي ، ولقوا في سبيل ذلك الكثير من صعاب السفر التي تحملوها راضين مسرورين . ورحل الناس في طلب العلم من قطر الى آخر . فقد كان العلم منتشرةً مراكزهُ في انحاء العالم الاسلامي ، وطلابهُ كانوا يتحملون من المشاق في سبيل الحصول عليه ما يحملنا على احترامهم واجلالهم . ورحل القوم في سبيل الاتجار . فقد كانت الاسواق الاسلامية في مشارق الأرض ومغاربها مرتبطة بعضها ببعض كل الارتباط ، وكان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم الى حيث يرجون الربح الوفير . أضف الى كل ذلك رحلة المترددين بين الملوك والامراء ، والمغامرين الواجدين في الرحيل لذة خاصة ، والساعين في سبيل الرزق اذا ضاقت بهم ارضهم ، وجوّابي الآفاق . كل هذه نماذج من الرحلة عرفها العرب والمسلمون . وقد شجعهم على الاستزادة منها خضوعُ العالم الاسلامي برقعته الواسعة لدولة واحدة بادىء الامر . فلما ذهبت الوحدة السياسية بقيت وحدة الدين ووحدة اللغة . وهاتان ربطتا الحجاجَ وطلابَ العلم ورسلَ السلاطين وحملةَ البضائع وزعماءَ الصنائع ، فاحتفظوا بالصلة . بل لعلّ الرحلة كانت أقوى في عهد التفرق السياسي منها قبلاً لاعتياد العالم الاسلامي درجةً من المعيشة ، ونوعاً من الحياة ، ولوناً من التفكير ، تحتّم على افراده معهُ الاتصالُ والاتجارُ والتبادلُ الفكري والادبي

وقد دوّن كثير من رحالي المسلمين اخبار اسفارهم وتنقلهم . فذكروا المدن التي هبطوها ، والمسافات التي اجتازوها ، والصعوبات التي تغلبوا عليها ، ووصفوا البلاد وزروعها ، وقيدوا مشاهداتهم على صناعتها وتجارتها ، وأتوا على وصف حياة السكان فعرضوا : للطيب من عاداتهم بالمديح ، وعابوا ما فيهم من ضعف ، كالذي انتقده ابن جبير من عادة اهل دمشق في تحيتهم وصفة سلامهم ، فقال عنهم « وهذه الحالة من الانعكاف

(١) حديث أذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الركوعي في السلام كنا عهدناه لقينات النساء . . . . فيا عجباً لهؤلاء الرجال كيف تحلوا بسمات ربات الجمال »

وهذه اللفتات التي نعثر عليها في مذكرات السائح هي التي تميزه من الكاتب الجغرافي. فهذا يسأل ويستقصي ويحقق ويحاول ان يشمل كل جزء من المنطقة التي يعرض لدرسها . اما الرحالة فينقل ما يشاهد ، وتكون صورتهُ جزئية ، ولكنها ثمينة في هذه الناحية. فبينا المقدسي أو ابو الفدا يذكران كل شيء عن اقليم الشام ، نجد ان ابن جبير ، وهو سائح ، لا يتناول مدن الغور أبداً لأنهُ لم يصل اليها ، وابنُ بطوطة يذكر جنوب سوريا وخاناته وأماكن المكس والتفتيش لأنهُ جاءَ البلاد برًّا من مصر

وقد حفظ لنا التاريخ عشرات من مذكرات الرحالين المسلمين ، أكثرها باللغة العربية ، وبعضها بالفارسية أو التركية . لكن التي أريد أن أتعرض لها الآن هي الرحلات التي كتبت بين أواسط القرن الخامس للهجرة وأواسط القرن التاسع . وهذه يربي عددها على العشرين ، وهي تحوي أسماءَ البيروني صاحب الآثار الباقية الذي تناول الهند ، وابن بطلان الذي وصف انطاكية وما اليها في رسالة الى صديق لهُ ونقل عنهُ ياقوت كثيراً من المعلومات عن تلك الجهات ، والمازني الغرناطي والسائح الهروي وعبد اللطيف البغدادي والعبدري والبلوي ويشبك . فالعبدري المغربي رحل للحج في أواخر القرن السابع (٦٨٨هـ ، ١٢٨٩ م) فسار في ساحل شمال افريقيا الى الاسكندرية ثم ارتحل برًّا الى مكة . ووصف المصاعبَ التي لقيها في الاسكندرية على أيدي مفتشي المكوس في الميناء ، حتى انهُ لعنهم . والبلوي اندلسي من أهل القرن الثامن جاء للحج فمرَّ بتونس والاسكندرية والقاهرة وقضى بعض الوقت في القدس . والرحالون الذين يَعنينا أمرُهم، هنا، من حيث علاقتهم بسوريا على وجه خاص هم أربعة : ناصري خسرو وابن جبير والهروي وابن بطوطة

وناصري خسرو فارسي الأصل ولد بالقرب من بلخ (٣٩٤هـ ، ١٠٣٣ م) ونال حظًّا وافراً من الثقافة والعلوم وزار الهند وعمل في بلاط الغزنويين . ثم عاد الى فارس وشغل منصباً كبيراً عند السلاجقة . وكان منغمساً في اللاهي والملذات حتى تراءَى له ذات ليلة رجلٌ في الحُلم نهاه عن المعاصي ، وأخبره ان زيارة البيت الحرام هي سبيل التوبة النصوح . فكان لهذا الحلم أثر بالغ في تغيير حياته . فأقلع عما كان فيهِ حالاً وسار للحج في العام التالي . فمرّ بطريقه في سوريا وقضى فيها أربعة أشهر في السنة (٤٣٨ هـ ، ١٠٤٧ م)

أما ابن جبير فهو أندلسي من أهل القرن السادس للهجرة وكان من أعلم أهل زمانهِ بالفقه والحديث والمشاركة في الآداب ، بشهادة لسان الدين بن الخطيب . رحل ثلاث مرات وحج ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وزار سوريا في زمن صلاح الدين، ثم استقر بالاسكندرية فحدَّث الى أن توفي . وقد وصف في آخر حياته بالفقيه الزاهد المنقطع الى الله

والسائح الهروي عاصر ابن جبير وهو هروي الأصل لكنهُ ولد في الموصل ثم نزل حلب وطاف البلاد وأكثر الزيارات . ولعلهُ لم يترك مكاناً فيهِ مقام أوقبر أو مسجد لم يزره . وقد كتب رحلتهُ « الاشارات في معرفة الزيارات » من الذاكرة لان معظم كتبهِ وقع في أيدي الصليبيين . وقد وصف الهروي نفسه بقوله . وانا مما لا أشك في قولة ولا أطعن في حديث الا انني ذكرت ما شاع خبره وذاع ذكره بطريق الاستفاضة . ورحلة السائح الهروي لم تطبع بعد

ورابع رحالينا هو ابن بطوطة . وهو طنجي المولد من اهل القرن الثامن للهجرة . خرج من بلده حاجًّا ثم بدأ الرحلة . فزار الشام والعراق وفارس واسيا الصغرى وجنوب روسيا وافغانستان ودهلي حيث عمل قاضياً . ثم زار الصين والهند وسيلان والسودان وتوفي في مراكش

هؤلاء الرحالون يرسمون لنا صوراً نفيسة من حياة سوريا . فناصري خسرو زارها كما رأينا قبيل الحروب الصليبية ، وابن جبير جاءها أيام صلاح الدين ، وابن بطوطة وصفها أيام المماليك . وناصري خسرو وابن جبير ، بحكم الثقافة العالية التي حصلا عليها ، ودقة الملاحظة فيهما ، وصفا وصفاً دقيقاً كثيراً من الامور التي شاهداها . فوصف ناصري للحرم الشريف بالقدس من أدق ما وصل الينا ، ولعله اول من ضبط ابعاد الاقصى وقياساته . ويلاحظ هذا السائح ابواب المدن واتجاهها ، وميناء عكاء وصناعات صور وصيدا ، ويعنى بمصادر المياه في كل بلد وتستوقف نظره كثرة الرخام في الرملة ، ولعل من أدق ملاحظاتهِ ما ذكره من ان قرى القدس تقوم على رؤوس الجبال او سفوحها . ثم هو لا يغفل زهر النرجس الذي يكسو بقعة من الارض الى الغرب من حماة ، او الوردتين الجميلتين اللتين رآهما في جبيل بيد صبي في شهر شباط (فبراير)، والاشجار التي تكسو الطرق حول كفر سابا في فلسطين . والمدن الداخلية التي نالها حظ الوصف في رحلته هي حلب وحماه وطبريا وبيت القدس

أما باقي ما كتبهُ فهو عن مدن الساحل . فهو يذكر ان حلب تتمتع بيسار ورخاء اذ تلتقي عندها طرق التجارة الشامية والرومية والعراقية والمصرية ، ويحدثنا عن أبي العلاء عند مروره بالمعرة ، فقد كان لا يزال حيًّا . ويصف طرابلس بقولهِ « أرباض المدينة تملأها البساتين وقصب السكر ينمو هنا بكثرة ... ومثلهُ البرتقال والليمون والتمر ... وقد كانوا أيام وصولنا يستخرجون عصير قصب السكر . . . . . وفنادق المدينة تتألف من اربع طبقات او خمس وقد تصل الى ست ... وبيوتها واسواقها حسنة البناء نظيفة ... وفي المدينة مكاتب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لفرض الضريبة الجركية على السفن القادمة الى المدينة من بلاد الروم او المغرب او غيرها ... وللسلطان — أمير المدينة — سفن تحمل تجارته الى بزنطية وصقلية والغرب — وأهل طرابلس كلهم شيعة . ولما وصل ناصري خسرو صيدا بهره ثراؤها وزينتها فقال « أسواق المدينة بهية الزينة حتى ظننت انها زينت لمناسبة قدوم السلطان او لأمر آخر سارّ . فلما استقصيتُ عرفت ان ذلك أمر عادي » . وقد كانت صور في الوقت الذي زارها فيه ناصري خسرو، من أكبر مراكز التجارة البحرية . يدلنا على ذلك وصفه لفنادقها بأنها ذات خمس طبقات او ست ، ولشوارعها بأنها نظيفة « تدل على الثروة الهائلة » . وصور معروفة « بغناها وقوتها بين المدن السورية الساحلية . وأكثر سكانها شيعة لكن قاضيها سني ... » ويتنقل في مدن الساحل من المدينة الى الاخرى حتى يمر بقيسارية ثم يتجه الى الرملة . وبعد أن يصف هذه المدينة الكبيرة وبيوتها المبنية بالرخام وهو كثير فيها يذكر طريقة تقطيعه أعمدة أو ألواحا بمنشار غير مسنن . وفي القدس يعنى ناصري خسرو بزيارة الاماكن المقدسة جميعاً ويلاحظ ان شوارع المدينة مبلطة ، ويعطينا عدد السكان على انهُ عشرون ألفاً . ثم يقول « والارض في نواحي القدس مستغلة استغلالاً طيباً . والزيتون هناك كثير ويبلغ الدخل السنوي لبعض كبار المثرين هناك نحواً من خمسين ألف مَنّ (يقابل ٢٠٠، تنكة) . » ويقول ناصري خسرو ان القار المجموع من مياه البحر الميت يستعمل في طلاء الاجزاء السفلى من الاشجار لحفظها من الديدان ، ويستعمله الصيادلة للمحافظة على العقاقير من الحشرات

وابن جبير دقيق في ملاحظاته ، شديدُ العناية بالناحية الاجتماعية . فهو يصف عادات أهل دمشق في الجنائز والتحية ، ويلومهم حيث يرى انهم مقصرون . كما يصف عرساً في صور ، وكان للنصارى ، ويذكر ان المسلمين اشتركوا فيه . ويعنى الرحالة بالمدارس والمارستانات عناية خاصة . وليس ذلك بغريب ، وهو العالم المحدّث الفقيه ، فيثني على أهل حلب وحماة لعنايتهم بالمدارس والمارستانات ويطنب في وصف مدارس دمشق وأخصها النورية . ثم يعنف أهلَ حمص لأنهُ ليس عندهم إلاّ مدرسة واحدة وليس في بلدهم مارستان قط . وقال عن دمشق بهذه المناسبة « وبهذه البلدة نحوُ عشرين مدرسة وبها مارستانان قديم وحديث . والحديث أحفلهما وأكبرهما . وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر دينار (نحو تسعة جنيهات) وله قوَمة بأيديهم الازمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون اليها في الادوية والاغذية حسبما يليق بكل انسان منهم . . . وللمجانين المعتقلين أيضاً ضربٌ من العلاج ، وهم في سلاسل موثقون .... »

وابن جبير سني ويظهر هذا عند ذكره الشيعة والاسماعيلية . وهو عند ما يشير الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصليبيين يحذّر الرحالين من دخول ديارهم الا اذا اضطروا الى ذلك . لكن ذلك لا يمنعه من ملاحظة العلاقات التجارية الودية بين الفريقين فيشير الى تبادل القوافل التجارية بين الجماعتين في الوقت الذي يكون فيه القتال دائراً بينهما . ويحدثنا حديثاً طريفاً عن اقتسام المحصول في الأرض المشتركة بين أهل بانياس المسلمين ومن يقابلهم في قلعة هونين ، وعن غير ذلك

ولابن جبير ملاحظتان تدلان على ادراكه لمختلف الشؤون العامة . أما الواحدة فعنايتهُ بالخانات الواقعة في مفارق الطرق وذكرها . وأما الثانية فجاءت اذ تحدث عن قلعة حلب فقال «ومن كمال خلالها المشترطة في حصانة القلاع ان الماء بها نابع ... فلا تخاف الظمأ أبد الدهر ، والطعام يصبر فيها الدهر كلهُ ، وليس في شروط الحصانة أهم ولا آكد من هاتين الخلتين »

كانت حلب أول مدينة كبيرة نزلها ابن جبير في سوريا ، فأعجب بها وقال عنها الشيء الكثير فالبلد موضوعهُ ضخم جداً احفيل التركيب بديع الحسن واسع الأسواق كبيرها ، وهذه منصلة الانتظام مستطيلة تخرج من سماط صنعة الى سماط صنعة أخرى الى ان تفرغ من جميع الصناعات المدنية ... وأكثر حوانيتها خزائن من الخشب البديع الصنعة .... وكل سماط منها يتصل بباب من أبواب الجامع المكرم . وكانت عكا وصور آخر ما وصف ابن جبير في رحلته فقال عن عكا «هي قاعدة مدن الافرنج بالشام ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام . . . . مجتمع السفن والرفاق ، وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الآفاق . وسككها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطىء الاقدام» . وأما صور فهي «أنظف من عكا سككاً وشوارع وأهلها ألين في الكفر طبائع وأجرى الى بر غرباء المسلمين . . . وشأن مينائها عجيب في حسن الوضع ولعكا مثلها في الوضع والصفة لكنها لا تحمل السفنَ الكبار حملَ تلك » : ويختم ابن جبير حديثهُ عن سوريا بخبر اقلاعهِ من عكا « لكنهُ ينتظر استقامة الريح اثني عشر يوماً » لان الريح الشرقية لا تهب إلاّ في فصلي الربيع والخريف والسفر لا يكون إلاّ فيهما والتجار لا ينزلون عكا بالبضائع إلاّ في هذين الفصلين . ويختلف الهروي عن غيره بأنه انما يعنى بالزيارات . ولذلك قلما نجد عنده وصفاً للحياة الاجتماعية أو الزراعية أو التجارية . فهو يحدثنا انه بلغه ان أحداً زار الخليل ، ورأى أجسام ابراهيم واسحق ويعقوب . وقد نقلنا قبلاً ان الهروي نفسهُ اعترف بأنهُ ينقل ما يسمع ، لا يشك ولا يحاسب

أما ابنُ بطوطة ، وهو رحالة القرن الثامن الهجري ، والرابع عشر الميلادي ، فقد دخل سوريا من الجنوب ، عكس بقية رحالينا الذين ذكرناهم، وكان أول ما لقيهُ التفتيشَ الجمركي الدقيق الذي مرّ بهِ بقطيا ، حيث يدفع التجار المكوس « وفيها (أي قطيا) الدواوين والعمال والكتاب والشهود ومجباها في كل يوم الفُ دينار من الذهب ... وطريقها في ضمانَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العرب قد وكلوا بحفظه . فاذا كان الليل مسحوا على الرمل لا يبقى بهِ أثر ، ثم يأتي الامير صباحاً فينظر الى الرمل فان وجد بهِ أثراً طالبَ العرب باحضار مؤثره » . ويتابع ابن بطوطة سيره الى غزة فالقدس فالرملة فنابلس فعكة فصور ثم يجوز مدن الساحل الى طرابلس ثم يتنقل في شمال سوريا وبلاد الروم ويعود الى دمشق ومنها الى الحجاز بطريق الكرك ومعان

ويعنى الرحالة بذكر الفضلاء والعلماء والمدرسين الذين يلقاهم والاشخاص الذين أجازوه بدمشق ويروي حكايات يسمعها من السكان ويزين أخباره بأشعار قيلت في المدن . وابن بطوطة ينقل عن ابن جبير وصف حلب ودمشق . ومن طرائف ابن بطوطة وصفهُ حلواءَ الخروب بنابلس ودبس بعلبك . فنابلس « مدينة عظيمة كثيرةُ الاشجار مطردة الانهار من أكثر بلاد الشام زيتوناً . ومنها يحمل الزيت الى مصر ودمشق ، وبها تصنع حلواء الخروب . وكيفية عملها ان يطبخ الخروب ثم يعصر ويؤخذ ما يخرج منهُ من الرُبّ » . أما بعلبك فهي « حسنة قديمة من أطيب مدن الشام ... وبها يصنع الدبس المنسوب اليها وهو نوع من الرب يصنعونهُ من العنب ولهم تربة يضعونه فيها فيجمد وتكسر القلة ويبقى قطعة واحدة ، وتصنع منهُ الحلواء ، ويجعل فيها الفستق واللوز ويسمونها الملبن» ، ويحدثنا انهُ من عادة أهل دمشق أن يجهز الرجل ابنتهُ بالاواني النحاسية عند زفافها ، لانهم يتفاخرون بذلك

وقد كان ابن بطوطة في دمشق أيام الطاعون الاعظم في أواخر ربيع الثاني سنة تسع وأربعين وسبعمائة . وروى « ان ملك الامراءِ نائب السلطان أرغون شاه أمر منادياً ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة ايام . ولا يطبخ احد بالسوق ما يؤكل نهاراً ... فصام الناس .. ثم اجتمع الامراء والشرفاء والقضاة والفقهاء وسائر الطبقات .... وخرجوا جميعاً وبايديهم المصاحف وخرج النصارى بانجيلهم واليهود بتوراتهم ... وجميعهم باكون متضرعون ليخفف الله عنهم الطاعون ... وقد انتهى عدد الموتى عندهم الى الفين في اليوم الواحد »

ولعلَّ خير ما اختم بهِ حديثي هو هذه القصة التي رواها ابن بطوطة عن اوقاف الاواني بدمشق قال « مررت يوماً ببعض ازقة دمشق فرأيت بهِ مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني ، وهم يسمونها الصحن ، فتكسرت واجتمع عليهِ الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب اوقاف الاواني ، فجمعها وذهب الرجل معه اليهِ فأراه اياها فدفع له ما اشترى بهِ مثل ذلك الصحن . . . فكان هذا الوقف جبراً للقلوب . جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا »

(الكلية العربية — القدس)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البنيسيلين

مادة تستخرج من العفن
وتقاوم البكتيريا مقاومة عجيبة

البنيسيلين مادَّة تستحضر من نوع خاصّ من العفن وتفتك بطائفة من الجراثيم . وقصة كشفها من القصص التي يحفل بها تاريخ العلم ، إذ يجتمع فيها عنصرا المصادفة والذهن العلميّ المهيَّأ لتبيُّن الجديد غير المألوف . وقد بدأت هـذه القصة في معمل بحثٍ في لندن ، حيث نحّى الباحث فلمنغ مزدرعاً للجراثيم ، لكي يفحصهُ عند ما تواتيهِ الفرصة. ومزدرع الجراثيم طبقٌ تنمو الجراثيم فيهِ في مادةٍ تصلح غذاءً لها . وهذه الأطباق عند ما تفحص في الحين بعد الحين، تتعرّض طبعاً للتلوُّث بما في هواء المعمل من جراثيم . فلما أخذ الباحث هذا الطبق الخاص لفحصهِ، وجد فيهِ بقعة من العفن، تشبهُ شبهاً كبيراً العفن الذي يظهر كثيراً في الجبن أو غيره من ألوان الطعام ولكن العفن الذي ظهر في هذا المزدرَع لم يكن من العفن المألوف ، بل بدا ان لهُ قوة عجيبة لم تكن معروفة ، لأنّ الجراثيم القريبة من البقعة — وكانت جراثيم ستافيلوكوك — كانت قد أخذت تشفُّ وتنتفخ وتنحلُّ . أي انها كانت في سبيل الزوال أو الموت

فلما فحص هذا العفن ثبت أنهُ العفن المعروف باسم بنيسيليوم نوتاتوم (Penicillium notatum) ومنهُ حضرت المادة المقاومة لفعل البكتريا التي اتخذناها عنواناً لهذا المقال — أي مادة « البينيسلين » Penicillin وهي لا تستخرج من نوع آخر من العفن . فالبينيسليوم نوتاتوم له قريبٌ يدعى بنيسيليوم روبرم Pencillium rubrum ولكنهُ لا يصلح لاستخراج مادة البنسيلين منهُ

وقد عُني كاشف هذه المادة — الأستاذ الكسندر فلمنغ Fleming — ببحثها من جميع الوجوه لتبين تأثيرها في قتل الجراثيم . ولعلّ وصف احدى تجاربه كافٍ لتبيان ما فعل . فقد أخذ طبقاً ووضع فيه المادة التي تصلح غذاءً للجراثيم . وفي منتصف الطبق شق ثلماً وملأه بمادة البنيسيلين المستخرج من العفن الخاص . ثم وضع على جانبي الثلم لطخاً من اصنافٍ شتىً من البكتيريا . وهي باشلس القولون[1] (B. Coli) والباشلس

(١) كروي صغير قطر أصغره ربع جزء من مليون جزء من البوصة . فاذا انقسم انقساماً منتظماً ألف سلسلة من الستربتوكوكس واذا انقسم انقساماً غير منتظم الف عنقوداً من الستافيلوكوكس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الستلوفيلوكوكي [٢] ثم الباشلس الستربتوكوكي [٣] فالنوموكوكي [٤] فالغونوكوكي [٥] فالدفثيري فالانفلونزي. ثم لاحظ فلمنغ أن معظم هذه الجراثيم توقف عن النمو في اتجـاه الثلم حيث البنيسيلين ، وان مستعمراتها أخذت تتقلّص ، ماعدا باشلس القولون والباشلّس الانفلونزي (باشلس فيفر)

ثم ان علماء البكتيريا يقسمون طوائف البكتيريا تقسيماً آخر ، وفقاً لتأثرها بالأصباغ التي تصبغ بها لاظهارها على شرائح المجهر. فنها ما ينصبغ ومنها ما لا ينصبغ . فالطائفة الاولى تعرف بوصف طائفة « غرام الايجابية » والثانية بوصف طائفة « غرام السلبية » . وفي هذه المباحث التي أدارها فلمنغ والتجارب التي جرّبها ، ظهر ان الجراثيم التي تنصبغ (أي غرام الايجابية) تعنو لفعل البنيسيلين، وأما الأخرى فلا . ومن الطائفة الاولى في الحالين الباشلس الستربتوكوكي ، ومن الثانية في الحالين باشلس القولون وباشلس فيفر الانفلونزي

بعد ذلك جرّبت تجارب أخرى متعددة، غرضها الكشف عن خواص البنيسيلين وفعله في احوال معينة فظهر ان احماءه الى درجة الغليان مدى ساعةٍ يضعف قوته الى ربعها. واحماءه الى درجة اعلى من الحرارة يقضي عليهِ . ولكن الترشيح لا يؤثر في قدرته على الفتك بالجراثيم. اما مادته الفعالة فتحلّ بسهولة في الماء . وخير درجة حرارة لتحضيره هي درجة حرارة الحجرة العادية. وفعله اي فتكه بالجراثيم ، يستمرّ واضحاً ثمانية أيام الى عشرة ، ويزول بعد انقضاء اسبوعين على تحضيره . وفعلهُ المطهر بطيءٌ فهو يستغرق اربع ساعات ونصف ساعة للفتك بالجراثيم الستربتوكوكية

ولعلّ أظهر خواصه انهُ لا يفتك الاّ بالجراثيم ، ولا يسمّ جسماً حيًّا آخر كجسم فأر أو أرنب او جسم انسان ، او انساجها. ولا هو يهيج هذه الانساج . وقد وضع على جرح فلم يهيجه ، واذا حل ٨٠٠ ضعف المطهرات الاخرى ظلّ افعل منها. وكان مدار التجارب الأخرى معرفة تأثيره في البشر ، ولم تتح الفرصة لتجريبهِ في حوادث كثيرة ، وقت كشفه . لأن المتاح من البنيسيلين كان قليلاً . ولكنهُ جرّب — على قدر المستطاع — في حوادث كان خمس منها حوادث خطيرة . فشفى حالة حادة في العين بالاستعمال الخـارجي ، وأزال حالات التهاب داخلي . وسجلت هذه الحالات وطرق معالجتها حينئذٍ . فأحدث ذكرها هزة في الدوائر الطبية والعلمية. ولكن الاهتمام العام بهِ ضعف بعد ذلك ، بغير ان يضعف الاهتمام الخاص بدراستهِ ، وعلى وجهٍ خاص في لندن واكسفورد وغيرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومما ثبت خلال هذه الفترة ، انهُ يصلح لفصل البكتيريا بعضها عن بعض . فمن الجراثيم المؤذية ما يصعب استفراده ، لأنهُ ينمو وتنمو حولهُ جراثيم أخرى . ولكن اذا كانت الجراثيم المؤذية مما لا يتأثر بالبنيسيلين ، والجراثيم الأخرى مما يتأثر بهِ ، استطاع الباحث ان يقضي على هذه الجراثيم وان يكشف الجراثيم الاولى أي يعزلها . فباشلس فيفر الانفلونزي يقدر على كشف نفسه بهذه الطريقة ، لأن البنيسلين يفتك بجماعة باشلس الستربتوكوكس والستافيلوكوكس وغيرها وهي التي تحيط بهِ ، ولأن الباشلس الانفلونزي لا يتأثر بهِ

ان النتائج الباهرة التي أسفر عنها هذا البحث العلمي الدقيق ، حجبها في السنوات الأخيرة ، الاهتمامُ بالعقاقير السلفو ناميدية وعجائب فعلها ، ولا سيما لأن السلفو ناميديات مواد كيميائية وتحضير مقادير كبيرة منها ، لا يعوقهُ عائق ما . أما البنسيلين فمادة طبيعية ولا يستخرج الاَّ من مادة واحدة هي بنيسيلوم نوتاتوم . والمقادير المتاحة منه يسيرة الآن . والسعي العلمي متجه الى توفيرها . وهو يحضر كما يلي : أن مستعمرة العفن (بنيسيليوم نوتاتوم) كتلة هشة بيضاء وتتكاثر وتكبر في سرعة ، وبعد أيام تتولد بزيرات خضرٌ قاتمة ثم تتحول سوداً . وبعد فترة يتحول العفن ، وفقاً للوسط الذي ينمو فيهِ ، فيغدو لونهُ أصفر أو محمَّراً . فاذا وضع في طبقٍ من مرق اللحم، طفت هذه المجموعات الهشة على سطحهِ فتغطيهِ بطبقة خضراءَ قاتمة ، لا تختلف مظهرها عن مظهر سطح الماء الراكد في بركة . والمرق تحت هذا السطح يتحول أصفر الى برتقالي . ومن هذا السائل يستقطر البنيسيلين . ومن الواضح ان المقادير التي تحضر منهُ على هذا المنوال لا يمكن أن تكون كبيرة . والبحث في اكسفورد خاصة متجهٌ الآن الى تنقيتهِ . والحصول عليه مبلوراً . ولم يتمكن الباحثون حتى أواخر السنة الماضية من الحصول عليه نقيًّا تام النقاء . وفعلهُ يزداد وفقاً لنقائهِ . واذا كان نقاؤه نصف تام ، كفى محلول منهُ يبلغ جزءًا في مليون جزء من الماء للقضاء على الجراثيم التي ثبت انها تتأثر بهِ (غرام الايجابية) واذا كان نقيًّا قريباً من التمام كفى ، محلول يبلغ جزءًا في ٢٥ مليون جزءٍ من الماءِ ، لاحداث الفعل نفسهِ

ومما يستوقف النظر بوجهٍ خاص ، انهُ كلما كان البنيسيلين قريباً من درجة النقاء التامة ، كان فعلهُ السميّ أقل سواءٌ في ذلك أجسام البشر أو أجسام الفئران . ولكنَّ فعلهُ السميّ يسير جدًّا كما تقدم . ففأر يستطيع أن يتحملهُ اذا حقن بجرعة ، يبلغ وزنها ... ١ من وزن جسم الفأر . يقابل هذا ان فعل السلفو ناميديات شديدة الفعل السميّ ويجب تناولها بعناية وحرص . فالبنيسيلين أفعل كثيراً من السلفو ناميديات وزناً بوزن وأقل فعلاً سميًّا منها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المستشرق متفوخ

Eugen Mittwoch

حياته وآثاره

للدكتور محمد كامل

نشرت في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٩ كلمة عن استاذي المستشرق نلينو مبيناً خصائصه ومناحي مباحثه وألوان تأثيره . وكان الاستاذ نلينو معروفاً في مصر لتعدد زيارته لها وتدريسه في جامعتها وعضويته في مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فكان كثير الأصدقاء والتلاميذ في مصر . أما اليوم فقد نعى الينا البرق علماً آخر من أعلام الاستشراق لم يعرف في مصر كما عرف نلينو ، وربما يرجع هذا الى قلة إتصاله المباشر بها

سمعت على الاستاذ متفوخ في برلين فأصبت عنده علماً فياضاً وعرفت ذكاءً وقاداً وقلباً كبيراً وخلقاً دمثاً وروحاً مرحة وبديهة حاضرة ، وكان يحب تلاميذه ولا يقعد عن إسداء النصح لهم وبذل الإمداد إليهم . وكان يعينهم بماله الخاص كلما أحسَّ بأن أحدهم يشكو ضيقاً بل كان يتعهد جميع نفقاتهم اذا عجز احدهم عن متابعة التحصيل . وقد كان رحمهُ الله يحب المصريين ويخلص لهم ، فلم يقبل أجراً على أي عمل نهض بهِ للمصريين ولم يجن من وراء ذلك غير إرضاء حبه لهم وهمته في تعليمهم . وكان يتوق قبل هذه الحرب أن يزور مصر والشرق العربي . واتفق ان عرض عليهِ التدريس في جامعة فؤاد الاول فاعتذر مكرهاً عن الحضور لوفرة مهامّـهِ في ذلك الحين

ولد أويْجين متفوخ في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٨٧٦ في ألمانيا الشرقية من أبوين يهوديين ، وأتمَّ دراسته في ألمانيا على طائفة من علمائها المستشرقين نخص منهم العلامة ساخاو Edward Sachau . وقد كان الاستاذ متفوخ يجله فظلَّ مرتبطاً بهِ حتى موته . وحصل على الدكتوراه من برلين سنة ١٨٩٩ وكان هذا فاتحة حياته العلمية . فعين استاذاً للغات السامية في جامعة برلين وتولى منذ سنة ١٩٢٠ أعمال مدير معهد اللغات الشرقية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بجامعتها الى ان عين مديراً لهذا المعهد من سنة ١٩٢٧ إلى سنة ١٩٣٣ . ويعد هذا المعهد من أكبر معاهد اللغات الشرقية في العالم

كان — رحمهُ الله — يخدم وطنه ألمانيا وقد أسدى اليهِ أيادي جليلة في اثناء الحرب الكبرى حين كان ملحقاً بهيئة أركان الحرب

ولم يمنعهُ ذلك المجهود الذي بذله خلال الحرب الكبرى من متابعة عمله العلمي والإشراف على نشر أبحاثهِ . وقد عرفت الحكومة الألمانية قدره فاستعانت بهِ بعد الحرب الكبرى على اجتذاب الرأي العام في بولنده فنجح في مهمته بفضل خبرتهِ وحسن تدبيره . وقد استلزمت منهُ هذه المهمة مجهوداً كبيراً على ما يظهر ، فقد أهمل أبحاثه العلمية إذ لم ينشر في سنتي ١٩١٨ و ١٩١٩ رسالة واحدة

وفي سنة ١٩٣٥ أوقفته الحكومة الألمانية عن عملهِ . فلما تعذّر الاستغناء عنهُ أعيد الى الجامعة حتى ظهر قانون سبتمبر ١٩٣٦ وهو القانون الذي فصل بمقتضاه جميع الموظفين اليهود من الحكومة ، فاضطر بذلك الى ترك الجامعة ولكن هذا لم يحدّ من نشاطهِ بل استمر في أعماله العلمية وتولى الى جانب هذا العناية بشؤون اليهود الألمان وتنظيم ترحيلهم الى الخارج . ثم لم تمكنهُ الأحوال المحيطة بهِ من العيشة في المانيا فرحل الى انكلترا عام ١٩٣٨ حيث هيأت لهُ بعض الجهات العلمية الانكليزية الفرصة لمتابعة أبحاثهِ العلمية

— ٢ —

بدأ الأستاذ متفوخ حياته العلمية بنشر الرسالة التي نال بها الدكتوراه من جامعة برلين سنة ١٨٩٩ عن « أيام العرب » . وقد وجه اهتمامه الى الدراسات العربية من نواحٍ مختلفة ، فنشر سنة ١٩١٠ في مجلة الابحاث التي يصدرها معهد اللغات الشرقية ببرلين بحثاً في « الناحية الأدبية عند حمزة الاصفهاني »

أما تاريخ الطب عند العرب فقد وجه اليهِ عناية خاصة فشرع سنة ١٩٠٤ في نشر مؤلف عن أطباء العيون عند العرب مع العالمين هرشبرج J. Hirschberg وليبرت J. Lippert عن علي بن عيسى مع ترجمة النص الى الألمانية وشرحه ، وسنة ١٩٠٥ عن عمار بن علي الموصلي وخليفة الحلبي وصلاح الدين . ومن جهة أخرى نشر عام ١٩٠٥ — ضمن أبحاث المجمع العلمي الملكي البروسي — فصلاً عن الكتب العربية التعليمية في طب العيون . وفي سنة ١٩١٣ نشر بحثاً في أقدم وباء للانفلونزا في فارس والعراق سنة ٨٥٥ ميلادية . وقد اهتم بجمع مؤلفات الاطباء العرب في سفر يشملها جميعاً وقدم عن ذلك سنة ١٩٣٢ تقريراً دفعه لا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى مؤتمر المستشرقين المنعقد في اكسفورد والمجمع الدولي لتاريخ العلوم في باريس

أما في السيرة النبوية فمن آثار اهتمامه بها انهُ شارك بعض المستشرقين في نشر «طبقات ابن سعد» ، ففي سنة ١٩٠٥ اختصَّ بنشر الجزء الخاص من بدء السيرة النبوية الى الهجرة ، وكذلك الجزء الخاص بالسيرة النبوية في المدينة وقد نشر سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩٢٦ نشر مقالاً في تحقيق تاريخ مولد النبي وتاريخ وفاته

أما في الفقه فقد نشر سنة ١٩١٣ بحثاً عن تاريخ نشأة الصلاة والشعائر الدينية في الاسلام وعلاقتها بما يناظرها في اليهودية وذلك في مجلة المجمع العلمي الملكي البروسي . ونشر سنة ١٩٢٢ بحثاً عن رسالة منسوبة الى ابن عباس ضمن الكتاب المقدم الى المستشرق الانكليزي Edward E. Browne بمناسبة بلوغهِ الستين . ونشر في سنة ١٩٢٦ بحثاً عن الفتاوى الاسلامية في أهل السامرة

أما السحر فقد كان اهتمامه بهِ من ناحية الفائدة التاريخية : فنشر سنة ١٩١٢ تميمة وردت في نص لحمزة الاصفهاني وكذلك نشر سنة ١٩١٣ رسالة في خرافات وعادات عند عرب الجاهلية عن حمزة الاصفهاني

ثم أنشأ مقالات مختلفة في دائرة المعارف الاسلامية منها :

أيام العرب ، علي بن عيسى ، عمّار ، دواء ، ذو الفقار ، ذو قار ، ذو القرنين ، جبرت ، حكيم ، حليمة ، حمزة الاصفهاني ، ابن القفطي ، ابن ميمون ، ابن سعد ، عيد ، عيد الأضحى ، عيد الفطر

ووجه الاستاذ عنايتهُ شطر دراسة الآثار الاسلامية ، فنشر مع الأستاذ سَرِه F. Sarre سنة ١٩٠٣ عن الخزف ذي البريق المعدني الاسباني المغربي في القرون الوسطى وصناعته في مَلَقا . وقد اختصَّ الأستاذ متفوخ في هذا بالمصادر العربية . وكذلك كتب ملحقاً لمقال نشره (سَره) سنة ١٩٠٤ عن حوض معدني شرقي يرجع الى القرن الثالث عشر الميلادي محفوظ في متحف الاجناس ببرلين ، وآخر عن أوان خزفية اسلامية من العراق نشره سنة ١٩٠٥ وفي سنة ١٩٠٦ أخرج (سره) كتاباً عن مجموعة تحفه تحت عنوان «منتجات الفن الاسلامي» : الجزء الاول منهُ عن المنتجات المعدنية والجزء الثاني نشره سنة ١٩٠٩ وعنوانهُ الطرائف السلجوقية . وفي كل من الجزئين لحقٌ للاستاذ متفوخ فيهِ دراسة للكتابات المدوَّنة على التحف المختلفة . وقد اشترك مع (سره) في نشر كتاب « رسومات من رضا عباسي » سنة ١٩١٤ وظهر لهُ سنة ١٩٣٥ في مجلة الدراسات الشرقية Orientalia بحث عن نقش عربي يرجع الى سنة ١٣٦ هجرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

اشتهر الاستاذ متفوخ بدراساته في النقوش العربية الجنوبية وله في هذا الفرع تلاميذ كانوا يرحلون اليه من بلاد مختلفة ، فاستقامت بهم مدرسة لها طريقتها وخصائصها وهي تقابل مدرسة المستشرق رودوكاناكيس Rhodokanakis في النمسا. فعرفت المدرسته بالاعتدال والحيطة في حل النقوش العربية الجنوبيــة وتفهم معانيها على حين عرفت مدرســة النمسا بتطرفها . وكان الأستاذ متفوخ مهتمــا بشؤون اليمن وقد زاد اهتمامه بها منذ سنة ١٩٢٦ لما نشر مقالاً عن اليمن هو دراسة ما أحضره بورخرت H. Burchardt من صور ضوئية لنقوش جمعها في أثناء إقامته الطويلة بتلك البلاد . وفي ســنة ١٩٢٨ ظهر لهُ مقال في مجلة الجمعية الشرقية الألمانية عن نقوش من بلاد العرب الجنوبية عثر عليها راتينس C. Rathiens وفيسمن H. V. Wissmann خلال رحلتهما في بلاد اليمن في شتاء عام ١٩٢٧

وقد شرع الاستاذ متفوخ في العمل مع الأستاذ موردتمن J. H. Mordtmann في دراسة تلك النقوش فنشرا عام ١٩٣١ كتاباً عن النقوش السبئية وآخر سنة ١٩٣٢ عن النقوش الحميرية المحفوظة بمتحف الدولة في برلين . وأيضاً نشرا سنــة ١٩٣٢ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن النقوش العربية الجنوبية في عدن وآخر سنة ١٩٣٣ عن النقوش العربية الجنوبية من حضرموت ، كما نشرا في المجلة المذكورة سنة ١٩٣٤ ملاحظات عن النقوش العربية الجنوبية . وفي عام ١٩٣٥ نشر الاستــاذ متفوخ في مجلة الدراسات الشرقية مقالاً عن العصور السبئية المتقدمة . ومنذ عام ١٩٣٦ بدأ ينشر مع تلميذه الدكتور شلوبيس H. Schlobies سلسلة أبحاث في مجلة الدراسات الشرقية عن النقوش العربية الجنوبية المحفوظة في متحف الأجناس بمدينة هَمْبُرج

— ٤ —

كان الأستاذ متفوخ حجة في لغات الحبشة يعرف معظمها ويلم بدقائقها ولكنه صرف جلّ عنايته الى دراسة اللغة الأمهرية فنشر سنة ١٩٠٦ مقتطفات من القرآن مترجمة الى اللغة الأمهرية ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين . وفي سنة ١٩٠٧ نشر ضمن هذه الأبحاث نبذاً من اللغة الأمهرية العامة ، وفي السنة ذاتها كتب في مجلة الأدب الشرقي ملاحظات على تاريخ الملك تيودور المكتوب باللغة الأمهرية . ونشر سنة ١٩١٠ ضمن أبحاث معهد اللغات الشرقية في برلين نصًّا بالأمهرية عن ألعاب الصبيان مع ترجمته وشرحه . ونشر ضمن هذه الأبحاث سنة ١٩١١ نصًّا بالأمهرية عن الحكايات والقصص مع الترجمة والشرح . وفي السنة ذاتها نشر في مجلة الاشوريات بحثاً عن كلمة « دشنهوى » الأمهرية وهي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمين باشا المعلوف

تقدير

لنجيب شاهين

هذا تقدير لمقام الفقيد من ناحيتيه العلمية والأدبية اقتصر عليهما تاركاً لغيري ترجمة حياتهِ ترجمة تبين نواحيها الأخر :

عاصرت الدكتور أمين باشا المعلوف في مرحلتهِ الجامعية الأخيرة ولا أحسب ما تقدمها معاصرة إذ لم يدر كلانا بوجود صاحبه . فقد دخلت كلية العلوم والآداب في جامعة بيروت الاميركية سنة دخوله كلية الطب بعدما حاز شهادة القسم الاستعدادي وبكالوريا كلية الآداب. فانتهينا معاً هو من كلية الطب وانا من كلية الآداب

وكان على جانب كبير من الذكاء ولا أزال أذكر احتكاره لجوائز القسم الطبي فكان المذيع في الاحتفال الاخير يذكر نيلهُ الجائزة التشريح ويطلب تقدمه لتسلمها فينهض ويتسلمها ويعود الى مقعده فلا يكاد يجلس حتى يدعى ثانية وحتى تعبنا عنهُ — جائزة في التشريح وثانية في المواد الطبية وثالثة في تشخيص الأمراض ورابعة في الجراحة — وحتى وددنا لو دعينا مكانهُ بالنيابة عنهُ لا بالاصالة عن أنفسنا لأن أصحاب الذكاء النادر يكونون في الغالب مغبوطين لا محسودين — يتمنى المرء دوام النعمة لهم لا زوالها عنهم بخلاف الاغنياء البخلاء فانهُ يطلب زوالها عنهم الى أناس يكونون أصلح لها وتكون أصلح لهم

وكان جزاء هذا الاحتكار اختيارهُ خطيب الجامعة من كلية الطب باللغة العربية وخطبت أنا بالانجيزية وقد نسيت موضوعهُ وأما موضوعي فكان « الجمال في الطبيعة »

وبعد الحياة المدرسية في الجامعة تفرقنا وقدم كلانا هذا القطر وأنا أنشد قول متمم بن نويرة يذكر أخاه مالكاً :

ولما تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ودخل القسم الطبي في الجيش المصري ، وطلبت أنا الأدب فأدركتهُ ، ولكن أدركتني خلتهُ معهُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان المرحوم أبرز شاهد على تعدد المواهب في انسان مع كون الموهبة العليا في بعض زوايا نفسه فاذا أنست فرصة تجلت أعظم تجلٍّ وكسفت المواهب الأخرى . فقد احترف الطب وكان ذا حذق نادر في تشخيص العلة ولكن ظهرت فيهِ في الوقت نفسه موهبتهُ المدفونة في دفتي صدره وقرارة نفسهِ وهي موهبة البحث العلمي وانبثقت فيهِ انبثاق الالهام والوحي وظهرت طوالعها في كثرة التقصّي والسؤال والمطالعة فكنا نراه يطالع كتباً لا علاقة لها بحرفتهِ إلاَّ من بعيد ثم كنا نسمع منهُ أسئلة واستفهامات في اللغة العربية لا تمت الى الطب العملي بصلة — شأن الاطباء الذين يعدون العدة لوضع مؤلفات في غير الطب وينسجون لها أحسن الحلل لالباسها اياها أو يصنعون أحسن القوالب لافراغها فيها

وكان أول مؤلف وضعهُ معجم الحيوان وبحثهُ فيهِ موسوم بالدقة العلمية التي قلما ترى الآن في مؤلفات الغربيين العلمية الدقيقة تذكر قارئهُ مؤلف داروين المعنون «تسلسل الانسان» وكلا الكتابين متشابهان في صغر حجمهما وكونهما مع صغرهما جامعين مانعين . أو تذكره «الكتاب» لسيبويه امام النحاة فهو قوام النحو وبلغ من عناية الذين وقفوا على طبعهِ من الغربيين ان لم يتركوا فيه هفوة مطبعية فلم يحتج لذلك الى جدول لتصحيح اخطاء لا وجود لها

***

وقد بدأ المقتطف في نشر مباحث هذا المعجم متسلسلة في اكتوبر ١٩٠٨ وقدم له الدكتور صروف بما يلي

«لا يخفى على من اشتغل بالترجمة من اللغات الاوربية او بالتأليف على منهاج الاوربيين ان من أنواع الحيوان والنبات ما اسماؤه معروفة مشهورة كالغراب والفرس والتين والزيتون فلا تخفى على احد ولا تخفى دلالة الاسم على المسمى . ومنها ما اسماؤه غير معروفة أو غير مشهورة أو اخطأ المترجمون في ترجمتها وشاع الخطأ دون الصواب وهذه كلها يستصعب المترجم تحقيقها من مظانها كلما وصل اليها . وليس في العربية حتى الآن قاموس عربي افرنجي عُني مؤلفه بترجمة كل أسماء الحيوانات والنباتات التي لها أسماء في العربية أو بين الناطقين بها ناهيك عن ان تعريب أسماء الحيوانات والنباتات في كتب اللغة العربية قلما يدلُّ عليها

« وقد عني صديقنا الدكتور امين معلوف منذ مدة بالبحث عن اسماء الحيوانات ووضع لها معجماً ذكر فيهِ الاسم العربي والاسم الفرنسي والاسم الانكليزي والاسم العلمي ووصف كل حيوان وصفاً أوجز فيهِ او أسهب حسب مقتضى الحال فرأينا ان ننشر هذا المعجم تباعاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في المقتطف لعرضهِ على الباحثين في هذا الموضوع وعسى ان يتحفنا المؤلف بمعجم آخر للنبات لانهُ بحث في هذين الموضوعين بحثاً دقيقاً يعود عليهِ بالشكر »

ثم جمع المقتطف المعجم باشراف أمين باشا في كتاب على حدة وأصدره سنة ١٩٣٢ وأهداه مؤلفه الى « روح أستاذي العلاّمة الدكتور يعقوب صروف ، أثارة من فضل ما علمني »

***

واخرج سنة ١٩٣٥ المعجم الفلكي بعد معجم الحيوان وهو يشمل الثوابت والكواكب السيارة وصور النجوم وبعض الاصطلاحات الفلكية وطبع في مطبعة دار الكتب المصرية

واعتمد فيما نشر على كتب الفلك المنشورة بالعربية من تآليف المرحومين الدكتور فانديك والدكتور صروف وكتاب الفلك عند العرب وزيج الصابي للدكتور كرلو نلينو العضو في مجمع اللغة الملكي وغيرها من الكتب العربية القديمة . وفيه خارطات فلكية واسماء الصور كلها بالعربية وتحريفها اللاتيني واسماء الاصطلاحات بالعربية والانجليزية

وعني الفقيد من عهد بعيد بوضع معجم للانجليزية والعربية على مثال المعجمات التي بين أيدينا وقيل لي انهُ تقدم فيه حتى أكمل ثلثه ولا أعلم ما جرى له

***

وليس الفقيد بأول شاهد أو بالشاهد الوحيد على التبريز في صناعتين بين رجال العلم والأدب والسياسة فقد كان غلادستون سياسيًّا شهيراً ونظم كثيراً من شعر فرجيل وكان اللورد سالسبري سياسيًّا كبيراً وعالماً كيميائيًّا

واشتهر عندنا الدكتور احمد عيسى بك بالطب والتأليف الذي لا علاقة له بالطب وكذلك الدكتور شميل من انصار مذهب داروِن والدكتور حافظ عفيفي باشا وهو اقتصاديًّا اشهر منهُ نطاسيًّا ورجلا القانون والصحافة أحمد لطفي السيد باشا وهيكل باشا

ومما يذكر في هذا الصدد ان اتصال الفقيد بالمرسلين الاميركيين في سوريا أذكى فيهِ موهبة البحث العلمي فقد كان على أتم اتصال بالطبيبين العالمين الدكتور فانديك المؤلف المشهور والدكتور بوست الجراح الذي اشتهر بالجراحة اشتهاراً محليًّا ولكنهُ اشتهر بمؤلفاته في علم النبات اشتهاراً عالميًّا بين علماء اوربا حتى سميت بعض نباتات سوريا وفلسطين باسمهِ . فان قربه منهما واطلاعهُ على أعمالها شحذ فيه موهبة البحث العلمي التي تجلت في مؤلفاتهِ القليلة . ولو فسح لهُ في الأجل ومكنتهُ الفرصة لرأيت له آثاراً أخر أجل قدراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد عمل الفقيد مدة في مجلة المقتطف مساعداً لصاحبه العلامة الدكتور صروف في أواخر الحرب العالمية الماضية وظهر تدقيقهُ اللغوي ذلك التدقيق الذي لم ينشأ عليه في حياتهِ العلمية الاولى وانما جلبهُ فيما بعد البحث والسهر وعلمهُ بانهُ ان قدِّر له ان يكون مؤلفاً علميّاً فلا بد ان يصحب اقدامهُ على التأليف اتقانهُ للكتابة وتدقيقهُ فيها . اذكر يوماً انهُ نبهني الى كلمتين قال انهما خطأ شائع حتى على اقلام كاتبي المقطم فأصلحنا احداهما واما الاخرى فوجدنا ان فيها قولين كغالب مسائل النحو واللغة

واهتمّ بالتوفر على الترجمة الصحيحة فكان يكثر الاسئلة فيها لعلهُ يكتسب ملكتها وهي لا تكتسب الاّ بالخبرة الطويلة أوكما قال الشاعر في العلم

اخي لا تنال العلم الاّ بستة فأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاءٌ وحرصٌ واجتهادٌ ورغبة وصحبة استاذ وطول زمان

وقد اجتمعت له الخلال الاربع الاول فنال بها ما لم ينل صاحب الست واتقن الترجمة اتقانه للكتابة . وكان هو وصديقه المرحوم الدكتور شميل كثيري الاعجاب بالترجمة الصحيحة . وقال الدكتور شميل على مسمع مني « لقد أتقنت الكتابة في كل فرع فصارت عندي سهلة المتناول وملكت فيها سرعة لا تصدق ولكن اذا عمدت الى ترجمة شيء علمي عويصاً كان أم سهلاً خرجت ترجمتي « كخربشة الدجاج في الوحل » كما وصفها . وخربشة الكتاب في اللغة افساده وهي كذلك كلمة عامية كثيرة الشيوع في الشام

وكان في شبابه بهي الطلعة نحيف الجسم حسن الصحة يظهر رأسهُ صغيراً وهو ليس كذلك . وضع أحد أصحابه يوماً طربوش الفقيد على رأسهِ ليقيسهُ منتظراً أن لا يغطي قمتهُ فكان الفقيد ينظر اليهِ نظرة استهزاء موقناً بخيبة أملهِ . فاذا الطربوش يغطي أذنيهِ فنظر الى ما حولهُ مكسوفاً والدكتور ينظر اليهِ نظرة المزهوّ المدل بنفسهِ

وكان يتتبع في الحرب الماضية زحف الألمانيين على باريس في كل خطوة يخطونها حتى اذا بلغوا سان كنتان عراه شيءٌ من القلق لأنهُ كان دائم الثقة بقدرة الفرنسيين وحلفائهم الانكليز على ردهم ولكنهُ لم يفقد ثقتهُ مع ذلك . فلما بدأ تقهقرهم عن نهر المارن الى نهر الاين سمعتهُ صائحاً « ألم أقل لكم هكذا » مفاخراً بتمسكه برأيه الى الآخر

ولا ريب في ان معجمهُ الانكليزي العربي كان يكون بالغاً حد الاتقان لما عرف عن تدقيقهِ وسعة اطلاعهِ وقد حال دون اخراجهِ لنا اشتغاله بأسباب العيش وتغلب المرض عليه . فحبذا لو اهتمت أسرتهُ بهذا المعجم ورزق من يعرف أقدار الرجال ومؤلفاتهم العلمية فيخرجهُ لنا فينفع بهِ وينتفع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ضوء الشمس

والذرات : مصدر الطاقة في المستقبل

من المحتمل أن تكون الطاقة المستخرجة من الذرات أو من ضوء الشمس الأداة المرموقة لقلب أساليب العيش في المستقبل رأساً على عقب . فاذا تمكن العلماء من اطلاق الطاقة الكامنة في الذّرات على وجهٍ عمليّ ، أو اذا استطاعوا أن ينفذوا الى سرّ الاوراق الخضر في التقاط طاقة الشمس وخزنها ، فقد يكون العصر المقبل عصراً تتوافر فيه الطاقة المحركة توافر الهواء الذي نتنفسهُ أو الماء الذي نبل ظمأنا بهِ

فالناس يعتمدون الآن على النفط ومشتقاتهِ ، أو على الفحم ، أو على الطاقة المولّدة من الماء المنحدر . والمصدران الأولان من مصادر الطاقة — أي النفط والفحم — مآلهما الى النفاد ، وان اختلف العلماء في تقدير أمد الاعتماد عليهما قبل نفادهما . فاذا وفق باحث عمليٌّ ، الى كشف أسلوب عملي قليل النفقة يطلق بهِ الطاقة المذخورة في الذرة ، أو يتناول بهِ الطاقة من ضوء الشمس، فالنتائج الصناعية والاقتصادية التي يسفر عنها كشف من هذا القبيل تكون في الطبقة الأولى من عظم الشأن في الاجتماع البشري

والشمس هي في الاصل مصدر كلّ طاقةٍ متاحةٍ لنا . فالحرارة والطاقة الكهربية مردّهما جميعاً الى الشمس ، سواء أمن الماء المنحدر تولّدت الطاقة ، أم من الفحم المحترق أم من النفط. وكل الطعام يصنع أصلاً في معمل الورق الأخضر ، فهو دون غيرهِ من معامل الطبيعة والانسان يستطيع أن يلتقط طاقة الشمس بأسلوب هين ويستعملهُ في بناء المواد الغذائية الأساسية ، ثم يخزنها . ثم يأخذها الانسان والحيوان طعاماً . وما فتئت الشعوب تتزاحم بالمناكب ، وتتقاتل في سبيل « مكان في الشمس » على حد قول غليوم الثاني . والمكان في الشمس قد يعني الطعام الذي تولده الأوراق الخضر بفعل طاقة الشمس . وهذه الحرب الناشبة الآن مدار ناحية منها على الأقل الى طاقة الشمس المتجمدة في جزيئات النفط وأطباق الفحم

ان موضوع طاقة الشمس موضوع واسع النطاق . ويقول الدكتور إمن مدير معهد كترنغ الاميركي ، لدراسة اليخضور (كلوروفيل) والتركيب الضوئي ان سطح الأرض يتلقى كلّ سنة من طاقة الشمس، قدراً يعدل الطاقة التي يولدها حرق ستمائة الف مليون مليون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦٠٠ طن من أجود أصناف الفحم (الانتراسيت)

والنبات الأخضر هو أعظم أداة وأدق أداة لتحويل طاقة الشمس الى أشياء تنفع الناس . وطريقتهُ في هذا التحويل ، يطلق عليها وصف « التركيب الضوئي » . اما سرُّها فلم يُبَحْ تماماً حتى الآن للعلماء . فالنفوذ الى هذا السر في طليعة مشكلات العلم ، بل في طليعة مشكلات الحضارة . فعلى السياسة ، التي تبيح لأعمال الحرب ألوف الملايين من الجنيهات ، ان تبيح للباحثين في هذا الموضوع ما يكفيهم من المال للبحث ، فاذا وفقوا الى حلّ المشكلة كان ذلك خطوة كبيرة نحو تحقيق احدى الحريات الأربع ، التي يريدها الناس اركاناً للعالَم المرتجى ، وهي التحرُّر من العوز والفاقة

ويرى الدكتور إئمن ان هذه المشكلة تعالج من ناحيتين . اما الأولى ، فدراسة اسرار النمو في النبات ، وهذا يتيح للعلماء والزرّاع متكاتفين ، زرع نبات يفوق مئات الاضعاف النبات الذي يزرع الآن في جميع انحاء الأرض ، فيحوَّل جانب كبير منهُ الى مصادر تستخرج منها الطاقة بأساليب جديدة

واما الثانية ، فالبحث الكيميائي الأصيل في التفاعلات التي تمكن العلماءَ من تقليد الورق الأخضر ، او مجاراته في تركيب الكربون (من ثاني اكسيد الكربون) والايدروجين(من الماء في مركبات تشبه المثاين (غاز المستنقعات) او البنزين ، ثم إضافة الاكسجين إلى هذه المركبات للحصول على السكر والشحم والخشب ، ثم إضافة النتروجين للحصول على البروتين ومن هذه المركبات الأساسية تصنع مركبات أخرى متعددة تمد جزيئاتها مخازن للطاقة

ومتى حلَّ العلماء مشكلة « التركيب الضوئي » وأنشأوا طريقتهم الخاصة لخزن طاقة الشمس المشعة ، فقد تكون هذه الطريقة مماثلة في أصولها لطريقة الأوراق الخضر ، وقد تكون أفعل منها وأكفأ

فالناس بوجهٍ عام ، يعتمدون بغير اهتمام بالمستقبل ، على قدرتهم ان يتناولوا الطاقة من الفحم والنفط وما أشبه ، ولكن مثلهم في ذلك كمثل التاجر الذي ينفق رأس مالهِ أو يبعثره رويداً رويداً . ولذلك يذهب الدكتور إئمن الى ان البحث في هذا الموضوع ، ليس بحثاً نظريًّا وحسب ، بل هو بحث نظري فتان وعملي خطير في آن . واذا لم يتنبه أقطاب الحكومات والشعوب لشأن هذا البحث حالاً ، ويرصدوا المال الوافي للعلماء ، ليشرعوا في بحث واسع النطاق من الآن ، فقد يواجه البشر المشكلة ، وليس بين أيديهم الأدوات اللازمة أو المعرفة الكافية لحلها . وقد يصاب الناس من جراء ذلك بنقص في الطاقة المتاحة لهم اذا أهمل هذا البحث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وغني عن البيان ان الذرة تحتوي على طاقة كامنة فيها ، تتيح للناس اذا أطلقت بأسلوب عملي غير كبير النفقة ، مقادير من الطاقة المحركة لا حدود لها

فقبل أربع سنوات أو خمس ، كان هذا الموضوع لا يستوقف عناية العلماء الاّ من ناحيته النظرية . ولكن فلق ذرة الاورانيوم في أوائل سنة ١٩٣٩ ، فتح باباً جديداً في هذا الموضوع . لأن فلق ذرة الاورانيوم صحبهُ اطلاق قدر عظيم من الطاقة الذرية الكامنة . فأقبل رجال علم الذرّة ، في شتى أقطار الأرض على بحث هذه الناحية الجديدة في هذا الموضوع الخطير (راجع المقتطف يوليو ١٩٤٠ ص ١٢٤)

وأغلب الرأي — على ما استطعنا استخلاصه من المجلات العلمية التي وصلتنا — انهُ اذا اتقنت طريقة اطلاق الطاقة من الاورانيوم اتقاناً عمليًّا تجاريًّا ، فانها لا تبيح لنا الاّ الطاقة المخزونة في قدر يسير جدًّا من ذرات الأرض ، وهي ذرات عنصر الأورانيوم . واذن فالرجاء الأكبر معلق بكشف طريقة أخرى ، تمكن العلماء ورجال الصناعة بعدهم ، من ابادة الذرات أيًّا كانت او إفنائها . وهذا هو رأي الدكتور توف احد علماء قسم المغنطيسية الأرضية بمعهد كرنيجي في واشنطن العاصمة . وهو في طليعة الباحثين في هذا الموضوع

أما الدكتور كولدج مدير معامل البحث العلمي في الشركة الكهربية العامة فيرى أن البحث أفضى الى طريقة تطلق من عنصر الاورانيوم قدراً عظيماً من الطاقة الذرية ، وانهُ اذا أفضى البحث في المستقبل الى فهم سر هذا الاطلاق فهماً دقيقاً فقد نستطيع ان نطلق من رطل واحد من الاورانيوم ، قدراً من الطاقة يفوق الطاقة المستخرجة من ملايين من ارطال الفحم . حتى اذا كانت نفقة اطلاق الطاقة من الاورانيوم اكبر من نفقة اطلاقها من الفحم ، كان ذلك خيراً لأنهُ يتيح مصدراً للطاقة حيث اعتبار الوزن له شأن عظيم . ومن المحتمل ان يفضي البحث الذرّي الى وسيلة تطلق بها الطاقة الذرية من ذرات بعض العناصر المألوفة

وسئل الدكتور لي ده فرست وهو من أعلام المخترعات اللاسلكية في ذلك قال : ان كشف الجهاز الرحوي والتوسع في بنائه واستعماله ، يسوّغ الرجاء المعقودُ باحتمال اعتمادنا في المستقبل على الطاقة المنطلقة من الذرّة عن طريق تهشيمها فتتاح مقادير من الطاقة لا تحدّ

ومهما يبعد الزمن الذي تنفد فيهِ موارد النفط فالفحم فإنهما ماضية الى النفاد لا ريب في ذلك . والبحث في هذا الموضوع ، كالبحث في موضوع طاقة الشمس وخزنها ، قليل قليل الآن ، بالقياس الى الفائدة العامة التي تجنى من البحث لو حلّت احدى هاتين المشكلتين . فالحاجة الى ارصاد مبالغ وافرة من المال تتيح لعشرات بل مئات من الباحثين التوفر على هذه البحوث الفتانة الجليلة النفع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

— ٣ —

بعد ذلك التصوير المجمل للمرأة العربية واشتراكها في الحياة العامة ، ننتقل الى ذكر بعض نساء من أشهر القبائل في الحجاز. وهنا نرى مؤرخي المسلمين يعطوننا نتفاً هزيلة من اخبارهنّ من حين الى حين . ولكن امرأة نابهة منهنّ لقيت عناية منهم، ولو أن الصورة التي يصورونها بها مصبوغة بسياسة عصرها ومثله العالية . وقد يصورون تلك الصورة أحياناً بما يتفق مع خطة بعض الاحزاب السياسية المتأخرة

واول ما يعرض لنا من هؤلاء النسوة حُبَّى بنت حليل آخر ولاة البيت من الخزاعيين وقصتها المقبولة من كتب التاريخ أن أباها رغب في تزويجها الى قصي القرشي
(في ابن هشام والطبري ان قصيا هو الذي رغب في الزواج منها)
وكان فتى معروفاً بالمغامرة فولدت له اربعة ذكور وبنتين هما تخمر وبارة ولا نعرف من تاريخهما الاّ ان تخمر بكت أباها[٢٦] حين ادركتهُ الوفاة بشعر رثائي أما الذكور فهم عبد الدار وعبد مناف وعبدالعزى وعبد قصي. وهي أسماء مشهورة في نسب قريش وفي تاريخ صدر الاسلام

ولما أشرف حليل على الكبر جعل ولاية الكعبة لابنتهِ حبى ، وسلمها مفاتيح الكعبة التي كانت تودعها أحياناً زوجها قصياً . وقبل ان يموت حليل سلّم المفاتيح الى قصي لتكون ميراثاً لولده من بعده . وأوصى له بولاية الكعبة والقيام عليها — ولكن خزاعة أنكرت تلك الوصية ونازعت قريشاً واضطرتها الى الدفاع عن حقوقها في ولاية البيت [٢٧]

وهناك بعض الروايات المفصلة التي تناقض بعض ما ذكرت عن هذه القصة . فمن المؤرخين من يقول ان حليلاً أعطى ولاية الكعبة الى حبى التي أشارت الى أبيها بعجزها عن فتح أبواب الكعبة واغلاقها، فوكل ذلك الى أبي غبشان وهو الذي تذكر بعض المصادر أنه كان ولداً له . وبعد وفاة حليل عمد قصي الى أبي غبشان فأسكره واشترى منه ولاية البيت بزق من الخمر وبعض من الابل [٢٨]

---

(٢٦) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٩ — ٤٢ (٢٧) ابن هشام ص ٦٨ — ٧٥ وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٣٧ والطبري وكتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٧٦ (٢٨) ابن سعد ج ١ ص ٣٧ والطبري ج ١ ص ١٠٩٤ والمسعودي ج ٣ ص ١١٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأيًّا من الروايتين أخذنا فان الدور الذي لعبته حبي يبدو ثانوي الشأن . ويلوح أنها كانت راغبة في تسليم المفاتيح الى واحد من اثنين زوجها أو معينها . ولكنها بعد ذلك لا يرد لها ذكر في المصادر . واذا كان لنا ان نقبل احدى الروايتين فان حبي لم تكن الاّ ذريعة لنقل ولاية الكعبة من قبيلة خزاعة الى قبيلة قريش

ومن ناحية أخرى اذا رفضنا القصة جملة واحدة فليس هناك ما يمنع من تصديق ما يتعلق بحبي من حوادثها . فانها — وهي ابنة حاكم الكعبة فعلت ما قد تفعله أية امرأة أخرى في مكانها . وان فتى بعيد المطامح نزاعاً الى السيادة — مثل قصي — لا يبعد ان يخطبها الى ابيها فاذا نجح في ذلك فانه يستطيع ان يتوسل بزواجها إلى توطيد قوته وتمكين الامر لذريته

والتاريخ مفعم بحوادث كان الباعث فيها على الزواج سياسيًّا . وعند عرب الجاهلية تحضرنا أمثلة انتقلت فيها السلطة السياسية من بيت او قبيلة الى اخرى عن طريق الزواج . فهناك — على سبيل المثال — قصة بلقيس من الحميريين المتأخرين . وهي قصة تشبه الخرافة. وهناك قصة جذيمة التنوخي الذي زوج أخته برجل من اللخميين الذين تولوا بعده ملك[٢٩] الحيرة

(هو جذيمة الابرش أو الوضاح كان ملكا على الحيرة ستين سنة . وخلفه ابن أخته عمرو بن عدي الذي يعد أول ملك على الحيرة من اللخميين . وقصة زواج الرقاش أخت جذيمة من عدي بن نصر مذكورة في كثير من كتب التاريخ كالطبري وابن هشام وبلوغ الارب . وقد ذكرت الباحثة أن جذيمة هو الذي زوج أخته عديا ، ولكن المؤرخين يقولون ان عديا هو الذي تزوجها — برضاها — بعد أن أسكر أخاها جذيمة . فلما أفاق هذا بعث الى أخته يقول : —

حدثيني وأنت لا تكذبيني أبحر زنيت أم بهجين ؟
أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون

فأجابته : —

أنت زوجتني وما كنت تدري وأتاني النساء للتزيين
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك في الصبا والمجون

والقصة طويلة يحسن الرجوع اليها في مصادرها)

ولكن بغض النظر عن ولاية الكعبة وصيرورتها الى حبي بنت حليل التي يجب ان نعدها خليفة لأبيها أو وسيلة لنقل سلطاته — وهي غير محصورة في ولاية الكعبة — فان وظيفة ولاية البيت لم يُعهد فيها الى امرأة من قبل . ولكن بعض الباحثين المحدثين يقول ان مفتاح الكعبة كان في يد امرأة عندما فتح النبي مكة [٣٠] وهم يوهمون بهذا القول ان المصادر التي اعتمدوا عليها تمثل هذه المرأة صاحبة حق في حمل هذا المفتاح . وفي الحق — على كل حال — كما تذكر كتب السير ان عثمان بن طلحة وهو من ولد عبد الدار بن قصي هو الذي كان قائماً على ولاية البيت زمن الفتح . وتقول بعض المصادر ان عثمان هذا أودع المفتاح

(٢٩) ابن هشام ، كتاب التيجان طبع حيدر اباد ص ١٤٤ ، كتاب للسيدة نابية أبوت صاحبة هذا البحث عن نشوء الخط العربي الشمالي واستعماله في المصاحف (٣٠) لامنس في كتابه السابق ص ١١٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أمهُ سلافة لتحفظهُ عندها . وقد طلبه النبي من عثمان فأخذه هذا من أمه سلافة وسلمه الى النبي [٣١] ولم يكن موقف سلافة — كما يقول رجال السير — أكثر ولا أقل من موقف الأم الحانقة التي رأت بعينيها كيف انتقلت هذه الولاية الرابحة من يد ولدها وأسرتها

ولما رد النبي المفتاح والولاية على عثمان بن طلحة — تبعاً لسياسته في مصالحة القبائل وملاينتها — لم نعد نسمع عن سلافة في السيرة ذكراً . ولعلها لقيت — كما لقيت حبي — اغفاءً كثيراً من مؤرخي السيرة من المسلمين . وقد نستطيع ان نجمع من هؤلاء المؤرخين أنفسهم أن المرأة العربية لم تعط ما يجيز لها الاشتراك في الحكومة التي أنشأها قصي في مكة

كانت قريش تقضي أمورها في دار الندوة ، واليها الحجابة والسقاية والرفادة واللواء وهي أمور لا يشترك في الفصل فيها إلاّ الرجال الذين أوفوا على الاربعين أو جاوزوها ، ما عدا نفراً قليلاً ممن اشتركوا فيها وهم دون الأربعين ، واكثر نساء هذه الفترة لا يرد ذكرهنَّ في السير الاّ فيما يتعلق بالانساب . ففي هذا الوقت كما في صدر الأسلام كان النسب من ناحية الأم لا يقل شأناً ولا تقديراً عن النسب من ناحية الآباء

اما اشتراك المرأة في المسائل السياسية في ذلك العصر فلم يصلنا عنهُ إلاّ نتف من هنا ومن هناك . فقد ورد في السير أن عاتكة بنت مرَّة زوجة عبد مناف بن قصي وأم كثير من أولاده الذين منهم هاشم والمطلب وعبد شمس اشتركت في حلف الأحابيش [٣٢] وهو الحلف الذي ألف بين قريش وبين بعض العناصر الحبشية في مكة

(تذكر الباحثة هنا ان هذا الحلف كان بين قريش وبين الاحباش في مكة ، ولعلها استنبطت ذلك من المشابهة بين أحباش وأحابيش . والذي أعرفه انه سمي بالاحابيش باسم جبل في أسفل مكة يقال له حبيش . والتصويب عن كتاب محمد لرضا ص ٢٥٥ وعن تعليقات الشيخ محمود سيد الطهطاوي على سيرة ابن هشام ج ١ ص ١١١)

وتكاد تكون المصادر عن تاريخ هذا الحلف وظروفه [٣٣] غامضة . ولهذا ليس من العجب أن يكون دور عاتكة فيه غامضاً أيضاً . ولكن النص التاريخي قد يعني أحد أمرين ، فاما أن تكون عاتكة قد مهدت لهذا الحلف . وإما أن تكون قد اشتركت في الاحتفال به . واول الامرين يبدو بعيد الاحتمال . وأما الثاني فقد يعين على قبوله ماصنعته بعد ذلك بزمن عاتكة ابنة عبد المطلب بن هاشم في حلف المطيبين [٣٤] وقصة هذا الحلف الأخير — حلف المطيبين —

(٣١) سيرة ابن هشام ص ٨٢١ ، وستنفيلد ج ١ ص ٦٧ ، ١٨٤ ، ٨٧ واليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ٦١
(٣٢) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٧٩ ودائرة المعارف الاسلامية مادة حلف (٣٣) لامنس كتابه السابق ص ٢٦٤ — ٢٦٦ (٣٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ٣٠٧ والمصادر العربية مذكورة في الدائرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن بني عبد مناف عقدوه ضد بني عبد الدار حين أجمع الأولون على أن يأخذوا ما بأيدي الآخرين من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة . فرفض هؤلاء أن يعطوهم ما بأيديهم . فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ووضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم فسُمّوا المطيبين

وفي هذا الحلف اشتركت واحدة من اثنتين من بنات عبد المطلب الست ، فمن المؤرخين من يقول انها أم حكيم ومنهم من يقول انها عاتكة — وسيأتي خبرها — التي أخرجت الطيب من الجفنة وأعدته للاحلاف الذين أخذوا اسمهم من ذلك [٣٥] وأيّاً كانت احدى الاختين استحقت شرف الاشتراك في الحلف فان الدور نفسه يبدو قليل الشأن

— ٤ —

نحن لا نعلم شيئاً عن فاطمة بنت عمرو — وهي احدى زوجات عبد المطلب العديدات وأم خمسة من بناته وثلاثة من أبنائه منهم عبدالله وأبو طالب . ولهذا فهي جدة محمد — عليه السلام — وعلي بن أبي طالب [٣٦] وبالرغم من أن أربعة من بناتها عمات للنبي فأننا لا نعرف عنهن اكثر من أسمائهن [٣٧]

(ترد أسماؤهن في كتب التاريخ في مناسبة رثائهن لابيهن عبد المطلب — قبل أن يموت — بشعر ينكره ابن هشام لانكار أهل العلم بالشعر له — ابن هشام ص ١٠٦ ج ١)

أما الخامسة فهي عاتكة — التي أسلفنا الحديث عنها في حلف المطيبين والتي تروى [٣٨] عنها القصة التالية : —

جاءَ رسول أبي سفيان الى مكة ليحمل اليه نبأً مفاجئاً عن خطر داهم يعترض عيره وفيها اموال قريش . وقبل وصول هذا الرسول : بثلاثة أيام

(اسم هذا الرسول ضمضم ، وقد أنفذه ابو سفيان الى مكة ليستنفر قريشاً على النبي وآله ، وكان ذلك قبل غزوة بدر ببضعة أيام)

رأت عاتكة في منامها رؤيا أفزعتها ، فجزعت من هذه الرؤيا التي قصتها على أخيها العباس وهذا قصها بدوره على آخرين . وما أسرع ما انتشرت هذه الرؤيا في أحياء مكة وأصبحت موضوعاً طريفاً للحديث . فاغتنم أبو جهل — عدو النبي المبين — هذه الفرصة السانحة

(٣٥) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٨٨ و ج ٢ ص ١٦ (٣٦) ابن هشام ص ٦٩ (٣٧) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٧ — ٣١ وابن هشام يذكر مراثي ست منهن لابيهن (٣٨) ابن سعد ج ٨ ص ٢٩ وابن هشام ص ٤٢٨ — ٤٣٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ليسخر بها من العباس قائلاً : يا بني عبد المطلب : أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد زعمت عاتكة في رؤياها أنهُ قال : انفروا في ثلاث . فسنتربص بكم هذه الأيام الثلاثة فأن يك حقًا ما تقول فسيكون ، وأن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء فاننا نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب »

وجاءت الحوادث مطابقة لرؤيا عاتكة التي اعتنقت الاسلام بعد ذلك بقليل وهاجرت الى المدينة. ولم نعد نسمع عنها بعد ذلك أكثر من انها عاشت بعد النبي زمناً

وهناك ابنة اخرى لعبد المطلب ، وهي عمة ايضاً للنبي عليهِ السلام . وقد لقيت من مؤرخي السيرة اهتماماً بها وتقديراً لها . تلك هي صفية شقيقة حمزة عم النبي وأم الزبير بن العوام . وجدة عبدالله بن الزبير الخليفة المنافس للامويين

(خرج على الدولة الاموية زمن يزيد بن معاوية ودعا لنفسه بمكة واعتصم بها ، وظل كذلك زمن معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان الذي أرسل اليه الحجاج لمقاتلته)

ويبدو ان صفية كانت من السابقين الأولين الى الاسلام في مكة ومن المهاجرين الاولين الى المدينة . وفي موقعة أحد حينما اضطر المشركون المسلمين الى التراجع وقفت صفية ورمحها في يدها ، تضرب الجنود وتصيح فيهم: أهكذا تهجرون[٣٩] رسول الله ؟ ولما انتهت المعركة خرجت فاطمة بنت النبي تضمد جراح أبيها . أما صفية فقد أقبلت على أخيها حمزة بن عبد المطلب وكانت متعلقة به لتنظر اليه ، فقال رسول الله لابنها الزبير : القها فارجعها لا ترى ما بأخيها . فقال لها يا أمَّـه ! ان رسول الله يأمرك ان ترجعي . قالت ولِمَ ؟ وقد بلغني ان قد مثل بأخي وذلك في الله . فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبنَّ ولأصبرنَّ ان شاء الله . فلما جاء الزبير الى رسول الله فأخبره بذلك قال : خلِّ سبيلها . فأتت فنظرت اليهِ فصلت عليهِ واسترجعت واستغفرت له . ثم عزاها النبي في مصابها بأخيها قائلاً : ان حمزة لقب بأسد الله وأسد نبيهِ[٤٠] ، وانهُ مع الأبرار في الجنة

ونجد لصفية ذكراً آخر في موقف عدائي عند حصار المدينة في موقعة الخندق في السنة الخامسة من الهجرة المقابلة لسنة ٦٢٧ ميلادية . وكان النساء والاطفال في «فارع» وهو حصن حسان بن ثابت شاعر النبي . وكان حسان — الذي دافع عن النبي بقلمهِ لا بسيفهِ — مع الجماعة في حصنـهِ . وكان بين بني قريظـة من اليهود وبين النبي عهد

(٣٩) طبقات بن سعد ج ٨ ص ٢٨

(٤٠) ابن سعد ج٣ ص ٧ — ٩ و ج ٨ ص ٢٨ والاغاني ج ١٤ ص ٢٣ وديور ص ٢٦٤

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فنقضوه وانحازوا الى ابي سفيان وأصبحوا موضع شكٍّ من الانصار الذين اتهموهم بنقض العهد . ثم قتلوا فيهم بعد ذلك مقتلة عظيمة

***

وبينما كان النبي مشغولاً باعدائهِ في واقعة الخندق ، لاحظت صفية وهي في حصن حسان أن رجلاً من اليهود جعل يطيف بالحصن وكانت اليهود قد قطعت ما بينها و بين النبي ، فخشيت صفية أن يدل هذا اليهودي قومه على عورات المسلمين مَن وراءهم من اليهود . فسألت حسان ان ينزل من حصنهِ فيقتله ، فقال لها حسان : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! فلما عرفت منه جبنه احتجزت ثم اخذت عموداً ونزلت من الحصن الى اليهودي فضربته بالعمود حتى قتلته [٤١]. ومن المؤرخين من يذكر أنها ضربته بسيف

وفي مشهد آخر نرى صفية تظهر في موقف يخالف ما نعرفه عن صفية المقاتلة في الحوادث السابقة وكان ذلك في غزوة خيبر . فلقد خرج قبل الموقعة رجل من اليهود يقول : هل من مبارز ؟ فخرج اليهِ الزبير فاندفعت صفية مذعورة الى النبي معلنة خوفها على قتل ولدها . فقال لها النبي . بل ابنكِ يقتلهُ ان شاء الله . وشاء الله ذلك وقتل اليهودي [٤٢]

ووزع رسول الله مقاسم خيبر وأموالها فأدركت صفية منها أربعين وسقاً . وأدركت أربعين وسقاً كذلك عمتهُ أميمة التي كانت أمًّا لزوجتهِ زينب بنت جحش [٤٣]

وآخر ما ترويهِ السيرة عن صفية هو ظهورها مع فاطمة في حضرة النبي وهو في مرضهِ الأخير قبل ان ينقل الى منزل السيدة عائشة . فلقد التفت اليهما النبي قائلاً : يا ابنتي فاطمة ، ويا عمتي صفية ، اعملا ما يرضي الله عنكما فان محمداً لا يغني عنكما من الله شيئاً [٤٤]

ولما مات عليهِ السلام — رثتهُ صفية كما رثتهُ أختاها « أروى » و «عاتكة» . ورثاه كذلك عدد من النساء والرجال [٤٥] منهم أبو بكر والشاعر حسان بن ثابت . وماتت صفية في خلافة عمر بن الخطاب [٤٦]

(كانت صفية شاعرة فصيحة متقدمة عند العرب ، وأخواتها شواعر كذلك . ولقد رثت أباها عبدالمطلب قبل أن يموت حينما أحب أن يسمع رثاء بناته فيه . كما رثت النبي بشعر رقيق جاء منه : —

(٤١) ابن هشام ص ٦٨٠ وابن سعد ج ٨ ص ٢٧ والاغاني ج ٤ ص ١٦ والاصابة ج ٤ ص ٦٧١
(٤٢) ابن هشام ص ٧٦١ (٤٣) ابن سعد ج ٨ ص ٢٧ وابن هشام فيه قائمة كاملة بأسماء الرجال والنساء الذين أصابوا من المغانم (٤٤) ابن سعد ج ٢ ص ١٧ و ٤٦ وميور ص ٤٩٤ (٤٥) ابن سعد ج ٢ ص ٩٣ — ٩٧ (٤٦) ابن سعد ج ٨ ص ٢٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ليبك عليك اليوم من كان باكيا
فدى لرسول الله أمي وخالتي وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو ان رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا

ومن شعرها في الفخر والحماسة : —

ألا من مبلغ عني قريشا ففيم الامر فينا والذمار
لنا السلف المقدم قد علمتم ولم توقد لنا بالغدر نار
وكل مناقب الاخيار فينا وبعض الامر منقصة وعار

اما عاتكة فقد سبق الحديث عن الرؤيا التي رأتها وكانت شاعرة.
ومن قولها في الحماسة : —

سائل بنا في قومنا وليكف من شر سماعه
قيسا وما جمعوا لنا في مجمع باق شناعه
فيه السنور والقنا والكبش ملتمع قناعه
بعكاظ يعشى الناظرين — اذا هم لمحوا — شعاعه
فيه قتلنا مالكا قسراً واسلمه رعاعه
ومجدلا غادرنه بالقاع تنهسه رباعه

المترجم — عن الدر المنثور ص ٢٦٢ ، ٣٢٠)

— ٥ —

ومن النساء اللائي لقين عناية خاصة من المؤرخين الاسلاميين اثنتان من أسرة ابي سفيان الذي كان رئيساً لقريش في زمن الرسول : —

الاولى : زوجته هند بنت عتبة التي عارضت النبي والدين الجديد

والثانية : ابنته من غير هند — رملة التي كانت من السابقات الى الاسلام وتزوجت بعد ذلك نبي هذا الدين

ولا نعرف على التحقيق متى ولدت هند ولا من اول أزواجها[٤٧] ولا متى كان زواجها . ولكننا نعرف أنها نسل عبد من شمس من قريش ، واول ما نلقاها مع زوجها الفاكه بن المغيرة المخزومي عم خالد بن الوليد[٤٨] الذي لقب فيما بعد سيف الاسلام

---

(٤٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٠ وهو لا يذكر زوجها فكيه بل يقول انها تزوجت حفص بن المغيرة فحملت منه ابان . وقد ذكر ابن قتيبة زواجها من حفص في كتابه العيون ج ١ ص ٢٨٣ . والتعاقب التاريخي يجعل هذا الزواج سابقاً لزواجها من فكيه الا اذا كان هناك اختلاط بين فكيه وحفص

(٤٨) الاغاني ج ٧ ص ٢٦

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

— ٢ —

لمحمود مصطفى الدمياطي

﴿ ابريّ الشكل ﴾ acerose, acerous, acicular (acereux, euse, f., aciculaire) هو الرفيع الصلب الحاد الطرف كورقة الصنوبر والعَـرْعَـرْ (الدفران) ويستعمل في الأوراق خاصة

﴿ الإثمار الاضافي ﴾ accessory fructification (fructification accessoire) هو مجموعة أعضاء تنشأ في النباتات الدنيا لتكاثرها ولا علاقة لها بجنس الذكورة أو الأنوثة (أي الشِق) [1]

﴿ الاضافيّ ﴾ accessory (accessoire) هو عضو زائد على الطبيعي في النبات

﴿ البرعم الاضافيّ ﴾ accessory bud (bourgeon accessoire) هو برعم زائد على البرعم الإبْطيّ الطبيعيّ

﴿ التكاثر الاضافيّ ﴾ accessory multiplication; accessory reproduction (multiplication accessoire; reproduction accessoire) هو عملية تكاثرية ليست شِقيّة (أي لا علاقة لها بجنس الذكورة أو الأنوثة)

﴿ التكيُّف ﴾ accomodation (accomodation) هو استطاعة النبات ان يلائم الأحوال الطارئة عليه في حياته بالتدريج

﴿ الثمرة الفقيرة ﴾ achene, achaenocarp, akene (akène) هي ثمرة تيبس

---

(١) اصطلحوا حديثاً على كلمة شق في مقابل sex التي تستعمل لجنس الذكورة أو الانوثة وقد أخذت تشيع كما ذكر الامير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد أيار وحزيران سنة ١٩٤٢ م) وأنا أوافقه لان لفظة الجنس في اللغة العربية لها استعمالات شتى منها ما هو بمعنى الطبقة (category; class; order) أو بمعنى الصنف (sort; species; variety) أو بمعنى الضرب (kind; sort) او بمعنى النوع (kind; sort; species) أو بمعنى جنس الذكورة أو الانوثة (sex) التي اعتمدها مجمع فؤاد الاول للغة العربية لفظتي جنس وزوج وذكر في النسبة اليهما كلمة تزاوجي وهي نسبة الى التزاوج لا الى كلمتي جنس وزوج اللتين اختارهما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا تنفتح تنشأ عن مِـدَقّـة واحدة وفيهـا بزرة واحدة منفصلة عن الجدار الثمري كثمرة شقيقة النعمان (١)

﴿ الخلية الاضافية ﴾ accessory cell (cellule accessoire) هي حُـوَيْـصَـلة أو خُجَيْرة تصحب الخلية الحارسة في مَـسَـمِ الورقة (ثغرها) وتختلف بنية عن الخلية الحارسة وعن خلايا البشرة (٢) الاعتيادية

﴿ الصفة الإضافية ﴾ accessory character (caractère accessoire) هي طبيعة عارضة في نوع ما تعتبر أحياناً في تمييز أصل (٣) عن آخر

﴿ الصفة المكتسبة ﴾ acquired character (caractère acquis) هي طبيعة خاصة تنشأ حين النمو في بنية النبات (مورفولوجيته) او في وظائف أعضائه (فسيولوجيته)

﴿ العُـرَيْـم ﴾ acervulus (acervule) هو كتلة أثـيثة على هيئة الوسادة تتركب من حوامل وغبيرات خارجية (٤) تنشأ عن بعض الفُـطْـر فتشاهد على قِـلْـف الشجر وأوراقه

﴿ الغُـبَـيْـرة الاضافية ﴾ accessory spore (spore accessoire) هي غبيرة من أصل لاشِقّـيّ أوهي غبيرة كونيدية من نوع يختلف عنها عادة

﴿ اللبيّ ﴾ acinaceous (acinaire) وصف للثمرة داخلها ممتلىء بزوراً كالبطيخة والعنبة والبرتقالة

﴿ المتجه الى القمّـة ﴾ acrodromous وصف لنظام عروق الورقه اذا اتجهت عروقها الرئيسية متوازية في غالبها ثم اتحدت في قمة الورقة كما في لسان الحمل (٥)

﴿ المتزايد ﴾ accrescent (accrescent) هو كل ما كبر وبقي حين نضج الثمرة كما حالة الـكأس (calyx) (٦) في زهرة الميلانورهيا (٧)

﴿ المخموش ﴾ aciculate (aciculé e, f.) هو كل ما في ظاهره خَـمْـش دقيق غير منتظم كالخمش بابرة

﴿ المسْـتَـنِـد ﴾ accumbent وصف يطلق على جنين البزرة حين تكون فلقتاه تستند أنساهما على الجذير كما في فلقتي الكُـرُنب (المَـلْـفـوف) والقُـنَّـبيط (القرنَـبيط) وغيرهما

(١) نبات اسمه العلمي anemone (٢) epidermis (٣) race

(٤) اصطلح الامير مصطفى الشهابي على تسمية conidium « بالغبيرة الخارجية » في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد تموز ـ آب سنة ١٩٣٢م) (٥) plantago (٦) ويقال للكأس «الكم» و«القنب» ولكن الكأس اصلح (٧) شجرة اسمها العلمي melanorrhaea تنبت في بلاد بورما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ سيفي الشكل ﴾ acinaciform (acinaciforme) هو ما كان في صورة السيف الأحدب اي معقوف وله سطحان منبسطان وحدّان احدهما مقعّر ثخين والآخر محدّب رفيع كالورقة من زهرة الجليد[١]

﴿ عادمة الغلاف ﴾ achlamydeous وصف للزهرة تكون ناقصة الغلاف [٢] اي فيها اجزاؤها الاساسية (الاسدية والمدقّات) دون وقاية من الكأس والتويج معاً كما في زهرة الصفصاف

﴿ عادم الرأس ﴾ acephalous (acéphale) وصف يطلق على قلم الزهرة اذا لم ينته بسمة واضحة كما في الفصيلة الشفوية (Labiatae)

﴿ عادم الفِلَق ﴾ acotyledonous (acotylédoné, e, f.) يطلق على جنين النباتات العليا اذا لم يشتمل على فِلَق كما في بزرة الكَشُوث [٣]

﴿ قمّي الثمر ﴾ acrocarpous هو ما نشأت ثماره في قمة ساقه او فرعه كما في الطحلب[٤]

﴿ قمي عضو التذكير ﴾[٥] acrandrous هو ما نشأت أوعية لقاحه (انثريدياته) [٦] في القمة من ساقه كما في بعض انواع حزاز الصخر[٧]

﴿ قمي عضو التأنيث ﴾ acrogynous هو ما له عضو بييضة (اركيجونيوم) [٨] أو اكثر في القمة من محوره

---

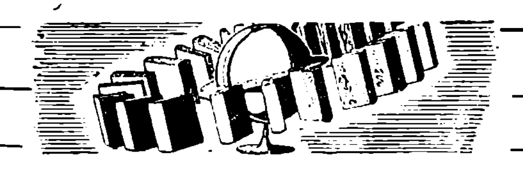
(١) هي المسمبريانثم المعروفة في سوريا «بالغاسول» واسمها العلمي Mesembryanthemum acinaciforme L. وبالانجليزية Hottentot fig (٢) اختار الدكتور امين باشا المعلوف كلمة «لفافة» بدلا من «غلاف» perianth في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد تموز وآب سنة ١٩٢٨م)

(٣) اسمه العلمي cuscuta ويقال له ايضاً «الزحموك» و«حماض الارنب» وهو المعروف في مصر (بالحامول) (٤) moss

(٥) أشار الامير مصطفى الشهابي في مجلة المجمع العلمي العربي (عدد أيار وحزيران سنة ١٩٤٢م) الى ما نبه اليه الدكتور أمين باشا المعلوف من أن الكش بمعنى androcée أي مجموع أعضاء التذكير ثم حبذ رأي الدكتور مستنداً الى ما جاء في المخصص وفي القاموس من أن «الكش الذي يلقح به النخل» الى ان قال اخيراً «قلت من الواضح ان المقصود عراجين الازهار الذكرية التي تقطع من الفحال وتحمل الى النخلة فينثر لقاحها على الازهار الانثوية في الطلعة» ولكني لا اميل الى رأي الامير الذي اورده لان العراجين شيء وعضو التذكير شيء ثان واللقاح شيء ثالث في الاصطلاح النباتي أفلا يرى الامير ان كلمة الكش أصلح لما يقابل pollen وهو اللقاح كما يفهم من عبارة المخصص والقاموس المذكورة آنفا . هذا وقد أقر مجمع فؤاد الاول للغة العربية كلمة «المئبر»

(٦) اختار الامير مصطفى الشهابي كلمة «وعاء النطفة النباتية» لما يقابل antheridium في مجلة المجمع العلمي العربي عدد تموز—آب سنة ١٩٣٢م) (٧) liver-wort (٨) archegonium

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

الكتاب الذهبي لمجلة الهلال

١٦٠ صفحة من القطع الكبير — مطبوعة بالروتوغرافور اجمل طبع

اذا ما ذكرت النهضة الفكرية الحديثة برز اسم المرحوم جرجي زيدان عَلَماً من أعلام الفكر وقائداً من قادة تلك النهضة، وبرزت آثاره العلمية والأدبية والتاريخية والقصصية دعائم ثابتة من دعائمها ، وفي مقدمة تلك الدعائم أثره الخالد « الهلال »

وكأن المرحوم مؤسس الهلال كان ينظر في سبتمبر سنة ١٨٩٢ بعين الغيب يوم ذكر في افتتاحية الجزء الأول من مجلته ان من أسباب تسميتها بالهلال تفاؤله « بنموّها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال»، وها هي ذي بعد نصف قرن من الزمان، ونصف قرن في حياة مجلة ليس بالأمر اليسير ، تبلغ المدى الذي كان يتطلع اليه بصر جرجي زيدان وتدركه بصيرته

ولقد صدق المرحوم داود بركات يوم قال « جرجي زيدان يبتدىء فضله بأنهُ علّم نفسهُ ، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخم ويسمو بأنهُ كان في مدى حياته كلها معلّماً لغيره ، ويوم هذا الفضل غير منتهٍ الى حدّ ولا منقطع الى مدى بهلاله» . فان آثار هذا العالم منهل عذب لورّاد الثقافة في فروع شتى

ولقد شاء نجلاه الفاضلان الحاملان علمه ، والحريصان على اداء رسالته ، المتكفلان بصدق نبوءته وتفاؤله ، أن يجعلا من عيد الهلال الخمسيني بدراً كاملاً ، فأخرجا هذا العدد الممتاز في بحوثه وفي صوره وفي ورقه وفي جمال طباعته التي عرفت بها دار الهلال ، فكان ذلك بعثاً لذكريات مجيدة طوت السنين لتعود بالذهن الى التأمّل في المجهود العظيم الذي بذلهُ والدهما وخلفه لهمتهما فلم يقصرا في هذا الواجب . ولولا حالة الحرب القائمة لوجب الاهتمام بالاحتفال بانقضاء نصف قرن على الهلال، احتفالاً فخماً يتحلى فيه تقدير الشعوب العربية للعاملين

ولقد حفل هذا الكتاب الذهبي الى جانب الصور الرائعة التي حلّيت بها صفحاته وفي مقدمتها صور صاحبي الجلالة ملك مصر وملكتها ، بآثار وبحوث نفيسة لطائفة من رجالات مصر البارزين تناولوا فيها تطور مصر في خمسين سنة في نواحي الحياة المختلفة كالحياة السياسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والجيش المصري والنهضة النسائية والحياة الاقتصادية والتقدم الصناعي والتطور الزراعي والقضاء والمحاماة والدين ورجاله والنهضة الطبية والتطور الخلقي والتربية والتعليم والأدب وأطوار الصحافة والهندسة والعمران والاكتشافات الاسلامية والفرعونية والتمثيل العربي والفنون الجميلة . كما ضمت مباحث عربية وغربية عن الماضي والمستقبل لطائفة من كبار المفكرين في مصر والأقطار الشرقية الشقيقة ثم ختمت بفصول طيبة تناول فيها كاتبوها ذكرياتهم عن الهلال وداره في خمسين سنة . ومن يطالع هذه البحوث يدرك مدى ما وفق اليه الاستاذان اميل وشكري زيدان في اخراج هذا الكتاب الحافل بخلاصة نفيسة لآراء طائفة من المفكرين والزعماء ، وحبذا الحال لو ضم هذا الكتاب الى بحوثه بحثاً في تطوّر العلم في مصر في الخمسين السنة الماضية كما تناولت البحوث الأخرى شتى أبواب المعرفة والعمران

ولعلّ جهد صاحبي الهلال الماضلين يتناول في القريب إخراج آثار والدهما جميعها من جديد ليتيسر للجيل الحاضر الحصول عليها والارتشاف من مناهلها

✿

أعاصير مغرب

نظم الاستاذ عباس محمود العقاد

الشعر الصادق مادة فن ومادة حياة في آن ، والذين يعنون بتسجيل أطوار النفس الانسانية عامة ونفس العقاد الإنسان والفنان خاصة ، لا بد لهم من قراءة هذا الديوان ، ليروا طوراً جديداً من أطوار هذه النفس ، ويسمعوا لحناً جديداً من ألحان ذلك الوتر . وقد انفسحت نفس العقاد في تاريخه الفني لعديد من الألوان والألحان

وقارئ هذا الشعر الجديد قد لا يجد فيه فورة الحماسة ، ولا وهلة المفاجأة ، ولا حرارة الاندفاع ، وقد يجد في مكانها سخرية المعرفة ، واستخفاف التجريب ، وابتسامة الرثاء ، ولكنهُ سيحس كذلك رجفة الاعصار وراء السكون الموهوم ، وثورة العاصفة تكاد تفلت من الزمام ، وسيلمح الأسى الدفين يغشى ابتسامة الرضى فوق ذلك الجبين ! ثم يجد بين هذا كله عقاداً آخر فيه من العقاد الذي يعرفهُ من قبل مشابه وسمات ، ولكن بينهُ وبينهُ كذلك فروقا واختلافات !

ان العقاد الذي يعرفهُ قارىء الشعر هو الذي كان يقول في « أشجان الليل »

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى	وارتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسما مستباحاً وطالما	لقيتك جم الخوف جم التردد ؟
رويدك اني لا أراك مليئة	بلذة جثمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعثرة	ترد مهاد الصفو غير ممهد
اذا لم يكن بد من الحان والطلى	ففي غير بيت كان بالامس مسجدي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اما عقاد اليوم فيقول في « أعاصير مغرب »

أأهواك جسماً علا وانفرد وفتنة حسنك هذا الجسد
وما فيه من نزوة لا تحد
بنيــة كوني كما قد خلقت فأنت كما شاءك الله أنت
وما شئته أنا حلم الابد

والمسافة بين هذا النبض الانساني وذاك هي مسافة التطور في نفس العقاد ونظرته للاشياء . وهي مسافة مطردة ونظرة شاملة في الديوان

قل : انها المعرفة تلك « القمة الباردة » التي تتكشف امامها منحنيات الطريق ، فتبطل الحماسة لكل طريق ، والتي تستوي عندها جميع الحالات فكل الأضداد « سيان » كما يقول في إحدى قصائده ، وكل ما كان يستهول ويثير العجب إنما هو « قريب قريب »

عجبنا زماناً لهذي الحروب وما في الحروب لعمري عجيب
أتعجب من ان قوماً تمو ت ومن انقوماً قساة القلوب ؟
وما قسوة الناس بدع ولا أرى موتهم بالجديد المريب
فهذي هي الحرب يا صاحبي كلا طرفيها قريب قريب

أو قل : إنها التجربة تنتهي بقبول الدنيا على علاتها ، والتفرقة بين الموجود والموعود بين خلقة الطبيعة و « حلم الأبد » والرضى بالمتاع المتاح الذي إن ذهب لا يعود ، وإن رفض لم تحفل الدنيا ولم تعاود رافضه عما يريد :

يا قلب انك قد اردت فأين ويحك ماتريد ؟
عام سعيد ! اي وربــك قل اذن عام سعيد
هبك اعتزلت سروره أتراه ينقص او يزيد ؟

أو قل : إنهُ الشعور بجسامة الجهد في الاختيار والانتقاء ، وتفاهة الصيد بعد الكد والجهاد :

خذ معدن الحب ان ألفيت معدنه اني قنعت بومض منه غرار
ما للأناسي من حب يدوم ولا حب يقوم على صدق وايثار

أو قل : إنهُ الانطلاق من كل قيد وسمت . انطلاق عابد الصنم تتكشف له السخرية الكبرى في النهاية ، فيحطم الصنم في استهتار وسخرية :

دعيها تفسد الخمسـ ين افساد ابن عشرينا !

ولكن النفس الانسانية كثيرة الدروب والمنحنيات ، وجذوة الحياة فيها لا تلبث أن تشع تحت الرماد ، وقد كان العقاد خليقاً بعد المعرفة والاختبار ، أن يهدأ ويستريح ، وان يأخذ الحياة كما هي ، بلا أسف ولا صراع ، لولا ان قلبه لم يبرد ولولا أن عاطفته في اضطرام . وإن الجذوة الكامنة لتزفر بالشواظ والدخان ، وإنك لواجد من هذه الزفرات كثيراً في الديوان ، وان هذه الأشجان لتبلغ ذروتها حين تصبح اللذة المشوبة بالاكدار أقوى في النفس من الارادة ، ويصبح انتزاعها عملية بتر ، لا تستطاع اليوم كما كانت من قبل تستطاع

أتراني نافعي والقلب دام وسعار الجرح يمشي في عظامي
لذة العين بوشي ونظام وامتلاء الانف من عطر شذاها ؟

***

آه من برئي وآه من سقامي آه من صاحي وآه من خصامي
آه من شمسي وآه من ظلامي آه من لذعة آه ، في جواها

***

لذعة النيران ينفثن دخانا ليضيء اللهب الخافي عيانا
لهباً صرفاً تعالى وتدانى من قرار النفس يرتاد ذراها

ولقد تجد لهذه الجذوة حين تصفو سنىً واشراقاً وتسمع لتلك النفس حين تشرق وسوسة وغناءً ، وتلمح حينئذٍ نفحات من شعر الأربعين ! ، ولكنك — مع هذا — تلمح الأسى الشفيف يغشى السنى والغناء ، وما يلبث الصفاء أن يغيم ، وما تلبث حتى تسمع مثل هذه النغمة المريرة :

بنيته يا حسنه يا سناه ! بنيته : قبر الهوى في صباه
قبر الهوى الغالي وواحسرتاه قبر الهوى الذاهب في منتهاه
أبعد خمسين هوى يا حزين ؟

تلك هي أعاصير الغروب في قلب إنساني رحيب

ويختلف الطابع الفني لشعر هذا الديوان كما يختلف طابعه الانساني ، عما قبله من الدواوين . واذا كانت السمة الغالبة في الاجزاء الأربعة الأولى هي فخامة الايقاع والرنين ، وفي « وحي الأربعين » هي الدقة والصرامة ، وفي « هدية الكروان » هي الرفرفة والغناء ، وفي « عابر سبيل » هي الوضوح والبساطة . فان السمة الغالبة هنا هي الترخص في جميع القيود سواء في الشعور أو في التعبير ، وهي الموسيقى المرسلة بلا تنغيم ولا تقسيم ، وهي الالفة المتبسطة بلا كلفة ولا مراسيم

وربما كانت الخصائص التي ذكرناها آنفاً والسمات التي نذكرها هنا أوضح شيء في الفصول الموسومة باسم « في النفس » و « في العالم » و « هنا وهناك » . أما الفصلان الموسومان باسم « في مصر » و « في عالم الذكرى » واللذان يحويان قصائد في الأحداث المصرية وفي رثاء بعض الصحاب ، فربما وجدا مكانهما في غير هذا الديوان من الدواوين الأولى

والفراغ المخصص لهذه الكلمة لا يتسع للحديث المفصل عن فصول الديوان جميعاً ولكن هذا لا يمنعني من أن أنوه بقصائد الرثاء ، وان أضع في مقدمتها رثاء كلبه « بيجو » فدلالتها على النبع الانساني العظيم في نفسه دلالة لا تزاحمها فيها قصائد الديوان جميعاً

ومقدمة الديوان في ذاتها فصل من أبرع فصول العقاد ، وموضوعها من الخصوبة والجدة بحيث يصلح مادة بحث مستقل في مقال خاص

وعلى أية حال فلن يكون ظهور ديوان للعقاد الا كسباً للفن الأدبي وكسباً للشعور الانساني ، مهما اختلفت في تقديره الآراء

سيد قطب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« أخواتي »

للسيدة أمي خير — القاهرة ١٩٤٢

ما نظن اسم السيدة آمي خير بمجهول لدى قراء « المقتطف » . فقد سبق لنا أن وصفنا قصة لها طويلة تجري حوادثها في دمشق . ونشرنا لها شعراً مترجماً وفصلاً غزيراً في « ميّ »

وهذه ثلاث قصص متلاحقات في كتاب واحد عرضت المؤلفة فيهما على التتالي ثلاث نساء شرقيات عدّتهنَّ « اخوات » لها من باب الانعطاف والاستئناس . وهذه النساء الثلاث على تباين مللهنَّ واختلاف تنشئتهنَّ يلتقينَ في صعيد واحد هو الجو الشرقي التقليدي سواء في جانب الشعور أو جانب الارادة

وسياق القصص واقعي يغلب عليهِ التحليل المدقق والوصف المليح للتفاصيل، مع طفرات شعرية ووثبات وجدانية جديرة بمؤلفة لطيفة الحس تريد أن تدعوك الى مشاركتها في الانعطاف والاستئناس

وأما التعبير فباشر لا يميل الى مداورة ولا مكاشفة، وهو في الجملة مرصوف على ما يتوارد فيهِ من الجمل المطروقة في الأدب الفرنسي . والكتاب في النهاية جذاب رشيق هين المدخل ب .

*

« بنت الشيطان »

لمحمود تيمور — نقلها الى الفرنسية جاستون فييت — القاهرة ١٩٤٢

يخيل الينا أن أدبنا الحديث أصبح يطالب بالدخول في دائرة الأدب العالمي . وهو في أخريات عهدنا يتطلع حقّـاً الى البروز فالارتقاء . ولعلَّ في كتابنا — وهم نفر قليل — من يطرح الشهرة المحلية ليتلمس مكانة أبعد بسطة في الأرض . من هنا ظفر بعض المؤلفات بالترجمة . ومن آخر ما ترجم مجموعة أقاصيص لصديقنا الأستاذ محمود تيمور الذي يمثل عندنا طريقة من طرائق الكتابة القصصية . والذي أقبل على الترجمة هو الأستاذ المستشرق الكبير جاستون ڤييت وهو الذي ترجم من قبل « يوميات نائب في الأرياف » لتوفيق الحكيم. وأقاصيص تيمور هذه بين الواقعية والتخيلية الا ّ انها كلها على محمود واحد في حسن السبك. والحق ان محمود تيمور يعرف كيف يدخل في القصة وكيف يخرج منها، فقد انقادت له

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أسبابها . وترجمة الأستاذ ڤييت على حلاوة ورشاقة ، وفيها جهد موفَّق لنقل الجو الشرقي والابقاء على نغمة التعبير العربي ما وسعت الفرنسية ذلك . والكتاب من خيرات المكتبتين العربية والفرنسية ب .

*

المجنون

للكاتب التركي رفيق خالد . تعريب سامي الكيالي — حلب ١٩٤٢

إن ذهاب النظام التركي القديم — بل قل العتيق — من أشد الانقلابات التاريخية خطراً ومن أبعدها أثراً وأعلاها شأناً . ومثل هذا الانقلاب العنيف لا يقع وقوع الامر الهين في أمة درجت على تقاليد راسخة واطمأنت الى نظم عاتية . وكان لا بدَّ للأدب أن يسجل مظهر اختلال التوازن الناشىء عن تفكك المعتقَد وانحلال الثابت . وهذا الشاعر التركي الشهير رفيق خالد يؤلف مسرحية « المجنون » يستعرض فيها من طريق غير مباشر مراحل التقدم التي قطعتها تركيا في سنوات معدودات . وقد استنبط لذلك حادثة طريفة إذ أقام الموضوع على استفاقة رجل تركي كبير من حالة جنونية ابتدأت قبل « اعلان الدستور » بيومين ودامت احدى وعشرين سنة . ومعنى هذا ان المسكين ظل بعيد الذهن عما خرجت منه تركيا من الأوضاع البالية

وللمؤلف بعد ذلك أن يفاجىء المسكين بأطوار من الحضارة الحديثة واحوال من السياسة الجديدة تتركه حيران مغلوباً على رأيهِ كأنه لا يزال يعاني جنونهُ . وفي كل ذلك لفتات حسنة واشارات بليغة تتصل بالحياة الاجتماعية

والحوار حي دفّاق ، والحوادث واقعية متلاحقة على وفرتها ، والذوق المسرحي سليم على بساطتهِ

وانا لنشكر لزميلنا الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة « الحديث » الحلبية اتحافه القراء بهذه المسرحية النفيسة ولا نريد ان نقف فضله على حسن الترجمة ودقة النقل ورشاقة التعبير، فما هذا بغريب ولا هو بعزيز على قلمه . ولكننا نرى فضله في تزويد المكتبة العربية بدرة من درر الأدب التركي ، وهو أدب يحسن بنا أن نطلع على مستحدثاته ولاسيما انهُ آخذ في طريق جديدة المعالم . ومن يمكّننا من هذا غير كاتب عربي قدير محكم للغة التركية رضع أصولها وهو طفل وتفقه فيها وهو فتىً وكهل ب .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدين الاسلامي

The Religion of Islam

للدكتور احمد غلوش — طبعته مجلة الازهر بالانكليزية — مطبعة الرغائب في ٢١٦ صفحة من القطع الكبير

هذا الكتاب مختصر لحياة النبي عليهِ السلام وتفصيل دقيق للديانة الأسلامية . دَفَعَ الدكتور احمد غلوش الى كتابته بالانكليزية أن بعض كتاب الانكليز أو غيرهم ممن تناولوا مسائل الاسلام أخذوا معارفهم من مصادر غير أمينة ، أو —كما يقول في مقدمته — حابوا دياناتهم على حساب الاسلام ، مما نقلهم من مؤرخين أمناءَ الى نقدة مضطغنين

ولما كان تاريخ العرب في الجاهلية متصلاً أوثق اتصال بحياة النبي العربي وبنشوء الاسلام وانتشاره فقد اختصَّ المؤلف القسم الاول من كتابه بتلخيص تاريخ العرب وحياتهم الاجتماعية والخلقية والدينية والسياسية قبل الاسلام . ولقد تمنى المؤلف في ختام مقدمته أن يكون هذا الكتاب سفيراً لحسن التفاهم ورسولاً للاماني الطيبة بين المسلمين وأهل الاديان الاخرى

وأول فصول الكتاب فصل تمهيدي عن التعصب الديني وأثره في تغيير الحقائق التاريخية، استشهد فيه المؤلف بكلام للعلامة « رولاند » عن كتابة بعض الكتاب المسيحيين الذين لم يحسنوا عرض العقيدة الاسلامية.وهنا يقتبس المؤلف كثيراً من عبارات« بوسورث سميث» استاذ التاريخ المساعد في كلية « هارو » الانكليزية ومؤلف كتاب «محمد والاسلام » . وهي عبارات تدل على إنصاف هذا المؤرخ وبعده عن التعصب ، وفيها كثير من الصدق الذي يجب أن يكون رائد المؤرخ وخاصة فيما يتعلق بمسائل الأديان . والكتاب ثلاثة أبواب : —

الباب الأول في تاريخ العرب قبل الاسلام ودياناتهم ومعارفهم وأخلاقهم ولغتهم ومقدرتهم في الخطابة ، وأسواقهم الأدبية ، ومكة ومقامها التجاري والديني وولاية البيت وسقاية الحجيج وسدانة الكعبة ، والمعلقات السبع — وهنا كنا ننتظر من المؤلف أن يطيل الحديث قليلاً عن المعلقات وعن الآراء المختلفة في تسميتها وعن الخلاف في عددها

والباب الثاني في حياة النبي ومولده واشتغاله بالتجارة مع السيدة خديجة التي تزوجها ، وهو زواج على الرغم من تفاوت السن بين الزوجين كان موفقاً سعيداً . فقد وقفت السيدة خديجة الى جانب النبي في أحرج المواقف وأعصب الاوقات . وهنا يحلو المؤلف في تفصيل جميل العلاقة الطيبة بين النبي وزوجته ، ويصور رحمته ، عليهِ السلام وعطفه وبره بأهلهِ ولطف معاملته لمولاه زيد بن حارثة

ويلي ذلك فصل عن الوحي وآخر عن البعثة ورابع عن الأصنام التي كان يقدسها العرب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وما جرى خلال ذلك من أحداث في مكة . ويليه فصل خامس عن النبي في المدينة . وسادس عن صلح الحديبية. وسابع عن غزوة فتح مكة ، وهو فصل يطول فيه الحديث عن حوادث الفتح حتى وفاة النبي . والفصل الثامن عن صفات النبي وأخلاقه الشخصية وبساطته وتواضعه وشفقته وصبره وانكاره للذات وكرمه وكريم صحبته وعدله وحسن معاملته لأسرته . وهي صفات ظهرت في النبي منذ حداثته كما أشار الى ذلك « السير وليام ميور » في كتابه عن حياة النبي . وفي هذا المقام من الكلام يدحض المؤلف قول من يتهمون النبي بميله الى تعدد الزوجات ، ويرد على السير وليام ميور في هذه المسألة مذكراً هذا المؤرخ الكبير بأن اتهامه للنبي بهذه التهمة لا يتفق مع شهادته له بالعفة والطهر والفضيلة في ريعان شبابه

والفصل التاسع يتناول مقاصد النبي وأغراض رسالته ، وهنا يذكر المؤلف أسئلة وضعها وأجاب عنها «واشنجتون أرفنج» في كتابه حياة محمد: — هل كان النبي ينشد المال والثراء؟ لقد وجد في مال السيدة خديجة الكفاية والغناء . هل كان يسعى الى الشرف والجاه ؟ لقد كان في شرف نسبه وذكائه واستقامته ما مكن له السيادة . هل كان يسعى الى القوة ؟ لقد كانت سدانة الكعبة وولاية البيت في أهله الأدنين من زمن بعيد ، ولقد كان من الممكن ان تعينه حاله على التطلع الى ذلك ، ولكن محاولته هدم دين آبائه تقضي على كل أمل

اذن لماذا ثابر على دعوته ولماذا لقي في سبيلها نصباً ؟ ولماذا هاجر الى المدينة بعد ثلاثة عشر عاماً من بعثته ؟ ولماذا ترك التجارة الرابحة وآثر عليها الجهاد المصحوب بالكفاف من العيش؟ ألم تكن كل فكرته ان يبني في المدينة مسجداً يؤسس على التقوى ؟ ألم يكن كل أمله ان يخطب الناس من فوق هذا المنبر وهو في مأمن من الخوف ؟ ألم يكن الايمان بالله والثقة فيه هي كل سلوته ومساعدته في وقت المحنة وساعة القنوط حتى حين أدركته الوفاة ، وهي اللحظة التي تضيع فيها أغراض الدنيا وخدع الحياة ؟

وفي الفصل العاشر رد على هجمات المغرضين على حياة النبي الخاصة ، فلم يكن محمد شهوانيًّا كما يدعون ، وانما رمى بكثرة الزوجات الى تكثير العصبية وشد الأزر وإحكام الصلات حتى يقوى على نشر دعوته وانتشار كلمته . ويلي ذلك فصول عن التغييرات التي أحدثها الاسلام في حياة العرب السياسية (ص٧٨) ونظام الاسلام الاجتماعي (ص ٨١)، ودحض بعض المفتريات على الاسلام ص ٨٣ ، وتعدد الزوجات في الاسلام وكونه ليس واجباً ولا ضروريًّا (ص ٩٠) وانهُ لا يجوز الا في بعض الأحوال كما اذا قل عدد الرجال وزاد عدد النساء إثر حرب طاحنة كما حدث في الحرب الماضية . أما اذا لم تدعُ الى التعدد ضرورة ولم تقض به حاجة فليس له محل(ص ٩٣)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد أحسن المؤلف في الفصل الذي كتبهُ عن مقام المرأة في الاسلام (ص ٩٧)، وعن الغاية من الزواج (ص ١٠٢) فليس هو لمجرد الشهوة أو لدنيا يصيبها الرجل من زوجته ولكنه للحصانة والعفة. وعن اعطاء الرجل حق الطلاق وتقييده حتى لا يستعملهُ لأتفه الاسباب (ص ١٠٧). فالطلاق في الاسلام لا يصح أن يلجأ اليهِ الرجل إلاَّ في حالة الضرورة الملحَّة حينما تخفق جميع وسائل الاصلاح بين الزوجين (ص١١٢) كما قال تعالى (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهلهِ وحكماً من أهلها) وقوله (وان يتفرقا يُغنِ الله كلاًّ من سعتهِ) وقوله عليه السلام (أبغض الحلال الى الله الطلاق)

وآخر الفصول في هذا الباب عن اهتمام الاسلام بعفة المرأة وقد نقل المؤلف آيات من القرآن مترجمة مثل قوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضنَ من أبصارهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ ولايُبدينَ زينتهنَّ إلاَّ ما ظهرمنها) سورة النور الآية ٣١

أما الباب الثالث من الكتاب فهو يتناول قواعد الاسلام والايمان بالله وملائكته وكتبه ورسلهِ واليوم الآخر والقضاء والقدر ومسائل كثيرة من علم التوحيد وفصلاً عن القرآن وفيهِ كلام عن السيد المسيح عليهِ السلام وعن تبشير الكتب المقدسة برسالة النبي محمد

والحق ان الدكتور غلوش قد وفق كل التوفيق في تحقيق غرضه من تأليف الكتاب، فقد أحسن الدفاع عن الاسلام في رفق ولين، كما أحسن العرض في صدق وتحقيق. فلم يحاب المسلمين — وهو من أشدهم ايماناً — ولم يهاجم غيرهم لانهُ لم يرُم في كتابه ان يكون مهاجماً أو محابياً، ولكن شارحاً ومحامياً

والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف كثيرة ما بين عربي وانكليزي وما بين كتاب ومجلة موثوق بها معتمد عليها. ولغة المؤلف الانكليزية جيدة في سهولة. ويكفي للدلالة على ذلك شهادة مستر براكنبري والمستر ووكر المفتش بالمعارف وغيرهم

ولقد كان المؤلف دقيقاً كل الدقة في بحثه فهو لا يتكلم الاّ عن وثوق ولا يحتج الاّ بعد تثبت ولا يروي الاّ بعد تمحيص. اللهمَّ الاّ خبراً واحداً لم أجد له ثانياً وهو ذكره أن أولاد النبي عليهِ السلام من السيدة خديجة سبعة (ص ٣٠) والحق أنهم ستة، أما السابع فهو ابراهيم وهو ولده من مارية القبطية (راجع ابن هشام والسيرة الحلبية ومحمد لرضا والاعلام للزركلي)

ولقد أحسن فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي كما أحسنت مجلة الأزهر في المعاونة على اخراج هذا الكتاب الذي نرجو أن يكون هادياً للمستشرقين والباحثين في مسائل الأديان خاصةً، وغير المسلمين عامة على ان يفهموا الاسلام على حقيقته — في هذا العصر عصر الحرية الفكرية — كما يفهمهُ المسلم المعتدل الرأي الحسن البصيرة والفهم

محمد عبد الغني حسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موكب الحياة

« ثمان وثلاثون قصة من الآداب العالمية » هدية « المقتطف » السنوية لعام ١٩٤٢

يحتوي هـذا الكتاب طائفة مختارة من القصص العميقة الأثر القوية المغزى البديعة التحليل بعضها مترجم عن بعض كبار الأدباء والقصـاصين في الآداب الأوروبية . والبعض الآخر وضعهُ أو ألفهُ طائفة من أدباء العربية وكتابها الموهوبين . ولقد أحسن «المقتطف» بجمع هـذه القصص مما نشر في سنيه السابقة . ودلّ عمله هذا على براعة وتقـدير . فليس من شك في أن الأدب القصصي يتناول الحياة على انهـا ميدانه الرحب . والقصص العميقة الأثر ما تلمس الحياة في صميمها ولا تقتصر على هامشها . والقصصي البارع من يتناول الحياة ليعرضهـا أمامنا من خلال مزاجه الخـاص . وعلى قدر نصيبهِ من عمق الاحساس وتفننه في العرض يقوم فنه . فليس الفن سواءٌ كان واقعيًّـا أو غير واقعي بقطعة من الحياة مجردة . ولا هو يقصـد بهِ ناحية خاصة في الأثر الخلقي أو الاجتماعي أو حتى الاصلاح الاجتماعي بوجهٍ عام . فالكاتب والقصاص اذا كان موضوعهما الحياة كما هي — لا كما يجب أن تكون — يجب ألاّ يقيّـدا في نظرتهما الى الحياة . وكذلك الفنان يجب ألاّ يقيد في فنهِ . والفنان اذا خضع لشخصية المصلح فسينتهي الرأي الى الفـكر لا الى الفن . فتنشط الأخيلة الفكرية وتتضاءل بجانبها الدوافع النفسية أو الحقائق الانسانية . ففولتير وراسين واناتول فرانس وتشوسر وشاكسبير لا نستطيع تصورهم مصلحين أو واعظين في أثواب فنانين لأننا بهذا نكون قد حددنا وضيقنا نظراتهم الى الحياة . ولو تصوّرناهم كذلك لكنا نراهم يعبثون بشخوصهم لأداء رسالتهم في الاصلاح الذي يطلبون ولـكانت صوراً خاصة لابطالهم لا تتفق ومنحاهم الفني . ولـكن هؤلاءِ الفنانين كانوا غير هذا كله . كانوا الحياة بسموها وضعتها بظلمها وعدلها بقوتها وضعفها ، الحياة بما احتوته من سخرية وعبث ومن حب ورجاء

هذه القصص التي نحن بصددها مختلفة القالب . فكتابها قد اختاروا المنحى الذي يناسب مايودون إحداثه من أثر في أذهان القراء فهناك قصص يساير أسلوبها حركة العاطفة أو الحادثة أو الشخصية . وهنالك قصص تستعين بالتعبير الموسيقي فتبدأ بالاصوات الخافتة وتنتهي بالرنين العالي . وبعض هذه القصص تجلت فيهِ اللمسات المحكمة الدقيقة التي لا تكاد تراها العين . وانما يحسها القلب وهي اذا تجمعت أخرجت الأثر الفني القوي دون الحاجة الى الوصف الممل . وبعضها الآخر ينحو بالقارىء الى الاهتمام بالفكر وتحليل العاطفة . حقـًّا لقد أصبح لدينا في الأدب العربي ما عرفناه وقرأناه في الأدب الانكليزي المعاصر من القصص العالمية الممتعة التي جمعها وبوّبها مكسيم ليبر ووليز في كتابهما وهذا ما قد حققه المقتطف في « موكب الحياة »

حليم متري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



حشرة « نغف جلد البقرة Hypoderma bovis »

تسبب لمصر خسارة نصف مليون جنيه سنوياً

بحث للدكتور أنيس بطرس

شكت وزارة التجارة والصناعة كثيراً تلفَ جلود الابقار المصرية باصابتها بثقوب تحدثها يرقات هذه الحشرة في الحيوان وهو حيٌّ ، فأجرى الدكتور انيس بطرس الطبيب البيطري بحثاً في هذا الموضوع الاقتصادي تحت اشراف الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك نال عليه درجة ماجستير في علم الطفيليات

وبمناسبة موسم ظهور الاصابة في الماشية الآن وهو الوقت الممكن مقاومتها فيه ارسل الينا ملخصاً لجزء من الرسالة يهم الجمهور

فالحشرة ذبابة كبيرة برتقالية تهاجم الابقار في مصر لتضع بيضها وتلصقهُ على شعر قوائمها في أشهر مارس وابريل ومايو — ثم يفقس البيض بعد ٣ أيام الى ٦ أيام عن يرقة صغيرة جدًّا تخترق جلد الحيوان مباشرة وتصل الى اعضائه الداخلية وتدور دورتها فيه مدة ٦ أشهر ثم تستقر تحت جلد ظهره حيث تعمل ثقباً كبيراً لتتنفس منهُ اذ يكون طولها أصبح حوالي سنتمترين وقطرها ٢ر١ السنتمتر وتعيش تحته لا تتحرك حوالي ٣ أشهر من نوفمبر الى نهاية فبراير ، ومتوسط عدد هذه اليرقات هو ٢٠ ويصل احياناً الى ٧٠ يرقة منتشرة على هيئة خراجات تبدو على ظهور الابقار المصرية وتخرج اليرقة من الثقب وتسقط على الارض مكونة عذراء ثم تفقس وتخرج منها الذبابة وهكذا

وقد وجد ان ٨ ./. من الابقار المصرية تصاب كل سنة بهذه اليرقات ، ويكثر انتشار هذه الحشرة من وسط الدلتا الى اسيوط ويقل في شمال الدلتا الرطب وفي الجهات الحارة من الوجه القبلي

وأهم أضرار هذه الحشرة هي الثقوب التي تحدثها يرقاتها في جلد ظهر الابقار وهو الجزء المفضل من الجلد للصناعة فيقل ثمنه ٥٠ ./. — وقد اتضح ان ٤٠ ./. من جلود الابقار الموجودة بالمدابغ المصرية مصابة (فبعضها مصاب بثقوب حديثة واخرى نتيجة اصابة الحيوان بها في الاعوام السابقة لذبحه)

ويؤثر مرور اليرقات داخل جسم الحيوان ونخاعه الشوكي في أعصابه فيقل مقدار اللبن الذي تفرزه الأناث بمقدار ٢٠ ./. وينقص

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وزنهُ ١٠ ٪ عن وزنه الطبيعي

وقد أجريت احصائيات دلت على ان ما تخسره مصر في الجلود والألبان واللحوم بسبب هذه الحشرة يبلغ نصف مليون جنيه سنويًّا تقريباً

وقد اهتمت الدول الأوربية والأميركية التي توجد هذه الحشرة في بلادها اهتماماً كبيراً بمقاومتها ، فلو وجهنا في مصر عنايتنا الى مقاومتها لأضفنا هذا المبلغ الكبير الى ثروة البلاد ، وان أفعل الطرق وأبسطها لذلك هي :

(١) اخراج اليرقات من الثقوب بضغط الاورام بين أصابع الأيدي ثم اعدامها في خلال أشهر ديسمبر وينابر وفبراير

(٢) اعدام اليرقات داخل الثقوب بمحلول الدريس Derris Solution الذي يساعد أيضاً على طردها والتئام الثقب بسرعة

(٣) وقد وجدت ان أفضل طريقة لوقاية الحيوان هي تطميره جيداً يوميًّا أو كل يومين خلال أشهر مارس وابريل ومايو لازالة البيض الذي قد تكون وضعته الذبابة على الشعر

وتصيب هذه الحشرة أحياناً الاشخاص المخالطين للمواشي فتخترق يرقاتها جلدهم فتصل الى النخاع الشوكي وتسبب لهم شلل النصف الأسفل ، أو تخترق كرة العين فتفقدهم البصر

*

القوة الجوية والهجوم على المانيا

هذا بحث في الهجوم الجوي على المانيا من ناحيته الفنية ولا صلة له بالسياسة الحربية العليا لان قواعد هذه السياسة من أسرار الهيئات المشرفة على ادارة الحرب في الدول المتحدة

ان خبراء الحرب حيال القوة الجوية واستعمالها فريقان بوجه عام . أحدهما وفي طليعته الماجور ده سفرسكي الروسي الأصل الاميركي الرعية الآن ، ويذهب الى ان الهجوم الجوي على نطاق واسع وبقوة عظيمة كافٍ لاصماء المانيا . وقد كتب غير مقال واحد من هذا الموضوع في المجلات الاميركية المحترمة مثل مجلة الاتلانتيك ومركوري ووضع من أشهر كتاباً شاملاً عنوانهُ « النصر عن طريق القوة الجوية » بسط فيه رأيه بسطاً مفصلا شافياً . ويجاريه في هذا الرأي غير واحد من خبراء الطيران

أما الفريق الآخر فيذهب الى ان الهجوم الجوي لا يكفي وحده لادراك هذا الغرض وانهُ مع ذلك لا غنى عنه في التمهيد لغزو القارة الاوربية بعد شل الصناعات الحربية الالمانية وتمزيق أوصال أسباب النقل على بر القارة ثم تصحب أساطيل الهواء الجيوش الغازية

والواقع ان الحكم في هل يمكن قهر المانيا بالهجوم الجوي دون غيره متعذر الآن لان الهجوم الجوي على النطاق الذي يقترحه رجال الفريق الأول لم يجرب بعد . والقول بأن سلاح الطيران الالماني قد جرب الأسلوب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأول وأخفق لا يدل الاّ على ان سلاح الطيران الالماني لم يكن متأهباً ولا قادراً حينئذٍ على الهجوم على بريطانيا بقوة وافية

واننا لا نعلم طبعاً ما رأي المشرفين على الخطط الحربية العليا وهل يميلون الى هذا الرأي أو ذاك ولكن خبراء الطيران يؤكدون ان سلاحي الطيران البريطاني والاميركي يملكان وصناعتي الطيران البريطانية والاميركية تخرجان الطائرات اللازمة لهذا الهجوم سواء في ذلك أصناف الطائرات الضخمة والأعداد اللازمة لتعويض ما يفقد منها . ويضيفون الى ما تقدم ان في الوسع الآن أو في المستقبل القريب توجيه غارات جوية كبيرة متواصلة أو في حكم المتواصلة الى اهداف الصناعات والمواصلات في المانيا

والغرض الرئيسي طبعاً هو تدمير ذلك الجانب من النشاط الحربي في اوربا النازية الذي لا بد منهُ ولا غنى عنه للقوات المدرعة ولقوات المدفعية التي تستطيع ان تقاوم غزو القارة الاوربية . فاذا دمر تعذر على المانيا تعويضهُ فتعجز حينئذٍ المصانع عن الانتاج الوافي وأسباب المواصلات عن النهوض بالنقل الحربي اللازم . والغرض الثاني هو حمل العمال على الكف عن الاشتغال في المصانع وطرق المواصلات أو خفض عددهم الى ادنى حد مستطاع

وقد تمكن الخبراء من استخراج « عامل المقاومة » في كل منطقة صناعية . فاذا كان الهجوم أقوى وأشد من عامل المقاومة — كما كان الشأن في الهجوم على مدينة كولون بأكثر من ألف قاذفة مثلاً — زالت تلك المنطقة من حساب الانتاج الصناعي الحربي أو أصيبت اصابة تشلها عن الانتاج أمداً طويلاً . واذا كان الهجوم أضعف من عامل المقاومة أصيبت المنطقة اصابة متفاوتة القدر ولكنها مع ذلك تستطيع ان تضمد جراحها وتستأنف الانتاج كما حصل في غير مدينة واحدة في بريطانيا والمانيا . فالهجوم الجوي إذاً يقاس بمقدار ما يلقى على الهدف من أطنان القنابل واستمرار هذا الالقاء والعدد اللازم من القاذفات له وعدد رجالها والقنابل وانواعها ومقادير الوقود وغيرها. وهذه جميعاً يستطاع تقديرها تقديراً على جانب وافر من الدقة، وعلى أساس هذا التقدير يذهب رجال الفريق الاول أو بعضهم على الاقل إلى ان اصماء المانيا بهجوم جوي مستطاع

الانتاج الحربي الاميركي

بلغ الانتاج الحربيُّ الاميركيُّ خلال سنة ١٩٤٢ في فئاتهِ الرئيسية ٤٩ الف طائرة و ٣٢ الف دبابة ومدفع سيار وأكثر من سبع مائة سفينة نقل مجموع حمولتها ثمانية ملايين من الاطنان . وهذا عدا ما صنع من السفن الحربية من البوارج الضخمة وحاملات الطائرات الى المدمرات والغواصات وزوارق الطوربيد وغيرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النبات يحتاج الى عقاقير

تقدم العلم في ربع القرن الأخير تقدماً عظيماً في معرفة الفيتامينات وغيرها من عوامل التغذية الاساسية في الانسان . ولكن قليلاً من الناس يعلم ان النبات كثيراً ما يشكو سوء التغذية كما يشكوها الانسان وانه في حاجة إلى مقادير يسيرة جدًّا من مواد معينة منوعة لكي يستقيم نموه السوي . وفي هذا الميدان تقدم العلم تقدماً عظيماً كذلك . فقد انقضت الايام التي كان يظن فيها ان النتروجين والفصفات وغيرها من مواد التسميد المعروفة هي كل ما يحتاج اليه النبات من غذاء

فقد أثبت البحث في السنوات الأخيرة ان نمو النبات نمواً سويًّا يحتاج الى طائفة كبيرة من العناصر الكيميائية وان ما يحتاج اليه منها يسيراً جدًّا على الغالب

فالنبات المعروف باسم «لوسيرن» وهو البرسيم الحجازي يصفرُّ ويضعف نموه ولا يصلح تماماً علفاً للحيوان اذا أعوزه عنصر البورون. واذا كان التراب الذي ينمو فيه لا يحتوي على يسير من البورون فالتسميد المألوف لا يجدي كثيراً في اصلاح شأنه . ونبات الطماطم كذلك يحتاج الى البورون فاذا لم يتح له غدا طعاماً لا يستطيبه الانسان

في العهد الماضي كان يظن ان النحاس والزنك من العناصر التي تعد سامة بالقياس الى النبات ولكنها تعد الآن من العناصر التي لا غنى عنها في نموه . والمقادير اللازمة من هذين العنصرين صغيرة جدًّا والمرجح ان كل تربة تحتوي عليها . ولكن في قارة استراليا مناطق فسيحة مرد أكثر تربها الى ما كان قبلاً مغطى بمياه البحر فالحبوب التي تزرع فيها لا تعقد حبًّا إلاَّ اذا أضيفت كبريتات النحاس إلى التراب. والحاجة لا تزيد على بضعة جرامات من كبريتات النحاس لكل هكتار من الأرض . ويلوح ان هذه الانواع من النباتات تحتاج الى هذه المقادير — المجهرية تقريباً — من النحاس لكي يتم نمو أعضائها التناسلية فيستطيع زهرها حينئذٍ أن ينعقد حبًّا . فاذا لم يتح لها النحاس إما بطبيعة الأرض وإما عن طريق التسميد كانت الغلة قشًّا

الطفل الوليد والهضم

يتعذر على الوليد أكل الخضر والافادة مما تحتوي عليهِ من عناصر غذائية لازمة للجسم لأنهُ عاجز عن مضغها وهضمها . ولكن ارتقاء صناعة المأكولات المجففة ، أي المحولة الى مساحيق بعد ازالة الماء ، حمل فريقاً من الأطباء الاميركيين على تجربة التجارب بها في تغذية الأطفال بعيد الولادة . فثبت انهُ اذا حلت هذه المساحيق النباتية في الماءِ وأغليت تحولت حساء ينفع الطفل. وبالبحث المقابل ظهر ان الأطفال الذين يحتوي طعامهم على مثل هذا الحساء ، أسرع نموًّا من غيرهم وحركة امعائهم ادق انتظاماً وصفة برازهم أحسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الافلام العلمية

روت نشرة الاخبار العلمية الشهرية انهُ عقد من عهد قريب في لندن مؤتمر للمشتغلين باعداد الافلام العلمية فأقر مقترحاً بانشاء اتحاد يكون صلة الوصل بين الجمعيات العلمية المختلفة التي تعنى باعداد هذه الأفلام في بريطانيا

وخطب في هذا المؤتمر پول روثا مرحباً بالفلم المنتظر الذي أعدَّ لتمثيل المراحل الرئيسية في حياة العالم الكهربي والكيميائي المشهور فرادي . وهو فلم يعد الآن باشراف المعهد البريطاني . وقال روثا ان فلماً من هذا القبيل يمهد السبيل للذين يشاهدونهُ للاطلاع على حياة هذا العالم ومكتشفاته ويبين تأثيرها في حياة الناس وارتقاء العمران

ومما يتصل بهذا الموضوع نبأ فلم يعد في مدينة فورونيج الروسية باشراف مجلس البحث الطبي فيها وغرضهُ بيان الوسائل التي كشف عنها العلم الحديث لاحياء الأجسام الميتة . فهو يصور كلاباً نزف دمها وبعد ما انقضت عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة على موتها حقن الدم في عروقها واذا القلب يخفق ثانية واذا الرئات تتنفس وبعد فترة النقه استردت الكلاب صحتها السوية وهي تشاهد في آخر الفلم تعدو وتلعب وتستولد

امتحان تلوث اللبن

تنتج بريطانيا كل عام ما يزيد على الف مليون جالون من اللبن الحليب .وكانت العادة المتبعة حتى الآن في قياس تلوث اللبن او احصاء عدد البكتيريا فيه ، تعتمد على اخذ نموذج منه وبسطه على لوحة واحصاء البكتيريا بوساطة المجهر . وهي طريقة كبيرة النفقة وتستغرق غير قليل من الوقت والجهد

ولكن العلماء توصلوا الى طريقة جديدة أيسر وأسرع من الطريقة السابقة. وهي تعتمد على صبغ يدعى « ريسازورين» Resazurin وطريقة تطبيقها ان يؤخذ قليل من اللبن الحليب ويضاف اليه قليل من الصبغ في حمام من الماء الدافىء حرارته ٣٧ درجة مئوية فيبقى فيه مدة معينة هي ساعة على الاكثر . ثم يؤخذ هذا اللبن ويضاهى لونه بلون اللبن السليم اي اللبن الذي يحتوي على عدد يسير من البكتيريا. فاذا كان لون اللبن أزرق عنى ذلك انهُ سليم من التلوث واذا تحول لونهُ ارجوانيًّا أو ورديًّا او غدا بغير لون على الاطلاق عنى ذلك انه ملوث

وقد اطلعنا على هذا النبأ في نشرة الاخبار العلمية الشهرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هيئة دراسة الموارد العالمية

عقد مجمع تقدم العلوم البريطاني قبل سنتين تقريباً مؤتمراً خاصًّا من مؤتمراته السنوية وقفهُ على بحث « العلم والنظام العالمي » وعين هيئة لدراسة الموارد العالمية وتنظيمها على أساس عالمي . وقد روت نشرة الاخبار العلمية الشهرية من عهد قريب ان هذه الهيئة عقدت اجتماعها الثالث وخصّت بالبحث فيه موضوع الموارد المعدنية . وقد خطب العالم المهندس السير توماس هولاند مدير جامعة ادنبره خطبة علمية خطيرة الشأن بين فيها توزيع الرواسب المعدنية التي يمكن استغلالها فقال « ان الطبيعة وزعتها بغير نظر الى الاقاليم أو حدود الدول القومية » . ثم أفاض في ان تقدم الصناعة الحديثة قد أفضى الى اعتماد أمم الارض جميعاً بعضها على بعض من هذا القبيل. فقبل قرن من الزمان كانت الصناعة لا تحتاج إلا الى أصناف قليلة بسيطة التركيب من الحديد والصلب ولكن المهندسين الآن يستعملون أصنافاً متعددة معقدة التركيب من المخاليط الفلزية يدخل في تركيبها مقادير يسيرة من الفلزات النادرة المستخرجة من أقطار شتى

واذاً فالأمم تعتمد اعتماداً مطّرداً على المعادن المستخرجة من كل قطر ولذلك فالحاجة ماسة الى معرفة موارد هذه المعادن في جميع أنحاء الارض لكي يبنى على هذه المعرفة سياسة عالمية حكيمة فتنفذ بعد انتهاء الحرب تنفيذاً يُراعى فيهِ الخير العام

وكان رئيس الهيئة في اجتماعها الاخير السر ستافورد كريبس وهو عالم كيميائي وتلميذ من تلاميذ الكيميائي المشهور السر وليم رمزي، قبل أن يغدو قطباً من أقطاب القانون والسياسة في بريطانيا . وقد اقترح على مجمع تقدم العلوم البريطاني مقترحاً حكيماً مؤداه انشاء هيئة لدراسة الموارد العالمية تكون في منزلة مستشار في الحكومات فيسدي بذلك يداً الى الاستقرار العالمي المنشود فأقرَّ المقترح بالاجماع

مدالية فرادي لعالم روسي

قرَّر مجلس المعهد البريطاني للمهندسين الكهربيين ان يمنح مدالية فرادي للعالم الروسي بطرس كاپيتزا اعترافاً بما اسداه من يد الى علم الطبيعة في بحثهِ المجال المغنطيسي القوي واستعماله . وكاپيتزا مدير معهد المسائل الطبيعية في اكادمية العلوم بموسكو ، وكان قبل عودته الى موسكو مساعداً لمدير البحث المغنطيسي بجامعة كمبردج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكتب الاخبار الطبية

وفوائد أخباره الغريبة وارشاده الدقيق

هذه الحرب حرب عالمية ، والعناية الصحية والطبية بالقوات المسلحة يجب أن تكون على أساس عالمي . فقد يصدر الامر الى كتيبة ما بالنزول في ساحل افريقية الغربي أو في أدغال غينية الجديدة ، أو في الصين أو الهند ، ولذلك تحتاج الفصائل الطبية التي ترافق الجيوش الى معرفة كل ما يعرف عن الارض التي تؤمر الكتيبة بالخوض اليها ، من الناحية الصحية الطبية

ولذلك يشمل القسم الطبي في القوات المسلحة الاميركية ، مكتباً خاصاً مهمته تسقط الأخبار الصحية والطبية من جميع أنحاء الارض ، وغربلتها وتبويبها واتاحتها لرجال الصحة والطب الذين يرافقون القوات المسلحة. فهو ينبئهم عن حمى الدنج في ولاية معيَّنة من ولايات الصين ، ومرض النوم في قلب افريقية ، والحيات السامة في الساحل الذهبي وشتى الحشرات التي تنقل الامراض في مختلف بقاع الارض

ولا يكتفي هذا المكتب بما تقدم ، بل يجمع الحقائق اللازمة عن المباني التي تصلح في بقعة ما ، لتحويلها الى مستشفيات طوارىء ، وقوة التيار الكهربي في مدينة ما ، إذا ما تقع جهاز كهربي طبي أو جهاز أشعة سينية ، اذا كانت الطاقة الكهربية التي يحتاج اليها غير متداولة في المدينة التي ينتظر استعمالة فيها . والى القارىء مثلاً يبين فائدة هذا التأهب العلمي في شن هذه الحرب العالمية

بعوض الملاريا يتوالد في كؤوس الاوراق

أباح الاتفاق البريطاني الاميركي المعقود في سبتمبر ١٩٤٠ منطقة معينة في جزيرة ترينداد قاعدةً حربية اميركية. فلما استعدت الفصائل الاميركية للسفر الى هذه القاعدة كان مكتب الأخبار الطبية متأهباً لتزويدها بما تحتاج اليه من الارشادات الصحية والطبية في هذه المنطقة الخاصة . وكان أهم ما يستوقف النظر في هذه الارشادات حقائق عظيمة الشأن عن نوع من البعوض ينقل الملاريا. وهذا النوع الذي نشر الملاريا في ترينداد وقضى في مناطق منها على ٧٠ في المائة من السكان لا يتوالد في المستنقعات بل في اوراق نباتية تشبه الكؤوس. فيتجمع فيها ماء المطر فيتوالد فيه هذا الصنف من البعوض. وهذا النبات يختص شجرة معينة اسمها «الشجرة الخالدة » بعنايته فيعرش عليها . وسكان الجزيرة يقبلون على غرس هذه الشجرة للانتفاع بظلها في مزارع الكاكاو . فانتشار هذه الاشجار ، وتعريش النبات الكأسي الورق عليها ، اتاح لهذا الصنف من البعوض الاحوال المواتية للتكاثر

كان مكتب الاخبار الطبية الاميركي قد جمع هذه الحقائق ، فلما تأهبت الفصائل

الأميركية المسلحة للسفر الى ترينداد سبقتها فصائل اخرى وكانت مهمتها قطع الأشجار فقلَّ كثيراً معدل اصابات الاميركيين بالملاريا

خارطات الامراض لا خارطات المعارك

واذا دخلت مكتب مدير هذا القسم وجدت على جدرانهِ خارطات كبيرة ولكنها ليست خارطات حربية ، بل خارطات طبية . فهنا خارطة وضح عليها تفشي الكوليرا في أنحاء العالم وأخرى وضح عليها انتشار التيفوس أو الطاعون وما أشبه . وفي سجلات المكتب جزازات دوّنت عليها حقائق تبعث على الاستغراب والدهشة ولا تكاد تصدقها لو لم يكن جامعوها ومحققوها من العلماء

صدِّق أو لا تصدق

ومنها وجود حيات بحرية سامة في خليج ايران ، ومحارات كبيرة في جنوبي المحيط الهادي تستطيع أن تطبق على قدم سابح كما يطبق الفخ المنصوب ، وعلق ضخم نهم في أدغال بورما يحدث الانيميا في فترة قصيرة . وهذا العلق اذا علق بالجلد وأخذ يمتصّ الدم لا يجب أن يزال بنفضهِ باليد نفضاً لأن ذلك يترك رأسه غارزاً في الجلد فيسبب إصابةً مرضية وكل ما يجب عملهُ هو مس جسمه بلفافة مشتعلة فينكمش ويسقط كاملاً

ومن الارشادات التي توجَّه الى الجنود الذين يرحلون الى شمالي افريقية الاهتمام بتجنب لدغ العقارب . فالعقرب تبحث عن مكان دافىء تقضي فيهِ الليل . ولذلك تدخل أحذية الجنود بعد خلعها إذ تكون دافئة وعندما يلبس الجندي الحذاءَ في الصباح تلدغهُ العقرب . فالاحتياط المعقول هو هزّ الحذاءِ هزَّاً عنيفاً قبل لبسهِ في الصباح

وفي الصحراء تهب عواصف الرمال . وقد أثبت الاختبار ان المعرَّضين للاضطراب العصبي والعقلي تؤثر فيهم هذه العواصف تأثيراً بالغاً . وفي سجلات هذا المكتب ان بعض القبائل في الصحراءِ تأبى ادانة القاتل اذا كان القتل في اثناءِ هبوب من هذا القبيل. والاول يفسر الثاني

اعداد الارشاد الصحي والطبي

ولنفرض الآن أن كتيبة من الجند صدر الأمر اليها بالسفر الى منطقة ما فيعدُّ لضباط قسمها الطبي والصحيّ ، رسالة موجزة تشتمل على الارشادات اللازمة فتحتوي مقدمتها كلة على استقرار الحكومة في تلك المنطقة لان الخدمات الصحية التي يصحُّ الاعتماد عليها ، لا تقوم على الغالب إلاَّ في بلد حكمهُ مستقر. وتشتمل المقدمة كذلك ، على اسماء رجال الصحة في تلك المنطقة ، وحقائق منظمة عن الصحة العامة والمجاري ومياه الشرب ومصانع الثلج

وقد يبدو ان اشتمال الرسالة على حقائق عن مصانع الثلج من النوافل . ولكنهُ ليس كذلك لأن حفظ طائفة غير يسيرة من اصناف المصل واللقاح يحتاج الى مبردات

ثم يلي ذلك فصل عن الامراض السائرة في هذه المنطقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد تحتوي على حقائق اخرى . فقد تكون الخفافيش في هذه المنطقة من الحيوانات التي تحمل السعار (الكَلَب) . وهذا يصدق على خفافيش بعض جزائر الهند الغربية واذن فيجب ان توفر اسباب حماية الجنود في الليل .وقد يكون في هذه المنطقة نهر يحتوي ماؤهُ على دودٍ يغرز في الجلد فينبَّه الجند الى وجوب الامتناع عن السباحة في ماء النهر

الملاريا واتقاؤها

وقد تكون الملاريا منتشرة فتتخذ جميع الوسائل لحماية الجند من البعوض الذي ينقلها. فاذا تعيَّن على الجند النزول الى ساحل المنطقة في الليل وجب أن يعدَّ لهم شبك خاص يوضع حول رؤوسهم عند نزولهم الى البر ليتقوا البعوض . ومن الحقائق المسجَّلة في جزازات هذا المكتب ، ان ثلث الجيوش البريطانية الأولى التي نزلت في الحرب العالمية الماضية ، على ساحل خليج ايران ، أصيب بالملاريا في أثناء الليلة الأولى

وهذا الفصل عن الملاريا يحتوي على تفصيلٍ : ما أصناف البعوض الذي ينقلها ؟ وهل يهجم في الليل أو في النهار ؟ وهل يتوالد في الماء الراكد أو في الماء الجاري ؟ وما مدى طيرانهِ؟

وعلى هذا النمط تحتوي الرسالة الموجزة التي تعدُّ لهذه الفصيلة ، جميع الحقائق والارشادات التي لا بدَّ منها لوقايتها الصحية

الصوف من فول الصويا

أنشأ هنري فورد من سنوات معملاً للبحث العلمي في فول الصويا وما يستطاع استخراجهُ منهُ من مواد الصناعة . وعهد في رآسة هذا المعمل الى الباحث روبرت ألن بوير . وقد أذاع بوير من عهد قريب انهم استخرجوا من بروتين فول الصويا ، مادَّة شعرية تشبهُ الصوف وانها أصلح ما تكون لحشو وسائد السيَّارات . وصوف الصويا هذا هو الشعر البروتيني الوحيد المصنوع من مواد نباتية وسائر أصناف الشعر البروتيني مصنوعة من مواد حيوانية

ومما يستوقف النظر خاصةً ان فدانين من الأرض تزرعهما عشباً يرعاهُ الغنم لا ينتجان إلاّ ثمانية أرطال الى عشرة أرطال من الصوف — بصرف النظر عن اللحم طبعاً . ولكن اذا زرعت فيهما فول الصويا كان مقدار البروتين في غلة الفول ٤٠٠ رطل ومنهُ تستخرج الآن مواد صناعية كثيرة ، منها هذا الصنف من الشعر الشبيه بالصوف

وهنري فورد نفسهُ يلبس حيناً بعد حين بذلةً رُبع صوفها من « صوف الصويا » هذا

ويذهب هنري فورد ، استناداً الى آراء العلماء في هذا المعمل ، الى انهُ في الوسع صنع جانب كبيرٍ من جسم السيارة من عجينة كيميائية مردُّها على الاكثر الى فول الصويا ، وان أبواب سيارة تصنع من هذه العجينة لا تقلُّ متانتها عن متانة الأبواب المصنوعة من الصلب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حقائق عن الاطعمة المجففة

يرى القارىء في الصفحة ١٣١ من هذا الجزء من المقتطف مقالاً عنوانهُ «تجفيف الطعام، صناعة جديدة وجزءٌ من خطط الحرب». وفي ما يلي حقائق أخرى لم ترد في المقال أو ورد ذكرها موجزاً، وقد استخرجها الأستاذ عوض جندي من المجلاّت العلمية الاميركية

الماء في مواد الطعام

يحتوي معظم الاطعمة على كثير من المياه بحسب النسب الآتي بيانها: — الزمير الطازج ١٥ ./. ودقيق الذرة ١٤ ./. ودقيق الحنطة ١٤ ./. ودقيق الشعير ١٤ ./. والحمص ١٤ ./. والفاصولية الجافة ١٤ ./. والارز ١٥ ./. والخبز ٤٠ ./. والبطاطس ٧٥ ./. والعنب ٨٠ ./. والجزر الأبيض ٨١ ./. والبنجر ٨٢ ./. والتفاح ٨٣ ./. والجزر الأحمر ٨٩ ./. والكرنب ٨٩ ./. والبصل ٩١ ./. والخس ٩٦ ./.

وكذلك البيض واللحم ثلاثة أرباعهما مياه وبعض الخضراوات كما تقدم القول يحوي ٩٠ ./. من المياه، فاذا أتيح التخلص من هذه المياه، أمكن تقليل حجم المنقولات فتتوافر الاماكن في البواخر ويقل عدد البوارج اللازمة لحراستها ولا غرو فاحدعشر رطلاً من الخضراوات تصير رطلاً واحداً بعد تجفيفها وست وثلاثون بيضة تصبح بعد تجفيفها رطلاً واحداً . ووسق باخرة واحدة من الفواكه والخضراوات والبيض والحليب واللحم المجردة من مياهها تشتمل على مقدار من التغذية يعدل ما يوجد في عدة شحنات من البواخر المحملة بالمواد الطازجة

اقسام المواد المجففة

وتقسم الاغذية التي تجرد من مياهها أربعة أقسام: وهي المجففة بالهواء والمجففة بالشمس والمجففة بتبخير الماء والمجففة باستخراج مياهها

ويقصد بالنوع الاول ازالة الماء بأية وسيلة من الوسائل المعروفة وبالنوع الثاني ازالتها بغير الحرارة الصناعية وفي حالتي التبخير والتجريد من المياه لا بدَّ من استعمال الحرارة الصناعية . ويتوقف التبخير على تيار الهواء الطبيعي ويتم التجريد من المياه بتشديد دورة الحرارة الصناعية

فاذا اريد تجفيف الجزر الاحمر بعد انقضاء ساعة على قلعهِ من حقلهِ، قطعت عروقه وغسل وقشر وشُرح ونشر على صوانٍ من السلك ثم يسلط عليهِ البخار ست دقائق لاجل تبييضهِ وينقل الى جهاز التجفيف حيث تسلط عليهِ حرارة تختلف درجتها من ١٥٠ الى ١٨٠ درجة فرنهيت مدة ست ساعات فيحصل من ١٩٨ رطلاً من الجزر الغض ١٧ رطلاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مجففاً تكفي لملء علبتين تسع كل منهما خمسة جالونات ثم يضاف الى كل منهما قطعة من الثلج الجاف (غاز الحامض الكربونيك الصلب) ثم يختم غطاؤها بصمغ اللك ، وبهذا الغاز يستطاع خزن الجزر مدة طويلة من غير فساد . وكذلك الليمون يمكن تجفيفهُ وحينئذٍ يخلط بسكر الذرة لكي يصير مسحوقاً يضاف اليهِ الماءُ فتحصل منهُ مادة تكون كثيرة الشبه بالعصير الأصلي . وكل ٢٥ صندوقاً من البرتقال يستخرج منها صندوق صغير من عصيره المركز . وبلغ ما ارسلته أميركا الى بريطانيا العظمى بموجب قانون الاقراض والتأجير ١٫٢٠٠٫٠٠٠ جالون من عصير البرتقال المركز . وهذا القدر يكفي لعمل ٩٫٦٠٠٫٠٠٠ جالون من شراب البرتقال وفي هذه الحالة تنقص فيهِ نسبة فيتامين C قليلاً ولا يضاف السكر الى مسحوق البرتقال الجاف . وتعنى الصيدليات التي في بلاد بريطانيا العظمى بتعبئة عصير البرتقال في قوارير تسع كل منها ست أواق ثم توزعه للبيع

تجفيف البيض

وأيّاً كانت الطريقة التي تتبع في التجفيف فانها تقضي بتكسير البيض وتصفيته بمصفاة وتحويله الى مزيج سائل كاللبن . ويصلح البيض المجفف لصنع الكعك وللعجين المحلى المخبوز بالسمن ولدقيق الزلابية ولشعرية الحساء والعجة

وكانت الولايات المتحدة الاميركية الى سنة ١٩٢٥ تستورد من بلاد الصين كثيراً من البيض المجفف . وكان كثير منهُ يستعمل في الصناعة لاجل صقل المنسوجات والجلد وترويق النبيذ والبيرة وما اليهما . وكان البيض المجفف اقل استعمالاً في السوق الامريكية من مسحوق اللبن . وكان البيض المستعمل في الطبخ يستورد معظمهُ من بلاد الصين كما سبق القول اما في سنة ١٩٤١ وفي الاشهر الاربعة الاولى من سنة ١٩٤٢ فقد تم في الولايات المتحدة الامريكية انشاء ٦٥ مصنعاً جديداً لتجفيف البيض ، زاد متوسط انتاجها السنوي من عشرة ملايين رطل الى ٢٥٨ مليون رطل وقد تمت حديثاً التدابير اللازمة لتجفيف الطماطم والبسلة الخضراء وقرع الكوسى والذرة والكرفس والسبانخ والهندباء والخس والفلفل والتوت

معدة التمساح

روت مجلة « اخبار العلم » الاسبوعية ان عالماً معنيًّا ببحث الهضم في التماسيح بأميركا وجد في معدة تمساح ما يلي : احد عشر خاتماً نحاسيًّا وعقداً حباتهُ من زجاج واحد عشر حجراً متنوعة وريش قنافذ وحبلاً اسود وعظاماً شتّى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثاني بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني بعد المائة

١ مارس سنة ١٩٤٣ — ٢٤ صفر سنة ١٣٦٢

العلم والحرب والحضارة

— ١ —

الأنباء متواترة من كل جانب ، مشيرةً الى ان جانباً كبيراً من نشاط العلماء موجّه الآن الى ابتكار أساليب ووسائل جديدة للتدمير او تحسين القديمة ، وإلى ان صفة الحرب الحديثة تأثرت الى أبعد حدود التأثر بتطبيق البحوث والمكتشفات العلمية

وقد سار العلم والحرب جنباً الى جنبٍ خلال عصور التاريخ . ويقول العالم برنال الاستاذ بجامعة لندن ، اننا اذا استثنينا فترة معيّنة في القرن التاسع عشر ، صحّ القول بأن طائفة كبيرة من نواحي الارتقاء العلمي الصناعي نشأت عن مقتضيات الحرب

فكشف البارود واستعماله جاءَا نتيجة لبحث علمي صناعي في أخلاط الأملاح ، ولكنهُ أسدى الى العلم وتقدمه أيادي بيضاً لا تقوّم بمال . فدراسة فعل التفجر ، وهو فعل كيميائي أفضى الى البحث في طبيعة الاحتراق وخواص الغازات ، وعلى حقائق هذين الموضوعين ، قامت نظريات الكيمياء في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وظاهرة التفجر مهّدت لبحث تمدُّد الغازات وعن طريقه الى المحرّك البخاري ، مع ان مبدأ هذا المحرك أوحى بهِ انطلاق قذيفة المدفع ، فشغل الفكر باختراع طريقة لحصر القوة العظيمة التي تدفع القذيفة ، واستعمالها في التحريك . وصنع المدافع حفز نشاط المعدنين وأفضى الى ارتقاء العلوم المتعلقة بالتعدين وكيمياء الفلزات والكيمياء غير العضوية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما الآراء العلمية في الميكانيكا والحركة ، التي أوحت بها حركة القذيفة المنطلقة من فوهة مدفع ، فليست دون الحوادث السابقة منزلة وشأناً . فعلوم الميكانيا الديناميـة في معناها الحديث كانت متعذرة قبل ظهور المدفعية . ذلك بأن الرأي في الجسم المتحرك كان قبل ظهور المدفعية ، أنهُ يتحرَّك اذا كانت هناك قوة تدفعهُ الى الأمام أو اذا كان جسماً ساقطاً . فلما شوهدت قذائف المدافع ذهب الرأي الى أن هناك نوعاً غير معروف من الطاقة المحركة

إن أهم وجوه التقدم الصناعي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولاسيَّما التقدم العظيم في صهر مقادير كبيرة من الحديد ، وفي صناعة المحرك البخاري ، مردُّها مباشرة الى الحاجة الى المدافع التي اقتضتها طبيعة الحرب المتغيرة . وثقبُ الاسطوانات اللازمة للمحرك البخاري ، ثقباً دقيقاً متقناً ، يرجع الى أساليب رجلٍ يدعى ولكنسون ، كان قد تدرَّب على هذا النوع من العمل في ثقب أنابيب المدافع . وهذا التقدم في صنع اسطوانات وط واجادة ثقبها ثقباً دقيقاً حتى لا يتفلت البخار منها ، جعل محركات وط آلات متفوقة في هذه الناحية . والى هذا الميدان من البحوث الحربية العلميـة المتفاعلة ، يرجع بحث رمفرد الذي أفضى الى استخراج معادلتهِ الخاصـة بالمكافىء الميكانيكي للحرارة . وعلى هـذه المعادلة قامت جميع المحركات التي تعتمد في طاقتها على الحرارة

ثم ان صنع الصلب صنعاً واسع النطاق يرجع الى مقتضيات الحرب . والتقدم في هـذه الصناعة يفوق كل تقدم آخر تقريباً من حيث هو ركنٌ رئيسي من أركان الحضارة الصناعية الحديثة . وأصل هذا التقدم ان بسيمر كان قد اخترع نوعاً خاصًّا من السلاح الناري بين البندقية والمدفع ، في سنة ١٨٥٤ وكان ذلك في أوائل حرب القرم ، ولكنهُ لم يجد حديداً على جانبٍ كافٍ من الصلابة ، يتحمل ضغط الغاز المتفجر داخل الأنبوب فعمد الى مباحثهِ التي أفضت الى أساليبهِ المشهورة في صناعة الصلب (الفولاذ)

ثم جاءت فترة الارتقاء المطرد السريع في أسـاليب المواصلات والنقل والمخاطبات واخترعت الطائرات وتقدمت صناعتها ، فحدث انقلاب عظيم الشأن في تنسيق حركة ملايين من الجند وتوجيههم ، وصحبها في الوقت نفسهِ ارتقاء أساليب حفظ الطعام وتقدم أساليب الطب فصار في الوسع أن تعيش جماعات كبيرة من الجند زمناً طويلاً بغير أن يصيبها الجوع أو تفشو فيها الأوبئة ، فغدت جميع هذه المباحث متصلة أوثق صلةٍ بالحرب

ولم تدرك قيمة هذا التحول على وجهه الأوفى ، الاَّ في اثناء الحرب العالمية الأولى. ومع ان وجوه التأهب العلمي والصناعي لتلك الحرب كانت عظيمة ، فان تجاريب الحرب نفسها اثبتت ان هذا التأهب ليس وافياً ، وانهُ لا يمكن ان يقف عند حدٍّ ما ، لان المسائل التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واجهتها القيادات والحكومات ، كانت تقتضي اقتضاءً مستمراً ، استشارة العلماء والاعتماد على بنات قرائحهم. وعندئذٍ ثبت للعلماء وللحكومات جميعاً ، ان العلماءَ في الحرب ليسوا شيئاً كاليّاً يمكن الاستغناءُ عنهُ، بل هم ضرورة لا غنى عنها ولا مفرَّ من الالتجاء اليها

ولا ينكر ان الحكومات بذَّرت غير قليل من المواهب العلمية في بدءِ الحرب . فموزلي الذي خلّد اسمهُ وهو لا يزال في بدءِ العقد الثالث من عمره بين علماءِ الدهر ، كان يحتمل أن يغدو أعظم علماء الطبيعة الحديثة التجريبية لو امتدَّ بهِ الاجل ، ولكنْ سمحت له الحكومة البريطانية بأن يحارب في غليبولي ، فقتلته رصاصةٌ عابرةٌ . غير أن موقف الحكومات من العلماءِ أخذ يتغير وفقاً لادراك الحاجة اليهم وقيمة الاعتماد على بحوثهم

— ٢ —

وكان من أثر الاعتماد اعتماداً مطّرداً على العلم في الحرب العالمية الاولى ، ان أصبح البحث العلمي لأغراض الحرب والبحث العلمي لاغراض السلم متلازمين . فالبحث في المواد المنفجرة اللازمة للقنابل على انواعها ، يجدي في تحضير المواد المتفجرة اللازمة لنسف المحاجر والمناجم وشقّ الطرق في المناطق الصخرية . والبحث في الغازات الحربية يجدي في صنع مواد سامة تصلح لمكافحة آفات الزراعة . ويقابل هذا ان البحث في اتقان أساليب الطيران لأغراض النقل والانتقال — وهي من اهم وسائل العمران الحديث في ابان السلام — يغدو عند نشوب حرب ما، اساساً لا محيص عنهُ للتفوق في الطيران الحربي . والواقع ان العالم خرج من عهد كانت فيهِ الحرب مهمة واقعة على طائفة خاصة من الناس ، الى عهد اصبح فيهِ جميع الناس في دولة ما ، جماعة محاربة . وفي هذه الحالة لا تشمل الحرب المقاتلين في الميدان بل الامة كلها

وهذا أصدق ما يكون على هذه الحرب التي تعتمد الى أبعد حدود الاعتماد على الادوات الميكانيكية من دبابات وطائرات وسيارات نقل ومدافع سيارة . فاستعمال هذه الآلات يقتضي تحضير مقادير كبيرة من المواد المتفجرة ومشتقات النفط والغازات الحربية . ومع ان هذه الغازات لم تستعمل حتى الآن في هذه الحرب بحمد الله ، فان دولة ما لا تستطيع ان تتوانى في مواصلة البحث العلميّ في تحضيرها ، وتحضير مقادير كبيرة منها ، لتكون متأهبة لمقابلة المثل بالمثل إذا اقتضت الحال ذلك . وهذا كلهُ يفرض على الامة إعداداً صناعيّاً لا مثيل له في ما سبق من تاريخ الحضارة الصناعية

ولذلك يتعذَّر على دولة ما ، لم تبلغ فيها الصناعة مبلغاً عظيماً من الارتقاء ، ان تواصل الحرب في احوال الحرب الحديثة . وفي طليعة هذه الدول أربع أو خمس هي المانيا وروسيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية واليابان وتليها فرنسا وايطاليا

وأساس كل صناعة راقية، ماضية في طريق الرقي، هو البحث العلمي المحض والمطبَّق فكل ما يعزز الصناعة القومية — والبحث العلمي ركن أصيل في هذا التعزيز — يعزّز القدرة الحربية. واذن فالبحث العلمي في كل دولة هو في الواقع بحث حربي. وهذا أصدق ما يكون على الطائرات. فمنذ ما اخترعت الطائرة لمح فيها رجال الحرب فائدتها الحربية، وساهمت الحكومات في تعزيز البحث العلمي في صناعتها لهذا الغرض. وفي البلدان التي لم يمنع فيها الطيران الحربي بحكم معاهدات الصلح، كانت الطائرات الحربية أكثر كثيراً من الطائرات المستعملة في نقل الركاب والبضائع. وفي البلدان التي منع فيها الطيران الحربي كالمانيا، عزز الطيران المدني على قاعدة تحويله الى الحرب عند ما تقتضي الحالة ذلك

ومما هو جدير بالذكر في صدد الطائرات وتقدم صناعتها رغبةً في التفوق او الاحتفاظ بقصب السبق، ان المحرك البريطاني الموسوم «مرلِن رولز رويس» يعدُّ اشهر المحركات المستعملة في الطائرات على الاطلاق. واليه يعود التفوق الذي عقد لواؤه للمطاردات البريطانية في معركة بريطانيا. ولكن هذه الحرب سباق بين العقول المبتكرة علاوة على كونها صداماً بين القوات المدرعة. ولذلك كان لا بد للمخترعين البريطانيين — أو غيرهم — من ان يمضوا في تحسين هذا المحرك — أو ما كان من قبيله — حتى يحتفظوا بقصب السبق، وحتى لا يفاجئهم الألمان يوماً ما بمحرك طائرة أفضل من هذا المحرّك. وما عرف عن أحدث طراز من محرك «مرلِن رولز رويس» يشير الى انهُ يفوق من نواحٍ متعددة الطراز الذي كان مستعملاً قبل سنتين. فالقوة القصوى التي يولدها أعظم والارتفاع الذي تستطيع ان تحلق اليه الطائرة، بينما المحرك يولّد هذه القوة أعظم كذلك، وهذه الصفة الاخيرة عظيمة الشأن في الطائرات المطاردة لأن قدرة الطائرة على التحليق فوق الطائرات المعادية، وقدرة محركها على توليد القوة الوافية في أثناء التحليق وعند ما تبلغ أعظم ارتفاعها، مزية حربية كبيرة. ولكن هذه المزية وان برزت الآن في القتال، فانها ستكون ذات أثر فعال في ارتقاء المواصلات الجوية بعد الحرب. ولا يخفى ان الاتجاه في المواصلات الجوية الى الطيران في الطبقة الطخرورية، وهذا الطيران أسرع وأسلم عاقبة لسكون الهواء. ولكن تحقيق الطيران في الطبقة الطخرورية يقتضي فيما يقتضيه صنع محركات للطائرات تستطيع توليد قوة محركة كافية على ارتفاع ٣٥ الف قدم الى ٤٠ الف قدم. فالتقدم في صناعة محرك «رولز رويس» هذا وما كان من قبيله مرده الى حاجة حربية ولكن فائدته عمرانية عامة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

أما المواد الحربية التي تعدها الصناعات الكيميائية فهي المتفجرات والغازات الحربية والمطاط والوقود السائل في المقام الأول . وليس في وسع دولة كبيرة ان تواصل الحرب بغير اعداد وانفاق مقادير عظيمة جداً من هذه المواد ، تفوق اضعاف ما ينفق منها في أثناء السلام . وهذه المواد تصلح للاستعمال في اغراض السلم ، وقد يستثنى من ذلك الغازات الحربية. فالطلب على المواد المتفجرة مستمر وهو لازم في المحاجر والمناجم ومعظم اعمال الهندسة المدنية . وقد يبدو لمن يتعجل الحكم ان الصناعة الكيميائية لا شأن لها في المطاط والنفط ، ولكننا نعلم ان المطاط والنفط الطبيعيين ، موزعة مواردهما في الطبيعة توزيعاً غير متساوٍ ، فمواردها تكثر في بلد او أكثر وتقل في بلاد أخرى . فأوربا ليس فيها مطاط ، وموارد النفط فيها يسيرة بالقياس الى المقادير المستهلكة . ولذلك التفت الباحثون بدافع من أنفسهم وتشجيع الحكومات الى البحث عن أسلوب صناعي لصنع هاتين المادتين . وقد تنفق ملايين من الجنيهات في استنباط أساليب لتحقيق هذه الصناعة ، ثم تستنبط أساليب أخرى أوفى بالغرض ، أو تكشف مواد أخرى أصلح للغرض . فذلك ليس مدار البحث هنا ، بل مداره ضرب أمثلة على توجيه البحث العلمي في نواحٍ كثيرة ، توجيهاً مردُّه الى مقتضيات الحرب ثم يثبت في ابان السلام ان الفائدة التي تجنيها الحضارة من هذا التوجيه عظيمة حقاً

ان الأساليب والمواد المستعملة في صناعة المتفجرات والغازات وما أشبه ليست وقفاً على أحد من الناس دون غيره . والعناصر الاساسية في المتفجرات هي الحامض النتريك والحامض الكبريتيك وبعض مشتقات قطران الفحم الحجري مثل الطولوين وشتى المواد الخشبية (السلولوسية) كالقطن . وجميع هذه المواد استعملت استعمالاً واسع النطاق متعدد الوجوه في ابان السلام ، ولكن الرغبة في الحصول على مقادير عظيمة منها وضمان الحصول عليها في أثناء الحرب ، كان باعثاً قوياً على البحث عن أساليب أخرى لتحضيرها

فقد كان الكبريت اللازم للحامض الكبريتيك يستحضر قبلاً من ركازات الكبريت الجيدة ، حيث نسبة الكبريت في الركاز عالية ، أو من الترسبات الكبريتية . ولكن هذه الموارد للكبريت كانت محصورة في مناطق قليلة في اسبانيا وايطاليا (صقلية) والولايات المتحدة . ولذلك لا يصح لدول أخرى أن تبني كلَّ اعتمادها على ما تستورده من كبريت هذه البلدان . لحفزت الحاجة الباحثين الى استنباط طرق تمكنهم من استخراج الكبريت من موارد تقلُّ فيها نسبة الكبريت فأفضى ذلك الى استنباط هذه الطرق . وبالاعتماد عليها لا يمكن ان تبلغ حاجة دولة صناعية كبيرة الى الكبريت ، حدودَ العوز

وجاءت فترة كانت فيها مشكلة الحصول على مقادير وافية من الحامض النتريك مشكلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ملحة. فمادة النترات الطبيعية كانت تصدر من شيلي وعند نشوب الحرب العالمية الاولى، قطعت صلة المانيا بجمهورية شيلي بفعل الحصر البحري. فاستنبط فرتز هابر العالم اليهودي الالماني طريقته المشهورة لتثبيت نتروجين الهواء. وهذا أفضى الى تحضير النترات بغير قيد الا قدرة الأجهزة المعدة للإنتاج، فأسدى الى المانيا خدمة حربية في المقام الاول، وبلغ بعد ذلك التقدم في صناعة مادة النترات الكيميائية ان نافست مادة نترات شيلي الطبيعية

ومثل هذا يقال في صناعة المطاط في الولايات المتحدة. فقد كانت تعتمد على المطاط الطبيعي فقطعت معظم موارده عنها بعيد دخولها الحرب فتأهب علماؤها ورجال الصناعة فيها لانشاء مصانع لصنع المطاط بالتركيب الكيميائي بأسلوبين مختلفين وستصنع منهُ مئات الألوف من الأطنان. وهذا القول ينطبق في حدود معينة على ما تصنعه المانيا من المطاط والنفط بالتركيب الكيميائي. ولا بدَّ ان توجد وجوه كثيرة من الفائدة لهذه المواد والأعواض الأخرى بعد ما تنتهي الحرب، ولا ريب في انها ستكون سبيلاً من سبل تحقيق الوفر العالمي الذي يرنو الى تحقيقهِ بُناة العالم الجديد

ثم خذ التصوير الضوئي مثلاً. فقليل من الناس من كان يعلم ان أجود المصورات الضوئية في صناعة الصور المتحركة بكليفورنيا كانت تعتمد على عدسات مصنوعة في بريطانيا. ومع ذلك فمقتضيات الحرب جاءت حافزاً قويًّا للامعان في اتقان أساليب التصوير الضوئي، ولا سيما أجهزة التصوير التي تحتاج اليها الطائرات المستكشفة في الليل والنهار. فقد كشف البريطانيون رواسب جديدة من السليكا اجود من الرواسب التي كانوا يعتمدون عليها في صنع العدسات قبل الحرب. واتقن كيميائيوهم تحضير مستحلبات نترات الفضة التي لاغنى عنها في صنع الأفلام المصورة بحيث غدت هذه الأفلام قادرة ان تسجل تفاصيل الأشباح الى حدود جزء من مائة جزء من ثخانة الشعرة. والاتقان في هاتين الناحيتين له فائدتان، وهاتان الفائدتان لا تقتصران على الاستعمال الحربي، وان كانت المقتضات الحربية مبعثهما في المقام الأول. أما الفائدة الاولى فاتقان المصورات الضوئية المعتمدة في التصوير من طائرات محلقة وهذا لازم في الرياد والاستكشاف. وأما الفائدة الثانية فدراسة الفلزات ودقائقها وبعض الاجسام الحية الدقيقة وهذه الدراسة اصبحت لا غنى عنها في الصناعة الحديثة لتجنب المخاطر التي قد تنشأ عن قطعة صلب فيها موطن ضعف او شرخ في الداخل، وفي علوم الاحياء والطب

ولسنا في حاجة الى تبيان تأثير الحرب في ارتقاء أساليب حفظ الطعام ونقله. فحروب نبوليون شهدت ابتكار أسلوب حفظ الطعام في العلب، والحرب الاهلية الاميركية أسلوب صنع اللبن الحليب المكثف، والحرب العالمية الاولى أسلوب اعداد اللبن الحليب المبخّر. وهذه الحرب صناعة تجفيف الطعام وما يتصل بها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٤ —

وهناك ناحية من العلم قلّما تقرن أول وهلةٍ بالحرب ، وصلتها بالحضارة ليست بالصلة التي تستوقف النظر . ونعني بها الريادة القطبية . ومع ذلك لا مفرّ من الاعتراف بأن أعمال الروّاد في المنطقة المتجمدة الشمالية حول القطب وفي جواره ، من پيري في أوائل هذا القرن الى الطيارين الروس قبيل نشوب الحرب ، قد تكون وثيقة الصلة بالحرب نفسها ، ومن المحتمل الذي في مرتبة اليقين أن تكون كذلك وثيقة الصلة بارتقاء المواصلات الجوّية بعدها

أيدري القارىء الكريم ، ان الطريق الجوي فوق القطب الشمالي بين الولايات المتحدة وسيبيريا هو أخصر الطرق بين البلدين وأسهلها من غير وجهٍ واحدٍ ؟ وان مسافة الطيران بين جزيرة جرينلندا ومورمانسك فوق البحر القطبي لا تزيد على ١٣٠٠ ميل بينما المسافة بين جزيرة نيوفوندلند وارلندة تبلغ ألفي ميل ؟ وقد أثبت السر هوبرت ولكنز ان الطائرات الخفيفة تستطيع أن تحطّ على قطع الجمد القطبي الكبيرة المتحركة وان تشيل منها . وأثبت الطيارون الروس ان طائرات النقل الكبيرة تستطيع أن تفعل ذلك كذلك . وثبت علاوة على ما تقدم ان هيئات الرجال التي لا بدّ منها لتنظيم مهابط الطائرات وتزويدها بالوقود مستطاع على الجمد القطبي . وقد علم من زمنٍ ان في الوسع اعداد مطارات على الجمد الذي يغطي شماليّ جرينلندا وغيره من المناطق القطبية ، بل أيدت التجارب ان جمد جرينلندا الشمالي يصلح مهبط طائرات مترامي الأطراف . ولعلّ القارىء في حاجة الى التذكير بما تمّ على أيدي الروّاد المحدثين في استكشاف المنطقة المتجمدة الشمالية بالطائرات في العشرين السنة الأخيرة

ففي السنوات بين ١٩٢٥ — ١٩٢٨ طار امندصن النرويجي وبيرد الاميركي ونوبيلي الايطالي بالطائرة والبلون فوق القطب الشمالي . وفي سنة ١٩٢٧ أثبت ولكنز الاسترالي الأصل ان الهبوط بالطائرة على الجمد القطبي ثم الطيران منهُ مستطاعان . وفي سنة ١٩٣٢ والسنوات التي تلتها أرسلت شركة « پان اميركان » للمواصلات الجوية أربع بعثات الى جرينلندا لتخطيط طريق جوي فوق المنطقة القطبية ثم طار لندبرغ فوق هذا الطريق موفداً من قبل هذه الشركة . وفي سنة ١٩٣٧ نزلت بعثة روسية قرب القطب الشمالي لرصد الاحوال الجوية هناك وظلت مقيمة ثمانية أشهر الى تسعة أشهر ترصدها وتذيع نتائج أرصادها ولم تتوقف عن عملها العلمي حتى بعد انفصال قطعة الجمد التي كانت مقيمة عليها وعومها أسابيع أو أشهراً . وفي سنة ١٩٣٧ طار الطيارون الروس مرتين من موسكو الى كاليفورنيا مارين فوق القطب أو فوق المنطقة القطبية الشمالية

وفي السنة نفسها ذهب ولكنز باحثاً عن الطيار ليفانفسكي الضائع فأثبت ان احوال الطيران

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في اثناء الليل القطبي اصلح عند ما يكون القمر بدراً منها في النهار في اثناء الصيف القطبي

ولولكنز مأثرة اخرى وهي انهُ أثبت ان الغواصات تستطيع ان تسير تحت طبقة الجمد في البحار القطبية ولا تحتاج الى الغوص اكثر من خمس عشرة قدماً ولا ان تقطع اكثر من خمسين ميلاً قبل ان تجد فجوةً تصعد منها الى السطح . وليس في البحار القطبية جبال جمد كالتي تعرقل طريق السفن في المحيط الاطلسي في الربيع واوائل الصيف . وجبال الجمد في المحيط الاطلسي مرجعها الى قطع كبيرة من الجمد تنفصل من انهار الجمد الكبيرة في جزيرة جرينلندا . ومن المقرَّر الآن ان البحر القطبي الشمالي أدفأ مما كان يظن وحالة جوه قليلة الاضطراب

هذه هي الحقائق . وفي وسع الباحث ان يخلص منها الى نتائج ذات شأن عظيم في ما يتعلق بالحرب ، وفي ما يتعلق بالمواصلات الجوية بعدها . اما في ما يتعلق بالحرب فاستعمال طائرة النقل الضخمة ، يتيح للدول المتحدة ، نقل مقادير كبيرة من مواد الحرب النفيسة الضرورية من الولايات المتحدة الى شمالي روسيا ،من أخصر طريق وأسلمه من اعتداء الالمان عليه. واما في ما يتعلق بمستقبل المواصلات الجوية بعد الحرب ، فان استعمال هذا الطريق في خلالها، يتيح فرصاً للتوسع في رصد الاحوال الجوية ، وتدريب مئات او ألوف من الطيارين على سلك هذا الطريق ، فاذا وضعت الحرب اوزارها واستوى النقل الجوي على القواعد المنتظرة ، كانت مغامرات الرواد ، خلال ثلث قرن من الزمان ،قد أسدت خدمة الى الدول المتحدة في الحرب، وكان الاختبار الذي يجنيه الطيارون خلال الحرب تمهيداً لانتظام السفر الجوي بعدها

ولعلَّ أبلغ مثل على فائدة الطيران فوق المنطقة القطبية الشمالية يتجلى في المسافة بين نيويورك وفلاديفستك . فالمسافة بين المدينتين عن طريق سان فرنسيسكو ثمانية آلاف ميل منها خمسة آلاف فوق المحيط الهادي ، ومناطق واسعة من هذا المحيط في غربيه خاضعة لليابانيين وفي وسعهم عرقلة النقل الجوي بين سان فرانسيسكو وفلاديفستك . ولكن اذا طارت الطائرة من نيويورك شمالاً صوب القطب، بدلاً من ان تطير غرباً الى سان فرنسيسكو ثم اذا استأنفت طيرانها الى شمالي سيبيريا فالى فلاديفستك ، بدلاً من ان تستأنفه غرباً فوق مياه المحيط الهادي الشاسع، فعندئذٍ تكون المسافة بين نيويورك ستة آلاف ميل على الأكثر ا

ومن هذا القبيل الطريق الجوّي الذي يجتاز أواسط القارَّة الافريقية والطريق الجوّي من الهند الى الصين . فكلاهما أنشىء استجابة لضرورات الحرب . واذا كان استمرار النقل الجوّي بين الهند والصين متعذراً بعد الحرب لمشقة الطيران فوق جبال حمالايا ولوجود طرق أخصر وأسهل ، فمن المحتمل أن يبقى الطريق الافريقي مستعملاً وأنْ تنشأ له فروع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جامعة فاروق الاول[1]

افتتاحها الرسمي

في ٨ فبراير ١٩٤٣

أقبل موكب جلالة الملك فاروق الأول قبيل الساعة الثانية عشرة ووصل دار الجامعة في الثانية عشرة تماماً نخف لاستقبال جلالته الأمراء والنبلاء ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ورجال الجامعة ، وما استقر المقام بجلالته حتى وقف معالي وزير المعارف نجيب الهلالي باشا وألقى خطبة الحفلة فلما وصل الى ختامها استأذن جلالة الملك في تقديم مدير الجامعة (بالنيابة) الدكتور طه حسين بك ليلقي بين يديه كلمة الجامعة . فلما انتهى من القائها استأذن في أن يتقدم وكيل الجامعة مصطفى عامر بك فيتلو قرار مجلسها في شأن اهداء الدكتوراه الفخرية الى جلالته . وعندئذ تقدم مصطفى عامر بك وتلا القرار وهذا نصهُ :

« تقديراً لما لحضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر من عطف كريم على العلم واعترافاً بفضله العظيم بانشاء جامعة فاروق الأول قرَّر مجلس هذه الجامعة في جلسته المنعقدة في ٣١ دسمبر سنة ١٩٤٢ أن يهدي الى جلالته درجة الدكتوراه الفخرية للجامعة »

ثم تقدم معالي وزير المعارف ومدير الجامعة ووكيلها نحو جلالته فنهض جلالتهُ فألبسهُ الوزير الثوب الخاص بالدكتوراه وهو ثوب جامعي أبيض الكتفين . ثم هتف ثلاثاً فردَّد الحاضرون الهتاف . ثم دعي جلالتهُ الى ازاحة الستار عن لوحة تذكارية لانشاء الجامعة أعدَّت على حائط مدخل كلية الحقوق ، وهي لوحة من نحاس نقش عليها العبارة التالية :

منارة الاسكندرية على شاطىء البحر جامعة فاروق الأول أمر بانشائها ملك مصر المعظم فاروق الأول رفع الله ذكره وأسعد عصره . وقد تفضَّل فشرَّف الجامعة بزيارته الكريمة لتهدي اليه الدكتوراه الفخرية في الثالث من شهر صفر سنة اثنتين وستين وثلاثمائة والف للهجرة الموافق ٨ فبراير سنة ١٩٤٣ للميلاد في حفل من وجوه الدولة . وقد تعطف حفظهُ الله فأزاح الستار بيده الكريمة عن هذه اللوحة التذكارية

(١) راجع وصف تاريخ انشائها وافتتاحها في مقتطف يناير ١٩٤٣ ص ٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خطبة الهلالي باشا

مولاي صاحب الجلالة : هذا يوم عظيم تزهى الجامعة بشرفهِ المجيد ، اذ تحظى فيهِ بمطلعكم السعيد ، وهو في حياتها يوم عيد أقبل كما تتمنى وتريد ، واثقة انها في ظلكم المديد مدركة مرادها القريب والبعيد

مولاي : لم يُعرف التعليم الجامعي في مصر الا على يد والدكم العظيم فهو مصدر وجوده وحياته بل هو حسنة من حسناته وخطرة من خطراته . ولقد تولى الجامعة الاولى مجرد فكرة فغرسها بذرة وأنبتها شجرة باسقة طيبة مثمرة . وإن جامعة فؤاد الأول لتتيه فخراً بأن والدكم العظيم كان أول رئيس عامل لمجلس جامعتها وهي لا تفتأ تذكر انهُ ، رضوان الله عليهِ ، كان وليها ومولاها لانهُ هو الذي اصطفاها وأكملها ووفاها

وها هي ذي جامعة فاروق الأول تحظى عندكم يا مولاي بما حظيت بهِ جامعة فؤاد الأول عند والدكم العظيم . فقد تلقتها حكومتكم وحياً عن ارادتكم العالية فمضت في انشائها برعايتكم المتوالية . وقد نبتت في عهدكم السعيد وآوت من عزكم الى ركن شديد . وقد تفضلتم فأذنتم في أن تحمل الجامعة اسمكم الكريم ، وفي هذا من معنى التكريم والشرف العظيم ما أطلق ألسنة الجامعيين بالشكر والدعاء وجمع قلوبهم على المحبة والولاء وحسن الوفاء لمليكهم المحبوب

وقد شاءت الاقدار السعيدة ان يكون حظ الاسكندرية انشاءً واحياءً على يد ملكين عظيمين ، وهما في مقتبل الشباب ، فقد أنشأها الاسكندر الاكبر وهو في سن الرابعة والعشرين وأحياها فاروق الأول وهو في الثانية والعشرين. وقد كان الاسكندر تلميذاً لأرسطو المعلم الأول فشبَّ على حب العلم والعلماء وعلى عهده وعهد بطليموس صاحب عسكره انشئت الاسكندرية وانشئت فيها مدرستها الكبرى فكانت اول جامعة في العالم كما كانت الاسكندرية أعظم مدينة في العالم وقد أصبحت مركزاً للعلم والفن بذَّ أثينا نفسها وفي الاسكندرية تلاقى العلم العملي الذي توارثهُ اهلها عن مصر القديمة مع العلم الاغريقي فأنتج أطيب الثمرات في الطب والرياضة والجغرافيا والفلك والمساحة والهندسة والميكانيكا والكيمياء والادب والفن

ولكن مدرسة الاسكندرية ذهبت مع الريح وبقيت الاسكندرية من غير جامعة ترفع من مكانتها وتنشر أشعة العلم من منارتها . كانت حالية بالعلم فأصبحت عاطلة كما اصبحت مفضولة بعد اذ كانت فاضلة . وكان في ضمير الدهر سر كامن وهو ان لا يعود الى الاسكندرية مجدها وعلمها الا اذا لاح في الأفق المبين صاحب عرش مكين فتى السن وضاح الجبين

وها أنتم يا مولاي تحققون تلك الآية وتبلغون في تحقيقها كل غاية . ففي رحابكم وبقوة شبابكم أمكن انشاء هذه الجامعة الكبيرة في فترة قصيرة وبذلك أصبحت الاسكندرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحدث جامعة في العالم كما كان لها أقدم جامعة . ولعل جامعتها الجديدة هي الجامعة الوحيدة التي أنشئت في وقت الحرب في الدنيا بأسرها وهذا مما يزيد في قدرها ويرفع من ذكرها

مولاي : كان الملوك الاقدمون يتباهون في اكرام العلماء واختصاصهم بالمودة والعطاء، فاذا احتوى بلاط الملك عالماً جليل القدر سجل له التاريخ هذه الآية . فانظر يا مولاي كم من العلماء يعيشون في ظلكم الظليل وينعمون بعطفكم الجميل . لذلك حقّ على الجامعة يا مولاي ان تسعد بحظ من جميل الشكر توجههُ الى سدّتكم العلية ، وها قد أنجز الاقبال وعده ووافق الطالع سعده ، وكفى الجامعة من الفخر والتيه بعض ما هي فيه

ولقد أحست الجامعة يا مولاي ان قدرة الحمد والشكر تقصر عن الوفاء بنعمتكم ، فرأت ان تهدي الى جلالتكم أشرف وأثمن ما تملك ، استدلالاً بالرمز على الضمير وهو قصارى الجهد عند ما يكون الاهداء من الصغير الى الكبير . وما هذه الهدية الاّ فضل من أفضالكم، وجنى من صالح أعمالكم وثمرة من غرسكم تقدم لكم ، وشعاع من نوركم يعود اليكم . وليس لي في هذا اليوم المشرق بالجمال والجلال الاّ أن أصير من الثناء عليكم الى الدعاء لكم

أعانكم الله على ما قلدكم وأطلق بالخير يدكم وأطال في السعد أمدكم

وبأذنكم الكريم يا مولاي أختم هذه الكلمة شاكراً لجلالتكم التفضل بسماعها مستأذناً في ان تسمحوا لحضرة مدير الجامعة ان يلقي بين يديكم كلمة الجامعة

خطبة الدكتور طه حسين بك

مولاي صاحب الجلالة

أعليت قدر الجامعة فليزد الله قدرك علوّاً ورفعت ذكر الجامعيين فليزد الله ذكرك ارتفاعاً وايدت سلطان العلم فليزد الله ملكك عزّاً وتأييداً . النجح مقرون بشخصك العظيم يا مولاي

أقبلت على مصر فأقبلت عليها الدنيا ونهضت بملكها فتمت لها عزته ودبرت امرها فانجلت عنها الغمرات وانجابت عنها الخطوب . واليمن مقرون باسمك الكريم يا مولاي . نذكره فتشحذ العزائم وتنفذ البصائر وتبعد الهمم واذا العصي من الامر يسمح واذا القصي من الأمل يقرب واذا الصعب من الطلاب يهون . هذه جامعتك كانت امنية مطوية في ضمير الاسكندرية منذ القرون المتطاولة والعصور المتباعدة تتطلع اليها ولا تبلغها تدنو منها لتبعد عنها تحس حر الشوق اليها ولا تجد برد الظفر بها حتى استيأست من هذه الأمنية او كادت تستيئس وحتى جعلت تنظر اليها كما ينظر المستيقظ الى الحلم الحلو قد نسي اكثره ولم يحتفظ منهُ الاّ باطراف متضائلة ثم اقترن التفكير فيها باسمك الكريم فاذا هي حقيقة ماثلة كاملة شاملة قد تمّ خلقها واستكملت قوتها واستجمعت أهبتها للدرس والبحث والانتاج

لم تنجم للاسكندرية معهداً معهداً ولم تقدم اليها كلية كلية وانما أُنشئت كلياتها السبع مفتحة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الابواب لاستقبال الطلاب كاملة الاداة موفورة النشاط قادرة على ان تنشر ضوء العلم في فروع المعرفة الانسانية جميعاً . ولم يكد يقبل العام الجامعي حتى قارب المتعلمون فيها خمس عشرة مائة وقارب المعلمون مائتين . وهيئت لاساتذتها وطلابها المعامل والمكتبات متواضعة ولكنها قابلة للنمو قادرة عليه . وتسامع بها الناس في الشرق العربي فسعوا اليها يطلبون فيها العلم ويلتمسون عند اساتذتها المعرفة . ذلك لانك يا مولاي لا تبغض شيئاً كما تبغض ان يقتر على شعبك في علم او مال ولا تحب شيئاً كما تحب ان يوسع على شعبك في كل وجه من وجوه الخير

وقد أحسست يا مولاي ان شعبك مشوق الى العلم توّاق الى المعرفة طامع في المجد طموح الى الرقي فأبى حبك له وعطفك عليه الاّ ان تنيله من ذلك ما يتمنى وتبلغه من ذلك ما يريد. وما هي إلاّ عزمة ماضية من جلالتك واستجابة صادقة من حكومتك حتى كانت هذه المعجزة الخارقة وحتى ينظر الشرق والغرب فاذا مدينة الاسكندرية تسترد في اقصر وقت واخطره مجدها العلمي القديم ومكانتها الرائعة التليدة في نشر الثقافة وتقريب الآماد بين امم الارض على اختلافها كدأبها حين كانت أعظم مدن الارض قوة وبأساً وأرقاها في العلم والادب وفي الفلسفة والفن

لله أنتم آل البيت العلوي الكريم ما اعظم فضلكم على الحياة العقلية في مصر لقد بعثتموها قوية نشيطة ثم ما زلتم تتعهدونها بالتأييد والتشجيع حتى اصبحت جذوتها المقدسة نوراً ساطعاً يغمر الشرق كله . فجدكم العظيم يزكيها ويبعث فيها الروح الحديث ويصل بينها وبين حضارة الغرب . وابناؤه من بعده يتبعون نهجه ويمضون في طريقه ويسرعون بمصر الى تحقيق ما ادخر القدر لها من مجد ويجعلونها مركز الاتصال حقّاً بين العالمين

ثم هذا اسماعيل العظيم ينشر التعليم العام الذي يقصد به الى المعرفة الخالصة والثقافة الصرفة

وهذا فؤاد العظيم ينشيء جامعته في القاهرة الى ما انشأ من معاهد العلم والثقافة

وهذا فاروق العظيم ينشيء جامعته في الاسكندرية الى ما أنشأ وما سينشيء من معاهد العلم والادب والفن . وكأنما كان أبو الطيب ينظر اليكم حين قال

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ائذن لي يا مولاي في ان اصور لهذا الجيل الحاضر وللاجيال المقبلة من شعبك عطفك على هذه الجامعة ورعايتك لها في غير تزيد ولا اسراف . انها ابنتك يا مولاي منحتها الحياة ونفخت فيها من روحك العظيم وتفضلت عليها باسمك الكريم فلم تكد تشعر بهذا الوجود الذي اهديته اليها حتى كان ذكرك اول ما نطقت به وحتى كان شكرك اول ما اسرعت اليه واذا مجلسها يسجل في اول صفحة من كتابها الخالد هذا القرار الساذج الذي ان دلّ على شيء فانما يدل على انهُ يريد الشكر ولكنهُ يعجز عن الشكر فيكتفي بتسجيل هذا العجز ويستأذن جلالتك في أن يهدي اليك درجة الدكتوراه الفخرية للجامعة . وأنت عطوف على جامعتك يا مولاي رفيق بها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مشجع لها لا يكاد يرقى اليك صوتها حتى تصغي اليهِ ولا يكاد يبلغك دعاؤها حتى تستجيب لها ثم لا تكتفي يا مولاي بما قدمت من نعمة حتى تضيف اليها نعمة أخرى . وها أنت ذا تتفضل فتقبل هدية الجامعة ثم تتفضل فتسعى اليها لتتلقى منها هديتها اكباراً لشأنها واعلاءً لقدرها واذناً لها بأن تمنح من درجات العلم والفخر ما تشاء لمن تشاء . وما يمنعها من ذلك وقد أهدت اليك درجتها الفخرية فقبلتها . ولا يبلغ الجامعة انك قد أسديت اليها هذه الكرامة وتفضلت عليها بهذه المنة وآذنتها بزيارتك السعيدة ، حتى تنتظرك مشغوفة بك مشوقة اليك كأنها الروضة تنتظر قطر الندى الذي يبعث فيها الحياة وضوء الشمس الذي يسبغ عليها البهجة ومرّ النسيم الذي يحمل عنها العبير فيعطر به الأجواء في كل مكان . وها أنت ذا يا مولاي قد أقبلت فبعثت فيها من قوتك قوة ومن جلالك جلالاً ورفعت ذكرها في آفاق الشرق والغرب. فكيف السبيل لها الى ان تنهض بشكرك وأين الوسيلة لها الى ان تؤدي بعض حقك ! انما هو فضل منك يضاف الى فضل ومنة منك تضاف الى منة . ومع ذلك يا مولاي فان الجامعيين يعرفون الطريق الى رضاك ويعرفون كيف يسلكون هـذه الطريق ويستأذنونك في أن يقطعوا على أنفسهم العهد بين يديك أن يبذلوا في سبيل ذلك من الجهد أقصى ما يستطيعون . انهم يعرفون مثلك العليا ويعرفون ان من اراد ان يبلغ رضاك ، فليس عليه إلاّ ان يحب من الخير ما تحب ويسعى من المجد الى مثل ما تسعى اليهِ

أحب شيءٍ اليك وآثر شيءٍ عندك يا مولاي ان يؤدي كل مصري حظهُ من الواجب الذي تفرضهُ عليهِ الحياة المصرية على أتم وجه وأكمله في غير فتور ولا تقصير . والواجب الذي تفرضهُ الحياة المصرية على الجامعيين هو أن تخلص عقولهم وقلوبهم وضمائرهم للعلم يحبونهُ كما تحبهُ وينصرونه كما تنصره ويتخذونهُ كما تريد أن يتخذ وسيلة الى معرفة الحق ما امكن الوصول الى الحق واداة الى تقويم الخلق وتنقية الضمير وتصفية الذوق وتثقيف الشعب على اختلاف طبقاته وتكوين أجيال مخلصة للحق مؤثرة للعدل قادرة على احتمال التبعات والنهوض بالواجبات الوطنية مهما تكن ومواجهة مصاعب الحياة التي تزداد تعقداً من يوم الى يوم

والجامعيون يأخذون أنفسهم بأن يقفوا على هـذا كله جهودهم وأوقاتهم وان يبذلوا في سبيله صفوة ما يملكون من قوة وأيدٍ

وأنت بعد كل شيءٍ وقبل كل شيءٍ صورة الوطن ورمز عزته ومظهر جلاله . فالجامعيون يأخذون أنفسهم بأن تكون جهودهم كلها خاصة لمجد الوطن العزيز والعرش المفدى

بهذا يا مولاي وبالسعي الى هذا يبلغ المصريون رضاك اذا جدوا واجتهدوا وأخلصوا . وعلينا العهد يا مولاي أن نكون دائماً في طليعة الجادين المجتهدين المخلصين

أطال الله بقاءك يا مولاي وأدام نعمته عليك وأدام نعمته لك على شعبك الوفي الأمين

كيف ينبغي

ان يوجه العلم والعلماء في مصر

لتحقيق تعاون عالمي[1]

للدكتور احمد زكي بك
مدير مصلحة الكيمياء

— ١ —

قبل ان نبحث في كيف يوجه العلم والعلماء في مصر في سبيل التعاون المرجو بين الأمم، بعد انتهاء الحرب القائمة، يجب ان نصف اولاً ما هو العلم ومن هم العلماء في مصر الذين يراد توجيههم. إن العلم والعلماء في مصر أشتات، لم تتحدد لهم صفة بينة، ولم يجمعهم في الاكثر نظام. وهم لا يمثلون كل صنوف العلم التي عرفتها بلاد الغرب. ففي صفوفهم فراغ كبير ننتظر الايام ان تملأه. وهذا الفراغ ليس لقلة صنوف العلم وحدها، بل هو كذلك لقلة الرجال في الصنف الواحد

ولزيادة الايضاح نقسم العلوم الى علوم بحتة، الى علوم اكديمية. والى علوم تطبيقية. وهذا تقسيم بناؤه على الأغراض التي تتوخاها تلك العلوم. فالعلوم البحتة هي التي لا غرض لها الا المعرفة، والمعرفة لذاتها، وللذتها، أمكن ترجمتها الى لغة المال او لم يمكن ذلك. والعلوم التطبيقية هي التي تنفع الناس في الحياة، في حياتهم المادية لا الروحية، وتنفعهم نفعاً مباشراً. ومن العلوم البحتة الرياضة والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا وأمثال هذه، وما يتفرع عليها مما يدرس في كليات العلوم في الجامعات. ومن العلوم التطبيقية الهندسة، بأقسامها الميكانيكية والكهربائية والبنائية والمساحية والمائية وغير ذلك من ضروب الحيل في استخدام قوى الطبيعة وتسخيرها في خدمة الانسان. ومنها العلوم الصناعية من كيميائية وغير كيميائية. ومنها علوم الطب بأنواعها المختلفة من باطنية وجراحية وبشرية وحيوانية، وعلاجية ووقائية. ومنها علوم الزراعة. وتتضمن خير الطرق لاستكثار المحاصيل واستنبات الانسال. وليس قصدي استقصاء أنواع هذه العلوم. ولا قصدي الاتيان بكل فروع النوع الواحد. فهي كثيرة لا يكاد يجمعها حصر. ومن رام عدها دخل

(١) القي هذا البحث محاضرة في الجامعة الاميركية بالقاهرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في مرافق الحياة حتى أزقتها الصغرى وحظ مصر من هذه العلوم ليس بالقديم فان قلنا انها بدأت تأخذ من هذه العلوم في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن الحاضر لم نَعْدُ الصواب عَدْواً كبيراً . وقد يجد المستقصي شيئاً أو اشياء بدأتها مصر قبل هذا العهد من هذا العلم او من ذلك ، وقد يذكر لنا اسم هذا العالم أو ذلك ، ولكن هذا لا يؤثر في الحقيقة العامة وهي أن العلم في مصر ، بأنواعه الكثيرة المعروفة اليوم على قلتها ، وبأحجامها الحاضرة ، وما تشغله اليوم من فراغ على صغره ، هو على الاكثر وليد هذا القرن لا وليد قرنٍ سبقه . ولا يعجبنّ احد من هذا . ولا يستصغرنّ أحد هذا . فالعلم الحديث هو في العالم كله وليد بضعة قرون . ومنه ما هو وليد قرن واحد ومنه ما هو وليد قرنين

وعلى هذا فالاحياء اليوم من علماء مصر ، كثير منهم من عايش العلم الحديث في نشأته . فاذا نحن تحدثنا ، فانما نتحدث مما رأينا وسمعنا

ولعلّ اول ما سبقت اليه مصر من العلوم البحتة ، علم الرياضة . وليس هذا بغريب . فمن الوجهة المنطقية نجد ان الرياضة تسبق الطبيعة لانها أساس لها . والطبيعة تسبق الكيمياء لان الطبيعة تبحث من تغيرات المادة ما ظهر منها ، وتبحثها عامة ، والكيمياء تبحث من تغيرات المادة بواطنها ، وتبحثها خاصة . والظاهر العام يسبق حتماً ما بطن وما خص . وسبب آخر ، ان الطبيعة والكيمياء تحتاج الى أجهزة ، تحتاج بدورها الى دُربة . وفوق الدُّربة فهي تحتاج الى المال . والرياضة جهازها صحيفة من ورق وقلم من رصاص . وهذا للفقير البادىء ميسور اذا ما تيسر الذكاء. ولعلهُ بسبب هذا كانت الرياضة اول العلوم الحديثة التي شاعت دراستها في مصر في العهد الحديث . ومن أجل هذا نسمع اول ما نسمع في تاريخ مصر بالرياضيين والفلكيين، ولا نكاد نسمع بالطبيعيين والكيميائيين. وقد نسمع عمن ألفوا في الحيوان والنبات، وما يتصل بهذين العلمين من مناطق المعارف . وذلك لصلتهما ببضاعة البلد القدمى. بالزراعة

وقد جاءت الحرب الماضية حرب عام ١٩١٤ وليس في مصر معهد يتمثل فيه تعليم العلوم البحتة مجتمعةً غير دار واحدة ، هي مدرسة المعلمين الخديوية . وقد سميت بعد ذلك مدرسة المعلمين السلطانية ، فالمعلمين العليا . وقد حظيتُ بالتخرج منها . وكان أوسع برامجها برنامج الرياضة ، يليه برنامج الطبيعة والكيمياء. أما فروع العلم الأخرى من نبات وحيوان وجولوجيا ، فكانت تدرس مجتمعةً وعنوانها التاريخ الطبيعي ؛ وذلك اختزالاً لها . وكنت وأنا طالب بها أجهل بالطبع الى أي مستوٍ في تلك العلوم بلغنا ؛ فلما ذهبت الى انكلترا ، ودخلت أدرس من جديد في جامعاتها ، عرفت عندئذٍ ، وعندئذٍ فقط ، نسبة ما كنا ندرس في مصر من هذه العلوم الى ما يدرس منها في أوروبا . فكانت هذه البرامج المصرية تسبق بالمقارنة كابا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتقل القارن من الرياضة الى الطبيعة فالكيمياء فالنبات والحيوان والجولوجيا . وحضرت امتحاناً بعد وصولي انكلترا بأشهر ، فنلت في الرياضة رقماً لم ينله غيري من عديد الطلبة ، ٩٨ في المائة ، دلالةعلى ارتفاع مستوى الرياضة الذي كان في مصر . أما في الكيمياء والطبيعة فحمدت الله بعد تحضير مركّز في المعامل أن حصّلت ما نقصني ، وعوضت ما فاتني ، فجزت الامتحان بشيءٍ من مجهود

وليس أدلّ على ما كان بمصر من العلوم البحتة في الحرب الماضية ، من أن هـذا المعهد ، وهو الوحيد الذي مثّل العلوم ، لم يكن بهِ للعلوم أساتذة مصريون غير واحد ، درّس لنا التاريخ الطبيعي ، وكان أوطأ هذه العلوم برنامجاً . ولعلّ تدريسه اياه ، وهو المصري ، كان من بعض أسبابه انه كان حتماً تدريسهُ بالعربية . ولكن كذلك كان تدريس الرياضة بالعربية. ولكن درّسها مدرسون انكليز ، ودرّسوها بالعربية بعد أن تعلموها

واحتاجت المدارس التطبيقية ، مدرسة الطب ، ومدرسة الهندسة ، ومدرسة الزراعة ، الى أساس لطلبتها من العلوم البحتة ، تبني عليه، وتطبّق بهِ، فصنعت هذا الأساس محليًّا ، ودرّست هي لطلبتها ما احتاجت اليهِ من هذه العلوم ، بالقدر الذي احتاجت اليه . ولم يكن مقداره كبيراً . ولعلهُ في أكثر هذه العلوم لم يبلغ مستواها الذي بلغتهُ مدرسة المعلمين

وظلت حال العلوم البحتة على هذا الى أن جاءَ عام ١٩٢٥ ، ففي هـذا العام أسست أول جامعة مصرية في القاهرة . ولأنهـا الوحيدة أسموها عند ذلك بالجامعة المصرية ، لا جامعة القاهرة ، ولا جامعة فؤاد الأول كما تسمى اليوم . وبتأسيسها تأسست أول كلية للعلوم البحتة في مصر الحديثة ، تعمل لأول مرّة على غرار مثيلاتها من كليات الجامعات . واحتاجت هذه الكلية للتدريس في أول نشأتها الى العون الأجنبي الكثير . واحتاجت الى أربع سنوات لتُثمر أولى الثمرات ، ولتخرّج أول دفعة من الطلاب العلميّين . فمن هؤلاء الطلاب يخرج العلماء البحتيّون . وبهؤلاء الطلاب يُدار دولاب البحوث ، وهو الجواز الأول للعالم الى صفة العلم . فاذا نحن قلنا ان البحث العلمي البحت على الاسلوب الحديث لم يبدأ في مصر قبل عام ١٩٣٠ ، أو نحوه لم نعد الصواب . واذن فالعلم البحت ، والبحث البحت في مصر وليد عِقد من الزمان أو يزيد قليلاً . فاذا نحن قسناه بمقاييس الرجال وجدناه صبيًّا لم يبلغ الحُلم

فهذا عن العلوم البحتة . وقد كان في وصف حالها في مصر غناء عن وصف أخواتها من العلوم التطبيقية فالعلوم التطبيقية تُبنى على العلوم البحتة . والدور الأول في البيت ، في وصفه غناءٌ عن وصف ما يحمله من أدوار . ومع هذا فلنتناول تلك العلوم التطبيقية هي الأخرى بكلمة قصيرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فمدارس تلك العلوم سبقت مصر بتأسيسها . فكانت المدارس الثلاث التي ذكرنا ، وهي مدرسة الطب والهندسة والزراعة ، ومدرسة رابعة هي مدرسة الفنون والصنائع ببولاق . فهذا كان كل حظ مصر من هذه العلوم . وجاءَت الحرب الماضية ومستوى العلم والتعليم في هذه المدارس حيث نعلم ، فكان وسطاً بين الطموح والقناعة . وكانت هذه المدارس تخرّج لحاجات البلد المدنية ، ولحاجاتهـا العاجلة . فلم تكن تخرّج بقصد تكوين علماء ، ولكن بقصـد تكوين رجال يقومون توًّا بشغل وظائف الحكومة لتطبيب النـاس وتسجيل الموتى ، ولري الأرض وادارة المياه ، ولادارة الزراعة من بعيد ، ولسدّ حاجات الحـكومة الكثيرة في اداراتها المتعددة . ومن دلائل هذا انهُ لم يكن من هؤلاء المتخرجين فضلٌ توجَّـهَ الى العلم التطبيقي نفسه يستزيد من دراسته ، أو انهُ لم يكن يوجدُ في هذه المدارس مكان أو ترتيب او أساتذة تأذن بدراسات عليا هي المعبر الى حظيرة العلماء . ومن دلائل هذا أيضاً ان الكثرة الكبرى من المدرسين بهذه المدارس ، ولا سيما مدرسة الطب والهندسة كان أساتذتها أجانب استوردوا استيراداً . ولو كان في البلد بضاعـة مصرية من أساتذة مصريين لما كان استيراد . وقد يميل الوطني المصري عند ذكر هذا ان يدفع عن وطنية صادقة فيقول ان قوماً منعوا البضاعـة ان تصنع في مصر . وقد يكون هذا حقًّا . ولكن هذا تعليل لحال واقعة ، وفي التعليل نفسه اثبات لحال واقعة ، ان البضاعة المصرية لم تكن هنا ، ولو أنه كان في الامكان لاشك ايجادها . وظلت الحال في المدارس التطبيقية على هذا ، حتى فتحت الجامعـة المصرية في عام ١٩٢٥ . وبفتحها دخلت فيها مدرسـة الطب اولاً ، ثم مدرسة الهندسـة ومدرسة الزراعة عام ١٩٣٥ ، وأسميت كليـات بعد ان كانت مدارس . وبصيرورة هذه المدارس القديمة كليات ، دخل فيها معنى البحث العلمي . الاّ انه دخل وئيداً فقد كان لا بد من تخريج طوائف من طلبـة جدد في هذا الجوّ الجديد ، وعلى المثُـل التي أوحاها معنى الجامعة . ولعلّ أسبق هذه الكليات الى البحث العلمي التطبيقي ، بعد ان ارتدت الرداء الجامعيّ ، هي كلية الطب . وكلية الطب أقسام عدّة . واذا نحن ذكرنا البحث اتجهت أبصارنا الى الجزء المدرسيّ منها أكثر من اتجاههِ إلى المستشفى ، والى مدرسة الصيدلة كذلك

وبعد كلية الطب تأتي كلية الهندسة فالزراعة . ولعل السبب في هذا راجع الى ان الطب كان استتبابه في مصر أقدم من استتباب الهندسة والعلم الزراعي . ولان العلم الهندسي يتطلّب جوًّا ملؤه الآلات والمكنات والصناعات . وهذا الجو لم يظلّـلْ مصر الاّ حديثاً . وظلّهـا رقيقاً . اما العلم الزراعي ، فعلى ان مصر بلد زراعيّ ، فقد تأخرهو الآخر على غير انتظار . ولعلّ ذلك لان كلية الزراعة عند أول نشأتها لم تُطعَّـم طُـعماً اجنبيًّـا كما طعّـم سائر الكليات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولأن ذوي الأمر في مصر لم يدركوا خطر التعليم الزراعي عند ذاك ، ولم يمنحوه الاعان الكافي ، واطمأنوا الى أن أرضاً عتيقة أعطت ثمرها طوال قرون طويلة ماضية ، لابد أنها معطية أكلها في قرون حاضرة وقرون مستقبلة

على ان العلم التطبيقي وعلماءه صاروا اليوم على حال من التجهز خير مما كانوا عليه حين تكونت الجامعة المصرية منذ خمسة عشر عاماً . وهم على أهبة الوثوب لو فسح لهم مجال يثبوا فيه

وقد أنشئت منذ أشهر جامعة فاروق . فهي جامعة مصرية حديثة لا ماضي لها . فقد تكون بذلك أقدر على اقتباس النظم العلمية الجامعية من بدء حياتها . انها خُلقت والحرب العالمية على أشدها ، فجهازها من الرجال والعتاد جهاز حرب ، ولكن الأمل في مستقبلها كبير بعد الحرب . وعندئذٍ ستكون قلعةً من قلاع العلم القليلة في مصر — العلم بناحيتيه البحتة والتطبيقية . فهذه مواطن العلم في مصر . وهذه منازل العلماء فيها

والى هذه المواطن ، والى هذه المنازل ، يجب أن يضيف المستقرىء معاهد أخرى ، برجال أخر ، لا تخلع عليهم في العادة في مصر مسوح العلماء . تلك المعاهد العلمية التي انطوت تحت الادارات الحكومية ، فأكسبتها تلك الصلة الادارية الوثيقة نوعاً من التقيّد لا يأتلف مع ما يوحيه معنى العلم من الحرية . وزاد هذه المعاهد تقيّداً ، انها أنشئت للصيانة أكثر منها للخلق ، أنشئت لاستخدام العلم والفن في الامور الراتبة أكثر منها لاستحثاث القريحة العلمية أن تخلق الجديد

ومن هذه المعاهد مصلحة الطبيعيات ، وعملها يتصل من أمور مصر بمياهها وأجوائها وأرصادها . ومصلحة الكيمياء ، وعملها يتصل من أشياء مصر بأنتجة صناعاتها . وقسم الكيمياء بوزارة الزراعة وعمله يتصل بحاجات الأرض ومخصّبات الزرع . وقسم الكيمياء بوزارة الصحة ، وعمله يتصل بأطعمة مصر وأدويتها . ومن المعاهد الزراعية البحتة ذلك المعهد الذي أسموه مجلس مباحث القطن ، وعمله في أنسال القطن مشهور . وكذلك قسم البساتين ، وعمله الحدائق ، وما يزرع فيها من شجر ، وما يحصل منها من ثمر . وبوزارة الزراعة أقسام أخرى يتصل عملها بمحاصيل الارض الاخرى ، وبفن وقاية النبات من ضروب الآفات . وكذلك أقسام تعنى بما يدب على ارض الزراعة من حيوان ، واقسام تعنى بما ينتج الحيوان من ألبان. والى جانب هذه المعاهد الزراعية الحكومية مؤسسة علمية عظيمة ، تلك الجمعية الزراعية ، وتقوم بأشتات صالحة من كل ذلك . ومن المعاهد الحكومية ما يتصل بالجولوجيا ، وفن استنباط ذخائر الارض . وتلك مصلحة المناجم والمحاجر

وللطب معاهد حكومية عدّة أكثرها للصيانة . ولعل أشبه معهد فيها بالعلم والعلماء ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والبحث والبحاث ، معهد فؤاد لبحث الأمراض المتوطنة ، وقد كان يرجى منهُ خير كثير ، فناله ما نال أمثاله من مناشط العلم من فتور

فهذا استعراض سريع لمعاهد العلم في مصر ، ترون منهُ أنها معاهد حكومية الاّ في القليل النادر . . حتى الجامعتان المصريتان حكوميتا الدخل ، حكوميتا الرقابة

فان سألتموني كيف حال هذه المعاهد العلمية المصرية في القرن العشرين قلت لكم هي من حال الحكومة المصرية في القرن العشرين ، والحكومة المصرية في القرن العشرين لم تنعم بفترة استقرار طويلة قط . والحكومة كالكائن الحيّ ، أول همه الحياة . وحياة الحكومات في مصر كان عمادها على الاكثر سياسيًّا . وسياسة مصر كانت مضطربة دائماً ، ورياحها كانت هوجاً . فكان على الحكومة التي تريد العيش ان تصلح قلوعها وتصفح حتى تمتلىء أشرعتها بالريح الشديدة لتفتح الطريق لسفينتها في بحر من السياسة أمواجه عاتية ، وتياراته قوية متعارضة ، خافيها شر من باديها

طغت السياسة على الحكوماتَ المصرية فاستغرقَت أكثر وقتها ، واستنفدت أكثر جهدها . والقليل الذي بقي من جهد ووقت ، بدأت حديثاً تنفقه الحكومات في أمور البلد الاقتصادية وأموره الاجتماعية . أما الأمور العلمية فآخر ما تعنى به الحكومات . لأن العلم أعقد الأمور فهماً . وأبعد الأفهام عن فهم العلم فهم الحكومات . وهذا في مصر وفي غير مصر . أو ان شئت قلت ان هذا الجمود العلمي طور من أطوار الحكومات الناشئة ، لا بد من تجاوزه قبل البلوغ

من أجل هذا أحسب ان العلم القليل الذي نشأ في مصر ، انما نشأ شيطانيًّا ، بفعل أفراد وبحكم المصادفات ، أكثر من نشأته بحكم تفكير سابق وتدبير شامل . ومن أجل هذا تجد العلم والعلماء ، وهم قلة قليلة لا تكاد تعرف أين هي من سواد الناس ، كالشيء الممزق المشتت تذروه الريح هنا وهنا ، او هم كالسائمة في المرعى الوحشي ، تظل عمرها سائمة ، فلا يربطها نظام ولا يجمعها منزل . فالعلم والعلماء في مصر اليوم أفراد متفرقون ، يعمل كل لحسابه ، أو ينام كل على حسابه . وهم في المنام واليقظة ليس فيهم غناء يرضي امل فرد ، دعك من أمل امة ، حتى امة ناشئة متواضعة الأطماع . ان قوة كل شيء في التجمع والتجمهر ، كان هذا الشيء سياسيًّا او حزبيًّا ، او اقتصاديًّا او اجتماعيًّا . وكذلك حاله ان كان علميًّا . ولغياب هذا التجمع والتجمهر والتحزب في العلم ، وبين العلماء ، ضعف العلم في مصر ، وقلّ انتاج العلماء ، وقلّ تبعاً لذلك خطرهم

لقيت وزيراً سابقاً في حفل . وفي الحديث جرى ذكر ابن له . قال وأين عرفته . قلت كان استاذاً معي في كلية العلوم . قال : أنت خوجه اذاً ؟ قلت نعم !

« للبحث تتمة »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شاعر الحب والفلوات

ذو الرُّمَّة

محمود محمد شاكر

— ٢ —

« هذا والله ملهمٌ ! وما علمُ بدويٍّ بدقائق الفطنة وذخائر العقل المعدَّة لذوي الألباب ؟ لله بلادُ هذا الغلام ! ما أحسن قولهُ ، وما أجود وصفه ! »

الكميت بن زيد الاسدي الشاعر

غلامٌ يتيمٌ عبقريُّ الطبيعة ، مشتعل العقل ، ثائر العاطفة ، نابض الأعصاب ، لطيف الحس ، ذكيُّ القلب ، وَرِعُ النفس ، جيَّاش الخيال : يرى ، أو يسمع ، أو يتوهَّم ، فيهتز كيانه من أعماقهِ هِزة خاطفةً ، كأنهُ قوسٌ موتَرة ينبضها مشبوح الذراعين شديد النَّزع . بعث اليتم في دمهِ حرارة التحفُّز ، وسعَّر في روحه ضِرام الحياة المتهمة ، وسلبهُ سكينة القلب الغرير الناشىء ، فهو أبداً جافلٌ متفزّع ، كأنما يعارضهُ — حيثما توجه — شبحٌ يتخيل لهُ في صورٍ تروّعهُ وتَهُولهُ

ويقوم على تثقيف هذا الغلام اليتيم وتهذيبه ، رجلٌ من عقلاءِ الرجال ، وشاعرٌ مُقلٌّ من شعراءِ بني عدي بن عبد مناة ، ثم هو أخوه الأكبر : « هشام بن عقبة » . يشفق هشام على يتيمه « غيلان » ، فيحوطهُ بقلبٍ متودّدٍ ، ويعطفُ عليهِ بنفس صادقة ، فتشتد قوى الودّ بين الغلام اليتيمٍ وأخيهِ الذي يربّبهُ ، وبذلك يكسب « الطفل » من عقل « الرجل » وذكائهِ وصدقهِ ، عقلاً وذكاءً وصدقاً ، حتى تنشقَّ طفولته عن رجولةٍ مبكرةٍ . ولا يزال الغلام ينشأ في سر البادية العربية الخالدة التي لا تكادُ تتغيّر ، وفي جوّ الشعر العربي من من أقدم عصوره إلى أيام شبابه [في أواخر القرن الأول من الهجرة من سنة ٧٧ — ٩٧] ، وبين إخوة وأخوالٍ من شعراء البادية ، وبين رواةٍ قد حفظوا شعر قومهم وغير قومهم . لا يزال الغلام ينمو على الأيام في ذلك كلهِ ، حتى يمشي في بادية قومهِ « بني عديٍّ » ، بروح ثائرة متمرّدة عاتية ، تكافح طغيان البادية لتظفر بأسرارها المكتّمة . ينظر ، وفي عينيه تلك اللّمحة الحديدة النافذة التي لا تدع شيئاً إلاَّ تغلغلت فيهِ أو أحاطت بهِ ، لينالَ الخيالُ غذاءَه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مما يرى . يُصغِي ، وفي أذنيهِ تلك الحاسة الدقيقة التي لا تذرُ نغمة إلاّ اختطفتها ؛ ليأخذ الشعور الرقيق حظهُ مما يسمع

ويـومض في قلب الغلام ذلك الضوء المتلاحق المتدارك الذي يضيء لعينيه دنيا جديدة ثم يخبو ، ليعود فيبحث عنها في الظلام ليجدها مرة أخرى . هنا ، ثم ههنا ، ثم هناك !!! أين ضلّت عنهُ ؟ كيف ذهبت ؟ لمـاذا اختفت ؟ ما الذي رأى ؟ ويهتز الفتى لليقظة ، يريد أن يجدها ، ولا بدَّ لهُ من أن يجدها . وفي سر البادية العربية الخالدة ، وفي جو الشعر العربيّ الخالد ، يدبُّ الفتى اليتيم الصغير بين إخوةٍ وأخوال من الشعراء ، ورواة للشعر يتناشدونه في أسمارهم تحت هدأةِ الليل التي تموج فيها النفس الانسانيـة مَوْجَـها . يصغي الفتى ويحفظ ، ويخفق قلبه بين جنبيه على نغم حـلوٍ حبيب تتردّد أصداؤه في أرجاءِ روحهِ ، حين ينقلب إلى مضجعهِ . ولا تزال ترنُّ في أذنيهِ تلك الأصداء مع الفجر إذا تنفَّـس

ولم تزل البادية في عصر هذا الفتى تردّد أنغامها إيقاعاً عجباً على ألفاظ اللغة ، في شـعر امرىء القيس لحل الجاهلية ، ولبيد ، وطرفة ، وعنترة ، والأعشى ، والنابغة . ولـكنَّ الفتى يتسمع إلى ذلك الحنين الخفيّ في نغم امرىء القيس وطرفة بن العبد . ما هـذه القوة المتدفقة من تحت الالفاظ ، تعطيهـا الحياةَ فتحيي ، لتغالب الدهور الفنيةَ المبيدةَ للحياة ؟ وما هذه الصورة المثلة التي تحبّب البادية إلى قلبه حبًّـا لا ييأس ولا يفتُـر ؟ كيف استطاع هؤلاءِ أن ينفذوا في الغامض الملتبس ليبعثوه في كلماتهم بيّـناً سهلاً يكاد يمشي ويتحرَّك ؟! ثم تلـْقَـفُ مسامعه تلك الأنغام الجديدة التي تقذفها حواضر الحجاز والشام إلى بوادي نجدٍ : عمر بن أبي ربيعة ، العرجيّ ، الأحوص ، عبد الله بن قيس الرُّقيات ! ! هـذا الترفُ الجميل الذي يعبث بالحب ويعبث الحب بهِ . نساء ينفثنَ على ألسنة هؤلاءِ سحر الغزَل وفتنة الأحاديث . ويناظر الفتى — الذي صهرته البادية ، ثم صاغَـتهُ ، ثم نفخت فيـهِ — بين هؤلاء ، وبين امرىء القيس وطرفة ومن إليهما من فتيان الجاهلية وفُـتّـاكهم وأصحاب اللهو منهم . ولـكن شعر المعاصرين يقبل على قلبه وعقله بغضارته ولينه وترفه ، ثم ينفذ فيهما بسطوته ، سطوةِ الجديد المتحكم . يتمنى الفتى أن يرقَّ رقة هؤلاءِ الغزلين ، إن في روحه سرًّا يتحرَّك ، إنهُ يريد أن يقول . وتتبع عين « الفنّـان البدويّ » أوانس البادية ، كما تبعت عيون الشـعراء المعاصرين أوانس الحاضرة في الشام والحجاز ، ولـكنهُ لا يسـتطيع أن يقول كالذي قالوا . إن قلبه لا يزال مغلقاً على قدَره الذي سيحين وقد قارب . وتجيش أمواج الشعر في صدره لتكون إرهاصاً للقدر المجْـلِب عليهِ من بعيد أو قريب . فيعالج بداوته التي حكمته وأنشأته ، بتقليد الرقة التي يستشـعرها من فنّ الشعراءِ الفتيان المعاصرين ، وينظر إلى ابن أبي ربيعة الذي فتن نساءَ عصره ، يريد أن يكون كمثلهِ ترفاً وغزَلاً وحـديثاً ، وهيهات ! إنهُ سرٌّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البادية العربية ، وابن أبي ربيعة سرُّ الحاضرة العربية ، ولكنهُ سيقول على نهجه غير متلبث ، إلى أن تنتفض روحه انتفاضتها : شاعرةً مبينة متحدثة على سجيتها . فماذا يقول ؟ :

أُطاوع من يدعو الى رَيِّق الصِّبا ... وأترك من يَقلَى الصبا لا أؤامره
وسِرْبٍ كأمثال المَهَا، قد رأيته ... «بوَهْبِينَ»: حورُ الطرف بيضٌ محاجره
اذا ما الفتى يوماً رآهنّ ، لم يَزلْ ... من الوجد كالماشي بداءٍ يخامره
يُرِين أخا الشوق ابتساماً كأنهُ ... سنا البرق في عُرْف له جاد ماطره[1]
فجئت وقد أيقنت أن تستقيد لي ... وقد طار قلبي من عدوٍّ أحاذره
فقالت : بأهلي ! لا تخف ! إن أهلنا ... هجوعٌ ، وإن الماءَ قد نام سامره

فأين البادية ، وأين ابن البادية في هذا الشعر ؟ لقد ضاع ابن البادية ولم يبق له من بداوته إلاّ قوله : « وإن الماءَ قد نام سامره » ، فإن أهل الحواضر لا يقولون ذلك ، وإنما هذا كلام الذين ينتجعون الغيث في البوادي ، وينزلون على الماء في الفيافي الظامئة . وأما أهل الحضر فيقولون : « إنّ الحيّ قد نام » ، وينسون الماءَ لقلة افتقادهم إياه في الحاضرة ، أو يقولون كما قال عمر بن أبي ربيعة :

فما رِمْتُها حتى دخلت خِفاءَةً ... عليها ؛ وقلبي عند ذاك يروَّعُ[2]
فقلن حذارَ العين لمـا رأينني ... لها : إن هذا الأمر أمرٌ سيشنع
فلما تجلّى الروع عنهنّ قلنَ لي : ... هلمَّ ! فما عنها لك اليوم مَدْفع !
فَظَلْتُ بمرأى شائقٍ وبمسمع ... ألاَ حبذا مرأى هناك ومسمع !!

إن فنان البادية يقلّد هؤلاءِ الحضريين ، فهو يطاوع أصحاب اللهو والبطالة ، لا يبالي بمن يلومه وينهاه . وهو يملأُ عينيه من جمال الفتيات ، يغازلهنّ ويحادثهنّ ليعود إلى داره مترنحاً يتهالك من صبابته بهنّ . ثم ينفتىّ فيدّعي أنهُ انفرد بواحدة من بينهنّ قد تيقّن — أو خيل لنفسه أنهُ يتيقن — أنها أمكنته من نفسها ، وأنها لا بد منقادة له ، فواعدها خِفاءَها لميعادها على رِقْبة من أهلها خائفاً فزعاً، فتحدثهُ صاحبته بما يسكن روعه . تفدّيه بأهلها حين يقبل عليها ، ثم تميل عليه فتقول : لا تخف ! ثم تبتسم له وتخافت صوتها لتعلمه أن « أهلها هجوع ، وأن الماءَ قد نام سامره » . فهذا شعر غفل لم يوسم بسمة امرأة بعينها قد فرغت لها نفسه، وإنما هنَّ النساء : غانيات مطمعات بالحب لاهيات. وهو يتهالك في شعره تهالك «الماشي بداءٍ يخامره» ، ثم يعود بخيلاء شبابه فيحدث نفسه أن الفتاة خاضعة له ، ثم يحاول أن يتمثل الفزع ليزعم أن الفتاة قالت له وقالت !! هذا شعر الغزلين من أهل الحضر، لا شعر الفتى الذي

(١) عرف السحاب : أعلاه الذي يتدلى منه كعرف الفرس متهدلا
(٢) رام مكانه يريمه: تركه وغادره

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان — إذ ذاك — يتهيأ في داخله ليستوي على ذروة الشعر العربيّ الفنيّ ، حتى يخِرّ له شعر العشاق والفنانين من أهل الجاهلية كامرىءِ القيس ، ويسجد بين يديه شعر المعاصرين كجرير والفرزدق والأخطل ! إنهُ إلى اليوم فتى حائرٌ يقلد ، لم يستول على طريقته

ولم يلبث الفتى أن انتبه من غفلة على صوت جديد ونغم فنيٍّ ساحر : ذلك النغم البدوي الذي يترجم عن حب صاحبه للبادية ، وعن عشقه للابل ، فهو ينعتها نعتاً لم تسمع أذن عربيٍ مثله . لفحل من شعراء الإسلام المعاصرين ، « عُبَيْد بن حصين » الذي لقبوه « الراعي » ، و« راعي الإبل » ، لشدة شغفه بالإبل وجودة نعته لها . ويهوِي « غيلان » إليه ، ويلازم شعره يرويهِ ويتتبعه ، ثم يصاحب هذا « الراعي النُّميري » حتى يكون راويته ويجعله إمامه . ولكن الفتى لم يخلق للإبل ونعتها فيقصر قلبه عليها . إنهُ سرّ البادية ، ولن تكون الإبل وحدها هي كلَّ همه من البادية ، ولكن هكذا قدّر لهُ ، فيصحب الراعي ويحبه ويسلك معهُ المسالك ، ليأخذ عنهُ دقة العبارة عن غامض النعوت والأوصاف، وليزداد تأملاً فيما يرى من أسرار البادية ، كتأمل « الراعي » في الإبل التي استخرج غاية أوصافها . ولكن .. إن بين جنبي هذا الفتى قلباً يرتعد. قلبٌ محروم ظامىءٌ يبحث عن ريِّه. هؤلاءِ النساء ! أهو يبحث عنهنَّ ليلهو بهنَّ كما يلهو عمر بن أبي ربيعة وأشياعه، أم يبحث بينهنَّ عن سرٍ ضائع يريد أن يجده ؟ أيقول كما قال أوّلاً وهو يقلد ابن أبي ربيعة ؟ .... كلا بل يقول

وبيضاً تَهادَى بالعشيّ كأنها غمام الثريّا الرائحُ المُتَهَلِّل
خِدالاً قذفنَ السورَ منهنَّ والبُرَى على ناعم البَرْديّ بل هنَّ أخدل
قصارَ الخطى يمشينَ هَوْناً ، كأنهُ دبيب القطا ، بل هنَّ في الوعث أوجل
نواعمَ رَخْصاتٍ كأن حديثها جَنى النحل في ماء الصفا مُتَشَمَّل
رقاقَ الحواشي ، مُنيفاتٌ صدورُها وأعجازها ، عما به اللهو ، خُذَّل
أولئك لا يُوفِينَ شيئاً وعدنهُ وعنهنَّ لا يصحو الغويّ المعذَّل

هذا هو ينقلب إلى بداوتهِ ! إلى رقَّة البادية العنيفة في رقتها . أجل هنَّ النساءُ أيضاً ، ولكنهُ لا يَتَصَبَّى ولا يتهالك، بل يصف وهو جليدٌ ، يقول هنَّ بيضٌ تتهادى، ثم يصرخ صرخة الظامىء إليهنَّ يريد أن يروي منهنَّ ما استطاع ، فهنَّ الغمام في آخر اليوم يتهلل بالمطر . هكذا رآهنَّ جملة أول ما رأى ، ثم تستقرُّ أشواقهُ فيتأمل تلك الأبدان الفاتنة ، فإذا الساعدُ ريَّان ممتلئٌ ، وإذا الساق تامةٌ مستويةٌ لا عَضِلةٌ ولا مضطربة ، كأنها ساق البرديّ في نعومتهِ ولينهِ بل هنَّ أخدل وأشدُّ امتلاءً واستواءً . ثم يراهنَّ تتبعهنَّ نفسهُ ، فيفارق سَوْرة المشتاق إلى هدأة المتأمل ، فيرى خطوهنَّ كأنهنَّ قطاً يدبُّ على الرمل ، بل هنَّ في مشيتهنَّ في الرمل اللين السهل أحلى مشيةً . كأنما يخشينَ أن ينهال الرمل من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحتهنَّ . ثم يدنو إليهنَّ فيسمع اللحن الحلو الفاتن الذي يروي من ظمئه ، إنهُ في نفسه أحسن برداً من شهدٍ مذابٍ في أخضر ماءٍ وأبرده وأنقاه ، ثم يسكن ظمأه إليهنَّ شيئاً فشيئاً ، فيرى كلماتهنَّ تنفذ في سرقلبه ، فإذا أراد منهنَّ ، ما كان يجد في كلام ابن أبي ربيعة وأمثاله من الفتيان اللاهين بالحب ، وجد من حديثهنَّ ، بعد الإطماع ، ما يخذله ويبهاه . فتضطرب نفسه من أعماقها باليأس منهنَّ بعد الأمل ، فيقول :

أولئك لا يوفينَ شيئاً وعدنهُ وعنهنَّ لا يصحو الغويُّ المعذّل

فهذا هو البدويُّ الفنان قد عاد مرة أخرى الى البادية وأنكر لَهْوَ الحضر ورقته . ثم ينطلق بعد ذلك — وقد كسب من « الراعي النميري » دقة التأمل — يصف هذه الأرض التي يمشي عليها فيقول :

فما أمُّ أولادٍ ثَكولٌ ؟ وإنما... تبوءُ بما في بطنها حين تَشْكَلُ

يسائل : ما هي أمُّ أولادٍ ، ومع ذلك فهي لا تزال تفقدهم ، فإذا فقدتهم امتلأت بطنها بهم كما تمتلئ الحامل ، فيثقلها هذا الحمل الجديد . يعني من يموت من الناس

أسَرَّتْ جنيناً في حشاً غيرَ خارج فلا هو منتوج ولا هو مُعْجَلُ

وهذا الذي يموت ، فتخفيه في حشاها ، ويعود بدفنه جنيناً ، لا هو يخرج إلى الدنيا مرة أخرى مولوداً لوقته ، ولا هي تلقيه سِقْطاً مُعْجَلاً قبل ميعاد مولده ، بل هو أبداً جنين مستقرٌّ لن يرى نور الدنيا ثانيةً

تموتُ وتحيا حائلٌ من بناتها ومنهنَّ أخرى عاقرٌ ، وهي تحملُ

ومن بناتها أرضون حوامل ، وحملها هذه القرى ، تكون عامرة تارة وخراباً تارة أخرى ، فالقرى تحيا إذا كانت عامرةً ، وتموت إذا صارت خَرَاباً . ومن بناتها أرضٌ هي البيداء ، وهي عاقر لا تحمل قرى ، ولكنها تحمل الناس من البداة الذين يسكنونها وينتجعون مراتعها

تراها أمامَ الركبِ في كلِّ منزلٍ ولو طالَ إيجافٌ بها وترحُّلُ

وهي بساط بعيدٌ مترام لا يتناهى ، فهو أبداً أمام السفر . كلما ساروا وأوغلوا ، لم يستقبلوا إلاّ أرضاً ولا شيء إلاّ الأرض ، فهي

تُقَطِّعُ أعناقَ الركابِ ، ولا ترى على السير الاّ صِلْدِماً ما تَمَزَّلُ

إذ كل من أراد قطعها شَقِيَ في طَيِّها حتى تكاد أعناق ركابه تنقطع ، وهي هي لا تنتهي حتى يخيل إليك أنك لم ترحل فيها عن مكانك ، فكأنك ركبت من هذه الأرض راحلة شاقة صلبة لا تفارق مكانها

ولو جُعِلَ الكُور العِلافيُّ فوقها وراكبُهُ أعيتْ به ما تحلحلُ

فلو وضع الرحل فوق هذه الراحلة ، أي الأرض ، ثم علاه الراكب ، لأبت ولم تتحرك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من مكانها . ومع ذلك فإن راكبها لو أراد أن تتحرك به فإنه

يرى الموتَ إن قامت ، وإن بَرَكت به   يرى موتَه عن ظهرها حين ينزلُ

فإن الأرض إذا همت براكبها وارتفعت عن مكانها فذلك نذيرٌ بفناء الكون وقيام القيامة ، وإن ثبتت به لا تتحرك فإنه يرى ويستيقن أن ساعة موته قد دنت لينزل عن ظهرها . وهذه هي الأرض الفنية المحيية التي وصفها . فلما قارن بينها وبين الراحلة التي تُركب لتقطع عليها مسافة الرحلة ، أتى بالدليل على ذلك وهو : أنها

تُرى ولها ظَهْرٌ ، وبطنٌ ، وذِرْوَةٌ ،   وتشرب من بَرْدِ الشراب وتأكل

فالبطن جوفها الذي يغيب فيه كل شيء وكل حي إذا فارق الحياة الظاهرة ، وظهرها جلدتها من الثرى والرمال ، وذروتها وسنامها هذه الجبال ، وإنها — أيضاً — لتشرب ماء الأمطار إذا نزلت عليها ، وتأكل كل ما يلج في بطنها من شيء

فهذه الأبيات في صفة الارض ، وهذا الخيال الذي توهمها ، هو خيال الفتى المتأمل الذي بدأ يقف على مكامن الأسرار ، لينفذ إليها ، ويكشف عنها ببصيرة الشاعر الفنان المصور . وفيها سُخْرِيةُ الضجر من الحياة التي لا معنى لها إلا الإجهاد الذي لا ينتهي ، وفيها قوة «ابن البادية» الذي يستطيع أن يلم شعث الأشياء المتفرقة ليستفيد من النظر إليها ، ثم يلقيها ساخراً مستخفّاً لا يبالي . فما أمٌّ أولادٍ ثكول . . . إلاّ مطية لها «ظهرٌ ، وبطنٌ ، وذروةٌ ، وتشرب من برد الشراب وتأكل» ، فصيرها مصير كل مطية ، هو الموت ، هو إقبال الفناء بالهدم والتدمير ، فمن وثق بالبقاء عليها وهي فانية فقد جهل وضلّ

ثم لا يزال الفتى ، في أشواقه وتأمله ، يقطع البيداء في الرحلة بين الديار والقبائل ، في صحراء فاتنة ساحرة ، ومَوْماةٍ مَخُوفة مَهُولة

ومَهْمَهٍ دَوِّيَّةٍ مِشْكالِ   تَقَمَّسَتْ أعلامها في الآلِ

كأنما اعتَمَّت ذُرَى الجبال   بالقزِّ والإبْرِيسَمِ الهلهالِ

في كلِّ لمَّاعٍ بعيد الجالِ   تسمعُ في تيهائه الأفلالِ

عن اليمينِ وعن الشمالِ   فَنَّيْنِ من هماهم الأغوالِ (1)

ويرى بقر الوحش ، والثيران ، والظباء ، والنعام ، والقطا ، والجندب ، والحرابيَّ ، والغراب ، والذئب ، فيرى ويسمع وينصت ويتأمل ، وتستجيش نفسُه إليها صوراً من خياله القوي العنيف ، فتترك الباديةُ وَسْمَها عليه ، ذلك الوسم الذي لا يفارق من وسمته به .

(1) المهمه : الفلاة . الدوية : تسمع لها دوياً لخلائها . وتقمست : تغوص ثم ترتفع . والآل : السراب والاعلام : الجبال . واللماع السراب اللامع ، بعيد الجال ، بعيد الجوانب لا شاطيء له . والتيهاء : التي يتاه فيها . والافلال : التي لا يصيبها المطر . والاغوال جمع غول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكنهُ على ذلك حائر لم يجد دنياه التي رآها أول ما أومض في قلبه ذلك الضوء المتدارك الذي لم يلبث أن خَفت . إنهُ يبحث عنها في كل وجه . ويطول بحثه وفكره ، وتتهيأ نفسهُ مستعدةً للتلقي أعظم استعدادٍ ، إنها نفس دقيقة حساسة لا تتبلد

وجاءَ القدر ، فيخرج الفتى هو وأخوه «مسعود» وابن عمه « أوفى » ، في بِغاء إبل ضلت لهم ، ويدخل على « مي » وهي تتغنى [1]. ذلك الصوت الذي يتحدر من سمعه إلى قلبه فيرسل فيهِ قشعريرة الإفاقة من إغماء طويل كان فيه هذا القلب . إن ألحانها قد أضاءَت فيه نبراساً من النغم لن تزيده أعاصير الحياة إلاّ ائتلاقاً وضياءً . ذلك الحديث بينها وبينهُ — وهي تصبُّ له الماءَ في قربته — سيزيد على مرّ الأيام جدّة في حقيقة روحهِ . أيّ تعبير في الحياة كلها عن الفن والجمال هو أروع من هذا المنطق الرخيم ، تفترُّ عنهُ ثناياها كما يفترُّ الفجر عن صباحهِ ؟ أيّ فتنة في هذه الدنيا هي أنبل من حرّ هذا الوجه الأسيل المخروط المسنون الذي صقلتهُ أسحارُ البادية وآصالها ؟ أيُّ لذة في هذا الوجود هي أمتع من هذا الجيدِ المتمرِّد على جسد أهيف أملود يتحدَّى كل قوة في كل جمال ؟ أيُّ متاع في هذا العالم هو أغنى من هذا الشَّعَر الجَثْل الأثيثِ المتموِّج على متنها، ينادي كل عاطفة لتضلَّ في دياجيه الساحرة ؟ أيّ دنيا هي أعمق أسراراً من هاتين العينين الصافيتين تسبح في صفائهما الروح إلى الغاية التي تُرَى ولا تُدْرَك ؟؟

وينصرف الفتى من لقائها ، وفي سمعه نغماتها ، وفي عينيه صورتها ، وفي قلبه هواها ، وفي روحهِ لذة خالدة تزداد على الأيام عِشْقاً ونفاذاً . فلئن أشقاه الحرمان بالرحيل ، فلشدّ ما أسعده أن وجدها . فهو بين اللذة والألم يتردد ، ولكنه في شَجْوٍ يطربهُ كما يحزنهُ ، ينال بأثريه في قلبه فرحةَ وجودها . لقد تزوّد منها نظرة وابتسامة وحديثاً . أنسته النساء وما فيهنَّ ، وصرفته إلى طيف يُلِمُّ بهِ في مضجعهِ ، ويعارضه في طريقه . يناديه إذا خلا ، فيأتيه جواب دعائه من أعماقه ... صوتها ، ألحانها ، عيناها ، كل شيء رآه منها أو سمعهُ يستجيب لهُ . ولكن القدر يمدُّه ليتلقى من « ميٍّ » ما هو أعظم من الفرح بحبها ووجدانها ، فيتركه ينطوي عليها ، ويتسلى بها في خلوتهِ فرحاً أن يزورها من عامهِ في ديار أهلها كما زارها من قبل . فيرجع إلى ديار بني منقر ، لعامه هذا ، فيجد القوم قد ارتحلوا عن منازلهم «بالوحيد» ، فيقف على ديارها يسائل نفسه عن ميّ وأهلها ، وكذلك يعرف الفتى منذ اليوم ما معنى الوقوف على الديار ، وما لذة مساءلة الأطلال ، يعرفها تجربة في قلبه ، لا معرفة من شعر من سبقهُ . فإذا عاد إلى دياره — مؤملاً أن يعود إلى « ميٍّ » ، فرحاً بما عرف من لذة الوقوف على أطلالها — قال :

---

(١) أنظر مقتطف فبراير ١٩٤٣ ص ١٢٥ — ١٣٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«هل تعرفُ المنزلَ « بالوحيدِ » قَفْراً محاهُ أبدُ الأبيدِ ؟ »
«والدهرُ يُبْلي جِدَّة الجديدِ !! . . . . »

فإذا أتمَّ تساؤله، وعرف لذة ما كان فيه من موقفه هناك، أجاب نفسه فقال :

« نعمْ ! فأنتَ اليومَ كالمعمود من الهوى أو شَبَهُ المورودِ »

يجيب نفسهُ مختالاً : نعم، ثم يصرف القول كأنهُ يخاطب آخر غيره فيقول له متعجباً : نعم : لقد عرفت، فأنت في يومك هذا كالمريض الذي هَدَّه المرض فهو يُسْنَد من جوانبه ليستوي، أو مثل المحموم الذي وردتهُ حُمَّى نافض، فتلك الحمى هي ما وجدتَ في روحك من قُشَعْريرة الشوق والذكرى. ثم يصرخ يناديها

« يا ميُّ ! ذاتُ المبسمِ البَرُودِ بعدَ الرقادِ، والحشا المخضودِ »
« والمقلتينِ وبياضِ الجيـدِ »

ولكنهُ يعود فيذكر حديثها إذ قالت له — وهي تصب الماء في قربته — تلومه على ارتكاب السفر، وهو صغير حديث السن، فيقول : يا ميُّ !

« أهلكتِنا باللـوم والتفنيد »

أهلكتنا ! ! عجيب هذا الفتى البدوي كيف يرقّ ويقسو، ولكنه يعود فيعتذر لنفسه عن ملامتها وتفنيدها. مسكين ! إنهُ يخاف عليها حتى في خلوته وشعره، فيقول : هذا عذرها، إنها

« رأت شُحوبي، ورأت تخديدي من مُجْحِفَاتِ زمنٍ مِرِّيد »
« نقّحْنَ جسمي عن نُضار العود بعد اهتزاز الغصُن الأملود »

ثم يعود فيقول : كيف أعتذر لها ؟ إنها رأت هواي لها فصدَّت عني، فيقول لها :

« لا ! بل قطعتِ الوصل بالصدودِ »

ألم يكن ذلك كذلك ؟ وإلاَّ فلِمَ

«قد عجبتْ أختُ بَني لبيد وهربتْ مني ومن مسعود»

وإذن فهو الصدود والإعراض بعد الوصل. أجل ! إنها أيضاً تخاف أن يكون بيني وبينها هوًى غالبٌ، وبيّنة ذلك أنهُ لا يمكن أن يكون سرُّ صدودها أنها

« رأت غلاميْ سفرٍ بعيد يدَّرعان الليل ذا السدود »
« مثل ادِّراع اليَلْمَقِ الجديد »

كما تدعي، فإن هذا أمرٌ لا يوجب دهشةً ولوماً وتفنيداً، وإذن فهو الصدود، هو الصدود يا ميُّ !! ويبيت يمنّي النفس بغدٍ يراها فيه، فهو يتهيَّأ لها، ويزوّر الاحاديث في نفسه للقائها، ويومئذٍ تجد صدُودها وإعراضها قد انقلب شوقاً وصبابة وإقبالاً على فتاها ! هكذا كان يقول ويقدِّر، والقدرُ من وراء الحجُب يقول : على رِسْلك أيها المغرور ! !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفلاح

يستشير العالم الطبيعي

ليس في وسع أحدٍ ان ينكر ما أسداه علماء الكيمياء والبيولوجيا الى الزراعة من أيادٍ بيض. ولكن نواحي متعددة من البحث العلمي الحديث تشير الى ان الأوان آن لاستعانة الزراع بعلماء الطبيعة الحديثة على حل مشكلاتهم

فالزراعة وهي اكبر أعمال الانسان وأوسعها نطاقاً وأهمها شأناً لا تزال عند المقابلة بغيرها من شؤون العمران ، في الدور الذي كانت فيه المواصلات البحرية تعتمد على السفن الشراعيّة بالمقابلة مع السفن الحديثة وطائرات النقل الضخمة . ان معيشة الفي مليون من الناس مرتبطة بنتاج الأرض ورزق ثلثيهم يعتمد على العمل فيها . ولكن الزراعة بوجهٍ عام لا تزال متقهقرة بالقياس الى ما أصاب الصناعات المختلفة من تقدُّم . ففدان يدرّ ستة عشر جنيهاً في السنة يعدُّ كنزاً من الذهب وأما الدخل المتوسط فقد لا يزيد على ثلاثة جنيهات . وأدهى من ذلك ، ان الفلاح قد يقضي ساعات متعددة كل يوم هو وأفراد أسرته في عمل شاق ، وبعد ما تتعرض زراعته للعصافير والسيول والرياح والجفاف والآفات ، تبقى له غلة ما ، فيقال له ان سوقها انهارت لشدة اقبال المحصولات ، مع ان هناك ألوفاً ومئات الألوف من الناس يتضورون جوعاً ويبيتون على الطوى !

ولعلَّ التأخر في الاعتماد على الأساليب العلميــة الحديثة في ارتقاء الزراعــة مردُّه الى ان الحاصلات الزراعية لا تزال تعدُّ هبةً من هبات الطبيعة للانسان . ولكنَّ أقلَّ الاساليب نفقة ليس أفضلها ولا أنفعها . فالرياح تهبُّ حرَّة فوق البحار وليس على المرء أن يدفع إتاوةً لأحد اذا شاءَ استعمالها في دفع سفينتهِ الشراعية . ومع ذلك يفضِّل التجار انفاق ألوف من الجنيهات في تجهيز سفينة بمحرك يديره النفط أو الفحم بدلاً من انفاق بضع مئات لتجهيزها بأشرعة وتركها لرحمة الرياح

ومن الحقائق المعروفة الآن ان نموَّ النبات يحتاج الى أربعة أمور لاغنى عنها وهي الضوء والهواء والماء ومقادير يسيرة من بعض العناصر والمواد الكيميائية . فالنبات يأخذ من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهواء أهمّ المواد التي يحتاج اليها في نموه . ولما كانت التفاعلات الكيميائية في خلاياه لا تتمّ إلاّ والمواد المتفاعلة محلولة ، فهو يحتاج الى الماء فيأخذه من الأرض ويأخذ معهُ بعض المواد المذابة فيهِ ، ثم هو يحتاج الى الضوء فيجهزه بالطاقة اللازمة لفعل التركيب الضوئي بوساطة حبات اليخضور (كلوروفيل)

والكيميائي لا يتدخل حتى الآن في نموّ النبات وتركيب المواد النشوية والسكرية ، إلاّ عندما يجهز النبات ببعض العناصر التي يحتاج اليها النبات ، باضافتها الى الأرض سماداً طبيعيًّا أو كيميائيًّا . ولكن مشكلات الزراعة ، اذا صرفنا النظر عن موضوع خصب التربة وموضوع الآفات والوقاية منها ، هي مشكلات تمتّ بصلة وثيقةٍ الى علم الطبيعة وفروعهِ ، وفي مقدمتها السيطرة على الحرارة والضوء وتأثيرهما في النمو والاثمار ، وغير ذلك

ولنضرب على ذلك مثلاً بسيطاً . ولنفرض انك تبغي أن تفوز بكرزٍ غضٍّ في بلدٍ ما في غير أوانهِ ، كشهر فبراير مثلاً . ففي سبيل تحقيق بغيتك عليك أن تعتمد على إحدى وسائل ثلاثٍ . فاما أن تنقلهُ من بلدٍ يكون الكرز فيها ناضجاً في فبراير كاستراليا والارجنتين . وهذا يقتضي تحسين المواصلات لتقصير المسافة وسرعة النقل واتقاناً في وسائل حفظهِ حتى يتمَّ نقلهُ فلا يتهرّأ ويفسد . واما أن يجنى الكرز حيث يجود شجره ويحفظ بطريقة من طرائق حفظ الفواكه حتى شهر فبراير . واما أن تعالج شجر الكرز بطريقة علمية تجعل ثمره ينضج في فبراير لأن الجوّ الذي يحيط بهِ في فبراير وقبلَهُ ، كالجوّ الذي يحيط بهِ عند أوان نضجهِ المألوف . وهذه الوسائل تتقدَّم تقدماً حثيثاً بفعل الارتقاء الصحي والعمراني ، ويعتمد عليها مجتمعة

ثم ان الفلاح الحديث ، شديد الحاجة الى توفير طاقةٍ محركة رخيصةٍ له تمكنه من انتاج محصول يستطيع ان يبيعه بسعر وافٍ وربح معقول . وقد تنبهت بعض البلدان الى هذه الحقيقة فوفرت الطاقة الكهربية للفلاح في حدود استطاعتها ، او بدأت تفعل ذلك . ففي سويسرا ٩٨ في المائة من مزارعها مجهزة بالطاقة الكهربية ، وفي السويد ٥٠ في المائة . وفي انكلترا تستعمل الطاقة الكهربية في المزارع في ستين غرضاً منوّعاً . وكانت هولاندة قبل نشوب الحرب قد أخذت تنصرف عن استعمال الطاقة التي تولدها الطواحين الهوائية الى استعمال المحركات الكهربية ، وباستعمال هذه الطاقة تمكن الزراع الهولنديون عن الاستغناء عن تقلب الرياح وأحوال الجوّ فأخذوا ينتجون الخضر والازهار المطلوبة في السوق البريطانية في المواعيد المبكرة التي تطلب فيها ويشتد الطلب . فكادوا يحتكرون هذه السوق لقربهم منها بعد ما كان الشأن الاكبر فيها لايطاليا من هذه الناحية

وهناك في بحوث الطبيعة المتصلة بالزراعة، ناحية طريفة تستيرعي الاهتمام والاعجاب . وهي ناحية الاعتماد على الضوء الصناعي في استعجال نضوج الازهار والاثمار او تأخيره ، وهي من أفعل الاساليب الزراعية التي أسفر عنها البحث الطبيعي الزراعي الحديث . وانما يجب ان نقول ان الضوء الصناعي لا يغني عن ضوء الشمس بل هو يكمله وينوّع تأثيره وذلك لسبب واضح وهو ان الاعتياض بالضوء الصناعي من ضوء الشمس المباح بغير ثمن، عملٌ كبير النفقة ولا قبل للزراع بها. فاذا شئنا ان نولد ضوءًا كهربيًّا يحل محلَّ ما يقع من ضوء الشمس على ذراع مربعة من سطح الارض، كلفنا ذلك الضوء ستة مليمات في الساعة أو اكثر أو أقل بحسب البلد. وهذا يعني اننا اذا شئنا ان نعتاض من ضوء الشمس بمصباح او مصابيح كهربية في بستان مساحته فدان ، كلف ذلك عشرين جنيهاً في اليوم . ولذلك يكون جلّ الاعتماد على الضوء الصناعي في أحوال معينة ولاغراض خاصة

واستعجال نضوج الازهار في طليعة الأغراض التي يستعمل لها الضوء الصناعي في بعض البلدان . فاذا كان زهر من الازهار لا يبلغ أوْج إزهاره الاّ في أواخر يناير ، وكان الناس يرغبون فيه رغبة خاصة لتزيين الدور في مواسم معينة تسبق موعد الإزهار اسبوعاً أو أسابيع ، فاستعمال الضوء الصناعي استعمالاً صحيحاً يجعل تبكيره في حيز المستطاع . فالزنبق يمكن تبكيره شهراً كاملاً وزهر البسلة Sweet Pea خمسة اسابيع . وأغرب من ذلك ان ضرباً من ضروب البرسيم لا يشرع في الإزهار قبل سنتين ولكن علماء معهد بويس طمسن — وهو معهد قائم في ولاية نيويورك — تمكنوا من ابلاغه مرتبة الازهار في ثلاثة أشهر وذلك باستعمال الضوء الصناعي . والظاهر ان تبكير الإزهار بالضوء خيرٌ من تبكيره بأساليب أخرى لأن التبكير باستعمال الضوء الصناعي لا يصحبهُ تغير ما في اللون او الشذا في الأزهار ولا في اللون او الطعم في الأثمار

والنباتات من حيث تأثرها بالضوء اصناف . فمنها ما يزكو اذا طالت مدة تعرضه للشمس في يوم واحد ومنها ما يزكو اذا قصرت مدة التعرض . « فالكريزانتم » الذي يتفتح قبل ميعاد الطلب عليهِ في سوق الأزهار ، يمكن تأخير نموه وابطاء إزهاره بتعريضهِ مدة طويلة للضوء . فاذا كان ضوء الشمس محجوباً عرض لضوء المصباح الكهربي . وقد استخرج الباحثون في هذه الناحية من تأثير الضوء في النبات حكماً عامًّا مؤداه ان النباتات التي تزهر في الصيف تؤثر طول التعرض للضوء ، والتي تزهر في الربيع والخريف تفضل الاعتدال في أمد التعرض، والتي تظهر على مدار السنة تفضل قليلا من الظل يتخلل التعرض للضوء. واستعمال الضوء استعمالاً محكماً يجعل الازهار والاثمار أزهى وأنضر مما تكون عادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهناك ناحية أخرى من هذا الموضوع الحافل بالعجائب ، أدعى الى العجب والاعجاب. فقد يستعمل الضوء المصفى ، أي الضوء الذي حجبت طائفة من أشعته بمصفاة لونية . ومن النبات ما تؤذيه أمواج الحرارة في الصيف . وقد يكون كشف هاتين الحقيقتين باعثاً على انشاء مستنبتات خاصة لها كوى خاصة من الزجاج او مادة شفافة أخرى فيحجب بها البستاني من الطيف ما يشاء وفقاً لحاجة النبات في الداخل . وكأن الطبيعة عرفت ان الألوان المختلفة في ضوء الشمس لا تؤثر تأثيراً متساوياً في انماء النبات فجعل ورق النبات أخضر الى الزرقة . وقد عني العلماء بدراسة قدرة اليخضور على امتصاص أشعة الضوء وقابلوا بين امتصاص الأوراق الحية والاوراق الذاوية مستعينين على ذلك بالمطياف فوجدوا ان أكثر الاشعة التي يمتصها النبات ويستخدمها هي الاشعة الحمر

وأرادوا تطبيق هذه المعارف فأخذوا فسائل من نبات واحد وغرسوها في أحوال مماثلة كل التماثل الا في لون الاشعة التي تتعرض لها ، فواحدة غمرت بضوء أزرق وأخرى بضوء أحمر وأخرى بأشعة ما دون الاحمر وأخرى بأشعة ما فوق البنفسجي فوجدوا أولاً ان نباتات مختلفة متباينة في سلم الارتقاء العضوي تستجيب جميعاً لتأثير اختلاف الضوء . ووجدوا كذلك ان الضوء الاصفر من مصباح متوهج يفوق تأثيره في نمو النبات تأثير الضوء الازرق من المصباح نفسه خمسين في المائة. وان الضوء الاصفر من مصباح بخار الصوديوم يؤثر في النمو تأثيراً يفوق تأثير الضوء الازرق من مصباح الزئبق مرتين. حتى ليبدو للباحثين ان الضوء الازرق الصافي يعيق حالة النمو وان أشعة ما فوق البنفسجي تؤذي خلايا النبات. ومن المشاهدات التي لم يعرف لها تفسير مقبول قبل كشف هذه الحقيقة ان نباتاً معيناً يزكو في الأودية ولكنهُ يوجد ضعيفاً على منحدرات الجبال العالية . وتفسير ذلك ان أشعة ما فوق البنفسجي قوية على منحدرات الجبال العالية لأن الهواء أنقى ولا يحجبها العثير أو يمتصها ، حالة انها أقل في الاودية لأن الهواء وما فيهِ يمتصها . وقد أخذ نبات من هذا القبيل من منحدرات الجبال السويسرية وزرع في الاودية فزكا ثم أخذ الى مستنبت وغمر بأشعة ما فوق البنفسجي فضمر

وقد يستغرب القارىء أن يكون للمطياف شأن كبير في الزراعة . ولكن لا محلَّ للاستغراب . ففي بعض أنواع التربة تشتد الحاجة أحياناً الى مقادير يسيرة من بعض العناصر. فيصاب النبات بمرض . ومثال ذلك عنصر البورون. مع ان المقدار الذي يحتاج اليهِ النبات من هذا العنصر قليل جدًّا ولا يقاس إلا بأجزاء من الغرام . وفي بعض الحقول في غربي الولايات المتحدة نبات قاس يؤثر في الحيوانات التي ترعاه فيسمُّها . وقد ثبت بالبحث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ان هذه التربة يعوزها الكبريت ويكثر فيها السلينيوم . وذرَّات العنصرين متشابهة من الناحية الكيميائية . ومع ان النبات يستطيع التفريق بين ذرَّات العنصرين إلاَّ انهُ لا يمتنع عن امتصاص السلينيوم عندما لا يجد كفايته من الكبريت . والسلينيوم ضار بالحيوانات . فاذا شئت ان تعرف المقدار النسبي من هذين العنصرين في تربة حقلك واعتمدت على اساليب الحل الكيميائي العادية استغرق ذلك وقتاً طويلاً ونفقة كبيرة . ولكن المطياف يحل المشكلة في أقصر وقت وبغير نفقة تذكر . وعلى ذكر العناصر التي يحتاج النبات الى مقادير يسيرة منها كي ينمو نموًّا سويًّا نورد الحقائق التالية :

تقدم العلم في ربع القرن الاخير تقدماً عظيماً في معرفة الفيتامينات وغيرها من عوامل التغذية الاساسية في الانسان . ولكن قليلاً من الناس يعلم ان النبات كثيراً ما يشكو سوء التغذية كما يشكوها الانسان وانهُ في حاجة إلى مقادير يسيرة جدًّا من مواد معينة منوعة لكي يستقيم نموه السوي . وفي هذا الميدان تقدم العلم تقدماً عظيماً كذلك . فقد انقضت الايام التي كان يظن فيها ان النتروجين والفصفات وغيرهما من مواد التسميد المعروفة هي كل ما يحتاج اليهِ النبات من غذاء

فقد أثبت البحث في السنوات الاخيرة ان نمو النبات نموًّا سويًّا يحتاج الى طائفة كبيرة من العناصر الكيميائية وان ما يحتاج اليهِ منها يسيرٌ جدًّا على الغالب

فالنبات المعروف باسم « لوسيرن » وهو البرسيم الحجازي يصفرُّ ويضعف نموه ولا يصلح تماماً علفاً للحيوان اذا أعوزه عنصر البورون . واذا كان التراب الذي ينمو فيهِ لا يحتوي على يسير من البورون فالتسميد المألوف لا يجدي كثيراً في اصلاح شأنه . ونبات الطماطم كذلك يحتاج الى البورون فاذا لم يتح له غدا طعاماً لا يستطيبهُ الانسان

في العهد الماضي كان يظن ان النحاس والزنك من العناصر التي تعد سامة بالقياس الى النبات ولكنها تعد الآن من العناصر التي لا غنى عنها في نموه . والمقادير اللازمة من هذين العنصرين صغيرة جدًّا والمرجح ان كل تربة تحتوي عليها . ولكن في قارة استراليا مناطق فسيحة مرد أكثر تربتها الى ما كان قبلاً مغطًّى بمياه البحر فالحبوب التي تزرع فيها لا تعقد حبًّا إلاَّ اذا أضيفت كبريتات النحاس الى التراب . والحاجة لا تزيد على بضعة جرامات من كبريتات النحاس لكل هكتار من الارض . ويلوح ان هذه الانواع من النباتات تحتاج الى هذه المقادير المجهرية أو الطيفية تقريباً من النحاس لكي يتم نمو أعضائها التناسلية فيستطيع زهرها حينئذٍ أن ينعقد حبًّا . فاذا لم يتح لها النحاس إما بطبيعة الارض وإما عن طريق التسميد كانت الغلة قشًّا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مذهب الاخلاق

عند الرواقيين

لعثمان امين
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

١ — ﴿ التعريف بالرواقية ﴾ : « الرواقية » لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي انشأها زينون الكتيومي بمدينة اثينا ببلاد اليونان اوائل القرن الثالث قبل الميلاد

ويدعى انصار تلك المدرسة بالرواقيين أو « أصحاب الرواق » أو « اهل المظالّ » نسبة الى الرواق المنقوش (المسمى باليونانيــة « ستووا پويكيلى ») ، وكانت تلقى فيهِ المحاضرات الفلسفية في ذلك العهد

فالمدرسة الرواقية القديمة مدرسة قامت بعد أيام ارسطو ، وهي معاصرة لمدرســة « ابيقور » . وترجع نشأة المدرسة اذن الى اوائل العصر الموسوم بالعصر الاسكندري ، وهو ذلك العصر الذي ازدهرت فيهِ الثقافة بمدينة الاسكندرية حين طبقت شهرة تلك المدينة الجامعية المصرية ونفوذها آفاق العالم القديم

وقد اتصف ذلك العصر الاسكندري بخصائص قد نجد كثيراً منها في المذهب الرواقي نفسه : وأهم هذه الخصائص ميل الناس الى الاستكثار من المعارف ، وسعة الاطلاع وغلبة الاهتمام بالشئون العملية على الشئون النظرية المحض ، وتسلط الانظار الدينية والاخلاقية على الانظار العقلية والعلمية

٢ — ﴿ خصائص الرواقية ﴾ : والرواقية ليست مذهباً فلسفيّـاً فحسب ، بل هي كذلك وقبل كل شيء أخلاق ودين . ولعل أظهر طابع يميز الرواقية هو نزعتها العملية الارادية التي جعلتها تطرح المذهب المثالي اطراحاً دون تردد أو احجام : فالمثل والكليات ليس لها عنــد الرواقيين حقيقة خارجية ، فليست موجودة خارج الاشياء — كحالهــا عند افلاطون — ولا هي موجودة في الاشياء — كحالها عند ارسطو . انمــا المثل والصور عندهم مجردات لا يقابلها شيء في عالم الواقع

والرواقية وان كانت قد قامت على أرض يونانية ، الاّ أننا لا نستطيع ان نعدّها من ثمار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفكر اليوناني وحده ، بل أحرى أن تكون فلسفتها ثمرة للاتصال الثقافي بين الشرق والغرب، ذلك الاتصال المشهور الذي نشأ على أثر فتوحات الاسكندر الأكبر . اضف الى هذا ان أغلب أنصار الرواقية هم من الشرقيين أو يرجع أصلهم الى أقطار ومدن شرقية كقبرص وصيداء

٣ — ﴿ مقام الرواقيين ﴾ : وللرواقيين في تاريخ الفلسفة شأن خليق ألا يُستهان بهِ . ولقد استطاع بعض الباحثين المحدثين أن يوازن بين أثرهم في أفكار الانسانية وبين أثر أرسطو والمشائين . ونحن من جانبنا نقر تلك الموازنة ، ونعتقد أنهُ لا ضير على الرواقيين منها ، إذ أن منزلتهم في تاريخ الفكر منزلة وطيدة . بل انهم قد يزاحمون جماعة المشائين ، فيكادون يسودونهم في بعض المسائل ذات الخطر . قال رُدْيه وهو حجة في هذه البحوث : (اذا كان أرسطو يعدُّ « المعلم الاول » — كما قيل — فان أكبر أثره لا يكاد يعدو مجال المنطق والفلسفة النظرية . أما من ناحية الأخلاق والفلسفة العمليـة بوجهٍ عام ، فيحق القول بأن الانسانية المفكرة انما عاشت على المذهب الرواقي حتى أدركت المسيحية ولبثت تتغذى منهُ بعدها حقبة طويلة من الزمان) . وكتب ماهافي : (ينبغي أن يبين للملأ ان أعظم تراث عملي خلفهُ اليونان في الفلسفة لم يكن فخامة ميتافيزيقا أفلاطون ، ولا سعة علم أرسطو ، بل نجده في المذهبين العمليين مذهبي « زينون » و « أبيقور » كما نجده في تشكك « بيرُّون » . فكل رجل في وقتنـا الحاضر هو إما رواقي وإما أبيقوري وإما متشكك) . وليست الرواقية بحاجة الى تقريظ بعد الذي صاغهُ لها « مُـنْـتِـسْـكيو » من قبل في بليغ العبارة إذ قال في كتابهِ « روح القوانين » : (استطاعت الرواقية وحدها ان تربي مواطنين أحراراً ، وأن تنشّـيء رجالاً عظماء ، وأن تخرج أباطرة كباراً !)

٤ — ﴿ الرواقية والاخلاق ﴾ : والرواقية في صميمها مذهب أخلاقي . هي قاعدة للحياة وللحياة الباطنية . ولا وجود للرواقية حيث تكون الأخلاق معطلة . وقد يتنازع الرواقيون فيما بينهم على كثير من مسائل الفلسفة . والواقع ان الخلاف قد احتدم بين شيوخهم الأولين في أكثر من موضع من المنطق وفلسفة الطبيعة . ولكن هذه أمور تكاد تكون عرضية بالقياس الى جوهر الفلسفة الرواقية . فقد لا يجد الرواقي حرجاً في أن يعتنق في مثل هذه المسائل الرأي الذي يشاء ، ما دامت نتائج نظره من حيث الأخلاق واحدة مصونة ليس الى المساس بها سبيل

والواقع ان تعريفات الرواقيين للفلسفة تدلنا على ان للأخلاق فيها المكان الاول : فقد قالوا الفلسفة ممارسة الفضيلة ، والفضـيلة صناعة واحدة لا تتجزأ ، وهي أشرف الصـناعات منزلة ، وأشدها ملاءَمة لطبيعة البشر . وقال الفيلسوف الرواقي الروماني سنكا : (الفلسفة نهج مستقيم في الحياة ، وعلمٌ يُعدّنا لأن نحيا على الفضيلة ، وصـناعة نسلك بها من السبل أقومها ، الفلسفة ناموس حياة جميلة فاضلة)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ — ﴿ النزعات الأولى ﴾ : أول ما يبدأ الرواقيون به نظرهم في الاخلاق هو ان يبحثوا عن الميول الطبيعيـة ، فيتساءلوا ما موضوع النزعات الأولى للموجودات ، أي ما الفطرة التي فُطرت الموجودات عليها ؟

وهم يجيبون عن هذا السؤال بأن الميول السابقة على الارادة والروية ، والتي يشترك فيها الانسان والحيوان هي على نوعين : ميول تنزع الى حفظ الفرد نفسه . وميول تنزع الى حفظ الجماعة التي ينتمي الفرد اليها . فكل موجود حي انما يملك في الأصل بنيته الخاصة وله شعور بها ، ومن أجل ذلك كان دائم البحث عما يلائمها وما لا يلائمها . ومن قال بأن اللذة هي أول ما ترغب فيه الموجودات فقد أخطأ . انما تحصل اللذة للموجود اذا وجد ما يتفق مع بنيته ، والخير لكل موجود هو موافقة طبيعته الخاصة

٦ — ﴿ موافقة الطبيعة ﴾ : وموافقة الطبيعة عند الانسان تعني الحياة وفاقاً للعقل . والعقل هو الجزء الرئيسي فينا الذي يقوّم ماهيتنا الانسانية . ويلزم عن ذلك ان الحيـاة وفاقاً للطبيعة هي الحياة وفاقاً للعقل . لكن الانسان حين يحيا وفاقاً للعقل لا يكون موافقاً لنفسه فحسب ، بل يكون موافقاً لمجموع الأشياء أي للكون : لأن العقل لا يختص بالانسان وحده ، بل هو أيضاً من خصائص الموجود الكلي ، أي من خصـائص الكون . والعقل الانساني ليس إلاّ جزءًا من العقل الكلي الشامل . فبالعقل نحيا على وئام مع أنفسنا كما نحيا على وئام مع العالم أجمع

وهذا هو معنى العبارة المشهورة التي قالها زينون : « الحياة وفقاً للطبيعة » . ومعناها أولاً ان الانسان ينبغي عليه أن يعيش على وفاق مع الطبيعة ، أعني على وفاق مع العقل ، لأن العقل طبيعة ولكن لها معنى آخر : وهو ان الانسان حين يحيا وفقاً للعقل انما يحيا وفقاً للقانون الكبير الذي يحكم العالم . وخير الانسان وسعادته هي الحياة وفاقاً للطبيعة الكلية . وذلك هو ما تعبر عنه مناجاة مرقص اوريليوس حين قال :

« كل شيء يلائمني ، اذا لاءمك أيها العالم ،
وما جاء في الوقت الملائم بالنسبة اليك
فليس متقدماً ولا متأخراً بالنسبة إليّ
« وكل ما جاءتني بهِ فصولُك أيتها الطبيعة فهو ثمرة عندي .
وكل شيءٍ يأتي منكِ ، وكل شيءٍ فيكِ ، وكل شيءٍ يعود اليكِ »

٧ — ﴿ الفضيلة ﴾ : ومن أجل ذلك عرّف الرواقيون الفضيلة بأنها « العقل الصريح » ، أي العقل الكامل السليم الذي يظل دائماً متسقاً مع نفسهِ . وينتج عن العقل الصريح حياة متسقة أجزاؤها . والرجل الفاضل الحكيم الذي تسير حياتهُ كلها وفقاً للعقل الصريح انما يحيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفقاً للطبيعة الخاصة ووفقاً للطبيعة العامة ، وهو مواطن حقيقي من مواطني العالم . وهو يقبل طوعاً كل ما يأتي بهِ القدر من أحداث ، حتى المصائب والنكبات ، معتقداً انها داخلة في النظام الكلي والقضاء الالهي . والرجل الخبيث على عكس ذلك تجده على خلاف مع نفسه ، وعلى خلاف مع الموجودات جميعاً . وهو غريب في المدينة العظمى مدينة الكون . ومع ذلك فالشرير مهما يتمرّدْ على القدرِ ، فلن يجديَهُ ذلك نفعاً : لأن جهوده للتخلص من الاقدار انما تسوقهُ حيثما أرادت الأقدار

﴿ فن الحياة ﴾ : اذا عرف الانسان طبيعته وطبائع الاشياء استطاع أن يحدد موقفه منها . والانسان بحاجة قبل كل شيءٍ الى أن يعرف كيف يحيا حياة فاضلة . وانما الحكمة هي التي تكفل تلك المعرفة. والحكمة لا تخالف الطبيعة ، بل هي أولى بأن تكون موافقة للطبيعة . والحكمة فن من أصعب الفنون : إذ هي ترشدنا الى ما ينبغي أن يُصنع لا بشيءٍ معين، بل بالأشياء على وجه العموم . ومن الممكن أن تعرف الحكمة اجمالاً بأنها : « فن الحياة »

وسبيل الحياة حياة فاضلة أن يكون المرءُ دائماً على ثقة من أفعاله . فيجب ان يتخذ لنفسهِ في حياته موقفاً مقرراً ومسلكاً واحداً ثابتاً لا يتبدل . وأمثل السبل لذلك أن يتصرف في الأشياء وفاقاً لحكم العقل ، وقد رأينا ان العقل يطابق الطبيعة . واذا كان العقل ثابتاً فهو كفيل بثبات السلوك الانساني . وما دام الناس لا يسيرون في حياتهم على مقتضى العقل والحكمة فسلوكهم لا يبرح متغيراً متقلباً . ومثل الذين يحيون حياة سيئة قبيحة عند العقل كمثل الذي أقضَّ السهاد مضجعه فبات متقلباً على جنبيه . ولكي يحيا الانسان الحياة الطيبة ينبغي أن يكون لهُ مضجع يطمئن اليهِ ، اذا جاز لنا أن نستعمل تشبيهاً كهذا . ولذلك كان أول مبادئنا في الحياة أن يكون لنا فيها خطة معينة ، وأن لا نعمل قط شيئاً جزافاً أو مصادفة

٩ — ﴿ السعادة بأيدينا ﴾ : طمح الناس منذ القدم الى السعادة في الحياة وبحثوا عن السبيل الى ادراكها خالصة مستقلة عن الطوارىء والأحوال الخارجية. وفكر الفلاسفة في هل يستطيع الانسان حقًّا بمحض قواه وملكاته أن ينال هذه السعادة فيبرأ من الشرور التي تساور حياته الباطنية كالخطأ وزعزعة الايمان ، والأسف والندم والحزن والجهل ، ومن الشرور الخارجية كالفقر والرق والمرض والبؤس والاهانة والأذى والتشهير

عالج الرواقيون هذه المشكلة فانتهوا الى حلها حلاً عقليًّا نجملهُ فيما يلي : قالوا ان سعادة الانسان لا تخضع للاحوال التي تحيط بهِ وانما تتوقف على حالة في النفس للارادة سلطان عليها فليست الاشياء الخارجية هي التي تؤثر بذاتها في وجودنا الباطني ، وانما المؤثر الحقيقي هو استعدادنا النفسي الذي يجعلنا نحيا في هذه الأحوال ونحكم عليها أحكاماً تقويمية ، أعني أن نصفها بالحسن أو بالقبح ، بالخير أو بالشر وما الى هذه المعاني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واذن فأحكام القيم التي نطلقها على ما له مساس بحياتنا هي التي تكيف أحوالنا الاجتماعية فتجعلنا نشعر فيها بالسعادة أو بالشقاء ، بالراحة أو بالتعب . فاذا كان للارادة سلطان على أحكامنا ، وكانت السعادة مرتبطة بهذه الأحكام ، كما قدمنا ، فالسعادة هي اذن في مستطاع كل فرد منا اذا أمكنهُ أن يحرّر نفسهُ من أوهام الاحكام . وفي ذلك يقول « ابكتيتوس » الرواقي الروماني : « ان الذي يصيب الناس ويؤثر في حياتهم ليست هي الاشياء نفسها ، بل آراؤهم في الأشياء . فلو كان سقراط يرى الموت شرًّا لوقع الرعب منهُ في قلبه . لكن سقراط لم يكن يرى الموت شرًّا ، فأقدم عليهِ غير مبال» . فقد ظهر اذن ان الموت مثلاً ليس شرًّا في نفسه ، كما يتوهم جمهور الناس ، وانما الشرُّ هو الخوف منهُ

١٠ — ﴿ الانفعالات أحكام ﴾ : ولكن قد يعترض البعض بأن الأشياء قد تؤثر فينا من جهة أخرى تأثيراً مباشراً ، من جهة ما تحدثه في نفوسنا من لذة أو ألم ، أو خوف أو رجاء . وبوجهٍ عام من جهة الانفعالات التي تتولد في النفس في كل حال من أحوال الحياة ، دون أن يكون للارادة أو للاحكام العقلية سلطان عليها

والحق ان هذا اعتراض وجيه . ولقد شغلت هذه المسألة بال الرواقيين . فرأوا في الانفعالات النفسية حجر عثرة في طريق السعادة ولذا كانت أولى عنايتهم أن يبينوا كيف يمكن السيطرة على انفعالات النفوس وأهوائها . ذلك انهم يعتقدون ان الانفعالات النفسية ليست في الحقيقة إلاّ تصوُّرات وأحكاماً عقلية ، وبهذا المعنى يمكن التصرف في شأنها بما نشاء

ولبيان ذلك فرقوا بين أمرين : بين الاحساس الجسماني وهو شيء لا قدرة لنا عليه ، وبين الموقف النفساني الذي تتخذه النفس عقب الاحساس ، وهو أمرٌ يتعلق بقدرتنا وارادتنا . فالرجل يصيبهُ الألم فيتحملهُ تارةً ويبقى مالكاً زمام نفسه ، وتارةً يضنيه الالم ويفت في عضده . ولكنهُ على كل حال يستطيع في نظر أصحاب الرواق أن يقرر بحريته اذا كان يليق بهِ أن يستسلم الى الالم أو لا يليق . وما يصح بالنسبة الى الالم يصح من باب أولى بالنسبة الى الانفعالات النفسية المتصلة بالماضي أو بالمستقبل كالحزن والخوف : فمثل تلك الانفعالات تؤثر في الانسان اذا كان عرضة لخواطر وظنون وأوهام تستطيع الارادة الانسانية أن تحول دون تسرُّبها الى النفس

واذن فهذه الخواطر التي تولد الانفعالات هي أحكام خاطئة ينبغي محاربتها لا باسم السعادة فحسب ، بل باسم العقل وباسم الطبيعة . وذلك ان طلب السعادة مداره النظر الى الطبيعة نظرة عقلية : يدلنا العقل على أن جميع حوادث الكون ضرورية ، لأنها خاضعة في جملتها للقدر . والقدر عند الرواقيين هو تسلسل الحوادث تسلسلاً يجعل بعضها يتوقف على بعض بحيث يمتنع حصول شيء بدون علة ، وينتفي الاعتقاد بوجود الصدفة . والاحكام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخاطئة التي تحدث في النفس انفعالات بؤس انما مصدرها الاعتقاد بالصدفة ، وبأن الاشياء يمكن ان تحدث جزافاً من غير ضبط ولا تدبير . فانفعال الاسف مثلاً منشؤه الاعتقاد بان شيئاً وُجد وكان يمكن أن لا يوجد . وانفعال الخوف يتضمن الاعتقاد بان المستقبل غير محدود ولا مضمون. وانفعال الحزن هو تعجل الألم مما لا يجدي الحزن عليهِ

والخلاصة ان اصحاب الرواق يرون انهُ لا يجوز عقلاً ان نطلق على الحوادث الخارجية أحكاماً تقويمية من شأنها ان تعرضنا للانفعالات النفسية التي تحرمنا سعادتنا وراحة ضميرنا . ويترتب على هذا انهُ لا يصح وصف الاشياء بالحسن ولا بالقبح ، كما لا يجوز مدح الدهر ولا ذمه، اذا جاز لنا أن نستعير ذلك الاصطلاح العربي الذي لا يخلو من نفحات رواقية. انما وجود الحوادث على ما كان ينبغي ان تكون . فليس في وسع الحكيم والحالة هذه الا أن يقابلها بشيء من الاذعان وان ينظر اليها نظرة قليلة الاكتراث والمبالاة

١١ — ﴿قدر وعناية﴾ : ولننظر الآن ما التسليم والاذعان في مذهب الاخلاق عند الرواقيين والى أي شيء كان يمكن ان يفضي مذهبهم فيه ، والى أي شيء قد أفضى بالفعل

أما ما كان يحتمل أن يفضي اليهِ هذا المذهب فشيئان :

اولهما — سلب كل حرية ارادية ونفي كل تربية اخلاقية

وثانيهما — ضرب من فرط الهدوء وفقدان التأثر قد يكون من بعض عواقبه جمود الحس وخمود الشعور

لكن الحقيقة أن في الرواقية أموراً أخرى أقوى وأروع وأجمل ، وان يكن قد غفل عنها بعض الباحثين. ولو كانت فلسفة الرواق الاخلاقية خلواً من مواضع القوة والروعة والجمال، على نحو ما قد يصورها خصومها ، فكيف كان يتيسر لها البقاء بل كيف كان يتهيأ لها أن تكون ملهمة للسلوك الاخلاقي والاجتماعي ، على النحو الذي حفظهُ لها التاريخ ؟

ولبيان ذلك نقول : ان « القدَر » بمعناه المتداول الآن قد لا يعبّر تعبيراً وافياً عن مذهب الرواقيين في الكون . ولو سميناه « العناية » أو « التدبير » ، لكنا أدنى الى فهم حقيقة مذهبهم فيه . ذلك انهم يرون ان الكون بأسره انما يهيمن عليه عقل مدبر يتصرَّف وفقاً لنواميس ثابتة وقواعد محكمة . وكذلك كان اعتقاد حكماء اليونان : لم يكونوا يرون في ثبات القوانين الطبيعية قوة غشوماً أو ضرورة بحتة تزول معها كل حرية ، بل كانوا يرون فيها دليلاً على وجود عقل مدبر لا يغفل ولا ينام . وكذلك مال الرواقيون الى عدّ كل ما ينافي معاني التدبير والعناية داخلاً في باب الصدفة والاعتباط

امام قلة شعور الرواقيين ، وعدم مبالاتهم بالاشياء الخارجية فنفسره على وجه آخر: ذلك ان الحكيم اذا كان لا يغيب عنهُ ان جميع حوادث الكون نتيجة ارادة خيرة ، فليس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ينبغي له في عرف الرواقيين ان يقنع بالرضى بتلك الحوادث ، بل واجب عليهِ ان يريدها وان يرغب فيها . وليس المطلوب في نظرهم هو ان نذعن لقوة لا متناهية ، لا قبلَ لنا أن نفهمها، بل خليقٌ بنا أن نفهم ان العقل منبث في جميع انحاء الكون ، وان العقل الانساني لا يختلف في جوهره عن العقل الكوني : فالحكيم اذا خضع لذلك العقل فانما يخضع له اختياراً لا اضطراراً

ولذا كانت مهمة التربية الاخلاقية هي مغالبة القوى الاجتماعية ، قوى العرف والتقاليد التي ينوء العقل بعبئها . وكذلك كان اصحاب الرواق يعتقدون ان الانسان خيّـر ليس من طبعه الشر . فلم يكن أهل الرواق متشائمين ، بل كانوا ينظرون الى الكون كلهِ بعين الرضى والتفاؤل. فاذا تناولت نظرتهم هذه امور التربية والتعليم ألهمتهم الثقة في الثمرة التي يجنيها الانسان من جهوده ، وما يكون لدروس الاخلاق من أثر مفيد

والحق ان ما كان يهدّد الأخلاق الرواقية من دعة وركون وقعود عن السعي وبذل الجهد، قد انقلب بفضل هذه النظرية المتفائلة شعوراً يشرح الصدر للمستقبل ويفيض على النفس بهجة ونشاطاً ، ويدعوها الى الاقبال على الحياة والأقدام على العمل ، أداءً للواجب الانساني الخاص وتحقيقاً لاغراض الكون العامة

١٢ — ﴿ الحكيم الرواقي ﴾ : بعد ان استنبط الرواقيون الشروط التي يرونها كفيلة بتحقيق السعادة الصحيحة ذكروا في خصال الحكيم وما ينبغي ان يكون عليهِ، أوصافاً كثيرة مشهورة، ولكنها ربما كانت أدخل في باب المثل والمجردات منها في باب الوقائع والموجودات

فالحكيم في نظر الرواقيين شخص معصوم : يحسن جميع ما يفعل ، وأتفه أفعاله جدير بالثناء . وهو شخص لا سلطان للاهواء والانفعالات على نفسه . وان سهام الحوادث لتنكسر جميعاً تحت قدميه . فهو لا يتأثر بشيء ، لا يحس ألماً ولا يستشعر شجناً ولا يعرف همًّا ، ولا يساور قلبه وجل ولا أسف ولا رجاء . هو الغني من غير مال ، والملك من غير مملكة . يعيش بالاجمال في أكمل سعادة ، ويعرف وحده ما يجب في علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفي علاقاتهم بالآلهة . فهو غني ، حر ، جميل ، في وقت واحد ، وهو الحاكم ، والقاضي ، والقس ، وهو أيضاً الخطيب والشاعر والموسيقار والنحوي ، بل ان شئت فقل هو الربّان والحائك والاسكاف الى آخر ما هنالك من صفات : وهو بالاجمال المفرد العَلَم الذي يحيط بكل فن ويتقن كل صنعة ، ويعلم الامور الالهية والانسانية معاً

وعلى هذا النحو مضى أصحاب الرواق مترنمين بالحكيم ، متغنين بما له من صفات وخصال وفعال . وكان ذلك من المواضع التي أطلقت ألسنة القدماء من معاصريهم بالسخرية منهم ورميهم بالضرب في أودية الخيال

على أن وصف الحكيم على تلك الصورة المثالية يغلب ان لا يكون معنىً يونانيًّـا ، وهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أشبه ان يكون دخيلاً تسرّب الى الكلبيين قبل الرواقيين

ونحن لا نعهد ذلك المعنى عند سقراط ولا أفلاطون ولا أرسطو : ثم اننا لا نجد نظيره حتى في أدب اليونان القديم . فنحن مضطرون الى التماس هذه الصورة عند أهل الشرق ، بل الشرق الأقصى : فقد تقرب هذه الصورة للحكيم الرواقي من صورة الحكيم البوذي:

« هو ظافر ، عالم فاهم للاشياء جميعاً . لا يحمل للاحداث عبئاً ، ولا يلقي الى هموم الزمان بالاً . لا حاجة به الى الاشياء ولا رغبة له فيها : هو كالنازح الغريب لا يكترث لمدح ولا ذم ، يقود الآخرين ولا يقودونه ، وهو الحكيم الحق ، وخليق به المجد والتبجيل ... »

تلك اذن مسحة شرقية صيغت صيغة يونانية

يضاف الى الخصال التي يتصف بها الحكيم شيء آخرهو أنهُ لا شيء في الوجود يستطيع أن يسلبه اياها . اذ الحكمةعند أصحاب الرواق انما هي استقامة العقل . ولما كان العقل خلواً من الهوى والانفعال ، فان الرجل اذا بلغ مرتبة الحكمة فلن يستطيع شيء مهما يكن أن يسلبه اياها : فالهذيان والكآبة والنشوة آفات قد تصيب حواسه وخياله وربما تحدث في نفسه صوراً وأوهاماً ، لكن عقله يبقى كاملاً وحكمته مصونة لا تنال

١٣ — ﴿ مفارقات رواقية ﴾ ولم يرد أصحاب الرواق ان يكون للحكمة درجات متفاوتة الارتفاع ، بل مثلهم الأعلى لا يتحقق في نظرهم الا مرة على وجه الكمال . فالحكمة كالعقل بسيطة مطلقة لا تقبل انقساماً . فاذا كانت الفضيلة هي العقل المستقيم فان الفضائل المختلفة التي يفرق الناس بينها عادة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، حتى لتجد الحكيم حائزاً جميع الفضائل في وقت واحد . وكذلك لا يمكن ان يقال ان انساناً له من الفضيلة ثلثها او نصفها . بل الرجل اما أن يكون حكيماً فاضلاً وإما سفيهاً ناقصاً . ولا يعد فاضلاً من لم يبلغ الفضيلة بتمامها ، كما ان الغريق في الماء لا يكون أقل غرقاً وهو قيد شبر تحت سطح الماء منه في قاع البحر . فلا توسط بين الفضيلة والرذيلة : لأن صريح العقل هو العقل الكامل فهو اما أن يكون موجوداً بأكمله وإما غير موجود بتاتاً . قال « كليانش » الرواقي : « الناس جميعاً ميالون بفطرتهم الى الفضيلة . ولكن الذين لا ينمون في أنفسهم هذه الميول هم أشرار أراذل ، والذين ينمونها ويزكونها هم أخيار أفاضل » . فمن حاز فضيلة واحدة فقد حاز جميع الفضائل ، ومن كان له رذيلة واحدة فله جميع الرذائل . وكل ما خالف الحكمة الكاملة فهو الجنون المطبق والحمق المبين !

وما دامت الحكمة بعيدة التحقق ، فالانسانية في مجموعها لم تزل في سفه وضلال . ولقد أبى الرواقيون ان يتساهلوا في مثلهم هذا أو يقنعوا بشيء دونه كمالاً . فكانوا كلما ذكر أمامهم اسم شخص مثل ديواجانس أو سقراط — يمكن ان يتخذه الناس مثالاً في الحكمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والسيرة الفاضلة ، يرددون مصرّين : لا ! لا ! ان المثل الذي خطر ببالنا أبدع وأروع . لم يره أهل الأرض في حياتهم قط . وان صح فلم ينعموا به أكثر من لحظة . ثم ولّى بغير لقاء !

فيظهر من هذا ان الرواقيين كانوا يرون ان بلوغ الحكمة أمرٌ عسير بعيد المنال ، وانهُ ليس للفضيلة ولا للرذيلة مراتب . فكما ان العمل الحسن ، وان بدا تافهاً ، يتطلب الفضيلة كلها ، فكذلك جميع الذنوب متساوية ، لأنها تتضمن فقدان العقل المستقيم

١٤ — ﴿ الاشياء المتساوية ﴾ : ومن هنا كان العقل الصريح المستقيم هو المعيار الوحيد للخير والشر . وكل فعل يتم على مقتضى العقل الصريح هو « فعل مستقيم » صريح أي فعل حسن : كالاعتدال والحكمة والشجاعة والعدل . وكل فعل يتم من دون العقل الصريح هو فعل قبيح : كالجهل والاسراف والجبن والظلم

لكن الاشياء في ذاتها ، بصرف النظر عن ميلنا الداخلي ، ليست حسنة ولا قبيحة ، بل هي «متساوية» . ومن هذا القبيل الاشياء التي يتكالب الناس عليها عادةً كالصحة والمال والجاه . لانها يمكن أن يحسن أو يسوء استعمالها

والحياة نفسها ليست في ذاتها خيراً ولا شرًّا . ومن أجل ذلك حقٌّ لنا أن نفارقها اذا عادت لا تتيح لنا أحوالاً ملائمة تسمح للفضيلة بأن تتجلى وتشرق

وجميع هذه الاشياء التي ليست حسنة ولا قبيحةً ليست مما في طاقتنا . وانما الشيء الوحيد الذي هو في طاقتنا هو أيضاً الشيء الوحيد الذي له قيمة في ذاته : وهو استقامة العقل واتساقه في نفسه ، وينتج عنهُ اتفاقنا مع الطبيعة كلها

١٥ — ﴿ الاشياء المفضلة ﴾ : ومع ذلك فقد اضطر الرواقيون أن يقروا بأن هنالك أشياء تكون في نظرنا أكبر قيمة من غيرها . أي هنالك أشياء نفضلها على غيرها

قالوا : صحيح ان الفضيلة ، أي العقل المستقيم ، هي الخير الوحيد ، وان الرذيلة هي الشر الوحيد . لكن هنالك أشياء وان لم تكن بنفسها هي الخير ، إلاّ انها تستحق اسم «المفضلات» وهذه الاشياء هي موضوعات النزعات الفطرية في الانسان ، فهي تتفق وطبيعتنا : كالصحة ، فاننا اذا خيرنا بين الصحة والمرض اخترنا الصحة

والفعل الذي تكون غايتهُ شيئاً من هذه الأشياء المفضلة هو « واجب » أو « فعل مناسب » يمكن تسويغهُ بأسباب وحجج صحيحة ، وله حقيقة راجحة . لكن المسافة بين « الواجب ، الذي هو الفعل المناسب ، وبين الفعل المستقيم الذي هو حق اطلاقاً ، تبقى مسافة عظيمة ومن أجل ذلك كان الحكيم يفعل ، كالمعتاد ، « أفعالاً مناسبة » وفي الوقت نفسه يبقى على استعداد لأن يعدل عن سلوكه ليؤدي فعلاً مستقيماً . فمثلاً هو يبحث في العادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن الصحة التي هي موضوع نزعة من نزعاته الفطرية . ولكنهُ اذا أدرك ان مصيره هو أن يكون مريضاً ، اتجه من تلقاء نفسه الى المرض

فينبغي اذن أن نفرق في « الفعل المناسب » بين الغاية التي ننشدها وبين ما نحققهُ فعلاً : فكما ان الذي يجيد رمي السهم ليس هو دائماً الرامي الذي يبلغ الهدف ، بل هو ذلك الذي يبذل لبلوغ الهدف كل ما في وسع الرامي المُجيد، فكذلك ما تتطلبه الطبيعة حقًّا هو أن نجعل غايات أعمالنا موضوعات للنزعات التي غرستها فينا . أما النتيجة التي نحصل عليها فليس من شأننا أن نقررها . فلربما كان القضاء قد أراد شيئاً آخر غير ما كنا نبغي ، ويجب علينا أن نستقبل بصدر رحب كل ما يأتينا بهِ القدر

١٦ — ﴿ الاخلاص للواجب ﴾ : والانسان جزء من الكون . وهو لذلك حامل عبء مهمة يؤديها فيهِ . وكل فرد في هذه الدنيا أشبه بضيف في مأدبة ، أو بممثل على مسرح . فينبغي عليهِ في نظر الرواقيين أن يبقى في مكانهِ مخلصاً لواجبه . ولا بأس هنا من أن نورد من تاريخ الرواقية الرومانية محاورة قد تعين على ايضاح معنى الشعور بالواجب والاخلاص له عند أصحاب الرواق

أرسل الامبراطور ڤسباسيانوس (٦٩ — ٧٩) الى هلڤديوس پرسكوس الرواقي يأمره أن يتخلف يوماً عن الذهاب الى مجلس الشيوخ

فقال هلڤديوس : في مقدورك أن تحول دون انتخابي عضواً في مجلس الشيوخ . ولكن لا بدَّ لي من الذهاب الى المجلس ما دمت عضواً فيهِ

فأجاب الامبراطور : ليكن لك ذلك . اذهب ولكن لا تتكلم

الرواقي : انا ساكت ما دمتَ لا تسألني عن شيء

الأمبراطور : لكن لا بد أن أوجه اليك بعض الاسئلة

الرواقي : اذن لا بد لي ان اقول ما أراه حقًّا

الامبراطور : اذا تكلمت بما تريد امرت بقتلك او نفيك

الرواقي : ومتى قلتُ لك انني من الخالدين . أنت تؤدي مهمتك ، وأنا أؤدي مهمتي . قد تكون مهمتك قتل الناس أو نفيهم ومهمتي أن أموت دون وجل، وان أذهب الى النفي من غير جزع ولا ابتئاس »

نحن لا نرى في مثل هذا الحوار تحدياً ولا صلفاً من جانب الرواقي . ولكنها بساطة واستقامة لا تأنف مسايرة الحال ، وثقة الرجل بكرامته ثقة تتطلب منهُ ان يبقى في مكانهِ وأن يمضي في مهمته « مخلصاً لواجبهِ وللقوة بعد ذلك ان تفعل ما تشاء »

والحق اننا لا نستطيع ان نفهم مواقف الرواقية على وجهها الصحيح ، اذا أخذنا بروح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السخرية التي تبدو في نظرات خصومها. فينبغي اذن أن لا نتهم الرواقيين بالكبر والصلف اذا رأيناهم معتزين بحرية ضمائرهم ، واثقين بصحة أحكامهم

١٧ — ﴿ جامعة انسانية ﴾ : قد يؤخذ على افلاطون وارسطو في مذهب الاخلاق أمران : أولهما — أن هذين الفيلسوفين أخضعا الفرد للدولة وأنكرا بذلك حق الانسان في الحرية الشخصية

ثانيهما — انهما لم يعرفا من روابط الصداقة والعطف الا ما يكون بين المواطنين من أهل المدينة الواحدة ، ولم يعما صفة الانسانية تعميماً تتخطى به حدود المكان والزمان . حتى اننا لنعجب اذ نرى أرسطو يقرّ في بعض كتبه مزاعم معاصريه القائلين أن أبناء اليونان أعرق جنساً وأشرف قيمة ممن ليسوا بيونان

وجاء أصحاب الرواق فكانت لهم رسالة أخرى : حاولوا القضاء على تلك النزعة ، وخطوا في هذه السبيل خطوات جديدة ، فأحلوا الانسان محل المواطن ، أعني انهم مالوا الى عدّ الانسانية أسرةً اعضاؤها أفراد البشر عامة ، أيّاً كانت نحلهم وألسنتهم وبلادهم

تلك هي الجامعة الانسانية التي نادى بها اصحاب الرواق في العصر القديم . وتذهب تلك الوحدة العالمية الى القول بوجود رابطة اخلاقية موثقة، تربط بين الآلهة وبين بني الانسان. ذلك ان اهل الرواق كانوا يعتقدون ان روح الانسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون وان الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة الا اجزاء من هذا العقل الكوني . ولما كان الانسان مخلوقاً قد أعدته الطبيعة للاجتماع والعمران فقد وجب على الناس ان يكونوا اخواناً ، وان يؤلفوا فيما بينهم ما يسميه الرواقيون « مملكة العقل » ، وهي مملكة تشمل أفراد الانسانية جميعاً ، باعتبار انهم أوتوا نصيباً واحداً من العقل وانهم مهيئون للفضيلة .واذن فالدولة المثالية عند الرواقيين لا تعرف حدوداً ولا فروقاً ، بل هي مجتمع عقل يضم البشر أجمعين ولئن شئت فقل هي امبراطورية مثالية واسعة الاطراف ، حتى قال پلوطرخوس مشيراً الى هذه الفكرة : « ان ما مهدت له فتوحات الاسكندر من طريق التاريخ ، قد أتمته الفلسفة من طريق العقل »

لكن يجب أن لا يغيب عن بالنا ان الرواقيين لم يريدوا بهذه الامبراطورية الواسعة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي ، بل أرادوها جامعة روحية تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والارادة . والحق ان فكرة الجامعة هذه لم يكن لها أول أمرها علاقة بالسياسة مطلقاً . إذ ان المدن الانسانية الواقعية تقتضي بين البشر فروقاً وضروباً من التفاضل والتفاوت في حين أن « المدينة الفاضلة » أو « المدينة الالهية » في نظر أصحاب الرواق انما هي مجتمع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية ، وتقوم فيهِ المودة الروحية بين الناس مقام القانون

على أن الجامعة الرواقية ان لم تكن تصبو الى التأثير في الأنظمة القائمة تأثيراً مباشراً كما قلنا ، فقد أتيح لها مع ذلك على مرور الزمان ان تحدث آثاراً بعيدة المدى : فقد استطاعت ان تلقي طابعاً قويًّا على فكرة القانون عند الرومان ، وبقيت مصدر الهام خصب عند مشرعيهم ، كما استطاعت أن تؤثر في توجيه الدعوة المسيحية الى المحبة والرحمة ، وأن توحي الى جان جاك روسو وفلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم في اخاء بني الانسان وحقوقهم في الحرية والمساواة

١٨ — ﴿ فضل الاخلاق الرواقية ﴾ : ذلك مجمل الاخلاق الرواقية . ولسنا نزعم ان تلك الاخلاق كانت كافية وافية ، بل ان فلسفة الرواق كثيراً ما ركبت في أحكامها شططاً ، وتجاوزت في مطالبها حدود الطاقة البشرية،فاستحقت أحياناً ما رماها بهِ بعض خصومها من أنها كانت حديث خرافة ووهماً لا حقيقة . ولكنا يجب مع ذلك ان لا ننسى ان الرواقية قد استطاعت بفضل مبادئها النبيلة وبما كان لشيوخها من حسن القدوة ان تثبت ما للشخصية من قيمة ذاتية وان تقوي في نفوس الناس الشعور بالواجب ، وان تحرر الفرد مما في المجتمع من قيود وسدود ، وان تخضع الانسان لا لقانون وضعي يفرق بين الناس طبقات وطوائف وقبائل وشعوباً ، بل لقانون الهي يسود العالم كله ، فيؤلف بين العقول والأرواح ، ويجعلها تتخطى حدود الحياة على الأرض ، حتى لقد قال شيوخ الرواقية :

« ليس المجتمع الانساني وطن الحكيم ، بل وطنه الأكبر هو الكون بأسره »

***

والحق ان الأخلاق الرواقية قد تيسر لها ان تصون الكرامة الانسانية في عهود الظلم والهوان ، فضلاً عن انها كانت في جميع عصورها ملهمة للبطولة وملاذاً للنفوس القوية الزكية . ولقد أصاب بعض الباحثين المحدثين اذ قال :

« الرواقية لا يمكن بحال ان تلائم النفوس الضعيفة ولا العامية . انها انما تستهوي على الخصوص الشبيبة التي لا تعرف الأشياء لأنها لم تجربها ، والتي لها اعتداد مبالغ فيهِ بقواها لأنها منها على شيء كثير . قد يكون موجباً للدهش ان نرى الرواقية تنبت في عصر اضمحلال لو كانت وحدها منفردة على المسرح ، ولو كانت الأبيقورية لم تجيء في ذلك الوقت لتخاطب الجماهير ، في حين أن الرواقية لم يكن ليستمع لها الاّ النفوس الممتازة.لقد أسدت الرواقية أيادي عظيمة في الأزمان القديمة ولاأقول إنها لاتستطيع أن تسدي الآن »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاجتماع

وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها في « الفولكلور » العالمي

للاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي

— ١ —

كلمة فولكلور Folklore معناها علم الشعب وهو مجموعة الأساطير والأمثال والشعر والنوادر والحكم المحكية والمحفوظة عن ظهر قلب والمروية بين الأفراد والجماعات والمستشهد بها في البوادي والحواضر . ولهذا العلم شأن كبير في علم الاجتماع لأن فيهِ الدلالة على طرق التفكير في الحياة ووسائل الفهم التي ترشد العامة وهي الكثرة الغالبة وتنير أذهان الخاصة في علاقتهم بالطبقات النازلة من المجموع . وأول من عني بهذا العلم عناية خاصة الأستاذ ماكس مولر الأستاذ بجامعة أكسفورد وازريكو فيري ونيتشوفورو وبرايس من علماء الاجتماع الاوربيين . وفي الشرق ألف الميداني الشهير كتابه في الأمثال عند العرب وذكر أسباب شيوعها وحكمة الاستشهاد بها وهو يعد من أمهات كتب الأدب العربي . وفي العصر الحاضر ڤان جنب الفلامنكي وفي مصر المرحوم محمود عمر الباجوري أحد علماء الأزهر ودار العلوم وأحد أعضاء الوفد الذي بعث بهِ في سنة ١٨٩٣ الى مؤتمر المستشرقين في استوكهلم عاصمة سكاندنافيا (التي كانت مكونة من السويد والنرويج متحدة تحت إمرة ملك واحد) . وقد ألف هذا العالم المصري كتاباً في الأمثال . وآخر في الأغاني والمواويل . وثالثاً في النوادر والقصص الشعبي . وأثبت ان قصة لوهنجرين (اوبرا المانية من وضع وتلحين ريشارد ڤاجنر) هي نفسها قصة عويد السدب التي تروى للاطفال في القرى المصرية

— ٢ —

وقد اتخذ الفولكلور العالمي ، في أدب اللغة العربية القديم صورة المقامة وهي في اصطلاح علماء الادب العربي قطعة من النثر يضاف اليهِ نظم في كثير من الاحوال ، مبنية على قصة قصيرة خيالية في معناها وحوادثها ترمي الى مغزى مميز وتؤدي الى استخراج موعظة أو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حكمة للتدبر والاعتبار على الغالب، ولكل مقامة أو مجموعة من المقامات بطل واحد منفرد بصفات معينة كعيسى بن هشام أو ابي زيد السروجي . ويدور على هذه الشخصية أهم ما في القصة من ذكاء وحذق ولباقة وكياسة وسعة ادراك وحيلة ، ومفاجآت ومغامرات وغرائب. وليس البطل في المقامة هو الذي يروي الواقعات أو يسرد الحوادث كما هي الحال في قصة سندباد البحري بل لهُ راوية يسجل أقواله وحوادثهُ كالحارث بن همام في مقامات الحريري وعيسى بن هشام في مقامات بديع الزمان الهمذاني التي بطلها أبو الفتح السكندري الذي يقول:

اسكندرية داري لو قرّ فيها قراري
لكنَّ بالشام ليلي وبالعراق نهاري

أي انهُ جوّاب آفاق وصاحب مخاطر ، سريع في التنقل وكأ نهُ تنبأ بعصر السفر بالطائرات فهو يمسي في الشام ويصبح في العراق ولا يقر له قرار في وطنه الاسكندرية

وأسلوب المقامات أحد فنون الأدب العربي

وحجتنا في انها كانت تجمع الادب الشعبي ان أصل اللفظ اللغوي «مقامة» معناه مجلس أو نادٍ يقول فيه العلماء والأدباء والوعاظ حكمتهم وأدبهم ووعظهم ويضربون أمثالهم للحاضرين والسامعين . وذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء ص ٢١١ فقال « يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعر [الشاهد والمثل] ومن الخبر الايام [والمقامات] »

وقد سرى فن المقامة المنطوي على أدب الشعب وأمثاله وحكمته من العرب الى سائر الشعوب السامية فقلدهم الفرس والعبرانيون والسريان فوضعوا مقامات باللغة العربية بعد أن تعلموها وأتقنوها . والحذر ثم الحذر من الظن بأن القصص التي تلقى على العامة كقصة سيف ابن ذي يزن أو قصة عنتر أو فاطمة ذات الهمة هي من نوع الفولكلور أو الادب الشعبي . فان هذا نوعاً آخر يقصد به الى تثقيف الجماهير وتسليتها . أما الفولكلور وفي مقدمته المقامة لايقصد به الاَّ تعليم العامة الحكمة الانسانية على وجه الاختصار والايجاز بأساليب برّاقة لامعة تأخذ بالألباب

نعم ان المقامات العربية كمقامات بديع الزمان من أهل القرن الرابع الهجري ، قرن النثر الفني ، ومقامات الحريري من أهل القرن السادس الهجري ، كتبت جميعها باللغة العربية الفصحى ، لأنها كانت لغة الكتابة والخطابة والحديث والامثال . وكذلك المرحوم المويلحي (من أهل القرن الرابع عشر الهجري) لما وضع كتاب عيسى بن هشام عن حياة القاهرة في القرن التاسع عشر والعشرين المسيحي اتبع اللغة العربية بأسلوب مصنوع (مصطنع متكلف) مسجع غاية في التأنق والتزويق يجمع من شوارد اللغة وفصيحها وعيون مفرداتها وتراكيبها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأمثالها ونوادرها مقداراً وافراً . ولكنَّ هذا العمل كان تقليداً للحريري، وبديع الزمان وقد كان أكثر تحرراً من سابقه . ولكنَّ أول من كتب المقامات وهو أبو بكر بن دريد (من أهل القرنين الثالث والرابع الهجري) لم يتبع الأسلوب الفصيح بل كتبها بلغة تخالفه. والدليل على ذلك ما جاءَ في كتاب زهر الآداب « ان ابن دريد جاءَ بأربعين قصة وذكر انهُ استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره وأبداها للأبصار وأهداها الى الافكار في معارض حوشية وألفاظ عنجهية فجاءَ أكثرها تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجب الاسماع وتوسع فيها اذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفة » انتهى كلام زهر الآداب ويستنتج منهُ أن ابن دريد ألفَ هذه الأربعين قصة وكتبها بلغة الشعب وأمثالهم فنفرت منها أسماع أهل الادب ولكنهُ يعد بحق مسجلاً اولاً للأدب الشعبي

ويتكلم مؤلف زهر الآداب عن مقامات ابن دريد أو قصصهِ الشعبية كلام من قرأها واطلع عليها ولم توافق ذوقه.وقد فقدت هذه المقامات ولو وجدت لكانت جزءًا مهمًّا من الادب العربي القديم وتحفة وطرفة تاريخيةولكن بديع الزمان نفسه ألّف اربعمائة مقامة فقد منها خمسون وثلثمائة مقامة ولم يبق منها الا خمسون

ولكن أديباً معاصراً وهو الاستاذ العالم الفاضل خليل مردم بك أحد أعلام الأدب الشامي بدمشق اهتدى بعد بحث طويل واستقراء الى العثور في أمالي أبي علي القالي — وهو تلميذ ابن دريد وخليفته في فنون الأدب — على احدى عشرة قصة مبعثرة في الأمالي رواها صاحبها عن استاذه ابن دريد وهي اكثر من ربع المقامات التي ألفها فيكون حظ ابن دريد أسعد من حظ بديع الزمان لان الذي بقيمن مقاماته ثمنها فقط .واليك عنوانات هذه القصص التي تدل بمجرد الاطلاع عليها انها من صميم علم الشعب (فولكلور)

١ — حديث النسوة اللاتي أشرنَ على بنت قيل من أقيال حمير بالزواج ووصفنَ لها محاسن الزوج (ج ١ من أمالي القالي ص ٨٠).

٢ — حديث زبراء الكاهنة تنذر بني رئام من قضاعه بين الشحر وحضرموت ج ١ ص ١٢٦

٣ — حديث خنافر الحميري مع رئيه شصار (الرئي معناه الروح الجني الذي يألف رجلاً ويطلعه على الغيب) ج ١ ص ١٣٣

٤ — قصة مصاد بن مذعور وخروجه في طلب ذود له وما اخبره بهِ الجواري الطوارق بالحصى ج ١ ص ١٤٣

والجواري طوارق بالحصى هنَّ من الجن اللواتي تظهر للبشر وتنبئهم بالحوادث وتنجم لهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بطرق الحصى مثل الاسطورة التي سجلها شكسبير في مأساة ماكبث الشهيرة . وخلاصتها ان ثلاث عجائز من الجن ظهرنَ له في الغابة وتنبأنَ له بعد حرق البخور بانهُ يقتل ابن عمه الملك ضنكان ويصل الى عرش ايقوسية . فكان ذلك باعثاً له على قتل ابن عمه

٥ — حديث غسان بن جهضم مع ابنة عمه ام عقبة وكيف تراءى لها في النام بعد وفاته ذيل الأمالي ص ٢٠٥

وقد ذكرنا بعض هذه المقامات أو القصص التي ألفها ابن دريد ولا سيما التي فيها اخبار النساء والكهانة والاخبار عن الغيب والاحلام والرؤى وشخصيات الجان لان علم الفولكاور يدور على هذه المسائل . ولا ننسى ان اهل الشام يطلقون على علم الفولكاور اسم « دفتر النسوان » وفي مصر يسمونه « علم الركة »

ومجمل القول في هذا الباب ان علم الفولكاور قديم عند العرب يرجع الى القرنين الثاني والثالث للهجرة . هذا اذا لم نرد ان نعود الى الادب الجاهلي الذي كان حافلاً حاشداً بهذا النوع من الامثال والحكم والمواعظ . وعلى الرغم من رسالة الاسلام التي قضت على الكهانة والاساطير واخبار الجن والتنجيم والرجم بالغيب فان هذا الفن (فولكاور) ظهر في الاسلام مدوّناً من القرن الثاني

— ٣ —

وفي الوقت الحاضر أخذ علم الفولكاور في الأدب الأوربي مكانة عليا لأنهُ يساعد الباحثين على الوصول الى ما يتطلبونهُ من المعلومات من ينابيعها الأصيلة فيما يتعلق بمظاهر الحياة المادية التي يحياها هؤلاء الناس الذين يتصدون لدرس عاداتهم وما احتفظوا به من تقاليدهم القديمة وما هم عليهِ من الأوضاع الاجتماعية والفردية فيعثرون على كثير من المواد التي يعتمد بها العلم ويقابلها مع غيرها من أوضاع اجتماعية جرت عليها الناس في بلاد أخرى من بلاد العالم مما يدخل في اختصاص علوم كثيرة منها علم طبائع الشعوب (اثنولوجيا) وعلم الاجتماع وعلم التقاليد والعادات

ومن أهم آثار الفولكاور العلم القائم بذاته بين العلوم أنه عمد الى تحليل مؤلفات الأدب العامي سواء أمكتوبة كانت أم مخطوطة أم محكية ومروية وهي الحكايات والأحاديث المطولة (حواديت) والأغاني والمواويل (موالي) والأمثال والنكات والأمثال العامية التي لا يمكن العثور عليها في ثنايا الكتب ولكن روايتها وتداولها بين الناس يجعلانها قريبة من الثبات في شكلها مما يمكن ان نسميها مؤلفات أدبية . فأسمى مؤلفات الأدب الغربي وأشهرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كالالياذة والاوديسة ومآسي ماكبث وفاوست مدينة بأصلها الى الخرافات العامية والأساطير وكثيراً ما يكون فيما كتبه الكتاب في القرون الوسطى ولا سيما المؤرخون والجغرافيون منهم كلمات وتعابير خاصة بالصناعة والهندسة والثياب والمطاعم والتجارة والملاحة لا يمكن العثور على معانيها في أكمل القواميس العربية وأكبرها ولكن كثيراً ما تكون هذه الكلمات باقية في لغة من اللغات العامية التي كانت السبب في حفظها وعدم ضياعها (أنظر درس المستشرقين اللغة العامية للمستشرق أدمون صوسه ترجمة الداغستاني سنة ١٩٣٣) أما فيما يتعلق بالأدب العربي فانهُ مستمد من حياة الاعراب اليومية قبل الاسلام . ومن المعلوم ان الشعر والمقامات والأخبار التي ترجع بأصولها الى حكايات كانت ترويها وتتغنى بها وترددها وتنشدها طائفة من القصاص والرواة والوعاظ والناصحين والمرتزقة ضربوا في مجاهل الارض على عدد من أفراد الشعب يلتفون حولهم في زاوية من زوايا الطرق أو تحت خيمة أو في فناء قصر أو في مجلس عظماء أو في حلقة فقراء

فكيف يمكن بعد ذلك أن يدرس الأدب العلمي أو علم الاجتماع أو أخلاق الشعوب أو أخلاق المجرمين أو عادات المتشردين أو ضحايا المخدرات أو طبائع العمال والصناع والفلاحين والزراع دراسةً مجديةً اذا أهملت دراسة هذه الآداب والفنون والتحف العامية

وكثيراً ما يكون في الادب العامي ذي الطابع المحلي الخاص من العبقريات ما عسى أن لا يظهر في الادب الصحيح العام الذي قلَّ أن تبرز فيه الطبيعة المحلية الخاصة . (أنظر كتاب ويلمور القاضي الانجليزي عن براعة النكتة والقفشة في اللغة العربية العامية بمصر ١٩٠٣) ففي فصول «خيال الظل» و«قره جوز» يظهر الفرق جليًّا واضحاً بين الامزجة المصرية والعربية والتركية فقد نقل المصريون والسوريون هذه الفصول عن الترك واليونان (بطل قره جوز اليوناني فاصوليادیس) وفي فرنسا الملعب المسمى grand guignol ورواياته وقصصه وأشعاره وأغانيه .

وفي انكلترا Punch and Judy show وفي كل من البلاد الخمسة أو الستة التي ذكرناها حلّت مظاهر الطبيعة القومية المحلية محل مظاهر الطبيعة المنقول عنها في الاغاني والاناشيد التي تتخلل هذه الفصول مثلاً قامت العاطفة العربية الحزينة الولهاء مقام العاطفة التركية الهفافة

وفي فرنسا حلّت عاطفة الهذر والمزاح والمجون محل النكتة الانجلوسكسونية الباردة القارصة التي كأنها لفحة هواء أو أثر من عاصفة [للبحث تتمة]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الآثار الايوبية

في دمشق

للدكتور أسعد طلس
عضو المعهد الفرنسي بدمشق

اذا نحن استثنينا الجامع الاموي ، وبعض أبواب المدينة ، وبعض كنائسها ، لم نجد في دمشق آثاراً ذات شأن قبل العصر الايوبي ، الذي تزخر دمشق بآثاره وتفخر ، ولا نعرف كتاباً عربيًّا عنى بدراسة هذه الآثار من الناحيتين العلمية والفنية . أما باللغات الأجنبية فانك واجدٌ كتباً كثيرة وأجدرها بالذكر ما يأتي :

١ — آثار دمشق التاريخية : (بالفرنسية) للاستاذ الدكتور جان سوفاجه J. Sauvaget عضو المعهد الفرنسي بدمشق سابقاً والاستاذ بجامعة باريس حاليًّا واسم كتابه Les Monuments Historiques de Damas وهو كتاب في ١١٦ ص بالقطع المتوسط استقصى فيه آثار دمشق التاريخية من أيوبية وغير أيوبية ، مصحوبة بتفسيرات تاريخية وملاحظات فنية تعين من يريد الاطلاع على تاريخ الفن المعماري الاسلامي في هذه المدينة . وقد أعان القارىء بكثير من الرسوم والمخططات والقطاعات التي تيسر له عمله . والكتاب من مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٣٢

٢ — الآثار الايوبية في دمشق : (بالفرنسية) وهي مجموعة يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق باسم Les Monuments Ayyoubides de Damas صدر منها الجزء الاول في ٥٠ ص بالقطع الكبير مع ١١ لوحة فطوغرافية طبعت بباريس سنة ١٩٣٨ بعناية E. de. Boccard وقد بحث فيه عن « قبة صفوة الملك » و « دار الحديث النورية » و « قبة فَرُّخشاه وبهرام شاه » و « المدرسة الجهاركسية » . وعما قليل ، ينشر القسم الثاني وسينتظم البحوث الآتية : « المدرسة الريحانية » و « المدرسة العذراوية » و « المدرسة العزّية البرانية » و « المدرسة العادلية الكبرى » و « ثلاثة حمامات ايوبية » . والقسم الثالث ستنشر فيه « قبة البدوي »

٣ — كتاب دمشق Damaskus : (بالالمانية) للمستشرقين الالمانيين K. Wulzinger. و G. Watzinger وهو كتاب ضخم في مجلدين ، أولها في دمشق وآثارها قبل الاسلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وثانيهما في دمشق في الاسـلام . والكتاب جليل الفـائدة على أغلاط كثيرة فيه . وهو مطبوع ببرلين وليبزيغ سنة ١٩٢٤

على هذه المصادر العلمية الثلاثة سنعتمد في سلسلة مقالاتنا هذه عن آثار دمشق الايوبية وسنخص بالاعتماد منها كتاب « الآثار الايوبية في دمشق » لاتقانه الشديد ، وحسن بحثه ، وصبغته العلمية الصحيحة كما اننا سنعتمد من الناحية التاريخية على طائفة من المصادر نخص منها بالذكر : تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ ابن كثير ، وكتاب تنبيه الطالب والدارس في أخبار الآثار والربط والمدارس للنعيمي (مخطوط) ، ومساجد الشام لابن عبد الهادي (مخطوط وقد عنينا بنشره وسيتم طبعه عما قريب) ومنادمة الاطلال ومسامرة الخيال لعبدالقادر بدران (مخطوط) وخطط الشام للعلامة محمد بك كردعلي

قبة صفوة الملك السلجوقية

لم يبقَ اليوم من هـذه القبة أثر ، وقد كانت تقع في حديقة غربي المدينة في الشارع المشهور بزقاق الصخر حيث تقوم الآن بناية « سينما الروكسي » أمام الخانقاه اليونسية المشهورة بجامع الطاووسية ، غير بعيدة عن مدرسة التجهيز والمدرسـة العزية البرانية . وقد كانت باقية الى ربع قرن خلا

﴿ تاريخها ﴾ : يذكر المستشرق الفرنسي M. Van Berchem في مجموعة الكتابات الأثرية ٤/٢ Coll. Carnet انهُ كان على بابها رخامة مساحتها (٢٠٠ × ٤٠ سنتيمتراً) مكتوب عليها أربعة أسطر بالقلم الكوفي المزهر الدقيق الجميل ما نصهُ [1] « (١) بسملة أمر بعمارة هذا المشهد والتربة فيـه (وقد حرفها أصحاب كتاب Repertoire الى « قبة » وهو خطأ) الخاتون الأجلة السيدة صفوة الملك عز نساء العالمين (٢) والدة الملك دقاق بن تاج الدولة ووقفت عليهِ جميع البستان المجاور لذلك وجميع البستان الذي بقرية كسفانية المعروف قديماً (٣) . . . . الله العاسى (؟) وجميع المعصرة وجميع البيوت وجميع الدار المجاور (كذا) جم ذلك البستان المذكور وقفاً مؤبداً محرماً لا يباع ولا يشترى ولا يبادل بهِ يصرف عليهِ (٤) .... ذلك وقفه العحه (؟) وأجرة المقرر فيهِ على ما نسخ في كتاب الوقف دائماً أثابها الله ووفقها و لـ (ـعنة الله على من ...) على ذلك (و) ابدله وذلك في سنة اربع وخمسمائة »

أما صفوة الملك فهي السيدة الجليلة زوجة تاج الدولة تتش بن الب ارسلان السلجوقي ، مات زوجها فتزوجت الاتابك الامير ظهير الدين طغتكين مربي ولدها الامير دقاق . وقد

---

(١) نشر هذا الكتاب أصحاب كتاب Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٨ / ٨٦ وقالوا انها موضوعة فوق باب المدرسة الظاهرية وهو خطأ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت سيدة جليلة محنكة ، أدارت دمشق وأعمالها ادارة حسنة بعد زوجها الاول ، هي وزوجها الثاني الاتابك وماتت سنة ٥١٣ . واليك نص مؤرخ دمشق في تلك الفترة أبي يعلى حمزة القلانسي «... وعاد ظهير الدين أتابك منكفئاً الى دمشق عقيب هذا الظفر ودخلها يوم السبت لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٥١٣ فصادف الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تتش ابن السلطان الب ارسلان قد نهكها المرض وطال بها وقد أشفت على الموت وكانت لقدومه متوقعة والى مشاهدته متطلعة فأدركها وشاهدها وسمع مقالها وقبل وصيتها وأقامت القليل وتوفيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاتي الظهر والعصر من يوم الأحد آخر جمادى الاولى سنة ٥١٣ ودفنت عند ولدها في القبة التي بنتها على القلعة المطلة على الميدان فلقد كانت من النساء المصونات المحبة للدين والصدقات والتنزه عن الظلم بطلب الخيرات [١]

واما دقاق ابنها فهو الامير شمس الملوك دقاق بن تتش السلجوقي ملك دمشق واعمالها من سنة ٤٨٨ — بعد وفاة أبيهِ وكان المدبر لأموره الامير طغتكين اتابك بوصية من أبيهِ [٢]— الى سنة ٤٩٧ وفي هذه السنة عرض له مرض تطاول بهِ ووقع معهُ تخليط الغذاء وانقطع الرجاء من عافيته فتقدمت والدته الخاتون صفوة الملك اليهِ أن يوصي بما في نفسه ولا يترك أمر الدولة سدًى فأوصى للامير ظهير الدين طغتكين بحضانة ولده الصغير تتش الى أن يكبر وتوفى رمضان تلك السنة . هذا ما يقوله المؤرخ ابن القلانسي [٣] ويذكر ابن عساكر ان دقاق ولي إمرة دمشق بعد أبيه سنة ٤٨٧ ودبر هو وطغتكين المعروف بابي بكر زوج ام الملك دقاق . ثم حصل له مرض تطاول بهِ فمات في رمضان سنة ٤٩٧ فغلب طغتكين على دمشق وقيل ان دقاق مات سنة ٤٩٣ وان امه دست له جارية فسمتهُ في عنقود عنب معلق في شجرته ثقبتهُ بابرة فيها خيط مسموم [٤]. وعندنا ان هذه القصة اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة لامور منها (اولاً) ان دقاق كان على اتفاق مع زوج امه طغتكين في حياته وحين وفاته ولولا ذلك لما أوصى اليه بابنه الصغير تتش (ثانياً) ان ابن القلانسي لم يذكر شيئاً من ذلك وهو اقرب عهداً بالعصر من ابو عساكر (ثالثاً) ان ابن عساكر ذكر الحقيقة التاريخية اولاً ثم عقب عليها بالقصة ذاكراً اياها بصيغة التضعيف . وقد نقل هذه القصة ايضاً النعيمي في كلامه على الخانقاه الطاووسية ولكنهُ مؤرخ متأخر لا يعتمد على ما يرويه عن غير عصره

﴿موقعها من قبة دقاق﴾ : تفيد الرخامة التي كانت على بابها ان قبة صفوة الملك بنيت سنة

(١) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص : ٢٠١ طبع H. F. Amedroz بالمطبعة اليسوعية ببيروت سنة ١٩٠٨ (٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص : ١٣١ (٣) المصدر السابق ص ١٤٤ (٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٥/ ٢٤٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥٠٤ هـ كما تفيد انه كان الى جانبها مشهد. وتفيد عبارة ابن القلانسي ان القبة كانت على القلعة المطلة على الميدان الاخضر — المعروف الآن بالمرج الاخضر — وتفيد عبارة ابن القلانسي ايضاً ان صفوة الملك دفنت عند ولدها فهل دفنت هي وابنها في قبر واحد وتحت قبة واحدة أم كان هناك قبران وقبتان ؟

يرى الاستاذان سوفاجه وايكوشار: ان هناك قبرين وقبتين لان دقاق مات قبل امه ولا يمكننا ان نفرض ان جثمان الام وضع فوق جثمان الابن لأن تاريخ بناء القبة كان سنة ٥٠٤ أي بعد موت دقاق بسبع سنوات . ثم ان المكتوب على الباب ينص على ان هذا المعهد كان يحتوي على قبة القبر (التربة) وعلى المشهد . والمعروف ان قبة دقاق كان الى جانبها مسجد كبير كما يقول ابن عساكر في الفصل الذي عقده عن مساجد دمشق . واليك نص عبارته «... (ومسجد) آخر كبير في قبة قبر الملك دقاق المعروف بقبة الطواويس في الرباط الذي بنته خاتون ام دقاق [1] » وليس في قبة صفوة الملك شيء من ذلك — كما وصفها من رآها — ولم يكن الى جانبها اثر لمسجد كبير [2]. ونقول إن المؤرخين متفقون على ان قبر دقاق المشهور باسم قبة الطواويس اوخانقاه الطواويس او الطاووسية كان يقع بين المدرسة العزية البرانية— وهي امام حديقة التجهيز اليوم— وبين الخانقاه البولبسية المعروفة اليوم بجامع الطاووسية . وهذه الاوصاف تنطبق تمام الانطباق على اوصاف قبة صفوة الملك كما يصفها الاستاذان سوفاجه وايكوشار واصحاب كتاب Damaskus .فهل كانت قبة صفوة الملك الى جانب قبة ابنها دقاق بحيث تكون الاوصاف واحدة ؟ ثم ان الرخامة تنص على انهُ كان الى جانب قبة صفوة الملك مشهد ، والمؤرخون يذكرون انهُ كان الى جانب قبر دقاق مسجد كبير، فهل المشهد والمسجد الكبير شيء واحد ؟ ان الذين رأوا قبة صفوة الملك قبل اندثارها لا يذكرون لنا انهُ كان الى جانبها آثار مسجد كبير . أفيمكننا بعد هذه الاسئلة كلها ان نقول انهُ كان الى جانب قبة صفوة الملك ومشهدها قبة ابنها دقاق ومسجده؟ الحق انهُ لا يمكن القطع بذلك فان النار التي شبّت في تلك الناحية سنة ٦٢٦ وأصابت الخانقاه الطاووسية كما يذكر النعيمي ، ذهبت بكثير من معالم تلك المعاهد ثم إن كرّ الزمن يمنعنا من القطع بشيء

﴿وصفها﴾ : بنيت قبة صفوة الملك في بقعة مستطيلة من الارض طولها ٩٫٣٠ المتر وعرضها ٦٫٤٥ المتر وكان لها جبهة حجرية شمالية حسنة البناء فيها الباب ومن فوقه الرخامة ويقابل هذه الجبهة جبهة جنوبية فيها شباك ضخم يقابل الباب . وفي الحائطين الشرقي والغربي شبا كان كبيران من فوقهما كوة . وفي وسط بقعتها المستطيلة غرفة مربعة الشكل من فوقها قبة والى

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٩ / ٢٢٨

(٢) أنظر Les Monuments Ayyoubides ١ / ٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جانبي الغرفة المربعة غريفتان مستطيلتان من فوق كل واحدة منهما نصف قبة

﴿ بناءها ﴾ : كانت حيطانها مبنية بحجارة صغيرة غير متقنة الصنع او بمواد أخرى مرصوفة رصفاً غريباً ترى فيها الحوار والصوان والمرمر الأبيض وغير ذلك كما ترى القدد الخشبية تصل بين الجزء والجزء من أقسام الحائط

وأما الأقواس او الحنايا والقباب فمن الآجر المطبوخ وهو نوعان (الأول) حجمهُ ٢٣ × ١٥ × ٤ سنتيمترات و (الثاني) ٢٦ × ١٩ × ٦ سنتيمترات

وأما نصفا القبتين فيقومان على سطح كثير الزوايا متجهة نحو القاعة المربعة وفي كل زاوية من زاويتي نصف القبة كوّة داخلة مقنطرة بـ ٤٥ درجة وبينهما كوّة صماء تقع فوق الباب ومن فوق ذلك نصف القبة الحسن الشكل البارع البناء . اما سمك حيطانهما — من الارض حتى نصف الحائط — فقريب من ٤٥ سنتيمتراً (١٩ + ٢٦ سنتيمتراً ، ومن منتصف الحائط الى فوق يأخذ الحائط في الرقة حتى يصبح ٢٦ سنتيمتراً فقط وانما صنع هذا بهِ ليتسنى له ان يماشي سمك قوس نصف القبة . واما القبة فيظهر انها كانت مبنية على هذا النمط المعين الذي رأيناه في بناء نصفي القبتين ، وينبغي ان يلاحظ ان براعة الباني قد تجلت في القسم الذي يصل نصفي القبتين بالقبة العظمى فقد راعى في ذلك اموراً فنية جد دقيقة [١] . وحيطان القبة والغرفتين وبقية الحيطان مكسوة بقشرة رقيقة من الجص الابيض غطت الحجارة الصغيرة المختلفة التي بني بها البناء

﴿ نقوشها وزخارفها ﴾ : زخارف القبة ونقوشها محدودة جدًّا . واذا صرفنا النظر عن البراعة في بناء نصفي القبتين والكوى والاطارات الجصية البديعة التي تحيط بالشبابيك والمحراب ، لم نجد شيئاً يذكر سوى الزخارف الكتابية وهي زخارف كتابية كوفية مخطوطة بالصبغ الازرق المائل الى السواد بقاعدة فنية عجيبة في هندستها وقد نشرت في كتاب Les Monuments Ayyoubide وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وملائكتهُ يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليهِ وسلموا تسليماً صدق الله العظيم » . ويظهر ان اسم الطواويس والطاووسية قد جاء هذه القبة من رؤوس « الألفات » التي تشبه ذيول الطواويس

﴿ مزاياها وخصائصها الفنية ﴾ : كان لهذا المعهد مزاياه الفنية الكثيرة — فضلاً عن قيمته التاريخية — لأنهُ أقدم أثر اسلامي في دمشق ولأنهُ الأثر الوحيد الذي يرجع الى العهد السلجوقي ولأنهُ يمثل لنا نوعاً من طراز البناء السوري الاسلامي الذي يمتاز بطابع خاص ، وليت دمشق كانت تحوي آثاراً أخرى ترجع الى تلك الفترة حتى نستطيع أن نتبين شيئاً

(١) انظر كتاب Les Monuments ص ٢ وما بعدها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واضحاً من المزايا والخصائص الفنية للبناء السوري الاسلامي في العصر السلجوقي ، ولكن إن لم يبق شيء من تلك الحقبة فان في الآثار التي جاءت من بعدها بقليل — كآثار نور الدين — لنوراً يضيء لنا السبيل ويبين لنا شيئاً من طرز البناء السوري وزخرفته في العصر السلجوقي

يقول الاستاذان سوفاجة وايكوشار « إن تعيين مزايا هذا المعهد العمرانية عسير جداً لأمرين (اولهما) تداعي البناء تداعياً واضحاً يمنع تبيُّن تلك المزايا (وثانيهما) ان الثروة الاسلامية في الفن المعماري في الشرق الاسلامي لما تزل معالمهما غير واضحة لنقص كثير من النواحي الفنية ولعدم الاتفاق على الخطوط التي تبين مزايا كل قطر اسلامي وخصائصه التي يميزه عن الاقطار الاخرى ولكن مهما يكن من شيء فان قبة صفوة الملك التي أثرت في قباب بنيت بعدها — كقبة البيمارستان النوري وقبة التربة والمدرسة النورية — هي من نمط القباب العراقية والفارسية وليس في هذا شيء من الغرابة فان السلاجقة جاءوا الشام من تلك المناطق الشرقية. ثم ان هذا الدليل يقوى ويشتد اذا عرفنا ان هذا النوع من القباب المخروطية ذات القباب النصفية في جانبيها ، نجده في مدخل البيمارستان النوري وقد بني بعد قبة صفوة الملك بنحو نصف قرن ، ويستنتجان من هذا ان القبة التي كانت فوق قبة صفوة الملك كانت من تلك القباب المخروطية ذات النخاريب de forme conique chargée d'alveoles

وكذلك ينبغي أن يُفتش في العراق عن أصل القبتين النصفيتين الواقعتين الى جانبي القبة العظمى ، فليس من شك في أن هذا نمط عراقي وانهُ متأثر بالقباب الفارسية القديمة [1] ثم ان هذا النوع من الآجر الذي بنيت به القبة وحيطانها هو آجر عراقي الأصل ، وليس من شك في انهُ جاء الشام من العراق كما جاء الشام من العراق كثير من ضروب الحضارة والعلم والفن . ثم ان نمط بناء أقواس قبة صفوة الملك هو نمط عراقي لأنها أقواس ذات فلقتين (lobé) وهذا النمط موجود بكثرة في قصر الأخيضر العراقي وفي جامعه [2]

أما الزخارف الكتابية فانها من نمط كتابات بني سلجوق وبني بوري في الشام ولكنها تمت بصلات قوية الى الكتابات الشرقية وخصوصاً في طريقة كتابة « الالفات » وزخارفها [3]

والخلاصة ان هذا المعهد يبين لنا كثيراً مما أخذه الفن الاسلامي السوري من المشرق كما انهُ يبين لنا ان الاثر السوري الوحيد فيهِ هو تلك القطعة الحجرية السوداء التي كان العمال السوريون يقفلون بهِ الاقواس وهذا ما نجده في قفل قوس باب قبة صفوة الملك وما بعدها وقد بقي هذا الاثر في البناء السوري على صور متعددة وخصوصاً في عصر المماليك ولعل السر في ذلك هو وجود الحجارة السود الجميلة في « الكسوة » بالقرب من دمشق

(١) انظر كتاب Les Monuments Ayyoubides ص ١١ والملاحظة رقم ٢٥ و٢٧ من الصفحة نفسها (٢) أنظر ٢١ ص Bell, Palace and Mosque at Ukhaidir

(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « Arabesque »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذئب والأم

لجبران النحاس

حكايةٌ مشبهةٌ في ما أرى   وعدَ فرنسا أن تؤاخي هتلرا

***

الذئبُ قامَ مرةً يرتادُ   يبحثُ عن فريسةٍ تُصادُ
فأرهف الأنفَ لها والسمْعا   وبينما في الغاب كان يسعى
آنسَ قرب منزلٍ منفردٍ   تهيمَ أمٍّ وبكاءَ وَلدِ
تُهَدهِدهُ الأمُّ اذا تُغني   سريرَهُ وهي تقولُ يا ابني
كُفَّ عن البكا ونمْ قريرا   اصطد لك الداجنة والعصفورا
ان كنت لم تسكت فعند المغربِ   يهجم ذئبٌ صائحاً هاتي الصبي

***

فعند هذا الذئب خَرَّ ساجدا   مسبّحاً باري الوجودِ حامدا
مستغفراً من الخرافِ انهُ   في ما مضى أساءَ فيها ظنَّهُ
وقال يا مَنْ يستجيبُ الداعي   انظرْ الى ذئابك الجياعِ
يا مَن كسا السباعَ من أوبارِها   وأشبع الزُهَّاد في قفارها
من كان للعاني الفقيرِ راحما   إرفَقْ بذيبٍ لا يزالُ صائما
يا رازقَ الخلقِ بلا حسابِ   حبَستَ رزقي خلفَ هذا الباب
أشفِق على الامّ التي تصلّي   ونجّها من صوت هذا الطفل
واني بأمرهِ طبيبُ   وأنتَ نعمَ السامعُ المجيبْ

***

والطفلُ كان عندها قد سكتا   وقال يا ماما اذا الذيبُ أتى
فاختبئ أنتِ معي تحت اللُحفْ   قالت له نمْ يا بنيَّ لا تخف
اني معيدّةٌ لهذا الضيفِ   معونةَ الله وحدَّ سيفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ميلاد الشاعر

لصلاح الأبكى

وحدي أنا يارب وحدي   نشوان من سأم وزهد

وحدي كأن الشمس لم   تطلع على الدنيـا بوعد

وحدي ولو أن الربيع   مصفق والنور يهدي

ومطارح الآفاق أنغام   تــلوّح لي برغــد

والورد من حولي مدى   الآفاق يخفق فوق ورد

أنا والشتاء أسومه   ويسومني برداً ببرد

وحدي فما الانسان لي   بأخٍ ولا هو لي بجــد

أنا لست من هذا التراب   ولست من حسد وحقد

فلقد تركت وعشت في   ملإٍ من الأحلام فرد

وقطعت ما بيني وبين   الأرض من صلةٍ وودِ

[عن « الجمهور » البيروتية]

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

نظرة في علم البيان

على جوانب الاحكام البيانية ثغرتان يجب ردمهما
ارجاع قوالب الكلام البليغ الى اجناس قليلة

لادوار مرقص
من اعضاء المجمع العلمي العربي

كل من مارس علم البيان العربي بفنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع وتأمل مليًّا احكام هذه الفنون في كتبها القديمة والحديثة راقهُ ما هناك من دقة وحسن تبويب وتفصيل وأدهشهُ ما يقف عليهِ من المثل والشواهد النفيسة التي تعد بالألوف وأكبر همة أولئك الأسلاف الكرام من علمائنا وما أبدوه من فطنة شاسعة وخبرة واسعة

ان علماءنا القدماء في آدابُ لساننا العربي أدوا في هذا السبيل الجميل ما كان مأمولاً منهم ومنتظراً . بل زادونا في الفرعيات أشياء طيبة جاوزت حد ما أملنا وانتظرناه . وليس معنى ذلك انهم بلغوا الكمال في ما توخوه فالكمال لكل علم وفن وصناعة لا يرجى بلوغه او مجاورته عن يد فئة واحدة من العلماء لعصر أو عصرين بل يتم ذلك رويداً رويداً على أحقاب متطاولة. ومن ثمَّ لم يكن بدٌّ من وجود مواضع استدراك في علم البيان عندنا.والذي أرمي اليه في مقالي الحاضر الاشارة الى موضعين : الموضع الاول التداخل في مباحث علم البيان . والموضع الثاني اقتصار الاحكام البيانية عندنا على جزئيات حسن الاداء والانشاء ضاربة صفحاً عن كلياتهِ . ويضاف الى موضعي النقد هذين مطلب جديد استخرجته بطول الملاحظة والاستقراء ويقوم بارجاع القسم الاكبر من محسنات الكلام وطرق البلاغة الى ثلاثة أركان

هذه هي المواضع التي يجدر بالمتأخرين ان ينتبهوا اليها ويعملوا بموجبها لا ان يكتفوا باجتناء قرائح من سبقوهم ثم يجمدوا جموداً سيئاً يخالف على خط مستقيم نشاط الحركة والدوران لما يكتنفهم من مكان وزمان وأحوال

التداخل في مباحث علم البيان

هذا التداخل أشرت اليه في كتابي « كفيل البيان والشعر » الذي طبعته سنة ١٩٣٤ حيث قلت: ان في كتب علم البيان عندنا اي فنونه المعاني والبيان والبديع تداخلاً ليس له وجه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سديد بل هو مدعاة تشويش واعنات للذهن ولعلّ علماءنا ينتبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او ينبهوا اليها الدارس ويجعلوه على بصيرة من امره . فمن مواقع التداخل نوع البسط والإشباع في البديع فليس الاّ من باب الاطناب في المعاني . ومثل ذلك الاحتراس والايغال والتتميم فهي من الاطناب ايضاً . وقد ذكرت في المعاني والبديع والقلب في باب مخالفة مقتضى الظاهر من ابواب المعاني وهو نفس التشبيه المقلوب في البديع . والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان مذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده ومذكورة في البديع باسم التهكم . ثم ان المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه هي أجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملته وتفصيله . وقد وفاها هذا الفن حقها من التقسيم والتمثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها أنواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها أجل شأناً من ذلك بكثير فهي مصدر وأساس قسم كبير من الأنواع البديعية

اقتصار الاحكام البيانية على جزئيات حسن الاداء

ان في هذا الاقتصار لتقصيراً غريباً . ولكنهُ لأول ظهوره لم يكن على شيءٍ من الغرابة إذ كان همّ أئمة الأدب العربي مصروفاً الى اظهار الاعجاز والمعاني الدقيقة في القرآن الكريم دالين المتأدبين على ما هنالك من الجزئيات والمعاني المكتسبة في تقديم وتأخير . أو حصر واطلاق . أو ذكر وحذف . أو إطناب وايجاز . أو وصل وفصل . مع الاغراض التي يمكن تحصيلها على طريق النداء والاستفهام والامر والنهي . وقد أضافوا الى ذلك تفصيل وجوه التشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات الناشئة عن ترتيب أو ادماج أو تورية أو مشاكلة أو طباق أو مغايرة أو مراعاة نظير الى آخر ما هو مدوَّن في كتب المعاني والبيان والبديع . فاذا وقف عليها الدارس تفطن لمحاسنها وللاغراض الثانوية التي تحتها في القرآن وفي غير القرآن من كلام الفصحاء والبلغاء . هذه هي الغاية الكبرى التي قصدها أئمة علم البيان عندنا ووضعوا أساسهُ وقد قاموا بقسطهم ذاك خير قيام

أما وقد تكوَّن شيئاً فشيئاً من مدوَّناتهم النفيسة تلك علم عظيم سميناه علم البلاغة فأصبح من الواجب على المتأخرين أن يوسعوا نطاقه ويستدركوا ما فاتهُ لأجل تعميم نفعهِ للطلاّب وايصال أثر أحكامه الى حاجات المنشئين في كل النواحي . وانما يكون ذلك بتتويج أبواب تلك الجزئيات بالمطالب الكلية التي تشرف عليها جميعاً مع اظهار شروط ووجوه كل من تلك الكليّات لتتضح الفروق بينها فلا يلتبس بعضها ببعض . فاذا وقف الدارس عليها ثم نظر في تلك الاحكام الجزئية الدقيقة التي تتناولها بلباقة كتبنا البيانية كان علمهُ ناضجاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسلاحهُ ماضياً في خوض ميدان البلاغة نظماً ونثراً

ان الاحكام الكلية التي أحض على بسطها وايضاحها في كتب البيان هي ذكر ما لكل موضوع من الكلام من أسباب الحسن وشروطهِ والملاحظات والارشادات العديدة كأن يورد المصنف هذه الامور المجملة لما تجب مراعاته في باب المراسلات الودية . وفي باب المدح والتهاني والتعازي والاعتذار والعتاب والتنصل والتوصية ومخاطبة الرؤساء والمرؤوسين وفي تدبيج المقالات والمناظرات والمحاضرات على اختلاف أغراضها . فان ايراد الفوائد المتعلقة بكل باب من هذه الأبواب نراه متبعاً في كتب بيان الافرنج . ولا أنكر اننا نرى من ذلك شذرات متفرقة واشارات خفيفة في تضاعيف كتب الادب . ولكنهُ نصيب ضعيف لا يسد ثلمة ولا يشفي غليلاً . واما المطلوب ايراد تلك الفوائد والارشادات منظمة تنظيماً حسناً مع ايضاح واشباع في أبواب متجاورة ثم اتباعها بما تعوّدنا أن نقف عليهِ في كتب بياننا من أحكام الحذف والذكر والتعريف والتنكير والاضمار والاظهار ونحو ذلك ومن أنواع التشبيه والاستعارة والكناية وتلك المحسنات البديعية

واما أن نكتفي بهذه الجزئيات دون تلك الكليات فيجعل مثلنا مثل رجل دخل داراً فسيحة العرصات كثيرة المخادع والدهاليز والمستشرفات وكان يريد استخدام تلك الدار وسكناها مع أفراد أسرته والتمتع والانتفاع بهـا متوخياً من ورائها رغد العيش وراحتهُ . فأعرض عن النظر في أقسام الدار وتخصيص كل قسم بما يليق بهِ بحيث تتميز غرف المنامة عن غرف الضيافة وتتميز هذه عن غرف المطبخ وتناول الطعام والاستحمام . أعرض عن النظر في ما ذكر وفي غيره من كيفيـة استخدام المسكن على أحسن الوجوه ولم يلتفت الى المواعين والاثاث التي تصلح لهذه الغرفة دون تلك . ولهذا البهو دون ذاك . أهمل الرجل هذه الكليات الجوهرية وحصر عنايتهُ واهتمامه بفحص الجيد والرديء من هذا القماش وهذه المقاعد الخشبية وهذه الأدوات النحاسية والزجاجية وتلك الصحون والقدور وما شاكل ذلك . والرأي السديد يقضي عليهِ بأن يعرف هذه التفاصيل ولا يعرض عن شيء من مقتضيات تلك العموميات الشاملة . وهكذا يجب ان يكون علم البيان وهو علم البلاغة

ارجاع طرق البلاغة الى ثلاثة أركان

فرغت من ذكر الثغرتين اللتين يجب ردمهما في كتب البيان عندنا وهما التداخل في مباحث علم البيان . واقتصار الاحكام البيانية على جزئيات حسن الاداء . وبقي عليَّ أن أورد المطلب الثالث الذي أشرت اليهِ في صدر هذا المقال

راعني وحزَّ في صدري سنين طويلة ما رأيتهُ من كثرة الاسماء لقوالب الكلام البليغ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المنصوص عليها في علم البيان ولا سيما أسماء المحسنات المعنوية واللفظية في فن البديع . ومع اني أحد الافراد القلائل الذين حفظوا تلك الأسماء وتبينوا مسمياتها ووقفوا على تعريفاتها وشواهدها ومثلها كنت أحس من نفسي انهُ لا يزال يفوتني شيء غير يسير مما ذكر وكلما عنيت بحفظ هذا الجانب نسيت جانباً آخر يعادله أو يقاربه . هذا الذي جرى لي ولم أتهم نفسي لأجله بقصور ولا تقصير اذ علمت علم اليقين ان معظم المشتغلين باللغة العربية هم من هذا القبيل على مستواي أو دون مستواي . ولنا بذلك ملء العذر فمن الذي تسمح له همته وأوقاته معاً بأن يستوعب هذه الناحية الصغيرة من آداب لغتنا فيحفظ نحو مئتي اسم لمئتين من الأنواع والأبواب مع تعريفاتها وشواهدها ومثلها وفوارق المتشابهات منها . والقسم الأكبر من هذا العناء الطويل العريض ليس تحته طائل كبير وما أشبه هذه المحفوظات بالخرنوب البرّي نتناول منهُ عشر أقات فلا نستخرج منها الاّ عشرين درهم دبس . صدقوني ان عناء هذه المحفوظات يعادل أو يجاور عناء درس واتقان علمي النبات والحيوان معاً على ما فيهما من أسماء الأجناس والأنواع والفصائل . فهل من الحق والصواب أن يضحى بهذا المبلغ من الجهد والزمان لأجل تلك الناحية الثانوية من آداب لساننا العربي . وان رضينا بهذه التضحية فأية بقية ندخرها لسائر نواحي الأدب الجوهرية كمتن اللغة وتاريخ العلماء والأدباء ومعضلات الصرف والنحو وغير ذلك

فكرت مليًّا في هذا المأزق الذي فيهِ ما فيهِ من دواعي الحسرة واعنات الذهن ثم قلت في نفسي ان القوم قضوا من الزمان قرنين أو ثلاثة قرون وهم يتنافسون في استخراج أكثر ما يمكنهم من تلك القوالب للكلام البليغ واعطاء كل قالب اسماً حتى أوصلونا الى ما نحن فيهِ . أفلا يمكننا يا ترى مع اعترافنا بفضلهم في السبق واغترافنا من بحر فوائدهم أن نجري على ما يخالف نهجهم . وبعبارة أوضح أن نخالف طريقهم وان شاركناهم وحرصنا مثلهم على الغاية المقصودة من عناء السير وهي الإفادة واكتساب ملكة البلاغة . ألا يجوز أن نخالف طريقهم وذلك بأن نجمل ما فصلوه ونعمم ما خصصوه لأجل تمهيد السبيل وتقريب المنهل على الواردين . ألا يمكننا أن نوزع هـذه الانواع أو معظمها أو أسماها شأناً وأطيبها أثراً على بضعة أجناس تنضوي اليها وتنطوي تحتها . جعلت هـذا الهدف نصب عينيَّ وأعملت النظر على مهل في قوالب البلغاء فرأيت القسم الاكبر منها يمكن ارجاعه الى ثلاثة أركان هي :

الموافقة والمخالفة وحسن الترتيب

فمن الموافقة ينشأ التشبيه والاستعارة والكناية ومراعاة النظير وايهام التناسب والاشتراك والتورية والمشاكلة والتدبيج والاستخدام والجناس بأنواعهِ والموازنة ولزوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما لا يلزم والتصدير والتضمين والابهام والتوجيه وغير ذلك

وعن المخالفة ينشأ الطباق وايهام التضاد والمقابلة والمغايرة والقول بالموجب والاستدراك والاستثناء وعكس الجمل وما لا يستحيل بالانعكاس وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح والتفريق والراجعة والجد في معرض الهزل وغيرها

وعن حسن الترتيب ينشأ الجمع والتقسيم والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتفريق والطي والنشر والمزاوجة والاطراد والتوسيع وتناسق الصفات والادماج والاستتباع وأشباهها

وهذه القوالب التي ذكرناها تستغرق من فن البيان وفن البديع ثلاثة أرباعهما على وجه التقريب . وأما فن المعاني فيدخل معها من مباحثه القوالب المنصوص عليها في باب مخالفة مقتضى الظاهر وهو آخر أبوابه . وأما سائر محتويات المعاني فمعظمها يحسب تتمة دقيقة لكثير من مباحث علم النحو فهو بنجوة عن ميدان البيان والبديع

والمقام الحاضر لا يسمح لي بايراد الكثير من الأمثلة والشواهد على صحة ما زعمتهُ من ارجاع قوالب الكلام البليغ الى الأركان الثلاثة الموافقة والمخالفة والترتيب مما أقدمت عليهِ وأوردت الحجج الكافية لكل فئة من فئاتهِ في كتابي « كفيل البيان والشعر » وانما يسمح لي بايراد الشيء اليسير من الأمثلة . واللبيب يمكنهُ بالاستقراء أن يقيس على ما ذكر ما لم يذكر

ولعلهُ من الكافي أو القريب من حد الكفاية أن نورد لكل ركن من الأركان الثلاثة التي ترجع اليها معظم القوالب أربعة أمثلة لأربعة قوالب فقط

ولنبدأ بالركن الأول وهو الموافقة موردين من الانواع أو القوالب المنتظمة في سلك التشبيه والكناية ومراعاة النظير والتورية

التشبيه ركنٌ عظيم من أركان فن البيان وحقيقته إلحاق أمر بأمر آخر لوجود علاقة بينهما نحو قولك : « كلمة الحق سيف مسلول على أهل البطل » مشبهاً كلمة الحق بسيف مسلول لعلاقة بينهما نسميها وجه الشبه . وهذه العلاقة في العبارة هي التهديد والايلام . فكما ان السيف يهدد ويؤلم المسلول عليهِ تهدد كلمة الحق وتؤلم من توجه اليه أهل من البطل. والتشبيه على اختلاف اقسامه مبني على شيء من الموافقة بين أمرين لوحدة أمور كاتفاق السيف وكلمة الحق في التهديد والايلام في المثال السابق . وما يقال في التشبيه من هذا القبيل يقال في الاستعارة وهي ايضاً ركنٌ آخر عظيم من أركان فن البيان ولا تحسب عند التحقيق إلاَّ تشبيهاً مختصراً أي محذوفاً منهُ المشبه أو المشبه بهِ مع ايراد قرينة تبين المراد من العبارة نحو قولك : « استضيئوا « بالعلم » فأصل العبارة « العلم كالنور فاستضيئوا به »

والكناية ركن مهم ايضاً من اركان فن البيان وهي لفظ أُريد بهِ لازم معناه اي الامر الذي يستلزمه معنى اللفظ الظاهر كقولك : « فلان عريض المنكبين مفتول الذراعين مكتنز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العضلات وأنت تكني بذلك عن قوته لان هذه الصفات تستلزم قوة الجسم في صاحبها . وبديهي انهُ لا بد من موافقة بين كل أمرين يستلزم أحدهما الآخر . فالكناية لا بد ناشئة بجملتها عن الموافقة

ومراعاة النظير نوع من البديع يقوم بايراد ألفاظ مشتركة في باب واحد او موضوع واحد . وهذا الاشتراك هو نوع من انواع الموافقة . ومن أمثلتها قول عنترة العبسي

حصاني كان دلاّل المنايا خاض غبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

ولايخفى ان الدّلال وخوضه سوق الشراء والبيع امور تندمج في طائفة واحدة . والطبيب والمداواة والصداع وشكوى المصدوع تندمج في طائفة أخرى . فالموافقة ظاهرة في كل من هذين البيتين

والتورية نوع من البديع جليل القدر وحقيقته ان يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد فيراد البعيد منهما ويورّى ان يستر بالقريب . ومن التورية قول القائل

قالت اذا كنت ترجو وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والاّ أجور ناديت جوري

فالتورية واقعة في لفظة « جوري » التي معناها أظلمي من الجور وهو المعنى القريب . ومعناها ايضاً ورد جوري مما يعد أحسن أنواع الورد وهو المعنى البعيد المقصود . والتورية ناشئة عن هذه الموافقة اي موافقة لفظ واحد لمعنيين

***

فرغنا من التمثيل عن الركن الاول وهو الموافقة ولنذكر الآن الركن الثاني وهو المخالفة موردين اربعة انواع او اربعة قوالب تنتظم في سلكها وهي الطباق وعكس الجمل وتأكيد المدح بما يشبه الذم والتفريق . فالطباق او المطابقة او التضاد هو ذكر ألفاظ متضادة في معناها على سبيل التزيين كقول القائل :

اما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الامر

وارجاع هذا القالب الى حظيرة المخالفة أوضح من ان يحتاج الى ذلك

ومثل ذلك في الوضوح عكس الجمل نحو قولهم :« كلام الملوك ملوك الكلام »

وتأكيد المدح بما يشبه الذم كقول صاحب هذا البحث راثياً احد الفضلاء :

لك الله من فاضل لم يكن بأوصافه الزُّهر شيءٌ يُذم
سوى انهُ كان ينسي الجليسَ كل أبٍ وأخٍ وابن عم

فهذا الكلام بني على المخالفة ولو في ظاهر الأمر بايراد حكم معيَّن ثم استثناء ناحية منهُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأما التفريق فمن أمثلته قول القائل :

فهمُ الفتى الأزدي في جمع ماله   وهم الفتى القيسي دفع المغارم

والمخالفة ظاهرة في الفرق بين رجلين أحدهما يجمع ماله ويذخر لنفسه وآخر يبذله في سبيل نفع الناس وتفريج همومهم

وصلنا الى الركن الثالث وهو حسن الترتيب فلنذكر من المحسنات المنطوية تحته الجمع مع التفريق والطي والنشر والمزاوجة والاستتباع . اما الجمع مع التفريق فمنهُ قول أبي تمام :

ولما دعاني البين وليت أذرعا   ولما دعاها طاوعته ولبتْ

فلم أرَ مثلي كان أوفى بعهدها   ولا مثلها لم ترع عهدي وذمتي

وأما الطي والنشر ويسمى أيضاً اللف والنشر فهو نوع بديعي يقوم بذكر أشياء متوالية ثم ذكر ما يلائمها ومثاله :

همي حنيني أنيني رغبتي ولعي   منهم اليهم عليهم فيهم بهمِ

يريد ان همه منهم وحنينه اليهم وأنينه عليهم ورغبته فيهم وولعهُ بهم . والمزاوجة ان يرتب على امر في الشرط والجزاء ما رتب على أمر آخر قبله . ومثاله :

اذا ما دعا الداعي فلجَّ بي الهوى   أصاخت الى الواشي فلجَّ بها الهجر

فان حسن الترتيب ظاهر في هذه الأمثلة وهو معدنها وموجِّهها ولا يخرج عن سلطانه الاستتباع ايضاً فهو نوع بديعي يقوم بايراد وصف شيء على صورة تستتبع وصف شيء آخر. والترتيب منأتٍّ عن هذا الاستتباع . ومثاله قول الجني :

ألا أيها المال الذي قد أباده   تسلَّ فهذا فعلهُ بالكتائب

وقد دلني الاختبار الطويل على ان الأديب او المتأدب اذا خطر بباله وجعل نصب بصره وبصيرتهِ هذه الأركان الثلاثة أو المعادن الثلاثة لمحاسن الكلام وأنيق القول الموافقة والمخالفة وحسن الترتيب أغنتهُ عن الالتفات الى معظم تلك القوالب والانواع الكلامية التي تتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ نوع وساعدتهُ على تزيين كلامهِ وتعزيز مراميهِ بالأجود الأطيب من تلك الأنواع ولو لم يفكر فيها بالذات ولم يعرف أسماءها وتعريفاتها فيحمد مغبة خطتهِ لا سيما اذا كان المقام الذي يتصدى له مقام شعر منظوم أو مما يجاور الشعر في تنبيهِ الخيال واستثارة الشعور . ولا بأس ان نسمي كلامهُ حينئذ كما اصطلح كثيرون شعراً منثوراً في محاضرة او خطابة بل لا بدَّ له أن يحتاج الى التأنق وجمال الاداء في عدة مواضع من مباحث العلم والسياسة والعمران والاجتماع . هذا الذي أراه وأعتقده بشأن علم البيان العربي أدرجتهُ في مجلتكم الزاهرة موجهاً اليهِ أنظار خدام الأدب وأنصاره لعلهم يرون فيهِ أو في بعضهِ صواباً فيعملوا بمقتضاه . والله من وراء حسن القصد

اللاذقية — سورية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوفر لا العوز

عنوان العصر المقبل بفضل العلم

للعالِم الكندي : فرانك لايذ
نقلها : حسن السلمان

ما عناصر الثروة الرئيسية التي وضعتها الطبيعة بين يدي الانسان ليزود نفسهُ منها بطعامه وشرابه ، بلباسه وبما يقيه الحر والقر ، بلوازمه الضرورية وبالطاقة التي يستنزفها لتحقيق حاجة من حاجاته أو متعة من متع هذه الحياة ؟ يرجع الانسان الى ثلاثة مصادر للحصول على ما يحتاج اليهِ ، هي أديم الارض وبحارها وما يحيط بها من الهواء . اما تربتها فتزوده بطائفة من العناصر ليست بقليلة العدد . والجدول التالي يتضمن أهم العناصر الفلزية واللافلزية التي يكثر وجودها في القشرة الأرضية مرتبةً بحسب كثرة وجودها في طبقات الارض . ونظرة واحدة الى هذا الجدول توضح ان مقادير الالمنيوم والحديد والكالسيوم والبتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم وافرة تبعث وفرتهـا على اطمئنان أهل الصناعـة وتشجعهم على الاستيثاق من أن العالم لن تعوزه يوماً ما هذه العناصر مهما تتسع صناعاته ومهما تكثر المواد المستحضرة منها

الجدول الاول : نسب العناصر في القشرة الارضية

الفلزات				اللافلزات	
العنصر	بالماية	العنصر	بالماية	العنصر	بالماية
الالمنيوم	٧ر٩٦	النيكل	٠ر٠٢٣	الاكسجين	٤٧ر٧٧
الحديد	٤ر٤٤	السترونتيوم	٠ر٠٢	السيليكون	٢٧ر٢٥
الكالسيوم	٣ر٥١	الكروميوم	٠ر٠١	الايدروجين	٠ر٢٢
البتاسيوم	٢ر٤٨	النحاس	٠ر٠٠٧٥	الكربون	٠ر١٩
الصوديوم	٢ر٤٧	الزنك	٠ر٠٠٤٠	الفصفور	٠ر١٠
المغنيزيوم	٢ر٢٨	الرصاص	٠ر٠٠٢٠	الكبريت	٠ر١٠
التيتانيوم	٠ر٤٧	الفضة	٠ر٠٠٠٠١	الفلورين	٠ر١٠
المنغنيز	٠ر٠٩	الذهب	٠ر٠٠٠٠٠٠٥	الكلورين	٠ر٠١
الباريوم	٠ر٠٨	فلزات أخرى	٠ر٢٠	لا فلزات أخرى	٠ر٢١
		المجموع	٢٤ر٠٥	المجموع	٧٥ر٩٥

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اما النحاس والزنك والرصاص فلا تزيد المقادير الموجودة منها عن ١٠ر٠ بالمائة مما تتألف منهُ قشرة الارض ومع ذلك فان العقل الصناعي في هذا الجيل لم يأل جهداً في ابتكار أساليب تحضيرها بأوفر قدر وبأبخس ثمن . اما مستقبل هذه العناصر فمجهول. ويقدر العارفون انها ستنفد قبل نهاية المائة العام القادمة ، ان لم تكشف مناجم جديدة لهذه العناصر او ان لم تخترع أجهزة جديدة او تبتكر أساليب حديثة لتحضيرها من رواسب تحتوي مقادير قليلة منها لا تمكننا أجهزتنا وطرقنا الصناعية الآن من تحضيرها منها

ويؤلف عنصرا الاكسجين والسليكون ، وكلاهما من غير الفلزات ، ما لا يقل عن ثلاثة أرباع ما هو موجود في جميع التربة من العناصر . ومما هو جدير بالذكر ان هذين العنصرين يتحدان فيكوّنان الطبقات الرملية والطينية والصوانية للقشرة الارضية . وتوجد اللافلزات الاخرى — والوارد ذكرها في الجدول الآنف الذكر — في مقادير تكفي حاجة ابناء هذا الجيل وربما تكفي لسد حاجة ابناء الاجيال القادمة ايضاً . ولا خوف من نفاد عنصر الكلورين الذي تقل نسبة مقاديره عن سائر اللافلزات الاخرى، لانهُ يؤلف ستين بالمائة من مجموع مقادير كلوريد الصوديوم — ملح الطعام — المذاب في ماء البحر . وما أكثر مياه البحار وما أبسط طرق تحضيره منها !! كذلك لا خوف من نفاد البتاسيوم والفصفور وهما العنصران المهمان لتغذية النباتات ، لأنهما كثيرا الوجود في الطبيعة

أما مياه البحار فهي المصدر الثاني من مصادر المواد الحيوية للانسان ، وهي تحتوي على مقادير عظيمة من الاملاح الذائبة فيها . وقد صنفت عناصر هذه الاملاح بحسب مقاديرها الموجودة في الميل المكعب من ماء البحر في الجدول التالي :

الجدول الثاني : املاح البحار

العنصر	الاطنان / ميل مكعب	العنصر	الاطنان / ميل مكعب
الكلورين	٩٠٫٠٠٠ر٠٠٠	البتاسيوم	٣٫٣٠٠ر٠٠٠
الصوديوم	٥٣٫٠٠٠ر٠٠٠	الكلسيوم	٢٫٤٠٠ر٠٠٠
المغنيسيوم	٥٫٧٠٠ر٠٠٠	البرومين	٣١٠ر٠٠٠
الكبريت	٤٫٣٠٠ر٠٠٠	الآيودين	٢٠٠

اما المصدر الثالث من مصادر العناصر المهمة لحياة الانسان وبقائه ، فهو الجو بطبقاته المختلفة . والجدول الثالث يجمع العناصر الموجودة في الهواء مصنفة بحسب نسبة وجودها في الهواء الموجود فوق ميل مربع من سطح البحر . ولما كانت مساحة سطح الكرة الأرضية تزيد على مائتي مليون من الأميال المربعة فان البشرية في مأمن من نقص النتروجين وهو العنصر الضروري لبقاء ثروتنا الزراعية ولتزايد انتاجنا الصناعي . وليس بغريب ان نجد جو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأرض يحوي مقادير كبيرة من غاز ثاني اكسيد الكربون ، فهو المركب الضروري لتغذية المملكة النباتية برمتها . أما العناصر الأخرى فانها وان كانت قليلة الوجود في الجو الاّ ان الكيميائيين دائبون على ابتكار طرق جديدة تمكنهم من الاستفادة منها

الجدول الثالث : محتويات الهواء

العنصر المركب	النسب المئوية الوزنية	طن/ميل مربع على س . ب	العنصر المركب	النسب المئوية الوزنية	طن/ميل مربع على س . ب
النتروجين	٧٥ر٤٧٤	٢٢ر٢٦٩ر٠٠٠	الايدروجين	٠ر٠٠٠٧٠	٢٠٧
الاكسجين	٢٣ر٢٠٠	٦ر٨٤٥ر٤٠٠	الكريبتون	٠ر٠٠٠٢٩	٨٦
الارغون	١ر٢٨٣	٣٧٨ز٦٠٠	الهليوم	٠ر٠٠٠٠٧	٢٠
ثاني اكسيدالكاربون	٠ر٠٤٠	١١ر٨٠٠	الكزينون	٠ر٠٠٠٠٤	١٢
النيون	٠ر٠٠١٢٥	٣٧٠	المجموع	٩٩ر٩٩٩٣٥	٢٩ر٠٠٥ر٩٥٠

— ٢ —

منذ نيف ومائة وأربعين عاماً نشر مالتوس أولى رسائله . ولقد استوقف بتلك الرسالة أنظار الناس ووجهها الى حقيقة ما كانوا يعرفونها من قبل ، تلك هي ان سكان العالم في تزايد مستمر بينما موارده الضرورية آخذة في القلة قلة مطّردة . وقد راجت أفكاره هذه في مختلف الأوساط العلمية حتى ان بعض المفكرين لم يتردد في التنبؤ بأن البشرية صائرة الى يوم تقل فيه الموارد الضرورية للتغذية فتلتجيء الى التطاحن والتنازع على البقاء للحصول على ما تسد به رمقها

كان الانسان قبل هذا القرن يعتمد في زراعته الواسعة على الأسمدة الطبيعية — أي الاسمدة المودعة في التربة من مواد حيوانية ومواد نباتية . ومن البداهة ان الزراعة اذا ما اتسعت وعمت جميع البقاع الممكن زراعتها فان انتاج المواد الغذائية سيبلغ ذروته العليا ، وهذا الاتساع سيؤدي حتماً الى استنزاف خصوبة الأرض ومن ثمَّ الى تناقص الانتاج الزراعي وهذا الى قلة الاطعمة الضرورية للانسان . ومنذ ما نشر ملتوس نظريته تلك اتجه الانسان نحو البحث عن أسمدة جديدة لتكثير خصوبة التربة فاستطاع بفضل ما ابتكر من أساليب ، الحصول على مقادير وافية من أملاح البتاسيوم وفاز بتحويل الصخور الفصفاتية الى أسمدة سوپر فصفاتية سواء أبمعاملة تلك الصخور بالحامض الكبريتيك كان ذلك أم بطريقة الاحماء الشديد . وفي خلال العقدين الاولين من هذا القرن كشف العلماء وسائل فريدة لاقتناص نتروجين الهواء وتحويله الى أملاح نتروجينية تستعيض بها التربة عما فقدته من المركبات النتروجينية ، وبذلك تمكن الانسان بثاقب عقله وبصدق عزمه وبطول صبره من الابتعاد عن الاخطار التي كانت محدقة به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في وسع البشرية مضاعفة منتجات الارض الزراعية ، لا بالاكثار من المركبات النتروجينية وحسب ، بل بمضاعفة المقادير المستعملة من مركبات البتاسيوم والحامض الفصفوريك وبمعادلة الحوامض المتراكمة في التربة والناجمة عن تهرؤ المواد الحيوانية والنباتية ، وكذلك يتسنى لها ذلك بمزج الاسمدة الصناعية بمقادير مناسبة من مركبات الحديد ومركبات الكاسيوم والزنك والنحاس والكوبلت والكبريت والكلورين واليود والبورون . فقد أثبت التحليل ان فقدان هذه المركبات من التربة يؤدي الى تناقص المنتجات الزراعية . ومن حسن حظ البشرية أن أقبل كثيرون من أبنائها على دراسة الفنون الزراعية فكثر المختصّون بمعرفة مواعيد نضج النبات وثمرهِ . فقد كانت الحنطة مثلاً لا تزرع الاّ في بعض المناطق المعتدلة ولكن بعد ان توصل الانسان الى استنبات البذور التي تستطيع مقاومة البرد في المناطق الباردة وتنضج سنابلها قبل سقوط الثلوج ، كثرت زراعة الحنطة حتى شملت أغلب المناطق الشمالية وبلاد المنطقة المعتدلة قاطبة

ومن الأمور التي تهدد النباتات وتقلل من انتاجها كثرة انتشار الحشائش والأعشاب التي تستنزف قدراً غير يسير من خصب التربة . فقد قدر الضرر الناجم عن هذه الحشائش في الولايات المتحدة وحدها بما يعادل الضرر الناتج عن الحشرات وعن الأمراض النباتية والحيوانية جميعاً . ودفعاً لهذا الضرر المتعاظم هبّ أهل الزراعة الى مكافحة الخطر والقضاء على الحشائش الضارة قضاءً مبرماً . ومما ساعدهم في مهمتهم هذه كشف الكيميائيين الزراعيين أنواعاً خاصة من المركبات الكيميائية التي تبيد الحشائش وتتلف النباتات غير المرغوب فيها دون ان يكون لها اثر ما في النباتات التي يزرعها الانسان ليقتات بحاصلاتها. ومن البداهة ان هذا العمل على ما فيه من مشقة لا يضاعف الانتاج النباتي وحسب بل يحسن أنواعه ايضاً

ولم يكن تقدم البحث في موضوع الامراض النباتية والحيوانية أقل من تقدم وسائل مضاعفة الانتاج . فقد ابتكر الباحثون اساليب تعقيم بذور الحنطة والبطاطس لتخليصها من بويضات الحشرات التي تفتك بنباتاتها. وتمكنوا كذلك من القضاء على الكوليرا التي كانت تفتك فتكاً ذريعاً بالخنازير ومن مكافحة السل المنتشر بكثرة بين مختلف انواع الماشية . وعلاوة على هذه فانهم عرفوا ان كثيراً من الامراض التي تفتك بالنباتات وبالحيوانات لا ترجع الى حيوانات طفيلية خاصة ، وانما ترجع الى فقد عنصر من العناصر الكيميائية من طعامها . فقد وجد مثلاً ان اضافة أقدار قليلة من البورون الى التربة تقي التفاح من اغلب الامراض التي تفتك بثماره وان اضافة مقادير معينة من الكوبلت الى طعام المواشي تقيها الاصابة بأحد أمراض نقص الغذاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولم تقف جهود الكيميائيين عند هذا الحد ، فهم ساعون الى تحضير المركبات الايدروكاربونية في مختبراتهم من المواد السلولوزية او من الماء والمركبات الكاربونية الأخرى. فان مكنتهم الأقدار من كشف هذا السر المعقد فسينتصرون على كثير من اخطار العوز والفاقة التي تهدد المدنية

— ٣ —

كان الانسان في اول تحضره يعتمد في لباسه على جلود الحيوانات . وبعد ان ارتقى في سلم الحضارة استعاض عنها بالانسجة النباتية والانسجة الحيوانية، وبذلك تمكن من ان يقي نفسه تبدلات الجو دون كبير عناء

والقطن من أهم تلك الانسجة النباتية واكثرها فائدة للانسان وما زال النسيج النباتي يحتل المقام الاسمى في صناعة الاقمشة، وما يتبعها من الصناعات . وتبلغ المقادير التي تستهلكها مصانع الاقمشة منه بثلاثة اضعاف ما تستهلكه من الانسجة النباتية الاخرى والانسجة الحيوانية جميعاً . اننا لا نريد ان نتطرق هنا الى ذكر جميع البلاد التي تشمل فيها زراعة القطن مساحات واسعة ولكن لكي نصف للقارىء منزلة هذا النبات حسبنا ان نذكر ان مجموع ما تنتجهُ الولايات المتحدة الاميركية من هذا النبات يقدر بنصف مجموع ما ينتجهُ العالم بأسره ، وتبلغ المساحة التي يزرع فيها هذا النبات في تلك البلاد وحدها ثلاثين او اربعين مليون فدان، وليست هذه المساحة الاّ جزءً قليلاً لا يزيد على ٢ ./٠ من مساحة البلاد برمتها . ومن هذا يتضح ان الارض لن تضيق بزراعة القطن وان الولايات المتحدة الاميركية وحدها تتمكن من زراعة ما يكفي لسد حاجة ثلاثة او اربعة امثال سكان المعمورة

وليس امر الصوف بمختلف عن امر القطن، لكننا اليوم لا نعتمد على الانسجة الطبيعية كل الاعتماد ، ففي الخمسة والعشرين عاماً الماضية تمكنت البشرية من كشف سر تحضير الانسجة الصناعية . ففي عام ١٩٢٠ بلغ مجموع ما انتجتهُ معامل الولايات المتحدة الاميركية من الحرير الصناعي — ريون — عشرة ملايين رطل ، وفي عام ١٩٣٧ تضاعف هذا المقدار حتى بلغ ثلثمائة مليون رطل . وهكذا أنشأت الصناعة الحديثة للبشرية مورداً جديداً للباسها يكفي لكسو عدد من الناس يعلمهُ الله

ويقدر ما تنتجهُ غابات العالم من الاخشاب بثمان وثلاثين الف مليون من الاقدام المكعبة وما من شك في القدرة على مضاعفة هذه الكميات عشرات المرات اذا ما وجه الانسان عنايته نحو الغابات فحال دون تلفها او القضاء عليها . واذا ما أجهد الانسان نفسه واستعمل الاساليب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلمية في الاكثار من تشجير الغابات وفي انمائها فستدر عليهِ كميات من الاخشاب تكفي حاجة اضعاف سكان هذا العالم

ويستمد الانسان الطاقة التي يحتاج اليها في حياته العامة والخاصة من الفحم الحجري ومن النفط والغازات الطبيعية ، وكذلك يستمد جانباً ليس بيسير مما يحتاج اليه من الطاقة من الأخشاب ومن الشلالات ومن المياه المتساقطة من اعالي الجبال . ويجمع الاخصائيون الفنيون على ان الفحم الحجري المحفوظ في أطباق القشرة الأرضية يكفي لسد حاجة العالم خمسة آلاف عام على أقل تقدير

وفي حالة تعذر تعدين جميع ما في الأرض من الفحم الحجري فان المقادير التي يسهل تعدينها تكفي حاجة العالم الصناعي بضع مئات من السنين

وتنتج الولايات المتحدة ٦٠ ٪ من مجموع ما يتطلبه العالم من النفط وتستهلك تلك البلاد القدر الأكبر مما تنتجه منهُ . وكان يظن في اوائل هذا القرن ان موارد النفط لن تكفي حاجة العالم وانها ستنفد بعد ثلاثين عاماً ، ومع ان استهلاك العالم لهذه المواد لم يتناقص بل تزايد وتضاعف فان المقادير المودعة في جوف الأرض منها ما زالت كبيرة جداً ويظن انها تكفي حاجة العالم مدة قرن آخر او يزيد . وما دام يكثر الحجر اللين المسمى شيل Shale المشبع بالزيوت المعدنية فلا خوف من نفاد هذا النوع من الوقود . ولرب قائل يقول ان كثرة التكاليف ستحول دون استخراج الزيوت المعدنية من هذا الحجر ، وجوابنا على هذا ان تلك التكاليف لن تكون باهظة فعندما يقل وجود الزيت وتكثر الحاجة اليهِ تبتكر الأساليب العلمية الوافية . وهناك في مقاطعة البرتا وحدها مقادير عظيمة من الترسبات الرملية المشبعة بالقار تكفي حاجة العالم بضعة قرون ، وفوق ذلك كله فان لدى الكيميائي من الفحم الحجري والسلولوز ما يمكنانه من تحضير مقادير عظيمة من النفط الصناعي ومركباته

وليس من السهل علينا تعيين الطاقة التي يمكن ان تستمد من الشلالات . الاّ ان الفنيين يقدرون ان شلالات روسيا السوفيتية تولد ما يربي على ثلاثة ملايين حصان ميكانيكيّ ، ويقدر ما يمكن توليده من شلالات سيبريا بنحو ١٦٥ مليون حصان . ويقدر ما تستطيع الحصول عليهِ بريطانيا من هذه الطاقة بثمانية وستين مليون حصان اكثرها من شلالات كندا . وتولد شلالات الولايات المتحدة خمسة وخمسين مليون حصان والبلاد الاسكندناوية اثنين وعشرين مليون حصان ميكانيكي . ولاريب في ان هذا المصدر للطاقة سيغني العالم عن المصادر الاخرى اذا ما استغلّ تمام الاستغلال ذلك لانهُ يمتاز على غيره من المصادر بأنهُ دائم الانتاج انتاجاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثابتاً لا يتغير . الاّ ان الفائدة من الشلالات تتوقف على مبلغ جريان المياه المتساقطة وعلى درجة تنظيم ذلك الجريان

وهناك مصدران مهمان للطاقة لم يستغلهما الانسان بعد وهما الرياح ومياه المد . فالطاقة المودعة في الرياح عظيمة جدًّا وموزعة في طول الارض وعرضها ومع ذلك فان الاستفادة من تلك الطاقة تقتضي نفقات باهظة لا قبل للانسان بها بعد . والرياح لا يمكن الاستفادة منها الاّ في فترات يشتد فيها هبوبها . والامل المعقود على الطاقة المودعة في الرياح كبير جدًّا والمهندسون يفكرون في الركون الى هذا المصدر المهم عند ماتقل موارد النفط ويشرف الفحم الحجري على النفاد . وهم لم يؤلوا جهداً في البحث عن وسائل عملية لخزن الطاقة المتولدة من الرياح للاستفادة منها عندماتهدأ سورة الرياح وتسكن شدة حركتها. أما مياه المد فانها وان كانت مصدراً لطاقة كبيرة الاّ ان اختلاف درجتها باختلاف ارتفاع السواحل صرف اذهان الباحثين عن الاستفادة من الطاقة المودعة فيه

ويرجع الاصل في جميع هذه المصادر الى الطاقة المشعة من الشمس ، وهذه الحقيقة هي التي دعت الباحثين الى التفكير في ابتكار وسائل للاستفادة من طاقة الشمس استفادة مباشرة وان ذلك وان بدا ممكناً الاّ أن نفقتهُ كبيرة جدًّا . وفي مقدمة من يحاول الاستفادة من الطاقة المشعة من الشمس هم علماء كلية الهندسة بماساتشوستس ، فهؤلاءِ العلماء لا يدعون طريقة كيميائية أوفيزيائية أو أحيائية لتعجيل سرعة نمو الاشجار الاّ واتبعوها . ان الحرارة المنبعثة من الشمس عظيمة جدًّا لا يمكن ان تقاس بمقياس الاّ ان أكثرها يتبدد دون الاستفادة منهُ . ولكي يرسم الأستاذ كمتون رئيس تلك المؤسسة العلمية ، صورة صادقة للطاقة المشعة من الشمس حسب أن الفدان الواحد من المنطقة الاستوائية يتلقى من الحرارة في أشهر الصيف الثلاثة ما يعادل الحرارة المنبعثة من اشتعال مائتين وخمسين طن من أجود انواع الفحم الحجري . ومن هذا يتجلى ان الحرارة التي يستفيد منها النبات في هذه المناطق ضئيلة جدًّا بالقياس الى ما يشع من الشمس . فاذا ما توصل العلم الى مضاعفة قابلية امتصاص النبات للحرارة تضاعف حجمه وعظمت الاستفادة منهُ

— ٤ —

وخلاصة البحث ان الصناعة بمختلف نواحيها لا تحتاج الى جميع العناصر التي في القشرة الأرضية او في طبقات الجو المحيط بها او في المياه المتراكمة في البحار والمحيطات وانما تحتاج الى طائفة كبيرة منها . ومهما تبلغ المقادير الموجودة من هذه العناصر فلا خوف من نفادها في المستقبل العاجل . فالمركبات الحديدية منها المستعملة لصنع الحديد ستكفي المصانع العالمية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ستة قرون أخرى . وهناك كثير من الترسبات الحديدية لم تكشف مواقعها بعد . ويحتوي كثير من الطبقات الأرضية على مقادير ليست بالقليلة من المركبات الحديدية التي لا نجد ضرورة لاستخراجها في الظروف الحاضرة لكثرة كلفتها او لقلة نسبة الحديد فيها

وقد بلغت صناعة المطاط الذروة من الانتاج عام ١٩٢٩ . وتتطلب هذه الصناعة زراعة مساحة من الأرض لا تقل عن عشرة آلاف ميل مربع من شجره . ولا ريب في ان هذه مساحة صغيرة جدًّا بالقياس الى مساحات الأراضي التي يمكن زراعتها بشجر المطاط عند ما تدعو الحاجة الى ذلك . ولم يغفل الكيميائي تحضير هذه المادة الكبيرة الفائدة في مختبره . وتعدُّ روسيا السوفيتية صناعة المطاط من أهم صناعاتها الوطنية

وما دامت المواد الخشبية كثيرة الوجود ، فلا خوف من قلة الورق عندما يزداد الطلب عليه ، ولاسيما اذا ما ابتكر العالم وسائل تقف دون التبذير في استعماله . اما الاطعمة والمواد التي يتغذى بها الانسان ففي العالم منها ما يكفي ثلاثة او اربعة اضعاف سكانه طوال قرون عديدة ان توصلت الدول الى حل مشكلة التوزيع حلاًّ صحيحاً عادلاً . ولا نجد بدًّا من ان ننهي هذا البحث بجدول رابع يستوضح القارىء منهُ ان ليس هناك أمة من الأمم الكبيرة في غنىً عن الاخرى وان التوزيع العادل في الانتاج الصناعي وفي مواد الخام أمرٌ لامفر منه ان وجه العالم نظره وجهة سلام دائم واستقرار شامل . هذا واننا استعملنا في الجدول ثلاثة انواع من الوحدة الاقتصادية رمزنا لاولها بالحرف (ا) وهو يشير الى الكفاية الذاتية التامة . ورمزنا الى الثانية بالحرف (ب) وتشير هذه الى الكفاية الجزئية ، ورمزنا الى الاخيرة بالحرف (ج) وهو يشير الى شدة الحاجة الى المواد الخام

الجدول الرابع : كفاية الامم من أهم المعادن

المعدن	بريطانيا	الولايات المتحدة	روسيا السوفيتية	فرنسا	المانيا	ايطاليا	اليابان
الفحم الحجرى	ا	ا	ا	ا	ا	ب	ب
الحديد	ا	ا	ا	ا	ب	ج	ج
النحاس	ا	ا	ب	ج	ج	ج	ب
الرصاص	ا	ا	ج	ج	ا	ب	ج
الزنك	ا	ا	ب	ب	ب	ج	ب
النيكل	ا	ج	ج	ب	ج	ج	ج
القصدير	ب	ج	ج	ج	ج	ج	ج
الاسبستوس	ا	ج	ا	ج	ج	ج	ج
النفط	ج	ا	ا	ج	ج	ج	ج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت

ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

كان الفاكه من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة بارز من بيوت العرب يغشاه الناس . فخلا البيت ذات يوم من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته وعاد فرأى رجلاً خارجاً من البيت فأقبل الى زوجته فضربها برجله وشك فيها وردها الى أهلها . وبذلك عرضها لحديث الناس فيها حتى خاضوا في ذلك كثيراً . فقال لها أبوها : إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئيني بنبئك ، فان يكن الرجل صادقاً دسست عليه من يقتله فتنقطع بذلك عنك المقالة السيئة. وأن يك كاذباً حاكمته الى بعض كهان اليمن. فقالت هند : لا والله ما هو عليَّ بصادق . وأنكرتْ ما رُميتْ بهِ إنكاراً شديداً

وخرج الفاكه الى كاهن اليمن في جماعة من بني مخزوم . وخرج عتبة أبو هند في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة أخريات . ولما بلغوا الكاهن أعلن براءتها قائلاً : —

انهضي غير رسحاء ولا زانية ، ولتلدنَ ملكاً يقال له معاوية

ولقد قبل الفاكه حكم الكاهن ، ورضي بأن تعود اليه هند ولكنها رفضت ذلك [٤٩]

ونحن نترك لحكم القراء مقدار ما في هذه القصة من خيال وما فيها من حقيقة .وعلى كلّ فهي أول قصة نعرفها عن هند وهي تصورها لنا امرأة تؤمن بتعاليم بلاد العرب الوثنية كما تصورها لنا زوجةً لم تكن فضيلتها فوق رَيْبتها . وسيدةً مميزة بنفسها لها عقل مستقل سريع الفصل في الأمور

وهذه المميزات الثلاث ستظل ملازمة لها طول حياتها كما رأينا ذلك في كتب السير

وكذلك طلقت هند من الفاكه ، ولكنها لم تفقد كثرة الذين تقدموا الى خطبتها . فنهم مسافر بن أبي عمرو ، وهو شاعر قرشي من غير طبقة الفحول . وقد خطبها الى أبيها بعد ان شغفته حبّاً . وبالرغم من شهرته بالشعر ومن جوده الذي استحق من أجلهِ لقب «زاد الركب» فان هنداً لم ترضَ ثروته وماله

(أزواد الركب في الجاهلية ثلاثة من قريش ، وهم مسافر بن ابي عمرو ، وزمعة بن الاسود ، وابو أمية

(٤٩) الاغاني ج ٨ ص ٥٠ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٢٧٣

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ابن المغيرة . وانما قيل لهم ذلك لانهم كانوا اذا سافروا لم يتزود معهم أحد : ولم يدع بذلك غير هؤلاء الثلاثة — بلوغ الارب ج ١ ص ٩٢ — المترجم)

فرفضت هند الزواج منهُ ولو أن المقالة انتشرت في قريش بأنها اتصلت بهِ اتصال الحبيب بالمحب ، وخشيت على نفسها الفضيحة فسألته أن يرحل عن بلدها . فوفد على عمرو بن هند لعلهُ يصيب عنده من الجاه والثروة ما يمكنهُ من العودة على هند بخطبتها

(هكذا ذكرت الباحثة ، وفي الاغاني ج ٨ ص ٤٩ انه وفد على النعمان ملك الحيرة ، وفي موضع آخر من الاغاني انه وفد على عمرو بن هند — المترجم)

ومن عجب أن الأقدار أنالته ما التمس عند عمرو بن هند ولكنها — ساخرةً — ضنت عليهِ بتحقيق أمنيته في الزواج من هند تلك الامنية التي ارتحل من أجلها الى عمرو . وكانت هند جاهلة بما أصاب محبها في بلاط الحيرة من نجاح وتقرب . ومن ناحية أخرى فانها لم تنتظر عودة ذلك المحب النائي

وتقدم الى خطبتها بعد ذلك اثنان . وكان لها الخيار في واحد منهما بعد أن سمعت من أبيها [٥٠] صفات خاطبيها الجديدين . أما الاول فهو سهيل بن عمرو ، وقد رفضته على الرغم من نبل محتده وكرمه وسماحة خلقه لانهُ كان مع ذلك كله ضعيفاً

وأما الثاني — الذي نجح في خطبتها — فقد وصف بأنهُ قوي في خلقه زعيم في قومه ، ولم يكن غير أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي ، وكان واسع الثراء كبير النفوذ تاجراً ناجحاً ورئيساً لقبيلته والزعيم الحقيقي في حكومة مكة

أما خطيبها الاول — مسافر — فلم يطل بهِ أجلهُ بعد ان علم عرَضاً من أبي سفيان — وهو في قافلة الى الحيرة — [٥١] انهُ تزوج هنداً ، فدخلهُ من ذلك النبأ ما اعتلَّ معهُ

(ولا بأس هنا من اكمال القصة كما رواها ابو الفرج الاصفهاني ، فقد استسقى بطن مسافر ، ودعا له عمرو بن هند بالاطباء ليكووه فما نفعه ذلك فقال مسافر : —

ألا ان هنداً أصبحت منك محرما	واصبحت من أدنى حموتها حما
وأصبحت كالمقمور جفن سلاحه	يقلب بالكفين قوساً وأسهما

ولما مات رثاه ابو طالب عم النبي بشعر جاء فيه :

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ	ـرو وليت يقولها المحزون
رجع الركب سالمين جميعاً	وخليلي في مرمس مدفون
بورك الميت القريب كما بو	رك نضج الرمان والزيتون
بيت صدق على هبالة قد حا	لت فياف من دونه وحزون
مدره يدفع الخصوم بأيد	وبوجه يزينه العرنين
كم خليل رزئته وابن عم	وحميم قضت عليه المنون
فتعزيت بالتأسي وبالصـ	ـبر واني بصاحبي لضنين

المترجم عن الأغاني)

(٥٠) ابن سعد ج ٨ ص ١٧١ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٤

(٥١) الاغاني ج ٨ ص ٤٩ و ج ١٩ ص ١٠٥ وكوسان دبرسفال ج ١ ص ٣٣٦ — ٣٣٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد أنجبت هند بنت عتبة من أبي سفيان معاوية الذي أصبح فيما بعد خليفة وهو المؤسس الاول لدولة بني أمية . وتاريخ تلك الحادثة مجهول لدينا . ولكنهُ يقع على وجه التقريب في العقد الاول من القرن السابع المسيحي [٥٢] وكذلك أنجبت هند من زوجها أبي سفيان ولداً آخر هو عتبة ، وبنتين هما جويرية وأم الحكم [٥٣]

وكانت هند بالطبع واحدة من زوجات متعددة لأبي سفيان . الاّ اننا لانعرف الاّ القليل عن علاقاتها بضراتها . ويحكي لنا ابن قتيبة في عيون الاخبار — كيف كانت هند تغري أبا سفيان بالعداوة بينهُ وبين زوجته صعبة بنت عبدالله بن مالك [٥٤] حتى طلقها

(قرأت في بعض المصادر ان اسمها صعبة أم طلحة بن عبيد الله وهي من بنات فارس — المترجم)

ويروي لنا مؤرخو السيرة حادثة واحدة عن هند مدة ظهور النبي في مكة . وتلخص فيما يلي :

كان أبو لهب عم النبي يجاهر بعداوته وخصومته له — تلك العداوة التي استحق من أجلها التباب والخسران من الله في احدى سور القرآن واستحقت زوجته — ويشار اليها في القرآن بحمّالة الحطب — تلك اللعنة في السورة الحادية عشرة بعد المائة — تلك السورة التي تفردت بلعنة هذين الزوجين

ولم تكن قرابة أبي لهب من النبي هي قرابة العمومة فحسب ، بل اشتبكت تلك العلاقة بزواج ابن أبي لهب من احدى بنات النبي رقية أو أم كلثوم . وكانت امرأة أبي لهب واسمها أم جميل بنت حرب أختاً لابي سفيان : وكانت تكره امرأة ولدها — بنت النبي — كما كرهت أباها محمداً . وقد أغرت زوجها بعداوة النبي وبنته . فقبل أبو لهب اغراءها واضطرّ ولده الى تطليق زوجته . وترك الهاشميين — وهو واحد منهم — وانضم الى القرشيين من أهل مكة وهم المعروفون بعداوتهم للرسول

وكانت قائمة المعارضين من قريش تضم زعماء عديدين من قرابة هند ، منهم أبوها عتبة وعمها شيبة ، وبالطبع زوجها أبو سفيان . والى الآن لم يكن دور هند في خصومة قريش للنبي مقرراً . ولكن على كل حال لم يتطرق الينا شك في أنها كانت مهتمة بتيارات الحوادث في ذلك الحين

وقد لقيها أبو لهب حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً . فقال لها يا بنت عتبة : هل نصرت

---

(٥٢) لامنس في دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٦١٧ (٥٣) كتاب المعارف لابن قتيبة ، وابن سعد ج ٨ ص ١٧٤ والاصابة ج ٤ ص ٨٥٤ (٥٤) عيون الاخبار ج ٤ ص ١٠١ وانظر الاصابة ج ٤ ص ٦٦٤ في تاريخ صعبة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللات والعزى[٥٥] وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة

(في ابن هشام أن قريشاً لما رأت ان الاسلام جعل يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، فكتبوا الصحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم — المترجم عن السيرة ج ١ ص ٢١٥)

ولم تكن كل أسرة هند في جانب الخصومة لمحمد ، فقد كان أخوها أبو حذيفة من أوائل السابقين الى الاسلام . وقد دعا أبو حذيفة أباه عتبة في موقعة بدر الى النزال ، فسخرت هند من أخيها على سلوكه هذا الذي يدل على عقوقه لأبيه[٥٦] . وبعد موقعة بدر سخرت هند كذلك من بنت عمها رملة بنت شيبة التي اعتنقت الاسلام وتزوجت من عثمان بن عفان[٥٧] ، وهناك أيضاً رملة بنت زوجها أبي سفيان التي أسلمت وتزوجت محمداً

ولا نجد لهند ذكراً ظاهراً في تاريخ السيرة إلاّ بعد الحوادث التي ترتبت على واقعة بدر. ولكن لا بد أن نلفت النظر الى قصة غريبة تربط هذا بحادثة هجرة زينب[٥٨] بنت النبي الى المدينة . فقد ظهرت هند في هذه الحادثة بمظهر المساعدة لزينب على هجرتها . ونترك لزينب نفسها رواية هذه القصة قالت : « بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة فقالت : يا بنت محمد ! ألم يبلغني أنك تريدين اللحوق بأبيك ؟ قالت فقلت ما أردت ذلك. قالت أي ابنة عمي لا تفعلي ! إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك أو بمال تتبلغين به الى أبيك فان عندي حاجتك ، فلا تضطني مني فانهُ لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك الاّ لتفعل ولكني خفتها . فأنكرت أن أكون أريد ذلك وتجهزت . فلما فرغت ابنة رسول الله من جهازها قدم لها حموها كنانة ابن الربيع أخو زوجها بعيراً فركبتهُ وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهاراً يقود بها وهي في هودج لها . وتحدَّث بذلك رجال قريش . فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طُوى ليمنعوها من قصدها. فزجرتهم هند قائلة : اني أراكم في وقت السلم شجعاناً أشداء على الضعفاء ومن لا سند لهم . ولكني أراكم في الحرب كالنساء تلاينون الحديث »

وقد كانت سلاطة هند كافية للازدراء بالمعتدين على زينب ، ولكن من الصعب أن نعلل تقديمها المساعدة اليها . فان أبا سفيان ومعهُ قريش قد باءوا بالهزيمة وكابدوا خسائر فادحة في غزوة بدر . ولقد أضعفت الهزيمة روحهم وصاروا على استعداد للتغاضي عن فرار زينب . وكذلك كانت هند . فلعلها كانت — وفقاً لهذه الروح السائدة في قريش — متغاضية عن فرار

(٥٥) ابن هشام ٢٣١ (٥٦) ابن سعد ج ٣ ص ٥٩ وميور ص ٦٠ ، ٢٢٨
(٥٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٣ والبلاذري : الانساب ج ٥ ص ١٠٦
(٥٨) ابن هشام والطبري وميور وانظر أيضاً هنري لامنس في كتابه فاطمة وبنات النبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زينب ، ولكن ما كان يصدّق أن يبلغ بها التغاضي إلى حد أن تقدم اليها المعونة المباشرة وأكثر من هذا — اذا صدّقنا هذه الرواية — فما أحرانا أن نخلع على هند قدراً من الكياسة الخارجية التي تنافي ما عرف من أخلاقها العامة ، لان سلوكها في هذه الحادثة ينافي ما بقي من نشاطها في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنهُ

ان هنداً التي فقدت أباها وعمها وأخاها في واقعة بدر تناولت مسائل الرجال بقلب المرأة فلقد روى المؤرخون لها كثيراً من المراثي في أبيها ، ولو أن مراثيها الشعرية في موضع الشك . وعلى كل حال ليس هناك ريب في حزنها على من قتل من قرابتها ولا في تصميمها على الأخذ بثأرهم

(في كتب الادب والسير طائفة من شعر هند في رثاء أبيها عتبة ، وهو شعر فيه كثير من الرقة واللوعة ولا بأس هنا من ايراد بعضه على سبيل الاستشهاد ، وان كان ابن هشام يذكر أن بعض أهل العلم بالشعر ينكره :

يريب علينا دهرنا فيسوءنا ويأبى فما نأتي بشيء نغالبه
أبعد قتيل من لؤي بن غالب يراع امرؤ ان مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قد رزئت مرزأً تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني مألكا فان ألقه يوماً فسوف أعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب انه لكل امرىء في الناس مولى يطالبه

وقالت : —

لله عينا من رأى هلكا كهلك رجاليه
يا رب باك لي غداً في النائبات وباكيه
كم غادروا يوم القليب غداة تلك الداعيه
من كل غيث في السنين اذا الكواكب خاويه
قد كنت أحذر ما أرى فاليوم حق حذاريه
قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة مراميه
يا رب قائلة غداً يا ويح أم معاويه

المترجم عن الدر المنثور ص ٥٣٨)

وكانت مكة بعد وقعة بدر وهزيمة قريش فيها تتحرق شوقاً الى الانتقام من المسلمين . ولكنها لم تستسلم الى الاحزان أنفةً أن تتهم بضعف همتها . ألم يصرخ أبو سفيان في قريش قائلاً : — لا تبكوا على قتلاكم . ولا تندبوا مصارعهم ولا تدعوا شعراءكم يرثونهم . وأظهروا لأعدائكم الرجولة والبطولة ، واعلموا انكم اذا بكيتم عليهم ونظمتم فيهم المراثي فأن ذلك قد يطفىء نار حقدكم ويقلل من عداوتكم لمحمد وأتباعه . على أن بكاءكم على رجالكم اذا بلغ مسامع اعدائكم فانهم يسخرون منكم ، فيكون هزؤهم بنا وسخريتهم منا أشد علينا من كل مصيبة اوقد يدرككم الحظ فتدركون ثأركم ، أما أنا فقد أخذت على نفسي موثقاً ألا ألمس دهناً او أقرب امرأة حتى أعلن الحرب على محمد »

وقد مرَّ شهر على قريش قبل ان تطفىء نار حزنها . ولم ينقض شهر ثان حتى كانت مكة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلها تبكي على قتلاها ما عدا هنداً. ولما سألوها : — لماذا لاتذرفين الدموع ؟ ولماذا لا تبكين على أبيك عتبة وأخيك وعمك شيبة ؟ أجابت : — «كلاَّ ! أنا لن أبكيهم حتى تشنوا الغارة مرة اخرى على محمد وأتباعه . واذا كان البكاء يغسل أحزان قلبي ، فأني أبكي عليهم كما تبكون ولكن بكاء هند لا يشفي غليل فؤادها »(٥٩)

اما وقد فقدت هند ثلاثاً من أسرتها ، فهي أجدر النساء بأن تنافس الخنساء في كونها أشد ثواكل العرب . فلقد فقدت الخنساء أباها وأخويها قبل الاسلام ، وظلت تبكيهم في شعر مثير رقيق ، وكان من عادتها — الخنساء — ان تفد الى سوق عكاظ كل عام وقد سوَّمت هودجها براية وهي تعاظم العرب بمصيبتها في شعر رقيق (٦٠)

(روى صاحب الاغاني : — لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاظمتها العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وتقول : أنا اعظم العرب مصيبة ، وان العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به ، وبلغها ما صنعت الخنساء قالت أنا أعظم منها مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرنوا جملي بجمل الخنساء ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية ؟ قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك ، فبم تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بعمرو ابن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاظمينهم أنت ؟ قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ؟ ثم أنشدت تقول : —

أبكي أبا عمرو بعين غزيرة ... قليل اذا نام الخلي هجودها
وصنويَّ لا أنسى معاوية الذي ... له من سراة الحرتين وفودها
وصخراً ومن ذا مثل صخر اذا غدا ... بسلهبة الابطال قبا يقودها
فذلك يا هند الرزية فاعلمي ... ونيران حرب حين شب وقودها

فقالت هند تجيبها : —

أبكي عميد الابطحين كليهما ... وحاميهما من كل باغ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمي ... وشيبة والحامي الذمار وليدها
أولئك آل المجد من آل غالب ... وفي العز منها حين ينمي عديدها

المترجم عن الاغاني)

ولم تكن الحكومة بين الثاكلين قاطعة الى ان جاء الاسلام وفقدت الخنساء اولادها الاربعة في واقعة القادسية (٦١) ، فاعترف للخنساء بثكلها الذي لا يدانيه ثكل امرأة أخرى في تاريخ العرب جاهليتها واسلامها

كانت قريش تعد العدة للاخذ بثأر قتلى بدر ، ولتدفع عنها عار الهزيمة التي لحقتها في تلك الموقعة ، وكان أبو سفيان أبرز المشركين في مكة وأكثر ظهوراً في تلك الحركة المعادية

(٥٩) ميور ص ٢٣٦ والواقدي في كتابه المغازي طبع كلكتا ص ١٤ — ١٨
(٦٠) الاغاني ج ٤ ص ٣٤ والاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه السابق
(٦١) الاصابة ج ٤ ص ٥٥١ والاب لويس شيخو في كتابه السابق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي لقيت من هند رضاءها ونالت استحسانها . وكانت هند بحكم كونها زوجة أبي سفيان – ان لم تكن بحكم عداوتها الخاصة للمسلمين — زعيمة النساء في تلك الحركة . وكان يوم الانتقام يبدو قريباً ، وهند مع نسائها على أهبة الاستعداد له

خرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان الى وقعة أحد سنة ٣ من الهجرة المقابلة لسنة ٦٢٥ ميلادية . ومعها النساء

(والدفوف والمعازف وآلات الملاهي والخمور والبغايا — عن محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)

والاصنام على عادة الجاهلية . ويعدد أكثر المؤرخين زعماء قريش الذين صحبوا معهم زوجاتهم وأمهاتهم . وقد أخذ أبو سفيان معهُ زوجته هنداً . ويروي بعضهم أنهُ استصحب زوجة أخرى له تدعى أميمة بنت سعد [٦٢]

خرج النساء بزعامة هند ، وعدتهنَّ أربع عشرة أو خمس عشرة

(سبع عشرة تبعاً لرواية محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)

وهنَّ خلاصة الطبقة الراقية في مكة ، وقد لعبنَ في هذه الموقعة الدور الذي تلعبهُ المرأة العربية في الحروب العامة ، التماساً للحفيظة ومنعاً للرجال من الفرار . خرجنَ يغنينَ وينشدنَ الأناشيد ويضربنَ الدفوف ويرقصنَ ويرتمينَ في الميدان غير مباليات بالخطر . فاذا رآهنَّ الرجال على تلك الحال اضطروا الى القتال أو الموت . وعلى الجملة فقد كانت هند وعصبتها من النساء يمثلنَ في وقعة أحد دور المحضضات على القتال . وقد قامت هند بدورها في نشاط عجيب ، وروح طيبة [٦٣] . ولم يقلَّ بقية النساء عنها شجاعة

(روى ابن هشام أن هنداً قامت في النسوة اللائي كن معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

ويها بني عبد الدار ويها حماة الادبار
ضربا بكل بتار
ان تقبلوا نعانق ونفرش النمارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

المترجم — عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٨)

وحينما سقط لواء قريش من يد حامليه أخذته عمرة بنت الحارث زوجة غراب بن سفيان فرفعته لقريش [٦٤]

ولما انتهت الموقعة بانتصار قريش كانت الساعة التي تنتظرها هند للانتقام قد حلّت . وكانت هند قبل الموقعة وفي خلالها تغري حبشيًّا يقال له وحشي بالرماية لأنهُ كان يجيدها

(وكانت تقول له محرضة : ويها أبا دسمة ! أشف واشتف — المترجم عن ابن هشام ص ٦٦)

ولم تكتف هند بأن وحشيًّا قتل حمزة الذي قتل أباها يوم بدر ، ولم يشف غليلها قتله

---

(٦٢) ابن هشام والواقدي والطبري والاغاني ج ١٤ ص ١٢
(٦٣) ابن هشام والواقدي والطبري والاغاني ج ١٤ ص ١٧ (٦٤) الواقدي ص ٢٠١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بل ذهبت اليه لتراه يخبط في دمائه وتشفي غيظها عند جسده . وهنا يصور لنا مؤرخو السيرة هنداً في صورة الشيطان ، فقد بقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وأخذت تمثل بالقتلى وتقطع الآذان والانوف حتى اتخذت منها خدماً وقلائد [٦٥]
(وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا الحبشي غلام جبير بن مطعم — ابن هشام ص ٨٤)

ثم علت على صخرة مشرفة ، فعبّرت أمام عدوها المضرج في دمائه — عن سرورها وانتصار قومها وأخذها بثأر أبيها في شعر هجائي قوبل بالرد من بعض النساء المسلمات . كما رد عليه حسان بن ثابت [٦٦] بعد ذلك بزمن

(في سيرة ابن هشام طائفة من شعر هند بنت عتبة في موقعة أحد أذكر منه هذه الابيات : —

نحن جزيناكم بيوم بدر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر ولا أخي وعمه وبكري
شفيت نفسي وقضيت نذري شفيت — وحشي — غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب من نساء المسلمين بقولها : —

خزيت في بدر وبعد بدر يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر م الهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفري حمزة ليثي وعلي صقري
اذ رام شيب وأبوك غدري فخضبا منه ضواحي النحر
فنذرك السوء فشر نذر

وقد حذف ابن هشام منها ثلاثة ابيات أقذعت فيها في الهجاء ، ومما يدل على شفاء هند غليل نفسها بقتل حمزة والتمثيل به قولها من أبيات أخر :

شفيت من حمزة نفسي بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد

وقد رد عليها حسان رداً مقذعاً أستحي هنا من ايراده ، فمن شاء ان يقرأه فليرجع الى ديوان حسان ابن ثابت طبع مطبعة السعادة وشرح الضابط المصري محمد العناني ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٨٨ — المترجم)

ومن الصعب ان يصدق الانسان ان هنداً بنت عتبة — وهي السيدة الشريفة في مكة — قد ذهبت في الانتقام المروي عنها مذهب البرابرة الغلاظ الأكباد . ولقد ذهب «ميور [٦٧]» من زمن بعيد الى ان مؤرخي السيرة قد بالغوا في تصوير هند في صورة هذا الغيظ المزبد . كما ذهب الأب « لامنس [٦٨] » الى أبعد من هذا حينما ذكر ان حادثة تمثيلها بحمزة لم تكن الا من مخترعات العباسيين . وهذان الرأيان يعززهما ما ذكره ابن سعد صاحب الطبقات بعد ان روى الحادثة فقد أضاف اليها رأيه الخاص قائلاً «تلك حملات قاسية على هند المسكينة [٦٩]» . وقد يكون من المهم ، في هذا الصدد ، أن نلاحظ أن ابنها معاوية — مؤسس الدولة الأموية وخصيم العلويين والعباسيين — يشار اليه غالباً في كتب السير بابن آكلة الاكباد [٧٠]

(٦٥) ابن هشام وابن سعد ج ٣ ص ٥ والواقدي ص ٢٧٩ والطبري واليعقوبي (٦٦) ابن هشام والطبري والأغاني ج ١٤ ص ٢٠ وديوان حسان بن ثابت (٦٧) ميور ج ٣ ص ١٢٩ (٦٨) بلاد العرب الشرقية ص ١٢٤ (٦٩) ابن سعد ج ٣ ص ٦ (٧٠) العقد الفريد ج ٢ والفخري لابن الطقطقي طبع باريس ص ١٤٤

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مقـام المرأة

في مصر القديمة

للدكتور باهور لبيب
المدرس بجامعة فؤاد الاول سابقاً

مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تعدد الزوجات لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين الا انهُ كان للرجل الموسر الحق في أن يضم إليه كثيرات من المغنيات والجواري كما انهُ كان للملك الحق في ان يتخذ الى جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لا حقَّ لهنَّ في وراثة العرش

وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على ادارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها

وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وكيانها فقد كانت ذات شأن في الحيـاة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد

واهتمامها بالمنزل وبأسرتها لم يكن عائقاً لها عن التزين والتأنق فكانت تخضب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحّـل عينيها وتلوّن شفتيها باللون الاحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة العصرية لانها كانت تستعمل الفرشاة عند التلوين (راجع الصورة على الصفحة المقـابلة) وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الفتان وكانت تجعد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها وكانت تزين صدرها وعنقها ويديها بالحلى والجواهر

والادب المصري مملوء بالعبارات التي تبين حب الابن لأمه والابنة لامها وكذلك مملوء بالعبارات التي تبين علاقة الرجل بامرأته فكان يقبلها ويداعبهـا ويعانقها ويعاملها بالحسنى ولا يهجرها وكذلك يتيح لنا هذا الأدب شيئاً كثيراً عن خواطر المرأة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والحب

وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محفوظة بمتحف ليدن وهي ان رجلاً مرض بعد وفاة زوجته فاستشار أحـد السحرة في ذلك فأخـبره أن يكتب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خطاباً الى روح زوجته فكتب اليها خطاباً وذهب بهِ الى مقبرتها في احد الاعياد وقرأه بصوت عالٍ ثم ربطهُ بتمثالها حتى يصل اليها وقد جاءَ فيهِ: «أي ذنب جنيتهُ نحوكِ أيتها الحبيبة حتى أقع فيما أنا فيهِ من بؤس وشقاءٍ؟ أي ذنب جنيته أيتها الحبيبة حتى تساعدي أرواح الشر ضدي وماذا فعلت معكِ من ساعة زفافنا الى اليوم. تزوجتكِ وقد كنت رجلاً يشغل منصباً صغيراً؟ وتدرَّجت بعدها من منصب الى منصب وما جال بخاطري يوماً أن أهجرك وما فكرت أبداً في ان أجلب الحزن الى قلبكِ. ذلك كان شعوري يوم كنت صغيراً وما تحولت عنهُ لما صرت كبيراً في خدمة فرعون. فلم اهجركِ بل حافظت عليكِ في السراء والضراء... وعندما مرضتِ ألم أحضر لكِ كبير الاطباء فبذل كل شيءٍ في سبيل شفائكِ... اني لا اعلم يوماً قصرت في واجبي نحوكِ»

وقد كان للمرأة المصرية القديمة حظٌّ موفور في الثقافة مما يسترعي النظر. فالسيدات المصريات كنَّ مولعات بالعلوم والفنون. فعلى سبيل المثال يحدّثنا موظف يدعى «خنوم ردى» بأنهُ كان اميناً لمكتبة سيدة عظيمة القدر تدعى «نفروكاپيث» ثم يقول ما ترجمته: «هذه السيدة عينتني في دندرة مشرفاً على خزائن الكتب الخاصة بأمها تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم والفنون» ونجد بعد ذلك ان هذا الموظف ابتدأ يصف ما قام به من اعمال عظيمة في اثناء ادارته لتلك المكتبة فيقول: — «انا قد زدت عدد مجاميع الكتب الموجودة بها واستحضرت لها كثيراً من المؤلفات الثمينة حتى انها لم تعد في حاجة الى توسيع اكثر من ذلك على ما أعلم ورتبت هذه المكتبة ترتيباً حسناً لم يحدث مثله من قبل. وقد ربطت ما كان مفككاً (يعني انهُ ربط لفات البردي المحلولة).»

***

واما من الوجهة المدنية فقد كان للمرأة كامل حقوقها في التصرف في اموالها والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها او ابنها او فرد آخر من عائلتها فعلى سبيل المثال تصرفت أم «الموظف امتن» بكامل حريتها في ملكها بالوصية والهبة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حق تولي عرش مصر فلم تقعدها الأنوثة عن ركوب الصعاب فشاركت الرجل في هذا الجهاد وتاريخ مصر القديم حافل بعدد وافر من شهيرات النساء اللواتي جلسن على عرش مصر . ففي الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكريس (خنت كاواس ؟) وفي الوسطى « سبك نفرورع » وفي الحديثة الملكة حاتشبسوت وفي عهد البطالسة الملكة كليوباترة (الاخيرة وأعني كليوباترة آخر من تولى عرش البطالسة وقد أخفقت في سياستها وبعد وفاتها سنة ٣٠ ق. م دخلت مصر تحت حكم اغسطس قيصر روما) . وسأقصر في مقالي اليوم الكلام على الملكة حاتشبسوت التي تعد من اعظم الملكات اللواتي عرفهن التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر (من سنة ١٤٩٣ ق. م الى سنة ١٤٧٩ ق . م) وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انهُ وصلنا شيء كثير عن بعض موظفي هذه الملكة

ويمتاز عهدها بأنهُ عهد سلام ووئام مع الممالك المجاورة لمصر فلذلك تمكنت من ان توجه همتها الى اعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت من النازعات العائلية بسبب التنازع على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدها على تنفيذ الاعمال السلمية حروب والدها تحتمس الاول وكذلك المعارك التي خاض غمارها اخوها وزوجها الاول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت اركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر سن تحتمس الثالث ابن زوجها الاول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فكل هذه الظروف ساعدتها على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء

وقد استغلت هذه الملكة مناجم شبه جزيرة سينا سواء في صربوت الخادم او في وادي المغارة فأرسلت هناك البعثات تلو البعثات للحصول على مسحوق معدن النحاس والمواد الاولية اللازمة لعمل الزجاج

فقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة حاملا اسم هذه الملكة وطبيعي ان صناعته استلزمت وقوداً كثيرة مما يدل على استعمال الكثير من الخشب مما يجعلنا نرجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن

كذلك اهتمت الملكة حاتشبسوت بالمعابد فأكثرت من تشييدها ولعلَّ اهم ما شيدتهُ معبدها المعروف « بمعبد الدير البحري » وقد سمي بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر المسيحي مع دير آخر بني في الجهة القبلية واقصد بهِ « دير المدينة » ويتكوَّن معبد الدير البحري من ثلاث شرفات مدرجة والشرفة العليا تنتهي بصف من الحجرات وقد بني هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشبسوت . ومن حسن الحظ انه وصلنا اسم المهندس الذي شيده وهو « سن إن موت »

اما الذي كلف الاشراف على صنع ابوابهِ التي من البرنز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو احد رؤساء المالية الذي يدعى « تحوتي »

ومن المناظر والنصوص التي وصلتنا من هذا المعبد والتي لها منزلة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشبسوت بناء على وحي الهي من الاله آمون (إله الدولة في ذلك الحين) وما يثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشبسوت بعثة تجارية الى بلاد پنت (الصومال) ففي السنة التاسعة لحكمها نجدها ترسل اسطولاً مكوّناً من خمسين سفينة فيقلع من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى يصل شرقي الدلتا ومن شرقي الدلتا نجد الأسطول يعبر قناة وادي طميلات (قرب اقليم السويس) الى البحر الاحمر [1]

ثم بعد وصول الاسطول سالماً الى بلاد پنت يعود الى مصر محملاً بخيرات بلاد الصومال وتستقبل الملكة حاتشبسوت قائده ورجاله في الكرنك بطيبة وتقدم للمعبود آمون بعض واردات الصومال

ومن اهم ما شيدته هذه الملكة ايضاً من الآثار ما اضافته الى معبد آمون بالكرنك واقامتها مسلتين عظيمتين فيه

***

واخيراً نعلم ان ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين بلغت درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزية المستعمرات تصل الى مصر بانتظام. بل من ظريف ما قالته هي عن عصرها « انها تكيل المعادن النفيسة كالحبوب اي بالمكاييل الكبيرة »

فالمرأة ساهمت تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات وكذلك كاهنات في المعابد وطبيبات وكاتبات وموظفات وربات منزل ومغنيات

(١) يلاحظ ان أقدم اتصال مائي بين البحر المتوسط والبحر الاحمر كان عن طريق اتصال فروع النيل الشرقية بهذه القناة ويرجع تاريخه الى ما قبل عصر هذه الملكة أي الى عهد الملك سنوسرت الثالث — راجع لمحة عامة عن فروع النيل السبعة في كتاب حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون « تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

— ٣ —

لمحمود مصطفى الدمياطي

﴿ الاتِّفاقيّ ﴾ adventitious (adventif, ive, f., adventice) صفة لكل عضو ينشأ شاذًّا عن النظام العاديّ او في غير موضعه المعتاد

﴿ الأحدب ﴾ adunc ate (courbé, e, f.) صفة لكل عضو منحنٍ على شكل قوس

﴿ الاقتران الأخَويّ ﴾ adelphogamy هو اندماج خليتين نباتيتين احداهما خليـة الأم والأخرى احدى الخلايا المتولدة منها

﴿ الالتصاق ﴾ adhesion (adhésion, adhérence) هو التصاق اعضاء دائرة بغيرها من دوائر الزهرة . مثاله حالة التصاق الكأس بجدار المبيض والتصاق الأسدية بالتويج.

﴿ البرعم الاتفاقي ﴾ adventitious bud (bourgeon adventif ou adventice) هو اي برعم عدا البرعم الإبْطيّ اذا نما أنتج فرعاً اتفاقيًّا . فقد اطلق العالم دوبتي — توار [1] اسم البراعم الاتفاقيَّة على التي تنشأ اتفاقاً على سوق النباتات كما في البراعم الزهرية على جذوع شجرة الأرجوان [2] المسنَّة

﴿ التتابع الى الطرف ﴾ acropetal succession هو ان تنشأ أعضاء النبات الجانبية وهي الجذيرات والفروع متتابعة نحو الطرفين بحيث يكون أصغرها أقربها الى طرف من محور النبات

﴿ التكييف ﴾ adaptation (adaptation) هو خاصة ترجع الى البنية (المورفولوجيا)

---

(١) Dupetit-Thouars, Louis Marie Aubert هو لوي ماري اوبير دوبتي توار ولد في بورتوا قرب سومور من فرنسا في ٥ نوفمبر ١٧٥٨ ومات في باريس في ١١ مايو ١٨٣١ نباتي فرنسي ومكتشف جال في جزائر موريس ومدغشقر وريفيون بين ١٧٩٢ — ١٨٠٢ م

(٢) هي المعروفة في سوريا «بالزمزريق» واسمها العلمي Cercis L. وبالانكليزية Judas tree وبالفرنسية gaînier وبالفارسية ارغوان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

او الوظيفة (الفسيولوجيا) التي قد تساعد على اعداد الكائن الحيّ للأحوال التي يعيش فيها

﴿ ثنائي الاخوَّة ﴾ diadelphous (diadelphe) صفة عضو التذكير تكون اسدينه منسقة في حزمتين كما في الشاهِتَرَّج [1] والبسلة

﴿ الجذر الاتفاقي ﴾ adventitious root (racine adventive ou adventice) هو كل جذر ينشأ عن أي جزء من النبات عدا الجذر الأصليّ . مثاله الجذور الزائدة التي تنشأ على السوق

﴿ الحادّ ﴾ acute (aigu, ë, f.) هو كل ما ينتهي فجأة برأس دقيق حادّ على نوع ما ويطلق عادة على قمَّة الورقة . فالورقة الحادَّة [2] هي التي تنتهي بزاوية حادة بطريقة غير محسوسة أو برأس دقيق قد يكون معقوفاً كهيئة المنقار كما في الفصيلة الفيتولكّيّة [3]

﴿ حادّ الزوايا ﴾ acutangular (acutangulé, e, f., acutangulaire) هو كل عضو لهُ زوايا حادَّة على عكس ذي الزوايا المنفرجة ويطلق على الساق ذات الحروف الحادَّة العديدة الممتدة على طول هذه الساق

﴿ الدَّاني ﴾ adaxial هو صفحة الورقة — أو البتلة او غيرهما — التي في الجانب الأدنى من المحور

﴿ ذو الأُخُوَّة ﴾ adelphous (adelphe) صفة لعضو التذكير في الزهرة تكون اسديته متحدة الخيوط اتحاداً كليًّا او جزئيًّا . وكلة adelphous تجيء لاحقة في الكلمات المركبة كما هو مبين في موضعه

﴿ الشائك ﴾ aculeate (aculé, e, f., aculéiforme) صفة لحامل الأشواك او المغشَّى بزوائد تشبه الابر . ويطلق على الاغصان الصلبة والحادة وعلى الأذينات المستدقة الصلبة الدقيقة الرأس مثل أغصان شجرة برقوق ابن آوى [4] واذينات شجرة البربريس الاعتيادي [5]

---

(١) اسمه العلمي Fumaria وبالانكليزية fumitory وبالفرنسية fumeterre وبالفارسية «شاهتره» وبالهندية «بت پاپرا» (٢) acute leaf (feuille aiguë) (٣) Phytolaccaceae

(٤) اسمها العلمي .Prunus spinosa L وبالانكليزية blackthorn وبالفرنسية prunellier prunier épineux (٥) اسمها العلمي .Berberis vulgaris L وبالانكليزية barberry وبالفرنسية épine—vinette

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ شعاعيّ الاتّجاه ﴾ .actinodromous هو ذو العُروق الاساسية تشعّ من نهاية الرجيلة (الذنيب)

﴿ شعاعيّ الشكل ﴾ (actinomorphe) actinomorphic صفة لما يشبه هيئة النجم ذلك بأنه اذا قطع رأسيًّا من وسطهِ في اكثر من اتجاه واحد كان الشقان مماثلين بعضهما للبعض كما هو في أزهار كثيرة

﴿ عدم الادّغام ﴾ adesmy حالة شاذّة في الزهرة تكون فيها الاجزاء المتحدة بفطرتها على عكس ذلك منفصل بعضها عن البعض

﴿ الغبيرة القميَّة ﴾ (acrospore) acrospore هي غبيرة تنشأ في طرف الهيفا [1]

﴿ الغدّيّ ﴾ (adenoïde) adenoid صفة لما يشبه الغُدَّة

﴿ غدّيّ الورق ﴾ (adénophylle) adenophyllous صفة للنبات ذي الاوراق الغدّيّة

﴿ القمّي الجانبيّ معاً ﴾ acropleurogenous صفة للفُطر يحمل غبيراته في اطراف هيفاته وفي جوانبها معاً

﴿ اللادائريّ ﴾ acyclic يطلق على الزهرة تكون أجزاؤها منسقة تنسيقاً لولبيًّا لا دائريًّا

﴿ متعدد الاخُوَة ﴾ (polyadelphe) polyadelphous صفة عضو التذكير تكون اسديته متحدة الخيوط فتكون حزماً عديدة منفصل بعضها عن البعض كما في عطر ماريوحنا[2] وشجرة الليمون

﴿ المحاذي الى القِمَّة ﴾ acroscopic هو صفة للعضو يكون على الجانب محاذياً الى القمة

﴿ المقترن في النموّ ﴾ (adné, e, f) adnate صفة للشيء الملتصق مباشرة بآخر فيكونا معاً جسماً واحداً . ويقال للعضو مقترناً في النمو عند ما يكون ملتحماً على طوله بآخر بحيث يصبح كأنهُ زائدة فيه . ويقال « للانثيرة »[3] مقترنة في النمو حين التحامها من جانبها بجزء من

---

(١) hypha معناها في الاغريقية « نسيج » وهي مأخوذة من خيط العنكبوت لشبهها به (٢) اسمه العلمي Hypericum وبالانكليزية Saint John's wort وبالفرنسية millepertuis

(٣) anther ويمكن أن يستعاض عنها بكلمة « المئبر »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخيط المسمى بالوُصْلة وتكون هذه واضحة ولا يوجد مفصل بين الخيط وقاعدة الانثيرة كما هو الحال في اكثر نباتات الفصيلة الشقيقية . اما الاذينات فتكون مقترنة في النمو او ملتحمة بالذنيب في كثير من أجناس الفصيلة الوردية

﴿ المُلامس ﴾ adnexed (juxtaposé e, f.) صفة لما يمسّ شيئاً آخر من دون التصاق به . مثاله خياشيم بعض الفطر المعروف بالأغاريقون تصل الى ساقه القصيرة ولا تقترن بها في النموّ

﴿ الملزوز ﴾ adpressed, appressed (apprimé, e, f., appliqué, e, f.) صفة للشيء يكون منضمّاً لآخر بقوة ولا التصاق بينهما. فبعض النباتيين يقول ان الاوراق ملزوزة عند ما يكون نصلها منضمّاً بقوة على الساق وان الاوبار ملزوزة عند ما تكون منبسطة على العضو الحامل لها

﴿ المنثور ﴾ adspersed, aspersed. (épars, e, f.) صفة للاعضاء المتفرقة بلا نظام واضح . فمثلاً يقال للاوراق منثورة عند ما يكون اصطفافها على الساق منتظماً في الواقع لكنه غير واضح (راجع نظام اصطفاف الأوراق phyllotaxis)

﴿ المؤنَّف ﴾ cuminate (acuminé, e, f., acumineux, euse, f.) هو كل مستطيل الرأس تحيط به تقوسات جوفاء فيطلق على ورقة أو بتلة او على أي عضو نباتيّ ورقيّ ينتهي فجأة برأس دقيق في قمته . ويجب عدم الالتباس بين الورقة المؤنفة والورقة الحادة فقط. فشجرة الحَوْر الهرميّ [١] ورقتها مؤنَّفة وكذلك ورقة شجرة البندق [٢] أما ورقة الدِّفلى [٣] فحادة

﴿ واحد الأخوَّة ﴾ monadelphous)monadelphe(صفة عضو التذكير تكون أسديته متحدة الخيوط في حزمة واحدة كما في الخبازى

---

(١) اسمها العلمي (Populus pyramidalis Salisb (=P. dilatata Ait.) وبالانكليزية Lombardy poplar وبالفرنسية peuplier d'Italie

(٢) اسمه العلمي Corylus Avellana L. وبالانكليزية filbert, haze وبالفرنسية noisetier, coudrie

(٣) اسمها العلمي Nerium Oleander L. وبالانكليزية Oleander وبالفرنسية laurier—rose

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حديقة المقتطف

أحلام شهرزاد

في الادب العربي

لسيد قطب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحلام شهرزاد [1]

قصة : للدكتور طه حسين بك

هنا في المقتطف صحيفة الخاصة المصفاة ، حيث نبعد عن الجماهير ولغط الجماهير . هنا في محراب الفكر حيث نستطيع أن نجرد الداخلين اليه من كل صفة إلاّ صفة الفن ، وحيث نملك أن نجرِّد الدكتور طه من رتبهِ وألقابهِ ومناصبه — وحتى من ردائه الجامعي — فندعوه فقط « طه حسين الأديب » هنا نستطيع أن نقول في « أحلام شهرزاد » كلمة حق خالصة كالتي تقال في المحاريب !

لقد قرأ الناس هذه القصة ، فأنا في غير حاجة الى عرضها أو تلخيصها ، ولقد قرأوا شيئاً حولها وحول « شهرزاد » لتوفيق الحكيم في الصحف الاسبوعية ، فأود هنا أن أضع الأمر في نصابهِ بسلوك طريق العرض التاريخي والوزن الفني

قصص « ألف ليلة وليلة » تعد مصدراً لمسرحية « شهرزاد » ولقصة « أحلام شهرزاد » في آن . فلننظر كيف دخلت « شهرزاد » في عالم الأدب الفني في العصر الحديث :

لقد بقيت هذه القصص المعروفة ، شعبية لا تشع شيئاً في عالم الأدب الفني — اللهمَّ إلاّ دراسات عن هذه القصص ومؤلفيها وعصور تأليفها ومواطنها

وكان أول شعاع أرسلته هذه القصص الشعبية الى عالم الفن الأدبي هو قصيدة العقاد في الجزء الاول من ديوانه الذي صدر سنة ١٩١٦ وعنوانها « شهرزاد أو سحر الحديث » وفيها يقول عن « شهريار »

أضمر الشر للنساء حقودا وأبى الحقد أن يكون رشيدا

---

(١) الحلقة الاولى من سلسلة « اقرأ » نشر مطبعة المعارف بمصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خفرت عهده فتاة فآلى لا يصوننَّ للنساء عهودا
فلهُ طلعة بها أجل الغيد رهين يستنجز الموعودا
زهرات يشمها ثم يبري بشبا السيف غصنها الأملودا
أنفا أن يمس غير شبا السيف نحوراً يلهو بها وقدودا

الى أن يقول (وهو الاشعاع الجديد الذي أرسلتهُ قصص ألف ليلة وليلة) :

عرفت طب دائه « شهر زاد » فدعتهُ وهو الشقي سعيدا [1]
كان فظًّا فؤاده مغلق النفس كظيماً لا يستلان عنيدا
فألانتهُ بالمقال فأصغى ومن القول ما يلين الحديدا
وأرتهُ أحاظيَ الناس من قبل نحوساً مقسومة وسعودا
فرأى قلبه وكان فريداً لم يعد بعد في القلوب فريدا
جذلاً كان صغوه لا غراماً وجد الآن قلبه المفقودا !
وانثنى يستطيب من ذلك الثغر الأحاديث لا الرضاب البرودا

كان هذا أول دخول قصص ألف ليلة وليلة الى عالم الأدب العربي الفني في باب الشعر ، ثم كانت سنة ١٩٣٤ فأخرج توفيق الحكيم رواية « شهرزاد » في باب التمثيليات ، ثم كانت سنة ١٩٣٦ فأخرج طه حسين وتوفيق الحكيم قصة « القصر المسحور » في باب القصص ثم كانت سنة ١٩٤٢ فأخرج طه حسين وحده قصة « أحلام شهرزاد »

هذه هي السلسلة التاريخية لدخول « قصص ألف ليلة وليلة » في عالم الادب وإشعاعها في جو الفن في العصر الحديث

فأما الطبيعة الفنية لهذا الاشعاع : فقصيدة العقاد التي نقلنا معظم أبياتها تصور لنا المفتاح الذي فتحت بهِ «شهرزاد» قلب «شهريار» وقد كان « مغلق النفس » ذلك المفتاح في جزءٍ منهُ هو انها دعتهُ سعيداً وهو الشقي فألانتهُ بما خيلت له من انهُ يتمتع بما يتمناه وما يفتقده فلا يلقاه. وفي جزءٍ آخر أنها أرتهُ أحاظي الناس فوجد لقلبهِ أشباهاً ونظائر ولم يجد حظهُ فريداً في الحظوظ ولا قلبهُ فريداً في القلوب فأصغى اليها جذلاً بتصويرها للحظوظ والقلوب لاغراماً بها !

(١) كانت شهرزاد تبدأ قصصها بنداء « أيها الملك السعيد »

وأما تمثيلية توفيق الحكيم فقد بدأها من حيث « أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » حيث استحال « شهريار » ذلك الملك الوحشي انساناً جديداً « خلقتهُ شهرزاد » خلقاً جديداً « وكأنما كشف لبصيرته عن أفق آخر لا نهاية له » وإنهُ ليحاول أن يتخلص من الحدود التي تصده وتقيده عن الانطلاق والمعرفة ، يحاول أن يتخلص من الجسم ومن المكان ، ويحاول أن يحل لغز « شهر زاد » التي تركتهُ في حيرة من أمرها شديدة

وأما قصة « القصر المسحور » فتبدأ بعد تأليف تمثيلية شهرزاد وخلق شخصياتها جميعا « الملك شهريار والملكة شهرزاد والوزير قمر والعبد ومنصور الجلاد ... الخ » وحيث يشترك طه حسين وتوفيق الحكيم في زيارات لشهرزاد بقصرها المسحور ، وفي شراك ينصبها طه لتوفيق وينصبها توفيق لطه عند شهرزاد وعند أبطال مسرحية شهرزاد . وحيث يقع الجميع في قبضة الزمن وقبضة التاريخ ، فتدور محاورات ومحاكمات فلسفية ليس هنا موضع استعراضها ونقدها على كل حال

وأما قصة «أحلام شهرزاد» فتبدأ بعد تسع ليال من حيث « أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » وحيث طال الصمت على « شهريار » واشتاق الى أحاديث شهرزاد التي خلقت منهُ إنساناً جديداً « وتركت في نفسه وامام عقله من الألغاز والاسرار ما يكلفه الجهد المضني »وحيث يحاول أن يحل لغز « شهرزاد » التي تركته في حيرة من امرها شديدة

ولكن شهريار طه حسين لا يحاول أن يتخلص من المكان ولا من الجسد ، ولا يقوم برحلات طويلة ولا يدخن القنب في سبيل هذا التخلص ، ولا يذهب الى بيت الساحر حيث تذبح الفتاة المسحورة ليقول له رأسها المقطوع « من هي شهرزاد » ولا يأبق في النهاية من شهرزاد ومن الدنيا جميعاً الى حيث لا يعلم مصيره أحد ، كما صنع توفيق الحكيم بشهرياره المسكين !

شهريار طه حسين أطوع وآنس ، وشهرزاد طه حسين تملك من أمر شهريارها أن ترده عن التعلق بالسماء وأن ترشده وتبصره وتقود زمامه في النهاية إلى حيث تشاء ، فلا يأبق الى حيث لا يعلم مصيره أحد !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشهرزاد توفيق الحكيم تحاور شهريارها حواراً فلسفيًّا مرة ، وتحاول أن تهبط بهِ الى الارض مرة ، وأن تنقذه بإثارة غرائزه مرة . . . ولكنهُ يأبق الى غير عودة . أما شهرزاد طه حسين فتعيد على شهريارها قصة كقصص ألف ليلة وليلة عن الملك «طهمان بن زهمان» ملك الجن وابنته «فاتنة» فيها جو ألف ليلة وليلة وفيها نسقها .ولكن بها بعد ذلك توجيهات اجتماعية وسياسية وفكرية حساسة ، بل شديدة الحساسية . تقص شهرزاده هذه القصة على خمس ليال ولكن في « الاحلام » لا في العيان !

وهي لا تقص على شهريار — في الأحلام — هذه القصة فحسب ، إنما هي تحاوره الحوار الفكري مرة ، وتحاول أن تهبط به الى الأرض مرة ، وتقوده في زورق يسبح في النور والموسيقى والماء مرة . . . وهناك تعرض له مناظر فاتنة محيرة تزيد لغزها في نفسه تعقيداً ، فهؤلاء عذارى مرحات مشرقات يسبحنَ بزوارقهنَّ والجو باسم والنفوس مرفرفة. أولئك هنَّ الناجيات من شهريار ... وهؤلاءِ عذارى محزونات كاسفات يسبحنَ بزوارقهنَّ والجو قابض والصدور مثقلة . أولئك هنَّ الهالكات على يد شهريار

شهريار طه حسين قريب الشبه بشهريار توفيق الحكيم في الانقلاب الذي طرأ عليهِ وفي أثر شهرزاد وأحاديثها في نفسهِ ، وشهرزاد طه حسين قريبة الشبه بشهرزاد توفيق الحكيم فيما عدا جانبها الغريزي الذي تصوره علاقتها بالعبد . ولكن الأمر — في الحوادث — يأخذ بعد ذلك في الاختلاف

فأما توفيق فيمضي على طريقته وطبيعته وملابسات حياته وأثر المرأة في نفسه، فإذا شهريار لا يهبط الأرض أبداً .وإن لم يبلغ السماء ، ولا يستمع الى شهرزاد ولا يستنيم لها كالطفل الاّ في لحظات الضعف ، ريثما يعتاده نفاره القديم ! ثم إذا هو يأبق في النهاية الى غير أوبة حتى الآن !

وأما طه فيمضي كذلك على طريقته وطبيعته وملابسات حياته وأثر المرأة في نفسهِ ، فإذا شهريار يستمع الى شهرزاد ويركن اليها ويستريح الى صحبتها ويلتذ توجيهها وإرشادها ، وإذا هي تعنى به في نومه ويقظته وفي حركاته

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومسكناته حتى لتوطىء له الفراش وتسنده بالحشايا ! ثم اذا هي تقص عليه في الأحلام قصة تخوض فيها في السياسة والاجتماع والحكم كما تشاء !

من قصيدة العقاد، ومن مسرحية شهرزاد ، ومن قصة أحلام شهرزاد تتبين ثلاث طبائع وثلاث طرائق ؛ وثلاثة مظاهر لتأثير نوع الحياة وملابساتها في طبائع الفنانين وطرائقهم . فالعقاد في قصيدته هو الاديب المحلل للنفس الانسانية في الحياة ، وللحالات النفسية في تطوراتها وتتابعها ، العليم بمداخل هذه النفس ودروبها ومنعرجاتها ، المتيقظ لمزايا المرأة على اختلافها !

وتوفيق الحكيم في تمثيليته هو الأديب المعنيّ بمسائل الفكر والفلسفة ، المنعزل عن الحياة الواقعة وملابساتها ، المبهور بالمرأة الحذر المتخوف منها ، الغامض المبهم الذي لا يصل بشيء الى نهاية ولا يحسم في أمر برأيه !

وطه حسين في قصته هو الاديب المشغول بمسائل المجتمع والحكم والسياسة الضارب في حياة الاجتماع بسهم ، المستروح بالمرأة وأثرها اللطيف في حياة الفرد وحياة المجتمع وتوجيه الفرد وتوجيه المجتمع !

واستعراض أعمال الأدباء الثلاثة جميعاً يستطيع أن يعطينا مثل هذه الصورة في وضوح وتفصيل ، ولكنهُ لا يزيد كثيراً على طبيعتها الحقيقية

وتلك علامة الأصالة في النفوس والفنون

سيد قطب

لنا جلساء لا نملُّ حديثهم ألبّاء مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ورأياً وتأديباً ومجداً وسؤددا

فان قلت أموات فلم تعدُ أمرهم وان قلت أحياء فلست مفندا

الكتب غذاء الشباب وبهجة الشيخوخة : شيشرون

هذه مكتبتي واية دوقية تساويها ؟ : شكسپير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب المراسلة والمناظرة

طرائف في الادب واللغة

نجيب شاهين

عود على بدء

الصحافة والاذاعة والسينما المكنى عنها « بالشاشة » طرائق عظيمة النفع في التعليم والتقويم اذا أحسن استعمالها وهي عظيمة الضرر اذا أسيء . واللغة وهي غرضنا الأول من هذا المقال لاتشمل سوى الطريقة الاولى . ونحن موردون هنا ما يعلق بالذاكرة من هفوات صحفنا الكبرى ومبينون سوء تأثيرها في العالم العربي لسعة انتشارها . ولو راعت ذلك لاستطاعت استبدال الأثر الحسن بهذا الأثر السيء الذي ساعدها انتشارها على اذاعته بين الناطقين بالضاد

ومن الأسف ان محطات الاذاعة العربية المنتشرة في العالم العربي وغير العربي تنقل اخطاء صحفنا كما هي لأن مجال التحقيق دونها ضيق . وانصافاً لاذاعتنا نقول انها تنقل عن صحفنا فلا يبقى لها من لغة الاذاعة سوى قليل تسأل عنه . وغني عن البيان ان السينما تخرج عن نطاق بحثنا هذا

ومما يجدر الاشارة اليه ان هذا البحث هو حلقة متأخرة من بحث بدأته سنة ١٩١٨ في المقتطف فنشرت نبذ منه بهذا العنوان وبامضاء مستعار هو امضاء « سهيل »

١ — نقل الشعر الغربي الى شعر عربي

هذا موضوع جديد لم يطرقه أحد من قبل وأريد به نقل الشعر غير العربي الى العربية نظماً . ولا يخفى ان كثيراً من الشعر اليوناني القديم نظم الى لغات أوربا فنظم پوپ الشاعر الانكليزي مثلاً شعر هوميروس — الياذته والاوديسى عن حرب طروادة بشعر مقفى واشتغل غلادستون في ساعات فراغه من السياسة بنظم قصائد ڤرجيل نقلاً عن اللاتينية

هذا في الانكليزية أما في العربية فقد نقل بعض الشعر الاجنبي القديم اليها شعراً كالياذة هوميروس نظمها المرحوم سليمان البستاني وحال غلاء ثمنها دون انتشارها وتداول الأيدي لها. ولا أعلم بنقل شعر أجنبي كثير غيرها الى العربية ما عدا منظومات قصيرة نشرت آناً بعد آن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لهذا الشاعر او ذاك ترجمها شعراً شاعر عربي في الشام اسمهُ الشيخ ابرهيم الحوراني في أواخر القرن الماضي وتوفي في أوائل القرن الحالي — أذكر الآن ما يعلق بذاكرتي منها.

ترجم مرثية لشاعر انكليزي لا أذكر اسمه رثى فيها ابناً لهُ فقال :

هل مات لست على اليقين بقادر اذ لا أزال أراه وسط الناظر
لـكن اذا حجبتهُ عني أدمعي ظلَّ الخيال مصوراً في الخـاطر
أمضي الى الأسواق صبًّا والهاً فأراه يلقاني بوجهٍ زاهر
فأجسهُ بيدي واعلم انهُ ولدي يقيناً ليس صورة ساحر
هل ذاك هو أو ذاك يشبههُ فيا لله لست على اليقين بقادر

(ولست واثقاً بصحة صدر البيت الأخير)

وترجم لشاعر آخر أبياتاً نظمها بلسان أرملة تندب زوجها فقال :

خلوا الحزينة عند قبر حبيبها تبكي الى أن تنتهي الأيامُ
فلعلَّ دمعي مطفيء نار الأسى ولعلَّ عيني بعـد ذاك تنام
ولعلَّ قربي من ثراه نافعي وهماً فقد تشفي الضنى الأوهام

وترجم قصيدة طويلة للشاعر لونجفلو الاميركي لا أذكر منها سوى ثلاثة أبيات وهي :

حسب قضاء الله ما تحت الفلك من معشر إلاَّ وفيهم من هلك
وليس في القطعان من قطيـع بلا فطيم مات أو رضيـع
تـكاد من ذا الحتف أرواح الجلد تـكون أنفاس زفير وكمدْ

وترجمتُ أبياتاً للشاعر الانكليزي اللورد تنيسون من قصيدته المشهورة «إن مموريام»[1] أي للذكرى خاطب بها السيد المسيح عليه السلام فقلت بتصرف قليل في البيت الأول :

أيهـذا الحب المخلـد يا من نجتلـيه بأعين الايمان
اننا لا نراك لـكننا نقـبل دين الهدى بلا برهان
علمنا بالأمور لا يتخطى ما نراه أمامنا بالعيان
فابعثن فينا من سماء الهدى نو راً فيجلو ظلام ذي الأذهانِ

وفي ترجمة الشاعر الحوراني رقة لا تنكر ولا سيما ان في ترجمة الشعر الى الشعر صعوبة كثيرة لما يقيد المترجم من القيود التي يعانيها المترجمون من النثر الى النثر . ومن نماذج رقة شعره غير المترجم قوله في مدح أعمى اسمهُ عثمان كان صديقاً لهُ :

---

(١) — المقتطف : وقد ترجم أنيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي بالجامعة الاميركية ببيروت قصيدة تنيسون هذه شعراً وطبعها بعنوان « الذكرى » .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يا ناظم الشهب الثواقب في الدجى أتركت للشعراء غير ظلامه
ما أنت عثمان الضرير حقيقة بل أنت ذو النورين في أيامه
لكنما أغضيت عن هذا الورى كيلا ترى ذا الجهل فوق مقامه

وانما ألممت في هذه العجالة بترجمة الشعر علماً مني باننا في حاجة ماسة الى الترجمة من شعر الغرب ونثره وربما كانت هذه الحاجة أمسّ من الكتابة وقد يكون بيننا مترجمون كثيرون يعدون بالمئات ولكن من لنا بنقل الشعر الغربي شعراً عربيًّا يقال لناظمه «لا فضّ فوك» أو «هيهِ هيهِ» كما قال النبي لأمية ابن ابي الصلت وقد أردفه على ركوبته وطلب اليهِ ان ينشده من شعره. او يقال له «عشت ونعشت يا زهرة البنجكشت! وما أشدّ حاجتنا الى نقل ملحمة الياذة هوميروس مثلاً الى شعر عربي سهل ممتنع! خال من كل غريب وقريب التناول كما يوصف شعر هوميروس في الياذته بحيث يسهل تداوله على ناشئتنا وتفهمهُ عامتنا ولا تنكره خاصتنا

٢ — كبرى وصغرى وأخرى وأشباهها

ليس بين غلطاتنا غلطة اكثر شيوعاً — بعد لفظة التعريب بمعنى الترجمة طبعاً — من استعمال كبرى وصغرى وأشباههما

فتقول صحفنا ويكتب كاتبونا ان حفلة كبرى اقيمت مثلاً وليس هذا التعبير بالصحيح لان كبرى مؤنث اكبر فكما لا يجوز القول اقيم احتفال اكبر بمعنى كبير كذلك لا يجوز القول أقيمت حفلة كبرى بمعنى كبيرة. وبعبارة أبسط كبيرة مؤنث كبير وكبرى مؤنث اكبر فليس في الأمر مقابلة بيانية فيقال ان كبرى أفصح من كبيرة، كما قد يتوهم المترجمون

وربما حمل على هذا الخطأ شطر ابي نواس في وصف الخمرة وهو «كأن كبرى وصغرى من فقاقعها». وساعد عليهِ قول العروضيين فاصلة كبرى وفاصلة صغرى بغير اللام وكلا التعبيرين غلط ووهم. جاءَ في معجمات اللغة :—

«الكبيرة مؤنث الكبير والاكبر اسم تفضيل مؤنثه كبرى والجمع كُبر» (بضم ففتح) وقال سيبويه «لا يقال نسوة صُغر ولا قوم أصاغر الاّ بالالف واللام. وسمعنا العرب تقول الاصاغر وان شئت قلت الاصغرون اي جمع الاصغر بالالف واللام

واقول زيادة في البسط. تقول حفلة كبيرة لا كبرى (بغير الالف واللام) فاذا شئت استعمال كبرى او صغرى او غيرهما وجب ان تضيفها او تدخل «ال» التعريف عليها فتقول : «هند هي كبرى بنات زيد» او «هند هيَ بنت زيد الكبرى». ولو قال أبو نواس «كأن الكبرى والصغرى من فقاقعها» لاصاب وأخطأ في الوزن ولكن العروضيين مخطئون على كل حال لأنهم غير مقيدين بوزن فوجب ان يقولوا الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فكبرى مؤنث أكبر وكبيرة مؤنث كبير فكما تقول احتفال كبير ولا تقول احتفال أكبر بل الاحتفال الاكبر كذلك تقول حفلة كبيرة لا حفلة كبرى

ومثل كبرى وصغرى لفظة أخرى والمذكر آخر والجمع أُخر . وقد جاء في لسان العرب عند الكلام على «مآرب أخرى» و«عدة من ايام أخر» ما يلي ننقله عنهُ لعل فيهِ وعظاً وهداية لكاتبين لا يزالون يقولون لنا كل يوم حفلة كبرى وقضية عظمى وعقلية صغرى . قال اللسان :

مآرب أخرى (الواردة في الآية) جاء على لفظ صيغة الواحد لأن مآرب (الجمع) في معنى جماعة (الفرد)

وقال تعالى : فعدة من أيام اخر » لأن أفعل الذي معهُ « من » لا يجمع ولا يؤنث ما دام نكرة فتقول مررت برجل أفضل منك وبامرأة أفضل منك فان أدخلت عليهِ الألف واللام او أضفته ثنيت وجمعت وأنثت تقول مررت بالرجل الأفضل وبالرجال الأفضلين وبالنساء الفُضَل ومررت بأفضلهم وبأفضليهم وبفضلاهنَّ وبفُضَلهنَّ ولا يجوز ان تقول برجل أفضل ولا برجال أفضل ولا بامرأة فضلى حتى تصله بمن او تدخل عليه الألف واللام . وليس كذلك آخر لأنهُ يؤنث ويجمع بغير « من » وبعد الألف واللام وبعد الاضافة تقول مررت برجل آخر وبرجال أُخر وبامرأة أخرى وبنسوة أُخر» انتهى كلام لسان العرب

٣ — حقيقة استعمال اكتشف

استعملت اكتشف فعلاً متعدياً منذ أوائل النهضة العربية الحديثة في أواسط القرن الماضي واستعملت معها بعض مشتقاتها فقيل اكتشاف واكتشافات

والواقع ان استعمال اكتشف متعدياً نادر ومقصور على السماع . فقد جاء في معجم « محيط المحيط » للبستاني عن لفظة « اقتحش » اقتحشه معناه فتشه وهو أفعل للمتعدي وقد ندر استعماله هكذا . وقد أحسن كتابنا المتأخرون استعمال كشف مكان اكتشف ولعلهم يوفقون الى لفظة أخرى أوجه منها وأدق ولا بدّ ان يهتدوا اليها لأن العربية غنية في ألفاظها وهي مغطاة بقشة كما يقول المثل

أما استكشف التي حاول بعضهم احلالها محل كشف فلا تفي بالمرام كما رأى البعض الآخر ورأيه هو الموفق الى الصواب لأن استكشف هي بمعنى طلب الكشف مثل سائر هذه الألفاظ التي من وزن استفعل . فتقول استنزل واستعلم واستنصر واستنجد بمعنى طلب النزول والعلم والنصرة والنجدة الى آخر ما هناك وما خالف ذلك فسماعيٌّ نادر

[المقتطف] يسرُّ المقتطف ان يتلقى آراءَ الأدباءِ واللغويين في هذه المسائل وما كان من قبيلها استيفاءً للبحث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

التلفزة في الحرب الحالية

والمناظير الليلية ومنافعها

كشّاف الطائرات الحربية

قلت في مقالي على كشاف الطائرات الحربية والاشعة التي تحت الحمراء الذي نشر في مقتطف يونيو سنة ١٩٤١ انهُ قد أشيع حديثاً انهُ يظنُ أن بريطانيا العظمى تستعين بأجهزة حساسة من هذا الطراز لاستكشاف طائرات الاعداء التي تطير في أجوائها لشن الاغارات على أهدافها . ومبعث هاتيك الاشعة الخفية محركات الطائرات أو أي جسم ساخن ، فتتم الاشعة على ذلك الجسم الخفي بوسيلة تشبهها في المجهر الكهربي الذي اخترع حديثاً . ويقال إن جهازاً أميركيًّا من هذا النوع قد تمت تجربتهُ في التمرينات الحربية التي قام بها حديثاً الجيش الاميركي الاول ولكن لمّا تنشر بشأنه معلومات ما . (انتهى)

ولعلَّ المعلومات الوافية الآتية التي وافتنا بها مجلة خلاصة العلم الاميركية في أحدث ما وصل الينا من أجزائها لا تدع مجالاً للشك في أن المنظار الليلي من أعظم وأبرع الوسائل الدفاعية المستعملة في هذه الحرب

تجربة التلفزة في المناورات

راجت أقوال كثيرة بشأن استخدام أجهزة الرؤية عن بعد أو الراديو المصور أو التلفزة الحربية ، في رقابة الأهداف واستطلاع حركة الأعداء. ولا جرم أن كل دولة من الدول الكبرى قد جربت هذا المخترَع بغية الانتفاع بهِ

ومما يذكر في هذا الصدد انهُ في سنة ١٩٤٠ استصحب مهندسو معاهد أبحاث شركة دو مون الذين شهدوا مناورات جيش الولايات المتحدة الاميركية ، جهازهم المتحرك الناقل للمناظر من بعيد ، متوسلين الى بغيتهم بآلة مصورة متحركة أخفوها عن أعين رقباء الاعداء ونصبت السواري في (الخطوط الحربية الأمامية) فرأى الضباط الذين كانوا في مركز القيادة العامة كل شيء كان يحدث في ساحة القتال في حال حدوثهِ

ويستعمل الراديو المصور لنقل صور الوقائع والمناظر البعيدة في أثناء حدوثها لأجل الرقابة في النهار كما يستخدم في الليل وفي أثناء انتشار الضباب الكثيف . وقد أطلق على هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفرع من التلفزة اسم noctovision أي الرؤية في الليل ، أو التلفزة الليلية

أصل التلفزة الليلية

تبين جون بايرد في تجاربه الابتدائية في التلفزة أن الضوء الشديد جداً الذي يحتاج اليه لالتقاط صور الوقائع والاشخاص ونقلها يزعج الاشخاص الذين يراد نقل صورهم على ذلك المنوال فخطر لهُ أن أصوب الوسائل لتصحيح هذا الخطأ هو استعمال الضوء الخفي بدل الجلي

فجرَّب في أول الأمر أشعة ما وراء البنفسجي فثبت لهُ أنها غير صالحة لذلك الغرض . فاتجه صوب الطرف الآخر من الطيف الشمسي حيث أشعة مادون الاحمر فجرَّبها أيضاً فتحقق ان قدرتها عظيمة على اختراق السحب والظلمة . وان تكن الأعين البشرية لاتستطيع رؤيتها . غير أن بايرد أتيح لهُ في سنة ١٩٢٦ صنع بصاصة كهربية تتمكن من مشاهدتها أو الاحساس بها فصار في وسعهِ بوساطة هذه الاشعة رؤية الاشخاص في الظلمة ونقل صورهم الى حيث يرغب وان يكن المرء المنقولة صورته بهذه الوسيلة لا يستطيع حينئذٍ رؤية كفه أمام وجهه . فسمى بايرد هذا النوع من التلفزة بالليلية

والضباب خفيفاً كان أو كثيفاً والدخان يخترقهما الضوء اختراقاً نسبياً . وأنشأ جون بايرد جهازاً لالتقاط المناظر الليلية وعرضهُ عرضاً عاماً في شهر اغسطس سنة ١٩٢٩ فتمكن بهِ حينئذ من الرؤية في الظلمة والضباب

وعقبه بعد ثماني سنوات ڤلاديمير زووريكين الذي أشيع عنهُ انه اخترع في أثناء تجاربه العلمية الخاصة بالتلفزة مقراباً (تليسكوباً) كهربياً استطاع به استجلاء غياهب الظلمة وتقريب الابعاد واختراق الضباب الخفيف وذلك بوساطة أشعة ما دون الاحمر

استكشاف السفن في الظلام والضباب

واخترعت آلات مصورة للاشباح البعيدة ليستدل بها على مواقع الطائرات المحلقة في الجو ليلاً وفي أثناء انتشار الضباب وذلك باستكشاف أشعة ما دون الاحمر التي تنطلق من محركات هاتيك الطائرات . وفي سنة ١٩٣٨ منح امتياز باختراع طريقة لكشف الاشباح التي لا تنبعث منها أشعة ما دون الاحمر وهي طريقة هينة محكمة ، وتفصيلها ان البارجة اذا قيدت اضاءة مصابيحها تقييداً تاماً حال ذلك دون انبثاق أشعة مادون الاحمر من مصابيحها ، فتتوارى عن العيان في الضباب الكثيف في ليلة ليلاء ، وتقف محركاتها عن العمل ، فيستحيل كشف موقعها بأجهزة الهيدروفون أي الكشافات التي تلتقط أصوات المحركات وأصوات مراوحها

في هذه الحالة استخدمت آلة تصوير مقربة للاشباح تحسُّ بأشعة ما دون الاحمر ، واستعمل مصباح كهربي كشاف قوي تنبثق منهُ موجة من هاتيك الاشعة الخفية فتنطلق من ذلك المصباح موجة الى حيث يخيّم الضباب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فتخترقهُ، على ان تقترن حركتهُ بالآلة المصورة المشار اليها . وعندما تمر تلك الموجة بالالواح الفولاذية في درع بارجة ينعكس عنها أشعة ما دون الاحمر فتلقطهـا الآلة المصورة ومن ثمة يمكن تعيين موقع البارجة

وعند التوسل بهذه الوسيلة تستعمل وحدتان من ذلك النوع، فتركبان في السفينة المطاردة ، فيتاح تعيين المنطقة العـامة التي اختفت فيها المدرعة المعادية، وكذلك معرفة اتجاهها وبعدها بالضبط . ويكون هـذا ميسوراً باستخدام النتيجة الجسادية التي تحصل من الرؤية بالعينين كلتيهما ، بدلاً منها بعين واحدة . وما زالت هذه الطريقة مستعملة منذ سنوات في الحرب وذلك في مقاييس ابعاد الاهداف التي تسدَّد نحوها المدافع من البر والبحر . وتنفع مقاييس الابعاد والمراقب المشار اليها في حالتي زوال الضباب ووجود ضوءٍ كافٍ للعين البشرية لتبصر ما تطمح اليهِ . وباختراع المنظار الليلي واتقانه أمكن اختراق أكثف طبقات الضباب وأشد الليالي حلكةً

استكشاف المدن المظلمة من الجو

ويستعمل المنظار الليلي في الجو والبحر فالطيار المحلق بطائرة قاذفة للقنابل على مدينة من مدن الاعداء مقيدة الاضاءَة في وسعه رؤية هدفه ان كانت طائرته مزودة بجهاز من أجهزة أشعة مادون الاحمر للرؤية عن بُعد، لأن الوسائل المعتادة لتقييد الاضاءة لا تحول دون مشاهدة الاهداف حتى في الليالي الداجية في الضباب الكثيف . ومما يؤيد ذلك انهُ في سنة ١٩٤٠ أغارت الطائرات الالمانيـة على مدن روتردام ولندن وكوفنتري فضربتهـا بقنابلها مع انها كانت مقيدة الاضاءة وحينئذ فطن ولاة أمورها الى ان هاتيك القاذفات الالمانية كانت مزودة بالمناظير الليلية . فما كشفوا ذلك السرّ حتى هبوا لمناوأته بوسائل شتى

ومن هذه الوسائل الاضاءَة الظاهرة بدلاً من الاضاءَة المقيدة . وقد أشيع في سنة ١٩٤١ ان الروس استعملوا هذه الطريقة فأسفرت عن نجاح باهر في الدفاع عن مدينة موسكو

وذلك انهُ عند عبور قاذفات القنابل النازية على تلك المدينة تبين رجالها ان المصابيح العادية للبيوت والشوارع كانت مطفأة ومع ذلك كانت هناك مئات من المصابيح الكهربية الكشافة تتأجج أنوارها في الجو تأججاً شديداً حال دون اهتداء تلك القاذفات الى اهدافها الحربية وكان قوام ذلك التـدبير الاضاءَة بالضوء المكشوف . ويتسنى اتباع هذه الطريقة عينها ضد الطائرات المزودة بالمناظير الليلية لان المصابيح الكشافة المألوفة ذات الاضواء الظـاهرة هي ايضاً تشع منها أشعة ما دون الاحمـر أي أشعة حرارية فيضطرب التلفاز الليلي

واذا تقرر تقييد اضاءة مدينة ما أتيح استعمال مصابيح كشافة ذات أضواء خفية من أشعة ما دون الاحمر بغية تضليل الآلات المصورة التي تلقط المناظر الليلية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استكشاف الطائرات المغيرة

وفي سنة ١٩٤١ منح امتياز باختراع كشاف للطائرات . وكان المعروف وقتئذٍ ان ذلك الجهاز يبين الطائرات المعادية المغيرة وذلك بأشعة ما دون الاحمر التي تنطلق من محركاتها كما انهُ يستطيع التقاط مثل تلك الاشعة من مداخن البوارج المعادية . وكان المقصود ايضاً ان يقوم الجهاز نفسه بكشف الاشباح الخفية التي تشع منها الاشعة الحرارية ثم انهُ يصور صورة جلية لذلك الشبح الاصلي الصادرة منهُ الأشعة الحرارية وكذلك يمكن استعماله في اظهار الطائرات المختفية وراء السحب او في الضباب . واستعماله ايضاً في ارشاد الطائرات الى مهابطها في اثناءِ تخييم الضباب عليها وذلك باشارات ظاهرة من النقط المقصودة، تتولد من الاجهزة التي تشع منها الاشعة الحرارية. وعلى هذا المنوال تتاح مشاهدة مهبط الطائرة وذلك في التلفاز اللاقط المركب في الطائرة

الاهتداء الى مطار محجوب

وفي سنة ١٩٤١ ايضاً نال الفريد.ن جولد سميث امتيازاً باختراع جهاز للراديو المصور يركب في الطائرات يستطيع بها ربانها رؤية مطاره على حجاب جهاز الراديو المصور

وكلما دنا من ذلك المطار كبر حجم الصورة امامه . وثمة طريقة اخرى لاستعمال الراديو المصور في الحرب الجوية اذيع خبر اكتشاف البريطانيين اياها في سنة ١٩٣٨ اذ اتضح لهم ان موجات اذاعات الراديو المصور ذات الذبذبات الشديدة جدًّا يتسنى استخدامها في استجلاء الطائرات المعادية القاصدة الى سواحل انكلترا وان تكن على أميال منها . لأن الاشارات اللاسلكية التي تذاع من تلفاز شركة الاذاعة البريطانية تصدم الطائرة القادمة ثم تنعكس عنها صوب الأرض

فاستخدم ذلك الاكتشاف وتمَّ تحسينهُ حتى صار كشافاً خطيراً ناجحاً في مقاتلة الطائرات المغيرة وغدا من دعائم الدفاع عن الجزائر البريطانية . ويمكن تركيب هذا الجهاز في الطاردات الليلية ونصبه على سطح الأرض على السواء

طائرة مسيرة ومجهزة بالتلفاز

ويستعمل الراديو المصور سلاحاً ماضياً في الطوربيد الجوي وتفصيل ذلك : انهُ في نوفمبر ١٩٣٨ نشرت مجلة الراديو والتلفزة مقالاً كتبهُ سنابريا U. A. Sanabria جاءَ فيهِ قوله : —

« لعلكم قد سمعتم خبر (فرق الانتحار) المؤلفة من رجال يلقون بأنفسهم الى التهلكة في القذوفات الشديدة الانفجار . والوجه ان الوحدات التي يؤلفونها هي قنابل بشرية حقيقية ملآى بتلك المواد وتسيرها أيدي بشرية فتسير على هيئة مركبات برية وسفن جوية ومزالج للجليد والمياه ، وتمتاز بسرعتها الفائقة وبراعتها في التمرينات الحربية

وتنفع هذه الفرق كسلاح للدفاع والهجوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سيان إذ تحتشد في مكان واحد لسحق العدو مضحية بأنفسها كل التضحية لنيل بغيتها. ولذلك يندر وجود أمثال هذه الفرق نسبيًّا رغم المجد الذي يناله أفرادها بانتحارهم وبيع أرواحهم بيع السماح في سبيل واجبهم

فتصور اذن طائرة صغيرة ذات شكل مشيق (مساير للريح كل المسايرة)، تسيطر عليها الموجات الكهربية اللاسلكية. وافرض ان الجهاز المرسل لتلك الموجات الموجهة الى الطائرة موضوع في طائرة أكبر منها حجماً، وان في الطائرة المسيَّرة باللاسلكي جهازاً لتلقي هاتيك الموجات وانها موسوقة بحمل من المواد المتفجرة في جسمها الصغير المسيَّر من بعيد باللاسلكي وانها مزودة بكبسولة تفجر حمولتها حينما تصطدم بهدفها. وثق ان ذلك الطوربيد المسيَّر باللاسلكي قد أسفرت تجربتهُ عن النجاح وأصبح استعمالهُ في حيز الامكان عند ما تمسُّ الحاجة اليهِ»

أحدث أخبارها

وفي اغسطس سنة ١٩٤٠ أشيع أن الدكتور لي ده فورست كان يعمل مع سنابريا في استكمال طائرة من هذا الطراز المزود بالراديو المصور. وفي هذا الصدد قالت جريدة الراديو اليومية فيما بعد ذلك بزمن وجيز:

يتوقع الدكتور لي ده فورست تحسين طائرة طوربيدية بلا قائد مجهزة بالراديو المصور وان الجهاز الجاري تجربته الآن يمكن صنعه من العجائن الكيميائية الرخيصة نسبيًّا او ما يشبهها دون الحاجة الى سلاح أو أجهزة ثمينة ما

ولن يحمل ذلك الطوربيد الجوي مخلوقاً بشريًّا لأن طيرانه سيتم بالراديو من باخرة المأوى التي تبعد عنهُ ١٠ اميال او اكثر. وسيركب في مقدم تلك الطائرة الطوربيدية وجوانبها الرأسية أجهزة ايكونوسكوب طبقاً لوصف مخترعيها»

فاذا ركب في تلك الطائرة ذات الراديو المصور والطوربيد منظار ليلي ثم كتم أنبوب البخار العادم تمكنت من الطيران ساكنة صوب هدفها على ارتفاع عظيم في جوف الليل وان وقف المحرك الميكانيكي من تلك الطائرة وأُطلقت الى أسفل لتقطع الثلاثين ميلاً الاخيرة من رحلتها نحو هدفها في وسط السحب والضباب متوارية عن الابصار وصوتها لا يكاد يسمع، كانت تحت السيطرة التامة لقائدها الذي يبعد عنها اميالاً وهذا القائد البعيد عنها يكون في وسعه مع ذلك رؤية هدفه. فتصور مبلغ ما تستطيعهُ حينئذٍ تلك الطائرة من التدمير بل تصور ذياك الطوربيد الجوي المقل لعدة اطنان من المواد الشديدة الانفجار. وكم يكون مقدار الدمار الذي تحدثه عشرة آلاف او عشرين الف طائرة من هذا الطراز اذا أُطلقت جميعها في هجوم واحد ووقت واحد على اصقاع مختلفة في دولة واحدة في تلك الليلة الغائمة الظلماء

عوض جندي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تجفيف الطعام في مصر

يذكر القرّاء ما نشرناه في «مقتطف» فبراير الماضي في موضوع «تجفيف الطعام» وأساليبه وما له من منزلة في الحرب. والى القراء ما نشرتهُ جريدة الاهرام الصادرة في يومي ٢٥ / ١١ / ١٩٤٢ و ٩ / ١٢ / ١٩٤٢ بشأن الصناعات الزراعيـة ولا سيما تجفيف في المملكة المصرية : —

يقوم قسم البسـاتين في وزارة الزراعة هذه الايام بطائفة من التجارب الخاصـة بالصناعات الزراعية رغبة في النهوض بها حتى تستطيع البلاد في المستقبل القريب الاستعاضة بمنتجاتها عما تستورد من الخارج. ومن أهم هذه التجارب تجفيف الفواكه والخضراوات مثل التفاح البلدي والكمثرى والبطاطس والبطاطة والطماطم والجزر والبصل والثوم فقد استطاع الفنيون تحضيرها في شكل قطع صغيرة أو مساحيق يسهل حفظها واصدارها الى الخارج. وكان من نتائج ذلك أن أصبح معظم محصول البصل المصري يصدر الآن مجففاً فلا يشغل من الامكنة في السفن إلاّ عشر ما يشغله اذا صدر طازجاً. ومما يذكر أن من أقوى البواعث على القيام بهذه التجارب صعوبة الحصـول في الوقت الحـاضر على الخدمات والمواد الاولية اللازمـة لحفظ المصنوعات الزراعية وأهمها العلب الصفيح والآنية الزجاجية والمواد الكيميائية والوقود، مما يمكن الاستغناء عنه في صناعة تجفيف الفاكهة والخضراوات ومن الوسائل التي يتخذها قسم البساتين لنشر هذه الصناعات الزراعية وتعميمها تيسير اطـلاع المشتغلين بالاعمال الصناعية على نتائج تجاربه. وقد أنشأ لهذا الغرض مصنعين نمـوذجيين لتجفيف البصل

ومن أحدث تجارب ذلك القسم تخليل الزيتون الاسود المصري وتحسين خواصه بحيث يحل محل الزيتون الاسود الذي كان يستورد من الخارج قبل الحرب ثم تركيز عصير البرتقال واعداده على شكل عجينة كثيفة يسهل حفظها في أوان بسيطة لاتخاذها شراباً او الانتفاع بها في غير هذا من الاغراض

وكذلك وفق الاستاذ محمد علي كساب المشرف على التجارب المشار اليها، وهو متخصص في هذا الفن من جامعة كليفورنيا في اميركا الى تركيز عصير الطماطم وجعله في شكل قمر الدين بحيث يمكن حفظه مدة طويلة دون تعرضه للفساد

وقد أدت هذه الطريقة الى التغلب على مشـكلة (العبوات) التي تعدُّ في مقدمـة ما يعرقل نشـاط الصنـاعات الزراعيـة في الظروف الحاضرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحرب الاقتصادية والغارات الجوية

عند ما اغارت القاذفات الاميركية على اليابان في السنة الماضية ، أخذ الطيارون المغيرون طائراتهم وقنابلها من الجيش الاميركي ، ولكنهم لم يلقوها اعتباطاً. وعند ما يغير الطيارون البريطانيون على المانيا أو ايطاليا ، يتجهون الى اهداف تعين لهم تعييناً دقيقاً . والاهداف في الحالين تختارها في كثير من الاحيان الهيئات المشرفة على الحرب الاقتصادية . ومهمة هذه الهيئات أن تتعمّق في دراسة النظام الاقتصادي والصناعي في البلد الذي تنتظر الاغارة عليهِ . ثم يختارون ما يعدُّ عقداً حيوية في هذا النظام ، حتى اذا دمّرت عقدة منها أو أكثر أحدث تدميرها تعطيلاً كبيراً في الانتاج الصناعي الحربي. والهيئات البريطانية والاميركية المشرفة على الحرب الاقتصادية تتعاون تعاوناً وثيقاً وتتبادل الحقائق التي تجتمع لديها وتنسق وتبوّب وتقارن

وعند ما تأهب الطيارون الأميركيون للاغارة على اليابان كان مجلس الحرب الاقتصادية الأميركي قد أعدَّ لهم كشفاً مفصلاً ذكر فيهِ أهم الأهداف الاقتصادية والصناعية في اليابان مقدماً فيها الأهم على المهمّ . وقد ألقيت القنابل على بعض هذه الأهداف التي تعد في الطليعة منزلة وشأناً

والتقديم والتأخير ، في منزلة الاهداف يتباين وفقاً لسير الحرب . فمن الواضح الآن ان الاهداف المقدَّمة على غيرها في الغارات البريطانية والاميركية على أوربا والبلدان المحتلة ، هي الأهداف التي تتصل عن قرب أو عن بعد بصناعة الغوّاصات أو اصلاحها وترميمها . ويليها منزلة وأحياناً قد يعادلها الهجوم على المواصلات الحديدية ، والقطرات ولاسيما قاطراتها . لأن المواصلات الحديدية في أوربا مرهقة ارهاقاً عظيمة، والحاجة كبيرة الى القاطرات ولذلك قدّم صنع القاطرات في في المانيا على كثير من أدوات القتال نفسها . وكلّ تعطيلٍ تصاب بهِ شبكة المواصلات يعرقل تموين الجيوش الالمانية أينما كانت ، ويفرض على قيادة التموين والنقل استعمال السيارات وهذا يفضي بدورهِ الى زيادة المستهلك من النفط ومشتقاته

مناجم القصدير في انكلترا

عاد الانكليز الى استخراج القصدير من المناجم التي في جنوبي بلادهم الغربي (مقاطعة كورنوال) بعد ما فقدوا مناجم القصدير في مالايا . ومناجم القصدير الانكليزية مشهورة من قديم الزمان وكان لها شأن كبير في تجارة العصور القديمة ولاسيما في عهد الفينيقيين

ومعظم هذه المناجم عميق جدًّا الآن ، وعمق بعضها يزيد على الفي قدم ومنها ما يبلغ عمقه ثلاثة آلاف قدم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منافع عنصر الانديوم

عنصر الانديوم فلز كان نادراً ولكنهُ عاد غير نادر الآن بفضل باحث أميركي يدعى الدكتور وليم مري. وهو فلز أبيض كالفضة ليِّن يسهل مدُّه وطرقهُ، يفوق وزن الحديد النوعي ضعفين وأخفُّ من الرصاص. ولكن اذا أضيفت مقادير يسيرة منهُ الى بعض المخاليط الفلزية اللينة صيَّرها صلبة قاسية، واذا كانت مكمدَّة صيَّرها لامعة

كشف هذا العنصر في سنة ١٨٦٣ ولكنهُ ظلَّ نادراً حتى عني بهِ الدكتور مري. وكان لا يوجد منهُ محضَّراً سنة ١٩٢٤ عند ما اهتمَّ مري بهِ إلاَّ جرام واحد وكان أغلى كثيراً من البلاتين. ولكنَّ مري استنبط طريقة لاستخراجهِ من ركاز زنك يكثر في ولاية اريزونا الاميركية. والمقدار الذي يستطاع استخراجهُ منهُ يقدر بمليوني غرام كلَّ سنة، فلا تكلف الأوقية منهُ أكثر من عشرة قروش

ومن وجوه الانتفاع بهِ انهُ يصلح للاستعمال في كرات المحاور (البيل) فيجعلها صلبة مقاومة للضغط وللتآكل بفعل الأحماض التي تكون في مواد التشحيم. ويصلح لصنع «الملاغم» المستعملة في حشو الأضراس فهو يقاوم ضغط الفكين ولا يكمد بفعل الأحماض في الفم. ويصلح كذلك لصنع المرايا المقعَّرة في مصابيح الأضواء الكشَّافة. ويجوز أن يحلَّ محلَّ الكروم والنيكل في الطلاء لانهُ يصقل فيلمع ولا يكمدُّ

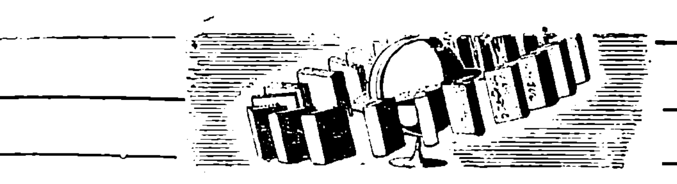
حرارة الخيارة أو برودتها

يضرب المثل في بعض اللغات الأعجمية كالانكليزية ببرودة الخيار فيقال مثل في صدغي طفل يبدو انهُ محرور: ان صدغيهِ أبرد من خيارة

فهل لهذا المثل أساس من الحقيقة العلمية وما الفرق بين حرارة — أو برودة الخيارة — وحرارة الجو حولها

عنيت ممرضة جراحية بالردّ على هذا السؤال فأجرت تجارب في خيار كثير عند ما كانت حرارة الجو ٩٨ درجة بميزان فارنهيت او ٣٧ مئوية فثقبت الخيارة وزجَّت فيها مقياس حرارة ثم اعادت تجربتها مراراً فوجدت ان الفرق بين حرارة باطن الخيارة وحرارة الجو حولها عشرون درجة بميزان فارنهيت او أكثر قليلاً من ١١ درجة مئوية فعند ما تكون حرارة الجو ٩٨ فارنهيت (٣٧ مئوية) تكون الحرارة في باطن الخيارة ٧٨ فارنهيت (٢٥ ½ مئوية)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





مساجد القاهرة قبل عصر المماليك

لمحمد عبد العزيز مرزوق — صفحاته ١٢٢ صفحة — وطبع بمطبعة عطايا بمصر

تضم مصر تحت سمائها سلسلة متماسكة الحلقات من المساجد في العصور الاسلامية المختلفة ودراسة هذه المساجد من الناحية الأثرية هي في الواقع دراسة للتاريخ الاسلامي في شتى عصوره . وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ، وانتفع في بحثه بما كتبه المؤرخون المسلمون عن هذه المساجد ، وأخذ من كتبهم زبدة ابحاثهم في غير تطويل وجعل وجهته ان يجلو على القارىء صورة واضحة المعالم لما كانت عليه تلك المساجد وقت انشائها ، وان يربط بين كل مسجد وبين ما تقدمه من الآثار الاسلامية سواء في داخل مصر أو خارجها كلما أمكن ذلك ، وان يرجع كل ظاهرة معمارية الى أصلها ما استطاع الى ذلك سبيلاً . ولقد كان لزيارته للآثار الاسلامية خارج مصر : في القدس والخليل ودمشق وأشبيلية وقرطبة وغرناطة وطليطلة وتونس والقيروان والمهدية وسوسة ، أثر كبير في ذلك فضلاً عما استفاده من المؤلفين العظيمين اللذين وضعهما في العمارة الاسلامية العلاّمة كرزول Creswell استاذ هذا الموضوع في جامعة فؤاد الأول ومن محاضراته النفيسة التي تلقاها عليه في أثناء الدراسة بمعهد الآثار الاسلامية

كما انهُ رأى ان يقف قليلاً بين ما يحتويه كل مسجد من كتابات معاصرة لانشائه ، محاولاً ان يستشف ما وراءها من المعاني ، وقد استعان على ذلك بالأبحاث النفيسة التي قام بها الاستاذ فان برشم Van Berchem وأتمها بعده الاستاذ جاستون فييت Gaston Wiet مدير دار الآثار العربية

وقد أغفل عن قصد ذكر ما دخل على المساجد من الاصلاح أو التغيير بعد انشائها ، حرصاً على بقاء الصورة الأصلية لكل شيء واضحة في ذهن القارىء فيسهل عليه ادراك التطور ، ولم يخرج عن هذه القاعدة الاّ في مسجد عمرو اذ قدم صورته التي كان عليها سنة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢١٢ هـ لأن أقدم ما في المسجد القائم اليوم هو بعض اجزاء الجدار الغربي التي ترجع الى ذلك التاريخ ، أما المسجد الأصلي فلم يبقَ منه الاّ جزء من الأرض التي شيد عليها

ووضعاً للحقيقة في نصابها أشار المؤلف الى أمور اربعة : الاول انهُ نشر هذه الأبحاث ملخصة في « مجلة الأزهر » تحت عنوان « تطور التصميم والزخرفة في مساجد مصر » ولكنه أعاد قراءتها وأضاف اليها وحذف منها. بل قل انهُ كتبها من جديد وزادها ايضاحاً بما أضافهُ اليها من صور ورسوم . والثاني انهُ استعمل كلمة القاهرة في عنوان الكتاب بمعناها الحديث المعروف بيننا الآن لا بمعناها التاريخي . والثالث انهُ في تحديد جهات المسجد اعتبر المحراب كأنه في الجنوب وليس في الجنوب الشرقي من المسجد كما هو الواقع وذلك تسهيلاً للفهم وتفادياً من التثقيل على القارىء . والرابع انهُ أثبت في آخر الكتاب مراجع كل فصل على حدة ، وتوّج كل ثبت من هذه المراجع ببيان المكان الذي يوجد به المسجد موضوع الدرس ليسهل الوصول اليه

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومزيناً باحدى وعشرين لوحة من الصور البديعة مطبوعة على ورق صقيل يعد غاية الترف في الطبع الآن

« إقرأ »

سلسلة كتب شهرية للجيب — في ضروب الثقافة العامة

بدا لمكتبة المعارف ومطبعتها في مصر أن تحقق فكرة ما فتئت تجول في ضمير كثير من المثقفين والمشتغلين بشؤون الثقافة ونشرها في البلدان العربية اللسان وهي فكرة نشر سلسلة من الكتب الشهرية الصغيرة الميسَّرة المتقنة طبعاً المتماثلة حجماً الرخيصة ثمناً ، في شتى موضوعات الأدب والعلم والتاريخ والسياسة والاقتصاد . فتكون زاداً فكريًّا لقراء اللغة العربية يستسيغهُ الجمهور وترضى الخاصَّة عنهُ . وعندما صحَّت عزيمتها على هذا استشارت فريقاً من أصحاب الرأي فشجعوها وشدَّدوا عزمها على المضي في مشروعها . وقد استعانت على تنفيذه بالأساتذة الدكتور طه حسين بك وانطون الجميِّل بك وعباس محمود العقاد وفؤاد صرُّوف . وستعتمد في مواصلة العمل على كتَّاب العربيـة في جميع الأقطار ، غير ناظرةٍ في ما يعرض عليها من الكتب والمؤلفات لهذه السلسلة إلاَّ من ناحية الخير العام

وبرغم المشاق التي تعانيها المطابع اليوم من غلاء الورق والحبر شرعت مكتبة المعارف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومطبعتها في اصدار هذه السلسلة التي سمّتها سلسلة « إقرأ » والاسم من مقترحات الاستاذ احمد أمين بك . وقد صدر الكتابان الأولان وهما « أحلام شهر زاد » للدكتور طه حسين بك . و«شاعر الغزل» للاستاذ عباس محمود العقاد

أما أحلام شهر زاد » فيجد قارىء المقتطف كلاماً عليهِ في باب حديقة المقتطف من هذا الجزء صفحة ٣١٣ وهو جزءٌ من فصل ممتع عقدهُ الاستاذ سيد قطب على فكرة « شهرزاد » في الأدب العربي الحديث

— شاعر الغزل —

وأما « شاعر الغزل » فدراسة أدبية فنيــة في عمر ابن أبي ربيعة . ففي الفصل الأول سيرتهُ موجزةً . وفي الثاني خصائص عصره . وقد قال الاسـتاذ العقاد في احـدى هذه الخصائص :

« ويستغرب قارىء الديوان أن ينصرف شاعر في جميع شعره الى هذا الغرض (الغزل) دون غيره وهو اسـتغراب معقول يرد على كل خاطر للوهلة الأولى ، اذا اقتصرنا على النظر الى الديوان وحـده وقابلنا بين موضوعاته وموضوعات الشـعراء المشهورين في الدواوين الكبيرة . ولكنهُ استغراب لا يلبث أن يزول أو ينقلب الى نقيضهِ اذا تجاوزنا الديوان الى العصر الذي نظم فيهِ الديوان والبيئة التي عاش فيها الشاعر . فربما أصبح العجب عندئذٍ أن يتمخَّـض ذلك العصر عن ديوان واحد ولا يتمخَّـض عن دواوين شتى من هذا القبيل ، وأن يكون ابن أبي ربيعة شاعراً فرداً في مجالهِ بغير نظير يحكيهِ في اكثاره وانقطاعهِ وقد كان ينبغي أن يقترن بهِ نظراءُ متعددون . لأن العصر الذي عاش فيهِ ابن أبي ربيعة في تلك البيئة التي نشأ بينها كان عصراً غزليًّـا في جميع أطرافهِ . . . »

***

ثم عالج المؤلف طبيعة غزل عمر بن أبي ربيعة ، وصناعتهُ وذوقهُ في جمال المرأة ، وجمع طرفاً من نوادرهِ وأخبارهِ وختم الكتاب بمختار شعره . وقد قال في تقديم هذا المختار : « تتلخص أغراض المنتخبات في ثلاثة : أحدها أن نختار للشاعر ما ينبيء عن حالهُ ولهُ فائدة في التعريف بحقيقتهِ النفسية أو بحقيقة عصره وسيرة حياتهِ . وثانيها أن نختار لهُ الحسن من شعرهِ وان لم ينبيء عن شيءٍ من سيرتهِ وخلقهِ . وثالثها أن نختار ما هو مستجاد من الوجهة الفنية سواءٌ نظرنا اليهِ أو نـظر الى الحسن المستجاد من أقوال جميع الشعراء . . . » وهذا المنتخب يجمع بين الأغراض الثلاثة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روح التربية والتعليم

تأليف محمد عطية الابراشي — الاستاذ بدار العلوم — صفحاته ٤١٢ من قطع المقتطف — نشرته مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر

هذا الكتاب أشبه ما يكون بدائرة معارف صغيرة في التربية ففي فصوله الاربعة عشر تتلاحق الآراء النظرية والفلسفية والارشادات العملية . فالكتاب متعة فكرية ومرشد عمليّ في آن واحد . ونحن نكتفي هنا ببعض ما قدَّم بهِ المؤلف كتابهُ ، لأننا عرضناهُ على احد الثقاة في التربية من ناحيتيها الفلسفية والعملية لإبداء الرأي الفنيّ فيهِ

« مشاكل التربية من قديم الزمان كثيرة معقدة ، وكلما وصل العلماء الى حل طائفة منها حلاً مرضيًّا نشأت مشاكل اخرى تتطلب الحل السريع ، والتفكير السديد ، ولكن هممهم العالية ، وغاياتهم السامية كانت تذلل العقبات ، حتى كللت جهود أولئكم المربين بالنجاح الباهر ، والتقدم العظيم

« واليوم أتقدم الى المثقفين عامة ، والمشتغلين بشئون التربية والتعليم خاصة ، بكتاب هو ثمرة كثير من التجارب التي لمستها في اثناء قيامي بالتفتيش ، وما شاهدتهُ في دروس التربية العملية ، وما قرأتهُ من كتب ، وما انتفعت بهِ من آراء كبار المربين والمصلحين

« وقد كان رائدي في عرض بحوث هذا الكتاب : « روح التربية والتعليم » أن أختار أحدث الآراء والنظريات التي يمكن الانتفاع بها ويسهل تطبيقها في مدارسنا المصرية ، فشرحتها باسهاب ، ثم وضَّحتها بكثير من الأمثلة ، لينتفع بذلك المربون والمربيات انتفاعاً يمهد أمامهم سبل النجاح في مهنة التدريس

« ولقد وجَّهت عنايتي الى بسط كثير من التجارب العملية التي تتجدد كل يوم بين جدران المدارس ، ليتخذ منها المدرسون ورجال التربية ما يسهل الكثير من شئون مهمتهم في الحياة . فتجعلهم أكثر إفادة ، وأقرب الى الصواب في العمل

« وكنت أود مخلصاً أن تكثر كتب التربية باللغة العربية ، لأننا ما زلنا في حاجة الى كثير من الكتب التي تعالج شئون التربية قديماً وحديثاً ، وتبحث في كثير من نواحيها المتشعبة ، ليسترشد بذلك المعلمون والمعلمات ، ولتكون نبراساً يهتدون بهديه ، ولينتفعوا بها في تقويم المعوجّ ، وإصلاح الخطأ

« وسيجد هؤلاء وكثير غيرهم أن هذا الكتاب قد بحث كثيراً من الموضوعات الحديثة في التربية التي لم تكتب بالعربية قبل اليوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قصص

١ — صوت باريس ... للدكتور طه حسين بك — مكتبة المعارف ومطبعتها
٢ — سارة . . . . . . للاستاذ عباس محمود العقاد — المكتبة التجارية الكبرى

يلاحظ المهتمون بالتأليف والنشر في هذه الأيام اقبالاً عظيماً من قراء اللغة العربية على ما تخرجهُ المطابع في شتى ألوان المعرفة والثقافة . وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة لعلَّ هذه الدراسة تكشف لنا سرَّ هذا الاقبال وهل هو عابرٌ أو مقيم ، وما بواعثهُ الأصيلة وهل هو رغبة صادقة في التمتع بثمار الفكر والخيال ، أو هو رغبةٌ لا تلبث أن تزول بزوال الحرب وما تثيرهُ في النفوس والعقول من اهتمام بفهم نواحيها أو توق الى الفرار منها والالتجاء الى متع الخيال والفكر ؟

ومهما يكن من أمر ، فإنَّ هذا الاقبال جديرٌ بأن يفهم وجديرٌ بأن يُغذَّى . ومن بواعث الاغتباط انهُ برغم القيود المادية التي تقيّد حركة الطبع والنشر ، فانَّ فريقاً كبيراً من الأدباء والمؤلفين وأصحاب المطابع ، لا ينون عن نفح جمهور القراء بكتب تغذي الفكر والشعور أطيب تغذية وأنفعها

ولعلَّ باب القصص من أحفل هذه الأبواب بعنايتهم . وهو أمرٌ طبيعي . فالقصص الجيد ميدانُ طائفة كبيرة من أعلى فنون الأدب وفيهِ متسع لتحليل النفوس ودراسة أحوال الاجتماع وكل ذلك ، مفرغ في قالب حوادث متماسكة وأشخاصٍ يفرضون على وعي القارىء فرضاً

وليس ثمة ريب في أن الدكتور طه كان لهُ في هذا الميدان شأن كبير ، سواءٌ في ذلك قصصهُ الموضوعة أو المنقولة عن الأدب الغربي ولاسيما الفرنسي . وهذا علاوة على نهوضهِ بأعباء أعمالهِ في وزارة المعارف والجامعة ، ومدارها جميعاً توجيه التربية والثقافة في هذا البلد أو المشاركة الفعالة في توجيهها

وهذا كتابهُ الاخير « صوت باريس » تتجلّى فيهِ العناية بعقد عقدة الوصل بين الغرب والشرق عن طريق نقل مآثر الأدباءِ الغربيين الى اللغة العربية على نحو ما فعل في كتب كثيرة لهُ على هذا الغرار ، سبق نشرها ، كما تتجلّى فيهِ البراعة والبلاغة في هذا النقل . وفي هذا الكتاب عرض وتحليل لقصص تمثيلية هي « السيل » للكاتب الفرنسي موريس دونيه . و « الرقص في نصف الليل » لشارل بيري . و « المذهبان » وهي فكاهة تمثيلية لالفريد كابو . و « السلام الحي » لپول رينيه وقصص أخرى على هذا النمط لكبار الكتّاب الفرنسيين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما « سارة » فقصة ألّفها الاستاذ العقاد ونشرها في سنة ١٩٣٨ ومما يبعث على الارتياح ان يتيح لهُ إقبالُ القرَّاء عليها فرصة طبعها الآن طبعة ثانية

وقد قلنا فيها عند ظهور طبعتها الأولى ان قراءَ هذه القصة لا يسعهم ان يختلفوا في ثلاث مزايا تتصف بها قصة سارة . فأولاً — توقد الشعور فيها من أولى صفحاتها الى أخراها وهذا الشعور المتوقد هو الرابط الوثيق بين أجزائها جميعاً سواء أإلى وصف المقابلة بين سارة وهمام عمد الكاتب ام الى وصف الفراغ الذي يحسُّهُ همام في حياته عند ما لا يقابلها . وثانياً التحليل النفسي الدقيق البليغ لحالة الحبيب والحبيبة في ساعة الرضى وساعة الغضب او في حالي الهزل والجد ، او عند ما يعمر قلبهُ اليقين بحبها وعند ما تساوره الريب في انحرافها عنهُ . وثالثاً — ذلك التعليق الفلسفي الحكيم على جميع هذه الحالات وهو تعليقٌ مردُّه الى العقل ولكنهُ مصحح ومقيد بنتائج الاختبار

فعسى ان تتيح الطبعة الثانية فرصة مطالعة « سارة » للذين فاتتهم الفرصة الاولى

القواعد الاساسية لدراسة الفارسية

لأبراهيم أمين الشواربي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — صفحاته ١٩٥

أخذت العناية بدراسة اللغة الفارسية تزداد في هذه الايام ، بفضل جامعة فؤاد الاول التي انشأت معهداً للغات الشرقية . وهي عناية أوحت بها الينا من طريق غير مباشر عناية المستشرقين بآداب الشرق وعلومه ولغاته وعاداته . تلك العناية التي ظهر من آثارها مئات من الكتب الأجنبية لعشرات من علماء المشرقيات الذين قضوا سنين طويلة من حياتهم في البحث والدرس. وما زلنا نحن — أبناء الشرق — نعتمد عليهم في كثير مما يختص بتاريخنا وتراثنا...

واللغة الفارسية ليست من اللغات السامية التي منها العربية والعبرية والأشورية والسريانية ولكنها لغة آرية آخى الاسلام بينها وبين العربية وربط بينهما برباط وثيق . ولهذا كان من نتائج العناية الجديدة بهذه اللغة أن تقرر دراستها في الجامعة وفي طائفة اخرى من المعاهد، وان يوفد من أجلها الطلاب في بعوث الى اوربا للتعمق في دراستها . ومن هؤلاء الموفدين مؤلف هذا الكتاب . ولهذا كان سبيلهُ في التأليف سبيل العارف الخبير . وطريقته في شرح القواعد واضحة ، حتى ليمضي الطالب في قراءة كتابه من غير حاجة الى معلم ، فهو يذكرنا بكتب Hugo في تعليم اللغات الحديثة . وفي آخر الكتاب طائفة من الأمثال الفارسية ونخب من الحكايات والنوادر وطرائف المختارات ، مع شرح بعض الالفاظ الجديدة على الطالب

واذا كانت فائدة هذا الكتاب مقصورة على الراغبين في تعلم اللغة الفارسية ، فأنا نرجو من مؤلفه أن يمتعنا في كتاب آخر بروائع من الأدب الفارسي مترجمة الى اللغة العربية ، حتى تكون هذه الروائع مهيأةً لمن لم يسعدهم الحظ بمعرفة الفارسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثاني بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني بعد المائة

١ ابريل سنة ١٩٤٣ — ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٦٢

مشكلات العلم والحضارة بعد الحرب

العلم والموارد الطبيعية

ومستقبل الحضارة

— ١ —

ان رخاء البشر وسعادتهم مرتبطان بالموارد الطبيعية المتاحة لهم . وبغيرها لا تجدي النيات مهما تحسن ولا الآمال مهما تسمُ . فوفرة هذه الموارد وحسن استغلالها من الموضوعات التي يُعنى بها كلُّ من يعنيه مستقبل البشر على سطح الأرض

والعلماء مجمعون على ان وفرة الموارد الطبيعية تكفي عدداً من السكان يفوق كثيراً سكان الكرة الأرضية الآن. ولكنها موزَّعة توزيعاً غير متساوٍ على سطح الارض وهذا أصل طائفةٍ كبيرةٍ من وجوه النزاع السياسي والاقتصادي التي أُصيب بها العالَم . فإتاحة هذه الموارد لجميع الشعوب ، تبدو شرطاً أصيلاً لاجتماع مستقرّ ، والى هذا أشارت المادة الرابعة من « دستور المحيط الأطلسي » . ثم ان بعض هذه الموارد صائر الى النفاد ، فهناك خطرٌ في استغلالها استغلالاً غير خاضع لسيطرة عامة ، وهذه السيطرة لا غنى عنها اذا أريد ألاّ تحرَم الأجيال القادمة نصيبها من خيرات الأرض التي لا تتجدَّد . واذن فالفطنة تقضي باستعمالها استعمالاً قائماً على الاقتصاد فيها ، وتوزيعها توزيعاً عادلاً بين البشر. وتحقيق ذلك يقتضي سيطرة قائمة على خطةٍ موضوعةٍ وتنظيم مقبول

والموارد الطبيعية أربعة أقسام . أولاً التربة . ثانياً مصادر الطاقة . ثالثاً الرواسب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعدنية عدا مصادر الطاقة . ورابعاً المحصولات الزراعية في أوسع معانيها وهي تشمل النبات والحيوان وما يصنع من خشب الحراج . ومن هذه الموارد ما لا يتجدَّد بعد نفاده ، ومنها ما يتجدَّد كلَّ سنة . ففي استغلال الموارد التي تنفد ولا تتجدد مثَل الناس كمثل تاجر يعيش على رأس ماله . وفي استغلال الموارد التي تتجدَّد مثَل الناس كمثل تاجر يعيش على دخلهِ . وهذا التفريق أصيل ولا غنى عنهُ في فهم مشكلة الموارد الطبيعية بوجهٍ عام. فكثيراً ما ضحّي بالزراعة لتشجيع الصناعات والتعدين ، وهو — أي التعدين — لا يعدو كونهُ استخراج موادّ من بطن الأرض لا تتجدد بعد نفادها . فمشكلة حسن استعمال الموارد الطبيعية، هي في الحقيقة مشكلة الاحتفاظ بتوازنٍ معقول بين هاتين الطائفتين منها

— ٢ —

أما التربة ، وهي رأس المال في كل أرض زراعيــة ، فنعمة من نعم الله . ولكن في الوسع تحسينها أو إضعافها بفعل الناس . فالتربة الضعيفة قد تزكو بالحراثة والزراعة . وهذه حقيقة لا تحصى الشواهد على صحتها . ويقابلها التربة الخصبة التي تتنكّس بسوءِ استعمالها . فبين العلماء رجل يدعى فريدريك كيبل ، وقد مضى عليهِ سنوات وهو ينذر الناس بانحطاط الخصب في البلدان الزراعية بنقص الدبال (humus) في التربة وهو نقص لا يعوضه استعمال الاسمدة الصناعية. وفي الوسع الاحتفاظ بخصب التربة قروناً بغير أن تتنكّس كما فعلت الصين مدى أربعة آلاف سنة وذلك بردّ النفاية الزراعية الى التربة . ويقابل ذلك ظاهرة « تأكّل التربة وانجرافها » وهي مشكلة تعانيها الولايات المتحدة في بعض مناطقها الزراعية ، وكذلك كندا . ولم يدرَك خطرها حق الادراك حتى الآن . ومجال التعاون الدولي في حلّ هـذه المشكلة الخاصة ببعض البلدان دون غيرها ، متسع من ناحية تبادل الحقائق العلميــة ونتائج التجريب . وتبدو المشكلة نفسها في قارَّة افريقية في ثوب آخر . فكثرة قطعان الماشية فيها ولا سيما قطعان الماعز جرَّدت مناطق كثيرة من النبات الذي يمسك التربة فجرفتها السيول . وقد بلغ هذا الفعل مرحلة يخشى عندها اتساع نطاق القفر اتساعاً سريعاً

ومن نواحي هذه المشكلة قطع أشجار الحراج لاستعمال خشبها وتحويل أرضها حقولاً زراعية بغية الفائدة المعجَّلة . فافضى ذلك الى كشف التربة ، جانباً غير يسـير من السنة ، للمطر والريح . ثم ان انتشار الصناعة قضى على غير قليل من الارض الزراعيــة لأن قيام الصناعات في منطقة ما معناه التضحية بالأرض الزراعية لانشاء المصـانع والمطارات ومدّ الطرق وسكك الحديد وفتح المناجم . ومع ذلك فقد أثبتت التجاريب في غير أرض واحدة ، انهُ اذا تمَّ الانشاء الصـناعي وما يرافقهُ وفقاً لخطة موضوعة اجتنب كثير من التبذير في قدرة الأرض على الانتاج الزراعي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

أما مصادر الطاقة فقسمان قسمٌ ينفد ولا يتجدَّد ، وقسمٌ متجدِّد على الدوام . ففي الأول الفحم والنفط والغاز الخلقي . وفي الثاني الماء المنحدر والهواء وطاقة الشمس والكحول المستخرج من الخشب . وقد كان اعتماد الناس في توليد الطاقة على القسم الاول على الاكثر . وجميع هذه الموارد تمثل حرارة الشمس مخزونة في شكل ما . على ان الفحم والنفط تولّدا في أحقاب قديمة وأحوال استثنائية من تاريخ الكرة . بينما مصادر القسم الثاني تتجدَّد على مدار السنة ، وسنة بعد أخرى . وفي الوسع استعمال الماء المنحدر في البلدان التي يغزر فيها المطر على مرتفعات ومنحدرات فيُولد طاقة كهربية . والى هذه الطاقة مرجع صناعات كثيرة عظيمة الشأن في بلاد لا فحم في أطباق أرضها مثل السويد والنرويج وجبال الالب والساحل الاميركي الغربي . والطاقة التي تولّد بفعل الماء المنحدر تنقل بأسلاك كهربية مسافات طويلة . ومع ذلك فان الطاقة الكهربية المولدة على هذا النمط لا تزيد على ١٫٢٥ في المائة من مجموع الطاقة المستعملة في أرجاء الارض كلها . ولكن في الوسع زيادتها ، وتقدَّر الطاقة التي يمكن توليدها من الماء المنحدر في جميع أنحاء الارض بثلاثمائة وعشرين مليون حصان

أما طاقة المدّ والجزر فليس مردُّها الى حرارة الشمس المخزونة بل الى جذب الشمس والقمر وهي عظيمة جدًّا ولكن استعمالها محصور في حدود ضيقة وأحوال استثنائية وقد انشئت محطة في انكلترا لتوليد طاقة كهربية من المدّ والجزر ولكنها كانت محدودة النفع فلا تولّد إلاَّ جزءًا من ثلاثة عشر جزءًا من الطاقة الكهربية السارية في شبكة الطاقة الكهربية البريطانية . والغالب ان النفقات الكبيرة التي يقتضيها انشاء هذه المنشآت هو أهم عقبة دون اتساع نطاقها

فاذا تحوَّلنا الى استعمال حرارة الشمس استعمالاً مباشراً دخلنا نطاق بحث ، تحول دون خروجه من حيز النظر الى حيز العمل عقباتٌ كثيرة . وأفضل من استعمال المرايا وما اشبه لتوليد البخار بفعل حرارة الشمس ، البحثُ في طريقة كهربية ضوئية ، او كهربية كيميائية لاستعمال طاقة الشمس في توليد طاقة كهربية . وفي هذه الحالة ، قد تصبح الصحاري الافريقية مراكز لتوليد هذه الطاقة وتوزيعها . اما حرارة باطن الارض وهو مصدر حرارة لا يكاد ينفد ، فقلما يستعمل الآن . ولعلَّ أشهر مَثَل على استعمالها هو استعمال المياه الساخنة المنبثقة من الارض في جزيرة اسلندة ، ففي عاصمة تلك الجزيرة — ريكيافيك — يستعمل هذا الماء الساخن في تدفئة البيوت . وفي شمالي ايطاليا يستعمل البخار المنبثق من الارض في تحريك مولدات الطاقة . والتوسع في هذا الاستعمال ليس متعذراً . اما توليد الطاقة من الذرَّة فلا يزال في نطاق البحث المحدود بحدود معامل الطبيعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على ان الجانب الاكبر من الطاقة التي يستعملها الناس ، يتولَّد من مصادر معدنية فما يستهلك الآن ، من الفحم والنفط كلَّ سنة يبلغ ١٣٠٠ مليون طن من الفحم و٢٧٠ مليون طن من النفط . و٥٥ مليون طن من الغاز الخلقي . واستهلاك النفط والغاز الخلقي يزداد ازدياداً مطرداً ولكن استهلاك الفحم يكاد ان يكون ثابتاً . وتفسير الحقيقة الاخيرة — اي استقرار استهلاك الفحم على قدر معين — لا يلتمس في انصراف الناس عن الفحم انصرافاً نسبيًّا الى النفط والغاز الخلقي بل يلتمس في إجادة استعمال الفحم في توليد قدر من الطاقة اكبر مما كان يولد منهُ قبلاً . فبريطانيا تولِّد الآن قدراً من الطاقة كل سنة من ١١ مليون طن من الفحم ، يعدل ما كانت تستطيع توليده في سنة ١٩١٠ من ٢٩ مليون طن . اي ان الكفاية في توليد الطاقة من الفحم زادت في بريطانيا خلال ثلاثين سنة ضعفين ونصف ضعف . ومع ذلك لا يزال هناك مجال للتحسين

والرأي عند العلماء ان موارد الفحم العالمية تكفي العالم بضعة آلاف من السنين. ولكن الحال في ما يخصُّ النفط والغاز الخلقي ليست كذلك . وهذه مسألة خطيرة الشأن لاتساع استعمال السيارات والطائرات اتساعاً سريعاً وهناك تباين في تقدير موارد النفط العالمية وأمدها ، ولكن من المتفق عليهِ ان أمد مناطق النفط محدود والتركيب الجولوجي الذي توجد فيه هذه المناطق يتصف بصفات جولوجية خاصة فلا يحتمل وجود مناطق غنية بالنفط لم تكشف بعد . على ان هناك اعواضاً من النفط كشفها العلم الحديث وهي النفط المولد من الفحم والكحول المستخرج من النبات المنبوذ بعد تخميره

ان استعمال الطاقة مسألة أساسية في جميع اعمال التعمير بعد الحرب وترقية احوال البلاد التي تأخرت في مجال الحضارة . فتحسين اسباب النقل يفضي الى زيادة تبادل الخامات ومواد الطعام وحسن توزيعها ، ويفتح الاسواق لمنتجات المصانع . وترقية نقل الطاقة الكهربية مسافات طويلة بالاسلاك يتيح توزيع المناطق الصناعية فيزيل بعض مساوىء الازدحام في المدن الصناعية ، هو الازدحام الذي بدأ بعيد استعمال البخار في الصناعة ومضى على هذه الوتيرة من ذلك الحين . ثم هناك نواحٍ كثيرة يصلح فيها استعمال الطاقة لتخفيف الاعباء الواقعة على ربات البيوت في اعمالهنَّ . وكل خطوة تخطى في رفع مستوى العيش تعني زيادة الطاقة المستعملة في الانتاج محل العمل اليدوي او نشاط الحيوان . فاتاحة الطاقة الوافية تفضي الى زيادة الانتاج وتجعل رفع مستوى العيش العام مستطاعاً

— ٤ —

تشبه موارد الفلزات ، مصادر الوقود المعدنية ، في انها لا تتجدد اذا نفدت . واستعمال الفلزات قديم ، ولكن استعمالها استعمالاً واسع النطاق لا يرجع الى عهد بعيد من تاريخنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا . فكل مخترَع صناعي جديد ، كان باعثاً على طلب معدن جديد . وبارتقاء المخترَع وانتشار استعماله في شتى البلدان يزداد الطلب عليهِ ازدياداً مطرداً عظيماً . فالمحرِّك البخاري خلق الطلب على الفحم . ومحرّك الاحتراق الداخلي خلق الطلب على النفط . وصناعة الطاقة الكهربية خلقت الطلب على النحاس للاسلاك . وصناعة الطائرات خلقت الطلب على الالومنيوم والمغنيزيوم . واذا صنع رسم بياني لمعدل استهلاك معدن ما ، اتضح منه ان الطلب عليهِ يزداد ازدياداً سريعاً لاضابط له . فليس من الفطنة التنبؤ بما يطويه المستقبل من هذا القبيل.

وقد قدّر العالم المهندس السر توماس هُلَند ان مقدار ما استخرج من باطن الأرض من المعادن في الربع الأول من هذا القرن يزيد زيادة كبيرة على كل ما استخرج منها في ستة آلاف سنة سابقة . وفي ما مضى من الربع الثاني من هذا القرن ، زاد معدل الزيادة . وبحث هذه الزيادة على اساس احصائي ، يحسب فيهِ حساب لجميع العوامل ، يشير الى ان المستخرج من الفحم تضاعف — في ما بين ١٨٦٠ و ١٩١٤ — كل سبع عشرة سنة او اقل قليلاً ، وكذلك الحديد الصب . والمستخرج من النحاس تضاعف كل اثنتي عشرة سنة . والقصدير كل ثماني عشرة سنة . أما النفط فبدأ يتضاعف المستخرج منهُ كل ثماني سنوات ونصف سنة بعد ١٨٩٠

وقد يكون من التهور ان يحكم الباحث بأن معدل هذه الزيادة سيستمر مدى قرن آخر ولكن يجب ان نذكر كذلك ، ان ارتفاع مستوى العيش الذي يقتضي الازدياد في استهلاك الفلزات والطاقة ، كان مقتصراً حتى الآن على طائفة من الأمم التي توصف عادة بالامم الغربية. فالصين لا تستهلك الاّ مقداراً يسيراً جدًّا من الفلزات بالقياس الى غيرها . وشعبها الكبير يعتمد على الاكثر ، على الموارد المتجددة ، أي الزراعية ، اكثر من اعتماده على الموارد المعدنية التي لا تتجدد . ومع ذلك فسيرها في طريق الارتقاء المعاشي ، يقتضي زيادة كبيرة في المستهلك من الفلزات والطاقة . وما يقال في الصين يقال في الهند وفي افريقية . ولذلك يصح الحكم بأن اطراد الزيادة في المستهلك من المعادن الرئيسية سيستمر

ولكن توزيع الموارد المعدنية غير متساوٍ على سطح الكرة او تحت سطحها ، ومعظم ما يستخرج من هذه المواد ، يكاد ينحصر في البلدان المطلة على شمالي المحيط الأطلسي. وتوزيع السيطرة السياسية على الموارد غير متساوٍ كذلك

ان تقدير ما في باطن الارض من ثروة معدنية ، خاضع لعوامل متعددة . فعلماء الكيمياء والجولوجيا حسبوا حساباً على جانب من الدقة لمقدار كل من العناصر في قشرة الارض حتى عمق معلوم . وحسابهم هذا يسفر عن غرائب[1] . فمقدار النيكل يفوق مقدارَ الرصاص عشرة اضعاف ومقدارَ القصدير خمسين ضعفاً الى مائة ضعف . ومقدار الڤناديوم اعظم من مقدار

(١) راجع الجداول في مقال « الوفر لا العوز » المنشور في مقتطف مارس ١٩٤٣ صفحة ٢٨٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النحاس . ولكن هذا لا يمثل بوجه ما ، مقدار ما يمكن استخراجه من عنصر ما . وقد تحول عقبات شتى دون استخراج ما نريد . فالذهب يستخرج في «الراند» بجنوبي افريقية اذا كان مقداره النسبي واحداً في ١٥٠ الفاً من الصخر . اما ركاز الحديد الذي لا يزيد الحديد فيه على عشرين في المائة فيعدُّ ركازاً غير جيد . وذلك لأن للذهب قيمة خاصة . واذن فقيمة الفلز ومشاق استخراجه من العوامل التي لا بدَّ من حساب حسابها في تقدير المتاح للبشر من فلزّ ما . والنكل على وفرته المطلقة في قشرة الارض لا يحسن استخراجه الاّ من منطقة في كندا حيث يستخرج ٩٠ في المائة من المقدار المستخرج في العالم كله . وكذلك القصدير . ومن المحتمل أن تكون هناك رواسب فلزية كثيرة لم تكشف بعد ولكن هذا الاحتمال يقل وفقاً لنقص المساحات التي مسحها علماء الجيولوجيا . ففي كندا مثلاً مناطق صخرية لم تمسح بعد لكثافة الحراج التي تغطيها . ولكن اذا صححنا الحساب على أساس ما يحتمل كشفهُ وجدنا ان معظم الزيادة في استخراج المعادن من الارض ، لن يجيء من كشف مناجم جديدة على الاكثر بل من اتقان اساليب التعدين . ولا يتسع نطاق المقال لبحثها

ولكن هناك موردٌ للمعادن لا بدَّ من الاشارة اليه . وهو ماء البحر . فتفتت الصخور وجريانها في مياه الانهار والجداول الى البحر يجعل مياه البحر غنية بالمعادن . نعم ان نسبتها في ماء البحر يسيرة جدًّا . ولكنَّ استخراجها منهُ ليس مستحيلاً . ففي هذا العهد تستخرج — مثلاً — مقادير وافرة من المغنيزيوم من ماء البحر برغم الإخفاق الذي اصاب من حاول استخراج الذهب منهُ قبل عشرين سنة من الزمان

واذا كان الجديد من موارد المعادن غيرَ محتمل على نطاق واسع ، فالاقتصاد في استعمال المتاح ، يوفِّر كثيراً مما كان يبذَّر قبلاً . وهذا أظهر ما يكون في « الحديد المستعمل » . فالصلب مثلاً يصنع من الحديد الصبّ . وكان مقدار الحديد الصبّ المستخرج من الركاز يفوق حتى سنة ١٩١٤ مقدارَ الصلب المصنوع . ولكنَّ المقدار المصنوع من الصلب ، بدأ يفوق مقدار الحديد الصب المستخرج من الركاز لأن جانباً من الصلب أخذ يصنع من الحديد المستعمل المنبوذ . نعم ان الحديد المصنوع المنبوذ لا يستعمل كله في صنع صُلب جديد ، لأن منهُ ما يصدأ ويتلف . ولكن الاعتماد على المستعمل المنبوذ من الفلزات ، أصبح بوجه عام عاملاً غير يسير الشأن في اتقاء التبذير في الفلزات . وما يصدق على الحديد والصلب من هذه الناحية يصدق كذلك على النحاس والالومنيوم والفلزات النادرة التي تدخل في صنع المخاليط الفلزية وهذا المجال لا يزال متسعاً . فكثير من القصدير ينبذ ولا يستردُّ في علب « السردين » و« البسكويت » و«التبغ» وما أشبه . ولكن ضرورات الحرب علمت الأمم اتقاءَ هذا التبذير . ولعلَّ هذا الاتجاه يستمرُّ بعد انتهاء الحرب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتقدم الصناعة افضى الى زيادة الطلب على معادن نادرة . ففي الصناعات الكهربية تشتدُّ الحاجة الى معدن « المَيْكا » وفي الصناعات الهندسية الى عناصر تخلط بالحديد والصلب فتنشىء مخاليط قاسية تتصف بصفات خاصة كمقاومة الحرارة العالية وما اشبه . ومن هذه العناصر النكل والتنغستن والمولبدنيوم والكوبلت والفناديوم وغيرها . والعلماء لا يعرفون معرفة دقيقة ما يوجد من هذه العناصر في قشرة الأرض متاحاً للمعدّنين . ولكن يقال بوجه عام ان الرواسب التي توجد فيها هذه العناصر يسيرة ومحصورة في مناطق قليلة . والبحث العلمي متجه الآن الى كشف اساليب تمكن رجال الصناعة من الاقتصاد في استهلاك هذه المواد او استرداد المستعمَل المنبوذ منها . وليس ثمة ريب في أن صنع السلاح زاد المستهلك والضائع منها زيادة كبيرة

على ان الركازات الفلزية ليست المعادن الوحيدة التي لا غنى عنها في قيام الاجتماع الحديث . فهناك مثلاً الأسمدة الطبيعية اللازمة للزراعة كنترات شيلي ومركبات الفصفات . وقد اجتنب النقص المطرد في نترات شيلي بكشف طريقة علمية صناعية لتثبيت النتروجين وصنع الأسمدة بالتركيب الكيميائي . فجنِّب العالم خطر المجاعة التي تنبَّأ بها بعض رجال العلم في أواخر القرن الماضي . والبلاد التي يكثر فيها توليد الطاقة الكهربية من الماء المنحدر تستطيع أن تستغني بالسماد الصناعي عن الطبيعي المستورَد . ثم هناك طريقة زراعية من شأنها تثبيت النتروجين في التربة نفسها ، فتقيها الضعف وهذه الطريقة قائمة على حسن استعمال الفصيلة البقلية في الزراعة. وبحث هذا الموضوع من جميع نواحيه يستغرق فصلاً مسهباً أو فصولاً مسهبةً . ولكنَّ ما تقدم يكفي للتمثيل على ما نريد . على ان هناك مثلاً واحداً لا نستطيع اغفالهُ وهو مثلٌ على احلال مادة مصنوعة محلَّ فلز طبيعي . وهو مثل الراديوم . فقد تمكن العلماء من صنع عناصر كثيرة تشعُّ مثل اشعاع الراديوم وقد صنعوها بأسلوب الجهاز الرحوي فيستطاع استعمالها محلَّ الراديوم النادر الغالي في الطب على وجه خاص ١

ان ضرورة الاقتصاد في استعمال الموارد الطبيعية التي لا تتجدَّد اذا نفدت ، تشير الى وجوب إحلال موادَّ مصنوعة من موارد متجددة محلَّ المواد المصنوعة من موارد غير متجددة ، متى كان ذلك متاحاً . فاستعمال الفلزات في صناعة الاثاث محلَّ الخشب بغير سبب قاهر خطوة الى الوراء من هذه الناحية . وقد يبدو ان خواص الفلزات تجعل إحلال الخشب محلها مستحيلاً . وهذا صحيحٌ بوجه عام . ولكن صناعة المعاجين الحديثة فتحت آفاقاً جديدة لا يكاد يكون لها حدود . وقد صنعت منها موادُّ واشياء كثيرة تبعث على العجب والاعجاب بما تتصف بهِ من متانة وجمال وتعدُّد وجوهِ الاستعمال . فقد صنعت منها اجسام طائرات وكرات محاور ، كما صنعت منها اقلام ومقابض وعلب وموائد . ولعلَّ صنع « كرات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المحاور » من العجائن الكيميائية أغرب ما يستوقف النظر فهي تتحمل الضغط على أوفى وجه فتحلُّ محلَّ الكرات المصنوعة من الفلزات وعمرها أطول من عمر الكرات الفلزية ، وهي تملّس بالماء لا بمشتقات النفط ، فيوفّر النفط لاعمال اخرى

— ٥ —

كلٌّ من يتأمل في عجيبة النموّ النباتي لا ينقضي عجبهُ . ها هي ذي نبتة « دوار الشمس »، تفرخ من بزرة وتبلغ في بضعة اسابيع او بضعة اشهر بضع أقدام، مستمدَّة نموّها وعناصر حياتها من ثاني اكسيد الكربون في الهواء وما في الماء والتربة من أملاح . وتركيبها الكيميائي تركيب معقَّد . ففيها ألياف الخشب وزيوت ومواد ملوّنة واخرى عطرية . فالنبتة تنشىء كلَّ هذا من الماء والهواء والتراب ، بفعل ضوء الشمس والمواد الوسيطة Catalysts التي تتولّد فيها . والمركبات التي تتركب في جسم النبات ، لا يمكن تركيبها في المعامل الكيميائية إلاّ بتأثير فواعل قوية وحرارة عالية وربما ضغط عالٍ كذلك . فالاحتفاظ بالموارد الطبيعية الزراعية التي تتجدد ، وتعزيز الاعتماد عليها في كثير مما يحتاج اليهِ الناس ، وفي الحلول محل ما يصنع من الموارد المعدنية التي لا تتجدَّد ، يحتّم على العلماء أن يعززوا قوة التركيب الحيوي هذه التي تتصف بها النباتات ، بالتأصيل والانتخاب والعناية . ويذهب فريق من العلماءِ الى ان ما أصيبت بهِ الهند في زراعة النيلة ، نتيجة لصنع الأصباغ الكيميائية ، كان اجتنابهُ ممكناً لو وُجِّه البحث العلمي الزراعي ، الى تأصيل نبات النيلة الهندي . فلما نشبت الحرب العالمية الاولى وانقطع الصادر من الأصباغ الالمانية انتعشت زراعة النيلة في الهند

وهنا مواد كثيرة نافعة يمكن الحصول عليها ، بالاعتماد على فعل الاحياء المجهرية . فهذه الأحياء تخمر طائفة من المواد فيصنع الخل والكحول . وبالاعتماد على غيرها يمكن الحصول على مواد أخرى كالغليسرين والاسيتون والحمض النتريك وغيرها . ومن هذه المواد ما هو لازم لصناعة العجائن الكيميائية . ولا يخفى ان رُبَّ الخشب يستعمل في صنع الورق وكثير من العجائن الكيميائية والخيوط الكيميائية كالحرير الصناعي وغيرها ، واتساع نطاق هذا الاستعمال افضى الى قطع الشجر في حراج كثيرة ، حتى جردت الارض وتجدد الخطر على موارد الخشب وعلى مصير التربة . فغدت سياسة التحريج امراً لا مفر منه لاتقاء هذا الخطر

واذن فالبحث الزراعي والتنظيم الزراعي لا غنى عنهما في جني اعظم فائدة من التربة والاقليم أي من موارد الطبيعة التي يمكن تجديدها سنة بعد سنة . وهذا يقتضي تعاوناً دوليًّا وثيقاً وواسع النطاق . ويجب ان يساوقهما كذلك سيطرة دولية قائمة على التعاون ، على الموارد المعدنية . أما ما يكون القالب الذي يفرغ فيهِ هذه السيطرة وهذا التعاون فقيد البحث الآن ولا يتسع له هذا المقال على كل حال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحقل والصناعة

علم استخراج المواد الصناعية
من منتجات الحقول

أقبلت شعوب الشرق الأقصى ، ولا سيما سكان الصين ومنشوريا ، من قرون على زراعة « فول الصويا » ، الذي أطلق لينيوس عليهِ اسمهُ العلمي غليسين هسپيدا Glycine Hispida فغدت حبوبهُ مورداً لطعام سكان اسيا الغربية في منزلة موارد الخبز واللحم والدهن جميعاً . اما في اوربا وأميركا ففضل الناس الحنطة والذرة والشعير، في المقام الاول . وفي مستهل القرن التاسع عشر بدأ الأميركيون في الولايات المتحدة يزرعون فول الصويا ، ولكنهم لم يصنعوا منهُ طعاماً بل صنعوا منهُ علفاً للمواشي ، او حرثوه في الأرض لتسميدها بهِ . وقد بلغت المساحة المزروعة « فول صويا » في الولايات المتحدة الاميركية بحسب الاحصاء الاخير اربعة عشر مليون فدان (ايكر)

ولكن أصحاب العلم الجديد — علم « الكيمرجي » اي استخراج مواد للصناعة من منتجات الحقول — وجهوا النظر الى ان حبوب هذا الفول كنزٌ لا يفنى . ففيها طاقة يجهز بها من يأكلها ، وفيها مواد كثيرة تصلح لشتى الصناعات . واذا كان الكيميابي الزراعي والصناعي في هذا العصر ، لا يحيط عمله كالكيميأبي القديم ، بألوان السحر وضروب الخفاء ، ولا يحاول أن يحوِّل المعادن السخيفة الى معادن ثمينة ، فإِنهُ عند ما يستخرج حريراً من خشب الشجر ويصنع ابواباً وصوفاً من بروتين فول الصويا ، يصغر في جنب عملهِ ، عمل جميع الكيميائيين الأقدمين

والنتائج التي يسفر عنها بحث الباحثين في هذا الميدان العلمي الجديد ، في فترة قصيرة ، لاتبدو سريعة ولا تستوقف النظر . ولكن اذا أحصي ما تحقق منها خلال السنوات العشر الاخيرة ، ثبت انها خطوة عمرانية عظيمة الشأن لا تقوَّم بمال ، لانها سبيل جديد الى استعمال الموارد الطبيعية المتجددة سنةً بعد سنة ، واحلال منتجاتها محلَّ بعض الموارد التي لا تتجدد اذا نفدت . فتأثيرها في العمران مزدوج ، فهي تتيح للناس ما لم يكن متاحاً لهم من قبل ،

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

وهي تغني عن معادن آخذة في النفاد ، فتضعف من حدة التنافس الدولي على حيازتها

والأصل في هذه النهضة العلمية الزراعية الصناعية في ما يتعلق بهذا الفول ، هو جزيء البروتين في حبة « فول الصويا » . وكلٌّ من طالع كتب التغذية يعلم ان البروتين مصدر من أعظم مصادر الطاقة . ودقيق فول الصويا نصفهُ بروتين ، تؤيده مواد اخرى مثل الدهون والمعادن اللازمة والڤيتامينات، ومادة « الليسيثين » وهي لازمة للاعصاب وللاعضاء الحيوية. اما النشاء فقليل فيهِ، وهذا مستحسن لأن اكثر الناس يكثر من تناول النشاء في الخبز والرز والبطاطس وما اشبه

وهذه العناصر مركبة تركيباً متزناً في حبة فول الصويا ، حتى ليصح ان توصف بانها غذاءٌ طبيعيٌّ قائم بذاته . وقد استعملت في المانيا عنصراً اصيلاً في جراية الجنود الفاتحة . وفي سنة ١٩٣٨ اصدرت القيادة الالمانية العليا كتاب طهي للجيش يحتوي على مائتين واثنتين وستين وصفة لطهي فول الصويا . ووزارة الزراعة الاميركية أصدرت كتيباً من هذا القبيل، ومما جاء فيهِ ان إضافة دقيق فول الصويا الى دقيق الحنطة ، يزيد مقدار البروتين ويقلل مقدار النشاء ، ويجعل العجين أصلح للخبز ، وأطيب طعماً . ومكتب الكيمياء بوزارة الزراعة الأميركية قال في نشرةٍ ، ان اضافة عشرين في المائة من دقيق فول الصويا الى دقيق الحنطة يزيد مقدار الجير في الخبز ويجعل البروتين أيسر هضماً . ويحتفظ الخبز بطراوته يوماً كاملاً أكثر مما يحتفظ بها خبز الحنطة . ويصلح دقيق فول الصويا لجميع أصناف الكعك والرقاق وعلى وجهٍ خاص لصنع خبزٍ حسن النكهة للمصابين بالديابيطس (البول السكري)

واذا كانت شعوب آسيا الغربية قد غذت شعوبها بفول الصويا ألوفاً من السنين — وصفت الكتابات الصينية هذا الفول ثلاثة آلاف سنة قبل التاريخ الميلادي — ، فإن الشعوب الصناعية اخذت تغذي « مكناتها » بهذه الحبوب . فالألمان يحاولون استخراج زيت (دهن) منهُ يحلُّ محلَّ النفط في محركات ديزل . والروس كشفوا أسلوباً لاستخراج بروتين الفول لاستعماله في كل ما يستعمل فيهِ البروتين . ومادة الليسيثين تصلح المزج بأصناف البنزين الجديدة . و « فورد » يصنع منه هياكل شبابيك ، ومقابض أبواب ، وأجزاءً كثيرة من أجزاء السيارات . وفي أحدث الأخبار ان الكيميائيين التابعين لهُ صنعوا منهُ أبواب السيارات ، كما صنعوا منهُ صوفاً يصلح لحشو الوسائد والمقاعد ، ونسج الملاءات والأقمشة ، ودهاناً يُدهن به الخشب والحديد (كالورنيش) . وهناك فريق من العلماء معنيٌّ الآن بكشف أساليب لتحويل جزيئات البروتين المستخرجة من فول الصويا الى مطاط وقد صنع منهُ مطَّاط أطلق عليهِ اسم « نورپول » Norepol

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهدف الليلة ...

كيف تنظم الغارة الجوية

ملخص من كتاب « قيادة القاذفات » (١)

١ — السيطرة على الاعمال الحربية وتوجيهها

لو عمدنا إلى وصف كل غارة شنَّتها القاذفات البريطانية على ألمانيا ، لتحوَّل هـذا الفصل كشفاً مُمِلاً بالغارات ومواعيدها . فأعظم الغارات حظًّا من النجاح ، هي الغارات التي لا تحدث فيها حوادث تستوقف الأنظار . وخير رجال الطائرات هم الذين يطيرون بقاذفتهم الفتَّاكة في خفية عن الأبصار ، الى الهدف فيقذفونهُ بقنابلها ، ثم يعودون الى قاعدتهم في سكون الليل . وجميع غارات القذف متشابهة في أصولها ، سواء كانت موجهة الى كولون أو هانوفر أو بريمن أو برلين أو أي مركز آخر من مراكز الصناعة الألمانية والانتاج الحربيّ . والغرض هو إلقاء القنابل على الهدف الأول ، واذا تعذَّر ذلك فالقاء القنابل على الهدف الثاني الذي يُعيَّن لهم . وفي جميع هذه الحالات ، تحمل الطائرات القنابل ، ويحركها رجال خاضعون لأوامر صادرة اليهم وفقاً لنظام معين . وجميع الرجال يسيرون على أسلوب واحد في تنفيذ الأوامر الصادرة اليهم ، وهو أسلوب تعلموهُ وتدرَّبوا عليهِ خلال أشهر من التمرين . وجميعهم يواجهون العقبات نفسها ، من ريح وظلام وتقلّب الجوّ ، ونجاحهم أو فشلهم يقاسان بمقاييس واحدة

وقيادة القاذفات في سلاح الطيران البريطاني مقسومة « جماعات » . منها جماعات الخط الأول ومنها جماعات التدريب على الأعمال الحربية . وهي متصلة بخطوط مباشرة ، بالقيادة — قيادة القاذفات — حيث يقيم القائدُ الأعلى وهيئة أركان حربهِ . ومن الجماعات التي تتولى الأعمال الحربية ما يوجهُ الى الأعداءِ ليلاً وبعضها يوجَّهُ اليهم نهاراً . ولكن في أشهر الحرب الأولى ، قبل الشروع في الغارات الليلية ، كانت جميع الجماعات تخرج في أثناء النهار

(١) كتاب رسمي أصدرته وزارتا الاخبار والطيران في بريطانيا قبل سنة ونصف سنة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكل جماعة مقسمة « محطات » ، وكل محطة تشمل مطاراً أو أكثر من مطار . أما أصناف الطائرات المستعملة ، فتختلف باختلاف الجماعات

والنجاح في جميع غارات القذف مرتبطة بالتعاون الوثيق بين الضباط الذين يتولون قيادة الجماعات والقائد الأعلى لقيادة القاذفات . وهؤلاء الرجال على اتصال دائم . ومع أن القرارات الأخيرة من حق القائد الأعلى ، بحكم الطبع ، إلاّ أن القواد الذين يلونهُ مباح لهم مدى كبير في كيفية تنفيذ الأوامر . وقواد الجماعات يعنون كلَّ يوم بتحقيق مبلغ قوة جماعاتهم وإنباء القيادة العليا بها لكي يبقى القائد العام مطلعاً اطلاعاً دقيقاً ، على عدد ما في قيادتهِ كلّها من طائرات وعدد كل طراز منها ، في وقتٍ ما

هذا الاتصال الوثيق بين أصحاب السلطة في قيادة القاذفات ، يهيِّئ تنفيذ خطةٍ مرنة ، وضعت على قواعد تجعل اجراء كل تغيير فيها مستطاعاً في سرعة وبغير أن ينشأ عنهُ اضطراب ما . وقد أحكم وضع هذه الخطة إحكاماً ، وجعلت قابلة للملاءمة للأحوال ، بحيث لا يحتاج القائد ، إلاّ الى الضغط على زرٍّ ، لكي ينطلق المدفع الذي سدّد الى العدو . أما كيف يضغط هذا الزرّ أي كيف يُصدر أوامرهُ لشنّ غارة على المانيا فسيجيء ذكره بعد قليل

إن عمل قسم « المخابرات » في قيادة القاذفات ذو شأن عظيم ، لأنهُ يتيح للقائد العام حقائق ومعلومات يحتاج اليها ، عند ما يضع برنامج الغارات . وضباط هذا القسم عليهم أن يستخرجوا ويحفظوا حقائق عن كل موضوع متصل بالاعداء ، ويتعيَّن عليهم أن يكونوا أبداً مستعدين لعرض هذه الحقائق حالاً أو بعد فترة يسيرة ، على القائد العام . وهم على اتصال بوزارة الطيران . يطلعون على توجيهاتها ، ويعرفون سياستها العامة في استعمال القاذفات ، في فترة ما . فيستطيعون أن يستشفوا لون الحقائق التي تطلب منهم قبل أن تطلب . فاذا كانت مصانع العدو البحرية ، هي هدف الغارة التالية ، فانهم يستعدون لذلك بجمع كل ما يستطيعون الحصول عليه من معلومات عن هذه المصانع في شتّى الموانىء . واذا كانت توجيهات الوزارة تشمل مصانع النفط أو محطات توليد الطاقة أو مصانع الطائرات ، فانهم يعدّون المعلومات المتاحة عن هذه الأهداف

وكل هدفٍ من هذه الأهداف التي في كشف الوزارة له ملفٌ خاصٌ يحتوي على خارطة وصور ضوئية ورسوم وحقائق عن مدى الانتاج ، والأعلام التي يستطيع الطيارون الاهتداء بها للوصول الى هدفهم ، ومذكرات عن أعمال الدفاع وقوتها أو ضعفها . ولكلّ ملفّ نسختان تحفظان في حجرة الاعمال الحربية ؛ وفي مقر القيادة ، وهناك علاوة على ذلك ، فهرس تامّ سجلت فيه أسماء الاماكن وطبيعة الأهداف في كل بلدٍ أو موقع في المانيا . وقسم « المخابرات » على اتصال دائم بقسم « الخطط » في قيادة القاذفات ووزارة الطيران ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبالقيادات الأخرى في سلاح الطيران الملكي ، وبوزارة البحرية عن طريق ضابط الاتصال البحري ، وبمصلحة « المخابرات » في وزارة الطيران

٢ — في حجرة الأعمال الحربية

ولندخل اولاً مع القائد العام حجرة الأعمال الحربية في مقر قيادة القاذفات الساعة التاسعة صباحاً. هنا في مكان تحميه طبقات كثيفة من الاسمنت المسلح تحت أكمة من التراب المعشوشب ، يصدر الأمر بالغارة المقبلة ، وسواء أصحواً كان الجو في الخارج أم ماطراً ، فداخل هذه الحجرة مضاء بضوء لطيف غير متقلب كأنهُ ضوء يوم من أيام الربيع وهو منبعث من عاكسات مركبة في أعلى حجرة مستطيلة عالية حسنة التناسب . وهي مجهزة بأجهزة تضبط الهواء. وأرضها مغطاة بطبق من المطاط. وليس لها إلاّ باب واحد. هذا الباب والسلم المفضي اليه يحرسهما حارس لا يسمح لأحد ، داخلاً كان أو خارجاً بالدخول أو الخروج بغير ترخيص خاص

على الجدار الرئيسي أمام الباب ثلاثة ألواح سود ارتفاع كل منها نحو ثلاثين قدماً وعرضهُ عشر اقدام . وعلى هذه الألواح « بيان القتال » وما على القائد العام إلاّ القاء نظرة عليها ليعلم ما قوة كل جماعة ، وما مكان كل سرب من أسرابها، وما مجموع الطائرات المتاحة للعمل

خصَّ اللوح الايمن بالأعمال الحربية الجارية . هنا بيان بأسماء الجماعات التي تقوم بعمل ما، والاهداف التي اختيرت للاغارة عليها في الليلة السابقة . وتكتب الحقائق على هذا اللوح بنوعين من الطباشير . أحدهما أصفر يبين ما تقرر عمله. والثاني أحمر يبين ما أنجز من الاعمال. أما الحقائق المدوَّنة على اللوحين فمكتوبة ، بمداد أبقى من الطباشير . وهي تعدَّل مرَّة كلَّ أربع وعشرين ساعة لكي تبقى مجارية لسير الأعمال. ويعلو هذه الألواح — وهي تشغل جداراً كاملاً — ساعةٌ ، وتحتها تقويم يبدي التاريخ في حروف كبيرة وأرقام

اما الجدار الأيمن في هذه الحجرة المستطيلة فتغطيه خارطة كبيرة للظواهر الجوية تدل على حالة الجو . وهي تعدَّل مرة كل ثماني ساعات وفقاً لحقائق الأرصاد الواصلة الى القيادة . والى جانبها لوحة تبين اوجه القمر ، طوال الشهر . ويقابل هذا على الجدار الأيسر خارطة مقياسها $\frac{1}{8000000}$ لشمال اوروبا تبين الأهداف الرئيسية . ومواقعها محدَّدة بدبابيس لصقت بها رقع صغيرة ملوَّنة، وعلى كل رقعة كتبت « الشفرة » أي العلامة السرية الخاصة بذلك الهدف وعلى الجدار الخلفي خارطة من قبيلها تبين الاهداف الرئيسية في ايطاليا

إلى يسار الباب ، وعلى مسافة يسيرة من الجدار ، مكاتب الضابط المراقب ، والنوبتجية. وأجهزة التليفون التي على هذه المكاتب تصل مقرَّ القيادة بقيادات « الجماعات » وبوزارة الطيران

وفي الزاوية إلى اليمين مكتب يجلس اليه ضابط بحري ملحق بقيادة القاذفات . ومهمتهُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يشير على القائد العام في جميع المسائل البحرية ، ويعرض عليه آراء الأميرالية . وهو من رتبة « كابتن » في الاسطول وله مساعدان ، أحدهما مقرهُ على الغالب مع « الجماعة » التي تتولى العمل ضدَّ سفن الأعداء والثاني مقرُّه مع الجماعة التي تتولى مهمة بذر الألغام . وهناك كذلك ضابط من الجيش ينهض بمهمة الاتصال بين القائد العام لسلاح القاذفات والجيش البريطاني في الجزائر البريطانية.

وفي وسط الحجرة إلى اليسار، يقوم مكتب القائد العام . وعلى مقربة منهُ ثلاث موائد، مركبة على محاور فيسهل تحريك الموائد لتكون عمودية الوضع أو أفقيتهُ . وعلى أولاها سمّرت الخارطات الخاصة بأعمال الليلة . ثم هناك صورة عامة لمنطقة « الرور » مركبة من صور متعددة صغيرة . وعلى المائدة الثانية خارطة كبيرة لقارة اوربا تبين الطرق إلى شتى الأهداف، وكذلك المواقع التي يحتمل أن تعترض قوتها المطاردات الألمانية القاذفات المغيرة، او الأماكن التي تحرسها هذه المطاردات بدورياتها والحقائق الموضحة على هذه الخارطة تغيَّر مرَّة كل أربع وعشرين ساعة وفقاً للبيانات التي تعدها وزارة الطيران وترسلها إلى القيادة . وعلى هذه المائدة كذلك عددٌ من خارطات الأهداف وهي مجمَّعة حول خارطة كبيرة تبين مواقع تلك الأهداف . أما المائدة الثالثة ، فعليها رسوم بيانية ، يستخرج منها بلمحة ، عدد الغارات التي شنَّت على طوائف معينة من الاهداف . وهناك خارطة لبرلين وصور ضوئية مكبرة لأكبر الأهداف شأناً

٣ — أهداف الليلة

يجلس القائد العام الى مكتبه ويراجع مراجعة سريعة الحالة ، كما تستخرج عناصرها من تقارير الليلة السابقة ، ومن الحقائق التي تتصل به شفهياً من كبير اركان الحرب ، وقائد « الجماعة » الذي تولى الأعمال الحربية . ان نوع الهدف الذي هو جم معروف . فقد اختارتهُ وزارة الحرب وهي التي تعيّن الاتجاه الرئيسي في الهجوم الجوي . وتنشر وزارة الطيران توجيهات في الحين بعد الحين مبنية على قرارات وزارة الحرب . وعلى عاتق القائد العام لقيادة القاذفات ، يقع الواجب وتلقى التبعة ، في تنفيذ هذه التوجيهات . ولكن قبل ان يتمكن من تعيين الأهداف لليلة التالية عليه ان يستشير خبراء الظواهر الجوية» لأن اختياره مرتبط بحالة الجوّ ودرجة الرؤية . وهؤلاء الخبراء موظفون مدنيون في وزارة الطيران ، ويلحقون بجميع « الجماعات » و« المحطات » التابعة لقيادة القاذفات . ورئيسهم ينتظر القائد العام ، قرب خارطة الظواهر الجوية . وليس في وسع هذا الخبير دائماً أن يضع قراره النهائي في الساعة التاسعة من الصباح عن حال الجو كما ينتظر ان تكون في الليل المقبل ، ولكنهُ يستطيع أن يتبين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاتجاه العام فوق منطقة ما أو أكثر. والتقدير النهائي يعمل أحياناً في الساعة الرابعة مساء، بعد اتصال يتم ظهراً بالتلفون، بين خبراء الظواهر الجوية الملحقين « بالجماعات » المختلفة

وليس بالنادر ان يعين القائد العام مناطق أخرى للاغارة عليها، غير منطقة الأهداف الرئيسية وأن يصدر امره باعداد الخطط اللازمة لمهاجمة أهداف في هذه المناطق، لأنه اذا كانت حالة الجو متقلبة، فقد يحتفظ بقراره الأخير، الى ان يتلقى البيان الأخير عن الحالة الجوية. فهو يختار في المؤتمر الذي يعقده الساعة التاسعة صباحاً، هدفاً رئيسيًّا وهدفاً ثانويًّا، على ان لا يهاجم الثاني الا اذا جعلت الحالة الجوية مهاجمة الأول متعذرة. ولا يختار للهدفين الأول والثاني، الا مواقع تصح الاغارة عليها بنوع واحد من القنابل، لأن تغير نوع القنابل التي تحملها القاذفة قد يفضي الى عرقلة تحميلها بالقنابل ويؤدي الى تأخير

يلقي الخبير بالظواهر الجوية، محاضرة قصيرة عن حالة الجو، وقد تستغرق المحاضرة خمس دقائق. وهو يتوخى فيها الدقة على قدر ما تسمح بهِ مسائل الموضوع. ثم انهُ لا يقصر كلامه على حالة الجو في الطريق الذي ينتظر أن تسلكهُ الطائرات، بل يعالج كذلك حالة الجو المنتظرة فوق المطارات البريطانية عند عودة الطائرات من غارتها اليها. ويعود القائد العام الى مكتبهِ وقد اتخذ قراره عن المناطق التي تحتوي أهدافاً تصلح لغارات الليل المقبل. وقبل أن يعين الأهداف بالذات، قد يطلب ما عند « ضابط المخابرات » وقائد « الجماعة » النولي الاعمال الحربية، ويؤتى اليهِ بصور ضوئية لمختلف الأهداف. ثم يتخذ قراره

وبعد ان يتخذ قراره يدور البحث على عدد القاذفات التي يجب أن تشترك في الغارة. وفي اثناء ذلك يكون « المراقب » قد بدأ يتصل « بالجماعات » ولا تنقضي دقائق حتى يكون قد عرف معرفة دقيقة عدد الطائرات المتاحة للعمل في كل جماعة، ويعرض نتيجة بحثه على القائد العام، فيقرر عدد ما في القوة المهاجمة من قاذفات ضخمة ومتوسطة. ثم أخيراً يبحث مع كبير ضباط أركان الحرب عدد الطائرات التي يمكن توجيهها الى كل هدف

بعد الفصل في هذه المسألة، يأخذ القائد العام رقعة طبعت عليها عبارة: « توزيع القائد العام اليومي للأهداف »، فيكتب على هذه الرقعة « شفرة » الاهداف التي تجب الاغارة عليها وعدد الطائرات التي تشترك فيها من كل جماعة ونسبة القنابل المحرقة الى المتفجرة في أحمال الطائرات. وهذه الرقعة هي الامر الكتابي بالغارة. فيأخذها « المراقب » ويصدر الأوامر اللازمة الى الجماعات. ثم يعود القائد العام الى مكتبهِ. وقد استغرق العمل ساعةً، وهي ساعة من حقهِ فيها اذا شاءَ، أن يضع الخطط لتوجيهِ أيّ جزء من قوة القاذفات المتاحة لهُ أو القوة كلها الى الهدف الذي يختاره

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤ — مقر قيادة الجماعة

فلينتقل المشهد الآن الى مقرّ قيادة الجماعة هنا على حاشية بلدة في مقاطعةٍ ما ، يتلقى الضابط قائد الجماعة اوامره وهي ترسل اليه على خط تلفوني مباشر بالمكتاب البرقي فيعلم منها عدد ما يتعين عليه إرساله من طائراته في غارة الليلة ، وهو يقرّر عددما يستعمله من أسراب وإلى أي المحطات تستند . ويعاد هنا ، على صورة اصغر ما حدث في مقرّ القيادة العامة . فقيادة « الجماعة » ترسل الاوامر وتبين الأهداف لقواد المحطات التي تختار للاشتراك في اعمال الليلة المقبلة . ثم يجتمع خبراء الظواهر الجوية في مقر « الجماعة » وفي « المحطات » ، ويعقدون مؤتمراً بالتلفون . ومقر قيادة المحطة لايختلف الا في صغر نطاقه ، عنهُ في مقرّ قيادة الجماعة . فقائد المحطة وهو برتبة «قائد جماعة» يستدعي « قائد السرب» وضابط الأعمال الحربية ، ويعيد عليهما الاوامر التي تلقاها .وتكون المواقع التي يجب ان تسدّد اليها القنابل في الاهداف مبينة جاهزة لأعمال الليل

أما قائد السرب فيواجه مشكلة واحدة رئيسية : كيف الوصول الى الهدف المطلوب من أسهل سبيل والتعرف عليه . وهذا مرتبط في المقام الأول بحالة صفاء الجو أي « درجة الرؤية ». هل الليل مظلمٌ غائم ؟ ففي هذه الحالة قد تضطرّ الطائرات أن تحوّم مدى ساعة فوق منطقة الهدف قبل أن يستوثق رجالها من انهم وجدوا ضالتهم . ثم هناك مسألة المسافة بين القاعدة والهدف . إذ لا بدَّ للطائرة من أن تحمل مقداراً من الوقود يكفيها للذهاب والاياب والمدة التي تقضيها فوق منطقة الهدف ، ثم لاحتمال عودتها الى مطار أبعد من مطارها الأصلي اذا كان هذا محجوباً بالغيم او الضباب . ومما يؤثر في مقدار ما تحمله الطائرة من الوقود ، الطريق الذي تسلكه الى اهدافها . وهذا الطريق ليس عادة أقصر طريق ، لأن القاذفات المغيرة يجب ان تجتنب على قدر الامكان مناطق ركّزت فيها الأضواء الكشافة والمدافع المضادة . وفي الطريق الى شمال المانيا منطقة تعرف بين رجال سلاح الطيران البريطاني باسم «ممر الأضواء الكشافة» ولا بدَّ من ان يحسب حساب هذا الممر كل مرة توجه فيها غارة الى أهداف في همبورج أو برمن أو غيرها

تعين « قيادة الجماعة » في أمرها الصادر الى المحطات مقدار ما تحمله الطائرات من قنابل ، ولكن لقائد المحطة ان يخفض الحمل اذا رأى وجوب ذلك لأسباب محلية . ولا بدَّ من القول انه من الصعب ، ان لم يكن من المتعذر ، تغيير حمل الطائرة من القنابل ، بعد صدور الامر بتعيين الهدف وتحميل الطائرة ، اذا كانت المدة المتاحة لذلك قصيرة . لأن ذلك يقتضي تغييراً في مقدار الوقود وكمية القنابل ووزنها . وهذا لا يتم في بضع دقائق ، واذا تأخر القرار ، فقد يعني القاء قنابل على هدف ما ، لا يوافق الهدف الذي تلقى عليه [للوصف تتمة]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أحلام أندلسية

لزكي المحاسني

ما ذكرت الأندلس الا ّ تمثلت سماء ما طاولتها سماء ، تعلقت في أجوازها كواكب ونجوم ، والتمعت فراقد . ثم دار الفلك دورته ، فتجهم وجهه واربدَّ أنسه ، فاذا هو شامس قد بدل اللآلىء والدراري بالظلام الطامس والليل الدامس ، والحنادس

ما يوم قرطبة وعهدها الزاهر ، ما قومها العظماء الأكابر ، ما مصرعها القاهر . أفلا يزال فيها نهر الوادي الكبير يموج ماؤه ، وتعبق على ضفتيه الطيوب وهو يروي البساتين النضرة ، والرياض الزاهرة . أين مسجدها الأكبر وقد كان جامعة العلوم العربية وورد الغرب الظامىء . هيهات لقد ذوت أزاهيره ودرست معالمه . وأين طليطلة ونهرها تاجة ، واشبيلية ومجونها ولياليها المزرية بالانهار . وما خبر غرناطة ؟ ؟

كنت أمس أقرأ في كتاب ألفه « إميلو القنطرة » وهو أديب إسباني من اواسط القرن التاسع عشر لعله كما يشير لقبه كان عربيًّا قبل بضعة جدود . سمى كتابه « الكتابة العربية المنقوشة في غرناطة » . وجدتهُ يسمي غرناطة بدام الاندلس ويقول عنها : « انها حاضرة الصقع وأم المصر وبيضة ذلك الجو لحصانة وضعها وطيب هوائها ودرور مائها ووفور مدتها وهي مأمن الخائف » .وقف هذا الاسباني على مشرب بناه أبو الحجاج يوسف بن أبي الوليد ابن نصر عام تسعة وأربعين وسبعمائة قرب دهليز السفراء في قصر الحمراء فوجد مكتوباً فوقهُ

فقت الحسان بحليتي وبتاجي ... وهوت اليَّ الشهب في الابراج

يبدو اناء الماء فيَّ كعابدٍ ... في قبلة المحراب قام يناجي

من جاءني يشكو الظماء فوردي ... صرف الزلال العذب دون مزاج

وفي ساحة الأسود قد نقش من هذا الشعر قول شاعر :

ألم تر ان الماء يجري بصفحها ... ولكنها سدت عليه المجاريا

كمثل محب فاض بالدمع جفنه ... وغيض ذاك الدمع اذ خاف واشيا

وهل هي في التحقيق غير غمامة ... تفيض الى الآساد منها السواقيا

وقد أشبهت كف الخليفة اذ غدت ... تفيض الى أسد الجهاد الأياديا

فيا من رأى الآساد وهي روابض ... عداها الحيا عن أن تكون عواديا

وفي استغراقة حنان تجلى لي في قصر الحمراء دار الريحان وبركتها فرأيت البرج الكبير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبين يديه القبة الصغيرة قد ارتفع على قوائم وانسرح عن جانبيه رواقان في بَرْد ظلالها أشجار وقد استحم خيال كل ذلك في بركة متمادية في الطول متناجية الصفصاف. لقد رأيت في عالم الوهم قصراً ورواقين وشجراً. حلم لا يلبث أن يتكسر ويزول حين يُلقى في صفحة البركة بحجر. وغرفة السفراء، ومطفرة الماء وعَمَد القصر موسيقى بناء وعمارة تعزف أبداً لحناً عربيّاً مرمريّاً متوجاً بالنقوش المنمنمة المتفة. والحنايا وكأنهن أضالع الزمن الباكي ما تزال لها زفرة على المجد الاندلسي الآفل وقد كتب عليها بالخط الكوفي (لاغالب إلاّ الله)

لقد طوفت بكل هذا حتى أتيت عليه فكانت حسراتي مسكوبة على أحجار القبور حيث يرقد ملوك غرناطة وقد كتب على جدار ضريح منها مرثية لأبي الحجاج منها قول شاعرها

يحييكَ بالريحان والرَّوْح من قبرِ رضى الله عمن حل فيك مدى الدهرِ
ولست بقبر انما أنت روضة منمّمة الريحان عاطرة النشر
لقد حطّ فيك الرحل أيُّ خليفة أصيل المعالي غُرة في بني نصر
هو الدهر ذو وجهين يومٍ وليلة ومن كان ذا وجهين أمعنَ في الغدر

تركتُ كتاب ابن القنطرة الاسباني وأنا أطوي كتاب الحمراء الذي ألفته عبقرية العرب. ولقد تلوت فيه المجد العربي الزائل ثم ذكرت أبا عبد الله، فسألت كيف وقف ينوح على ملكه قبل الرحيل. انها لحشوُ مسمع الدهر كلمةُ امرأة أطلت عليه من فوق جدار في «زفرة المغربي» فهتفت به وهو يبكي

ألا فابك كالنسوان ملكاً مُضيَّعاً لأنك لم تحفظهُ حفظ رجال

والتفت الى الأدب الأندلسي، وهو ما بقي في أيدينا من بعض تراثهم. فقلت من طبيعة الارض فاطّبع الأدب. وبلاد الاندلس كما وصفها طارق بن زياد «هي الشام بجمالها وسمائها، واليمن بلطف جوها، والهند بأزهارها وطيوبها، ومصر بخصبها، والصين بجواهرها الكريمة» وهذا سر تفتح عبقريات العرب فيها، فقد وجدوا بلادهم في عهد الاسلام، مجموعة فيها. تراب خصيب ورياض أريضة غناء وجنات تجري فيها الانهار ونسيم كأنهُ نفح الفراديس. وهي لا تزال الى اليوم عليها طابع العرب والاسلام. فطاحنُ قامت على الأنهار كطاحننا في الشام، ومآذن تطن اليوم في أعاليها النواقيس، وأفنية دور كأنها صحونٌ في بيوت دمشق، صفت المخادع حواليها وفي وسطها بركة ماء وعرائش من الأزهار تسلقت على الحيطان. ووراء عيون النساء وقاماتها وسواعد الرجال وهيئاتها أعصُرٌ تتطلع من خلال الانسان وتطل من ذرّات الحياة لأجدادنا العرب. وكَرَمٌ حاتمي وهشاشة وجه للضيفان. وطبائع وغرائز أكثرها عربي النجار بعيد الغور في النزعة العربية الحبيبة

اشرقت هذه البلاد على بحر الروم من شرق وعلى الأطلنطيقي من غرب وترامت بشطآنها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجنوبية فواجهت ديار المغرب البعيد ، ورفعت هامتها من شمال على جبال البيرنه فأطلت من تلك الروابي على فرنسا ذاكرة « بواتييه » . ملكها العرب أواخر المائة الهجرية الاولى. فكان لها أدبٌ بَهج وثقافة عربية حديثة ، وعادات وسمهم بها الإقليم . نزل العرب تلك المنازل وقد خلفوا وراءهم في المشرق وِتراً لا يمحى وألماً لا ينسى . جاؤوا يجرون أذيالهم الأموية الدامية فغسلوها على ضفاف الوادي الكبير . فبدت نقية زاهية خلعت عليهم أجلى رونق للأدب العربي كان أدبهم كالمرآة الصافية تراءت فيه كل الملح الأندلسية فبدا خيالهم رفّافاً وشعرهم هفهافاً وكتابتهم طلية وفكرتهم ذات نقاء . وكان للاسبانيين قبلهم فنون شعر ونغمات موسيقى فضاعت كالجدول في النهر . وكانت من كل تلك العوامل ولادة ثقافة جديدة لا عهد للعرب بها من قبل . ثقافة فاضت على اوربا فكانت جامعات الأندلس مدارس يؤمها الفرنجة فمنها قبسوا شعلة النهضة العلمية الحديثة في أوربا . وكان الأدب الاندلسي واحدة العقد في تلك الثقافة العربية الحديثة . فنشأ في الشعر العربي الموشحات والزجل وانبسطت فيه أوصاف الطبيعة والعمارة وفنون الغزل ومطارحات الخمرة. وكان هذا الأدب الحديث يمضي وراء أدب العرب في الشرق مضيّ الولد خلف ابيه . لكن كانت عليه طلاوة ورقة جعلت نسيجه مشرقاً وألفاظه سهلة يتحلى كثيرها بالموسيقى ، وأسلوبه واضحاً سلساً أخاذاً . ومضى في ركب الشعراء والادباء ابن الخطيب وابن سهل وابن وهبون وابن عبدون وابن خفاجه وابن عمار وابن هانىء والقسطلي وابن شهيد وأديبات كان فرقدهنّ ولادة بنت المستكفي وماذكرتها الاّ هاجت بلابل خاطري بأضحى التنائي بديلاً من تدانينا فأعقبت الوزير ابن عبدوس لومة لائم وحننت إلى ابن زيدون ريحانة الشعر الاندلسي الذي هتف الزمن بقوله :

يا اخا البدر سناءً وسنى رحم الله زماناً أطلعك

لقد دخل العرب الاندلس بوقد ألهبتهُ خطبة طارق،وكان لمعان سيوفهم أول نور أطلّ من العرب على ظلمات هاتيك الاقاليم.وحين وطّأت لهم الدنيا منكبيها وازدهرت بهم المدنية الطريفة بغى بعضهم على بعض وفت في أعضادهم حروب الملك فرديناند وأضرابه فضاع ملكهم في الغرب كما ضاع في الشرق . فأغمدوا السيوف وهي مكسّرة وشمروا الأذيال للرحيل وهي ممزّقة وهلكوا بين سمع الارض وبصرها،تاركين بعدهم مثل هذا المتكلم يروي تاريخ عبقريتهم وسيرة عزهم ، يطوف في ديار الذكرى فلا يجد الاّ المجد الدارس والطلل الباقي فيفزع إلى الادب الاندلسي يقرأ فيه موشحاً وهو يمسح من اطراف عينه دمعة فينشد مع لسان الدين :

جادك الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصل في الاندلس
لم يكن وصلك إلاّ حلماً في الكرى أو خلسة المختلس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صدى الطفولة

خليل شيبوب

ألا ما لأيامِ الطفولة عاودت ... فؤاديَ منها ذكرياتٌ غوابرُ

أطافت بقلبي وهو كهل قد انتحت ... عليه خطوبٌ كالليالي دوائر

فردَّتْ حياةً مزقتها يدُ البلى ... وأحيت وجوهاً حجَّبتها المقابر

وآبت بأيامي الخوالي وانما ... هي الزمنُ الماضي الذي أنا ذاكر

تخطّتْ الى نفسي الحوادثَ مثلما ... ترقرقَ في الغيم الشعاعُ السافر

وهاجت بصدري الذكرياتِ كأنها ... رؤًى خائفٍ حيران مما يحاذر

تُمازحُ آلامي بغامض لذةٍ ... كما غالطَ العينينِ خافٍ وظاهر

غدوتُ ومن نفسي قد اشتقَّ يافع ... يصاحبني في خلوتي ويساير

يُجدِّدُ لي عمري فأشتفُّ أولاً ... لهُ راجعاً عندي وقد حانَ آخر

أراهُ مُجدًّا في الزمان كأنهُ ... يؤمل عمراً كلُّ ما فيهِ باهر

يروح ويغدو وهو يكتنز النهى ... ويستقبل الآمالَ وهي سوافر

يريد سبيلاً لم يمر فيهِ سالكٌ ... ليبلغ أوجاً دونهُ النجمُ عاثر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكنهُ سُرعانَ ما انشعبت بنا الطريقِ ونحّتْنا الخطوبُ الزواجر
فرحتُ على رغمي الى غير طيّتي وراحَ ، وعني غيّبتهُ الدياجر
وجاهدت في الدنيا فعاصت وطاوعت وأولت وولت وهي زلاّءُ عاقر
وكانت أمامي والزمان مسالم فصارت ورائي والزمان منافر
وعدت كما أبدأتُ أدمى حشاشةً وأضيع حظّا أين رحتُ أغامر
على أنهُ ما بالُه اليومَ عائداً خيالاً كما عاد الخيالُ المسامر
يلازمني كالظل أنّى توجّهت خطايَ وفي عينيه لومٌ مناكر
بدا ناضباً ماءُ الحياة بوجههِ كما جمدَتْ فيه اللحاظُ النواظر
فيا أملي ما أنت وحدك ضائعٌ فأَرْثِيَ لكن ضاعَ مثلك كاثر
ويا دوحةً أذوى الزمانُ أصولها فما نبتت فيها الفروع النواضر
لعمرك إن العمر شِرعةُ واردٍ وليس له إلاّ الفناءُ مصادر
مسيرٌ بلا رجعى ومنحدرٌ بلا صعودٍ ولُجٌ ما لهُ الدهرَ سابر
قطعت طريقي واستقلّت بي النوى ولم يبق إلاّ أن تحِقّ المصاير
فيا شاهدي في اليأس هل أنت راحم ويا لائمي في العمر هل انت عاذر
ولست بشاكٍ من حياة أضعتها ولكنني هاجت أسايَ الخواطر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرقٌ يقيم المحجات

وغربٌ يمهد السبيل اليها[1]

لميخائيل نعيمة

لقد كان من هجعة الشرق بعد يقظته ، ومن يقظة الغرب بعد هجعته أن تبادر الى أذهان كثير من الناس أن الشرق قد شاخ وهرم ، وان الغرب لا يزال في ميعة شبابه وعنفوان قوّته . فأصبح من شاءَ الكلام عن الاثنين لا يجد ما ينعت به الشرق أفضل من الانحطاط ، والجمود ، والخنوع ، والتفكك ، والتحجّر ، والكسل ، وفقر الجيب والقلب ، وعمى البصيرة والبصر . ولا ما ينعت به الغرب أقل من النور ، والعلم ، والاقدام ، والرقيّ والحرية ، والعدالة ، والبأس ، والشجاعة ، والمروءة . فكأن الشرق بؤرة من الأوبئة القتالة ، والغرب فوّارة من البركات الحيية . أما الحقيقة فهي ان كلا التوأمين — الشرق والغرب — يجدّد شبابه كالنسر . ولن ينفكّا يهجع الواحد فينهض الآخر ، وينكمش هذا فينبسط ذاك ، حتى يبلغا بالانسانية الى حيث لا هجوع بعد نهوض ، ولا انكماش بعد انبساط ، بل وجود بغير شطوط ، وحياة بغير عواصف

والغريب ان أبناء هذا الشرق كانوا ، وما برح الكثير منهم حتى اليوم ، أفظع تنكيلاً بشرقهم من أبناء الغرب ، وأشد اعجاباً بالغرب من رجال الغرب . فقد تسمعون في الغرب أصواتاً تجاهر بالتواء سبله ، وإفلاس فكره ، وفقر روحه بالنسبة الى الشرق . ولا تكادون تسمعون في الشرق صوتاً يشيد بما فيه من كنوزٍ للقلب والفكر والخيال . وأغرب من ذلك ان هذه الكنوز عينها هي في نظر دعاة الغرب في الشرق السببَ الاول والاخير في ما يدعونه انحطاطاً وما هو بالانحطاط ، وجموداً وما هو بالجمود ، واحتضاراً وما هو بالاحتضار . إن هو غير هدأة بين عاصفتين ، وفجوة بين موجتين

أصحيح ما يزعمه الزاعمون ان أنبياء الشرق قد جنوا على الشرق ، وان أديان الشرق

---

(١) أذيعت من راديو الشرق — بيروت

هي أكبر آفات الشرق ؟ أصحيح ان السماء قد شغلت الشرق عن الارض ، والآخرة عن الدنيا ، وان الاعتقاد بالقدر قد غلّ يديه ، وشلّ فكره ، وأسدل حجاباً على عينيه ؟ أصحيح ان الشرق مات لأنهُ آمن بالاله الحيّ الذي لا يموت ؟

لا . ثم لا . ثم لا . فالذي فعله الشرق حتى اليوم ما كان أكثر من وضع محجات له وللعالم أجمع . وتلك المحجات تتوحد كلها في محجة واحدة ، هي محجة الكمال لهذا المخلوق الذي ندعوه انساناً — محجة الانفلات من قيود اللحم والدم ، والتغلب على الحيرة وما في الحيرة من وجع ، وعلى الموت وما في الموت من ألم ، والتسلط على طلاسم الوجود ، ثم الانطلاق في حياة لاحدود لها ولا قيود فيها ، يرف عليها سلام المعرفة ، ويتألق في جوّها بهاء الألوهة ، ويندمج في قبضتها النقيض بالنقيض ، ويتلاشى في فضائها الزمان والمكان

وهذه المحجة قد نفذ اليها الشرق ببصيرته البالغة منتهى النقاوة والصفاء في بصائر انبيائه. فهي حقيقة لا مجاز . وهي رؤية لا رؤيا . وهي واحة حيّة لاسراب خدّاع

أما ان الشرق بمجموعه ما بلغ تلك المحجة بعد فأمرٌ لا نزاع فيه على الاطلاق . والقائل بعكس ذلك كالقائل بأن كل رجل في الشرق نبيّ وكل امرأة نبيّة . أو كالقائل بأن كل رجل في الغرب عالِم أو مخترع وكل امرأة عالِمة أو مخترعة . وفي ذلك ما فيهِ من السذاجة والبلاهة

ليس يعيب منارةً ألاّ يستنير بنورها الحارس الساكن في كنفها مثلما لا يعيب قمة نابتة في بقعة من الارض ألاّ يتسلقها ابناء تلك الارض . فمحجة الشرق هي هي — حقيقة وضاءة ثابتة ابدية — سواء أفي هذه الحقبة من حياته أدركها الشرق ام بعد حقب طويلة

بل يكفي الشرق فخراً — اذا كان من مجال للمفاخرة — انهُ في فترة من حياته التهب حماسة لتلك المحجة واتقد ايماناً بها ، وتفانى في سبيل الوصول اليها . ولكنهُ ادركه العياء قبل الوصول . فانكفأ على ذاته ، وراح يوصّل ما تقطع من نياط قلبه ، ويرمم ما انهار من عزمه ، ويبحث في الثرى عن الثريا ، فيفوتهُ الثرى ولا يظفر بالثريا

ذلك لأن الطريق المؤدي الى تلك المحجة طريق ليس يكفي السالكين فيه ان يؤمنوا بالمحجة وان يتبركوا بأسماء واضعيها ، وان يتصدقوا على متسوّل ، ويطعموا جائعاً ، او ان ينقطعوا اياماً عن الطعام ، او ان يؤدوا فروضاً معلومة في المعابد

انهُ لطريق ما عبّدته كثرة الارجل بعد . والرعيل الاوّل من الانسانية الذي قطعه انما قطعهُ مشياً على القلوب لا على الاقدام ، وعلى ضوء غير ضوء الشمس والقمر . وسواد الناس شرقاً وغرباً ، لا يزالون اطفالاً لا يحسنون المشي على اقدامهم حتى الآن . فكيف بهم يمشون على قلوبهم ؟ وهم يتعثرون في النهار فكيف بهم يسيرون في ظلمة دامسة ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما هو بالشنار على الشرق ألاّ يدرك المحجة بوثبة او بوثبتين ، او في خلال قرن او قرنين . فما هي بالمحجة التي تدرك بألف وثبة وفي ألف جيل . وانما الشنار ان يقعد الشرق بمجموعه ، من بعد ان وثب ولم يصل ، قعدة اليائس البائس ، قعدة المنهوك والمقهور ، قعدة الخاسر الحائر ، ثم ان يشيح بوجهه عن محجته قائلاً انها خيال وان الوصول اليها ضرب من المحال . وان يدير وجههُ شطر الغرب باحثاً هناك عن محجة وعن طريق

أقول لكم ان لا محجة للانسان أبدع وأسمى وأقوى على الزمان من التي نصبها الشرق وراح يدعو اليها الناس اجمعين وهي اذا ما تحجبت عن العصر المقدّم بالف قناع فلأنها ابنة البصيرة النيرة الصافية . وهي اذا ما عزّ منالها فلأن الكمال عزيز المنال . وهي حقيقة مثلما الوجود حقيقة بل هي الحقيقة قبل كل حقيقة وبعد كل حقيقة

ثم اقول لكم ان الغرب لعاجز عن خلق مثل تلك المحجة ، بل عن خلق أية محجة للانسان تقوى على الزمان وتقلباته. ذاك لان الغرب سائر على ضوء بصره . والبصر لا يثبت على حال لأن الأشياء التي يتناولها لا تثبت على حال . ولكن للغرب رسالته مثلما للشرق رسالته

ان تكن رسالة الشرق البصير خلق المحجات فرسالة الغرب المبصر هي تعبيد الطرق اليها

تقولون : وكيف للغرب الذي لا يبصر محجة الشرق ولا يؤمن بها ان يعبد الطريق اليها ؟

وجوابي هو انهُ فاعل ذلك في كل ما يفعل، ولكن من حيث لا يدري ولا يقصد . وهنا الأحجية

لقد حصر الغرب همه في درس هذا العالم المحسوس والسنن التي يتمشى عليها . ثم راح يطبق ما اكتشفه من تلك السنن على حياته اليومية . فكانت علومه وكانت فنونه . وكان منها ذلك السيل من المخترعات والمكتشفات الذي لا يزال في أوجه والذي اذا ما بلغ يوماً حده فسيعود حتماً بالانسان من المحسوس الى غير المحسوس — اي من البصر الى البصيرة، من المحدود الى غير المحدود ، من البدايات الى اللابداية، ومن النهايات الى اللانهاية. وتلك هي محجة الشرق بعينها

أما ترون الى العلم الذي هو دعامة المدنية الغربية والذي يدعي ويجاهر ان لا شغل له الاّ بالمحسوسات كيف انهُ يبتدىء بغير المحسوس لينتقل منه الى المحسوس ؟

فالنقطة التي هي لا شيء تصبح مقياساً لسائر الابعاد ، وأساساً للهندسة العملية . والواحد الذي ليس سوى خيال بحت يصبح الأول والآخر في جميع المعادلات الرياضية والمعادلات الرياضية التي تقوم عليها عائلة العلوم الطبيعية تنقلب ناطحات سحاب وجسوراً وبواخر وطائرات ومولدات للكهرباء . والكهرباء التي ما كنا نلمحها الاّ كبرق في الفضاء تسيَّل نوراً وطاقة في أسلاك من النحاس ، او تسيّر أمواجاً في الاثير تنقل أصوات الناس الى الناس وأخبار الناس الى الناس من أقاصي المشارق حتى أقاصي المغارب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلا نكران اذن ان للعلم الحديث كما رتبهُ ونسقهُ وروجهُ الغرب فضلاً عميماً على الشرق والغرب معاً . فهو من حيث لا يقصد ، دائب في نقل ما لا يحس الى حيز المحسوس ، أو ما كان ضمن دائرة البصيرة الى دائرة البصر . ولأن معظم النـاس — خاصتهم وعامتهم — لا يؤمنون بالكهرباء الاّ ان يبصروها نوراً في بيوتهم ، ولا بالشيء الاّ ان يلبسوه ثوباً على أجسادهم أو يمضغوهُ تفاحة بأضراسهم ، لذلك كان للعلم الحديث هـذا الأثر البالغ في عقولهم وحياتهم وكانت للغرب هذه المنزلة في ضمير الشرق

ثم لا نكران ان الغرب قد سهّـل على الانسان أمر المعيشة بفضل ما استنبط من حيَـل ميكانيكية ، وما توصّـل اليهِ من خيرات كانت دفينة في الماء والتراب . واذا ما أعوزته اليوم الحكمة لخلق نُـظـم لا تحرم البعض وتبلي البعض بالتخم ، فالحاجة التي لا ترحم ستعلّـمه في الغد ما ليس يعلمه اليوم ، وستسـاعده على خلق عالم لا ينفق جلّ حياته في السعي وراء ما يلهي بهِ بطنه ويستر عريه ويحمي جسده من نقمة العناصر . ومتى انعتق الناس من كابوس القوت والكساء والمأوى أصبح في امكانهم الانصراف الى تسكيت جوع غير جوع البطن ، وتستير عري غير عري الجسد ، والتفتيش عن مأوى يحميهم من نقمة أنفسهم التي لن ترضى بمأوى غير حضن الله

وثمة منة ثالثة للغرب لا بد من ذكرها . وهي ان هذا السيّـار الذي يعلم الله كم دار بنا وكم سيدور في فيافي الفضاء ، كان الى عهد قريب عالماً مترامي الاطراف ، كثير المجاهل ، وعر المسالك ، عديد الألسن ، وفير الصبغـات ، متضارب النزعات . اما اليوم فقـد اصبح بفضل الغرب ومخترعاته كرة تكاد تحتويها قبضة الطفل . فالطيارة قد محت الابعاد والمجاهل ، والحدود والحواجز

وهذه الآلة العجيبة التي اخاطبكم بواسطتها الآن قد وصلت كل لسان اينما كان بكل اذن اينما كانت . وعلاوة على ذلك فالمدنية الغربية قد احدثت حاجات كثيرة وخلقت ازياء كثيرة يشـترك فيهـا ابن الشمال مع ابن الجنوب ، وابن الغرب مع ابن الشرق . حتى ان سائحاً ليكاد يسيح اليوم حول الأرض في اقلّ من اسبوع من غير ان يحتاج الى دليل او ترجمان . وقد كان لا ينتقل من قرية الى قرية ، حتى في القطر الواحد ، الاّ بعضّ الفكر والقلب والعصب

هكذا نرى الغرب ، بعلومه وفنونه ، ومخترعاته ومكتشفاته ، وحتى بحروبه ، يصل الارض بعضها ببعض . ومن حيث لا يدري يمهّـد السبيل لضم الانسانية المبعثرة الشمل عائلة واحدة يجمعها بيت واحد وتقودها ارادة واحدة الى غاية واحدة . وذلك ما نادى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بهِ الشرق من زمان . أما قال أحبّ قريبك كنفسك ؟ أما قال عامِلهُ بمثل ما تريد منه ان يعاملك ؟ أما قال ان الناس كلهم عيال الله ؟

وعند ما تبلغ علوم الغرب المادية أقصى مداها ، عند ما تفلق الذرّة أو ترتد عاجزة عن فلقها ، ستراها وجهاً لوجه مع ما يجعل المادة مادّة وليس بمادّة — مع القدرة التي أسماها الشرق الله ورفعها محجة للانسان المخلوق على صورتهـا ومثالها . وبكلمة أخرى ، سينتهي الغرب من المحسوس الى غير المحسوس . وبذاك تنتهي مهمته في هـذه الدورة من حيـاة الانسانية وتبتدىء من جديد مهمة الشرق

ومهمة الشرق إذ ذاك ، وقد مهّـد الغرب له الطريق الى المحجة ، هي جلو تلك المحجة كما تظهر في كل بهائها ، نقية من السفاسف والترهات التي حجب الجهل بها سـناء وجهها باسم الله والدين وما هي من الدين والله لا بخمر ولا بخلّ . ثم لَمّ شعث الانسانية التائهـة ما بين بصرها وبصيرتها وبثّ النشاط في مفاصلها المفككة ، وبعث الايمان الدفين في قلبها بجمال تلك المحجة وحكمتها وعدلها ، ثم السير بهاته الانسانية المتجددة نحو محجتها بخطى لا تردّد فيها ، وعزم لا التواء فيه ، وارادة تعرف ما تريد ، ولا تريد غير ما تعرف ، فلا يقهرها شـك ، ولا يثنيها عياء

الاعشاب

(من شعر ستيفن كراين الاميركي ١٨٧٩ — ١٩٠٠)

مثلت طائفة من الأعشاب بين يدي « العزيز » . فقال لها ما فعلت . فتهافتت جميعاً — إلاّ واحدة منها — على تعديد مآثرها في الحياة . أما العشبة الصغيرة ، فانتحت مكاناً وراءهنّ وعليها آثار الحياء . فالتفت « العزيز » اليها وقال : وأنت ما فعلت ؟ فقالت : رباه ! ان الذكرى أليمة . واذا كان لي في حياتي حسنة ما فقد نسيتها . عندئذٍ استوى « العزيز » متجلياً في بهائه وجلاله . ثم نهض عن العرش وقال :

« يا أفضل الاعشاب »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف ينبغي

ان يوجه العلم والعلماء في مصر لتحقيق تعاون عالمي (١)

للدكتور احمد زكي بك
مدير مصلحة الكيمياء

— ٢ —

حديثنا اليوم : كيف ينبغي ان يوجه العلم والعلماء في مصر لتساهم في التعاون العالمي ؟ وقبل هذا يجب ان نتساءل كيف ينبغي ان يوجه العلم والعلماء في مصر لتساهم في التعاون المصري ؟ والاّ فكيف يتعاون قوم في الخارج ، وهم لم يتعاونوا ويتألفوا في الداخل ؟ والى من توجه الدعوة الى هذه المساهمة العالمية اذا لم يكن للعلماء رأس أو هيئة تتلقى أمثال هذه الدعوات ، ثم تكون جديرة بعد تلقيها بانجاز عمل وبلوغ غاية . ان دعوة كهذه توجه اليوم الى الحكومات المصرية ، تقابل بشيء واحد مألوف : تكوين هيئة شرف من شتى الوزارات ، من تلك الفئة التي تحتل الوظائف ذات الدرجات المالية العليا ، من تلك الفئة التي لا تمت الى العلم بسبب ، أو ان هي متت فبسبب بالٍ عتيق ، ثم تقوم هذه الهيئة قيام الجبهة الدبلوماسية المحترمة ، تدعو الى الولائم وتدعى الى الولائم ، فتحفظ لمصر هيبتها في أبصار الدول ، ويقوم جمال هذا الحائط الذي أقيم في نهار وليلة ، وما طرح عليه من خضرة ، وما صفف حوله من أصص الأزهار ، يقوم كل هذا بستر ما احتجب وراءه من رُكام علم وركام علماء

لا سبيل للعلم المصري ان تشرئب أعناقه ، فتتطلع أنظاره الى ما وراء الحدود ، قبل ان ينتظم امره ، ويصلح حاله ، في داخل البلاد . ان الذي بلغه العلم في مصر من التقدم في هذا القرن الحاضر شيء قليل ضئيل يخزي اذا هو قيس بالذي مضى من هذا القرن من سنوات ، وقد مضى ما قارب نصفه ، واذا هو قيس بالسرعة التي تتقدم بها أمور الناس في غير هذه القارة . وكان هذا التراخي في التقدم لأسباب شتى ضاعت وفاتت أنظارَ ذوي لأبصار في زحمة الحياة المصرية واضطرابها الذي كان ، وهو كائن . ولا يمكن ان تتدارك هذه الأسباب الاّ بالعلماء أنفسهم — عملاً بالمثل القديم ما حكَّ جلدك مثل ظفرك . يجب ان يوجه العلماء أول توجيه الى انهُ لا خلاص لهم ، ولا رجاءَ في تقدم العلم المصري ، الاّ

---

(١) الجزء الثاني من محاضرة الدكتور احمد زكي بك في البهو الشرقي بالجامعة الاميركية بالقاهرة

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

بتحزبهم ، ومطالبتهم بحق مصر في الحياة العلمية المصرية ، والمساهمة في الحياة العلمية العالمية ، كما تطالب أحزاب السياسة وأحزاب الاقتصاد وأحزاب التقدم الاجتماعي .

لقد أردت أن أوجه الى هذا التجمع والترابط داخل الحكومة ، وتحت رعايتها ، فيما يختص بعلمي ،علم الكيمياء . أردت أن أوجه تحت ظل الحكومة الى تعاون العامل الكيميائية الحكومية فيما فيه خيرها وتقدمها العلمي ، وخلق وسائلها فيما هو أخص خصائصها من الفحوص والبحوث . وخطوت الخطوة الاولى . ولم أكد أخطو الثانية حتى أفسد المفسدون الدعوة خشية ان تتضمن مطامع ادارية تسلبهم ما في أيديهم مَن نفوذ حقير لا ينفع العلم شيئاً . وجاءَت حكومة أخرى بعد ذلك ، كان بأحد وزرائها شذوذ ، ففهم ان لا حياة للبلد بغير تنظيم الحركة العلمية فيها فابتدع مجلساً أسماه مجلس فؤاد الاول للابحاث العلمية . ورحب علماء مصر بهذا المجلس ايما ترحيب . ولكن مقترحه كوّن رؤوس هذا المجلس من فئة لا تمت الى العلم بسبب ابداً . كوّنهُ من وزراء قائمين ووزراء أقدمين ، وكوّنهُ من عسكريين ، وكوّنهُ من رجال ذوي وجاهة ، قصد بهم ان يكونوا جميعاً جواز سفر في رحلة المشروع الشاقة ، في مجلس الوزراء الذي كان ، ثم في ذلك البرلمان ، ثم في رحلته الأشق عند نظر الميزانية في وزارة المالية . وأحسب انهُ على صخرة المالية ارتطم ، فقد سمعنا ان وزير المالية الذي كان عندئذٍ ، رأى صفة المشروع المالية أغلب عليه من صفته العلمية ، فأراد ترؤس هذا المجلس . واعترضت جهات أخرى . فصعدت أوراق المشروع الى أرفف بعض الادارات تطلب لنفسها مكاناً معزولاً تنام فيه نوماً هادئاً طويلاً . وأردنا ان يتعاون الكيميائيون في غير ظل الحكومة ، فأحيينا الجمعية الكيميائية المصرية ، وكان قتلها الفقر فاتت . ومضينا بها في ازدهار حتى أرهقتها الحرب . فطلبنا لها من الحكومة معونة مالية لا ألف جنيهٍ . ولا حتى مائة . ولكن خمسين جنيهاً . وذهب الطلب الى وزير المالية ، فاستكثر الخمسين جنيهاً ورقاً على الجمعية الكيميائية المصرية الوحيدة فأنقصها الى عشرين جنيهاً . ثم بدا له ان هذه أيضاً كثير . فوضع للاعانة شرطاً : ان تدفع الجمعية نصف هذا المبلغ الى وزارة المعارف ، تدفعهُ كتباً مما تطبع كل عام . وبذلك نزلت إعانة حكومية الى الى جمعية علمية قومية الى اثنى عشر الفاً . جنيهاً ؟ لا . ولكن مليماً . ومن وزير المالية الذي قيل لي ، بصفتي رئيس تلك الجمعية ، انهُ فعل هذا ؟ هو الوزير الذي شاءَ ، او شيءَ له ان يترأس مجلس فؤاد للبحوث العلمية ! !

كيف ينبغي ان يوجَّه العلم والعلماء في مصر لتساهم في التعاون العالمي ! ! ؟ بل قولوا معي كيف ينبغي أن يوجه هذا العلم وهؤلاء العلماء للمساهمة في التعاون المصري ، ثم من بعد ذلك في التعاون العالمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولست أريد الدخول في هذا البحث . وانما أذكر خطتي فيهِ اختصاراً ، وهي الخطة المنطقية المعقولة التي سار عليها العلماء في كل بلاد آدم . أنْ ينتظم رجال العلم الواحد في الجماعة الواحدة ، في جماعة علمية لا جماعة نقابية . ومن ممثلي هذه الجماعات تتألف جمعية رئيسية عملها الأكبر ان توفق بين مناشط هذه الجماعات حتى ترمي جميعاً اسهمها المختلفة من جهاتها المختلفة ، ولكن الى غرض واحد هو نفع جمهور الناس في عقلهم وروحهم وفي الجانب المادي من العيش كذلك

فان وقع هذا جاز لمصر من بعده أن تلبي دعوة للمساهمة في التعاون العلمي تأتيها من وراء الحدود

وقلت تلبي دعوةً ، لا تبدأ دعوةً ، لاني أُغرَم بالوقائع الراهنة، وأعزُف عن الخيالات. فمصر بعددها الراهن ، وبحالها الراهنة ، سوف لاتدخل في أي تعاون دوليّ الاّ دخول الأخ الصغير بين إخوة له كبار ، يستمع اكثر مما يتكلم ، ويعمل في المحيط الدولي في المدى الذي تطوله ذراعه الصغيرة القصيرة . ويظل هذا هكذا ، الى أن تشتد هذه الذراع وتطول حتى تُطاول أذرع البالغين من الرجال

واذن فكيف تعاون مصر في المحيط العلمي الدوليّ ، ولو بهذا المدى القصير ؟ يتوقف الجواب على صفة هذا التعاون ، وما تتمخّض عنهُ الحرب من أمور . وتعاونٌ صفته مبهمة لا يمكن الاجابة عن مقدار مساهمة علماء مصر فيهِ ، ولا عن كيفية هذا المساهمة ، الاّ بطريقة مبهمة أيضاً ، وإلاّ أن تُبنى الاجابة على فروض يفرضها المجيب

يُغرم المتحدثون بالحديث عن استقلال العلم، ويشيدون بهذا الاستقلال حتى جعلوا منهُ مبدأ تقوم عليهِ المدنية الحاضرة . وقد حققوا هذا المبدأ في جانبِ العلم غير الفعّال . في ذلك الجانب الذي يُعنى بالنظريات ، حتى في ذلك الجانب الذي يمس المعتقدات . أما في ذلك الجانب الآخر الذي يمس حياة الرجال مباشرة ، ويمسها على التوّ ، فقد أُخضع العلم فيهِ لحكم المال ، لحكم الاقتصاد . وأُخضع لأحكام الحرب والسياسة . وأُخضع في حالات إخضاعاً مُهيناً صيّر من العلم أُضحوكة يتفكه بها الرجال . من ذلك تلك الفرية العلمية فرية الآرية التي تحتلّ أصولها دماء الصفوة من بني الانسان . حتى لفحصوا هـذه الدماء بالمجاهر ، وعالجوها بالحوامض والعقاقير ، لتنكشف لهم تلك الاصول في دماء زكية طاهرة ، وتتخلف في دماء تخلف عنها الطهر والزكاء

عن أي شيء يتمخض عهد ما بعد الحرب ؟ عن تعاون في علم حرّ طليق ، أو تعاون في علم تركبهُ حاجات الاقتصاد وحاجات السياسة ؟ وان تكن الثانية ، وجب أن نتساءَل ما هو التعاون الاقتصادي والسياسي المنشود ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ان مصر بلد في العلم ناشىء،ولاسيما ذلك العلم الذي يخدم الاقتصاد.فتوجيه العلم المصري، والعلماء المصريين، الى ناحية دون ناحية، لا يتضمن تضحيةً، هي تضحية الراجع عن طريق مهَّدَ هو اكثره. ونحن في أول الطرق. فنحن ان رجعنا عن طريق، لم نرجع طويلاً، ولم نخسر كثيراً. وأحسب، في ضوء ما يناله حدسي وتخميني فيما سيكون عليهِ تعاون الأمم فيما بعد الحرب، ان يوجّه العلم التطبيقي همهُ الاكبر في مصر، أولَ توجيه، الى ناحيتين هما أمسّ ما يكونا بثروة البلاد ورخاء العيش فيها. وهما مع هذا لهما من الصفة الجغرافية والمحلية ما يرتفع بهما عن جدل محتمل: هاتان هما الناحية الزراعيـة والناحية المعدنية من اقتصاد البلاد. يجب أن يتوجه علم مصر، أكثره في أول الأمر، الى استنبات اكثر المحاصيل غلّة، وأكثر الأجناس جودة، ويتخيّر منها أنسبها لجو مصر، ولأرض مصر وأوفاها بحاجات مصر وغير مصر من أمم الأرض. وقد خطت مصر في هذا خطوات مباركة، ولاسيما في القطن،أفادت منها أمم اخرى فوائد جمة. ويجب أن يتوجه العلم المصري الى دراسة أرض مصر، ودراسة مخصِّباتها، ودراسة مياهها وعلاقة كل هذا بالزراعة، حتى تصبح زراعة مصر مركّزة أكبر تركيز، منتـفعاً بأرضها اكبر انتفاع، منتجة من المأكول والملبوس ما يبقى منهُ فضل كثير تساهم بِهِ مهما تصغر نسبته في إلباس سكان هذه الأرض وإطعامهم

ولا بد لكل بلد زراعي من قدر وافر من الصناعات الزراعية، وهي عديدة ومختلفة تمتد من عصر الطماطم الى نسج القطن فلا بدّ من تأسيس العلم المصري وتوجيه علماء مصر هذه الوجهة حتى يكونوا على أهبة المعونة في كل هذا، ليجعلوا من هذه الأمة المصرية الفقيرة أمة تنعم بالكفاية الدنيا من مقوّمات الحياة، فيساهموا بذلك، في أنفسهم، في استتباب السلام العالمي، وزوال القلق الانساني، ومحو تلك المخاوف التي تتصل بالناس في أرزاقهم. نعم لابد من زوال ذلك القلق وتلك المخاوف حتى يخيم السلام على الارض جيلاً بعد جيل. لا بدَّ من محوها في كل بلد مهما يكن شأنهُ صغيراً في قوة الصراع. وخير العلم ما وجه الى محو تلك المجاحف والمظالم. وخير العلم ما زاد مليمات في دخل بائس فقير

وفي مصر ثروة معدنية أرضية محلية بدأ استغلالها هذا القرن فدرّت على البلد، ودرّت على العامل المصري خيراً كثيراً. ففي عام ١٩٣٩ اشتغل في استخراج معادن مصر نحو من ١١٦٤٠ من العمال، انتجوا نحواً من ١٧٢ الفاً من الجنيهات. في حين ان محاصيل البلد الزراعية الرئيسية من قطن وقمح وذرة يشتغل فيها نحو خمسة ملايين من الأنفس، فينتجون ٤٠ مليوناً من الجنيهات. فبينا متوسط انتاج العامل ١٧٢ جنيهاً في العام قد نجد متوسط الزارع ٨ جنيهات. وقد دلّت بشائر البحث على ان ما وجد من ركائز مصر المعدنية ليس الاّ طلائع لما بعده. فعلى العلم المصري أن يتوجه هذه الوجهة فيساهم في زيادة ثروة العالم بزيادة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثروة بقعة من بقاع العالم ، هي مصر الفقيرة القلقة الناشئة

فهذا في العلم التطبيقي الذي يتصل بالثروة والارزاق ، قضى الواقع الراهن أن تكون مساهمة العلماء المصريين فيه مساهمة محلية صرفة

ولكن هناك صنوف من العلم التطبيقي لا تتصل بالثروة والارزاق أو هي لا تتصل بها من قريب وأبرز مثل من أمثالها الطب بأوسع معانيه وشتى فروعه . فهذه لها صفة عامة تأبى عليها الا التعاون العالمي . فالانسان هو الانسان أينما كان . ومصائبه هي مصائبه أينما حلت . ولم تقم يوماً بسبب العلم الطبي حرب قط . وقضى العرف ان لا تبخل الامم بتجاربها في هذه النواحي مطلقاً . ومصر تزهى بعلمائها الاطباء ، وترجو منهم إنْ هم قعدوا الى البحث واستمرؤوه ، وزادت أعدادهم فيه ، ان يكون لهم في النتاج الطبي العالمي سهم كبير . ولكن هنا أيضاً يجب التوجيه. يجب أن يكون على أسس محلية

فمصر في المناطق الحارة . فلتتوفر على دراسة أمراض تلك المناطق ، ولتتوفر أممٌ غيرها على دراسة أمراض أشبهَ بمناطقها ، فيكون من ذلك مثلٌ من أمثلة التعاون على أصح ما تكون

وفي مصر معهد للابحاث المتوطنة بدأ عهدَه مجيداً ، ثم عدتْ عليه العوادي ، حتى لتحدثوا اليوم همساً بتصفيته . فان هو صفّي كان هذا إجراماً في التعاون الدوليّ أي إجرام . ان مصر جديرة بأن يكون معهدُها هذا أكبرَ معاهد العالم اطلاقاً من أمثاله

وبالطبع يدخل في فنون الطب علم الصحة وعلم الوقاية ، وكل ما يتصل بأعمال البلديات من تجارب واحصاءات . ففي تبادل تلك المعارف منافع يعرفها أهلوها

ومن صنوف العلم التطبيقي الذي لا يُترجم الى المال مباشرة ، ولا تتصل أسبابه اتصالاً وثيقاً بالفقر والغنى ، دراسات علمية عديدة أخرى غيرُ الطب . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، دراسات الأجواء والأرصاد ، ودراسة بها يحيط القطرَ المصري من البحار . فتلك أشياء حاجة العالم اليها لا تقل عن حاجة مصر كثيراً . وقد كانت البعثة الانكليزية البحرية ، بعثة مرّي ، مثلاً لما يكون بين مصر وغيرها من أمم الأرض من تعاون حتى في دراسات تختص بالبيئة المصرية ذاتها . فقد اشتركت الجامعة المصرية ، واشترك معهد من معاهد الحكومة البحرية في تلك الرحلة ، في المحيط الهندي أولاً ، ثم في البحر الأحمر . ثم تلا تلك بعثة مصرية خالصة تمسح البحر الأحمر وتدرس أحياءَه . ومَنْ أولى ببحث بحار مصر من أبنائها ؟ فالى هذا النوع من العلم ، وهو ذو صبغة محلية أيضاً ، يجب أن يتوجه العلم المصري والعلماء لاستكمال المعرفة الانسانية لبحار الأرض

بقي بعد هذا العلم البحت ، العلم للعلم ، العلم للذة النفسانية وحدها ، العلم لتغذية الجانب الروحاني من الانسان . فهذا يجب أن تساهم فيه مصر بغير حساب ، وبغير حدّ الا حدودَ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقدرة المادية وحدها . وذلك لاسباب . منها : ان هذا الجانب من العلم يقرب من الروح بمقدار ما يبتعد عن الجسد ، ويتصل بالفلسفة بمقدار ما ينفصل عن المال . وهو أملأ بالمعاني الانسانية منهُ بالمعاني القومية ، فهو ليس فيه مدعاة للتخاصم والتنافس والتقاتل. لهذا جملته الامم ، حتى أحرصها وأشدَّها في القومية عُراماً ، شيئاً مباحاً لا ثمن له ، كالماء والهواء. ومن تلك الاسباب ان هذا الجانب من العلم يفتّح عقول الامم على حقائق الوجود ، ويعوّدها مسك الحق الأبلج من قرنيه دون تردّد او خشية ، ويبعد بها عن تعصب قومي أو جنسي ، هو جرثومة من جراثيم تلك العلل التي يقاسي العالم اليوم آلامها . ومن تلك الاسباب ان هذا الجانب البحت من العلم ، بكل فروعهِ ، وبشتى أنواعه ، لازم كل اللزوم لكل نوع من العلوم التطبيقية التي تحدثنا عنها ، اتصلت بأرزاق الناس من قريب او بعيد

وهناك ناحية أخرى يوجه اليها العلماء ، تتصل على الاكثر بهذا الصنف الاخير من العلم ، العلمْ البحت ، أو بتلك الأنواع منهُ التي تخرج الى جماهير الناس فتبني عقائدهم ، وتكوّن آراءهم ، وتلوّن منظاراتهم التي بها ينظرون الى الحياة وعلى الأخص الى صلة الانسان بالانسان من أي نوع كان . اني لم أجد أكثر تعصُّباً من جاهل . والتعصب يخلق الكراهة بين الامم . والكراهة تخلق الحروب . فعلى العلماء واجب غير واجب المعامل هو واجب السوق . عليهم واجب تعليميّ فوق واجبهم العلمي . عليهم نشر تلك المعارف العامية ليفقّهوا الناس في سرّ الوجود وسر الحياة ، فما تفقه أحد في أسرارها الاّ خمدت شرته ولانت جبلته ، وصار أقرب الى التراضي والتغاضي والسلام المعقول . وعلماء مصر قمينون ان يوجّهوا هذه الوجهة في مصر ، فيساهموا في بذر السلام العالمي وبذر أسبابه

فهذه في كلمات قليلة ، فكرة عاجلة عابرة فيما يحسن ان يوجه اليهِ العلماء المصريون ليساهموا في تعاون ما بعد الحرب . وقد قضت الضرورة ، وقضى حال مصر من العلم ، ومن الثروة ، ومن المدنية ، أن يكون أكثر هذا التعاون محليًّا . ولهذا التعاون المحلي أثره الواضح في التعاون العالمي وفي السلام الأرضي ، ولا يقلل من خطره أنه تعاون غير مباشر

وقد يستفاد من معنى التعاون العالمي بمناسبة هذه الحرب الحاضرة انهُ تعاون يرمي الى منع الحرب . ويرمي اليهِ مباشرة بامتناع العلماء عن المساهمة في تجهيز السامة بالذخيرة والعتاد فان صحَّ ان كان هذا هو المقصود ، فأرى انهُ غرض لا ينال ، ورجاء باطل لا يتحقق ، ما دام ان الطفل في الدول يربّى على ألوان من القومية يمتقع لها وجه الانسانية . وان صحَّ ان كان هذا هو المقصود ، فماذا تستطيع مصر فيهِ ، وهي لا تُنتج الذخيرة والعتاد ، وهي لا تعطي هذا ولا هذه إلاّ وحدات معدودات ، وهي ان كان لها في هذا الامر رجاء ، فذلك ان لا تُصبّ عليها هذه الحمم من برّ أو بحرٍ أو سماء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجهاز الرحوي

السيكلوترون[1]

للاستاذ فيربرذر

نقلها عن مجلة «اندفور» وأضاف اليها : خليل السالم

تحقق حلم الكيميائيين الأقدمين بتحويل العناصر عند ما نجح اللورد رذرفرد سنة ١٩١٩ في تحويل بضع ذرات من الازوت (النتروجين) الى ذرات اكسجين بعد أن قذفها بدقائق الفا المنطلقة من الراديوم . وقد ظلت دقائق الفا التي تطلقها العناصر المشعة عفواً ومن تلقاء ذاتها ، المقذوفات الوحيدة في البحوث الذرّية حتى سنة ١٩٣٢ . ففي تلك السنة تسنّى للعالمين كوكرفت Cockroft ووالتن Walton ان يحوّلا العناصر باستعمال الايونات الموجبة المتسارعة تحت ضغط كهربيّ عالٍ[2] ثمَّ بدأ استعمال الضغط الكهربي العالي يزداد حتى كان اختراع الجهاز الرحوي ، وهو الاختراع الذي تمَّ على يدي الاستاذ لورنس E. O. Laurence ومعاونيه في جامعة كاليفورنيا . ففي الجهاز الرحوي تستحضر مقذوفات ذرية سرعتها عالية جدًّا ، فتخترق نوى أثقل العناصر وتحدث تحولات ذرية متنوعة

يتكوَّن الجهاز الرحوي في الاساس من مغنطيس كهربي كبير ، قطباه مستديران وبينهما غرفة فلزية اسطوانية الشكل مفرغة من الهواء تماماً . وداخل هذه الغرفة قطبان كهربيان ، شكلهما نصف مستدير . وهما معزولان عن الغرفة عزلاً جيداً وبينهما فجوة ضيقة . وخلال هذه الفجوة تتم مسارعة الدقائق المشحونة

يوصل القطبان الى تيار عالي التردد طاقته حوالي (١٠٠ر٠٠٠) فولط وتردده من مرتبة $١٠^٧$ دورة (سيكل) في الثانية

وتستمر خلخلة الهواء في الغرفة المعدنية بمفرغات ضخمة . ويسمح في الوقت نفسه للايدروجين او الايدروجين الثقيل او للهليوم بالدخول الى الغرفة من صمام مستدق ، فتصدم الكهيربات (الالكترونات) المنبعثة من فتيلة تنجستن متوهجة جزيئات هذا الغاز ، فتتولّد بعد الصدام البروتونات أو الدوتونات أو نوى الهليوم قرب مركز الغرفة ، فيجذبها القطب

---

(١) راجع ما نشرناه في المقتطف يناير ١٩٤١ ص١٢ — ١٦ وفي «آفاق العلم الحديث» (٢) الكهربي electrical والكهيربي electronic

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي يتفق أن يكون — في لحظة تحضيرها — سالباً . وحالما تدخل أحد القطبين تتحرر من المجال الكهربي الذي لا يؤثر إلاّ في الفجوة بين القطبين . ولكنها تلف في نصف دائرة بتأثير المجال المغنطيسي

ومن الظواهر التي لها منزلتها الأساسية ان الزمن الذي تستغرقه الدقائق في قطعها نصفَ الدائرة لا يعتمد على سرعتها الاصلية بل على قوة المجال المغنطيسي وعلى خصائص الدقائق نفسها . فالدقائق السريعة تسلك طريقاً طويلاً ، والبطيئة تسلك طريقاً قصيراً . وبالتوفيق بين التردد الكهربي وقوة المجال المغناطيسي تعود الدقائق الى الفجوة ثانية عندما يبلغ التيار نهايته العظمى في اتجاه مضاد، فتتلقى الدقائق دفعاً آخر قوته (١٠٠٠٠٠) فولط في المدى الثاني

فتكون دقيقة بعينها مبتدئة من مركز الغرفة قد تحركت في طريق لولبي يتزايد في الاتساع، وتَدْفَع في كل مرة تجتاز الفجوة دفعاً اضافيًّا جديداً . وعندما تصل الدقائق آخر حدود القطب تخرج من فتحة في محيطه ، فيحرفها قطب كهربي مساعد على التوّ فتخترق نافذة معدنية ضيقة الى خارج الغرفة . وتعطي الدفعات المتعددة المتتالية تلك الدقائق سرعةً، ما كان يمكن الحصول عليها إلاّ بفعل طاقة تقاس بملايين الفولطات ، وهذا دون أن تمس الحاجة الى التغلب على مشاق العزل التي تتضمنها الامكانية الثانية . واذا ما تشابهت الدقائق فان أكبر سرعة يمكن الحصول عليها تعتمد على قوة المجال المغنطيسي وعلى نصف قطر المدى فللحصول على سرعة عالية جدًّا يجب استعمال مغنطيس كهربي كبير جدًّا

من المشكلات المهمة في الفيزياء الذرية ما يمكن حلهُ بمساعدة هذه الايونات السريعة جدًّا . ولكنَّ لذة الكيميائي والبيولوجي الحقيقية كامنة في التحويلات العنصرية التي تتم عند ما تصدم هذه المقذوفات هدفاً من العناصر أو المركبات الكيميائية

نعم إن قوة التنافر بين جسمين مشحونين بالكهربية الموجبة تحول دون أن يصيب عدد كبير من المقذوفات نوى ذرات الهدف . ولكن ما ان يحدث الاصطدام حتى يعقبه تفاعل في النواة وتكون نتيجة التفاعل نواة جديدة ، أي ذرة جديدة

قد تكون هذه الذرة الجديدة ذرة عنصر مختلف عن العنصر الاول او ذرة نظير له . ولنضرب مثلاً فنقول : إن شعاعاً من الدوتونات[1] البالغة طاقتها بضعة ملايين من الفولطات يحوّل نوى ذرات الصوديوم في بلورة من ملح الطعام الى نوى ذرات اخرى لأنهُ بينما تكون الاوزان الذرية (٢٣) نجدها بعد الاصطدام (٢٤) وهذا هو التفاعل : — (صوديوم ٢٣ + دوتون = صوديوم ٢٤ + بروتون) ومنها ما يتحول الى نوى مغنيسيوم (صوديوم ٢٣ + دوتون = مغنيزيوم ٢٤ + نوترون) . وتفر تلك البروتونات وهذه النوترونات

(١) الدوتون او الدوتيرون اسمان لنوى ذرات الايدروجين الثقيل « دوتيريوم »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعيداً عن الهدف . وفي الوقت نفسه تتحول نوى الكلور (في ملح الطعام) التي وزنها الذري ٣٧ الى نوى اخرى وزنها الذري ٣٨ . ونتائج هذه التفاعلات تكون إما مستقرة كالمغنيسيوم (٢٤) وإما قلقة ومشعة كالصوديوم (٢٤) او الكلور (٣٨) فتتحول ذرات الصوديوم (٢٤) الى ذرات مغنيسيوم ثابتة ، وتتحول ذرات الكلور ٣٨ الى ذرات أرجون ثابتة وفي كل حالة ينطلق كهيرب نتيجة التحول :— (صوديوم٢٤ ← مغنيزيوم٢٤ + كهيرب)

وهذه الكهيربات المنطلقة تتصف بخواص أشعة بيتا المنبعثة من الراديوم . ويمكن ان تنحل نظائر قلقة اخرى وتنطلق منها البوزيترونات(صوديوم٢٢ ← صوديوم٢٢— بوزيترون)

كان العالمان كوري Curie [١] وجوليو Joliot أول من كشف النشاط الاشعاعي الصناعي. وتمّ لهما ذلك باستعمال دقائق الفا التي تشع عفواً من مصدر طبيعي مشع ، ويمكن الحصول بهذه الطريقة على عدد لا بأس بهِ ، من العناصر المشعة . او باستعمال النوترونات المستحضرة من خليط بين ملح الراديوم ومسحوق بريليوم . ولكن تنوّع محصول الجهاز الرحوي وقوته،اعظم كثيراً من محصول الطريقتين السالفتين

والواقع ان اكبر قدر مستحضر من العناصر المحولة لا يزيد على ميكروجرامات إلاّ ان شدة النشاط الاشعاعي تجعل ذلك القدر سهل الكشف والقياس

وتتصرف هذه العناصر — من الناحية الكيميائية — كنظائرها المستقرة ، فلو خلطنا قدراً قليلاً من الكلور المشع بقدر من الكلور العادي غير المتفاعل لاكتسب الاخير نشاطاً إشعاعيًّا . ويمكن تمييز ذرات الكلور المتحولة عن أمثالها من الذرات المستحضرة من مركبات اخرى وهذا عمل مستحيل التطبيق بالطرق الكيميائية العادية

هناك عدد من العمليات الكيميائية والبيولوجية درست عن هذا الطريق منها : تبادل ذرات الالوجينات بين املاحها المعدنية والعضوية ، وتمثيل الفصفور والحديد في الحيوانات ، وحركة الاملاح المعدنية في النباتات

وتوجد الأجهزة الرحوية في شتّى أقطار العالم ـ منها اثنان في انكلترا ـ وهي تزداد ضخامة لتولد دقائق أسرع . و أكبر الاجهزة الرحوية في العالم اليوم جهاز جامعة كاليفورنيا فاتساع قطبه المغناطيسي خمس اقدام ،ويولد شعاعاً من الدوتونات طاقته (١٦٫٠٠٠٫٠٠٠) فولط او من دقائق الفا التي طاقتها (٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠) فولت. ولكن هذا الجهاز لا يضاهي الجهاز الجديد الذي يصنعه لورنس ومعاونوه إذ يتوقع ان يولّد دقائق طاقتها (١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠) فولط وبذلك يفتح ميداناً واسعاً جديداً في عالم النواة

---

(١) إيرين كوري كريمة كاشفي الراديوم ، وزوجة الاستاذ جوليو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اساليب جديدة

لتحسين الوقود المشتق من النفط

وزيادة طاقته

لعوض جندي[1]

في شهر سبتمبر سنة ١٩٤١ حينما عقدت الجمعية الاميركية الكيميائية جيء بالدكتور توماس مدجلي Midgley — وكان يومئذٍ في دور الابلال من مرض شلل الاطفال — محمولاً على كرسي لمنحه وسام پريستلي وهو ارفع الاوسمة العلمية . فقبل ذلك الوسام جذلاً ولكنه لم يعبر عما خالجه من السرور ، بخطبة مسهبة ، بل استبدل بالخطابة ، طريقة عملية اظهر بها كنه اختراعه أمام اعضاء تلك الجمعية اذ عرض عليهم محركاً ميكانيكيًّا يتحرك بوقود البنزين ذا اسطوانة واحدة . وكان لذلك المحرك خزانان زجاجيان مخصصان لوقوده احدهما يحتوي على بنزين رائق كالماء الصافي وكان في الآخر مزيج ضارب الى الحمرة فأدار مدجلي المحرك بالبنزين الرائق فما لبث ان تحرك حتى دوت قاعة الاجتماع بقرقعته ، واشتدت تلك القرقعة فأزعجت الحضور فقمع كثيرون منهم رغبة ملحة في وقفهِ . فوقفه المخترع في الحال ثم غذى المحرك بالسائل الملون فانقطعت ضوضاؤه وصار هديره منتظماً

وعند ذلك صفق الحضور تصفيقاً طويلاً استحساناً لما قام به الدكتور مدجلي اذ عرض عليهم اعظم مخترعاته وهو استعمال الرصاص الممزوج بكحول الحبوب لتهدئة ثائرة المحركات الميكانيكية اي منع قرقعتها وذلك باضافة هذه المادة المركبة الى وقودها ثم استعمال طرق خطيرة جديدة لتكرير البنزين وهي الطرق التي كان اختراعهُ مروجاً لها . وهذا الاختراع هو اعظم ما تمَّ في المحركات الميكانيكية في العشرين السنة الماضية

لما حل مدجلي في سنة ١٩٢٢ اول معضلة لمنع قرقعة المحركات الميكانيكية كانت احسن السيارات المستعملة حينئذٍ ضعيفة وجميعها تقرقع وهي تنفث البنزين على عكس الحال المسلم بها الآن اذ أصبحت السيارات ذات آلات طيعة مريحة لساقتها وزادت الاميال التي تقطعها

(١) عن مجلة «ريدرز ديجست» عن مجلة «هاربرز»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السيارة بالجالون الواحد من البنزين ٢٠ ٪ وزادت قوة المحرك ٥٠ ٪ فنقص مقدار النفط الذي يحتاج اليه في صنع الوقود اللازم للسيارات الاميركية الى نصفها . بيد ان ما يستوقف الانظار خاصة في البنزين المحسَّن ، يتجلى في الطائرات . والفضل فيه راجع الى ذلك الوقود الجديد حقيقة الذي يمكن الطائرات من قطع ٤٠٠ ميل في الساعة والتحليق عمودياً ميلاً في كل دقيقة مقلة احمالاً ثقيلة مسافة تزيد على ٣٥٠٠ ميل . ومع ذلك لا يزال الكيميائيون والمهندسون يعترفون بأن هذه انما هي باكورة منتجاتهم في ذلك الميدان ، وان تجارب محركات السيارات المسيَّرة بالانواع الجديدة من الوقود الذي يجعلها تبز كل ما ألفناه في حياتنا اليومية ، ما برحت دائرة في معاهد الأبحاث الكيميائية

كان دوي المحرك الميكانيكي عند اجهاده، سرًّا من الأسرار الفنية، في الوقت الذي نال فيه توماس مدجلي درجته العلمية كمهندس ميكانيكي وحينما تولى عملاً مع تشارلز كيترينج في أثناء الحرب العالمية الماضية . ولم يكن أحد يظن حينئذ أن الوقود هو مصدر ذلك النقص . وكان كيترينج منزعجاً من الدوي الذي كان يحدثهُ المحرك الميكانيكي الذي اخترعهُ من طراز ديلكو Delco وذلك عند ادارته بالكيروسين (الجاز) ليولد الطاقة الكهربية التي تضيء المزارع الاميركية. فأوعز الى مدجلي ليبحث عن علاج لذلك العيب . فلحظ مدجلي أن البنزين اذا استعمل بدلاً من الكيروسين انقطع الدوي ومن ثمة اقتنع بأن الوقود كان مصدر تلك الجلبة. وتأييداً لرأيه توخى مشاهدة الدوي بنفسه ففتح في جانب خزان الاحتراق فتحة طولها بوصتان وسدَّها بلوح من البلور الصخري فاستطاع أن يبصر من تلك النافذة حركة اللهب، فرأى ان المحرك حينما يدور دوراناً سويًّا بالبنزين يكون لهبهُ أزرق . واذا دار بالكيروسين انبعث منهُ لهب أبيض وأحدث الدوي

فظنَّ مدجلي ظنًّا خاطئاً من جميع الوجوه، ولكن هذا الظن أرشده الى الجواب الصائب، إذ خيل اليه انهُ اذا أضيف لون قاتم الى الكيروسين جعلهُ يمتص حرارة أكثر من المعتاد ، فينقطع الدوي . ولذلك طلب الأصباغ القابلة للذوبان في النفط فلم يوجد عرضاً شيء منها هناك حينئذٍ . بيد أن الكيميائي المشرف على ادارة المخزن انتقى له قارورة من ألوف القوارير التي كانت فوق رفوف المخزن واتفق انها كانت زجاجة يود واقترح على مدجلي تجربتها

فكان ذلك الاختيار معجزة من المعجزات العلمية إذ صبَّ مدجلي منها قطرات على الكيروسين فجعلت لونه أرجوانيًّا ضارباً الى الحمرة ثم غذَّى المحرك الميكانيكي بذلك المزيج فانقطعت ضوضاؤه

وفي اليوم التالي تمكن مدجلي من الحصول أيضاً على أصباغ أخرى فتبيَّن ان اللون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحده لا يؤثر في الجلبة فلم يشك في وجود خاصية غريبة في اليود ، وهي التي منعت ذلك الدوي . ومن حسن حظه انهُ لم توجد في المخزن صبغة ما قابلة للانحلال في النفط عند ما طلبها أولاً . ولو أتيح له وقتئذٍ العثور على احداها لجربها من فوره ولعدل عن فكرته ولانقضت سنون دون وقوف أحد المجربين على ذلك السر الدفين

وكان اليود في ذلك الحين غالي الثمن فلايسعهُ الانتفاع بهِ على نطاق تجاريّ لمزجه بالبنزين وكان مدجلي كما سلف القول مهندساً ميكانيكيًّا متدرباً فتعلم الكيمياءَ بطول المرانة . وكان يقيم مع مدجلي في مسكنه اثنا عشر معاوناً لهُ ممن شغفوا بالكشف العلمي مثلهُ . فاعتقد مدجلي انهُ ما دام اليود يبطل الدوي في المحركات فلا يبعد أن تعمل عملهُ المواد الكيميائية لاخرى المعروفة . فجرَّب أكثر من ١٥٠٠٠ تجربة علمية وكانت أخراها تجربة وقود احتوى على قطرات قليلة من سائل مركب من الرصاص والكحول ويسمى «رصاص تيترا اتيل» tetraethyl lead فثبت لهُ ولمعاونيهِ انهُ خير مانع للدوي علاوة على توافر عناصره ورخصها . غير انهُ ظهر فيما بعد أن ذلك السائل الجديد مع كونه يمنع الدوي فان اوكسيد الرصاص الذي يتبقى بعد احتراقه كان مضرًّا بالمحرك الميكانيكيّ ، ولذلك وجب كشف مادة كيميائية أخرى لمنع ذلك التأثير . فتبين أن البروم يقوم بذلك العمل خير قيام غير أن الميسور استخراجه من البروم من مياه الآبار الملحة لم يكن يسد غير قدر صغير من المقدار الذي يطلب لذلك القصد

ولا يخفى انهُ يستطاع استخراج البروم من مياه البحر أيضاً إذ هي معينٌ له لا ينضب .غير انهُ لم يكن في وسع امرىءٍ ما حينئذٍ الوصول الى ذلك الخزان الفياض بغية استخراج البروم منهُ . ولذلك قضى مدجلي وأعوانه شهراً كاملاً يسعون جاهدين في تجربة مياه البحر ثم اتحدوا مع شركة داو Dow الكيميائية لانشاء مصنع لاستخلاص ذلك العنصر من المحيط حيث أتيح لهم استخراج ٤٠٠٠٠ طن في السنة ، فأصبح ٨٠ ./. من البنزين الذي يباع الآن في محطات التموين الاميركية معالجاً بمركب مدجلي المانع للدوي

وحينما شاع الخبر بأن كيترينج ومدجلي قد أنفقا أربعة ملايين ريال قصد ابطال دوي المحركات الميكانيكية أدرك بعض مكرري النفط وصانعي السيارات التأثير العظيم الذي سوف ينجم عن ذلك الكشف في أعمال النقل العام . وقد شاهد اولئك الصنَّاع ما عرضهُ المخترعون اذ أراقوا قطرات من سائل مدجلي على البنزين فمنعت لغط المحرك . ثم شرع كيترينج ومدجلي في توضيح كيف يكون منع الجلبة باعثاً على زيادة قوة الوقود . وكانا قد عرفا من قبل سبب الجلبة التي يحدثها المحرك الميكانيكي كما تقدم القول اذ صورا فعل انواع الوقود

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المختلفة وذلك بالآلات السريعة التصوير ثم عرضا الصور عرضاً بطيئاً فتحققا ان المحرّك يحدث الضجة لأن الوقود المتبخر البعيد عن شمعة الشرارة (بوجيه) spark plug يتهيج عند ضغطه فينفجر قبل وصول اللهب اليهِ . فاذا أضيف الى ذلك الوقود المتبخر مزيج الرصاص السابق الذكر ، احترق احتراقاً سويًّا وجعل حركة المكبس منسجمة . وأدرك مخترعو المحركات ان في مقدورهم زيادة قوتها باحداث تعديل يسير فيها ففعلوا

***

وجربت شركة البنزين الكحولي تجارب جديدة في المحركات والوقود بغية ترويج ذلك السائل المضاد للجلبة فوضعت مقياساً للاوكتين تقدر بهِ صفة البنزين مانع الصوت فجعل أردأ الوقود المحدث للضوضاء في درجة الصفر وجعل ذلك الوقود النادر الذي لم يكن موجوداً الاّ في معاهد الابحاث الكيميائية في درجة المائة الكاملة . وسرعان ما اشتدَّ التنافس بين الوقود المحسَّن وبين المحركات الميكانيكية التي صنعت لاستعماله

ولصنع البنزين المحسن طريقتان وهما اولاً اضافة شيء اليهِ وثانياً اعادة تركيب ذلك الوقود نفسه تركيباً كيميائيًّا . بيد أن الخطر الصحي يحتم تحديد قدر الرصاص الذي تمكن اضافتهُ الى وقود السيارات ، وان يكن الكيميائي يغض الطرف عن ذلك في سبيل تحسين البنزين . وفي سنة ١٩٣٠ تبين أوجين هودري الفرنسي ان البنزين المتبخر حينما يتغلغل في الطين الاسوانلي يتغير تركيبه الذري وينتج منهُ وقود غزير الاوكتين . وبحث ارثر پيو Pew نائب رئيس شركة « صن اويل » الاميركية عن طريقة لاستغلال البنزين المانع للضجة دون اضافة الرصاص اليه فاتفق أودري وپيو مع معضديهم على انفاق ٣٥ مليون ريال أميركي في انشاء مصانع جديدة لتكرير البنزين الغزير الاوكتين . وفي الامكان ايضاً رفع نسبة الاوكتين في البنزين وذلك بوساطة تحسين طرق تكرير النفط . وبهذه الطرق يعرَّض النفط الخام لحرارة وضغط عظيمين يحولان كثيراً من جزيئاته الكبرى الى احجام صغيرة تلائم البنزين . وليست هذه الطريقة جديدة ولكن قد حدث فيها تقدم ، اذ رفعت نسبة الاوكتين في البنزين. ولهذه الطريقة تأثير شديد ايضاً في توفير النفط لانها تستخلص البنزين من الفضلات الثقيلة التي تفضل من الوقود السائل وهي التي لم يكن مستطاعاً من قبل تحويلها الى بنزين

وتستعمل الآن طريقة التكرير الحراري بمقتضى ترخيص رسمي وذلك في اكثر من ثمانين مصنعاً اميركيًّا للتكرير

على أن اخر أنواع الوقود التي تصنع الآن في معاهد الابحاث العلمية في مقادير لا تزيد على قطرات ستحطم جميع المقاييس الحالية في قدرة المحركات الميكانيكية، ومنها السائل المسمى « تريبتان »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

triptane وهو يولد قوة تزيد ٥٠ ./. على قوة اجود انواع بنزين الطيران . ولذلك لا يألو الكيميائيون جهداً في اختراع طريقة لصناعته تكون أرخص من الطريقة الحالية . فاذا وفقوا اليها اصبح للتريبتان مستقبل باهر وشأن عظيم

وقد تكون غزارة الاوكتين في البنزين اقوى عوامل الظفر بالسيادة الجوية التي يتنافس عليها المتحاربون في الحرب ولا غرو فقد أسفر فحص البنزين الذي وجد في حطام الطائرات الالمانية المحاربة عن كونه يحتوي على ٨٧ ./. من الاوكتين،وكذلك ظهر ان المقادير التي تصنعها اليابان من الوقود الغزير الاوكتين محدودة.على حين ان الطائرات البريطانية والاميركية تزود بمؤونة كافية من الوقود المحتوي على ١٠٠ ./. من الاوكتين . وبلغ من ندرة هذا الوقود منذ سنوات ان كان يباع بسعر ثلاثين ريالاً للجالون الواحد اما الآن فان الحكومة الاميركية تشترى منهُ مقادير عظيمة جدًّا مشحونة في عربات صهريج . وقد اخذ المختصون، في وضع مشروعات تمكنهم من ابلاغ المنتجات اليومية من هذا الوقود خمسة ملايين جالون

وغني عن البيان ان زيادة نسبة الاوكتين في وقود الطائرات الاميركية والبريطانية بقدر ١٣ ./. عليها في طائرات خصومهم الالمان تعطى قادة القاتلات المتحالفة قوة تزيد ٣٠ ./. على القوة في طائرات اعدائهم . وهذا يعني ان الطيار البريطاني أو زميله الاميركي عند قيامه من الارض يوفر خمس المسافة التي ينبغي قطعها قبل ارتفاعهِ في الجو ، وانهُ أسرع من خصمهِ في التحليق بعيداً عن مرمى المدافع المضادة للطائرات ، وان في وسعه ان يحلّق فوق أية طائرة من طائرات اعدائه التي تكون من وزن طائرته . ثم ان البنزين المحتوي على ١٠٠ ./. من الاوكتين يقلل حمل الوقود الذي تحمله الطائرة القاذفة فتتمكن من حمل عدد أكبر من القنابل او يتاح لها توسيع مدى طيرانها . ولهذا السبب قلل الالمان من زنة السلاح الذي تسلح بهِ كثير من طائراتهم القاتلة فغَدَت أضعف ناراً وأيسر منالاً في الجوّ

والبنزين الذي يسِمه الكيميائيون بسمة ١٠٠ ./. ليس الآن في رأس المقياس إذ ظهرت في السوق أنواع جديدة من البنزين أسمى من درجة المائة بكثير وجرّبت في السيارات والطائرات فاذا هي تدفعها بسرعة أعظم وبنفقة أقلّ . ويرى الخبراء ان سيارات المستقبل ستعتمد على أصناف جديدة من الوقود تجعل سرعة مائة ميل في الساعة أمراً عاديًّا وفي الوقت نفسهِ توفر السيارات ما تستنفدهُ من البنزين . ويرى غيرهم ان كلَّ جالون من البنزين يحتوي — من الوجهة النظرية — على طاقة تدفع السيارة مدى مائتين وخمسين ميلاً. وما تمَّ حتى الآن ليس إلاّ بداية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« حذارِ أيتها المرأة من مصباح پسيشي »

پسيشى

Psyché

مسرحية في فصل واحد

بقلم خليل هنداوي

الاشخاص

كيوپيد : اله الحب	الاهات
جيوبيتر : كبير الآلهة	پسيشي
ڤينوس : إلاهة الجمال	الوصيفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفصل الاول

المشهد الاول

(فينوس — في غيظ وعربدة مع ولدها اله الحب كيوبيد)

فينوس — (متوعدة) . أعدتَ هذه المرة مُخفقاً ايضاً ؟ ما قيمة سهامك يا كيوبيد

كيوبيد — لم أخفق يا أماه ! ولكنني كلما جربتُ أن أدنو منها أحسست ان نوراً لاذعاً ينقب قلبي

فينوس — ! نور لاذع ينقب قلب من تنقب سهامه قلوبَ العشاق

كيوبيد — دنوتُ منها في المرة الاخيرة لأجتذبها وأطرحها مطرحاً بعيداً لكن حرّاس جمالها الغامض كانوا يحولون بيني وبين الدنو منها

فينوس — ومن يستطيع ان يقف حائلاً دون ما أريد ؟

كيوبيد — ولكن اذكري ان كثيرات وكثيرين من الآلهة يخالفون ارادتك

فينوس — انك تهين امك يا كيوبيد ! انك لولد عاقّ ! انك صبي مسحور لم تستطع أن تنفذ من يد امرأة ...

كيوبيد — ولكن اذكري أنك امرأة قبل أن تكوني الاهة ، أنهم يتحدثون عنك في قمة الأولمب كامرأة متناسقة الاجزاء

فينوس — هذا كل شيء ! انهم يغارون مني ، يغارون من هذه الروح التي تبث روح الاتصال بين جميع هذه الاكوان المتنافرة

كيوبيد — وأنتِ لم تتحملي بعد هذا فتاة حسناء لمجرد ظنكِ أنها تحاول أن تحل محلك في الاولمب

فينوس — اني وهبتُها الجمال وندمتُ على هذه الهبة . اني خلعت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليها ثوبي لأنظره على جسد غيري ... انها تكاد ان تجعل للجمال الاهتين

لا أقدر ان أطيق ! كيوبيد ! اسحقها او ترد عليّ ثوبي

كيوبيد — عارٌ على الـه يسترد ما أعطى ، ويأخذ ما وهب !

فينوس — كأن في نفسك شيئاً من هذه الساحرة ؟ ان هـذا لما يزيدني كيداً لها

كيوبيد — ولكن ما قيمة هذا الجمال الذي تمنحينه للناس اذا كان لا يعيش الاّ ردحاً من الزمن ، دعيها تنعم بهِ قليلاً ، دعيها تتيه قليلاً على الحياة ، ثم تذبل ، ثم تسقط على الثرى وكأن لم تكن . وكأن ليس هنالك أصابع الـهية نحتت هذا التمثال الذي أصبح خاوياً ، دعيها للحب فان جسداً مجهولاً سيناديها ، ويمتص منها عصارة جمالها الأسمى ، ثم تصبح بعد ذلك صدى لهذا النداء ، وتزول « بسيشي » ، على حين تخلد فينوس مع الأبد

فينوس — أخشى أن تفتن بعض الآلهة فيعطيها الخلود ثمناً لجمالها !

كيوبيد — وكيف يخفق قلب قبل ان تشاء ارادتي ، وما عمل هذه السهام اذاً

فينوس — أصبحت أحذر من هذه السهام عليك !

كيوبيد — كيف ؟ أتريدين أن تفوّق يدي السهم الى قلبي ؟

فينوس — أخشى ان يتغفلك احد فيسرق منك سهماً !

كيوبيد — قد يكون الأمر كذلك ، سأعدُّ سهامي العشرة

(يفتح كنانته وينثر سهامه)

أرى احد سهامي ناقصاً

فينوس — ويلٌ لك يا كيوبيد ! ذلك سهم أُعِـدَّ لقلبك

كيوبيد — أيريدون أن يقع الـه الحب في أسر الحب ؟ انني منطلق أبحث عن سهمي الضائع

فينوس — لا تدن من حمى بسيشي لأني اخشى ان يكون السهم في يدها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المشهد الثاني

(بسيشي في قفرة وحدها تبكي)

بسيشي — (لنفسها) أهذا هو ظلهُ يلوح لي بين القصب . ان سروات القصب تهتز . وأسمع صريرها مع الريح . . . وقع أقدام ثقيلة — لاشك في انها وقع أقدامهِ . . . أتراه يطرحني أرضاً ثم يتركني أتمرغ على دمائي ؟ أم تراه يريد أن يلتهمني كثمرة ناضجة ؟

(يظهر كيوبيد ساهم الوجه يبحث في الارض عن شيء ضائع)

بسيشي — ويل أمه ! ألا يراني على تألقي ؟ اني أظن ان قوة عينيهِ في جسده . . . اراه يميل عني الى تلك الجهة ، أراه يطرق كثيراً في الأرض . . .

(يلتفت كيوبيد فجأة فيراها)

كيوبيد — (بغضب)

من أنت أيها الشبح الذي يلاحقني ؟ ارفع يديك قبل أن يصيبك سهمي النافذ !

بسيشي — (مذعورة ترفع يديها)

اطمئن أيها البطل ! ليس بين يدي إلاّ الجمال وليس على صدري إلاّ اللذة !

كيوبيد — ها . . . ها . . . انك صبية معتدة بجمالها ، ما تعملين هنا أيتها الغادة ؟ أتنتظرين محبًّا يتمرغ على هذا المهد الدافىء ؟

بسيشي — ألست أنت الذي وُعدتُ بلقائهِ : ان تكن نفسك كلسانك . . .

كيوبيد — لا تسترسلي في سحرك ! أعطيني سهمي الضائع !

بسيشي — وأين ضاع سهمك أيها البطل ؟

كيوبيد — أليس عندك سهمي ؟

بسيشي — اذاً لستَ بذلك المسخ الوحشي الذي يريد التهامي !

(كيوبيد يواصل سيره)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بسيشي — قف قليلاً

كيوبيد — لا تدني مني . . . وصية أُمي . .. السهم الذي يجرح ليس له شفاء !

بسيشي — حنانيك . . . أنقذني ! الأبطال يبغضون الضعف ، لكنهم يرحمون الضعيف

كيوبيد — كما وصفوكِ لي . فتنة وسحر . لا تقفي في طريقي فاني أحطمك

(بسيشي تصر على التعلق بأذياله)

بسيشي — أرني وجهك حتى أتبين ملامحه : أقتلني اذا شئت !

(يفلت كيوبيد منها)

كيوبيد — أحس اني في هذه الأرض فقدت سهمي الضائع . وأحس أنني لن ألقاه

(بسيشي تتصاعد منها أصوات البكاء)

المشهد الثالث

(بسيشي حائرة واجمة تتمشى في رحاب قصر منيف لكنها لا ترى أحداً)

بسيشي — كل شيءٍ حولي يثبت لي إنني خرجتُ عن عقلي : أين أنا ؟ ومن وضعني هنا ؟ أظنّ ذلك الوحش أنهُ يسترضيني بهذه المتع من الحياة ، ولكنه وضعني حيث لا أرى إلاّ خيالي

(بصوت عال)

ليكلمني من يسمع كلامي ! ليجبني من يفهم لغتي ! لا يرن إلاّ صوتي

(تلمح خيالا مقبلا نحوها)

أحقًّا أرى قامة انسان ؟ أكاد أطير ...

(تعدو نحوه)

من أنت يا صاحب القصر المسحور ؟

كيوبيد — (مقنعاً) يا لك من جريئة ! ان سحابة جمالك خيّمت على قمة (الآلهة)

بسيشي — أين نحن الآن أيها الفتى الكريم ؟

كيوبيد — لا أعلم أين نحن الآن ؟ ولكني أظن أن الأرض لا تنطوي علينا !

بسيشي — أتريد أن تقول : ان الأرض خلفنا !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيوبيد — لا أستطيع أن أقول شيئاً

بسيشي — ومتى يقبل سيدك الذي وعدت به

كيوبيد — قريباً يقبل على مركبة العواصف

بسيشي — ما عسى يصنع بي ؟

كيوبيد — انه نهمٌ جداً ، يحب اللحوم الغريضة ، كل شيء فيه يأكل . ولا أظنك تكفينه ليلة واحدة ، ولا بد انهُ قد أعدَّ واحدة أخرى معك للغرض نفسه

بسيشي — اذاً أنا أمام حيوان مفترس !

كيوبيد — براثنهُ دائماً مخضبة بدماء العذارى

بسيشي — حنانيك ! احجبني بطرف ردائك ! خذ بي واقذفني قطعة واحدة خارج القصر

كيوبيد — ولكننا نتلهى بك وبأمثالك بعد أن يضعك أشلاء هامدة على التراب

بسيشي — ويلٌ من الحياة

كيوبيد — انك ذات فتنة غريبة ايتها الزائرة الصغيرة ! كيف انتقاك أهل مدينتك قرباناً لهذا المسخ ؟

بسيشي — ألا تحرك الرأفة قلبك فتعمل على انقاذي؟

كيوبيد — ولقاء ذلك ...

بسيشي — اكون لك الى الابد ...

كيوبيد — ولكنا قد نتألم كثيراً

بسيشي — اكون لك . . . لنبادر قبل ان يداهمنا !

كيوبيد — بسيشي ! انك سيدة هذا القصر العجيب ، والذي يحبك فتى قد يكون جميلاً ، ... انقذتك من مخالب ذلك المسخ ، وحملتك على مناكب الريح الى قصر بعيد . انني أحببتكِ . . .

بسيشي — (تهوي عليه)

أحقاً ما تقول ؟ ولكني اراك مقنعاً . . . ازح النقاب حتى ارى وجهك . . . حتى اراك . . .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيوبيد — أحبيني ولـكن لا تمسي قناع وجهي فانك تحرقين ما بيننا
بسيشي — ان في وجهك اسراراً
كيوبيد — كل ما في وجهي من اسرار ابثها لك مع الليل
بسيشي — انك لن تكون الاّ جميلاً
كيوبيد — لنعش خلف القناع ! او لنوقظ حياتنا على شفاهنا في الظلام !
بسيشي — انك تترك بألفاظك شيئاً غامضاً ينساب في اضالعي !
كيوبيد — هذا هو الشيء الذي ينبض في عروق الانسانية كلها
بسيشي — تعال اليّ — أعلى النور جئت ام على الظلام ؟

المشهد الرابع

(فينوس مع وصيفة لها في أرجاء قصرها)

فينوس — هل تقصيت حركات ولدي ؟ وعرفتِ اين يذهب في كل ليلة ؟
الوصيفة — تبعتهُ ليلتين ، انه يترك القصر كل مساء ولا يعود الاّ صباحاً
فينوس — كيف يعود ؟
الوصيفة — فاتر العينين ، ذابل الشفتين ، كأَن خده جمرة خامدة
فينوس — عرفتُ الآن اين يقضي لياليه
الوصيفة — على صدر امرأة
فينوس — هذه المرأة تريد ان تنتقم مني باختطافها ولدي . انها نجت من المسخ الذي سلطتهُ عليها ، وضاع الثمن الذي بذلتهُ له . ولـكنها لن تنفذ من حيلتي الثانية . هل في وسعك المغامرة من اجلي ؟
الوصيفة — وهل هناك شك في اخلاصي ؟
فينوس — اتبعيه الليلة الى حيث يذهب ! وترقبي الغـادة التي يجالسها ، وافسدي كل علاقة بينه وبينها . كل ما بينهما من حب يجب ان يصبح بغضاً ، انهُ يأتيها مقنعاً وجهه ، لأنها لا تستطيع ان تتحمل لمعة عينيه . فدعيها تعمل على كشف القناع عن وجهه ، واثبتي في ذهنها ان هذا القناع لا يتوارى وراءه الاّ وجه قبيح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وجه المسخ الذي نجت منهُ
اذهبي سريعاً وانقذي آلـه الحب من الحب

المشهد الخامس

(بسيشي قبيل الغروب وهي تستعد لاختطاف زهرات تتزين بها قبل ان يحين موعد كيوبيد حبيبها ، ترى خاطرة زاهية ، تنتقل من ضاحية الى ضاحية)

بسيشي — (تتناول وردة)
انك جد فوّاحة اليوم يا سيدة الأزهار!
ان حبيبي لا يحب العطور الكثيفة الخانقة ، أكتفي منك بشمة تخدرني
(تبرز وصيفة فينوس)

الوصيفة — آه ! ما أجملك من فتاة ! سبي جمالها كل عين، رأيتك زهرة تتمرغ على أزهار .
انكِ في نعيم يا مولاتي !

بسيشي — وأنت !

الوصيفة — على ما أبتغي من النعيم ، انني شاكرة كثيراً للصدف التي قادتني الى هـذا المكان

بسيشي — وأنا ما اكثر شكري لأنها أرسلت اليَّ رفيقة اطرد السأم بجانبها وأحيي سوانح الغابر معها ، كان هذا القصر ضيقاً برغم اتساعه

الوصيفة — ما أنبل شعورك يا سيدتي ! ان هناك أسئلة تمر على لساني ثم تعود لأني أجدها فضولية ولكن نفسي تدفعني الى القذف بها

بسيشي — لعلها اسئلة تدور حول حياتي

الوصيفة — ذلك كل شيء ! أنا حائرة في حياتك ، حائرة في معرفة نفسك ، كل شيء حولك مبهم غير شفاف . كيف اخترت هذا المكان لسكناك؟ ومن يسكن معك من اهلك ؟ ومن هو زوجك الذي لا يطرق القصر إلاّ في الظلام ؟ ولكن عفواً ... تجاوزتُ حدود نفسي ولا حق لي في القاء هذه الأسئلة المحرجة ، لأنني اعتقد أن لكل

حياة سورها الذي لا يرتقىء وسرها الذي لا يكشف ، ولكن حب السؤال ...

بسيشي — انك لم تسبقي نفسي الى هذه الأسئلة. وما عساك تقولين لو أنبأتك انني أنا نفسي أجهل أسرار حياتي . وأرى حياتي كلها لغزاً مبهماً ورمزاً غير واضح . انا في قصر لا أدري كيف نزلت فيه . أحيا مع رجل لم أتبيَّن حتى الآن وجهه . أيامي يلفها سأم ، ولكن لياليَّ يوقدها حب مقنع لا يرى بعينيه ، لكن شفتيه شديدتا الاحساس ، حتى لكأنه يسمع بهما ويرى بهما

الوصيفة — آه ! في كلامك سر أغمض من الأسرار ! وكيف تعرفتِ بهذا الرجل الذي تجهلين وجهه ؟

بسيشي — انه يقول : وجدني حين قدمني أهلي فدية لمسخ وحشي يتمتع بي كما يشاء ، فأشفق على جمالي ، فاحتملني الى هذا القصر ، وأحبني حبًّا شديداً

الوصيفة — ولكن فيمَ يواري وجههُ عنك ؟

بسيشي — لم يبح لي بسر ذلك ! على أني قد جادلت فلم ينفع جدالي

الوصيفة — وهل انتِ تجدين لذة على مثل مضجعهِ ؟

بسيشي — انه يعطيني كثيراً ، ولكني أريد ان أرى وجهه

الوصيفة — وهل تعتقدين أنه جميل ؟

بسيشي — انه يقول ذلك

الوصيفة — مسكينة أنت أيتها الصغيرة . لقد ظننت يوم رأيتك ، انك سعيدة في حياتك . وإذ بكِ تعيشين تحت الأرض لا فوقها

بسيشي — وما عساني أعمل في الكشف عن وجهه ؟

الوصيفة — قولي لهُ : انك لن تصبري على هذا القناع ، وانكِ تريدين بأي ثمن كان النظر الى وجههِ ولو طرفة عين !

بسيشي — ولكنه يقول : ان وجهه يحرق عيني بلمعات جماله !

الوصيفة — ولِمَ لا يكون القبح يحرق العين أيضاً ؟ قولي له : احرق عينيّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولكن أرني وجهك !

بسيشي — واذا ابى عليَّ ذلك

الوصيفة — كان معنى اصراره وتمنّعهِ انه ذلك المسخ الكريه المنظر ، القبيح الوجه . يواري قبحه عنك بهذا القناع . فازليهِ الليلة واطلبي اليه ان يميط القناع عن وجهه ، فان لم يفعل فانتظريه حتى ينام وأنيري شمعة وخذي مدية بيدك فاذا رأيتِ وجهاً جميلاً ثابرتِ على حياتك ، واذا وجدتِ وجه مسخ فاغرزي المدية في قلبه وانقذي نفسك من شقاء الحياة

المنظر السادس

(في الظلام كيوبيد وبسيشي — ضحكات تتعالى من جوف السرير الذي يلفه الليل العميق)

بسيشي — والآن لم تترك في فمي رضاباً !

كيوبيد — انه عسل مصفى !

بسيشي — انك لا تزال عندي مجهولاً حتى تظهر عليَّ وجهك

كيوبيد — كفى يا بسيشي ذهاباً في المحال ! لا تعكري عليَّ كل ليلة صفو هذه السويعات الهادئة

بسيشي — أريد ان ارى ما وراء هذا القناع

كيوبيد — كلنا يريد ذلك . سواء عاد علينا ذلك بخير او بسوء

بسيشي — من يستطيع ان يتحمل قناعاً على وجههِ ؟

كيوبيد — ولكن ألا تجدين في قناعي نفسه لذة لا تعدلها لذة ، لأنك تلمسين وجهي دون ان تراه عيناك . في وجهي جمال لكنه غامض ، وعلى عيني مفاتن لكنها مبهمة

بسيشي — وما عسى يضرك لو كشفت لي هذا الغموض ، اننا نحيا في الشمس

كيوبيد — ولكن الحب لليل !

بسيشي — لن يهدأ لي بال حتى أراك

كيوبيد — أصرفك عن التفكير في هذا لأن وجهي المكشوف يتركك سائمة

بلا حركة ولا رغبة ، دعيني بقناعي . ذلك أبعث لك على الحياة هنا

بسيشي — ولكن ظمإي لا تطفئه كلماتك ، لا أفهم ما تريد !

كيوبيد — يجب ان ألقاكِ على هذه الحالة ، ويجب ألاّ تنظريني إلاّ من وراء قناع . انك في اللحظة التي تصبحين فيها بدون امنية ستضجرين وتسأمين ، لأن حياتك تغدو صحيفة بيضاء !

بسيشي — أأضجر اذا عرفتُ ، وأسأم اذا رأيتُ ؟

كيوبيد — أأنت أكبر من الآلهة الذين يأتيهم السأم وهم في الذرى من اللذة والاطمئنان ، انهم يخلقون لأنفسهم مواضع للآمال والاضطراب يشغلون بها أنفسهم وحياتهم ، ليستطيعوا أن يتقبلوا الحياة متطورة متغيرة ، وهل الاكتفاء التام والسأم إلاّ قرينان متلاصقان ؟

بسيشي — فلسفة لن تروي ظمإي . . .

كيوبيد — أحس ان صرح سعادتنا يريد أن ينهار

بسيشي — أكل ذلك من أجل قناع ؟

كيوبيد — انك غير مستعدة لفهم هذا القناع الذي تضعهُ الانسانية نفسها على وجهها . الحياة كلها وجه مقنع ، ولكن الانسان وجده يحاول أن يكشف هذا القناع ليرى ما خلفه . ولكن الحياة تمشي بقناعها ، والناس من ورائها يتهامسون ويتجادلون في تعيين ملامح هذا الوجه

بسيشي — ولكن من يدري ان وراء هذا الوجه قبحاً ودمامةً يحاولان أن يتسترا بهذا القناع

كيوبيد — ثقي بأن جمالي تتهلل له الأشياء . وتتحدث بهِ الاكوان

بسيشي — ذلك ما يبعثني على ان أتعلق بوجهك . . . أتراك الكائنات كلها وأنا لا أراك !

كيوبيد — ذلك لأننا اتصلنا اتصال العين بالعين ، والنور بالنور

بسيشي — ونحن على سرير واحد ، ليس بيني وبينك إلاّ قناع . ان في عينيَّ

ظمأً لا يرويه شيء . من أنت ، أرني وجهك الجميل !

كيوبيد — عينك التي تتسع لعناق العوالم كلها ستضيق عن استيعاب أسرار وجهي

بسيشي — لتنطفىء عيني اذا شئت ، بعد ان تترك خطوط وجهك عليها

كيوبيد — لا تحاولي ذلك يا بسيشي !

بسيشي — استر وجهك اذاً ! لِمَ لا أكون انا مقنعة كالسر حيالك ؟

كيوبيد — ذلك لأنك ستظلين على الأبد سرًّا مجهولاً

بسيشي — ولكن ما عساني اعمل بهذه الرغبة الملحة ؟

كيوبيد — لنعش في الضباب اذا اردنا السعادة ، ليس في الوضوح شيء . لا تظلمي حياتنا ولا تقصي جناحيها الذهبيين . ودعي نفسك تمشي وراء امل يناديها على الحياة كلها ولو لم يكن له حقيقة . ما حال الانسانية اذا أوقفناها ازاء حقيقتها وجهاً لوجه ... انها تمشي متجرجرة بشقائها وآلامها الى حيث لا شيء إلاّ الألم والشقاء دعيها تمشي الى ذلك الأمل المقنع وجهه دون ان نحاول ازاحة القناع عنه

بسيشي — لا أراك الليلة في هذه الغرفة

كيوبيد — أنا لك ... انا على فمك ... لنعش في النسيان ولنم في النسيان

(ينامان)

(بعد قليل ترفع بسيشي رأسها فتراه نائماً . تأتي بشمعة تنيرها وبيدها مدية . (تقبل رويداً رويداً حاملة شمعتها وتدنو من وجهه ، فترى لمعته ، تعود باهتة مرتجفة لانها رأت وجه اله الحب ، فتقع نقطة من الشمعة على وجهه فيفتح عينيه ، وتسقط المدية عليه فتولي مذعورة)

كيوبيد — اطفئي يا بسيشي مصباحك ! جعلت وجهي عندك مبتذلاً وحرقت ما بيننا من الحب

(ينهض حنقاً ، وتطفىء بسيشي الشمعة ، وينطلق كيوبيد)

بسيشي — كيوبيد ! يا اجمل الفتيان ! اين أنت ؟ ما رأيت على وجهك الاّ قناعاً

(تلتفت فلا ترى احداً : تخرج لتنادي الوصيفة فتسمع في الليل قهقهة مولية تبتعد عنها)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوصيفة — لقد ذهب عنك الى الأبد .اشعلي الآن مصباحك طول الليل !

بسيشي — اين انت يا كيوبيد ! ارجع اليَّ بقناع تحته الف قناع

(لا ترى احداً ، ولكن القصر يتوارى ، واذا بها تجد نفسها على صخرة في أرض قفرة)

ويلاه أين أنا ؟ أفي حلم كنت ؟ أين مفاتن القصر ؟ ما هذا القفر ؟ طريق غبراء طويلة أمامي ، وليس ورائي شيء ... لا يصفر حولي إلاّ الريح ...

(تمشي باكية) الى اين امشي ؟ وما نهاية هذه الطريق؟ ولم أتمم حياتي ؟

شبح كيوبيد—(يتراءى أمامها)

تشجعي يا بسيشي ! واجتازي هذا الدرب البعيد ، فما أصابنا كان السبب فيهِ أمي الغيرى من جمالك . واحذري من ان تودي بحياتك . . . اريد ان تتألمي ولكن لا أريد ان تموتي ...

المشهد السابع

(على قمة الاولمب . . . صخب كثير واضطراب ظاهر)

(في منارة مزخرفة سرير يرقد عليه كيوبيد ومن حوله الآلهة كجوبيتر وفينوس أمه ، وبعض الغواني ، والكل باهت ، والقليل مغمض عينيه)

غانية — ان سحابة الحزن طال تحليقها على القمة

غانية — أجل فتيان الاولمب يذوب شبابه

فينوس — ولدي ! لقد أشرق الفجر وأنت لا تزال نائماً . ان السواقي تنساب بدون خرير لأنك لا ترشف منها

كيوبيد — من ذا يكلمني ؟ أراها لا تزال تنتظرني . . . أرسلوا من ينبئها انني عائد اليها بعد شفائي

جوبيتر — هي لك أنَّى كانت . وأعواني يرعونها في يقظتها ومنامها

كيوبيد — انني أطلبها منك لقد تركتها وديعة بين يديك لا يستطيع الموت أن ينالها !

جوبيتر — هي لك يا كيوبيد ! لا تحتد كثيراً فانني أخشى أن ينفتح جرحك

كيوبيد — أصبحت لا أحس ألماً ، أستطيع ان أمشي وأخطر

فينوس — لا تبرح سريرك !

(تلتفت خلفها فتبصر آلهة يقبلون)

من أرى ؟ . . . .

الاهةالفجر— أصبح الفجر — يا كيوبيد ! — يسطع على الكون دون ان يلاقي شيئاً يضيء قلبه

الاهة السحاب — أصبحت أسكب سحابي على قفر يباب تعطلت فيه الحياة

الاهة الخصب — تلوّت أعناق السنابل ومالت قامات الأعشاب والأزهار . ومات في قلبها كل حب وحنان . . . لتكاد الأرض تجدب

الاهة الجمال — قم يا فتى الحب ! واخطر قليلاً حتى يعود الرونق والبهجة الى الحياة . . .

فينوس — اذهبنَ مسرعات وجئنَ — ببسيشي — الى قمة الاولمب !

(يذهبن .)

كيوبيد — أحقاً ما تقولين يا أماه أحقاً تلاشت الغيرة في صدرك ؟ الم أقل لك ان بقاءها يشفيني من سقمي ، وان قربها يعيد البهجة الى الحياة ... الآن يستطيع الوجود ان يهتز مرة ثانية

(لجوبيتر) وأنت اية مفاجأة ستحملها الينا ؟

جوبيتر — هل تسكن معك على هذه القمة الخالدة

كيوبيد — وتصير في عداد الآلهة ؟ ذلك ما يزيدني شباباً ونضرة ألا زينوا القمة للحب

جوبيتر — وادعو جميع الآلهة يحتفلوا بمقدم (الاهة)

(تتعالى الاناشيد المقبلة من بعيد ، وترى بسيشي تسير في موكب الآلهة تدنو من حبيبها — كيوبيد — الذي يأخذها بين ذراعيه)

كيوبيد — الآن امسينا يا بسيشي في عالم لا قناع فيهِ

فينوس — ما أجمل لقاءكما ! أحس أن العالم يهتز من غفوته

جوبيتر — بل أراه يغفو على نشوته . . .

الاهة الفجر — سطعت الارض الآن تحت الواني الذهبية !

الاهة الخصب —مشت الازهار الى أعراسها ، كل شيء يميل حبًّا وحناناً

الاهة الموسيقى — اصبحت الألحان ذات معان عميقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جوبيتر — اباركلما ولتكن منكما إلالهة اللذة التي تمشت في الاكوان عند لقائكما

(يمضي الالهة ويبقى كيوبيد مع بسيشي)

كيوبيد — كأن ما بالامس كان حلماً

بسيشي — حلم جميل على علاته

كيوبيد — اين تركت قناعي ؟

بسيشي — كأني لا أزال اراك مقنعاً

(يضحك كيوبيد)

كيوبيد — اصبحتُ واضحاً الآن امامك

بسيشي — كما كنتُ واضحة لك في كل مرة

كيوبيد — تظنين انك واضحة ، والنفس تسرح فيها مواكب من الوجوه الغامضة ، لا أحب ان اكون واضحاً ، ولا أحب ان أرى أيامي المقبلة كالطريق المكتشفة الطويلة التي لاتنتهي . ألست انا الهاً ! ومع هذا فلا أريد أن أعرف ما ينطوي عليه غدي . أريد ان يفاجئني غد بما فيه لأن غداً اقدار واحلام. الالـه الذي يدور كل يوم على محيط حياته يشقى لانهُ لا يجد سواه محيطاً

بسيشي — سنعيش في خوض وضباب

كيوبيد — ضعي على وجهك كل يوم قناعاً ، كلما ازاحته يدي لقيت قناعاً خلفه . الحب يريد غيوماً وضباباً ، والحياة تريد غيوماً وضباباً....

بسيشي — ألا نعود الى ذلك القصر وحدنا ؟

كيوبيد — قصرنا هذه السحب الثقيلة التي تحضننا وتحملنا على مناكبها

بسيشي — اراني ارتعش

كيوبيد — التصقي بجسدي المتوقد !

بسيشي — لا ازال ارتعش

كيوبيد — افتحي عينيك ! (تفتحهما) اغمضيهما ! (تغمضهما)

انت لي يا بسيشي !

كيوبيد — وأنت لي يا كيوبيد !

(الستار)

الاجتماع

وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها في « الفولكلور » العالمي

للاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي

— ٤ —

من أكبر العلماء الذين عنوا بالفولكلور في العصر الحديث الاستاذ جيمس فريزر الذي قضى أربعين عاماً في تأليف كتابه The Golden Bough أو «غصن الذهب» وقد جمع فيه كافة الاساطير والروايات الدينية والقصص القديمة ومعتقدات الشعوب البائدة وأمثالهم وأشعارهم وأغانيهم وهي أصدق صورة لمعقولياتهم فأسدى أجل خدمة لعلماء الاجتماع وصار كتابه النفيس الذهبي حجة وثقة ومرجعاً . وهو لم يستثن انكلترا نفسها بل سرد خرافات أهلها وأساطيرهم وأغانيهم ونوادرهم لانه عدّها فناً من أفنان الشجرة الانسانية خاضعة بحكم الجنس لكل ما سرى من قوانين الحياة ونواميس الوجود والاجتماع على سائر الأمم

وربما كان في مصر أو في العالم العربي من يخجل من ذكر خرافة أو عادة مستهجنة أو مثلٍ حوشيٍ أو حكمة سوقية مع انطواء العادة أو الخرافة أو المثل على موعظة عالية تكونت على مدى الأجيال والقرون

ولا ننكر ان أمم الشرق ما برحت تتدرج في نبذ الخرافات التي لا تلتئم وروح الاسلام كالزار والتنجيم ولا ندعي ان في هذه الخرافات ما يؤسف على نبذه واهماله ولكن لا محيد عن القول بأن فيها ما قد يصلح أن يتألف منهُ بعض التراث الوطني للشعوب الشرقية كأسماء ملوك الجان (شمهورش وشركائه) وعاداتهم وثيابهم وضحاياهم (كالديك الدندي الأبيض والحمل الأحمر والحمامة الزرقاء) ومصوغهم وأصباغ وجوههم وألفاظهم (ويعزونها الى اللغة السريانية) والاناشيد التي تنشد على دق الطبول

وان هذه الشعوب التي تشعر الآن أكثر مما كانت تشعر قبلاً ، بنزعتها الوطنية وحاجتها الى الاحتفاظ بذلك التراث الوطني ، لا يمكنها بل لايجوز لها أن تهمل ما تتألف منهُ مظاهر الانماط التي جرى عليها السلف في كل يوم من أيامهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على ان هذه الحياة التي قضاها السلف والأجداد بالأمس وما برحت ماثلة أمام أعيننا بآثارها لن تلبث أن تصبح من ذكريات الغد البعيد ولذلك لم يبقَ من الوقت إلاّ ما يكفي أن نجمع شواهدها وأعلامها للاجيال القادمة قبل أن تتوارى في طيات العدم وتصبح نسياً منسيًّا . هذا ما عملت به من زمن قديم الامم الغربية بشأن مظاهر حياتها الشعبية وما شرع فيه أخيراً بعض الامم الشرقية كاليابان وتركيا فهي تجمع في متاحف خاصة اتنوجرافية واتنولوجية طائفة من الثياب والحلي والمصوغ والشارات والأوسمة والاشياء التي يستعملها الشعب في قضاءِ مطالبهِ وتحتفظ بمجموعات من الأقراص الفونوغرافية التي سجلت عليها الأغاني العامية ، عدا ما تسجلهُ وتطبعهُ من الأمثال والقصص والنكات والشواهد العامية . لأن اللغة العامية هي أعظم مظهر من مظاهر الحياة الشعبية ، فبها وحدها نستطيع أن نعرف ونحفظ أسماء الاشياء والأدوات والآلات والاوعية التي كان يستعملها أجدادنا والأمثال التي ضربوها لجمعوا فيها الكثير من الحكمة والخرافات التي يعتقدون بها فتنبيء عن وجهة نظرهم في الحياة . ويزيد على ذلك ان اللغة العامية غنية بالنكات والمهازل والنوادر مما لا يمكن أن يوجد ما يعدله رشاقة ودقة في اللغة الفصحى وهذا ما يحمل الممثلين والمؤلفين المعاصرين على الالتجاء الى اللغة العامية ، في التأليف والتمثيل فنجحوا نجاحاً أكبر من نجاح المؤلفين والممثلين الذين يؤدون عملهم باللغة الفصحى . وهذا ما يدعو الصحف الهزلية في انكلترا وفرنسا وأميركا والشرق الى تفضيل اللغات العامية على الفصحى في معظم ما تكتبه وتصوره وتتمثل به . ومن الامثلة الحية على فوائد علم الفولكلور ما توصل اليهِ نيتشوفورو وبرايس وأدمون لوكار — وكل منهم من علماء الاجتماع الجنائي — من كشف اللغات السرية والرمزية slang, argot وهي اللغات التي يستعملها المجرمون في العالم في التخاطب والتراسل وينقلون بها أهم أسرارهم في اقتراف جرائمهم . وقد وضعت لها قواميس وشرحت وحُلّت رموزها فإذا بها مزيج عجيب مدهش من اللاتينية واليونانية والعامية المحرفة عن معانيها الاصلية الى معانٍ جديدة تواطأوا عليها ولها قانون ومفتاح يمكن بهما قراءتها على حقيقتها

وفي مصر يوجد لهذه اللغات مثيل في ما يسمى « سيم » وهي كلمة مأخوذة من لفظ سيم كقول الله « سيماهم في وجوههم » اي علامتهم او اشاراتهم او دلالاتهم . وكذلك الالفاظ التي يتكوّن منها « السيم » هي اشارة او علامة او رمز للحقيقة المقصودة

وقد اخترع أصحاب الحرف والصناعات لغات خاصة بهم فالبنّاءون والنجارون والحدادون وضعوا الفاظاً يعبرون بها عن صاحب العمارة والمقاول والمهندس والاجرة والطعام والشراب وسرقة الأدوات . كما وضع المنجدون وصنّاع الفراش والاثاث كلمات للدلالة على

ربة المنزل وأولادها وبناتها وقرب دنوها من محل عملهم للتفتيش عليهم وأسماء الأقمشة وأدوات الصناعة وما يمكن ان يسرق منها وما لا يسرق . وقد وضع احد علماء المصريين قاموساً لهذا النوع من اللغات الرمزية . واسمه عند العرب في اللغة الفصحى الملاحن . وقولك تلحن الى فلان اي تشير اليه اشارة رمزية او سرية . ومرجع الأمور في هذا كله الى قيمة القديم السالف. والناس في معظم أحوالهم لا يرتاحون إلاّ الى القديم ضمن الحديث ، ولذلك يقلقون أمام الصور الجديدة في الحياة والمجتمع التي لم يألفوها ويتألمون من الصور القديمة التي أصبحت بالية لا تتفق مع روح العصر . وهذا الذي صرف العلماء والادباء في الشرق عن درس الفولكلور وجمع فروعه والاستفادة بشواهده وحكمه

والشرقيون ولا سيما المصريون قلقون اليوم لأنهم مترددون بين الماضي والحاضر وبين الحاضر والمستقبل لا يعرفون اية صورة من صور الحياة يتبعون ولا الى اي قطب من هذين القطبين يتوجهون ، فالماضي يهزم والحياة الجديدة تستفزهم ، الاّ ان الماضي المحسوس أثقل على كاهلهم من المستقبل المجرد وهم سواء أأبوا أم أرادوا سائرون بحكم الضرورة في تيار المدنية الحديثة . ولعل أبدع صورة صالحة لحياة الشرقيين لا تتم الاّ بتحليل هذا الماضي القديم الى عناصره المقومة . فان الامم القديمة لا تستطيع التجرد من جميع عناصر حياتها السابقة فمن يبني حضارة حديثة وآداباً جديدة على أنقاض حضـارة قديمة يستفيد من أوضاعها وخططها وأنقاضها ويجمع بين الماضي والمستقبل ويضع القديم في الحديث ولكن الصورة المجردة التي في نفسه هي أصل ابداعهِ

— ٥ —

وسنرى في رأي العلامة ماريو جول المؤرخ الاجتماعي العظيم فائدة الجمع بين القديم والحديث في درس النفسيات عن طريق علم الفولكلور الذي انفرد باتقانه والتبحر فيهِ . فقد كتب انهُ درس اللغات السرية في فرنسا ووقف على اسرار المجرمين قال : لقد درست في أنحاء باريس عقلية اصحاب الأدب الشعبي . . .

«وقد ظهر لي ان ارتقاءَ الفكر وازدياد المعرفة لا يقتضيان بالضرورة ارتقاءً في الأدب والاخلاق لان حكم الحال غير حكم المنطق والمقال . فقد تنمو المدارك العقلية ويتسع أفق الخيال والتفكير وتجمد مع ذلك العواطف وتجف الميول وتنضب ينابيع الرحمة المنسجمة من القلب فليس كل ارتقاء عقلي مصحوباً بارتقاء خلقي وقد تعرف الشيء ولا تعمل بهِ ، وتدرك الواقع ولا تفكر في اصلاحه ، كهؤلاءِ المجرمين والمستهترين واعداء المجتمع والمتآمرين على الثروة العامة الذين عاشرتهم طويلاً في مختلف أنحاء باريس لأدرس أخلاقهم ولغاتهم وأسرارهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورموزهم . واذا سار المرء زماناً على طريقة الاجرام وفكّر طويلاً في طرائق الخلاص والنجاة بنفسه وبالغنيمة وتخييب اعمال الشرطة والمتعقبين وتضليل رجال العدالة أصابه ركود في التفكير واضطراب في التصور وتشويش في العمل وقلق في النفس لانهُ كالحيوان المطارد الذي يقتفي اثره الصائدون ، فتجمد عاطفته ويصير كالآلة التي تتحرك بارادة غيره لا بنفسه فيخمد صفقته وينحط الى ادنى دركات الحيوانية ويخلو من العاطفة وتنقلب صور الطبيعة والحياة في نظره الى صورة واحدة . فلا ابتسام على ثغر الزهر ولا نور في أشعة الشمس ولا أمل في حمرة الشفق كأن هذه الالوان قد تبدلت او تقلبت الى لون قاتم غامض كما تتبدل ألوان الاشياء التي رسمتها أشعة الشمس بظلالها فضاعت العذوبة من الحياة وأشبهت الموت

« وقد تجلت لي هذه المظاهر في حياة المجرمين وتدبير جرائمهم وتنفيذها ووسائل الفرار. انهم يتصورون بالتخمين والحدس معنى للجريمة وخيالاً عامًّا مبهماً يقلبونهُ بالتدريج الى شكل حسي وصورة مشخصة او مجسدة فرئيس العصابة يدرك النهاية قبل البداية ثم يعود ورفاقه — ولاسيما الاقوياء في التفكير منهم واصحاب الاخيلة الخصيبة — الى المبدإ فيفكرون في الوسائط والوسائل التي يمكن الانتقال بها شيئاً فشيئاً الى الغاية . وعند ذلك تصبح الغاية المجردة وهي القتل او الحصول على المال او خطف الشخص او المؤامرة الجنائية مشخصة مجسدة ثم يجمعون العدد والآلات والثياب ووجوه التنكر ويستعرضون الحوادث المقبلة ويصورون الواقعات المحتملة والمواقف الحرجة والاخطار التي يستهدفون لها ويصفون الاشخاص والأماكن ويحددون الاوقات تحديداً دقيقاً يستطيعون بهِ تحقيق الغاية التي يتطلعون اليها وكثيراً ما يرسمون الخرائط والخطط قبل حدوثها فتأتي منطبقة على الواقع الذي سوف يجري ويقع

«ثم يضعون الالفاظ والاسماء التي يتعارفون بها ويهتفون بها في أوقات العمل وأوقات الخطر ثم الاناشيد التي ينشدونها بعد الفوز بالغنيمة والنجاة من الخطر ، حتى اصناف الطعام والشراب التي يتمتعون بها ويحتفلون بها بعد النجاة . فانظر الى سعة الخيال وقوة التصور وقدرة التأليف وارادة التنفيذ الباعثة على النجاح عند هؤلاء المجرمين

«فالواقعات التي تخيلوها والاستعدادات التي أتموها والالفاظ التي وضعوها والجمل التي ركبوها مقتبسة من حياتهم في وسط المجتمع الذي نصبوا انفسهم لمحاربته انتقاماً من المظالم الحقيقية او الوهمية التي اعتقدوا انها واقعة عليهم . ولولا وجود هذه العناصر ما امكن التركيب » اه كلام هذا العالم الفحل الذي لم يتغلغل أحد قبلهُ في تحليل نفسية المجرمين بفضل اتقانه علم الفولكلور وعلم النفس الاجتماعي في شتى الطبقات الانسانية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فريدريك نيتشه

لمحة من ترجمته وتفكيره ومؤلفاته

لحنا خباز

أنجبت المانيا ، في النصف الاخير من القرن المنصرم ، فيلسوفين ضدين . هما يوكن ونيتشه . فكانا في طرفي نقيض ، يوكن يرى ان نقطة دائرة الاكوان هي الحياة الروحية ، ويريد بها الحياة الروحية المسيحية . فألف اكثر من ثلاثين مجلداً في هذا الموضوع في خلال شغلهِ منصب استاذ الفلسفة في جامعة يانا . وهو يرمي الى جعل الحياة الروحية زبدة الوجود وغاية الله في خلقه . وعلى الضد من ذلك نيتشه ، فانهُ يرى ان المسيحية وأخلاقها هي العقبة الكأداء في سبيل الارتقاء الانساني . وان «السوبرمان» او الانسان السامي ، لا يمكن انجابه ما لم تنبذ الاخلاق المسيحية ، فتغرق في اعماق بحر النسيان ، فلا تذكر ولا تخطر على بال

وهنالك مشابهة واضحة بين كتابات ڤولتير وكتابات نيتشه من حيث الطلاوة وغزارة المادة واصابة الهدف ، الاّ ان مؤلفات نيتشه أوفر علماً ، وأميل الى الجدّ من كتابات ڤولتير وهي شعرية الصبغة ، بدأت بالأدب ، وانتهت بالفلسفة .

ولد نيتشه في قرية روكن ، قرب مدينة لوتزن في سكسونيا في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٤٤. فسماه ابوه فريدريك باسم الامبراطور ، لانهُ ولد يوم مولد الامبراطور ، وكان والده وجدّه من قساوسة المسيحيين . والاسرة بولندية الاصل هجر اسلافها الى المانيا هرباً من سيف ليزسنسكي الجبار

توفي والد نيتشه سنة ١٨٤٩ فصار يتيماً من نعومة الاظفار . فهجرت والدته روكن الى نومبرغ ، حيث ادخلته المدرسة . فظل فيها الى سنة ١٨٥٩ ، وقد أتمَّ دروسه الابتدائية والثانوية وكان يجلس عند قدمي جدّته تقص عليه حوادث غزو نابليون الاصقاع الالمانية في مطلع القرن التاسع عشر . فكان فريدريك يحدّق مصغياً الى حديثها الطريف ، فنشأ في نفسه ميل الى الجندية مما حملهُ على التطوُّع في الجيش سنة ١٨٧٠ في حرب المانيا وفرنسا. ودخل نيتشه مدرسة بفورتا العالية . وسنة ١٨٦٤ دخل جامعة بون حيث درس اللغات اللاتينية واليونانية والعبرية والفرنسية ، علاوة على لغته الالمانية ، ثم عرج على جامعة ليبسك حيث تعمق في درس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الادب الأغريقي . وكان موضوع خطبته الافتتاحية في ليبسك « هوميرس واللغة الكلاسيكية » . فقادته الفنون الى الفلسفة . وعنده ان العالِم اللغوي فيلسوف طبعاً ، وأنَّ درس الأدب يشمل التاريخ ، والطبيعيات ، وفلسفة الفنون . ثم القى محاضرة في « مستقبل نظم التهذيب » ظهرت فيها آثار « السوبرمان » . في هذه المحاضرة أبدى نظراً ثاقباً . وخيل اليهِ انهُ ذو رسالة عالمية هي « ترقية النوع الانساني » او رفع مستواه

كان الالمان يرون ان المدرسة الالمانية هي التي ربحت الحرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ . فخالفهم نيتشه في ذلك كل المخالفة . وقال ان نظام الثقافة الالماني بلاء على العقل . وان روح التسفل قد فشا في الالمان على أثر الحرب وان ذلك يؤول الى انحطاط المانيا وسقوطها . وان النهوض بها الى مستوى أعلى يستلزم انجاب النوابغ فكتب بهذا الاعتبار نقداً لاذعاً للمدارس الالمانية . لانها « مادية » يتدرَّب طلابها في جمع المادة وخدمة الدولة . وان ازهار العلم آخذة في الذبول في المانيا . وكان يرمي الى بث روح الفن في قومهِ ، وتجلية الثقافة الاغريقية . وفحوى ما قال بهذا الشأن : — هنالك مدارس جمة تعلّم طلابها كيف يعيشون ، وكيف يخوضون معامع القتال . تلك اوضاع الاكثرية الجاهلة ، ومقدمة التسفل والرجوع بالأمة القهقرى الاَّ اذا تدارك الامر ارباب الفنون . فيلزمنا عباقرة منتقون ، يثقفون في معاهد خاصة ، بعيدين عن ضوضاء الحياة الاقتصادية ، تغذى نفوسهم بالادب والفلسفة (كما في جمهورية افلاطون) . ففي الاغريقيين نجد المبادىء السامية والمقاصد النبيلة والذوق السليم

نشأة التمثيل المسرحي

هذا اسم باكورة مؤلفات نيتشه ، صدر سنة ١٨٦٩ . وفي هذا الكتاب من شؤون الفن والفلسفة ما يسرّ وما يسوء . وخلاصة ما اورد نيتشه في اصل التمثيل هو ان ذلك الفن تولد من الشعر القصصي الغنائي الذي كان ينشد في حفلات « باخوس » اله المرح واللذات والخمور . فكان الكاهن يلبس جلد الماعز ، ويعصب عينيهِ ، ثم يأخذ في تلاوة الاشعار الدالة على مأساة ألمَّت بالاله . والعامة يزعمون انهُ هو الاله . لأنهُ كان في مظهر غريب ، يتكلم بلسان الاله . ثم يحيط بهِ الكهَّان رفقاؤه يحدثونهُ وهو ينشد الاشعار في الوسط . هذا هو مظهر باخوس إله الحب والغرام

على ان هنالك إلاهة تخالف باخوس في الصفات . هي ابلونيا إلاهة التعقل والرصانة والكمال . فعندنا والحالة هذه نفسيتان ، هما باخوس المتصف بالتهتك والمرح . وابلونيا ذات الطهر والكمال وسموّ الحياة . تجتمع الشخصيتان في الادراك الاولمبي مجتمع الكوائن العليا التي تعيش بشرف وجمال . لقد أدهش العنصر الباخوسي العنصر الابلوني أولاً . ثم يقترن الاثنان فيلدان الفن « انتيغون والكسندرا » . وباقتران باخوس بابلونيا يجتمع النقيضان . باخوس المتهتك

بالسكر . وابلونيا المتصفة بالجمال . فالتمدن والفن ابلونيان . والسكر والتهتك باخوسيان

كان هسيودس ابلونيًّا متطرفاً . وكان هوميرس أقل منهُ تطرفاً . . أما ارخيلوس فجمع في شعره ، الموسيقى والفن . فساتير إله خرافي يمثل باخوس أو الفنَّ الديونيسي . وتعنى الرواية باله الخمرة والحب . ثم تجسد إله الحب فبثَّ وحيهُ في النفوس بوساطة جوقة الترنيم . . تلا ذلك سفوكليس واسخيلوس من أكابر المسرحيين . فأنزل هذان ، الآلهةَ عن المسرح . وجعلا التمثيل فنًّا عالميًّا يصوّر لنا الحياة بآلامها وآمالها . ولكن يوريبيدس لسان حال سقراط قضى على الفن كفن ، مضحياً بهِ على مذبح الأخلاق السقراطية . وهذه الاخلاق التي يرى نيتشه أن النصرانية ورثتها عن سقراط هي علة الضعف والانحطاط . ولذا فهو يحمل حملة شعواء على الاخلاق السقراطية النصرانية وعلى نظام التنسُّك البوذي . لأن هذه الأشياء ضد الفن . وأهم أغراض الرواية الديونيسية التغلُّب على التشاؤم بوساطة الفن وبثّ روح الثقة والمسرة في النفوس . وكان اسخيلوس ، وزملاؤه سابقو سقراط ، سادة الممثلين . فسقراط هو نقطة التحوُّل في الفن المسرحي . نجم عن ذلك التقهقر، ان الفلسفة النقدية خلفت الشعر. والعلم خلف الفنّ، والعقل خلف الغريزة. قال : هنالك جنس أحبَّ الجمال والحياة، والقوة، هذا الجنس هو الديونيسي . وهنالك جنس آخر أحبَّ طهارة الجمال ورصانته وسموّ خلقه . وهذا الجنس هو الابلوني . وأخيراً كان سقراط ، و « أخلاق » سقراط مأساة الرواية

هذه هي باكورة تفكير نيتشه ، وهي احدى جنبات فلسفته ومحور ما ألف بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٦ عرج بعدها الى الكتابات الفلسفية . وكانت أواخر مؤلفاته تحمل طابعه الخاص . ولاسيما كتاب « زرادشت» آية فن نيتشه . أصدر هذا الكتاب في أربعة مجلدات. وتلاه كتاب « ما وراء الشر والخير» . ومجموع ما كتب نيتشه يداني العشرين مجلداً . طبع بعضها بعد وفاته . وقد أصابهُ الجنون سنة ١٨٨٨ ومات في مستشفى المجاذيب سنة ١٩٠٠

نظرة في تفكيره وهدف فلسفته

لنيتشه هدف واحد ثابت هو ترقية النوع الانساني . قال : كل ما رقَّى الانسان فهو حق وخير وما سفل بالانسان فهو شر وضلال . هذه هي رسالة نيتشه للبشرية . وهذا هو مفتاح فلسفته وحلّ ألغازها . ولهذا القصد وقف حياته وقلمه . وهو محور مشكلات حياته ومشاغباتها وما فيها من زيغ . قال نيتشه في ماهية الخير والشر وما وراء الخير والشر : كنت فيما سلف أحسبهُ تعالى أصل الشر كما انه أصل الخير . لذا كان للخير وللشر قيمة مطلقة في كل مكان ، وفي كل زمان ، وفي كل أمة ، وفي كل حال . على ان محصّلاتي الفلسفية والتاريخية حملتني على تعديل هذا الرأي وحولتني الى المسألة التالية :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

متى وكيف ابتدع الانسان قيمة الخير والشر ؟ وما هي قيمتهما النوعية ؟ لا أعقدَ من هاتين المسألتين في جميع التواريخ . فالخير والشر كلمتان كبيرتا المدلول . فاذا ألصقنا بكلمة خير معنى ما ، فانما ذلك يفيد ما هو مرغوب فيه . واذا نحن ألصقنا بكلمة شر معنى ما فانما ذلك يفيد ما هو مرغوب عنه ويرام استئصاله . فيلزمنا التمعن في الأمر قبل ان نتقدم لحل المسألة في ما هو الخير ، وما هو الشر ؟

للخير والشر عند البعيدين عن الفلسفة ، قيمة مطلقة . فالخير عندهم واحد في كل عصر وأمة . فينام المرء ويقوم من نومه ، وهو واثق على الحالين بأنهُ يعرف ماهية الخير والشر دون ما ريب او التباس . رجل كهذا يسوؤه ان بعض القبائل تحسب اغتيال اطفالها خيراً . وحين تؤكد له ان الخير عند قوم هو غيره عند غيرهم، يجنح الى الرغبة في حلول الزمن الذي فيهِ يجمع الكل على ماهية الخير والشر ، وينتهي الشقاق والانشعاب

يحرر نيتشه نفسه من كل تحيز قومي وجنسي وديني ، ناشداً الحقيقة ، والحقيقة لا غير. فيدرس المسألة بذاته لذاته : هل الخير امر واضح ومحدد ومطلق ؟ الجواب عند نيتشه هو : ان الخير والشر عند الناس عبارة عن وسيلة امتلاك القوة ودفع الضير . اي جر المغنم ودفع المغرم : جاء في كتاب «زرادشت» : لا قوة في الدنيا اعظم من الخير والشر ولا شعب يحيا وهو لا يقدرهما قدرهما . والأمة التي تجاري غيرها في ما هو الخير والشر هي امة لا تعيش . في هذه العبارة نلمس علاقة نيتشه بكل الموضوع . وخلاصته ان ليس للخير والشر قيم مطلقة بل هما نسبيان متقلبان . وهما عند كل امة بحسب اغراضها . وقيمة الخير متغيرة عند كل امة بتغير احوالها

توصَّل نيتشه الى ذلك في اثناء بحثه يوم اخذ موضوعاً للبحث في اللاتينية وذلك موضوع « ثيونيس الميقاري » الارستقراطي . فأثر في نفسه استعمال كلمة خير وشر عند كل من الارستقراطي والدمقراطي . فكان ثيونيس وأشياعه يرغبون في فوز قوتهم . ويحسبون كل ما حال دون ذلك شرًّا . بمعنى انهُ خطرٌ يهدد نظامهم . فحدث ان تكلم ثيونيس في مناضلة الحزبين الدمقراطي والارستقراطي فكان الخير عند هؤلاء ، شرًّا عند اولئك . فقاد ذلك نيتشه الى ان الاخلاق حراب يتسلح بها الناس للفوز في معترك الحياة. وكانت عبارة «ما وراء الخير والشر » عنوان أفضل ما كتب من ثمَّ جعل ينادي بـ«أخلاقية» جديدة . قال : من أراد ان يكون خالقاً في الخير والشر يجب عليهِ ان يكون هداماً اولاً ، فيحطم القيم القديمة ورأى ان استعمال الكلمتين «خير» و«شر» انما هو ذريعة لاحراز القوة . حوَّل نظره الى عالم الحيوان وطبق عليهِ الحكم الآنف . فكل نوع من انواع الحيوان يتصرف تصرفاً يعني ان الدنيا له وحده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فليس في الكون ، ولا في الاختبار ما يخالف نظرية نيتشه في ماهية الخير . فخير الذئب شر الحمل.وخير الأسد شر الشاة . ولو علم الأسد ان خير الشاة خيره، لتحول نباتياً. ولكن لا نوع من الحلميات يشترك في نظرية الخير والشر المقبولة عند البشر . ولا يقبلها احد من الضواري او الجوارح . فخير الحوت التهام الاسماك الصغيرة . وخير الانسان اهلاك الحيات والعقارب والميكروبات المرضية . فلا شيءٌ خير مطلق ، او شر مطلق . انما الخير خير باعتبار . وقد يكون شراً باعتبار آخر

قبلت نظرية الخير والشر مطلقين في كل ديانة ، وعند كل أمة . وخلدت في الهيئة الاجتماعية . واذا خالفها الانسان هلك . هذا هو اكتشاف نيتشه في عالم الاحياء . أما في عالم الحيوان فلامراء في ذلك . وأما في عالم الانسان ففيه خلاف ظاهر ومذاهب . فيحسب احد الآدميين النضال وقتل الابرياء خيراً . وآخر يحسب ذلك شراً . وفريق يرى السلب خيراً ، والغنيمة ارادة الله . وفريق آخر يحسب ذلك ارادة الشيطان . والخير عند المستعمرِين (بكسر الميم) شرٌ عند المستعمَرين (بفتحها) . فالاخلاقية راية تنشرها كل أمة في سمائها لسد حاجاتها ، ونيل رغباتها ، وإشباع جوع في نفسها . هل الامر الفلاني خير ؟ يجب ان تحكم الأمة ، او الطبقة ، في ذلك ، فالخير عند الناس ما افاد والشر ما اضر . اما ما هو الخير بالذات او ما هو الشر بالذات ، فليس من يدري

حسب بعضهم نيتشه اباحياً شريراً . وليس هو بإباحي ولا شرير . انما كان يسعى الى خير البشرية وسعادتها . فرأى السعادة والخير في غير ما سلك الناس . فجعل يصيح بهم « ان ليس هذه هي المدنية ، ولا هذه هي الطريق » . فان لم ترجعوا وتصيروا كالاطفال ، يبدأون في السير من جديد ، في الطريق الحقيقية ، فلن تدركوا السعادة ولن تنالوا خيراً . فهل ما تقرر عند السلف انه خير او شر، هو كما زعموا ؟ وهل لأحكامهم مقبولة عندنا اذا نحن عقلنا؟ بهاتين المسألتين يهاجم نيتشه أمنع حصون الهيئة الاجتماعية الحديثة ، أعني بها الكنيسة المسيحية ديانة الاكثرية الساحقة في اوربا واميركا

يرى نيتشه، والعهدة عليه ان الكنيسة المسيحية سر أسباب الانحطاط الانساني . وكانت الاقوام الاوربية قد تصفحت كتابات ستروس وداروين كما تصفحت من قبل كتابات هيوم ولامارك وكنْت وشوبنهور ، فطنَّ في آذانهم ان بناء النصرانية العظيم ينهار . فلم يسع نيتشه الجمود في وسط تلك الضوضاء . فحملهُ التيار الاوربي على الجهر باستقلالهِ عنهُ وتفوُّقهِ عليهِ . لكنهُ سار في غير الجهة التي سار فيها أولئك الهدَّامون . أترى أولئك الهدَّامين عاملين خيراً في انهم نبذوا العقائد النصرانية ظهرياً وأبقوا على أخلاقها ؟ لقد رموا بذلك الايمان من حالق ولكنهم أبقوا على « الخُلقية» المرتبطة بهِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نبذ رينان وستروس وكنت العقائد وأبقوا على الاخلاق . فظل صرح النصرانية قائماً بالرغم من زرايتهم بعقائدها . بل ان ما تهدَّم رُمِّم ، وأعيد الى سابق مجده . وأعيدت ثقة الناس به كما في العصور الخالية . ومع عروج بعض المفكرين عن العقائد النصرانية ، كلها أو جلها ، ما زالوا يقدسون الأخلاق المبنية على تلك العقائد . فبعضهم يحسب الاخلاق نتاج حاسة اللذة والالم . وانها قد تدرَّجت مع الانسان أو تدرَّج الانسان بها جرياً على سنن النشوء والارتقاء. وأكثرية الناس لم تسلم من شك العقيدة . على انه لا أحد منهم وقف يسأل نفسهُ عن فكرة الخير والشر في النصرانية أمطلقة هي أم نسبيَّة ؟ . وهل تسرَّبت الى النصرانية من خارج أو انها من ابداعاتها ؟ فإذ تنفس المفكرون الصعداء في المعركة المشار اليها ، زاعمين انهم قضوا على النصرانية انما كانوا كمن يخلط بين الفرع والأصل

على انهُ لا يجوز ان نغفل امراً جوهريًّا . وهو ان فلسفة نيتشه دينية في جوهرها ، وفي روحها . ولا ينكر احد متصفحيها ان نيتشه ديِّنٌ في أعماق طبيعته كما يثبت ذلك نظرة الى كتاب زرداشت . وانما في عقله طراز « خلقية » آخر غير الطراز الانجيلي . وان التطبيقَ عنده يستلزم اخلاقاً غير الاخلاق التي علمها الانجيل . اي انه تلزمنا « خلقية » اسمى من خلقية الانجيل لكي ننجب السوبرمان . فلم يقاوم نيتشه النصرانية عن شرٍّ او خبث ولم يكن شهوانيًّا متهتكاً . كلاَّ . فلم يؤثر الكذب على الصدق ، والبطل على الحق . بل حارب الكذب والبطلان . وأوجب الحق والصدق . فلم يكن فاجراً ولا أوجب الفجور ولكنهُ كأبي العلاء المعرّي أوجب الصراحة والاخلاص . ولم يصانع لاكتساب الرأي العام . فصارح القوم بما لاح له انهُ الحقيقة دون مواربة ولا تمويه . فأبان ان الشهامة وعزة النفس والذود عن الحياض ، والاحتفاظ بالكرامة ، خير من التواكل والتواضع والرأفة والمسامحة اي انهُ جعل المصلحة الذاتية تبنى على قوة الانسان لا على تواكله

لم يحارب نيتشه « الخلقيّة » المسيحية لايثاره الرذيلة عليها . بل حاربها ايثاراً لنظام أخلاق حسبه أكمل وأسمى وأنفع . وقال ان الناس هم الذين خلقوا القيمَ ولم تهبط عليهم من علٍ . وانه كما حطَّم ابراهيم أصنام والده ليكون أبا المؤمنين ، هكذا على من يروم ان يكون مجدداً ، في الاخلاق ، ان يحطِّم التقاليد المتوارثة سلفاً عن خلف . لقد حسب قوم ابراهيم إنه كافر لأنهُ حطم الاصنام المقدَّسة عندهم . ولسنا نرى في ابراهيم رأيهم ، بل نراه مثل الايمان الأعلى . هكذا يرى نيتشه ان من نبذ قيمَ السلف ليس كافراً ولا زنديقاً انما هو ينبذ ما ألفناه وقدَّسناه ليضع موضعه ما هو خير منه . فالمواصلات البحرية خير من الأسفار على متون الجياد أو الجمال والسفر بالسكك الحديد خير من السفر في المراكب شراعية أو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بخارية . وركوب متن الهواء بالطائرات خير من هذا وذاك ، مع الاعتراف بفضل كل مذهب في وقته ، وضرورة نبذه بعد وقته . فلا يحسب نيتشه نبذ «الخلقية» المسيحية زندقة . بل يرى ذلك واجباً ووسيلة ضرورية لانجاب السوبرمان فقال : — ان الذين للحكم خلقوا ، وله تهيأوا ، ليست الديانة شركاً يحول دون سلامتهم في مراكزهم . فالديانة تهب لهؤلاء الطمأنينة والسلام . لأنها تؤازرهم بحوافز سامية لادراك حالٍ أرقى من العزلة وقمع الذات والهدوء . فالعفاف وطهارة القلب وسيلة تهذيب البشرية وتشريفها وهي تمكنها من ادراك ما ترغب فيه من سيادة واعتزاز . فالديانة بهذا الاعتبار جمال الحياة . تعزّي الحزان . وتهوّن عليهم الصبر والاحتمال . وتعمل لهم عمل الرواقية أو الكلبية في تابعيهما وليس في النصرانية والبوذية أشرف من رفع الوضعاء الى مستوى أعلى بواسطة التقوى والفضيلة . وقد رأى نيتشه طرازين من النظم والاخلاق . الطراز الاوّل أخلاق السادة . والطراز الثاني أخلاق العبيد . وانّ هنالك قراع الكتائب بين فريقين من الناس يتبع احدهما طراز السادة والآخر طراز العبيد

فأخلاق السادة هي السنديانة الرامية الى بلوغ القمر . فضربت جذورها في جوف التربة ، وأغصانها في اجواز الفضاء . وهي تدعو ذلك خيراً . لأنه يدنيها من القمر . وان القطيع المستظل بأغصان السنديانة يرى ذلك خيراً . هذه هي اخلاق السادة

واخلاق العبيد هي العوسجة الحقيرة تحت السنديانة . وهي تقول : — وأنا ايضاً ابغي بلوغ القمر . ولكن اغصان السنديانة واوراقها فوقي تحجب عني محياه الجميل فالسنديانة اذاً شر . وعليه انقسم الناس فريقين مع صرف النظر عن الفوارق الجنسية او القومية او السياسية . وكل فريق ينصر طرازاً من الخلقية ، طراز السادة وطراز العبيد . فأي القانونين هو الانفع والاضمن لخير البشرية ؟ وأي الاثنين ننصر ؟ هي مسألة مسائل الحياة ولكي يمكننا تحديد الخطإ والصواب في رأي الخصمين نرسم صورة واضحة لكل من الطرازين كما صور من واضعيه

أولاً : السادة او النبلاء . الخير في نظامهم ما نشأ عن القوة كالشجاعة والكرم فالخير عندهم يعني النبل . والشر يعني الحقارة . اي الضعف والجبن . فالسيد يخوّل أجل وأفضل ما يرى . فالفنانون العظام ، وابطال الوغى ، وكبار الشارعين هم من طبقة السادة

ثانياً : العبيد وهم المشتبكون مع السادة في النزاع وقد ساورهم الضعف والونى والألم والعبودية : فالخير عند هؤلاء ما خفف آلامهم وعبوديتهم من رأفة أو حنان أو احسان او تواضع . لهذه الفضائل عندهم المحل الارفع . وما ينشأ عن القوة والغنى والصحة الجسدية منبوذ في شرعهم فالصالح عند هؤلاء هو المسالم الغيري الوديع . هذا هو سبب تزكيتهم المسكنة والزهد والخنوع . فواضع «خلقية» العبيد هو الذي ، حوّل بسبب فقر نفسه ، كل ما يحسبه أحقر وأقبح ، الى خلقية السادة . فالمتنسكون والمتشائمون ، وعديمو الذوق والعبوسون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحاقدون هم من رجال هـذه الطبقة . فنظام القيم الثاني هو الاستسلام والخضوع والذل والمرارة . ولما كان الناس يتكيفون بنظام قِيَمهم كان من واجب الفيلسوف أن ينظر في أي الطرازين هو أفعلهما في ترقيتهم . ثم ينصر ذلك الطراز دون غيره حرصاً على مصلحة البشرية. رأى نيتشه في اوربا خطين ضدين ، خطًّا صاعداً ، وخطا نازلاً . ورأى ان نظام القيم السائد في اوربا هو نظام القيم المسيحية . ورأى انَّ ألدّ أعداء المسيحية يتشبَّث بهذه القيم وعليها يعوّل . والنتيجة ان الأكثرية الساحقة هم مسيحيون عمليًّا لا نظريًّا . أعني انهم يدينون بالاحكام المسيحية ويحبذون أخلاقها . فكان من أهم الضروريات وضع هـذه الخلقية تحت مرقب الفحص للتحقق من انتمائها الى أي فريق ، أإلى السادة أم إلى العبيد ؟

فرأى نيتشه ان الديانة المسيحية غير عالمية ، بل هي أخروية . ومحورها نبذ العالم الحاضر والاستمساك بالعالم الآخر : لا تحبوا العالم ولا الاشياء التي في العالم : هذا هو باب المسيحية بقلم رسول المحبة العظيم. «لستم من العالم كما أني أنا لست من العالم ».هذا هو البيان المنسوب الى المسيح فمن الذي يفكر هذا التفكير ؟ الأقوياء . لا لعمري . كل شيء طاهر للطاهرين . السادة متحكمون في القيم. وأخلاقهم مؤسسة على تمجيد الذات.أجل انهم يحسنون ويؤانسون. ولكن ذلك ناشىء عن شعور بالفيض ، لا عن رأفة . فهم يحترمون أنفسهم . والارستقراطي قسطاس نفسه في ما هو الخير وما هو الشر . فالخير عنده ما قام بالصفات ذات القدر . وليس عنده التزام لغير أقرانه . فيعامل الغرباء والعبيد كما يريد . فالشرفاء أقلية في وسط أكثرية ساحقة فتبذل ما في الوسع للاحتفاظ برفعتها وعلى الضد من ذلك أخلاق العبيد فهم يحتقرون الحياة ويكرهون النبلاء . فخير أولئك شرهم . وشر أولئك خيرهم . فيعيشون في الدنيا « غرباء وعابري سبيل » فيتحيز نيتشه للفريق الاول ويقول : غيّر قيمك والاّ هلكت

فالانسان السامي ، الذي هو هدف حياة نيتشه وسعيه ، هو الانسان الذي يعيش لهذه الدنيا ، والى جهوده الزراعية والصناعية يستند . فليس هو المتواكل الاخروي : قال بلسان زرادشت : — ألم تعلم ان الله مات ؟ جميع الآلهة ماتوا . فعلى المرء ان يحمل حمل نفسه . فان هدفه في هذه الدنيا لا في السماء البعيدة . حدّق الانسان في السماء فجهل واجباته على الارض . فعليه الآن ان يخفض نظره الى مسقط رأسه لكي يعرف كيف يعيش

وما عني نيتشه به ليس مدلول الألفاظ لأن الله لا يموت. وانما المراد بذلك ان تواكل الانسان واستناده الى قوة عليا تفعل ضد نواميس هذا الكون ، هذا طراز من التفكير انتهى زمانه -في نظره- والانسان الرشيد هو الذي يدرس النواميس الطبيعية ويطبق حياته وعمله عليها . فيزرع في وقت الزرع ويحصد في وقت الحصاد. ويأتي النتائج بأسبابها ويدخل المغاني بأبوابها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اربعة وثلاثون عاماً على

كشف القطب الشمالي

لوديع فلسطين

في مثل هذا الشهر (ابريل) وفي اليوم السادس منهُ قبل أربعة وثلاثين عاماً، كشف روبرت بيري Robert E. Peary القطب الشمالي، فسجل لبلاده فخر كشفهِ، متحدياً، في سبيل بلوغ غايته، الطبيعة والموت

ففي أحد أيام يوليو ١٩٠٨، غادر بيري نيويورك على ظهر السفينة « روزفلت » وتوجه شطر رأس يورك. وهناك بدأ في اختيار أعوانه من الاسكيمو الذين عرفهم في رحلاته السابقة، فقالوا له: « أنت كالشمس لأنك ترجع دائماً ». وسعدوا بالانضمام اليهِ وبمرافقتهِ. وصحبوا معهم زوجاتهم وأطفالهم وخيامهم المصنوعة من الجلد، مزالقهم التي ينزلقون بها على الجليد، ولم يفتهم أن يصحبوا كلابهم

كان بيري إذ ذاك في الثانية والخمسين. لقد وقف عشرين عاماً من حياته بحثاً عن القطب. فمنذ ذلك اليوم الصحو الذي قضاه في وشنطون، حينما عثر عرضاً على نسخة من كتابٍ، يبحث في مكتشفات المحيط المتجمد الشمالي، فاستحوذت طلاسم الشمال وأسراره على عقلهِ وفكره، ومن تلك الساعة أخذ يتحمّل مُرّ الصعاب ويذوق علقم الاخفاق المتكرر. ولكن هذا لم يزده إلاّ تمسكاً بغايته، وظمأً الى بلوغها. لقد ضحى في سبيلها بمستقبل زاهر باهر في هندسة البحرية. ولم تستطع، حتى حملة سنة ١٩٠٦ القاصمة، التي عاد منها بيري ورجاله وهم بين الحياة والموت بعد أن صاروا على ١٧٤ ميلاً من القطب، ولا الوفاة الفجائية للممول الرئيسي الذي كان ينفق على رحلاته بسخاء وسعة، ولا الخيبة التي مُني بها في آخر مؤلفاته — جميع هذه العوامل لم تكن لتثني هذا الرجل الحديدي الارادة عن غرضه. فقد عقد العزم على بلوغ مأربه هذه المرة، وإلاّ فالموت

سارت السفينة « روزفلت » تمخر عباب اليم عقدة بعد أخرى، من خليج بافن Baffin Bay الى القنوات الضيقة بين جرينلند وأرض « إلسمير » Ellesmere Land حتى وصلت الى البحر القطبي ذاته. وهناك قضى « بيري » ورفاقه شتاءً أطبقت فيه الثلوج على سفينتهم فعجزت عن أن تواصل سيرها أو تتوغل في مجاهل المحيط القطبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي غضون ذلك ، صنع رجال الاسكيمو المزالق ، وصادوا الثيران والدببة وعجول البحر وغيرهما من الحيوانات الصالحة للأكل . وصنع « مات هنسون » Matt Henson الزنجي الأجش الذي اشترك في حملات بيري سنوات عديدة ، مزالق من نوع جديد بلغت من الجودة والاتقان حدّ الكمال. وخاطت نساء الاسكيمو الثياب من الفراء فوجد فيها بيري حصناً منيعاً ضد البرد يفوق جميع الملابس العصرية . وانتهز الرجال البيض هذه الفرصة ، وراضوا أنفسهم على احتمال الزمهرير ، استعداداً لما يصادفونه من برد يبلغ الستين تحت الصفر

ولما كان المعروف عن القطب انه يقع وسط البحر القطبي المتجمد ، كانت مهمة البعثة أن تندفع من رأس كولومبيا الى القطب، وتعود ثانية ، وهي رحلة طولها الف ميل ذهاباً واياباً. فكان عليهم أن يخفّفوا أحمالهم ويقللوا متاعهم ، مدققين في كل أوقيـة منهُ . ولم يحملوا معهم إلاّ ما يكفي بضعة رجال ليصلوا الى القطب ذاته . وكانت الخطة بعد ذلك أن تنشأ فرق متعددة تكون في الطليعة ، مهمتها شق الطريق لمن يتبعها ، وخزن مواد الغذاء ، وبناء أوكار المأوى . ثم تتبعها فرقة خفيفة حتى تصير على بعد ١٥٠ ميلاً من القطب ، وإذ ذاك تفسح لها فرق التموين الاخرى المجال ، لكي تندفع هذه الفرقة النشيطة كالسهم المارق الى القطب ، وتعود ثانية قبل أن تتحطم الثلوج . فكانت رحلتهم سباقاً ضد الوقت والجو والماء والموت

وقبل أن ينقشع ليل الشتاء ويولّي ظلامه ، بدأ الهجوم الخاطف على القطب ، في يوم عيد ميلاد جورج وشنطون (٢٢ فبراير) [1] من سنة ١٩٠٩. وظل الرجال ستة أيام في احدى لجوات الماء التي تكوّنها كتل الجمد الذائبة . ولما انطبق الجمد ، أسرعوا ، ولكنهم صادفوا لجوات أخرى . وتحطمت أوكارهم في ليلة حينما ظهرت تحتها لجوة ، فخرج الرجال منها يناضلون ويكافحون . ولو لم يصرّ بيري على ضرورة ارتداء ملابس الاسكيمو التي يستطيعون العمل والنوم بها دون مشقة ، لقضى الرجال لا محالة

وفي يوم أول ابريل رجع الكابتن بوب بارتلت Bob Bartlett وقد كان في آخر سفينة للتموين ، قرب القطب لكي يشرف على حفظ طريق العودة مهيئاً ممهداً . واستمر « بيري » و« هنسون » في الاندفاع الى الأمام مع أربعة من خيرة الاسكيمو وكان معهم من الزاد ما يكفيهم للرحلة فقط ، فأصبح عنصر السرعة أساسيًّا في هذا المنبطح الثلجيّ ، وكان تقدمهم بسرعة ٣٠،٢٥ الميل في اليوم

وفي الساعة العاشرة من صباح يوم ٦ ابريل سنة ١٩٠٩ بلغت البعثة القطب الشمالي ، فحيّا بيري رفاقه فرداً فرداً ، ثم التقط عدة صور فوتوغرافية ، وقام بأرصاد جوية وبحرية

(١) جاء في دائرة المعارف البريطانية ان المرحلة الاخيرة من الرحلة بدأت يوم أول مارس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بلغ عددها اثنين وثلاثين من نقط مختلفة. وفي القطب، مكث بيري ثلاثين ساعة، ونصب خمسة أعلام، كان أحدها مصنوعاً من خرق حريرية بالية جمعها من بقايا الرايات التي كانت تتركها بعثاته السابقة في أقصى مكان تبلغه

وكتب بيري يقول: « وبدا لي أن التعب الذي حلّ بي من تلك الأيام المتتابعة الحركة، ومن قلة النوم، ومن الأخطار المحدقة المستمرة، ومن القلق السائد، بدا لي أن كل هذا قد زال دفعةً واحدة. وكانت قواي قد انهكت، وأعصابي قد تحطمت، حتى اني لم أستطع أن أدرك اني قد حققت رغبة حياتي ونلت أمنيتها أخيراً ». غير أن البعثة لم تكن أسعد حظًّا في الاياب منها في الذهاب، إذ كان عليها أن تسير بسرعة تفوق سرعة الذهاب، قبل أن تسري انفاس الربيع فتحطم الجمد وتعطل سير رجالها. فكان لكل ساعة من الزمن قيمتها

فضاعف الرجال سرعتهم، وألقوا بالفائض من الثياب جانباً، وقللوا نصيب كل منهم من الطعام، فخفت أحمالهم. اما نومهم، فكان لا يزيد على ساعات قليلة في أوكار بنيت في طريقهم. ولما يصادفوا في عودتهم ما يستحق الذكر، سوى انهم أصابوا فجوة كبيرة، ولكنهم عبروها على قطع الثلج الطافية. واضطروا الى قتل الكلاب المُجْهَدَة المنهكة ورمي لحومها الى الاخرى. واخيراً بلغوا رأس كولومبيا، وهناك أكلوا وناموا يومين كاملين. واستطاع بيرى للمرة الاولى في سنين ان ينام ليلاً، وحقّ له أن ينام ملء جفنيه بعد ان نال مراده، واقام على القطب الشمالي علم الولايات المتحدة. وكانت رغبته بعد ذلك ان يخلد الى الراحة مع زوجته وأولاده، وان يمتع سمعه وناظريه بتقدير مواطنيه

وفي يوم ٥ سبتمبر ١٩٠٩ دخلت السفينة «روزفلت» الميناء الهندي بلابرادور، وكلها زهو وخيلاء حاملة بين جنبيها الرجل الذي حاول دون جدوى بلوغ القطب الشمالي سبع مرات سابقة، ونجح اخيراً. ومن محطة اللاسلكي، أبرق بيري الى زوجته «لقد نجحت اخيراً». ومن محطة اللاسلكي، أبرق بيرى الى الصحف خمس كلمات بسيطة — ظن انها ستصعق العالم وتسري فيه سريان الكهرباء: (وصلت القطب «روزفلت» بخير: بيري)

وتقدمت الباخرة جنوباً حتى ارست في ميناء باتل Battle واذ ذاك اقتربت سفينة غطى مراسلو الصحف سطحها، فأحسّ بيري بأنهُ قد كوفيءَ على عمله الجليل، وها هي ذي الجماهير تحيّيه

وهنا في ميناء باتل، وجد بيري ما لم يكن يخطر له، ماذا وجد؟ وجد الصحفيين يتحدثون عن سباق، سباق بينه وبين « كوك ». أي سباق؟ ألم يعرف ان الدكتور فردريك كوك قد بلغ القطب الشمالي قبله في ابريل ١٩٠٨، وأعلن، قبل أن يبرق بيري برقيته من الميناء الهندي بخمسة ايام فقط، انهُ بلغ القطب الشمالي؟ رجلان يبلغان المرمى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي ظلّ ثلاثة قرون محط الانظار وقبلة الروّاد ، ويعلمنان فوزهما في نفس الوقت تقريباً !
لم يصدق بيري أذنيه لأن القطب يقع وسط البحر المتجمد القطبي ويبعد ٤٠٠ من الاميال عن أقرب يابسة ، وقد قرّر الاسكيمو الذين رافقوا الدكتور كوك ، ان اليابسة لم تغب عن ابصارهم قط ! كان بيرى يعرف الجرّاح كوك ، اذ صحبه في إحدى رحلاته السابقة للتطبيب وقت الحاجة . ولكن بيري كان وطيد الثقة بأن كوك لن يستطيع التغلب على الصعاب العديدة التي تعترض الفتح القطبي ، وشرح للصحفيين اسباب ذلك مستنداً الى الحجج العلمية
وازداد ضيق بيري عندما ادرك ان بعض المخبرين لم يكونوا مهتمين بالبراهين العلمية ، بل كانوا يطلبون « قصة » للصحف ! هل صادف بيري دبًّا قطبيًّا وحاربه ؟ لا ! هل هاجمته الذئاب ؟ كلاّ ! ولكن الدكتور كوك صادف هذه الحيوانات وتغلب عليها
وأخيراً ظهرت الحقيقة سافرة لبيري ، إذ بعد ان قضى حياة وقفها على تحقيق غاية عظيمة واحدة انكروا عليه سبقه الى كشف القطب ، وشكوا في نزاهته ! وكما جاهد في حياته لكشف القطب ، وجب عليه الآن ان يجاهد ايضاً للحصول على الاعتراف والتقدير الذي يستحقهُ
وفي الوقت الذي أبرق فيه بيري رسالته كان الدكتور كوك في كوبنهاجن يستقبل الملك وتقام له حفلات التكريم ، ويكلل جيده بقلادة من الورد كأنهُ بطل . فقد قبلت كلمته . وعند ما طلب اليه ان يعلق على اخبار بيري أجاب ماكراً : « إذا قال بيري انّهُ بلغ القطب فاني مصدقهُ »
وفي ميناء نيويورك استقبل كوك استقبالاً حماسيًّا من ألف من المعجبين به. وأقيمت له أقواس النصر ورفعت الأعلام في الشوارع . ثم بدأ جولة كبيرة لالقاء محاضرات أجر كل منها عشرة آلاف من الدولارات، وكان يتقاضى مبالغ طائلة لتحرير قصة لجريدة ، او لسرد حوادث الرحلة . ولما طلب من الدكتور كوك ان يقدم براهين علمية تؤيد صدق قوله ، كالارصاد مثلاً ، اعتذر بأنهُ ترك هذه السجلات مع صديق تائه ! ولما وجد النقاد اخطاءً في رواياته الصحفية ، اعتذر بأنهُ لم يقرأ الاصول قبل طبعها وقال إن كتابهُ سيثبت كل شيء .
ولما دخلت «روزفلت» خليج هدسون قوبلت بمظاهر الاستياء وآهات الغضب وايماءات الاهانة من اتباع كوك . ولكن بيري لم يجب . ورفض مبدئيًّا كل حفلة تكريم حتى يقدم كل من الغريمين ما لديه من البراهين الى إحدى المحاكم المعترف بها . ولكنهُ بدا جليًّا أن هذا لن يحدث . فقدم بيري براهينه الى لجنة في الجمعية الجغرافية الأهلية ، ففحصتها ومحصتها واعترفت بها. وتحدث في كثير من الجمعيات العلمية ، ولكنه رفض أن يتقاضى عن ذلك أجراً
واستفتت احدى الصحف قراءها ، فأسفرت النتيجة عن فوز كوك باتفاق ١٠ على ١ ، وشعر أغلب الاميركيين نفس الشعور . وعضّد هيرست ، الصحفي الاميركي المشهور ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدكتور كوك بكل جوارحه . وقضى كوك شهرين في القاء المحاضرات قبل أن يقدم أدلتهُ الى جامعة كوبنهاجن (التي عدَّها لاحزبية) ولكنها رفضتها رفضاً باتّاً

وتحول الميل تدريجاً ، اذ تعلق الشعب بيري لكريم خلاله واستعداده لتقديم براهينه للبحث والتمحيص . وحدثت مجادلة كبيرة في احد اجتماعات الكونغرس بشأن مشروع احالة بيري الى المعاش ومنحه رتبة «رير ادميرال» . وبدلاً من ان ينال بيري تهانيء شعبه ، سمع الاتهام الصارخ الذي وجهه اليه اتباع كوك في الكونغرس فقالوا عنه انه «كاذب متعمد الكذب مع سبق الاصرار ، ومختلس دنيء» . ولكنهُ أجاب مع ذلك عن أشد الاسئلة اهانة ، بكل عناية . وجرَّت الجلسة في أعقابها جلسات أخرى حتى ألقى خصومه في المجلس النيابي سيوفهم

وهوجم بيري مرة أخرى من بعض ضباط البحرية المعادين . فقالوا ان ترقيته تتجاوز قوانين الاقدمية ، وأشاروا الى ان غيابه الطويل (في رحلاته الى القطب) حال دون تقدمه الى الامتحانات البحرية الرسمية . فقام بيري الذي كان قد فقد جميع اباهمه بتأثير الصقيع وأصيب في ساقيه ، وسار ٢٥ ميلاً في ستة ساعات ، وعندما نهض للردِّ صمت نقاده

وأخيراً وبعد سنتين من رحلته الشمالية ، تقاعد برتبة «رير أدميرال» ووضع في قائمة المتقاعدين اعتباراً من ٦ ابريل ١٩٠٩ ، وهو اليوم الذي بلغ فيه القطب . واعترف الكونغرس رسميًّا بالمغانم التي حصل عليها ، وكذلك اعترف بها رئيس الولايات المتحدة ، كما اعترفت بها قبلاً جميع الجمعيات العلمية . لقد فاز بيري في آخر نضال له

وقام الدكتور كوك بمغامرات أخرى .... وبينما مجادلات الكونغرس في أوجها ، أقسم رجلان من نيويورك ، أحدهما ربَّان بحري ، ان كوك كان قد استأجرهما لكي يقدما أرصاداً جوية تثبت انه بلغ القطب . وكذا اعلن ادوارد باريل Edward Barrill ، المرشد الذي رافق الدكتور كوك في رحلة قيل عنها انها ناجحة لصعود قمة جبل ماكنلي عام ١٩٠٦ ، أعلن أن كوك لم يبلغ القمة . واستمر كوك في القاء محاضراته ، ثم اختفى في اميركا الجنوبية أشهراً ، ثم عاد الى الولايات المتحدة وغاب عن انظار الجمهور تدريجاً وفي عام ١٩٢٣ ، حكم عليه بالسجن ١٤ عاماً قضاها في سجن ليفنورث متَّهماً بغش ما [1]

وبعد ما انقضت مجادلات الكونغرس ، تمكن بيري من التمتع حقيقة بالحياة العائلية الهادئة التي كان يطمع فيها . وكان إبان الحرب العالمية الاولى يلقي محاضرات في المعاهد ، فأصيب بالانيميا . وظن ان هذه معركة أخرى يجب الانتصار فيها ، ولكنها كانت معركة خاسرة . ففي يوم ١٩ فبراير ١٩٢٠ ، راح في غيبوبة ، وفي الصباح الباكر من اليوم التالي ، خفت شعاع روحه الجريئة ، ثم خمد

[عن الانكليزية بتصرف]

(١) نشرنا وصف فضيحة كوك في دعواه عن القطب الشمالي في مقتطف مايو ١٩٢٣

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جراحة التجميل

نواحٍ من تقدمها الحديث

للدكتور مصطفى سامي[1]

كان الانسان حريصاً على الجمال في نفسه وفي كل ما يحيط به من الأشياء من أقدم العصور . وهو دائماً يفكر في التحسين والتجميل في كل شيء حتى في المناظر الطبيعية . وقد ظهرت جراحة التجميل لتسدي الى الناس خدمة عظيمة في الاحتفاظ بحسن انسجام الجسم وجمال مظهره . وليس التجميل بدعة من بدع المدنية ولا هو من الكماليات بل هو ضروري لحسن نظام الحياة وانتظام شكل الوجه والقوام والبدن . وقلما نجد انساناً حائزاً جميع نواحي الجمال . ولو فرض وجود ذلك الانسان التناهي في الحسن لكان في المستطاع أن نزيده حسناً بوساطة الجراحة . ولسنا نعني أن جراحة التجميل تخلق الانسان خلقاً جديداً ولكنها تحقق له الشكل المتناسب واستقامة الهيئة وهي بذلك تحسّن ولا تغير إذ من الضروري الاحتفاظ بكيان الوجه ومزايا الشخصية وفقاً لأصل تكوينها. على انهُ يجب أن نلاحظ أن جراحة التجميل ليست قادرة على كل شيء لأن جميع ما اخترعهُ الانسان لتجميل الانسان لا يزال محدوداً كسائر العلوم

ولكل حالة من حالات التجميل عملياتها الخاصة ولا يصح تكرار العملية لمجرد المشابهة بين بعض الحالات فان مراعاة الدقة في مقدمة الواجبات التي لا يصح الاغضاء عنها ومن العبث الاعتماد على بعض الأجهزة التي يزعم مخترعوها انها تصلح الأنوف والنهود أو غيرها فهي في الواقع عذاب لا يجدي وتعب غير منتج . وكذلك الارتكان الى المراهم والأدوية والأدهان وحمامات التجميل والتدليك الكهربائي كل ذلك اضاعة للوقت ، وانفاق للمال في غير فائدة محققة . وليس في هذه الأشياء ما يعدل أنفاً أو يصلح ذقناً أو يجمل وجهاً مشوهاً . ولِمَ يعاني الانسان اضاعة الوقت الطويل في هذه التجارب مع ان العملية الناجحة لا تستغرق إلاّ دقائق يعود بعدها الانسان الى مزاولة أعماله العادية ما عدا حالات نادرة كاصلاح الثدي وإزالة شحم البطن إذ لا بد من قضاء أيام في الفراش . ومعظم هذه العمليات لا يقتضي اكثر من التخدير الموضعي . وما يحتاج منها الى التخدير الكلي — وهو قليل — يعمل بحقنة شرجية يوضع بها البنج ثم يستيقظ المريض من عملية ناجحة وشفاء محقق . وقد أشرنا في

(١) ملخص لمحاضرة الدكتور مصطفى سامي ألقيت في المؤتمر الذي عقدته الجمعيات الطبية المصرية من أشهر في الاسكندرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هـذه المقدمة الى ان الانسان حريص على الجمال بعد حرصه على الحياة ونقول هنا أن عنايته بالتجميل تتلو عنايته بضرورات العيش التي تقوّم كيانه وتحفظ بنيانه

والمنظر المشوّه لايزيد الانسان إلاّ نفوراً وتبرماً كأ نهُ يخشى انعكاس الصورة المشوهة أو انطباع المثال المشين في هيئته . وذلك كله يرجع الى غرائز نفسية لا تتسع هـذه العجالة لتفصيلها . وكلما أمعنت المدنية في طريق التقدم والارتقاء ازداد حرص المرء على سلامة الشكل كحرصه على سلامة الجسم من داءٍ عضال . وستبقى جراحة التجميل عنصراً هامًّا في الحياة مساهمة في سعادة الفرد والجماعة على السواء . وحيث ان المجتمع الانساني يتطلب من كل شخص أن يكون طبيعيًّا في جميع أعضائه نجد أن كلّ تشويه أو شذوذ في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم يكون عقبة أمام صاحبه وربما جعله موضع السخرية من الناس. واذا كان الشخص المشوه سيدة وكان هذا التشوه في الوجه فانه يصبح نكبة يفسد الحياة أو على الاقل يغير مجراها الطبيعي. وفي كثير من الأحيان يتمكن جراح التجميل من اصلاح هذا التشوه اصلاحاً كاملاً أو قريباً من الكمال

وليس في العالم أجمع ما يتجاوز مائة جراح اختصاصي في التجميل وهذا المجموع القليل العدد منوط به اصلاح التشويه في مئات الالوف من ضحايا الحروب إذ يصاب ملايين من الشبان والرجال في صفوف القتال كما تصاب ألوف من النساء والاطفال الآمنين في منازلهم من قنابل طيارات الجيوش المغيرة والقنابل المتشظية . والقصد الوحيد الذي يتوخاه الجراح في الحروب انقاذ حياة مريضه بأي ثمن . وكثيراً ما يكون الثمن غالياً إذ يبقى هذا المصاب التعس مشوه الخلقة بقية حياته . ولا يلبث أن تتنكر له بيئته وقومه وقد يتنكر لهُ أقرب الناس اليهِ . وقد يصير هدفاً لغمزهم إذ يتناسون ان هذا الشخص كان في مقدمة الجيش في يوم من الأيام يدافع ويكافح بشجاعة نادرة

﴿ الحوادث الفجائية ﴾ يوجد الجلد محدوداً في مستويات محـدودة Planes تسمى خطوط لانجر Langer وهي تشبه عروق الخشب وهذا يوضح أن بعض آثار الالتئام تحدث تشويهاً اكثر مما تحدثهُ الاخرى حينما يكون اتجاهها عكس اتجاه هذه الخطوط. ويجب على الجراح عند حدوث الحوادث الفجائية ان يحتاط جدًّا في خياطة الجروح حتى لا تحدث تشوهات في المستقبل وخصوصاً في اصابات الأطفال. أما اذا حضر الشخص المشوه الى الجراح بعد انقضاء مدة على الحادثة فيجب على الجراح استعمال جماع فنه وعلمه ليزيل هذا التشوه بقدر الامكان. هذا ويجب تحاشي هذه الحوادث بقدر المستطاع بالانتباه في الطريق واتباع قوانين المرور بدقة والحرص في قيادة السيارات والعمل الصناعي وغير ذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ مبادىء عامة ﴾ اولاً — يجب توجيه اكبر قسط من الاهتمام إلى التعقيم الدقيق وحسن تحضير المصاب للعملية. ثانياً — يكون البضع بمبضع حاد جداً أو بالابرة الكهربائية وفي مواضع مستترة . ثالثاً — يجب تناول الانساج بمنتهى الرفق ويصب على الجروح والرقع محلول ملح فسيولوجي معقم باستمرار حتى لا تحدث كدمات للانساج . رابعاً — يجب توجيه العناية التامة الى وقف الدم اثناء العملية كما يجب الاستيثاق من جفاف الجرح جفافاً تاماً قبل قفله . خامساً — تستعمل الغرز الغائرة بالطريقة المصطلح عليها (قريب بعيد بعيد قريب) لعمل ارخاء لحواف الجلد وازالة الفراغات الميتة ويستعمل لذلك خيط الجراح Catgut الرفيع ويتوقف رفعهُ على رقة النسيج المراد خياطته . سادساً — يجب ان يخاط الجلد بخيط رفيع جداً وبأبرة لا عين لها وهي التي تشبه الأبر المستعملة في خياطة الامعاء وتستعمل الخياطة التي تحت البشرة بقدر الامكان كما يستعمل الشمع اللصاق لشد حروف الجرح بعضها الى بعض

﴿ نقل الأنساج ﴾ كثيراً ما يحدث تشوه من حروق أو عقب سرطان مستأصل .... الخ وهذه التشوهات تعالج بنقل الانساج فاذا نزع جزء من الجلد من موضعه نزعاً كاملاً ووضع في جهة اخرى بعيدة يسمى هذا الجلد المنزوع رقعة اما اذا لم يكن النزع كاملاً وبقي الجزء المنزوع متصلاً بموضعه الأصلي بواسطة عنق تغذيه أطلق عليهِ اسم (شريحة) ولا يقطع هذا الاتصال المغذي الاّ بعد الاستيثاق من أن الشريحة قد نمت نمواً صحيحاً في موضعها الجديد . والرقع اما رقع ذاتية أي مأخوذة من نفس المريض ، وإما رقع مشابهة أي مأخوذة من شخص آخر من نفس الفصيلة والنوع ، وإما رقع حيوانية أي مأخوذة من حيوان من نوع آخر .وأحسن هذه الرقع الرقع الذاتية لأن نتائجها أفضل النتائج

وعند الاحتياج الى رقع غضروفية لاصلاح انخفاض في الانف أو ما شابه ذلك تؤخذ قطعة من غضروف أحد الاضلاع وهذه الرقعة الغضروفية تعيش جيداً في الانساج الرخوة ولا تُمتص كبعض الرقع العظمية. وأيضاً يمكن تنسيق الرقع الغضروفية بالشكل المطلوب بسهولة وأحسن موضع لأخذ رقعة غضروفية هو حيث تتصل غضاريف الضلوع السابعة والثامنة والتاسعة من الامام فتكوّن مستطيلاً غضروفياً عريضاً . وتفضّل الجهة اليمنى لبعدها عن القلب . وجميع الرقع الغضروفية تؤخذ من سطح هذا المستطيل الغضروفي وبذلك لا تمس بأي حال من الأحوال الأنساج الأخرى الواقعة حول أو خلف هذا المستطيل

وتؤخذ هذه الرقع الغضروفية بعد التخدير الموضعي. وبعد اخذها يقفل الجرح ويلصق على الصدر في هذا الموضع شريط من مشمع لصاق حتى لا يحدث ألم بعد العملية

والشرائح ذات العنق إما ان تعمل على الطريقة الهندية أي تؤخذ الرقع من جزء من الجسم قريب من موضع العملية كالجبهة مثلاً في اصلاح تشوهات الأنف ، وإما ان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعمل الشرائح ذات العنق على الطريقة الفرنسية ذات الشرائح المتحركة أو على الطريقة الايطالية وهي تتلخص في أخذ الرقعة من جزء بعيد من الجسم كالذراع في حالة اصلاح تشوهات الوجه

أما طريقة رفردن Reverdin فتتلخص في نقل جزر صغيرة من الجلد (islets) كثيرة العدد ووضعها على مسافات قريبة بعضها من بعض فوق سطح الجرح المحبب Granulating وبعد مدة قصيرة تنمو هذه الجزر الجلدية وتترعرع في موضعها الجديد وتتصل حروفها بعضها ببعض وتغطي الجرح . وفي سنة ١٨٧٤ استعمل تيرش وأولير قطعاً كبيرة من الجلد ذات سمك جزئي ثم استعمل ولف وكراوس الجلد بكامل سمكه في ترقيع الجفن الأسفل . ويجب ان نستوثق قبل عملية الترقيع من ان موضع الجرح بحالة صحية جيدة حتى تلتصق الرقعة جيداً

وتستعمل رقع تيرش واولير في مواضع كثيرة منها تشوهات الجفون العليا نتيجة حرق أو غيره ورقع وولف وكراوس في الجروح الغائرة المنفصلة الحروف التي تحتاج الى تغطية سريعة وخصوصاً اذا كانت القاعدة ثابتة كما هو الحال في الجبهة مثلاً اذ تؤخذ من جهة قريبة كالذراع قطعة من الجلد تحوي جميع طبقاته حتى النسيج الخلوي تحته ويجب اولاً ان تكون القطعة المأخوذة مساوية تماماً للجزء المراد نقلها اليه . وثانياً يعمل قطع خلفي لجرح الذراع الذي أخذت منه ويقفل الجرح بعد نقل الرقعة وخياطتها بدقة ويوضع رباط ضاغط عليه

وحيث ان بعض هذه الرقع الجلدية الكاملة لا تلتصق فالغالب ان تفضل الشريحة بشرط ان تشتمل عنقها على شريان متناسب الحجم معها لتغذيتها وتستعمل طريقة الشريحة هذه في اعادة تكوين الأنف بالطريقة الهندية وهي تتلخص في عمل أنموذج للجرح من قطعة قصدير لينة بعد تعقيمها بالغلي ويوضع هذا الانموذج على الجبهة ويقطع الجلد عليه . ويتوقف عمق القطع على عمق الجرح الأنفي ولكي تقرب هذه الرقعة تدريجياً من الانف دون ان تفصلها تماماً عن الجبهة يقطع عنق طويل لها حتى يمكن ان تصل الى جرح الانف وتغطيه تماماً ثم تخاط بكل دقة وبعد عشرة ايام الى واحد وعشرين يوماً على حسب الحالة يقطع العنق من جهة اتصاله بالرقعة ويعاد الى موضعه بالجبهة حيث يخاط

أما موضع الشريحة في الجبهة فيترك ليلتئم من نفسه اذ لا يحدث تشوهاً كبيراً ومن الممكن ان تعمل له رقعة تيرش او رقعة ولف وتقطع الشريحة وتخاط في الجرح في عملية واحدة وذلك لان الدورة الدموية حسنة جداً في الجبهة . وفي حالة ترقيع الشفة العليا او ذقن رجل تؤخذ الشريحة من فروة الرأس اذ ان هذه الشريحة تحوي بصيلات الشعر فيستعاض بها عن الشارب والذقن الأصليين واذا أخذت الشريحة من جهة بعيدة من الجسم كالرقبة اوالصدر او ما شابههما فيستحسن أن تجري العملية على دفعتين . وبوساطة فن الترقيع ونقل الانسجة يتمكن الجراح الماهر من اصلاح تشوهات كثيرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

هناك قصة أخرى عن هند في غزوة أحد يبدو عليها كما بدا على سابقتها أثر الاختراع . وتتلخص القصة في أن أبا دجانة (٧١) الانصاري أخذ سيفاً من رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وهجم بهِ على المشركين حتى وصل الى هند وهي ترتجز ، وخلفها النساء يضربن الدفوف ، فأراد ان يعلوها بالسيف ثم امتنع خشية أن يقال إنهُ لطخ سيف الرسول بدم امرأة

ولا نسمع عن هند بعد غزوة أحد الا قليلاً حتى تبلغ العداوة أشدها بين محمد وقريش . وكان ذلك في فتح مكة في العام الثامن من الهجرة ، وهنا تظهر هند معارضة لسياسة أبي سفيان التي تميل الى السلم والتسليم ، ولو كانت لها الكلمة المطاعة لأمرت قريشاً باستمرار القتال

وحينما أدركت أن أبا سفيان سلَّم مكة إلى محمد نال منها الغضب الذي لا حدود له ، ورفضت علانية أن تقرَّ مع أبي سفيان ثم قامت اليهِ فأمسكت بلحيته

(رواية ابن هشام انها أمسكت بشاربه — المترجم)

ولطمته على وجهه وصرخت « اقتلوا الحميت الدسم الأحمس ، قبّح من طليعة قوم » وكان أبو سفيان في الوقت نفسه ينادي بأعلى صوته : — أيها الناس ! من دخل دار أبي سفيان فهو آمن (٧٢)

وبينما كان العباس عم النبي يعلن شروط النبي للأمان خرجت هند اليه تثير سخط الجماهير عليه (٧٣) ولكن محاولاتها ضاعت سدى . ولما أدركت أن الدائرة دارت على قومها ولم تجد ما يشفي غليلها الا أصنامها التي لاحول لها ولا قوة حطمتها قائلةً : لقد كنا منكم في ضلال مبين (٧٤)

وتذكر كتب السير أن محمداً عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم (ولو وجدوا تحت أستار الكعبة — المترجم) وهم خمسة رجال أو ستة وأربع نساء

(الصحيح ان جميعهم خمسة عشر شخصاً ، أحد عشر رجلا وأربع نسوة — والتصحيح عن محمد رضا ص ٤٢٦ كتاب محمد — المترجم)

---

(٧١) كوسان دي برسفال ج ٣ ص ١٠١ (٧٢) الواقدي ص ٣٠٨ ، ٤١٣ (٧٣) ابن هشام ص٨١٥ (٧٤) الاصابة ج ٤ ص٨٢١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان ثلاث من النساء من أحط طبقات مكة ومن قيانها اللائي طالما غنّين بهجاء الرسول وقد تخلّص اثنتان من العقاب باسلامهما ، أما الثالثة فذكر بعضهم أنها قتلت [٧٥] وأما الرابعة ممن حكم عليهنّ بإهدار دمهنّ فلم تكن غير هند ، وقد خلصت من القتل باعلان إسلامها وإسراعها — وهي متنقبة متنكرة — الى القسم بالولاء لمحمد الذي لم يدرك أول الأمر أنهُ كان يتكلم الى عدوته في أمس القريب : هند

واذا كان في بعض أحداث هند موضع للشك فان تلك الحادثة هي أجدرها به . فليس من المعقول أن أبا سفيان — بالرغم من خلافه مع زوجته — يرضى باتفاق ما مع محمد في وقت أهدر فيه دم هند . وليس من المعقول كذلك أن نتخيل أن محمداً — مع نظره البعيد وسياسته في مسالمة الفتوح وحسن المصالحة — يرضى بمثل هذا الحكم

وأخيراً تقدمت هند الى مبايعة النبي ، وكانت تتكلم كلام شخص غير خائف أو ناج من حكم القتل ، بل أسلمت نفسها في أنفة وحمية وروح قوية ، ان لم تكن تخفي وراء ذلك استياء

(هنا يصح لنا أن نناقش الباحثة الفاضلة ، فليس أدل على خوف هند من حضورها مجلس المبايعة متنقبة متنكرة ، وذلك لحدثها وما كان من صنيعها من المثلة بعم النبي حمزة ، فهي تخشى أن يأخذها النبي عليه السلام بما فعلت ، أما الاستياء المحجب الذي تشير اليه الباحثة فما كان أغنى هنداً عنه . فقد كانت صريحة في اجابتها للرسول ، ولم يكن بها حاجة الى اظهار الحمية في الجواب ، مع اضطغان الحقد في الفؤاد . على ان ابن الطقطقي صاحب كتاب الفخريّ في الآداب السلطانية — وهو مؤرخ معتدل منصف — يذكر في صفحة ٩٩ من كتابه طبع المعارف بأن هنداً أجابت النبي بأجوبة قوية على خوفها منه — المترجم)

ولما أخذ محمد البيعة من الرجال من أهل مكة المغلوبة اتجه الى أخذ البيعة من النساء حتى يتم له الفتح كاملاً ، وحتى يتم له القرار الوطيد للدين الجديد . وكما كانت هند في أحد كانت كذلك في بيعة النساء في فتح مكة تتزعمهنّ وتتكلم باسمهنّ

وكان مشهد المبايعة من المشاهد التي بالغ المؤرخون في تمثيلها ، فهو يعرض نساء مكة ورجالها وعلى رأسهم أبو سفيان في ناحية من المشهد ، وفي الناحية الأخرى رجال محمد وفيهم عمر بن الخطاب والعباس بن عبد المطلب ، وفي الوسط محمد وامامه هند

فابتدأ محمد مبايعتهنّ قائلاً : تبايعنني على ألّا تشركنَ بالله شيئاً . فقالت هند : والله أنك لتأخذ علينا امراً ما تأخذه على الرجال وسنؤتيكه . قال ولا تسرقنَ . قالت : والله أني كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنة والهنة ، وما أدري أكان ذلك حلالاً أم لا . فقال أبو سفيان وكان شاهداً لما تقول :— أما ما أصبتِ فيما مضى فأنت منه في حل . فقال رسول الله : وأنك لهند بنت عتبة . فقالت : أنا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك . قال محمد : ولا تزنينَ

(٧٥) ابن سعد ج ٢ ص ٩٨ واليعقوبي ج ٢ ص ٦٠ وابن هشام ص ٨١٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قالت : يا رسول الله هل تزني الحرة ؟ قال : ولا تقتلنَ أولادكنَّ . قالت : قد ربيناهم صغاراً وقتلتَهم يوم بدر كباراً فأنت وهم أعلم . قال : ولا تأتينَ ببهتان تفترينه بين ايديكنَّ وأرجلكنَّ . قالت : والله ان اتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل . قال: ولا تعصينني في معروف . قالت : ما جلسنا هذا المجلس هنا ونحن نريد أن نعصيك في معروف(٧٦)

ولقد كانت هند عند كلمتها ، فكانت علاقتها بالنبي طيبة وأهدت اليهِ في مرّةً ما رأسين من الغنم (٧٧) كما شكت اليه في اخرى أنّ أبا سفيان (٧٨) لا يعطيها من الطعام ما يكفيها وولدها . فقال لها عليهِ السلام : خذي من ماله بالمعروف ما يكفيكِ وولدكِ. وبعد ذلك حسن أسلامها وحاربت في سبيل الاسلام بما عُرف عنها من الروح التي أبدتها في سبيل مقاومته . ولم يظهر جهادها في سبيل الدين الجديد الاّ في خلافة عمر بن الخطاب. فهنا نسمع عنها ، ونسمع أنها هي وأبو سفيان زارا ولدهما معاوية يوم أن كان والياً على الشام من قبل عمر بن الخطاب . وقد شهدت هي وزوجها موقعة اليرموك ضد الروم سنة ١٥هـ القابلة لسنة ٦٣٦ ميلادية ، تلك الموقعة التي أبلى فيها نساء المسلمين بلاءً عظيماً

(روى البلاذري في فتوح البلدان في باب الحديث عن وقعة اليرموك ان نساء المسلمين اشتركن في هذه الموقعة وقاتلن فيها مقاتلة عظيمة — ص ١٣٥ — المترجم)

ولقد كانت جويرية بنت هند بين النساء وجرحت في المعركة. كما كانت زعامة النساء في تلك الموقعة لهند التي حرضت المسلمين على قتال الروم قائلة : اقطعوا أوصال هؤلاء الغُلف(٧٩) « غير المختونين » . وبعد اليرموك بقليل طلقت هند من زوجها أبي سفيان(٨٠) لغير سبب معروف ، وقد بلغا حينئذٍ من الكبر مبلغاً . لان أبا سفيان جاوز حينئذٍ السبعين ومات بعد ذلك ببضعة عشر عاماً موفياً على الثمانية والثمانين(٨١) وقد بلغت هند وقت طلاقها سنّاً متوسطة، الاّ انها استبقت جمالها ،ولاسيّما اذا صدقنا ما روي من أن ولدها معاوية رفض خطبتها (٨٢) — بعد طلاقها— من خاطب لم تذكر السير اسمه

ولكن طلاقها من أبي سفيان لم يؤثر في علاقة اولادها بها ولا حبهم لها . لأنا نجد معاوية وأخاه عتبة يفتخران بأنهما ولدا هند (٨٣)

---

(٧٦) الواقدي ص ٤١٦ وابن سعد ج ٨ ص ٤ والطبري ج ١ ص ١٦٤٣ والكامل لابن الاثير طبع طورنبرج ج ٢ ص ١٨٢ والفخري ص ١٤٤ والاصابة ج ٤ ص ٨٢١ وانظر أيضاً « كتيب في سنن الرسول للمستشرق فنسنك » (٧٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧١ وابن الاثير ج ١١ ص ١٩١ (٧٨) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٢ (٧٩) فتوح البلدان للبلاذري ص ١٣٥ ، وميور ص ١٠٩ (٨٠) الطبري ج ١ ص ٢٧٦٧ (٨١) النووي ودائرة المعارف الاسلامية ج ١ ص ١٠٨ (٨٢) الاصابة ج ٤ ص ٨٢١ (٨٣) الطبري ج ٢ ص ٦٩ ، ٢١٠ والعقد الفريد ج ٢ ص ١٢٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد اشتغلت هند بالتجارة بعد طلاقها ، ولم يكن لها رأس مال خاص بها ، ومن الصعب أن نصدق أنها ادخرت مالاً من أبي سفيان مع شكواها من تقتيره وتضييقه عليها في الطعام ولكنها لم تعدم السبيل الى المال ، فقد اقترضت من الخليفة عمر بعض المال وتاجرت في شمالي أرض بني كلب . ولما سمعت ان أبا سفيان وولده — من غيرها — عمراً عزما على زيارة معاوية قصدت هي ايضاً الى معاوية لتزوره ولتحذره من أن يسرف في الهدايا الى أبيه وأخيه لئلا يتكلم الناس في هذه الهدايا الى الخليفه عمر بن الخطاب الذي قد تحمله صرامته في الحق ألا يغفر لمعاوية هذا التبذير في مال المسلمين

ولقد عمل معاوية بمشورتها وضيق على أبيهِ وأخيه في الهدية التي عزا أبو سفيان ضآلتها الى مشورة هند . وسافر ثلاثتهم الى المدينة لتصرف هند تجارتها . وهنا سألت هند الخليفة عمر أن يضع عنها بعض المال . فأبى قائلاً ان ذلك لا يخصهُ ولكن يخص بيت مال المسلمين[84]

ولقد أدركت هند انه من العبث مناقشة عمر المعروف بشدته وصرامته وعدم تهاونه في الحق ، ولهذا نراها في فرصة أخرى تنصح ولدها معاوية بأن يعمل دائماً بما يطابق ارادته[85]

ولم تعش هند لتدرك ولدها معاوية وهو خليفة ، فيروي بعض المصادر انها ماتت في خلافة عمر سنة ١٤ هـ[86] وفي ذلك ما فيه من الخطإ على وجه التأكيد لأنها اشتركت في وقعة اليرموك حينما كانت لا تزال زوجاً لأبي سفيان . وقصة اشتغالها بالتجارة ترد في تاريخ الطبري في حوادث عام سنة ٢٣ هـ وذلك يوافق ما روي من انها ماتت في خلافة عثمان[87]

ولقد أطلنا الحديث عن هند بنت عتبة وعن تفاصيل حياتها لأسباب عدة ، لأن قصتها الشخصية — على قدر ما جمعنا منها — تبدو شائقة مهمة ، ولأنها يمكن أن تُعَدَّ — على بعض السبيل — أخرى ملكات ما قبل الاسلام في بلاد العرب الغربية

أما ما روي من قصتها في كتب السير فانه يحمل غير مرة لوناً سياسيًّا من ألوان السياسة في العصر الذي تلاها . ففي دورها الخاص إبنةً وزوجةً وأمًّا تظهر هند بمظهر المرأة العربية الحرة المتحمسة ، وفي دورها العام زعيمةً لنساء مكة الجمهورية ، كانت شجاعة ومشيرة مندفعةً ومحاربة تامة الأهبة . ولقد حمل موقفها العدائي من محمد ، مؤرخي السيرة في عصرٍ تالٍ — مدفوعين ببعض الخصومات القبلية — على أن يمسخوا ما فعلته هند المعادية المتقلبة المزاج في سبيل الاسلام

---

(٨٤) الطبري ج ١ ص ٢٧٦٦ (٨٥) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠ (٨٦) التنبيه للمسعودي ج ٨ ص ٢٨٧ وابن الاثير ج ٢ ص ٣٨٠ (٨٧) الاصابة ج ٤ ص ٨٢١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب المراسلة والمناظرة

الدكتور امين باشا المعلوف

في نظر العلماء من معاصريه وعارفيه

— ١ —

منذ سنة ١٩٠٨ بدأ الفقيد ينشر في المقتطف ابحاثه في اسماء الحيوانات . وقد قرأتها بعد بضع سنين من نشرها فأكبرت ما فيها من تحقيق علمي دقيق ورحت انسخ ما يهمني منها في كراريس خاصة، على عادتي في كل ما اعثر عليه من جليل المصطلحات العلمية . وهذه الابحاث الثمينة هي التي جمعها المقتطف وطبعها باشراف الفقيد سنة ١٩٣٢ فكان منها معجم الحيوان الشهير

ومنذ سنة ١٩٢٤ أي منذ شرعتُ أنشر في مجلة مجمعنا العلمي العربي نتائج ابحاثي في مصطلحات العلوم الزراعية المختلفة ، بدأ الفقيد الكريم يراسلني من بغداد . ثم توشجت عرى الصداقة بيننا ، واجتمع لديَّ من رسائله جملةٌ حوت ابحاثاً لغوية علمية ، وملاحظات صائبة على كثير من غلطات الكتاب والمؤلفين واصحاب المعجمات الأعجمية العربية

ولم يقتصر الصديق الراحل في تنقيباته وتحقيقاته على الألفاظ العربية المتعلقة بالحيوانات، بل تناول بالبحث والتنقير اصطلاحات علم النبات ، فنشر منها في المجلدين السابع والثامن من مجلة المجمع العلمي العربي ، عدداً يعده العارفون من اجلّ الاصطلاحات النباتية وأدقها . ولو لم يقعده الداء عن العمل لطلع على العالم العربي بمعجم في هذه الالفاظ لا يقل عن معجم الحيوان جودةً وتحقيقاً . ومما سمت اليه همته ايضاً الفاظ كثير من النجوم الثوابت، فنشر فيها بحثاً طليًّا في المجلد الثامن من مجلة المجمع العلمي العربي ، وانتهى بهِ درس هذه الالفاظ الى وضع معجم فلكي أعجمي عربي طبعهُ في سنة ١٩٣٥ . وللفقيد ابحاث في الاصطلاحات الطبية وانتقادات لكثير من الالفاظ التي اخطأ بعض العلماء بوضعها. وأتذكر انني قرأت عليهِ في احدى رحلاتي الى مصر كلمات حرفي A و B من « معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية » فنبهني الى تسع هفوات أي دلني على تسع كلمات عربية اصلح من التي وضعتها امام الكلم الفرنسية

وبعد اذا ذكر الذاكرون علماءَنا الذين عكفوا في العصر الحاضر على تحقيق أصلح الألفاظ العربية لموضوعات العلوم الحديثة فانهم سيذكرون العلامة الدكتور امين المعلوف في طليعتهم وسيظل « معجم الحيوان » أضبط مرجع للالفاظ التي حققها الفقيد في حياته

ولقد كان رحمهُ الله من أصدق الناس وطنيةً وأسماهم أخلاقاً وأخلصهم للقضية العربية . خدم بلاد العرب في الجيش المصري وفي الثورة العربية وفي الجيش العراقي، وخدم لغة الضاد في جميع ادوار حياتهِ فكان في كل ذلك نعم الخادم العالم الصادق الامين

مصطفى الشهابي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٢ —

عرفت الأمين منذ هبط دمشق في سنة ١٩٢٠، وعين ناظراً للدروس في معهد الطب العربي وأستاذاً لعلمي الحيوان والنبات فيه، فرأيتهُ كبيراً بعلمه، كبيراً بأدبهِ، كبيراً بأخلاقه

وكيف لا يكون كبيراً بعلمه وقد وقف حياته الطبيـة متعمقاً في علمي الحيوان والنبات حتى أصبح فيهما ثقة يشـار اليهِ بالبنان. ولم يكتف باتقان هذين العلمين باحدى اللغـات الأجنبية شأن أكثر المختصين بهما من أبنائنا في هذا العصر، بل رغب في أن تكون له اليد الطولى في وضع مصطلحات عربية لمختلف مسمياتهما الأعجمية فأفنى حياته بالبحث والتنقيب والتدقيق حتى جاءَ كتابه معجم الحيوان الذي طبعتهُ ادارة المقتطف الأغر ومؤلفـه معجم النبات الذي لم ينشر منهُ سوى أبحاث قليلة حجة يرجع اليها كل باحث متقصٍّ. ولمّا كان لكل عالم في هذه الحياة اتجاه ينحوه، فقد نحا الفقيد الكبير ناحية خدمة العرب عن طريق اغناء اللغة العلمية فوضع ما وضع من المصطلحات التي ستبقى شاهدة بعبقريته وفضلهِ على لغة الضاد وأبنائهـا. ولقد أصاب فقيدنا العزيز في انتحائه الناحية اللغوية، ولو انهُ انتحى الناحية العلمية فقط، فتعمق في أحد الفروع الطبية، لما كان استطاع النبوغ فيهِ (والوسائط الموصلة الى الاكتشاف قليلة في الشرق) ولما تمكن من تأدية هذه الخدمة الجلّى لبني قومه، ولكان علمه اندمج بعلوم ألوف العلماء في العالم فزال بزواله ولم تنل العرب منهُ الفائدة التي كانت ترتقبها. وكان كبيراً بأدبه فقد كان واقفاً على أسرار اللغة وفلسفتها وآدابها، تشهد لهُ بذلك مقالاته الرائعة وأبحاثه الشائقة في مختلف الموضوعات. والاطباء الذين يجمعون اللغة والعلم قليلون لأن الطبيب يسعى قبل كل شيء الى افهام قرائه الموضوع الطبي الذي يعالجهُ غير مكترث للثوب الذي يختاره لالباس معانيه، فتأتي لغة العلم جافة لا يستسيغها الأديب ولا تحلو لأذن الكاتب الاريب. وقد شذّ فقيدنا العزيز عن هذه القاعدة فكان انشاؤه عذباً شائقاً حتى ان قارىء مقالاته كان يعجب بانشائه اعجابه بمعانيه العلمية، وكان يتمثل أمامه كاتباً نحريراً يكيف اللغة كيف شاء فتنقاد اليه مطيعة. وكان كبيراً بأخلاقه فقد ورث من أسرته الكريمة أخلاقاً سامية فلم يحافظ عليها فحسب، بل أنماها وجسّمها فأصبح مثالاً للصدق والأمانة والاباء والاخلاص، اذا وعد وفى، واذا أحبَّ أخلص، واذا اؤتمن كان وفيًّا أميناً

فرحمة الله عليك أيها الفقيد العزيز، لم يكن مصرعك خسارة على أهلك فحسب، بل خسارة على أصدقائك الذين كانوا يقدرون ما تحلت به نفسك من الصفات السامية. وخسارة على بني قومك الذين خدمتهم بعلمك وأدبك وأخلاقك فنم قرير العين فقد تركت أثراً لا يمحى، وستبقى خالداً وسيذكرك منافسوك قبل أصدقائك مقرين بفضلك وعبقريتك ونبوغك

الدكتور مرشد خاطر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من غرائب اللغة

لنجيب شاهين

اللغة العربية كلها غرائب وشواذ لكنها غرائب أشبه بالملح منها بالشوارد الأوابد التي لا قيد لها وشواذ ليست بالمنكرة على لغة تعتمد على السماع حتى ليكاد يغلب المسموع فيها المقيس . وسنلمّ بهذه الغرائب إلماماً في هذه الطرائف خشية التطويل ونقول على سبيل المثال ان هذا السماع ظاهرة معروفة في اللغة الانكليزية والفرنسية . فمعظم الأفعال المشهورة في الاولى غير قياسية في اشتقاقها أي ان ماضيها واسم المفعول فيها لا تدخلهما الاداة التي تدخل على الماضي واسم المفعول في الأفعال القياسية مما يعلمهُ عارفو اللغة . وألفاظ اللغة الفرنسية لا يميز بين المذكر والمؤنث فيها شيءٌ ما أي انك لا تعرفهما بعلامة ظاهرة ولا تميزها إلاّ بعد طول التحدث باللغة ، إلاّ ألفاظاً تنتهي بأحرف يعرفها عارفو اللغة

* * *

أذكر من غرائب اللغة العربية على سبيل المثال كلمة « حبّ » ومعناها « أحبّ » . جاء في المعجمات ما خلاصته :

حبّهُ يَحِبّهُ بكسر الحاء وهذا شاذّ إذ لا يأتي في المضاعف يفعِل (بكسر عين الفعل) إلاّ ويشركهُ يفعُل (بضمها) اذا كان متعدياً ما عدا حبّ

وأحبّهُ يحبهُ إحباباً بمعنى حبّهُ وأحب أكثر استعمالاً من حبّ . ولكن الغريب ان مصدر أحبّ (أي إحباب) لم يسمع ولم يستعمل لا هو ولا اسم الفاعل من حبّ ولا اسم المفعول من أحبّ فتقول أحببتهُ حبّاً جمّاً (لا إحباباً) وأنا محِبّ لا حابّ للفاعل وهو محبوب لا محبّ للمفعول إلاّ شذوذاً . أي ان الشذوذ هو القاعدة والقاعدة هي الشذوذ وهذا هو وجه الغرابة . قال عنترة :

ولقد نزلت فلا تظني غيرهُ   مني بمنزلة المحَبّ المكرَم

والمحَبّ اسم المفعول هنا قياسي ولكنهُ شاذ ولو قال المحبوب غير القياسي ما كان هناك شذوذ ما ! !

وعلى ذكر هذه الغريبة أذكر ان الاقلام كثيراً ما تتناقل « فعلته حبّاً بهِ » وهي خطأ صحتهُ « حبّاً لهُ » . وفي كلام المعجمات عن المحَبّ اسم المفعول قولها وهو نادر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وزن تفعال

وزن تفعال بكسر الأول وفتحهُ وزن لا ضابط لهُ قال سيبويه :

«هذا باب ما تكثَّر فيه المصدر من فعَلْت فتلحق الزوائد وتبنيه بناء آخر كما انك قلت في فعَلْت فعّلت ولكن لما أردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعَلت على فعّلت»

وخلاصة كلام سيبويه بلغتنا كما نفهمها لا بلغة امام النحاة — ولا يجوز « لأجمص » انسان أن ينتقدهُ — الخلاصة هي ان وزن تفعال يكون للمبالغة كما هو الغرض من التضعيف في كثَّر وما أتى على وزنها . ويلوح لنا ان تفعال مصدر للثلاثي وانهُ يجوز الالتجاء اليهِ ان لم نجدهُ بين مصادر فعل ففتح في وجوهنا بذلك باب الاجتهاد كما فعل الشاعر محمد الاسمر في قصيدتهِ الأخيرة التي نشرها في الاهرام فأورد كلمة تصهال حيث قال :

في كل ناحيـة زئير مدافع ما الخيل في الماضي وما تصهالها

فمعنى التصهال الصهيل وهو مصدر صهل ولكن المعجمات لم تذكره فعمد الشاعر الى الاجتهاد

وقد عثرت في كتب اللغة على المصادر التالية :

تمراغ ولكنهُ ذكر مصدراً لمرّغ المضاعف لا لمرغ الثلاثي

تسحاب . ترحاب . تذكار . ترحال . تسيار . تنحار . تبيان (وقيل عنها انها بالفتح قياساً والكسر سماعاً) ترداد (من ردّد) تجواب . تسآل . تجوال

ووردت تحنان في الشعر ولم ترد في كتب اللغة قال الشاعر :

يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى الزيدين تحنانا

وقيل ان الصحيح الديرين لا الزيدين

ووردت لفظة تلقاء بالكسر وقيل فيها انها اسم او مصدر

ومن الالفاظ تهيام وهي ليست في المعجمات ولكنها واردة في قول كثير عزة :

واني وتهيامي بعزة بعدما تخليت مما بيننا وتخلتِ

لكالمرتجي ظل السحابة كلما تهيأ منها المقيل اضمحلتِ

ووردت لفظة تكرار بالفتح وقيل في المعجمات ان التكرار اسم لا مصدر

وقال أبو سعيد الضرير . قلت لابي عمرو ما الفرق بين تَفعال وتِفعال فقال تفعال بالكسر اسم وتفعال بالفتح مصدر ولم يقل أهو مصدر فعل الثلاثي او فعل المضاعف الرباعي مثل ترداد وتمراغ

ووردت لفظة تشواق لصديقنا الدكتور بشر فارس في بعض كتاباتهِ فسألته عنها كما سأل أبو سعيد أبا عمرو مع بعد الشبه فقال انها صحيحة ولو لم توجد في معجم ولم يزد فلم يرو لي غلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غريبة أخرى

وهذه الغريبة هي اسم المفعول من معتلّ العين مثل مديون ومكيول ويجوز في الاول المدين بالاعلال والمديون بحسب الاصل ومدان اي اسم مفعول من ادان الرباعي وهذه صحيحة مثل دان الثلاثي . وفي القرآن « أنّا لمدينون » ونكتب نحن مدين دون مديون مع ان هذه الاخيرة صحيحة ومثلها مكيل ومكيول من فعل كال . وفي رأيي ان ما صح لغة وتداولته العامة اولى بان يكتب في سبيل توحيد الفصيح والعامي الصحيح . وتحضرني الآن نكتة كان يرددها اديب مشهور كلما عنت النكتة ذلك بانهُ كان يجلس في حلقة من اصحابهِ في القهوة فاذا آن اوان الانصراف قال لهم « هلموا الى البَـوت الذي يسميهِ العامة البيت » ! ! . ومغزى ذلك ان العامي والفصيح يجب ان يكونا متخالفين . وان تشابهما خطأ لا يغتفر . سامحنا الله وغفر لنا

فيها قولان او أقوال

كل مسألة في النحو فلها وجهان وفيهـا قولان ولا يزال الباب مفتوحاً بذلك امام « المشاعيين » الذين يحسبون ان علم اللغة مشاع للجميع وبابهُ مفتوح في وجه كلّ من يريد الدخول بعدما كان الدخول ممنوعاً ايام كان لقواعد اللغة قول واحد لا قولان او اقوال وايام كان باب الاخصاء مفتوحاً على مصراعيه امام جهابذة اللغة . ولكن الدلائل تدلّ على ان هذا الاخصاء وهذا الاحتكار سوف يلغيان آجلاً او عاجلاً يوم يصير لقواعد اللغة ثلاثة اقوال او اربعة او يوم تصير اللغة « لا قاعدية » فحينئذٍ يدخلها الحاطب قبل الكاتب ويلغى النحو وتبدد شراذم اهلهِ كل بداد وتتفرق كتائبهم كل مفرق

كتاب الصديق ابي بكر

الاسم والكنية واللقب

هذا كتاب جليل اخرجه الدكتور محمد هيكل باشا فيما اخرج من الكتب النافعة جمع فيهِ تاريخ أبي بكر عبد الله عتيق بن ابي قحافة عثمان اول خليفة في الاسلام . وكان اول من آمن بالنبي من الرجال وصدق الرسول في كل ما أتى بهِ ولذلك سمي الصديق . ولقب بلقب عتيق لجماله كما قيل او لان النبي قال له انت عتيقٌ من النار

وقد قال النحاة في كتبهم عن الاسم والكنية واللقب ان حكم اللقب ان يؤخر عن اسم من لقب به لأنه كالنعت لهُ . وقدم في الشعر نادراً . غير ان الاشهر تقديم الكنية عليها جميعاً فيقال ابو حفص عمر الفاروق وعبدالله أبو بكر الصديق . فلذلك لا نعلم على ما اعتمد المؤلف الفاضل في تقديم لقب ابي بكر على اسمهِ وتسميته الصديق أبا بكر بدلاً من أبي بكر الصديق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حول «طرائف»

في الادب واللغة

[المقتطف : دفع الينا صاحب الطرائف هذا الكتاب من البحاثة صاحبه ورجا منا نشره على علاته لما حوى من النقب البريء لوجه الله واللغة . فأجبناه الى طلبه شاكرين للاستاذ جبران النحاس الاديب واللغوي والشاعر الكبير حدبه على اللغة العربية وأدبها]

عزيزي الفاضل الأستاذ نجيب شاهين حفظه الله

اليكم اذكى تحياتي : وبعد فقد أشرتم في المقتطف الأغر (ص ٣٢١) الى قول الطيب الذكر البستاني في حرف « قحش » من محيطه : « اقتحشهُ فتَّشهُ ويقال لأقتحِشَنَّهُ ولأنظرَنَّ أسخِيٌّ هو أم لا . وهذا أحد ما جاء على الافتعال متعدّياً وهو نادر » اه

هذا القول اخذه البستاني على علاّته عن القاموس . وصاحب القاموس نقلهُ . مبدَّلاً على هذه الصورة . عن الصغاني

أما عبارة الصغاني في « الحاشية » على هامش « التكملة » : فهي بهذا النص :

« الفرَّاء . الانقحاش التفتيش . جاء بهِ متعدّياً . وقال : يقال لأنقحِشَنَّهُ فلأنظُرَنَّ أسخِيٌّ هو أم غير سخِيّ » اه

ولا أثر في التكملة لما زادهُ القاموس ولا لما علّلهُ بهِ شارحه . ولا لافتَعَلَ بالتاء وللصغاني أيضاً في هذا الحرف من «كتاب انفَعَلَ » قوله : «الانقحاش التفتيش »اه وكُتِب على الهامش . بخط مختلف : « هذا مُتَعدٍّ وهو من النوادرُ لم يجيء الاّ في الشعر يدلُ على تعدّيهِ قولهُ التفتيش . كذا في الأصل » . اه

كل ذلك في كلام الصغاني بصيغة « انفَعَلَ » بالنون . ولهذا نبه عليه بقوله « جاء بهِ متعدياً » لأن انفعلَ لم يرد الاّ لازماً . وأما التعدي من صيغة افتعَلَ فأكثر من ان يحدى قالوا اقتطفَ الثمر واقتبسَ العلم وادَّخرَ المال واغتفرَ الذنبَ واقتضبَ الكلام وهلمَّ جرًّا الى ما لا نهاية له

وفي ما خلا التكملة وكتاب انفعلَ لم أجد ذكر الحرف « قحش » لا مجرداً ولا فريداً قد التمسته على غير طائل في كل ما وصلت اليهِ يدي من دواوين اللغة (١)

---

(١) من الامهات التي التمست فيها هذا الحرف بدون جدوى : جمهرة ابن دريد . والمحكم لابن سيدة . وتهذيب اللغة للازهري . ومختصر كتاب العين للزبيدي . وأفعال ابن القوطية . وأفعال ابن القطاع . واللسان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والأشبه انهُ وقع للفرَّاء مصحَّفاً ، ولو وقف له الصغاني على شاهد في الأصول التي استخرج منها التكملة وهي في ما قال تربي على الألف ، لأورد ذلك الشاهد في التكملة كما هي عادته ولا يسعني القول بغير دليل ان اللفظ مصحف عن انتقش مثلاً . أو منحوت من مثل نقح ونبش وليس لدينا شاهد يؤيده

وأما استعمال كبرى وصغرى نكرتين فما انكره صاحب درة الغواص وأجازه الخفاجي على سبيل الشذوذ

ثم ان في كلام علماء اللغة ما يدل على ورود افعل بمعنى فاعل أورد شيئاً منهُ لا للحض على مخالفة القياس بل للاعتذار عن خمرة إبي نواس في قوله « كأن كبرى وصغرى من فقاقعها » كما ذكر الاستاذ . ففي قول الشنفري مثلاً :

أقيموا بني أمي صدورَ مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميَلُ

قال الزمخشري : أميَل بمعنى مائل . وأفعل بمعنى فاعل كثير كما جاءَ أكبر بمعنى كبير وأوحد بمعنى واحد فليس المراد بأميل المفاضلة لأنها تؤدي الى اشتراكهم في الميل ولم يكن كذلك » اه

وفي قول المرقش الاكبر :

وان دعوتِ الى جُلّى ومكرمةٍ يوماً سراةَ كرامِ الناسِ فادعينا

قال التبريزي : جُلّى فُعلى اجراها مُجرَى الاسماء . ويراد بها جليلة كما يراد بأفعل فاعل وفعيل . نحو قوله تعالى وهو أهون عليه . أي هيّن . وكقولهِ :

تمنّى رجال أن أموتَ وان أمُتْ فتلك سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

أي واحد . » اه

وفي قول معن بن اوس :

لعمركَ ما أدري واني لأوجَلُ على أينا تعدو المنيةُ أوَّلَ

قال التبريزي أيضاً : قوله أوجل مما جاء فيه أفعل ولا فعلاء له كأنهم استغنوا عن وجلاء بوجلة . يقال وَجِلتُ أوجَلُ وآجلُ وَجَلاً فأنا وَجِلٌ وأوجَلُ . وقلبي من كذا أوجلُ وأوجرُ بمعنًى . » اه .

وقال المبرّد في الكامل (ص٤٢٣) :

« اما قوله جلَّ ثناؤه . وهو اهونُ عليه . ففيه قولان احدهما وهو المرضي عندنا انما هو . وهو عليهِ هين لان الله جلَّ وعزَّ لا يكون عليهِ شيء اهون من شيء آخر وقد قال معن بن أوس . لعمرك ما ادري واني لأوجل . اراد واني لوَجِل . وكذلك يتأول ما في الاذان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الله اكبر الله اكبر . اي الله كبير . لانهُ انما يفاضل بين الشيئين اذا كانا من جنس . يقال هذا اكبر من هذا اذا شاكلهُ في باب »

« وقوم يقولون الله اكبر من كل شيء وليس يقع هذا على محض الرؤية لانهُ تبارك وتعالى ليس كمثله شيء » اه

واما آخر وصيغها فلا احسبكم ترون منعها بغير ال والاضافة ولاسيما لكثرة ورودها في التنزيل العزيز . كقوله : ولا تزرُ وازرةٌ وزر اخرى . وقوله: فلا تدعُ مع اللهِ إلهاً آخر . وقوله : وسبعَ سنبُلات خُضر وأُخرَ يابسات . وقوله :

فان عُثِرَ على انهما استحقا اثماً فآخران يقومان مقامهما وفي الشعر كثير ايضاً قال فروة بن مُسَيك :

فان نَغلِب فغلابون قدماً وان نُهزَم فغير مهزَّمينا
وان نقتل فلا جبنٌ ولكن منايانا وطُعمة آخرينا

والنحاة يروونه وما إن طبنا جبن

هذا ما عن لي ايراده والسلام عليكم ورحمة الله . من المخلص جبران النحاس

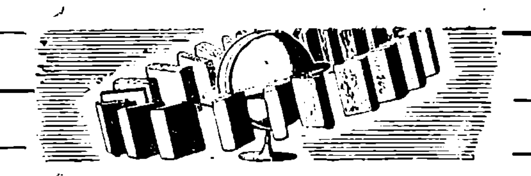
رسالة كلية اللغة العربية

(افتتحت كلية اللغة العربية في ٢٩ مارس من سنة ١٩٣٣ أي من عشر سنوات تماماً فنهنئها بعيدها ونتمنى لها اطراد النجاح في خدمة اللغة)

أمام تيارات العجمة وجيوش الرطانة التي تهاجم لغة الضاد من هنا ومن هناك ، محاولة القضاء عليها او النيل منها ، تقف كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية معقلاً للغة القرآن وأدب العرب ، فتحمي تراث الأسلاف ، وتذود عنه السهام الدخيلة ، وتصل بين القديم والجديد وتهضم ما تتلقى ، ثم تهذب وتزيد ، وتسهر على مؤاخاة اللغة للدين ، وتشارك في حمل لواء الفكر العربي الاسلامي ، وسط هذا الميدان العالمي الصخاب المفعم بالمذاهب والآراء حتى يعود الى الفصحى سلطانها وسيطرتها وماضيها المجيد ، فتصير لغة العلم والفن والمخاطبة والمراسلة والكتابة والتدريس ، ويرجع للآداب العربية جلالها وروحها الشرقي الصميم ... وهي تسير — أساتذة وطلاباً ومتخرجين — نحو هذه الغاية الجلى ، مسددة الخطى ، ميمونة الأعمال ، محمودة الآثار ! ...

« كلية اللغة » احمد الشرباصي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

كتاب في اليزيدية

Drower (E. S.) , Peacock Angel : Being Some Accounts of Votaries of A Secret Cult and Their Sanctuaries. (London, John Murray, 1941; IX + 214 p.)

اليزيدية فرقة دينية صغيرة ، يبلغ ابناؤها اليوم زهاء الثلاثين الف نسمة ، تقطن في بعض قرى الموصل وسنجار وحلب وديار بكر ووان وفي انحاء من القفقاس وغيرها

وقد لفتت غرابة معتقداتها أنظار الكتبة والسياح اليها منذ مائتي سنة ، فراحوا يدونون عنها الكتب والرسائل والنبذ وعندنا ان ما كتبوه في هذه الفئة لا يعدو على كثرته — أحد أمرين : الأول : البحث عن منشأ عقيدتهم والكشف عن ماضي تاريخهم . الثاني : وصف معتقداتهم كما تعرف في الوقت الحاضر ، ودرس احوالهم الاجتماعية الراهنة ومعرفة مواطنهم

والكتاب الذي نتكلم عليه هو من هذا الصنف الثاني . ومؤلفته كاتبة إنكليزية هي الليدي دراور E. S. Drower التي عرفت بمؤلفاتها الشرقية المختلفة ، كرحلتها في العراق By Tigris and Euphrates, 1923 وكتابها في المندائية اي الصابئة The Mandaeans of Iraq and Iran, 1937 وكتابها في الحكايات العامية العراقية Folk — Tales of Iraq, 1931 وها هي ذي تتحفنا اليوم بكتابها في اليزيدية . وقد رأت حين عزمت على تأليفه أن تكون قريبة من هؤلاء اليزيدية ، فشدت الرحال ، في ربيع سنة ١٩٤٠ الى بعض مواطنهم العراقية ، وقضت شهراً بين ظهرانيهم ، أمضت شطره الأول في قرية « باعشيقا » وشطره الآخر في « مرقد الشيخ عدي » وكلا الموقعين في شمالي لواء الموصل . واتصلت خلال ذلك بطبقات هؤلاء القوم ، وحادثتهم في شؤونهم الدينية والاجتماعية ، وزارت مراقدهم المقدسة هناك ، وحضرت بعض حفلاتهم

في هذا السفر وصف رائع لما وقفت عليه المؤلفة بنفسها أثناء إقامتها المذكورة بين اليزيدية . وقد عمدت أن لا تأتي بشيء منقول عمن سبقها من الباحثين ، فساقت الحديث كما أوحت به اليها رحلتها . فالكتاب يصور لنا الانطباعات الحسنة والتذكارات الجميلة التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سجَّلتها يراعة المؤلفة ، يوماً بعد يوم . وجديرة بالذكر ، تلك الصور المتعددة الأنيقة ، التي ازدان بها الكتاب ، وبعضها فريدٌ في بابهِ لا يُرى في أيّ كتاب آخر

صرّحت المؤلفة (ص ٧) بأنَّ الغرض من كتابها ليس البحث في عقائد اليزيدية ، بل الوقوف على طراز حياتهم اليومية كما شاهدتها بذاتها ، وأشارت في غير موضع (ص ٣٦ و ٩٤) إلى أنَ الباعث الوحيد لها على زيارة باعشيقا هو أن ترى رأيَ العيان ، حفلاتِ اليزيدية في عيدهم الربيعي ، وتتقصّى بوجهٍ خاصّ أحوال المرأة اليزيدية ، وتكتسب من العلم بأحوالهم ما قد ينساق اليها عفواً . ومن ثمة ، لن تجد في هذا الكتاب ما يفيد المؤرّخ بقدر ما يفيد العالم الاجتماعي

ولمّا كان جلّ اعتماد المؤلفة في ما سطّرته يستند الى ما نقلتهُ عن أفواه الناس ، لا عجب إذاً أن حصل فيهِ بعض شوائب لم تبخس من قدره . ومما يحسن اعادة النظر فيهِ قولها (ص ١١) إنَّ باعشيقا تقع في منتهى سفح جبل حمرين ، والاصحّ انها في سفح جبل باعشيقا المسمَّى باسمها ، وشتّان ما بين الجبلين

وكذلك قولها (ص ٣١) نقلاً عن اليزيدية : إنَّ خُضْرَ أَلياس هو إيليا النبيّ ، والحقيقة هي أنّ اليزيدية يقصدون بالخُضر « بهنام » صاحب « دير مار بهنام » في جنوب شرقي الموصل ، المعروف في بعض المراجع العربية القديمة باسم « دَيْر الجُبّ »

وكذلك وهمت الكاتبة (ص ٦٥) في تسميتها ابن العبري بـ « المالطيّ » of Malta والصواب « المَلَطِيّ » نسبة الى ملَطْية Malatiyah

وقد استغربنا قولها (ص ٦٦) ان كنيسة السيّدة في دير متّى ، مقامة باسم مريم زوجة مارشموني (كذا) التي استشهدت هي وزوجها وأولادها السبعة على يد الملك أنطيوخس ، ثم عدّها شموني قديساً (كذا) وان له كنيسة باسمه في قرية قره قوش قرب الموصل . فهل يكون قد التبس عليها الامر ، فجعلت من شموني المرأة الشهيدة رجلاً قديساً ؟ !

ومما توهمته قولها (ص ١٣٨) ان « الشيخان » و « عين سفني » اسمان لبلدة واحدة والصواب ان عين سفني بليدة ، أما الشيخان فمنطقة (قضاء) مركزها الاداري عين سفني

واعتبرت (ص ١٥٠) وفاة الشيخ عدي بن مسافر الهكاري نحو سنة ١١٦٣ م ، وفي هذا بعض التساهل ، فقد ذكر ابن خلكان (وفيات الاعيان ١ : ٤٤٨ بولاق) انه توفي سنة ٥٥٥ او ٥٥٧ هـ ، وهذا يقابل سنة ١١٦٠ أو ١١٦١ م . وفي الكتاب ، الى جانب اللفتات الأدبية الرائعة ، أمور اعتيادية لا طائل تحتها تناثرت في كثير من صحائفه . وقد يكون وجه العذر من ايرادها فيه ، انه اقرب الى حديث رحلة منه الى كتاب علمي محض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد خصت المؤلفة جانباً غير قليل من الكتاب ، بوصف عادات وشؤون قد يظن القارىء للوهلة الاولى انها خاصة باليزيدية دون سواهم . وهو اذا تدبرها ملياً ، وجد معظمها مألوفاً بين كثير من سكنة شمالي العراق ، سواء أكانوا يزيدية أم لم يكونوا

وفي الكتاب ألفاظ دخيلة متعددة ، وردت دون الاشارة الى اللغة التي تسربت منها وبين تلك الالفاظ ما هو كردي او تركي أو فارسي او إرمي . وفي التنبيه الى مواردها فائدة كبيرة في مثل هذا المقام . ومن تلك الألفاظ : سريصال ، استيكان ، كوچك ، سنسيلة ، كوپال ، دخرانا ، كاولي ، سنجق ، دولمه ، جابانا ، وغيرها ...

ومهما يكن من امر ، فالكتاب الذي بين أيدينا يلقي ضوءًا براقاً على أحوال هذه الفرقة التي اكتنفها الغموض والكتمان من كل جانب ، وتضاربت أقوال المؤلفين فيها . وهو الى جانب ذلك كله قطعة أدبية تستحق المؤلفة عليها الاطراء والثناء العاطر

بغداد كوركيس عوّاد

مذبح المريخ

لفؤاد صروف — ١٥٠ صفحة من القطع الصغير — نشرته مطبعة المعارف — في سلسلة « اقرأ »

يسود العالم في العصر الحاضر شيء غير قليل من الاضطراب والحيرة ، وقد رانت عليه الآراء الخاطئة ، مما زاد مشكلاته العسيرة تعقيداً وتداخلاً ، ومَن يعيننا في ظلام هذا الليل المدلهم والفوضى المضلة على ان نستبين صور الاشياء ونتعرّف معالم الطريق ، ينهض بواجب انساني جليل ويبذل مجهوداً جديراً بالتقدير . وفي اعتقادي ان الاستاذ فؤاد صرّوف قد استطاع في كتابه الجديد — الكثير الدسامة على صغر حجمه — ان يكون دليلاً بصيراً ومرشداً حكيماً ، وقد يسر له الاضطلاع بهذا العبء صفتان يقل اجتماعهما ، فهو من ناحية مثقف ثقافة علمية مكينة تيسر لهُ أن يرى الأشياء على حقيقتها غير مشوبة بالأوهام ، وهو من ناحية أخرى كاتب يحسن الاداء ويجيد العرض ويعرف كيف يحمل قارئه على الاصغاء اليه والاسترسال مع تفكيره . وانك لتقع في كتابه على آراء تعرف نظائرها في كتابات لاسكي وولز ومادرياجا ودليل برنز وغيرهم من كبار المفكرين المعاصرين الذين يتكوّن من مجموع آرائهم الوضع الحديث للفكرة الدمقراطية — وقد أبى له اخلاصهُ العلمي أن يغفل الاشارة الى ذلك في ذيل كتابه — ولكنه استطاع أن يطبع أفكارهم بطابعه وينفخ فيها من روحه ويقربها الى عقولنا ويحببها الى نفوسنا وأخص وظيفة الكاتب هو التعبير عن الفكرة وترويجها لا خلقها من العدم . وهذا هو الابتكار في معناه الصحيح . وأشد ما يجعل هذا الكتاب محققاً للغرض المقصود من هذه السلسلة الثقافية النفيسة نصاعة تقسيمه واستقامة تفكيره

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومقدرة مؤلفه على النفاذ الى حقائق الموقف الحاضر واستخلاص العبرة من حوادث الماضي القريب . وهذه القدرة من ألزم ما يلزم في هذه الايام ، وهو يوضح لنا الاهداف الحقيقية الكامنة وراء تواتر النزعات وملتطم التيارات فيعقد المقارنات التاريخية الموحية ويكشف حقيقة الآراء التي ترمي الى قمع الحريات واستغلال الامم وابتزاز ثرواتها والارتداد بالعالم الى الوراء ويبين الحاجة الماسة والضرورة الملحة التي تجعل بقاء الحضارة رهناً بتوطيد نظام يدعم سلطان القانون الدولي ويقرب مسافة الخلف بين الامم ويقيم العلاقات بينها على أساس التعاون والتساند لا التنافس ومحاولة الاكتفاء الذاتي.وهو يصارحنا بأن الامر ليس هيناً وان الطريق ليس قريباً ولا مفروشاً بالورد والرياحين وهو يبين في أسلوب واضح التناقض العجيب بين المجتمع الانساني الحديث الذي توثقت فيه الروابط بين الامم بفعل العلم والصناعة وتبادل الثقافة وبين فكرة القومية الضيقة والعقيدة العنصرية البغيضة، ويقف موقفاً وسطاً بين المتشائمين والمتفائلين فهو لا يتشاءم ولكنه لا يسرف في التفاؤل لان الخلاص من الازمات الحاضرة وقف في نظره على مدى قدرتنا على كبح جماح الاهواء العادية والغرائز الجارمة واخضاعها لسلطان العقل ويسترعي نظرنا الى ضرورة اقتران الفكر بالعمل لأن العالم في الموقف الحاضر أصبح لا يحتمل تمتع المتفرجين ولا تدلل أصحاب الابراج العاجية فمعسكرات الاعتقال خليقة بأن تعترض أحلامهم الجميلة وقاذفات القنابل جديرة بنسف أبراجهم العاجية وارغامهم على اللواذ بالمخابىء حيث لا ترفع ولا شموخ ، ويرى بعض المفكرين ان وثوب الفاشية والنازية على الحضارة هو أعراض مرض داخلي لا طباب لدائه ولا أمل في شفائه ولكن المتفائلين يقولون انها اضطرابات موقوتة لا تلبث أن تزول وتنجاب شدتها ومتى تم الانتصار على الفاشية والنازية تمهد الطريق الى الوحدة العالمية والتعاون الانساني وخمدت أصوات الطغاة الذين ساقوا العالم الى حافة الهلاك وأشرفوا بالحضارة على السقوط والدمار . ويقر المؤلف هذا الامل ولكن في تحفظ واحتياط فهو يقول في ختام كتابه « فاذا كانت محن السلام المسلح في الفترة التي سبقت نشوب هذه الحرب ، ومحن هذه الحرب في جميع مراحلها ، قد أقنعت الشعوب وقادتها بأن سلامة كل دولة جزء لا ينفصل عن سلامة كل دولة أخرى ، وبأن رخاء كل دولة جزء من رخاء الدول جميعاً ، وبأن لا خيار بين الوحدة والفوضى ، ولا حالة متوسطة بين الوحدة بالتعاون والوحدة بالتحكيم فقد يكون في هذا الادراك منجى للانسانية من الانسياق ثانية الى مذبح المريخ » وهو أمل نشارك الاستاذ فيه ونقره عليه، وخلاصة القول ان الاستاذ فؤاد قال في هذا الكتاب أشياء كثيرة كلها جديرة بالتروية وانعام النظر ، ومن حق كتابه علينا نحن القراء الشرقيين أن نتدبره ونعي ما تضمنه

علي أدهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روح التربية والتعليم (١)

يبدو لمن يقرأ عنوان هذا السفر النفيس قبل تصفحه انهُ كتب للمعلمين والمشتغلين بالتربية دون سواهم . بيد ان الواقع انهُ بحث مبسّط جمع بين دفتيه مبادىء اجتماعية وفلسفية ونفسية وتعليمية بغير تعرُّض لعبارات فنية تستعصى على القارىء ، او تقف ، عقبة في سبيل من لا عهد له بالاجتماع والفلسفة وعلم النفس والتربية . فهو في جملتهِ ليس أقلّ نفعاً للتاجر والصانع والموظف والطبيب والمهندس ، والآباء والامهات منهُ للمعلمين ومن يمت الى دور العلم بصلة . ولعلّ احسن ما في الكتاب من مبادىء علمي النفس والتربية ، انه يفتح اذهان الوالدين ويوجه انظارهم الى ما ينبغي العناية بهِ في المنزل والمدرسة فيما يتعلق بتربية ابنائهم وبناتهم . ومن الغريب ان الكثيرين من أصحاب السيارات يقبلون على دراسة اجزائها بشغف وحماسة ، حتى لا تكون سياراتهم تحت رحمة الصناع الذين يتولون اصلاحها وتشحيمها والعناية بها ، في حين ان « الهواة » من الآباء والامهات قلما يفكرون في دراسة المبادىء التي عليها يتوقف تنشئة اولادهم وفلذات اكبادهم . فكأنّ السيارة في نظر هؤلاء اكثر تعقداً واشدّ حاجة الى العناية والدرس منها بالصبيّ او البنت ، وكأنهم يجهلون ان الطفل على الاقل كالسيارة قد يودع في أيدٍ لا تحسن تربيته

والكتاب وان كان أكثر نفعاً لحديثي العهد بالتعليم ومعلمي المدارس الاولية والابتدائية فانني أعتقد ان المعلمين في جميع مراحل الدراسة حتى العاليــة منها في حاجة الى الكثير من الدرس والمراجعة ولا نقول الايقاظ . فالكثير منهم تصــدأ معلوماته على ممر السنوات ، فينسى أبسط قواعد التربية وعلم النفس التي تلقاها في مدارس المعلمين فضلاً عن اهماله ما جدّ منها بعد ذلك

وان كان في الكتاب عيوب جديرة بالذكر فاننا نشير أولاً الى مقالات لبعض الكتاب أثبتها برمتها وكان يمكن الاستغناء عنها . وثانياً الى موضوعات عامة لا جديد فيها ولا يحتاج فيها المعلم أو غيره من القراء الى تذكير . على ان هــذا لا يعد شيئاً بجانب ما بذل من مجهود من تأليف وتبويب واثبات فهارس أبجدية وآخر للموضوعات في أكثر من ٤٠٠ صفحة في زمن بلغت فيه أثمان الورق والطباعة ما لا تصدقه العقول . فنهنىء المؤلف ونرجو الكتابه ما يستحقه من الرواج والانتشار

---

(١) تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي . وقد نشرنا في مقتطف مارس الماضي مقدمة هذا الكتاب وهذا رأي مرب خبير فيه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اوراق

للسيد منير العجلاني — طبع بمطبعة القبس — بدمشق في ٢٥٢ صفحة من القطع المتوسط

رأيت هذا الكتاب على مكتب رئيس تحرير المقتطف يبدو في ورق صقيل وغلاف أنيق، فأخذته ونثرت بعض اوراقه على عجل ، فرأيت شيئاً يجذبني الى قراءتها وأحسست معنى في نفسي يدفعني الى المضي في تقليبها . ولاحظت في أسلوب الكتاب نوعاً من القوة، ولمست فيهِ مَسرّى من الحرارة ، كأن كل كلمة منهُ هي نبضة حس وخفقة قلب وفورة دم . . .

وأحسست في تعبير الكتاب نوعاً من الموسيقى التي ترق كأنها همس النسيم وتشتد كأنها عصف الريح . وتذوقت في تراكيبهِ بناءً عربيًّا صحيحاً لم تفسده عجمة مستعجم . ولا لكنة عربي مستغرب . ورأيت فيهِ — على عجل ايضاً — نظرات حادة في النقد الأدبي تنم عن البصيرة الذيِّقة والطبع الاصيل

وكلفني محرر المقتطف الكتابة عن هذا الكتاب . وقيدني بالأسطر ورسم لي حدود المقدار ، وهو الذي لم يعودنا جميعاً شحًّا في الكتابة ولا بخلاً في العرض ولا تضييقاً في الحدود .. ولكنها الحرب — وأثرها في موارد الورق — ضيقت على كل شيء حتى ثمرات العقل ونتاج الفكر

هذه « الاوراق » ليست من شجرة واحدة ، ولكن فيها مزية الورق الحي الدائم الخضرة ، وهي جميعاً على اختلافها يؤلف بينها شيء واحد هو الشعور القوي والاحساس المتيقظ والحرارة المتأججة ، وعجيب أن يسميها المؤلف أوراقاً وفيها لفحات من اللهيب ...!

في الكتاب دراسات نقدية تظهر فيها ثقافة المؤلف الواسعة ، فهو جلس قراءَة في اللغتين العربية والفرنسية ، ، وهو يحتجز من طرائف ما يقرأ صوراً فاتنة يطرز بها كتابته العربية وهذه الدراسات هي ادخل ما في الكتاب في باب الادب المحض ، ولو أنصف المؤلف لافرد لها كتاباً مستقلاً بدلاً من ان تطغى عليها من أبواب الكتاب خطب السياسة ومقالات الاجتماع وكلمات الاصلاح ولكن للمؤلف عذره .. فقد ألحَّ عليهِ أصدقاؤه — وهو وزير — ان يكتب ويبقى على صلتهِ بالادب فما استجاب لهم ولا كتب . فراحوا يجمعون قديم كتاباته ويؤلفون منها كتاب الاوراق

وعيب الذين جمعوا هذه الأوراق المتناثرة لوزير الشئون الاجتماعية السورية أنهم أرادوا ان يعرضوا منهُ أديباً وخطيباً واجتماعيًّا وقصصيًّا وناقداً ومحامياً وصحفيًّا في كتاب واحد ... ولو اكتفوا بعرض السيد منير العجلاني في ناحية واحدة من هذه الناحية المتعددة لكان في ذلك خير كثير . وقد عجلوا في اخراج الكتاب فلم يسلم من كثير من هفوات الطبع

تشيع في الكتاب روح من وميض متألق ينم على ذكاء صاحبهِ ، كما تسري في خلال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحديث دعابات تفيد الطبع المكدود بالجد ، الا قصة «الينبوع» فهي سلسلة من البؤس والفقر والخيانة والغدر والعبث والسكر ، والقتل والانتحار والجنون ... وهل بعد ذلك من مزيد ؟

لقد جذبت الوزارة اليها السيد منير العجلاني فصرفته عن الأدب كما يعترف معاليه في مقدمة اوراقه ، ولكننا حين نرجو له التوفيق في ميدان السياسة، نرجو منهُ ان يمدَّ دوحة الأدب بما به تبسق أغصانها

محمد عبد الغني حسن

لا هوادة

١٢٦ صفحة من القطع الوسط — من منشورات الاديب — طبع بمطابع دار الاحد ببيروت

عرفت الاستاذ عمر فاخوري — مؤلف هذا الكتاب — من خلال كتابه الأول « الباب المرصود » ناقداً بعيد النظر يتحرى الجمال والفن فيما يجعله ميداناً لقلمه وبيانه ، يتطلع من وراء برجه ، وقد أغلق بابه على نفسه ، الى سبل الجمال مستعرضاً شتى صوره وألوانهِ ، وهو في استعراضهِ ونقده انما ينشد الكمال ويتسامى في نشدانه . وان أديباً ناقداً من هذا النوع لأدق إحساساً بمفاتن الجمال ، وأشد حرصاً على هذه المفاتن أن يطمسها بهتان او يلاشيها طغيان ، وأكثر افتتاناً بالسلام الذي تزدهر فيهِ معالم الجمال

لهذا لم يكن عجيباً من الاستاذ فاخوري ان يجعل من قلمه الهادىء الوديع سيفاً مرهف الحد يصاول به قوة البطش الغشوم ، وموجة الطغيان الاثيم التي ألقت بالعالم في جحيم الحروب ودفعت به الى هوة الدمار والخراب ، ولم يكنْ أول أديب دفعتهُ فكرة المحبة والسلام التي تنطوي جوانح الدمقراطية عليها الى تجريد قلمهِ للدفاع عن هذه الفكرة . فكل أديب مرهف الحس فياض الشعور لا تستهويهِ القوة الفاجرة بمثل ما تستهويهِ الوداعة الطاهرة

ولقد كان كتابهِ الجديد «لا هوادة» قرباناً للفكرة التي استهوتهُ فدافع عنها وهو يرد على المستغربين اندفاعهُ في تيار السياسة قائلاً : « ما العمل اذا كان لنا رأي في كيف يجب ان تساس الافراد والجماعات ، وكان لنا نظر في المبادىء التي ينبغي ان توطد، وفقاً لها ، علاقات بعضهم ببعض ، فنحن لا نجد بدًّا من تحبيذ ذلك الأسلوب في الحكم ومن الانتصار لتلك المبادىء في السياسة ؟ ما العمل اذ كان ثمة مثل أعلى لحياة الافراد والجماعات ينعمون كلما قطعوا شوطاً نحو تحقيقهِ بأكثر ما يمكن من الخير والصلاح والطمأنينة ، وقد استهوانا هذا المثل الأعلى وشغف قلوبنا فنحن راضون ان نترسم خطى القافلة المباركة المهدية الهادية التي تقود البشرية الى ذلك الهدف الأسمى منذ فجر التاريخ ، قافلة الرسل والحكماء المصلحين ؟ »

ان كتاب فاخوري هو صرخة الأدب في وجه الطغيان، وانهُ لهتاف القافلة السائرة في طريق السلام والنور ينبعث للتنبيهِ حتى تنطلق بعد ذلك أغاريد الطمأنينة وأهازيج المحبة والخير

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



اساس الذكاء

هل هو وزن الدماغ او حجمهُ او مساحة سطحهِ او عدد خلاياه ؟

في وسعك ان تقول ان الدماغ أساس الذكاء ، وان تقف عند هذا الحدّ. ولكن الباحث المستطلع يعجب لماذا نرى في الناس الذكي والبليد ، وما يميز الابله عن الحكيم ، وفي جمجمة كلّ منهما دماغ . هل دماغ الواحد اكبر حجماً من دماغ الآخر ، او أثقل وزناً ، فهو لذلك أذكى وأحصف ؟ والواقع أن ادمغة الناس تتباين كثيراً حجماً ووزناً . ولكن هناك حدود لا يتعداها الدماغ كبراً او صغراً ، الاّ ويخرج صاحبهُ عن المستوى السويّ الى المستوى الشاذ . ومع ذلك فهناك تباين غير يسير في القوى العقلية السوية التي تقع بين الحدين الشاذّين

كان الظن اولاً ان الأدمغة الكبيرة في الجماجم الكبيرة. فتولّت طائفة من العلماء بحث هذا الرأي بحثاً علميًّا دقيقاً لعلها تتمكن من تحديد الصلة بين حجم الرأس وحجم الدماغ . او بين حجم الرأس والذكاء . فلم يسفر بحثها عن قيام علاقة فسيولوجية ما بينهما . فضربت بالمذهب القائل بارتباط الذكاء ارتباطاً مطرداً بحجم الرأس ، عرض الحائط . ولعلها تعجلت الحكم حكماً مطلقاً في هذا الموضوع . لانهُ اذا لم تظهر علاقة ما بين الذكاء وحجم الدماغ في العقول السوية normal فهناك صلة بينهما في العقول الشاذة لانهُ من المعترف بهِ ان الأدمغة التي تفوق الحدّ السوي الأعلى او تهبط عن الحدّ السوي الأدنى ، هي ادمغة تصاب بخلل . فليس في الوسع الحكم على الذكاء بالنظر الى حجم الرأس أو وزن الدماغ ، ولكن العالم بالأعصاب (النورولوجي) يستطيع ان يحكم بشذوذ في العقل ، اذا رأى رأساً يخرج حجمهُ على الحدود السوية كبراً وصغراً

فحجم الرأس — وهو عادة دليل على حجم الدماغ — لا يمكن ان يؤخذ مقياساً للذكاء والاعتماد عليهِ في الحالات الشاذة انما يكون في تشخيص خللٍ او ضعف خارج عن المألوف. ومع ذلك هناك فريق من العلماء مقتنع بأن حجم الدماغ دليل على مرتبة الذكاء ويؤيد قوله بأن حجوم أدمغة الزعماء ما فتئت تفوق المعدل بين العامة . ولكن ثبت في بعض الأحوال ان أدمغة طائفة من أعاظم الرجال كانت دون المعدل وهذا يضعف دعوى هذا الفريق من العلماء

لذلك عنيت طائفة أخرى ببحث التضاعيف التي في سطح الدماغ ، وصلتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالذكاء . فأحصى رجالها هذه التضاعيف وقاسوا عمقها ، يحدوهم أمل العثور على علاقة بين الذكاء وبين الجغرافية المخية. ومما لا ريب فيه انهذه التضاعيف لا توجد في الحيوانات اللبونة الدنيا . ثم تزداد رويداً رويداً حتى تبلغ ذروتها في دماغ الانسان . ومما لاريب فيه كذلك ان هذه التضاعيف تزيد مساحة سطح « النيوپاليوم » . والمادة السنجابية التي تتألف منها طبقة الدماغ الخارجية (القشرة المخية) مؤلفة من أجسام خلايا الدماغ التي يقال ان الذكاء مرتبط بها . فكثرة التضاعيف وعمقها يزيدان مساحة سطح القشرة المخية وبزيادتها تعلو مرتبة الذكاء

وقد دُرِست هذه التضاعيف من حيث الشكل والعدد والعمق درس مقابلة ، لعل ذلك يفضي الى تحديد علاقتها بالذكاء . ومن اكبر العقبات التي صادفها العلماء في هذا البحث ، ما وجدوه في أدمغة البله . فسطح الدماغ في متوقدي الذكاء اوسع مساحة منهُ في ضعاف الذكاء عادة . ولكنهم وجدوا في بعض الحوادث سطحَ الدماغ في ضعاف الذكاء اوسع مساحة منهُ في الأذكياء

واذا كانت هذه المباحث تشير الى شيء ما فهو ان حجم الدماغ ومساحة سطحه لا يصلحان مرشداً اميناً الى تقدير الذكاء. والادمغة التي تصنَّف على هذا الاساس يتعذر وضعها في طبقات محددة توسم كل طبقة منها بدرجة معينة من الذكاء

فلا بد من البحث عن أساس طبيعي آخر للذكاء غير حجم الدماغ او مساحة سطحه متذكرين دائماً ان الحجم والوزن والمساحة أعوان لا يستطيع العالِم ان يتجاهلها في البحث الشامل

وللدكتور كليفلند سمكنز أحد اساتذة كلية الطب في جامعة تنيسي الاميركية رأيٌ في هذا الموضوع خلاصتهُ ان كثافة طبقة المادة السنجابية في الدماغ ، هي أصدق مقياس للذكاء ولهُ على ذلك ادلة قائمة

الفيتامين في الخميرة

اذا كنت ممن أشار عليهم الطبيب بتناول الخميرة الطازجة لكي تصيب فيها الفيتامين فأغلها تُصِب فيها قدراً اوفر مما تصيبه في غير المغلاة لأن الجسم يستخرج من الخميرة المغلاة، قدراً من الثيامين (فيتامين B_1) يفوق ثلاثة أضعاف ما يستخرجه من الخميرة الطازجة

وهذا الحكم هو نتيجة مباحث وتجارب تولتها الدكتورة هلن بارسونز في جامعة وسكنصن الأميركية وتلت تفاصيلها في اجتماع الجمعية الاميركية للغذاء . ولكنها حذرت النساء من إغلاء الخميرة قبل استعمالها في صنع العجين لأن الخميرة المغلاة لا تخمر العجين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عنصر الكوبلت وصحة الضأن

تجارب عجيبة في انكلترا واسكتلندا

من الموضوعات التي يعنى بها العلماء المعنيون بتحسين أساليب الزراعة والصناعات الزراعية وتعزيز موارد الحقول موضوع العناصر التي لا بدَّ من قليل منها في التربة لكي يستقيم نموُّ النبات أو الحيوان الذي يغتذي بهِ. ومعظم هذه العناصر من الفلزات. ومنها عنصر الكوبلت

وقد نقلت نشرة الأخبار العلمية الشهرية M. S. N. ان الاستراليين والنيوزيلنديين كانوا أسبق الناس الى تبيُّن منزلة الكوبلت في غذاء قطعان الغنم. وفي العهد الاخير عنيت محطات المباحث الزراعية في اسكتلندا ونورذمبرلاند ببحث هذا الموضوع، لمعالجة ما يصاب بهِ الضأن فيهما من ضعف. فأثبت معهد ماكولي للبحث في التربة، بمدينة أبردين ان اثني عشر جزءًا من الكوبلت في مائة مليون جزء من التربة، لازمة لكي ينمو الضأن بعد فطامهِ نموًّا سويًّا أي لكي يجني من مرعاهُ أقصى فائدة مستطاعة. ومقدار من هذا القبيل قلّما يستطاع تبيّنهُ إلاَّ بالاجهزة العلمية الدقيقة كالمطياف

وقد عني باحثان بتطبيق هذه الحقيقة تطبيقاً عمليًّا فنثرا مقداراً من الكوبلت في حقل ما، يعوزهُ هذا العنصر. وكانت الحملان التي تعتمد على المرعى في هذا الحقل لا تنمو قبل سنتين أو ثلاث سنوات نموًّا سويًّا، فيعرض عنها الناس عند ما تعرض للبيع أو تباع بسعر منخفض جدًّا. فلما نثر في حقل ما مقداراً من الكوبلت ثمنهُ أربعون قرشاً، تسرَّب من التربة الى النبات، فلما أكلت الحملان هذا النبات استقام نموُّها السوي وعندما عرضت للبيع بيع الحمل منها بنحو مائتين وخمسين قرشاً. وهو يزيد جنيهاً أو أكثر، على ثمنها قبل نثر الكوبلت في الحقل. وبلغت حماسة الفلاحين لهذا العلاج العلمي الجديد لمورد عظيم الشأن من موارد رزقهم مبلغاً عظيماً. إذ قلما تثبت فائدة كشفٍ علميٍّ، على هذا الوجه من السرعة والحسم

ولكي يقيم الباحثون الدليل على ان مردَّ هذا الفرق الى الكوبلت قسموا حقلاً ما قسمين، فنثروا الكوبلت في أحدهما. وحبسوه عن الآخر. فنمت الحملان التي رعت عشب الأول نموًّا سويًّا ولم تنمُ الحملان التي رعت عشب الثاني نموًّا سويًّا

وأغرب من هذا ان الحملان التي تعوَّدت عشب الأول أبت أن تأكل عشب الثاني

والكوبلت عنصر واحد. وهناك المولبدينوم. ولكنَّ زيادة المولبدينوم على قدرٍ معيَّنٍ في التربة، هي التي تحدث الضعف ففي مقاطعة سمرستشير بقعة من الأرض تصاب فيها القطعان بالاسهال فالهزال فثبت ان سبب ذلك وفرة المولبدينوم في التربة. وتعالج هذه الحالة بابطال فعل المولبدينوم عن طريق زيادة مقدار النحاس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسلام في الوقت الحاضر

الدكتور طه حسين يصف النهضة الثقافية في مصر

نشر في لندن اخيراً كتاب يسمى « الاسلام في الوقت الحاضر » وقد ساهم الدكتور طه حسين بك المستشار الفني لوزارة المعارف المصرية في كتابة فصل من فصول هذا الكتاب وكان موضوع فصله « مصر الحديثة »

كتب الدكتور طه يقول: «لم يحدث قبل اليوم في غضون الاجيال الطويلة من تاريخ مصر ان بذلت الجهود سعياً وراء المعرفة كما تبذل الآن ولم تكن الحوادث الخطيرة التي تهز العالم اليوم لتحوّل مصر عن تنفيذ برنامجها الثقافي وتحقيقه »

ثم علق الدكتور طه على تدفق الطلبة والمدرسين من البلدان الاخرى على مصر وعلى تدفّق الطلبة المصريين على الجامعات الأوربية والأميركية الكبيرة

وأشار الى ان مصر استطاعت بذلك ان تتبع الطريق الذي سلكته الامم الاوربية الكبيرة التي تقوم حياتها الثقافية على تبادل المعرفة بين الدول والتعاون الوثيق في هذا السبيل

وقال ان الصحافة السياسية والادبية تنهض بنصيب خطير في الحياة المصرية وان الكتب الجديدة التي تنشر بمقادير آخذة في الزيادة زيادة مطردة

قال: « وان من المهم حقّـاً ان ندرك مزايا هذه الثقافة الجديدة التي مزجتها مصر في ثقافتها ونشرتها بدورها في آفاق أخرى

« والتأثير الظاهر البالغ الشأن فيها هو امتزاجها بالثقافات الاخرى على انها تعتمد في أساسها على الثقافة العربية الاسلامية التي هي نتاج من الثقافات اليونانية والفارسية والهندية في نواحي العقل والذوق والشعور

« وقد اضافت مصر على هذا الاساس ما استخلصتهُ من الثقافات الاوربية المختلفة ومن كل هذا نشأت الثقافة المصرية الحديثة والقديمة مع ما تمتاز بهِ من طابع خاص

« وتسعى مصر الى نشر هذه الثقافة في الشرق عن طريق الكتب والمدرسين ويبدو جليّـاً ان هذا عامل قوي في تقريب الشعوب العربية بعضها الى بعض»

المواصلات الجوية وانتشار الامراض

افضى اتساع نطاق المواصلات الجوية الى نشوء مشكلة صحية من الطبقة الاولى في بلدان كثيرة . فالسلطات الصحية في البرازيل نبهت الدوائر المختصة في الولايات المتحدة الاميركيـة الى ما وصل البرازيل من البعوض الناقل للحمى الصفراء وذباب تسه تسه الناقل لمرض النوم الافريقي عن طريق الطائرات الداخلة البرازيل من غربي افريقية

وهذا مثلٌ واحدٌ !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاستاذ البشري
تأبينهُ في المجمع اللغوي

عقد مجمع فؤاد الاول للغة العربية صباح ٢٩ مارس ١٩٤٣ اجتماعه الاسبوعي المعتاد. وعند افتتاح الجلسة ألقى معالي رئيس المجمع محمد توفيق رفعت باشا كلمة في تأبين المرحوم الاستاذ عبدالعزيز البشري ، المراقب الاداري للمجمع ، قال :

« ودعنا يوم الخميس الماضي (٢٥ مارس ١٩٤٣) فضيلة الاستاذ المرحوم الشيخ عبد العزيز البشري ، مراقب المجمع الاداري بعد أن ظلَّ قائماً بعملهِ الى اليوم الذي وافاه فيهِ الأجل المحتوم ، فكانت فجيعتنا فيهِ بالغة الاثر في نفوسنا . واننا لنذكر لهُ رحمات الله عليه صادق اخلاصه في القيام على تدبير أعمال المجمع طوال السنين التي قضاها مراقباً ادارياً له . فلقد كان لا يفتأ يوالي عمله بما آتاه الله من كفاية ومقدرة ، وبما كسب من خبرة وتجربة ، يبعثه على ذلك ايمان وثيق بالأغراض التي أنشىء من أجلها المجمع ، ورغبة مشبوبة في تيسير وسائله . بل لقد كانت عقيدته العربية الصريحة ، وغيرته على انهاض الفصحى تحدوانه على أن ينافح عن المجمع بقلمه ولسانه كلما لاحت فرصة ، ونجمت ناجمة . ولا غرو أن يكون كذلك فقيدنا الاستاذ البشري فقد عرفهُ العصر الحديث أديباً في الذروة بين الادباء البلغاء ، وكاتباً مشرق الديباجة ، رصين الاسلوب ، يعتبر حجة من حجج العربية على استطاعتها أن تواتي الاديب المتمكن ، في التعبير عن خوالج النفس وسوانح الفكر . والحق ان المصاب فيه عظيم وأن خسارتنا بفقدانه قلَّ أن تعوَّض . على ان عزاءنا فيه بما ترك من ذخر أدبي مكتوب لهُ البقاء ما بقيت ذخائر العربية في عصورها المتطاولة ، وبما نحفظ له في قلوبنا من ذكريات طيبة هيهات أن يسدل عليها ستار النسيان . واننا لنسأل الله أن يكرم في دار الغفران مثواه ، وأن ينزله منازل الذين أحسنوا عملاً »

ثم أوقفت الجلسة خمس دقائق حداداً على الفقيد . ولما أعيدت الجلسة تقرر ارسال كتاب تعزية الى الاسرة

الطعام والحرب في بريطانيا

يؤخذ من تقرير وضعهُ العالم المشهور السر جون اور Orr مدير المعهد الامبراطوري للغذاء ان الشعب البريطاني دخل السنة الرابعة من الحرب بغير أن تبدو فيهِ أمارات سوء التغذية . وصحة الاطفال في الواقع أحسن مما كانت قبل نشوب الحرب . فالأغنياء يأكلون ثلاثين في المائة أقل مما كانوا يأكلون قبل الحرب والفقراء يأكلون طعاماً أغنى بالڤيتامين والمعادن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من الطعام الذي كانوا يأكلونه قبل الحرب. وقد تمَّ التحوُّل في طعام بريطانيا بغير تذمر ما

فالشعب البريطاني كسب الحرب في « ميدان الطعام » بفضل زيادة انتاج الطعام واللبن في انكلترا من ناحيةٍ وبفضل ما تلقتهُ بريطانيا من الولايات المتحدة وكندا من ناحية أخرى. فمساحة الأرض المزروعة في بريطانيا الآن تزيد ٥٠ في المائة على الارض التي كانت مزروعة قبل الحرب وهذه الزيادة تبلغ ستة ملايين فدان (ايكر)

الاتبْرين والملاريا

يقول الكاتب الطبي الأميركي پول ده كروف ان في المناطق الاستوائية والتي تليها الوف الملايين من البعوض ناقل الملاريا وهي تشرع أسنتها وتطعن بها سكان تلك المناطق فلا يقل عدد المصابين بالملاريا عن ثمانمائة مليون وعدد الذين يقضون بها كل سنة عن ثلاثة ملايين ونصف مليون

وهذا حمل الجنرال پران Parran الطبيب الأول في الجيش الاميركي ، في شهر اغسطس من سنة ١٩٤٠ على القول ان الاعمال الحربية الكبيرة متعذرة في المناطق الاستوائية بغير الكينا أو عوضه الكيميائي الذي صنعهُ الألمان وهو « الأتبرين ». فلما استولت اليابان على جزائر الهند الشرقية الهولندية ، قطع أكبر مصدر للكينا عن الدول المتحدة. ولكنَّ بُعدَ نظر العلماء وارباب الصناعة الكيميائية الاميركية ، أبطل تأثير هذا القطع لأنهم كانوا قد فازوا بصنع الاتبرين في الولايات المتحدة

ويقول ده كروف ان الاتبرين أفعل من الكينا في شفاءِ المصابين بالملاريا (ولكن لفعلهِ حدود يعرفها أرباب الطب) . فطنٌّ من الاتبرين يكفي لشفاءِ ٦٠٠ الف مصاب بينما طن من الكينا لا يشفي إلاّ ٣٠ الفاً

وقد تبيَّن الجنرال الدكتور پران ضرورة الاتبرين سنة كاملة قبل حدث پيرل هاربر فأشار على شركة ونثروب الكيميائية بزيادة ما تصنعهُ من حبوبه فزادته بالاشتراك مع شركة ميرك من خمسة ملايين حبة في السنة الى ٥٠٠ مليون حبَّة . وبتطبيق أساليب الانتاج الواسع النطاق في اميركا هبط سعر الف حبةٍ من ستة وستين ريالاً اميركيًّا (وهو السعر الذي حدّدتهُ قبل الحرب الشركة الألمانية المحتكرة) الى اربعة ريالات اميركية ونصف ريال

ومما رواه الدكتور ده كروف ان منطقة جلنْ بولاية جورجيا الاميركية كانت الملاريا منتشرة فيها سنة ١٩٣٤ وان سبعين في المائة من سكانها كانوا مصابين فبدأ الدكتور ونشستر بمعالجة المصابين بالاتبرين فهبط انتشارها الى مستوى لا يكاد يذكر ولم تحدث فيها وفاة ما بالملاريا خلال الست سنوات الاخيرة . وعنده انهُ ما صح في منطقة « جلن » في جورجيا يجب ان يكون متاحاً بعد الحرب لمئات الملايين المصابين بالملاريا في اقطار العالم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من نوادر انقاذ السفن الغارقة

كان في الاسطول الانكليزي في القرن الثامن عشر سفينة تدعى « لوتين » وكانت راسية في ميناء يارموث ببلاد الانكليز في اوائل اكتوبر سنة ١٧٩٩ ، وكانت الحرب ناشبة بين انكلترا وهولندا ولانكلترا جنود معسكرة على السواحل الهولندية . فصدر الامر الى هذه السفينة بأن تنقل الى المعسكر الانكليزي ١٤٠ الف جنيه . وعلم بعض التجار بذلك فاستأذنوا الحكومة في ارسال مقادير من الذهب والفضة لعملاء لهم في همبرج . فأذنت لهم ، فأقلعت السفينة وفيها عدا مال الحكومة ١٠٠٠ سبيكة ذهب و٥٠٠ سبيكة فضة . وأُمِّن عليها عند شركة لويد البحرية بمبلغ ٩٠٠ الف جنيه

هبّت على السفينة وهي في طريقها عاصفة عاتية اغرقتها ومن فيها ولم ينج من رجالها الاّ رجلٌ ما كاد ينتهي من قص قصتها حتى سقط اعياءً ومات

فكان غرقها صدمة لشركة لويد ، ولكنها وفت بعهدها المالي ودفعت المبلغ الذي أُمنت عليه السفينة وما تقلّهُ فلما وضعت الحرب اوزارها، صرحت حكومة هولندا بانها محتفظة بحقها في انتشال السفينة لانها غرقت في المياه التابعة لها . واعلنت الصيادين بانها تمنحهم ثلث ماينتشلونهُ من اموالها. فنشل هؤلاء ما قيمتهُ ٥٦ الف جنيه أصابوا منها نحو ١٨ الف جنيه . وتوالت العواصف حتى تعذَّر على الصيادين الوصول الى السفينة فامتنعوا من البحث . فبقيت هدفاً للعواصف والانواء خلال حروب نبوليون . وبعد واترلو ، استأذن هولنديٌّ حكومتهُ في انتشال ما في هذه السفينة من كنوز على ان يأخذ نصف ما ينقذهُ ويعطيها النصف الآخر . فأذنت له . فاشتغل ثماني سنوات لم تكتحل عيناه خلالها بمرأى الاصفر الرنان . واخيراً تنحّى عن العمل

ولكن شركة لويد للتأمين لم تنمْ عما خسرتهُ فوسّطت حكومة انكلترا ، فجرت مباحثات بين الحكومتين دامت سنين ، وفي منتصف القرن الماضي ، اي بعد غرق السفينة بنحو ٥٠ سنة سمح لشركة لويد ان تبحث عن السفينة وتحاول انتشال المال منها. فقضى رجالها خمس سنوات لم يصيبوا اكثر من ٤٠ الف جنيه

وظلت بعثات الغواصين تتوالى على تلك السفينة الى سنة ١٩١١ ،لان السفينة الغارقة كانت قد تغطت بطبقات من الرمل والثفل ، وجاءَت بعثة ١٩١١ ومعها مضخات (طلمبات) قوية لرفع الرمل ولما اوفت على الظفر بما تريد ثار البحر ، وتحركت تياراته فتغطت السفينة من جديد بطبقة من الرمال عمقها خمس اقدام. ولا تمضي سنة الآن، الاّ وتتلقّى شركة لويد اقتراحاً يطلب صاحبه اذن الشركة في محاولة انتشال هذا الكنز الغريق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جراح الجنود في هذه الحرب

ان استعمال الأدوات الميكانيكية في هذه الحرب قد عدّل المهمة الواقعة على جرّاحي الجيوش تعديلاً يذكر . فقدكتب بوردنكو كبير جرّاحي الجيش الروسي ان الجراح الناشئة من الاصابة برصاص البندقيات قليلة في معارك الميدان الروسي واكثرها يرجع الى قنابل الطائرات او قنابل مدافع الميدان او قنابل اليد . ففي الحرب العالمية الاولى كان نصف الجراح التي اصيب بها الجنود يرجع الى شظايا القنابل . اما في هذه الحرب فان ٩٥ ٪ من الجراح مرجعها الى شظايا القنابل على انواعها . واكثر الجراح يصيب الفخذين والذراعين ثم الرأس والمخ . وكان معدّل الوفيات الناشئة عن اصابات الرأس والمخ في روسيا في الحرب الماضية ٣٥ ٪ ولكنه لا يزيد في هذه الحرب على ٥ ٪ وقد نقصت الوفيات الناشئة عن الجراح التي تصيب البطن ٣٥ ٪ والتي تصيب الرأس والفكين والصدر ٥٠ ٪

وقد كشف الطب الحديث ان أكبر خطرٍ يتعرّض له جرحى الحروب يرجع الى الصدمة والالتهاب وتأخير العلاج أكثر مما يرجع الى الشظايا . فعولجت بتنظيم الخدمات الطبية واستعمال التصفيق (أي نقل الدم الى المصابين) على وجهه الحديث وكذلك استعمال عقاقير السلفانيلاميد وما اشبه

هل تعلم

* انك اذا اخذت كرة صغيرة من الفلز بعد إحكام صقلها وكبّرتها حتى تصبح في حجم كرة الارض كان سطحها أكثر تجعداً من سطح الارض ؟

* ان حلاوة بلورات « السكارين » تفوق حلاوة السكر المألوف مائتين وثمانين ضعفاً ؟

* ان البقدونس يحتوي مقادير كبيرة جدًّا بالقياس الى وزنه من فيتامين A و C والحديد ؟

* ان الالمان اغاروا على لندن في الحرب العالمية الأولى ١٠٣ مرّات ولكن مجموع القنابل التي القيت عليها لم تزد على ٢٧٠ طنًّا وهو ثلث ما القي في إحدى الغارات البريطانية الأخيرة على برلين او اقل من الثلث

* ان سكر البنجر لا يمكن تمييزه من الناحية الكيميائية من سكر القصب ؟

* ان ايطاليا فازت بما وزنه ١٦٠٠ طن من فلز النيكل بجمعها نقود النيكل المتداولة ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثاني بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



سجّادة تركية : جيوردس

في دارِ السيد حنا سركيس بدمشق

أرضية المحراب : تِبْنِي — الألوان الغالبة : وَردِيّ مُغلَق وأخضر رَيْحاني مفتوح

[انظر مقال بشر فارس ص ٤١٧]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني بعد المائة

١ مايو سنة ١٩٤٣ — ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٦٢

علم الكيمياء الجديد

والمملكة الرابعة في الطبيعة والحضارة

كان الانسان في فجر التاريخ يعتمد على ما تمدُّهُ بهِ الطبيعة ليسدَّ حاجات معاشهِ . أخذ الطعام من النبات والحيوان . وكذلك اللبـاس . وكان يعتمد على السكن في كهف أو غار . وقد ظلّـت الطبيعة ألوف السنين المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الانسان في اكفاء حاجاتهِ الأولية الأصيلة

ثم تعلّـم أن يدخل بعض التبديل على ما تمدُّهُ بهِ الطبيعة . فصنع من الظرّان أدوات للبيت وللقتال . ومن المعادن التي كشفها في الطبيعة كالنحاس ، أو عثر بها ثم تعلّـم صنعها كالشبه (البرونز)، خناجر وسكاكين . ومن ألياف النبات نسج ملابسهُ . ولعلّـهُ توصّـل اتفاقاً الى الزجاج والحديد ، فكان كشفهما بدءَ عهدٍ جديد في حياتهِ . ولكنَّ تقـدمهُ كان بطيئاً . فالطبيعة كانت تضنُّ عليهِ أحياناً بالمواد التي لا غنى لهُ عنها للمعيشة والسلامة . فكان الجوع غير نادرٍ والأوبئة كثيراً ما حصـدتهُ بالألوف وعشراتها . فلما ارتقى نظامهُ الاجتماعي والسياسي ، واشتدت حاجتهُ الى مغالبة آلام الفاقة والجوع وضرورة توفير الأشـياء التي تزيد من رفاهيتهِ ، اندفع الى أخذها بالقوة من غيرهِ ، اذا تلمَّـسها ولم يجدها في ما يملك . والاستيلاء على الأرض بالقوة أو بالتهديد بها ، ليس نادراً أو شـاذًّا في أدوار التاريخ . والواقع ان الملوك والأباطرة من قديم الزمان جروا على توسيع ممالكهم بالفتح الحربي . كان هدفهم الاول الفوز بموارد ومواد تحتاج اليها الدولة الفاتحـة كالذهب والمواشي

والحبوب . اما الفتح الحربي في العصر الحديث فلا يختلف كثيراً على الفتح الحربي في العصور الغابرة . لأن من الاهداف الاولى التي تتجه اليها الدول الفاتحة هو الاستيلاء على موارد المواد الخام اللازمة في الصناعة والغذاء . على ان العلم الحديث مهَّد للامم طرقاً الى موارد جديدة وافرة لا تجدها في الطبيعة ، فاذا حسنت النية وأحكم التدبير ، وجب أن تزول هذه الطائفة الاصيلة من بواعث الحروب

تعلمنا في المدرسة عندما تلقينا مبادىء العلوم ، وما فتىءَ الطلاب يتعلمون حتى الآن ، ان في الطبيعة ثلاث ممالك ، هي مملكة الحيوان ومملكة النبات ومملكة الجماد ، وان كلَّ ما في الطبيعة من أجسامٍ تابعة لاحداها . وقد دلتنا المباحث العلمية الصناعية الحديثة على ان الموادَّ التي تمدُّنا بها الطبيعة يجب أن تعدَّ في الغالب خامات نصنع منها مواد أخرى صالحة للاستعمال . ومع ذلك ما زلنا — على الاكثر — نتناول من الطبيعة موادَّ للغذاءِ والصناعة نستعملها كما هي وقلّما نحدث فيها تبديلاً ما ، وأحياناً نحدث فيها تبديلاً يسيراً . منها مواد الغذاءِ النباتية والحيوانية ، والفحم والحديد وغيرها . وذلك لأن الفنون الصناعية كانت الى عهد قريب عاجزة عن صنع ما يحلُّ محلّها . فالانسان لا يزال عاجزاً عن صنع قطعة من الشواءِ تفوق شواءَ العجل ، أو وردة تجاري الطبيعية في لونها وشذاها

ولكنْ هناك طائفة كبيرة من المواد الطبيعية تناولها الانسان من الطبيعة وعالجها بعلمهِ وفنهِ فغيَّر فيها وبدَّل ، فغدت وهي أصلح للاستعمال مما كانت ، أو انهُ صنع ما يحلُّ محلها بالتركيب الكيميائي الصناعي فاذا البديل أو العوض أفضل من الأصل وأرخص وأسهل منالاً وهذه المواد هي ما أطلق عليهِ الدكتور « بنجر » Benger مساعد المدير العام لقسم البحث الكيميائي في شركة دوبون ده نمور وصفَ« المملكة الرابعة » وأضافها الى ممالك الطبيعة الثلاث

وقد كان غزو هذه المملكة الرابعة غزواً بطيئاً في بدئهِ ولكنهُ بلغ الآن مرتبة عالية من الارتقاءِ والاتقان والسرعة ، بعد قرنٍ من البحث والتنقيب وتمهيد الوعر . وقد يصحُّ أن نقول ان تذليل العقبة الاولى ، أو تمهيد المرحلة الأولى من الطريق ، الى هذه المملكة تمَّ في سنة ١٨٢٨ عند ما ركب الكيميائي الالماني وهلر Wohler مادة عضوية — هي اليوريا — بالتأليف الكيميائي . وكان الرأي الى ذلك العهد ، انهُ من المتعذر على الانسان أن يصنع بالتأليف الكيميائي مركباً ما من المركبات التي تولدها أو تصنعها المادة الحية . فإقامة وهلر الدليل على فساد هذا القول يصحُّ ان يعدَّ الضربة الاولى في غزو المملكة الرابعة

وبعد انقضاءِ ثلاثين سنةً على عمل وهلر هذا انصرف الكيميائي البريطاني وليم بركِنْ الى محاولة صنع الكينين بالتأليف الكيميائي . فأخفق في ما سعى اليهِ ولكنهُ توصَّل الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معرفة حقيقة اعظم شأناً من مجرَّد صنع الكينين كما أراد . ذلك بانهُ فاز باستخراج الصبغ الصناعي الاول من قطران الفحم الحجري . ومن ثمَّ توالت الأصباغ الكيميائية المستخرجة من قطران الفحم الحجري ، ثم العقاقير المختلفة التي وضعت في ايدي أساة هذا العصر أسلحة تفتك بالامراض ، ومن أشهرها في العقد الاخير من السنين ، طائفة العقاقير السلفوميدية ، ومردُّها جميعاً الى صبغ كشفهُ الالماني دوماك Domagk . حتى الكينين نفسه الذي كان البحث عن طريقة لتركيبهِ، هادياً الى هذه المكتشفات، صنع اخيراً في المانيا او صنع مايفعل فعلهُ ، ثمَّ صُنع في الولايات المتحدة ، بالتأليف الكيميائي ويعرف باسم « أتبْرين »

هذه البداية البسيطة أقنعت الباحثين ، بأنهُ في وسعهم ان يأخذوا المواد الطبيعية ويصنعوا منها او يستخرجوا منها مواد اخرى ، تتصف بأوصافٍ خاصةٍ ، وتصلح لألف استعمال واستعمال، فأقبلوا بهمم مشحوذة وعقول ماضية على غزو المملكة الرابعة . وهذا الغزو تدور رحاهُ في الوف من معاهد البحث في أقطار الأرض ويشترك فيهِ جيش لجب من العلماء

صناعة النسج صناعة قديمة . ولكن الباحثين في العصور الحديثة ، لم يكشفوا ليفاً طبيعيًّا جديداً يصلح للنسج فيوضع جنباً الى جنبٍ مع ألياف القطن والكتان والحرير . الا أنهم صنعوا ليفاً جديداً ، يباري هذه الألياف، وقد صنعوهُ من مادة اساسيةٍ في الطبيعة وفيرة القدر لأنها قوام كلّ نبات ، وهي مادة السلولوس . وقد استعمل السلولوس من قديم الزمان، مفرغاً في قالب قطن اوكتان او حرير . وكأن العلماءَ ناجوا أنفسهم قائلين ان الغنم يأكل النبات فيحولهُ في ما يحوله اليه ، صوفاً ، وتأكلهُ دودة الحرير في ورق التوت فتحوله حريراً فلماذا لا نسعى الى كشف سرّ هذه الدودة ؟ وليس هذا الفصل وقفاً على اساليب العلماء في مباراة دودة الحرير ، فحسبنا ان نشير الى ان العلماءَ صنعوا «الريون» اولاً وهو الذي كان يعرف بالحرير الصناعي ، ثم افضى البحث الى صنع خيط جديد للنسج اطلق عليه اسم « نيلون » وهو اسم عام لطائفة جديدة من خيوط النسج مردُّها الى مادة البروتين الاساسية ، وهم يصنعون من البروتين خيوطاً أدق قواماً وأقبل للمط وأمتن من الخيوط الطبيعية وفي الوسع ان يصنع منها كلُّ ما كان يصنع من خيوط الحرير الطبيعي. ومن النيلون استخرجت مادة أطلق عليها اسم اكستن تستعمل في صنع فرش الاسنان . وهذا الشعر امتن من الشعر الطبيعي ولا يلين مثلهُ عند بلهِ بالماءِ ومنهُ تصنع ادوات كثيرة يستعملها الصيادون

ومن أعجب ما صنع في ميدان الألياف الكيميائية ألياف تنسج منها منسوجات لا تتثنى ولا تنكمش ومانعة لاختراق الماء لها وتسهل ازالة البقع الناشئة عن سقوط المطر عليها بمواد كيميائية معينة . ومنها موادُّ تصلح لتنظيف المنسوجات في المياه القاسية واللينة على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السواءِ ولكنها ليست صابوناً ، ومنها ما يصلح للقصر أو لتنفير العثّ أو لمنع العفن أو لطلي المنسوجات اللازمة لصنع المعاطف التي تقي من البلَل

وتشير أنباءُ أحدث البحوث في هذه الناحية من العلم الى ان الخشب ، وهو سلولوس محض على الاكثر ، يصلح مصدراً لصنع السكر والنفط ومواد التشحيم وما أشبه

ثم ان العلماءَ يتناولون من المملكة المعدنية الفحم والجير والملح فيصنعون منها مادة مركبة جديدة تشبه في كثير من أوصافها مادة طبيعة تعرف بالمطّاط . وهذه المادة المركبة تدعى « نيوبرين » ، فهي مطاط كالمطاط الطبيعي قوية مثله ، ولكنها تفوقهُ في مقاومتها للفواعل الكيميائية . فالمطاط الطبيعي اذا عولج بالدهون والشحوم، تأكّل ولكن «النيوبرين» لا يتأثر بها . وأمد «حياة» النيوبرين في كثير من الأغراض التي يصلح لها خاصة ، يفوق أمد حياة المطاط الطبيعي من عشرة أضعاف الى اثني عشر ضعفاً او أكثر

وقد قضت الحاجة الحربية بتقدم الأساليب الكيميائية الصناعية في صنع المطاط تقدماً سريعاً . فانقطاع المانيا عن موارد المطاط الطبيعي بفعل الحصر البحري ، وانقطاع بريطانيا والولايات المتحدة عن أهم موارده في الشرق الأقصى بفعل الفتوحات اليابانية ، كان حافزاً الى هذا التقدم . وفي الولايات المتحدة الآن ، اسلوبان مستعملان في صنع المطاط الصناعي أحدهما يرتد الى النفط الطبيعي والآخر الى الكحول . ذلك بأن البوتادين وهو مركب ايدروكربوني بسيط (ك ٤ يد ٦) اساسي في صنع المطاط ، يمكن استخراجه بالاساليب الكيميائية الصناعية من النفط او الكحول . والكحول يمكن استخراجه من العسل الاسود او السكر او البطاطس او الذرة او القمح او حتى من نشارة الخشب والنفط يصنع من الفحم . وقد اطلعنا اخيراً على انهُ يصنع من الخشب وربما من فول الصويا

ولعلَّ العجائن المصنوعة بالكيمياء والصناعة هي أوسع مواد المملكة الرابعة استعمالاً فهي تستعمل في أجزاء السيارات والطائرات وصناديق الاجهزة اللاسلكية والألواح الشفافة والاسنان الصناعية ومنافض لفافات التبغ والأزرار والجواهر الصناعية والعصي ومقابضها والموائد وألواح شفافة كالزجاج وقد صنعت منها أجسام طائرات كاملة وهياكل سيارات

ومرجع العجائن الكيميائية الى تفاعل كشفه الدكتور بايكلند ولذلك نسبت اليهِ العجينة المشهورة باسم بايكَلَيْت . وهذه العجينة مادة جديدة لا وجود لها في الطبيعة وتصنع بالتركيب الكيميائيّ . ففي سنة ١٨٧٢ شرع الكيميائي الألماني بايَر في معالجة المواد التي تتولد من تكشف الحامض الكربوليك والفورمالدهيد . فاذا سخنت هاتان المادتان احداهما مع الأخرى تكونت مادة عجينية يتسنى صوغها او افراغها في قوالب ثم اذا عرضت للحرارة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والضغط تصلبت . وظلت هذه الطائفة الجديدة من المواد مطوية الذكر من الناحية الصناعية والتجارية الى ان نبغ كيميائي آخر في الولايات المتحدة هو الدكتور بايكلند فأتقن طريقة صنع هذه المادة العجينية (وهي توصف بالعجينة على اعتبار ما تكون عليهِ قبل ان تتصلب اذ تكون مرنة ويسهل افراغها في القالب الذي تريد Plastic) وأطلق عليها اسم بايكليت فاشتهرت شهرة واسعة لأن العالم الحديث في حاجة ماسة الى مادة مرنة يتسنى افراغها في القالب المطلوب بحرارة غير مرتفعة ثم تتجمد بسرعة فتصبح صلبة قاسية متماسكة وتحتفظ بعد ذلك بشكلها وروائها ولا تؤثر فيها عوامل الصدإ او الاحتكاك او فواعل الذوبان والحرارة

والعجائن طائفتان بوجهٍ عام احداهما طائفة المواد التي تفرغ في قوالب (moulded) والثانية طائفة المواد التي تستعمل ألواحاً او طبقات تتخللها ألواح او طبقاتٌ أخرى من المنسوجات أو شبك السلك الدقيق ، او المواد المشبعة بالراتنج كالخشب المشبع بالراتنج وما أشبه (laminated) . وهذه الطائفة الثانية مع العجائن (المصفّحة) أمتن من الحديد الصب وتبلغ قدرتها على تحمّل الضغط تسعين في المائة من قدرة الالومنيوم مع انها أخفُّ منهُ وزناً فوزنها لا يزيد على ثلث وزنهِ . وقد روى عالم اميركي ان في البارجة الضخمة الحديثة عشرات الألوف من الاجزاء المصنوعة من العجائن الكيميائية

اما استخراج النفط من الفحم (ومن الخشب الآن وهو قد تمَّ فعلاً في معامل البحث ان لم يكن قد دخل نطاق الصناعة الحربية) وصنع الاسمدة الكيميائية بتثبيت النتروجين فحديثهما قديم .

ليس الغرض المقدَّم من هذا المقال ، تعديد انتصارات العلم في مباراة الطبيعة ، وان كان هذا التعديد ينطوي على لذةٍ فائقةٍ مردُّها الى ما في هذه الناحية من تاريخ العمران ، من نضال في سبيل الابداع ومن آيات الظفر الباهر في هذا النضال . ولكن الغرض المقدَّم هو الاشارة الى تأثير هذه الانتصارات العلمية في نشوء العمران الحديث وخطط الدول المحتملة بعد الحرب

تشير كتب السياسة والاقتصاد التي كتبت ونشرت قبل قرن ونصف قرن من الزمان ، الى أن أرباب التفكير السياسي والاقتصادي كانوا غارقين في بحر من التشاؤم حيال موارد الطعام المتاحة للانسانية على سطح الأرض . فرجلٌ يدعى مالتوس كان قد كتب رسالةً بيَّن فيها ان عدد سكان الكرة الارضية يميل الى الزيادة زيادة تفوق زيادة موارد الطعام . فعدد الأفدنة الصالحة للزراعة محدود وليس في الوسع زيادتهُ زيادة كبيرة ، بينما الميل الى تكاثر الناس لا حدود لهُ . فاذا صحَّ هذا فالجنس البشري محكوم عليه بالعيش على حدود الفاقة والجوع ، إلاَّ اذا ابتدع طريقةً للحدِّ من تكاثره بالامتناع . ولم يكن أحدٌ من المفكرين السياسيين والاقتصاديين قادراً على ادحاض مذهب مالتوس ، لأن أحداً منهم لم يكن قادراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن يتصوَّر ما يجيء به العلم في الغد . فقول مالتوس حينئذٍ كان يصوّر الواقع وما جاءَ بهِ الغدُ ، لم يكن فتحَ مناطق شاسعة من الأراضي البكر. فهذه حكمها على طول المدى ، خاضعٌ لمذهب مالتوس . ولكنَّ الذي جاءَ بهِ الغد ، انما كان زوال الزراعة القديمة ، وحلول الزراعة الحديثة القائمة على العلم محلّها . فنطاق المعارف أخذ في الاتساع . وتطبيق المعارف العلمية على الزراعة مقترناً بارتقاء أسباب المواصلات والنقل، زاد قدرة الانسان على انتاج الطعام من الارض ، وإتاحته لمن يحتاج اليه ولو كان بعيداً عن موقع انتاجهِ . فكانت النتيجة ان سكان الارض زادوا خلال القرن الذي انقضى بعد وفاة مالتوس زيادةً يفوق معدَّلها كل زيادة سابقة في السكان، ولكن معدَّل انتاج الأرض زاد كذلك . وحتماً ان معدل القدرة على الانتاج الزراعي سبقت معدل زيادة السكان

هذا الحل الذي لم يكن منتظراً لمشكلة الطعام ، في عصر مالتوس ، أطلق قدراً عظيماً من النشاط البشري ، فأصبح العصر الصناعي ممكناً ، ولولا زيادة سكان الأرض زيادة كبيرة ، لما أمكن الاستغناء عن اليد العاملة ، الكفيلة بحياة الصناعة ، ولظلت الزراعة — وهي مطلب لا يستغنى عنهُ — مستأثرة بها . ولكن قيام الصناعة الحديثة ، أنشأ مشكلة طعام جديدة . هنا معدة أخرى يجب ملؤها . وهي ليست معدة الانسان بل معدة الآلات . فالآلات تلتهم الموادَّ الخام ولا تشبع . وكما ظُنَّ اولاً — قبل قرن ونصف قرن من الزمان — ان موارد الطعام المحدودة بحدود الزراعة القديمة ، لا تكفي لاشباع الناس المطّرد عددُهم زيادة ، كذلك ظُنَّ عندما نشأت مشكلة الخامات اللازمة للآلات، ان الموارد الطبيعية لهذه الخامات لا تكفي لاشباع نهم الآلات . هنا منجم فحم ، وهناك بئر نفط ، وهنالك شجرة من نوع معين لا تعيش ولا تزكو إلاّ في اقليم خاص ، وكلٌّ من يملك المنجم والبئر والاقليم يستطيع ان يشبع نهم آلاته وعلى غيره ان يقنع او ان يحارب في سبيلها . فقامت نظرية خاصة بالخامات الصناعية تشبه نظرية مالتوس الخاصة بموارد الطعام ، وأصبحت هذه النظرية قاعدة في السياسة الدولية واليها مردُّ جانب كبير من بواعث الخصام الدولي

وكلتا النظريتين كانت صحيحة ، عند قيامها . ولكن ارتقاءَ العلم غيّر القواعد التي قامت عليها الاولى . وارتقاء العلم قد بدأ يغير القواعد التي تقوم عليها الثانية . ولعلَّ العلمَ يفرض علينا بعد عهد غير طويل — اذا اتيح له اطراد الارتقاء — ان نحسب نظرية مالتوس الخاصة بالخامات الصناعية ، سخافة من سخافات عهدٍ سابق أو وهماً من الأوهام . ولعل أعظم مأساة يعانيها البشر في هذا العصر ، انهم يحتربون في ما يحتربون عليهِ ، في سبيل موارد طبيعية ، يستطيع العلم ان يصنعها من الخشب والماءِ والهواء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

البيودين وسر الخلية

ملخص بحث خطير في

سرّ السرطان وعلاج الحروق

يعلم كل من طالع مبادىء علم الأحياء ان الخلايا هي الاجسام الدقيقة التي يتقوّم بها كل نسيج من أنساج الأجسام الحية . وكلّ خلية تتصرف كأنها جسمٌ حي ، فتتنفس وتنفق الطاقة وتنمو وتتكاثر وتعيش على الغالب عيش الوئام مع جاراتها . ولكن يحدث أحياناً ولغير سبب معروف أن تشذّ بعض الخلايا على قواعد الحياة السوّية فتنمو نمواً شاذاً وتبثّ هذا الميل الى النموّ الشاذ في الخلايا التي تجاورها . وهذه الفوضى في نمو الخلايا هي ما يطلق عليه بوجه عام وصف السرطان . ولكنّ بحثاً أصيلاً في طبائع الخلايا أفضى من عهد قريب ، الى كشف خطير الشأن ، مؤداه ، ان الخلايا التي تصاب بأذى كجرح أو حرق ، تفرز أتواراً (هُرمونات) من شأنها أن تنشط قدرة النمو والتنفّس والتكاثر في الخلايا الأخرى المجاورة . وبالكشف عن هذه الحقيقة توصل رجال العلم الى اماطة اللثام قليلاً عن سرّ التئام الجراح ومن المحتمل أن يفضي الى النفوذ الى سرّ السرطان ومنعهِ أو علاجهِ أو السيطرة عليهِ . ولكن هذا الاحتمال لا يزال بعيداً الآن . وقد أطلق على هذه الأتوار اسم « بيودين » وهو مركّب من لفظين يونانيين أحدهما « بيوس » ويعني حياة . والثاني« ديناميس» وهو يعني قوة

ان قصة « البيودين » و « البيودينات » ترجع الى سنة ١٩٣٥ ففي تلك السنة أسس اسقف مدينة سنسناتي الاميركية ، معهداً للبحث العلمي واختار لادارته من الناحية العلمية ، رجلاً يدعى الدكتور جورج سبرتي (Sperti) وكان حينئذ في الخامسة والثلاثين من عمره ، ولكنهُ كان قد أحرز شهرة واسعة بين العلماء ببحوثه الباهرة . فأتاح له المعهد الجديد الفرصة وأفسح له المجال ، اذ مكنهُ من انشاء معمل للبحث في سنسناتي وآخر في « پام بيتش » بولاية فلوريدا للبحث في خلايا الأحياء المائية ، وجمع حواليه طائفة مختارة من علماء الطبيعة والكيمياء الحيوية وفسيولوجية النبات وما أشبه ، ووثق الصلة بين المعهد وبين عدد من المعاهد الأخرى وكان الغرض الأكبر البحث في السرطان

فلما اجتمع سبرتي بزملائه ذكرهم بحقيقة غريبة غامضة في فعل الخلية . فعند ما يصاب نسيج حي ما بجرح ، تنشط الخلايا المجاورة للخلايا المصابة ، الى التكاثر تكاثراً سريعاً ، ولا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعود الى حياتها السوية الاّ بعد ما يتولد النسيج الجديد ويندمل الجرح . فلا بدَّ ان تكون هناك مادة ، تسيطر على حياة الخلية وتحركها حيناً بعد حين . قال : فاذا كشفتم ما هذه المادة وما فعلها وكيف تفعل ، فلعلكم تفوزون بالمفتاح الذي يفتح أغلق مغلقات الخلية

فكانت الخطوة الأولى، إحداث أذًى ما في الخلايا الحية ثم مراقبة ما يقع لها ويتمُّ فيها. فاستعمل سبرتي الاشعة فوق البنفسجية ، وهي على ما نعلم مفيدة اذا كانت قوتها ومقاديرها يسيرة، وفتاكة اذا كانت كبيرة . فذهب إلى انهُ اذا استعمل هذه الاشعة ، في قوة ومقدار، فوق الاشعة المفيدة ودون الفتاكة ، حدث الأذى او الضرر بالقدر المطلوب . وقضى هو وزملاؤه السنوات التالية وهم مكبون على انابيب الاختبار تحت مصابيح الاشعة . خلايا الخمائر وخلايا انساج الاجنة من الفراخ وخلايا السحالي والسمك واكباد الحيوان وما اشبه ، جميعها عُرضت للاشعة فوق البنفسجية ، وعند ما يبلغ الضرر الواقع لها من التعرض للاشعة ، مرتبة معيَّنة ، تؤخذ وتغسل في محلول خاص ثم تقطَّر الخلايا من المحلول . فاذا كان في هذه الخلايا مادة ما تولدت فيها بفعل الضرر الذي اصابها ، فيجب ان تكون في هذا المحلول المعقم الخالي من الخلايا

وفعلاً وجدت هذه المادة في هذا المحلول . وقد اثبت وجودها بتغطيس قطعة نسيج من جنين فرخ — لم تعرَّض للاشعة — في هذا المحلول فاذا نشاط عجيب في نمو الخلايا وتكاثرها، وكان هذا النمو بادياً على شرائح المجهر . اي ان الخلية الحية اباحت اخيراً احد اسرارها

ثم تبين الباحثون ان هناك اصنافاً مختلفة من « البيودين » فصنف يحدث نشاطاً في نمو الخلايا وتكاثرها فيفعل فعلاً ناجعاً في اندمال الجروح . فأطلقوا عليهِ « عامل التكاثر ». وصنف ينشط التنفس فأطلق عليهِ « عامل التنفس » وصنف يزيد سرعة الخلية في استهلاك السكر للفوز بالطاقة التي يولدها احتراقهُ . ولا تزال صلة « البيودينات » بالسرطان موضع بحثٍ

ولكن سبيرتي لا يرضى ، أن تهمل حقيقة علمية جديدة الى أن تكشف صلتها الوثيقة بالموضوع الأصيل الذي أفضى الى كشفها . والى رأيهِ هذا مردُّ « مروِّخ البيودين » الجديد الفعّال في شفاء الجروح . لأنه اذا صحّ ان البيودين — عامل التكاثر — يحرِّك الخلايا السليمة الى النمو والتكاثر فيجب أن يكون فعالاً في شفاء حروقٍ تصابُ فيها مساحات واسعة من الجلد . وكذلك استخرج بيودين التكاثر من أكباد الحيوان ، واستخرج بيودين التنفس من خلايا الخميرة ، ومزجا بمادة دهنية فاذا مروّخ يفعل فعل السحر في شفاء هذا النوع من الحروق . ومن عجائب هذا المروّخ ان المصاب بالحرق لا يشعر بألم عندما يدهن حرقهُ بمروخ البيودين مع ان هذا المروخ لا يحتوي على مخدر ما اما سرُّ فعله هذا فلم يعرف بعد

الهندسات

غير الاقليدسية

لخليل السالم

بالرغم من شيوع التفكير العلمي في الغرب ، وتناوله أسباب الحياة بالشرح والتعليق ، ونجاح تجارب العلم الجديدة في استنطاق أسرار الكون وفتح مغلقاته ، وتطبيق النظريات والفروض العلمية على الظواهر الطبيعية التطبيق الواضح ... بالرغم من كل هذا نجد نفراً غير قليل من قادة الرأي ينعون على النهضة العلمية الحاضرة عيباً في الصميم ، فهؤلاء لا يقدرون للعلم كشفه الحجب المسدلة على حقائق الكون والحياة ولا للعلماء نضالهم في هذا السبيل بقدر ما يهمهم ان يصبح العلم ملكاً مشاعاً بين أفراد الامة ، وفرصة سانحة يمكن حتى لرجل الشارع أن يستغلها . فلا يحق للعلماء بحسب هذا الرأي الاخير أن ينقطعوا لاختصاصهم دون السعي الى خلق بيئة علمية صالحة لنمو آرائهم ، ولا يجمل بهم أن يضربوا حول تفكيرهم نطاقاً كثيفاً من الغموض والابهام بحيث يستحيل على المثقف العادي أن يقتحم هذا النطاق وينفذ الى لبابه . والعلماء الذين ينظرون الى مستقبل العلم وأثره في توجيه الحضارة نظرة ملؤها التفاؤل يبشرون بأن السلطة لا بدَّ أنْ توضع في أيدي العلماء لتستقيم الاحوال وتسيطر الحرية والسلام على الشعوب ، وأحلامهم هذه لا تتحقق إلاّ بعد أن تدرك العامة قيمة العلم وتحلّ العلماء ما يستحقون من منازل التشريف والإجلال

تعم هذه الفكرة الدمقراطية الرائعة الاوساط العلمية رويداً رويداً . فالعلماء المنصرفون لأبحاثهم يبذلون أبلغ الجهد في تبسيط النظريات وتوضيح النتائج وتقديم الحقائق للناس بلغة سائغة مفهومة مجردة من الألفاظ الفنية الدقيقة والتعبيرات الخاصة التي لا يعيها القارىء العادي فاذا ما حاولنا نحن — في الوقت الذي نعاني جدباً في القرائح وعقماً في الاستنباط والتفوق — أن نقرِّب الأفكار العالية الى أذهان المثقفين ، واذا ما حاولنا أن نخلق نفراً من الشباب لا يحجمون عن الاطلاع على النظريات الحديثة في العلم والفن والفلسفة ولا ينون في درس تيارات الفكر المتضاربة التي كانت أساس الحضارة الراهنة والتي يجب أن تكون بشيء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قليل من التكييف والتهذيب أساس نهضتنا المنشودة ، واذا ما حاولنا انارة الطريق أمام الجيل الجديد الذي سيكون لهُ حظ التجديد وشرف الاضافة الى تراث الانسانية العلمي ، أقول اذا ما حاولنا هذا كلّه ، فاننا لا نقوم بمجهود تافه القدر ضئيل الشأن ، وانما هو واجب عظيم كريم يعد أكبر علماء الغرب أنفسهم لحمل أعبائهِ ، ورسالة سامية لا نفي حق ماضينا المجيد ومستقبلنا السعيد ان تهرّبنا من تحمل تبعاتها

وهذا البحث عرض سريع لمرحلة خالدة في تاريخ الفكر البشري أنتجت انعتاق العقل من قيود اقليدس وانفساح مجالات أرحب تترعرع فيها الحرية الفكرية وتبلغ أقصى شأوٍ من التحصيل المثمر المستقل . وسأضفي على البحث ما استطعت من أثواب السهولة والبساطة ، إلا اني لا أعد القارئ الكريم بالنجاح الاكيد . واذا ما ابتعدت عن تملق القارئ وتشويقه لاستيعاب هذه الأفكار البالغة مستوىً عالياً من التجريد ، فما ذلك إلاّ لعلمي الواثق أن الفكرة الكبيرة تستلزم المجاهيد الكبيرة . وبقدر ما نبذل من قوة لفهم مسألة ما أو حل مشكلة بعينها ، بذلك القدر نفسه نشعر بعد الوصول الى مطلوبنا بالرضا المريح القنع . يضاف اليهِ الشوق الملح لزيادة الدرس والفهم

***

لا نعرف كتاباً — غير الكتب السماوية — فرض نفسه على الفكر البشري كما فعل كتاب اقليدس . فتفكيره ومنطقه كانا متعة الأجيال خلال ألفي عام . ولم يخطر ببال أحد أن الباطل قد يأتيه من أمامه أو من خلفه ، فهو نسق عال للتفكير الصحيح ومثل صادق للحقيقة المطلقة التي — اذا تساوت الأمور — يدركها العقل العادي ويؤمن بصحتها مجبراً . وهو أيضاً رد مفحم على اللاادريين الذين ينكرون على العقل إمكان ادراكه حقيقة واحدة مطلقة . فالوصف الدقيق للحيز الذي نحيا فيه كما ورد في اقليدس يقينيٌّ لا سبيل لنكرانه

على ان هذه العقيدة الراسخة لم تعمِ الرياضيين عن رؤية عيب في ذلك المنطق وتشويه في ذلك الجسم الخالد . فقد ترك اقليدس بديهية المتوازيات دون برهان مع انهُ لا يوجد في العقل البشري ما يجبره على التسليم بصحتها دون دليل . كان السؤال الذي حير الفكر الرياضي منذ القدم هو : لماذا لا يمكننا رسم أكثر من مستقيم واحد يمر بنقطة مفروضة ويوازي مستقيماً آخر معلوماً ؟ وبذلت جهود وافرة لحل المعضلة . ولست أجد من الوقت متسعاً لذكر أسماء جميع الرياضيين الذين التمسوا بكل حماسة كلَّ حجة عقلية تعضد اقليدس ولكنني أذكر مع كثير من الاعتذار العالم العربي نصير الدين الطوسي (١٢٠١ — ١٢٧٤) المعروف بخواجه كما ورد في مقدمة ابن خلدون . فقد فهم أوليات الهندسة وأحس بالمشكلة وقدم برهاناً على صحة البديهية كان من أفضل وأقوم ما قدم في هذا الصدد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولقد ذهبت تلك الجهود أدراج الرياح لاسباب سنذكرها فيما بعد . واذا كان لابد من ملاحظة على تلك المحاولات التي قصد منها البرهان على صحة تلك البديهية فهي انها كانت تصدر عن عقيدة ثابتة في صحة البديهية . ومثل هذه العقيدة خطأ أساسي، ما أن تبينه المرء حتى أدرك مباشرة مدلول الهندسات غير الأقليدسية وتخلص من ربقة ذلك القيد الثقيل

من المحاولات لبرهنة البديهية ما كانت تبدأ بقضايا يعوزها الدليل للتسليم بصحتها . ومنها ما ارتأت استخدام البديهيات الاخرى لاستنتاج بديهية ، المتوازيات ، ومنها ما فصلت البديهية الى قضايا فرعية لا يؤمن العقل بصحتها سلفاً . وهكذا . الآن فكرة بديعة أشرقت اولاً في ذهن العالم الايطالي جرمانو ساشيري Germani Saccheri (١٦٦٧ — ١٧٣٣) ملخصها هذا السؤال : لنفرض ان عكس البديهية صحيح فالى أين يؤدي بنا هذا الفرض ؟ انهُ دون ريب سينتهي بنا الى مغالطات جمة نكتشفها بسهولة ونحكم عندئذٍ بأن الفساد ترسب من الفرض الأول بأن عكس البديهية صحيح

من نظريات هندسة اقليدس التي تعتمد على البديهية النظرية التى تنص على أن مجموع زوايا المثلث قائمتان . فلو فرضنا ان مجموع زوايا المثلث أقل من قائمتين (فرض الزاوية الحادة) في المرة الاولى ، ثم فرضنا انهُ اكثر من قائمتين (فرض الزاوية المنفرجة) في مرة اخرى ، فما هي الحقائق الجديدة التي نبنيها على هذه الاركان الجديدة ؟

وعمد ساشيري الى متابعة الاصول المنطقية واستنتاج النتائج واستكشاف النظريات التي تؤلف بناءً جديداً يخالف بناء اقليدس في اساساته ونظامه او هندسته . ولسوء حظ ساشيري خيل اليهِ انهُ اكتشف تناقضاً في فرض الزاوية المنفرجة . اما عن فرض الزاوية الحادة فقد وقف امامه حائراً لأن التناقض لم يبد في نتائجه ابداً . ولما كان ساشيري يرى ان إمكان وجود هندسة صحيحة غير هندسة اقليدس فوق العقل والتصور فقد أيقن من فشل محاولته ففاتهُ شرف السبق الى اكتشاف عظيم كاكتشاف الهندسات غير الاقليدسية . والحقيقة انهُ لم يستأثر بهذا الشرف عالم واحد . فالأمم تتنازعه وتدعي حقه ومهما يكن من شيء فكل اسم اقترن بهذا الكشف الخطير ناله حظٌ كبير من الرفعة والخلود

يقص لوباتشفسكي Nicolai Lobatschewsky (١٧٩٣ — ١٨٥٦) علينا كيف اتجه تفكيره نحو كشف الآراء الجديدة وهو احد مكتشفي الهندسات غير الاقليدسية فيقول : « ان فشل المحاولات المتكررة خلال الفي عام مرت بعد اقليدس ، اثار في نفسي الشك ، وأراني ان الحق الذي ننشده ، لا تتضمنهُ الأشياء المعطاة او الفروض المفروضة . فاذا ما اردنا اثباته فلا بد من اللجوء الى التجربة كالرصد الفلكي مثلاً . ولما استطعت أن أقنع نفسي بصواب فكرتي وقيمتها أيقنت انني حللت المشكلة العويصة . فكتبت مذكرة بهذا الشأن سنة ١٨٢٦ »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فنجد ان لوباتشفسكي يعدل عن المألوف ويشذ عن الفكرة الكانتية Kantian التي كانت تسود عصره . ومشتمل هذه الفكرة ان المكان ايحاء ذاتي وصورة سابقية تخلق مع العقل وتنشأ معهُ فهو يتأثر بالفلسفة الاختبارية الحسية ويؤمن بأن للمكان وجوداً موضوعيًّا وان الهندسة يجب أن تأخذ مكانها بين العلوم التجريبية

وقبل ان نبين ماهية هذا الكشف لا يسعنا ان نغفل حديث يوحنا بولي الهنغاري Johann Bolyai وهو الشاب العبقري الذي يشترك مع لوباتشفسكي في شرف السبق الى اعتماد أنظمة حديثة من التفكير الرياضي . فقد كتب الى أبيه سنة ١٨٢٣ رسالة يقول فيها: « لقد عزمت على نشر بحثي عن نظرية المتوازيات بعد ان يتم ترتيبه ويتسنى النشر . لم أنتهِ، الاّ ان الطريق الذي أسلك سيقود دون شك الى الهدف . وان ما أراه على جانبي هـذا الطريق يبهرني ويلهيني عن ذلك الهدف . وان الخسارة لتكون جسيمة ان لم يقدر لهذه النتائج الظهور والذيوع . انك ستقدر قيمتها حينما تراها . واذا كان من شيء أقوله الآن فهو انني أخلق عالماً كاملاً من لاشيء . وها انا ذا ارسل اليك بعضاً من أبحاثي ولا يزيد ما أرسله عن ان يكون بيتاً من الورق عند مضاهاته بالبرج الهائل الذي أشيده . واقتناعي عظيم بأن هذا الكشف سيمنحني شرفاً وأي شرف »

وما ان وصلت هذه الرسالة الى بولي الأب وهو من علماء الرياضة في عصره حتى أسرع بالرد حاثًّا ولده على السرعة في نشر الابحاث : « فالوقت يجب ان لا يفوت لسببين : اولهما ان الافكار تنتقل بسرعة ، وثانيهما ان للافكار زمناً معيناً تخطر فيهِ لعقول كثيرة كما يظهر البنفسج في فصل الربيع في بقاع كثيرة . والنضال العلمي حربٌ حقيقية لا ندري متى سلمها . فيجب الانتصار ما دام النصر في الامكان والفرصة والحظ للسابق اللهج »

وفي الواقع ان بولي الأب كان صادق الفراسة بعيد النظر ، لان الرياضيين جاوس Gauss وتورينس Taurinus ولوباتشفسكي وبولي فكروا في الهندسة غير الاقليدسية وانتهوا الى كثير من النتائج المماثلة في وقت واحد

وارسلت أبحاث يوحنا الى جاوس امير الهندسة في ذلك الجيل وعملاق الرياضيات على الاطلاق ، ولكنها لم تصله في المرة الاولى، فأعيد ارسالها اليهِ،وبعد أسابيع تلقى بولي الأب رسالة من جاوس يقول فيها « ستعجبون دون ريب ان احجمت عن الثناء على كشوف بولي فأنا أجدني مرغماً على مثل هذا التصرف لانني ان مدحت يوحنا فانما أمدح نفسي في الوقت عينه ، فلا اكتم ان تفكيري في غضون ثلاثين عاماً كان مستغرقاً في ادراك ماهية هذه النتائج وتكاد الطرق التي انتهجتها والنتائج التي انتهيت اليها تنطبق تمام الانطباق على طرق يوحنا ونتائجه. وقد كنت بليداً حقًّا عندما نشرت — مما وعيت واكتشفت — القسم الأقل شأناً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لأنني استوثقت من ان الناس لا يفقهون هذه المسائل التي نتحدث عنها . حتى الخاصة الذين أطلعتهم على تلك النتائج لم تبد الا حماسة فاترة لها وتقديراً بسيطاً لشأنها الخطير . ولذلك عزمت على تسجيل خواطري في هذا الموضوع واهمالها الى ان يحين وقت أنسب لنشرها خشية ان تموت بموتي . ولذا تراني الآن مغتبطاً ان يوفّر عليّ هذا العناء ، وأن يكون نجل صديقي هو الذي ينوب عني ويقدم للناس هذه الحقائق المهمة بمثل هذا الأسلوب الرائع »

ولما ارسل بولي الأب هذا الجواب علق عليه بأنه « لا يُنكر الفضل على أهله ويعترف لبلادنا وأمتنا بالسبق » ولكن على النقيض من ذلك،كان أثر كتاب جاوس في نفس يوحنا،فهو لم يتصور قطعاً ان يصل شخص غيره مستقلاً عنه الى الهندسات غير الاقليدسية ، فأساء الظن بجاوس وبأبيه . ومع ان الأيام أثبتت له فساد رأيه الا انهُ ظل ينظر الى امير الهندسة نظرة اشمئزاز وكراهية

***

وقبل أن انتقل بالقارىء الكريم الى شرح معنى الهندسات غير الاقليدسية أرى أن أورد ملاحظة لئلا تفوت مناسبتها . فدارس تاريخ هذه الفكرة الجديدة يستغرب أن لا تمهد الجهود المضاعة في البرهنة على صحة بديهية اقليدس السبيل أمام اكتشافات بولي ولوباتشفسكي وان لا تهيّىء العقول لاستقبال التفكير الجديد بما يستحق من الترحيب والتقدير . ولتعليل ذلك نقول إن الكشوف العلمية يتلقاها العلماء بجمود وحذر ، ولا تعتنق الفكرة الحديثة طفرة واحدة . والاستهجان الذي رافق ظهور نظرية النسبية أو فكرة الحيز الزائد يشهد على مثل هذه الروح المحافظة في تاريخ العلم .وسبب آخر هو ان كتابات لوباتشفسكي كانت بالروسية وهي ضيقة الانتشار حينذاك . كما ان اسمي بولي ولوباتشفسكي مجهولان ، ولم يعرف الناس النجمين الجديدين إلاّ بعد ما توهجا في الأفق وخطف اشراقهما الأبصار . فأقبل الناس على هذه الأبحاث وكان ما ترجم الى اللغة الفرنسية والألمانية شيئاً كثيراً عوض عن ضيق انتشار الابحاث بالروسية . وسبب ثالث ان تعديل فكرة كانتْ عن المكان التي كانت مستحوذة على الافكار أو التأثير فيها كانا بعيدي الاحتمال فكيف بك بتغييرها ونقضها من اساساتها !

***

ينضوي تحت اسم الهندسات غير الاقليدسية جميع نظم التفكير الهندسي الذي يغاير أصول اقليدس بشكل ما . فقد تعتمد الهندسة الجديدة على نفس قوانين اقليدس وبديهياته ثم تشذ في واحدة ، وقد لا تمت البديهيات الجديدة بصلةٍ ما الى بديهيات اقليدس ، أو تكون الاشكال مرسومة على السطح غير المستوى . أو تكون أبعاد الحيز متعددة

وباختصار يمكننا ان نطلق لفظ «الهندسات غير الاقليدسية» على جميع المحاولات المنطقية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي يقصد بها بناء هندسة غير هندسة اقليدس ومع كثرة ما يرمز اليه التعبير الجديد من المدلولات فانه يكاد في واقع الحال يشير الى هندستين فقط من جميع تلك الهندسات الممكنة . أولى هاتين هي هندسة لوباتشفسكي الروسي وتسمى احياناً هندسة (القطع الزائد) ثم هندسة ريمان الالماني وتسمى ايضاً هندسة (القطع الناقص) كما تسمى هندسة اقليدس بالمناسبة هندسة (القطع المكافئ)

تعتمد هذه الهندسات الثلاث على مبادئ وأركان واحدة ولكنها تختلف في بديهية المتوازيات ، فتفرض هندسة اقليدس انهُ لا يمكن مدّ ، من نقطة مفروضة خارج مستقيم اكثر من مستقيم واحد مواز لذلك المستقيم . وتنص هندسة لوباتشفسكي على انهُ يمكن رسم عدد لا نهائي من الموازيات التي تمر بتلك النقطة موازية المستقيم الاصلي دون ان تنطبق هذه الموازيات بعضها على بعض . وتفرض هندسة ريمان انهُ لا يمكن مد أيّ مستقيم مواز لذلك المستقيم: اي انك بحسب اقليدس تستطيع رسم مواز واحد ، وفي هندسة لوباتشفسكي يمكنك رسم عدد كبير من تلك الموازيات ، وفي هندسة ريمان لا يمكنك رسم أي مواز

وبدهي ان النظريات التي تعتمد على بديهيــة المتوازيات تختلف بعضهـا عن بعض في الهندسات الثلاث . أما النظريات التي لا تتصل بها فهي متماثلة فيها

ومن النظريات المتماثلة : زاويتا قاعدة المثلث المتساوي الساقين تتساويان ، او المستقيمان الموازيان لثالث متوازيان او نظريات انطباق المثلثات الخ

وجميع هذه النظريات تؤلف علم المكان المطلق كما اسمى يوحنا بولي هندسته المطلقة المستقلة عن قضية المتوازيات . ومن الهندسة المطلقة تتفرّع الهندسة المترية التي تتناول ببحثها مساحة محدودة من المستوي لا المستوي كله .وتبني درسها طبقاً لأحكام البديهيات التي تتكشف صحتها للحواس في تلك البقعة المحدودة من المستوي

من أهم النظريات التي يقع فيها التضارب والخلاف نظرية مجموع زوايا المثلث الداخلة ، فبينما تقول هندسة اقليدس إن هذا المجموع ثابت دائماً ويساوي قائمتين ، نجـده متغيراً تابعاً لمساحة المثلث في هندسة القطع الزائد وهو دائماً اقل من زاويتين قائمتين وينقص كلما زادت مساحة المثلث ، ونجده في هندسة القطع الناقص متغيراً ايضاً تابعاً لمساحة المثلث الاّ انهُ دائماً اكثر من زاويتين قائمتين ويزيد كلما زادت المساحة

وهذا مثل آخر للاختلاف بين النظريات في الهندسات الثلاث. فالمستقيمان العمودان على ثالث متوازيان في هندسة اقليدس ، وغير متوازيين ولكن لا يلتقيان في هندسة لوباتشفسكي ، ويلتقيان في هندسة ريمان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لن نطيل في شرح هذه الفروق ولن نسهب في شرح ماهية كل من هذه الهندسات لأن ذلك يقودنا مرغمين الى ذكر النظريات ورسم الأشكال مما لا يتسع له المقام ، ولكننا نعمد الى شرح الفكرة الرياضية التي تسند الهندسة الاقليدسية وغيرها .

***

ان الضوء الجديد الذي انبعث من ابحاث بولي وجاوس ولوباتشفسكي قد قلب الرأي العلمي رأساً على عقب . فلم تعد هندسة اقليدس النظام المنطقي الوحيد الممكن الذي يفرض نفسه على التفكير . والاعتقاد بأن هذا الجسم الخالد صحيح في داخله وخارجه ، ينطبق على الحس والاختبار، ويصف الحيز الذي تجري فيه الشموس لمستقراتها الوصف الصحيح ،وبان بديهياته ليست جملاً شرطية ابداً وانما هي أحكام لايختلف في صحتها اثنان ، ولا مجال للتردد في قبولها ، وبان اصول اقليدس المعرفة المطلقة—اقول ان الاعتقاد بصحة هذا قد تغير بعد الكشف الجديد . ذلك ان هندسة اقليدس ليست الاّ سلسلة من القضايا المترابطة التي تعتمد على أساس ، ما ان يتغيرحتى يتغير البناء بأكمله ، ولا ينقص البناء الجديد إصالة وقيمة عن بناء اقليدس . فيمكن اذن اعتماد بديهيات خاصة للحصول على عدد لا حد لهُ من الهندسات . وليس من الضروري أن تكون القضايا الأولية صحيحة واقعية منطبقة على الحس أو غير ذلك ما دام لا يعنينا منها أكثر من تضميناتها واستنتاجاتها المنطقية أولاً وآخراً ، فلا يعزب عن البال ان هندسة اقليدس نفسها لم تتناول وحدات حسية وانما كانت حدودها الأولية أجساماً وهمية لا وجود لها إلاّ في الفكر . على ان خصائص ثلاثاً يجب أن تتوافر في مجموعة البديهيات التي تسند أي نظام رياضي وهي : — الخصب بمعنى أن يكون عدد لا بأس بهِ من النظريات تابعاً في وجوده لوجود تلك المجموعة ، ويستنتج هذا العدد بصرف النظر عن تمشيه مع العرف أو عدمه . ونقول ان هذه المجموعة خصبة اذا كان العقل البشري قادراً على اكتشاف أكبر عدد ممكن من التضمينات والاستنتاجات ومن ثمّ تجد هذه الثمرات الاخيرة تفسيراتها في فرع من العلوم الطبيعية أو الرياضية . والخاصة الثانية أن تكون المجموعة مختصرة لتكون سهلة الفهم ، وواضحة المعالم والحدود ؛ فلا تكون المجموعة كتاباً من القضايا قائماً بذاته ، ولا تختلط فيما بينها بحيث يستحيل ادراك نتائجها الحتمية بسهولة . والشرط الأخير أن تكون مؤتلفة فيما بينها مستقلة بعضها عن بعض، فلا تتصادم نتائج بديهية مع نتائج بديهية أخرى . ولا تستنتج احدى هذه البديهيات من بديهية اخرى فكل منها وحدة مستقلة عن غيرها بالاضافة الى انها تسير مع رفيقتها يداً بيد لتصلا الى نفس الغاية وتعملان بوئام على خلق الجسم الكبير من المنطق السديد أو العلاقات القابلة للتفسير المادي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهندسة اذن نمط من المنطق الشكلي — كما يتبين بجلاء الآن — فتتطور النتائج تبعاً لتطور المقدمات. وليس يعوزنا الدليل اليوم بعد جهود مشكورة بذلها أمثال كانتور وهويتهد ورسل على أن الرياضيات على وجه العموم لا تزيد عن ان تكون صورة أخرى للمنطق المحض. يبقى سؤال أخير لا نشعر أن الموضوع يصل حدًّا يحسن السكوت عنده، قبل أن نشير اليهِ ونحاول الاجابة عنهُ. لا بدَّ أن نسأل الآن: أي هذه الهندسات أصلح لوصف الحيز المألوف وعلاقات الابعاد بين أجزاء المادة الموجودة فيهِ ؟

تسير جميع الهندسات بكافة أنواعها في حلبة الدقة الرياضية على قدم المساواة، فما يقال عن نظام اقليدس يمكن أن يقال عن كلّ نظام آخر ما دامت تتوافر فيه تلك الشرائط السابقة، وما دامت استنتاجاته تتمشى مع قواعد المنطق الصحيح. ومن هنا لا يمكن القول بأن هذا النظام فاسد والآخر سليم. فيبقى علينا بعد ذلك أن نترك للتجربة أن تفصل وتختار الأنسب. والهندسات المهمة الثلاث لا تختلف في استخراج الأبعاد اذا كانت المسافة المقيسة قصيرة، أما عندما ننتقل الى الأبعاد الشاسعة فتتضارب النتائج وتتضح الفروق. وبحسب رأي ادنغتون تكون هندسة الكون ريمانية (بالنسبة الى ريمان)، لأن التجربة المستقلة عن كل تفسير أو فكرة سابقين A priori، والقياسات بالساعات أو بأشعة النور أو بالذرات الموجية لا تترك مجالاً للاختيار وتبرهن لنا على اننا نحيا في حيز «لا اقليدسي» تنطبق عليهِ نظريات هندسة الحيز الناقص تمام الانطباق. وطبعاً يعضد هذا الرأي جميع أنصار النسبية في العالم اليوم. أما الدكتور كيزر فيرى ان لكل هندسة فضاءَها الخاص بها. فلا تتغير الهندسة لتنطبق على الحيز وانما يتغير الحيز ليوافق مقررات الهندسة. وما دام تفكيرنا نظريًّا فاننا لا نستطيع ان نفاضل بين الهندسات. اما عندما ننتقل الى عالم الحس فان الرجل العملي الكامن في نفوسنا يستطيع ان يختار من النظم ما يسهّل تفكيره ويبسط معادلاته ويعلل مشاهداته. ويرى رسل ان اختيار هندسة بعينها قضية مصلحة فكرية قبل ان يكون مشكلة وصف الحقائق كما هي في الواقع. اما هويتهد فيقول إن الحيز المتغير الذي جادت به نظرية النسبية وهمٌ باطل يجب رفضه على الاطلاق

من هذا نحكم بأن الجواب عن سؤالنا بثقة واطمئنان عسير وغير ممكن لان قادة الرأي العلمي لم يجمعوا على الحل النهائي. ولكننا لا نعدو ما يشبه الصواب اذا قلنا إن الأغلبية الساحقة من رجال العلم تقبل على اعتناق مبادىء النسبية. ولعل من أهم مبادئها الأساسية مبدأ تحدب الحيز وعدم صلاحية اقليدس لوصف المادة فيه وصفاً دقيقاً صحيحاً

السلط — شرق الاردن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ألطاف دمشقية

للدكتور بشر فارس

أريد أن أحدثك عن ناحية من نواحي الثقافة ، وهي أجنبية عما يتصل بالمكتوب والمخطوط . وليست الثقافة كلها محصورة في خزانة صحائف ، وانما الثقافة تفتح لكل ما يصقل الذهن وينعم الحس ويغذو الضمير

من سفح ذلك الجبل المنساق الجرد ، صنّين الأزلي انحدرت الى ربوع الشام . فغادرت، على كرهٍ مني ، قرية « الشخروب » المعلقة فوق بلدة بَسْكِنْتا كالقرط في أذن الأثير ، المستلقية عند قدم صنّين تبتهل وتستعطف . وغادرت هنالك رجلاً وجد في نفسه ما يقويه على احتمال ذلك الضغط الأزلي فيرفع ببصره الى القمة البيضاء بياض الحقيقة ولا ينكسر لحظه . هجمت على صومعته فشغلته عن مشاهداته الباطنة فلم يغضب بل تلقاني مسماح النفس : تلقى نزق الانسانية واضطرابها لعله يمسح جراحاتها بين جبل صلب شامخ وواد شظف هاوٍ لدى سكون صافٍ يكشف عن اسرار الوجود

غادرت الشخروب وصاحبها ميخائيل نعيمة الى دمشق . دخلتها وصورتها متمثلة ترافقني في الحاح لطيف كأنها معشوقة نحتت من لطائف المادة فلا هي تبلى ولا هي تثقل . وكنت تنسمت أريجها من بعد ساعة ، من قرية شتوره ، من نزل المسابكي حيث الخُلق على كرم والذوق على رهافة : في جوّ النزل انشراح من يلقاك كأنهُ يضيفك عن محض وده . وعلى الأسرّة وبالحيطان محاسن أصناف الكيليم المسمى اليوم « سوماك » (شماخي أصلاً)

اني محدثك عن خفايا تلك الطرقات الضيقة كأنها مهدت لخطّى خفاف رقاق متقاربة ، وعما وراء تلك الدور الفخمة تظنها من الخارج أشباه سجون للسور الذي يحدها ويحجزها عنك حجزاً وللباب الدقيق يهدد أعلاه جبهتك القاحمة . أحدثك عن ولع الدمشقيين بالألطاف والتحف . ومثل هذا الولع عندي من دلائل الثقافة المغروسة في الانفس المستقرة في الطبائع لأن منبثقها الذوق السليم المرفّه . ولا أشك ان الطنافس التي جمعها علي باشا ابرهيم والالواح التي اقتناها محمد محمود خليل بك والصور الفارسية التي يعرضها الآن شريف صبري باشا في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دار الآثار العربية وأنواع الكمان التي تلقفها يوسف فارس، ذلك الى جنب التحف المختلفة تزين دور علية القوم عندنا أو أهل الترف امثال عنايت هانم سلطان ويوسف باشا ذو الفقار وخليل ثابت بك، فضلاً عن أفراد الأسرة المالكة، لا اشك انها جميعاً تمد في رقي مصر

والحق أني لا أستطيع أن أحدثك عن ألطاف دور دمشقية كثيرة، ذلك أني لم ألبث في هذا البلد الجميل طويلا. سأحدثك عن ثلاث دور زرتها غير مرة وأشهد أن نشاطي لزيارتها لم يفتر بعد:

السيد سعيد الرشاش رجل بين السبعين والثمانين. في أنامله رعشة المتحسس أبداً، تحسس مدة خمسين سنة الخزف البراق والزجاج الشفاف. وقد رأيت في ردهة داره من الأرض حتى السقف رفافاً متلاصقة تشكو زحام الأواني الصينية والعربية، ويا روعة الأواني الصينية! فيها اللونان اللذان بهما تحلم متاحف العالم فتتسابق اليهما: أصفر الياقوت الجلناري وأزرق الفيروز المشرق. ولما التفت الى السيد سعيد الرشاش مبهوتاً أخذ بيدي الى ... أتدري الى أين؟ الى المطبخ. معاذ الله! من خزانات المطبخ — والنحاس الرذيل فوق التنور ينظر ساخراً، والخشب الخشن بالحائط يتحدى — أخرج صاحب الدار صينيات لو علم بها أهل الصين لغزوا دمشق. فلما سألته عن هذا التدنيس غضباً بعض الشيء. قال: ربما عظم لديك ما هان عندي لوفرة ما أشاهد. ثم جذبني الى حجرة مغلقة، فتقدمني في خشوع ورفّق يده ثم تناول إبريقاً ارجوانيًّا كأنهُ نبذة من مغيب شمس وقال لي في صوت متباعد: ظفرت بهِ في بغداد لثلاثين سنة خلت وحملته من عروته من هنالك الى هنا، فلما وصلت دمشق ظللت أسبوعاً وعيني مكحولة بالارجوان لا ترى الابيض والاسود والتبني وغيرها إلاَّ من خلال بريق هذا الابريق. قلت: بربك نحّهِ عن بصري، فاني أريد أن أنعم بخضرة «الغوطة» وصفرة تل «المهاجرين ... وتركت الشيخ الرشاش وأنا أكبر حسه الرقيق

وأما الدكتور يوسف عرقتنجي فصريع البلور المزوّق، البلور المصنوع في بوهيمية لقصور تركية وفارس. وقد شهدت سلم ألوان لو جمع بعضها الى بعض لتمثلت لك الشمس عند ولادتها وهلاكها: أكواب نحيفة صنعةً ثقيلة وزناً منحوتة في البلور الذي يلف تعاريج الشعاع ويشتف اهتزازات الضوء، وأباريق على لونين أو ثلاثة أو أربعة، هذا داخل وذاك بارز، هذا ممتد وذاك منقبض، ونارجيلات مرسلات أعناقها مطوقات بخالص الذهب المدسوس في التجاويف البليغة. ثم ان الدكتور الجمّاع مفتون بالصور العتيقة، وتواريخها تنبسط من المائة العاشرة الى المئة السابعة عشرة، وفي جملتها خمس أو ست لم تكاشفني بجميع أسرارها بعد، واذكر لوحاً للمائة الرابعة عشرة يثبت وجه قديس، وجهاً مشغولاً بالسماء مثّل لي الشطحات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوجدانية التي قيّدها El Greco في مختتم المائة السادسة عشرة بفضل ألوان متقدة واشارات متوهّـمة واشكال منزّهة عن دُنى المادة . ذلك غير ما في الدار من مطرّزات نوادر

بقيت الدار الثالثة وهي فريدة جامعة وصاحبها السيد حنا سركيس . وروعتها في البناء أول كل شيء . هي دار عربية اندلسية قديمة العهد قائمة في « باب توما » تتحدى العمارة الاوربية الهاجمة علينا بقبحها ونحن نتقبلها بحماقة وان نافرت حاجاتنا وعارضت طبائع اقليمنا ، بل نتعصب لقبحها كما نتعصب لكل ما ينقض علينا من جهة الغرب كأننا لا نملك شيئاً ولا نظفر بتاريخ ولا ننعم بذوق :

صحن منبسط مفروش بالبلاط المنمق اتسع واملاسّ ، وحوض مرمري ثم ايوان مروّق كالمرتفع يجذب وهمك الى عهد بحتري، تجلس فيه الى الفوّارة فكأنك تنشط لمعبد او لسلامة . وعلى جانبي الصحن غرف مخشّـبة الحيطان والسقوف ، يا له من خشب محفور ومنقوش صنعتهُ أيدٍ فارسية تارة دمشقية أخرى، وفي بيت «الكردلية» بجوار جامع طولون في مصر ما يطاول ذلك الترف أحياناً. فغرفة رُمّانية وثانية فستقية وثالثة لازوردية ورابعة مشمشية كلها أصباغ كأنها غمست في أشعة الياقوت والزمرد . وفي الخُـُشب فجوات وانفراجات تتناظر فيها صنوف من الطرائف منضودة : بلور وخزف وفخار ونحاس وقيشاني وفسيفساء ، كلها من عهود مضت ، من عهود الحضارة العربية المذهبة . وكثيراً ما تمهلت عند لَطَـف من الألطاف أو أثر من الآثار وأنا أزن مبلغ ما كنا صعدنا اليهِ ، فأشكر لصاحب الدار ان يمتع بصري برواح جاهٍ لله كيف توهّـج !

وتمتاز دار السيد سركيس بعد ذلك بما فيها من ضنائن الطنافس . وقد عرضتها جميعاً ثلاث مرات أو أربعاً ، وعيني لا تمل ولا تشبع . ما هذه السجادات التركية القديمة بمحاريبها وأباريقها وأعمدتها : رسوم وألوان وانسجامات تحير النظر المستطلع ! ما أجمل هذه « الجيوردس » وألطف هذه « الكيرشهر » وأدق هذه «الكوله» وأجل هذه « اللادك » ثم الطنافس الفارسية ما أحلى أصباغها ! مسح الدهر حدتها ولطّف زهوتها وموّج ضوءها

ان دار السيد سركيس من فتن دمشق ، وهي عزاء عن الذوق الفاسد المنبثّ الآن بين أهل المال الطريف ، وهي دليل ساطع على ترف الشرق العربي . هي قصيدة من الشعر ، وزنها ولفظها وصورتها تتسق سرّاً فتفيض ابهاماً وايحاءً في بلد ماذنه المنطلقة تنظر الى الدور من عل تتنزه عن زينة الدنيا ، ومقاماته وزواياه وقبابه منتشرة في المدينة يحفها السرو والحور يضربان بينها وبين ضوضاء العالم وجلبة الاسواق ، فتى اهتدى البصر اليها واستراح صفا واطمأن وبعد وربما نفذ فاتحد بالحقيقة ؟

الورقاء

لعدنان مردم بك

أرسلتِ شدوكِ في الصباح بكاءَ   فأثرتِ داء في الفؤاد عياءَ

لله نوحكِ ما أمضَّ رنينه   وأرقَّ لحنكِ إذ شدوتِ مساءَ

ذكر الغريبُ ربوعه فجرى الأسى   من مقلتيه مدامعاً ودماءَ

وذكرتِ إلفكِ في الضحى فبكيته   أسفاً وكان النوح منك غناءَ

وأمضُّ أنواع المصائب في الورى   ما يستثير الضحكة الصفراءَ

كم بسمةٍ زهراء تخبيء دونها   جرحاً وتخفي عبرةً خرساءَ

***

مدَّ الصباح الى الرياض ذراعه   شوقاً وعفَّر جبهةً شماءَ

كم قبلةٍ للصبح في كنف الرُّبى   تاهت بها بنت الربى خيلاءَ

قبلٌ كما شاء الهوى محمومة   بعثت سمادير الرؤى إغراءَ

مدَّت لها العذراء من حرق الهوى   شفةً مضرجة المنى لمياءَ

نار من اللذات تورث صدرها   غصصاً وتوري في الضلوع الداءَ

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

والورد من شغف الى قُبل الضحى مدَّ الرؤوس تلهفاً ورجاءَ
ولربَّ أمنيةٍ تساور غصنه تركته يطرق في العشي حياءَ

***

ورقاء ما كان الشباب براجع فعلامَ نخدع نفسنا البلهاء
ضلَّ الذي اتخذ الأماني كنزه ومضى يشيّد في الهباء بناءَ
لم تترك الأيام ثغراً باسماً منا ولا عيناً لنا كحلاءَ
حمل الانام جراحهم ومشوا بها يتنفسون من الأسى الصعداءَ
والناس اما واجم من دهره أو ساخر ألفى الحياة هراء
فمضى يقابل بالسكون مصابه شمماً ويسخر بالمنى استهزاءَ

***

غني فقد طاب الغناء ورجعي لحناً يكون لذي القروح عزاءَ
كم سجعةٍ لكِ كالاماني حلوة رجّعتها قرب الغدير عشاءَ
قد أرثت في الصدر نيران الأسى وهناً وأبكت مقلة مهراءَ
شدَّ الغريبُ على الحشا من شجوه بيد وأجهش حرقة وعناءَ
ويح الغريب اذا تملك قلبه يأسٌ وملَّ من البعاد ثواءَ

***

ورقاء ما أبهى الحياة لمبصر فهم الجمالَ وقدَّر الأشياءَ

دمشق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم والتعاون العالمي

للدكتور علي مصطفى مشرفة بك

عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول (١)

هذه حلقة في سلسلة من المحاضرات موجهة نحو المشكلات التي سوف يواجهها العالم يوم ان تقف الحرب . فالخطباء الذين تقدموني قد تعرضوا لنواح مختلفة من نواحي التعاون بين الأمم من اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها وفي هذه المحاضرة اعالج الناحية العلمية

ولن اخوض في امر التعاون بين الأمم من ناحية امكانه او استحالته وانما أفرض فرضاً ان النية قد عقدت على هذا التعاون . فالمقصود من هذه المحاضرات انما هو الوصول الى معرفة ما ينبغي ان يكون . ومعرفة ما ينبغي ان يكون خطوة لازمة وسابقة بالضرورة لتكييف ما هو كائن

— ١ —

كيف ينبغي ان يوجه العلم والعلماء لتحقيق تعاون عالمي ؟ ان التعاون العالمي بين العلماء قائم منذ سنين . فالعلماء في مشارق الأرض ومغاربها يكوّنون أسرة واحدة تربطهم روابط لا انفصام لها . فالعالِم الاميركي في معمله يتم بحثاً وينشره في مجلة اميركية باللغة الانكليزية وبعد مدة وجيزة تكون هذه المجلة في ايدي علماء اوربا وآسيا وافريقيا واستراليا فاذا هم عاكفون على دراسة هذا البحث ثم هم بعد ذلك معقبون عليه او ممحصون له . وقد يحدث ان يثير هذا البحث اهتمام عالِمٍ في آسيا فيقوم بتجربة متممة لتجربة العالم الاميركي وينشر نتائجها في مجلة يابانية بلغة اخرى كاللغة الالمانية ثم يتلقف الكرة بعد ذلك عالم نرويجي ينشر بحثه باللغة السويدية وهكذا . بل ان الذي يحدث في كثير من الاحايين هو ان يشتغل العلماء في قارات البسيطة المختلفة في بحث مسألة واحدة فتتكوّن فرق من العلماء في فروع العلم تجمعهم الرابطة العلمية وان تفرّقوا على سطح المعمورة

هذا التعاون العلمي قائم بين العلماء منذ سنين وقد نشأ عن تنظيمه والعناية به في اواخر القرن الماضي وفي القرن الحالي ازدياد عظيم في تقدم العلم ووفرة في الانتاج العلمي ولعلكم

(١) محاضرة ألقيت في جامعة القاهرة الاميركية

https://t.me/megallat

oldbookz@gmail.com

تعرفون انه عدا تبادل المجلات العلمية بين الامم المختلفة هناك وسائل اخرى لتحقيق تعاون العلماء كعقد المؤتمرات وتبادل الاساتذة بين الجامعات وارسال البعثات العلمية وانتخاب اعضاء اجانب ومراسلين في المجامع العلمية وغير ذلك من وسائل التعاضد والتساند. وقد نشأ عن هذا كله ان صار العلماء في مشارق الارض ومغاربها ينظرون الى انفسهم كأسرة واحدة يعين كبيرُها صغيرَها ويعطف عليه ويجل صغيرُها كبيرَها ويسترشد بهِ، وللجميع غاية مشتركة هي رعاية شجرة المعرفة وانماؤها واحلال نور المعرفة محل ظلام الجهالة. وفي وسط هذا كله يقوم التنافس السليم المشروع بين العلماء جميعاً، تنافسٌ لا يشوبه حقد او أثرة حتى اذا ما وصل عالم الى الكشف عن حقيقة علمية ووفقَ في الوصول الى ما لم يوفق اليه غيره، اكبرَ العلماء نبوغه وعبقريته وجده واخلاصه واحلّوه المكان اللائق بهِ بينهم. ولا شك في ان حجر الزاوية في بناء هذا المجهود التعاوني انما هو حب العلماء للحق وشغفهم به واخلاصهم في طلبه فهذا هو الذي يلهمهم اعمالهم ويهديهم سبلهم

ومما تجب ملاحظته ان هذا التعاون بين علماء الامم المختلفة لم يكن ليتحقق لو لم يسبقه تنظيم التعاون بين علماء الأمة الواحدة وهذه حقيقة ارجو ان تولوها ما تستحقهُ من عناية. لأنها لا تنطبق على التعاون العلمي وحده ولكن على كل تعاون منتج بين الامم. فقبل ان تنشأ الجمعيات وهي التي تنظم المؤتمرات التي تشترك فيها الدول المختلفة وجدت الجمعيات التي يربط كل منها بين علماء الدولة الواحدة. وبعبارة اخرى كان من الضروري ان ينشأ المجمع العلمي في باريس والجمعية الملكية في لندن والمجامع العلمية في وشنطن وطوكيو قبل انشاء الجمعيات الدولية الدائمة في جنيف وبروكسل

وخلاصة ما تقدم ان التعاون بين العلماء حقيقة واقعة وان اساليب هذا التعاون قد درست ونظمت بحيث لا ينقصها الا التطور الطبيعي دون مساس بالأسس التي بنيت عليها. الاّ ان هذا التعاون محدود المدى فهو لا يخرج عن دائرة العلوم الاكاديمية وهي دائرة كما تعلمون لا تكاد تمس حياتنا اليومية. فالعلماء يشتغلون في معاملهم ومكتباتهم وجامعاتهم ويحضرون المؤتمرات الدولية ويتعاونون جميعاً على غرضهم المشترك وهو الوصول الى المعرفة. وهم في هذا كله بعيدون عن مشكلات السياسة والحرب والاجتماع لا يعنون بأمرها الاّ بقدر ما يعنى الفرد العادي او دون ذلك. لا شك في ان موقف العلم هذا من المجتمع موقف تقليدي قد تحدد في القرون الوسطى بل انهُ قد تحدّد منذ العصر الاغريقي والعصر الاسلامي. ولعلكم تعرفون الحكاية التي تروى عن اقليدس اذ دخل عليهِ رجل فوجده يرسم دوائر ومثلثات وينعم النظر في اشكالها الهندسية فسأله ما الفائدة من هذا كله. فكان رد اقليدس ان صفق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بيديه لخضر خادمه فقال اقليدس للخادم أعط هذا الرجل ديناراً . ومغزى هذه الحكاية ان العالم انما يطلب العلم لذاته شغفاً بهِ وحبًّا فيهِ فمن كان يريد الفائدة المادية فليطلبها عن طريقها وليترك العلماء منهمكين في بحوثهم مقبلين عليها ناعمين بها . هذا هو الموقف التقليدي للعلم ازاء المجتمع وهو موقف سليم في حد ذاته او انهُ كذلك من وجهة نظر العلم اذ لا شك في ان النفس البشرية توَّاقة الى المعرفة، وحبُّ الاستطلاع غريزة لا تقل في شأنها او في عمقها النفسي عن غيرها من الغرائز البشرية وليس لانسان ان يعطي لعمل ما من اعمال البشر قيمة اعظم من قيمة الاشتغال بالعلم

ولكن أمن الممكن ان يبقى العلماء في صوامعهم متجاهلين ما بين عملهم وبين المجهودات البشرية الأخرى من صلة تزدادُ قوة بمرور الزمن ؟ كلنا يعلم ان الصلة بين نتائج البحوث العلمية وبين حياتنا اليومية اذا أمكن اهمالها او التغاضي عنها في القرون الوسطى لضآلتها في ذلك العهد ، أقول اذا امكن ذلك في القرون الوسطى فقد صار غير ممكن في عصرنا الحالي فكل ما يحيط بنا في حياتنا الحديثة او جله مرتبط بالعلم بل وناتج عنه . والعلماء اذا استطاعوا ان يعيشوا في بروجهم العاجية في القرن السادس عشر دون ان تزعجهم ضوضاء الحياة المحيطة بهم فانهم لن يستطيعوا ذلك اليوم وقد ارتفعت جلبة حياة الأمم والافراد بحيث لم تعد تقي العلماء منها بروجهم ولا صوامعهم — والغريب في هذا الأمر ان هذه الجلبة التي أصبحت تقلق راحة العلماء انما هي نتيجة لما فعلته ايديهم فهم مع حرصهم الشديد على عيشتهم الهادئة ليتفرغوا للعلم والبحث العلمي قد أتاحوا للمجتمع نتائج بحوثهم فلم يلبث ان استخدم هذه النتائج في إحداث تلك الجلبة التي تعكر على العلماء صفوهم وتكدر هدوءهم . وأدهى من ذلك ان هؤلاء الذين يحدثون الجلبة بطياراتهم وسياراتهم ويعكرون صفو الحياة بدباباتهم ومدافعهم قد بدأوا يحدثون نوعاً جديداً من الصخب في اقوالهم فهم يزعمون ان هؤلاء العلماء الوادعين الهادئين هم المسئولون عن هذه الآلات المستحدثة التي تضج بها الأرض والسماء وهم يلقون التبعة على العلم والعلماء فيما استحدثوه من آلات مهلكة وادوات مفزعة . وأظنكم توافقونني على انه ازاء هذا كله لم يعد من الممكن للعلم ان يحتفظ بموقفه التقليدي ازاء المجتمع وان يبقى العلماء قابعين في صوامعهم وبروجهم العاجية بل صار عليهم ان يتبصروا في ما حولهم وان يعيدوا النظر في موقفهم ان لم يكن لسبب آخر غير الاحتفاظ بهدوءهم وراحة بالهم

على العلم اذن ان ينظم العلاقة بينه وبين المجتمع وعلى العلماء ان يدرسوا هذه العلاقة وان يحددوا ما ينبغي ان يكون عليهِ الحال بين العلم والمجتمع وان يوجهوا مجهوداتهم في هذا السبيل توجيهاً صحيحاً يكفل للعلم النماء ويؤدي بالبشر الى الرخاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٢ —

ويظهر لي ان اول نقطة جديرة بالبحث في هذا الصدد انما هي المسئولية الأخلاقية التي تقع على عاتق العلم والعلماء او يظن انها تقع على عاتقهم ازاء تلك الآلات والمخترعات الجهنمية التي ترمي الى اهلاك البشر وتعذيبهم. وهنا يجدر بالمفكر ان يفرق بين العلم البحت الذي يرمي الى المعرفة لذاتها والى نوع آخر من المجهود البشري له صلة بالعلم وان لم يكن منهُ في شيء. واقصد به الاختراع او العلم التطبيقي كما يسمى. ويميز العلم التطبيقي عن العلم الصحيح او العلم البحت بالغرض الذي ينشده والهدف الذي يسعى اليه. فالاختراع او العلم التطبيقي لا ينشد الحقيقة ولا المعرفة وانما يطلب شيئاً آخرَ هو استحداث آلة او وسيلة تمكن صاحبها من فعل معين كالطيران في الجو او الغوص في الماء او تدمير هدف او تسميم نفر من الناس او غير ذلك من الاغراض التي يسعى اليها الساعون. والنقطة الجوهرية في هذا الموضوع انهُ لولا المعرفة التي يصل اليها العلماء لما تمكن المخترع من استحداث آلته. فاذا كانت الآلة ضارة أو مهلكة جُعل العلم مسئولاً عنها بطريق غير مباشر. ولاشك في أن المسئولية الحقيقية في استخدام مثل هذه الآلات انما تقع على الذين يقومون على صنعها وعلى استخدامها في التدمير والتعذيب. فكل علم يمكن أن يستخدم في الخير كما يمكن أن يستخدم في الشر وكل ما يمكن أن نطلبه الى العلماء هو أن يبينوا الأخطار التي تنجم عن تطبيق علمهم في اختراع مثل هذه الآلات. وعلى القائمين على تنظيم التعاون العالمي أن يسنوا القوانين لدرء هذه الاخطار وأن يعاملوا من تحدثهُ نفسه باستخدام نتائج العلم في التدمير والتخريب، معاملة المجرم سواءً بسواء، وان يكون لديهم من سلطة التنفيذ ما يمكنهم من معاقبة هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم وقطع دابرهم. والنظام القائم الآن في الامم المختلفة يسمح لكل مخترع باختراع ما يشاء من آلات كما يسمح له بتسجيل اختراعه بحيث يصبح لهُ الحق في الحصول على الفائدة المالية التي تنشأ عن استخدامه ولا تفرق القوانين الحالية بين المخترعات المختلفة ضارها ونافعها. وأكثر من ذلك تشجع كل حكومة المخترعين في استحداث وسائل التدمير والتخريب وترصد لذلك الاموال في ميزانياتها ويتسابق الجميع في هذا الميدان تسابقاً عنيفاً. ولاشك في ان هذا النظام فاسد يجب تغييره اذا كانت الامم جادة في طلب التعاون العالمي كما يجب أن يحل محله نظام آخر مبني على تفرقة واضحة بين ما هو مشروع وما ليس بمشروع في الاختراعات والوسائل المستحدثة. فاذا وضع نظام كهذا وتعاونت الامم على تنفيذه باخلاص وكانت لديها الوسائل الناجعة لضمان تطبيقه. أقول اذا حدث كل هذا فان المخترعين سيتجهون باختراعاتهم في النواحي المشروعة ونكون بذلك قد وجهناهم توجيهاً صحيحاً نحو فائدة البشرية.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويجب أن تعامل الحكومات في هذا معاملة الافراد سواءً بسواء . فالحكومة التي تشجع المخترعات الضارة تعدُّ حكومة مجرمة ويحال بينها وبين غرضها الدنيء بما يكون لدى القائمين على تنفيذ هذا النظام من وسائل السلطة المشروعة . ولست أرى ان هذا النظام كفيل بمنع كل اختراع ضار بالبشرية فالقانون والعقوبة لا يمنعان ارتكاب الجريمة على وجه الاطلاق فلا شك في ان بعض الحكومات أو بعض الافراد ستحدثهم نفوسهم الشريرة بالخروج على القانون وارتكاب جريمة الاختراع المهلك إلاّ أن هؤلاء سيكونون أقلية يستنكرها الرأي العام بين الأمم ويوقع بها العقاب المنصوص في مواد القوانين . ولعل بعض حضراتكم يظنني مستغرقاً في الخيال حين أتكلم عن معاقبة الحكومات إلاّ انني كما ذكرت في أول حديثي لا أتعرض لموضوع التعاون بين الامم من ناحية امكانهِ أو استحالته بل أتكلم عما ينبغي أن يكون واذن فلا يمكن أن يقوم اعتراض على قول مبني على فرض عدم احتمال التعاون .

اذن فالعلم انما يرمي الى المعرفة ولا يمكن ان يتهم بالتخريب والمخترعون ومن يقوم على تمويلهم وتشجيعهم هم الذين تقع عليهم التبعة الاولى وهؤلاء اذا نظمت امورهم ووضع لهم قانون نافذ ترتضيهِ الامم وتسهر عليه استقام الحال . هذه هي الخلاصة . ولكن أليس معنى هذا ان العلماء انما يتملصون بذلك من كل تبعة ويلقونها على غيرهم خطأً أم صواباً ثم يتركون الامر والتنظيم لغيرهم ويعودون الى صوامعهم والى موقفهم التقليدي ازاء المجتمع ? واذا كان الامر كذلك وأخشى انه كذلك فما هو الدور الايجابي الذي يريد العلماء ان يقوموا به في التعاون العالمي

— ٣ —

اذكر انني حضرت مؤتمراً عقد في لندن حوالي عام ١٩٣٠ سمي المؤتمر الاول لتاريخ العلوم وقد حضر هذا المؤتمر نفر غير قليل من العلماء قادمين من امم متعددة . في هذا المؤتمر سمعت الخطباء يضربون على نغمة واحدة ألا وهي ان تاريخ العلوم يجب ان يعنى به العناية كلها لأن التقدم العلمي أهم كثيراً للبشرية من الحروب التي يسجلها التاريخ وقد كان الغرض الاول من عقد هذا المؤتمر اثارة اهتمام الناس بتاريخ العلوم وتوجيه الجامعات والمدارس نحو العناية بهذه الناحية من نواحي التاريخ . وقد ذكر الخطباء وكرروا ان العلم هو الذي أعطى المجتمع البشري جل ما يملك من وسائل الحضارة والرفاهية وعابوا على المجتمع ان ينكر جميل العلم والعلماء فلا يحفل بأمر تاريخ العلوم في حين انهُ يعنى العناية كلها بتاريخ الملوك والامراء وما يحدث بينهم من حروب ومعاهدات وأشياء اخرى كثيرة هي في الواقع ونفس الامر قليلة الشأن تكاد تكون تافهة في تاريخ تطور البشرية اذا قيست بتاريخ العلم والاختراع . وقد تساءل بعض المتكلمين أيهما كان اكبر أثراً في تطور البشرية حروب نابليون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ام اختراع جيمس وط للآلة البخارية ؟ ولماذا نعني بتلقين أطفالنا ما حدث لنابليون في حياته العامة من أحداث حربية وسياسية بل اننا لنزيد على ذلك ما حدث له في حياته الخاصة من امور عادية . لماذا نفعل كل ذلك ولا نلقن النشء كلمة واحدة عن تاريخ اختراع الآلة البخارية وعن حياة ذلك المخترع العظيم جيمس واط . وما بذلهُ من مجهود مضنٍ في عمله المجيد . رجل يقتل الناس ويرمل النساء وييتم الأطفال نعده بطلاً ونعنى بشأنه العناية كلها وآخر يرفه عن الناس ويجلب لهم الخير والحرية والسعادة فلا نكاد نذكره او نتحدث عنه . ولا شك أيها السادة ان هذا التساؤل ينطوي على منطق قوي وادراك صحيح لقيم الاشياء . الاّ انني لاحظت ان هؤلاء الخطباء في ذلك المؤتمر بالرغم من قوة منطقهم وصحة تفكيرهم لم يصلوا الى شيء يذكر من وراء عقد مؤتمرهم . فالمؤتمر نظر اليه كاجتماع عادي لطائفة من العلماء تنازل احد وزراء الدولة بافتتاحه ثم القيت الخطب وانتهى الاجتماع على ما تنتهي اليه أمثاله من اجتماعات العلماء وبقيت مناهج الدراسة والامتحانات العامة في سائر الأمم تعنى بأمر نابليون وتهمل امر جيمس وط . وقد دار بيني وبين بعض المؤتمرين في ذلك الحين حديث قوامه هذا الإعراض من جانب المجتمع عن امر العلم والعلماء وهذا الاعتكاف عن المجتمع من جانب العلماء انفسهم . ثم تساءلنا اذا كان العلم يمنح المجتمع جميع أسباب الرفاهية فلماذا لا يكون هو صاحب السلطان في تنظيم هـذه الرفاهية التي هو أصلها ومنبع معينها ، ولماذا يعطي العلم للمجتمع النور الكهربائي والقدرة الكهربائية هبة خالصة لوجه الله تعالى ، هـذه الهبة التي يقدر ريعها السنوي بمئات الملايين من الجنيهات ثم هو بعد ذلك يعود فيستجدي المجتمع بضعة قروش أو جنيهات ليصرفها في البحث العلمي . ألم يكن أولى به ألاّ يهب شيئاً وأن يحتفظ لنفسه بكل شيء أو على الأقل أن يحتفظ لنفسه من الهبة بقدر حاجته ، هـذه هي الأسئلة التي عنّت لنا ولا تزال تعن للمفكر كلما أنعم النظر في العلاقة التي ينبغي أن تكون بين العلم والمجتمع

فلما أعلنت الحرب الحالية نشأ الى جانب هـذه الأسئلة سؤال آخر هام هو الآتي : أيستطيع العلم والعلمـاء أن يقفوا منعزلين عما هو حادث في العالم اليوم من تخريب وتدمير خصوصاً اذا لاحظنا ان ما وهبوه للمجتمع من العلم هو السبب الأول الذي لولاه لما أمكن هذا التدمير . وأليس من واجبهم وهم قوم قد جبلوا على حب الخير والحق أن يبذلوا قصارى جهدهم كي لا تتكرر المأساة الحالية وهي ان تكررت كانت في الغالب أدهى وأمر ؟ لنفرض ان رجال السياسة ورجال الأعمال بعد هذه الحرب لم يفلحوا في أن يحققوا التعاون العالمي المنشود بين الامم ، أليس العلماء في مقام يسمح لهم بانقاذ البشرية من سوء هذه العاقبة ؟

[للبحث تتمة]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غربٌ حاكم وشرق محكوم

لميخائيل نعيمة

من الأوهام المسيطرة على عقول الناس — وما أكثرها ! — وهمهم ان في مستطاع انسان أن يحكم انساناً من غير أن يكون محكوماً منهُ . والواقع انهُ ما قامت علاقة بين مخلوق ومخلوق إلاّ كان فيها شركة للاثنين ، وكانت حصة الواحد معادلة لحصة الآخر

فأنتم ما أغتذيتم بلحم الأرض ودمها إلاّ غذيتموها بلحومكم ودمائكم . ولا استخدمتم بهيمة إلاّ كنتم خدّامها . ولا ملكتم شيئاً إلاّ ملككم . ولا حكمتم انساناً إلاّ حكمكم

هل عرفتم ربّ عائلة ما تحكّم فيهِ كل فردٍ من أفراد عائلته ، حتى الذي ما برح مقمّطاً في المهد ؟ أو هل سمعتم بقائد قاد جيشاً وما قاده جيشه ؟ أو هل قرأتم من كتاب إلاّ على قدر ما قرأ ذلك الكتاب منكم ؟

لا يستطيع حاكم أكثر مما في استطاعة محكومهِ . فقدرة المحكوم هي قدرة الحاكم . واذ ذاك فما معنى هذه الهالة من الجلال والعظمة والسؤدد والرفعة والسعادة تنسجها أوهام الناس حول هامات حكامهم ، ولا تجد غير الذل والحقارة والصغارة والطاعة العمياء ونكران الكرامة تنسج منها أقنعة لأبصار محكوميهم ؟

ان يكن في الحكم جلال فهو جلال المحكوم قبل أن يكون جلال الحاكم . أو تكن فيه صغارة فهي صغارة الحاكم والمحكوم بالسواء

وما علاقة الحاكم بالمحكوم سوى علاقة طارئة تفرضها احوالٌ طارئة من عالم خفيّ ما توصّل الانسان بعد الى الوقوف على أسراره والسيطرة على منابعها ومجاريها . فحاكم

الأمس يصبح محكوم اليوم . ومحكوم اليوم يغـدو حاكم الغد ، لا كسباً لشرف أو امتهاناً لكرامة ، بل امتثالاً لمشيئة البشرية الخفية في سيرها نحو المثل الأعلى ، وتحقيقاً لرغبات في نفسها لا تزال أبعد من متناول مداركها وأعمق من نفوذ وعيها

***

والسرّ في عـدم ثبات الحـكم البشري وسرعة تنقله من يد الى يد ، ومن فئة الى فئة ومن شعب الى شعب ، انما هو في النفس البشرية وما في زواياها الغريبة من خبايا عجيبة

انهُ لمن الصعب أن تسوق قطيعاً من الغـنم بعصاً واحدة . فلا بدَّ ولو من كبش واحـد يتمرَّد على عصا الراعي وصوته . فكيف بقطيع من البشر تسوقه بعصاً واحدة ، والى الأبد ؟

أما كان فرعون سيّـد مصر المطلق يوم جاءته ابنته بلقيط حظيت به على ضفّـة النيـل فربّـاه في قصره ؟ وذلك اللقيط جرّ فرعون ومركباته فيما بعـد الى مدفن من الاوحال في قعر البحر الاحمر . فأيّ الاثنين كان حاكم الآخر ؟ أفرعون كان حاكم موسى ، أم موسى كان حاكم فرعون ؟ ومن أين كان لفرعون أن يعرف القوى المدفونة في نفس موسى والغاية التي ندبتهُ لها المشيئة الـكليّـة ؟

أما كانت رومة الحاكمة المطلقة في الجليل واليهودية يوم وُلد ابن مريم ويوم راح يبشر بملـكوت الله ! وها هي ذي بشارة ابن مريم لا تزال ماشية من فم الى فم ومن قلب الى قلب، فأين رومة وجحافل رومة ؟ أكانت رومة حاكمة الجليل أم كان الجليل حاكم رومة ؟ ومن أين كان لرومة أن تتكهّـن بما ستنفتح عنهُ شفتا الطفل المولود في مذود للبهائم في بيت لحم ؟

أما كانت قريش سيدةً لا يناهضها مناهض في مكة يوم قام يتيم لا سلطان في يده يدعو الناس الى الالـه الأوحد ؟ وأين اليوم سلطان الذين اضطهدوه وقاتلوه من سلطانه ؟ أكانوا هم حكامه ام كان هو حاكمهم ؟ ولو درت قريش يومذاك بما انطوى عليـه قلب ذلك اليتيم من قوى واسرار لخرَّت امامه صاغرة بدلاً من ان تتصدى له بسوء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والآن ماذا عساكم تقولون فيمن يقول لكم ان مشكلة الحكم ما بين الشرق والغرب ليست بالمشكلة التي تتوهمون . فالغرب لا يحكم اليوم الشرق اكثر مما يحكم الشرق الغرب . لكنما المؤسف والموجع في هذا الحكم ألاّ يكون فيه ما يشرّف او يمجّد الاثنين . فهو لا يقوم على مودة واخوة ومحبة حَسرية بان تربط التوأمين ، بل على منافع موهومة تذروها الايام والليالي فاذا بها حسك ولا حَسَبّ ، واذا بها ألعوبة للرياح

***

ومن ثمَّ فأيّ حكم دام وأي حاكم تمكّن يوماً من سبر اعماق محكومه والوصول الى كل ما في اغوارها من قوى هاجعة تتململ للوثوب ؟ وان هو لم يتمكن من ذلك فبماذا وكيف يصون حكمه ؟ ومَن يدري بماذا حبل هـذا الشرق في غضون هجعته الطويلة وبماذا يتمخض اليوم ؟

انهُ لا شك يتمخض بأمور أعجب وأعظم بكثير من التي يحلم بها أبناؤه ويحسبونها من خطر الشأن في أعلى مكان . فهم يحلمون — في جملة ما يحلمون — بعنقاء يدعونها الاستقلال . ويتوهمون انهم اذا ما ظفروا بها يوماً ظفروا بالغبطة التي ما بعدها غبطة

ألاَ ليت الاستقلال كان ما يتوهمون . ألا ليتهُ ما كان اكثر من استبدال حكم بحكم ، ووجه بوجه ، ولسان بلسان

ألا ليتهُ كان ينال — كما يزعمون — ببذل الفلس والدم . اذن لما كان اغلاه نعمةً يبتاعها الناس بمثل ذاك الثمن الزهيد

لكن الاستقلال غير ما يزعمون . فما استقلّ انسان في قلبه من الضغائن بثور ودمامل ، وفي فكره من المخاوف ديجور فوق ديجور . ولا استقل من كان الفلس في جيبه سيده واميره . ولا من كان مقوده في يد غير يده

وأيُّ أبناء هذا الزمان ، أيُّ شعوبه ، أي أمصاره يستطيع القول بأن مقوده في يده ؟ ألعلّ لا حاكم للانسان الاّ الانسان ؟ اذن أين أنتم من الموت ؟ ومن الطبيعة التي اذا ما فتحت كفها فوق حاجاتكم أغرقتكم ، اوأمسكتها دون حاجاتكم خنقتكم ؟ بل أين أنتم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من الذبابة والبعوضة والجراثيم التي لا تبصرونها تقضّ عليكم مضاجعكم وتعتّم حتى النور في أبصاركم ؟

ان تكن تلك حالكم مع انفسكم ومع غير الناس فكيف بحالكم مع الناس ؟ من منكم ليس محكوماً من نسيب او حبيب ، او صديق او عدوّ ، قبل ان يكون محكوماً من رئيس دولة وقاضٍ وشرطيّ ؟

***

ما من مناص للانسان من الانسان وحكم الانسان . وكذلك الشعوب — ما تجانس منها وما تخالف ، وما تصادق منها وما تعادى — لا مناص لأيّ منهـا من ان يكون حاكماً ومحكوماً في آن واحد . ومن خيّـل اليهِ العكس — من توهم ان في مستطاع قبيلة ان تسود الى الابد من غير ان تكون مسودة — كان في حاجة لا الى الاستقلال ، بل الى طبيب عقول وطبيب ابصار . لانهُ ما فقه من عبر التاريخ أبسطها وأقربها الى العقل والبصر . وهي ان دولاب الزمان ما ينفك يدور . وان البشرية العالقة بهِ لا بدّ من ان يعلو بعضها هنا وينخفض هناك . ثم لا يلبث المنخفض ان يعلو والعالي ان ينخفض . فصبغكم الدولاب بالدم البشري لن يسرع في دورانه لحظة ولن يبطىء لحظة

وبعد ذلك فالدم البشري دم ذكيّ طاهر فهو الاناء الحامل جرثومة الحياة المباركة والفهم المقدس ومن الحرام ان يُهـراق الاّ في سبيل الحياة والفهم ، بل من الاثم ان يهدر بغير حساب على حدّ ما يهدر اليوم ترضية لأهواء يثيرها الجهل ويسوقها الموت . ولا بد لهذه الانسانية المفصودة بمفاصد البغض والجشع من صوت يهيب بها الى حقن دمائهـا الزكيـة والاحتفاظ بمـا تبقى منها لغايات أنبل وأسمى من استبدال حـكام بحكام ، وتخوم بتخوم ، وأوبئة بأوبئة

ان هذا الصوت سيخرج من الشرق — من هذا الشرق الذاهل اليوم عن نفسه وما في أعاليها من قمم باسقة وفي أعماقها من أبعاد . ومن رسالته العلوية وما في رسالته من بلسم لجراح الانسانية الدامية ومن نور لأبصارها المقرحة وبصيرتها الكفيفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إي ، ثم إي . من هذا الشرق ستندفع أمواج ذلك الصوت الى ان تغمر الارض . من هذا الشرق المنكوب بأبنائه أشد من نكبته بغير أبنائه . فهم يتطلبون له أمجاداً غير مجده والأمجاد التي يتطلبونها هي التي جعلت من الأرض مسلخاً ، ومن الانسان قصاباً لأخيهِ الانسان ، ومن حياة الناس مجزرة هائلة ومقبرة شاسعة . هي دفعات من السموم التي أفسدت على الناس دماءهم ولحومهم ، ونخرت عظامهم ، فصرفتهم عن نفوسهم وعن ربهم

أما مجد الشرق الحقيقي فسيكون في انهُ لن يطلب مجداً على الاطلاق ، بل يقول مع الناصري : « من أراد منكم أن يكون سيداً فليكن للكل خادماً » . أجل . سيكون الشرق خادم العالم . وسيخدم الانسان أينما كان لا بتحريره من حكم جاره . بل بتحريره من حكم نفسه . فما ساد من كان عبداً لنفسه وان حكم الشرق والغرب . ولا ذلَّ من ساد نفسه وان كان محكوماً من الناس أجمعين

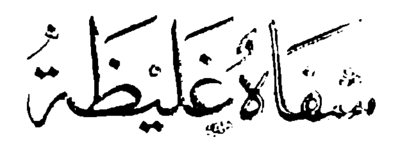
***

لو قال لي قائل ان الشرق سيفعل غير ذلك او أقل من ذلك ، وانهُ لن يتمخض من بعد هجعته الطويلة بأكثر من حكومات جديدة وتخوم جديدة لأنكرت هذا الشرق ولصرخت من أعماق قلبي : « ألا ليته ما حَبِلَ ولا تمخض »

غير اني واثق بأن المولود العتيد ان يأتي به الشرق ، سيكون أعظم من كل ذلك بما لا يقاس . فالشرق أخصب فكراً ، وأسمى خيالاً ، وأسمح قلباً من أخلص المخلصين من زعمائهِ . فكيف بغير المخلصين ؟ والشرق أصلب عوداً ، وأبعد جذوراً في تربة الوجود من ان تلويهُ سياسة او يقتلعهُ اعصار

وان تسألوني عن ثقتي بهذا الشرق من أين منبعها أجبكم : من الحكمة التي فاضت على لسانهِ من زمان ، والتي يبلى الزمان وجدّتها لا تبلى ، وتبور كل سلطة وسلطتها لا تبور . وهذه الحكمة لن يجلوها من جديد الاّ الشرق ولن يحسن الحكم بها الاّ الذي خلقها من نفسهِ ثم حكّمها في نفسهِ . فلها ستكون السيادة في العالم المزمع لن يولد ، وعلى حَدْوها ستمشي قوافلهُ جيلاً بعد جيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



قصة مصرية

بقلم : محمود تيمور بك

من عادتي أن أتفادى من الذهاب إلى المصرف ، في الأيام الأولى من الشهر . . . ولكن اتفق لي أن قصدت إلى «المصرف الوطني» في مطلع الشهر ، لأصرف صكًا بخمسة جنيهات ، هي ما بقي لي على أحد عملائي من أتعاب قضية . وكنت في جمع زاخر ، أدافع جهدي في سبيل الوصول إلى نافذة الصكوك ، وقد أخذ مني الضيق كل مأخذ . فلمحت وأنا مدهوش مغيظ ، فتاة تمرق إلى النافذة بين صفوفنا غير معنية بأحد . وانطلق لساني بلفظة احتجاج قابلتْها الفتاة بإجابة تحدٍّ خشنة ، فازددتُ سخطاً ، ولكن لم يُجْدِ سخطي نفعاً

وبينما كنت خارجاً من المصرف ، وقد قبضت قيمة الصك ، صدمني شخصٌ صدمة أزعجتني ، فالتفتُّ فإذا بالفتاة عينها تسابقني نحو الباب ، فرمقتها بنظرة نكراء ، وهممت أن أصيح بها مهدِّداً متوعداً ، فعاجلتني بابتسامةٍ رفيقةٍ ، وهي تردد :

ألف معذرة ! ... لم أقصد البتَّة أن أسيءَ إليك ...

فنظرت إليها ولساني لا يزال ناقماً ثائراً ، فلم تدع لي فرصة التكلم ؛ بل واصلت قولها :

كنت قليلة الذوق معك مرَّتين ....ولكني أؤكد لك اني لم أفعل ذلك عن عمد ... إنهم يرهقوننا بانتظار مضجر مثير للأعصاب ، ولدينا أعمال لا تحتمل إضاعة الوقت !

كانت تتكلم وابتسامتها تزداد إشراقاً ونضارة ، فقلت لها وقد مرَّت على فمي بسمةٌ عابرة :

هذا صحيح . . . ! انهم يرهقوننا بالانتظار ... ولكن لا تنسيْ يا آنسة أننا في اول الشهر ... فللمصرف عذره !

— أوافقك على أن للمصرف بعض العذر ، لا العذر كله ... على الرؤساء أن يدبِّروا الأمر ، وأن يبذلوا أقصى الجهد في سبيل إراحة العملاء . . . لقد أضاعوا عليَّ محاضرة كان لزاماً أن أستمع إليها في الجامعة !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— أطالبةٌ أنتِ؟ — في كلية الآداب ... — حسنٌ جداً ...

ورأيتني أسير وإياها في اتجاهٍ واحد من الطريق ...

كانت سمراءَ ، على شيءٍ من الملاحة ، ترتدي ثوباً متواضعاً لا يدلُّ مظهره على اليسر ، وإن احتفظ بظلٍّ من الأناقة والذوق السليم... لا يميزها عن مثيلاتها ممن يصابحهنَّ عابر الطريق ويماسيهنَّ إلاَّ سمة خاصة : شفتاها ! ... أجل ، شفتاها ، بيت القصيد فيها ... كانتا شفتين غليظتين ، لا تراهما منطبقتين قط ، بل منفرجتين أبداً ، تسمحان لخطٍّ أبيض من الأسنان أن يكشف عن تألقهِ وتناسقهِ ... وإنك إذ تنظر إلى الشفة العليا منهما ، تلحظ على الفور كأنها تحاول دائماً أن تنأى بنفسها عن رفيقتها ، في إباءٍ وترفُّع ، ولقد تركّز هذا الترفع والإباء في نتوءٍ يتوسطها . نتوءٌ يماثل من وجوهٍ شتى « حلمة الثدي » ، يجتذبك بتكوينه الفني ويرغمك على ان تدمن النظر اليهِ ...

وكنا قد قاربنا « شارع فؤاد الأول » عن كثب من مشرب « الامريكين » ، فسمعتها تقول : أتزمع ركوب الترام من هنا ؟

— بل أقصد إلى « الأمريكين » لاحتساء قدح من الشاي، قبل الذهاب إلى المحكمة ...

— اتفاق عجيب ... لي زميلة ستوافيني الآن في المشرب ، كي ترافقني إلى الجامعة...

— إذن طريقنا واحد ...

فقالت ، وقد خطرت على محيّاها ابتسامةٌ وضّاحة : يلوح لي ذلك !

وأردنا اجتياز الطريق ، فاعترضنا سيل من العربات والناس يزحم بعضهم بعضاً . فمددت لها يدي ، فأمسكت بها في رفق . وعبرنا « شارع فؤاد » من جانب الى جانب ، كالسفينة تشقُّ الموج في خضم صاخب....

وقالت لي ونحن نصعد الى الطبقة العليا من المشرب : أعلى موعدٍ أنت في المحكمة؟

— مع أحد العملاء ... — أنت محامٍ ...؟ — يلوح لي ذلك !

فأرسلتْ ضحكة خفيفة ، تعالت على أثرها شفتها العليا في اختلاجة رشيقة ، على حين أخذ النتوء الذي يتوسط هذه الشفة يتقلص وينبسط في جاذبية أخاذة ...

وأخرجتُ محفظتي ، وتناولت منها بطاقة قدَّمتها اليها قائلاً :

قد تحتاجين الى محامٍ ... لا قدَّر الله !

فتناولت البطاقة باسمة ، ونظرت فيها تقرأ اسمي ، وتقول :

تشرَّفنا يا أستاذ... سمعت اسمك قبل اليوم... ما أسعدني بهذا التعارف !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— الشرف والإسعاد لي يا آنسة

وكنا قد بلغنا الطبقة العليا ، فدارت الفتاة بعينيها في المكان متفحصة . ثم همهمت : لم تحضر زميلتي بعد

ولم يكن في المكان إلاّ نفرٌ قليل منتثرٌ هنا وهنالك ... فقلت : وهل تنتظرينها ؟ ...

— يحسن بي ان أفعل ... — أيسوءك أن يكون انتظارك لها على مائدتي ؟

فابتسمت ، ولكن ما أسرع ان تزايلت ابتسامتها ، وهي تقول: أخشى عيون الفضوليين ..

— وهل تلقين بالاً للمتطفلين ؟ — كلاّ ... ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— أليس من النزق أن تجالس فتاةٌ رجلاً لم يمضِ على معرفتها به غير لحظات ؟ !

— هذا موضوع نستطيع ان نجعله مدار نقاشنا على مائدة الشاي ! ...

— ولكن يا سيدي ... — تكلمي ...

— إنها المرّة الأولى التي أجلس فيها الى رجل في منتدى عام ...

— حتى اذا كان من أقربائك ؟ — وهل أنت من أقربائي ؟

— هَبي ذلك ! ... — لمَ هذا التشبث ؟

— محامٍ يرغب في كسب قضيته ... — وهل تحوّلت المسألة قضية ؟

— قضية « صداقة » أرغب في توطيدها ! ...

— ماذا تقول زميلتي اذا رأتني معك ؟

— ألا ترين عيون الناس قد بدأت ترمقنا ؟ ! — هذا ما كنت أتوقعه ...

ودنونا من أقرب مائدة ، وجلسنا اليها . وسرعان ما أقبل علينا غلام المشرب ، فنظرت اليها ، وقلت : بمَ تأمرين ؟ — بقدح من الشاي ...

فقلت للغلام : قدحان ...

ومضى الغلام ، وأخذتْ الفتاة تطوف بنظرها صامتة فيما حولها ، وأنا أراعيها .. وسمعتها تهمهم : ما أسمجه ؟

ثم واجهتني بقولها : إنهُ لم يحوّل نظره عني لحظة منذ قدمنا ....

— مَنْ ! — هذا الوقح ... !

قالت ذلك وأشارت بعينيها الى رجل بدينٍ له وجه كالرغيف المقبب المتوهج، ووصلت جملتها السابقة بقولها : إنهُ من حمقى الأثرياءِ الذين يخالون الدنيا طوع يمينهم ..

— أتعرفينه ؟ — ومن أين لي أن أعرفه ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— كيف علمت إذن أنهُ من حَمْـقى الأثرياء الذين ....

فقاطعتني في لهجة حازمة ، وقد زوت ما بين حاجبيها : إن وجههُ ينطق بذلك !

— أنت دقيقة الملاحظة ...

وأقبل غلام المشرب بالشاي ، فوضـعهُ أمامنا ، فصببت لها قدحها وصببت لي قدحي ومضينا نجرع الشاي على مهل . وأخرجت علبة لفائفي ، وقلت : أتسمحين ؟

— دخّـن كما تشاء ، ولا حرج عليك . . . — وأنت ؟

فحدجتني بنظرة عتاب ، قائلة : سيدي ! — لا تؤاخذيني ...

وتناولتُ لفافة ، وأخـذت أدخنها لحظة في صمت . ومرّ أمامنا الرجل البـدين ، ذو الوجه القبّـب ، يدرج في جهد ومشقة . فألقى علينا نظرة سانحة وتابع سيره . وسمعت الفتاة تغمغم : ياللوقح ! — حقًّـا انهُ لَـسمج

— أما لاحظتَ كيف كان ينظر إليّ ؟ لا أحتمل رؤية هـذا الضرب من الناس ! ... إنهم يمثّـلون أمامي ذلك النفر البائد من أمراءِ الإِقطاع ... لا تؤاخذني !

— على أيّ شيءٍ أؤاخذك ؟ — قد يكون في حملتي على هذا الضرب من الرجال ...

— وهل ترينني من هذا الضرب ؟

فضحكت في خفة ، وقالت : لا أقصد ذلك ، ولكن يجب أن أصرح لك بأني أمقت هؤلاءِ الأثرياءَ المتقاعدين ذوي رؤوس الأموال الذين يمتصون دم الشعب !

— كلامٌ وجيه ... — إذن أنت من أنصار الاشتراكية !

— وهل قلتُ ذلك ؟ — أتكون إذن من المعارضين لها ؟

— لم أقل ذلك أيضاً ! ... — أيّ مذهب اجتماعي تعتنقه إذن ؟

— لم ألقِ على نفسي هذا السؤال حتى الساعة !

— أنت مُـتْـعِـبٌ ... ! — أشكر لك !

ونظر كلٌّ منا الى الآخر ، ثم استرسلنا في قهقهة عالية ، وجدتني أثناءَها أرنو الى شفتيها الغليظتين ، وهما تلتطمان وتتدافعان ، وأرقب في شغف ذلك النتوءَ الجميل ، ووددتُ لو طالت ضحكتها وقتاً غير قصير ... وسمعتها تقول : أعترف بأنك غير صريح !

— قد يكون ذلك ... — أما أنا فعلى العكس صريحة جدًّا ...

— هذا حق .. إذ أعلنت لي في وضح النهار أنك تميلين الى النظام الاشتراكي !!

— ألستُ على صواب في هذا الميل ؟ ألا توافقني على أن التوزيع الاقتصـاديّ في المجتمع الراهن غير عادل ؟ — أوافقك ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— بلسانك فقط ؟ — بل بقلبي !
— إذن لقد استطعت أن أجتذبك الى صفّي !
فقلت في لهجة هيّنة : أو كنتِ تظنين أنك غير قادرة على اجتذابي ؟
فأسبلتْ جفنيها وهي تقول في صوت ليّن المكاسر : يبدو لي أنك سهل الانقياد ، سريع التأثر !
فقلت لها ، وعيناي لا تفارقان شفتيها : لا كلّ الأحيان !
وكانت يدها على المائدة تعبث بملعقة الشاي ، فمددتُ يدي ، وأطبقتُ كفّي على راحتها فاجتذبت يدها في غير عنف . وألقت بنظرة خاطفة على ساعة الحائط ، ثم نهضت وهي تقول :
لقد تأخرت زميلتي عن الموعد ، وقد أطلت في انتظاري إياها ... يجب أن أغادر المكان .
— أيكون قد بدر مني شيءٌ ساءَكِ ؟! — أنا شاكرة على كل حال حسن ضيافتك ...
— آسف اذا كنت ... — لا يساورك شيءٌ من ذلك ...
ومدّت إليّ يدها ، وهي تبتسم ، وقالت : الى اللقاء يا سيدي ...
— الى اللقاء يا آنسة ...
واتجهتْ نحو السلّم ، وانحدرتْ عليه مسرعة . وعدتُ الى مقعدي ، وانسرحت أفكر فيما مرَّ بي الساعة ، وكانت الشفاه الغليظة ذات النتوءِ اللطيف تتراءى لي في كل لحظة ... لا أدري كم مضى عليَّ من الوقت وأنا في جلستي هذه . ولكن ظهور غلام المشرب أمامي أيقظني من حلمي . وعلمت انهُ جاءَ ليقبض ثمن الشاي ، فدفعت يدي في جيب سترتي . ولشدَّ ما كان عجبي إذ لم أجد محفظة نقودي في مكانها ، وأسرعت أبحث عنها في جيوبي الأُخر وأمعن في البحث ، ولكن على غير طائل ... أين اختفت ؟ ومن أخذها ؟ ولمحتْ لخاطري صورة صاحبة الشفاه الغليظة ... أممكنٌ هذا ؟.. مستحيل ... مستحيل ... ولكن أين اختفت المحفظة ؟ .. وعدت أبحث ثانياً ... لم يسلبني إياها أحدٌ في الشارع . إني على يقين من أنها كانت في جيبي حينما دخلت مع الفتاة في هذا المكان ... ونظرت الى غلام المشرب ، وقلت مردّداً في حدّة :
لقد أخرجت المحفظة أمامها ... أعطيتها بطاقتي ... هذا مؤكد !
فنظر إليّ في حيرة ، وقال مجمجماً : ولكن ... ثمن الشاي يا سيدي !
— أتظنُّ أني محتال أيها الغبيّ ؟! — العفو ... العفو ... إنما ...
ودسست يدي على الفور في جيب صداري ، فألفيت معي ، لحسن الحظ ، من النقود الصغيرة ما يفي بما هو مطلوب ، فألقيته اليه ، وخرجت أعدو ، وأنا أكرّر :
المحتالة الماكرة ... سأدركها ... وسأسلّمها الى رجال الشرطة ! ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وارتدت المنطقة حول « الأمريكين » أتصفح السابلة ، وأتفقدها بينهم وقتاً غير قصير ... ولكن بلا جدوى !

وقصدت في النهاية الى مكان عملي وأنا محنق ثائر ! ...

***

وفي اليوم التالي ، بينما كنت في مكتبي ، أقلب بعض المجلات الأوربية المصورة ، استوقفت نظري صفحة مكتوب في رأسها : « مسابقة الشفاه » تحوي مجموعة صور مختلفة لشفاه بعض الغانيات الأمريكيات من كواكب « السينما » . وقد وضعت جوائز لمن يكشف عن صواحب هاته الشفاه . ووقع بصري على فم غليظ ، منفرج الشفتين ، يتوسط العليا منهما نتوء ملحوظ . . . فضيت أرنو اليهِ طويلاً . ولم ألبث أن انتزعت الصفحة من المجلة ، وقصصت منها الجانب الذي يشتمل على صورة ذلك الفم ... وقذفتُ بما بقي من الورقة في سلّة المهملات . وتناولت معجم « أبوت » الأثري الغارق دائماً في سباته العميق على مكتبي ، وأودعت بين حنايا صحائفه تلك القصاصة ...

وكثيراً ما ألفيتني بعد ذلك — أثناء درسي لقضية من قضاياي — آخذ المعجم شارد الذهن ، وأمضي عجلاً أقلّب صحائفه ، وسرعان ما ألقي أمامي صورة « الشفاه الغليظة » تحدّق فيَّ فأحدِّق فيها . ومن ثمَّ يفيض على نفسي إحساسٌ بهيج يفضي بي إلى أحلامٍ عِذاب !

* * *

وترادفت الأيام ...

وكنت يوماً في « قسم البغالة » أجاذب « المأمور » الحديث في قضية من القضايا ، فتعالت بغتة اصوات خارج الحجرة . وفي لحظة اقتحم علينا المكان رجل جاوز سنّ الشباب ، يبدو من هيئته أنهُ من ذوي المعاش ، وهو يجذب فتاة من يدها ، وينعتها بأرذل النعوت ، رامياً إياها بالسرقة والاحتيال ، على حين كانت الفتاة تنكر في تعنت ومكابرة ، وتحاول أن تخلّص نفسها منهُ

وبرزت أمامي في الحال « الشفاه الغليظة ، ذات النتوء الملحوظ !

وعرفتني على التوِّ ، وسرعان ما وجدتها تخاذلت ، فأمسكتْ عن الكلام ، وقد طغى على محيّاها امتقاع !

وكان الرجل ما برح قابضاً على يدها يسوقها في عنف إلى مكتب « المأمور » ولسانهُ ينهمر لسيل من سبابهِ البذيء . فتقدمت منهُ ، وأخليت يدها من يده ، وقلت له :

تذكّر ياسيدي أنك في دار الشرطة ... شأن الفتاة الآن موكول إلي « المأمور » ... !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فنظر إليّ الرجل نظرة عاتية ، وقال في تأتأة :

لـ لـ سرقت حافظة نقودي حينما كنت في القهوة منذ أيام، وقد اختفت ، ولم أعثر عليها في ذلك الوقت . واليوم وجدتها اتفاقاً في الطريق ، فقبضت عليها بمعاونة رجال الشرطة ... يجب أن تعيد إليّ ما سرقته... إنها محتالة ...ما كرة... لصة ! ...

فلم تعترض على كلامه الفتاة ، بل ظلت ممسكة وهي تنظر أمامها نظراً ثابتاً .فقلت للرجل : كم أخذت منك ! — ثلاثمائة وخمسة وثلاثين قرشاً ... غير ثمن المحفظة !

فلت على « المأمور » وأسررت اليه : إني أعرف هذه الفتاة ، وأمرها يهمني ، فاذا قبلت ضمانتي ، وأطلقت سراحها ، كنت لك شاكراً ...

وألححت عليه ، وكان ممن يثقون بي ، فقبل ... فانتبذت على الفور بالرجل مكاناً قصيًّا ، ونقدته ما طلب . وخرجت آخذاً الفتاة من يدها .

وما كدنا نترك « القسم » حتى رأيتها تكركر في الضحك على حين بغتة . فنظرت اليها معضن الجبين . وقلت : حقًّا إنهُ موقف يثير الضحك !

فنظرت إليّ بمؤخر عينيها ، وقالت : أتريدني أن أبكي ؟!

— كان الأجدر بك على الاقلّ أن تصمتي ! — ولِمَ ؟

ألا تستشعرين الخجل ؟ — أتبغي أن تلقي عليّ محاضرة في علم الاخلاق ؟!

— وهل تجدي معك هذه المحاضرة !

فأطلقت قهقهة ، وقالت : ليس لديّ من الوقت مايسمح لي بسماع أمثال هذه المحاضرات ..!

فضغطت يدها في عنف . وقلت : كُفِّي عن هذرك ... وإلا ...

فصوّبت اليّ نظرة حادة وقالت : وإلاّ ماذا ؟ — أتظنين أنني غير قادر على تأديبك ؟

— ومَنْ تكون أنت ، حتى تبيح لنفسك هذه السلطة ؟

— ابيحها لنفسي ، بمحض إرادتي !

فتضاحكت معابثة ، وقالت : ولكنني لا أُبيحها لك !

فازددت في ضغط يدها ، وقلت : كُفِّي عن هذا الهذر ... لن تجدي من ورائهِ إلاّ أسوأ العواقب ...

فصاحت ، وهي تشدُّ يدها : ليس لك شأن بي ... أترك يدي ... أسامع !

فلم أعنَ باحتجاجها ، بل تماديت في ضغط يدها ، فضعف صوتها واختلج ، والتمعت عيناها ببريق الدموع وسمعتها تغمغم : رجل قاسٍ بلا قلب !

وانطبعت على شفتيها مظاهر الذلّ والانكسار ، فأكسبتهما منظراً خلاباً ... ووجدتني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أخفف الضغط عن يدها ، وواصلت كلامها قائلة : ماذا تريد مني ؟ ... قلْ !... ماذا تريد ؟
فأجبت : أريد أن أقوّم من اعوجاجك ، وأن أصلح من نفسك !
— ولِمَ كل هذا يا حضرة ؟
فقلت متباطئاً ، وعيناي لا تفارقان شفتيها : إنهُ عمل من أعمال الخير ، أُقدمه الى الانسانية !
— الانسانية ؟ وهل تعنيك الانسانية الى هذا القدر ؟ — يلوح لي ذلك ...!
— عجيب أمرك ! ولكن أتعلم كم أضعتَ من مال حتى الساعة في سبيل هذه الانسانية ؟
— أعلم ! — وقد تفقد اكثر من ذلك في المستقبل !
— محتمل هذا ... — حبـًا في الانسانية ؟ !
— أرغب في الأخذ بناصر مخلوق تعس ، وانتشاله من هاوية تردّى فيها ...
حدقت فيّ وقتاً صامتة ، ثم قالت : أتظنُّ أنني لصَّة ؟
فابتسمت قائلاً : معاذ الله !
— ظنَّ ما تظنُّ ... لماذا تتمتعون أنتم بالمال ، وفقيرة مثلي لا تلقى ما يقوم بأودها ؟
— عدنا الى الاشتراكية ...
— أنا لم أسرق ... إني أنال حقـًا مشروعاً ... إني أعيد الى طبقتنا المهيضة الجناح بعض ما سلبتموها من رزق !

ومضت في حديثها مهتاجة بالغة السطوة ، وكنا نسير جنباً الى جنب في خطىً وئيدة فتركتها تفرغ ما في جعبتها ، حتى اذا بلغت النهاية ، قلت لها : إنكِ لقوية الحجة !
— أتهزأ بي ؟ — كلاَّ ....
— ما زلت تحسبني لصة ؟ — لا أريد أن أحسبك كذلك ! — لا تريد ؟ !...
ووقفت قبالتي متفحصة ، ثم أردفت قائلة : ولماذا لا تريد ؟ — هكذا ...
— ولكنني أؤكد لك أنني لست لصة إنني لم أقدم على ما أقدمت عليه إلاَّ لأسباب قاهرة !
وأمسكت برهة ، ثم استأنفت حديثها : أسباب مشروعة طبعاً ! ...
— هذا محتمل . .
— لي أبٌ مصابٌ بمرض لا يرجى شفاؤه ، وأربعة من الأخوة والأخوات ، كلهم أطفال وأنا وحدي أعولهم ... إن عملي المضني في حياكة الأثواب لا يدرُّ عليّ الاَّ النزر الذي لا يغني !
— ومن أجل هذا ، أرغب في اصلاح أمرك ! — ألديك عمل أستطيع ان أقوم به ؟
— آمل ان أجد هذا العمل ... — ما نوعه ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— لا استطيع ان أحدده لك الآن ، انما أعدك بأن أبذل ما في وسعي ، لأهيء لك عملاً نافعاً …

فانطلقت تقلب في وجهي عينيها المتسائلتين ، ثم قالت مهمهمة : أتثق بي ؟

— أرغب في ذلك !

فابتسمت ، وقالت : سأزورك في المكتب …

— إني منتظركِ … هاك عنواني …

ودسست يدي في جيبي ، لأخرج المحفظة ، ولكنها بادرتني بقولها ، والابتسامة ما زالت تتموج على محياها : إني محتفظة ببطاقتك التي أعطيتنيها في « الامريكين » …

— حقّـا ؟ !

فقالت في صوت خافت ناعم النبرات ، وهي تعبث بأصابعها :

إنها بطاقة ثمينة … لا أفرط فيها … أتريد أن تراها ؟

— إني أصدقك …

— شكراً لك … والآن يجب أن أمضي الى البيت … آسفة إذ سببت لك متاعب كنت في غنى عنها … كل ما فقدته من مال لأجلي سأعيده اليك حتماً … كن على ثقة بأنني لست من الخبث وسوء الطوية بالدرجة التي يتوهمها الناس فيّ … ستجد على الأيام مصداق ذلك !

— ما أشد رغبتي في تحقيق هذا …

— سأزورك غداً في المكتب … إذا لم تجد لديك من ذلك مانعاً …

— في أي وقت ؟ — قبيل الظهر … — سأنتظرك …

ومدّت إليّ يدها ، فاحتوت كفّي راحتها . ومكثت قبالتها وقتاً صامتاً أتملّى مفاتنها ، والغبطة تشيع في نفسي ، ثم همست : أتقبلين أن نتناول الغداء معاً ؟

— كما تريد … — أشكر لكِ …

— الى الملتقى … — أنا في انتظارك …

وتركتني وهي تبتسم في عذوبة

وطاب لي أن أعود الى منزلي مترجلاً ، وسرت في خطوات هينة . وكنت أثناء الطريق أدخن اللفائف واحدة إثر أخرى ، وأنا هيمان أفكر فيما مرّ بي الساعة مع ذات الشفاه … وساءلت نفسي مرّات : هل كنت مصيباً في موقفي منها ؟ ألم يكن الأجدر بي أن أتركها في « القسم » بين يدي الشرطة ، وأن أعزّز التهمة ضدّها عقاباً لها وردعاً لمثيلاتها … وهنا طفقت أناقش نفسي في فلسفة العقوبة ، وما هي أقوم السبل الى إصلاح المجرم على ضوء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المباحث النفسية الجديدة ، وهداية مبادىء الانسانية الرحيبة . وانتهيت من هـذا النقاش الى نتيجة اطمأننت اليها ، وهي أن صنيعي مع هذه الفتاة البائسة خير ما يفعله امرؤ كبير القلب ، إنساني النزع . وإنني جدير بأن ألتزم هذا المبدأ في حياتي أبداً ...

دخلت منزلي ، وتناولت عشاءً خفيفاً . ثم قصدت الى مكتبي لأدرس بعض القضايا . فلم أجد ميلاً الى العمل ، بل أحسست تراخياً ورغبة في التمدد على المقعد الفسيح ، ففعلت ... وامتدت يدي الى معجم « أبوت » وأخرجت صورة « الشفاه الغليظة » ومضيت أتأملها ملياً ... إن لها أباً مصاباً بمرض لا يرجى له شفاء ، وإخوةً وأخوات أطفالاً .. انها لتقضي الليل منكبّة على الحائكة ... وماذا تربح من هـذه الحائكة ؟ كثيراً ما تدفع الفاقة بالمرء الى مهاوي الجريمة . ومن ثمَّ يهبُّ القانون مطالباً بالعقاب ... حقاً إن في الأوضاع الاجتماعية لمظالم فادحة يجب القضاء عليها ...

وفي صباح اليوم التالي ، نهضت من فراشي ، وقد اعتزمت أن أتخلف عن المحكمة ... ألا يحقُّ لي أن أمنح نفسي إجازة يوم واحد ؟ أحتمٌ عليَّ أن استقبل كل نهار تلك الوجوه السمجة ؟ وأن أتلقى هذه الابتسامات السخيفة التي تحمل طابع الرياء ؟ ..

وطلبت زميلي في « التليفون » وأفهمته اني منحرف المزاج ، فعليه أن يحلَّ محلي في المحكمة . وأوصيت الطاهي أن يهيىء لي غـداءً طيباً ، وخرجت الى السوق ، فأتيت بألوان ممتازة من المشهيات والحلوى ...

مكثت انتظر قدومها . . .

وطال انتظاري ، فقلقت ، وساورتني ظنون شتى ... أيكون أبوها قد استبقاها لتمرّضه برهة أم أخطأت تقدير الوقت ؟ أم انها قد تكون ...

كلاً ... انها لقادمة ... قادمة حتماً !

وطال انتظاري أيضاً

وألحَّ الطاهي في سؤاله : متى يؤذن له بتقديم الطعام ؟

وحلت الساعة الثالثة ، ولم يظهر لذات الشفاه الغليظة أثر ...

وأطلَّ الطاهي من فرجة البـاب ، ولم يكد يفتح فاه متسائلاً ، حتى قذفته بمعجم « ابوت » الضخم ، فولى الأدبار هارباً ..

***

وتعاقبت الأيام ...

وبينما كنت في مكتبي وقت الأصيل مع بعض عملائي ، منصرفين الى درس قضية مهمة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

إذ دقّ « التليفون » وكان المتكلم : « مأمور قسم البغالة » فأخبرني بأن الفتاة التي ضمنتها ضبطت متلبسة بالسرقة ، فهممت أن أصيح به ان احبسوها ، فقد نفضت يدي عنها ، ولكن وجدتني على الفور ألحُّ عليه في ان يبعث اليَّ بها على عجل ، وعليَّ إصلاح الأمر .. فلم يقبل، فرجوته مستعطفاً ان يفعل ، فهي فتاة مريضة ، في طبعها شذوذ ، يعالجها طبيب في الأمراض النفسية . وانها من أسرة كريمة ، ولأبيها مكانة ملحوظة في الهيئة الاجتماعية ، فمن واجبنا ان نصونه عما يشينه ... وأطلتُ في حديثي، فأكدت له اننا سنبالغ في رقابتها ، ومنع اتصالها بالناس ؛ وأفضت له في ذلك حتى قبل ...

والتفت الى عملائي معتذراً عن مواصلة العمل ، فانصرفوا مرغمين متذمرين . وانطلقت أجول في الغرفة بخطًى مضطربة ، وأنا أجمجم : سترى ! ... سترى ! ...

ولكنني لم أكن أعلم ما أفعل معها. كان رأسي مشحوناً بمختلف الصور المختلطة المتشابكة، لا أستطيع أن أتبيّنها أو أميّز بينها . وعجبت من أمري: كيف رضيت أن أصوغ « للمأمور » هذه الأكاذيب العجيبة ، وكيف أسعفتني بديهتي على اختراعها بمثل هذا اليسر ؟!

وظللت على حالي تلك ، حتى قرع الباب،فوثبت اليه أفتحهُ ورأيتها أمامي خلفها شرطيّ . وسرعان ما صرفته وجذبتها من ذراعيها . وسمعتها تقول : لماذا أتوا بي هنا ؟

فرميتها بنظرة محتدّة وقلت : يا لك من سيئة الطبع خبيثة !

— أراك ثائراً لأنني لم أزرك كما وعدتك ... — أو تظنين أنني صدقتك ؟

— صدقتني ، وانتظرت مقدمي بفارغ صبر ...

— أنا انتظرتك ؟ أنا ؟ ... هل بلغت بي الغباوة أن أهتمَّ بشخص حقير مثلك ؟!

— أجل ، أنت مهتمّ بهذا الشخص الحقير ، مهتمٌّ بهِ أشدَّ الاهتمام ...

— إخرسي ... — ولقد تعمدتُ ألاّ أحضر ، لأدفعك الى انتظاري ...

— يا للوقحة !

— أما سبب اهتمامك بي ، فأمرٌ لا يخفى عليك .. انك تهواني ... أجل ، تهواني !

فصحت ،وقد أقبلت عليها متنمّراً : أنا أهواك ؟ أنا ؟ ... وهل فيك شيء لا يُحبّ ؟ ...

— أنت مدلّه بي ... ولكنني لن أُنيلك مبتغاك ... حتى القبلة الصغيرة سأمنعها عنك !

— أنتِ أعجز من أن تمنعي عني شيئاً . ولكنني زاهدٌ فيك لحقارتك ... ما أشدّ افتقارك الى ما يجتذب الرجل !

— انك تذوب شوقاً الى لثم شفاهي ...

— شفاهك ؟ ... هاها ... ! شفاهك الغليظة المتورمة المدلاة كشفاه أقبح الزنوج ...

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— لن أنيلك شرف لثمها أبداً ... ستظلُّ محروماً إياها مهما يستعر لهيب غرامك ، وتتأجج نار شوقك !!

— غرامي ؟ ... شوقي؟ .. سأُريك كيف أنا مغرمٌ بك ، مشوق اليك .. سأريك ..!

واختطفت خيزرانة ، كانت ملقاة على أحد المقاعد ، وأمسكت « ذات الشفاه » وانهلت عليها ضرباً ، ورأيتها تحاول المقاومة بادىء بدء ، ولكنها وجدت مني مؤدّباً عنيفاً عنيداً صعب المراس ، فاكتفت بأن تحمي جسمها من اسع العصا المرنة ما استطاعت الى ذلك سبيلاً .. ثم انطلقت تستعطفني وتسترحمني ، فلم أستجب لها ، بل ظللت جادًّا في الضرب في مهارة وتفنن ، حتى أدركني التعب ، فتركتها ... وجلست على المتكإ أمسح وجهي وأغمغم :

لعلك بعد هذا تقلعين عن غيّك ، وتثوبين الى رشدك ...

وألفيتها تزحف الى ركن من اركان الغرفة ، تجمعت فيه وراحت تنشج ..

وقمت الى مكتبي ، ومضيت أعبث بأقلامي صامتاً ، وأنا انظر اليها من طرف خفيّ ... ثم قلت كأني أحدث نفسي : ستشكرين لي هذا الصنيع .. إنهُ درسٌ نافع لك في الحياة !

فلم تجبني، بل جعلت تنشج نشيج طفل ذليل مبتئس !

ولبثنا وقتاً على هذا الحال هي في ركنها تولول ، وأنا جالس الى مكتبي أعبث بأقلامي ، وأُخالسها النظر الفينة بعد الفينة....

وهممت أخيراً أن أذهب اليها لأترضاها فوجدتها ترفع رأسها ، وتهمهم بهذه الكلمات :

لم أكن أستحقُّ منك أن تعاملني بهذه القساوة ... — بل تستحقين ...

ومضت تمسح وجهها ، وتنسق ما تشعث من شعرها ، وهي تقول :

لو علمت اية عاطفة طيبة أكنُّها لك ، لما فعلت معي ما فعلت !

فتضاحكت قائلاً : أية عاطفة ؟

— لا تزد من ألمي ، بهذه السخرية !

ونهضت تقصد مكاني ، قائلة :

أُقسم لك اني كنت معتزمة زيارتك ، وفق الموعد الذي ضربناه...

— أتعودين الى هذرك ؟

— أُقسم لك اني صادقة في قولي هذا ! لقد كنت حاضرة اليك لولا وفاة أحد أقاربي

ودنت مني ، وهي تتكلم حسيرة البصر : أأكون منكرة لجميلك الى هذا الحد ؟!

ودنت مني ايضاً ، وهي تقول : ألم تشعر بأني أميل اليك... ؟

فصحت : تميلين اليّ ؟ انت ؟!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وانكبت على ركبتي تحتضنهما ، وهي تقول : أحبك ! أحبك ! ...

— وإذا كان هذا مبلغ شعورك نحوي ، فلماذا كنت تعاندين وتكابرين ؟

فرفعت رأسها اليَّ ، وعيونها شرقة بالدموع ، وقالت : من فرط حبي لك !

ونهضت ، فطوقت عنقي بذراعيها ، ثم أدنت وجهها من وجهي ، وهمست قائلةً :

— دونك شفاهي ... هي لك ! وغبنا معاً في عناق حار ، وقبلات مستعرة ...

***

وأجلستها بجانبي على المتكإ ، ويداها بين يديّ ، على حين كانت عيناي لا ترويان من النظر الى شفتيها ، وقالت لي : لن أفارقك ! ... لن أفارقك أبداً ... ! — كيف ؟

— ألا ترضى ان أقيم معك ؟ — وأسرتك ؟

— لا يستطيع أحد في العالم أن يحول بيني وبينك

وعقدت ما بين حاجبيها ، وقالت في صرامة : سأقرر مصيري بنفسي. أنا حرة في تصرفي. لا سلطان لأحد عليَّ !

وسمعنا في هذه اللحظة دقًّا بالباب ، فألفيتها تفزع الى رقبتي تتعلق بها ... وهي تهمس في نبرات مختلجة :لا تفتح ... لا تفتح ... لا أريد أن أعود اليهِ !

وسمعت صوت الطاهي يسألني عن طعام المساء ، فطلبت اليهِ ان يرجع بعد فترة ... ثم التفتُ اليها ، وقلت : ممن تخافين ؟

فتحركت شفتاها ، دون ان تنطق بحرف وعدتُ أقول : فيم الفزع ؟ ... ممن تخافين ؟

فقالت ، والحيرة تجول في ما قيها : أأستطيع ان أعوّل عليك ؟ — كل التعويل ...

— أقادرٌ أنت على أن تدفع عني كلَّ أذى ؟ أقادرٌ أنت على حمايتي ؟ حمايتي منهُ ... ؟ !

— مَنْ هو ؟ ... من ؟ — هو ... هو ... — أبوك ؟ — ليس لي أب.

— إذن مَنْ يكون ؟ فأخفت وجهها في صدري ، وطفقت تنشج قائلة :

لقد كذبتك ... كلُّ ما أخبرتك بهِ محض اختلاق ... اغفر لي !

— أوضحي كل شيء ... تكلمي ...

فرفعت عينيها إليَّ ، وقالت : لا تحقد عليّ ... اني فتاة بائسة . . لا نصير لي في الدنيا سواك .. ألم تقل انك راغبٌ في إصلاح أمري ؟

— عوّلي عليَّ واكشفي لي عن متاعبك وهمومك ! — اذن لن يستطيع أن ينالني بسوء !

— من هو ؟ — هو الذي يأمرني فأطيع ... هو الذي يلقنني كلَّ كلمة أتفوَّه بها.

ويرسم لي كل طريق أسلكه ... هو الذي يفرض عليّ إتاوات يجب أن أؤدّيها اليهِ كل يوم ... هو أصل بلائي ! — من هو ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— هو شيطانٌ لقيني في طريق الحياة ، فحوّلني من فتاة طيبة القلب ، طاهرة الذيل ، أدرس في معاهد التعليم بنشاط ، الى حيث ترى... أهوي الى الدرك الاسفل !

— ولماذا لا تتركينه !

—لا أدري ! ... لا أدري لماذا لا أستطيع تركه ? ... ولكنني أؤكد لك ان كل شيء انتهى الآن ... سأستأنف معك عهداً جديداً ... اني اضع حياتي كلها بين يديك ، فأقِلني من عثرتي، وانتشلني مما انا فيه .

— لا تخشي احداً ، ما دمت معي ! كوني على ثقةٍ بأني سأكون لكِ نعم الهادي ونعم النصير...

ووجدتها تريح رأسها ثانية على صدري ، وترخي اجفانها ، وقد شاعت في وجهها طمأنينة وهدوء .. وغمرنا الصمت والسكون ... وأخذ ضوء النهار يشحب...

وطال صمتها ، وهي مسبلة الأجفان . وكان صدرها يعلو ويهبط في حركة منتظمة ، فأحطتها بذراعي في رفق ، وطفقت أتطلع اليها ، مجتلياً سحرها الخلاّب...

يا لله ! ... لم أرَها على هذه الفتنة من قبل ....

***

استيقظت والصبح قد بدأ يتنفس ، ودرت بعينيَّ أتفقد « ذات الشفاه » ... فلم أجدها ، فناديتها ، فلم يجبني أحد .. فانطلقت أبحث عنها في الدار ، فلم أعثر لها على أثر . فقصدت الى حجرة مكتبي حيران مضطرباً ، فوقع بصري على درج المكتب مفتوحاً . وألفيت حلقة المفاتيح معلقة بقفله ، فأخذ مني العجب كل مأخذ ، ان حلقة المفاتيح لا تبرح جيبي ! وهرعت الى الدرج ، أبحث فيه ، فلم أجد محفظة نقودي ! ...

ووقفت مبهوتاً ، وقد انتفخت أوداجي ...

وعدتُ الى بحثي في دقة وتحرٍّ ، منادياً «ذات الشفاه»... ولكن كل ذلك كان بلا جدوى ! واندفعت الى «التليفون» أطلب «قسم البغالة» وما كاد يجيبني حتى أعدت السماعة مكانها في عنف ، وأنا أردّد : غلط ! ... غلط ! ...

وجعلت أقطع الحجرة ذهاباً وجيئة ، وبغتة وقع نظري على معجم « ابوت » ملقى على الأرض في إهمال، متجمعاً بعضه على بعض ، كشيخ طحنته السنون . وأبصرت بقصاصة الورق تطلُّ من بين صحائفه ، فانحنيت أجتذبها . وما إن طالعتني صورة « الشفاه الغليظة » حتى انهلت عليها دعكاً ، وقذفت بها في عرض الحجرة ، وانثنيت على المعجم ، فوقع في وهمي انهُ يرمقني في خبث وتهكم ، فركلتهُ ركلةً شتّتت من أوراقهِ ، وبعثرت من فصولهِ ... !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنظيم المعايش

في الاسلام

لنقولا زيادة

ان الرقعة التي رفرف عليها علم العروبة والاسلام متباعدة الاطراف. متسعة الارجاء متباينة الوضع الجغرافي. مختلفة العامل الطبيعي من أودية وارفة الظلال الى أحواض أنهار يانعة، الى سهول منبسطة غنية، الى جبال مرتفعة الى صحارٍ قاحلة. فكان من الطبيعي ان تتنوَّع موارد الرزق في ربوعها. وتتعدَّد مصادر العيش في انحائها. وتبع ذلك اختلاف في وسائل العيش وطرق الارتفاق، وسبل تنظيمها. ولست أريد ان أتعرض لهذه النواحي المتعددة، كما انني لست أنوي أن أتناول النظامَ المالي في الدولة الاسلامية بالدرس والتحليل. وكل غرضي أن أنقل إليكم شذرات مختلفة عن تنظيم المعايش تسقطتها من كتب الأدب والتاريخ

لم يلبث العرب بعد استقرارهم في البلاد التي فتحوها ان سكوا النقود. ولذلك كانت المعاملات التجارية في انحاء العالم الاسلامي. الاّ في النادر من الاحوال، تعتمد على النقد لا على المقايضة. وقد كانت الدنانير الذهبية والدراهم الفضية معاً اساس النقد. وبذلك كان النظام النقدي، ثنائيًّا. هذا بالاضافة الى فروق محلية في وزن الدرهم. ويمكن القول اجمالاً ان الدينار كان ينقص قليلاً عن نصف الجنيه الانكليزي الآن. اما الدرهم فكان يساوي اربعين ملاً (اربعين مليماً او اربعين فلساً). والدرهم المقصود هنا هو الدرهم النقرة الذي يكون ثلثاه من الفضة الخالصة وثلثه من النحاس. وهو الدرهم الذي كان استعماله شائعاً في سوريا ومصر حول القرن الخامس الهجري. اما الدرهم المغربي فقد كانت قيمتهُ ثلث قيمة الدرهم النقرة. وقد عرف الناس النقود النحاسية في زمن مبكر في الدولة الاسلامية لكنها لم تكن في وقت من الاوقات تعدُّ اساساً للمعاملة التجارية. على انها راجت في السوق في القرن الثامن الهجري وكانت ثمانية واربعون فلساً منها تساوي درهماً واحداً. لكنها لم تلبث ان فقدت قيمتها فأصبحت تقوَّم الحاجيات بوزن من النقود على انها نحاس لا على انها نقد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت وحدة الوزن متباينة في انحاء العالم الاسلامي . ففي مصر كان الرطل مائة واربعة واربعين درهماً على نحو ما نعرفهُ اليوم . اما في سوريا فقد اختلف وزنهُ بين ستمائة درهم في دمشق وصفد وطرابلس وبين سبعمائة وعشرين درهماً في حلب وحماة وغزة . وهو على كل حال ، أقل من وزن الرطل المستعمل الآن في انحاء سوريا كذلك كانت وحدة المكاييل تختلف في القطر الواحد عنها في القطر الآخر اختلافاً بيناً . وان كانت تتفق قطراً قطراً مع المستعمل منها الى الآن : فالقدح والويبة والأردب كانت مستعملة في مصر والمد والكيل والغرارة كانت شائعة في سوريا . منذ القرن السادس الهجري

والتحدث عن تنظيم المعايش يقتضي الاشارة الى أسعار الاشياء وكسب الناس ، لبيان العلاقة بين ما يكسبه المرء ومقدار ما ينفقهُ على شؤون العيش الضرورية . ودفعاً للبس والتكرار اللذين يمكن ان ينشآ من ذكر أثمان وحدات الوزن والكيل المختلفة رأيت ان أورد الوزن بالكيلوغرام . والسعر بالملات . والمل الفلسطيني يقابل الفلس العراقي على التحقيق والمليم المصري على وجه التقريب . فالسعر المألوف للقمح في سوريا ومصر كان ملين للكيلو الواحد ومثلهُ للارز . اما الشعير فكان ثمن الكيلو الواحد ملاً ونصف المل . وكان ثمن كيلو اللحم نحو اربعين ملاً وثمن الدجاجة يتفاوت بين ثمانين ملاً ومائة من الملات . اما في العراق فقد كان القمح أغلى . لذلك بلغ ثمن الكيلو الواحد ثلاثة ملات . وروي ان ثمن حمل حمار من القصب في مراكش كان نحو خمسة عشر ملاً . هذه هي الاسعار العادية اما في الازمات مثل القحط او انتشار الوباء او الحروب فقد كانت الاسعار ترتفع خمسة أضعاف وسبعة أضعاف . وقد بلغ ثمن رغيف الخبز في زمن المستنصر الفاطمي في مصر خمسة عشر ديناراً

***

اما الاجور والمكاسب فقد ترك لنا السلف الكثير من اخبارها : ومما لا ريب فيه ان العمال ومن جرى مجراهم لم يكونوا يتمتعون ببحبوحة من الرزق . فقد كان النساج يتداول ، في بعض الأحيان ، نصف درهم في اليوم . وقد نقل الاستاذ متز عن صاحب مصارع العشاق ان الرجل وزوجه في عصر الرشيد كان يكفيهما ثلاثمائة درهم في السنة للعيش المتوسط . فاذا تذكرنا هذا وجدنا ان النساج المذكور كان يضطر الى عيش هو دون المتوسط . أما أصحاب الأرضين فكانوا يؤجرون الفدان الواحد من الأرض الجيدة بأربعين درهماً في السنة في أوقات الرخاء . وقد روى لنا القلقشندي الكثير عن ارزاق اصحاب الوظائف نكتفي الآن بالاشارة الى بعضها . كان رزق الوزير في مصر خمسة آلاف دينار في الشهر ينفق منها على حاشيته ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت وظائف القصر المختلفة تتفاوت أرزاقها بين عشرة دنانير ومائة دينار في الشهر . وكان الشيخ الكبير في مجلس السلطان بتونس يتقاضي نيفاً وألفاً وثلاثمائة درهم نقرة في الشهر الواحد . وروى ان محتسب مصر كان يتقاضى ثلاثين ديناراً في الشهر وان قضاة مصر تباينت مرتباتهم بين الثلاثين والمائة والستين من الدنانير . وان معلم النحو والعروض كان يتناول ستين درهماً في الشهر . ولا شك ان هذه الأرقام تعيننا على تفهم العلاقة بين الايراد والمصروف

وقد نالت المعاملات التجارية والمالية حظاً وافراً من العناية والترتيب . فكانت السفاتج وسيلة نقل الأموال من مكان الى آخر . فقد روى ناصري خسرو انهُ لما ترك اسوان حمل معه سفتجة من صاحبه هناك الى وكيله في عيذاب فدفع له المبلغ لقاءها . وقد بلغت قيمة بعض السفاتج والصكوك ثلاثين او اربعين الفاً من الدنانير . هذا الى الخانات العديدة التي كانت مقصد التجار الغرباء يضعون بضائعهم ودوابهم في اسفلها وينامون في اعلاها ، ويقفلون غرفهم بأقفال رومية . وبعض هذه الفنادق كان فيهِ اربع او خمس طبقات . ولعلَّ فنادق الاسكندرية كانت من اكبر ما عرف في العالم الاسلامي

ولم تكن الدولة تشرف على تنظيم الحياة الاقتصادية العامة . لكننا مع ذلك نجد ان اولي الأمر كانوا يراقبون شؤون المعاش مراقبة دقيقة في بعض الأحيان ، رغبة في ضبط الأمور ومنع الغش . فمن ذلك ان المكاييل والموازين كانت خاضعة لمراقبة المحتسب الشديدة. وقد روى المقريزي انهُ كان في كل سوق من اسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى امرهم . وكان العريف أحد المشتغلين بالبيع في السوق . فان عريف الخبازين بمصر كان له دكان يبيع الخبز بها ويظهر من قصة رواها المقريزي ان العريف كان يعزله الوزير اذا وقع الظن انهُ انكر شيئاً . ونعرف مما نقله الاستاذ متز ان تجار الكتان في دلتا مصر لم يكونوا يستطيعون ان يبيعوا ما ينسج باسمهم الاَّ للسماسرة الذين تعينهم الحكومة . أما في فارس فقد كان غسل خيوط الكتان في نهر معين يقتضي الحصول على اذن من ناظر النهر . ومتى تمَّ النسج عيَّن السماسرة الرسميون ثمن الاقمشة وختموا اللفائف وسلموها الى التجار الاجانب

ومن هذا القبيل ما عرف عن نظام الاحتكار الذي لجأ اليهِ الفاطميون والمماليك وكان القصد منهُ زيادة واردات السلطان . فمن المعروف عن الفاطميين مثلاً انهم منعوا تصدير الاقمشة المصرية الى العراق ، وقد يكون اساس هذا العمل سياسيًّا لا اقتصاديًّا . لكننا نرى من الجهة الأخرى ، انهُ لكثرة التمر في كرمان كان يعطى للمصدرين جوائز . فكان الجمالون يحملون التمر مناصفة الى خراسان ويعطي السلطان كل جمل ديناراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعرف صناع العالم الاسلامي ما يصح ان نسميه « الماركة المسجلة » . فقد كانت البلاد المشهورة تنقش على ما يصنع فيها (عمل مدينة كذا) . على ان ذلك لم يمنع الغش ، اذ صنعت بعض البلاد ثياباً غير جيدة ، وكتبت عليها اسم بغداد لتروج سوقها

وبين الوظائف التي يذكرها القلقشندي نوع يسميه (الوظائف الصناعية) . وقد اورد انها كانت معروفة في مصر والشام. ومنها رئيس الجراحية والكحالين والاطباء ونحن نرجح ان هذا النوع من التنظيم كان يرمى فيه الى تنظيم الناحية الخلقية الأدبية اكثر من تنظيم الناحية المعاشية

أضف الى كل ذلك نوعاً من النقابات التي كانت تشرف على العمل والتجارة والتي نشأت عن تجمع الحرف وأصحابها في أجزاء معينة من السوق ، فاقتضى الوضع ضبطاً وتنظيماً خاصين . ولعلّ اصحاب البنوك كانوا في مقدمة من نظّم النقابات هذه

وثمة ناحية من نواحي تنظيم المعايش في الاسلام حرية بعنايتنا ، ولا سيما في هذه الأيام ، هذه الناحية هي الوسائل التي لجأ اليها أهل الحل والعقد في تفريج أزمات القحط وما يتبع ذلك من ارتفاع الاسعار . وقد وقعت على أخبار لها رواها المقريزي عن مصر ، رأيت في نقلها لذّة ومُتعة ودرساً عمليًّا

أصاب مصر في أواخر القرن الرابع الهجري قحط كان سببهُ نقص ماء النيل ، فارتفعت الاسعار وازدحم الناس على الخبز يطلبونه ويقتتلون من أجله . فجمع متولي السعر خزائن الغلال والطحانين والخبازين وقبض على ما بالساحل من الغلال وأمر أن لا تباع إلاّ للطحانين وسعّر القمح والشعير والحطب وسائر الحبوب والمبيعات ، وضرب جماعة بالسياط وشهّر بهم وشدد في ذلك وكبست عدة حواصل وفرق ما فيها على الطحانين بالسعر الرسمي . فنرى من هذا ان وزير الحاكم بأمر الله لجأ الى التسعيرة الجبرية وحظر توزيع الغلال إلاّ على الطحانين ليحول دون الاستغلال . وأصبحت التسعيرة الجبرية وسيلةً يلجأ اليها في الازمات في مصر في القرون التالية لزمن الحاكم بأمر الله

وثمة وسيلة أخرى لجأ اليها الوزير المصري في سبيل تخفيف الويلات في القرنين الرابع والخامس للهجرة ، وهي ختمُ الغلال . فقد أمر الحاكم بأمر الله بفرض ما يحتاج اليه من الغلال على أرباب الغلات وخيّرهم بين أن يبيعوا بالسعر الذي يقرره بما فيه الفائدة المحتمة لهم وبين أن يمتنعوا فيختم على غلاتهم ولا يمكنهم بيع شيء منها الى حين دخول الغلة الجديدة فاستجابوا لقوله وأطاعوا أمره وانحل السعر . ثم وقع غلاء في أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي في القرن الخامس للهجرة فختم القائد أبو عبد الله بن فاتك على مخازن الغلات وأحضر أربابها وخيرهم بين أن يبيعوا على سعر الدولة وبين أن يختم على غلاتهم . فمن أجاب باع ومن رفض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ختم على ما عنده . ونظر في حاجة السوق وفي المقدار التيسر الحصول عليه وباع ما نقص الى الطحانين بالسعر من غلات ديوان الدولة . فلما دخلت الغلة الجديدة بيعت الغلة المختوم عليها بسعر قليل وأصاب أصحابها خسارة كبيرة

وقد كان من عادة السلطان بمصر أن يحتفظ باحتياطي من الحبوب القصد منهُ تفريج الازمات اذا أصاب البلاد الجدب . فكان يبتاع لهُ في كل سنة غلة بمائة الف دينار وتجعل متجراً . وفي زمن اليازوري جُعل الخشب والصابون والعسل بين ما يخزن في متجر السلطان

واليازوري هذا هو الذي حاول أن ينظم توزيع الغلات في مصر بحيث لا يظلم مشتريها ولا يثري بائعها بغير حق . فقد كان العاملون أي عمال النواحي يطالبون الفلاحين بدفع الخراج قبل وقتهِ ، فاذا عجزوا ابتاعوا منهم غلاتهم ، قبل ادراكها بالثمن البخس ، ثم يقوّمونها على الديوان بالسعر الرائج ويربحون الفرق بين السعرين . فأمر اليازوري عمال النواحي بتحرير مبلغ الغلة الذي وقع الابتياع عليه وتقويم ما وزنهُ التجار للديوان وختم المخازن وإخباره بمبلغ ما يحصل تحت أيديهم . ثم جهز المراكب وحمل الغلال الى المخازن السلطانية بمصر وقرر أثمان الحبوب وسلم الى الخبازين حاجتهم لعمارة الاسواق ، ووظف ما يحتاج اليهِ لبلدان القاهرة ومصر وغيرها واستمر تدبيره هذا عشرين شهراً حتى قتل

ولعل الغلاء الذي وقع بمصر أيام المستنصر كان شر ما عرفهُ القطر الشقيق في زمن الفاطميين . وقد ترك لنا المقريزي صوراً حية ناطقة عما أصاب الناس من الضنك وانعدام القوت ، حتى بلغ ثمن الرغيف الواحد خمسة عشر ديناراً . ومع ذلك فقد وجد من حاول أن يستغل الضنك ويربح على حساب المعوزين والمحتاجين . فأنذر المستنصر الوالي بقطع رأسه ان لم يخفف البلاء . فذهب الوالي الى الحبس وأخرج منهُ قوماً وجب عليهم القتل وأفاض عليهم ثياباً واسعة وعمائم مدورة وطيالس سابلة وجمع تجار الغلة والخبازين والطحانين وعقد مجلساً عظيماً وأمر باحضار واحد من المحبوسين فدخل في هيئته العظيمة حتى اذا مثل بين يدي الوالي قال له (ويلك ما كفاك انك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان الى ان اخربت الأعمال ومحقت الغلال فأدى ذلك الى اختلال الدولة وهلاك الرعية . اضرب يا غلام رقبته) فضربت في الحال . واستدعى الوالي آخر فقام اليهِ الحاضرون من التجار والطحانين والخبازين وقالوا (ايها الأمير ! في بعض ما جرى كفاية ونحن نخرج الغلة وندير الطواحين ونعمر الأسواق بالخبز ونرخص الأسعار على الناس) . وبعد ضراعة قبل ما قدموه ووفوا بالشرط

الكلية العربية — القدس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مجالس الادب

عند نساء العرب

للسيدة وداد سكاكيني

لا ريب في أن الامة العربيـة من أعرق الأمم التي برّزت في أدبها وأحاطتهُ بالعناية والرعاية فكشف عن عصورها الزاهية والكابية ، وكان لها ميراثاً خالداً على الايام .ولعلَّ الشعر أروع ما عبر عن خواطر العرب وقرائحهم ، وأبدع ما صوَّر طبائعهم ووقائعهم ، فقد سار معهم الى حومات الوغى ورفرف عليهم في ظلال السلم والأمان . وقديماً قيل ان الشعر العربي كان في الجاهلية ديوان الأمة ، فيهِ تجد أنباء أيامها وألوان حياتها وصدى أمجادها ، ففي مجاهل ذلك العهد البعيد الذي ترامت أطرافهُ على الجزيرة العربية كان للأدب حفاوة وجلالة ولأهله عزة ومنعة ، وحيثما أقيمت للأدب قيمته الحقة راجت بضاعة أهله . وكان ثمة مواسم موعودة ومجالس مشهودة يجتمع فيها الناس بعضهم الى بعض فيتناقلون الأشعار ، ويتبادلون الأخبار .وكان سوق عكاظ اكبر مجلس من مجالس الأدب في جاهلية العرب فيهِ استطاعت الخنساء الشاعرة أخت صخر أن تنتقد شعر حسان بن ثابت الأنصاري وان تأخذ عليهِ مزالق في بيتهِ المشهور الذي يقول فيهِ :

لنا الجفنات الغر يلمعنَ في الضحى وأسيافنا من نجدة تقطر الدما

لقد كان عكاظ — ساعة وقفت فيه الخنساء تجادل حساناً تتسقط في شعره مواقع الزلل والخطل — حافلاً باعجابْ الرجال في أدب المرأة شاهداً على مكانتها عندهم.وكأني أرى بالخيال ذلك الحشد الحافل الذي جلس في بهرته النابغة الذبياني على صفَّة له في عكاظ وعقدت فوقه راية الشعر على قبة حمراء من أدم ، ووقفت الخنساء بين يديه تنتقد الرجال وتتصدى للأحكام الأدبية قالت : يا حسان ، لو قلت الجفـان لأحسنت لأن الجفـان اكثر عدداً من الجفنات وقلت يلمعنَ ولو قلت يبرقنَ . وقلت في الضحى ولو قلت في الدجى . وعددت أسيافاً ولم تعـد سيوفاً . وجعلت الدم يقطر ولم تجعلهُ سيالاً .فكان بيتك الذي تفاخر فيهِ وتنافر أقل شأناً وأضعف معنى . فخجل حسان وسحب وراءه ذيول الخيبة في حضرة شاعرة ناقدة شهد لها الفرزدق وأنداده بأنها بذت بشعرها فحول الشعراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولو عدنا الى جاهلية أعمق ، الى عهد امرىء القيس ، لوجدنا المرأة التي يسمونها أم جندب ويقول فيها امرؤ القيس :

خليلي مرّا بي على أم جندب لنقضي لبانات الفؤاد المعذب

وأم جندب هذه كان لها مع امرىء القيس مواقف فيها نقد وتنقير ، وفيها بعد نظر وتفكير ، كانت تصغي لشعر شاعرها وتكشف عن رأيها فيه بجرأة وصراحة ، ولو سلمت كل نصوص التاريخ الجاهلي ووصلت الى ايدينا لوجدنا فيها اخباراً عن أم جندب التي كان يمر بها الملك الضليل ليقضي عندها لبانات فؤاده المعذب . ولقد تزوجها حين هرب من المنذر بن ماء السماء والتجأ الى جبل طيء « أجأ وسلمى » فأجاره اولئك القوم وزوجوه بها ، وإنهُ ليأتيه ذات صباح علقمة التميمي وهو جاثم في خيمته وجنبه أم جندب فيتذاكران الشعر ويتنافران فيه ثم يتحاكمان الى ام جندب بعد ان ينشد امرؤ القيس قصيدته التي يقول فيها

فإنكما إن تنظراني ساعـة من الدهر تنفعني لدى أم جندبِ
ألم ترياني كلما جئت زائراً وجدت بها طيباً ولم تتطيبِ

ويقول فيها: فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

حتى اذا انتهى امرؤ القيس من قصيدته التي يشيد فيها بمحاسن أم جندب أخـذ علقمة ينشد أبياتاً من شعره فهزها السرور والإعجاب ، وفضلته على زوجها غير مخدوعة بشعره فيها ، فغضب عليها امرؤ القيس وكان بينهما شقاق وفراق ، فطلقها انتقاماً منها وتزوجها علقمة من بعده

فياسقى الله عهداً كان على جاهليته قد أنجب من النساء حاكمتين في الأدب حازمتين في نقده ، هما أم جندب والخنساء اللتان كانتا من أوليات النساء اللاتي أُوتينَ على الفطرة حصافة العقل وحضور البديهة وصحة الأحكام

وينحدر بنا الزمان فنجد من النساء شاعرات وخطيبات ، يقلنَ الشعر عفو الخاطر وعلى سجية الإلهام ، ويرتجلنَ الكلام بحضرة الخلفاء والامراء فيكون فيه فصل الخطاب ، كما وقع للوافدات على معاوية في مجلسه الرهيب اذ كنَّ يصدعنهُ بالحجة الدامغة ، ويقرعنَ سمعهُ الرهيف بحرية القول وروعة البيان مفضلات خصومه عليه ، فيفتح لهم هذا الأموي العظيم صدره الحليم ويخرجنَ من عنده مثقلات بالعطايا والهبات

هذه اللامة عجلى ببعض مجالس الأدب عند نسـاء العرب ، بل هي سوانح وهنيهات كان للمرأة فيهـا لحظات انتقاد وبديهـة أحكام ، أما المجالس الكبرى التي لمعت في سمائها كواكب الأديبات فكان أسطعها في عهد الامويين الذين أينع الأدب في آفاقهم ودنت قطوفه في دنياهم ، على ان أشهر اللواتي اختصهنَّ الله بمواهب الشعر والجمال وبديهة النقد والنكتة هنَّ من البرزات الشريفات كعائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وعمرة الجمحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وثريا بنت علي وغيرهنَّ من نساء قريش المترفات الظريفات

هؤلاء وسواهنَّ خلعنَ على الحياة الاجتماعية طرافة ومرحاً ، وشاركنَ الرجال في تطور الأدب ورواج سوقه ونشره بين الناس . فلقد كان لهنَّ مجالس يفد اليها الشعراء ليتناشدوا القريض فيفاضلنَ بينهم ويشرحنَ فنون شعرهم ودقائق معانيهـا ثم يجزلنَ لهم الهدايا والجوائز بيد ان أحفل مجلس نسائي تألقت فيهِ قرائح الشعراء المطبوعين ولمعت عبقرياتهم هو مجلس السيدة سكينـة بنت الحسين زعيمة المساجلات الشعرية والمطارحات الأدبية في زهوة أيامها وكأني بهـا وقد جلست في بهوها الرهيب متكئـة على وثير الحشـايا تحف بها الصواحب والوصائف وخلفها جارية زنجية تروّح عنها حر العشايا بمروحة من ريش النعام ، واذا أمامها على نمارق مصفوفة أشعر من قال شعراً في عصر الامويين الذي فاضت فيه الخيرات على أهل الالمعية والاصوات وهم جرير والفرزدق وكثير عزَّة وجميل بثينة ونصيب ، جاءوا عميـدة المجلس بشعرهم وكل منهم يمني نفسه برضاها عنهُ وإعجابها بقريضه فقالت السيدة سكينة للفرزدق كيف تقول :

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا أحيٌّ يرجى أم قتيـلٌ نغادره

فقلت ارفعا الأمراس لا يشعروا بنا وأقبلت في اعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا وأحمر من ساج تبص مساعره

ماذا حملك على افشاء سرها وسرك ، هلاَّ سترت عليهـا وعليك ، ثم انثنت سكينة الى جرير وقالت لهُ أأنت القائل :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسـلام

قال نعم . قالت : أفلا أخذت بيدها وأنت عفيف وفيك ضعف ؟ ثم نقدت غـيره حتى جاء دور جميل فأعجبت بقولهِ :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادي القرى اني اذن لسعيد

لكل حديث بينهن بشـاشة وكل قتيل عندهنَّ شهيـد

ثم منحتهم من الجوائز الغالية ما لم يحلموا بمثله من الخلفاء الذين كانوا يحبون الشعراء ويحدبون عليهم ، فكانوا يتقبلون حكمها الذي لا يرد بقبول حسن وهي العنيـفة في نقدها ، المزاحة في طبعها ، النزاعة الى التهكم والتندر ، فكان مجلسها سبيلاً لتنافسهم في الحظوة برضاها ونوالها ليكسبوا الصيت الحميد والمثوبة الراجحة

ولم يقتصر مجلس السيدة سكينة على رعاية الأدب وانما كانت فيهِ عناية بالطرب ، وفي هذا المجلس دقت مزاهر ونقرت أعواد وكان يؤثر فيهِ صوت على صوت ولحن على لحن

وهكذا كانت عائشة بنت طلحة حفيدة أبي بكر الصـديق تكرم الشعراء وتستمع لمـا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقولون فتقارن بين شاعر وشاعر وتوازن بين قصيد وقصيد ، ولئن تسرب الشك الى هذه الأخبار المتواترة عن تلك المجالس النسائية وعدّها بعضهم من الكبائر التي ترفعت عنها الشريفات المحصنات تحرجاً من جلوسهنّ الى الشعراء ورواتهم لما لهنّ من الصلات بال الرسول وصحبهِ الأكرمين فان الأخذ بصحة هذه الاخبار تكريمٌ مضاعفٌ لهنّ فان زعيمة عظيمة مثل سكينة بنت الحسين يأتيها الشعراء على عصمة وحشمة محتكمين اليها فتنقد أشعارهم وتكرمهم لما يزيدها شرفاً في الأدب على شرف في النسب . واذا أقبل عصر بني العباس ومرّ على الناس بخيله ورجله ، فرسانه على الصافنات الجياد يدكون الحصون ويفتحون الفتح الجديد أيام السفاح والمنصور ، فلا يكون في الفترة الاولى منهُ ذكر للأدب النسوي حتى اذا أغمدت السيوف وحبست الخيول ، قامت بغداد على أرض العراق ميادة بالبذخ والترف طالعة من مقاصيرها حسان الجواري والقيان . فكان منهنّ النادمات والمغنيات ، ولم يكن من حرائر ذلك العصر شبيهات لأديبات العصر الأموي اللواتي ساهمنَ في تجديد الأدب ورعايته ، لكن هنالك على العدوة اليسرى من حوض البحر التوسط حيث رقت الطبيعة ورفت ضفاف الوادي الكبير والوادي الصغير ، قام ملك للعرب رفيع العماد هو ملك الأندلس التي تسامى خيال أهلها، وفاحت من فنونهم أزاهير الموشحات عاطرة بريّا الشاعرين ابن هانىء ولسان الدين ، وقد كانت قرطبة جنة الدنيا في ذلك العهد السعيد ، فيها أثمرت عقول النساء وانحسرت مواهبهم عن أرق الاشعار وأبدع الخطوط ، كما يروي ابن فياض في تاريخه عن أخبار قرطبة — التي ظهر فيها مائة وسبعون امرأة كلهنّ يكتبنَ المصاحف الشريفة بالخط الكوفي في شأن الأديبات والشاعرات ، الصداحات كالعنادل بشعر أنبتتهُ غرناطة وبلنسية وقرطبة فيهِ من فن الحمراء والزهراء كل خالب أخاذ

أما أعظم مجلس أدبي قام في قرطبة فهو مجلس ولادة بنت المستكفي بالله أحد الخلفاء الأمويين في الأندلس كان يختلف اليه أكابر الامراء والوزراء ويسارع اليه الشعراء والأدباء فتحاورهم صاحبة المجلس وتناظرهم وتأخذ على آثارهم بالمغامز فتنقدها بانصاف واقتدار وتؤثر شاعراً على شاعر ومناظراً على مناظر ، وكانت ولادة شاعرة وراوية لمنظوم العرب ، وتحت قباب مجلسها بزغ نجم الشاعر ابن زيدون وتفتح نبوغه . وكان لولادة مع هذا الشاعر الذي جعل للاندلس مقاماً معلوماً في ديوان العرب علائق وثقى لحسده الوزير ابن عبدوس وسجنه وشتته وصادر أمواله فقال ابن زيدون بولادة قصيدته الخالدة :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

في هذا المجلس الأدبي لقي الشاعر مصرعه وكثر حساده وشانئوه لأن ولادة كانت بهِ محتفية وله مقرّبة ، وكان نصيبه من حساده أدهى وأمر من نصيب عمر بن أبي ربيعة الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت تكرمه السيدة سكينة حتى أثارت عليه الحساد واكثرت عليهِ الشانئين . فان ابن زيدون كتب رسالة على لسان ولادة سماها الأدباء بالرسالة الهزلية لأنهُ جعلها تهكماً بالوزير الحاسد خصمه ومزاحمه في مجلس ولادة ، هذا المجلس الذي توافرت فيهِ الرفاهية والنعمى وشاع فيه الفتون والبهجة، وكأني أتصور ولادة في مجلسها الأنيق تحف بها الاماء ويدخل عليها العبيد ، بأيديهم الصواني والصحاف فيطاف بها على الأدباء والجلساء المقربين ليسيغوا برد الشراب وعذبه ويأكلوا من ساخن الطعام ورطبه ، فاذا انتهوا من ذلك تناشدوا الأشعار وتداولوا الأخبار وولادة تميل بالسمع نحو شاعر عن يمين ثم تنقلب باللحاظ نحو راوٍ عن شمال، ومجامر البخور يتصاعد منها عبق العنبر فيعقد له دخان رقيق في سماء المكان حتى ساعة متأخرة من سمت الظهيرة أو هدأة عميقة من ليلة قمراء.لم يكن مجلس ولادة خيالاً مرَّ في دنيا الأدب ولو لم ينجب غير ابن زيدون ورسالته الهزلية لكفاه تخليداً على تراخي الزمان

ولقد يمتد بي سبيل البحث، اذا استوفيت الكلام على مجالس الأدب النسوي في بلاد الاندلس ، فلأعد الآن من خاليات الأيام ، من جاهلية العرب وعصور الاسلام وعهود الاندلس الى عصرنا الحاضر فأعرض مجلساً للادب قام منذ ثلاثين عاماً على ارض الكنانة ، في دار من دارات العبقرية في القاهرة العامرة ، هنالك كانت تتصدر فيهِ الجلوس لعظماء الرجال أديبة نابغة هوى نجمها منذ عهد قريب ، وغاب عن عالم الأدب محياها الوضيء الذي تلألأ بالعبقرية والعذوبة نحواً من ربع قرن ، هذه الأديبة هي الآنسة ميّ التي كانت فلتة من فلتات العرب وأفذاذهم في العصر الحديث ارسلها لبنان الى مصر لتكون الحجة على الرجال بعذب المقال وسحر البيان ، لقد طلعت على مصر في مطل فتوتها فتفتحت عبقريتها الغضة على جمال لبنان وتفجر نبوغها عند سفوح الاهرام لجنت من ثمرات الثقافتين العربية والغربية ما جعلها آية في سفر المرأة الشرقية واعجوبة في مواهبها المنوعة ، وكان لها من توجيه ابيها الصحافي وصحبة الأدباء ماحفزها الى الظهور بمجلس يعيد الى الأذهان ذكرى المجالس النسائية في عصور الحجاز والعراق والاندلس ، اما هذا المجلس الحافل بأرباب الشعر والأدب فكان يفتح ابوابه لمرتاديه كل يوم ثلاثاء فيأتيه الأدباء افواجاً افواجاً ممن ارخى الموت سدوله على وجوههم كالشعراء الملهمين اسماعيل صبري وولي الدين يكن وحافظ ابراهيم رحمهم الله ، ومن الأحياء المعاصرين اعلام الأدب والصحافة خليل مطران ، وطه حسين ، وأحمد لطفي السيد ، والعقاد وغيرهم من جبابرة العقول والأقلام ، فاذا فات احدهم مجلسٌ من مجالس ميّ اسف وندم لأنه يعلم ان كل سانحة من سوانحهِ هي وحي للاديب الموهوب ووعي شامل لأشتات المعرفة والثقافة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد اتفق ان المرحوم اسماعيل صبري كان بعيداً عن القاهرة في يوم ثلاثاء فأرسل برقية للآنسة ميّ يأسف لغيابهِ عن مجلسها فيها هذان البيتان :

روحي على بعض دور الحيّ حائمة كظامىء الطير حواماً على الماء
إن لم امتع بميّ ناظري غداً لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

وما احسب الشاعر كان مغبوناً في اجرة البرقيـة ، وقد فاتهُ ما هو اعز لديهِ منها ، فاتهُ التمتع بأطايب الحديث عند نابغة الجيل

ومن قبل ميّ ومجلسها في وادي النيل ظهر مجلس رفيع لاقطاب الرأي والأدب في بهو الأديبة النبيلة الاميرة نازلي فاضل التي كان يحفل مجلسها الوقور بأمثال الامام المصلح الشيخ محمد عبده ونصير المرأة قاسم أمين وسواهما من عظماء الرجال وصفوة الأدباء

وفي دارات غسان وامية قام مجلس للادب في حي كريم من احياء دمشق هو مجلس اديبة الشام الآنسة ماري عجمي ، صاحبة العروس المحتجبة ، لقد كان مجلسها منذ سنين حافلاً برجال الرابطة الادبية في هذا البلد الطيب وكان منهم المرحوم احمد شاكر الكرمي النقاد الاديب والاستاذ خليل مردم بك الشاعر الكبير وغيرهما من حملة الاقلام الموهوبين. في مجلسها كان يدور الحوار ويطول النقاش حول مشكلات الادب ونقده ، ولو لم تستأثر مشاغل الصحافة ثم حرفة التعليم بأوقات الآنسة ماري عجمي في ذلك الحين وبعده لكان مجلسها أحفى بالادب وأهله

وهكذا اتصلت في هذه المجالس حلقات السلسلة الادبية التي صاغتها اديبات العرب من غابر الدهر الى حاضره ، كانت سلسلة اغلى من الذهب الذي تزين به النساء النحـور والمعـاصم بل هي حلى لا تبلى . هي في آذان الزمان اسمى من الاقراط البعيـدة المهـاوي المتدلية من آذان الحسان . ولئن طوى تاريخ الادب سجل هـذه المجالس النسائية ، فان في الأمل المعقود والرجاء المنشود أن تقام مجالس طريفة لأديبات معـاصرات فتكون الحلقة الجديدة في هذه السلسلة الذهبية الخالدة التي أمسكت بأولها أم جندب زوجة امرىء القيس وأخذت بطرفها الاخير فقيدة الأدب ماري زيادة والآنسة ماري عجمي مدّ الله في عمرها

واذا تبجح المكابرون وجعلوا من مجالس الادب النسوي في الغرب بواعث نهضة شاملة فلا ينبغي أن يتناسوا ان مجالس الأدب عند نساء العرب كانت السباقة في الدهر الى الظهور والى التـأثير في الحياة الاجتماعية والأدبية، فان مجلس سكينة ومجلس ولادة اقدم من اول مجالس لأديبات الغرب ، ومجالس هؤلاء لم تقم إلاَّ في عصور متأخرة كما يشهد التاريخ

دمشق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاشعة اللاسلكية

ومكافحة آفات الحبوب المخزونة

عند ما تذكر الاشـعة اللاسلكية يتجه الذهن الى المخاطبات على أنواعها في المقام الأول . وقد استعملت هذه الأشعة خلال الحرب في تبيُّن الطائرات المغيرة ومعرفة أبعادها وارتفاعها. وقبل نشوب الحرب كان الرأي قد اتجه الى استعمالها في العلاج ، وذلك بعد الذي أثبتهُ قاجنر يورج النمسوي من فائدة حمَّى الملاريا في معالجة المصاب بالشلل العام الناشىء عن الاصابة بالزهري . وقد استعيض من حرارة الملاريا بالحرارة التي تولدها الامواج اللاسلكية القصيرة إذ تخترق الجسم في تجارب فصَّلناها في المقتطف (م ٧٧ ص ٣١١) . ثم ظهر ان هـذه الأشعة خير معوانٍ على مكافحة الحشرات التي تصيب الحبوب المخزونة

ويرجع استعمالها على الوجهين الأخيرين — في العلاج ومكافحة الآفات — الى بحث تولاه نقولا تسلا المخترع الصربي الاميركي إذ أشار باستعمال التيارات الكهربية سريعـة التذبذب في الطب . ثم تلاهُ دارسو نقال فبيَّن بتجارب جرَّبها ان الامواج الكهربية سريعة التذبذب تؤثر تأثيراً فعَّالاً في حيوية النسيج الذي توجَّـه اليـهِ . وفي مستهلّ هذا القرن بيَّن هنجستنبرج ان التيارات الكهربية سريعة التذبذب تعقم موادَّ مختلفة . وأثبت عيسو Esau في سنة ١٩٢٦ امكان استعمال الامواج المتناهية في القصر في العلاج وتلاهُ شليفيك فقال في جمعية برلين الطبية ان الأمواج اللاسلكية القصيرة طريقة من الطرق التي يصحُّ استعمالها لتعقيم بؤر الجراثيم في الحلق . وكان تعقيمها قبل ذلك لا يتمُّ إلاّ بوسـاطة أشعة رنتجن . وفي سبتمبر من سنة ١٩٢٦ نشر العالم شرسفسكي نتائج التجـارب التي أجراها لمعرفة تأثير التيارات السريعة التذبذب في الارانب وخنازير الهند . ثم لاحظ دايڤس — وهو مهندس أميركي — في دسمبر سنة ١٩٢٧ انهُ اذا أخذ مصباحاً من النوع الذي يضيء بالتوهج ووضعهُ قرب سلك هوائي تخرج منهُ أمواج لاسلكية قصيرة — ستة أمتار — توهج السلك والغاز اللذان داخل زجاج المصباح . ثم لاحظ أحد الباحثين في الشركة الكهربية العامة الاميركية ، ان العمال الذين يشتغلون بامتحان الأجهزة اللاسلكية ، ترتفع درجة حرارتهم عن المتوسط السوي في الجسم البشري . وتلاهُ هوسنر فأثبت انهُ يمكن استعمال هـذه الطريقة لاحداث أية درجة من الحرارة العالية في أجسام الحيوانات

فلما راجع دايفس نتائج هذه المباحث خطر لهُ ان استعمال هـذه الطريقة للفتك بآفات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحشرات التي تصيب المحصولات الزراعية المخزونة مستطاع . فالطاقة المشعة التي تخترق المواد من دون أن تفقد شيئاً من طاقتها وتحدث حرارة عالية في أجسام الحشرات التي تكون داخل الحبوب قد تميت تلك الحشرات بغير أن تضرّ الحبوب نفسها . والزراعة في حاجة الى مثل هذه الطريقة الفعّالة ، فتتيح للفلاّح أو للدولة ، أسلوباً علميًّا عمليًّا للفتك بالحشرات في جميع أدوار نموها من بيض الى يرق الى حشرات تامة التكوين

ان جميع البلدان الزراعية تخسر كلَّ سنة غيرَ يسير من القمح المخزون فيها . والطريقة المتبعة في الولايات المتحدة ، لتخفيف وطأة الحشرات وفعلها ، هي اخراج الحنطة المخزونة ونشرها للتهوية والتبريد ثم يعاد خزنها . فنموُّ البيض واليرق داخل الحبوب يقف خلال التبريد والتهوية . ولكن وقوفهُ عابر ويستأنف بعد الخزن لانهُ متى اعيد خزن الحبوب ارتفعت حرارتها بفعل تنفس الحبوب وغيرها من العوامل الفسيولوجية والطبيعية ، فيعود البيض واليرق الى نشاطه الطبيعي ، فينقف البيض وتنمو اليرقات وتفسد حبوب الحنطة المصابة وتمتدُّ الآفة من المصاب الى السليم . فاذا وجِّه الى الحبوب المصابة بآفةٍ حشرية من هذا القبيل ، تيار قوي من الاشعة قصيرة الامواج سريعة التذبذب ، قتل الحشرات التي داخل الحبوب. فاذا منعت اصابتها ثانية ، بالتخزين المحكم والتهوية ، كان في الوسع حفظ مقادير كبيرة من الحنطة زمناً طويلاً من دون أن تتطرق اليها آفة ما

فبعض أنواع الديدان يحفر أنفاقاً في الحبوب ويلقي بيضه فيها ، وقد يتعذر على الباحث ان يتبين الحبة المصابة من الحبة السليمة بنظرة عجلى . فاذا انقضت ثلاثة اسابيع او اربعة على هذه الحبوب في مخزن دافىء نقف البيض ، فتلتهم اليرقات خلال نموها ما في باطن الحب من غذاء . وقد قدرت وزارة الزراعة الاميركية ان الدودة من ساعة نقفها الى ان تبلغ تستغرق أربعة أسابيع وان فريقي الذكور والاناث متساويان عدداً وان الانثى تبيض مائتي بيضة وان كل البيض ينقف وان كل يرقة تبلغ ، فنسل ذكر وانثى من هذا الصنف يبلغ ملايين الملايين في ستة أشهر . فلا عجب في تلف مقادير كبيرة من الحنطة المخزونة كل سنة

وقد جرَّب دايفس تجارب دقيقة لمعرفة تأثير الأمواج اللاسلكية القصيرة في الآفات التي تصيب الحنطة . فاستعمل تيارين مختلفين ، طول الأمواج في أحدهما ٣٠ متراً وفي الثاني ستة امتار . فكان الاول فعّالاً في قتل الحشرة كاملة النمو ، في مقادير قليلة من الحنطة بعد تعريض الحبوب تسعين ثانية لامواج التيار ولكن البيض الذي في الحبوب نقف في ميعاده لانَّ هذه الأمواج الطويلة نسبيًّا ، لم تؤثر فيه . فجرَّب الأمواج القصيرة في التيار الثاني ووجهها الى حبوب مصابة ست ثوان فقط فقتلت البيض واليرق والحشرات كاملة النمو جميعاً . ومعالجة الحبوب على هذا النحو لا يضعف قدرتها على التفريخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حلم الحياة

لسيد قطب

أيها الحلم الذي كانت حياتي من حواليه دعاء وصلاه
وتسابيح وعتها أغنياتي وانتشاء بأفاويق الحياه

***

أيها الحلم الذي أطلقني من قيودي نحو آفاق عجيبه
والذي في الصحو قد رافقني بتهاويل من الوهم حبيبه

***

أيها الحلم الذي طهر نفسي بالعذاب الحلو والدمع الطهور
والذي أفعم بالآمال كأسي وحباني بعد رشدي بالغرور!

***

أيها الحلم الذي رد عليَّا نزق الطفل وأهواء الغلام
والذي ندَّى بدمعي مقلتيَّا وعلى إثر بكائي الابتسام!

***

أيها الحلم الذي جسَّم وهمي فاذا الأوهام في نفسي حقيقه
تتجلى في أحاسيسي وهمي صلةً بالروح والجسم وثيقه

***

أيها الحلم الذي أطلعها في حياتي مثلما تطلع نجمه
وأرانيها كما أبدعها فتنة تشقى بها الدنيا ونعمه

***

أيها الحلم الذي هيَّأ لي أنها في ذلك الكون فريده
والذي جسَّم فيها أملي وأمانيَّ اللهيفات الشريده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أيها الحلم الذي ظلَّلها في خيالي بأعاجيب الظلال
فبدت حوريَّة جلّلها ألق الطهر وإشراق الجمال

***

أيها الحلم الذي صوَّرها كل يوم صورة أخرى طريفه
كلها تبدو — وما أكثرها عذبة جذابة اللمح شفيفه

***

أيها الحلم الذي جمَّل عندي كل ما عنَّ لها من نزوات
والذي علق وجداني وجهدي بالذي يبدو لها من بدوات !

***

أيها الحلم الذي أوقدها شعلة هوجاء تذكو في دمي
كلما تلمس كفي يدها تلمس النشوة قلبي وفمي !

***

أيها الحلم الذي كان وكان أين نحن الآن من هذا الزمان؟
أين أطيافك أوهام العيان أين يا حلم لقد كنت وكان !

***

أين أنت الآن يا سرّ حياتي . أين أنت الآن يا معنى وجودي
أين يا وحي نشيدي وصلاتي أين؟ في وادٍ من الصمت بعيد

***

بيننا واد من البعد سحيق بينما أنت هنا ملء فؤادي
كإلـه حوله الصمت العميق وهو في كل شعور وفؤاد

***

لِمَ يا حلمي قد فارقتني فاذا الكون هباء في هباء
لِمَ يا حلمي قد أيقظتني فاذا الصحو شقاء في شقاء

***

أيها الحلم ترى كنت خداعاً إيه ما أصدقهُ هذا الخداع !
أيها الحلم الذي فات . وداعاً ما الذي نملكه غير الوداع !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الهدف الليلة ...

— ٢ —

مرافقة الرجال في غارة ليلية

غارة ليلية

فلنُـجل الطرف الآن في « المحطة » نفسها . وهي على الغالب قريبة العهد بالبناء ، وقد اتَّـبع بُـناتها أحدث القواعد في تصميمها وتشييدها . ان المباني « مخفَـاة » بحيث يندمج مظهرها الخارجي على قدر المستطاع ، لوناً وشكلا ، في الأرض التي تحيط بها . ومبانيها متفرقة في ساحة واسعة بينها مسافات غير يسيرة . وهناك شبكة من الطرق تربط المباني بمقر القيادة . وفي مقر القيادة « حجرة الأعمال الحربية » و « مقرّ » الضباط ، ومسكن الرجال ، ومسكن النساء الملحقات بسلاح الطيران ، والمستشفى ، ومركز التطهير ، ومستودع القنابل ، وحظائر الطائرات . والمطار نفسه تحيط بهِ درب على حواشيهِ . وغنيّ عن البيان أن الطائرات لا تحفظ في الحظائر بل هي مفرقة في جنبات المطار تفرّقاً يضعف تأثير القنابل التي قد يقذفها العدوّ عليهِ الى أدنى حدّ . فهي تبقى في العراء وتخدم هناك ولا تنقل الى الحظائر إلاّ لاصلاح كبير

ويتعين على رجال المطار ان يحفظوا الطائرات صالحة للعمل . فمنزلتهم عظيمة الشأن ونجاح كل غارة بل حياة الرجال الذين يغيرون مرتبطة بعملهم واتقانه . وعند ما تعود طائرة ما من غارة يهرع اليها رجال المطار المعينون للعمل في الليل فيغطون محركاتها وطوابيها . أما رجال المطار المعينون للعمل في النهـار فيشملون الذين يختصّـون بتجهيز الطائرات وإصلاحهـا ومهمتهم فحص الطائرة من مقدمها إلى ذيلهـا ، ومراجعة ما استنفدته الطائرة من وقود والمقابلة بين سجلّ الطيار وبين عدَّاداتها المختلفة وهم يراقبون مراقبة خاصة شموع الاحتراق ، ويبحثون في الجسم والأجنحة عن ثقوب أو فجوات فيها قد تكون أحدثتها المدافع المضادة أو الرشاشات . وتفحص حاملات القنابل كما يعنى خبيرٌ كهربيٌّ بفحص الأجهزة الكهربية في الطائرة موجّـهاً عناية خاصة الى جهاز إلقاء القنابل . ثم تفحص مقاليد الطائرة ، وتنفخ إطارات العجلات . وهذا العمل يستغرق من ساعتين إلى ثلاث ساعات

وهناك ، علاوة على رجال المطار ، فرقة النساء الملحقات بسلاح الطيران ، وعددهنَّ في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محطات قيادة القاذفات آخذ في الازدياد . وعليهنَّ النهوض بمهامَّ رتيبة مثل فك الرسائل الرمزية وترتيب الحجر وطبع الرسائل وأعمال التلفون وسوق السيارات وتنظيف شموع الاحتراق ، والطهي . فأعمالهنَّ منوَّعة وهنَّ ينهضنَ بها على أكفإ وجهٍ ، فيسدينَ خدمة أساسية إلى سلاح الطيران ، وكثيراً ما يكون ذلك في أماكن معرضة لخطر كبير . ولهنَّ مساكن خاصة بهنَّ وضباط منهنَّ للاشراف على النظام

ولا تكاد « المحطة » تتلقى الأوامر الأولى الخاصة بالغارة المقبلة ، حتى يبدأ العمل في تجهيز الطائرات بالوقود والقنابل . فيعدُّ شاويش الطيران ، المشرف على مستودع القنابل ، بالاشتراك مع رجاله ، الحمل المطلوب من القنابل. وتنقل بمركبات (ترولي) تجرُّها جرَّارات خاصة . وتقف امام كل طائرة لنقل القنابل إلى أماكنها الخاصة في الطائرة . وتستعمل أجهزة رافعة « ونشات » نقالة لرفع القنابل التي ثبِّتت فتيلها المفرقع فيها في المستودع . وفي الطائرات مقابض خاصة تقبض على القنابل ولا تفلتها الاّ بجهاز كهرطيسي يحركه مسدّد القنابل ، بتحريك مفاتيح على لوحة امامه (تشبه مفاتيح لوحة التلفون) . ووضع القنبلة وضعاً دقيقاً في رفها يستغرق وقتاً ويقتضي عناءً. وتستطيع جماعة من الرجال عددهم ثمانية وعشرون رجلاً تدربوا على هذا العمل ، ان يحملوا خمس عشرة طائرة بالقنابل في ساعتين

حجرة التعليمات

ولنعد الآن الى مقر قيادة المحطة . فرجال الطائرات الذين أعلِنوا بالحاجة اليهم في الليلة المقبلة ، يجتمعون هنا ، في حجرة اصدار التعليمات ، بضع ساعات قبل موعد الغارة . وهم جالسون يواجهون منبراً ووراءه لوح أسود . وفي كثير من هذه الحجر يوجد عادة البيان التالي معلقاً على الجدار : « خيرٌ لكم ان تحتفظوا بالصمت وان يظن الناس أنكم حمقى ، من أن تفتحوا أفواهكم وتجلوا كلَّ شك »

وبعد جلوسهم يجيء من ينبؤهم بما ينتظر منهم في الليلة المقبلة . وهنا وصف حقيقي لتعليمات غارة على مصنع نفط . والمتكلم إما قائد السرب ، وإما ضابط المخابرات : —

« الهدف الليلة هو مصنع النفط الكيميائي في جلز نكيرخن . وفي المانيا نوعان عامان لمصانع النفط . مصانع التكرير لمعالجة النفط الوسخ المستوردة من الخارج أو المستخرج من الآبار ، ومصانع النفط الكيميائي . فمصنع « جلز نكيرخن — بنزين » وهو هدفنا الليلة ، يحتوي على قسمين يولد فيهما النفط من الفحم بالتقطير الجوي وقد بدأ الالمان في زيادة هذا المصنع سنة ١٩٣٨ ومقدار ما يستطيع صنعه يبلغ ٣٢٥ الف طن في السنة

« وأعظم الاجزاء شأناً في هذا المصنع ، وأشدها تعرضاً للتدمير ، هو مصنع « الهدرجة » المرموز اليه بحرف B على الرسم . وهو واقع في النصف الاعلى من الهدف اذا اتجهت اليه الطائرة من الشمال الغربي ويشمل معظم ذلك القسم من الهدف . هذا الجزء من الهدف يشمل :

١ — دار التكثيف ٢ — أكشاك الهدرجة ٣ — وحدات الغاز المائي ٤ — مصنع تحويل أول اكسيد الكربون ٥ — مكان تنقية الكبريت

« فاصابة مباشرة بقنبلة كبيرة على دار التكثيف ، حيث تمتد أنابيب الهدروجين الواطىء الضغط الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المكثفات ، تسبب انفجاراً قوياً . ومن المرجح دائماً ان هذا الانفجار يحدث تلفاً كبيراً في مبنى يحتوي على عدد كبير من الآلات المتحركة

« واتلاف المكثف يعطل المصنع كله ، ولما كان استبدال المكثف من أشق الامور ، فتسديد القنابل الى دار التكثيف أهم هدف القنابل . لان الاصابة هنا قد تحدث تدميراً لا يتناسب في حال ما مع حجم القنبلة

« والمصنع واقع على الضفة الشمالية لقناة « امشر » وهي تحاذي هنا مسير قناة « رين — هيرن » وقريبة منها جداً

« أما الجزء الاكبر من بلدة « جلزنكيرخن » فواقع على الضفة الجنوبية ، ولكن الى غرب الهدف حي يشمل مباني صناعية وأخرى للسكن »

(ثم يلي ذلك وصف الاعلام التي يستطيع الطيارون الاهتداء بها الى الهدف والطرق المقترحة المفضية اليه)

« فعليكم أن تصلوا الى الهدف وتنجزوا مهمتكم

« دققوا الملاحظة وابلغونا موقع أعلام بارزة تشاهدونها لتوجع اليها في المستقبل ، ولاحظوا كذلك مواقع المدافع المضادة والاضواء الكشافة . وقد ورد مايفيد أن في شمال البلدة أضواء كشافة كثيرة مركزة هناك »

ويقترح المتحدث الطريق المفضي الى الهدف ، ولكنهُ لا يعيّنهُ تعييناً لا رجوع فيهِ . فقواد القاذفات يسمح لهم بمجال واسع في اختيار الطرق الى الاهداف المعيّنة في الأوامر ، بعد دخول الطائرات المنطقة التي يقع الهدف فيها . وهذا طبيعي إذ من المتعذر معرفة الاحوال التي يتمّ فيها الهجوم معرفة دقيقة

ثم يفضي المتحدث اليهم بتفاصيل مبنية على « خارطة القاومة » أي على أعمال الدفاع التي أنشأها العدو والتي يحتمل لقاؤها . وهي ثلاثة أنواع : المطاردات الليلية ، والمدافع المضادَّة ، وحواجز البلونات . ويشاهد رجال الطائرة على خارطة مبسوطة أمامهم ، المنطقة التي تعمل فيها المطاردات الليليـة والأماكن التي شوهدت فيها هذه المطاردات وموقع حواجز البلونات

ثم يعطى ملاّحو الطائرات — وهم في الوقت نفسه مسدّدو القنابل — خارطات للهدف . وهي كل ما يأخذونهُ معهم معواناً لتبيُّن الهدف والتعرُّف عليه . والخارطات مبسطة الى أقصى حدود التبسيط ، ومطبوعة بحبر من ألوان متعددة ، لتمثيل الحراج ، والمناطق العامرة ، والماء وغير ذلك من أوصاف الأرض التي يسهل تمييزها . أما الهدف نفسهُ فلونٌ بالحبر الأحمر أو البرتقالي فيبدو بارزاً . وتعرض على رجال الطائرات صور ضوئية للهدف ، وتعرض أخرى مكبرة على ستارة . ثم يخطب ضابط « الاشارة » في رجال الطائرات ، فينبيء عمال الأجهزة اللاسلكية ، بطول الأمواج التي يتعين عليهم استعمالها ، للمخاطبات العادية ، وللتعرف ولتعيين موقع الطائرة بالراديو ، ثم يفسر لهم شؤوناً أخرى حاثـًا على الامتناع عن استعمال الراديو الاّ في الطوارىء فخيرة الطيارين هم الذين يستطيعون ان يصلوا الى الهدف وان يعودوا منهُ بغير ان يكتشفهم العدو . واستعمال الاشارات اللاسلكية يكشفهم

ويستأنف خبير الظواهر الجوية الحديث . وبعد ما يقول ما عنده ، يلقي ضابط السلاح حديثاً موجزاً عن القنابل التي تحملها الطائرات وتفجرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد تستغرق هذه الناحية من التأهب للغارة ثلاثة ارباع الساعة . ولكنها أقصر على الغالب . والجو الذي يسود الحجرة هو جو محاضرة في جامعة ، ولكن عناية المستمعين بما يلقى عليهم، مما يبعث الغبطة في صدر كل محاضر في جامعة . كل موضوع يعالج معالجة واقعية عملية وليس هناك ما يكبد الذهن مشقة ما . فالحقائق تفصل في وضوح واختصار وغير قليل من التيسير. والغرض الذي يتوخاه المحاضرون وهو الغرض الذي يحققونه كذلك، ان لا يتركوا عذراً لأحد رجال الطائرة ، أنْ يقول انهُ لم يعرف ما عليه عمله او ما عليهِ اجتنابهُ

وبعد ذلك يقضي قواد الطائرات وقتاً ما مع ملاحيهم ، في تعيين خير الطرق المفضية الى الهدف وطرق العودة في الحدود التي عينت لهم . ثم يفحص القائد الطائرة مع رجال المطار ليستوثق من أن كلَّ شيءٍ في محله وعلى احسن حال . ويخرج الطائرة ويطير بها فوق المطار نصف ساعة من الزمان . وأشدُّ الآلات استرعاءً للعناية والاهتمام هي الأجهزة الكهربية والمائية لانهُ اذا طرأ خلل على وسيلة التخاطب بين رجال الطائرة تعذر على القائد أن يبلغ اوامره الى الرجال . وقد تكون الطائرة في حالة تامة ، ولكن تعطيل هذه الوسيلة يردُّها غير صالحة للاعمال الحربية

ويأخذ الملاّح معهُ الى الطائرة عندما يدخلها حقيبة من الخيش الأخضر يحفظ فيها عدده ، وهي تشمل رصاص الاشارة ، ودفتراً لكتابة الرسائل المختصرة ، ومصباحاً ضئيل النور ، وورقاً رقيقاً طبعت عليهِ التعليمات الواجب تنفيذها اذا ضلّت الطائرة واحتاجت الى معونة بالراديو . وهذا الورق مصنوع من ورق الرز الرقيق ،حتى اذا وقع طارىء سهل تدمير الورق بأكلهِ . ويقال ان طعم الحبر ليس مستطاباً ! وفي جيب آخر من الحقيبة نجد أجهزة الملاح العلمية وأقلاماً ملونة ، وفي جيب ثالث سجلّ الطائرة ، وخارطة الهدف ، وكشف أسئلةٍ على الملاّح الاجابة عنها كتابةً . وهناك كشف آخر مختصر يحتوي على مسائل يريد خبير الأحوال الجوية إجابة عنها ليتمكن من المقابلة بين الاحوال الجوية كما كانت فعلاً في اثناء الطيران وفوق الهدف ، وبين الأحوال كما استخرجها من المعلومات والارصاد المتاحة له . ثم هناك جداول الملاحة الفلكية

ثم يتناول الرجال طعامهم ويرتدون ملابس الطيران ، وهي منوعة وترتدى فوق البذلة العسكرية. ولكن الاتجاه الآن الى صنع ملابس للطيران من طراز واحد على مثال ما يصنع في الجيش . وفوق هذه يُلبس قميص من الصوف (جرزي) فوقهُ سترة تحتوي على جهاز ينفخ حالاً عند السقوط في الماء. أما الجوارب اللاصقة للاقدام فمن حرير وفوقها جوارب صوف ثم أحذية مبطنة بصوف الحمل . وتحتوي خوذة الطيار على قناع الاكسجين وأنبوب يركب في الجهاز المحتوي على الاكسجين. ولم تجر العادة بلبس الهابطات ولكنها تحفظ في متناول كل رجل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من رجال الطائرة جنب مقعده فيها . أما الطيار فيجلس على هابطته وقبل أن يركب الرجال طائراتهم يعطون أكياساً من الورق تحتوي على جرايتهم وهي تختلف باختلاف مواد الطعام المتاحة قبل بدء الغارة . وأفضلها جراية تشمل بضع قطع من « البسكويت » وتفاحة أو برتقالة ، ولوحاً من الشكولاته ومقداراً من سكر الشعير ، واللادن ، والعنب المجفف . وكل رجل من رجال الطائرة يحمل زجاجة (ترموس) تحتوي على شاي ساخن أو قهوة ساخنة . وينقل الرجال الى طائراتهم المفرقة في جنبات المطار بسيارة نقل

الرحلة

تبدو القاذفة ضخمة على الارض ، في دهانها الاسود تعلوهُ الحروف التي ترمز اليها وصورة أو رسم من صنع الخيال ، يختارهُ الرجال أو القائد — كرسم قوس منحنية وسهم مشدود الى الوتر ، أو صورة طائر ناشر جناحيه . ولكنها على ضخامتها البادية ، ضيقة الجنبات في الداخل . يزحف المدفعي الى طابيته ويوصد الباب ويدخل عامل الجهاز اللاسلكي حجرته ، ويجلس الطيار ومساعده أمام أزمّة الطائرة . والمشي داخل الطائرة يقتضي إحناء الرأس ، والاستعانة بحبال ممدودة

ومتى أخذ كل مكانه في الطائرة ، تعيَّن على عامل اللاسلكي أن يمتحن جهازه . فيمتحنهُ بمخاطبة مكتب المراقبة . وجميع الرسائل اللاسلكية التي ترسل من الطائرات المغيرة يتلقاها هذا المكتب وهو يقابل برج المراقبة في مطار مدنيّ . وفيهِ جهاز لاسلكي لاقط وآخر مرسل ، ومنهُ تحصى الطائرات الذاهبة والآيبة . ولكل طائرة حروف تدل على المحطة التي تتبعها كما لها حرف خاص تعرف بهِ في أثناءِ الغارة . وللمحطة اسم رمزي كذلك . والطريقة المستعملة كما يلي : —

هالو بارسنب (الاسم السري للمحطة) هالو بارسنب .E يتكلم .E الحرف الاول من Edward يتكلم ، هل تسمعني ، هل تسمعني ؟ اليك ، اليك .

فاذا التقط مكتب المراقبة هذه الاشارة أجاب : « بارسنب يجيب E الحرف الاول من Edward بارسنب يجيب E الحرف الاول من Edward . انني أسمعك ، قويا واضحاً ، انني أسمعك قويا واضحاً ...

ويلاحظ ان جميع الاشارات تتكرر عبارة عبارة للاستيثاق من فهمها

وتقوم الطائرات واحدة في أثر واحدة ، في فترات تتفاوت من دقيقتين الى خمس دقائق ، وتعطى الاشارة بالقيام من قبل الرجال المشرفين على المدرج النير فيضيئون مصباحاً أخضر او مصباحاً أحمر ، فيشير الاول بالقيام والثاني بالتريث . وفي أثناء القيام أو النزول الى الارض تقف سيارة اسعاف وعربة مطافىء قرب مكتب المراقبة متأهبتين للحوادث

ان الطائرات من طراز « هويتلي » تزن عندما يكون حملها كاملاً ، ستة عشر طنًّا وتحتاج الى ان تدرج على الارض مسافة الف ذراع قبل الارتفاع في الهواء . اما القاذفات من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طراز «سترلنغ» و « هاليفاكس » فوزنها أعظم ولكنها لا تحتاج الى مسافة أطول من الف ذراع لتدرج عليها قبل التحليق

فاذا بلغت ارتفاع الف قدم اتجهت في سيرها صوب الهدف. وإذا كانت الريح ملائمة اتجهت الطائرة توًّا الى الهدف من دقيقة ارتفاعها في الهواء . ولكن اذا لم تكن ملائمة حومت فوق المطار ، لأن القائد يريد ان يستوثق من ان طائرته متجهة اتجاهاً مستقيماً من بدء رحلتها ولذلك يكون الكلام الاول الذي تنقله وسيلة التخاطب الداخلي هو كلام الملاح . فيقول : «هالو .طيار . خط السير هو كذا». وحالما يوجه الطيار طائرته في الطريق الذي عينه له الملاّح يخاطب الملاّح قائلاً : « هالو . ملاّح . نحن في الطريق » . ويلي ذلك صمت عام الا ان يكون الملاح هو المتكلم . فقد يسأل الطيار أسئلة ليتحقق من ارتفاع الطائرة وسرعتها

وعند ما تصل الطائرة الى الساحل ، يعين الملاّح موقع وصولها الى الساحل ، على خارطته ، واذا كانت الطائرة قد حادت قليلاً عن طريقها المرسوم أصدر التعليمات اللازمة للعودة بها اليهِ . وعند ما تخلِّف الطائرة الساحلَ وراءها ، يبدأ الطيار في التحليق ويقول لرجال طائرته : انني أرتفع الآن الى كذا اقدام ، والسرعة كذا وكيت . واذ تمضي الطائرة في طريقها المرسوم ، يترك الملاح وشأنهُ ، لينهض بالمهمة المعقدة الواقعة على كاهله وهي تعيين خط السير والتحقق منهُ ، مستعيناً بالنجوم وبأسلوب لاسلكي موجه، يمكنه من تعيين موقعه بغير استعمال اشارات لاسلكية . وفوق البحر تحول القنابل «حية» أي قابلة للتفرقع

الظلام يسود باطن الطائرة ، واذا شاءَ أحد من الرجال أن يرى شيئاً فعليه باستعمال مصباحه الخافت الضوء . وعامل الجهاز اللاسلكي يملك مصباحاً من عنبر يمكنه من تدوين ما يشاء تدوينه في السجل . وقد يُسمع القائد وهو يصدر أوامره : اخفضوا أنواركم

لنعُدْ الآن الى مؤخرة الطائرة فنرى ما يفعله المدفعي الخلفي . لقد جلس في مقعده . وهابطته معلقة خلفهُ . وأبواب طابيتهِ موصدة . والطابية تتحرك بقوة محركة ، وتدوَّر تدويراً سهلاً في كل جهة . وأول ما يعنى به المدفعي هو امتحان الطابية فيحركها بالضغط على مقبض يشبه مقبض العجلة (الدرَّاجة) ثم يملأ المدفع ويعده للاطلاق ومتى أنجز هذه الأعمال ، يبلغ القائد بوسيلة « التخاطب الداخلي » ان كل شيء على ما يرام

واليك ما يقوله مدفعي خلفي في وصف مقامه وعمله : —

« الامر الذي يستوقف النظر في طابية الذيل هو شعور العزلة الذي تولده . فأنت وراء ذيل الطائرة ولا تستطيع أن ترى شيئاً منها إلا اذا التفت جانباً فتحس كأنك معلق في الفضاء . وقد يبدو هذا مخيفاً ولكنه في الواقع أخاذ . وهو يحملني على الشعور بأنني في طائرة غير طائرة رفاقي . انني أسمع أصواتهم وأعلم أنهم هناك في الطرف الآخر من الطائرة ولكنني اشعر انني بعيد عنهم وأنني وحدي . وإذ أتولى القيام بمهمتي وحدي أريد أن أشعر أنهم يتولون القيام بمهامهم غير خائفين هجوماً عليهم من الوراء

« وقد أنبأني بعض المدفعيين أن شعور الوحدة هذا ثقل عليهم في البدء ، ولكنني أنفقت غير يسير من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوقت في أعمالي الخاصة ، فلم تثقل علي وطأة هذا الاحساس . . . فعلينا أن نبقى يقظين الليلة في طابيتنا الخلفية لان نشاط مطاردات الاعداء كان وافراً في الليل الماضي، وغير قليل من مدفعيينا اشتبكوا معها . لم تتح لنا من قبل فرص كثيرة لاستعمال مدافعنا الا في أثناء القتال في فرنسا ، عند ما أتيحت لمدافعنا أهداف متعددة على الارض . من ارتفاع يسير .... نحن الآن نرتفع في بطء فوق الاعلام القاتمة المعرونة تحتنا . لقد اجتزنا الساحل واستأذنا القائد في اطلاق مدافعنا على البحر لكي نتحقق من صلاحيتها . وهناك فوق البحر ، على محاذاتنا ، أرى طائرة أخرى. انها بعيدة. فهل يجوز أن تكون من طراز مسرشمدت ١١٠ ؟ انني أبلغ ذلك الى القائد وأتتبعها بنظري ولكنها عند ما تنحرف أتبين ذيل قاذفة من طراز « ولنجتن » . واذا بها قد غابت عن النظر في الظلام . فأتمنى لها صيداً طيباً »

ورجال الطائرة لا يكثرون من التخاطب ، على الغالب ، بوسيلة « التخاطب الداخلي » لأن أعمالهم تشغلهم . ثم انهم لا يريدون أن يسرفوا في استعمال الاكسجين

إن الطائرة الآن فوق الساحل الهولندي ، ولعلها فوق طبق من الغيوم . فاذا كان الطبق كثيفاً تحقق الملاح من مسير طائرته بالنجوم أو بقذيفة مدفع مضاد . واذا كان الليل صافياً استطاع ان يهتدي بالطرق المائية في هولندا ، وهي مما لا يستطاع اخفاؤه . وإذ تقترب الطائرة من هدفها ، تكثر قذائف المدافع المضادة وهي من أصناف شتى . وقد تبدو قذفات هذه المدافع عند انطلاقها من مستوى الطائرة العالي ، كأنها عيون وحوش تلمع في الظلام. ثم إذ تنفجر على مقربة من الطائرة، تظهر كأنها كرات من النار. وكان الألمان في مرحلة الحرب الأولى ، يطلقون سلاسل من الكرات الحمر ، فتبدو كأنها مرتفعة متهادية في ارتفاعها صوب الطائرة . وكانت توصف بلفظي « البصل الأحمر » ولكن يلوح أنهم عدلوا عنها الآن

هنا يكون رجال الطائرة قد تحمسوا وتأهبوا للعمل ، وباتوا ينتظرون موعد القاء القنابل . وإذا كان العثور على الهدف غير سهل فقد يُسمَع الطيار وهو يوجّهُ سؤاله إلى الملاح ، ويكون الملاح قد تقدَّم إلى الأمام واستلقى منبطحاً ، أو جلس ، متأهباً لالقاء القنابل. وهو ينبطح أو يجلس وفقاً لطراز القاذفة . أما سؤال الطيار الموجه الى الملاح فيكون « هل حان الوقت لنتجه صوب الهدف ». أو « هل حان الوقت للهجوم » وبعد قليل يقول الملاح . « الزم طريقك » وعندها يكون القائد قد قرَّر هل يقبل على الهدف مباشرة أو يقبل عليهِ سابحاً في الهواء . وعلى كل حال فالمرجح انهُ تجنب تنبيه العدو بما يستطيع

والإقبال سباحةً في الهواء ، من شأنهِ أن يضلل رجال الدفاع ، لأن أجهزتهم الخاصة بالتقاط أمواج الصوت لا تستطيع أن تنصت إلى حركة الطائرة . وفي أثناء هذا الضرب من الهجوم ، يعلن الطيار ارتفاع طائرته كلَّ مائتي قدم . وعند ما يوشك أن ينحرف للهجوم على الهدف يقول الطيار «أنا أفتح أبواب القنابل» وهذا العمل يتم بجهاز ضغط مائي. وعندما تفتح الأبواب يتولى الملاح الإشراف . فهو الذي يوجهُ الطائرة صوب الهدف باصدار الأمر إلى الطيار . فاذا أراده أن ينحرف يساراً قال له « يساراً يساراً » مرتين أو «يميناً»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مرة واحدة . وسبب ذلك أن وسيلة التخاطب الداخلي قد تشوبها أحياناً طقطقة تحول دون تبين الكلام الملفوظ تبيناً واضحاً فاذا سمع الطيار في هذه الحالة لفظين متواليين علم أنهما « يساراً يساراً » ولو لم يتبين اللفظ . واذا سمع لفظاً واحداً علم انه « يميناً »

وقد يستغرق الإقبال سباحة في الهواء أربع دقائق الى خمس دقائق . وبعد هنيهة يسمع الملاح وهو يقول « إلزم طريقك » فيحفظ الطيار طائرته في طريقها بغير انحراف حتى يسمع الملاح يقول « سقطت القنابل » . وفي خلال ذلك يكون الملاح محدقاً في « منظار القذف » ، وفي متناول يده عدد من المفاتيح ، تمكنه من السيطرة على كيفية القاء القنابل . والقنابل قد تسقط دفعة واحدة ، أو تتبع إحداها الأخرى في فترات قصيرة . ومنظار القذف مصنوع بحيث يستطيع الملاح ان يحركه فيعمل المنظار من تلقاء نفسه حساباً لسرعة الطائرة بالقياس إلى الأرض وقوة الريح واتجاهها . واذا لزم الأمر أمكن اطلاق القنابل اطلاقاً ذاتياً عند ما تبلغ الطائرة موقعاً معيناً مبيناً على « المنظار » . ولا تكاد القنابل تسقط حتى يقول الملاح « سقطت القنابل » . فلنعد الآن الى المدفعي ولنلق نظرة عليه . الاغراء شديد بأن يجلس متفرجاً على القنابل الساقطة . ولكن مهمته غير التفرج لأنه يجب أن يكون دائم اليقظة لمراقبة مطاردات الاعداء التي تهاجم قاذفته . ومع ذلك يستطيع أن يلمح في معظم الاحيان ما يحدث ، وبخاصة اذا كانت القنبلة من النوع الجديد الذي يحدث ومضاً كبيراً عندما ينفجر . ان الطائرة الآن قد حولت مسيرها واتجهت صوب قاعدتها . ولكن لا يزال أمامها أن تواجه قنابل المدافع المضادة والأضواء الكشافة ❦

العودة

يتعين على عامل الجهاز اللاسلكي أن يحافظ على صمت جهازه قدر المستطاع خلال الرحلة . ولكن اذا ضل الملاح السبيل وعجز عن معرفة موقع الطائرة، استطاع أن يتبين الموقع بأسلوب خاص ، فيرسل سلسلة من النقط والشرط أمواجاً في الفضاء ، بعد ما يعطي الحروف السرية التي ترمز الى الطائرة ، وينتظر وصول الرد اليه من انكلترا . وعند ما يعرف موقع الطائرة يرسم الملاح خطاً جديداً للسير . واذا كانت الطائرة على مسافة ما من الساحل الانكليزي استطاع اذا شاء أن يحصل على توجيه مغنطيسي

على مقربة من « حجرة الاعمال الحربية » في محطة ما توجد « حجرة اللاسلكي » حيث المراقبة دائمة . وهناك عامل لاسلكي يستمع دائماً على الأمواج الخاصة المعينة لتلك المحطة . وعند ما تقترب الطائرة من مطارها الأصلي ، يستعمل التلفون اللاسلكي وتوجه إلى النزول على أرض المطار بتعليمات صادرة من « مكتب المراقبة » . وطيار القاذفات يدرب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما يعرف «بالطيران الأعمى» أي الطيران بغير أن يهتدي بمعالم ما على الأرض، كما يدرب على فن النزول إلى أرض المطار بغير معوان ما إلاّ شعاعة لاسلكية وبنظام بسيط من الاشارات الضوئية فيعرف أين هو، سواء أرأى الارض أم لم يرها. وإذا كان الجو غائماً طلب الطيار معرفة الضغط البارومتري فوق القاعدة، فيمكنهُ ذلك من ضبط بارومترهِ ومن تبين ارتفاعه عن سطح الأرض تعييناً دقيقاً. وفي خلال ذلك يكون ضباط « حجر الاعمال الحربية » في المحطات المختلفة وفي مقر قيادة القاذفات، قد قضوا الليل منتظرين، وهم يدوّنون النتائج التي تصلهم تباعاً، على ألواح بأقلام مختلفة الألوان أو على رسوم ببطاقات صغيرة خاصة

وقد يحدث أحياناً ان يغطي الضباب مطاراً ما بينما الطائرات التي قامت منهُ لا تزال في رحلتها، فعندئذٍ يجب ان ترسل اشارات خاصة، لتحويل هذه الطائرات الى قاعدة أخرى حيث يكون الجو صافياً. وعند ما تصل الطائرة فوق المطار يرسل « مكتب المراقبة » اشارة تنبيء قائدها بميعاد نزوله الى الارض. واذا وصلت عدة طائرات معاً تنبئهم الاشارة بترتيب نزولهم الى الارض. أما الطائرات المنتظرة فتحوّم فوق المطار على ارتفاع معين. وهناك مدرج مضاء أقيمت على أحد جانبيه زاوية دليل الهبوط، وأنوار هذا المدرج تضاء كلما همت طائرة بالنزول الى الأرض

وعندما ينزل رجال الطائرة منها، ينقلون بسيارات النقل الى « حجرة البحث » او الى «حجرة الاعمال الحربية » — وفقاً للمحطة — وهناك يوجّه اليهم احد ضباط المخابرات الاسئلة ويكون قد حضر في الصباح، الاجتماع الذي وصفت فيه الأهداف وأحوال الجو والطريق وما أشبه واشترك فيه. ولكي تكون تقارير ضباط المخابرات على نمطٍ واحد، يستعملون كشفاً معدًّا يحتوي على الأسئلة التي توجه الى رجال الطائرة المغيرة جميعاً

يسأل الرجال واحداً واحداً، سؤالاً دقيقاً عن كل صغيرة وكبيرة، حتى ولو أجمعوا على ان الغيم كان كثيفاً ورؤية الهدف مستحيلة. وقد يعهد في ذلك الى ضابطين او ثلاثة ضباط، اذا كان عددهم كبيراً. ولا تلبث الحجرة حتى تحفل بالطيارين والملاحين وعمال الراديو والمدفعيين يرشفون الشاي او القهوة ويجيبون عن الاسئلة الموجهة اليهم على النمط التالي

« ألقيت القنابل المحرقة الى الشمال من الحوض الجاني ... بدت النيران لي كأنها نيران الهشيم ... لم أتمكن من رؤية الانفجارات بسبب الاضواء الكشافة ... كانت الاضواء الكشافة فوق برلين كثيرة فأضاءت قنابل المدافع المضادة عند انفجارها ... صفان من الحرائق المتوهجة ... اقتربنا من الهدف في ثبات ورأيت لمعان القنابل المنفجرة .. كانت قنابل المدافع المضادة قليلة هنا ... وعند ما ألقيت القنبلة الجديدة من ارتفاع ١٢ الف قدم، ارتجفت الطائرة كأن قنبلة قد انفجرت قربها. كان الصرير يملأ الفضاء ... ان القمر كان ساحراً ... »

ثم وقد أشرف الفجر على الانبلاج، يتناولون الفطور ويأوون الى مضاجعهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اصابة الطفل

بالتشنجات العصبية

للدكتور عبده رزق

ليست التشنجات العصبية مرضاً بمعناه الحقيقي بل هي مجموعة أعراض تطرأ على الطفل تحت تأثير عوامل مختلفة ، فلها في باثولوجيا الاطفال شأن كبير مما يدعونا الى أن نفرد لها هنا فصلاً خاصًّا موجزاً

تميَّز التشنجات العصبية المذكورة بحدوث حركات تقلص أو تشنج في كل الجسم ، ولاسيما في الأطراف ، ويكون الطفل في خلالها فاقداً الشعور وبلا وعي . والنوبة التشنجية تدوم أحياناً بضع دقائق ، وقد تدوم ربع ساعة الى نصف ساعة على الاكثر ، ويندر أن تقتصر الحالة على حدوث نوبة واحدة بل تتكرر غالباً مراراً في اليوم الواحد أو خلال بضعة أيام

﴿ أسبابها ﴾ : يغلب حدوث نوب التشنجات في السنوات الأربع الأولى من عمر الطفل، ويندر أن تستمر الى ما بعد السنة الرابعة أو الخامسة . وهي تنقطع تماماً عند بلوغه السابعة أو الثامنة — ما لم تكن ناشئة عن الصرع أو الهستريا أو الالتهاب السحائي أو مرض في الدماغ . ويكثر حدوثها خاصة في الاولاد العصبيين وأبناء السكّيرين والمسلولين ، وفي الأولاد الهزال الضعاف مدة التسنين . وفي هذه الحالات تحدث نوب التشنجات عندهم لأقل وأتفه سبب . ثم ان الخوف والفزع والغضب والتهيج الشديد والجروح البسيطة والأجسام الغريبة في الأذن والأنف ، والدود في الأمعاء ، ولاسيما القبض ، كافية أحياناً كل منها لإحداثها . والتشنجات نفسها قد تحصل أيضاً نتيجة اعطاء الطفل أطعمة ثقيلة ، ويدلنا على ذلك زوال نوبة التشنجات عنهُ أحياناً عندما يتقيأ محتويات معدته . أضف الى ما تقدم ذكرهُ : التشنجات التي تحدث أيضاً عند تغير مزاج الوالدة أو المرضعة ، أو وقت ارضاع الطفل لبناً بعد انفعال نفساني شديد حدث لهذه الوالدة أو المرضعة ، أو نتيجة تعاطيهما المشروبات الكحولية الخ. ولذلك يجب على كل والدة أو مرضعة أن تتجنب هذه الأشياء المسبّبة لتهيج أعصابها وتوعك مزاجها حرصاً على صحة طفلها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد لوحظ حدوث التشنجات المذكورة أحياناً عرضاً أولياً لأحد الأمراض الحادة مثل التهاب الرئة والحصبة والخناق (الدفتريا) والانفلونزا والتهاب اللوزتين والسعال الديكي والحمَّى التيفية والحميات الطفحية الحادة عند الطفل ، بدلاً من الهذيان الذي يصيب كبار السن في مثل هذه الحالات . واذا ظهرت هذه التشنجات في أثناء إصابة الطفل بالنزلات المعدية المعوية ، دلَّ ذلك على خطورة المرض ووخامة العاقبة

ولا ننسى أخيراً حدوث التشنجات نفسها كعرض من أعراض التهاب الدماغ ، أو نتيجة حدوث نزف فيه ، وكذلك في الحالات الدماغية المزمنة كوجود أورام أو أكياس أو تصلب أو استسقاء

﴿ أعراضها ﴾ : تبدو الأعراض بحدوث تشنجات او انقباضات تشنجية في الذراعين والفخذين وعضلات الوجه،وانجذاب الرأس الى الخلف او الى جانب واحد، وظهور رغوة بين الشفتين ، وتصبب عرق بارد على الوجه واتساع حدقة العينين او انقباضها بحيث لا تتأثر بنور ويكون النبض ضعيفاً غير منتظم ، والتنفس سريعاً والاسنان مصطكة مع اصفرار او احتقان في وجه الطفل وتصاب في الجسم وحوَل في العينين ، وأحياناً خروج البول او الغائط بدون وعي . وتدوم هذه الحالة دقائق أو أكثر ، وقد تتردد أحياناً بسرعة بضع ساعات ثم تقلّ هذه الاعراض شيئاً فشيئاً وينام الطفل على اثر ذلك ساعة او ساعتين وهو في حالة تعب شديد . وعندما يستيقظ لا يبدو عليه أثر ما مما حدث له ، ويبقى هكذا حتى ظهور نوبة أخرى كالأولى وقد تنتهي نوبة التشنجات بموت الطفل في بعض الاحيان

والتشنجات العصبية في الاطفال سهل تشخيصها ، غير ان سببها الحقيقي لا يمكن دائماً معرفته . ولذا يجب ان نفتش عن كل ما يمكن معرفته في حالة الطفل وفي حالة المرضعة، للعثور على السبب الذي أدى الى هذه الحالة ومكافحته مع العلم ان تشنجات الأطفال المشار اليها لا ينشأ عنها خطر عند ما تكون الاعراض خفيفة والنوب قصيرة المدة وسببها معروفاً

وبخلاف ذلك تكون الحالة منطوية على خطر اذا تكرر حدوثها مراراً في مدة قصيرة ولاسيما اذا اعقبها سبات طويل ، وفي هذه الحالة تكون دليلاً على حدوث تغيرات حديثة طرأت على الدماغ أو على السحايا : كالالتهاب السحائي الدرني مثلاً أو غيره من امراض الجهاز العصبي

وفي بعض الأحيان يكون سبب التشنجات المذكورة اصابة الطفل بالصرع . وهذا يصح اذا عرفنا ان هذا الطفل تعتريه اعراض هذا المرض ويتكرر حدوث التشنجات فيه لأقل وأبسط سبب

(البقية في باب الاخبار العلمية)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت
ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

لم تكن هند هي المرأة العربية الوحيدة التي وقفت موقفاً عدائيًّا من محمد ومن الاسلام . فلقد أنكرت بنو غطفان على النبي دخوله في أرضهم شماليّ شرق المدينة ، وكان زعيم بنو غطفان عُيينة بن حصن الفزاري الذي حدثت بينهُ وبين النبي بعض مناوشات انتهت بأن جرى بينهما صلح (٨٨) . وعند ما حاصر المشركون المدينة سنة ٥ هجرية — ٦٢٧ ميلادية بلغت عداوة عيينة مبلغاً خطراً جعل النبي يصالحه على أن يعطيه ثلث ثمار المدينة لكي يخذِّل هو وقومه الناس عن القتال . ومن حسن حظ المسلمين أن الأنصار أبوا ذلك

(وقال سعد بن معاذ للنبي متكلماً بلسان الانصار : يا رسول الله : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً . أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ والله ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف (٨٩) حتى يحكم الله بيننا وبينهم — ابن هشام ج ٢ ص ١٦١ — المترجم)

وفي العام التالي نجد زيد بن حارثة — مولى النبي — في غزاة الى وادي القرى ضد الفزاريين ليثأر منهم في مناوشة سابقة أصابهُ منها جرح . وكان يقود الفزاريين في هذه المرة كما في المرة السابقة أرملة مالك بن حذيفة واسمها أم قرفة فاطمة بنت ربيعة ، وكانت امرأة مشهورة قوية وكانت عجوزاً كبيرة ، وكانت تقود قومها بنفسها وفيهم أولادها الكُثر وحفدتها . ولكن الدائرة دارت عليها وأخذت هي وابنتها الجميلة أم زِمْل سلمى بنت مالك أسيرتين . وقد شفى زيد بن حارثة غليل نفسه من أم قرفة بأن قتلها قتلة عنيفة بربرية ، فربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها (٩٠)

(لم يذكر ابن هشام صفة قتل أم قرفة بهذه الصورة الشنيعة ، ولكنه ، قال ان زيداً أمر قيس ابن المسحر بأن يقتل ام قرفة فقتلها قتلا عنيفاً — السيرة ج ٢ ص ٤٠٠ . وجاء في أسد الغابة ذكر مقتل أم قرفة ولكنه لم يذكر التمثيل بها . وذكرها الواقدي في كتابه المغازي مفصلة بهذه الصفة القاسية . والاستاذ محمد رضا في كتابه محمد ص ٣٣٨ يشك في صحة هذه الحادثة ويستدل على ذلك بنهي النبي عن المثلة في وصاته لعبد الرحمن بن عوف قبل سرية زيد بن حارثة بشهر واحد . وليس من المعقول ان يبلغ النبي خبر التمثيل بأم قرفة ثم يسكت عنه وهو ما نعلم في رأفته وشفقته حتى على الحيوان الاعجم . وحديثه عليه

(٨٨) ابن هشام والطبري والاصابة ج ٣ والنووي (٨٩) ابن هشام وموير ص ٣٠٧ ، ٣١٢

(٩٠) ابن هشام والطبري والواقدي واليعقوبي ج ٢ ص ٧٤

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السلام عن الرجل الذي بلغ به العطش وسقياه للكلب ، وعن المرأة التي عذبت في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الارض يصوران لنا رحمته بالحيوان بله الانسان الناطق. ولعل هذه القصة وضعها بعض ذوي الاغراض السياسية ليقابلوا بينها وبين ما صنعت هند بنت عتبة مع حمزة عم النبي — المترجم)

ولقد بلغ خبر الهزيمة والتمثيل بأم قرفة من نفس عيينة بن حصن مبلغه ، لأنها كانت حمته وسلمى الأسيرة بنت حمته . وعلى كل حال فنحن نجد عيينة في العام التالي في جماعة المسلمين ، ولكنه كان من المؤلفة قلوبهم . وكان له في قومه نفوذ ، فرأى النبي أن يستميلهُ بالعطايا ويتألف قلبه بالهبات . ولهذا كان عيينة ممن نالوا أكبر الانصباء من غنائم غزوة حنين . وكان ممن رفض أن يرد الاسلاب الى أصحابها بعد أن دخلوا في الاسلام

(الحق ان عيينة لم يرض أن يرد الاسلاب فحسب ، بل أبى أن يرد السبايا من النساء والابناء ، ويروي عنه ابن اسحاق انه أخذ عجوزاً من عجائز هوازن وقال حين أخذها اني أرى عجوزاً وأحسب ان لها في الحي نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها ، فلما رد رسول الله السبايا بست فرائض أبى عيينة أن يردها فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد « ليست غزيرة اللبن » .. فردها ... المترجم عن ابن هشام ص ٣١٩)

وكان النبي لا يطمئن الى عيينة . ولكنه وجد من الضروري ان يلاطفهُ في المعاملة لعلمه بنفوذه وشرفه في قومه(٩١)

ولكن عيينة لم يكن مسلماً صادق الاسلام ، ولهذا تجدهُ بين الذين ارتدوا عن الاسلام بعد وفاة النبي ، مدعياً انهُ لم يعرف الأمن ولا الاطمئنان على حدود قبيلته منذ ظهور محمد . وكانت غطفان فيما مضى حليفة لبني أسد ، فأراد عيينة أن يجدد الحلف من جديد . وذلك يعني انهُ يناصر طليحة بن خويلد الأسدي الذي ادعى النبوة . وقد رضي عيينة بمناصرة طليحة ومساعدته على نبوته ، مؤثراً بذلك أن يكون تابعاً لنبي من بني اسد على أن يكون تابعاً لنبي من قريش . لأن محمداً قد مات وطليحة ما تزال الحياة تنبض في قلبه . وقد أثارت أخبار هذا الحلف بين أسد وغطفان الفتنة في أحياء العرب ، فارتد عن الاسلام كثير من القبائل ، وبقيت قبائل اخرى تخطب ودَّ الاحلاف ولكن أبا بكر — الخليفة الاول أرسل أمهر قواده خالد بن الوليد لمقاتلتهم . وفي موقعة بزاخة (بأرض نجد — المترجم) التي دارت بين المسلمين والمرتدين أدرك عيينة بن حصن ورجاله السبع مائة أن الله ليس مع طليحة وحزبه فتراجعوا عن القتال. وفر طليحة وزوجه الى الشام وأسلم بعد ذلك . اما عيينة فقد حمل أسيراً الى أبي بكر متهماً بالردة فردَّ في جرأة بأنهُ ما كان مسلماً قبل ذلك ليرتد : ولكنهُ الآن يعلن اسلامه فعفا عنهُ الخليفة(٩٢) . ولكن أشياع طليحة بن خويلد لم يكونوا جميعاً على استعداد لإنهاء القتال ، فحينما تخلى عنهم بعض زعمائهم وجد جماعة منهم أن يجعلوا الزعامة في

(٩١) ابن هشام والواقدي ص ٤٢٢
(٩٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٦ والطبري ومعجم ياقوت ج ١ ص ٦٠١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

امرأة جريئة مغامرة هي سلمى قريبة عيينة وابنة ام قرفة التي قتلت قتلة عنيفة وقد تقدم ذكرها

وكانت سلمى هذه سبيت في غزاة وادي القرى وأعتقتها السيدة عائشة لخدمتها زماناً. ثم تزوجت بواحد من قرابة الرسول، ولكنها رجعت الى قومها وارتدت عن الاسلام وانضمت مع عيينة بن حصن الى طليحة المتنبيء متذكرة مقتل أمها العنيف الذي أغراها على الثأر أو الموت. ولقد اجتمع حول لوائها جمع من فزارة وأسد وهوازن وسليم وطي فقادت الجموع بنفسها كما صنعت أمها من قبل، وكانت واقفة على جمل لامها، والقتال حولها عنيف، لأن خالد بن الوليد قد وعد مائة من الابل لمن يقتل رجالها، ولكن الدائرة كانت عليها، فاجتمع على الجمل فوارس من المسلمين فعقروه وقتلوها وقتل حول جملها نحو مائة رجل (٩٣)

وفي هذه الحقبة نفسها من عصر الارتداد عن الاسلام نشهد في السنة الحادية عشرة من الهجرة آخر امرأة من ملكات العرب تظهر في الميدان، تلك هي المتنبئة أم صادر سجاح بنت عوس بن حق من قبيلة تميم

(في الدر المنثور ان اسمها سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان التميمية وفي الاعلام للزركلي كذلك. وفي فتوح البلدان للبلاذري طبع مطبعة جامعة كولمبيا بالولايات المتحدة ص ١٥١ ورد اسمها كما ذكرته الباحثة الفاضلة — المترجم)

وقصة سجاح لا تجدها تامة أو متتابعة في أي موضع من التاريخ. ونحن لا نعرف شيئاً عن سجاح قبل ظهورها الفاجيء. وقليل مما روي بعد ذلك نستطيع ان نؤكده. على أن قصة ادعائها النبوة تحمل كثيراً من الروايات المختلفة (٩٤) ومن هذه الروايات روايتان أكثر تحديداً ووضوحاً :— الاولى منهما مصدرها مدرسة العراق وقد رويت عن طريق سيف بن عمر التميمي الذي عاش في زمن هرون الرشيد العباسي، وأضيفت اليها بعض ملاحظات شتى. وهي قصة تعرض لنا سجاح كامرأة وزعيمة سياسية ودينية في صورة غير مرضية

وعلى كل حال فقد أظهرت الدراسات الغربية الحديثة أن سيفاً هذا كان قصاصاً مشهوراً، وكان هدفهُ الأعظم أن يشيد بأعمال قبيلته — تميم — وأن ينفي عنها — ما استطاع — كل تهمة بالردة (٩٥) أما الملاحظات الشتى التي مع هذه الرواية فهي تحمل في طياتها كل ضغينة مقصودة

وبناءً على هذه الرواية كانت سجاح تغلبية لا تميمية انحدرت من العراق لا من أرض تميم، وكانت امرأة ضعيفة أغواها عن شرفها ونفسها مسيلمة الكذاب. ولقد ادعت النبوة متأثرة بأحاديثه التافهة وآياته المسجوعة. ومحصل القول في هذه الرواية أن سجاح كانت امرأة ضعيفة ونبية كاذبة، ولكنها في النهاية اهتدت بنور الاسلام وماتت مسلمة حسنة

(٩٣) الطبري ومعجم ياقوت ج ٢ ص ٣٥٣ والسيرة الحلبية ج ٣ والاصابة ج ٤

(٩٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٤٤ (٩٥) المصدر السابق في الصفحة نفسها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسلام (٩٦) أما الرواية الثانية عن سجاح فهي أقل وثوقاً من الرواية الاولى ، ومصدرها مدرسة المدينة (٩٧) وحينما يضاف الى هذه الرواية بعض الملاحظات — مع إدراك الموقف على وجه العموم — نستطيع أن نكوّن من ذلك قصة محتملة عن سجاح كما يلي :—

كانت سجاح نفسها تميمية ، ولكن أمها من قبيلة بني تغلب ، وهي القبيلة التي استقرت زمناً في جنوبي العراق وكانت على النصرانية . ومن المحتمل أن آراء سجاح الدينية قد تأثرت بديانة أمها ، ولو أنهُ ليس هناك ما يجعلنا نستنبط أن سجاح نفسها كانت نصرانية

وهناك من المصادر ما يذكر انها كانت كاهنة (٩٨) . وقد رأينا في اول المقال الدور الذي استطاع الكاهن والكاهنة ان يلعباه — او لعباه بالفعل — في بلاد العرب الوثنية

واذا صحَّ ان سجاح كانت كاهنة او لم يصح فانه من المؤكد انها أدركت بعض الزعامة في قومها قبل وفاة محمد ، والاّ ما استطاعت ان تجد لنفسها أتباعاً حينما ادعت النبوة بعد وفاة النبي . وكان الموقف الديني والسياسي الذي غامرت فيه سجاح ، والذي خاطرت فيهِ بنفوذها في قبيلتها معقداً خطيراً . فلقد مات النبي محمد وتنبأ الأسود وطليحة ومسيلمة

(الصحيح ان الاسود العنسي ادعى النبوة في حياة النبي والتصويب عن محمد لرضا ص ٤٧٨ ، أما طليحة فقد تنبأ أيضاً زمن الرسول والتصويب عن الاعلام للزركلي ، وكذلك مسيلمة والتصويب عن محمد لرضا في الصفحة نفسها — المترجم)

وهذا العصر يسمى عصر المتنبئين . ولقد وجدت سجاح من نفسها امرأة قوية القلب بعيدة المطامح ، وخاصة اذا صحَّ انها كانت كاهنة — ولهذا وجدت الفرصة مواتية لها لكي تظهر في ميدان المتنبئين امرأة متنبئة . ولا بد انها وجدت نفسها أهلاً لهذه الدعوة

ولقد ارتد كثير من أتباع بني تميم عن الاسلام وألقوا دلوهم مع سجاح في الدلاء . وبينهم أحياء من حنظلة وعلى رأسهم وكيع بن مالك ومالك بن نويرة . وتردد بعض القبائل بين الاسلام والردة . وهكذا انقسم بنو تميم ، وجرَّهم الانقسام الى حرب أهلية ووقعت الفتنة بينهم ، وخسر أتباع سجاح الحرب في معركتين صغيرتين ، فانفضَّ عن سجاح بعض أتباعها ، ولهذا صارت مضطرة الى ان تعقد صلحاً على شرط ان تخرج من تميم . ولكن هذه الهزيمة لم تكن من الخطورة بحيث تكفي لحمل سجاح على الرجوع عن ادعاء النبوة ، فلقد صمَّمت على الخروج الى مسيلمة لقتاله ، فاذا انتصرت عليه حاولت ان تتفرغ لقتال ابي بكر وقريش . وكان من حججها ان تميماً تعدل قريشاً في الشرف والسيادة لأنها من مضر

(ضبطت الباحثة اسم مضر بالحروف الافرنجية هكذا « Madr » وهو خطأ صوابه Modar — المترجم)

واذا كانت النبوة في قريش فانها يصح ان تكون ايضاً في تميم . وعلى هذا تبقى قريش مع

(٩٦) الطبري والاغاني ج ١٨ والفخري ص١٠٤ (٩٧) فتوح البلدان ص٩٩ (٩٨) فتوح البلدان ص ٩٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محمد في أرض الحجاز وفي الشمال الغربي من بلاد العرب، وتبقى تميم مع سجاح في نجد والشمال الشرقي من بلاد العرب[٩٩].

(غرض الباحثة ان قريشاً تبق على دين محمد عليه السلام لا مع محمد نفسه ، لان النبي مات قبل أن تظهر نبوة سجاح . ومما قالته سجاح في ذلك ما رواه الاغاني ج ١٨ ص ١٦٦ : — أيها المؤمنون المتقون : لنا نصف الارض والقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يبغون . ويروى عن مسيلمة في الدر المنثور ص ٢٤١ انه قال : لنا نصف الارض ولقريش نصفها لو عدلت » ويظهر ان فكرة مناصفة الارض بين قريش وبين المتنبئين من اختراع القصاص لانها لا تتغير في حالة كل متنبىء فكرة وألفاظاً — المترجم)

خرجت سجاح على رأس جيشها قاصداً اليمامة عاصمة مسيلمة وهنا كانت الخصومة والمنافسة بلغت مبلغها بين مسيلمة وثمامة . ولهذا كانت الفرصة غير ملاءمة لمسيلمة فاستشار رهطه فاتفقوا على ان يرسل اليها ليستأمنها على نفسه حتى يأتيها ، فأمنته فجاءها في منتصف الطريق ليعقد معها صلحاً على السلام والامان

وقد كان بينهما لقاء تختلف الروايات في وصفه . وقد قيل ان مسيلمة على شيخوخته — فقد قيل انهُ اوفى حينئذٍ على المائة والخمسين عاماً — اعتدى على شرفها وأجبرها على زواج غير شريف وما أسرع ما أنكر زواجها وأعادها الى قومها في جنوبي العراق ذليلة سليبة الشرف فارغة اليد [١٠٠]. وبعض الروايات تقول انهما حين تلاقيا استطاع مسيلمة بآياته المسجوعة ان يقنع سجاح بحقه العالي في النبوة . ثم عرض عليها زواجاً شريفاً فقبلته طيبة الخاطر . وهذه الرواية تناسب ما عرف من السير من ان سجاح اشتركت مع مسيلمة في ادعاء النبوة وبقيت معه في أرض اليمامة حتى سقطت [١٠١] . وبعض المصادر لا تشير الى معاهدة بين سجاح ومسيلمة . وشرطها ان تنصرف سجاح ويصالحها مسيلمة على غلات اليمامة سنة ، تأخذ النصف، وتترك عنده من يأخذ النصف وهم ثلاثة من قوادها (هذيل وعقة وزياد — المترجم عن الدر المنثور ص ٢٤١)

ولولا تقدم سن مسيلمة وذكر المعاهدة لوجدت الرواية الثانية عن زواج سجاح بعض القبول، ولكن الاحتمالات — على العلات — في مصلحة المعاهدة وحدها . لأن الحظ في ذلك الوقت كان محالفاً لقريش ، فقد كان خالد بن الوليد على وشك الاجهاز على جيش طليحة بن خويلد وسلمى أم زمل . ولم يكن جيش سجاح منظماً او يصح الاعتماد عليه . ولهذا كانت شروط مسيلمة في المعاهدة كريمة سخية . وقدرت سجاح انهُ في مثل هذه الظروف قد يكون الحزم والعقل أحسن مراتب الشجاعة ، فقبلت شروط مسيلمة وعادت الى قومها — لا الى بلاد تميم التي خرجت منها — ولكن الى ارض اخوالها بني تغلب[١٠٢] من العراق.

(٩٩) الاغاني ج ١٤ ص ٦٦ ، ج ١٨ ص ١٦٥ (١٠٠) الاغاني ١٨ ص ١٦٦ والفخري ص ١٠٤ (١٠١) الطبري واليعقوبي ج ٢ ص ١٤٤ وابو الفدا ج ١ ص ٢٠٨ — ٢١٢
(١٠٢) الطبري وابن الاثير ج ٢ ص ٢٧١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واذا كان لسجاح بعد ذلك مطامع في زعامة دينية او خطط طامحة الى فتوحات حربية فان حوادث الاشهر التالية قضت على مطامعها وخططها قضاءً مبرماً . فهذا خالد — سيف الاسلام — يكتسح البلاد ، وهذا مالك بن نويرة أكبر حلفائها من تميم قبض عليه في البطاح

(وقتل بضربة من ضرار بن الازور الاسدي — المترجم عن فوات الوفيات ج ٢ ص ١٤٣)

وهذا مسيلمة آخر المتنبئين وأكثرهم ادعاءً قد قتل في موقعة عقربة العنيفة . وبقتل مسيلمة انتقلت غلات اليمامة — التي وعد بها سجاح — الى يد الفاتح الذي كان يتقدم شيئاً فشيئاً الى أرض العراق . ولهذا ليس من العجب ألا نسمع بعد هذا عن سجاح . هل أقامت مع بني تغلب واعتنقت المسيحية ؟ أم هل عادت الى تميم التي رجعت ثانية الى الاسلام وأصبحت مسلمة مثلهم ؟

فاذا فعلت ذلك فانها تكون قد تتبعت خطوات طليحة . وأغلب المؤرخين يقولون باختصار انها عادت الى تميم وأسلمت وعاشت بقية أيامها الى أن ماتت في البصرة [١٠٣] التي أصبحت منزلاً للتميميين في عهد معاوية الذي أنزل تميماً في البصرة سنة ٤١ هجرية . سنة ٦٦١ — ٦٦٢ ميلادية

ولم يحفظ لنا مؤرخو السيرة المسلمون شيئاً من تعاليم سجاح . ولكن قليلاً من أسجاعها وصل الينا وهي أسجاع كانت تحمس بها الرجال على القتال ، ويعرف إلاهها برب السحاب . وكان لها مؤذنون من الرجال يدعون الناس الى الصلاة ، كما كان لها حاجب خاص وكانت تخطب الناس وتنشر دعوتها من فوق منبر [١٠٤]

ولقد خرجت سجاح — تقريباً — من غموض مطبق ولكنها — محاربةً ومتنبئةً — لعبت دوراً قصيراً ولكنه عظيم في التاريخ السياسي لأواسط جزيرة العرب

وبعد ذلك انتقلت حياتها الى غموض أشد كثافة مما أحاط ظهورها

ومع هذا فانها — وهي المرأة المتنبئة المقابلة لمحمد — نرى فيها آخر امرأة من ذلك الخط القديم الطويل المتقطع من ملكات بلاد العرب المستقلات

وهكذا نرى ان بلاد العرب التي أخرجت يوماً بلقيس ملكة سبأ ، والامبرطورة جوليا دمنا ، وزنوبيا الملكة الجليلة الشأن لم تعد تعرف ملكات محاربات مستقلات . ولكننا نرى بعد ذلك زوجة لسلطان أو أمًّا لخليفة أو أختاً أو عمة لملك تتدخل في بعض الشؤون السياسية . وقليلٌ من هؤلاء يحسنَّ أدوارهنَّ الى حد أننا لا نرى على مسرح السياسة في عصرهنَّ إلاَّ معرضاً لألاعيب المرأة الذكية . وعلى كل حال فان الملكات المسلمات المستقلات سيظهرنَ في عصور تالية ، ولكنهنَّ لسنَ من بنات العرب (تمّ)

(١٠٣) الطبري وابن الاثير ج ٢ ص ٢٧١ (١٠٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ٤ ص ٤٤

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب المراسلة والمناظرة

الدكتور امين باشا المعلوف

في نظر العلماء من معاصريه وعارفيهِ

كان لفقد المأسوف عليهِ الدكتور امين باشا المعلوف اثر بليغ في نفوس اصدقائه الكثيرين الذين وقفوا على جهوده العلمية في شتى النواحي وقدروها قدرها . وفي الحق ان موته لخسارة كبيرة للقطرين الشقيقين مصر وسوريا بل للناطقين بالضاد جميعاً لما كان عليهِ من شغف بالعلم وميل للبحث والاستقصاء فانه وان كان طبيباً الاّ ان نشاطه لم يكن محصوراً في دائرة الطب بل تعداها الى البحث في علوم اخرى كعلم الهيئة والحيوان والنبات فأخرج لقراء العربية كتابين نفيسين هما معجم الحيوان والمعجم الفلكيّ وبحثه فيهما موسوم بالدقة العلمية . هذا فضلاً عن بحوثه في بعض اصطلاحات النبات التي جال فيها وصال واجتزىء عن تفصيل ذلك بما ورد منهُ في مجلة المجمع العلمي العربي فقد استغرق صفحات عدة

ولما كنت صديقاً للفقيد منذ ثلاثين عاماً عقب عودتي من انجلترا رأيت ان انقل الى القراء بعض الاصطلاحات النباتية التي عثرت عليها تخليداً لذكراه وتنويهاً بفضلهِ وتعميماً لفائدتها

ولا يفوتني القول انهُ قد سدّ فراغاً طالما تطلعت إليهِ انظار الاساتذة والباحثين وكان عمدته في ذلك كتب اللغة لكبار العلماء كتاج العروس والمخصص ومعجم دوزي ومدّ القاموس وضع « لين » ومعجم النجاري ومعجم البقلي ومفردات ابن البيطار وكتاب الفلاحة لابن العوام عدا رسائل كل من الاب انستاس واليازجي في مجلتي المشرق والضياء . كل ذلك لتحرّي الصواب عند وضع هذه الاصطلاحات التي ما زالت تشغل بال اساتذة علم النبات في مصر الى اليوم

كان الفقيد متواضعاً لا يدعي الالمام بكل شيء فقد قال مبتدئاً إحدى مقالاته « لا يخفى ان الطريق وعر وان السائر فيهِ لا يأمن العثار فلا عجب اذا كثرت عثراتي فيهِ فارجو من الادباء إقالتها او الاغضاء عنها » واليك بعض تلك الاصطلاحات اجمالاً دون شرح المؤلف لها : —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجنين اسمه الفُوف بالعربية ، embry — والنَّقير والنقيرة والنُقرة والأُقور hilum — والبويب micropyle — والسويداء endosperm والغدفة testa — والسِبَرَاء والقطهار او القطمير tegumen — والخَلَيُّوس cellulose — والبَهْشين أو الشوبرين suberin — والخَضوب chlorophyll — والسَبَد plumule — والنَتَش radicle — والعَجُز والقَصَرة والمَقْعَد hypocotyle — والأُرُومة primary root — والجِنث taproot. pavot — والمخروطيّ (للجذر) conical — والغَزلي fusiform — والشَلجَمي napiform — والزَغَب cilia — والعَمْرة أو الكُمَّة root cap — والساق caulis. stem. tige — والجِذْع trunk. tronc — والقَصَبة أو اليَرَاعة أو القلم culm — والأُبْنَة والعُجْرَة والعُقدة والكَعْب node — والأنبوب والأنبوبة nodular — والمعقّد والأعْقَد والمُعَجْرَم — والصَعْدَة (للساق) erect — والمنسطحة والمستلقية والمنسطحة internode — والتسطحة والمفترشة والمنبسطة prostrate — والعارشة والمعترشة والمعرّشة climber. plante grimpante — والعَصْبة والعطفة أو العَطفة twiner. convolve — والخالق والأُطفور والعِطفة والرشاء والحَبْلة tendril — والحَبَلة والسارعة والمِرْع والشكير والنامية runner. rejeton — والراكب والراكوب والركوب والرَكّابة واللاحقة (في العراق) والتنويم (في الشام) والتدريخ والدَرْخ (في مصر) والترقيد — stolon وفصيحها العكس والتعكيس layering. marcottage — والعَكيس layer. marcotte وفي الشام الداروخ وفي مصر الترقيدة — والرِئد والشَطء والشَطَأ sucker. dragon — والعِرْق وربما قيل الأُرُومة والجُذمور والجِذمار rhizome — والسُعْدة والسُعادى sobole وربما قيل النجيلة والثِيلة — والعَسْقل والعُسقول tuber — والبصلة bulb — والكعب والجِعْثِن والجِعثِم والقُرمة corm. chicot — والشجرة arbor — والجَنبة arbustus. shrub. arbuste — والبقلة herba — والقرن والسِنف والسِنفة والحُبلة والخُنبل والعُلف legume — والقرنيّة leguminosae — والبقلية portulacaceae — والحَولية annual (للنباتات) — والسنوية ويقال عامية

biennial — والمُعَمِّرة perennial — والجِلْب والجُلب والجُلبة ويقال لهُ الخشب الحقيقي duramen — والخشب الابيض ويقال لهُ الخشب الكاذب aburnum — والقشرة ويقال لها القِرْف والقِرْفة والقُرافة والقِلْف والقُلافة cortex — واللِّحاء liber. bast — والنَّجَب suber. cork. liège — والبشرة cuticle — والكنبيون cambium — والنسغ والدُمّاع sap. sève — والتنوير ويراد بهِ انتظام الزهر ووضعه أو الزَهْر والنَوْر والنُوّار وهي أسماء جمع inflorescence — والسُنبلة spike — والسُنيبلة spikelet — والعنقود raceme — والرُؤيس capitulum — والخيمة او الصيوان umbel — والهَرَيرة catkin or omentum — والطلعة spadix — والصَنَوبرة cone — والتَنّوبة strobile — والعِذق corymb — والعُثكول panicle — والشِمْراخ thyrsus والبَلَسة syconium — والسنمة cyme — والخصلة او الجُمَّة fascicle — والكُبَّة glomerulus — والكوكب أو الدُوّارة verticillaster — والعَصْفَة bract — والعُصَيفة bracteole — والقِناب والقِناب والقُنّابة involucre — والخِباء والخِفاء pale — والقُنبُعة glume والكافور spathe — والسَفاة والشَعَاعة والمُرْق awn — والسَفا والشُماع والروق beard — واللِفافة ويراد بها الكأس والتويج معاً perianth — والكأس calyx والقمع infundibulum — والتويج corolla — والأسدية واحدتها سَدَاة stamens والمِدَقة pistil والسِمَة stigma والفِصْلة sepal والبِتْلة والقَعالة petal — واللّقاح واللَقَح pollen — والمِئبر والمئبار والمآبر anther

هذا ما أسعفني الامكان بجمعه في هذه الاصطلاحات وقد قصدت الى أن آتي بنموذج لما كدّ المأسوف عليهِ في تحقيقه لاتحاف طالب العلم.

وبعد. فهل لي أن أتمنى على مجمع فؤاد الأول للغة العربية أن يلقي نظرة كريمة إلى تلك الاصطلاحات فانهُ المرجع الأوحد عندنا لاقرار ما لم يسبق له أن أقره من تلك الاصطلاحات ونشرها بين طلاب العلم بمصر والله الموفق

محمود مصطفى الدمياطي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظرة

في طرائف في الادب واللغة

١ — تمهيد

كتب الاستاذ الجليل نجيب افندي شاهين مقالة في هذه المجلة (١٠٢ : ٣١٨) وما يليها، عنونها، بلطائف في الأدب واللغة، بسط فيها آراءه في نقل الشعر الغربي الى شعر عربي، ثم نقد بعض ألفاظ يستعملها بعض كتّاب العصر، ومن جملتها «كبرى وصغرى»، وقال: «كلا التعبيرين غلط» ونحن لا نوافقهُ على رأيه هذا، لأن الذين يستعملونهما في كلامهم، لا يتخذونهما للمقابلة ولا للمفاضلة وان وردتا بصيغتهما — نعم، انهما على وزن فُعْلى مؤنث أفعل، لكن مستعمليهما يريدون بهما معنى الفاعل. واما انهُ لا يقال «أقيم احتفال أكبر» فهذا أيضاً لا نوافقهُ عليه، لأن الذي يقول احتفال أكبر يريد أن يقول: احتفال كبير، فأفعل هنا بمعنى فعيل بمعنى فاعل. أفلم يقل الأقدمون (الله اكبر)، (ومعناها الله كبير) (راجع مادة ك ب ر في التاج). وقالوا أيضاً (الله اعلم) ومعناه (الله عليم) وليس هناك مفاضلة ولا مقابلة. ومجيء أفعل بمعنى فاعل، كثير في كلامهم. فقد قالوا أيضاً: (فلان أقلّ) أي فقير وفيهِ بقية. ويقال ... أقل رجل يقول ذلك إلاّ زيد. معناه ما رجل يقولهُ إلاّ هو. فالقلة فيه بمعنى النَّفْي المحض. (راجع التاج في قلل)

وقال ابن الاعرابي: قال حنيف الحناتم، وكان من آبَلِ العرب: «الاعكاء من النوق بُهْيَا، والحمراء صُبْرَى، والخوّارة غُرْزى، والصهباء سرعى، يعني انها أبهى وأصبر وأغزر وأسرع (التاج في ر م ك)

وقال الشارح في (ع ز ز): الأعز: العزيز. وبهِ فُسّر قوله تعالى: ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ، أي العزيز منها ذليلاً — ويقال: ملك أعزّ وعزيز، بمعنى واحد ...

قلنا: والاشباه والنظائر لا تعد ولا تحصى

زد على ذلك ان أفعل قد يأتي بمعنى المفعول. فقد قالوا الأهلّ وهو الجبان. وأفعل هنا بمعنى مفعول، مثل الأحبّ بمعنى المحبوب. ولا نودّ أن نملّ النفس في هذا الموضوع، إذ لا نزيد القراء علماً بعد ما أوردناه من الشواهد

وكنا نودّ أن لا نرى في القطعة الثانية من مقاله كلمة (أخرى) بجانب كبرى وصغرى، إذ هاتان من وادٍ وتلك من وادٍ آخر، ولعلهُ من وادي بَرَهوت!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ — افتعل وورودهُ متعدياً أكثر من وروده لازماً

وقال حضرته : « استعمال اكتشف متعدّياً نادر (كذا) ومقصور على السماع . فقد جاء في معجم « محيط المحيط » للبستاني عن لفظة « اقتحش » اقتشحهُ معناه فتشهُ ، وهو أفعل (كذا . والصواب : افتعل) للمتعدي ، وقد ندر استعمالهُ هكذا »

قلنا لاحظ الشارح ان في ايراد اقتحش أمراً لابد من أن نأخذ بهِ . فليراجع إذ ليس هنا محل ايراده لأننا نريد الايجاز في المقال ، إذ صوابه نَقْحَش مثل نَهْمَس

وأما ان ورود افتعل متعدّياً نادر ، فالاستقراء الدقيق يدل على ان وروده لازماً أقل من وروده متعدياً، إذ هو الأكثر . ونحن نروي حكاية صغيرة بهذا الموضوع :

لما عينت مدرساً للغة العربية في المدرسة التي نشأت فيها (أي مدرسة الآباء الكرمليين في بغداد) كان عمري يومئذٍ خمس عشرة سنة . فتقدم مني أحد الطلبة وسألني سؤالاً ليسقطني فقال بين أيدي سائر الطلبة في الصفّ : يا أستاذ ، أوَرَدَ افتعل متعدّياً !

— قلت له : وروده متعدّياً اكثر من وروده لازماً بخلاف ما يؤكده أئمة الصرف والنحو واللغة

— قال : أيمكننا ان نسمع عشرة أمثلة إدعاماً لرأيك ؟

— فسردت له عشرين فعلاً للحال . وكنت قد درست هذا الموضوع قبل سنةٍ مضت

وكان الذي دفع ذاك التلميذ احد المعلمين المسنين وكان يتوقع من وراء ذلك ان يكون هو استاذ العربية . فلما خاب امله ، سُقِط في يده وبقي يعاديني الى آخر يوم من حياته

وكان لي خال اسمهُ شماس فرنسيس اوغسطين جبران يتقن العربية ، فذهبت اليهِ وقصصت عليه القصة. فقال لي : هذه احدى حُظَيَّات المعلم الفلاني . وسماه لي . ثم زاد على ما تقدم: وكيف خالفتَ رأي أئمة الصرف والنحو واللغة وانتَ حدث ؟ وكيف عرفت ذلك ؟

قلتُ : اني كنت وقفت على انكار الائمة ورود افتعل متعدّياً الاّ نادراً ، فأردت أن أتحقق الامر بنفسي من غير أن اتبع الناس اتباعاً أعمى ، فعمدت الى مطالعة القاموس الفيروزابادي حتى وصلت الى آخر مادة المجلد الاول ، اي الى آخر مادة (ج ب ر) فألفيت من الافعال الآتية بصيغة الافتعال للمتعدّي ٢٨٥ ، فاستنتجت ان ضابطتهم غير صحيحة ، واستنتجت في الوقت عينه ان الافتعال لازماً هو الأقل . فقلت في نفسي : لعلهم أرادوا شيئاً فكتبوا شيئاً آخر

فقال خالي : قرأت في الجوائب (وهي جريدة تصدر في الاستانة لصاحبها الشيخ احمد فارس الشدياق) ان صاحبها الف كتاباً في نقد قاموس الفيروزابادي سماه الجاسوس ومن جملة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما وصل اليهِ علمهُ وانعام النظر فيهِ ان مجموع افتعل المتعدي بلغ ٩٤٦ فعلاً، ومجموع افتعل اللازم بلغ ٨٦٨ . فلا تتعب نفسك بعد هذا في مطالعة القاموس ، وانتظر جلبي (الجاسوس) لتقف على الحقيقة وقوفاً ينفي كل ريب وشك عن هذا الموضوع. ثم جلبهُ بعد ستة اشهر، اي في اواخر سنة ١٢٩٩ هـ — ١٨٨١ م فكان ما قال هو الحق عينه

وبعد هذا لا أزيد كلمة . فليتدبّر هذه الحقيقة من يهمهُ الأمر !

٣ — « التعريب » من أفصح الكلام ولا يقوم مقامه اي لفظ كان

وأنكر حضرة الاستاذ صحة « التعريب » وظنها من اغلاط المعاصرين . ولا اوافقهُ ايضاً على ذلك . فقد كنت كتبت مقالة في مجلة (الباحث) التي كانت تصدر في طرابلس الشام مبيناً صحة هذه الكلمة قبل نحو من ثلاثين سنة . وكلٌّ يعلم ان خزانة كتب الدير سرقت وأحرقت عند سقوط بغداد في سنة ١٩١٧ م وليس اليوم بيدي المجلة لأذكر للقارىء محل ورود مقالي المذكور ، لكني استطيع الآن ان ابين ان (التعريب) مصدر عرَّبهُ أي أبانهُ وأفصحهُ مثل أعربهُ

قال في تاج العروس: « التعريب في الكلام هو النقل من لسان الى لسان ، فالمعرب والمعرَّب منهُ هو المنقول والمنقول منهُ » اه . وقال الشارح ايضاً في مادة (م ج س ط) : « ... وضعهُ بطليموس الحكيم و « عرّب » في زمن المأمون » .. وكذا ورد في كشف الظنون... اذ قال في المجسطي ... وعرَّبهُ حنين بن اسحاق ... وكان المأمون مغرماً بتعريبهِ » واعاد هذه الكلمة خمس مرات . وقال في كتاب الفلاحة الرومية : وعرَّبهُ ايضاً قسطا بن لوقا » اه . ولم أر أحداً من الاقدمين أنكر هذا الفعل ولا مشتقاته

وأما (ترجمهُ) و (نقلهُ الى العربية) و (استخرجهُ الى العربية) . فالترجمة لا تعني التعريب ، بل النقل من لغة الى أي لغة أخرى . و (نقل الى العربية) ثلاثة الفاظ هي أطول من يوم الصوم . وكذلك قل على (استخرجه الى العربية) . فعرَّبه أفصح جميع هذه الألفاظ بلا أدنى ريب . ولي شواهد أخرى أذكرها عند الحاجة اليها

٤ — اكتشف ومشتقاتها فصيحة صميم العربية

وصلنا الى (اكتشف) ومشتقاتها ، وما كنا نود ان نعود الى الكلام على هذه الكلمة بعد ان أفضنا البحث فيها في المقتطف (٨٦ : ٣١٥) أي في سنة ١٩٣٥ وفي مقتطف (٨٧ : ٢٨٠) اي في سنة ١٩٣٦ . وقد وقع البحث في سبع صفحات ولا حاجة لنا الى اعادته هنا ، فن أراد الحق فليرجع الى ما أشرنا اليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونزيد على ما تقدم ان الأستاذ نجيباً نسي الرد الذي حبَّر عباراته الاستاذ مصطفى جواد في جريدة الاهرام الصادرة في (١٥ — ٤ — ١٩٣٥) وعنوان البحث: « الكرملي المبتَلى » — فانه بين لهُ الاوهام التي ركب متنها ، ومن جملتها معاني افتعل ، وكان الاستاذ شاهين وشّى مقالة ادرجها في المقطم التي صدرت في ٢٢ مارس ١٩٣٥ ، فاذا هي ركام من الاوهام المشتبكة بعضها ببعض . ووقعت مقالة الاستاذ مصطفى في اربعة عمد دقيقة الحروف

فقول النحاة واللغويين : ورود افتعل متعدياً قول خرافة لا يجوز لأديب عربي معاصر ان ينطق بهِ اليوم بعد ما كتبنا وكتب غيرنا ، لا سيما أحمد فارس الشدياق . ولا ننسَ أيضاً الاستاذ الشهير والعلامة الكبير المغربي ، فانهُ أدرج في مجلة المجمع العلمي العربي التي تبرز في دمشق (١٢ : ٥٣٠ وفي ١٣ : ١٤٠ و١٤٦) . فاكتشف مأخوذ مجازاً من قولهم : اكتشف الكبش النعجة أي نزا عليها (اللسان وغيره)

وأنت تعلم ان (الاكتشاف) العلميّ هو الهجوم على الحقيقة وإلقاحها وانتاجها وانماؤها وبثها في عالم الحضارة والعمران فالأصل مأخوذ مما يراه العربيّ كل يوم في غنمه ، كما أخذ المنطقيون قولهم (النتيجة) و (الردْف) من أشياء طبيعية تقع تحت حواسهم كل يوم وكل ساعة ، وجعل بعض المتفصّحين (كشف) في معنى (اكتشف) لا يؤدي المعنى البتَّة ففي معنى (افتعل) معنى لا يرى في (فعل) ولا في (استفعل) . والعربي الفصيح لا يقول إلاّ (اكتشف) ولا يورط نفسهُ فيقول في مكانها (كشف) !

٥ — قطعت جهيزة قول كل خطيب ! اذ نطق باكتشف الجاحظ

قال الجاحظ في كتاب الحيوان: «وفي بعض ما يخشى في معارضته ولا يوثق بمغزاه، ويكتشفه فيحملونهُ على خلاص الذهن » اه (في ٢ : ٥٢ من طبعة الساسي ، وفي ٢ : ١٤٥ من طبعة البابي) ورحم الله والديك ، يا سيدي القارىء

الاب انستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الاول للغة العربية

بغداد

[المقتطف : أطلعنا الأستاذ شاهين على رسالة الأب للرد عليها اذا شاء فأجاب بأن طرائفه اللغوية مستمدة من كتب اللغة وفي مقدمتها اللسان . واللسان يفرق بين الترجمة والتعريب ويخطىء اوزان افعل وفعلى وفي جملتها اخرى كما درج عليها غير الفصحاء كما يفهم من تعليله « مآرب أخرى » . وأما ما ظنه الأب المحترم حجة مما أسنده الى فلان وفلان من الشواهد فليس بحجة . وأنا اعده من أوهام الخواص لأنها تخالف نصوص كتب اللغة والاّ وجب اصلاح كتب اللغة التي دأب الأب المحترم في تخطئتها وأنكره عليه غير واحد من الكتّاب اللغويين العصريين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما اكتشف التي قال الأب انها وردت في كلام الجاحظ فأرجو منهُ أن يدلني على مكانها لا شكًّا فيه أو ضعف إيمان بكلامه ولكن ليطمئنَّ قلبي فقد انتقدت عليهِ مرة استعمال اعتبر بمعنى عدّ كما هو الشائع في آخر هذا الزمان وطلبت منهُ الدليل على صحة استعمالها فقال ان عنده مستندات في بغداد ومتى يسافر اليها بالسلامة ويعد بالسلامة يأتي بها . وقد سافر وعاد صحيحاً معافىً مجدد النشاط ولكنهُ لم يبرّ بوعده لي

وان كان الجاحظ قد ذكر كلمة مكتشف كان الجاحظ مخطئاً وكان وهمهُ هذا من أوهام الخواص وهم مشتركون في الاخطاء لا يشذ أحد منهم . فقد ذكر الجاحظ نفسهُ في كتاب البيان والتبيين ان الحسن جمع لفظة شيطان في حالة الرفع على شياطون توهم ان الجمع جمع مذكر سالم . وخطب الحجاج فحرك لص بضم اللام فتحداه اعرابي وأعاده الى صوابهِ . وكأن المعجمات التي لا يزال الأب يجمعها على معاجم خلافاً لنصوص مجلة المجمع ربأت بالحجاج عن الخطإِ وهو صاحب الطراز المعلم في اللغة فقالت في كلامها عن لفظة اللص انها مثلثة

ولعل الأب الفضال يريد أن يصنع باللسان ما صنع احمد فارس الشدياق بالفيروزابادي إذ أخرج كتاب « الجاسوس على القاموس » نقداً لهُ وتجريحاً . فان كانت هذه نيتهُ فأنا أتبرع بمساعدتهِ مساعدة سطحية تقتصر على اللقب فلنسمّ كتابهُ مقدماً « نهاية الارب في تخطئة لسان العرب » أو « لسان العرب كما يريده الاب » أو « اللسان في كفة الميزان »

ولو كان يؤمن بالمعجمات لكنت أحيلهُ اليها في مراجعة كبرى وصغرى وتعريب وترجمة واكتشف (وليست في اللسان) ولكنهُ ضعيف الايمان بها كلها فحيلتي فيهِ ضعيفة

نعم الحيلة ضعيفة فيمن يخطّىء القاعدة بألف شاهد يخالفها ويريد أن يجعل منها الشذوذ ومن الشذوذ القاعدة . والقاعدة أوردتها نقلاً عن سيبويه فليراجعها الاب المحترم . ولما وضعت أراد واضعوها أن يقولوا ان النابغة الذبياني في اعتذاره الى النعمان ملك الحيرة بقولهِ :

لئن كنت قد بلغت عني وشاية لمبلغك الواشي أغش وأكذب

أراد انهُ كاذب . وهل يقبل الأب الفاضل أن أقول لهُ « أنا أكذب منك » واعتذر عن ذلك بقولي اني أريد اني انا وحدي كاذب . أظنهُ لا يقبل ذلك بل يقيم الدنيا عليَّ ويقعدها وحقهُ أن يفعل لان معنى المفاضلة لا يزال موجوداً ولو كان اسم التفضيل أفعل نائباً عن اسم الفاعل ومخالفاً للقاعدة

فالأب اخصائي في شواذ القواعد لا في القواعد نفسها . وهذه حالة شاذة غير عادية والعبرة بالقاعدة لا بشواذها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد كنت أود أن أؤجل ردي هذا الى العدد التالي وأورده مفصلاً ولكني رأيت ان أختصر وأضرب ما دام الحديد حامياً فلا أضرب في حديد بارد لا لأقنع الأب المفضال لأن ذلك عسر المنال ولكن لادفع عن نفسي والسلام]

وزن تفعال

تحت هذا العنوان ، في الباب ذاته للعدد الفائت ، قال الصديق اللغوي الأستاذ نجيب شاهين : « ووردت لفظة تَشواق لصديقنا الدكتور بشر فارس في بعض كتاباته (والمقصود « سوء تفاهم » مصر ١٩٤٢ ص ٤٦) فسألتهُ عنها . . . فقال انها صحيحة ولو لم توجد في معجم ولم يزد فلم يروِ لي غلّـة »

واليوم أقول ان اللفظة واردة في صوت من أصوات « الأغاني » (ط بولاق ج ٦ ص ٧٩ ، ٨٢ — ط دار الكتب ج ٦ ص ٣١٤ ، ٣٢٠). وفي هذا الصوت لحن لابن سريج وآخر لابن جامع تغنى به عند الرشيد . ودونك الشعر ولم يذكر أبو الفرج قائلهُ :

يا دار أضحت خلاءً لا أنيس بهـا الاّ الظباء والاّ الناشط الفرد

أين الذين اذا ما زرتهم جذِلوا وطار عن قلبي التشواق والكمد

هذا ، وذكر الأستاذ اللغوي مصادر جاءت وزان تَـفعال استخرجها من كتب اللغة . فهل لي أن أضيف اليها هذه من الذاكرة :

تسكاب « اللسان» مادة (س ك ب)

توكاف (« اللسان » مادة و ك ف ، ب ى ن)

تضراب . قال ذو الرمة : « عزيف كتَضراب المغنين بالطبل » . وقد ضُبط اللفظ بفتح التاء في « اللسان »(مادة ع ز ف) ، وهو اذاً غير التِضراب بكسرها ، وهذا اسم لا مصدر ، ومعناه موزّع — كما في « الإمتاع والمؤانسة » للامام التوحيدي مصر ١٩٤٢ ج ٢ ص ٣ — على ما يأتي : « أتت الناقة على تِضرابها ، أي على الوقت الذي ضربها الفحل فيه . وتِضراب : كثير الضرب »

ثم انهُ فيما استخرجهُ الصديق الكريم من المصادر ما هو مدوَّن في كتاب سيبويه (ط بولاق ١٣١٦ ج ٢ ص ٢٤٥) ، وقد اعتمده في مستهل كلمته وهذه المصادر هي : تَرداد ، تجوال ، تسيار

ب . ف .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في يوم ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ تأسس في مصر الاتحاد النسائي برآسة حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي على أثر دعوة وجهت الى نساء مصر للاشتراك في المؤتمر النسائي الدولي الذي عقد بروما في تلك السنة

وفي مساء الخميس ١٥ ابريل سنة ١٩٤٣ احتفل الاتحاد النسائي بمرور عشرين عاماً على تأسيسه ، وهو عمر ليس بالطويل في حياة الأمم ، ولكنهُ كان مملوءًا بالنضال العنيف والصراع الشديد . وكان حافلاً بآلام الانتقال من عصر الرقود الى عصر القيام والقعود....

وكان الاحتفال من أروع ما شهدته المحافل، شمله جلالة الملك بعطفه فأوفد محمود بك يونس مندوباً عنهُ ، وأوفد حضرة صاحب السمو الملكي الأمير محمد علي احمد بك مختار . وشهده طائفة كريمة من العظماء وأهل الرأي وقادة الفكر وأعلام الأدب وكرائم السيدات

وكان أروع ما في الاحتفال أن المرأة المصرية مُثِّلت فيه أحسن تمثيل ، فقد رأينا على مسرح الخطابة صوراً للفتاة المصرية طبيبةً ومحاميةً ومربية واجتماعية وشاعرة وكاتبة . كأنَّ الذين نظموا هذا المهرجان قصدوا ان يعرضوا المرأة المصرية في مختلف نواحي نشاطها

والحق أنهم أحسنوا العرض كل الاحسان، وكانت الخطيبات أنفسهنَّ اعلاناً طيباً عن نهضة المرأة وشهادة ناطقة بما أسداه الاتحاد في هذا السبيل

وكان الشعر أليق ما يقدَّم الى المرأة المصرية في عيد يقظتها . ولقد تولى هذه المهمة الشاعران الكبيران الاستاذان خليل مطران وعباس محمود العقاد، فكانت قصيدتاهما تمجيداً للمرأة ودفعاً لها الى المضي في تحقيق غرضها النبيل. كما كانت كلمة الاستاذ انطون الجميِّل بك تحمل الثقة والرجاء والامل الواسع العريض في تحقيق اغراض الاتحاد للوصول بالمرأة الى الغرض المقصود والأمل المنشود

وما أطيبها ساعات استمع الزائرون خلالها الى نعيمة الأيوبي الاجتماعية وكوكب حفني ناصف الطبيبة وابنة الشاطىء الكاتبة ومفيدة عبد الرحمن المحامية ومنيرة توفيق الشاعرة

ووقفت السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي تلقي خطاباً مستفيضاً في تاريخ الاتحاد وتستعرض ماضياً حافلاً بالصبر الجميل والألم الطويل . وهي بين ذلك ماضية في طريقها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما ضعفت ولا استكانت . حتى كلّـل الله سعيها بالنجاح في بعض الوجوه ولا تزال ترجو التوفيق في بعضها . فحدّد سن الزواج للفتاة بستة عشر عاماً ، وساوت الفتاة الفتى في جميع مراحل التعليم وزاد عدد الطالبات بالجامعتين حتى بلغ المئات بعد ان كان بضع طالبات

وأرسلت الفتاة الى اوربا لتلقي العلم على نفقة المعارف . كما أرسل الاتحاد نفسه سنة ١٩٣٦ ثلاث فتيات الى بلجيكا وثلاثاً الى تركيا لتعلم التدبير والاشغال اليدوية . واشترك الاتحاد في المؤتمرات النسائية الدولية فارتفع بذلك صوت المرأة المصرية في كل مكان . وسعى الاتحاد سعياً مشكوراً لالغاء الامتيازات الاجنبية لأنها تعطل في مصر تنفيذ قرارات المؤتمرات النسوية

ولقد تلقى السامعون هذا الخطاب الكريم بالاحتفاء والإعجاب، وتحمس الاستاذ الكبير محمد علي علوبة باشا فارتجل كلمة بليغة اقترح فيها لاصلاح الجماعة البشرية مشروعات تخص علاقة المرأة بالرجل من ناحية الزواج والطلاق ولقد بدا لي من حديث خاص مع السيدة هدى هانم انها شديدة الايمان بتحقق فكرتها ، قوية الأمل في الفتاة المصرية على شريطة أن يؤدي الرجال واجبهم، ويوفوا قسطهم . فإن النهضة المرجوّة لمصر تقوم على كتفين من الرجل والمرأة لا على كتف واحدة

وفي السيدة الجليلة طموح الى أبعد مطارح الفكر ، فقد أبت أن تكون دار الاتحاد الفخمة في شارع قصر العيني من طبقة واحدة فجعلتها — رغم عقبات المال — من طبقتين ... وهذا المثال الواحد من طموحها واتساع آفاق آمالها هو دليل على ان الارادة القوية لا تعوقها عقبات ولا تقف من دون سبيلها أهوال

ولقد تفضلت هدى هانم فخصت المقتطف بخطابها النفيس ، الذي يسر المقتطف ان يسجله ، ليكون سجلاً لجهاد المرأة المصرية وجهودها في عشرين عاماً . وموعدنا به عدد الشهر القادم

محمد عبد الغني حسن

الفيتامينات ونمو العظام

كشفت في السنوات الأخيرة أنواع جديدة كثيرة من الفيتامينات ولكن لم يحدث سوى تقدم قليل في كشف الاسباب التي تجعل هذه المواد ذات قيمة أساسية في صحة الانسان ولم يعرف العمل الخاص الذي يؤديه كل منها في الجسم على وجه التدقيق . فكل كشف جديد يبين العمل الخاص الذي يؤديه فيتامين معين في الجسم يعد ذا شأن عظيم لأن هذه المعلومات قد تؤدي الى مقاومة الأمراض وعلاوة على ذلك تفتح مجالاً جديداً للبحث — وكثيراً ما يكون واسعاً — الفسيولوجي والباثولوجي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد كشف أخيراً المستر ادوارد ملانبي عملاً لفيتامين (ا) ذا شأن خطير فانهُ وجد ان الحيوانات الصغيرة كالجراء اذا غذيت بأطعمة من المواد الغذائية العادية دون أن يكون بها فيتامين (ا) وكاروتين ظهر في عظامها تشوه خاص لأن بعض الأجزاء تنمو بسرعة أكبر مما تنمو بها أجزاء أخرى . فالعظام ذات التركيب الدقيق كفقرات الظهر تصير خشنة وتزول أطرافها وبروزاتها الحادة وتصير سميكة . ولنمو جزء معين من عظام الجمجمة ولاسيما في قاعدتها تأثيرات خطيرة لأنها تضغط على بعض الأعصاب وتقتلها أثناء مرورها الى المخ

وظهر ان العصب الثامن وهو عصب السمع يتأثر بصفة خاصة بنمو العظمة التي في أسفل الجمجمة أكثر مما ينبغي والجزء الخاص بالسمع من هذا العصب يتلف قبل غيره بضغط العظمة النامية عليه فيصاب الحيوان بالصمم

واذا زاد نمو هذه العظمة أتلف وظيفة جزء آخر من العصب فلا يعرف الحيوان موضع رأسه وتختلط حركاته ويترنح في سيره من جانب الى آخر في أثناء المشي أو الجري . كذلك قد تتأثر أعصاب الحس فالعصب النظري قد يتلف فيصاب الحيوان بالعمى . وقد يتأثر عصب الشم فتضعف أو تزول هذه الحاسة وكل ذلك بسبب ضغط العظمة النامية أكثر مما ينبغي على العصب

ولما كان عصب السمع يتأثر بصفة خاصة من نقص الفيتامين (ا) فقد يكون ذلك مفسراً لسبب الصمم الذي يصيب الانسان . ولا شك في ان نقص الفيتامين (ا) في الاطفال يزيد في نمو بعض العظام ولكن لم يوجد الى الآن دليل على ان هذا النقص هو سبب صمم الاطفال في انكلترا . والراجح ان من النادر ان يقل الفيتامين (ا) الى الدرجة التي تحدثه أو ان مدة نقصه تكفي لاحداث هذا التأثير

ولهذه الملاحظات منزلة علمية إذ يظهر الآن ان الفيتامين (ا) هو الذي ينظم نمو العظام فاذا قلَّ بازالته من الجسم زاد نمو العظم في بعض أجزائه وضغط على أجزاء مختلفة من المجموع العصبي المركزي . وبعبارة أخرى ان تنسيق النمو بحيث تكون عظام الجمجمة والعظام الأخرى متناسبة مع حجم المخ والعمود الفقري يزول عند ما يقل الفيتامين (ا)

ولما كان الفيتامينان (ا) و (د) موزعين بالاشتراك في الطبيعة كما يشاهد في مح البيض واللبن ودهن الحيوان والسمك وكانت وظيفة الفيتامين (د) هي تكايس العظام النامية وتقويتها فيستنتج من ذلك ان احدها خاص بالتنظيم والآخر بالتقوية وبناءً على ذلك فان زيت السمك الذي تكثر فيهِ هاتان المادتان يوجد عظاماً صلبة قوية ويضمن ان تكون متناسقة في الحجم والشكل اللذين يحتاج اليهما الجسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نوادر انقاذ السفن الغارقة

إن الذين تصدّوا لانتشال سفينة تدعى سكيرو كانوا أكبر حظًّا [1] . ففي سنة ١٨٩١ أقلعت هذه السفينة من مرفإٍ مدينة قرطاجينة على ساحل اسبانيا الشرقي ميمّمة لندن فدارت حول جبل طارق وخرجت الى المحيط الاطلنطي محاذية لشواطىء البرتغال والبحر رهوٌ وكلّ شيءٍ على ما يرام . إلاّ انها ما حاذت شواطىء اسبانيا الغربية حتى اكتنفها ضباب كثيف فجعلت تنفخ في ابواقها تحذيراً للبواخر الاخرى . وصار ربّانها كأنهُ يتلمس الطريق تلمساً في ذلك الرقيع الواسع

واذا بها تهتز اهتزازاً عنيفاً ، عند اصطدامها بصخور ناتئة فزقتها تمزيقاً ولم تنقض عليها عشرون دقيقة حتى امتلأت ماءً وهوت الى الاعماق

وما وصل خبرها حتى بدأت جماعة من أصحاب الشركات البحرية تتفاوض في انتشالها أو انتشال ما فيها من الاموال . فقال أحدهم ان الوصول اليها متعذر لانها غارقة على ٢٥ قامة تحت سطح البحر فأجابهُ آخر قد يتمكن أحد الغواصين من الوصول اليها

وبعد البحث الدقيق وجد ان السفينة كانت غارقة على ٣٠ قامة تحت سطح البحر . ولم يكن أحد من الغوّاصين قد تمكن من الغوص الى هذا العمق قبلاً ، فذهبت بعثة الى مكان الحادثة وما لبثت أن عادت أدراجها لان العمق كان فوق طاقة الغوّاصين

وانقضت أربع سنوات من غير أن يحاول أحد انتشال الأموال التي في هذه الباخرة وفي أول السنة الخامسة لما هدأت عواصف الشتاءِ وقرَّت اللجج تأهبت بعثة جديدة لذلك الغرض من أفرادها غوّاص لايهاب الموت ، فلبس ثوب الغوّاص وغاص الى عمق ١٧١ قدماً فوصل الى دكة الباخرة وحاول الدخول الى الحجرة التي خزنت فيها الاموال ، لكنهُ وجد ان دكة الباخرة كانت قد هبطت على الحجرة، فلم يجد وسيلة إلاَّ بخرق الدكة . فعاد الى سطح البحر وأخبر رفاقهُ بما رأى فقرَّروا نسفها . فلم يتراجع عن العمل على ما فيه من المشقة والخطر ، فغاص ثانية وجعل ينسف الدكة قطعة قطعة بمركب كيميائي خاص ، وكان كلما وضع قليلاً منهُ يبتعد عن السفينة حتى لايصاب بأذى . وأخيراً تمكن من الوصول الى حرز الكنز وهو ٥٩ سبيكة من الفضة ثمنها ١٠ آلاف جنيه أصابهُ منها ٥٠٠ جنيه . ولكن اشتغالهُ على عمق ١٨٠ قدماً أنهك جسمهُ فعاد بعد ذلك لا يقوى على القيام بأعمال تقتضي قوة وتجلداً

وهذا النجاح الذي اصابه هؤلاءَ في السفينة سكيرو اصابه غيرهم في سفينة تدعى « اوشيانا » . فقد غرقت هذه الباخرة في

(١) راجع ما نشرناه في مقتطف ابريل الماضي في ص ٤٣٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بحر المانش سنة ١٩١٢ واستقرت على عمق ٩٠ قدماً على أثر اصطدامها بسفينة أخرى فبعث الغواصون الى أصحاب السفينة يطلبون تصميمها حتى يتمكنوا من التجول فيها متى وصلوا اليها . ولا يخفى ان الركاب المسافرين بسفينة ما لاول مرة يجدون صعوبة في معرفة مداخلها ومخارجها . وعلاوة على ذلك يتعرض الغواص للضلال فيها ، ولانقطاع حبل النجاة او انبوب الهواء او انقفال باب وراءهم بفعل ضغط الماء فيحبسون في الداخل ولا سبيل الى النجاة . هذه المصاعب كانت مضاعفة في حالة السفينة «اوشيانا» لان التيارات البحرية كانت قوية ومتعارضة تحول دون عمل الغواصين اكثر من ساعة واحدة في وقت واحد. وكان الماء عكراً يمنع رؤية الاشياء او يجعلها صعبة رغم المصابيح القوية . التي كانت معهم. ولكن الغواصين فازوا بنسف دكتين من دكات السفينة فعثروا اتفاقاً على دهليز ساروا فيه فوصلوا الى الحجرة التي فيها المال فأخرجوه ثم عرفوا ان هناك مالاً آخر في حجرة تحت الدكة الثالثة فنسفوا هذه الدكة فبلغ جملة ما استخرجوه من هذه السفينة ٧٠٠ الف جنيه

دماء البقر بدل دماء البشر

تجرب الآن في جامعة هارفرد الاميركية تجارب علمية يقصد بها كشف مصدر جديد غزير لتوريد الدماء لمن يحتاجون اليها من المرضى والجرحى . وقد دلت هذه التجارب على كون البلازما التي تصنع من دماء البقر ، يتاح استعمالها بدلاً من دماء البشر في عمل التصفيق . ومخترع هذه الطريقة هو الطبيب ادوين كوهن الاستاذ في الكيمياء الحيوية في تلك الجامعة

اما تفصيلات تجاربه فسرٌ من الاسرار الحربية الآن. وأسفرت تجارب البلازما البقرية التي جربت بالجملة في علاج ٢٧١٤ سجيناً عن نتائج مرضية، على ما جاء في النشرة التي أذاعها المعهد الاميركي للحوم ، حيث تقول « إن الدم البقري سوف تكون له منافع جليلة تفوقها في الدم البشري . وتطرّق ذلك المعهد الى القول «ليس ضرورياً تنويع الدم البقري كما ينوَّع الدم البشري »

ثم ان البلازما البشرية التي تنقل من المتبرعين بدمائهم يجب حفظها في درجة حرارة أحط مما يلزم للبلازما الحيوانية، واحراز الدماء البقرية يتم بغير قيود ولا حدود فيستطاع الحصول سنوياً على مقادير منها تقدر بعدة ملايين من الجالونات وذلك من الابقار المذبوحة

والتقارير التي قدمت حديثاً الى جمعية علم الأحياء والطب التجريبي بشأن التجارب التي جربت تشف عن تذليل العقبات الأولى التي اعترضت هذا المشروع وذلك حينما أفلح العلماء في عزل الزلال من مادة اليحمور التي في دم البقر . وستظهر فوائد هذه البلازما الجديدة في علاج الرعدات والحروق خاصة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الثرومبين يقف نزف الدم

الثرومبين عامل طبيعي من عوامل تجميد الدم، وهو شائع الاستعمال في جمهور روسيا لمنع نزف الدم الخطر الذي ينجم عن جروح الحرب . بل هو سبب انقاذ حياة كثيرين من الجرحى ، على ما يقول الطبيب بوريس كيرداشوف الاستاذ في جامعة موسكو . ففي سنة ١٩٤١ أسفرت مباحث طويلة في معاهد جامعة موسكو عن طريقة لاستخراج مقادير كبيرة من الثرومبين الذائب المعقم . وحينما يمزج هذا المحلول بالدم يجمده في هنيهة تتفاوت بين ثلاث ثوانٍ وخمس ثوانٍ

وقد جرب الثرومبين في حيوانات معاهد الابحاث فثبت مفعوله . ثم جرب هذا العلاج في العيادات الخاصة الجراحية والمستشفيات العامة فأسفر عن نتائج حسنة حفزت مخترعه على صنع مقادير كبيرة منهُ لاستعمالها في المستشفيات ومراكز تضميد الجروح والتغيير عليها ، في ميادين القتال

وجيء الى احدى عيادات الجراحة العصبية بلفيف من الجنود مصابين بجروح في رؤوسهم

وكان جنديان منهم قد ثقبت شظايا القنابل مخيهما وتغلغلت فيهما تغلغلاً جعل استخراجها مصحوباً بخطر شديد على حياتهما اذ استقرّت الشظايا في جوار الفجوات المخية الناقلة للدم . ومع ذلك قرر الجرّاح اجراء العملية بلا تردد . وحينما أُزيلت شظايا القنابل أخذ الدم يتدفق بغزارة من الفجوات . وفي الحالتين كلتيهما نقعت منشفة في الثرومبين ثم أدخلت في فتحات الجروح فوقفت عاجلاً سيلان الدم

ولما رفعت المنشفة من موضعها لم يعد الدم يتدفق ثم التأم الجرح سريعاً . وكان أحد الجنود مصاباً بكسر في جمجمته في دائرة الصدغ وقد برز جانب من مخهِ على شكل ورم كبير مملوء بالدم . وكان استئصال ذلك الورم يحدث نزيفاً غزيراً لا محالة . فجاء الجراح بمحقنة محتوية على قدر ضئيل من الثرومبين وحقن بها المصاب ثم شقّ ذلك الجانب البارز من المخ وأزال منهُ الدم المتجمد فلم يعقب العملية نزف ما بل جفّ موضعها كل الجفاف

ولا يختلف مفعول هذا التركيب الدوائي في وقف النزف الدموي عن التجمد الدموي الطبيعي

واذا استعمل الثرومبين موضعيًّا فيقتصر تأثيره على تعجيل تجميد الدم تعجيلاً يختلف من ١٠ مرات الى ١٠٠ مرة دون احداث نتائج وبيلة في الجرح أو للمريض لانهُ علاج خالٍ من الضرر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الـكيمياء الصناعية وخشب الغابات

الخشب مادة أولية

الخشب مادة اولية قديمة العهد تستخرج منها الآن بالـكيمياء الصناعية مواد تقوم مقام كثير من الاشياء الطبيعيـة ، ومنها وقود المحركات الميكانيكية وطعام الانسان والحيوان ثم الثياب وأجزاء الطائرات . وفي هذا الصدد يقول برجيوس العالم الالماني المشهور ، الذي نال جائزة نوبل من أجـل اختراعه طريقة استخراج الزيت المعدني من الفحم الحجري ما يأتي : —

« يقضي العلم العصري بأن العنـاصر الأصلية الموجودة في كل نبات حيٍّ يشبه بعضها بعضاً ، وان بدت لنـا ذات أشكال مختلفة كل الاختلاف . فالبنجر والحبوب والحنطة والقطن والاشجار والفحم الحجري والزيوت المعدنيـة أيضاً (ونخص بالذكر من هاتيك المواد النوعـين الاخيرين اللـذين لا يزيدان عن كونهما أشجاراً ميتة) استهدفت للتقلبـات الحرارية والضـغوط الارضية ملايين السنين،وهي مؤلفة من عناصر أصلية تشبهها في أخواتها الحية كل الشبه أو مركبة من العناصر نفسها . ثم ان العنـاصر الاساسية لـكل مادة من تلك المجموعة ، يمكن تحويلها الى موادَّ مما يختص بها غيرها . وقد حققت هذا بنفسي إذ حولت الفحم الحجري الى زيوت معدنية في ساعات معدودة أعني اني اخترعت طريقة تستغرق الطبيعة في ادائها ألوفاً بل ملايين السنين

«وخشب الغابات أكثر هذه الاصناف أنواعاً وأغزرها فائدة لاحتوائهِ على مقادير كبيرة من السلولوس والخشـبين . بيد ان السواد الأعظم من الناس لا يعرفون ان الفدان من أراضي الغابات الجيـدة ينتج من السكر — عن طريق الـكيمياء الصناعية — مقداراً أكبر مما ينتجه فدان من البنجر »

الوقود السائل من الخشب

وفي بعض البلدان سـيارات أطلق على الجهاز الجديد المحرك لها اسم « مولد القوة » وذلك لأنهُ يتيح لأكثر من نصف مليون سـيارة للركاب والنقل ، السير بالغاز الذي يولده إما من الخشب واما من فحم الخشب ، بدلاً من البنزين المعتاد

وفي احدى الدول ثلاثون الف محراث ميكانيكي تتحرك بذلك الغاز لحرث أطيانها . وكذلك قاطراتهـا وزوارقها ومحركاتهـا الميكانيكية الثابتة أصبحت مجهزة بهـذه المولدات الغازية

ولا جَرَمَ ان ادخال الخشب ضمن (الوقود السائل) العظيم الشأن ، أكثر نفعاً من احراقه في الاجهزة المولدة للغاز الخشبي.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ونعني بها أنواع الوقود التي تنتج من الخشب إما باستخراج الكحول العالي الدرجة ، من السوائل التي تتخلف من مصانع عجينة الكبريتيت ، واما من عملية تقسيم جزيئات الخشب باضافة الايدروجين والاوكسيجين اليها حتى تسيل كالماء

واسالة الخشب في هذه الحالة ، مثل استخراج البنزين الصناعي من الفحم الحجري

وهناك مصانع شتّى تحول الخشب الى سائل . وبلغ مقدار الكحول الخشبي العالي الدرجة الذي تنتجهُ سنويًّا سبعين مليون جالون . وهذا الكحول ضروري لتركيب البارود الخالي من الدخان . ويمكن تحويله أيضاً الى بوتادين butadiene وهو عنصرٌ مهم من عنصري تأليف المطاط الصناعي (راجع مقالنا على المطاط الصناعي في مقتطف يوليه سنة ١٩٤٢) ولكنَّ أعظم منافعهِ لدى منتجيه ، زيادة المقادير المحدودة التي في حوزتهم من الوقود السائل للسيارات . وقد دلت الاختبارات على كون البنزين الممزوج بمقدار ٢٥ ./. الى ٤٠ ./. من هذا الكحول يمنع دوي السيارات عند مسيرها ويزيد نسبة الاكتين فيه عليها في البنزين المألوف (راجع مقالنا على أساليب جديدة لتحسين الوقود في مقتطف ابريل سنة ١٩٤٣) وأعلن المعنيون بهذا الأمر اكتشافهم لمحلول صناعي لاستخراج البنزول benzole والبنزين من الخشب . وزعموا من سنة ١٩٣٦ ان بنزينهم الخشبي أجود وقود في العالم لأجل الطيران وانهم يستطيعون انتاج بنزين للطيران من الخشب . ثم ان اكتشاف الطرق المؤدية الى استخلاص زيوت التزييت ومواد التشحيم من جذامير الشجر يعادل في خطر شأنهِ استخراج البنزين من الخشب نفسه

وقد أعلن في سنة ١٩٤٢ وزير تجارة السويد ان انتاج مواد التزييت والتشحيم من الخشب ستمكن بلاده من تسيير السيارات في العامين المقبلين . ولا غرو فان السويد تستخرج من ذلك المصدر الجديد كل سنة ٢٥٠٠٠ طن من الزيوت الثقيلة اللازمة للسيارات . ولا يحول دون مضاعفة ذلك المقدار الاّ قلة العمال اللازمين لنبش الجذامير من جوف الارض

مواد الغذاء من الخشب

ومن مواطن الضعف المشهورة بشأن موارد المواد الأولية في بعض الدول الأوربية شدة احتياجها دائماً الى المواد الغذائية والشحوم ولذلك دأب الباحثون في استخراج مقادير كبيرة تزداد دائماً ، من السكر والبروتينات وعلف المواشي ، من الخشب . وهم يضيفون الخمير والعسل الأسود والسكر الى انواع شتى من الأغذية البشرية والحيوانية بغية مضاعفة البروتينات والفيتامينات التي تنطوي عليها الأغذية السالفة الذكر . وقد أذيع حديثاً انهم يعالجون الخشب علاجاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فائقاً قبل تحويله الى عجينـة فيتاح لهم ان يستخرجوا منهُ مقادير جزيلة من السكر تقوم مقام مائة الف طن من البروتين الخالص ويقولون ان هذه المقادير تسد حاجة أربعة ملايين نفس في السنة من البروتين

وتحقق الخبراء سهولة استعمال السلولوس علفاً للمواشي ، في كثير من بلاد أوربا ومنها السويد والنرويج وأوربا الوسطى عموماً حيث أسفرت الاختبارات عن كون القيمة الغذائية في الطن الواحد من علف السلولوس تساوي تسعة أعشار طن من الزمير

وقد تمكنت السويد وحدها في السنة الماضية من انتاج سبعمائة الف طن من علف السلولوس لأجل مواشيها خاصة وللتصدير الى الدانيمارك وهولنـدة حيث عاون ذلك العلف على إحياء قطعان كبيرة من السائمة المعدة للذبح

وبالجملة يرجح ان العلف الذي يستعمل الآن في انحاء شتى من اوربا يستخرج من الخشب وعجينته ويزيد كثيراً على مليون طن وبعـد تشبيع ذلك العلف بالبروتينـات الاضافية التي تستخرج ايضاً من الخشب تُعلف به الخنـازير والعجـول وسـائر المواشي

وبهذه الوسيلة لا يحوَّل الخشب الى سكر وأغذية خضر فحسب ، بل قد تمـكن فريق من علماء الـكيمياء الصناعية في اوربا من تحويلهِ الى لحم وشحوم حيوانية ضرورية

الخشب والعجائن محل المعادن

وقد شرع اولئك العلماء في استخدام الخشب بدلاً من المعادن في الاستهلاك المدني. ولكن نفع الخشب في المشروع الجديد المقصود به احلاله محل الفولاذ وغيره من الفلزات أمرٌ مشكوك فيهِ . ومن النتائج التي ظفر بها أصحاب ذلك الاختراع الحديث مادة سموها « الحديد الخشبي » وهو يؤلف من طبقات من قشور الخشب الرقيقة كالورق مشبعة بالصموغ الصناعية ويلصق بعضهـا ببعض بالغراء فيدخل في صناعة الطائرات

ويستعمل الخشبين الآن في صناعـة العجائن الـكيميائية الرخيصة ووقوداً فائقاً مركّزاً لاجل الاجهزة المولدة لغاز فحم الخشب. ويقول العليمون ان الخشبين يحتوي على أحداث كيميائية تفوق قطران الفحم الحجري الذي ما فتئ قِواماً للصباغة في بعض البلدان الاوربية. اما الصوف الصناعي فهو نتيجة عدة مخترعات اخترع أغلبها علماء السويد والنرويج وبعض الكيميائيين النسويين غير الآريين. وسوف تكون الاغذية والزيوت والملابس عوامل حاسمة في نتيجة الحرب الراهنة. وقد تبين للعلماء الـكيميائيين أن الخشب لا مثيل له في المواد الطبيعية على وجه البسيطة لانتاج شتى الضروريات التي يحتاج اليها الانسان في معيشته

عوض جندي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العاج والعجائن الكيميائية

كان فريق من رجال التجارة والصناعة في حاجة الى مقادير متزايدة من العاج ولاسيما لصناعة كرات «البلياردو» . ولم يكن في الوسع تربية الفيلة لأجل أنيابها العاجية . ولكن ما مصدر العاج ؟ ليس مصدره الفيل بل ما يأكله الفيل . والفيل يأكل العشب فالفيل من هذه الناحية معمل كيميائي طبيعي يحوّل العشب أو أشياء في العشب الى مادة يطلق عليها اسم العاج . فلما اشتدّت الحاجة الى العاج ، بغير أن تكفي موارده الطبيعية لاكفاء تلك الحاجة ، فكّر كيميائيّ في مجاراة المعمل الكيميائي الطبيعي — الفيل — فصنع العاج بغير الفيل . والى مثل هذا مردّ صناعة العجائن . ومع ذلك فالحاجة وحدها حملت الناس على فهم قيمة العجائن الكيميائية في صنع الاشياء واحلالها محل المواد الطبيعية ، فنشاهد الآن سيارات وطائرات ودوراً ومئات الاشياء تصنع كلها أو بعضها من العجائن الكيميائية ، حتى ليصحّ ان يطلق لفظ «العجائن» سمةً على هذا العصر كما أطلق لفظ الحديد سمةً على عصر سابق قديم . والمورد الذي تؤخذ منه المواد التي تصنع منها العجائن غير محتكرة لدولة دون دولة ، ولا محصورة في ارض او أقليم دون ارضٍ او أقليم آخر

التغذية بدقيق الموز

يستعمل اهالي ڤنيزويلا (من جمهوريات اميركا الجنوبية) مسحوق الموز الجاف دقيقاً يخلطونه بدقيق الحنطة لصنع الخبز وذلك لقلة ما يستطيعون استيراده من القمح الى بلادهم . وهم يستلذون هذا الخبز بلا شك

هل تعلم

* ان زجاجاً جديداً مصنوعاً من العجائن الكيميائية يتحمل انفجار قنبلة زنتها ١٥٠ رطلاً على بعد ٨ اقدام ولا يتشظى

* أن نبات البقدونس غنيٌّ على وجهٍ خاص بفيتاميني A و C وبالحديد كذلك

* ان واحداً ونصفاً في المائة لا غير من مقدار الصلب المصنوع في الولايات المتحدة سنة ١٩٤٣ يستعمل في انتاج عروض الاستهلاك المدني والباقي كله يستعمل في أغراض الحرب

* وان ما تنتجهُ الولايات المتحدة من الصلب يتفاوت بين ٩٠ و ١٠٠ مليون طن وان هذا يزيد قليلاً على نصف المصنوع من الصلب في جميع أقطار الارض

* ان العقارب لا تستطيع ان تميت نفسها بسمها لان أجسامها متصفة بمناعة طبيعية ضده

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

اصابة الطفل بالتشنجات العصبية

(تابع المنشور على الصفحة ٤٧٢)

والغالب انهُ يصعب التمييز في الدور الاول للطفولة بين التشنج البسيط ونوبة الصرع . ولكن اذا رأينا ان التشنجات تستمر في حدوثها في فترات طويلة منتظمة وبلا سبب موجب لها ، فيجب أن نشك حينئذٍ في أننا تجاه نوبة من نوب الصرع المعروفة — هذا اذا كان عمر الطفل ثلاث سنوات الى اربع سنوات . اما الذين عمرهم اكثر من ذلك فأعراض الصرع عندهم لا تختلف عما هي عند البالغين او كبار السن

﴿ العلاج ﴾ : عند ما تحدث نوبة من نوَب التشنجات يقتضي حل كل ما هو ضيّق من اللباس حول العنق والصدر والبطن ، وتفتح النوافذ لدخول الهواء ، ويرش وجه الطفل بالماء البارد ثم يوضع في مغطس ماء فاتر درجته ٣٨ مئوية ويبقى فيهِ من خمس دقائق الى عشر دقائق ، وعلى رأسه كمادات ماء بارد خلال وجوده بالمغطس . واذا لم تنقطع التشنجات يعطى المريض حينئذٍ بضع قطرات من الكلوروفرم او الايثر للاستنشاق

وبعد اخراجه من المغطس تعمل له حقنة شرجية بالماء المعقم الفاتر او بمنقوع الزيزفون ، وتوضع الاوراق الخردلية على الساقين وعلى المعدة الى ان يحمر الجلد ، ويعطى ملعقة صغيرة من زيت الخروع او غيره من المسهلات اللطيفة ، ويعاد ذلك الى ان تتنقى الامعاء جيداً

ومتى تم ذلك يوضع الطفل في سريره مستريحاً هادئاً ، بعيداً عن الضوضاء والحركات ولا يعطى له من الطعام سوى اللبن بعد نهاية النوبة بثلاث ساعات او اربع

ويمكن اعطاؤهُ عدا اللبن الحليب قدر ملعقة قهوة صغيرة من شراب زهر البرتقال كل ثلاث ساعات او اربع ساعات

ومن الضروري استدعاء الطبيب حالما تصيب الطفل نوبة التشنج الاولى ليقرر ما يراه مناسباً في مثل هذه الحالة وارشاد الوالدين خصوصاً الى الطرق الصحية اللازمة التي تمنع تكرار النوب . واذا كانت المرضعة غير موافقة فتبدل بغيرها

ولمنع حدوث النوب ايضاً ليس هناك ما هو أفضل من اعطاء المصاب بروموور البوتاسيوم بالمقادير اللائقة لسن الطفل بحسب ما يرتأيه الطبيب

وفي بعض الاحيان يكون تكرار حدوث النوب نتيجة لاصابة الطفل بالداء الزهري ، فيجب ان نفتكر حينئذٍ في احتمال اصابته به ومداواته بالعلاج الخاص اللازم له

الفاو — العراق عبده رزق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

عودٌ على بدء

لابرهيم عبد القادر المازني — ١٣٩ ص من قطع « الجيب » — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ١٩٤٣ (سلسلة « اقرأ »)

انها لمداورة لطيفة تلك التي قصد اليها الصديق الكريم الأستاذ المنشىء ابراهيم المازني. كره أن يقبل على أسلوب القصاص المقرر الذي يحلل ويفصل كأنما حركات النفس تقع تحت الضغط والوزن والمقايسة والمعايرة. أعرض الاستاذ المنشىء عن تخطيط مجاري القصة وعن تحريك أبطالها بفضل خيوط تغمزها أنامله وترسلها، وعن تبيين الحوادث وتعيين العلل من زاوية خارجة عن دوائرها. يفاجئك المازني بما ينشطك غيره اليه، فيجلسك مع أبطاله في صدر الحركة الجائشة، فتعلو معهم وتهبط، وتغفو وتصحو، ثم تنبسط وتنقبض، وتضطرب وتطمئن، وأنت لا يزعجك ما يتخلل الحوادث من تعليقات هي في الحق حديث النفس للنفس، حديث الوعي الذي لا يهدأ، فلا ينفك في تفكر وروية، ثم لا يجهدك ما ينتاب هذا الحديث المندفع الحين بعد الحين من مجاذبات انما المسئول عنها ذلك الجانب الغامض الذي يتغفل الوعي فيحوّل تيار الوجدان من مجرى الى مجرى

بعث المازني رجلاً في جسم طفل، بعث عقلاً راجحاً في هيكل ضئيل، وشعوراً فوّاراً في أعصاب رخوة، وعزيمة صلبة في اعضاء عاجزة. بعث كل ذلك فيما علمت دفعةً واحدةً فوضعك ازاء المشكلة ثم أخذ يجزىء ويصرف وأنت تتابعهُ حتى انك لتنسى أنك تقرأ قصة متخيلة. هي الحياة حلوها ومرّها، على غير إيغال يستوقفك

انها لمداورة لطيفة قرّبها القاصّ من واقعية الكتّاب المقررين الناهجين منهج التدريس في أساليب الانشاء الرفيع. ومَن أقدر من المازني على تلك المداورة ؟ ان هذا الصديق الرفيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هو المتصرف في فنون الكتابة ، المترسل ، المندفق ، قلمهُ يمده متن اللغة بالمفردات المستعذبة ويرهفه حلو الطبع بالنكت المستملحة : هو يجري ولا يتمادى ، يتهزل في جد ، يدق على بساطة. اسمعهُ يقول في وصف عمٍّ قبيح :

« وهو شيء كل ما فيه ثقيل ، تنفسه حشرجة ، وصوته ضوضأة ، وضحكه قرقعة ، وقبلته كمص الماء من كوزٍ نصفان ، وكرشه برج دبابة ، وشعرات شاربيه فتلات حبل مقروضة ، وعينه والعياذ بالله . . . شُفرٌ متفتل ، وجفنٌ محمرٌّ لا هدب له ، وماء يسيل ، وحاجباه شعرها رقيق من أخُر وكثيف من قُدُم ، وأذنه مسترخية من رأسها ومنكسرة على وجهها كأذن الكلب ، ورأسه على شكل البيضة ، وقد ذهب أكثر شعره ، وبقيت له طرة شعراتها متفرقة صُلبة كأنها الشوك »

وفي سياقة هذه القصة ظاهرة لا بدَّ من التنبيه اليها : كنا نعرف في بيان الاستاذ المنشيء ميلاً الى تقريب أسلوب القصة من أسلوب الكلام الجاري . وأظن هذا الميل اشتد حتى انهُ صار في « عود على بدء » الى طريقة مقصودة . فكثيراً ما يقع لك مثل هذه الألفاظ : باسَ ، الشيل والحط ، نط ، قشَّ كل ما أمامهُ من الطعام ، خبط الباب . الى جنب تعبيرات الاستغاثة الشعبية كمثل : « أووف يا حفيظ يارب ! يا أخي أنا في عرض النبي ! يا خبر اسود ! »

. وغرض الكاتب من هذه الطريقة ان يدس في القصة صدق الحياة وأن يجعلك تصاحب أبطالها كما تصاحب الخلق في الطرقات . وفي تقديري ان الأستاذ المنشيء استعمل من العامي ما قد يند عن الكلام الأول الفصيح ، فيدخل في باب المولّد . فان صحت لفظة « باسَ » و « نطَّ » و « قشَّ » و « خبط » وما اليها ، فلعل الوجه في الشَّيل هو الشَّول من شالت الناقة بذنبها شولاً وشال الرجل بالحجرة شولاً ، ولعلَّ لفظة « طقَّ » مشتبهة في هذا التعبير : « أكاد أطق وانفلق » ، ثم اني لا أعلم هل « العلقة » بالمعنى الذي نعنيه في مصر من المتواتر في اللغة

وليس من شك عندي ان الاستاذ المنشيء يدري أنهُ عنف بعض الشيء ، وفي الندرة ، بالمنقول الفصيح ، فهو الذي يكتب في هذه القصة ذاتها : « رجل منظراني (أي حسن المنظر) — أشرت اليه أنْ خلِّك حيث أنتَ — فما بي اليهِ حاجة — فتاة حصان رزان لبيقة عطوف » الى آخر ما في تعاريج هذا الكتاب الظريف من متراصف النظم ومتخير اللفظ

بشر فارس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تاريخ الاخلاق

للاستاذ محمد يوسف موسى—مطبعة أمين عبد الرحمن — ٣١٢ صفحة من القطع الصغير

هذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي ألفهُ عالم من علماء الازهر عُرف بالتوفر على البحث ، واتجه اتجاهاً جديداً في دراسته ، فهو يهتم بالأخلاق وفلسفتها في الاسلام ويؤلف فيهما ، ويؤلف في الوراثة والبيئة وأثرها في التربية ، وهي موضوعات لم يكن ميدانها الأول الأزهر ولا مجالها المقدَّم كلية أصول الدين ولكن الاستاذ محمد يوسف موسى يقدم على هذه الموضوعات ويعالجها معالجة الباحث الدقيق . وقد أضيفت الى هذه الطبعة زيادات كثيرة وتحقيقات جديدة فاتت المؤلف في الطبعة الاولى فاستدركها في هذه الطبعة وقدكتب لها صاحب السعادة الشيخ مصطفى عبد الرازق باشامقدمة تدل على اغتباط سعادته بمجهود المؤلف الفاضل وثنائه على مجهوده الذي يستحق التقدير والثناء

منهج البحث التاريخي

لحسن عثمان — ٢٧٣ ص من القطع الصغير — يطلب من مكتبة النهضة مصر ١٩٤٣

نستقبل هذا الكتاب فرحين باطراد قبضنا على نواحي الثقافة الأوربية الداخلة في حيز العلوم الأدبية . وبمثل هذه التواليف العربية الأمينة الدقيقة نقتبس ما لا بد منه للخروج من الارتباك الى الانتظام . وهذا الكتاب يبذل لك قواعد البحث التاريخي ، لأن التاريخ أصبح علماً من بعد ما ظل زماناً سرداً او قصصاً او سجلاً . وتشمل هذه القواعد البحث عن الوثائق ثم تحريها بتسليط النقد النافذ بين خارجي وباطني ، كل ذلك الى جانب الاستعانة بدراسات تتصل بفن التاريخ مثل دراسة الآثار والنميات ومعاني الألفاظ . انك تجد تفصيل هذا في « منهج البحث التاريخي » . وقد أحسن المؤلف العرض وضبط أطراف الموضوع بتفهُّم وتبصر . ولا شك انهُ مدرب على استعمال ذلك المنهج ، وهو مدرس التاريخ الحديث بجامعة فاروق الأول

والكتاب قائم بالجملة على طرائق الافرنج في البحث التاريخي . فالمؤلف جمع وضم وقرَّب، ثم استأنس بما يمكن استخلاصه من تواليف العرب ذاكراً في ذلك للدكتور أسد رستم فضله ومن المراجع الافرنجية التي فاتت المؤلف :

(1) Ernest Bernheim, Lehrbuch der historischen Methode und der Geschichte philosophie (Leipzig, 1903)

(2) Xenopol, La Theorie de l'Histoire, 1908.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأما لغة الكتاب فتشكو العجمة في تركيب العبارة . خذ هذه الجملة مثلاً : « وبصفة عامة يمكن التساهل في قبول ذلك بالنسبة لوثائق القرن التاسع عشر واصوله . لأنهُ قد دوَّنها رجال كتبوا بلغات وأساليب قريبة الى عقلية رجال العصر الحاضر . الخ الخ » . وقد قلنا ولا نزال نقول ان التعبير يجب ان يكون سليماً حتى يكون واضحاً ومقبولاً وان الترجمة أو الاقتباس لا يستلزمان الركاكة والاختلال

ومهما يكن من تهاون المؤلف في السبك فان كتابه يشترك في سد النقص الذي تشكوه ثقافتنا في علم المنهج ب .

القاموس العصري « انكليزي — عربي »

للاستاذ الياس انطون الياس — المطبعة العصرية — ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير

اصدر حضرة الاستاذ الفاضل الياس انطون الياس الطبعة الرابعة من قاموسه العصري « انكليزي — عربي » بعد ما محصه تمحيصاً دقيقاً واضاف اليهِ اضافات كثيرة مما اقتضاه العصر من كلمات واصطلاحات علمية وفنية مما جد في مختلف العلوم والفنون واسماء المخترعات والمكتشفات فبلغت كلمات هذه الطبعة ٦٤ الف كلمة وصفحاته ٨٠٠ صفحة وزينهُ بصور بلغت ١٤٤٠ صورة للمخترعات والمكتشفات ورجال التاريخ والمستحدثات وما اليها

وان الذين عاشروا مؤلف هذا القاموس الاستاذ الياس انطون الياس وجالسوه منذ عام ١٩١٣ بعد ما أخرج الطبعة الاولى من قاموسه العصري يعرفون له الدأب والعمل المتواصل في تغذية قاموسه بالمادة الصالحة فهو دائب الاطلاع على ما يجد في اللغتين العربية والانكليزية وما يضعه علماء العربية ومجامعها في مصر والشام من ألفاظ . ويحرص على تقييد ذلك في قاموسه ويستعين اولاً باول بكل من يجد فيه عناية ببحوثه هذه من انكليز وعرب حرصاً منهُ على جعل قاموسه مستوفياً اسباب الكمال . ولقد سجل للذين ساعدوه فضلهم في مقدمة قاموسه هذا من الاحياء والاموات هنا وهناك وذلك هو الوفاء . ولصاحب القاموس العصري ذوق في الترتيب والتنسيق تجلى في قاموسه هذا وقد جاءَ في طبعتهِ الجديدة تحفة محببة في دقته واستيفائه وطبعه وورقه وصوره وتجليده . وعرفت له وزارة المعارف فضله فقررت استعماله لمعلمي اللغة الانكليزية والترجمة في مدارسها وشاع فضله في البلدان العربية كلها فصار رفيق المعلم والمترجم والصحافي وكل متعلم في مصر والبلدان الشقيقة. فنهنىء الاستاذ الياس على ما وفق اليهِ ونرجوله اطراد النفع والفائدة . وثمن القاموس ١٨٠ قرشاً عدا اجرة البريد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاتجاهات الحديثة في التربية

تأليف محمد عطية الابراشي — طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر — صفحاته ٣٩٢ صفحة حجم المقتطف

كان لفلاسفة التربية منذ أفلاطون مبادىء وآراء ما زلنا نتمسك ونعمل بها ، ثم جاءت التربية الحديثة فكان لها أثر كبير في الانتفاع بهذه المبادىء والآراء بطريقة عملية ، فوجود الرغبة في المعلم ، وبعث الرغبة في المتعلم ، ومنحه الحرية في البحث ، وتعويده الاعتماد على النفس ، والتفكير في المتعلم لا في المادة وحدها ، وتربية الحواس والذوق والوجدان — كل هذه مبادىء عامة نادى بها كثير من المربين من قبل . ولكن تطبيق هذه المبادىء تطبيقاً ناجحاً لم يبدأ حقاً إلاَّ في القرن العشرين . وكان للتقدم العلمي والرقي الفكري والاجتماعي أثر كبير في إظهار النظريات الحديثة ، وإخراجها من حيز القول الى حيز العمل

وفي هذا العصر الذي ظهرت فيه تلك النهضة المصرية الفنية ، قدَّم الاستاذ الابراشي للمربين والمثقفين من قراء العربية في الشرق عامة ، وفي مصر خاصة ، هذا الكتاب في « الاتجاهات الحديثة في التربية » . وهو ثمرة كثير من التجارب ، وخلاصة دراسة وافية للتربية : النظرية والتجريبية والعملية

قال : وقد جعلت طريقتي في مناقشة فصوله شرح الموضوعات بالتفصيل ، شرحاً واضحاً ، خالياً من الالتواء والخفاء والغموض ، حتى تتضح الطريقة ، ويتجلى كل شيء فيها ، ويسهل الانتفاع بها في مدارسنا ومعاهدنا المختلفة

وقد حملني على إخراجه أن المؤلفات التي ظهرت في هذه الناحية باللغة العربية قليلة ، وقليلة جداً ، وان المدرسين وطلبة المعلمين في حاجة كبيرة إلى أن يزوَّدوا بالطرق الجديدة ، والتجارب الحديثة ، كي يستطيعوا أن يطبعوا النشء على أحدث المثل في التربية والتعليم ، ولا شك أن المدرس الناجح في مدرسته هو من يكون على صلة تامة بعالم التربية أمس واليوم وغداً ، فالعالم الآن يسير سيراً سريعاً في مضمار الرقي الفكري ، ويتجه اتجاهاً عملياً نحو النهوض بنظم التعليم وطرائقه

وسيرى القارىء الكريم أن الطرق التي شرحتها قد جربت ، ونجحت نجاحاً باهراً قبل أن تنقل إلينا . وقد ذكرت من الاتجاهات الحديثة ما يلائم حياتنا التعليمية ؛ ويأتي بالثمرة التي نرجوها من اصلاح . وليس من الضروري أن نقتبس طريقة بعينها ، ونتقيد بها وحدها ، بل يكفي أن نعمل بروح الطريقة ، وننتفع بالمبادىء الحديثة في التربية ، حتى نصل الى المثل الأعلى الذي ننشده من التربية والتعليم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثاني بعد المائة

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثالث بعد المائة

١ يونيو سنة ١٩٤٣ — ٢٨ جماد اول سنة ١٣٦٢

العلم

كعنصر من عناصر الثقافة العالمية

— ١ —

موضوع هذا الحديث[١] «العلم كعنصر من عناصر الثقافة العالمية» وهو موضوع مترامي الأطراف وبعيد الغور في آنٍ واحد. لا نستطيع أن نلمَّ أطرافهُ ولا أن نحيط بجوانبهِ في ساعة واحدة ولا في ساعات. وقد لا يكون ذلك في مستطاع رجلٍ واحدٍ. فالعلم الحديث يمتدُّ في الناحية النظرية من الذرَّة وجسيماتها الى الشموس الكبار والسدم العظيمة المنثورة في رحاب الكون، ومن دراسة الأحياء على اختلاف قبلُها وأقسامها وأنواعها وأسرار كفاحها وأساليب توارثها الصفات على كرّ الدهور، الى دراسة الانسان سيد المخلوقات، بل هو يسمو، أو يحاول أن يسمو الى دراسة العقل الانساني وخفايا التفكير وأطوار النفس. أما من الناحية العملية فالعلم الحديث متغلغل في بناء الحضارة الحديثة. فالآلة على شتَّى أنواعها تسيطر على نواحي العمل فيها، وعلى أحوال الاجتماع البشري، فلا نكاد نعيش ساعة بغير أن نحتاج خلالها الى الآلة أو بعض منتجاتها. ومن أشق الأمور، على باحثٍ ما، أن يقيم حائلاً فاصلاً مميزاً، بين العلم النظري والعلم العملي، فما يكون في حالٍ ما علماً نظريًّا محضاً، تراه انقلب في الحال التالية، علماً عمليًّا، يؤثر في مناهج الحياة وأساليب التفكير نفسها.

---

(١) لرئيس تحرير المقتطف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وليس هناك ما هو أبلغ مثلاً على هذا ، من الاذاعة اللاسلكية ، التي تعد في طليعة أساليب التربية في عهدنا هذا . وبصرف النظر عن كون هذه التربية تربية صالحةً أو تربية طالحة ، لا يختلف اثنان في أن ما يذاع بأساليب الاذاعة اللاسلكية، يؤثر في تفكيرنا وشعورنا ومعاشنا — على تفاوت — وأنا أظن انهُ لابدَّ أن يؤثر على طول المدى، في أساليب الكتابة، لأن ما يكتب ليذاع ، يجب أن يتصفَ بصفاتٍ بيانية خاصة ، تختلف عما ألفناهُ مما يكتب ليقرأ . ومع ذلك فان هذه الاساليب العجيبة ، التي دخلت البيوت والمدارس ، وانتشرت في الشوارع والمقاهي ، كانت قبل قرنٍ من الزمان ، أو قبل ثلاثة أرباع القرن لا غير ، بضع معادلات رياضية لا غير . رموزٌ استخرجها عقل عالِم جبَّار — جيمز كلارك مكسول — ودوَّنها على الورق . وعند ما توفي بعيد ذلك ، كان من النادر بين رجال العلم مَن أقام لها وزناً ، أو أعدَّ لها ، حتى في الخيال البعيد ، منزلةً اجتماعيةً ، كالمنزلة الاجتماعية التي أدركتها الآلات والأجهزة التي بنيت عليها . في هذه المعادلات أثبت مكسول ان في الفضاء أمواجاً كهربية مغنطيسية ، تشبه أمواج الضوء المرئي ، في خواصها والنواميس التي تخضع لها . وقبل أن ينتهي العقد التاسع من القرن الماضي ، كان هرتز قد أثبت ان لهذه الأمواج الكهربية المغنطيسية وجوداً حقيقيًّا ، وقد تبيَّنها بأجهزة صنعها . وقبل أن ينقضي العقد الاخير من القرن الماضي كان لودج وبرانلي ، قد مهَّدا الطريق للاستعمال وكان ماركوني قد استعملها

والثقافة من حيث هي صورة من صور القوى الاجتماعية الفعَّالة في تطوُّر البشرية ، هي مجموعة الطبائع والتقاليد والمقاييس الاجتماعية والخلقية والفنية ، التي تحرك الناس في أحوال معيَّنة ، الى عمل ما ، أو التي يتخذها الفرد في بيئةٍ ما ، أو تتخذها الجماعة ، مقياساً لعملٍ ما ، من حيث النفع والضرّ ، والخير والشرّ ، والقبح والجمال . فما أراهُ أنا جميلاً في مصر ، لا يراه الاسكيمو جميلاً في الاصقاع القطبية المتجمدة ، وما أراهُ أنا خيراً في بيئةٍ ما لا يراه غيري خيراً في بيئة أخرى ، وما أراه ينفعني هنا ، قد يراه غيري يضره هناك . فالثقافة بهذا المعنى متصلة ، بأطوار الاجتماع على سطح الأرض ، متأثرة بأحوال المعاش والاقتصاد ، وقواعد التفكير وأصول العلم ، متلونة بوجه عام بالنظرة السائدة الى الكون والحياة ، واذا شئتم الايجاز فقولوا هي النظرة الغالبة على جماعةٍ ما الى الحياة والكون والاجتماع

فلفظ « الثقافة » في هذا الحديث ، لا أعني بهِ تثقيف العقل ، بضروب العلم وفنون الأدب على حسب ما جاءَ في المعجمات ، بل أعني بهِ ، ما يستعملهُ لهُ علماءُ الانسان والاجتماع ، من تعبير ، لوصف اختبار الانسان — فرداً وجماعةً — اختبار الانسان الاجتماعي ، أي أساليب الحياة الاجتماعية ، التي تنطبق خاصةً على جماعة من الناس ، يتقاسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أفرادها الاختبار الاجتماعي في وقتٍ ما ومكانٍ ما . أي ان اللفظ في علم الاجتماع يعني محتويات « الاختبار الاجتماعي للجماعة ». ولسنا في حاجة الى تتبع أصول « الثقافة » في هذا المعنى ، الى أصولها ومنابعها ، عندما تمكّن الانسان ، عن طريق اختراع اللغة أولاً ، من اقامة أركان الإرث الفكري . فهذا التتبُّع طويل مملّ — على ما لهُ من خطر شأن — وهو في نواحٍ كثيرة منهُ ، موغل في القدم ، ملفوف بالغموض

والثقافة في هذا المعنى قسمان بوجهٍ عام . قسم اجتماعي « او موضوعي » كما يصفهُ بعض العلماء ، وقسم ذاتيّ . وبحث القسم الاول لا يقتصر على الأدوات التي تستعملها الجماعة وحسب ، بل يشمل الأثر الاجتماعي والنفسي الذي يحدثهُ استعمالها في حياة الجماعة. وبالثقافة الذاتية ، يقصد ما يتصفى من اختبار الجماعة ويتقطّر في نفس الفرد ، من معتقدات وتقاليد وبواعث نفسية وخلقية ، فيصبح قوة مسيطرةً على سلوكه

على ان هذا التشعب في الموضوع ، وهذا التعقيد المنبثّ في ارجائهِ ، المستمدّ من اتصاله بأصول الحياة الانسانية ، وادوار الاجتماع البشري ، في شتى اقطار الأرض ، يجب ألاّ يحول دون المامة سريعة ببعض نواحيه ، ولو كان فيها ترديد لبعض ما نشرتهُ وأذعتهُ في هذا الموضوع في العقد الاخير من السنين . بل ان هذه الالمامة لا بدَّ منها . لأن الأمر غير مقتصر على فكاهة عقلية نتمتع بها ساعة وننساها ، بل هو متغلغل في حياتنا اليومية وتفكيرنا وسلوكنا الاجتماعي ، بل أذهب الى أبعد من هذا فأقول ان الاهتمام بهذه الناحية من الحياة القومية والدولية عنصر أصيل في ما نعدّ انفسنا له من مشاركةٍ في تحمل اعباء الانسانية في يومها المقبل

— ٢ —

اما اولاً فلا فرارَ من التأثر بالعلم وآياته لأنهُ يحيط بنا من كلّ ناحية . سرّحوا الطرف في جنبات هذه الردهة . فماذا ترون ؟ انواراً متلألئة استنبط العلم طاقتها من قوى كامنة في ذرات المادة المتناهية في الصغر . وجدراناً اقامها العلم وسوّاها على أصول محكمة من الهندسة والطبيعة والكيمياء ، وحريراً صنعهُ العلم من الخشب فغلب دودة الحرير في ميدانها . وملابس أتقن العلم فتل أليافها وغزلها وصبغها ونسجها بآلات كأنها الاحياء العاقلة ذكاءً ، ولكنها تفوق الاحياءَ العاقلة قوةً ودقة ومضاءً

او زوروا حقلاً من حقول التجارب الزراعية ، ترَوا فيها الاسمدة الكيميائية وقد حبس فيها نتروجين الهواء الطلق بقوة التركيب وحيلة التأليف الكيميائي ، واصنافاً من النبات والحيوان ثبّت فيها العلم الصفات والخواصّ المميزة التي يرغب فيها الانسان ، وامراضاً في النبات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والحيوان ، دانت — او ستدين حتماً — لصبر العلماء وذكائهم وشوقهم الى استطلاع المجهول

او تأملوا في جسد الانسان ، كيف مكّن العلم الاطباء من اسرار حياته وقواعد صحته واسباب مرضه ووسائل علاجه . فمن سبعين سنة او ثمانين كان الانسان لا يعرف شيئاً او لا يكاد يعرف شيئاً عن الجراثيم التي تسبب الأمراض ، واذا نحن اليوم نعلم ان الهواء والتراب يعجّان بهذه الاحياء الدقيقة المفيدة احياناً ، في التخمير والتحليل والدباغة والتجبين ، المضرة احياناً اخرى بما تنفثهُ في اجسام الاحياء من بواعث السقم. وقد اصبحت معرفتنا هذه سبيلنا الى استعمال المطهرات ومضادات الفساد واساليب التلقيح والحقن للوقاية . فنشفي عوادي الاوبئة قبل وقوعها ، او ندفع كوارث الامراض عن كثير من المصابين بها

او خذوا الطاقة المحركة التي اصبحت رهن تصرفنا . سواء أموزعة كانت في ما نراه متحركاً كلَّ يوم ، من سيارة اوطائرة او ترامواي ، او ما يوزَّع بغير ان نراه ولكننا نرى اثره كالطاقة التي تتحوَّل ضوءًا في المصابيح ، او آلات متحركة في المعامل . وقد حسب حاسب من سنوات ان الطاقة المستعملة في الولايات المتحدة الاميركية ، المستمدة من الفحم ومساقط المياه والغاز الخلقي اذا وزعت على سكان تلك البلاد ، بلغ متوسط ما يصيب الواحد منهم طاقة ثلاثين حصاناً او تزيد . وعدد السكان هناك بحسب الاحصاء الأخير مائة وثلاثون مليوناً . أي ان مجموع الطاقة التي تنفق في مرافق تلك البلاد ، يعدل قوة ٣ ٩٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ حصان . وليس المرء في حاجة الى خيال جامح ، لكي يتصور تأثير استعمال هذا القدر العظيم من الطاقة الميكانيكية في راحة الناس وأحوال العمل وسرعة المواصلات ورخص المصنوعات اي في أحوال المعيشة بوجه عام ، وما يتيحه كل هذا من فرص للمتعة الاجتماعية والفكرية والفنية والرياضية ، كل على حسب هواه ، أي لنواحٍ أصيلة متعددة من الثقافة العامة والخاصة

نعم ان التوزيع غير عادل ، ومجال التحسين في أحوال العمل والعمال ، واسع ، وقد أعود الى هذه الناحية من البحث في فقرة تالية ، ولو باشارة عابرة أخرى . ولكنني أظن انني قلت ما لا يترك مجالاً للشكّ في منزلة العلم الحديث ومنتجاته في حياتنا اليومية . وهذه الحياة هي القالب ، او التربة التي يزرع فيها « اختبارنا الاجتماعي » ، أي تزرع فيها « الثقافة » في معناها الاجتماعي ، وتتجلى . وليس العلم الاّ عنصراً واحداً من عناصر هذه « الثقافة » ، وهو في ما أظن من أضعفها أثراً حتى الآن ، حتى في البيئات الاوربية والاميركية ، يفوقه في ذلك الدين والتقاليد والعادات المتوارثة والشائعة ، ولكنني قصرت الكلام عليه ، لأنه عماد القول في هذا البحث الخاص . ولأن منزلته تعلو علوًّا مطرداً سريعاً قد يبلغ بعد عهد مقام السيطرة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— ٣ —

أما ثانياً — فكيف تتأثر «الثقافة» بالعلم — في ناحيتيها الاجتماعية او الموضوعية والذاتية

إن جسم الانسان يغتذي بعناصر البيئة التي يعيش فيها. غيروا عناصر غذائه تصيبوا تغيراً في بنائه وصفاته او خواصه الجسمانية، وما يقوم عليها من خصائص العقل والروح بل لقد ذهب بعض العلماء الى ان قصر القامة في شعوبٍ الصين واليابان عائدٌ الى غذائهم الخاص. وان مرض الجحوظ وما يتبعه احياناً من تبلد العقل، في بعض الولايات السويسرية سببه قلة عنصر «اليود» في غذاء سكانها

والعقل الانساني كذلك، يغتذي بعناصر البيئة العقلية التي تحيط بهِ ولا يستطيع ان يفلت منها. بدّلوا البيئة، ولا بدَّ من ان تحدثوا تبديلاً في صوره الذهنية، وأساليب نظره الى الاشياء وسلوكهِ الاجتماعي، والاغراض العليا التي يسمو اليها، ولا سيما اذا حدث التبديل عند ما يكون المرء في سن الطفولة الغضة

وأثر العلم في حياة الانسان ينبع من ثلاثة مصادر. أما الأول فهو الانتفاع بفوائده التطبيقية، وهي الفوائد التي نجمت عنها وسائل حفظ المدونات وتسهيل نشرها بالطبع والتوزيع. وطرق المخاطبات السريعة، التي قرَّبت الأمم والأفراد بعضهم الى بعض، وعَدَت الحواجز الجغرافية والحدود السياسية. ونتائج العلوم الحيوية في اتقان طرق الزراعة وتحسين انواع النبات والحيوان بالتأصيل والانتخاب، وما انبثق منها وبني عليها من علوم الطب والصحة العامة، وهي التي مكنتنا من مكافحة الأوبئة وخفض معدل الوفيات واطالة متوسط العمر. وأساليبُ الصناعة الواسعة النطاق التي تمكن رجلاً كفورد — او كانت تمكنه قبلما انقلب الى صناعة الحرب — من صنع ثلاثة آلاف سيارة في اليوم، وقد شاهدت بعضها بنفسي وهي تخرج تترى دقيقة بعد أخرى. أو تمكّن مصنعاً كأحد مصانع لنكشير، أو المحلة الكبرى، من نسجِ ألوف اليردات من القطن او الصوف في اليوم الواحد وربما في الساعة الواحدة، او تمكّن احد المهندسين من صنع آلةٍ تصنع ثلاثة آلاف زجاجة في الساعة دون ان تمسها يدٌ او ينفخ فيها نافخ

وأما المصدر الثاني فهو الأسلوب العلمي في البحث، الذي بنيت عليه جميع المكتشفات والمخترعات. هذا الاسلوب الذي يتوخى الحقيقة في ميدان التجربة والمشاهدة، ولا يكتفي باستنباطها من التأمل في النفس، او باستنتاجها من اقوال الفلاسفة الاقدمين. قد يستعمل الاسلوب العلميُّ الاستنتاجَ في بعض مراتبهِ المتوسطة ولا يستغني عن انشاءِ النظريات لتفسير ما يجهلهُ، ولكن صفتهُ المميزة هي التجربة والمشاهدة فهو في قول العلامة «وذمْ» محكمة

الحقائق . وقد اصبحنا بعد شيوع هذا الاسلوب ، لا نحاول ان نمتحن الأقوال التي تقال ، والآراء التي ترتأى، ولا أن نقيسها بما قاله ارسطو او غيره . بل نبحث عنها بالرفش والمعول والمرقب والمجهر والمطياف وانابيب الاغلاء والاحماء . والحقائق التي كشف عنها هذا الأسلوب، بل والصفات التي يقتضيها من ممارسيه قلبت نظر الانسان الآخذ بها الى الكون والحياة . فالمكتشفات الفلكية الحديثة، من عهد غليليو الى عهدنا مثلاً، ثلّت عرش الانسان في الفضاء، أي أنزلت الارض من كونها مركز الكون ، بحسب المذهب البطلميوسي ، الى كونها سياراً يدور حول شمس ، مثلها ملايين من الشموس . والمكتشفات البيولوجية الحديثة من عهد داروين الى يومنا هذا قوضت اركان عرشه على الأرض، فالانسان أحد المخلوقات على سطح الارض وان كان سيدها . وقد كان أسلافنا الاقدمون يرون في الاحداث الطبيعية والامراض والأوبئة ، قصاصاً يستحقهُ الآثمون . فالصرع والجنون والعمى والزوابع والزلازل والأعاصير والفيضانات وانفجارات البراكين ، ألوان من العقاب يوقعها العليّ على من خرج من ابنائهِ عليه . ولكننا الآن نبحث عن بواعث الامراض في عوالم المكروبات لا في خفايا الذنوب . واذا تفشى وبأ من الحمى التيفودية او الطاعون فالغالب ان يهرع الناس الى الكيميائيين ليبحثوا في نقاء الماء الذي يشربونهُ والى البكتريولوجيين لإعداد الألقحة والمصول او لرجال الصحة العامة لإبادة الذباب والاطعمة الملوَّثة

واما المصدر الثالث فهو التحوُّل الدائم في مذاهب العلم والتنقيح المستمر في اصوله ومبادئهِ والتعديل الذي لا ينفكُّ العلماء يدخلونهُ على حقائقه متفرقة ومجتمعة . فالحقيقة العلمية ابداً بنت البحث المستمر، وقلما يسري الظن الى عالِم، بأن ما يكشفهُ هو الحقيقة المطلقة . والاَّ فهو ليس بالعالِم الصادق العلم .فنحن اذ نرى المذاهب العلمية المتعدِّدة ، التي اتاحت كلّ ما تقدَّم ذكره — وهو بعض يسير من كل عظيم — تتبدَّل وتتغير وفقاً لما يكشفهُ البحث وتنهار ثم يقوم مكانها ما يقتضيه الزمن والتنسيق العلمي ، يصعب علينا ان نتصلب في القول بأن قواعد السلوك الانساني مطلقة لا يعتورها تبديل او تغيير، والغالب ان هذا التبديل والتغيير حادثان فعلاً، حتى في الذي يتصلب هذا التصلب ، برغمه وربما على غير وعي منهُ

وإذن ، فنحن — حيال العلم — أمام قوة تؤثر حتماً تأثيراً آخذاً في الازدياد ازدياداً مطّرداً ، في الثقافة بوجهيها الاجتماعي والذاتي ، ولا قبلَ للناس بابطال هذا التأثير ، لأنهُ متغلغل في نواحي المعاش وفي طرائق التفكير . فنحن نلمسهُ في ما نأكل ونلبس ونمتطي وفي ما نحفظ بهِ الصحة ونتقي بهِ المرض . ونحن نحسُّهُ في ما أحدثهُ من تغيير في نظرنا الى كثيرٍ من مسائل الكون والحياة ، ونحن نعلّم أولادنا حقائقهُ وأساليبهُ ، وهو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعلمٌ يتسع نطاقه سنةً بعد سنة . ولا بدَّ من أن يطرد اتساعهُ ، ويشتدَّ تشجيع المشغوفين بهِ والمكبّين عليهِ اذا شئنا أن نتبوأ المنزلة التي نطمح اليها ، في المشاركة في بناء الحضارة العالمية الجديدة والثقافة العالمية الجديدة

— ٤ —

ولكن اذا كنا عاجزين عن ابطال هذا التأثير ، وهو سعيٌ غير مرغوب فيهِ ، فاننا قادرون على توجيهِ التوجيه الاجتماعيّ الطيّب ، لأن في طبيعة العلم نفسها ، وفي طبيعة تطوره التاريخي ، وفي طبيعة الاسلوب العلمي وأثره في النفس ، معواناً على توجيه الاجتماع البشري ، الى الخير ، اذا خلصت النية ، وصدَقَ العزم

فأولاً خذوا طبيعة العلم نفسهُ وطبيعة تطوره التاريخي . من المسلم بهِ من قرون ان للعلم والبحث العلمي صفةً عالمية تعدو فوارق الشعوب والأجناس وحدود الجغرافية والسياسة . فالحقائق العلمية والنظريات العلمية ، تنشر في جميع الأقطار على السواء ، وتنتقد على أساس واحد ، هو دقتها ، وقدرتها على تفسير الظاهرات الطبيعية المشاهدة . ولم يقمْ إلاَّ في العهد الاخير ، من يقول ان هذا الامتحان لحقائق العلم ونظرياته ، يستند الى مقياس عنصري أو قومي أو ديني . ولم تنشأ بين العلماء في قطرٍ بوجهٍ عام نزعةٌ ما ، الى حبس الحقائق والمعلومات عن زملائهم في قطر آخر . ولعلَّ اباحة كشف الراديوم من أبلغ الامثلة على ذلك في العصر الحديث . بل على الضدّ من ذلك ان العلماء بذلوا كل ما في الوسع بذلهُ ، أفراداً وجماعات، لكي يتيحوا لجميع المشتغلين بالعلم ما عندهم من مشاهدات . وقد كانوا دائماً يرحبون، بكل فحصٍ ونقدٍ يوجَّه الى بحوثهم، بغير نظرٍ الى وطن الفاحص والناقد أو عنصره أو دينهِ وقد أنشأوا المجلاّت العلمية والمؤتمرات العلمية، وتبادلوا الباحثين والاساتذة ، ليوثقوا هذه الصلة ، ويوسعوا هذا التعارف . فالرغبة الصادقة في العطاء والأخذ ، في أوسع معانيهما ، كانت دائماً ، ويجب أن تظل السمة الغالبة على العلم الصحيح . وان ما أضافهُ فحوّل من طبقة نيوتن وفرادي الانكليزيين ، وليبنتز وليبغ الألمانيين ، وديكارت وباستور الفرنسيين ، ومندلييف وكابتزا الروسيين ، وجبز وملكن الأمريكيين وغيرهم وغيرهم ، لم يكن اضافة الى ثقافة بريطانيا وحسب ، أو المانيا وحسب ، أو روسيا وحسب ، أو فرنسا وحسب ، أو أميركا وحسب، بل كان جزءًا أصيلاً من بناء العلم العام ، كان قواعد وأركاناً في الثقافة العالمية

ان جميع الشعوب اشتركت في بناءِ صرح العلم . وكلٌّ دخل هيكلهُ وفي يده قربانهُ ، من المصريين الاقدمين والاشوريين والكلدانيين والهنود ، الى اليونان والعرب ، الى الطليان والانكليز والألمان والفرنسيين والأميركيين واليابانيين . فالعلم في الواقع هو الجامعة العالمية الكبرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واذا كانت جميع الشعوب قد اشتركت في بناء صرحهِ . فان ثمار العلوم نفسها لا تميّز بين الأجناس والعقائد والمذاهب الاجتماعية . فالكينا تشفي المصاب بالبرداء سواء أأبيض كان أم أسود ، وهنديًّا أم افريقيًّا ، وشيوعيًّا أم محافظاً . فمن أسابيع أصيب تشرتشل بذات الرئة . وكان شفاؤه بالاعتماد على مشتقات عقار كشف اولاً في المانيا . فلم يأب هذا العقار ان يشفي تشرتشل ، لأن تشرتشل احد زعماء الدول المتحدة التي تحارب المانيا الآن. وقصة هذا العقار نفسه ، أبلغ مثل على « دولية العلم » . فقد كشف في المانيا اولاً ، ولكن علماء الطب في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرهما ، بنوا على الكشف الأول واستخرجوا من المادّة الاولى ،عقاقير جديدة أفعل وأنفع . وكل من يحتاج اليها يستطيع استعمالها والافادة منها بغير نظر الى جنس او لون او عقيدة

ثم خذوا طبيعة الاسلوب العلمي وأثره في النفس . من المظاهر الاجتماعية التي تستوقف النظر في الاجتماع الحديث — ولا أقول في السنوات الثلاث الأخيرة — تخلُّف عن الدين ، يستبين في عدم المبالاة بنواحي الدين الادبية ، واقرار بعضهم بالعجز على الوصول الى عقيدة تطمئن اليها النفس ، وجعل الآلة معبوداً في بعض الدوائر ، واهمال المثل الروحية واستبدال الشهوات العارضة بها ، واستنباط فلسفات لتحل محل الدين وغير ذلك

ولعلَّ هذا التقلقل في مقام الدين ، ناجمٌ الى حدٍّ بعيد عن طول النزاع بين العلم والدين على أمور هي من اختصاص الأول دون الثاني . فلما فاز العلم باثباتها على نحو معين ضعف مقام الدين في عقول الذين يظنون خطأً ان ما نقض هو الدين نفسهُ ، مع ان المنقوض انما هو علم قديم حل محلهُ علم جديد . كما ينتظر ان يحل علم غدٍ محل علم اليوم . فليثبت علم الهيئة ان الأرض ليست مركز الكون . وليثبت علم الحياة ان الانسان يمتُّ الى الحيوان بصلة الدم وقربى العظام . فهذا الاثبات لا يضير الدين في شيء . بل ان تسليم رجال الدين ، بما يثبته العلم ، وهم يجلون في مرآتهم الروحية صورة المثل الروحية العليا ، يجعل الأساس الذي نستمد منهُ تعاليم الانبياء والرسل الكرام ، معقولاً فيغصب الاقناع غصباً

وعندي ان التعليم القائم على ترسيخ اصول الاسلوب العلمي في البحث ، يقترب بالناس من صميم الدين ، من المثل الروحي الأعلى . وقد يكون الافلاس الروحي فاشياً في طبقة من الناس لم تمس من ثوب العلم الا أطرافه وذيوله ، ولكنني في ما أعلم لا أراه فاشياً بين العلماء الكبار المحققين . ألم تروا الى ملكن يقول عرفوا « المادة » وأنا « أتكفل » بتعريف « الروح » . ملكن العالم الطبيعي الذي قاس مقدار الشحنة الكهربية على الكهيرب ، فكان قياسهُ احد الأركان في مذهب بناء المادة الحديث ، يعترف في دعة علمية صحيحة بأنهُ لا يدري ما المادة وملكن ممثل لطائفة كبيرة من علماء العصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهل في الكون نظرة أبعث على الورع وإجلال الخالق المبدع من نظرة العالِم الذي يدرك شيئاً من أسرار الكون ويدرك قِصرَ ادراكه هذا ؟

أما صفات المتطبع بالاسلوب العلمي ، فهي الصفات الروحية الخلقية العليا . الصبر والصدق والانصاف والاخاء . أيفخر الانسان بقوته ويدلُّ بها ، فدرس ساعة واحدة من علم الفلك يقنعهُ بضعفه . أيحتقر قدرتهُ فيميل الى التخاذل والتراخي والقنوط . علمهُ الكيمياء والطبيعة والطب والهندسة، يعلم كيف يسيطر الانسان على العناصر فيخلق موادَّ واشياءَ جديدة وكيف يخضع الجراثيم ، ويتصرَّف بالحديد والصلب ويغزو اطباق الهواء . أيحسب نفسهُ سيداً يتيه على اخوانه كبراً فالطبع العلمي يعلمهُ ان الانسان وحضارته يزولان وأما البحث عن الحق ، فعمل أبدي أزلي لا ينتهي . اما الانصاف والاخاء والتعاون فمن الصفات التي تزين بها كبار العلماء في جميع العصور . واذا كان روح الحق ، صميم الدين ، فرجال العلم في هذا العصر رجال متدينون حقًّا . والاكباب على البحث العلمي المجرَّد ، بحثاً في الحقيقة هو الظاهرة الروحية في هذا العصر التي تقابل التقشف الدينيَّ في العصور الوسطى

أنا أعلم ان العلم واقعٌ في هذه الأيام تحت غيمة قاتمة لأن المخترعات والمستنبطات الميكانيكية مرتبطة بهذه المآسي التي تجرُّها الحرب في ذيولها . ولكنَّ العلم نفسه لا يخدم ربَّ الحرب — «المريخ» اذا شئتم — دون رب السلام . فالعلم يعطينا الاسمدة بيدٍ والمفرقعات بأخرى، وكلتا الطائفتين من هذه المواد ، مركبة من مواد أساسية واحدة تقريباً . انهُ يجهزنا من ناحية بالاشعة السينية وأساليب الجراحة والعقاقير التي تقهر المرض ، ومن ناحية اخرى بالمدافع الرشاشة والغاز الخانق والمغيبات . ولكن ما يجهزنا بهِ العلم لأعمال السلام والإنشاء يفوق كثيراً ما يجهزنا به لأعمال الحرب والتدمير . واذا كانت المتفجرات تستعمل في الحرب للهدم والقتل فانها تستعمل في السلام لحفر الانفاق وشق الترع وفتح المحاجر والامثلة على ذلك لا تكاد تحصى . واذا كانت قوة الانسان قد سبقت حكمته في استعمال تلك القوة فالعلاج لا يكون بكبح القوة بل بتعزيز الحكمة . وأنا أرى ان التثقف بأساليب العلم الصحيح الحرّ ، مفضٍ ، بعد طول الممارسة وصدق الولاء الى مهيع الحكمة والرشاد

وللعلم فائدة أخرى ، لم تستتبَّ بعدُ ، ولكنها دَينٌ للعالم معلّق بأعناق العلماء . إذ لا يخفى عليكم ، ان الدمقراطية في معناها الأمثل ، يجب أن تسعى الى تحقيق الحرية الاقتصادية لأفراد المجتمع ، علاوة على ضمان الحقوق السياسية . لأنهُ اذا كان أفراد المجتمع على جانب من الاكتفاء الاقتصادي ، كانوا أقلَّ تأثراً بأقوال المهيجين ، وأحكم اشتراكاً في الشؤون العامة ، وأرشد رأياً فيها ، وأعظم استقلالاً في وزن الأمور بموازينها الصحيحة .

وليس ثمة ريب ، في أن ما أسداهُ العلم الى الحضارة من أسباب العيش ، سهّل العيش على كثيرين من النـاس . ولكنهُ أفضى الى غير قليلٍ من التفاوت والأثرة والتوزيع الجائر والتحكم والفاقة . ودواء هذه العلل ليس في اخماد شعلة العلم بل في زيادتها تأججاً . لأن في وسع العلماء ، أن يستخرجوا من موارد الطبيعة ما يكون فيهِ الكفاية — بل والرخاء — لجميع الناس ، أي تحرير الناس من ربقة الفاقة والعوز ، على أن تصدق النية ويحسن التنظيم ويتسع مجال العمل . فعلى العلم والسياسة أن يعملا معاً . على العلم أن يرشد الساسة والحكام ، الى توفير الأحوال التي تعزّ من كرامة الانسـان . وعلى الساسة أن يأخـذوا من العلم والعلماءِ لكي يضمنوا بوسـائلهم وأساليبهم ان ثمارهُ لا تضيع ولا يساء استعمالها . واذا كانت السياسة في أثناء الحرب خادمة الخطة الحربيـة ، والعلم خادمهما معاً ، فالرجاء ان تغدو السياسة بعد الحرب خادمة العلم في سبيل الخير العام . فحاجات الحيـاة جزءٌ من حقوق الانسان، كالحريات السياسية . لأن الجوع والتعطل عن العمل يسخران المرء ، كما يسخره السيف. فالقضاء عليهما، ينفخ معنى وحياة في ذلك الحق الانساني الأصيل الذي صدّر بهِ بيان حقوق الانسان في الولايات المتحدة الاميركية (حق الحياة ونشدان السعادة)

فالعلم الصحيح من أي النواحي أتيتموه ، سواء كان ذلك من ناحية طبيعته او أسلوبهِ او تطوره التاريخي او ما يسديه الى الاجتماع والعيش ، عاملٌ أساسي في تهيئة التربة لثقافة عالمية ، آياتها الخير العام ، والتعاون، والخلق العالي

— ٥ —

وأخيراً ما موقفنا نحن في الشرق العربي ، من كل هذا ، وما نستطيعه من مشاركة في انشاءِ هذه الثقافة العالمية التي لا بدَّ ان يكون العلم أحد أركانها ؟

اننا اذا صرفنا النظر هنيهة عن المعاني الدينية العالية التي أشرقت على أرجاء العالم من هذه الأرض ، فليس ثمة ريب في ان نصيب الحضارة العربية ، في بنيان الحضارة العالمية ، يلخص في ثلاثة ألفاظ ومعنيين . أما الالفاظ فهي « الشورى » و « دار الحـكمة » وأما المعنيان فهما ، على حد التعبير الحديث ، الدمقراطية والعلم . وأنا اتخذ من لفظ الشورى رمزاً لجوهر النظام الدمقراطي في الحياة ، من حيث هو اسلوب للحكم ، وقانون للاخلاق الفردية والاجتماعية ، اي من حيث هو ركن من أركان الثقافة وأصل من أصول التربة التي تزكو فيها . وأجرد من لفظي « دار الحـكمة » رمزاً للعقل الذي خلبته اسرار الكون ، وأومأت اليهِ روائع الطبيعـة ، فانطلق باحثاً منقباً حرّاً من كل قيد يثقلهُ الاّ قيد الشوق الى الحقيقة وقيد التفكير السليم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هنا في هذين الجوهرين من جواهر العمران ، يتصل حاضر العالم العربي من ناحية بلباب تاريخه العريق المجيد ، ومن ناحية بمستقبل منزلته في بناء الحضارة المقبلة بناء جديداً . واذا كانت شعلة البعث الاوربي سرت من «دار الحكمة» الى تلك القارة عند ما بدأت تتململ في احضانها ، بذور الحياة الجديدة في مستهل عصر الاحياء ، ففي الوسع كذلك أن يساهم العرب اليوم وفي الاجيال المقبلة ، في توجيه الحياة الجديدة التي بدأت تتململ بذورها الآن ، حتى بين انقاض الحرب وخرائبها . بل ان ذلك واجب علينا ، اذا شئنا ان نرتفع الى مستوى ماضينا وتراثنا ، وان نكون مخلصين لأنفسنا وأمانينا ومستقبلنا . وعمل الانشاء عمل مستمر ولاسيما بعد حرب طاحنة كهذه الحرب ، والبذرة التي تبذر اليوم يحصدها ابناؤنا وحفدتنا في المستقبل منزلة عالية ومشاركة فعالة في الارتقاء الانساني

ان الدمقراطية ، من حيث هي فلسفة اجتماعية ، لا من حيث هي نظام سياسي للحكم وحسب ، تواجه أعظم تحدّ وجّه اليها ، وهي تواجه كذلك أعظم فرصة متاحة لها لتبني بعد الحرب اجتماعاً بشريّاً أركانهُ : ان الحكم الشعبي ممكن قيامهُ بغير طغيان ، وان الحرية مثل عالٍ بعيد ولكن الدنوّ منهُ مستطاع ، وان رفع مستوى الثقافة العامة رفعاً مطرداً مستمرّاً في المتناول ، وان كان عملاً شاقّاً ، وان في قدرة الناس أن يقتربوا مهما يطل الطريق ويتوعّر ، من العدل الاجتماعي ، والتحرّر من ربقة الفاقة والعوز ، وان اتاحة الحياة الوافرة لكل فردٍ من أفراد المجتمع واجب واقع على كاهل كل انسان

وفي سبيل تحقيق هذه الاغراض ، لابدّ من كيمياء اجتماعية جديدة ، عنصراها الدمقراطية والعلم . وناموسها الأساسي ان ثمار العلم لا يجب أن تضيع جزافاً ولا أنْ يساءَ استعمالها . فالواجب علينا اذا شئنا أن نرتفع الى مستوى الأماني والآمال ، هو أن نصل حاضرنا بماضينا نستلهمهُ ونستوحيهِ . ففيهِ جميع الأصول التي يجب أن يُبنى بها وعليها العالم الجديد . فالفضائل الدمقراطية التي تجلّت في المسيحية والاسلام ، يجب أن تعود الى مكانها العالي ، في حياتنا وأخلاقنا ونظم حكمنا . والابداع العلمي في عصور الاسلام الزاهرة ، لم يكن عاصفة في فنجان . انهُ يرتد الى صفات عقلية أصيلة قد يكون الصدأ علاها ، ولكن الصدأ يزول بالصقل . ثم علينا ان نصل حاضرنا بمستقبلنا ، بترويض النفوس واعداد العقول ، للمشاركة في هذا البناء ، وللمساهمة في تطبيق مبادىء هذه الكيمياء

وهذا ميدان للجهاد الاكبر ، يصغر في جنبه كل جهد حربي . فاذا أهملناه ، حقرنا ماضينا ، واستخففنا بحاضرنا ، وضيعنا مستقبلنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عقاقير الجمال

عند قدماء المصريين

للدكتور حسن كمال

١ — ﴿ تمهيد ﴾ : عقاقير الجمال هي عقاقير متباينة تستحضر فنيًّا قصد النظافة وتحسين البشرة واخفاء العاهات واحداث الجمال . استعملت هذه العقاقير بشكل بسيط منذ أقدم العصور سواء في ذلك الرجال والنساء · والى الشرق يرجع ابتكار هذه العقاقير . وتعدُّ مصر نبراسها . ففي زمن الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق . م ·) اعتاد المصريون ان يدفنوا مع موتاهم ادوات الجمال ووسائل النعيم كالأواني العطرية المختلفة الاشكال المصنوعة من المرمر وغيره والمرايا وأقلام الكحل (المراود) . ولما كشف قبر (توت عنخ امون) وجدت فيه أوان متباينة احتفظ بعضها بعطريته حتى ساعة فتحه

وما اكثر ما وجد على الآثار وفي المقابر المصرية من دلائل تثبت شدة عناية أجدادنا بهذه العقاقير . ها هو ذا الشاهد الجرانيتي المنصوب بين ذراعي أبي الهول في عهد تحوتمس الرابع (١٦٠٠ ق. م .) وقد رُسم عليه ذلك الملك يقدم البخور والعطور لأبي الهول . وكانت صناعة هذه العقاقير محصورة في الكهنة . اما جواهرها الفعالة فكانت طبعاً محدودة بادىء ذي بدء . وهي إما مصرية مثل الزعتر والمرزنجوش origanum وإما مستوردة من الخارج مثل المر واللبان والكندر (frankincense) والناردين (spikenard)

والوسيط الذي خلطت به هذه العطور كان زيت السمسم غالباً وزيت اللوز وزيت الزيتون أحياناً

والى قدماء المصريين يرجع فضل ابتكار الحمام المنزلي الذي حسّنه من بعدهم الأغريق والرومان . ولا يبعد ان هذا الابتكار جاء وسيلة لتلطيف حرارة الجو . وكان يعقب هذا الحمام تدليك بالزيت والمراهم للمحافظة على نعومة الجلد وليونته ولإنعاشه . واهتمت السيدة المصرية القديمة بعقاقير الجمال . فبلغ اهتمامها ذروته في عهد الملكة كليوبترا . وتركّز الجمال وقتئذٍ في العيون . فصبغ الجفن السفلى بالاخضر واكتحلت الأهداب والحواجب بالاسود واستعملت الامشاط والمرايا وخضبت الايدي والأقدام بالحناء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأخذ اليهود من المصريين هذه العقاقير فورد ذكرها في كتبهم المقدسة . وامتدح القرآن العيون الجميلة (وهي المكحلة عادة) في آية « وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون»

وكان الرومان اولاً قليلي الاهتمام بعقاقير الجمال . فلما نزحوا الى جنوب ايطاليا المحتلة بالاغريق وقتئذٍ عرفوا تلك العقاقير واهتموا بها . ثم ذاعت شهرة عقاقير الجمال في عهد (نيرون) (٥٤ ب.م) حتى استعملها هو وزوجته Poppæa عياناً . وبيض الرومان أوجههم بالطباشير وابيض الرصاص واكتحلوا بالكحل المصري وخضبوا الشفاه والوجنات بالاحمر المعروف بالفوْقس Fucus وازالوا شعورهم بالدلوك او الجوش وهو المعروف باسم (psilotrum) كما عالجوا جلودهم بالدقيق المخلوط بالزبد . ونظفوا اسنانهم بحجر الخفاف (pumice stone) فجعلوها بيضاء ناصعة وخففت السيدات ألوان شعورهنّ بصابون من بلاد الجول (فرنسا Gaul) وحضروا العطور في شكل مراهم (ladysmata) وسوائل (stymmata) ومساحيق (diapsamata)

كانت الحروب الصليبية عاملاً كبيراً في نشر عقاقير الجمال في اوروبا . وفي عهد الملكة اليصابات (Queen Elizabeth) أضحت علب هذه العقاقير من مستلزمات أثاث حجرات النوم ومن أهم وصفات تجميل البشرة وقتئذٍ الحمام المعرّق الساخن الذي يعقبه تدليك الوجه بالنبيذ حتى يكتسب الوجه ملاسة ونضارة ولوناً ورديًّا . ولم تكن هذه الوصفة بالرخيصة وقتئذٍ . فقد روي عن الملكة ماري (Queen Mary) ملكة اسكتلاندة انها كانت تغتسل في النبيذ وانها طالبت حكومتها بعلاوة مالية لذلك . وعلى الرغم من فداحة هذه التكاليف فقد تمسكت السيدات المتقدمات في السن بها كما هو منتظر طبعاً . في حين قنعت الشابات بالاغتسال في اللبن . ثم تفننت السيدات ، فزينَّ وجوههنَّ بالخال . وفي عهد ملك الانكليز (Charles II) أصبحت حمامات اللبن من ضرورات التجمل . ثم ابتدعت السيدات طريقة ذرّ المساحيق البيض على شعورهنّ . وفي القرن السابع عشر بلغت عادة التجمل حدًّا بعيداً ببلاد الانكليز حتى اضطرَّ البرلمان الانكليزي عام ١٨٧٩ ان يسنَّ قانون العطور (Act of Perfumery) الذي نصّ على ما يأتي : —

«كل امرأة من أي سن كانت أو مرتبة (rank) أو مهنة أو درجة (degree) عذراء كانت أو متزوجة أو أرملة اذا أرغمت أو حرضت أو غشت رعايا جلالة الملك قصد اتمام زواج باستعمال العطور أو الالوان او المحاليل المجملة او الاسنان الصناعية او الشعور العارية أو مقومات الظهر المعوج أو موسعات ملابس السيدات السفلى (hoops) أو لبس أحذية عالية الكعب او ابراز العجز المصطنع (bolstered hips) تعاقب عقاب السحرة وسيئ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخلق — وكل زواج يحصل نتيجة لذلك يعتبر لاغياً »

وبالرغم من كل هذا فقد مضت السيدات في طريقهنّ الى الامام في بلاد الانكليز وايطاليا وفرنسا وغيرها. فغزت عقاقير الجمال السراي الملكية في عهد لويس الثالث عشر وأصبحت اسبانيا من أشهر بلدان العالم الموردة لزبد الفانلا والكاكاو ومعجون الجوز. وأتى نابليون القائد العظيم وزوجته جوزفين (Josephine) فكانا حريصين على هذه العقاقير. وفضلت زوجته مستحضرات جزر المرتنيك Mertinique. ومنذ ذلك الوقت صنع الفرنسيون عقاقير الجمال على أساس علمي فانتشرت صناعتها في كل بلاد العالم الراقية وأصبحت تدر الربح الوفير وتأتي بالفائدة المرغوبة

٢ — ﴿ الكحل ﴾ للكحل منزلة كبيرة في بلاد الشرق حيث نسبت اليهِ صفات متباينة كحدة الابصار ودفع الحسد وابعاد المرض وعلاج العلل. وكان كل ذلك منتشراً في القطر المصري لكثرة أرماده وأتربته وشدة حرارته. وقد عثر على عدة علب فرعونية للكحل مكتوب على احداها « للوضع على الاهداب والأجفان ». وعلى اخرى « مفيد للبصر ». وعلى ثالثة « لمنع النزف ». وعلى رابعة « أجمل دهان للعين ». وعلى خامسة « مسيل للدموع »

وصنع القوم كحلاً يناسب السن ويتفق وفصول السنة. وكثيراً ما عثر بالمقابر المصرية على أربعة علب للكحل تحوي عقاقير مختلفة مكتوب على احداها « للاستعمال اليومي » وعلى الثانية « لفتح العينين » وعلى الثالثة « لنظافة العينين » وعلى الرابعة « لازالة افراز العينين »

والكحل الفرعوني نوعان. احدهما أخضر وهو الملخيت (Malachite) أي كربونات النحاس واسمه بالمصرية القديمة « وَزّ ». وثانيهما أسود واسمه بالمصرية القديمة « مِسْدِم » وبالقبطية (Stem) وباللاتينية (Stibium) وصفه لوكاس بأنه العلابي أو (galena) أي كبريتور الرصاص الأسود (lead sulphide)

وكان المصريون يضعون الكحل الأخضر على الجفن السفلي للعين. والأسود على حافتي العينين حتى تظهرا كبيرتين برّاقتين

والملخيت أقدم عهداً من العلابي. وقد عثر بالمقابر الفرعونية على المادتين في شكل كتل صغيرة أو صبغات على ألواح اردوازية أو معجون في أوانٍ خزفية. واستعمال الملخيت راجع الى ما قبل حكم الأسر (قبل ٣٤٠٠ ق . م .). وبقي مستعملاً حتى زمن الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٠ ق . م) أما العلابي فلم يعثر عليه في العهد السابق لحكم الأسر إلاَّ أن استعماله دام حتى العهد القبطي

ويلاحظ على كتل الكحل الأثرية اتخاذها شكل الاناء الحاوي لها مما يدل على انها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كانت رطبة ثم جفت . ولم نستوثق من نوع المادة التي مزج بها الكحل وكل ما يقال إنها ليست دهنية وانها غالباً مائية أو مزيجاً من الماء والصمغ

ودلت أغلب التحليلات الكيميائية على ان ٦٥٫٥٪ من الكحل المصري من نوع العلابي أو كبريتور الرصاص (galena) والباقي وهو ٣٤٫٥٪ كربونات الرصاص (lead carbonate) واكسيد النحاس الاسود (black oxide of copper) واكسيد الحديد الرمادي (ochre) واكسيد الحديد المغطس (magnetic oxide of iron) والملخيت (malachite) وتبر النحاس (Ore of Copper) الاخضر الضارب الى الزرقة المعروف باسم خرسقولا (Chrysocolla)

ولم يعثر على كحل يحوي الانتيمون (antimony) إلاّ في حالة واحدة . وعلى ذلك فالرأي القائل ان الكحل المصري ان لم يكن (ملخيت) أو (علاّبي) فهو أثمد (أي ملح الانتيمون) لا يزال يحتاج الى اثبات . ولا يبعد أن يكون أساس هذا الرأي هو استعمال الأثمد في الكحل الروماني حيث أطلق عليه بلينيوس (Pliny) اسم (stimmi) أو (stibi)

أما الكحل الحديث فيصنع من هباب القرطم المحروق (Carthamus tinctorius) وهذا يوضع على الاهداب بواسطة المرود . وأحدث أنواع الكحل يصنع من هباب القلفونية (oil of terpentine) الذي يتصاعد دخاناً كثيفاً عند احتراقه . فيجمع هذا الهباب ويستعمل كمسحوق أو يصنع على هيئة أقلام رصاص تبرى وتحرر على أهداب الجفون . ويرجع استعمال المكاحل ذات المراود الى عهد الاسرة الحادية عشرة (القرن العشرين قبل الميلاد)

ويوجد الملخيت بسيناء وصحراء العرب . أما العلابي أو الجالينا فيوجد بقرب اسوان وعلى شاطىء البحر الاحمر . ودلتنا الآثار على ان المصريين استحضروا الكحل من آسيا في عهد الاسرة الثانية عشرة (القرن الخامس عشر ق . م) ولا نزال نجهل نوع الكحل المستحضر من الصومال المشهور قدماً براتنجه العطري (resins) . وقد كانت الصومال محطة توزيع منتجات البلاد المجاورة . وفي عهد الامبراطورية الرومانية كانت صادرات الهند ترسل الى شاطىء افريقة الشرقي ومنهُ بالسفن الى ايطاليا

٣ — ﴿ الشعر ﴾ جاء بقرطاس ايبرس وصفات لمنع سقوط شعر الرأس للنساء . أما الرجال فكانوا يزيلون شعور اللحى والشوارب عادةً وشعور الرأس أحياناً . وعطّر القوم رؤوسهم بعد ازالة شعرها . ولم يثبت للآن استعمال أجدادنا للعقاقير المزيلة للشعر وان كان بعض الأثريين يرجحون معرفتهم لها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٤ — ﴿ ازالة تجاعيد الوجه ﴾ تجاعيد الوجه من أعراض التقدم في السن . لذلك اهتم الانسان منــذ أقدم العصور بمنع حصولها ما أمكن . وقام المصريون الأقدمون بنصيبهم في هذه الناحية فأوردوا وصفات ذلك في قراطيسهم الطبية . فذكروا في قرطاس ايبرس (١٥٠٠ ق.م) دهاناً مكوناً من بخور وشحم طازج وفاكهة السُّـرْو (Cyperus berries) أجزاء متساوية تسحق وتمزج معاً وتخلط باللبن وتوضع على الوجه ستة أيام متتالية

وجاءت في قرطاس (ادوين سميث) الطبي (١٥٠٠ ق.م.) طريقة أخرى مطولة لعلاج هذه الحالة تحت عنوان « ارجاع الشيخ الى صباه » . والمراد بالشيخ هنا محياه وازالة تجاعيده واكسابه نضارة وشبــاباً . ولا يبعد ان تكون هذه الوصفة حاوية لمادة كالمعروفة باسم (حسن يوسف) التي تحدث انتفاخاً في الانسجة الخلوية أسفل الجلد فتختفي تجاعيده مدة معينة . وفيما يلي نص هذه الوصفة : —

نبات يقال له همايت مجهول المدلول يغلى مراراً خلال أيام بطريقة مخصوصة ثم يدهن الوجه بالعجين الناتج من هذا الاغلاء

٥ — ﴿ تعطير رائحة الفم ﴾ اهتم المصريون بصحة الفم فوصفوا له الوصفات الكثيرة كاللبان (الكندر) والمر (Myrrh) وصنعوا من ذلك حبوباً لتعطير الفم محلاة بالشهد . والمعروف طبيًّـا ان المر مفيد في علاج اللثة والتهاب الفم . والى قدماء المصريين يرجع الفضل في ابتكار هذا الدواء للحالة المذكورة

٦ — ﴿ التدليك ﴾ (Massage) استعمل المصريون الزيوت والشحوم للتدليك . والتدليك علاج ناجع لاستبقاء جمال الجلد ونعومته وصحته وتغذيته ومنع تجعده وذلك بالمحافظة على دورته الدموية . والتدليك دليل قاطع على بعد نظر قدماء المصريين في الجمــال وسحره . جاء عنهم انهم استعملوا للتدليك الشحوم الحيوانية وزيت الخروع وزيت اللوز وزيت الكتان وزيت السمسم وزيت القرطم . كما ورد ذكر التدليك في القراطيس الطبية كقرطاس هيرست (١٥٠٠ ق . م.) وجاء في رواية مصرية قديمة ايام الاسرة الثانيــة عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م.) بطلها امير مصري قضى معظم حياتهِ بفلسطين ثم عاد الى مصر لزيارة الملكة قريبته . وكان هذا الامير يدعى (سنوحى) . فلما عاد الى وطنه اشتد فرحه وما كادت قدماه تطآن ارض مصر حتى دلك جسمه بالزيت المصري الجميل بدلاً من زيت فلسطين. ولما تشرف بمقابلة العائلة المالكة نودي «احضروا زيت المراي » فأحضر الزيت. ثم دلك جسم (سنوحي) حتى أصبح نضراً عطراً يليق بالمثول بين يدي فرعون مصر وزوجتـه . وحدثت بعد ذلك حوادث كثيرة ليس هذا مقام ذكرها تستهجن كل ما هو اجنبي وتقابله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالاستغراب . فاللهجة الشامية التي اكتسبها (سنوحي) بحكم اقامته هناك كانت مثاراً لضحك الامراء المصريين وعلى الاخص أطفال جلالة فرعون مصر . وهذا ان دل على شيء فعلى تعلقهم بلغتهم وعاداتهم واحترامهم لها وتقديرهم اياه

٧ — ﴿ الوان الوجه ﴾ يرجح جداً ان المصريات لوّن وجوههن بالاحمر في العهد الفرعوني . والاّ فما معنى وجود هذه الألوان مع ادوات سحقها بالمقابر . والمادة المستعملة لذلك هي اكسيد الحديد الاحمر(red ochre) او(haematite).

ووردت بقرطاس (تورين) صورة لحسناء مصرية تمثلها تضع الاحمر على شفتيها اوضح تمثيل كما توضح سرورها بذلك ومراقبتها للعملية في مرآة يدوية قابضة عليها بيدها اليسرى

واعتاد المصريون منذ أقدم العصور تخضيب أيديهم وأرجلهم بالحناء وهو نبات اسمه (Lawsonia inermis) عثر على أغصانه بين الآثار المصرية : قال بلينيوس ان القطر المصري كان يصدّر أجود أنواع الحناء . ويرى بعض الأثريين ان الحناء ليس مصريًّا بل أجنبيًّا استورد الى مصر حوالي (١٤٠٠ ق . م) ومع ذلك فان هذا النبات ورد ذكره على تمثال من عهد المملكة القديمة (القرن الثلاثون ق . م) أي قبل القرن الرابع عشر بمدة طويلة

٨ — ﴿ العطور ﴾ استعملت العطور في العصر الفرعوني والاغريقي والروماني كمستحضرات زيتية أو دهنية . وصيف مصر المشهور بحرارته وجفافه خير محبّذ لاستعمال هذه المستحضرات . ولا تزال الزيوت العطرية منتشرة في النوبة والسودان وبعض جهات افريقيا . وكانت الزيوت من أنواع متعددة واستعملت لغرض اذابة العطور وحفظها من الزناخة

والعطور الحديثة تستخرج من الزهور والفواكه والاخشاب والاوراق والحبوب كمحلولات كحولية . ولجهل قدماء المصريين بخواص الكحول وطرق تقطيره وقابليته لاذابة العطور عمدوا الى اذابة هذه الاخيرة في الزيوت والدهون . نعم ان تيوفراستوس (Theophrastus) (٤٠٠ ق. م.) وبلينيوس (Pliny) (١٠٠ ب. م.) ذكرا عملية التقطير بأسلوب مبدئي دون أن تشرح شرحاً وافياً . فلما أتى القرن الرابع بعد الميلاد أتى ارسطوطاليس (Aristotle) وفصلها تفصيلاً . وعلى ذلك فقد استمر أجدادنا مدة أربعة آلاف سنة قبل الميلاد يستخرجون عطورهم من الأزهار وغيرها بوضعها في الزيوت أو الدهون مدة كافية . وكانت نفس الطريقة مستعملة في عهد تيوفراستوس (Theophrastus) حيث استعمل لهذا الغرض زيت الهلج أو الزقوم (Balanites aegyptiaca) غالباً وزيت الزيتون وزيت اللوز أحياناً . وذكر بلينيوس (١٠٠ ق. م) ان الرومان استخرجوا عطورهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالطريقة عينهـا وزادوا عليها بأن ضغطوا على أوراق النبات العطرية أو أغلوها في الزيت . ولا يبعد أن يكون الرومان قد أخذوا هذه الطريقة أيضاً من المصريين

وشرح بلينيوس (١٠٠ ب . م) وتيوفراستوس (٤٠٠ ق .م .) كثيراً من انواع العطور المصرية القديمة كالينسون والمرّ وجاءَ أن هذه العطور كانت تحفظ بالدكاكين مدداً تزيد على ثماني سنوات مع احتفاظها بصفاتهاوخواصها . وقيل ايضاً أنها قد تكون في النهاية أفضل منها في البداية . قال بلينيوس ان القطر المصري كان أشهر بلاد العالم في تحضير العطور. وان أشهر هذه العطور هو المستحضر بمدينة (منديس) (Mendes) بالدلتا(بالدقهلية قرب السنبلاوين) حتى أطلق على عطرها اسم (زيت منديس) كما تنسب بعض العطور حديثاً الى المدينة التي ابتكرتها مثل (ماء كولونيا) نسبة الى مدينة (كولونيا) بالمانيا . ووصف زيت منديس)هذا بأنهُ معقد التركيب يحوي زيت الهلج (balanus) وراتنجاً ومرًّا وزيت اللوز وزيت الزيتون وحب الهال(الحبهان) (cardamum) والبلسم (balsamum) والقناواشق (galbanum)والتربنتينة(terpentine resin).وقال بلينيوس ان المصريين استخرجوا العطر من نبات الهليلج (Myrobalanus) الذي ينبت بصحراء طيبة واتيوبيا ونباتات أخرى لا نزال نجهل مدلول اسمائها للآن

ولم يثبت حتى الآن استعمال الطيوب او العطور الحيوانية كالمسك من الظبي (Musk) وعنبر خام (Ambergis) من القيطس والزباد (civet) من القط

وعثر على مراهم بقبور الاسرة الاولى (٣٤٠٠ ق. م.) ذات رائحة شديدة غير عطرية لا يبعد انها كانت عطرية ثم تحللت وفسدت . ولم يحلل من هذه المواد الكيميائية الا القليل وكل ما يمكن قوله الآن انه عثر ضمن هذه المراهم على الحامض الاستياريك (Stearic acid) مما يدل على أصل حيواني . وعثر بقبر (توت عنخ آمون) على أربع مواد صلبة يرجح ان احداها تحوي بلسماً . ولا يبعد ان تكون هذه المواد راتنجية أو اصماغاً راتنجية أضيفت الى الدهن لا لتعطيره بل لتثبيت عطره (perfume fixer)

قال رويته (Reutter) انهُ حلل ثمانية عطور فرعونيـة فوجدها تحوي اسطرك (Storax) وبخوراً (incense) وراتنج تربنتينـة (Terpentine Resin) وقاراً (bitumen) وحناء ومواد نباتية عطرية ممزوجة بنبيذ النخل وصبغة الكاشيا (Cassia) والتمر هندي (Tamarind) . ولا تزال نتـائج هذه التحـاليل موضوع نقاش بين الكيميائيين الاثريين

وسمى المصريون عطورهم باسم (عَنْتِر) وهو أصل لفظ (عبير)

(يتبع)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كوپرنيكوس (١)

في القرن الثالث عشر انبثقت روح البحث ، بعد أن طوتها القرون في أقمطة الاستعباد لأقوال الأئمة في العصور القديمة . ومضت هذه الروح ، نامية مترعرعة يرسخ أصحابها أقدامها حيث لا تتعارض آراؤهم والمعتقدات القديمة التي تمسّ الدين والكون ، أو حائرة مترددة متخذلة ، حيث تصطدم الآراء الجديدة بالعقائد القديمة . ولكنها مع ذلك كسبت رويداً رويداً ، بين إقدامها ونكوصها ، قوة حملتها على أجنحة العقل الى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، عندما أزهرت وأينعت ، وكانت أزهارها وأثمارها فتنة للناظرين

في خلال هذه الفترة كان المقام الاول في علم الفلك لبطلميوس والنظام البطلميوسي . وفي العلوم الأخرى لارسطوطاليس . ثم اتسع نطاق نفوذهما باختراع الآلة الطابعة في القرن الخامس عشر . وقد عني عالمان من علماء ذلك العهد بكتابات بطلميوس فأقدم برباخ Purbach استاذ الفلك في جامعة ڤينا حوالي سنة ١٤٥٠ على ترجمتها ترجمة دقيقة ولكنه مات قبل ان يبلغ شأواً بعيداً في عمله ، فأتمّ عمله ، تلميذه جون مُلَر المشهور باسمه اللاتيني ريجيو مونتانُس ويقول العلماء ان ريجيو مونتانس هذا ، كان بلا شك يرتاب في صحة القاعدة الاساسية التي بنى عليها النظام البطلميوسي . وهي ان الارض ثابتة لا تتحرك ، وانها مركز الكون . ولكنهُ أحجم عن تحدي هذا القول ، فخسر بذلك فرصة فذّة في تاريخ الفكر الانساني . لانهُ لو فعل لكان الرائد الاول من روّاد علم الفلك الحديث

وكذلك اتيح لراهب يدعى نيقولا كوبرنيكوس ، ان يخرج على الاعتقاد السائد الذي وضع بطلميوس قواعده ، وان يمهد للعالم ، الطريق الى نظام كوني جديد . فكوبرنيكوس هو الرجل الذي أحدث أول ثورة في علم الفلك في العصور الحديثة ، اذ أسقط النظام البطلميوسي عن عرشه ، فلم تقم له قائمة بعده

---

(١) احتفل المجمع العلمي المصري يوم ٢٤ مايو بانقضاء اربعة قرون على وفاة كوبرنيكوس وكان الاحتفال برآسة رئيس المجمع الدكتور طه حسين بك وخطب فيه الدكتور ماير هوف والدكتور مدير مرصد حلوان والدكتور مشرفة بك عميد كلية العلوم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولد كوبرنيكوس في بلدة ثورن على نهر الفستولا في ١٩ فبراير سنة ١٤٧٣ وكان أبوه نيقولا تاجراً ، وأمه شقيقة رجل يدعى لوقا فاتسلرود ، وهو الذي سيم بعد ذلك اسقفاً لارملاند . وقد كان لصلة النسب هذه شأن كبير في حياة صاحبنا

ان ما يعرف عن طفولة كوبرنيكوس وحداثته نزر لا يروي غليلاً . ولكن يظهر انهُ تلقى مبادىء اللغتين اليونانية واللاتينية في داره . فلما نال منهما نصيباً وافياً ، بُعثَ بهِ الى جامعة كراكَو ، ليتعلم صناعة الطب فيها. فما لبث حتى تبين في ذهنه ميلاً خاصًّا الى العلوم الرياضية والفلسفة والطبيعة ، فأقبل عليها من دون ان يهمل علوم الطب

فلما تخرج من جامعة كراكَو بلقب دكتور في الفنون وعلوم الطب ، أقام مدة وجيزة في داره بثورن ثم سافر الى بولونا (ايطاليا) حيث تتلمذ للفلكي المشهور في ذلك العصر دومنيكو ماريا نوفارا ، ومنها رحل الى روما . وكان اسم رجيومونتانس ، يتردد في محافلها مقروناً بالاجلال والاعجاب . وكان كوبرنيكوس عند وصوله الى روما في الثالثة والعشرين من عمره فلم يطل عليه المطال فيها ، حتى أقام الدليل على انهُ رياضيٌّ وفلكيٌّ يعتدُّ به.وحظي بعيد ذلك بشرف تعيينه استاذاً للرياضة في جامعة روما في حفل مشهود من العلماء والكبراء

الا ان اقامته في روما لم تطل لان خاله ، الاسقف لوقا فاتسلرود ، اغتبط بما أصابه ابن شقيقته من المقام العالي في المدينة الخالدة ، فدعاه الى العودة الى وطنه ليقلده منصب «قانون» فرونبورغ . فقبل ما عُرِض عليه . ولكنهُ قضى قبل ايابه فترة في جامعة بادوى يستزيد من المعرفة في مدرستها الطبية ، ثم عرج على قصر خاله في هيلزبرغ حيث أقام طبيباً خاصًّا له

والرجل في الغالب ، اذا فاز بمنصب كبير يكثر حاسدوه وشانئوه ، ولكن كوبرنيكوس كان متفوقاً في عقلهِ ، ممتازاً بدماثة خلقه وحبه للطمأنينة والسلام: فلما توفي خاله عين قانوناً لكاتدرائية فرونبورغ. وأجمع الرأي على حبه واحترامه

ومع شدة رغبته في العلم والاستطلاع ، كان لا يني عن النهوض بالتبعات الدينية الملقاة على عاتقه ، بل كان يتعدى دائرة التبعة الدينية الرسمية ، الى زيارة فقراء المرضى ومؤاساتهم ، والاشتراك مع رجال الدولة في تدبير شؤونها وكثيراً ما كانوا يلجأون اليهِ في الملمات الاقتصادية

على اننا اذا ذكرنا كوبرنيكوس اليوم ، فاننا لا نذكره اسقفاً ورعاً ولا طبيباً مؤاسياً ولا مصلحاً اقتصاديًّا واسع الحيلة ، بل نذكره فلكيًّا ألمعيًّا ، أو بالحري علماً من مقدمي اعلام الفلك الحديث . فقد وقف الاستاذ والطبيب وقت فراغهِ على دراسة السموات والاجرام. نعم كانت الأدوات الفلكية التي يعتمد عليها ، قليلة لا تفي بالغرض ، ولكن ذلك لم يضعف من عزمهِ المشبوب بحب المعرفة . بل شحذه . وقد ثبت من النتائج التي توصل اليها ، انهُ كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

راصداً مدققاً ، بارعاً في استعمال ادواته القاصرة ، على أوفى وجهٍ وأتمه

نحن نعلم ان الرصد الحديث مجهز بمرقب (تلسكوب) يدعى مرقب العبور Transit instrument وهو قائم على عمودين ضخمين ولا يتحرك الا في سطح عمودي هو سطح خط الهاجرة . وحدود هذا السطح دائرة كبرى تمتد من الشمال الى الجنوب وتمر في القبة الفلكية في نقطة السمت . هذا هو الخط الذي تجتازه او تعبره الشمس عند الظهر كل يوم ويعبره كذلك كل نجم مرة كل اربع وعشرين ساعة . فتعيين الوقت الذي يعبر فيه اي نجم خط الهاجرة كل يوم ، من القياسات الأساسية في علم الفلك

ولكن صاحبنا لم يكن يملك مرقب العبور ، لانهُ اشتغل بالفلك قبل اختراع المراقب . ولذلك عمد الى بعض الجدران في داره ، فأحدث فيها شقوقاً ، وجعل يراقب من خلالها عبور النجوم لخط الهاجرة . ثم انهُ قاس ارتفاع هذه النجوم فوق الافق عند عبورها بواسطة ربع Quadrant اخترعهُ واقامهُ وراء الشقوق التي أحدثها في الجدران

ولم يلبث كوپرنيكوس حتى مال الى درس حركة السيارات ودوّن مشاهداته في جداول كانت أفضل ما عرف في عصرهِ ، بل ظلت معتمد الفلكيين قروناً بعد وفاتهِ . ولكن العبقري من الرجال لا يكتفي بما يدونهُ من المشاهدات . اذ لا بدَّ ان يحملهُ كل ذلك على التفكير بما بين المشاهدات الظاهرة من الصلات الخفية . وقد كانت جداول كوپرنيكوس باعثاً له على إخراج النظام الكوپرنيكي الذي ثلَّ بهِ عرش النظام البطليموسي

من أمتع ما يعرض له المؤرخ العلمي ، عند ما يكتب تاريخ اكتشاف خطير ، او ترجمة عالم عظيم ، هو ان يسأل ما الباعث الذي بعث هذا العالم او ذاك المستنبط على العناية بموضوع خاص ، وما السبيل الذي سلكه في تفكيره قبل بلوغهِ الى النتيجة المبتغاة . بل ان بحثاً من هذا القبيل من أهم ما يعرض له الباحث النفسي او كاتب التراجم على طريقة التحليل النفسي

والجواب عن سؤال من هذا القبيل ، يكون في الغالب ، وفي سير العلماء والمستنبطين المتقدمين خاصةً ، مما يبعث على الدهشة والاستغراب . فقد يكون الباعث صدفة من الصدف ، او حلماً من الاحلام ، او دقيقة غبار على آلة ، او تفاحة ساقطة من شجرة ، او كلمة يهمس بها رفيق على غير قصد . وتاريخ العلم طافح بما أُلهمهُ العباقرة من هذه الصغائر

ونحن اذا حاولنا ان نجيب عن هذا السؤال فيما يختص بصاحبنا كوپرنيكوس ، وجدنا الجواب عند رتيكوس ، تلميذه وصديقهِ وكاتب سيرته ومعلق الحواشي على مؤلفاته . وهو يروي لنا سلسلة المباحث التي أفضت الى آرائهِ الثورية الخطيرة في علم الفلك ، وكيف دفعه اليها رصده الاول للمرّيخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقد هاله ما رآه في المريخ من التقلب العظيم في اشراقه في اوقات مختلفة . وقد كان النظام البطلميوسي ينصّ على ان الارض في مركز الكون وان الشمس والسيارات تدور حولها ولكن هذا الدوران لم يكن دوراناً بسيطاً بل كان دوراناً معقداً . فقد كان كل من السيارات يدور في الفضاء حول نقطة معينة ، وهذه النقطة تدور بدورها حول الارض . وقد دعي هذا بفلك التدوير epicyclic orbit . واذن فالسيار الدائر حول الارض لا يمكن ان يكون على بعد واحد عنها ، بل يختلف بعده عنها فيقترب منها آناً ويبعد عنها آناً آخر . على ان الفرق بين البعد والقرب ليس عظيماً

فلما شاهد كوبرنيكوس الاختلاف الكبير في اشراق المريخ وقدره — وقد لاحظ هذا الاختلاف في سائر السيارات — أحسَّ انهُ لا يتفق مطلقاً مع الاختلاف في البعد والقرب اللذين يقتضيهما النظام البطلميوسي . وكان كوبرنيكوس يعلم مما قرأه من كتابات اليونان الأقدمين أمثال فيثاغوراس (٥٧٢ — ٤١٧ ق. م .) وارسترخس (٣١٠ — ٢٣٠ ق . م) ان الشمس لا الأرض مركز الكون وأن السيارات ومنها الأرض تدور حول الشمس دورة سنوية وعلى محاورها دورة يومية

ولكن تعاليم فيثاغوراس وارسترخس طغى عليها سيل من آراء ارسطوطاليس وبطلميوس فأُهملت . وقد ظلت هذه التعاليم منبوذة في زوايا الاهمال حتى أخرجها كوبرنيكوس ونفض عنها عناكب النسيان . والواقع ان كوبرنيكوس لم يبتدع النظام الذي ينسب اليه ويعرف باسمه . وقد كان هو يعلم ان قواعد هذا النظام كانت من مبتدعات فيثاغوراس وارسترخس ، ولكن الناس أهملوا ما قالا حتى بعثه كوبرنيكوس وأيده بأدلة حملت بعض معاصريه وابناء العصور التالية على التسليم بصحتها . فكان عملهُ هذا مفتتح عصر جديد في الفكر العلمي

فكيف فعل كوبرنيكوس ذلك ? أقبل على كتابات بطلميوس ، وتبحَّر في درسها ، فاستوقف نظره اولاً العنت والتحكم في الذهاب الى ان الأرض مركز الكون . وان السموات العلى بما فيها من الكواكب والسيارات ، والفضاء الذي لا يحدُّ ، تدور حول الارض دورة كاملة كل يوم . فقال في نفسه ، اذا لم نستطع ان نجد تعليلاً آخر ، أبسط من هذا وأقرب الى العقل ، سلمنا بهِ . ولكن كوبرنيكوس كان قد ادرك في ذلك العهد السحيق اصول الحركة النسبية ، وقد ضرب على ذلك مثلاً كأنهُ منتزع من اينشتين فقال ، يبدو لمسافر على ظهر سفينة تسير موازية للشاطىء في ماءٍ راكد ، ان السفينة مستقرّة لا تتحرك وان الأجسام على الشاطىء هي المتحركة في اتجاه مخالف لاتجاه مقدم السفينة

كذلك الاجرام السموية في حركتها اليومية ، نستطيع أن نفسّر حركتها بفرضنا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دوران الارض لا دوران القبة الفلكية . هنا تعليلان ، أحدهما معقّد والآخر سهل بسيط ، فأيهما يختار ؟ وقد اختار كوبرنيكوس ثانيهما ، ثم نظر في مقتضياته والنتائج المنطقية التي يمكن استخراجها منه

* * *

ليس في وسع القارىء أن يدرك خطر هذه الخطوة الجريئة التي خطاها كوبرنيكوس إلاّ اذا تذكر ان آراءَ ارسطوطاليس وبطلميوس كانت لا تزال مسيطرة على دوائر العلم في ذلك العصر ، وكل رأي يتحدى رأياً لهما أو يخالفهُ أو يرتاب فيه جحود وإلحاد . ولو لم يُتَح لكوبرنيكوس ان يجد مغمزاً واحداً في نظامهما الكوني ، لما تجرأ على الارتياب في سائر الأسس التي قام عليها ذلك النظام . كان أرسطوطاليس قد عَلّم ان الارض ثابتة ومستقرة لا تتحرك وانها مركز الكون . ولكن كوبرنيكوس كان قد اقتنع بعد بحث ضافٍ بأن الأرض على الضد من ذلك ليست ثابتة ولا مستقرة وانها سائرة في الفضاء وهي دائرة على محورها لذلك كان من الطبيعي أن يناجي كوبرنيكوس نفسهُ بقولهِ : « اذا كان ارسطوطاليس مخطئاً في قولهِ ان الأرض ثابتة ومستقرة ، فلعلهُ مخطىءٌ كذلك في قوله انها مركز الكون » . وكان رصده للاختلاف في اشراق المريخ وقدره قد عزّز هذا الريب في صحة ما ذهب اليهِ ارسطوطاليس . فلما اطلع على آراء فيثاغوراس في هذا الموضوع ، انتفت من ذهنهِ كلُّ شبهة في خطإِ أرسطو وبطلميوس

وكذلك نرى انهُ بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً على أرسطوطاليس ، وتعاليمهُ المرجع الأخير ، قام من تحداها وخرج عليها . فقال كوبرنيكوس ان الشمس مركز النظام الشمسي وحواليها تدور السيارات على أبعاد مختلفة ، وان السيارات تدور على محاورها . ولكن كوبرنيكوس مع ما عرف بهِ من استقلال في الرأي ، وجرأة في الخروج على الآراء السائدة ، عجز عن الانطلاق كلَّ الانطلاق من نفوذ أرسطوطاليس ومدرستهِ . فانهُ لم يحاول مثلاً أن يغير ما قيل عن دوران السيارات في أفلاك دائرية ، فقال قوله في ان أفلاك السيارات حول الشمس دوائر . فلما تبين له بالرصد ان حركة السيارات لا تتفق والقول بأن أفلاكها دوائر ، عاد الى طريقة بطلميوس المعروفة بفلك التدوير epicycle وما لبث حتى أصبحت حركات السيارات حول الشمس معقدة كل التعقيد ، لأن كوبرنيكوس مع فهمهِ لقواعد النظام الشمسي كما نعرفها الآن لم يتوصل الى القول بالأفلاك الاهليلجية ، وهو ما كشفهُ كبلر في القرن التالي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واذاً فأثر كوبرنيكوس في علم الفلك يُلخَّص في انه وضع الارض في مكانها من الكون. ومع ان مقترحاتهِ الخاصة بتغيير النظام الكوني ، أفرغت في قالب الحذر ، فليس ثمة ريب في انه كان أول من انفلت من قيد العبادة الأرسطية التي عاقت التقدم العلمي قروناً متوالية

***

نشر الكتاب الذي بسط فيهِ كوبرنيكوس رأيه بأن الشمس مركز النظام الشمسي ، في السنة التي توفي فيها أي سنة ١٥٤٣ وقد كان عنوانه « دوران الاجرام السموية » ويحسب نشره من الأعلام البارزة في طريق التقدم العلمي . ولكننا نعلم ان كوبرنيكوس كان قد بدأ يتأمل في هذا الموضوع قبل ثلاثين سنة وان الكتاب نفسه كان قد تم تأليفه حوالي سنة ١٥٣٠ أي قبل نشره بنحو ثلاث عشرة سنة . فما كان الباعث على تأخير نشره هذه المدة الطويلة ؟

كان كوبرنيكوس اسقفاً من اساقفة الكنيسة ، وكان بطبعهِ رجلاً شديد التدين ، ومع انهُ كان عالماً يدرك قيمة الحرية في ارتقاء العلم ، الاَّ ان حكمته همست له بان نشر الكتاب قد يحدث حدثاً تجب محاذرته . وقد كان دمث الطبع ، يكره النزاع ، فمضت سنوات وهو راغب عن الطبع والنشر ، واصدقاؤه يحثونه ويحاولون اقناعه بجميع وسائل الاقناع ، حتى فازوا منه اخيراً بالموافقة

والانصاف يقتضي منا ان نقول ان إحجام كوبرنيكوس عن اذاعة آرائه لم يكن ناشئاً عن خوف او عدم ثقة بالنفس . فقد رفع كتابه الى البابا بولس الثالث واليك فقرة مما قاله في مقدمته « اذا وجد أناس ، اتخذوا على عاتقهم ، رغم جهلهم بالرياضيات ، أن يحكموا على هذه الآراءِ وفقاً لآية من الكتاب المقدس شوّهوا صفوها حتى يوافق هواهم، فانني لا أقيم لهم وزناً بل احتقر حكمهم الأحمق ... وانني لأرفع بحثي في هذا الموضوع الى قداستك ثم الى أعلام الرياضيين ليحكموا فيهِ . . . . »

وسلّم كوبرنيكوس أصول كتابهِ الى تلميذهِ رتيكوس فذهب بهِ الى مطبعة في نورمبرج ، حيث كان كوبرنيكوس قد طبع قبل بضع سنوات رسالة لهُ في « الاضلاع والزوايا والمثلثات والسطوح والكرات » . فطبع الكتاب في نورمبرج وأرسلت نسخة منه الى مؤلفها . ولكن كوبرنيكوس كان قد أصيب وهو في السبعين بشلل فأُقعد في فراش السقام ، وتمشى الضعف في جسمهِ . واذ كانت النسخة المرسلة اليهِ ، من الكتاب الذي أودعه زبدة مباحثهِ ، في الطريق اليهِ ، كان هو في دور النزع ، فوصلته بضع ساعات قبل أن لفظ النفس الأخير في ٢٣ مايو سنة ١٥٤٣

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم والتعاون العالمي

للدكتور علي مصطفى مشرفة بك
عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول (١)

— ٢ —

قبل أن أحاول الاجابة عن هذه الأسئلة سأصف لحضراتكم الكيفية التي يتبعها العلماء في منح ثمرات عقولهم الى المجتمع والطريقة التي يسير عليها المجتمع في الاستفادة من هذه الثمرات. تعلمون ان الاديب أو الشاعر أو المؤلف الموسيقي اذا ألف كتاباً أو رواية مسرحية أو قطعة موسيقية فان القوانين الوضعية في معظم البلاد المتحضرة تجعل لهم حقوقاً مصونة ولو الى حين بحيث لا يستطيع ناشر أو مخرج أو عازف أن يستفيد من هذا الانتاج العقلي استفادة مادية بغير رضاء المؤلف . هذا هو الحال في الأدب والموسيقى . أما في الانتاج العلمي البحت فالأمر على عكس ذلك . لنفرض ان عالماً كشف عن قانون من قوانين الطبيعة أو عن ظاهرة من الظواهر التي لم تكن تعرف من قبل . اذا حدث ذلك وهو حادث في كل يوم فان هذا العالم يرسل عمله الى احدى الجمعيات أو المجلات العلمية فتنشره على الملأ ويكتفي العالم من عمله باللذة الفكرية التي تعود عليه وبالفخر والتكريم الذي يناله بين مصاف العلماء . وقد تمنحهُ احدى الهيئات لقباً أو مدالية أو احدى الحكومات وساماً أو رتبة. واذا كان من الطراز الاول بين العلماء فربما منح جائزة نوبل وهي جائزة مالية لا تتعدى قيمتها بضعة ألوف من الجنيهات . هذا هو كل ما يعود عليهِ من فائدة أدبية أو مادية. ولنفرض ان مخترعاً اطلع على عمل هذا العالم المنشور في المجلة العلمية واستخدم هذا العلم الجديد في اختراع آلة لها خطرها وأثرها في حياة المجتمع . ان القوانين والتقاليد الحالية لا تعطي للعالم صاحب الكشف الاول ولا للجمعية العلمية التي نشرت بحثه ولا للجامعة التي ينتسب اليها حقاً ما

---

(١) محاضرة ألقيت في جامعة القاهرة الاميركية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من الحقوق المدنية ازاء هذا المخترع الذي استفاد من مجهوداتهم جميعاً . وقد حدث هـذا مراراً وتكراراً بل هو حادث في كل يوم . ومن الأمثلة الظاهرة عليه الراديو أو التخاطب اللاسلكي . فصاحب الفضل الاول في هـذا الاختراع انما هو العالم الاسكتلندي كلارك ماكسويل الذي قال لأول مرة بوجود أمواج كهربائية تنتقل في الفضاء بسرعة الضوء ثم تبعه هاينرخ هيرتز العالم الألماني وهو الذي أثبت وجود هـذه الأمواج كحقيقة واقعة ودرس خواصها وما لها من صفات . وقد قنع كل من ماكسويل وهيرتز من عملهما باللذة الفكرية والفخر العلمي

ثم جاءَ ماركوني وغيره من المخترعين فاستغلَّ نتائج أبحاثهما وأبحاث غيرهما من العلماء استغلالاً ماديًّا عاد عليه وعلى غيره بالربح الوفير . أردت أن أشرح هذه النقطة لما لها من ارتباط وثيق بالموضوع الذي نحن بصدده

وبعد فهل نغير قوانيننا ونظمنا بعد الحرب بما يجعل لكل عالم ملكية ما يصل اليهِ من كشف في بحوثه العلمية ، أو نحوّل مجامعنا وجمعياتنا العلمية الى شركات مساهمة تفرض ضريبة على كل من يستخدم نتائج البحث العلمي لغرض من الاغراض المادية

***

تعلمون انه في مصر القديمة كان العلم وقفاً على نفر قليل من رجال الدين وزعماء الدولة ففي ذلك العصر البعيد المحوط بكثير من الشك كان رجال الدين ورجال الدولة يعلمون ما للعلم من قوة وسلطان وينظرون اليهِ كسلاح يستعينون به على الحكم ويخضعون به الناس للكنيسة وللدولة . هكذا كانت حالهم في ذلك العهد ولاشك في اننا اليوم وان أعجبنا بدهاء هؤلاء الزعماء ومقدرتهم إلاَّ اننا بعيدون كل البعد عن أن ننظر الى العلم هذه النظرة الشاذة البغيضة. بل نحن على النقيض من ذلك ننظر الى العلم نظرتنا الى الهواء أو الى النور ونجعلهُ حقًّا طبيعيًّا لكل انسان ونرى في انتشاره بين الناس تعميماً للخير وقضاءً على شر من أعظم الشرور وأفتكها بالبشرية وهو الجهل. فالعلم اذن نور يجب أن يشع، وخير يجب أن يعم، وأول واجب على العلماء انما هو حمل شعلة العرفان ونشر ضيائها وتبديد غياهب الجهالة . وليس يعقل ان نرجع في تفكيرنا الى عصر المصريين القدماء اكثر من ان نرجع الى عهد السحر والتنجيم . ومع هذا فاننا نشعر جميعاً ان القدْرة الناشئة عن العلم يجب ألاّ تكون في متناول كل سفيه يعبث بها كيف شاء بل يجب ان تحاط بسياج يعصمها ويعصم الناس من كل عبث بها وبالناس ومن كل محاولة لاستخدامها في الضار دون النافع. فالشخص الذي يمنح القوة والسلطة يجب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الوقت ذاته أن يؤتى الحكمة وان يكون له مثل عليا تعصمه من البطش وتقي الناس شر طغيانه وإلاّ فسدت الارض وعمّ الخراب

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى نعلم ان العلم والحكمة مقترنان من قديم الزمان حتى ليكادان يترادفان والفلسفة مرادف ثالث لهما . وقد نشأ العلم الحديث كفرع من فروع الحكمة أو الفلسفة وسمي الفلسفة الطبيعية ولا تزال الجامعات الى اليوم تستخدم لفظ الفلسفة بمعنى العلم حين تمنح درجاته الدكتوراه في الفلسفة فقد كان العلماء ولا يزالون يتحلون بصفات نفسية وخلقية تعدّ ملازمة لصفتهم كعلماء فالعلم والفضل والخلق القويم سجايا متلازمة لا انفصال بينها . واذن فلا يكفي أن يعطي العلماء علمهم الى المجتمع مجرداً بل عليهم أن يعطوا الى جانبه تلك الصفات الخلقية السامية التي هي جديرة بالعلم وقرينة بل ومتممة له . وليس هذا المعنى جديداً بل هو شائع ومعروف فمدارسنا وجامعاتنا وان كانت دوراً للعلم الاّ انها في الوقت ذاته دور للاخلاق . وتلقين المعرفة منذ الصغر يقترن بالتربية التي هي التقويم او تكوين الخلق كما يقول المربون . ويظهر لي ان في هذا المعنى البسيط مفتاحَ المشكلة التي نحن بصددها

فالمأساة التي نشاهدها حولنا اليوم والفتك الذريع بالبشرية والآلات المهلكة التي تنسب الى العلم كل اولئك مرتبط ارتباطاً جوهريًّا بوجوب اقتران العلم بالقانون الخلقي . او بعبارة اخرى أن هذا التدمير وهذه الفظائع هي نتيجة فصل العلم عن القانون الخلقي

والعلماء لم يعد لهم ان ينظروا الى انفسهم كطلاب للمعرفة فحسب بل عليهم ان يذكروا واجباً آخر هو الدفاع عن المبادىء الخلقية القويمة . وكما ان على العالِم ان ينشر علمهُ بين الناس وان يحميهِ ويدافع عنهُ بل ويضحي من أجله كذلك عليهِ في الوقت ذاته ان ينشر المبادىء الخلقية القويمة وان يدافع عنها ويضحي من اجلها واذا ذكرت الاخلاق والمبادىء الخلقية فانما أقصدها بأوسع معانيها فالقانون الخلقي ينظم سلوك الأفراد كما ينظم سلوك الجماعات وهو ينظم سلوك الامم المختلفة فيما بينها . ولا شك في اننا اليوم في حاجة الى تطبيق المبادىء الخلقية في مدى أوسع . ففي الماضي كانت الحياة تختلف اختلافاً بيناً عما هي عليه الآن وكان سلوك الفرد مع اخيهِ او جاره محدوداً بظروف الحياة في تلك العصور وكان سلوك مُجتمع نحو آخر اكثر تحديداً . اما اليوم فقد اتصل الافراد في المجتمع الواحد اتصالاً وثيقاً كما اتصلت الامم في انحاء المعمورة وسهلت وسائل الانتقال وأصبح من اليسير التراسل والتخاطب بين القارات

كل هذا قد وسع مدى تطبيق المبادىء الخلقية وأنشأ مشكلات جديدة لم تكن لتخطر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الماضي على بال . وقد ترك تنظيم هذه الأمور إما للصدفة التامة وإما للامم فيما بينها تحكم فيهِ القوة او لرجال السياسة والمشرعين يعقدون المؤتمرات عسام يصلون الى حل عملي يرضي القوي ويسلم بهِ الضعيف

وقد نشأ عن ذلك مجموعة من القوانين الدولية الخاصة والعامة ربما كانت خير مثال على مقدرة الانسان اللانهائية على ان يناقض نفسه . لا اقول هذا لأقلل من شأن المجهود الذي بذل . بل بالعكس انني أعلم ان هذا المجهود قد بذل في ظروف مضنية كما ان الذين قاموا بهِ لا يمكن ان يوجه اليهم لوم ما ، لانهم قاموا بواجبهم على قدر الاستطاعة وانما يوجه اللوم ان كان هناك لوم الى شخص معنوي مجهول لأنهُ لم يخرج لنا كتاباً يبين فيهِ حكم القانون الخلقي القويم في هذه الأمور . ولا يمكن الاعتماد على المؤتمرات الدولية لتسوية هذه الامور دون قانون خلقي مسلم بهِ من الجميع لان هذه المؤتمرات كما تعلمون كثيراً ما تصل الى نتائج لا تتفق وقانون العدالة البشرية كما انها في بعض الاحايين تخفق في مهمتها اخفاقاً تاماً ولعلكم تذكرون مؤتمر المواصلات السلكية واللاسلكية الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٣٨ والذي أخفق في تحقيق الغرض المنشود منهُ . فمن المسائل التي كان يطلب الى هـذا المؤتمر تنظيمها مسألة الاذاعة اللاسلكية ومنع الاختلاط والتشويش بين محطات الاذاعة في أنحاء المعمورة وهي مسألة لو تركت الى علماء منزهين عن الغرض لما عجزوا عن حلها على أساس قانون العدالة بين الأمم

وقبيل هذه الحرب نشأت حركة بين العلماء في انكلترا وفي بعض البلاد الأخرى ترمي الى ابراز ما هو كامن في نفوس الجميع من قواعد اخلاقية ثابتة أساسها حب الحق وحب العدل وحب الانسانية. وقد نشرت مجلة Nature الانكليزية وهي مجلة لها مقامها في العالم العلمي ، نشرت هذه المجلة مبادىء اقترحت لتكون نوعاً من الدستور بين العلماء ولم يكن في هذه المبادىء شيء جديد بل جاءت كما قلت مبرزة لما هو كامن في النفوس ولما هو مفروض عادة بين رجال العلم بل وبين رجال الفضل ورجال الاخلاق والمروءة في الأمم جميعها . هذه المبادىء الكامنة في النفوس دعت الحاجة الى ابرازها وتدوينها ونصها نصاً صريحاً صيانةً لها من العبث ولتكون أساساً واضحاً يعمل به كل عالم ويدعو اليهِ. ولا تكاد هذه المبادىء كما قدمت تخرج عما هو مسلم به من الجميع ، كمبدأ حرية الفكر ومبدأ حرية العمل بما لا يتعارض ومصلحة الغير ومبدأ تحكيم العقل والمنطق فيما يشكل من الأمور ومبدأ تطلب العدالة والانصاف في المعاملة بين الناس ومبدأ عدم الاضرار بالغير وأمثالها من القواعد العامة التي يسلم بها كل عاقل منصف . هذه الحركة الخلقية كما يصح ان نسميها نشأت بين العلماء لأنهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شعروا بأن عليهم مسئولية لم يعد من الممكن التغاضي عنها، هي مسئولية الدعوة الى الخير والحق والدفاع عنهما . وبعد نشر هذه المبادىء في مجلة Nature وردت خطابات ورسائل متعددة من جميع أنحاء العالم نشر بعضها في نفس المجلة وجميعها معضدة للفكرة ومحبذة لها . ثم جاءت الحرب فاتجه العلماء في بلادهم المختلفة نحو مساعدة أممهم على كسبها وبذل قصارى ما يستطيعون من جهد عقلي وجسماني في خدمة البلاد التي ينتمون اليها . ولعلكم تعلمون ان من أميز مميزات هذه الحرب كثرة عدد العلماء في فروع العلم المختلفة الذين يقومون بالخدمة الفعلية في ميادين القتال او في القيادات العامة او في الأسلحة الفنية المختلفة للجيوش البرية والاساطيل البحرية والجوية . فأساتذة الجامعات اليوم والباحثون في العلم والمتخصصون الفنيون في الطبيعة وفي الكيمياء وفي الجيولوجيا بل والشباب المتخرج حديثاً من الجامعات كلٌّ يشتغل في دائرة اختصاصه ويستخدم مواهبه في خدمة أمته . وقد قابلت أخيراً أكثر من واحد من أساتذة الجامعات البريطانية في مصر فوجدتهم يرتدون ملابسهم العسكرية ويقومون بأعمال فنية تتناسب ومقدرتهم الفكرية فالعالم الرياضي يستخدم علمه في حل المسائل الرياضية الكثيرة التي تنشأ عن الحرب والعالم الجيولوجي كذلك يضع خبرته الفنية تحت تصرف بلده والكيميائي كذلك وهم جميعاً يشعرون بأن هذه الحرب تتوقف نتيجتها الى حد بعيد على المقدرة الفنية والعلمية للامم المتحاربة

فالعلماء اذن قد خرجوا من صوامعهم مختارين او مرغمين واختلطوا بتيار المجتمع في أعنف صوره واشدها اتصالاً بمعترك الحياة . واذا وضعت الحرب اوزارها فهل يعقل او ينتظر ان يعود كل واحد من هؤلاءِ الى عمله وينسى ما رآه وما سمعهُ وما خبره بنفسه في هذه الحرب الطاحنة كأنهُ لم يكن شيء من ذلك او كأنهُ حلم مفزع قد انقضى ؟ أو ان الذي ننتظره هو العكس ؟ فالعلماء وهم قوم ذوو بصائر لن تسمح لهم ضمائرهم ولا عقولهم بان يتركوا العالم يتعرض مرة أخرى لمثل هذه الفاجعة دون أن يحركوا ساكناً وعلى الخصوص لانهم يعلمون ان العلم والاختراع مسئولان الى حدٍّ كبير عن كثير من الفتك والتدمير . والمنتظر ان تعود الحركة التي بدأت قبيل الحرب والتي أشرت اليها الى الظهور بشكل اوسع وان يكون لها اثرها الفعال في تنظيم التعاون بين الأمم . ولا شك في ان العلماءَ اذا هم تساندوا في أقطار الأرض وتعاونوا فانهم قادرون على ان يحولوا بين ذوي المطامع والشهوات من رجال السياسة والمال وبين الفتك بالمجتمع . اقول اذا تساندوا لان هذا شرط اساسي لنجاحهم فالعلم يملك السلاح الذي يستطيع به ان يدافع عن قضية الحق والعدل والفضيلة ولا شك عندي في انهُ في آخر الأمر منتصر على قوى الظلم والجهالة والاستعباد . ولا استطيع أن أتنبأ بالشكل الذي سيتخذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تيار الحوادث في هذا الصدد ولكن من المتصور على سبيل المثال ان تصر الهيئات العلمية في العالم على منع كل عابث من استخدام نتائج العلم للاضرار بالبشر. فاذا اتخذت هذه الهيئات موقفاً حازماً ازاء هذا الموضوع الخطير فانها ولا شك تستطيع ان تضع الامور في نصابها اذ ان الرأي العام في العالم كله سيكون في جانبها . كذلك تستطيع هذه الهيئات ان تحرم على كل مشتغل بالعلم ان يقوم لحسابه الخاص او لحساب شركة او حكومة بالاشتراك في اي عمل أو اختراع يرمي الى التدمير والتخريب ويكون شأن العالم في ذلك شأن الطبيب الذي لا تسمح له الهيئات الطبية باستخدام علمه وفنه في الاضرار بالناس . وعندي ان هذه الخطوة ربما كانت اول خطوة ينبغي اتخاذها بعد هذه الحرب لتوجيه العلم والعلماء نحو التعاون العالمي

أشرت في أول حديثي الى أن التعاون على مقياس دولي أساسهُ التعاون داخل كل أمة فيما بين أهلها. ويحسن بنا في مصر أن نذكر هذه الحقيقة اذا كنا نريد حقًّا أن نقوم بنصيبنا في المجهود الدولي فالكلام الذي قدمتهُ عن التعاون بين علماء الامم يقتضي أن يكون في كل أمة هيئات علمية تمثل التعاون بين علماء هذه الامة كما يجب أن تتعاون الهيئات داخل الأمة الواحدة وان يكون لها نظام مشترك يوحد بين مجهوداتها ويحدد أهدافها ووسائل تعاونها . وفي مصر هيئات علمية نشأت أو أنشئت من حين لآخر وهي تقوم بمجهودات مختلفة في ميادين العلم المتعددة إلاّ ان هذه المجهودات لا تزال في حاجة الى تنسيق وتوجيه وتنظيم . فنحن في حاجة الى مجمع علمي تتمثل فيهِ مجهوداتنا المبتكرة وأبحاثنا في ميادين العلم المختلفة . نحن في حاجة الى هذا المجمع إذ بدونهِ لا يمكن أن يقال ان لنا حياة علمية قومية وقد شرحت هذه النقطة في محاضرتي التي ألقيتها في هذا المكان في العام الماضي عن المستقبل العلمي في مصر . ونحن في حاجة أيضاً كما ذكرت من قبل الى هيئة تنظم العلاقة بين العلم البحت أو الاكاديمي وبين العلم التطبيقي في ميادين الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها. كل ذلك قد شرحته في محاضرتي الماضية فلا حاجة بي الى أن أكرر القول . فتنظيم المجهود الداخلي أساس كل تعاون خارجي. وكما ان الرجل الذي يعيش في بيت غير منظم لا يستطيع أن يكون منتظماً في علاقاته مع الناس كذلك الامة التي لا تنظم بيتها لا ينتظر منها أن تتعاون تعاوناً منتجاً في نظام عالمي

اما اذا نظمنا أمورنا العلمية على النحو الذي أشرت اليهِ فاننا نستطيع أن نوجه العلم والعلماء بيننا في الاتجاهات التي بينتها وعندئذٍ يتعاون علماؤنا وعلماء غيرنا من الامم لتحقيق تعاون عالمي والسلام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة المصرية

ونهضتها في عشرين سنة

للسيدة هدى شعراوي.
رئيسة الاتحاد النسائي المصري

تمرّ الاعوام سراعاً على حياة الأفراد وتلقي أثناء مرورها نظرة عاجلة على أعمالهم إلاّ انها تدوّن في السجل الأبدي لحياة الامم الطويلة ما يخطهُ كل جيل في تاريخ أمته من حسنات وسيئات وما يتركه الأفراد من تراث للخلف بعدهم. فكل فرد مسئول عن جيله أمام وطنهِ وأمام المجتمع وأمام الاجيال القادمة

ولم تكن المرأة المصرية تجهل ذلك عند قيام الحركة الوطنية سنة ١٩١٩، تلك الحركة المباركة التي أفسحت مجال العمل أمامها وأتاحت لها فرصة المساهمة بنصيبها في النهوض بما يجب عليها نحو بلادها فلم تتردد لحظة في خوض ذلك المعترك الوطني الخطير، وفيهِ أبلت بلاءً حسناً شهد به قادة الحركة وزعماؤها وأرباب الاقلام من شعراء وأدباء كما سجلها مؤرخوها وكانت هذه الخطوة فاتحة الخطوات الجديدة التي اعترف بها للمرأة المصرية وأول سطر خط في سجل نهضتنا الحديثة، وما كان الاتحاد النسائي إلاّ وليد تلك الحركة لتنظيم صفوف المرأة وتوحيد جهودها في خدمة الوطن العزيز

في ١٦ مارس سنة ١٩٢٣ تأسس الاتحاد النسائي المصري اثر دعوة وجهت الى نساء مصر للاشتراك في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد بروما في شهر مايو من تلك السنة. وكانت لجنة الوفد المركزية للسيدات التي كنت أتشرف برآستها هي الهيئة النسائية البارزة في مصر فتشكلت من بين أعضائها جمعية الاتحاد النسائي وندبت عنها وفداً لحضور المؤتمر مكوناً مني ومن زميلتيّ السيدة نبوية موسى والآنسة سيزا نبراوي. وبالرغم من سروري بهذه النتيجة لا أكتمكم انني سافرت متهيبة تلك المسئولية العظيمة خاشية مغبة الفشل إذ كانت هذه أول مرة تشترك فيها المرأة المصرية في عمل دولي. ولكن توكلنا على الله يقوينا ايماننا بأننا نحمل رسالة المرأة المصرية التي عاشت حقبة من الزمن مهضومة الحق مهيضة الجناح، ولاسيما أنّ سفرنا عقب الحركة الوطنية يتيح لنا دحض مختلف المفتريات التي أثيرت في الخارج حول حركتنا الوطنية الكبرى وشوهت من جلالها وعظمتها

لما وصلنا الى روما وجدناها غاصة بمندوبات ست وثلاثين دولة أوفدت كل منها أكثر من عشرين مندوبة عدا الصحفيات والمشتركات الوافدات من مختلف البلدان لمشاهدة المؤتمر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي نشاط ذلك المؤتمر وحده لمسنا عن كثب أثر الاوروبية في نهضـة الغرب . ومع ان وفدنا كان أقل الوفود عدداً وعِدداً إلاّ انهُ أحدث تأثيراً كبيراً ولقي ترحيباً عظيماً إذ ظهر أمام ذلك الجمع الحاشد وهو يؤدي رسالته بجد ونشاط وخبرة على عكس تلك الصورة المشوّهة التي طبعهـا في مخيلة الاوروبيين كتّـاب ضمنوا كتبهم معلومات خاطئة عن الشرق ونسائه . ولمـا تبيّـنا شأن الموضوعات التي كان يدرسها ويحضرها مكتب الاتحاد العـام في المسائل الاجتماعية والاخلاقية والسياسية والاقتصادية وخدمة السلام ونزع السلاح طلبنا انضمام جمعيتنا الى جمعية الاتحاد الدولي وصادف طلبنا قبولاً مقروناً بالتشجيع والتعضيد واندمجت جمعيتنا في عضوية هذه الهيئة الدولية الكبرى وأصبح اتحادنا ذا صفتين : دولية وقومية، معترفاً بمكانته في مصر والخارج . ومنذ ذلك اليوم قطعنا على أنفسنا عهداً أن نحذو حذو اخواتنا الغربيات في النهوض بجنسنا لنصل ببلادنا الى مصاف الأمم الراقية مهما يكلفنا ذلك وان نساهم بأمانة واخلاص في تنفيذ برامج الاتحاد النسائي الدولي الذي يشمل أغراضنا المشتركة

وهنا يطيب لي ان اذكر حادثاً كان له تأثيره عند افتتاح ذلك المؤتمر وهو اننا لما دخلنا بهو الاجتماع قبل انعقـاده ووجدنا اعلام الدول المشتركة ترفرف على جدرانهِ ، ولم نكن قد أخذنا الأهبة لذلك لعدم معرفتنا بهذا التقليد ، كلفنا طلاب البعثة المصرية تحضير علم مصري يتعانق فيهِ الهلال والصليب فصنعوه واذا بهِ اكبر الاعلام الموجودة حجماً . ولما ابديت لهم هذه الملاحظة قالوا ان مصر أعرق الامم ويجب ان يكون علمها اكبر الاعلام فلما قدمتهُ لرئيسة المؤتمر نقلت اليها ملاحظة أبنائنا الطلبة فابتسمت ولما رأت عليهِ الصليب يعانق الهلال تأثرت تأثراً عظيماً وأمرت بوضعه على يسار المنصة معادلاً لعلم الدولة التي عقد المؤتمر في أرضها فشغل بذلك محلاً ممتازاً. وقدمتنا الرئيسة عند الافتتاح بعبارات ملؤها التأثر والتقدير وكان ذلك اكبر عامل في ازالة الفكرة الخاطئة التي شابت حركتنا الوطنية بوصفها بالتعصب الديني

وانضمت جمعيتنا الى الاتحاد النسائي الدولي على أساس المطالبـة بحق الانتخابات للمرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق السياسية والمدنية

ولما كان برنامجنا يتضمن اغراضاً كثيرة قومية ودولية وهي تقتضي بحوثاً في القانون والشريعة والاخلاق والصحة والتعليم ، وجميع هذه البحوث تفتقر الى الاستنارة بآراء الاخصائيين ، رأينا الاستعانة بخبرة بعض رجالنا المختصين وذلك بانشاء لجنة استشارية من القائمين بالتشريع والتعليم والطب والاجتماع فلبى طلبنا اذ ذاك حضرات المحترمين الاستاذ محمد علي علوبة باشا والشيخ مصطفى عبد الرازق باشا والدكتور محمد حسين هيكل باشا ومراد سيد احمد باشا ومحمد زكي علي بك والدكتور طه حسين بك والدكتور منصور فهمي بك والاستاذ انطون الجميّل بك واحمد فهمي العمروسي بك والمرحومين الدكتور محمد شاهين باشا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وعلي بك عمر وابراهيم بك الهلباوي — وكان لمعاونة حضراتهم الثمينة أكبر أثر في حسن توجيه امورنا وتيسير مهمتنا. وانى لا انتهز هذه الفرصة فأقدم لحضراتهم خالص الشكر والاعتراف بالجميل على حسن معونتهم لنا حتى الآن كما ادعو الله أن يتغمد المتوفين برحمته ورضوانه

لقد أخطأ كثيرون فهم مبدأ المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات وظنوا ان المرأة المصرية انما تسعى للسفور ومزاحمة الرجل في ميادين السياسة والعمل مما أدى الى تذمر بعض المحافظين. والحقيقة ان المرأة لم تقصد من المطالبة بحقها السياسي إلى التدخل في الامور السياسية والحزبية المحضة ولاسيما ان قانون الاتحاد النسائي الدولي لا يسمح بالتدخل في الامور السياسية والدينية. وانما طالبت لتستطيع الاشتراك في التشريع والتنفيذ والمساهمة في علاج الاحوال الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية وبالاخص ما كان منها متعلقاً بشؤون المرأة والطفل وقد كان سفورها من الوسائل اللازمة للحصول على هذا الحق. وان كان لتطور المرأة بعض المساوىء فهذا ما يعتري كل تطور في دور الانتقال ولا تلبث هذه المساوىء أن تزول على مرّ الزمن بقليل من العناية وحسن التوجيه. وقد أخذت الجمعية تعمل بجدٍّ ونشاط في تحقيق أغراضها فتحقق منها ما تحقق وما زالت تسعى في تحقيق ما بقي تدريجيًّا. وتتجمع هذه الاغراض في أمنية واحدة هي سعادة العائلة بضمان العدل بين أفرادها وبث روح التعاون والوئام فيها واعلاء شأن المرأة برفع مستواها الثقافي والاجتماعي وما المرأة الا مقياس الحضارة في الامة

وللنهوض بالمصرية واعدادها لأن تكون أهلاً للمساواة التي ننشدها وضعنا في مقدمة برنامجنا مشروعين أساسيين هما تحديد السادسة عشرة سناً أدنى لزواج الفتاة ومساواتها بالولد في جميع مراحل التعليم لكي تتمكن من تكوين جسمها وتثقيف عقلها قبل مباشرة حياتها الزوجية — وقد أقرّ المؤتمر الدولي هذين المشروعين. ولما تقدمنا بهما الى حكومة المغفور له يحيى ابرهيم باشا سنة ١٩٢٣ لم تمضِ مدة وجيزة حتى نفذ مشروع سن تحديد الزواج ولكن يؤسفني ان اولياء الامور كثيراً ما يلجأون الى الاطباء للحصول على شهادات تخولهم تزويج بناتهم قبل السن المحددة. ولما فتحت أبواب التعليم الثانوي والعالي أمام فتياتنا وظهر حسن استعدادهنّ بتفوقهنّ في الامتحانات العامة ساعد ذلك على الاكثار من مدارس البنات وعلى قبول فكرة ايفاد بعثات من الطالبات الى اوربا لتلقي العلوم العالية أسوةً بزملائهنّ الطلبة. ويرجع أكبر الفضل في نجاح هذا المشروع الى الدعاية التي قمنا بها والى تحبيذ ومساعدة القائمين بأمر التعليم لها وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين بك والمرحوم علي بك عمر والى ما أظهرته الحكومات اذ ذاك من تقدير لمواهب الفتيات. ويحق لي أن أفتخر بأن طالباتنا خريجات جامعات اوربا ومصر قد شرفننا بما وصلنَ اليه من نتائج مرضية وبما بعثنهُ في التلميذات من روح طيبة مستندات الى الطرق الحديثة المشوّقة في التعليم. وهنا يسرني أن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أتلو على مسامعكم احصائية بسيطة تبين اضطراد الزيادة في عدد التلميذات منذ ست عشرة سنة ففي سنة ٢٤/٢٥ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ١٩ر٢٤ في المائة. وفي سنة ٣٠/٣١ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٤٧ر٢٤ في المائة. وفي سنة ٣٣/٣٤ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٠٤ر٢٧ في المائة. وفي سنة ٣٦/٣٧ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٩٣ر٣٤ في المائة. وفي سنة ٣٩/٤٠ كانت نسبة البنات المئوية الى مجموع الطلبة ٩٧ر٣٨ في المائة أي ان النسبة المئوية ارتفعت في خلال تلك المدة الى الضعف — وقد وصل عدد الطالبات في كليات الجامعة الى ٦٨٣ طالبة في هذه السنة عدا ٩٢ خريجة في السنوات الماضية

ولقد كان لاحتفال الاتحاد النسائي بأولى خريجات كليات الجامعة المصرية سنة ١٩٣٣ أثر كبير في اقبال الفتيات على طلب العلم وحفز أولياء امورهن على تسهيل سبيلهن في تحصيل العلم والثقافة. ومن دواعي فخر نهضتنا ان أثرها لم يقتصر على خدمة العلم وتغذيته في مصر بل أصبح لنا اليوم فتيات يمارسن التعليم فيربين ويثقفن بنات الأقطار الشقيقة هذا فضلاً عن نجومنا السواطع في سماء العلم والأدب من طبيبات ومربيات ومحاميات وشاعرات وكاتبات وصحفيات وكم ينشرح صدري كلما رأيت اسماً جديداً على كتاب او مقالة أو رسالة على صفحات الجرائد او كلما سمعتهن يذعن او يشتركن في مناظرة ويحرزن قصب السبق على المتناظرين

أما عن الفن فحدث عن تقدم المرأة فيه فهي فنانة موهوبة بطبيعتها في الموسيقى والغناء والرسم والتمثيل وكم فازت في مباريات النحت والتصوير التي نقيمها كل عام لتخليد ذكرى مختار وفيس كما فازت في مباريات أدبية وعلمية — وقد ثبت بالتجربة أن تعليم البنت واشتغالها بأمور التربية والاعمال العامة أعدها لواجبات الزوجية والأمومة اعداداً صالحاً

ولما كان من أعز أماني الاتحاد سرعة النهوض بالمرأة ورفع مستواها العلمي والاخلاقي واعدادها لحياة الزوجية والأمومة والعمل كي تستفيد البلاد من تقدمها ونشاطها قررنا انشاء مدرسة للامهات غير القادرات لتعليمهن مبادىء التربية والتدبير والعناية بصحة أطفالهن يتبعها مستوصف لمعالجة المرضى من النساء والأطفال بالمجان فاستأجرنا لذلك منزلاً بحي زين العابدين وحاولنا محاربة الجهل والخرافات المتمكنة من عقول تلك النسوة ولما لم نصل الى النتيجة المرجوة فضلنا أن نوجه عنايتنا وجهودنا الى اعداد النشء من البنات واستأجرنا مؤقتاً داراً أكبر من الاولى بشارع محمد علي وأعددنا فيها مشغلاً ومدرسة للتعليم الاولي ومستوصفاً لمعالجة الامهات والبنات ووجهنا نداءً الى الاطباء فلبى رجال المروءة والانسانية نداءنا وتطوعوا لخدمة مستوصفنا وهم حضرات الاطباء المحترمين محجوب بك ثابت والدكتور سامي كمال والدكتور عبد الحميد وفا والدكتور توفيق النجار والدكتور القيم والدكتور سليم صبري الذي لم يتخلف مرة واحدة طيلة العشرين سنة الماضية عن الحضور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى المستوصف أو المدرسة لمعالجة المرضى ومباشرة صحة التلميذات وتوجيههن بالنصح والارشاد وتعليمهن مبادىء الصحة والاسعافات الطبية حتى أصبح يعد أنشط عضو وأمتن ركن في الاتحاد — وهنا لا ننسى ما قدمه الدكتور رزق من المعونة في تعليم تلميذاتنا مبادىء الصحة مدة من الزمن — ولما كثر عدد تلميذاتنا وتعددت مشروعاتنا فكرنا في انشاء معهد فسيح كامل الاستعداد — ولما كان يعوزنا المال لمشترى الأرض واقامة البناء عليها تقدمنا الى الحكومة بطلب قطعة أرض من ممتلكاتها واخترنا الارض المقامة عليها هذه الدار وسعينا مدة خمس سنوات حتى حصلنا عليها في حكم المغفور له محمد محمود باشا طيب الله ثراه . أما المال فقد دبرنا جزءاً منهُ من ايراد الحفلات التي كنا نقيمها بالجزيرة بسراي آل لطف الله الكرام ويساعدنا على نجاحها فضليات السيدات وعقيلات ممثلي الدول في بلادنا واقبال المشجعين أمثالكم عليها ومن دخل معارض الاشغال ومساعدة المحلات التجارية التي طالما تبرعت لنا بهدايا كانت تباع في هذه الحفلات . ونذكر بالشكر محل الملكة الصغيرة التي خصصت ربح أسبوع لمشروعنا كما نذكر محل سمعان صيدناوي بالشكر الجزيل واحمد بك نجيب الجواهرجي الذي خصص لنا قطعاً ثمينة من الحلي لتكون جوائز في السحب الخيري لصالح الجمعية — ولقد كان لعطف حضرة صاحبة السمو ساكنة الجنان الاميرة أمينة توفيق (أم المحسنين) في بدء تأسيس معهدنا فضلٌ كبيرٌ في مساعدتنا وحذا حذوها في تشجيعنا من بعدها حضرتا صاحبتي السمو كريمتيها الاميرة خديجة عباس حليم والاميرة نعمت كمال الدين وكذلك حضرة صاحبة السمو الأميرة نعمت الله مختار وهنا لا يمكنني ان أجحد فضل المرحوم المستر هربرمان الاميركي الذي تبرع بمبلغ مائتي جنيه أرسلها من اميركا مساعدة في تأسيس هذه الدار . ولما كنا نعلم ان الحكومة تساهم عادةً في بناء المؤسسات العلمية والخيرية تقدمنا بطلب ما يستحقهُ مشروعنا من معاونة اسوة بغيره من المشروعات فاعتمد لنا مراد سيد احمد باشا وزير المعارف اذ ذاك مبلغ الف جنيه ما زلنا ننتظر صرفهُ حتى الآن ......

وبهذا المبلغ الذي دبرناه من المال بدأنا بناية هذه الدار وتولانا الله بتوفيقه وعنايته حتى أتممناها وقد تبرع مصطفى بك فهمي المهندس بعمل تصميمها على الشكل الجميل الذي ترونه كما أخذ المسيو بيانكي المقاول الكبير على عاتقه بناء هذه الدار بقدر ما يمكن من العناية والاقتصاد وما زال الاتحاد يحفظ لهما هذه اليد وما زال يقوم بتسديد ما عليهِ من ديون البناء مع ما يؤديه مشغله ومدرسته تحت اشراف وزارة المعارف من خدمات للعلم والثقافة بتعليم معظم تلميذاته بالمجان في القسم الخارجي والداخلي ولهذه القاعة من المبنى فضل كبير في نشر الثقافة فقد ألقى فيها كثير من العلماء والمصلحين محاضرات في شتى البحوث على جمهرة من طلاب العلم ورواده

« للبحث تتمة »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الافعال الحيوية

في جسم الانسان

وفهمها عن طريق فهم الانزيمات

لولا كائنات حية دقيقة أطلق العلماء عليها اسم «انزيمات» enzymes لما أجدانا الطعام الذي نأكله ولا الهواء الذي نتنفسه ، ولوقف عملا الهضم والتنفس ، بل لانطفأت شعلة الحياة

والعلماء يعدّون « الانزيمات » في منزلة المواد التي تملّس بها أجزاء السيارات فتسهل عملها . أي انها تسهّل حصول التفاعلات الكيميائية في الجسم ، كما تسهّل الملسات (مواد التشحيم) عمل الآلات في المصانع والسيارات والطائرات وما أشبه . فبفعل هذه الانزيمات تستطيع الخلايا في أجسامنا النهوض بعملها في يسر وانتظام . وفي طليعة التفاعلات التي تسهّلها تفاعلات كيميائية ، لا تحصل عادةً إلاّ اذا كانت الحرارة عالية جدًّا ولكنها بتأثير الانزيمات تحصل اذ تكون الحرارةُ حرارةَ الجسم الطبيعية ، اي لا تتعدى درجة ٣٧ مئوية

وفعل الانزيمات قديم، وهو يتجلّى على وجهٍ خاص في صناعة المواد الكحولية ، لأن التخمير ، لا يتمُّ إلاّ بفعل الانزيمات التي في نبات الخميرة

ولكنَّ للانزيمات أعمالاً أخرى ، ووظيفتها تظهر في مجالي شتَّى ، وبعض هذه المجالي من ظاهرات الكيمياءِ الحيوية التي لا يزال الغموض يلفُّها

ما سرُّ الاكمداد الذي يحصل في رأس من البطاطس عندما تشقهُ وتعرِّضهُ للهواءِ ، أو في الهزة التي تصيبك عند ما تلمس السمك الرعَّاد ، أو في الضوءِ الفصفوري البارد المنبعث من الحباحب ؟ الجواب عن هذه المسائل وكثير غيرها مستمدٌّ من طبيعة الانزيمات وفعلها . ومتى استطاع العلماء أن يفهموا سرَّ ضوءِ الحباحب ، وأثر الانزيمات فيه ، فثق ان الانسانية مقبلةٌ على عصر جديد في الاضاءَة تهزل في جنبه عجائب الاضاءَة بالتيار الكهربي والسلك المتوهج

والانزيمات كائنات دقيقة معقدة التركيب ، وتركيبها الكيميائي لا يزال موضع بحث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتنقيب . ولكنها مع ذلك تتصف بصفات عامة مشتركة بينها ، منها انها جميعاً — تقريباً — مواد بروتينية ، والمواد البروتينية على ما نعلم هي أعقد المركبات الكيميائية

فالجزيئات البروتينية، دقائق عضوية كبيرة معقدة التركيب . حتى أبسطها تركيباً تدخل مئات من الذرات فيه . فمن الوجهة النظرية في تركيب الجزيئات البروتينية، تستطيع الذرات الداخلة في تركيب جزيء واحد منها ، أن تفرغ في قوالب كثيرة وأشكال شتى . ولذلك يغلب على الظن ان معرفة تركيب الذرات في كل جزيء منها ، لن يكون متاحاً للعلماء

والواقع ان المقادير المتاحة من بعض هذه المواد — الانزيمات — قليلة جداً . ولم يفز العلماء — إلاّ حديثاً — بمقادير وافية من بعضها ، تمكنهم من دراسة أشكالها البلورية وتمييزها بعضها عن بعض بهذه الاشكال . وفي كتاب علمي حديث ان عدد ما كشف من الانزيمات يربي على مائتين وان سبعة انزيمات حضرت في شكل بلوري

ومن هذه الخواص المشتركة ان الانزيمات جميعاً تتأثر بالحرارة تأثراً عجيباً . فالحرارة ، الى درجة معيّنة، تزيدها نشاطاً، ولكن اذا ارتفعت عن تلك الدرجة ، قتلتها

***

وقد أثبت الاختبار قديماً والبحث حديثاً ان مقادير يسيرة جداً من الانزيمات ، تستطيع أن تؤثر في مقادير كبيرة جداً من المواد الكيميائية فتحوّلها الى مواد كيميائية أخرى . خذ مثلاً على ذلك أحد الانزيمات التي تهضم النشاء . فاذا حضّرت مقداراً يسيراً جداً من هذا الانزيم بعد تنقيته من كل شائبة ، وامتحنت قدرتهُ على هضم النشاء وجدت انهُ يهضم مقداراً من النشاء يزيد وزنهُ عشرين الف ضعف على وزن الانزيم . وذلك في نصف ساعة . ومن غرائب فعله ، انهُ اذا حُلّ الانزيم جزءًا في مائة مليون جزء ، احتفظ بنشاط غير يسير

ومن الانزيمات ما يتأثر بالأحماض . ومنها ما يتأثر بالقلويات . ولكل انزيم ، حدود معيّنة من الحمضية أو القلوية ، يبلغ نشاطهُ عندها، أقصاه . ومنها ما لا يفعل فعلهُ إلاّ اذا كانت هناك مواد خاصّة تحرّضهُ على العمل (محرّضات activators) فالانزيمات التي تحلّ المواد الدهنية (fats) تضرب عن العمل إلاّ اذا كان هناك قدر من الصفراء

على ان فعل الانزيمات متصل — على ما نعلم — بالهضم والتنفّس . خذ الهضم اولاً . فالدهنيات والنشويات والبروتينات التي يتقوّم بها طعامنا اليومي، مواد كيميائية عضوية معقدة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التركيب ، والهضم يحوّلها الى مواد أبسط تركيباً حتى يسهل على الجسم تمثلها والافادة منها. فهما تكن مقادير لحم البقر الذي تأكله ، فان جسمك لا يتحوّل الى جسم بقرة لأن الانزيمات تحلّ لحم البقر الى مواد بسيطة . وهذه المواد البسيطة يوزعها الدم على الجسم فتبني الانساج منها وبها انساجاً جديدة او تعوّض ما اندثر منها

***

وهناك انزيمات كثيرة يتوقف عليها هضم المواد البروتينية . ولكن اشهرها انزيما « الپپسين » Pepsin و « التربسين » Trypsin . وقد كشف الپپسين ، قبل قرن من الزمان ولكن العلماء لم يتمكنوا من تحضيرهِ في بلورات نقية إلاّ سنة ١٩٢٩ وفي وسعهم الآن تحضيره بالتركيب الكيميائي من مواد ومخاليط تجارية وافرة . والپپسين يوجد في محتويات المعدة ، ولكنك لا تجد مادّة الپپسين الفعالة في جدران المعدة . هل خطر لك مرةً ما ان تسأل نفسك لماذا لا تهضم الموادُّ الهاضمةُ التي في المعدة ، أنساجَ المعدة نفسها ؟ ان العلماءَ لا يقطعون في الاجابة عن هذا السؤال . ولكنّ فريقاً منهم يقول ان جدران المعدة لا تحوي مادة الپپسين الفعّالة ، بل تحوي مادة يتولد منها پپسين عند الحاجة فأطلقوا عليها « سابقة الپپسين » Pepsin-precursor وهذه المادة تصبح پپسيناً فعّالاً ، عند ما تتأثر بحمض ما في المعدة. والپپسين لا يهضم المواد البروتينية هضماً تامًّا . إنهُ يبدأ فعل الهضم في المعدة ثم تكملهُ انزيمات اخرى في المعى

***

اما التربسين فيختلف عن الپپسين من وجوه كثيرة . فهو يختلف عنهُ في انهُ لا يصبح فعالاً الاّ اذا خلط بمادة قلوية . وهو يتولّد على الاكثر في الغدة الحلوة (البنقرياس) ولكنهُ لا يغدو قادراً على هضم البروتينات الاّ بعد ما يختلط بعصارة المعدة

اما المواد الدهنية (fats) فتهضمها انزيمات يطلق عليها اسم « ليپاز » Lipase فتحولها الى احماض دهنية وغليسيرين وتجد هذه المواد (الليپازات) في الغدة الحلوة في المقام الاول ثم في المعدة . ويعزى الى كلود برنار الفسيولوجي الفرنسي العظيم انهُ أقام الدليل في سنة ١٨٥٦ على ان عصارة تفرزها الحلوة تستطيع ان تهضم المواد الدهنية. وقد عني العلماء عناية عظيمة بدراسة (ليپازات) الحلوة فوجدوا انها تفعل فعلاً سريعاً بالمواد الدهنية ولاسيما اذا كانت مخلوطة بالصفراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اما هضم المواد النشوية ، فأقلُّ اعتماداً على فعل الأنزيمات ، من هضم المواد البروتينية والدهنيـة . فالجسم يمتص بعض المواد النشـوية امتصاصاً مباشراً بغير الحاجة الى هضمها أولاً بوساطة الانزيمات . ولكن بعض المواد النشوية المعقدة التركيب كالنشاء وسكر القصب ، تحتاج الى هضمٍ قبل أن تغدو صالحة للامتصاص

والنشاء يتعرَّض أولما يتعرَّض لهُ ، لفعلِ انزيم في اللعاب يُطلق عليهِ اسم «بتيالين» Ptyalin فيحوّل النشاء الى سكر بسيط التركيب . واذا شئت أن تقتنع بهذا خذ قطعة من البطاطس وضعها في فمك فلاتلبث حتى تبدأ تشعر بحلاوتها. والانزيمات التي تهضم النشاءَ تكون اشدَّ ما تكون نشاطاً في محلولات متعادلة على قلوية خفيفةٍ . ولذلك يتمُّ معظم هضم النشاء في المعى . وللغدَّة الحلوة شأن عظيم كذلك في هضم النشويات لانها تولد انزيمات قادرة على حل المواد النشوية

هذا في ما يتعلق بالهضم فلنحوّل النظر الآن الى ما يتعلق بالتنفس

***

في الوسع تشبيه جسم الانسان بمحرّك سيارة ، فالجسم يحرق الطعام كما يحرق المحرّك البنزين لتوليد الطاقة التي لا غنى عنها في أفعـال الجسم الحيوية وفي حركة السيارة كذلك . والفرق بين الاثنين ان الجسم يحرق الطعام على درجة من الحرارة تبلغ ٣٧ درجة مئوية . اما درجة حرق البنزين في السيارة فأعلى جدًّا . والطاقة التي تولّـد من حرق الطعام يستعملها الجسم . ثم ان جسم الانسان أقدر من محـرك السيارة على حسن استعمال الطـاقة لأن فيه انزيمات خاصة تدعى «الانزيمات المؤكسدة» وهي تمكنهُ من استعمال اكسجين الهواءِ استعمالاً بطيئاً متدرجاً . فالطاقة المخزونة في الطعام تطلق بفعل هذه الانزيمات إطلاقاً بطيئاً والاكسجين يصل الى الانساج المختلفة عن طريق الرئتين فالكريات الحمر . (انظر مقال الحديد والدم صفحة ٧٣ من هذا الجزء)

ولو اكتفي بحرارة الجسم وحدها لتعذر حرق الطعام وتوليد الطاقة لأن مجرَّد ملامسة اكسجين الهواءِ لا يحدث الاتحاد بالاكسجين وهو الاحتراق

ويروى ان كنارڤن وكارثر وجدا فطور الملك توت عنخ امون عنـدما فتحا قبرهُ على حالهِ كما وضع قبل آلاف السنين مع ان حرارة القبر كانت قريبة من حرارة الجسم . فهـذه الحرارة لم تـكن كافية لاحداث الاحتراق البطيء . ولو أكل توت عنخ امون هـذا الطعام لفعلت « الانزيمات المؤكسدة » التي في جسمهِ فعلها ، ولاحترق هـذا الطعام في الجسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولتولدت الطاقة من احتراقهِ في فترةٍ وجيزة . وهذا مثلٌ على فعل هذه الانزيمات

ثم ان فعل التخمير ، يعين بعض المكروبات على الفوز بما يلزم من الطاقة اللازمة لفعل هذه المكروبات ولو لم يكن هناك اكسجين . على ان التخمير ، من حيث هو تفاعل كيميائي أبسط من الاحتراق ولكنهُ اكثر منهُ تبديداً وتبذيراً للمادَّة . ولو كان كلُّ اعتمادنا في الفوز بالطاقة اللازمة للجسم ، على فعل التخمير ، لاحتاج كلٌّ منا الى اكل ١٢٠ رطلاً من الخبز كلَّ يوم للحصول على الطاقة اللازمة للجسم

***

وموضوع « الانزيمات » الخلاَّب لا ينتهي عند فعلي الهضم والتنفس . بل لبعضها شأن كبير ، في تكوين العظام وتدميرها ، وفي وسع الاطباء ان يقيسوا مقدار بعض الانزيمات في الدم والبول

وهذا القياس يتيح للطبيب معلومات نفيسة عن سير بعض الأمراض التي تصيب العظام ، والتهابات الغدَّة الحلوة ، وغيرها من الاوصاب التي تحل بالغدد وبعض الاعضاء

ولعلَّ الانزيمات تهدي الباحثين ،الى سرّ الرسائل العصبية وكيفية انتقالها في الأعصاب فعندما تنقل الاعصابُ الرسائل العصبية الى الاعضاءِ والعضلات تفرز مقادير يسيرة من مادة تدعى « استيل كولين » acetyl-choline وفي النسيج العصبي انزيم يفعل بهذه المادة فيحلها ويمنع تجمُّعها . وقد كشف من عهد قريب ، ان العضو الذي يحدث الصدمة الكهربية في الرعَّاد يحتوي على مقادير غير يسيرة من هذا الانزيم ففي الوسع الآن تحضيره للبحث العلمي فيه في معامل البحث

وقد كشف في العهد الأخير ، فعل آخر للانزيمات ، لهُ صلة بتجمد الدم . وهناك ما يحمل على الظن بأن لبعض الانزيمات الاخرى تأثيراً في إحداث ضغط الدم العالي . وغير قليل من البحث موجه الآن الى دراسة انزيمات أخرى تخفض ضغط الدم العالي . ولا يستبعد ان تسفر هذه الدراسات ، عن فائدة عملية للمصابين بضغط الدم العالي

ولعلَّ أبعث المباحث على العجب وأشدها استيقافاً للعناية ، ما كشفه بعضهم من ان هناك شبهاً كبيراً بين بعض الانزيمات المؤكسدة ، وبين فيتامين B و C . والرأي السائد الآن في كثير من دوائر العلم ، ان التعمق في دراسة الانزيمات وفعلها قد يفضي الى حل كثير من مشكلات الصحة والمرض ، وربما الى فهم سر الحياة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شاعر الحب والفلوات

ذو الرُّمَّة

محمود محمد شاكر

— ٣ —

« ذو الرّمة يخبر فيُحسن الخبرَ ، ثم يردُّ على نفسه الحجّة من صاحبه فيحسن الردّ ، ثم يعتذرُ فيحسنُ التخلّص ، مع انصاف وعفاف في الحكم » أبو عبيدة

تتحدَّث الباديةُ بأسرارها حديثَ اللَّوعة الخالدة في ضميرها ، فتحنُّ الرياح وتئنُّ من أرجائها ، ويقفُ « غيلان » يصغي اليها حتى تجاوبُها نفسه فتناجيها بأشواقِها الى « مي » ، هذه اللوعة المتنهّدة في سر حياتهِ ، فيحنُّ مع الريح حنينها ويئنُّ أنينها ، ولكن ميعةَ الصّبا ، وغرَّة الشباب ، وبراءَة الروح من عذاب الحب ، تأبى عليه كلها أن يحزن مع هذه الرياح الباكية حزناً كحزنها يستهلك النفس في طغيانهِ وعتوه . فرح غافل : قد وجد دنيا كان يقلقُ إليها ، ينشقُّ عن أسى لاهٍ : إذْ تعذَّرت عليه دنياهُ وهو يتصبب إليها

يقف «غيلان» ، وان دمه ليتوهّج متدفّقاً في مدافِعِهِ ، وان آمالهُ لتستقبلهُ من كل وَجْهٍ تومض اليهِ إيماضةَ البرق في حواشي السحابة السوداء ، وان خياله ليمثل لهُ ميًّا وأيامها جنةً ناعمة تتفيَّأ النفس من ظلالها متاعاً لا تنقضي لذتهُ . وتجيشُ غوارب الشباب بين جنبيه متلاطمة يتكفَّأ بعضها على بعض ، فتنبعث قوته بتيارها مريدة مصممةً راغبةً ، لا تنثني عن هذا الهدف الذي نشأ أمامها ففتنها ودلّهها . فهو يريد « ميًّا » ، ويريد من أجلها كل شيء . سيسمو الى « مي » بنفسه وحياته وشعره ، وسيمنحها النفس والشعر والحياة غير ضنينٍ . سيذهب المذاهب فيها ، سيطوي البيد كالطيف في ضمير الليالي ، وسيجتابُ الخضر كالشعاع في مسرح الشمس ، وسيأتيها بثمار الحياة ناضجة تغري وتنادي ، فتستجيب لها « ميُّ » من أعماق روحها مشتاقة منقادة . سيقذف بنفسهِ في كل سبيل ، لتردّد البيداء والخضر صدى خطواته نغماً حلواً ينساب فيأخذ كل سمع ويستميل إلى شجوه كل جنانٍ . سيجعل اسمها لحناً بدويًّا عنيفاً رقيقاً بعيد القرار متجاوب الايقاع ، ينبسط في جوّ الشعر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العربي فيلين القلوب القاسية ، ويذيب الاكباد المتحجرة، ويحيي بالشوق من أهلكتهُ الصبابة وأحرقهُ الوجد وذرّاه الهيام . وتلتف حولهُ عشرون عاماً مضت عليهِ من يوم وُلد كأنها أغلالٌ وسلاسل ، فهو يجاهدُ أن يفضّها عنهُ ليحرر لميّ كل حياتهِ وكل همهِ وكل أمانيهِ ، فاذا فعل فقد رجّعت البادية اسمه واسمها، وثارت ميٌّ الى الصوت تستشرف، لترى هذا القلب العاشق المتيّم الذي استكنّ في صورة رجل بدويّ لا تمسك الطرف على محياهُ فتنة ساحرة أو جمال بارع . ويومئذٍ لا تأبى عليهِ ميٌّ إباءَها ، بل تعرف ذلك الفتى الذي وهبَ لها من عينيهِ وقلبهِ عَلاقة الأبد

هكذا كانت تقول له نفسهُ ، وهكذا جعلت خطرات الهوى تندفع بهِ في تأمّله ، وتمر الأيام بهِ وهو يلحُّ على نفسهِ إلحاح الحائر المحروم يتعجّل ميقات ما يتشهّى أن يكون . ولكنهُ لا يجد من حيلتهِ إلاّ أن يفيض الى ديار ميّ يطوف بها ، يختلس النظرة اليها وهي على باب خبائها تستقبل الشمس بسُنَّة وجهٍ تتلألأ عليها أشعة الشرق، فتكسوها غلالة من بهاء يتلهّبُ ، حتى تضطرم في قلبهِ نار الوجد عليها . أو يلمحها وهي تنعطف بجيد غزال تريد خباءَها فتنعطف في إثرها دواعي هواه . فكانت هذه الخطراتُ مما تزيده شوقاً وغراماً وصبابة ، ثم يعود قد طوى النفس على ظمإٍ يائس ، لم يروَ إلاّ ليستأنف شدّة والتياحاً . هكذا كان يتقلب غيلان في أيامه ولياليه . أما ميّ فكانت لا تحس شيئاً ، ولا تجد لغيلان في نفسها صدًى أو ذكراً . إنهُ شيءٌ كان ثم مضى ، لم تلتفت اليه الفتاة التفاتة الحريص المدّكر

ويحوم « غيلان » يوماً حول ديار « مي » بأسافل « الدهنا » ، واذا هي تغسل ثياباً لها ولأمها في بيتٍ رثٍّ من الشعر ، فيهِ خروق يرى الناظر منها ما وراءَها . ويلمحها متجرّدة متكشفة ليس بينها وبين عينيه إلاّ الهوى ومهالكهُ . لقد ارتدّت هذه اللمحة الى قلبه حريقاً يتسعر حتى أتلفت كل ماضيه ، انهُ رجلٌ ليس له ذكرى إلاّ ذكرى واحدة سوف تعرض لهُ مع كل مشرقٍ ومغيبٍ ، فلا يذكر من مواضي أيامه إلاّ ما رأى في يومه هذا .. فتنة وغراماً وتعذيباً لا تنتهي غوائلهُ . يمضي على وجهه كالهارب من لذْع ما يجد ، ولكنهُ لا يلبث أن يعود لينظر النظرة الاخرى ، فلا يجدها إلاّ قد لبست ثيابها وجلست الى أمها تحدثها على باب الخباء . ويذهب ويجيءُ في تحرُّقه ، فتسوّل لهُ نفسهُ أن يقبل على ميٍّ وأمها ليسمع حديثها من قريب ، فيدَّعي لهما انهُ أضلَّ بعيره فهو ينشده ، فما يروعه إلاّ أن تدعوه العجوز فيدنو ويجلس اليهما، وجعلتا تناقلانه الحديث سرْداً واحداً لا تسألانه ولا تستخبرانه عن شيء من أمره . أغفلتهُ الفتاة وجهلتهُ أمها ، كأنْ لم تريا من قبل . أهكذا تقتحمُ « غيلانَ » عيونُ الناس فلا تأبه له ولا تبالي به ؟ فيتربّد وجههُ، وتختلج شفتاه ، وينطلق مسلماً مودّعاً ثائراً كأنما نهشتهُ في مجلسهِ حيةٌ أو أطارتهُ جِنّةٌ عن حلمهِ ، وينصرفُ أشد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما كان يأساً ووجداً وهياماً . تعجبُ ميّ لما ترى مما غفلت العجوز عنهُ . إنه ينظر اليها بعينين ترى في شعاعهما لهباً ، وفي وقعهما لذعاً ، وفي تتابعهما ممعمة تتكلم كلامها ولا تبينُ . وتلتفت ميّ الى عجوزها وتقول : أمَّاه ! تالله انه للفتى العدويّ الذي دخل علينا حِواءنا عام أول يستسقي !! إنه لهو ذو الرُّمة قد ثاب الينا ! وكأني يا أماه قد قرأت في عينيه أنهُ اطلع عليّ آنفاً فرآني متجردة من حيث لا أرى ولا أشعر ! اذهبي يا أماه فقصّي أثره من حيث لا يراك

وتعجل أمها وراءه وقد ذكرته وعرفته ، وتعود اليها تقول : أرأيت يا ميّ ؟ إنه والله لهو ذو الرمة ! لقد أخذته عيني من قريب وهو لا يراني ، ولقد رأيته يتردد آنفاً أكثر من ثلاثين طرفة ، كل ذلك يدنو فيطلع اليك ثم يرجع على عقبيه ، ثم يعود . واني لأخاف عليك بعد اليوم يا بنيَّتي ، فقد وقعتِ في لسان شاعر فيما أرى ، وما أنسى ما حييتُ ما قال لي فيك : أما والله ليطولنَّ هيامي بها ! اللهمَّ إنا لا نسألك ردَّ القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيهِ !

ويعود ذو الرُّمة الى دياره غضبانَ أسِفاً ، ولكنهُ قد عزم وصمم . فستكون له ميّ عرفتهُ أو أنكرتهُ ، وسيهدي اليها بشعر يضيء لعينيها طريق قلبها رضيتهُ أو كرهتهُ ، وسيقذف على ألسنة الرواة ، من شعره الذي يذكرها فيهِ حتى تتلقف الآذان اسمها فتطلع اليها والى أخباره وأخبارها . فلا يلبث من فوره ان ينشد الناس في الأندية ذلك الرجز الذي ذكرناه آنفاً : « هل تعرف المنزل بالوحيد ؟ » ، ثم يُرْدِف اليها ذلك الرجز الآخر الذي يقول في أولهِ

« قِفا نُحيّ العرصاتِ الهمَّدا والنؤيَ ، والرميمَ ، والمستوقدا »
والسُّفعَ — في آيآتهنَّ — الخلَّدا »

والذي جعل يتكذب فيهِ بما لم يكن وما لم يرَ من ميّ ومن صواحبات لها ، فيقول يذكرها ويذكرهنَّ ، وأن الديار ورسومها قد هاجت كمده :

« أولى — لمن هاجت له — ان يكمدا أولى ، وان كانتْ خلاءً بعدا »
« وقد أرى والعيش غير أنكدا ميًّا بها ، والخفراتِ الخردا »
« غرَّ الثنايا يستبينَ الأمردا والأشمطَ الرأس وإن تجلدا »
« قواتلَ الشرقَ قتيلاً مقصدا إذا مشينَ مشيـــة تأودا »
هزَّ القنـــا لانَ وما تخضدا يركضنَ ريطَ اليمن المعضدا »

وسالت أودية بني عدي بهذا الشاعر الذي نبغ بينهم ، وتناقلوا ما أنشدهم ، وتساءل القوم : ما « ميّ » هذه التي يذكرها ؟ وكل امرىء يخشى ان تصيبه معرَّة هذا اللسان العاشق حين يتولج الى حرمه بالصبابة والوجد . وأقبل على « غيلان » اخوته يستخبرون خبره ، ويسألونهُ عن ميّ من تكون ؟ وجعلتْ نفس « غيلانَ » تعتاص على الناسِ ، فردَّ السائل بخيْبته ،

وائتمن عليها أخاه مسعوداً فهو أحق الناس بالامانة: إذ كان عوناً له في سفره ، وصديقاً قد اقترب ما بينهُ وبينهِ ، ولم تَعُد للسنِّ قدرةٌ على التفريق بينهما في المودَّة النامية المتوثّقة

ولم ينشب هذا والشعر ما سواه أن تدفّق الى ديار بني منقر من كل وجه ومكانٍ ، وعرفت العجوز وعرفت ميّ أنهُ يريدُها ، وأن الأمر قد استعصى ، وأن الحزمَ أن يُبتَّ الرأيُ قبل أن تذهبَ ساعته ورأت العجوز أن تقطع هذا اللسان المتقحم باليأس ، فاذا ملكه اليأس غلبهُ العيّ والحصر ، وانتهى امرهُ — كما ينتهي أمر كثير سواه من نوابت الشعراء — إلى الحاجة ثم فترة ثم سكون . فدسَّت العجوز الى فتى من بني منقر يقال له «عاصم» دسيساً يرغبهُ في ميٍّ ، ويُسَنِّي له من امرها ما قد يتعسَّر عليه، ويكفل له رضاها ان تكون له زوجاً. فسعى « عاصم » إلى العجوز سعي اللهوف ، وجعل يماسحها ويعرّض لها بخطبة ابنتها حتى صرح ، فرضيتهُ لابنتها ، ليكون عاصماً لها من لسانِ هذا المتجرىء الباغي اليها الفضيحة والعار. واستشيرت ميّ في أمرها فقبلت، وتم الرأي على أن يبنى بها حين يشاءُ ، فسارع عاصم وقضي الأمر

أما ذو الرّمة فقد رجع الى دياره ، ثم أوفض منها الى البصرة نافراً عجلاً يريد ان يقضي فيها عامه هذا حتى يصيب من الذكر بين أئمة العلماء وفحول الشعراء ، ما يردُّ عليه راحةً قد استلبتها هذه الفتاة الطاغية التي أحبها ذاكراً مردّداً راغباً ، فكان جزاؤه منها أن اقتحمته وأسقطتهُ، ولم تعرف له حقًّا يذكر أو هوًى يكون منها على بال . ونزل هذا البدويّ مدينةَ الحضر ، فجعل يتلفت ههنا وههنا ، فلا يجد إلفاً يألفه إلا شذّاذ القبائل الذين نزلوا « البصرة » ، وخلطوا أنفسهم بالتجار وأوشاب أهل الاسواق ، وجعل يتسكع معهم حائراً بين حوانيت البقالين واشباههم ، قد فترت همته عما كان خرج له من بلاده

وكانت البصرة تموج بالناس من نواحيها ، واجتمع فيها من العلماء والشعراء ما لم يجتمع في مثلها من قديم إيام العرب ، فقامت فيها سوق من اعظم اسواق العرب في الجاهلية والاسلام، تضارع سوق عكاظ منتدى الشعراء من اهل الجاهلية ، وهي «المرْبدُ» : مربد البصرة ، حيث يجتمع العلماء والكتاب والشعراء يكتبون وينشدون ويتفاخرون ويتهاجون. وأقبل ذو الرمة — هذا البدويّ الراجز — يسمع الى الرجز والشعر الحديث . فلما سمع من رَجز العجاج ورجز ولده رؤبة علم انهُ اذا ألحَّ على الرجز لم يقع من هذين الفحلين موقعاً ، ورأى أنهُ اذا بقي عليه يقوله، عرَّه ما يقول ، فعزم ان يصرف نفسه عنه ويعوّل على الشعر وحده . وكان ما يسمعهُ من الشعر في هذه السوق العظيمة قد هاج في نفسه الرغبة في المنافسة ، إذ كان الشعر أسهل مأتًى ، وأوسع مجالاً ، وأدنى الى القدرة على الإجادة ،وأولى أن يكون تصريفُ القول فيه أحسن وأنبل ، وان الرجز لا يطيق ما يطيقه الشعر من المعاني. وكانت نفسه إذ ذاك تتحرك مغاضبةً الى ميّ ، وترقُّ لها ، وتريد متنفساً تبُثُّ فيه لوعتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأشواقها، والرجز لا يستوي على إرادتها ، وقلَّ في العشاق من الشعراء من رَجَزَ بحبه . وكذلك بدأت نفسه تستقبل الشعر وحده، وتدع الرجز لهؤلاء البداة الغلاظ الأكباد يقولون في اغراضه ما يقولون

ولا يكاد يشك في أن الشهور التي يقضيها ذو الرمة بمدينة العلم والشعر والحضارة ، قد جعلت تهزُّ نفسه هزًّا عنيفاً متتابعاً لاهوادة فيه ، وان شدَّة ما لقي من الغربة في هذه البيئة الجديدة التي لا عَهْد له بمثلها ، قد أحدثت له فترةً وانكساراً ، وكادت تذهب به في الخمول مذاهبها . ولكن العاطفة المحنقة التي تجيش بين جنبيهِ كانت توجه هذه النفس إلى الغاية التي أعدت لها . وكذلك بقي ذو الرمة حائراً لا يدري كيف يتوجه بالرأي والعزيمة، فهو يدخل حوانيت البقالين يبقى فيها يسمع من لغو اهل الحضر ما يسمع ، ثم ينصرف الى المساجد وقد تحلّق الناس على علمائهم يسمع من هؤلاء وهؤلاء، ويتلقف الكلمة بعد الكلمة مما يدرك من جدَلهم وأحاديثهم . ثم يفكر في ذلك ما شاءَ الله ، لم يأخذ نفسه بالدّربة على شيء مما يتعلمون أو يتناقلون. وكان اكبر ما شغل عليه خواطره قول هؤلاء المتكلمين في القضاء والقدر، ومايتنازعون فيه من الشر الذي يقع في هذا العالم ، أهو مُرادٌ من الله تعالى أم غير مرادٍ ؟ ويعجبهُ أن يذهب الى ان الشرّ ليس مراداً لله تعالى ، وان ارادته لا تتعلق الاّ بالخير ، وان الناس وما سواهم هم الذين تتعلق بالشر ارادتهم . فكان له في هذه المجالس شغل عما يتردد بين جنبيه من وساوس مي وبلبالها ، وأخذت تهدأ على الايام حدّة ما يجد من ذكرها ، ويذهب عنهُ عناءُ ما يلقى من خيالها . وكان كل ذلك يرقق من قسوة البادية التي نشأ فيها ، ويلين من جفائها وغلظتها ، ويمهد لسماحة أهل الحضر ورقتهم وظرفهم ومباذلهم طريقاً في نفسه ، يهديها الى السمت النبيل المتواضع الذي درب عليهِ الناس ممن يعاشرهم في هذه المدينة

وأنس به أهل الحاضرة — « البصرة » — ، فكان لبلاغة منطقه ، وحسن تهديه الى غاية القول ، وصدق عبارته عما في نفسه ، وقوة بيانه البدوي عن المعاني التي يبتذلها أهل الحضر باهمالهم ، وسرعة بديهته فيما يعرض له ، وقدرتهُ على تخيل الاشياء بذلك الفكر البدوي المحض، وإرساله في الكلام شعاعاً من الفطرة السليمة التي لم تفسد على الترف والعبث والمخالطة، كل ذلك جعل أهل البصرة — من عرفه منهم — يحبه ويستدنيه ويتحفَّى له ، حتى صار يدعى الى أعراسهم وأفراحهم وملاهيهم ، ليسمعوا من حلو حديثه البدوي صفةَ هذه الأشياء التي لا عهد لأحد من أهل البادية بها . فكان ذلك سبباً في أن يقال عنه — بعد أن طار اسمه في الآفاق :— هذا الشاعر البدوي ! ! تالله لقد كنا نراه بالبصرة طفيليًّا يتدسَّس الى العرساتِ ! !

وشغله المربد عن شعراء البادية الذين كان يألفهم ويروي شعرهم ، وجعل يسمع مناقضات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جرير والفرزدق والأخطل ، ويحفظ ما يرد على المربد من شعراء الحجاز ، ولكنه لا يجد عند أحد من هؤلاء ما وجد عند « الراعي النميري » : مِن نَفَس راب كأنما يقذفهُ مرجل أوقدت عليه نار لا يخبو لها سعير . فهذا القلق الذي استولى على رأيه في الشعر ، وهذا السأم الذي استبدّ بعزمه في الحياة ، وهذه اللوعة التي اعتسفت قلبه في الحب، كل أولئك كان يُعِدّ هذا اللسان الشاعر اعداداً جديداً لتنطق البادية العاشقة على عَذَباته أجمل بيان وأعنفه ، وأروع نجوى وأحلاها ، وأدق نعت وأشكله . فكانت أيامه بالبصرة تدريباً لا بد منهُ لهذه النفس البدوية المفطورة على جانب من الخشونة والجفاء

ومضى العام عليهِ بالبصرة ، فاجتوى ريح الحاضرة من طول ما أقام بها، فآثر أن يعود الى ديار قومه بالبادية ليتنسَّم تلك الرَّوْحة الحبيبة الى القلب البدوي، وليستروح نسمات ميّ إن أطاق ان يكفكف من كبرياء نفس ثائرة متمردة عنيفة في أصل جبلتها. والبادية هي البادية قلَّ ان تتغير لها صورة أو يجد لها جديد ، فنزل على الفٍ قديم حبيب ، تتلقاه أمهُ رفيقة به على عاداتها ، ويسائله اخوتهُ ولِداتهُ عن أمر الحاضرة كيف وجدها، وما لقي فيها، وما الذي أحبَّ منها وكره، وكيف ترك ابن عمه « أوفى » ، وقد زعموه تحضر وأخذ من علم الحاضرة ،يسمع في مساجدها عن شيوخ الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فينبئهم بأخباره ، وأنَّ أوفى قد ترك البصرة في طلب حديث نافع مولى ابن عمر، فلم يلقه بها . ويحدثهم أنهُ لقي أمَّ الصهباء معاذةَ بنت عبد الله العدوية العابدة، وما يتناقل الناس من أخبار عبادتها وتقواها

ويقيم ما يقيم ، ثم يعزم على اخيه مسعود في الرُّفقة حتى يزور ميًّا ، ليتزود منها نظرةً لعلها تردّ عن صدره هذه البلابل التي نشأت توسوس له أن قد أصابها مكروه. وينهاه مسعود أن يتبع نفسه هذه الفتاة التي عنَّتْـهُ وأنهكتهُ وشغلت عقله عن أمر دينه ودنياه ، وقبيح بالرجل أن يلجَّ على من أعرض أو نأى عنه بجانبه ، والنساءُ بالنساء أشبه من الغمامة بالغمامة ، فما هذا العناء الذي يفني فيه ايامه ولياليه ؟ ثم يرى مسعود في سُكات أخيهِ أنيناً يلتجُّ تحت الهدأة ، وينظر في عينيه إطراقةً تستصرخ غوث الرحمة ،فيأوي لذلك الشبح المستكين وراء هذه التجاليد الصامتة المستحصدة ، ويشفق عليه أن تنتهب حياته هذه الأشواق التي تتنازعه من كل مغيب عاطفـة أو صبابة . « لك ما شئت يا غيلان ، فأنت والرحيل كيف عزمت ، وإني لرفيقك حيثما وجهت». وهكذا يصبح مسعود عون أخيه في هذه البأساءِ التي يتضرع لها بعد جلادة. ويرتحلان يقصدان بلاد بني منقر، فاذا الديار بلاقع ليس بها أنيس، الاَّ هذه الظباءُ هذه المها تتهادى كأنهنَّ العذارى يرفلنَ في بيض الجلابيب . ويعوج ذو الرُّمة على النؤي والرسوم ينظر اليها نظرة الواله المتوجس ، ويدور عليها كأنهُ يستخبرها وهي تستعجم عليه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا تجيب ، «والدار لو حدثته ذات أخبار » . يظلُّ ذو الرُّمة يتوهم لنفسه أوهامها في مي ، ولكن لا تخطئه وسوسة الغيب بأمر ذي بال قد أصاب صاحبته ، فهو يزداد التياعاً كلما ازداد ريثاً في مكانه من هذه الاطلال الخُرْس النواطق . ثم تنزو به روعةٌ كأنه آبدٌ قد نشط من قيده ، وينطلق يجوب هو ومسعودٌ هذه الفيافي يسألها عن مذاهب مي في غوامضها ومنكراتها . وهكذا يبدأ هذا العاشق يتطوّح في أقدار مجهولة لا يدري أين ينتهي به سيره ومسراه !

ولكن لا يلبث ان يجد في أسفاره جماعة من بني منقر قد انفردوا عن أهلهم في أرض ينتجعونها ، ويسألهم عن أخبار ميٍّ ، فيعلم يومئذٍ ان قد ذهب بها عاصم المنقري . ربّاه ! لقد تهدّم البناء الشامخ من كبريائهِ على قلبٍ حيّ نابضٍ بحب لم يسكن ساعة عن نداء ميٍ من وراءِ الأسوار المضروبة عليهِ . ألم تعلم هذه الحبيبة ان غيلان قد أخلص لها حقيقة ما في قلبه من الحب والهوى ؟ ألم تدرك بعد أن حياته كانت تفيض اليها متدفقة من أغوار النفس الجياشة بالعشق والصبابة ؟ أكانت هي الغريرةَ البلهاءَ حتى لا تجد على نفسها لواذع نظراته اليها ملتاعاً قد توقد وجده بها ؟ ألم يكن في عينيه ووجهه وحديثه عهدُ المحبين الى من أحبوا ؟ وتغوّلت به الارض الفضاء فلم يجد الا ضلالاً وحيرة في وحشة هذه الحياة المجدبة الجرداء، التي قذفت به فيها هذه الفتاة اللاهية عن جد الحب الذي لا يلهو ولا يهزل ، أي غدر قد ألقى به في مُغوّاة مظلمة قد افترشتها أفاعي الغيرة والغيظ والضغينة ، فانطلقت تنتهش منه بأنيابها ، وترسل في عروقه ذلك السم الذي يغلي عليه دمهُ ؟ ! وفي سكتة البيداء التي لا حس فيها ولا ركز ، تترامى اليه من كل وجه أصوات تتردد « مي ، مي » وتقع في سمعه الى قلبه سهاماً مسددة تنفذ في رميتها تنشُّ كأنها سكّةٌ محمَّاة

ما أقسى هذه الساعات التي تمر عليه وهو كالملقى على جمرات الغيظ في غمرات من لهيب الغيرة ! ! انها تمضي لا يحس منها الا حريق الزمن خالداً عليه ، لا ينقضي ولا ينقطع . وأخوه مسعود الى جانبه ينظر مشفقاً متلدداً الى شبح ساكن لا ينود منه شيء أو يتحرك . من لهُ بأن يسلّ أخاه المسكين من أمواج أطبقت عليهِ من كل مكان ؟ ان الصمت وحده هو كل ما يستطيع ان يعين بهِ أخاه على بلوى هادمة مدمرةٍ ، صمت ينطق بالمشاركة والاسعاد ، والرقة والحنان . ليتهُ ما أطاعهُ ، بل ليتهُ أغرى أخاه بالرحلة في جانب من الأرض بعيد فعسى كان يستجدُّ له من نوازع الحياة ما يكفيه شر ميّ وشرّ هواها

وكذلك يخطو ذو الرُّمة الخطوة الاولى في الطريق الى حقيقة الحب ... ، في الطريق الى العذاب ... ، في الطريق الى الجحيم الذي يجعل النفس العاشقة سعيدة بالالم ، متشبثة بهِ ، آلفة له ، باحثة عنهُ لو فتر عنها أو سكت

نظرات طريفة في

الملك امنمحات الاول[1]

الدكتور باهور لبيب

﴿ كيفية اعتلائه العرش ﴾ عقب وفاة الملك منتوحتب الرابع (نب تاوى رع) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة بغير وارث قام نزاع بين الأمراء [2] على تولي الحكم ويظهر انه لم يكن بينهم أحد بارز في شخصيته . لهذا نرى أن امنمحات — وقد كان وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة — يتطلع الى المُلك ويمهد لنفسه بما أذاعهُ في البلاد من نبوءة ادعى وجودها منذ عصر سنفرو ، وهي تصف ما سيحل بمصر من الخراب وتنادي بأنهُ سيظهر ملك من الجنوب اسمهُ « اميني » (وهو مختصر امنمحات) يحكم الوجهين القبلي والبحري حكماً صالحاً فيوطد حكمه طمأنينة الناس وفرحهم

ولقد ساعد على تحقيق مأربه واعتلائهِ العرش ما عرف عنهُ وهو وزير من نفوذ كبير فقد كان يحمل ألقاباً سامية غير الوزارة

على ان بعض العلماء يشك في أن الملك امنمحات هذا هو امنمحات وزير الملك منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة على أحدث الآراء. ولكنهم لم يستطيعوا أن يفسروا لنا اجتماع العوامل المختلفة على تأييد وجهة نظرنا. فمن ناحية مسلم بأن الملك منتو حتب الرابع توفي عن غير وارث وان أحداً من الامراء لم يثبت انهُ كان إذ ذاك يسمى باسم امنمحات. وان هذا الاسم كان على وجه اليقين لوزير الملكُ المتوفى وان هذا الوزير كان ذا سطوة ونفوذ فليس هناك ما يدعو الى الوقوف عن ترجيح الرأي بأن يغتصب هذا الوزير المُلك خصوصاً وان التاريخ

---

(١) حكم من عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ١٩٧٠ ق . م . وليلاحظ الخطأ الشائع في بعض المؤلفات العربية من ايراد اسمه بالعين (امنحعت) أو بالياء (امنمحيت) بدلا من الالف وهذا الخطأ منشؤه التعريب من المصرية القديمة . وليلاحظ اني أخالف كثيرين من العلماء في عدم عده مؤسس الدولة الوسطى كما بينت ذلك في مقالتي التي نشرتها بمجلة كلية الآداب عن الملك « نب حبت رع » وليلاحظ ان اسمه يبدأ بلفظ الاله « آمون » وانه يمكننا أن نستنتج من ذلك ان صاحبه من الجهة التي كانت عبادة الاله آمون سائدة فيها في ذلك الحين وعلى ذلك يكون امنمحات الاول من جهة الاقصر وأرمنت

(٢) هؤلاء الامراء كانوا عبارة عن ملوك صغار في اقاليمهم فلكل منهم جيشه الخاص وحاشيته الخاصة ومقبرته الخاصة التي حفرها في صخور عاصمة ملكه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قد ضرب لنا أمثلة أخرى لمثل هذه الحالة عند ما اقام الوزير « پارعمسو » نفسه ملكاً باسم رمسيس الاول وعند ما انتزع القائدحور محب العرش وتسمى باسم الملك «حور محب»

على ان هذا المنطق تؤيده أدلة تاريخية اخرى فكيف يمكن أن نجمع بين ما ورد في النبوءة السابقة الذكر من ان ملكاً من الجنوب سيتولى الحكم وبين ماهو ثابت من ان هذا الوزير كان من الجهة المذكورة ، لو لم يكن ماذهب رأينا اليه صحيحاً

﴿ ما اتخذه في سبيل تأييد عرشه واهم اعماله ﴾ ما أن أحست البلاد المجاورة بأزمة الحكم في مصر حتى حشدت جنودها على الحدود الشمالية الشرقية والجنوبية تطلعاً الى آمال الغزو فبادر امنمحات فوراً الى طرد العدو بحزم وشدة شكيمة من تلك الحدود فأعاد الطمأنينة في البلاد وكسب ثقة رعاياه

اما الامراء والحكام فسعى الى استمالتهم بما منحهم من اقطاعيات وما وسعه من دائرة اراضي بعضهم كما فعل مثلاً مع خنوم حوتب الاول إذ عينهُ حاكماً على منعات خوفو (بني حسن) ثم اقطعه بعد ذلك اقليم قسم الوعل وذلك مكافأة له على اخلاصه للملك ومساعدته له في حروبه الداخلية والخارجية

وجرى الملك امنمحات الاول على سياسة توحيد الكلمة بين المتخاصمين فأخذ يطوف في القطر ويزيل المنازعات بين الحكام ويبسط العدل

وقد اقتضت الحكمة من ذلك الملك أن يهدم من سلطة حكام الأقاليم بإقامة كبار الموظفين منافسين لهم في النفوذ وجرى على تلك السياسة الادارية ملوك الاسرة الثانية عشرة من بعده حتى زال ما للحكام من سطوة نهائيًا

وقد راعى الملك في توزيع السلطات الادارية ان يكون لولي عهده قسطٌ فيها حتى يلم شيئاً فشيئاً بمختلف نواحي الحكم ويتدرّب عليه ويمهد له السبيل ضماناً لبقاء العرش لخلفه فأشركه معهُ في الحكم إشراكاً فعليًا عشر سنوات كاملة قبل وفاته. وقد جرى على هذا النحو خلفاؤهُ من بعده. ولعلّ ما أوعز اليه باتخاذ هذا التدبير تدبير مؤامرة غير موفقة لاغتياله

وقد تطلب تركيز السلطة الادارية في العاصمة ، نقلها من طيبة (لم يكن مكانها يتوسط القطر إذ هي نائيــة عن مصر الشماليــة وقريبة من الحدود الجنوبية) الى اثيتاوى (ومكانها الآن بالفيوم بالقرب من بلدة اللشت الحاليــة وعلى بعد اربعة اميــال من جنوبي منف) . والى جانب هذا التعليل الأداري الذي يستند الى معنى « اثيتاوى » وهو قابضة الارضين (اي الوجهين القبلي والبحري) قد تكون العلة في اختيار العاصمة الجديدة بين منف والفيوم متصلة بمشروعات الري العظيمة التي بدأت في ذلك العصر ولا سيما أن معظم الاراضي بجوار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منف كانت ملكاً للبيوت القديمة التي أصبحت الآن ملكاً للتاج ومن ممتلكات الملك

واذا اضفنا الى واقعة بدئه حكمهُ باختيار موقع عاصمته الجديدة بين منف والفيوم، وجود مقبرة له في شكل هرم بالقرب من الفيوم ووجود هرم ابنه سنوسرت الاول في جهة الفيوم ايضاً ووجود لوحة حجرية له في بلدة ابجيج بالفيوم، وكذلك وجود بقايا مسلة له ما زالت كائنة في مزارع تلك البلدة، رأينا في ذلك ادحاضاً صريحاً لما يزعمه بعض المؤرخين من ان اهتمام قدماء المصريين بجهة الفيوم قد بدأ في عهد الملك امنمحات الثالث وتأييداً لما نقوله من ان عناية ملوك الاسرة الثانية عشرة بها ترجع الى عهد الملك امنمحات الاول

بعد أن فرغ الملك امنمحات الاول من التنظيم الاداري للبلاد بدأ ارساله البعثات الى منطقة سينا لاستغلال المناجم واستخراج مسحوق معدن النحاس لتنمية موارد البلاد المالية. وقد سار باقي ملوك هذه الاسرة على ما بدأ به هذا الملك في هذا الصدد. ولقد ظن بعض العلماء ان ارسال البعثات الى سينا لم يكن قد بُديء فيه في عهد الملك امنمحات الاول وأنه قد استقل بذلك دونه من اتى بعده من ملوك هذه الاسرة. غير ان هذا القول مردود بما وجدناه في سينا من آثار للملك امنمحات ذاته. ويجدر بنا ان نذكر أن اهم ما كان يستخرج من مناجم سينا هو مادة تسمى « الملخيت » [1] كانوا يطحنونها ثم يعمدون الى تسخين المسحوق الناتج الى درجة حرارة عالية فيحصلون منها على معدن النحاس. وهذا المعدن كان من أهم موارد الدولة في ذلك الحين. بل اتخذه ملوك هذه الاسرة مقوماً ماليًّا في التعامل

وقد زاملت هذه البعثات بعثات أخرى لاستغلال المحاجر فقد ورد في النصوص ان هذا الملك بعث موظفيه الى وادي الحمامات لاستحضار حجر البرشيا (وهو أحد الاحجار الجميلة التي كانت تستخرج من الجهة الواقعة بين النيل والبحر الاحمر ليصنع منها الملوك تماثيلهم وتوابيتهم)

وأقام هذا الملك حصناً أطلق عليهِ « جدار الملك » في وادي طميلات لا لحماية حدود الدلتا فحسب بل لمراقبة القوافل الاسيوية الرحالة مما يدل على يقظة هذا الملك وحذره من أولئك الاسيويين. وقد دلتنا النصوص على ان اليقظة كانت شديدة والحراسة دقيقة في هذا الحصن

---

(١) لا يوجد النحاس في مصر معدناً منفصلا في الطبيعة ولكنه موجود في مركباته ومع ذلك فقد عرفه واستعمله قدماء المصريين منذ فجر التاريخ وكانوا اول من اكتشفه في العالم. وأهم خامات النحاس المعروفة في مصر هي « الملخيت » واسمه باللغة المصرية القديمة « شمت » وهو مكون من كربونات النحاس القاعدية ولونه اخضر وهو يكثر في شبه جزيرة سينا والصحراء الشرقية ويعدُّ أقدم وأهم خامات النحاس التي استعملها قدماء المصريين. وقد استعملوه ايضاً في اغراض شتى كتكحيل العيون والتلوين باللون الاخضر وكذلك في عمل الطبقة الزجاجية فوق القاشاني وفي عمل الخرز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم شيد الملك امنمحات الاول في طيبة مسقط رأسه معبداً عظيماً للاله آمون . كما بنى كما ذكرنا على شكل هرم مقبرة له بالقرب من الفيوم . ولما كان الملوك قد جروا على اقامة بلدة بجوار كل هرم يسكن فيها من ساهموا في بناء هذه الدار الخالدة من مهندسين وصناع وعمال ومراقبي العمل والنظام من رجال الجيش وكهنة وغيرهم فقد أقام هذا الملك بجوار هرمه بلدة كانت تسمى « كانفرو »

أما سياسته الخارجية فقلنا فيما سبق ان الملك امنمحات الاول وقت ان ولي الحكم تطلع الاسيويون في الشمال الشرقي الى مصر والنوبيون في جنوبها الى تهديد الحدود المصرية وانهُ بادر الى ردهم على أعقابهم

وقد حدث بعد اربعة وعشرين سنة من توليه الحكم ان قامت اضطرابات جديدة على الحدود الشمالية الشرقية من قبل الاسيويين فأرسل الملك حملة عسكرية قوية بقيادة قائده « نسومنتو » اخضعهم بها اخضاعاً لم يقم لهم بعدها قائمة لحين وفاته

ثم بدأ اضطراب في العام التاسع والعشرين من حكمه على الحدود الجنوبية فأرسل ولي عهده الشاب « سنوسرت » على رأس الحملة لاخضاع النوبيين فأفلح في غزو منطقة الواوات بالنوبة . ولعلَّ تلك الحملة لم يكن غرضُها مجرد اخضاع النوبيين بل قصد بها أيضاً الى الاستيلاء على ما اشتهرت به بلاد النوبة من الذهب والعاج وريش النعام والجلود . وهو ما تحقق على يد ولي العهد رئيس الحملة

وتروي لنا قصة « سنوهي » عن حملة ثالثة بعث فيها الملك بولي عهده سنوسرت على رأس جيش لمعاقبة الليبيين المتمردين على حدود مصر الشمالية الغربية . فعاد ولي العهد بعدد كبير من الاسرى ورؤوس لا تحصى من الماشية . ومع ان القصة لم يرد فيها تاريخ معين لهذه الحملة فإننا نستطيع ان نستنتج أنها تأتي في المرتبة الزمنية بعد الحملتين الاوليين بما جاء في تلك القصة من أن ولي العهد اضطر في جنح الظلام الى العودة الى العاصمة تاركاً رآسة الحملة الى أحد قواده بمجرد ان بلغه خبر وفاة والده الملك

وانتهى حكم هذا الملك بعد ثلاثين عاماً من توليه العرش ونستطيع ان نقول انهُ قد اصابه توفيق كبير في كلتا سياستيهِ الداخلية والخارجية فبينما افلحت وسائله في تركيز النفوذ في يد صاحب العرش بما كفل معه الاتجاه بجهوده الى تحقيق الاصلاحات الداخلية نرى ان حملاته العسكرية الثلاث قد اوتيت نجاحاً . فلا عجب ان يكون هذا التوفيق المزدوج سبباً في ان : « يعم الأسى رعاياه عند وفاته » كما حدثتنا قصة سنوهي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بحث فني طريف في :

العمارة الارمنية

ناحية من تاريخ الفنون جديرة بالتقصي

كان عالم العلوم الى ما يقرب من جيلين لا يدري إلا نذراً يسيراً غير مقطوع بصحته عن مبتكرات الأرمن الفنية في فن العمارة وكان كثيرون يعتقدون أن الفن الأرمني ما هو إلا محاكاة ساذجة للفن البيزنطي ووصل الأمر الى أن أنكر (بيرو وشيبييه) أن للأرمن فنـاً خاصـاً كما يتضح من مؤلفهما في (تاريخ فن العمارة في العصور القديمة) وكان (شارل ديهل) حتى عام ١٩٠٥ يزعم أن أرمينيا وجورجيا زاخرتان بالآثار البيزنطية

وكان مبعث هـذا الحـكم أن آثار الأرمن لم تتسنّ دراسـتها لوجود معظمها في أقاليم صحراوية لم يصل اليها العلماء الأوربيون. ولكن مما لا مشاحة فيه أن آثار أرمينيا اجتذبت أنظار السياح منذ القرن الثامن عشر وان كانت المعلومات التي نُـشرت عنها صوّرتها بأنها اثر من آثار الوثنية

الا أن (شارل تكسييه) عكف في سنة ١٨٤٣ بصفة جدية ولأول مرة على دراسة الآثار الأرمنية . وفي كتابه « وصف ارمينيا وفارس وما بين النهرين » اقام الدليل على أن الأقواس المدببة التي انتشرت في القرن العاشر عرفت في ارمينيا قبل ذلك بخمسمائة سنة كما هو ظاهر في معبد تيكور القديم . وقد اهتم علماء آخرون في القرن التاسع عشر بالمباني الارمنية وأخصهم (اوغست شوازي) فانه بحث بحثاً منزهاً عن الهوى في هذا الموضوع ودوّنهُ في كتابه « تاريخ فن العمارة » ولم يكتفِ بدراسة فن العمارة الارمنيـة بل درس نمو الفن الارمني وانتشاره في البلاد المجاورة ومن رأيهِ ان بعض الـكنائس في حوض الدانوب ورومانيا والسرب وملداڤيا مطبوعة بطابع أرمني وخصوصاً فيما يتعلق بالزخرفة في فن العمارة . ويذهب شوازي الى أبعد من هـذا فيقرر ان فن العمارة في حوض البحر الاسود كله من طرابزون الى حوض الدانوب مرتبط بالفن الأرمني وكانت هذه الرسالة هي أول رأي مخالف للاعتقاد السائد وهو أن الفن المسيحي نشأ في بيزنطة وروما . وأيد الاستاذ سترزيجوفسكي من أساتذة جامعة ڤينا في سـنة ١٨٨٩ رأي شوازي وزادهُ إيضاحاً وبعد أن درس آثار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفن الارمني في مواطنها نشر مجلدين عن « فن العمارة الأرمنية في أوربا » سنة ١٩١٨ وفيهما بيّن أن موطن الفن المسيحي هو أرمينيا ، تلك البلاد التي ازدهرت فيها — ولأول مرة — الاشكال المختلفة لفن العمارة ولاسيما القباب وإن كانت هـذه الاشكال قد عولجت علاجاً مستقلاً في بعض الجهات الأخرى . وحوالي تلك الفترة قام الاستاذ (نيقولا مار) والمهندس (توروس تورامانيان) بحفريات في (أنى) عاصمة البقراطيين المشهورة استفاد من نتائجها العالم النمسوي فأسفرت عن ان الآثار التي على شكل صلبان أو دوائر ، وان كانت قد أقيمت في مختلف العصور في الشرق والغرب، إلاّ أن انتشارها بأشكالها البديعة يجب أن يُعدّ ابتكاراً أرمنيًّا محضاً

وبعد أن ثبت فضل السبق للفن الأرمني ثبوتاً لا مجال للشك فيه تزايد ما كتب عن فن العمارة في أرمينيا.وبعد أن أشاد (يورجس بالتروشايتس) بذكر الطراز الأرمني في (أنى) وذلك في مؤلفه (الاقواس المدببة وأرمينيا) المنشور في سنة ١٩٣٦ قال في صفحة ١٨ (ان تنوع الاشكال قد فاق كل حد فان الاقواس التي تخرج من مركز واحد والاقواس المنحرفة والاقواس المتوازية والمتقاطعة والاقواس المجتمعة التي تمثل حرف T تستغرق جميع الاشكال الممكنة في الفن الهندسي) ولم يتردد في الاعتراف بأن الفن القوطي يحوي أكثر من أثر واحد يذكر بجمال آثار (أنى) وهكذا تبوأت أرمينيا مركزها الجديرة به في التاريخ العام للفن بما ورد في جدول أعمال اللجنة الدولية للعلوم التاريخيـة المنعقدة في (اوسلو) حيث صرّح (شارل ديهل) بصفته مقرر اللجنة (انهُ ابتداءً من القرن الرابع حتى القرن الرابع عشر اي خلال ألف سنة كان للفن الشرقي أقوى أثر في الغرب وقد جاءَ الوقت الذي يجب ان يعترف فيه للفن الارمني بهذا الاثر) (نشرة العلوم التاريخية الدولية — العدد الخامس الصادر في يوليو سنة ١٩٢٨ صحيفة ٩٩٣)

ولننظر الآن كيف نشأ هذا الفن وكيف نما وترعرع وما هي أهم مميزاته

لقد بدأ ظهور الفن الارمني بدخول المسيحية أرمينيا سنة ٣٠٣ وارتقى على ايدي الملك (تيردات) والقديس جريجوار مؤسس الكنيسة الأرمنية . ومقر البطريركية في (اتشميازين) وان كانت قد أدخلت على مبناه تعديلات أكثر من مرة إلاّ أنهُ بني في مستهل القرن الرابع على يد القديس (جريجوار) نفسه

وقد عمد الأرمن — مدفوعين بالحماسة الدينية التي يتصف بها المعتنقون ديناً جديداً — الى تخريب كل ما هو وثني في بلادهم كي يقضوا على كل احتمال للعودة الى المعتقدات القديمة . وبينما كان معتنقو المسيحية في العالم الجديد بأجمعه يكتفون بتحويل المعابد إلى كنائس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مسيحية بوضع الصليب عليها وهو رمز الديانة الجديدة أراد الأرمن ادخال هـذا الرمز في صلب البناء وقد بقيت لنا من آثار تلك الحقبة معابد حوّلت الى كنائس في اريروك ومرن وكساخ واودتسون وتيكور وهذه الاخيرة لها منزلة خاصة بسبب أقواسها الدببة التي استغلها الفن العربي خلال قرون عديدة

وكانت العملية التي قام بها رؤساء الكنيسة الأرمنية الأولى تجمع بين البساطة والمنطق إذ أنها كانت قائمة على رسم رمز الديانة الجديدة على الارض التي يشيد عليها البناء وإحاطته بمستطيل ثم تشييد الجدران وبعملهم هذا وضعوا أساس ضرب جديد من ضروب البناء. وقد اعترضتهم أثناء تحقيق هذا المشروع العقدة الفنية العويصة ولكن الأرمن نجحوا في تذليل هذه العقبات بأن أقاموا على ذراعي الصليب قبوات كما أقاموا على نقطة تقاطعهما قبة مقتبسين بعملهم هذا عنصرين هامين من عناصر فن العمارة عن الفرس والاشوريين. وأما الممر الذي بين صحن الكنيسة والحائط الأسطواني الذي تعلوه القبة فانهم حققوا فكرته بابتكار البندنتيف (pendentif)

ومن أبرز مزايا القبة الارمنية أن شكلها الخارجي مخروطي أو هرمي وذلك لتفي بما يتطلبه جو بلاد باردة يكسوها الثلج خلال جانب كبير من السنة

وفي الفترة نفسها كان البيزنطيون يحاولون انشاء مبانٍ مماثلة وقد قدموا للعالم منذ سنة ٥٣٧ بناءً يعدُّ من أروع ما جادت بهِ قرائح البشر وهو كنيســة (أيا صوفيا) ولكن ألم يتصدَّع جزءٌ من هذه الكنيسة مراراً بسبب سقوط قبابها. واذا كانت قبتها الحالية المبنية سنة ٩٨٧ قد قاومت فعل الزمن أفليس الفضل في هذا راجعاً الى عبقرية المهندس الارمني (تيريدات) الذي استفاد من تجارب أسلافه الثمينة فعرف كيف يحفظ توازن البناء كلهِ بأن أنشأ نطاقاً من الجدران المتينة حول الاعمدة الوسطى لدعم القبة البديعة

وبعد أن ملأ الارمن — وهم شعب بناة وسـياح — بلادهم بآثار ذات قيمة فنيــة لا مثيل لها وذلك في القرنين السادس والسابع شرعوا ينشرون فنهم في البلاد المجاورة ونتج عن هذا أن أصبحنا نرى كنائس مشيدة على الطراز الارمني في جميع الاصقاع الخاضعة لنفوذ الامبراطورية البيزنطية التي كانت غاصة بالارمن حتى وصل بعضهم الى كرسي الامبراطورية كالامبراطور بازيل الاول

وان أول ما يسترعي الانظار في الآثار الارمنية هو ما فيها من ابتكار وجمال وتنوع الاشكال وبدون ذكر التفصيلات يكفي أن نذكر على سـبيل المثال لا الحصر كنيســة (زوار تنوتز) التي تولى درسها ووصفها (توراما نيان) فانها مشيدة على شكل صليب يحيط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

به جدار مستطيل وقد شيدها حوالي منتصف القرن السابع البطريرك (نرسس) وان كان مظهرها الخارجي يدل على انها مكونة من ثلاث طبقات إلا انها تحتفظ بكل مميزات الفن الارمني ففيها أربعة أعمدة تخرج من نقطة تقاطع ذراعي الصليب وتحمل قبة باسقة وهي بلا شك جوهرة العبقرية الارمنية

لقد كانت أرمينيا من القرن السابع حتى القرن العاشر مسرح قتال متصل الحلقات بين البيزنطيين والعرب وكان لذلك بطبيعة الحال أثره في الفن إلا انهُ حوالي القرن العاشر في عهد دولة البقراطيين الذين كانت عاصمتهم (أني) وهي المعروفة بوصف المدينة ذات الألف كنيسة سمحت فترة سلم نسبي للارمن باستئناف أعمال البناء وكاتدرائية (أني) التي دشنت باسم القديس جريجوار وبنيت سنة ١٠٠١ على الطراز التقليدي لا تزال ماثلة أمام العالم بأعمدتها الرفيعة كنموذج للفن القوطي

ولقد ظلّ نشاط الشعب الارمني في عالم البناء مستمراً في أرمينيا حتى القرن الثامن عشر حينما وقف بسبب غزو المغول وما تلاه من دمار

وان الذي يميز الفن الارمني في بلادنا حتى في مبدإ أمره عن الفنون المسيحية هو أن كل الآثار مبنية كلها بألواح من حجر النحت ولها تقسيم حجاري كامل من الخارج والداخل تسد فراغهُ خرسانة متينة والكنيسة الارمنية بأعمدتها البارزة في الجدران وبمشكاتها تعتبر من الخارج نموذجاً للفن الروماني

ومن انواع المباني الارمنية الاقواس المدببة وهي عبارة عن اقواس متقاطعة تحمل سقوفاً ثقيلة أو قوات وكان أول ظهورها في مستهل القرن العاشر في (أني)

وأخيراً فانه من جهة النسب قد دلل (زدانقتش) مؤخراً على أن المهندسين الأرمن كانوا يعملون طبقاً لقاعدة من شأنها الاحتفاظ دائماً بنسبة معينة بين قطر القبة والبناء وهذا هو ما يشاهد حتى في أقدم الكنائس وما يجعل المباني الدينية على جانب عظيم من التناسب والجمال

ويمكن مشاهدة آثار الطراز الارمني في كثير من المباني خارج ارمينيا وهو مبان مبعثرة في العالم البيزنطي والغربي نكتفي بذكر واحد منها وهو قبر (تيودور) الاكبر في (رافن) وهو من صنع المهندس الارمني (دانيل) ولقد كانت رافن منذ القرن الخامس مركز جالية أرمنية مزدهرة ومقر الكثيرين من نواب البطاركة الارمن في الامبراطورية البيزنطية . وهكذا نرى ان المهندسين الارمن سواء أكانوا يعملون لحساب الامراء الوطنيين أو الاصدقاء أم لحساب الفاتحين عندما فقدت ارمينيا استقلالها كانوا — كما اعترف (شارل ديهل) في سنة ١٩٣٤ أساتذة عظاماً وسياحاً كباراً نشروا فنهم في الشرق كله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذرّة المتفجرة

عندما كانت جيوش هتلر تكتسح بولندا ، كان العلماء في الولايات المتحدة وغيرها يدنون من أوْج أعظم مغامرةٍ علمية أقدموا عليها وهي المغامرة في سبيل البحث عن ذلك المفتاح السرّي الذي تفتح بهِ مغلقات الطاقة الذرّية . وقبل أن تبلغ ألسنة نيران الحرب سواحل القارّة الاميركية ، صدرت عن المختبرات المعنية باستخراج الطاقة الكامنة في قلب الذرّة ، أقوال تبعث على الاهتمام العظيم بمصير هذه المغامرة العلمية العمرانية . ذلك بأن العلماء كانوا قد فازوا — في نطاق محدود — بفلق ذرّة الاورانيوم بقذف النوترونات عليها ، فانطلقت من الذرة المنفلقة طاقة من رتبة مائتي مليون كهرب . ولكن الاورانيوم الذي يفضي فلق ذرّتهِ الى مثل هذه النتيجة ، نادرٍ غير مستقرّ . فاذا كان في الوسع جمع مقدار كافٍ منهُ في حيز ما ، فالطاقة الذرّية — بحسب أقوال العلماء — تغدو في المتناول. ومن ثمّة اتجهت مساعي علماء الطبيعة الى جمع ما يستطاع جمعهُ من هذا الضرب الخاص من الاورانيوم (٢٣٥) بفصلهِ عن الاورانيوم المألوف (٢٣٨) . ومن ثلاث سنوات أعلن ان الاستاذ ڤلهلم كراسي ارغن بجامعة ستوكهلم شأى غيره من العلماء في هذا السباق وفي سنة ١٩٤٠ أذاع الاستاذ لانغر الاميركي ان التعاون العلمي الدولي خلال سنتين يفضي الى تحضير طن من هذا الاورانيوم

وقد قدّر أحد الباحثين ان رطلاً من اورانيوم ٢٣٥ يحتوي على قوة متفجرة تعدل خمسة عشر الف طن من المادّة المتفجرة المشهورة بحروف TNT (الترينترو طولوين) .

ولا يخفى ان الماء الثقيل مركّب من ايدروجين ثقيل (دوتيريوم) واكسجين ونواة الدوتيريوم (الدوتون) تعدّ بحسب رأي اندرسن العالم الاميركي بين خيرة المقذوفات التي يستعملها العلماء في تهشيم الذرة. فاذا سمعت ان مصنعاً يصنع الماء الثقيل قد أصابتهُ قنابل الطائرات المغيرة فاعلم ان للعمل صلة بتوليد مقذوفات تصلح لاطلاق الطاقة الكامنة في ذرات اورانيوم (٢٣٥)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعة الإنسانية

كما يراها ابو العلاء المعري

لكامل كيلاني

قدرة الله

يرى أستاذنا الجليل أبو العلاء — فيما يراه — « أن قدرة الله ، سبحانه ، لا يعجزها شيء ، فاليبيس مستعيد — بمشيئته — بعد اصفراره ، شبابهُ وخضرتهُ ، مستردٌّ بعد مواته ، حياته ونضرته . والنيران الملتهبة متفجِّر لهيبُها — بأمره — مياهاً سائلة ، والطبيعة الانسانية متحولة — بإذنهِ — من الغدر الى الوفاء . والأغنام متغيرةٌ طبائعها — بحكمه — مستبدلةٌ بضعفها قوة ، واستخذائها إقداماً وعزيمة ، متخيرة عن عرين السباع سكناً تأوى اليه وتقرُّ فيه »

وهكذا يسترسل « أبو العلاء » في خياله البارع ، وأسلوبه الساخر الفياض بالدعابة القاسية ، والتهكم اللاذع ، والسخط المرير فيثبت لنا — بما ألفناه من طرائق إثباته المبدعة — أن الطبيعة الانسانية لا سبيل الى استقامتها واستوائها ، إلاّ إذا تغيرت طبائع الأشياء كلّها ، وانقلبت حقائق الكون الثابتةُ ، فدبّت الحياة في الهشيم ، وتحولت النار ماءً ، والأغنام المستضعفة سباعاً ضارية . وإليكم النصَّ العلائيّ الذي فصَّلناه :

« إذا أذن ربّنا اخضرّ الدّرينُ (اليبيس)

وتبجَّستْ — بالماء — الإرينُ (النيران)

ووَفى لقرينه القرينُ . وراحت الساجسيَّة (وهي ضربٌ من الغنم) ومأواها العرين.

وذلك — من القدرة — ليس ببديع . . »

***

لعلَّ الكثيرين من قراء ابن الرومي يذكرون — بهذه المناسبة — أسلوبه البارع في سخريته من الوزير « أبي الصقر » حين ولي الديوان ، وعجب خصومه من تلك الطفرة وكيف تظاهر ابن الرومي باستنكار ما تخيله من دهشتهم فقرر لهم معابثاً ساخطاً : « أنَّ ظفره بذلكم النصب ليس أعجب من ظفره بالانتساب الى أسرة « شيبان » العربيـة الكريمة مع انه من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاعجام ، ولكن الحظ السعيد يصنع الاعاجيب ، والقدرة الالهية تفعل ماتشاء من الغرائب ، ثم ختم دعابته القاسية بقوله :

إن للحظ كيمياء إذا ما مس كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله مايشاء .كما شا ء ،متى شاء ،كائناً ما كانا

* * *

إن خيال المعري — على انفساح جوانبه ، واتساع آفاقه ، ورحابة عوالمه — ليكاد ينكر على الطبيعة الانسانية ، أن تكون وفية ، ولا يتردد في إعلان ذلك في كل فرصة فيقول :

« من ادَّعى أنه وفيٌّ فلينتسب في سوى الأنام ! »

ولا يفتأ يصفها بأنها غادرة طافحة بالشر ، لا سبيل الى إصلاحها وتقويمها إلاّ اذا أذنت القدرة الالهية التي خلقتهـا وطبعتها على الشر ، وجبلتها على الأذيَّـة والعُـدوان . كما خلقت معدِنَ الحديد وجعلته صالحاً لصنع السيوف التي تسفك الدماء ، والحدائد تنعل بها أرجل الخيل التي تحمل المغيرين السفاحين . . :

« والله — مذ خلق المعادن — عالم أن الحدادَ البيضَ منها تُجعل
سفك الدماء بها رجال أعصموا بالخيل ، تلجم بالحديد، وتُنعَل

* * *

الله الذي أبدع الكائنات ، وخلق جواهر الأشياء ، وخواصَّ الموجودات ، هو وحده القادر على إصلاح هذا الينبوع المتفجر — في طبيعتنا الانسانية الفاسدة — ونضوب هـذا المعين الفياض بألوان النفاق والطغيان ، فهو يقول :

« يستقيم العالم اذا أذن إله المخلوقين »

ويناجيه شاعرنا الفيلسوف أبو العلاء فيقول :

« لا يعجزك ممتنع في العقول »

ويقول :

« يقدر ربنا أن يجعل الانسان ينظر بقدمه ،
ويسمع الأصوات بيده ،
وتكون بنانه مجاري دمعه ،
ويجد الطعم بأذنه ،
ويشم الروائح بمنكبه ،
ويمشي الى الغرض على هامته ...
الى أن يقول : وذلك — من القدرة — يسير »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتمثل القدرة الالهية وقد ذللت الوحوش الضارية المفترسة فجعلتها أليفة وديعة تحملنا كما تحملنا الخيل والبغال والحمير وما اليها، ثم يتمثل النعامة التي لا يقرّ لها قرار ، وقد حوّلتها القدرة حيوانا ذلولا هادئاً ، في مثل وداعة الجمل أو الحمار يستقر على جسمها الرَّحْل أو البرذعة ويوضع في فمها الزمام أو اللجام والبكم النصّ :

« لو شاء ربنا سخر لنا وحوش البر ، فنقلتنا نقل النعم الذلل ، وركبنا النعائم بأزمة وأقتاب »

أو يتمثل القدرة وقد غيرت مألوف ما تعودناه ، فأهلكت الثريا أو أبادت نجوم السماء قاطبة ، فيقول :

« يجوز بحكمه موت الثريا وأن تبقى السماء بلا نجوم »

* * *

حسبنا أن نجتزىء من ذلك الخضم الزاخر بهذه الأسطر القلائل التي قبسناها ، لندلّ على لمحة من آراء هذا الفيلسوف الشاعر في القدرة الالهية التي صاغت الطبع الانساني كله من طينة خائنة غادرة . غير وافية ولا شاكرة ، فاستحق ان يقول فيه :

« لو بعث طائر يختطف ، كل من فؤاده نَطِف (فاسد) لسلب الأرض أنامها

أو يقول :

« لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً لما تحصل شيء في الغرابيل »

الخيانة

وللمعري آراء طريفة في وصف الخيانة التي جبل عليها الطبع الانساني ، وتقسيمها وتتبعها بالتحليل والتمحيص . فهو يقرر أن للانسان طريقين يسلكهما لتحقيق ما تأصل في نفسه من غريزة الخيانة : طريقاً خفية مستورة . وطريقاً ظاهرة مكشوفة

فالأولى خيانة يستأثر بها الضمير الانساني وحده ، وليس يعلمها الا الله الخبير بما تنطوي عليه الجوانح وتفيض به القلوب من فنون الغدر وضروب النفاق . والثانية تشترك فيها أعضاء الجسم الانساني وحواسه ، وتساهم في اقترافها بأوفى نصيب ، فمنها :

« خيانة العين : اذا رأت ما لا يجوز لها أن تراه ،
وخيانة الأذن : اذا أصغت الى هجر القول وأذاه ،
وخيانة اللسان : اذا اخترع الحديث او افتراه ،
وخيانة الفم : اذا أكل الحرام أو اشتهاه ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وخيانة اليد : اذا اغتالت المال ممن حواه ، ولو بدده صاحبه وأفناه ،

وخيانة القدم : اذا مشت في طريق الأئمة وسلكت سبيل الغواة . وكل عضو أعان صاحبه على ارتكاب إثم ، او يسر له اقتراف خيانة ، فهو — كصاحبه — آثم خوان .. »

واليكم النص العلائي :

« الخيانة جنسان :

خيانة الضمير ، فتلك لا يشعر بها غير الله .

والخيانة الظاهرة ، تنقسم على أقسام :

خانت العين : بنظر واطلاع ،

والاذن : في إصغاء واستماع ،

واللسان : في قول واختراع ،

والفم : بما كل مضاع ،

واليد : في اكتساب مال المِسياع (المضيع لماله)

والقدم : إذا نقلها للاثم ساع

وكل عضو : أعانك على الخيانة فقد خان »

خيانة الضمير

وخيانة الضمير — فيما يرى شاعرنا — أقبح الخيانات ، ومتى فسد الضمير ، وخبث القلب وساءت النية ، فلن يصدر عن صاحبها الا كل قبيح فاسد:

« اذا اعتلت الأفعال جاءت عليلة — كحالاتها — اسماؤها والمصادر»

وكل ما يبديه العابد من ضروب العبادات وفنون الطاعات، عبث لا غناء فيه ، متى فسدت الضمائر ، وساءت النيات. فلا فائدة من الصوم ، اذا لم تخلص النفس ويطهر القلب، وتصدق العقيدة . ولن يصحَّ الصوم ، كما يقول : « إلا لمن جاهد وصام عن لحوم الناس »

«وصوم النية» — فيما يقرر ويثبت — «أفضل الصيام ، لأن الجوارح تتبع القلب ، وربما صامت اليد ، وأفطر اللسان ... الخ »

وماذا تجدي حلاوة اللسان إذا فسد القلب ، وخبث الجنان ! ولن ينفع أحداً معسول الكلام ، إذا أضمر الصاحب لصاحبه الغدر والخديعة

وفي هذا يقول متألماً : «اما الفم فسكيٌّ المنطق ، وأما نية الخلد فقطران »

ومتى كان الطبع الأنساني الذي يرمز اليهِ بالقلب مرة ، وبالضمير ثانية ، وبالغريزة ثالثة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبالمهجة أو النفس ، أو الفؤاد الخ ، ما دام ذلك الطبع — أو ما شئت فسمِّهِ من أسماء — هو المحرك للجسم وأعضائه ، فعليه وحده تقع تبعات كل ما يصدر عنها من جرائم وآثام . فهو يقول :

« وليس للسان ذنب انما الذنب لمحرك اللسان ، كفارس طعن برمح فقتل غير مستحق للقتل ، فالجاني الفارس ، والرمح غني عن الاعتذار . وإذا سعت القدم إلى قبيح ، فالجريمة لناقلها ، مثل رجل ركب فرساً ، فأخاف سبيلاً ، فاستوجب العقوبة الرجل دون الجواد ، وإذا خانت اليد ، فالباسط لها الخَبّ الخؤون ، كالمغترف من إناء جازه بإناء ، ما علم إناؤه بما كان . وإذا نظرت العين ، فتلك المصباح استعان بها السارق على اجتلاء بزّ وجهاز... الخ »

أو يقول: « لو خاف الجفن لسهر ، ولكن الفؤاد أشر »

فالطبيعة الانسانية — كما يراها شاعرنا — تستعين بكل ما تملكه من عتاد وقوة جثمانية لتبلغ ما تتوخاه من آراب خائنة فاجرة ، ونقائص مستورة وظاهرة

جريرة الجسم

على أنهُ لا يعفي الجسم أحياناً من اللوم والتعنيف ، فيقول

« فكيف لا تخبث النفس التي جعلت   من جسمها في وعاءٍ كله دنس »

أو يقول: « فإن لاجساد الأنام غرائزاً   إذا حركت للشر صاحبها لجّا »

والجسم بعد كل شيءٍ هو — فيما يراه — الأداة التي يحقق بها الطبع الانساني ما يتوخاه ، من شروره وأذاه

ثبات الطبع

وجمهور قوله وفلسفته تؤيد رأيهُ في أن الطبع راسخ رسوخ الجبال ، وان كل محاولة لتحويله ، إنما هي محاولة عقيمة لا تجدي ، فهو تارة يشبههُ بالهضاب فيقول :

« والطبع يثبت كالهضاب ، ومن يرم   نقلاً له ، يعجز ، ويعيَ بنقله »

ثم ينعته بالفساد ، ويعلن يأسه من إصلاحه فيقول :

« وجبلة الناس الفساد فضلَّ من   يسمو بحكمته إلى تهذيبها »

أو يقول :

« فلا تأمل من الدنيا صلاحاً   فذاك هو الذي لا يستطاع »

الطبع واللون

وتارةً يمثلهُ باللون ، ويمثل من يحاول تغيير طبعه بمن يحاول تغيير لونهِ ، ويسأل نفسه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سؤال اليائس : أيستطيع الغراب أن يبدل سواد لونه ، مهما بذل من جهد ، ويقول :

« وما فسدت أخلاقنا باختيارنا ولكن بأمر سببته المقادر
فقل للغراب الجون إن كان سامعاً : أأنت على تغيير لونك قادر؟ »

أو يقول :

« أتصح توبة مدرك من كونه أو آسود من لونه فيتوبا »

الطبع والهوى

وربما دار بأخلادنا أن نسأله لعله يفضي الينا بمصدر هذه النزعات الشريرة ، والأهواء الجامحة ، ومن أي معين تنبع ، ومن اي بذور تنبت ، لعلنا نقتلع تلك البذور الفاسدة ، ونستأصل دواعيها. فاذا وجهنا اليه هذه الاسئلة . أجابنا أروع اجابة فنية . فمثل لنا الطبع الانساني بالماء، ومثل لنا ما ينشأ فيه من نوازع واهواء، بالفقاقيع التي تنشأ على سطحه ، فقال :

« والقلب كالماء ، والأهواء طافية عليه ، مثل حباب الماء في الماء »

طبائع الاجيال

فاذا سألنا : « خبرنا يا شيخ المعرة : متى فسدت النيات ، وارتكست الطبائع ؟ أجابنا متثبتاً عابساً :

« مضى الزمان ونفس المرء مولعة بالشر ، من قبل هابيل وقابيل »

أترونهُ يعني ان الشر متأصل في النفس منذ آدم . والد « هابيل » و « قابيل » . من يدري؟ فلعله يرمي الى أبعد من هذا المعنى وأعمق . ولعله يعني ان الشر أقدم مما حسبنا فليس آدم — في مذهب العقل عنده — أول انسان . فلعل أوادم أخر قد جاؤوا قبله في غابر الأحقاب ، فهو يقول :

« وما آدم — في مذهب العقل — واحد ولكنه — عند القياس — أوادم »

أليس هذا — في مذهب العقل — ممكناً ؟ بلى ، وهو ميسور معقول :

«جائز أن يكون آدم هذا قبلهُ آدمٌ على إثر آدم »

فاذا سألناه متعجبين :

« ألم يصلح في أي زمن ؟ » أجابنا : « كلاّ لم يصلح الطبع في أي عصر من العصور ، ولم يكرم في أي جيل من الأجيال » قال :

« فالطبع في كل جيل طبع ملأمةٍ وليس في الطبع مجبول على الكرم »

ثم قال لنا : « هذه ارادة الله وقضاؤه ، فلنذعن لهذه الارادة ولا نعترض ، فانها :

جبلة الفساد واشجة إن لامها المرء لام جابلها »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فان سألناه : « وهل اختصت بالغدر والخيانة أمة دون أمة ؟ » أجابنا متثبتاً : « كلا ، بل هم في الغدر والخيانة سواء :

أحلل بمن شئت ، لا يعدمك نائبة خان اليمانون طراً والشآمونا »

فان قلت له : « لعل في غير أهل الشام واليمن ، من يرضيك من الشعوب » قال عابساً :

« كن من الروم أو من الترك او من الفرس أو من أي جنس من أجناس البشر ، واتخذ أي صورة من صور الاناسي فان هذه الصورة دليل على موفور شرك ولؤم طبعك ، وما دمت على صورة الانسان فهي بلا شك :

« صورة خبرت بأنك مجبو ل على الشر ، والمهيمن خازي
واختلاف من منصب وبلاد واتفاق على رضاً بالمخازي

الخير والشر

ان الشر — فيما يرى ابو العلاء — أصل تالد في الطبع ، والخير عارض طريف مستجد عليه ، كما أن الظلمة أصل والنور طارىء :

« وكأن الشر أصل فيهم وكذا النور حديث في الظلم »

وهو يرى أن كل ما يكتنف الباحث المنصف كفيل باقناعه بصحة هذا الزعم . فالطباع مجبولة على الشر : طباع الأغنياء والفقراء جميعاً . وهذا دليل على أنها تستقي من معين واحد . أنظروا الى ذلكم الفقير المعدم ، كيف يجزي حماره الذي يحمل عليه أثقاله أسوأ الجزاء ، دون أن يسلف اليه الحمار إساءة أو يجترح ذنباً . إنهُ ليرى حماره قد جهده طول سيره وأعجزه ثقل حمله ، فوقف برهة قصيرة لعلهُ يستجمع قوته ويستأنف سعيه ، فلا يكاد الحمار يتوانى عن السير حتى يثور صاحبه عليه مغيظاً مغضباً . وقد نسي في لحظة واحدة كل ما أسلفهُ اليه ذلكم الخادم الصابر من صنيع ، فيهوي على جسمه بعصاه ، دون أن تأخذه فيه شفقة أو رحمة . ذلكم ما يفعلهُ الفقير ، وهو أقل من الغني شراً [1] ، وأدنى الى تفهم معاني الرحمة والشفقة ومزاياها . فلننصت الى بيان المعري ، ولنمتع اذهاننا بتلك اللوحة الفنية الصادقة التي أبدع فيها تصوير تلكم المعاني الرائعة ، إذ قال :

« ألم تر أن الخير يكسبه الحجا طريفاً ، وأن الشر في الطبع متلد
لقد رابني مغدى الفقير بجهله على العير ضرباً ، ساء ما يتقلد
يحمله ما لا يطيق فإن ونى أناخ على ذي فترة يتجلد »

« يتبع »

---

(١) قال : « غنينا من عفاف النفس أفقرنا »

الاهداء : الى عدنان مردم بك اعجاباً بقصيدته «الورقاء»

القاهرة في ضوء القمر [1]

لمحمد فهمي

يشارفها البدر كالمستهام ويسكب من نوره اللؤلؤيّ
فتنعس في لجة من ضياء وتحلم ... يا حلمها العبقري
تأملْ تراها كزنجية ترامت على الشاطىء العسجدي
ومدّت ذراعين عبر الرمال وعبر حقول السنا السندسي
تغلّفها ساجيات الظلال ترفّ ببحر الضياء السني
كأن الوجود سنا مقلةٍ وتلك الظلال ... السواد الشهي !

* * *

توسَّدت النيل في مخدع يهدهده الموج عذبَ النغمْ
ويسكب في أذنها الغناء نشيد القرون عريق القدم
يزف لها راقصات المُنى توثَّب في ضمة تضطرم
فتغفو على صدره المستثار وتبسم اذ شاقها في الحُلم

* * *

رويدك ... هذي طيوف الدجى تهوِّم للفتنة النائمهْ
تطوف على رَبوات النيام تفاوحهم بالرؤى الباسمه
تخذنَ من الضوء ضافي الذيول ملاعب رأد السنا قائمه
تسلّقنَ من ومضات الشعاع ويسبحنَ في الموجة الحالمه
فكم في رحاب الفضا همسة وكم في اعالي الذرى هائمة ...

* * *

وخلف النوافذ كم من خليٍّ وكم من غريقٍ بأشجانهِ
ومن ساهر يشتكي بُرحهُ طواه الضنى بين أحضانهِ
ومنهزمٍ في صراع الحياة يضج الصرير بأسنانهِ
ومحتضن إلفه والمنى كطيرين في الروض في بانهِ
تَساقوا من الحب ريق النعيم فيا للخلود ورضوانهِ

* * *

أرى الكون نضَّد أعراسهُ ومدَّ سرادقه للسماءْ

---

[1] أوحتها الى الشاعر ليلة قمرية على جسر « اسماعيل »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأبدى المفاتن شتى العيون تأنّق في وشيها ما يشاء
وتوّجها بعروس الدجى مثير الفتون ورب البهـاء
فسلسل روح الهوى في الوجود ونشّره في رحاب الفضاء
وأشعل في كل حيّ جوًى ومس الجماد فلبى النـداء !

* * *

فيا ناعمين بظل الفراش الى البـدر هبوا لتمجيده
تجلّى على صفحات السماء ووشّعهن بتنضيـده
وفاض على الأرض من رونق سنا الخلد من لي بتخليده ؟
هنا فتنة الكون في عُرسها هنا موكب النور في عيده...

* * *

هنا النيل يبدو كحوريّة نضت تستحم بفيض السّنا
تموّجُ بالنور أعطافُها كأن بهنّ بريقَ المُنى
ويرنو لها البدر في قبلة فينتثر الماس أنّى رنا
ويرقص إشعاعُه في الضفاف على نغمٍ طائفٍ بالدُّنا

* * *

وسرّحتُ طرفيَ نحو الجزيرة تسفر في اللجّة المقمرة
فأبصرتُ فتنتها تستحيل ضباباً من النور في مجمره
بدا الأيكُ كالمسك في لونه سوادٌ . ولكن ما أبهره !
تحفُّ به خاشعات النخيل خشوع الخطيئة للمغفره

* * *

وقفتُ كأني على ربوةٍ من الخلد أو سدرة المنتهى
تكشّفُ أسرارها الرائعات مفاتنَ تعشي عيون النُّهى
تخـدرّها بعبير السناء وتحتضن الروح في أسرها
تفاوحها بسَماتُ الخلود تداعب مثل الرؤى جفنها
فتذهل سكرى على نغمة قبيل الملائك يحدو بها . . .

* * *

ولوّحتُ للبدر في نشوتي أفضتَ الضياء على الضفتين !
أرى النيل يخطر في بُردة بريق الشعاع وومض اللجين
وألبستَهُ وشيَ ما حاكهُ سناؤك من ريق النيرين
ألا اسكب ضياءك في راحتيّ فإني مددت لك الراحتين
لأنهل من نبعك المجتبي وأروي ، بقلبي لظى الشعلتين..

العداءون والسعاة

في العصور الاسلامية

بقلم : كوركيس عواد

نشأ في أيام الجاهلية غير واحدٍ ممّن اشتهر بسرعة العَدْوِ والتفوّق فيه حتى ضُرب المثل ببعضهم. منهم «الشَّنْفَري» الشاعر المعروف، و «تأبَّط شرًّا» و «عمرو بن برّاق» فقيل في أوّلهم « أعدَى من الشنفري »[1]. ومنهم « السُّلَيْك » و « المنتشر بن وَهْب الباهلي » و« أوفى بن مطر المازني » وقد سار المثل بأولهم أيضاً فقيل « أعدى من السليك »[2] وما نحن بسبيل تفسير مأتى هذين المثلين، فانّ قصة اطلاقهما معروفة مدوّنة في أغلب كتب الأمثال المتداولة

أما في العصور الاسلامية، فقد أصبنا أخباراً كثيرة تشير الى ما كان للعدّائين والسعاة من شهرة وخطر، وما كان لهم من مواقف جليلة دلّت على طول باعهم في هذا الميدان .

وقد اشتهر معزّ الدولة البويهي، المتوفي سنة ٣٥٦ للهجرة (٩٦٦ م) بكونه « أوّل من أجرى السعاة بين يديه، ليبعث بأخباره الى أخيه ركن الدولة سريعاً الى شيراز، وحظي عنده أهل هذه الصناعة، وكان عنده في بغداد ساعيان ماهران وهما فضل وبرغوش »[3]

ونظراً الى ما لقيه هذان الرجلان من تقدير الناس وإعجابهم بهما، فانهما « فاقا جميع السعاة، وكان كل واحدٍ منهما يسير في اليوم نيفاً وأربعين فرسخاً »[4]

فاذا اتبعنا قول بعضهم[5] ان الفرسخ يساوي خمسة كيلو مترات وسبعمائة وثلاثة وستين

---

(١) مجمع الامثال للميداني (١ : ٤٣٠ — ٤٣١ طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) وتاج العروس لمرتضى الزبيدي (٣ : ٣٠٨)

(٢) مجمع الامثال (١ : ٤٣١)

(٣) البداية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١١ : ٢٦٢) ومقالنا : الدار المعزية ببغداد (مجلة الثقافة، العدد ٢٢٠، ص ١٦)

(٤) تاريخ أبي الفداء (٢ : ٤٨٨ طبعة Reiske وهما فيه : فضل ومرعوش)

(٥) Encyclopédie de l'Islam, (Art. Farsakh, II, 75)

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

متراً ، بلغ ما كان يقطعه الواحد منهما في اليوم زهاء ٢٣٠ كيلو متراً ، وهي لعمري سرعة عظيمة لا تكاد تصدّق

وروَت بعض المراجع التاريخية بشأنهما أن قد « تعصّب لهما الناس ، وكان أحدهما ساعي السنّة والآخر ساعي الشيعة » (١)

وممّن أدرك شهرة بعيدة بين السعاة، بركة بن محمود الساعي» فقد روى ابن الفُوَطي في حوادث سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) أنّ فيها « توفي بركة بن محمود الساعي ، المشهور بالسعي والعدو . وكان من أهل الحربية (٢) سعى من واسط الى بغداد في يوم وليلة . ومن تكريت الى بغداد في يوم واحد . وحصل له بسبب ذلك مال كثير وجاه عريض ، واتصل بخدمة الخليفة الناصر لدين الله وجعلهُ أخيراً مقدّماً لرجال باب الغرَبَة (٣) فكان على ذلك الى أن توفي » (٤)

ولا يخفى ان المسافة بين واسط وبغداد بطريق السيارة تبلغ نحواً من ٢٤٧ كيلو متراً ، كما ان المسافة بين بغداد وتكريت بطريق السكة الحديدية تبلغ ١٠٧ أميال ، أي نحواً من ١٧٢ كيلو متراً

***

وقد روَى شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي ، نقلاً عن الأسدي « في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، قال الذهبي : وفي جمادى الآخرة ، جرى بركة الساعي من واسط الى بغداد في يوم وليلة ، وهذا شيءٌ لم يسبق الى مثله ، وخُلع عليه خلع سنية وحصل لهُ مال» . انتهى . وقال« في سنة سبع وثمانين وخمسمائة قال ابن البزوري : وفي جمادى الآخرة، عَدَا بركة الساعي من تكريت الى بغداد في يوم، ولم يُسبَق إلى مثل هذا ، وحصل له خلع ومال طائل » (٥)

وممن طالت شهرتهم في مضمار السعي والعدو «معتوق الموصلي المعروف بكوثر الكلام » فانهُ في سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) جرى « من واسط الى بغداد في يوم وليلة سوى ساعة ،

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير (٨ : ٤٢٥ طبعة تورنبرج)

(٢) من محلات بغداد القديمة ، لها ذكر في كتب البلدان والخطط والتاريخ

(٣) بفتح أوله وثانيه . كان أحد أبواب دار الخلافة المعظمة ببغداد . راجع معجم البلدان (مادة : الغربة ٣ : ٧٨٣ طبعة وستنفلد)

(٤) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (ص ٢٥ — ٢٦)

(٥) اللمعات البرقية في النكت التاريخية (ص ٢٥)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأعطي خلعاً عدّة واموالاً من الدولة والتجار ، لحصل له عشرون فرساً وخمسة آلاف واربعمائة دينار وخلع قوّمت بألف وسبعمائة دينار »[١]

أشار ابن الفوطي إلى انّ الساعي معتوقاً هذا ، جري في سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) « من دَقوْق [٢] ساعياً على قدمه ، فوصل كشك [٣] الملكية (ببغداد) ودخله ، وكان الخليفة [٤] هناك ومعهُ الشرابي وهو استاذه ، ثم خرج من الكشك وعاد الى الوقف ، ثم رجع الى الكشك ، وقد تخلّف من النهار ساعة ونصف . فقبّل الأرض بين يدي الخليفة ، فتقدم له بخمسمائة دينار ، وأعطاه الشرابي ثلثمائة دينار ، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير » [٥]

وكان ممن أصاب سمعة بعيدة في العدو والسعي « علي بن الاربلي » وذلك على ما رواه ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م من انه سعى « من دقوقا إلى بغداد ، فوصل بعد العصر ، وفضل على معتوق الموصلي المعروف بالكوثر نصف ساعة ، ودار حول الكشك شوطاً وخرج الى التفرّج عليه المستعصم بالله وأولاده وجلسوا في الكشك الى حين وصوله. وكان هذا المذكور مختصّاً بخدمة الأمير مبارك ولد الخليفة ، فأمر له بفرس من مراكبه وخلعة وذهب ، ودار من الغد في البلد بالطبول والبوقات ، لحصل له شيء كثير » [٦]

والذي يبدو لنا من كلام القلقشندي المتوفي سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨م) أن أمر السعاة لبث جارياً برسومه ومظاهره إلى زمنه فقد قال : « واستمرّ حكم السعاة ببغداد إلى زماننا ، حتى انّ منهم ساعيين لركاب السلطان يمشيان أمامه في المواكب وغيرها على قرب »[٧]

ثم أضاف الى ذلك قوله : « وقد رأيتهما في خدمة السلطان احمد بن أويس [٨] صاحب بغداد حين قدم مصر في دولة الظاهر برقوق فارًّا من تمر »[٩]

وبعد ذلك وصف القلقشندي ما كان عليهِ السعاة في مصر فأجاد أحسن الإجادة بقولهِ:

---

(١) دول الاسلام للذهبي (٢ : ١٠٠ طبع حيدر اباد) ، واللمعات البرقية (ص ٢٥)

(٢) دقوق : وقيل فيها قديماً دقوقا ودقوقاء : تسمى اليوم طاووق تصحيفاً عن التسميات السابقة . وهي مركز ناحية في جنوب مدينة كركوك بالعراق ، على بعد ٢٨ ميلا منها . والمسافة بين دقوق وبغداد زهاء ١٧٠ ميلا

(٣) الكشك لفظ تركية بمعنى القصر أو البناية تتخذ للتفرج . وأصلها كوشك
راجع Redhouse : Turkish and English Lexicon, (Constantinople, 1890 ; p. 1595)

(٤) هو المستعصم بالله العباسي (٥) الحوادث الجامعة (ص ٢٩١) (٦) الحوادث الجامعة (ص ٢٣٤)

(٧) صبح الاعشى (١ : ١٢٧) (٨) من سلاطين الدولة الجلايرية بالعراق. مات سنة ٨١٣ هـ

(٩) صبح الاعشى (١ : ١٢٧)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« أما الديار المصرية ، فانه لا يتعانى ذلك عندهم الا خفافُ الشباب من مكارية الدواب ونحوهم ممن يعتاد شدة العدو ، الا انه اذا طرأ مهمّ سلطاني يقتضي إيصال مُلطف مكاتبةً عن الأبواب السلطانية إلى بعض النواحي وتعذّر إيصاله على البريد لحيلولة عدوٍّ في الطريق أو انقطاع خيل البريد من المراكز السلطانية لعارض ، انتدب كاتب السرّ بأمر السلطان من يعرف بسرعة المشي وشدة العدو للسفر ليوصل ذلك الملطف الى المكتوب إليه والإتيان بجوابه . وربما كتب الكتابان فأكثر الى الشخص الواحد في المعنى الواحد ، ويجهز كلّ منهما صحبة قاصد مفرد خوف ان يعترض واحد فيمضي الآخر إلى مقصده كما تقدم في بطائق الحمام الرسائلي وقد اخبرني بعض من سافر في المهمات السلطانية من هؤلاء انهم في الغالب عند خوف العدوّ يمشون ليلاً ويكمنون نهاراً ، واذا مشوْا في الليل يأخذون جانباً عن الطريق الجادة ، يكون بين كل اثنين منهم مقدار رمية سهم حتى لا يُسمَع لهم حسّ فاذا طلع عليهم النهار كمنوا متفرقين مع مواعدتهم على مكان يتلاقون فيه في وقت المسير » [1]

ولم نقف فيما انتهى الينا من أخبار ، على ما كان يتقاضاه السعاة من أجر معلوم على أسفارهم . ولا شك ان مقدار ذلك الاجر كان يختلف باختلاف الزمان والمكان : فالعدو لا يكون في فصول السنة على وتيرة واحدة ، فقد يتعسر في بعضها ويتيسر في بعضها الآخر كما انهُ يكون في اوقات الحروب والفتن أصعب منالاً منهُ في أيام السلم والرخاء . ولا يغربنّ عن البال ما كان يلاقيهِ السعاة في سيرهم من تصدي البدو لهم وتعرض بعض الناس لهم بصنوف الشر والأذى ، من قتل وسلب وأسر ، وما كان يترتب على ذلك من تأخير نقل الاخبار او وصولها الى أيدي العدو ، او ذيوعها بين من لا ينبغي ان يقف عليها ، وفي ذلك كله من الضرر والبلاء على مرسليها ما فيه

***

وخلاصة القول ، ان العَدْوَ في أيام الجاهلية كان عملاً فرديًّا لا فائدة منهُ تذكر للمجتمع . ثم انتظم حاله في العصور الاسلامية ، فصار الملوك والولاة والاعيان والتجار وغيرهم يستفيدون ممن أوتي سرعة السير فيستخدمونهم في شؤونهم المستعجلة وأشغالهم التي في تأخيرها فساد أمرهم . فكان من ذلك انتشار السعاة العدّاءين على ما أوضحناه في مطاوي بحثنا

(بغداد)

(١) صبح الاعشى (١ : ١٢٧) . وتجد اختصار هذا الوصف في ضوء الصبح المسفر للقلقشندي (١ : ٤٦)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نباتات الصناعة في مصر

قديماً وحديثاً

لمحمود مصطفى الدمياطي

١ — الكتان

تأتي نباتات الصناعة في الزراعة المصرية من أقدم العصور وتحتل مكاناً عظيماً بجانب نباتات الغلال والعلف . ولما كان الكتان [١] أهمها فسأبدأ به فأقول : إنهُ وان كان موطنهُ الأصليّ مجهولاً الاّ انهُ من غير شك قد دخل وادي النيل من آسيا القريبة من أقدم العصور تدل على ذلك الصور الموجودة على مقابر فراعنة العائلة الثانية عشرة في الكوم الأحمر وبني حسن فانها تمثل لنا مختلف الأدوار لهذا المحصول من حيث نقعه وغزله ونسجه وانهُ كان مستعملاً في صناعة الأقمشة من قديم الزمن . وقد اتضح بالفحص المجهريّ ان لفافات الموتى (الموميات) اتخذت من الكتان الخالص . قال هيردوتوس انهُ كان مفروضاً على كهنة المصريين القدماء ان تكون ثيابهم من الكتان . وقد عثر العلماء على مقدار كبير من ثمار الكتان في المقابر القديمة وعزا انجر غالب ما فحصهُ منها الى الكتان الكثير الاستعمال [٢] لكن شفينفورت بعد أن فحص عدداً كبيراً من بزور الكتان التي عثر عليها ماريت حقق أن بعضها كان من الكتان السافل [٣] الموجود الى وقتنا هذا في سوريا وفي الحقيقة يمكن اعتباره صنفاً أصغر من الكتان الكثير الاستعمال فهو وسط بين النوع السافل والكثير الاستعمال الذي يقال بأنهُ يزرع اليوم بكثرة في مصر والحبشة

---

(١) ويسمونه في سوريا « الزير » «والفرق »

(٢) اسمه النباتي .Linum Usitatissimum L وبالانجليزية Common flax وبالفرنسية lin commun وبالهندية « ألسي» وبالهيروغليفية والقبطية « محي » وبالحبشية « تلبا» و«اتاتيه »

(٣) اسمه النباتي .Linum humile Mill وبالفرنسية lin à tige basse

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم ان برُون بحث ثلاث بزور كانت محفوظة بمتحف برلين فوجـد اثنتين منها من نوع الـكتان السافل والثالثة من نوع ثالث هو الـكتان الضيق الورق [١]

وقد كان الـكتان يمثل مع الشعير والبُـر مزروعات مصر الفرعونية الأساسـية . وهو عشب سنويّ لهُ أوراق رمحية وزهر أزرق يزرع بمصر وما يليها وفي أوربا وعلى الأخص في روسيا

قال جورج پوست «ولتحضيره ليكون صالحاً للحياكة ست درجات اولاً تنقيته من العلب البزرية . ويتم ذلك بشده بين اسنان نوع من المشط . ثانياً نقعهُ حتى يفرز الهلام من المواد الخشبية وتَرتخي اليانهُ ويتم ذلك بتحزيمه ووضعه في غدير او نهر وابقائهِ من ثمانية أيام الى اثني عشر يوماً . رابعاً التبييض وهو ان تفك الحزم وتنشر الالياف على العشب حتى تبيض وتنفصل بفعل حرارة الشمس والمطر . خامساً الفتل وهو ان تتكسر المادة الخشبية وتنفصـل من الالياف . سادساً التسوية وهي ان تجر الالياف بين أسنان نوع من المشط لاجل تسويتها ونزع كل بقايا الاوساخ والقشور » ويعتصر من البزور زيت الـكتان المعروف بالزيت الحارّ أما الـكتلة التي تبقى اي الثفل فتصنع منها اقراص الـكُسْب وهي علف جيد للمواشي . وجاءَ في كتاب طبيّ هنديّ أن الثياب المصنوعة من الـكتان تمنع الحرارة وتقلّـل العرق وتجففهُ وان الـكتان مفيد للجرب والحكة والورم الصلب والتبخر بنباته يفتح انسداد الانف ويرفع الزكام

***

الأعلام في هذا المقال

هيردوتوس (Herodotus) المؤرخ الاغريقي

ولد في كپدوكية بآسيا الصغرى حوالي ٤٨٤ ق . م وقد أكثر من الترحال ومات على الأرجح في ٤٢٤ ق . م. ومصنفه في التاريخ عبارة عن تسعة كتب مدونة باللهجة الاغريقية تشتمل على التاريخ القديم لمملكة فارس (ايران) وليديا ومصر لـكن موضوعها الاصلي هو ما حدث من كفاح بين الاغريق والفرس وانتهى في ٤٧٨ ق . م

***

فرانز انجر (Unger, Franz)

ولد في إستيريا في ١٨٠٠ ومات بجراتز في ١٣ فبراير ١٨٧٠ نباتي نمسويّ شهير وعالم

(١) اسمه النباتي .Linum angustifolium Huds وبالانكليزية pale-flowered flax وبالفرنسية lin sauvage

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالحفريات كان استاذاً لعلم النبات في جامعة ڤينا من ١٨٥٠ وذاع صيته وعلى الأخص من أجل بحوثه في تشريح النباتات ووظائف اعضائها وفي علم النبات الحفريّ

***

جووج أوغست شفينفورت (Schweinfurth, Georg August)

ولد بريجا من لفونيا (لتڤيا) في ٢٩ ديسمبر ١٨٣٦ ومات ببرلين في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٥ رحّالة بافريقية ونباتيّ قام باستكشاف نباتي في وادي النيل بين سنتي ١٨٦٤ — ١٨٦٦ وتجوّل بين قبائل الدنقة والديور والبنجو في ١٨٦٨ وبين قبائل النيام نيام والمنبتو والعقاء في ١٨٧٠ واستكشف نهر الول ثم عاد الى الخرطوم في ١٨٧١ ومنها الى أوربا . وبين سنتي ١٨٧٣ — ١٨٧٤ ارتاد الواحة الخارجة وأسس بين سنتي ١٨٧٤ — ١٨٧٥ الجمعية الجغرافية بالقاهرة حيث استقرّ منذئذٍ . وقد قام باستكشافات نباتية ومعدنية بالصحراء بين النيل والبحر الاحمر بين سنتي ١٨٧٦ — ١٨٨٨ وتشمل مصنفاتهُ كتاباً عنوانه « في قلب افريقية » (١٨٧٤) وكتباً في علم النبات وكتاباً عنوانه « الفنون الافريقية » (١٨٧٥) وغيرها

***

أوغست ادوار ماريت (Mariette, Auguste Edouard)

ولد ببولوني في ١١ فبراير ١٨٢١ ومات بالقاهرة في ١٨ يناير ١٨٨١ فرنسي عالم بالعاديات المصرية اشتهر باستكشافاته في مصر التي بدأها بالحفر عن سيرابيوم وعجول آبيس في ١٨٥٠ وهو منشيء المتحف المصري ببولاق سابقاً ومدرسة علم العاديّات الفرنسية والمعهد المصري ومن ضمن مصنفاته «سيرابيوم ومنف» (١٨٥٧ — ١٨٦٠)و« الكرنك » وغيره (١٨٧٥) و « لمحة في تاريخ مصر » و « دندرة » (١٨٧٠ — ١٨٧٦) و « ابيدوس » (١٨٧٩) و « الدير البحري » (١٨٧٧) و « آثار منوّعة » (١٨٧٦) و « دليل المسافر والسائح في مصر العليا » و « المصاطب »

***

اوغست اميل برون (Braun, August Emil)

ولد بجوتا من المانيا في ١٩ ابريل ١٨٠٩ ومات بروما في ١٢ سبتمبر ١٨٥٦ المانيّ كان عالماً بالآثار القديمة وطبيباً يعالج الامراض بأدوية تجانس الداء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحديد والدم

ليس هذا العنوان عنوان فصل في الحرب وويلاتها ، ولا في سياسة القوة ، بل هو عنوان فصل موضوعه أهمُّ من الحرب ، وأعرق أصلاً في الحياة من السياسة . انهُ عنوان جواب عن سؤالٍ مؤدَّاه : لماذا نحتاج الى الدم في عروقنا ؟ ففي عروق المرء ما يعدل جالوناً من الدم فاذا فقد نصفهُ فقد الحياة . وقد يكون الجواب عن هـذا السؤال ميسوراً على وجهٍ عام . ولكن اذا عدوتَ التعميم الى التخصيص وجدتَ في ثنايا الجواب طرائف علميـة ، وفوائد عملية كثيرة

للدم وظائف متعددة . فهو ينقل الطعام بعد امتصـاصهِ من الأمعاءِ الى سائر أجزاء الجسم . وهو ينقل الماء ونفاية الجسم الى الكليتين لافرازها . ولكنَّ وظيفته المقـدمة على غيرها ، هي نقلهُ الاكسجين من الرئتين الى العضلات وغيرها من الأعضـاءِ ثم نقل ثاني اكسيد الكربون من العضلات الى الرئتين . ونقول ان هذه الوظيفة مقدمة لأن الحاجة الى هذا التبادل متصلة دائمة كل دقيقة من الحياة

والمعروف ان قدرة السوائل العادية على امتصاص الاكسجين يسيرة فلا يصلح أحدها ليحل محل الدم في العروق ولكن الدم يحتوي على مادة خاصة تمكنه من امتصاص الاكسجين وهي مادة الهيموجلوبين ومن أعجب خواصّها يُسر اتحادها بالاكسجين ويسر انفصالها عنهُ

والهيموجلوبين ارجوانيُّ اللون . واذا شئت أن ترى لونهُ ، فعليك بوَخز انملك وتقطير الدم منهُ في كوب من الماء حتى يصبح المحلول في الكوب أحمر اللون . ضع هذا المحلول في زجاجة وأضف اليهِ بلورة من « ايدروسلفور الصوديوم » فيتحد بالاكسجين ويصبح اللون ارجوانيًّا ثم رجَّ المحلول حتى يتخللـهُ الهواء أو انفخ فيهِ بماسورة ، فيرجع لون المحلول احمر بعدما كان ارجوانيًّا . وهذا هو ما يحصل كل دقيقة في الجسم . فالدم في الوريد ، المنقولُ من العضلات وسائر الأعضاءِ الى الرئتين ، قاتم اللون . فاذا نفخت فيهِ غاز الفحم تحوَّل ورديًّا وبقيَ ورديًّا ولو مزجتهُ بايدروسلفور الصوديوم . وفي هذه الحالة يكون الهيموجلوبين قد اتحـد باول اكسيد الكربون وغدا غير صالح لنقل الاكسجين . فالدم الأحمر الذي يبقى احمر اللون ، لا ينفع للنهوض بهذه الوظيفة الحيوية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومادة الهيموجلوبين مادة بروتينية ، أي انها مؤلفة من جزيئات كبيرة معقدة كالجزيئات التي توجد في اللحم والبيض والجبن . ولكنها تختلف عن معظم البروتينات في انها تحتوي على حديدٍ . ومقدار الحديد في الجسم ليس كبيراً فهو لا يزيد على نصف أوقية ، ولكنهُ حيوي ولا غنى عنهُ ، ومن أسهل الامور ان يشتد عوز الجسم الى الحديد

ومادة الهيموجلوبين يصنعها الجسم في نخاع العظم ، واجزاء الدم التي تحتوي عليها هي الكريات الحمر ، وأمد حياة هذه الكريات شهر تقريباً ولكنها عند ما ينتهي أمدها وتنبذ في الكبد ، يعود معظم حديدها الى نخاع العظم . فاذا كان مقدار الهيموجلوبين في الدم قليلاً قيل ان صاحبه مصاب بفقر الدم (انيميا) . والانيميا من الامراض الواسعة الانتشار ولا سيما بين النساء

فمن نحو اربعين سنة اخترع باحث بريطاني يدعى هولدين (وهو والد العالم هولدين المعاصر J. B. S.) جهازاً يقيس به مقدار الهيموجلوبين في قطرة من الدم قياساً دقيقاً . وجربهُ على جماعة كبيرة من الناس مختلفي الأعمار والجنس . فاستوقف نظره على وجه خاص ان الهيموجلوبين في دم النساء اقل منهُ في دم الرجال ، الاَّ في حوادث نادرة . وقد كان ظن الاطباء ان هذه الصفة مما تميز بها النساء . فمعدل جسم المرأة اقل من معدل جسم الرجل . وكذلك معدَّل الهيموجلوبين في دمها اقل منه في دم الرجل . ولكن في سنة ١٩٣٦ وجد الطبيبان الباحثان « ماكانس » و « ويدوسن » ان دم النساء في الطبقات الراقية من المجتمع ينقصه الحديد ، وان معظم هؤلاء النساء زدنَ معدَّل ما يصنع من الهيموجلوبين في أجسامهنَّ عند ما زيد معدل ما في طعامهن من حديد . وكذلك ثبت ان نقص الهيموجلوبين في دم المرأة ليس صفة خاصة وراثية بل مرجعهُ الى عوامل خارجية

وأحد هذه العوامل ان النساء يفقدنَ كلَّ شهر مقداراً من الدم فحاجتهنَّ الطبيعية الى الحديد للتعويض أعظم من حاجة الرجال اليهِ ، ولكنهنَّ يأخذنَ منهُ اقلَّ مما يحتجنَ اليهِ . وهذا النقص في الحديد يستطاع تعويضه بأكل الاطعمة التي تتيحهُ سائغاً مقبولاً . فكثير من الاطعمة يحتوي على حديد ، ولكنهُ في بعضها غير سهل الهضم . وفي طليعة المواد التي يكثر فيها الحديد ، الكبد والكاكاو والبقدونس وحبوب الفاصوليا والحمص والعدس والخبز الأسمر والبيض . اما الاسبانخ فلا يعد في طبقة الخضر الغنية بالحديد . واللبن وهو من اقرب الاغذية البشرية الى الكمال حديدهُ قليل ، والحديد في البيرة اقل منه في اللبن . وكثير من الأدوية المحضرة تحتوي على املاح الحديد وتصلح لسدّ نقصهِ ، ولكن زجاجة دواء ثمنها عشرة قروش مثلاً لا تحتوي — بحسب رأي الاستاذ هولدين — الاَّ على قدر يسير جداً من املاح الحديد ، فخير من ذلك انفاق القروش العشرة في شراء قطعة من الكبد أو علبة من الكاكاو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الشيخ حسين والي

للشيخ محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

تفضل المقتطف الأغر وطلب مني ترجمة قصيرة للمغفور لهُ الاستاذ الشيخ حسين والي . والمقتطف حين يفسح مجالاً لمثل هذه الترجمات يضيف فضلاً الى أفضال يعرفها لهُ صفوة الناطقين بالضاد في شرق العالم وغربه . وها هو ذا اليوم يرى من الخير الكثير أن يعمل ، بقدر ما تسمح لهُ أزمة الورق القاسية، على تحقيق ما تمناه الكثيرون من ترجمة أعلام الأزهر ليكون من مجموع هذه التراجم تاريخاً للازهر ولمصر في ناحية من نواحيها في عصور طويلة مختلفة [1]

﴿ نشأته ﴾ الشيخ حسين والي فرع من شجرة طيبة ! فهو ابن المرحوم الشيخ حسين والي بن ابراهيم والي بن اسماعيل والي بن وهدان والي الذي ينتسب الى السلطان عامر بن مروان الحسيني ابن السلطان موسى الكاظم الحسيني الذي ينتهي نسبه إلى الإمام علي كرَّم الله وجهه . ووالده كان من أعيان علماء عصره ، إذ كان مدرساً في الازهر والمدرسة التجهيزية ، واليهِ الاشراف على طلاب المدارس وامتحاناتهم في اللغة والدين ، كما كان أستاذ المغفور له الخديو توفيق ، ومن الشعراء المعدودين

ولد رحمهُ الله عام ١٨٦٨ م ببلدة « منية أبي علي » من أعمال مركز الزقازيق باقليم الشرقية ، ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان حافظاً للقرآن ، ثم انتقل للقاهرة وانتسب للأزهر وأقام مع الشيخ الوالد في قصر عمهِ المرحوم بهجت باشا ناظر المعارف والأشغال في عهده [2]. وفي الأزهر أخذ العلوم العقلية والنقلية عن أبيه ومشهوري الشيوخ المعروفين : البشري والأشموني والنشوي والبرديني وغيرهم ، وجاز امتحان العالمية عام ١٩٠٠ م بعد وفاة الوالد ببضع سنين بين يدي لجنة كان من أعضائها الشيخان محمد عبده ومحمد النجدي شيخ مذهب الشافعي حينذاك . ومن ذلك الحين أخذ نبوغه يتجلى في مظاهر مختلفة أكتفي

---

(١) انتفعت في هذا البحث كثيراً بكلمة قيمة كتبها لهذا الشأن فضيلة الاخ الوفي الاستاذ الشيخ فراج المنياوي الذي عرف عن الشيخ بصحبته له ما لا يعرف ذوو قرباه

(٢) تشغل مدرسة محمد علي الابتدائية وقسم السيدة زينب بعض مكان هذا القصر حينذاك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالكلام عن ناحيتين اثنتين ، هما : التأليف والشعر ، والمناصب التي وليها في الازهر والأعمال العامة التي اضطلع بها أو شارك فيها

﴿ عملهُ في التأليف ﴾ لم يعرف الشيخ نظام الجزازات الذي سهّل على علماء الغرب متاعب البحث والتأليف ، ولكنه استعاض منه بكناشات يكتب فيها ثمرات اطلاعه وبحثه في المواد المختلفة ، عازياً ما ينقله بدقة الى أصوله حتى يكون منه على حبل الذراع حين الحاجة ، ومن ثمَّ كان ما يبهر به القراء من الردود العاجلة المفحمة في المسائل التي يشجر فيها الخلاف ويمتد الى الصحف . وأذكر اني ما زرته يوماً إلاَّ ورأيته مكبّاً — في الأوقات التي يركن فيها غيره للراحة — على بعض ما زخرت به مكتبته الحافلة يقرأ ويقيد ، أو عاكفاً على كتابة بحث يستشير فيه شتى المراجع حتى انه عند ما عُنينا بَعيد وفاته بترتيب حجرته وجدنا على سريره وحواليهِ نحواً من ثلاثمائة مجلد من عيون المراجع العلمية كان يجعلها دائماً بين يديه

وقد أعانه عقله القوي وصبره على البحث والمراجعة على الكتابة في كثير من العلوم ، حتى ترك في بعضها مؤلفات نفيسة ، طبع منها النزر وبقي أهمها · كتب في فقه الشافعية كراسات تزيد على الستين كلها تعليقات على مراجع المذهب الأصيلة ، وألّف في علم الحيوان كتاباً لطيفاً يناهز الثلاثمائة صفحة ، وفي علم الكلام وتاريخه ، وعلم أدب البحث والمناظرة وتاريخه ، كما كتب في آداب اللغة وتاريخها ثلاثة مجلدات ضخام ، وفي « اللغة » كتاباً كبيراً ينيف على الستمائة صفحة . تناول فيهِ : اللغة وعوامل نشأتها وتطورها واختلافها ، وأسباب نمو اللغة العربية وتعدد لهجاتها ، وما دخلها من ألفاظ غريبة عنها مبيناً أصل هذه الألفاظ ، وفي رأيي ان هذا الكتاب من خير ما كتب وحريٌّ بالأزهر أن يعمل على نشره . وله في غير هذه العلوم تآليف أخرى لا سبيل الآن لاستقصائها

إلاَّ انه مما يجدر ملاحظته ان هذه المؤلفات كلها ، ما عدا كتاب آداب اللغة وتاريخها ، يرجع تاريخ كتابتها الى ما قبل ولاية ما ولي من مناصب وأعمال كبيرة في الازهر وغير الأزهر · ومعنى هذا — فيما أرى — ان من الخير أن يخصص جماعة من العلماء المبرزين للتأليف على أن تضمن لهم الدولة الحياة الطيبة الراضية · واذكر اني ذهبت يوماً لرؤية الشيخ رضوان الله عليه فسألني — كما تعوَّد — عما في الدنيا ، فقلت له : لا شيء إلاَّ حديث الناس اليوم عن محاضرة للشيخ عبد العزيز شاويش خاصة بما سماه « جغرافية القرآن » وعما دعا اليه من تأليف جماعة من كفاة العلماء تنتدب نفسها لوصف ما في القرآن من أماكن وبلدان وترجمة ما يرد فيه من أعلام . فقال : « الأمر جليل ، ولكن يكفي فيه أن يفرغ له عالم ثبت يكفى أمن الدنيا» وجعل يملي عليَّ فوراً — كما اقترحت عليه ما يتصل بآدم عليه السلام ومهبطه .... !

ولعلَّ مما تميز به الشيخ بين نظرائهِ من جلة العلماءِ عناية في تأليفهِ بالنواحي التي كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يُظن أنها غريبة عن الازهريين ولا يمكن أن يكون لهم الفوق فيها ، ومن هذه النواحي اللغة وتاريخ آدابها ، وتاريخ العلوم. وإني اعتقد أنهُ أدرك تماماً ما في البحث في تلك النواحي من خير كثير نخصها بكثير من جهده ، وهل خير من أن نعرف من تاريخ علم الكلام الدخيلَ في العقائد الدينية فلا نحرص عليهِ ونتعصب له بالباطل ، فيكون سبباً من أسباب الفرقة بين المسلمين ! وإذا كنت لا استطيع — قصداً في الورق والقول — أن أتناول بالبحث والتحليل جانباً من مؤلفاته فإني أود أن أشير الى ما كان منه في « كتاب التوحيد » المطبوع عام ١٩٠٩ ، من شجاعة في قول الحق ، ورحابة صدر جعلتهُ يرى رحمة الله تتسع لمن تبلغهُ دعوة الرسول على وجهها الحق ، ويكفي أن تسمعهُ يقول :

« فلا تنكر على معتزلي أو غيره كلامه حتى تتدبره ، فليس كلام المعتزلي او غيره خطأ ، وإنما الخطأ » بعضه [1] وإلى قوله في نشأة علم الكلام للرد على الزنادقة وأمثالهم الذين انتهى أمرهم ، وفي كتبهِ التي لا جدوى الآن من دراسة الكثير منها : » أما تلك الكتب فإن فيها حجباً كثيفة تمنع النور وتحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد صحيح ثابت ....

أمن الحزم أن يضيع الانسان عمره في الاشتغال بخصوم موهومة ، وربما كانوا ناجين لأنهم غير كافرين ! أمن الحزم ان يبحث الانسان في الجوهر والعرض ، ولا يبحث في الكتاب والسنة ليستفيد علماً خيراً من هذا نافعاً في كل وقت ..! ان الجوهر والعرض أصبحا في نسيان بجانب الكهرباء وغيرها مما عرف اليوم ، فهل أخذوا — يقصد جمهرة الازهريين — في معرفة ذلك حتى يفيدهم في الكلام ما أفادهم ذاك ؟ حاش لله ان يأخذوا » [2] وأخيراً ، لنسمع اليهِ يقول في معذرة من لم يبلغ اليهِ الاسلام مبيناً بياناً كاملاً : وهذا يقتضي أن كثيراً من الافرنجة الذين هم باوربا وغيرها يعذرون ، لان الدعوة لم تبلغهم على وجهها ! فان الرعاة والرعية من المسلمين استكانوا لامورهم الخاصة ، حتى عضهم الزمان بنابه ، فجهلوا أمورهم العامة وجهلوا لسان الكتاب (القرآن) ، ولو انهم علموه لكان تقصيرهم في معرفة اللسان الاعجمي حجاباً بينهم وبين ذلك الأمر الجلل ، كما هو حجاب بينهم وبين العلم والصناعة في هذا الزمان ! وان أناساً من أهل اوربا وغيرها فيهم ذكاء شديد وعندهم علمٌ صحيح وميلٌ الى المعرفة ، فأخذوا يبحثون بأنفسهم ويمعنون النظر حتى وصلوا الى الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا في دين الاسلام عن رأي سديد ونظر ثاقب ، ومهدوا للاسلام سُبلاً لم يمهدها أهله ، واولئك خير من كثير من المسلمين ، ولولا أن الاسلام دين الفطرة لما اهتدوا إليهِ. وإني أراهم يقوّموز قومهم يتلو بعضهم بعضاً في أزمان ثم نأخذ عنهم ، وان ديناً يقوم بنفسه لا بأهله لدين صحيح »

(١) ص ٧٦ (٢) ٧٨ — ٧٩

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿ شعره ﴾ لقد عرف — فيما عرف به — بالامامة في فقه الشافعية وفي اللغة وآدابها وعلومها ، وعرف مع هذا كله بالشعر الجزل الشديد الأسر المتين النسج ، وبخاصة بالشعر التاريخي الذي يبين الشطر الاول منهُ عن التاريخ الهجري والشطر الثاني عن التاريخ الميلادي. وقد تفنن في هذا الضرب من الشعر تفنناً لا يجارى فيه، وترك منهُ طائفة كبيرة تكفي لتخليد ذكره ، لولا بيئة الأزهر الخاصة التي جعلته لا يجهر به

من هذا اللون من الشعر قصيدة سماها : « شوارة عكاظ » ، قالها في مدح الشيخ محمد عبده، وبدأها بالفخر بنفسه وهمته وهي طويلة في خمسين بيتاً، يؤرخ المصراع الاول من كل منها عام ١٨٩٨م ، والمصراع الآخر عام ١٣١٦هـ ، كما ان عنوانها يؤرخ عام انشائها بالتاريخ الميلادي

ونظن أن من الحق أن نقرر — كما أشرنا — ان الشيخ برع في هذا النوع من الشعر براعة لا يلحق فيها ! وحسبنا أن نشير الى أن له كتاباً لا يزال مخطوطاً سماه : « عصا موسى » في قريض العرب والمولدين ، ذكر فيه قصيدة له دعاها « مليكة شعر الدهر » وهذه التسمية بحساب الجمل تؤرخ عام انشائها وهو ١٣١٠ هـ . إنها كما يقول : « مائة تاريخ في ستين بيتاً ، كل ثلاثة أبيات خمسة تواريخ تكتب في الأصل خطاً واحداً فتكون القصيدة عشرين خطاً ، وحينئذٍ تقرأ على أوجه متعددة . ولو قرئت على أصل كتابتها فقط كانت مسدسة ، وكان المصراع الاول منها وما تحته من كل تسديس عشرين تاريخاً لعام ١٣١٠ هـ ، والمصراع الثاني وما تحته كذلك عشرين تاريخاً لعام ١٨٩٢ م ، والمصراع الثالث وما تحته كذلك عشرين تاريخاً لسنة ١٠٩٦ قبطية ، والمصاريع الثلاثة المذكورة مصرّعة الى انتهائها . والمصراع الرابع وما تحتهُ كذلك عشرين تاريخاً لسنة ٢٢٠٤ رومية، لازمة فيه قافية النون ، كل مصراع مما ذكر تاريخ ، والمصراعان الخامس والسادس وما تحتهما كذلك عشرين تاريخاً لسنة ٥٦٥٣ عبرانية ، كل مصراعين تاريخ واحد ، لازمة في الخامس قافية الدال الموصولة بالهاء وفي السادس قافية اللام » . فهل نجد أعجب من هذا وأدل على القدرة والبراعة !

﴿ الشيخ والأزهر ﴾ كما نرى هذه الروح القوية في تآليف الشيخ وشعره، نرى شخصيته العظيمة متجلية في كل ما اتصل به من الأعمال الكبيرة في الأزهر وغير الأزهر

عين مدرساً عام ١٩٠٠ م . فعكف على تمحيص ما نيط به تدريسه وعلى الكتابة عليه فكان من ذلك مؤلفاتهُ . وعين وكيلاً لمشيخة معهد طنطا عام ١٩١٤ م فجذبت شخصيتهُ حوله أعيان المدينة ، فهرعوا اليه يلتمسون من علمه وتجديده . وهالهُ ما رآه من أخطاء الطلاب اللغوية فعمد — كما يعمل العليم بالنفس — الى لوحة يكتب عليها كل يوم كلمة خطأً من الاخطاء الشائعة وصوابها ، ويقرأ الطلاب هذه الكلمات فلا ينسونها ، ولا تزال ذكرى هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الصنيع عالقة بأذهان من تخرَّج في هذا المعهد من إخواننا المدرسين . وقبل هذا عين سنة ١٩١١ م مفتشاً عامَّـا للازهر للمعاهد الدينيـة فعمَّ إرشاده وإصلاحهُ ، وترامى الى الخديو عباس — وكان يثق بهِ ويقدره — صرخة عالية من شكاية طلاّب شهادة العالمية ، فندبهُ للرآسة العامة لهذا الامتحان عام ١٩١٢ و١٩١٣ م في مشيخة المغفور لهُ الشيخ سليم البشري، فحقق الثقة وصينت كرامة الأزهر وسمعة الامتحان . وكان من هذا ان زادت ثقة القصر بهِ حتى رشح لمشيخة الأزهر، وصارحهُ بذلك المرحوم حسن عاصم باشا، وهو لا يتجاوز ٣٧ ربيعاً. ومما يجب ان يذكر له دائماً بالخير أنهُ في وزارة يحيي باشا ابرهيم تقرر وضع الازهر تحت تفتيش وزارة المعارف مقابل ما تعطيهِ وزارة المالية له من مال ، فوقف الفقيد في هذا السبيل واعتزم الاستقالة اذا لم يلغ هذا القرار، وكان ان عدلت الحكومة عنهُ احتراماً لكرامة الأزهر واستقلاله[1]

وتوالت أحداث وتغير الأمر ، وتولى ملك مصر المغفور له الملك فؤاد الأول ، فقرَّب اليهِ الفقيد الذي صارت مقاليد الأمور في الأزهر بين يديه حين صار سكرتيراً عامَّـا للازهر والمعاهد الدينية عام ١٩٢٠ م ولم يبق لشيخه المرحوم الشيخ ابو الفضل الجيزاوي الاّ لقب المشيخة ، ونال في عهد جلالته عضوية هيئة كبار العلماء سنة ١٩٢٤م وعضوية مجلس الشيوخ وعضوية المجمع اللغوي. وهو في كل هذه المناصب مبرز ممتاز متمتع بحب الازهريين واعجابهم وتقدير رجالات الأمة، فأخلص للامام الاكبر الشيخ المراغي الذي كان الفقيد رحمة الله عليهِ يرى فيهِ أخاً ومصلحاً عظيماً ، كما كان الاستاذ الاكبر يعرف له كفايته واخلاصهُ حتى قال عنهُ في تأثر عميق انهُ لا يجد بعد الشيخ من يسد فراغهُ لا في داخل الازهر ولا خارجه»

﴿ الشيخ في غير الازهر ﴾ كان رحمهُ الله من الصفوة التي اختيرت لعضوية مجلس الشيوخ في اول وجوده ، وفيهِ برز بمواقفه المشهودة في كبريات المسائل ، مثل : مسألة حفظ القرآن بالمدارس الالزامية ، والاحتفال بما سموه عيداً للمحاكم الاهلية ، والتبشير ، وغير ذلك مما أحصتهُ المضابط وأذاعتهُ الصحف وتحدث به الناس في الاندية العلمية والسياسية

أما أبحاثه وآثاره في المجمع اللغوي فتشهد بما لها من منزلة وقيمة عزيزة المنـال مجلة المجمع ومحاضر جلساته كما يقر حضرات أعضائه من العلماء الشرقيين والمستشرقين بأن آراءه كانت الحاسمة اذا إشتدَّ الخلاف ، وفي هذا يذكر الدكتور منصور فهمي بك عضو المجمع من كلمة طيبة قيمة بالجزء الرابع من المجلة : « لقد كان غفر الله له فيصل هذه المناقشات، يقول — حين يدور الجدل في الاصلاح او القـاعدة — القول اليقين الذي يقطع الشك ويقف المناقشة على ما يحسن السكوت عليه ، وكان اطلاعهُ على دقائق اللغة العربية وأسرارها ، هو وحده الذي كان يحكمهُ في الموقف ، ويضع قوله موضع الحجة الدامغة والبرهان الساطع » .

---

(١) ذكر هذا الدكتور منصور فهمي بك في مجلة المجمع اللغوي الجزء الرابع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

﴿الشيخ ومؤتمر الخلافة﴾ في عام ١٩٢٤ م ، وفي وزارة المغفور له سعد زغلول باشا بعد الغاء الخلافة من تركيا ، اتفقت وجهات النظر الرسمية والاهلية على الدعوة لمؤتمر اسلامي عالمي لانتخاب خليفة يجمع ما تفرَّق من كلمة المسلمين ، ونشطت الدعوة لهذا المؤتمر الذي كان الشيخ قطبهُ ومحوره وروحه المحركة الدافعة له. لكن وجهة النظر تغيرت عام ١٩٢٦ لعوامل كثيرة خارجية وداخلية ، وكثر المخذلون ، وشقَّ على الشيخ ان يجيب بعض السلطات فيترك المؤتمر في وسط الطريق ، كما شقَّ عليهِ ما أقيم من العقبات في وجه وفود البلاد الاسلامية التي قررت الحضور لمصر — اجابةً لرسالة الشيخ واحتراماً لما كان بينهم وبينهُ من روابط اسلامية قديمة — حتى ان زعيم الريف الأمير عبد الكريم ومسلمي الارجنتين وكّلوه ليكون مندوباً عنهم بالمؤتمر لما لم يجدوا سبيلاً لارسال من يمثلهم منهم

وفي جلسة خاصة مع المرحوم توفيق نسيم باشا رئيس الديوان الملكي حينذاك — لم يحضرها إلاَّ فضيلة الأستاذ الشيخ محمد فراج المنياوي — قال له نسيم باشا : « اذا نجح المؤتمر فلك وان فشل فعليك » ، فعلم الشيخ حينئذ انهُ يراد أن تُطوى صحيفة المؤتمر بلباقة ، فاتجه بكل ما لديه من حول وقوة حتى أخذ قراراً مشرّفاً لمصر والأزهر ، بارجاء انعقاد المؤتمر الى حين . وقد استند فيه الى أن الشعوب الاسلامية لم يتمثل منها إلاَّ ١٣ دولة وان الواجب يقضي بهذا الارجاء حتى يتيسر تمثيل البلاد الاسلامية في المؤتمر تمثيلاً كاملاً ، والى ان مصر أحق البلاد الاسلامية بعقد المؤتمر فيها مرة أخرى نظراً لمركزها الجغرافي الممتاز وزعامتها الدينية بفضل الأزهر الكعبة العلمية للمسلمين جميعاً .

وهكذا طويت صحيفة المؤتمر في ذلك الحين ، واستطاع الشيخ أن يحتفظ لمصر والأزهر بالرفعة والكرامة ، ودلَّ بما بذل فيهِ من جهدٍ على انه كان حريًّا بالركون اليه . وقد عرف لهُ كل هذا المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول ، فلما تشرف سماحة مفتي الموصل حينذاك — أحد مندوبي وفد العراق — بمقابلة جلالته أظهر له عطفه السامي على الشيخ وتقديره لخدماته

وبعد ، فهذه كلمة قصيرة عن بعض جوانب حياة الشيخ حسين والي — الذي لم يترك لأولاده من المال غير ما ورثهُ هو عن والده المغفور له على كثرة ما كسب وضخامة مرتباته — نعرف منها كيف كان في نفسه وفي حياته الخاصة وحياته العامة ، وفيها كما أعتقد ما يحفزنا الى التمثل به في بعض ما نبغ فيهِ وتفرّد به فان من عوامل النهوض قراءة تراجم العظماء والافادة منها. من أجل هذا أرفع الصوت عالياً بما ادعو اليه منذ طويل، بأن يتوفر جانب منا معشر الأزهريين على تأريخ رجالات الأزهر في عصوره المختلفة، بادئين بأعلام هذا العصر الذي نعيش فيه، حتى نفيد من الأحياء في ترجمة آرائهم وزملائهم الذين سبقوا الى الدار الأخرى . ان هذا تأريخ للازهر وتأريخ لمصر والحركة العلمية فيها مدة طويلة تزيد على الألف عام . والله الهادي لما فيه الخير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب المراسلة والمناظرة

أخي رئيس تحرير المقتطف

وقع إليّ كتابان أحدهما في مصر خرج والآخر بلبنان مطويّ . وأحب أن أدل القارىء الكريم على قدر نفاستهما ، واسلم المخلص ب .

١ — ذخيرة أخرى للمعلوف

السنة الماضية حدّثتك عن ضنائن خزانة الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف[1] فذكرت لك فيما ذكرت مشتمَل ما ألَّف العلامة الشيخ الجليل زهاء خمسين سنة . وكان في ذلك المطبوع والمخطوط . وهذا مخطوط آخر وقع بين يدي في رحلتي الثانية ، وبودي أن أبسط موضوعه لك ، لما يجري فيهِ من أخبار لا يضمها كتاب قائم برأسهِ

عنوان هذا المؤلـف : « رجال الحكومات من النصارى » . صـدّره المؤلف بفوائد جمة في معاملة الدول الاسلامية لعمالهم النصـارى ، فتكلم على منازل هؤلاء ومراتبهم ورواتبهم وحقوقهم وأزيائهم وشاراتهم . ثم أخـذ بعد ذلك في سرد أسماء الملوك والأمراء الذين استخدموا النصارى ، فوطأ لذلك بالصعود الى الجاهليـة ، فأشار الى استيزار النعمان ابن المنذر لعمر بن نفيلة أبي عبد المسيح . وأما ملوك الملة وأمراؤها وولاتها فدونك بعض من ذكر ، على سبيل التمثيل :

استعمل معاوية ابنَ أثال أركون على حمص ، واستخدم برجوان الحاكم فهدَ بن إبرهيم النصراني في رئاسة الإِنشاء بمصر سنة ٣٩٠ . وفي زمن الحـاكم بأمر الله تولى منصور بن عبدون النصراني ديوان الشام سنة ٣٩٩ ، وخلفـهُ في هـذا الديوان زرعة بن عيسى بن نسطوروس ، وتولاه أيضاً أبو نصر بن عبدون المعروف بابن العدّاس . وفي العراق فوض عضد الدولة تدبير الأمور الى أبي منصور نصر بن هارون . وفي حلب استوزر حاكمها صالحَ ابنَ مرداس تاذروسَ النصراني سنة ٤١٦ . وفي مصر استخدم الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين كريمَ الدولة ابن شرارة النصراني في جباية الأموال . وفي المائة السادسـة للهجرة كان أبو سالم وزيرَ بني مروان في ميّافارقين . وخلفه ابنهُ ابو الحسن عيسى . وفي عهـد المماليك بمصر كان أولاد العسّال وهم من القبط : المؤتمن والصفيّ والأسعد ، من كبار عمال الدولة . وفي عهد العباسيين في المائة السابعة كان أبو الفضل جبريل بن ظطينا مرتـباً لديوان الخلفاء

(١) « يوم في خزانة عيسى اسكندر المعلوف » مقتطف يونيو ١٩٤٢

العباسيين وكاتب السكّة ، وخلفهُ ابنه هبة الله . وفي عهد الامير فخر الدين المعني في المائة السابعة عشرة للميلاد بلبنان كان معتمدَ الأمير ومدبّر أموره الحاجُ كيوان نعمة من دير القمر ، وكذلك كان الشيخ أبو ناصر يونس حبيش . وكان الشيخ أبو عون الجميّل من قرية بكفيا بلبنان مديراً للمقدَّم زين الدين الصوّان الدرزي والي مقاطعة شمالي لبنان في مختتم المائة السابعة عشرة . وبمصر أيام علي بك الكبير كان المعلم رزق القبطي كاتباً في الديوان ومديراً للمكس . وأما محمد علي باشا فقد عين المعلم غالي القبطي رئيساً لديوانهِ ، ومن كتبتهِ : ميشال سرور الدمشقي الذي اعتمدتهُ سبع دول أجنبيـة في الديار المصرية . وكان حنا عنحوري في ذلك الزمن رئيس الترجمة في مدرسة القصر العيني

تلك نبذ مختصرة من الكتاب وهو يقع في سبعمائة صفحة بقطع الربع بخط المؤلف ، والصفحات زاخرة بالأسماء والأوصاف والنوادر والطرائف . واما المصادر فمنها : «الاغاني» و «سراج الملوك» للطرطوشي و «تاريخ سعيد بن بطريق» و «ذيل يحيى بن سعيد الانطاكي لتاريخ بن بطريق» و «معجم البلدان» و «صبح الأعشى» و «كتاب المقريزي» و «تاريخ البطريرك اسطفان الدُوَيهي» ، كل ذلك إلى جنب مخطوطات محفوظة في خزانة المؤلف ، وهي على النفاسة التي نعتّها لك السنة الماضية

٢ — مجلة الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية

السنة الأولى ، العدد الاول ، يناير — مارس ١٩٤٣

« ومما لا شك فيهِ أن الجامعة ليست مجرد معاهد للدروس والامتحانات ، بل مقرّاً للثقافة والحضارة ، كما لا تقتصر آثارها على الانتاج العلمي وحده بل تذهب لاعداد الشباب للحيـاة ولتقوية الصلات بين الناس . وقد حفظت مصر للعالم ثقافة فرعونيـة ويونانية ورومانية ، كما حفظت حضارة الاسلام كنزاً مدخراً الى وقتنا هذا ، وكان للاسكندرية منذ تأسيسها وقاعات العلم بها في عهدي البطالسة والرومان أكبر الأثر في جعلها مركزاً للتعاون الفكري القديم وما إنشاء الجامعة الجديدة بها إلاّ إحياء وتدعيماً لهذا المركز وربطاً للثقافة المصرية الحاضرة بماضيها البعيد حتى تظل الثقافة المصرية الحديثة كسابقتها القديمة حوض البحر المتوسط»

بهذه الفقرة الزاخرة بالأمل صدّر الصديق الكريم الدكتور زكي عبد المتعال عميد كلية الحقوق بجامعة فاروق الأول العدد الأول من السنة الأولى لمجلة الحقوق التي تصدرها الكلية بمدينة الاسكندرية . وقد خالطتُ ذاك العميد أيام التحصيل في باريس ، وكنا ثلاثة عشراء هو والدكتور حامد زكي عميد كلية الحقوق ببغداد الآن وأنا . طلبا العلوم القانونية وتركا لي الفلسفة والأدب . فكانا مضرب المثل في الفطنة والجد ، ولا أشك أنَّ بهما وبأضرابهما

متنفَّس الأمل ومناط الفوز. وهذا الدكتور زكي عبد المتعال ما كاد يتسلم أمر كلية الحقوق بالاسكندرية حتى عمل « تقريراً عن دراسة الحقوق » خرج منهُ باقتراحات جديدة في سبيل تقويم العوج الذي يراه في تحصيل الحقوق بجامعة فؤاد الأول . وهذه الاقتراحات تتصل بسنوات الدراسة ونظام قبول الطلبة وطرائق التلقّي والمواظبة والامتحان، ثم تلحق بشؤون أخرى مثل رقابة المعيدين ومساعدي الاساتذة ومثل التشدد في نظام الانتداب في التدريس. وتدل هذه الاقتراحات على فطنة متجهة الى العمل الصالح المجدي ، نحو اقتراح يجري الى تغليب قراءة تاريخ التشريع الاسلامي وتاريخ القانون المصري القديم والحديث على قراءة القانون الروماني وتاريخ القانون عامة ، وذلك في السنة الاولى ، ونحو ترك بعض المواد في السنة الاخيرة بين يدي الطالب يختار منها اثنتين تسايران نزعته وتوافقان وجهته ، ونحو خفض عدد الدروس والمحاضرات هرباً من زحمة السماع ورغبةً في تنشيط الطالب للجلوس في الخزانات يراجع الأصول ويجاري تسيار البحث القانوني في جنبات العالم . وعلى ذلك قس ألوان تلك الاقتراحات التي تقصد بدراية بالغة الى سدّ خلل أو تثقيف أود . ولذلك قُبلت واعتمدت حتى تؤتي ثمارها

هذا ومن سعي الدكتور زكي عبد المتعال أيضاً إخراج تلك المجلة لتكون مجال نشاط الكلية من مباحث وتحقيقات وتعليقات . فكمرها على أربعة أبواب قابلة للمزيد ، تنبسط على دراسة المواد التي تُتناول في مدرجات الكلية ، وعلى النظر في الاحكام القضائية ، وعلى تعقب التشريع وتدوين الوثائق والتقارير ، وعلى مراجعة التواليف والرسائل

وكتّاب هذه المجلة أساتذة الكلية ومن في همته المشاركة في البحث القانوني سواء بالعربية او بالانكليزية والفرنسية . وأما غايتها فنشر العلم ورفع الثقافة وتشريف مصر

وفي هذه الباكورة بحثان منصرفان الى العمل لهما عندي مكانة وهما : « في التشريع الجنائي المصري منذ اتفاقية مونترو » للسعيد مصطفى السعيد ، و « مالية بلدية الاسكندرية » للدكتور حسين خلاف . وهناك ثلاثة مباحث تضرب الى النظر او الى الجمع وهي : « طرق الاثبات الشرعية » للشيخ أحمد إبراهيم ، و « تطبيق أحكام المواريث في نطاق التنازع الدولي للقوانين » لحامد سلطان ، و « النصوص الخاصة بتنازع القوانين في مشروع تنقيح القانون المدني » لحسن أحمد بغدادي . كل ذلك الى جنب نظرات في أحكام نطقت بها المحاكم المختلطة ، وتعليقات على مذكرة تشريعية لوزارة العدل ، ومراجعات للتواليف الحديثة

ولا يسعنا إلاّ أن نرحب بثمرة هذا النشاط الجامعي فنثني على موفور همة الصديق ؛ وهو رئيس تحرير المجلة ، ونسأل لكلية الحقوق ومجلتها فلاح السعي بشر فارس

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فُعلى أفعل

عزيزي الألمعي المحقق الاستاذ نجيب شاهين حفظهُ الله

اليك أذكى التحيات وبعد فلا ريب ان ما ذكرتموهُ من حكم فُعلى أفعل هو الصواب الذي لا غبار عليهِ . وأما ما جاءَ بعده في كتابي اليكم من تعليلات بعض النحاة . فاني كما تعلمون انما أردت بهِ التماس العذر لبيت أبي نواس في وصف الكاس . ولكنهُ التوى قصدي على بعض الاخوان وصار كأنهُ جاءَ تأييداً للباطل . فتفادياً من الشك اني مورد في ما يلي قول الامام أبي علي الفارسي في معنى كلامكم وهو مطابق من كل وجه لما قلتموه في طرائفكم النفيسة . والامام الفارسي اللغوي النحوي الشهير استاذ ابن جنيّ معروف بعلو منزلته فيما لو استحسنتم اثبات كلامه منعاً للريب . قال في باب فُعلَى في كتاب الايضاح [1] :

« اذا كان الفُعلَى مذكرها أفعل . لم يستعمل الاّ بالالف واللام . كما ان مذكره كذلك . وذلك قولك الكُبرَى والاكبر . والصغرى والاصغر . والوسطى والاوسط . والطولَى والاطول . والدنيا والادنى . والعُليا والاعلى . وجمع الكُبرَى اذا كُسِّر الكُبَرَ . وفي التنزيل قوله تعالى : إنها لَإحدى الكُبرَ . وقوله فأولئك لهم الدرجات العُلَى

« والفُعلَى اذا أفردت او جُمعت مكسَّرة او بالالف والتاء لم يستعمل الاّ بالالف واللام . او بالاضافة . تقول الطولَى والطوَل وطولاها وقصراها والطوليات . وكذلك الاكبرون والكبريات والاكابر وفي التنزيل : بل الأخسرون اعمالاً . وقوله واتَّبعَك الارذلون . وقوله اكابر مجرميها ، واذِ انْبَعَثَ أشقاها

« وقد استعملوا الآخر بغير الالف واللام فقالوا رجل آخر ورجال آخرون . وامرأة أخرى . ونساء أُخَر . وقال الله تعالى . وأُخَرُ متشابهات . وكذلك أخرى . وكان قياس ذلك ان تكون كما تقدم. وربما استُعمل بعض هذه الصفات استعمال الاسماء فنزعت منهُ الالف واللام نحو : دنيا في قول الشاعر : في سعي دنيا طال ما قد مدَّتِ .

« ومن ذلك : اول . تقول هذا رجل اول . فلا تصرف . تريد من غيره . فتحذف الجار والمجرور . وهو في تقدير الاثبات . فلذلك لم تصرف. وفي التنزيل . فانهُ يعلم السر وأخفى. اي السرّ وأخفى من السرّ » — انتهى هذا ما قاله الفارسي . اما تعليل كبرى وصغرى في بيت ابي نواس فليس ينفي تغليطهم اياه والاّ لم يكن من موجب للتعليل

وممن نصوا على تخطئته من مشاهير علماء اللغة ابو القاسم الزمخشري [2] صاحب المفصل والكشاف والفائق . وحسبك بمثلهِ حجة . والله يحفظك للمخلص جبران النحاس

---

(١) بالحرف الواحد عن صفحة ١٠٠ من نسخة الايضاح المحفوظة بدار الكتب برقم ١٠٠٦ نحو

(٢) المفصل صفحة ٢٣٥ و ٢٣٦

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اقليدس لا ينزل عن عرشه

قرأت مقال الاستاذ خليل السالم في مقتطف مايو عن الهندسات غير الاقليدسية وعلى رأسه عنوان « اقليدس ينزل عن عرشه »[1]. فقلت مسكين اقليدس. جوزي جزاء سنمار. فقد قضى اكثر من عشرين قرناً وهو يخدم العلم النظري والعملي والتطبيقي واخيراً يقال له « ان انزل عن عرشك » على الرغم من ان الهندسة العملية الارضية والهندسة الفلكية حتى اليوم والغد لا تتحرك الاّ باذنه. لا يستطيع البنّاء ان يبني ولا البحّار ان يبحر ولا الطيار ان يطير ولا المساح ان يمسح ولا راصد الافلاك ان يرصد الاّ معتمداً على هندسة اقليدس فالعالم المفكر يتألم من مكافأة اقليدس بهذا الرذل وهو الانسان الخالد الى الابد

ان ما اكتشف اخيراً من خواصّ المكان وتحرك المادة فيه أفضى الى توسع الهندسة الى عالم الحيز المتحدّب وخط الحركة المنحني. لهذا الشكل من الوجود هندسة خاصة هي هندسة المنحنيات. فاذا كان عقل اقليدس لم يتطرَّق الى اقاصي هذا العالم في عصره فليس المعنى ان هندسة اقليدس خطأ البتة. بل بالعكس هي أساس كل هندسة وكل حساب رياضي مهما تنوَّع الاشكال الهندسية لانها صواب منطقي لا غبار عليه

هندسة اقليدس ارضية. وقد سماها الافرنج جيومتري. اي قياس سطح الأرض. فهي تبرهن وتبسط علائق الاشكال الهندسية الأرضية ونسبها — الخطوط والسطوح والجسمات والدوائر والكرات والمخروطات والاهليلجيات الخ. وعلماء الفلك استخدموها في المواقع الفلكية ايضاً. وفي جميع هذه المذكورات كانت تقضي الوطر بلا تقصير ولا خلل

ولكن لما اكتشف اهل العلم ان المادة الشاغلة المكان تحدد سعة المكان وان حركة المادة تقيس الزمان راموا ان يبحثوا عن كيفية تصرف هذه المادة في المكان والزمان فوجدوا انهُ لا سكون في الوجود بل ان كل ذرة وكل جسم وكل جرم وكل عالم من عوالم الكون — كلها متحركة بقوة الجاذبية التي هي خاصة من خواصها او هي سجية لها وفيها، وانها كلها تتداور حول مركز الجذب. ولذلك ليس في الوجود خط حركة مستقيم البتة بل جميع خطوط الحركة منحنية كثيراً او قليلاً بنسبة بعدها او قربها عن المركز الجاذبي. ولذلك ايضاً وجهوا عناية خاصة الى هندسة المنحنيات والمحدّبات وتوصلوا الى قضايا رياضية تقدرهم على ضبط حركات العوالم والاجرام الى حدٍّ ما

---

[1] — المقتطف : جعل الاستاذ خليل السالم عنوان مقاله « الهندسات غير الاقليدسية » فأضيف العنوان الجانبي « اقليدس ينزل عن عرشه » بالحرف الصغير في ادارة المقتطف لكي يستوقف العنوان في محله انظار القراء ولم يكن القصد منه تقريراً علمياً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على ان بحثهم في هندسة المنحنيات والمحدَّبات لا يغنيهم عن الاستعانة بهندسة اقليدس بتاتاً فهي أساس كل عملية رياضية هندسية . ولما رأوا انهم توصلوا الى قضايا لم يسبقهم اليها أقليدس قالوا ان الهندسة الاقليدسية غير مفيدة لنا فلنضعهـا على الرف . وجعلوا يشجبون بعض قضايا اقليدس وبديهياته باعتبار انها مخالفة لهندستهم ومناقضة للواقع

ولا يخفى ان هندسة المنحنيات لا تنطبق على هندسة الخطوط والسطوح المستقيمة . وبسبب هذا التباين بين الفريقين قالوا ان هندسة اقليدس باطلة . وباذاعة هذا القول جعلوا مباحثهم بحسب هندستهم غامضة مبهمة لأنهم استعملوا لهندستهم نفس العبارات الاقليدية وهي ليست لها . وفيما يلي أمثلة على ذلك. وقبل التمثيل أقول كلة عن البديهيات : —

عابوا على اقليدس بعض البديهيات ومنها : ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان . ومنهـا انهُ لا يمكن أن يمر في نقطة معينة أكثر من خط مستقيم واحـد موازٍ لخط آخر مستقيم . ومنها الخط المستقيم لا يلتقي طرفاه. ومنها الخط المستقيم أقصر مسافة بين نقطتين. ثم قالوا ان هـذه البدائه تحتاج الى براهين إذ لا يجوز أن نفرض على العقل أن يسلم بلا برهان

ما من عقل يشك في صحة هذه البديهيات. واذا كان أحد يروم برهاناً فلا بأس أن يبرهن ان كان البرهان سهلاً . ولكنهُ ليس سهلاً لان ايضاح الواضح صعب جـداً . وقد حاول بعضهم أن يثبتهـا ببرهنة فساد نقيضها . وهي طريقة فيها عنت لا موجب له ما دامت هذه الاولية مسلم بها بالبداهة. ولا نستطيع أن نجرد العقل من قوة الحكم البديهي كقولك النور والظلمة لا يجتمعان ، وكقولك ان الامس قبل الغد ، وإلاَّ فلا يستطيع العقل أن يعلل شيئاً

على ان أهل الهندسة الجديدة التي يرومون أن ينقضوا بها هندسة اقليدس يقولون لك :

١ — ان الخط المستقيم يلتقي طرفاه

٢ — ان المستقيمين المتوازيين يلتقيان

٣ — ان مجموع زوايا المثلث ليست مجموع زاويتين قائمتين كما برهن اقليدس

٤ — ان زوايا المربع ليست زوايا قائمة كما يبرهن اقليدس

يقولون هذا القول بناءً على تطبيق هذه الاشكال في حيز جاذبي أي ذي سـطوح محدبة وخطوط منحنية ، خلافاً لهندسة اقليدس المنطبقة على سطوح مستوية وخطوط مستقيمة

***

ولايضاح ذلك نطبق هذا القول على سطح الـكرة الارضية . ولسهولة التبيان نتصور سطح الارض كله مغموراً بالماء أي انهُ لا نتوءَ فيه . فاذا قلنا لك اركب هذا الزورق وسر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مغرباً في خط مستقيم لا تحد يمنةً ولا يسرةً ولا ترتفع في الجو ولا تغص في الماء فالى أين تصل أخيراً ؟

بالطبع تصل الى المكان الذي أبحرت منهُ . واذا سألتك هل عرجت يميناً أو شمالاً أو الى فوق او الى تحت تقول كلاّ بل سرت في خط مستقيم . هنا الخط المستقيم التقى طرفاه . خلافاً لبديهية اقليدس

ولكن أحقيقة انك سرت في خط مستقيم ؟ كلاّ بل سرت في خط منحنٍ مع انحناء سطح الأرض . ولو قصدت ان تسير في خط مستقيم لما لبثت ان ارتفعت عن سطح الأرض تدريجيًا حتى تصبح سائراً في الفضاء في خط مستقيم حقيقة مماس لسطح الأرض المحدب

ومع ذلك يسمي هؤلاء المهندسيون الحديثون خط السير على السطح المحدّب خطًا مستقيماً وهو خطأ بحت . والصواب انهُ خط منحنٍ وان شعرت باستقامته لكونه طويلاً جداً . فليس العيب في هندسة اقليدس بل في اصطلاح هندسة المنحنيات والمحدبات . والسبب انهُ في الجو المحدب يتعذر اختراق التحديب . فراكب الزورق لا يستطيع ان يمخر في الجو ولا ان يغوص في الماء لكي يتخذ خطًا مستقيماً فعليًا . فحسبوا مسيره على سطح الماء او في جو محدّب سيراً مستقيماً لانهُ لم يتعرج فيهِ

كذلك الأجرام السابحة في الفضاء تُعَدُّ سائرة في خطوط مستقيمة والحقيقة انها سائرة في خطوط منحنية لأنها دائرة حول مركز المجرّة

أما قضية ان المستقيمين المتوازيين يلتقيان فهي من هذا القبيل ايضاً . خذ خطين من خطوط الطول على الكرة الممثلة الكرة الارضية أو أية كرة تجد انهما يبتدئان عند خط الاستواء متوازيين، بيد انهما يتقاربان تدريجيًا الى ان يلتقيا في القطبين . هكذا يلتقي المتوازيان . ولكنهما ليسا خطين مستقيمين البتة بل هما منحنيان بانحناء سطح الكرة

وخطا العرض على سطح الكرة متوازيان ولا يلتقيان ولكنهما ليسا مستقيمين بالاصطلاح الاقليدسي بل هما دائرتان تنطّقان ناحية من الارض ومركزهما في محور الارض او الكرة

الخط المستقيم من بديهيات اقليدس أقصر مسافة بين نقطتين . وعلى سطح الكرة الجامد الصلب هو كذلك . ولكن اذا كان السطح المحدب مائعاً وشددت حبلاً بين نقطتين غاص الحبل المتوتر في الميعان لكي يستقيم ويأخذ أقصر مسافة فعلاً بين النقطتين ويكون أقصر من الخط المسمى مستقيماً على السطح الجامد

زوايا المثلث على السطح المستقيم المستوي تساوي قائمتين . ولكنها على السطح الكروي أو المحدب لا تساوي قائمتين بل أكثر من قائمتين بنسبة طول الاضلاع الى طول نصف قطر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكرة أو المحدَّب . وكلما كان نصف القطر طويلاً قرب مجموع زوايا المثلث الى مساواة القائمتين . وقس على هذا زوايا المربع فهي في السطح المستوي قائمة وعلى المحدب أكثر من قائمة بنسبة نصف القطر الى الاضلاع

ذلك هو أبسط تفسير للفرق بين هندسة المستقيمات والمحدبات . وقد يتراءى من هذا التفسير ان هندسة المحدبات والمنحنيات بسيطة . كلاّ . لا ينخدع أحد بهذا الظن لانهُ اذا علمنا ان صنوف المنحنيات والمحدبات عديدة بدت لنا صعوبتها . فمنها الكروي والاهليلجي والاصطواني والمخروطي والحلزوني الخ . واذا علمنا ايضاً ان هذه الاشكال في الكون متحركة دائماً وفي تحركها تتحول من شكل الى شكل بدت لنا ايضاً صعوبة تطبيقها على القواعد الهندسية. واذا علمنا ان سرعات هذه الحركة متفاوتة بدت لنا صعوبة اخرى . وأخيراً اذا علمنا ان هذه المتحدبات في الحيزات الكونية تقاس ببلايين الاميال بل بالفراسخ تخيلنا التحدبات الحيزية فيها كأنها لعظم مسافاتها مستقيمة غير منحنية

واليك أبسط مثل على شيء من ذلك :

القمر يدور حول الارض في دائرة صحيحة تقريباً، والارض سائرة بهِ في فلكها حول الشمس. فاذا تصوّرت دورة القمر ودورة الارض معاً ترى إن القمر لا يدور في دائرة تامة ولا يعود الى موضعهِ حين كان بدراً مثلاً . لان الارض التي تحملهُ معها قد بعدت بهِ عن تلك النقطة في الفضاء . واذا استطعت ان تركز تصورك في هذه الحركة المزدوجة رأيت القمر يسير في الفضاء في خط لولبي لا في دائرة . واذا تصورت ان الشمس نفسها سائرة في الفضاء وهي تحمل معها الارض وقمرها ترى ان خط سير القمر أصبح متعرجاً تعرجات مختلفة لا تستطيع ان تتصورها

والمعلوم عندنا انهُ ما من خط مستقيم أتم استقامة من شعاعة النور . ولكن شعاعة النور تنحني وهي مارة في جو جاذبي . ومهما تغلغلت بين اجرام الفضاء العظيم فلا تستطيع ان تخرج من حيز الكون المادي الى فراغ الفضاء المطلق — العدم — بل تصطدم بهِ وتنحني بانحناء سطح الكون — وقد ترتد الى حيث صدرت

هذه كلها خطوط وسطوح لا تقع في نطاق الهندسة الاقليدسية . ولكن ليس المعنى ان هندسة اقليدس باطلة . حتى ان هندسة جوس وريمان المحدبية لا تحصي جميع هذه الاشكال التي ترسمها حركات الاجرام في الفضاء ولا تنطبق عليها

فالرجاء ابقاء اقليدس في عرشه . وشكراً

نقولا الحداد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

تقدم الجراحة والحرب

نلخص فيما يلي محاضرة مفيدة في تقدم الجراحة للجراح الكبير الدكتور منير نعمة الله ألقاها في جمعية الشبان المسيحية وهذا الملخص يعرض لعلاج الالتهابات والجراح الملوثة والحروق على نحو ما وصفه المحاضر

علاج الالتهابات

كان علاج الالتهابات لغاية سنة ١٩٣٦ مقتصراً على تحسين المقاومة العامة بالاكثار من أكل المواد الغذائيـة البروتينية وتعزيز المقاومة الموضعية بوساطة مرهم الاكتيول ووضع أشياء ساخنة مثل مكمدات أو لبخ بذر الكتان أو عجينة الكاولين المعروفة باسم انتيفلوجستين كما كانت تعطى أحياناً حقن قوامها محلولات معادن في حالة غروية (كولويدال) وامصال وألقحـة وكان هذا العلاج ينجح حيناً ويخفق أحياناً فالتهاب الجلد المعروف باسم الحمرة (Erysipelas) والتهـاب النسيج الخلوي المعروف باسم (Cellulitis) كانا من أشد الامراض فتكا وتهديداً لحياة الانسان كما ان تجمع الصديد في التجويف البلوري حول الرئة كثيراً ما سبب وفيات معدلها عال جداً وكذلك كانت الحال في معظم الالتهابات الجراحية الاخرى لأنهُ لم يكن هناك علاج مايؤثر تأثيراً مباشراً في الميكروبات المسببة لهذه الالتهابات

ولكن حوالي سنة ١٩٣٦ اكتشف علماء الالمان مادة جديدة سموها برونتوسيل (Prontosil) من شأنها قتل أنواع كثيرة من الميكروبات المسببة للالتهابات بدون أن تضرَّ جسم الانسان ضرراً كبيراً غير انهذه المادة كانت معقدة التركيب يصعب صنعها وفوق ذلك فقد كانت حمراء اللون تصبغ كل ما تصل اليهِ باللون الاحمر. على انَّ ادخال مادة (Prontosil) في العلاج كان نقطة تحول كبير في مجهود العلماء والاطباء فبعد مدة قليلة اكتشف الفرنسيون مادة بيضاء بسيطة التركيب سهلة الصنع تفعل فعل الـ (Prontosil) وهذه المادة تسمى (Sulphanilamide)

وتوالت المكتشفات في انكلترا وأميركا فاكتشفت مركبات أخرى وأصبحنا الآن وعندنا من المركبات مجموعة متماثلة يطلق عليها اسم (Sulphonamide) منها ما يأتي :

(١) Sulphanilamide
(٢) Sulphapyridine (Dagenan)
(٣) Sulphathiazol (Cibazole)
(٤) Sulphadiazine

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذه المركبات الأربعة اكتشفت الواحد بعد الآخر بالترتيب الذي ذكرته بسرعة فائقة وكان كل مركب يكتشف يثبت انهُ أشد فتكاً بالميكروبات وأقل ضرراً بجسم الانسان من سابقه . وعلى ذلك فأحسن هذه المركبات جميعاً في الوقت الحاضر هو أحدثها وهو (Sulphadiazine) . غير ان المقادير الموجودة منهُ الآن في مصر قليلة بحكم الاحوال الحاضرة وتعذر استيراده من الخارج . فأسعاره مرتفعة جداً

ويعد ادخال هذه المركبات فاتحة عهد جديد في تاريخ الجراحة حتى ان الجراحين كثيراً ما يفرقون بين العهد السابق (للسلفو ناميد) والعهد التالي له وذلك اعترافاً منهم بالانقلاب العظيم الذي حدث في نتائج العلاج بعد ادخال هذه الادوية

ومن حسن الحظ ان هذه الاكتشافات الهامة بدأت قبل نشوب الحرب الحاضرة لما لها من منزلة في علاج الجراح

على ان فائدة هذه المركبات لم تقف عند مساعدة الجرّاح بل تجاوزت ذلك الي مساعدة الطبيب الباطني مساعدة عظيمة في علاج الالتهابات التي تدخل في دائرة اختصاصاته مثل الالتهاب الرئوي والالتهاب السحائي وهذا الأخير كانت نسبة الوفيات بهِ ٩٠٪ فانخفضت الآن الى ٣٪ وهو رقم قياسي في النجاح لا يكاد يصدقهُ الاّ الخبير بمنزلة هذا الكشف العلمي

علاج الجروح الملوّثة

في اثناء الحرب الاسبانية الاهلية عهد الى الاستاذ ترويتا (Trueta) في ادارة وحدة طبية . فوجد صعوبة كبيرة في علاج الجروح الكبيرة الملوّثة لأن العلاج المتبع كان يستلزم عمل عدة غيارات كل يوم وهذا وحده يقتضي استخدام عدد كبير من الممرضات علاوة على استهلاك مقادير كبيرة من الشاش والقطن مما لم يكن من السهل الحصول عليهِ خصوصاً في ايام الحصار وأخيراً توصل الاستاذ ترويتا الى طريقة اقتصادية كان استعملها الجرّاحون الفرنسيون بنجاح في اواخر ايام الحرب الماضية وبانتهائها أهملت تلك الطريقة الى أن أعاد الاستاذ ترويتا كشفها

وتنحصر هذه الطريقة في تنظيف الجرح في اول فرصة ممكنة وإزالة ما بهِ من مواد غريبة وأنساج ميتة ثم تثبيت العضو كله بتجبيسه كما هو متبع في علاج الكسور بحيث تراعى تغطية الرجل او الذراع تغطية تامة بالجبس بما في ذلك الجرح فلا تعمل لهُ غيارات فتتشرب المفرزات في الجبس وتتحلل وتنشأ عنها رائحة كريهة نفاذة يتضايق منها المرضى واهلهم كثيراً ويحتجون بشدة على عدم اجراء الغيارات ظنّاً منهم انهُ اهمال لحالة مريضهم ولكن عند ازالة الجبس بعد بضعة اسابيع نجد الجرح نظيفاً وكثيراً ما نجده قد تغطى تغطية تامة بالجلد وشُفي

ويطبق هذا العلاج في الحالات المصحوبة

بكسور وفي الحالات غير المصحوبة بكسور

ومن الطبيعي ان يتبادر الى الذهن امكان الجمع بين العلاج (بالسلفوناميد) والعلاج بطريقة (ترويتا) وهذا هو عين ما يحصل الآن في الحرب الحاضرة . فبمجرد حدوث اصابة بالغـة يعطى المريض حقنـة من (السلفو ناميد) ثم يدخل في اول فرصة الى غرفة العمليات حيث ينظف جرحه ويرش بمسحوق (السلفو ناميد) ثم يثبت العضو بالجبس والنتائج الطيبة التي نحصل عليها الآن من هذا العلاج تختلف اختلافاً تامًّا عن النتائج السيئة التي كنا نحصل عليهـا قبل ادخال علاج (السلفو ناميد) وعلاج (ترويتا)

علاج الحروق

قد يبدو عجيباً ان علة او اصابة شائعـة الحدوث مثل الحروق لم يهتدِ الطب حتى الآن الى علاج حاسمٍ لها . ولقد تنوعت العلاجات وكثرت وهذا التنوع وهذه الكثرة في حد ذاتهما دليل كاف على اننا لم نصل بعد الى الطريق المثالي لعلاج الحروق

فقديماً كانت الحروق تعالج بماء الجير وزيت الفول السوداني ثم تلت ذلك فترة استعمل فيها محلول الحمض البكريك . وفي سنة ١٩٢٥ عند ما كنت في انكلترا أدخل دافيدسون في اميركا عـلاجاً جديداً بالحمض التنيـك (Tannic Acid) وعند ما عدت الى البلاد المصرية في سنة ١٩٢٨ أدخلت هذه الطريقة في مصر ولكن سرعان ما تبينتُ نواحي الضعف في هذا العـلاج فعدت أقلب الرأي وأبحث وأجرّب مدة عشر سنوات وأخيراً في سنة ١٩٣٨ اهتديت الى عـلاج جـديد للحروق هو في نظري علاج له أفضليته

وليس في العلاج الجديد امر غريب بل الغريب في الامر ان هذا العلاج لم يكتشفه الجراحون قبل الآن . واذا اردنا ان نضع وصف العلاج في (قشرة بندقة) على حد تعبير الانكليز فهو ينحصر في استعمال زيت الخروع وزيت بذرة القطن. وقد كانت الفكرة محدودة كما بدرت لي اولاً ولكنها ككل الافكار تهذبت تدريجاً وصقلت الصقل اللازم حتى أصبحت الآن كما أمارسها طريقة علاج منظمة تشفي الحرق في مدة اسبوع واحد او عشرة ايام وهذه الطريقة هي أنجح ما تكون في علاج حروق الوجه والاصابع وهي الحروق التي كانت الصخرة التي ارتطمت عليها معظم طرق العلاج القديمة وخصوصاً علاج الحمض التنيك

ويشترط لنجاح هذا العلاج ألاّ يسبقهُ علاج آخر على الاجزاء المحروقة ولو كانت على سبيل الاسعاف وأنا لا أنظف الحروق ولا أدخل المريض غرفة العمليات ولا أفتح الفقاقيع (Blebs) أي الجلدة الرقيقة التي يجتمع فيها الماء بسبب الحرق البسيط وكل ما أعملهُ هو اني أضع الزيت على الحرق مخلوطاً ببعض صبغات مطهرة وأغيره عدة مرات في اليوم

وانا اريد ان اوجه النظر خاصة الى عدم فتح الفقاقيع وعظم شأنهِ لان طريقة علاجي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تختلف في هذه الناحية اختلافاً جوهريّـاً عن سائر الطرق الاخرى وأنا لا ارتكن في تفضيل وجهة عـلاج على أخرى على أساسات نظرية فقط ولـكني أقيم اكثر الوزن للنتائج العملية

والعيب الظاهر في علاجي هذا اقتصادي محض فهو يكلف نفقات اكثر من طرق العلاج الاخرى قليـلاً ولذلك قد يعترض عليـه المشرفون على المستشفيات المجانية. ولـكن طرق العلاج المعروفة كثيراً ما تؤدي في النهاية الى نتائج تـكون أكثر نفقة ويصدق على هذا المثل العامي : الغالي رخيص والرخيص غالٍ

وليست هذه الطرق هي كل ما تم في تقدم فن الجراحة ولـكن ما ذكرت هو ما استطعت ان اقدمه لحضراتكم في هذه المحاضرة القصيرة

[المقتطف] نوجه انظار القراء الى ما نشرناه في المقتطف الماضي صفحـة ٤٠٧ بعنوان «البيودين وسر الخلية » ولا سيما ما جاء في آخر المقـال عن صنع مروّخ يفعل فعلاً عجيباً في شفاء الجروح الـكبيرة ·

*

رسالة في « محمد عبده »

شهد جمع كبير من الفضلاء الجلسة العلنية التي عقدت بعد ظهر يوم الثلاثاء (٤ مايو سنة ١٩٤٣) بكلية الآداب بجامعة فؤاد الاول لمناقشة الاستاذ عثمان أمين المدرس بالـكلية في الرسالة التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة وموضوعها «آراء محمد عبده الفلسفية والدينية» وبعد أن بيّـن الاستاذ عثمان أمين ما دعاه الى اختيار ذلك الموضوع بسط القول في منهجه، والمصادر التي اعتمد عليها في البحث ، ولخص ترتيب أبواب رسالته، وتحدّث أولاً عن سيرة محمد عبده ثم عن فلسفته موازناً بين الاستاذ الامام وبين ابن سينا والغزالي ، وأصحاب مذهب البراجماتزم الحديث ، ثم عرض لمنطق محمد عبده ولموقف النقد الذي وقفه من المجتمع المصري، ولنظريته في حرية الارادة الانسانية، ولنظريته في الخير ، وتطرّق الى الـكلام عن محمد عبده اللاهوتي والمصلح فأفاض القول في تفسير الاستاذ الامام للقرآن وفي فلسفة تاريخ الدين وفي موقفه من أهل التصوّف وفي مهمته كمصلح أخلاقي وفي نظراته عن الصلة بين الفلسفة والدين وختم عرضه لآراء محمد عبده ببيان ما لها من أثر في مصر وفي الشرق العربي

ثم أخذ أعضاء اللجنة في مناقشته فتكلم أولاً معالي الاستاذ مصطفى عبد الرازق باشا ثم الاستـاذ الدكتور منصور فهمـي بك فالأستاذ الدكتور لامونت فالأستـاذ أمين الخولي فالأستاذ الدكتور حسن ابرهيم حسن. وكان الأستاذ عثمان أمين يجيب عما يوجه اليه إجابة متعمق متثبت محيط بأطراف موضوعه مما استوجب ثناء أعضاء اللجنة على جهوده في احياء ذكرى الاستاذ الامام واعجابهم بالروح الفلسفية التي تجلت في بحوثه، وبعد المناقشة أعلن رئيس اللجنة قرار الـكلية بمنح الاستاذ عثمان امين درجة الدكتوراه مع رتبة الشرف الممتازة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صناعة مصر في العصر المقبل

موارد الطبيعة قسمان رئيسان بوجه عام ، موارد تنفد ولا تتجدد كالنفط والفحم والحديد وسائر المعادن . فقد تكوّنت في أحوال من تاريخ الأرض وتطورها الجولوجي ، لا يحتمل أن تعاد الآن أو في مستقبل يستطيع الفكر ان يدركه ويحكم عليه . وآماد هذه الموارد مختلفة ، فتتفاوت من عشرات السنين الى ألوف السنين

وهناك موارد تتجدد كل سنة ، وهي التي تخرجها الأرض أي النباتات فتستمد من الأرض والماء والهواء وطاقة الشمس العناصر والقوى التي تركب منها وبها مواد يحتاج اليها الناس . فهي موارد لا تنفد ولن تنفد اذا مضى الناس يحسنون ويحسّنون العناية بالأرض والزرع

وقد كان اعتماد الأمم — في المقام الأول — على موارد الطبقة الأولى في أثناء العصر الصناعي ، ولما كانت هذه الموارد غير موزعة توزيعاً متساوياً بين الأمم ، أفضت الحاجة اليها والرغبة فيها الى الفتوحات والحروب . ولكن علم الكيمياء الحديث شقّ أكثر من طريق واحد الى صنع مواد كثيرة ، تغني عن مواد الطبقة الاولى . وهو يصنعها من مواد الطبقة الثانية ، أي مما تخرجه الارض ، فتتجدد ولا ينفد . وهذه هي الحقيقة الاصيلة الجديدة في العمران الحديث . فطائفة كبيرة من أصناف الأعواض الكيميائية تغني عن شتى الفلزات والمعادن في مئات من وجوه الاستعمال فالنفط يستخرج من الفحم أو من الخشب ، والمطاط يصنع من مواد في متناول اليد . وكذلك الحرير وغيرها

هذا الاتجاه الجديد في الصناعة والكيمياء الصناعية يفرض على بلد زراعيّ كمصر أن يوجه رجاله شطراً غير يسير من عنايتهم الى هذه الصناعات الحديثة القائمة على استغلال موارد الأرض التي تتجدد ولا تنفد . فقوالح الذرة ومصاصة القصب وعيدان شجيرات القطن وما أشبه مما ينبذ أو يستعمل للحرق ، والفول السوداني وفول الصويا الذي يزكو في تربة مصر من النباتات التي تصلح أساساً لهذه الصناعات فتستطيع ان تضيف الى موارد مصر الاقتصادية مورداً زراعيًّا صناعيًّا عظيماً ، لان مواده الاصيلة تنتجها التربة المصرية .

وهذه الصناعات الجديدة لا تزال على وجه العموم في دور نشوئها الاول فالسبق الى العناية بها وزعزعتها ، سبق الى الافادة منها في ميدان التجارة الدولية في المستقبل القريب ، ولا سيما ان خصب التربة المصرية وموقع مصر الجغرافي ، يسهلان الانتاج والاتجار . ثم ان السبق الى العناية بها ، يعني قيام صناعات في مصر لا تحتاج الى حماية لكي تعيش . وهذه مسألة يجب تدبرها في كل مشروع صناعي ، اذ لا يحتمل أن يرضى العالم بعد الحرب عن « الحماية » الصناعية المغالى فيها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

طعام الطيارين وتمدُّد غاز المعدة

لطعام الطيَّارين المحاربين صلة دقيقة بقدرتهم على القتال . لأنهُ اذا كان الطيَّار متوعكاً عندما يشتبك مع خصم لهُ غير متوعك في معركة الموت والحياة ، فقد يكون التوعك الحدَّ الفاصل بين الظفر والهزيمة أو الحياة والموت. ومن الحقائق التي كشفها البحث ان الغاز في المعدة يتمدَّد وفقاً لارتفاع الطيار عن سطح الأرض . فعلى ارتفاع ١٨ الف قدم يبلغ حجم هذا الغاز ضعفي حجمهِ على مستوى سطح البحر. وعلى ارتفاع ٤٢ الف قدم يبلغ حجم الغاز ستة أضعاف حجمه الأصلي . وهذا التمدد يحدث انواعاً من الاعتقال في العضلات (Cramps) وآلاماً غير حادَّة قد تستمرُّ اربعاً وعشرين ساعة . ولذلك يفضَّل ان يأكل الطيارون خمس مرات في النهار ، وان يكون مقدار ما يأكلونه كلَّ مرَّة قليلاً ومن أطعمة منتخبة انتخاباً خاصًّا

وقد سئل الطيارون المرسون في ذلك وجرِّبت تجارب بطيارين في معامل للبحث كانت احوالها الجوية ، ولا سيما الضغط الجوي مماثلة لما تكون عليهِ على عشرة آلاف قدم او عشرين الفاً او ثلاثين الفاً او اكثر . وقد ثبت ان الاطعمة والاشربة التي يجب الامتناع عنها هي انواع العجة والدندرمة والمشروبات الغازية أي التي دخلت الصودا فيها والفاصوليا والقرنبيط والبيرة

*

هل سبب السرطان مادة ڤيروسية ؟

جاءَ في مجلة العلم الاميركية (عدد ٢٧ يناير ١٩٤٣) ان الدكتور الفرد تايلور الاستاذ بجامعة تكساس كشف ما قد يقوم دليلاً على ان سبب السرطان مادة راشحة يطلق عليها اسم ڤيروس (Virus) وهذا اللفظ اسمٌ عام لطائفة من المواد تسبب أمراضاً شتى ولكنها تمرُّ من خلال أدق المرشحات مسامّ

وطريقتهُ استخراج هذه المادة من نسيج سرطاني وهي تتصف بجميع الاوصاف العامة التي يتصف الڤيروسُ بها . وعند ما تحقن في الفئران تحدث فيها أوراماً ونواميَ سرطانية وهذه الاورام والنوامي السرطانية تنمو نموًّا أسرع من نموّ السرطان المنقول من جسمٍ مصاب بهِ الى جسم غير مصاب بهِ . وقد كان العلماء يظنون ان النوامي السرطانية تنشأ عن مادة « ڤيروسية » ولكن الكشف الذي تمَّ على يدي تايلور هو أول برهان عملي على ان السرطان في الثدييات ينشأ عن حقن مادةٍ لا تحتوي على خلايا سرطانٍ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطيران بين المهندس والفسيولوجي

القى العالم الاميركي الاستاذ برونك Bronk محاضرة نفيسة في موضوع له اعظم شأن في الحرب ، والحاجة في توضيحهِ الى العلم الدقيق والتجربة المحكمة . وكان موضوع المحاضرة ضرورة التعاون بين المهندس الذي يضع تصميم الطائرات الجديدة ، وبين العالم الاحيائي الذي يستطيع أن ينبئ المهندس بتأثير السرعة اوالتحليق اوغيرها في أجسام الطيارين . وبغير هذا التعاون يتعذَّر التقدم في صناعة الطائرات الحربية واستعمالها

وضرب على ذلك مثلاً ، ما يصاب بهِ الطيار في طائرة منقضة . ان الطائرة المنقضة تنقضُّ بسرعة فائقة على هدفها ، وبعيد القاء القنبلة ، يتجه الطيار في خط منحنٍ الى أعلى اتجاهاً سريعاً جدًّا فيصاب بإظلام اي انهُ يصاب بعمى عابر

وسبب ذلك ان القوة الطاردة عند التحول المفاجئ السريع من الانقضاض الى الارتفاع ، تدفع الدم من الدماغ فيحصل هذا الإظلام . ولكن السبب الحقيقي هو أن اندفاع الدم من خلايا الدماغ يحدث فيها حاجة شديدة الى الاكسجين . ومعروف عند علماء الفسيولوجيا ان حاجة هذه الخلايا الى الاكسجين كبيرة . وهي لا تختزن منهُ الاّ ما يكفيها بضع ثوان . ولما كان الدم هو ناقل الاكسجين فاندفاعهُ منها بفعل القوة الطاردة يحدث ازمة فسيولوجية فيها اساسها حاجتها الى مادة حيوية . وقدكشفت هذه الحقيقة باسلوب دقيق يجمع بين المجهر الكهربي وقطب كهربيّ دقيق يمكن غرزه في مواقع مختلفة من الجهاز العصبي بغير ان يصاب بأذى . والتغير في التيار الكهربي يدل على حالات مختلفة من الاكتفاء بالاكسجين او الحاجة اليهِ . وعند الاستاذ برونك ان المجهر الكهربي يفتح آفاقاً جديدة في دراسة الاعصاب ولا سيما في تركيبها الجزيئي

*

المطاط من فول الصويا

جاءَ في مجلة رسالة العلم الاسبوعية انهم صنعوا في الولايات المتحدة مطاطاً أطلقوا عليهِ اسم نوربول(Norepol) وهو يركّب من فول الصويا والذرة وغيرها ومن الأدهان النباتية وانهم شرعوا في صنعهِ صنعاً تجاريًّا وهذه المادَّة تشبه المطاط الطبيعي في خواصها ولكنها ليست عوضاً تامًّا من المطاط الطبيعي فهي لا تمط أكثر من ضعفي طولها بينما المطاط الطبيعي يُمطُّ ستة أضعاف . وقدرتها على تحمُّل الضغط لا تزيد على سدس قدرة المطاط الطبيعي ولكنها مع ذلك تقاوم التآكل ولا تفقد خواصها بمضي الزمن عليها ولا يخترقها لا الماء ولا الكحول فتحلُّ محلَّ المطاط الطبيعي في صنع نعال الأحذية وكعوبها وفي صنع أوان وأنابيب وما أشبه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كوكب سيار في نجم مزدوج

عرض احد العلماء الاميركيين رأياً عجيباً خاصًّا بوجود كوكب سيار خارج النظام الشمسي. وليس هناك ما يمنع من الوجهة الفلسفية او من وجهة الاحتمال الرياضيّ وجود كوكب سيار او اكثر من كوكب سيار حول الشمس من الوف الشموس التي تملأ رحاب الفضاء

ولكن هذه هي المرّة الأولى على ما نعلم التي قدم فيها دليل على ذلك قائم على حقائق الرصد . وخلاصة القصة ان الباحث ستراند (مرصد كلية سوراذمور) كان يرصد نجماً مزدوجاً في صورة الدجاجة Cygnus وفي النجم المزدوج يدور كل من الرفيقين حول الآخر ولكن ستراند لاحظ في الصور الشمسية الكثيرة التي صوَّرها لهذا النجم ، ان فلكي النجمين غير منتظمين وان فيهما اضطراباً ، كالاضطراب الذي ظهر في فلك أورانوس قبل كشف نبتون . ولم يجد ستراند ما يفسّر هذا الاضطراب إلاّ وجود جسم ثالث يؤثر في أحد النجمين أو كليهما فيحدث الاضطراب

ودلّهُ الحساب الرياضي على ان كتلة هذا الجسم وحجمهُ يجب أن يكونا من رتبة معيَّنة وهذا يضعهُ في طائفة من الاجسام السماوية أصغر جدًّا من أصغر النجوم . فكتلتهُ لا تبلغ مثلاً إلاّ جزءًا من ستين جزءًا من كتلة الشمس . أي ان كتلتهُ تفوق كتلة المشتري ستة عشر ضعفاً تقريباً . وهو يدور حول النجم في أربع سنوات وتسعة أعشار السنة الشمسية

*

أبراج الاشعة اللاسلكية لهداية الطائرات

عندما بدأ الطيران التجاري الليلي في الولايات المتحدة الاميركية أقيمت أبراجٌ أو منائر تشعُّ منها أضواء قوية لهداية الطائرات . ولكنَّ الغيم الكثيف قد يحجب الضوءَ إلاّ انهُ لا يحجب الاشعة اللاسلكية القصيرة

وقد تقدمت وسائل هداية الطائرات بالاشعة اللاسلكية القصيرة الموجَّهة تقدماً عظيماً في العهد الاخير ولا سيما بعد نشوب الحرب . ولذلك يعتقد الكسندرسن المخترع الكهربي ومستشار الشركة الكهربية العامة في الولايات المتحدة ، أن المنائر القديمة ستحلُّ محلّها في المستقبل القريب أبراج تشعُّ أشعة لاسلكية قصيرة فيهتدي بها الطيارون ولو كانوا فوق أطباق الغيم الكثيف . ويقول ان المبدأ نفسهُ قد يطبق تطبيقاً آخر في ارشاد السفن عند ما يكون الضباب كثيفاً فوق سطح البحر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

روزفلت

تأليف فؤاد صروف — ٢٤٢ صفحة قطع المقتطف — مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر
الثمن ثلاثون قرشاً صاغاً عدا اجرة البريد

لن يو تانغ أديب صيني حديث أو هذا ما يؤثر ان يتسمى به فيما يكتبه باللغة الانكليزية ، فيه عمق وحكمة وفكاهة ، وهو من مفاخر قومه في هذا العصر ، ومن حق القراء عليَّ ان أفرد له فصلاً أو بضعة فصول لأزيدهم تعريفاً به ، ولكني اليوم أجتزىء بأن أقول ان أشهر كتبه وخيرها أيضاً فيما أعلم ، كتاب اسمه « أهمية الحياة » وقد نهج في احد فصوله نهج الكيميائيين جادًّا متفكهاً في آن معاً ، فزعم انهُ كثيراً ما تخطر له تراكيب يؤلفها ويصوّر بها التقدم الانساني والتطور التاريخي ، وقد اختار لهذا الغرض اربع نزعات هي مواجهة الحقائق او الواقعية ، والاحلام والفكاهة والاحساس او الشعور ، وعنده مثلاً ان الواقعية بغير أحلام أو منى تعادل — ولا تعدو — الوجود الحيواني . وانهما معاً يفضيان الى وجع القلب او « المثالية » وان الاحلام بغير فكاهة مؤداها « التعصب » وان الواقعية اذ أضيفت اليها الفكاهة والاحلام ، كانت هي الحكمة بعينها وهكذا الى آخر ذلك . وقد أهمل المنطق في هذه التراكيب لأنهُ يرى ان أثره في الحياة لا يستحق الذكر

ومن هذه العناصر الاربعة ، ألّف تراكيب تجمع في رأيه ما عرفه أو استخلصه من طبائع الأمم . فالشخصية الانكليزية مثلاً تتألف عنده من ثلاث حبات من الواقعية ، وحبتين من الاحلام ، وحبتين من الفكاهة ، وحبة واحدة من الاحساس

والشخصية الالمانية قوامها في رأيه ثلاث حبات من الواقعية ، وأربع من الاحلام وواحدة فقط من الفكاهة ، واثنتان من الاحساس . أما الشخصية الاميركية فالنسب فيها أكثر تقارباً لأنها تتألف من ثلاث حبات من الواقعية وثلاث من الاحلام ، واثنتين من كل الفكاهة والاحساس . وأما الصين قومه فشخصيتهم مركبة من اربع حبات من الواقعية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحبة مفردة من الاحلام ، وثلاث من الفكاهة وثلاث من الاحساس . ويقول عن الانكليز انه جعل لهم في تركيب مزاجهم حبة واحدة من الاحساس ، والذنب في ذلك للانكليز أنفسهم « إذ من أدراني ان الانكليز يحسون شيئاً — سروراً او سعادة او غضباً او رضى — اذا كانوا يأبون الاّ ان يصبوا وجوههم في قوالب لا يبدو عليها أثر لما يدور في نفوسهم ؟ »

ذكرت هذا الصيني الاديب الحكيم وتراكيبه العجيبة وأنا أقرأ كتاب روزفلت الذي أخرجه صديقي الاستاذ فؤاد صرّوف ، وتولت نشره مكتبة المعارف . وقلت لنفسي اذا كان روزفلت يمثل الاميركي الصميم ، فان لن يوتانغ يكون قد صدق فيما ذهب اليهِ من تأليف الشخصية الاميركية على نحو ما ألفها منهُ : ثلاث حبات من الواقعية ، ومثلها من الاحلام ، وحبتان من كل من الفكاهة والاحساس . فهذا هو روزفلت — كما يبدو لنا نحن الشرقيين — من خطبه وسيرته وعملهِ وما وقفنا عليه من وسائله وغاياته

وأحسب أننا نحن المصريين أولى أمم الشرق الأوسط بأن نعنى بفهم اميركا وإفهامها حقيقة مصر ، فقد ظلمنا اثنان من رؤساء جمهوريتها العظيمة التي تنفر من الظلم ، وتثور عليهِ ، فاما الاول فالرئيس الأسبق ثيودور روزفلت ، وكان قد زار مصر في جملة ما زار ، قبل الحرب العظمى الماضية وفي أخريات العقد الاول من هذا القرن العشرين وكانت الحركة الوطنية قد عادت الى الاضطرام بفضل الزعيم الشاب المرحوم مصطفى كامل ؛ فما راعنا الاّ أن وقف الرئيس الاميركي يخطب ويقول للانكليز « إما ان تحكموا وإلاّ فاخرجوا » فثارت يومئذٍ ثائرة الوطنية المصرية على هذا الغمط لحق مصر في الحرية والاستقلال

وأما الثاني فالرئيس ولسون صاحب المبادىء الاربعة عشر ومن بينها مبدأ حق الامم في تقرير مصيرها ، وكانت مبادئه هذه من أقوى ما حرك المصريين وشجعهم بزعامة سعد على المطالبة بحق بلادهم في الاستقلال ، ولكن رؤساء الوفود من الامم المتحالفة المنتصرة ما كادوا يجتمعون في فرساي ليضعوا قواعد الصلح حتى صدمنا الرئيس ولسون بالاعتراف بالحماية البريطانية على مصر ، وكانت قد تمردت على هذه الحماية . وقد احتاج الوفد المصري ، بعد أن سافر الى باريس الى ايفاد المغفور له محمد محمود باشا الى وشنطن لاقناع اميركا ببطلان الحماية فوفق فيما ذهب له ، وأقرت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الاميركي وجهة النظر المصرية

والآن صارت اميركا ولا غنى بالدنيا عنها في حرب او سلم ، وخرجت هي من عزلتها التي كانت قد ارتدت اليها بعد الحرب الماضية ، وآلت ان تقضي على العدوان ودواعيه ، وان تجعل من الدمقراطية حارساً للسلام ، وان تقرر الحرية للصغار والكبار في الامم على السواء ، وقد محت الحرب ما كان بين الامم من أبعاد ، وقضت على امكان العود الى العزلة مرة أخرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فصار من حق بلادنا ومستقبلها علينا ان نفهم اميركا هذه أصح فهم ميسور، وان نعرفها بنا أتم تعريف. وعندي ان كتاب الاستاذ صرّوف عن روزفلت من أعون الوسائل على هذا الفهم الذي تدعو الحاجة اليه. هو ليس ترجمة جافة وانما هو درس لشخصية رجل عظيم وللمجتمع الاميركي، والنظم الاميركية، والسياسة الاميركية، والمساعي والغايات التي يرمي اليها هذا العالم الجديد. وقد لا يكون روزفلت مثالاً للاميركي عامة وعسير ان يكون كذلك، فان المتفوقين والعظماء لا يجيئون الاّ شذوذاً، عن القاعدة العامة، ولكنهم يجذبون شعوبهم، ويفيضون عليها من روحهم، ويبثون آمالهم فتأخذ عنهم، وتنهض آخر الامر فتمضي وراءهم، الى حيث وجهوها

وسواء أكانت أم لم تكن بنا حاجة خاصة الى فهم اميركا، فان درس سير العظماء لا يخلو من فائدة، فان العظماء هم الذين جعلوا دنيانا كما هي، في كل باب. ويحسن هنا ان أحذر القراء من ان يتوهموا ان كتاب روزفلت، من كتب الدعاية، فليس كون روزفلت رئيس دولة محاربة بمستوجب ان يكون كل ما يكتب عنهُ، من قبيل الدعاية. والواقع على كل حال ان كتاب الاستاذ صرّوف بحث مسهب على الطريقة العلمية التي ألفها القراء منه في المقتطف، وقد تحرّى فيهِ الحقائق بدقة. والتزمها بأمانة وأحاط بموضوعهِ إحاطة تامة، وقد شرح المؤلف في خاتمة كتابه البواعث له على تأليفه، وهي ترجع الى زمن بعيد، ومدارها على ان روزفلت ما فتئَ رجل نضال وكفاح، وجلد عليهما، وقد اتسع ميدان نضاله حتى شمل العالم كله الآن

ابرهيم عبد القادر المازني

السهروردي

بقلم سامي الكيالي — حلب ١٩٤٣

كتب صديقنا الاستاذ سامي الكيالي صاحب مجلة الحديث الحلبية رسالة وجيزة لطيفة في شهيد الفكر الحر الحكيم شهاب الدين السهروردي أتى فيها على الحوادث التي اكتنفت مصرع هذا الحكيم في مدينة حلب إبان حكم الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين الايوبي في الجزء الأخير من القرن السادس للهجرة. وقد استمدَّ الحوادث من الكتب المعتمدة للتاريخ. ومغزى هذه الرسالة ما يعانيهِ العلم الصحيح وارادة البحث وحرية الضمير من جهد ومناوأة ومضايقة. وكأن المؤلف، وهو ممن وقف حياته على البحث الطليق، اراد ان يضرب المثل على المجاهدة العقلية ويندّد بالغلو في التمسك بالاوضاع الموروثة وبالشطط في المنافسة المكروهة. فهذه رسالة تخرج في موعدها، في عهدٍ تألبت فيهِ النزعات الفردية المستبدة على وثبة الروح ونشاط العقل

ب.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — زهر وخمر

ديوان شعر للاستاذ علي محمود طه ٩٢ صفحة من القطع الوسط ، طبع مطبعة شركة فن الطباعة بمصر

ها هو ذا الملاّح التائه يستقر ، وها هو ذا زورقه يستريح بعد أن كان :

أبداً يطوّف حائراً بشراعه   يرمي به أفقٌ وتقذف دارُ

فأين الملاّح وأين السفين ؟ لقد كان يفرُّ من العالم المضطرب بهدير الناس وضجيجهم الى العالم المضطرب بهدير الموج وصخبه تغريه عرائس البحار بهـذا التيه حتى اذا انتقل هدير الناس الى البحر وطغى قصف المدفع على هـدير الموج ، وامتلأ البحر بغضب الإنسان ، استسلم الشاعر الى الشاطىء يتأمل زهراته ويعتصر أعنابهُ ويناجي ربّـاته

كلما هام بانئي أو صبا بعد اشتهاء

وشكا الكأسُ اليهِ طول هجر وجفاء

همَّ أن يشرب فارتدّ فأغضى في حياء

وكذلك استسلم زورقه الى « ضفاف النيل في ليل الربيـع »

رنَّـحته موجة تلعب في ضوء النجومِ

وتنادي بشعاعٍ راقص فوق الغيومِ

وها نحن أولاء نراه في غرفته حيث غنّـت الاحلام لحن اللقاء « وسرت ترقص حولهِ على خفق الهواء » يفرغ في كأسهِ :

خمرة ما قبّـلت غير شفاه الانبياء

خمرة في الغيب كانت قطرات من ضياء

خُـتمت بالشفق الورديّ في أصفى إناء

جبلت نحّـارتاه من صـفاءٍ ونقاء

يناجي زهراته التي أعدّها لموعدٍ ضاع بين ألم السهد وعذاب الانتظار ويهتف بها :

يا زهراتي ويك لا تسأمي   ولا يرُعْـكِ الزمن الدائرُ

لا تطرقي وابتهجي وابسمي   عما قليـل يقبل الزائرُ

وفي هذه القصيدة روح قصـيدته « الاشباح » التي نشرها الشاعر في ديوانه الاول « الملاح التائه »

نعم لقد عاد الشاعر الى دنياه يغرّد ويهتف :

حسبي من الدنيا على شدوكم   زهرٌ وخمرٌ ووجوهٌ حسان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذاً فمزية هـذا الديوان انهُ ديوان الشاعر في حياته في استقراره ، لا في طوافه ولا أسفاره. فهل وفق في تصوير معالم البركما وفق في تصوير معالم البحر ؟ وهل اختلف النغم في هذا عن ذاك ؟ أظن قارىء أشعاره لم يغب عن سمعه صدى « أغنية الجندول » ولا « خمرة الرين » ولا « كومو » كما لم تغب عنهُ قصائده « موت الربان » ولا « كأس الخيام » ولا « الله والشاعر » أو « القطب » أو « ميلاد شاعر » وغير ذلك فقد كان الشاعر في خلالها إما مطوّفاً بالفكر والخيال وإما مطوّفاً بالسمع والعيان ، وكان صدى اللهفة والحيرة والتفكير والتأمل الصدى الذي يغمر ما عداه فهو حتى في أغنيته المرحة يهتف « أين من عينيّ هاتيك المجالي »

ولكننا نراه في هـذا الديوان يودع كأس الخيام ليتناول كأسه فهو مطمئن في واديهِ يستعيد من أمواج النيل حلم ليل من ليالي كليوبترا ، ونراه في وحـدته مع أزهاره يبثها النجوى ويعدّها بالأمل ونراه يصف عروساً من عرائس الشاعر رآها

. . . وقد بدت مثل حورية الحُلُمْ

ونراه يهتف باطمئنان العاشق المرح :

يا رفاقي هذه الساعة من حلم الزمان
ان هذا زمن الحب فضجّوا بالاغاني
ارفعوا الأقداح ملأى واشربوا نخب الحسان
فالربيع السمح يدعوكم الى أقرب حان !

كما نستمع اليهِ يناجي « سارية الفجر » ويهيب بها أن تشاطره :

غرفة آلهة الفن بها تتلقاك لقاء الظافرِ

ونراه يصف « راقصة الحانة » وصف الشاعر المتأمل في الفتنة المتحركة لا تفوته منها رعشة

أما القصائد الأخر التي لمست جوانبَ من الحياة فهي زهرات قدّمها الشاعر تمجيداً لبطولة استحقت التمجيد طلعت بها المدينة الباسلة ستالنجراد وهي بحق من أروع قصائده ومثلها ليلة عيد الميلاد وهي خواطر الشاعر في ليلة كانت تكتسي فيها الليالي البهجة وكذلك قصيدة عام جديد وقصيدة « حلم ليلة الهجرة » و« من قارة الى قارة » وفي هذه القصيدة تتنبه طبيعة الملاح وفتنته بالبحر

هذا هو ديوان الحب للصديق علي محمود طه ، وقد نثرت لك بعضاً من أزهاره وقدمت لك رشفات من رحيقه فعرفت اختلاف النغم بين هذا الديوان ودواوين الشاعر الاولى وعرفت كيف وفق الشاعر في أن يسلخ شخصية العاشق المرح من شخصية الشاعر المتأمل التائه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٢ — أزهار الذكرى

ديوان شعر للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي — ١٣٥ صفحة من القطع الوسط — مطبعة التعاون بالاسكندرية

لعلَّ بين القراء من يذكر الفصول النفيسة التي كان ينشرها الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي المحامي في مجلة « السياسة الاسبوعية » منذ خمسة عشر عاماً او افتتاحياته الطلية التي كان يصدر بها مجلة « الامام » منذ أعوام قريبة عند ما كان يرأس تحريرها ، وكلها في الأدب والفنون كما يذكر له الكثيرون بحثه الطلي عن « سعد زغلول » وكتابه النفيس « أدب الطبيعة ».
ولكن لعل القليل من قرائهِ من يعرف ان السحرتي شاعر ، فهو يكتب شعره كما يؤدي العابد عبادته لربهِ في خلوة وعزلة ، والطبيعة ومفاتنها هي مادة شعره . وقد أطلق الشاعر نفسه من كل قيد في هذا الديوان فهو فياض بألوان الشعر الحر الذي لا يتقيد الاّ بالنغم. ومن المقدمة النفيسة التي كتبها الصديق الدكتور احمد زكي ابو شادي لهذا الديوان تتبين للقارىء مزايا السحرتي في شعره فهو كما يقول في تلك المقدمة « والسحرتي في طليعة أدبائنا الذين عنوا من قديم بدراسة علم النفس ، ولذلك نجد نظراته النفيسة متغلغلة في معظم شعره ، كما نرى كل ذلك ممتزجاً عادة بتصوّفه في الطبيعة وتبشيره الهادىء بالسعادة المستمدة من الحرية وحب الخير والاندماج الكوني » ... ومن نماذج شعره قصيدته « زهرة الأراولة » التي يقول فيها :

مشعشعة منوَّرة الجبين كإكليل على رأس العروسِ
منسقة بفعل يدٍ صناع تثير اللطف في عمق النفوس
أتتنا والخريف على قدوم فحاكت مقدم الضيف الأنيس
زهاها الحسن فانتظمت قصيداً يهز عواطف القلب الحبيس
تشير لنا بإيماءٍ خفيٍّ بترك الغل والحقد الخسيس
لنحيا مثلها طهراً ولطفاً ونبسم مثلها بعد العبوس

وفي الحقيقة ان ديوان السحرتي كما يقول فيه الدكتور ابو شادي « صلوات علوية سهلة سائغة لها براءة الطفولة وأخيلتها المجنحة وأحلامها الاثيرية » ومن يقرأ هذا الديوان يجد روح السحرتي المتصوفة تبدو خالصة من كل تقليد متميزة بنغمها الخاص

٣ — المنقذة وحفلة شاي

مسرحيتان بالفصحى للاستاذ محمود تيمور بك — ١٥١ صفحة — مطبعة الاعتماد

مسرحيتان جديدتان لتيمور بك ، وقد غنم المسرح في هذين العامين من ثمار هذا القاصّ الكبير ما يعدُّ ثروة لها قيمتها ولها أثرها . والأولى منهما شاهدتها تمثل في العام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الماضي باللغة العامية ولكن المؤلف عندما أخرجها في كتاب أراد أن يسجل للادب العربي في لغته العالية هذا الأثر النفيس . وقد لاقت هذه المسرحية عند تمثيلها من إعجاب النظارة ما هي جديرة به وقد جعل المؤلف مسرح حوادثها عصر المماليك يعالج فيها نفس المرأة الطموح التي تريد ان تخفي عاطفة الحب أمام عظمة النفس المستولية عليها ولكن هيهات

اما المسرحية الثانية فهي عصرية يعرض فيها المؤلف جوانب من الحياة الاجتماعية في بيئتنا الآن حيث تبدو المظاهر الغربية والمظاهر الشرقية والتقليد الاعمى كأنما هي نوع من الساخر وليست لوناً من ألوان الحياة في حقيقتها .وفنّ تيمور القديم ، الذي رسم في اول ما رسم جوانب الحياة في مصر يعاوده في هذه المسرحية بسخريته ودقة نظرته وتجسيمه للعيب حتى يسهل على المصلحين معالجته — وهاتان المسرحيتان الى جنب أخواتها هي كما قلت ثروة للمسرح وكسب للأدب العربي الحديث لا يزال تيمور بك يفيض بها ولا يزال المعجبون بأدبهِ ينتظرون منهُ المزيد

حسن كامل الصيرفي

تاريخ الاخلاق

للاستاذ محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين

هذا الكتاب يعد الأول من نوعه بالعربية فيما نعلم . ظهر لأول مرة منذ حوالي سنتين ونصف وأعيد طبعه الآن بزيادات كثيرة . وهو يتناول المذاهب الأخلاقية عند الشعوب الشرقية القديمة واليونان والمسيحيين والمسلمين وفي الفلسفة الحديثة الى أيامنا . فهو يماشي تاريخ الفلسفة ويقدم عنها صورة مجملة الى جانب تفصيل الآراء في الأخلاق ، معتمداً على مراجع معتبرة عربية وفرنسية ؛ ومعقباً على الآراء بأقوال تدل على انهُ من أنصار المذهب العقلي الذي يؤمن بموضوعية الخير والشر وحرمة الواجب . وقد قال معالي الاستاذ الجليل الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا في مقدمته عن الطبعة الاولى « ان الكتاب مجهود يستحق الثناء » ولاشك انهُ في طبعته الثانيـة يستحق ثناء أكثر . وكان معاليه قد أبدى بعض الملاحظات ، فأفاد منها المؤلف ، ولكننا ما نزال نرجو لكتابه مزيداً من التحسين ، فقد بقيت هناك أشياء . إلاّ انها من الهون بحيث لا تذكر في مقال بل يشار اليها في رسالة خاصة للمؤلف . وليس أدعى لانصاف حضرته والثناء عليهِ من مقابلة كتابه ببعض الكتب التي ظهرت في موضوعه باللغات الاوربية الحديثة ، فان هذه الكتب التي نعنيها لا تفضله ، وقد يفضلها . لذا نرحب بالكتاب أصدق ترحيب ونوجه اليه أنظار طلاب العلم

يوسف كرم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الاول

من المجلد الثالث بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثالث بعد المائة

١ يوليو سنة ١٩٤٣ — ٢٨ جماد ثاني سنة ١٣٦٢

عهد جديد

في علم النبات

عقار عجيب يتيح للعلماء سيطرة على الاحياء الخضر

في مملكة الأحياء الخضر ، ثورة يحجب عنا خطرها ، انشغالنا بشؤون الحرب . وهي ثورة مردُّها الى مكتشفات جديدة تمكن العلماء من استنبات الأصناف التي يريدونها من النبات ، فكأنَّ المادة النباتية الحية ، عجينة في يد الخباز أو طين في يد الخزَّاف . وقد أصاب العلماء نجاحاً باهراً في خمسة وستين نوعاً من الأزهار والأثمار والخضر والعرائش والاشجار ، وليس ثمة ما يمنع توسيع نطاق نجاحهم حتى يشمل مملكة النبات جميعاً من أصغر البقول الى أعتى الشجر . وقد اطلعنا على كتاب علمي حديث ، وصف فيه مؤلفهُ بروس بليفن ، ما شاهدهُ من آثار هذا التحوُّل العظيم الشأن في بعض معاهد البحث الأميركية ، مثل المختبر النباتي التابع لمعهد كارنيجي ومختبر وزارة الزراعة الاميركية وغيرها

والأداة الجديدة في أيدي علماء الوراثة النباتية ، عقّار يدعى كولتشيسين Colchicine وهو سمٌّ ناقع مرُّ المذاق يوجد في جذور بعض أنواع الكَكتوس . وقد كشف سنة ١٩٣٧ وهو يؤثر تأثيراً عظيماً في نسيج النبات ، فيحدث تغييراً أصيلاً في خواصه وصفاته وهو تغيير يورَّث

ولا يخفى على قراء المقتطف ان المادة العضوية ، الحية ، سواء أنباتاً كانت أم حيواناً قوامها خلايا ، وان سرَّ النمو في أجسام النبات والحيوان مرجعهُ الى قدرة هذه الخلايا على الانشطار فالتكاثر . وفي نواة كل خلية جسيمات صغيرة تدعى الصبغيَّات (وهو اللفظ الذي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اختاره مجمع فؤاد الأول للغة العربية مقابلاً للفظ كروموسومات Chromsomes مفرده صبغي) وعدد هذه الصبغيات ، في نوع نباتي ما او نوع حيواني ما لا يتغير في الأحوال السوية . ونصف الصبغيات في خلية ما يجيئها من الذكر والنصف الآخر من الانثى ، وداخل الصبغيات دقائق صغيرة تعرف باسم عوامل الوراثة genes وهي تنقل خواص حياة النوع أي الصفات الوراثية من سلف الى خلف

ففي سنة ١٩٣٧ بعد بحث تمهيدي كشف العلماء حقيقة عجيبة . وهي ان معالجة نبات ما بالكولتشيسين ، يفضي في كثير من الاحيان الى مضاعفة عدد الصبغيات في الخلية وان هذه الصفة الجديدة تصبح صفة وراثية . أما طريقة المعالجة بهذا العقّار فتختلف . والغالب اعداد محلول خفيف من الكولتشيسين ، تمسح بهِ براعم الأزهار او قد يحقن في النبات حقناً ، أو قد يغمس النبات الكامل فيهِ مدداً متفاوتة طولاً وقصراً . فاذا كان المحلول قويّا او مدة المعالجة بهِ طويلة ، وتغلب النبات على قوته او طول معالجته وبقي حيّا بعد ذلك ، نما غريب الأطوار . وقد استخرج الباحثون بالتجريب خير الأساليب اللازمة لمعالجة طائفة غير يسيرة من النباتات بهذا العقّار ، وهم يوسعون آفاق معرفتهم يوماً بعد يوم في عشرات من معاهد البحث

قلنا ان الكولتشيسين يؤثر في النسيج الحيواني الحي علاوة على النسيج النباتي الحي ولكن جدير بنا ان نقول كذلك ان استعماله للتأثير في نسيج الحيوان لا يزال محصوراً في تجارب معامل البحث ولم يسفر حتى الآن عن النتائج الغريبة المتعددة التي أسفر عنها استعماله للتأثير في نسيج النبات . وما يفعلهُ الكولتشيسين هو إبطاء فعل النمو في بعض نواحيه لا فيها جميعاً . وهناك عقّاران آخران أو ثلاثة عقاقير اخرى تفعل فعله والعلماء ماضون في استكشاف كلّ عقار من هذا القبيل . والأمل معقودٌ على ان كشف أكبر عددٍ منها يتيح لهم أساليب متعددة للسيطرة على نموّ النبات سيطرة كاملة

واذا كان الكولتشيسين يبطىء نموّ الخلايا فانهُ لا يبطىء تولد الصبغيات فيها ، إلاَّ قليلاً . ومن غرائب ما أظهرتهُ التجارب ان الصبغيات في بعض الخلايا تضاعفت مرةً ثم مرتين او اكثر إلى ان قضي على حياة الخلية احياناً . واذا لم يقضَ عليها فان النسيج الذي ينمو من انشطارها بعد تعدُّد الصبغيات فيها على هذا الوجه يكون طبعاً نسيجاً غير سويّ وتظهر فيه عجائب من الصفات الجديدة . وزيادة عدد الصبغيات ليس شيئاً جديداً في حياة النبات . فقد يقع اتفاقاً بفعل الطبيعة ، وسبق لبعض العلماء احداث هذه الزيادة في معمل البحث بتعريض الخلية لضغط عالٍ او لحرارة منخفضة جدّا . ولكن ذلك نادرٌ وتحقيقه على جانب غير يسير من المشقة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من النباتات التي لها منزلة عظيمة في حياة الناس، الحنطة وهي تحتوي على مجموعة اضافية من الصبغيات . فعدد الصبغيات الاساسي في الحنطة هو سبعة ازواج ولكن الأصناف التجارية الشائعة الآن تحتوي واحداً وعشرين زوجاً . وقد تبين العلماء من عهد بعيد فائدة ضروب من الحنطة ، حبَّها أكبر وأقوى على مقاومة عوامل الجوّ والمرض . وهذه الصفات لها صلة بخواص وراثية تتصل بعدد الصبغيات . ولكنهم لم يجدوا قبل كشف الكولتشيسين واستعماله اسلوباً فعالاً لزيادة الصبغيات وفقاً لرغبتهم

على ان معالجة نبات ما بالكولتشيسين لا يفضي الى زيادة الصبغيات زيادة واحدةً في جميع أنساج النبات . وليس بالنادر ان يجد الباحث ، بعد علاج نبات ما بهذا العقّار ، جزءًا من النبات وقد بقيت فيه صبغياته على حالها الأصيل ، وفي البعض الآخر زادت مرةً او مرتين

على ان استعمال عقار الكولتشيسين ، ليس كما وصفته بعض الصحف اليومية ، أسلوباً جديداً لزيادة نموّ النبات . بل هو على الضدّ من ذلك يبطىء تكوين الخلايا ، ويسبب في غير قليل من الأحوال تشويه النبات او ضموره او يرجىء إزهاره . ثم ان نباتاً عولج بالكولتشيسين ليس نباتاً يزيد حجمهُ ضعفين او اربعة اضعاف بالقياس الى حجمهِ السويّ . فزيادة عدد الصبغيات فيهِ لا يعني زيادة الحجم . ولكنهُ يعني ان صفات خاصة جديدة قد تأصلت فيهِ . فقد يكون أقوى وأقدر على مقاومة عوامل البيئة وقد لا يكون . وقد تكون صفة الحجم الكبير احدى هذه الصفات الجديدة . ولكن الحجم « الكبير » كلام غير دقيق من الوجه العلمي . فقد يؤثر الكولتشيسين في نبات ما على وجه خاص ، فيضعف قدرته على النموّ طولاً اي على الارتفاع، ويعزز قدرته على النمو عرضاً ، أي على أن تكون سوقه أقصر وأضخم وأوراقه أعرض وأثقل وزناً وأثماره أكبر. وكثيراً ما تكون النباتات التي تعالج بالكولتشيسين عقيمة لا تنجب . واذن فالصفات الجديدة التي تحدثها فيها هذه المعالجة لا يمكن أن تورَّث . وقد لا يزيد عدد البذور في نبات ما عولج بهِ على ١٠ الى ١٥ في المائة من عددها الاصلي ، ولكن يكفي أن تكون بينها بذرة جديدة واحدة متصفة بالتركيب الحيوي الذي يمكنها من توريث الصفات الجديدة فيها ، لتكون بداية ضرب جديد من النبات

ولعلَّ أعجب ما أسفر عنهُ استعمال الكولتشيسين هو تمكين العلماء والزراع من حمل النبات النغل على التوليد . إذ لا يخفى ان البستانيين أكبّوا من أجيال على تضريب نوعين من النبات، رغبةً منهم في الحصول على خواص جديدة لا يتصف بها أحدهما . وهذا التضريب يسفر عن نبات يدعى « نغلاً » . والتضريب أو التهجين ليس عملاً شاقاً . ولكن النبات الناشىء عنهُ يكون في الغالب عقيماً . فالفائدة العملية محدودة . على ان العلاج بالكولتشيسين يمكن النبات النغل من التوليد . وسبب العقم في « النغل » ان الصبغيات لا تزدوج فيها ازدواجاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دقيقاً لازماً للتوليد . أما والكولتشيسين يضاعف عدد الصبغيات فالازدواج يصبح ممكناً والتوليد مستطاعاً ، ويكون النسل متصفاً بصفات واحدة علاوة على كونهِ سليماً قويّاً

وما طبق على النباتات الصغيرة طبق كذلك ويمكن تطبيقهُ على الشجر الكبير . واذا شئت — من الوجهة النظرية العلمية على الأقل — أن تنجب غابةً من شجر معيَّن متصف بصفات خاصة ، وكنت تملك المال اللازم والوقت الكافي ، فان العلم يمكنك مما تريد . فشجرةٌ من الجوز جيدة الخشب يستطاع تضريبها بشجرة جوز أُخرى تتصف خاصةً بسرعة النمو ثم تعالج بالكولتشيسين فتكون لك غابة من شجر الجوز المتصف كلهُ بجودة الخشب وسرعة النمو

ان كشف هذا العقار الغريب،وتبين تأثيره في نسيج النبات، فتحا باباً جديداً في البحث عن النباتات الغريبة في شتى البلدان بغية نقلها من مواطنها لتضريبها مع النباتات القريبة منها في بلدان أخرى، توصلاً الى نباتٍ جديد يتصف بصفات خاصةٍ مطلوبة . فوزارة الزراعة الاميركية مثلاً لها في مختلف انحاء الأرض ممثلون مختصون بالبحث عن هذه النباتات، لعلهم يجدون منها ما يحسن نقلهُ الى الولايات المتحدة فيزكو فيها او فيضرَّب مع ما فيها من نوعهِ فيتولد نبات جديد فيهِ صفات مطلوبة من شذاً أو حجم او مقاومة لمرض أو جفاف. واذا ظهرت آفةٌ ما فهددت بها غلةٌ من الغلال ، وتعرَّض زرَّاعها والمرتزقون بها للخسارة ، تحول هذا البحث الى سباق مع الزمن . على ان كشف الكولتشيسين واسلوب استعماله،سهل عمل هؤلاء الروَّاد النباتيين

خذ مثلاً على ذلك صنفاً من البطيخ الأصفر يجود في وادٍ بولاية كاليفورنيا وغلتهُ هناك من الغلاَّت الرئيسية لهذا الصنف في الولايات المتحدة والذين يعتمدون عليها في رزقهم يعدّون بالألوف من سكان ذلك الوادي . فاذا اصيبت الغلة بآفةٍ ما، تعرَّض هؤلاء القوم لضنك عظيم. ومن عهد غير بعيد ظهرت بوادر آفةٍ تهدِّدُ هذه الغلة ، وخشي ان تمتدَّ الآفة الى مناطق أخرى يزكو فيها هذا النبات ، فدعيت وزارة الزراعة في وشنطن الى العمل ، فأرسلت انباءً الى ممثليها في شتىَّ انحاء الارض

وكان احدهم في الهند فوجد على منحدرات جبال حمالايا نوعاً من البطيخ في صبغياته عامل وراثة يقيه فعل هذه الآفة . ولكن هذا النوع الهندي هشٌّ رخوٌ لا طعم له . ولو كان ذلك قبل عهد الكولتشيسين لاحتقر الباحث الاميركي في الهند هذا الصنف ولانصرف عنهُ. ولكنهُ أرسلهُ الى الولايات المتحدة وفيها طبق العلماء الأساليب الجديدة ، فاستولدوا بطيخاً جديداً، في تركيبه عامل مقاومة الآفة من بطيخ الحملايا ، وعوامل الحجم والطعم والشذا من بطيخ الولايات المتحدة. فأنقذت بذلك غلة وجُنِّب الوف من الناس ما كان يهددهم في رزقهم

وفي كليفورنيا الجنوبية منطقة مشهورة بالبرتقال الجيد. ولكن ازدياد الملح ازدياداً يسيراً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جدًّا في مياه الأراضي المروية ، هدد حاصل البرتقال بغير ان يزعج الأهالي . وذلك لأن النبات في كثير من الأحيان يتأثر تأثراً غريباً بوجود يسير من مادة كيميائية ما في التربة التي يعيش فيها او الماء الذي يروى بهِ . فعنصر البوورون مثلاً سمٌّ ناقع للنبات اذا كان معدله جزءًا من مليون جزء ولكنهُ عنصر لا غنى عنه لنمو النبات السويّ اذا كان معدلهُ جزءًا من مليوني جزء . وكذلك خشي أن تفضي زيادة الملح اليسيرة هناك إلى اتلاف حاصل البرتقال. فأخذ روّاد النباتات يبحثون في انحاء الارض عن نبات قريب من البرتقال، ويتصف في الوقت نفسهِ بصفة وراثية تجعلهُ منيعاً على الماء الملح. وأخيراً وجدوا في قلب قارة استراليا شجيرة لا يؤثر الماء الملح فيها ، وهي شجيرة ليس لها ثمر من برتقال، ولا يبدو عليها انها من فصيلة الموالح . ولكن شريحة من نسيجها فحصت بالمجهر فظهرت قرابةٌ ما بينها وبين الموالح . فنقلت الى الولايات المتحدة ، وبالكولتشيسين ستنقذ حاصل البرتقال كلهُ في كليفورنيا

وقد يكتب الحظ لروّاد النبات أحياناً بعد جهد جهيد . وليس يخفى ان جزيرة جاوى من أشهر البلدان بزراعة قصب السكر فيها . وقد هدَّد هذا القصب من عهدٍ مرض فيروسي يشبه في مظهره مرض التبقع mosaic الذي يصيب ورق نبات التبغ . وبدا لمتتبعي هذه الحالة ان جاوى مقضيٌّ عليها من هذه الناحية . فنقل الى جاوى كلُّ صنفٍ من أصناف قصب السكر معروفٍ في شتّى أنحاءِ العالم ، لعلَّ صنفاً بينها يكون متصفاً بصفةٍ وراثيةٍ تمكنهُ من مقاومة هذا المرض . ولكنَّ جميع التجارب خابت. ولما أظلم الأفق في وجه رجال الزراعة الجاوية ، وبدا لهم ان كلَّ أمل قد خاب ، لاحظ أحدهم يوماً ما ، نباتاً متوسطاً في شكلهِ بين قصب السكر وبين العشب العادي . وكان هذا النبات زكيًّا قويًّا في حقل فيهِ قصب سكر موبوء . فأخذ هذا النبات وبدأ يجرّب التجارب فيهِ ، وغرضهُ التلهّي على الاكثر . فوجد انهُ مقاوم للمرض وانهُ مما يمكن تضريبهُ مع قصب السكر ولكن بمشقةٍ عظيمة . وقد أسفرت هذه التجارب عن عجيبة. وهذا العشب هو الآن أساس زراعة قصب السكر في جاوى. وتفسير ما حدث ان عشباً بريًّا كان قد تلقح بالمصادفة بلقاح قصب السكر فنشأ نوع غريب من العشب ، لا هو عشب صريح ولا هو قصب سكر صريح . ولو أراد عالم ان يضرّب النوعين، لما كان احتمال نجاحه في الحصول على نوع جديد أكثر من واحد في خمسمائة مليون. ولكن الطبيعة نفسها هيأت هذا العشب ، ثم وجّهت أنظار عالم اليه عند ما قطع الأمل من انقاذ زراعة القصب في جاوى فكان في ذلك انقاذ هذه الزراعة

ان كشف الكولتشيسين ووجوه فائدته واستعماله ، والبحث عن عقاقير طبيعية أخرى تفعل فعلاً شبيهاً بفعله ، ليفتح حقًّا عهداً جديداً في علم النبات والزراعة !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطفيليات

ونشأة المدنية وانتشارها[1]

توطن الانسان في اول عصر التاريخ في الأماكن القريبة من مجاري الأنهار في المناطق المعتدلة حيث تكثر موارد الارض الطبيعية من نبات وحيوان . ولكن هذه المناطق كانت ملائمة لنمو الطفيليات التي تسبب امراضاً . وازداد انتشار الطفيليات واشتدت وطأتها وفقاً لازدحام السكان . وكان أهم هذه الامراض كما يستدل من التاريخ مرض الملاريا وفقر الدم الناشيء عن الانكلستوما ، فأفضى ذلك الى اضمحلال هذه المدنيات الاولى ، وتغلب على شعوبها ، طوائف من البدو أو سكان الجبال ، أقل منها مدنية . فالبدو الرحل تقل جداً عدوى الطفيليات فيهم لكثرة تنقلهم وقلة ازدحامهم وسكناهم مناطق جافة . وكذلك الحال في سكان الجبال فان برد الجو وفقاً للارتفاع عن سطح البحر يجعل انتشار الطفيليات في تلك الأماكن متعذراً . ولكن هؤلاء الغزاة لا يلبثون بعد استيطانهم المناطق المغزوة حتى يصيبهم ما أصاب الأهالي الاصليين فيخضعون بدورهم لغزاة آخرين

ويقرر بعض المؤرخين ان السبب في سقوط بعض الدول وتغلب غيرها عليها يرجع الى عوامل الترف وانحطاط الآداب بين الشعوب المغلوبة ، نتيجة لازدياد الثروة والاسراف وانصراف الناس الى الملاهي . واذا كان ذلك يصح على حال الملوك والامراء ومن يليهم من الطبقة الخاصة ، فاننا لا نظن ان المؤرخين يؤمنون بان عامة الشعب المصري ايام قدماء المصريين او الشعب اليوناني أو الروماني ، كانت تنعم بقليل مما تنعم به الشعوب الغربية في العصر الحديث من أسباب الترف والملاهي وحسن العيش . وقد برهنت الحرب ان الشعوب الغربية محتفظة بكامل قوتها البدنية والمعنوية ولم يفسدها حسن العيش المادي . ولعلّ ما يعزوه المؤرخون من تغلب المدنية المصرية القديمة على جميع الفاتحين وتطبع هؤلاء الفاتحين بالطباع المصرية قد يكون مرجعه الى اصابتهم بالطفيليات المنتشرة في البيئة الجديدة ، فتحيلهم الى ما كان عليه معظم الشعب . ومعلوم أن المغلوب مولع بتقليد الغالب فاذا حدث عكس ذلك ، فلا بدَّ من عوامل

(١) ملخصة من محاضرة للدكتور محمد خليل عبد الخالق بك استاذ علم الطفيليات بكلية الطب — جامعة فؤاد الاول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوية تقمصر الغالب على التطبع بطباع البلاد المفتوحة ، ويحتمل كثيراً ان تكون اصابة الفاتحين بالامراض المتوطنة في طليعة هذه العوامل

وقد امتدت المدنيات الاولى الى الاقاليم الباردة عند ما تمكن الانسان من السيطرة على الموارد الطبيعية واستيراد ما يحتاج اليهِ فيها من الاراضي النائية ، وتمكنت لهُ الغلبة عندما انتشرت الصناعات والمخترعات . وهذه المناطق تخلو نسبيًّا من عدوى الطفيليات لبردها معظم ايام السنة ، فاطّردت مدنيتها ارتقاءً ولم تظهر فيها عوامل الانحلال من هذه الناحية . واذا نظرنا الى مواقع بلدان اوربا متدرجين من الجنوب الى الشمال ، وجدنا تقدم المدنية مطّرداً وفقاً للاتجاه من الجنوب الى الشمال . وهذا يطابق كل المطابقة قلة انتشار الامراض الطفيلية . فهي اكثر انتشاراً في الجنوب منها في الشمال

واذا اتجهنا جنوباً مبتدئين من مهد المدنيات الأولى وجدنا الأمراض الطفيلية تزداد انتشاراً مما يجعل حياة الانسان في هذه البيئات مستحيلة أو في نطاق المستحيل تقريباً . وربما كان هذا هو السبب في ان مدنيات المناطق المعتدلة لم تتمكن من الانتشار جنوباً كما انتشرت شمالاً . فكأن اجتياز المنطقة الاستوائية حيث تكثر الامراض الطفيلية كان متعذراً عليها . وظلّت هذه المنطقة توصف الى عهد قريب بقولهم انها « مقبرة الرجل الأبيض » . ولكن في العهد الحديث أمكن القول بصفة قاطعة ان الاقامة في هذه الاقاليم ممكنة اذا تغلبنا على ما فيها من أمراض طفيلية . وقد نشأ هذا القول عن كشف هذه الأمراض وأسبابها وطرق معالجتها . وكان الاكتشاف الأول هو اكتشاف البول الدموي في مصر وديدان البلهارسيا المسببة لهُ وكان ذلك في سنة ١٨٥١ ومرض الانكلستوما الذي يسبب فقر الدم المنتشر في جميع البلدان الحارة وكان ذلك في سنة ١٨٥٣ بمدرسة الطب المصرية كذلك . وكشف طفيلي الملاريا سنة ١٨٨٢ في مدينة الجزائر والديسنطاريا الاميبية في سنة ١٨٨٣ بالاسكندرية ومرض النوم سنة ١٩٠٣ ومرض الكالازار في سنة ١٩٠٣ كذلك . وقد أعقب ذلك كشف تاريخ حياة الأمراض وطرق انتشارها ثم كشفت أدوية ناجعة لمعالجة معظمها بالطرطير والزرنيخ لمرض النوم (١٩٠٦) والسلفرسان للزهري (١٩٠٦) والاميتين للديسنطاريا (١٩٠٩) والطرطير لعلاج البلهارسيا في سنة ١٩١٨ ورابع كلورور الكربون للانكلستوما في سنة ١٩٢٣

وبعد ما تمكن العلم الحديث من ان يكشف بعض الكشف عن علاج تلك الأمراض الطفيلية ومقاومتها انتشر استيطان الاوربيين في المناطق الاستوائية محتفظين بصحتهم فيها بفضل الاحتياطات الصحية الموجَّهة في المقام الاول الى الأمراض الطفيلية الحيوانية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عجائب الريادة الحديثة

أعلى طبقات الجو — أعمق أغوار الماء
الاقامة على الجمد ليلاً قطبيًّا كاملاً

لا تكمل سيطرة الانسان على الارض، الاّ اذا غزا بعلمه أعلى طبقات الجو ، وأعمق اغوار الماء، وراد منبسطات الجمد الشاسعة حول القطبين . فجمع الحقائق عن طبقات الجوّ العليا ، وحرارتها وحركة تيارات الهواء فيها ، له صلة كبيرة بسرعة الانتقال الجوي . لاننا اذا استطعنا ان نصنع طائرات نقل تطير على علو ١٥ ميلاً أو عشرين ميلاً فوق سطح الارض، زادت سرعة الطائرة من ١٥٠ ميلاً في الساعة الى ٥٠٠ ميل او ٦٠٠ ميل في الساعة اوحتى الف ميل في الساعة . ودراسة اغوار الماء تطلعنا على عجائب في حياة الاسماك لا تزال محجوبة عن العلم. ثم هو يفتح امامنا باباً الى دراسة تيارات البحار العميقة وما لها من اثر في الجوّ وبرده وحرّه في بلدان مختلفة . وريادة منبسطات الجمد الشاسعة حول القطبين لها فائدة عملية — علاوة على دراسة النباتات والحيوانات هناك — في انها قد تبين لنا بعض العوامل في تقلُّب الجو ، وحدوث الجفاف في البلدان المجاورة للقطب الجنوبي وأثر ذلك في الغلال والمواشي وتمهد لانشاء خطوط النقل الجوي فوق منطقة القطب الشمالي وهي أقصر خطوط النقل بين قارات اميركا وأوربا واسيا على نحو ما بيّنّا من أشهر في المقتطف

فإقدام الرحّالين والطيارين والغواصين على ريادة هذه الاوساط، يثير في صدورنا آيات الاعجاب ، بجرأتهم وصبرهم على المكاره ، وهو في الوقت نفسه ، سبيل لا بدَّ منهُ ، للانسان يستكمل بهِ سيطرته على الارض

***

ظلّ التحليق في الجو الى مرتفعات عالية جدّاً ، امراً متعذراً حتى بضع سنوات خلت . فالطيار لا يستطيع ان يحلق بطائرته ما شاء التحليق ، لانه فوق ارتفاع معين يقل الاكسجين فيضيق التنفس ويشتد البرد فيصعب تحريك الاعضاء ويصاب الطيارون بأدواء مختلفة وصفناها في مقتطف يناير ١٩٤٣ صفحة ٧٠ — ٧٢ ، ويلطف الهواء ، فيضعف دوران المحرك فيهِ فتهبط الطائرة عندما تخف سرعتها . والتحليق بالبلون يعرض صاحبه لقلة الاكسجين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشدة البرد ، وان كان لا يعرضه للسقوط . لأن البلون لا يحلق بقوة محرك ، بل بخفة وزنه

ولكن من بضع سنوات استنبط الاستاذ بيكار البلجيكي طريقة بديعة للتحليق في الجو . ذلك بأنهُ صنع كرة كبيرة من معدن خفيف ومتين في آن واحد . والواقع ان معدنها خليط من الالومنيوم (وهو معدن اواني المطبخ) والقصدير . وقطر هذه الكرة متران . وهي محكمة الصنع ، فلا يخرج منها في خلال الطيران شيءٌ ، ولا يدخلها شيء . اذاً كيف يتنفس الجالس فيها؟ يجدّد الهواء داخلها بواسطة اكسجين نقي يخرج خروجاً منتظماً من اسطوانتين تحتويان عليهِ ، وكلٌّ منهما تحتوي على مقدار من الاكسجين يكفي لحفظ هواء الكرة طبيعيًّا مدى ثماني ساعات . اما النَفَس الخارج من صدر الانسان فيحتوي على رطوبة وغاز يعرف باسم ثاني اكسيد الكربون ، وهو اذا كثر في هواءِ غرفة من الغرف أفسده . فكيف التخلص منهما؟ هناك مادتان كيميائيتان ، احداهما تمتص الرطوبة ، والثانية تمتص الغاز المفسد للهواءِ ، فتوضعان داخل الكرة في اجهزة خاصة فيبقى الجو طبيعيًّا فيهِ ، مهما يرتفع البلون في الهواءِ ومهما يقل الاكسجين خارج البلون . وهناك وسائل لتخفيف البرد القارس . منها طلاء أعلى الكرة بدهان اسود يمتص حرارة الشمس . ولكن الذين حلقوا بطريقة بيكار لم ينجوا كل النجاة من البرد الشديد

وقد أخذ المغامرون الشجعان في مختلف البلدان ، وخاصة في روسيا واميركا ، طريقة بيكار وجروا فيها شوطاً بعيداً قبل نشوب الحرب

ففي سنة ١٩٣١ بلغ بيكار في مغامرته الاولى الى ارتفاع ٥١٧٧٥ قدماً ، وفي رحلتهِ الثانية سنة ١٩٣٢ بلغ الى ارتفاع ٥٣١٥٠ قدماً ، وهما ارتفاعان لم تستطع طائرة ما من الطائرات التي تسير بمحرك أن تبلغهما حتى الآن . وتلت محاولتي بيكار محاولتان في روسيا ومحاولتان في الولايات المتحدة الاميركية . ومما يؤسف له ان الطيارين الروس بلغوا في تحليقهم الى علو ٧٢ الف قدم ، ولكنهم لم يعودوا أحياءً الى الارض ، وعودة الطيارين احياءً شرط أساسي في احراز قصب السبق . ولذلك لا ينسب الرقم القياسي في التحليق اليهم

اما الطيارون الاميركيون فقد بلغوا الى ارتفاع ٦١٢٣٧ قدماً فوق سطح الارض في سنة ١٩٣٣ ثم جربوا التحليق في سنة ١٩٣٤ ببلون جديد فبلغوا الى ارتفاع ٦٠ الف قدم ثم تمزق البلون وانفجر وسقط ولكنَّ الطيارين نجوا بالاعتماد على مظلات النجاة (الباراشوت)

أما سعة هذه البلونات فما يجدر ان نقول كلمة فيهِ . فقد كانت سعة بلون بيكار صغيرة جدًّا ، بالقياس ، الى البلونات التي استعملها الروس والاميركيون . والسعة لها شأن كبير في أقصى ما يبلغ اليهِ البلون من التحليق لانهُ كلما كبر البلون ازداد امكان التحليق بهِ الى علوٍّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أعظم . فقد كانت سعة بلون بيكار ٥٠٠ الف قدم مكعّبة من الغاز وسعة بلون الاميركيين الاول كانت ٦٠٠ الف قدم مكعبة وسعة بلون الروس ٩٠٠ الف قدم مكعبة وسعة البلون الاميركي الثاني ثلاثة ملايين قدم مكعبة

ثم صنع الاميركيون بلوناً جديداً سعتهُ ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ قدم مكعبة . وتبلغ مساحة سطحهِ عند تمام انتفاخهِ فدانين ونصف فدان ، ولكنهُ طبعاً لا يملأ بالغاز تماماً قبل تحليقهِ ، لأنهُ اذا ملئ بالغاز ، وحلّق ، يخف الضغط عليهِ من الخارج ، فيزداد الضغط من الداخل فينفجر . ولذلك يوضع في كيسهِ ما حجمهُ ٣٠٠ الف قدم مكعبة فقط من الغاز — وهذا الغاز هو الهليوم لأنهُ لا يشتعل — فيرتفع البلون عند وضع هذا القدر فيهِ عن الارض ولكنه يبقى مربوطاً بها بأمراسٍ وحبال فيبلغ ارتفاعهُ من أعلى كيسهِ الى أسفل كرتهِ ٣١٦ قدماً ويكون شكله حينئذٍ مثل علامة التعجب . ثم تقطع الأمراس بعد ذلك وكلما أمعن البلون في التحليق يزيد انتفاخ الكيس . حتى يصبح كرويًّا تام الكروية عند ما يبلغ ستين الف قدم أو فوقها . وقد عاد بيكار وزملاؤهُ والطيّارون الاميركيون بمعلومات نفيسة عن الاشعة الكونية وغيرها من الظواهر الطبيعية والجوّية

***

هذا فيما يتعلّق بريادة طبقات الجوّ العليا . فلننتقل الآن الى ريادة أغوار الماءِ . ولا يخفى انه كلما زاد غوص الانسان في الماء زاد الضغط على جسمهِ . وقد يبلغ هذا الضغط ، مائة متر أو أكثر قليلاً تحت سطح الماءِ مبلغاً عظيماً لا يتحملهُ جسم الانسان . فاستنبط أولاً جهاز يوضع حول رأس الغوّاص يمكنهُ من استمداد الاكسجين ، للتنفس ، بوساطة أنبوب من معينٍ في السفينة التي يغوص منها . ولكن سائر الجسم لا يتحمل شدَّة الضغط . ثم ان الغوّاص في خلال صعودهِ الى سطح الماءِ يجب أن يصعد رويداً رويداً ، حتى يلائم بين تنفسهِ وضغط الماءِ ، الذي يخفّ رويداً رويداً في خلال صعودهِ ، فاذا أسرع في الصعود الى سطح الماءِ ، وخفَّ الضغط فجأة عن جسمهِ فقد تنفجر الأوعية الدموية في الدماغ وسائر الأعضاءِ ويحدث نزيف قد يكون قاضياً عليهِ

ولذلك ظلّت ريادة الأغوار المائية متعذرة على أوفى وجهٍ ، حتى استنبط عالم اميركي يدعى بيب وصاحب لهُ يدعى بارتن كرةً من قبيل الكرة التي تعلق ببلون پيكار . بل أن كرة بيب سبقت كرة پيكار

وهذه الكرة فيها جهاز يجهز من داخلها بالاكسجين للتنفس وفيها جهازان آخران

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لامتصاص الرطوبة وثاني اكسيد الكربون وهما مما يفسد الهواء ويجعلانه غير صالح للتنفس وفيها مراوح تتحرّك تحركاً ذاتيّاً، لكي لا يركد الهواء ويسكن . وهذه المعدات تكفل للغائصين أسباب الراحة الجسدية . وقد غاص بها الدكتور بيب ورفيق لهُ غير مرة، وبلغا في غوصهما الى عمق نصف ميل أي نحو ٣٠٠٠ قدم، وقضيا كل مرة أكثر من ساعتين، فكان يحيط بهما داخل الكرة جوّ طبيعي من الحرارة والرطوبة والهواء والاكسجين وغير ذلك

ولهذه الكرة ثلاث عيون، أي ثلاث فتحات قطر كل منها ثلثا قدم . وقد ثبت فيها تثبيتاً محكماً ألواح من زجاج الكوارتز، وهو زجاج صلب متين وشديد الصفاء . وجعلت كثافة اللوح منها ربع قدم حتى لا يتكسر بفعل ضغط الماء . ومن هذه العيون يطل العالمان على عجائب الماء والاحياء التي فيه، ويصورانها بما عندهما من الاجهزة

تدلى هذه الكرة من السفينة بحبل قوي متين يقوى على حمل ما وزنهُ ٢٩ طنّاً، ومع هذا الحبل حبل آخر يحتوي على أسلاك للتلفون، وأخرى للاضاءة الكهربائية . ذلك بأن الكرة مضاءَة لتمكن الباحثين من إنجاز عملهما فيها وهما في أغوار البحار المظلمة بتوجيه مصباح كهربائي كشّاف قوي من إحدى العيون، فيريان بضوئه الاسماك وسائر الأحياء البحرية التي تمر من أمامهما

والعالمان كذلك متصلان بالسفينة بسلك تلفوني، يصدران بهِ الأوامر الى الرجال الذين يتولون تدلية الكرة الى الأعماق ويطلعانهم رويداً رويداً على أوصاف ما يرون من لون الماء ودرجة الحرارة وغير ذلك

ومما يدل على قيمة هذا — الاختراع — ان ضغط الماء على عمق ١٥٠٠ قدم يبلغ ٣٣٦٦ طنّاً، اي انهُ لو تعرض جسما هذين العالمين، تعرّضاً حرًّا لهذا الضغط، لسطحهما تسطيحاً بل لمحاهما محواً . ومع ذلك أقاما نحو ساعتين داخل هذه الكرة على عمق نحو ٣٠٠٠ قدم حيث الضغط اعظم جدًّا، وظلاً مقيمين كأنهما في جوّ طبيعي . وقد سئل الدكتور بيب بعد احدى تجاربه عن شعوره في خلالها فردّد كلمات الفيلسوف هربرت سبنسر قائلاً: « ذرة متناهية في الصغر في فضاءٍ متناه في السعة والعظمة »

***

بقي أن نقول كلمةً عن ريادة مفاوز الجليد حول القطبين وبطل هذا النوع من الريادة الحديثة غير منازع رجل يدعى الاميرال رتشرد ادلين برد وهو اول رجل بلغ القطب الشمالي والقطب الجنوبي بالطائرة . ففي سنة ١٩٢٦ طار هو ورفيق له يدعى فلويد بنيت من جزيرة سبتسبرجن الى القطب الشمالي وحوّم حوله، وعاد الى الجزيرة في خلال ست عشرة ساعة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فقطعا في الذهاب والاياب نحو ١٦٠٠ ميل اي بسرعة مائة ميل في الساعة

ثم دبّر رحلة الى القطب الجنوبي ، وأخذ معهُ طيارتين ، فاستكشف بهما مفاوز الجليد حول القطب ، عدا ما قام بهِ العلماء الذين صحبوهُ من دراسة النباتات والحيوانات والظواهر الجوية . وطار هو بالطائرة الكبرى مع رفيقين لهُ الى القطب الجنوبي فبلغهُ وحوّم حولهُ ، ومن أعجب ما يروى عنهُ في هذا الصدد ، انهُ اتصل وهو محلّق فوق القطب الجنوبي ، اتصالاً لاسلكيًّا بجريدة نيويورك تيمس ، فتحدث مع أحد رجالها حديثاً تلفونيًّا ، والمسافة بينهما عشرة آلاف ميل . فاذا لم يكن هذا من العجائب فنحن لا نعلم ما تكون العجائب

ولم يكتفِ الاميرال برد بما تمَّ على يديهِ وأيدي صحبهِ في رحلتهِ الأولى فنظّم رحلة أخرى ، غرضها البحثِ العلمي . وآيةُ هذه الرحلة واقعة حدثت لهذا الرجل لم يرو التاريخ ما يماثلها في قديمهِ وحديثهِ ، وهي تدلُّ على جرأةٍ وإقدام وإعتدادٍ بالنفس وإنكارها ، لم تؤثر عن أعظم الأبطال

فمن أروع ما ذكر عن هـذه الرحلة ان الاميرال برد ابتنى كوخاً صغيراً على الجمد في محلّة نائيةٍ عن مقرّ البعثة الرئيسي ، وأقام فيهِ طول الليل القطبي الدامس ، الذي يدوم من ثلاثة أشهر الى أربعةٍ ، منفصلاً عن العالم فكأ نهُ على حدّ قولهِ انتقل الى عالم آخر أو الى سيّار غير الارض ، وجعل يدوّن الارصاد الجوية في داخل القارة المتجمدة الجنوبية في أوقات ومواعيد مضروبة . فكان في بدءِ عزلتهِ هذه ، فرحاً مرحاً يدوّن الارصاد ويطالع الكتب ويكتب يوميتهُ ويتحدَّث باللاسلكي معْ رفاقهِ . ويقول ان تلك الفترة كانت أسعد فترةٍ عرفها في حياتهِ ، لأنهُ أحسَّ بطمأنينة نفسية عجيبة في خلالها

ولكنهُ أصيب في الشهر الثالث بتسمم سببهُ دخان موقدهِ فغشي عليهِ غير مرّة وضعف جسمهُ واضطرب هضمهُ وأصبح لا يقوى على شيءٍ إلاّ بالجهد الجهيد . وكان يستطيع أن يطلب النجدة من اخوانهِ في مقرّ البعثة بمجرد كلمة يقولها لهم باللاسلكي ، فلم يفعل ، لأن الرحلة من مقرّهم الى محلتهِ كانت محفوفة بالمخاطر في ظلام الليل القطبي . بل على الضدّ من ذلك ظل يحدثهم في المواعيد المضروبة حتى لا يظنوا السوء ويهبّوا اليهِ ، مع ما كان يقتضيهِ هذا الحديث منهُ من الجهد العظيم . وظل على ذلك شهرين من الزمان يقتصد في قواه حيث الاقتصاد ممكن حتى يتمكن من تدوين الارصاد والتحدث مع صحبهِ باللاسلكي . وأخيراً تغلب على السقام بحسن التدبير وقوة النفس . فلما وصل اليهِ صحبه بعد انقشاع الظلام القطبيّ كانت صحته قد تحسنت فرحّب بهم قائلاً « أهلاً بالصحب » ويقول أحد علماء أميركا انهُ لم يسمع ولم يقرأ عن قصة تنطوي على بطولة أعظم وأروع من هذه البطولة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم

رسالته وحقوقه

لمصطفى نظيف بك

استاذ الطبيعة بكلية الهندسة (١)

موضوع المحاضرة

موضوع حديثي اليوم يشغل العقول ويتبوأ المكان الاول في تفكير المفكرين خصوصاً في الأزمات الشبيهة بالازمة الحالية التي تنتاب الانسانية حيناً بعد حين . سبقني الى التحدث عن بعض نواحيه الاستاذ الدكتور علي مصطفى مشرفة بك في محاضرة القاها هذا العام في الجامعة الأميركية كان موضوعها « كيف ينبغي أن يوجه العلم والعلماء لتحقيق تعاون عالمي » . وسبقني الى بعض نواحيه الاستاذ الدكتور احمد زكي بك في حديث ممتع ألقاه في القاعة الشرقية بالجامعة الاميركية في اليوم التالي لمحاضرة مشرفة بك . ولست أريد اليوم أن أعيد ما قيل . انما هي وجهة نظر لي في هذا الصدد أريد أن أبينها أراني أخالف فيها رأياً شائعاً عند كثيرين

ناحية من هذا الموضوع نفسه عنيت بها أنا كذلك من قبل . كان ذلك في مثل هذا الحال من المحنة التي اجتازها العالم في الحرب السابقة . فقد نشرت لي مجلة المقتطف في عدد شهر يوليو من سنة ١٩١٦ مقالاً عن العلوم الحديثة حاولت أن أبيّن فيه ان للعلم سوى ما نرى ونلمس ونحس من ثمراته المادية ، التي تمتاز بها الحياة في هذا العصر عن الحياة في العصور السابقة بجميع ما فيها حياة هذا العصر من أسباب الراحة والمتعة ووقف بعض الامراض وتخفيف بعض الآلام ونحو ذلك وغير ذلك — ان للعلم سوى هذه الثمرات فوائد هي أبعد وأمعن تأثيراً في حياة الانسان ومصير الانسان . حاولت أن أبين ان تدريب العقل على التفكير العلمي بحيث يزداد الأخذ في أمور الحياة بالأساليب العلمية هو أكبر وأعظم فائدة مما نجد ونلمس في فوائد العلم في الحياة . حاولت أن أبين ان الكشف عما نسميه القوانين الطبيعية في عالم الجماد والنبات والحيوان هو الوسيلة الوحيدة التي يستطيع بها

(١) محاضرة ألقيت في المؤتمر السنوي الذي عقده المجمع المصري للثقافة العامية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الانسان أن يسرع حركة الطبيعة البطيئة في مجرى التطور ، فبه يستطيع أن يجتنب عن قصد العوامل والاسباب التي تدعو الى تقهقر الجنس وانحطاطه ، ويهيء عن قصد، تلك التي تعمل على سموه وكماله . حاولت أن أبين ان مثل هذه الامور يجب أن يكون مدعاة قوية الى عناية المجتمع بالعلم وبالبحث العلمي . وذلك علاوة على ما يجده المشتغل بالعلم المنقطع له من حافز نفسي ذاتي يقوى في بعض الاحيان قوة تجعلهُ يضحي في سبيل العلم لا أقول بالمال والراحة وحدها ، بل أقول بالصحة والحياة نفسها كذلك

لا أريد أن أفصل اليوم هذا الذي سبق أن بينت في تلك المقالة وأجدني ما زلت عند هذا الرأي وانما أريد في حديثي اليوم ، من بين ما أريد ، أن أصحح موقفاً وقفته آنئذٍ

غرني وقتئذٍ ما كان يزجى من أقوال . ونحن لانزال نذكر قولهم « انها حرب لانهاء الحروب » . نخلت ان المسيطرين على أمور العالم وقد أحسوا عن قرب في أموالهم وأهليهم وأنفسهم شرور العالم ، لابدَّ آخذون بمنطق الحوادث في تجنيب العالم أسباب تلك الشرور ، وتخفيف ما فيه حتى في أوقات السلم من أسباب الشقاء

وقنعت بأن أورد في ختام تلك المقالة مثالين أخذتهما عن بعض ما نشرته مجلة المقتطف نفسها من مقالات

أحدهما رأيت أن أدلل به على ان تبعة ما يجره العلم على الانسان من الشر بجانب ما يجره من الخير ليست واقعة على العلم ولا على العلماء . وأخذته عن « كميل » حيث مثّل بالسيارة يستخدمها الطبيب لاسعاف المريض وقد يستخدمها اللص للافلات من طائلة القانون . والآخر رأيت أن أدلل بهِ على ما يتبع الروح العلمية والتفكير العلمي من أثر حتى في سلوك الانسان الشخصي . وهو مأخوذ عن تشستر » من خطبة الرآسة في المجمع البريطاني لتقدم العلوم . قال: انهُ كان عند أحد أصدقائه الاميركيين تلسكوب فلكي كبير . فزاره ذات ليلة صديق له كان من المشتغلين بالسياسة والمتطرفين في الحزبية . وكان وقتئذٍ وقت الانتخاب لرآسة الجمهورية، وكان المتنافسان على الرآسة « بريان » و « تافت » وكان النضال على أشده وأعنفه بين الانصار والانصار . فنظر الزائر نظرة في النجوم ، وقال « أتقول ان كل نجم من هذه النجوم شمس مثل شمسنا ؟ » قال نعم . قال « أتقول ان لكل نجم منها سيارات تدور حوله كما تدور السيارات حول شمسنا ؟ » قال نعم . قال « وقد يكون في كل سيارة منها أحياء كما في الارض ؟ » قال نعم

فأطرق الزائر قليلاً ثم نهض وقال « اذن سيان عندي أتم الانتخاب لبريان أم لتافت »

أنا بحديثي اليوم أريد أن أصحح ذلك الموقف الذي وقفته . فاني ارى اليوم ان تقدم العلم

جائز ان يسوق العالم شيئاً فشيئاً نحو تلك « اليوتوبيا » الحياة الفاضلة ، التي تصورها كثير من الفلاسفة والمصلحين في العصور المختلفة — جائز هذا وليس بالمحال . انما الذي يتوقع ان العالم مسوق بطبيعته الى هذه الحياة ، والحال حتى في أزمنة السلم على ما نرى ونعلم ، مثله كمثل الذي يرى الماء على النار ويتوقع جموده بدلاً من غليانه

﴿ العلم ﴾ أنا أقصد بالعلم نوعاً من المعرفة يتوصل اليه العقل سالكاً اليها سبيلاً خاصاً لغاية خاصة . ليس من الميسور تعريفه التعريف الشامل المانع . ولكني سأستعين على توضيح ما أريد بفكرة عامة

يحتمل ان « برجسون » [1] الفيلسوف الفرنسي المشهور هو اول من رأى ان الحياة كما نعلمها في مملكة الحيوان تستعين في تحقيق مطالبها بوسيلتين او قل بقوتين متغايرتين في طبيعتهما . احداهما يسميها «برجسون» (انستنكت) [2] ولنقل الغريزة اذا شئنا . هي تفعل فعلاً أشبه بالآلي ، دون قصد او تفكير او روية . هي أشبه بقوة تقسر المقسور على ان يفعل على نهج واحد يتكرر عاماً بعد عام أو جيلاً بعد جيل ، بحيث يعيد الجيل ما فعلهُ الجيل السابق دون تصرف أو تعديل . وهذه القوة بلغت أرقى مراتبها المعلومة في بعض الحشرات كالنمل والنحل

أما الثانية فيسميها (انتلكت) [3] ولنقل العقل او « التمييز » هي تستفاد بالخبرة وتكتسب بالتعلم ، وتفعل عن روية وقصد وتدبير ، وتخوّل من يؤتاها المقدرة على التصرف في الاحوال المختلفة بل والمقدرة على تكييف الظروف والملابسات بما هو أدعى وأولى بتحقيق الغايات المقصودة

كلتا القوتين توجد في الانسان وتوجد في كثير من الحيوان ولكن بمقادير متباينة والثانية بلغت أرقى مراتب الوجود فيما يتعلق بالحياة كما نعلمها في الانسان

تلك القوة التي تستفاد بالخبرة وتكتسب بالتعلم وتتراكم على مرّ الاجيال ، وهذه وظيفتها في الحياة ، هي التي أقصد بلفظ العلم بمعنى « سيانس » بأعم معاني الكلمة وأشملها

وهذا المنحى الذي أنحوه في تعريف العلم هو في نظري أكفل بتمييزه وأكفل بتبيان غرضه وأكفل في الوقت نفسه بتجنيبنا أموراً جدلية ما برحت تحدث بين المشتغلين بالعلم والمشتغلين بسواه كثيراً من التباين والاختلاف ، ان لم أقل من النفرة والبغضاء

لا يسمح المجال في الاسترسال في هذا الباب . حسبي أن أقول ان العلم بهذا المعنى لا يتعارض البتة ، اذا لازمنا هذا المنحى في تبيانه ، لا يتعارض البتة ووجود ، أو امكان

---

(١) Henri Bergson في كتابه Évolution Créatrice

(٢) Instinct (٣) Intellect

وجود ، نوع آخر من المعرفة يأتي عن الطريق الآخر لا يهمني ان سمي غريزة أو وحياً أو إلهاماً . ليس أدل على المعنى الذي أقصده بالعلم « سيانس » من الاسم الذي أطلقهُ عليه الاسلاميون ووُفّقوا اليه أتم توفيق ، وهو « العلم التعليمي »

﴿ رسالة العلم ﴾ العلم بهذا المعنى ليس عبثاً ولعباً . انهُ يؤدي في الحياة وظيفة . وله في الحياة رسالة . هي بإيجاز النفع — النفع بالمعنى الشامل العام وبمعناه السامي التام

هذه الفكرة تظهر أول وهلة نابية عن الذوق السليم ، لأننا ألفنا أن نقسم العلم قسمين ، بحتاً ونقول انهُ لمجرد المعرفة ، وتطبيقاً ونقول انهُ للمنفعة . فاذا قلت ان العلم بحتيّه وتطبيقيّه هو كلهُ للمنفعة وله في الحياة وظيفة حيوية يؤديها بدا هذا القول كأنه يفقد العلم البحت سموه وينزل به من عليائه . ولكني لا أتردد في أن أقول لو جُرّد العلم البحت من النفع لكان مثلهُ في الحياة كمثل لعبة الشطرنج على الرغم مما قد تتطلبه من مجهود عقلي كبير أو صغير فهي لعبة للهو والعبث لا يحق للاعبها أن يطالب المجتمع بالعناية بها أو بتمويلها للتوسع في ابتداع أساليبها والكشف عن حيلها ما لم يكن منها نفع يعود على المجتمع

ان التمييز بين العلم البحت وبين العلم التطبيقي اذا أُريد بهِ التمييز بين قيمتين أو بين غايتين ، مردّهُ في نظري الى كبرياء ورثناها من عصر غابر انقضى زمانه ، انقسم الناس فيهِ سادةً وعبيداً ، سادة خصصوا أنفسهم للنظر في أمور الرعية وقبضت أيديهم على مقاليد الامور ، كان منهم الكهنة والملوك والامراء ، أنفوا النزول بأنفسهم الى مستوى السوق (اذا استعرت هذا اللفظ من الدكتور زكي بك) ومطالب الحياة المادية . وآخرين كانوا هم العاملين في الصناعات والحرف والزرع والحرث وأمور الدنيا . اذا عني السادة بشيءٍ يقال له العلم فهو الفلسفة والالهيات وما الى الفلسفة والالهيات من الامور السامية العلياء — لا بالامور العملية النفعية التي تركوها للسوقة والرعاع . لنذكر في هذا الصدد موقف الفلاسفة اليونانيين — حتى ارخميدس نفسه كان يأنف ان يجرب تجربة بيديه ولنذكر في هذا الصدد حيناً آتى في تاريخ الطب القديم ، عدَّ الطبيب نفسه من علية القوم فانحطَّ الطب الى ان صار علماً نظريًّا بحتاً ، لأن الطبيب ترفع عن فحص المريض او عن ان يعمل بيديه عملية جراحية وترك أمر هذا وذاك الى الحلاقين والمزيّنين

لست اعترض على تقسيم العلم الى علم بحت وعلم تطبيق اذا اريد بهذا التقسيم ما يراد من تقسيم العلم الى فروعه المختلفة — الرياضة والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان ونحو ذلك . انما أعترض اذا أريد به كما قلت التمييز بين قيمتين او بين غايتين

﴿ علاقة العلم بمقتضيات الحياة ﴾ اذا كانت تلك هي ماهية العلم وتلك هي وظيفته في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحياة وجب ان يكون للعلم علاقة وثيقة بمقتضيات الحياة ، ووجب ان يكون تطوره في العصور ذا اتصال بظروف الحياة في تلك العصور

هذه ناحية من موضوعي لا يسمح المقال بالاسهاب فيها وسأكتفي بأن أشير بايجاز على قدر المستطاع الى أمثلة ثلاثة أستعرضها من المراحل المختلفة في تاريخ تطور العلم

﴿ النشأة الأولى للعلم ﴾ هذه النشأة ترجع الى أقدم عصور التطور في تاريخ الانسان . لست أقصد عصر الحضارات القديمة حضارة مصر وبابل وأشور ، انما أقصد عصوراً سبقت عصور تلك الحضارات بآلاف بل بمئات آلاف من السنين . أقصد أولاً العصر الذي يسميه « الاركيولوجيون » العصر الحجري الاول . العصر الذي لم يكن الانسان فيه قد انتصبت قامته بعد ، وكانت له أنياب وأظافر أحدّ وأقطع من أنيابنا وأظافرنا ، وكان أقوى على النزاع والقتال وأجلد . ولكن لم يكن ما حبته الطبيعة به من اعضاء جسمه وقوته كفيلاً له بالغلبة على معاصريه في معترك الحياة ، فعوضهُ الله عن نقص ذلك برأس يقول « الاركيولوجيون » كان أكبر من رأس أرقى أنواع القرود المعروفة . فاستكمل الضعف الطبيعي الذي فيه بآلات وأدوات فطرية اتخذها من الحجارة والخشب شحذ جوانبها ودبّب أطرافها وأخذ يستعين بها ضرباً وطرقاً وقطعاً وقذفاً ، في أمور صيده والدفاع عن نفسه وتحصيل ضروريات حياته

ثم العصور التي تلت ذلك ولا سيما حين درى بالنار وعلم كيفية الحصول عليها وأدرك فوائدها وعرف تسخيرها في شيّ لحم الصيد وفي الاستدفاء وفي الاستضاءة ليلاً وفي تخويف عدوه من الحيوان . ثم العصر الذي كشف فيهِ الزراعة وأخذ يدجن بعض الحيوان وأخذ يستقر نوعاً من الاستقرار في بقاع مناسبة من الارض وأخذت تدخل الحياة اولى مراحل صورتها الاجتماعية الحاضرة ، وأخذت تضطره حاجات الزراعة الى بعض الحرف والى معرفة الفصول وتوقيت الاوقات والى القياس والكيل والحساب والى الانتقال ذهاباً واياباً لتصريف الزائد وجلب الناقص ، ثم الى الحرب مع بني جنسهِ للغزو والسلب بغية الحصول على الغنائم السهلة او دفاعاً عن النفس

تلك هي المبادىء الاولى من العلم — وتلك المرحلة الاولى في تطور الانسان أفضت الى قيام الحضارات القديمة وفيها أخذت تلك المبادىء من العلم تتسع وتزداد ويلتئم بعضها ببعض بكيفية يقتضيها التعلم والتعليم حتى نشأت فروع من العلم هي أقرب شبهاً من العلم بمعناه الحديث

في تلك العصور ظهر علم الحساب والهندسة ومساحة الارضين والفلك والطب والكيمي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومبادىء علم التعدين ونحو ذلك ، وجميعه واضح الدلالة على ارتباطه بشؤون الحيـاة وتعلقه بأمور الدنيا

﴿ نهضة العلم في انكلترا في القرن السابع عشر ﴾ لا يسمح المقام كما قلت بأن أتتبع تطور العلم مرحلة مرحلة . فلنترك العصر القديم ولنترك العصر الاسكندري ولنترك العصر الاسلامي بل لنترك عصر النهضة ولنقف قليلاً في القرن السابع عشر نعرض الحال في انكلترا

يصح ان نعد القرن السابع عشر مبدأ التحول نحو الحياة التي نسميها اليوم « الحيـاة العصرية » التي يسود فيها سلطان المال والتجارة والصناعة

في ذلك القرن ألحت مقتضيات الحيـاة في وجود نوع من العلم العملي يستفاد منهُ في شؤون الصناعة والملاحة والحرب والاستعمار . وفي ابان ذلك الوقت قدّر أن يظهر في انكلترا كاتب من أبلغ الكتّاب ذو قلم سيّال قوي هو « فرانسس باكون » (١٥٦١ — ١٦٢٦) كان ابوه من رجال الدولة المقـربين الى الملـكة اليزابث وكان هو قد درس القانون وتولى الحكم في حـكم « جيمس الاول » وهو الذي خلف « اليزابث » على العرش ديوان قاضي القضاة . واتهم بالرشوة وأقيل من منصبهِ . لا يعنينا من ظروف حياته الخاصـة ولا مبلغ هذه التهمة من الصحة ولا ملابساتها السياسية . ولم يكن «فرانسس باكون» ممن يصح ان يسموا بالعلماء المبتدعين . وانما نعنى به في هذا الصدد كمحام كفء قدير تطوَّع للدفاع عن قضية العلم وتبيان فوائد العلم العملي في الحياة في جميع نواحيها في التجارة والصناعة وتحسين الصحة ومعالجة سوءات الفقر . وبالجملة في اصلاح الحياة الاجتماعية وسعادة المجتمع بجميع طبقاته

وقد ألف في ذلك كتباً كثيرة وأسرف ان صح هذا التعبير في الكتابة والدعوة الى هذا النوع من العلم . وقد كان لذلك اثر عميق لا في انكلترا وحدها بل وفي فرنسا ايضاً

وكان من الكتب التي ألفهـا كتاب على منوال الرواية جعل عنوانه الاطلنطس الجديدة[1] وصف فيه جزيرة هذا اسمها ، مجهولة في غيابات المحيط الهـادىء ، نظم اهلهـا حياتهم فيها على أساس يوحيه العقل وسداه العلم والاختراع مقاليد الامور فيها بيد جماعة منهم ينظمون أحوالهم ويسوسون أمورهم ، مقرهم فيها دار سماها « دار سليمان » وهم جميعاً

(١) The New Atlantis ومن محاسن المصادفات ان من بين الكتب المقرظة في عدد رقم (٨٠) من نشرة Britain Today بتاريخ دسمبر سنة ١٩٤٢ (كتاباً عنوانه «An Unknown Land» تأليف « Viscount Samuel »وصف فيه الكاتب جزيرة «باكون» وقد بقيت على ممر الاجيال ووصف ما بلغته الحياة فيها من الرقي وكيف تجردت من مساوىء الحياة العصرية كما نعهدها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

زملاء متضامنون متضافرون يعملون للمصلحة العامة لم يسمهم أعضاء بل آثر ان يسميهم « القرناء »

أذكر هـذه الامور لأن « باكون » صوَّر بما كتب ووصف حاجات ذلك العصر ومطالبه . لاشك ان تلك الصورة التي تركها باكون بعد وفاته أثارت في نفوس فريق من العلمـاء العناية بالعلوم العملية أو كما كانت تسمى « بالفلسفة التجريبية » . فكان فريق من العلماء الانكليز يجتمعون للتشاور وتجربة التجارب ، وأفضت اجتماعاتهم الى قيام « الجمعية الملكية بلندن ». وكان في ابان ذلك العصر نفسه فريق من العلماء الفرنسيين يجتمعون كذلك للتشاور والمناقشة في بيت « بسكال » الكبير بباريس وأفضت اجتماعاتهم كذلك الى قيام « أكاديمية العلوم » في فرنسا . بل ان الذين أنشأوا الجمعية الملكية بلندن تأثروا بما كتبه باكون الى مدى — لا أخطىء اذا قلت — جعلهم يتخذون « دار سليمان » مثالاً يحتذون منواله ، حتى آثروا أن يكون لقبهم في الجمعية « القرناء » ، فصار هـذا اللقب أسمى ما تصبو اليه نفس العالم البريطاني من ألقاب التكريم والتقدير

تلك بايجاز الملابسات التي نشأت فيها الجمعية الملكية بلندن وليس أدل على أغراضها من مشروع المذكرة التي وضعها « رن » (١) لـكي يصدر بهـا المرسوم بانشائها . تضمنت تلك المذكرة اشـارات عدة في مواضع شتى الى ما يترتب على تقدم ما عبّر عنهُ بقوله (الفنون والعلوم المفيدة) (٢) الى ما يترتب على ذلك من يسر ورخاء وتحسـين في الحالة الصحية يعم أفراد الشعب جميعاً ويخفف ما في الحياة من شقاء ، والى ما يترتب على ذلك أيضاً من اتساع التجارة وزيادة المخترعات المفيدة . بل ان المذكرة التفسيرية التي صدر بها مرسوم انشاء الجمعية لتؤكد الغاية النفعية المقصودة منها بما تضمنته من وصف أعضـائها « بأنهم البررة المصلحون لبني البشر » . وبالاشارة الى كشوفهم واختراعاتهم وتجاربهم بأنها « المفيـدة الباهرة » (٣)

***

يطول بي الحديث اذا استرسلت في الاقتباس مما كتب وألف عن نشأة هـذه الجمعية وأغراضها . يكفيني أن أشير مجرد اشـارة الى ما كتبه « هوك » أحد مؤسسيها ردًّا على منتقديها في انصراف أعضائها الى العناية بالأمور الدنيوية « الحقيرة » وان أشير الى بعض

(١) Christopher Wren أحد مؤسسي الجمعية (٢) Useful Arts and Sciences

(٣) انظر كتاب The Social Function of Science تأليف Bernal سنة ١٩٣٩ .

العبارات التي وردت في بعض الكتب [١] التي صنفت عن أغراضها بعد نشأتها ببضع سنوات . مثل ان من أغراضها تبيان الطريق القويم الذي يؤدي سلوكه بانكلترا الى ان تصير فخر العالم الغربي . وهذه العبارة « ان انكلترا بارشاد هذه الجمعية وقيادتها تتبوأ مكان الزعامة في توجيه الحضارة الاوربية » ومثل ذلك كثير

والقرن السابع عشر الذي شهد نشأة الجمعية الملكية بلندن شهد كذلك نشأة مؤسسة حكومية لعلها أول مصلحة حكومية علمية أنشأتها الدولة في انكلترا . وكانت الغاية منها غاية مصلحية نفعية صرفاً . كانت أساطيل التجارة الانكليزية تجوب البحار وقد بدأت انكلترا الأخذ بسياسة الاستعمار . وكان أن اعترضت الملاحة عقبة كأداء غرقت من جرائها سفن محملة بالخيرات ، وأزهق من جرائها كثير من الارواح . تلك العقبة هي جهل الملاحين بوسيلة ميسورة يستطاع بها تعيين خط الطول بدرجة من التدقيق تكفل سلامة الملاحة في المحيطات الشاسعة . ذلك هو الداعي الذي دعا الى انشاء مرصد « جرينتش في سنة ١٦٧٥ [٢] ويلقب مديره . بلقب « منجم الملك » [٣] ولعلهُ أسمى منصب في الدولة البريطانية ينالهُ عالم من علماء الفلك

يكفيني كذلك في هذا الصدد ان اتلو العبارة الآتية التي تضمنها الأمر الملكي الموجه الى « فلامستيد » [٤] عند تعيينه مديراً للمرصد

«وعليهِ أن يصرف اقصى عنايته ويواصل أعظم جهودهِ لاصلاح ازياج حركات الافلاك ومواضع النجوم الثوابت فى السموات ، لكي يحقق بذلك الأمل المنشود في تعيين ما يسمونه الطول على سطح البحار ، فيبلغ فن الملاحة ارقى درجات الكمال »

وقد رؤي في أبان ذلك العصر أن يستعان بأزياج القمر في تعيين خط الطول . وحركة القمر حول الأرض ليست سهلة بسيطة بل بالعكس على جانب كبير من التعقد ، وكما قال فعلاً بعض الكتاب أن الوقوف على حقيقة هذه الحركة والالمام بتفصيلاتها يقتضيان اولاً الكشف عن قانون عام تنقاد اليهِ لا حركة القمر حول الارض وحدها بل كذلك حركات الكواكب السيارة كلها في افلاكها حول الشمس

---

(١) The History of the Royal Society of London تصنيف Sprat سنة ١٦٦٧ والعبارات الواردة هنا منقولة عن J.G. Crowther من كتابه The Social Relations of Science سنة ١٩٤٠ (٢) انظر مادة « الملاحة » Navigation في دائرة المعارف البريطانية طبعة ١٩١٠ (٣) Astronomer Royal (٤) Flamsteed والعبارة منقولة عن كتاب Crowther المشار اليه آنفا ووارد معناها في كثير من المصادر الاخرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تلك بإيجاز هي الظروف والملابسات التي نجد فيها « نيوتن » بعد انشاء مرصد « جرينتش » باثني عشرة عاماً يكشف للعلم ناموس الجاذبية

حتى ناموس الجاذبية لا تعوزه الصلة بمقتضيات الحياة وأمور هذه الحياة الدنيا التي نحياها

وثمة امر آخر أخذت ظروف الحياة في القرن السابع عشر تمهد له . اتسعت في انكلترا أعمال المناجم واستخراج الفحم ونحوذلك في ذلك القرن . واعترض هذه الاعمال كذلك عقبة كأداء هي كثرة تجمع الماء في أعماق المناجم فصارت الحاجة شديدة الى ايجاد وسيلة ميسورة يستطاع بها نزح الماء المتجمع بكيفية تلائم مقتضيات الاعمال المتسعة الجارية . فلم تكن المضخات الماصة ولا الماصة الكابسة التي يديرها رجل او اثنان كفيلة بالغرض ولم تكن قوى الرياح مسعفة ولا مساقط الماء متوافرة ميسورة

لا يسمح المجال هنا كذلك بالاطالة. ويكفيني أن أقول ان في هذه الظروف ولتحقيق هذه الغاية اخترعت أول آلة بخارية وكان مخترعها « سيفري »(١) وكان يستخدم فيها — كما قيل بلغة ذلك العصر — « قوة النار الدافعة » . أوجز القول كذلك فأقول عقب هذا الاختراع الاول اختراع آخر كان أصلح وهو الآلة التي اخترعها « نيوكمن » (٢) وهي التي عمّ استعمالها لا في انكلترا وحدها بل في فرنسا كذلك . ولولاها — كما يقول بعض المؤرخين — لغرقت مناجم « نيوكاسل » من الفيضان الذي هددها بالغرق في أواخر القرن السابع عشر

بايجاز كذلك كانت تتركب هذه الآلة في أبسط صورها من اسطوانة ذات مكبس يدخلها البخار بأنبوبة تتصل بمرجل وبها صنبور يتعهده عامل . فاذا فتح الصنبور ودخل البخار الاسطوانة دفع المكبس فيها الى أعلى . فاذا أُقفل الصنبور وبردت الاسطوانة بالماء البارد تكثف البخار فيها فقلّ الضغط وعاد المكبس الى مكانه الاول . وهكذا هذه الآلة ظلت على حالها بلا تعديل حوالي نصف قرن

نحن الآن في القرن الثامن عشر وكان بجامعة جلاسجو آلة من نوع الآلة التي اخترعها « نيوكمن » يستعان بها على شرح عملها للطلبة ، وأصاب هذه الآلة خلل . وكان بجلاسجو صانع من صناع الساعات المهرة اسمه « وات » فطلب اليه اصلاحها ففعل

ولكنه وقد خبرها عن قرب تبيّن ان فيها عيباً يقلل من كفايتها ويجعلها تسرف في

(١) Thomas Savery (٢) Thomas Newcomen

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوقود اسرافاً من غير جدوى . ففكر وقدر ، واسترشد « بلاك »[١] مستكشف الحرارة الكامنة ، ورأى بعد جهد أن العيب فيها هو تبريد الاسطوانة بالماء كل مرة ، وان الأصلح فيها أن تظل درجة حرارة الاسطوانة ثابتة كدرجة حرارة البخار . واستطاع في نهاية الأمر أن يضيف الى هذه الآلة ما نسميه الآن المكثف بحيث اذا ما دفع البخارُ المكبس في الاسطوانة وصل البخار الذي فيها بالمكثف ، فيتمدد فيه ، ويقل الضغط من تحت المكبس فيعود الى مكانه الاول بغير حاجة الى التبريد — تعديل بسيط في مظهره وبيانه ولكنه كان عظيم الفعل لا في مصير الآلة البخارية وحدها بل وفي مصير الحضارة الانسانية كذلك

كان وات فقيراً لا مال لهُ يعينهُ على صنع الآلات واستغلال الاختراع فأشرك في نهاية الامر معهُ رجل من أصحاب الصناعات المتسعة بمدينة برمنجهام اسمه « بولتون »[٢] فاحتكر الرجلان صناعة هذه الآلة لا في انكلترا وحدها بل في جميع ممالك أوربا ودول أميركا . واحتفظ الرجلان بحقهما في نسبة من ثمن ما يقتصد من الوقود عند استعمالها . ولكن لا بد من وسيلة يستطاع بها تقدير هذا النصيب من المكسب . ففكر وات مرة أخرى وكان مآل الأمر أن اخترع طريقة آلية تدون بها تطورات الضغط في داخل الاسطوانة ويستطاع بها تخطيط ما يسميه المهندسون « الرسم الدال » [٣] والذي يتبين من دلالته مقدار العمل الذي تعملهُ الآلة . بل استطاع في هذا الصدد كذلك أن يبتدع المعنى المدلول عليه في الاصطلاح الحديث « بقدرة الحصان » ويقدر قيمة تلك القدرة . هذا هو الفصل الاول من هذه القصة

أما الفصل الثاني فيبدأ بمهندس فرنسي اسمه «كارنو » [٤]حاول أن يشرح نظرية عمل هذه الآلة وشبه كيفية الحصول من الحرارة بوساطة هذه الآلة على شغل ميكانيكي بكيفية الحصول من مساقط الماء على شغل ميكانيكي . بيد ان هذه الفكرة لم تنفق وما أخذ يترى من المعلومات من جهات شتى . وأولها المعلومات التي تبينها رمفورد .[٥] وهو يباشر تقوير المدافع وصنعها لملك بافاريا « ثم المعلومات التي تبينها جول » [٦] من تجارب جربها لعلَّ ظروف حياته وهو صاحب مصنع للبيرة قد يسرت له سبل أجرائها

تلك المعلومات وغيرها أدت الى معنى جديد في ماهية الحرارة وهو انها صورة من صور الطاقة وأدت الى قانون أساسي يعد من الأسس التي يقوم عليها العلم الطبيعي الحديث هو قانون بقاء الطاقة

---

(١) Joseph Black (١٧٢٨—١٧٩٩)

(٢) Matthew Boulton (٣) Indicator Diagram

(٤) Sadi Carnot (١٧٩٦ — ١٨٣٢) (٥) Benjamin Thompson او Count Rumford (١٧٥٣—١٨١٤) (٦) James Prescott Joule (١٨١٨—١٨٨٩)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأوجب كل ذلك النظر في نظرية الآلة البخارية على منوال يغاير نظرية « كارنو » ويطابق هذه المعلومات

أقول هنا كذلك بايجاز كان ذلك ايذاناً بنشأة علم جديد « هو علم الحركة » الحرارية [1] وهو علم اكاديمي يمعن في الاكاديمية الى أبعد مدى بل ويتوغل الى صميم بعض المذاهب الفلسفية. ولكنهُ على الرغم من ذلك وليد الآلة البخارية التي أوجدتها ظروف الحياة واقتضتها مشاغل الدنيا في مناجم الفحم في انكلترا

﴿ العصر الحديث ﴾ لنأخذ مثالنا من العصر الحديث

المشتغلون بالبحث العلمي في العصر الحاضر يصح ان نقسمهم قسمين احدهما فريق من ذوي المؤهلات العلمية يعملون في المعامل التي أنشأتها المصانع الكبيرة أو الشركات التي تتولى بعض المرافق العامة أو بعض مصالح الحكومة في الدولة . والفريق الآخر الأساتذة واعضاء هيئات التدريس في الجامعات والمعاهد المختلفة . وسأعرض بايجاز مثالاً من هذا الفريق ومثالاً من ذاك أبين بهِ نوع العمل الذي يعمل فيهِ الفريقان

مثالي الأول : معامل البحوث العلمية المتصلة بشركة التليفونات بالولايات المتحدة [2] . كان يعمل في هذه المعامل قبيل نشوب الحرب مئتان وأربعة آلاف شخص ، منهم ألفان من المهندسين ومتخرجي كليات العلوم من ذوي المؤهلات العلمية العالية . وأنتجت هذه المعامل بين سنتي ١٩٢٠ ، ١٩٤٠ حوالي مئة وألف بحث علمي مبتكر

طبعاً أكثر هذه البحوث يصح أن نسميه تطبيقياً يتعلق بموضوع التليفون ، بعضها يتعلق باصلاح الاجهزة والآلات المستعملة وبعضها يراد بهِ ابتكار وسائل جديدة كنقل الصور وكالرؤية عن بعد مما لعلهُ يعم تطبيقه في القريب العاجل . ولكن منها في الوقت نفسه بحوثاً علمية بعيدة عن الغرض القريب المتصل بالتليفون ولكنها نشأت عن أمور توجه النظر اليها من أجل أمور تتعلق بالتليفون

فمثلاً الرغبة في اصلاح التليفون بحيث تنتقل بوساطته الأصوات انتقالاً يتيسر معه تمييزها وادراك معانيها على أتم وجه حفزت الى دراسة ما يتعلق بالنطق والسمع دراسة مستفيضة تستبين بها الحقائق المرتبطة بهما على أوضح صورة . فرسمت خطة منظمة بشيء كثير من التروي والتدبير لاستقاء ما يستطاع من المعلومات في هذا الصدد ، سواء منها ما يتعلق بأعضاء النطق وكيفيته ومخارج الحروف والألفاظ ونحو ذلك، أو ما يتعلق بالسمع،

(١) Thermodynamics

(٢) تسمى هذه المعامل The Bell Telephone Labaratories

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أو ما يعتري النطق والسمع من الآفات التي تقلل من كفايتهما أو تفقدهما ، أو ما يتعلق باختراع الآلات أو ابتداع طرق اصلاح الآلات التي بوساطتها تتحول (اذا تساهلنا في التعبير) تموجات الأصوات الى اهتزازات كهربائية أو الاهتزازات الكهربائية الى تموجات الأصوات بكيفية تزول منها ما يعتري هذا التحول عادة من غلط وتشويه . لاشك ان هذه الدراسة المتسعة في هذه الموضوعات أنتجت فوائد كثيرة سرعان ما استفيد بها في أمور التليفون والفونوغراف بل في اختراع ما يسمونه « الحنجرة الصناعية » [١] وهي آلة تيسر بها اعادة المقدرة على النطق لأشخاص فقدوا تلك المقدرة من جراء عمليات جراحية عملت لهم ، ولكنها أنتجت كذلك بحوثاً في مسائل يصح أن نسميها علمية بحتة ، منها ما يتعلق بطبيعة اللغة ومنشأ اللغات وتطوراتها ومنها ما يتعلق بالخواص والمميزات الطبيعية لأصوات الكلام والموسيقى والضوضاء بل ومنها مايتعلق بالناحية النفسية من الادراك . فكما يقول « فلتشر » [٢] مدير قسم البحوث الصوتية بمعامل تليفون بل ، ان الانسان يدرك ما يعتري صوت الشخص القريب اليه العزيز لديه من تفاوت يسير ينم على حالته لا يحس به الغريب . والموسيقيّ الماهر يتبين وهو يقود جماعة من العازفين على الآلات المختلفة قد يبلغ عددهم مئة أو يزيد نشازاً طفيفاً في نغمة واحدة من الخضم الهائل الذي يتكوّن من تموجات النغمات المختلفة ذات الصفات المختلفة الصادرة من الآلات المختلفة . مثل هذه الناحية من الموضوع عني بدراستها أيضاً دراسة علمية عملية ، فصممت آلات حوكيت بها الاصوات محاكاة متقنة يزول معها في الحس التفاوت بين الحقيقي منها والحاكي . فاذا ما أدخل فيها على قدر وترتيب تغيرات معلومة مقيسة حتى يبدأ الحس بادراك التفاوت والاختلاف أمكن معرفة العلل والاسباب بل ومعرفة مقادير تلك العلل والاسباب

تلك وأمثالها أمور يطول ذكرها علاوة على شرحها ، وهي بعض ما ينشر في المجلة التي تصدرها شركة التليفون من البحوث والدراسات [٣] . وما تم من تلك البحوث حتى سنة ١٩٢٨ هو موضوع الكتاب النفيس الذي ألفهُ « فلتشر » وقد أشرنا اليه آنفاً في هذه الناحية من علم الصوت [٤]

مثال آخر — يدير « وليمز » [٥] وهو في طليعة علماء الكيمياء الحيوية في الوقت الحاضر قسم الكيمياء في « معامل تليفون بل » وتناولت بحوث هذا القسم بين ما

(١) Artificial Larynx (٢) Harvey Fletcher
(٣) The Bell System Technical Journal (٤) كتاب Speech and Hearing تأليف H. Fletcher ويتناول الموضوعات التي مثلنا بها (٥) R. R. Williams

تناولت مسائل مثل تأثير الرطوبة في مواد العزل التي تعزل بها الاسلاك التي تستخدم في التليفون ونحوه سواء كانت تلك المواد من منسوجات أو من مطاط ، ومثل طرق صون الخشب الذي يستعمل لنصب الاسلاك ومدها ونحو ذلك من أمور قريبة من شؤون التليفون . كان « وليمز » هذا قد عني منذ سنة ١٩١٠ بأمر تلك المادة الخفية في قشر الرز ويسبب نقصها في الغذاء مرضاً يسمونه « بري بري » [1] ينتشر انتشاراً مريعاً في الهند وجاوى والصين واليابان . ولم تكن تلك المادة في ذلك الحين ولا نظائرها الأخرى قد أطلق عليها اسم « الفيتامين » الشائع المألوف في الوقت الحاضر . « وليمز » نفسه يشير [2] الى الظروف التي وجهت تفكيره منذ ذلك الحين الى هذا الموضوع . فقد كان في ذلك الوقت بوظيفة « كيميائي » في حكومة (الفيلبين) . وكان بسبب هذا المرض ان بلغت نسبة وفيات الاطفال في عاصمة (الفيلبين) خمسين في المئة . وكانت تتكرر على هذا المنوال عاماً بعد عام لنقص تلك المادة الخفية من ألبان الأمهات اللاتي يرضعنَ أطفالهنَّ وهي مادة لا تتكون في جسم الانسان ولا يحيا الانسان من غيرها

لا يسمح المجال بالاطالة وحسبي أن أقول إنْ كانت الظروف التي وجد فيها « وليمز » وهو موظف في الفيلبين قد وجهت تفكيره منذ سنة ١٩١٠ الى هذا الموضوع فلعل الظروف التي كان يعمل فيها وهو مدير القسم الكيميائي من معامل تليفون بل منذ سنة ١٩٢٥ هي التي — لا أريد أن أقول أكسبتهُ الخبرة والمهارة بل يكفيني أن أقول — أتاحت أن يكون في متناول يده هو وأعوانه من الأجهزة والأدوات ووسائل البحث ما يسرت لهُ السبل التي أدت بهِ في سنة ١٩٣٣ الى أن يستخلص من طن أو يزيد من قشر الرز خمسة جرامات من تلك المادة التي يسمونها الآن « فيتامين ب١ » وهو نفسه يقول ان عملية الاستخلاص اقتضت في أول دور من أدوارها اناء سعته ثلاث مئة والف جالون أي ما يقرب من ستة أمتار مكعبة واحتاجت في الدور العشرين منها الى انبوبة اختبار لا تتجاوز سعتها عشرين سنتمتراً مكعباً . وكانت نتيجة هذه البحوث أمراً هو أبعد ما يخطر على البال عن أن يتحقق صدوره من بين جدران معامل تليفون بل . هو بإيجاز معرفة التركيب الكيميائي للفيتامين (ب١) بل تحضيره في المعمل وتحققت على هذه الصورة سنة ١٩٣٦ كما يقول « وليمز » نفسه « الغاية التي استغرق الوصول اليها ستة وعشرين عاماً » وصار الفيتامين ب١ يركب الآن ويحضر بالاساليب الصناعية

(١) Beri—Beri (٢) مقالة R. R. Williams وعنوانها The Quest of Vitamin B1 في عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٣٧ من مجلة Journal of the Franklin Institute

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا يسعني ان أغفل في هذا الصدد مثالاً آخر يتصل بصميم كشوف علم الطبيعة الحديث ان كثيراً من الاجهزة الاساسية التي تستعمل في اللاسلكي وفي السينما الناطقة وفي الرؤية عن بعد ونحو ذلك يتوقف فعلها على الالكترون . فلا بدع ان تدرس بعض نواحي الالكترون وخواصه في « معامل تليفون بل »

بدأ « دافسون » [1] يعني منذ سنة ١٩١٩ بدرس كيفية ارتداد الالكترونات اذا صوبت الى هدف من المعدن بعد اصطدامها بالهدف ورجوعها عنه . وتواصلت بحوثه هو وبعض معاونيه سبعة أعوام او ثمانية بين جدران « معامل تليفون بل » حتى آل الامر به في النهاية الى ان يتخذ بلورة من النيكل قطعها قطعاً مستوياً في وضع خاص وصوب على مقطعها قذائف من الالكترونات تقذف بضغوط كهربائية مختلفة وجعلها تتساقط على المقطع في اتجاه العمود على مستواه ودرس كيفية توزع الالكترونات عند رجوعها عن موضع اصطدامها بالسطح في الاتجاهات المختلفة وفي الاوضاع المختلفة التي توضع عليها البلورة . توجت تلك البحوث في سنة ١٩٢٧ بكشف هو من اخطر كشوف علم الطبيعة الحديث ، اعني الكشف عن الخواص الموجية للالكترون بل قياس الطول الموجي . وتحقيق هذه الناحية من نظرية « دي بروجلي » في « الميكانيكا الموجية » [2] . وجاء «تومسون» [3] من بعده . وكان بذلك ان نال الاثنان بالاشتراك جائزة «نوبل» على هذا الكشف الخطير

اكتفي بما ذكرت ، دليلاً على ان ما يجرى بين جدران امثال هذه المعامل من بحوث منها ما ليس من السهل ان لم اقل ما هو من المتعذر أن نتبين هل هو يعد من العلم البحت أو هو يعد من العلم التطبيقي

ولا نتقل الى الناحية الاخرى ولأورد مثالاً على نوع مما كان يجري قبل الحرب في معامل الجامعات من بحوث

تخرج مهندس كهربائي يدعي «كوكرفت» [4] من كلية « التكنولوجي » بمنشستر وكان يتتلمذ على «مايلز ووكر» والتحق بشركة « مترو بولتان فيكرز » عني في اوقات فراغه باجراء بعض البحوث في الهندسة الكهربائية بارشاد استاذه السابق . كان «كوفرفت» اول من نال الجائزة

---

(١) C G. Davisson (٢) مقالة C· G. Dvisson وعنوانها The Diffraction of Electrons by a crystal of Nickel مجلة The Bell System Technical Journal Vol. VII- 1928 وهي موضوع محاضرة القاها «دافيسون» في اواخر دسمبر سنة ١٩٢٧ اعلن فيها كشفه هذا (٣) G·P· Thomson ابن J·J. Thomson المشهور (٤) J· D· Cockroft انظر J. G. Crowther في كتابه المشار اليه آنفا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي أنشأتها جمعية المهندسين الكهربائيين عند انتهاء الحرب السابقة لمعاونة النابهين من المهندسين الكهربائيين على مواصلة البحث والدرس . وذهب الى كمبردج وهناك بين اعمال شتى لا ضرورة الى الاسهاب في تفصيلها عني بانشاء جهاز لاحداث قوة دافعة كهربائية عالية . وأمدتهُ الشركة التي كان هو من موظفيها بأجهزة وأدوات وآلات مما تخرجه الشركة للصناعات الكهربائية المختلفة. وبايجاز أيضاً أقول انهُ استطاع سنة ١٩٣٢ اتمام الجهاز وقدر ان يتحقق على يديهِ اكبر الأحداث في علم الطبيعة الحديث ، حدث تحطيم الذرة بالأساليب الصناعية : أي استحالة العناصر بفعل الانسان .

حقيقةً كان قد تمَّ « لرذرفورد » من قبل مثل هذا الأمر ولكن « رذرفورد » استعان بالدقائق الالفية المنبعثة من المواد (ذات النشاط الاشعاعي) . وانبعاث هذه الدقائق من مصادرها أمر طبيعيٌّ ليس للانسان القدرة على التسيطر عليه أو التحكم فيهِ ، وكان تحطيم الذرة في تجارب « رذرفورد » يشمل عدداً قليلاً من ملايين الملايين من الذرات . أما ما تم (لكوكرفت) فشيء على نمط جديد وبمقياس جديد

هذا مثال واحد يدل في نظري على تحول له مغزاه في بحوث علم الطبيعة الحديث . ها هنا علم كنا نسميه (بحثاً اكاديميًّا) أصبح اليوم يستعين بالمهندس الكهربائي وأصبح لا يقوى على المشي بدون ان يتوكأ على احدث منتجات الصناعة الكهربائية . فجامعتا (لفربول) و (كمبردج) لما أرادت كل منهما أن تنشىء « سيكلترون » في معاملها عهدت في الأمر الى شركة « متروپولتان ڤيكرز » وعهدت كمبردج كذلك الى شركة «فيلبس» في انشاء مولد للقوة الدافعة الكهربائية العالية

فالعصر الذي كان يكتفى فيه في أغراض البحث في علم الطبيعة بمنضدة وبضعة أجهزة وأنابيب من الزجاج وقليل من الزئبق ، هذا العصر قد انقضى . وعلم الطبيعة الحديث أصبح يحتاج الى انشاءَات هندسية هي فعلاً انشاءَات بأتم معنى يستفاد من هذا اللفظ . حسبي أن أمثل « بالسيكلترون » الجديد الذي يجري انشاؤه في جامعة (كاليفورنيا) — أو هو على الأقل كان يجري انشاؤه بها في العام الماضي . ان الحديد اللازم لمغناطيس هذا الجهاز هو سبع مئة وثلاثة آلاف لا أقول جراماً ولا كيلو جراماً بل أقول سبع مئة وثلاثة آلاف طن وملفات هذا المغناطيس تحتاج من النحاس الى ثلاثمئة طن [1] . لست أراني أخطىء أو أبالغ

(١) نشر W. M. Brobeck مقالة عن السيكلترون في عدد شهر يوليو سنة ١٩٤٢ من مجلة Electrical Engineering تتضمن بيانات أوفى عن السيكلترون الذي نشير اليه هنا . منها ان قطر قطبه المغناطيسي ١٨٤ بوصة أي حوالي ٤ر٨٠ من الامتار والقدرة الكهربائية اللازمة للتيار الكهربائي في ملفات المغناطيس أربعمائة كيلو وات . أما محدث الاهتزازة فقدرته خمسمائة والفان — ٢٥٠٠ — كيلو وات (يلاحظ ان المحطة الرئيسية للاذاعة المصرية قدرتها عشرون كيلو وات)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذا قلت لعل بحوث علم الطبيعة الحديث أصبحت تحتاج كذلك الى طراز جديد من العلماء تجتمع فيه الكفايتان : كفاية العالم الطبيعي وكفاية المهندس الكهربائي

﴿ الحرب ﴾ ولعل أكبر وأوضح دليل على نفع العلم بحثيه وتطبيقيه نستخرجه من هذه الحرب القائمة . ظن في انكلترا في أوائل الحرب السابقة ألاَّ حاجة للحرب بالعلم البحت ولا خير يرتجى منهُ في أغراضها . فجند حتى الشبان الممتازون النابغون في البحث العلمي لحمل السلاح في ميادين القتال . فقتل في حملة الدردنيل (موزلي) الشاب النابغة البحاثة الذي كشف عن العدد الذري

بل روى بعض الكتاب (١) نبأ أحد العلماء المشهورين من علماء الطبيعة إذ تقدم الى وزارة الحرب في ذلك العهد يعرض خدماتهِ في عمل الأرصاد الجوية وتنظيم رصدها . فكان رد أولي الأمر عليهِ انهم ليسوا في حاجة الى هذه الخدمات (وان الجندي الانكليزي لا يعوقه عن الحرب والقتال تقلب الاجواء) ولكنهم سرعان ما تبينوا خطأهم بعد ما عانى الجندي الانكليزي ما عانى بسبب الأمطار والاوحال وتقلبات الجو في ميدان « فلندرز »

وهم في هذه الحرب يستفيدون الى أبعد مدى مستطاع من العلماء البحتيين والتطبيقيين على السواء . وجميعهم مجند أو في حكم المجند ولكن لا لحمل السلاح في ميدان القتال ولكن في أعمال هي أهم وأخطر وأبعد تأثيراً في مصير هذه الحرب . وأغلب ظني أن العلماء في الحرب الحاضرة مضنونٌ بهم على ان يتعرضوا من غير مبرر الى الاخطار

ذلك بايجاز هو العلم وتلك هي علاقته بالحياة وشؤون الحياة وتلك بايجاز كذلك هي رسالته

﴿ موقف العلماء من رسالة العلم ﴾ لم يكن العلماء انفسهم يعنون فيما مضى بعلاقة العلم بشؤون الحياة وهل يؤدي العلم حقًّا رسالته النفعية لخير الانسان

كان كلٌّ منصرفاً الى عملهِ ، موقناً في قرارة نفسه ان الانصراف الى العلم عن كل شيء غير العلم هو المبدأ الاسمى الذي يجب أن يدين بهِ المشتغل بالعلم . ولكن هذا الموقف تبين أخيراً انهُ غير صالح . يحضرني في هذا الصدد مثال بسيط

كلنا يعلم بمصباح الامن الذي اخترعهُ «همفري دافي» هو مصباح قصد به دافي ان يقي به عمال المناجم من اخطار الانفجارات التي كانوا يتعرضون لها وتودي بحياة كثيرين منهم . أراد به دافي فعل الخير لوجه الله وترفع عن ان يسجله او يكتسب من ورائه مليماً واحداً وأطلقه هبة خالصة لمن يشاء استعماله أنى شاءَ وكيفما شاءَ . كانت النتيجة بحسب رواية كروذر

(١) Bernal في كتابه المشار اليه آنفا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أن أسرف أصحاب المناجم في استعماله بغية زيادة المكسب بزيادة الانتاج فزادت بذلك نسبة الحوادث والوفيات عما كانت عليه قبل اختراع المصباح

زاد في السنوات الأخيرة عناية العلماء بالحقيقة الواقعة ان العلم الذي يبغون به الخير يجر بجانب الخير الذي يجره شرًّا ووبالاً كذلك . ولقد سأل السر « الفرد يونج »[1] في خطبة الرآسة للمجمع البريطاني لتقدم العلوم سنة ١٩٣٢ عن المصير وأنذر بمثال استقاه من صميم العلم فحواه ان من أنباء التطور في تاريخ الخليقة نبأ نوع من الحيوان بلغت أعضاء جسمه من الكفاية في القتال والدفاع مبلغاً كان هو السبب في انقراض الجنس كله

لاشك ان طبيعة بعض الكشوف الحديثة في علم الطبيعة مثلاً تكمن فيها مبادىء أخطار جسام لا يعلم إلاّ الله مداها اذا طبقت لفعل الشر

ان خطورة هذه الحالة هي التي دعت (بيشوب ريون)[2] ويعد في طليعة المفكرين من رجال الدين في انكلترا، الى ان ينادي في خطبة ألقاها في موسم من مواسم اجتماع المجمع البريطاني لتقدم العلوم — ينادي بوقف البحث العلمي واغلاق معاهد البحث وتعطيل حركة التقدم في العلم مدة من الزمن لعله ارادها ان تكون هدنة يستفيد منها العلماء انفسهم في لم شتات ما تبعثر من علمهم ، وعسى ان يتاح فيها لساسة الامور ان ينظموا امور العالم على نظام يجنبه الشرور الكامنة

حقًّا ان العلم الحديث وكشوف العلم الحديث ومخترعات العلم الحديث اصبحت جميعاً لا تلائم النظام الذي تجري عليه الحياة ، او ان هذا النظام اصبح لا يلائمها . العلم قد اندفع في التقدم حتى سبق ، بدون ان يمهل الحياة لكي تلبس اللبوس اللائق فتجاري مقتضيات هذا التقدم ، فكادت الصلة بين العلم وبين الحياة تنقطع وفي هذا يكمن الخطر ومنه ينتج الشر

اذكر هذا الرأي بدون ان اتعرض الى الخوض في مناقشته ويكفيني ان اقول ، ان هذه الناحية من العلم، الناحية التي تتعلق بالحياة ورسالة العلم في الحياة والخطر الكامن في الكشوف والمخترعات الحديثة والشر الذي نتج وينتج وسوف ينتج عن سوء استعمال العلم ، وعدم التجانس بين تقدم العلم والمخترعات من ناحية وما هو سائد في الحياة من مبادىء وتقاليد ونحو ذلك وغير ذلك من ناحية اخرى — كل هذا لقي نصيباً كبيراً من عناية الدوائر العلمية في انكلترا وأميركا وبعض دول اوربا في بضع السنوات التي سبقت نشوب هذه الحرب . بل ان عناية الدوائر العلمية في انكلترا خصوصاً بهذا الامر تضاعفت بعد ميثاق الاطلنطي والكل متفقون على ان الحق الاول من حقوق العلم على المجتمع ان تتاح لهُ

(١) A. Ewing

(٢) Bishop of Ripon

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جميع الوسائل لأداء رسالتهِ السامية في الحياة وان يوقى ان يستغل في الشر على اي صورة كانت من صوره المنوعة

﴿ العلم في مصر ﴾ هذا فيما يتعلق بالعلم في العالم الخارجي . اما في مصر فالعلم (كما بين الدكتور زكي بك في حديثهِ الذي سبقت الاشارة اليهِ) حديث بل أقول انهُ لا يزال في اول الاطوار من تكوُّن الجنين . وأقول اننا لا نملك حولاً ولا طولاً في توجيـهِ العلم توجيهاً عالميَّـا او في فرض سياسة عالمية تتحقق بها الاغراض السامية التي تبتغى من العلم ويوقى بها ان يستغل العلم في غير تلك الاغراض . ولكنا في مصر نملك امراً متواضعاً هو ان نعنى عناية جدية بنمو هذا الجنين، ونعنى عناية جدية بصيرورته اداة نفع تستخدم أولاً وقبل كل شيء لرفع مستوى الحياة التي يحياها السواد الاعظم من المصريين . وأقول لعلنا في ظروفنا هذه أحسن حالا ، لأننا نستطيع أن نستفيد في ذلك بخبرة من سبقنا من الامم

نادى الدكتور مشرفة بك في العام الماضي في هـذا المكان بضرورة انشاء مجمع مصري للعلوم . ويسرنا جميعاً ما سمعنا من أنباء تفكير الحكومة في هذا الامر . فاننا فعلاً في حاجة الى انشـاء هيئـة علميـة مصرية ، واذا كان لي أن أبدي اليوم رأياً في الامر أقول اني أريدها هيئة مصرية تربط بين العلم والحياة في مصر وتستفيد بوساطتها الحياة في مصر أكبر قسط مستطاع يمكن أن تستفيد بهِ الحيـاة من العلم وكشوف العلم ومخترعات العلم ، وبالجملة من تلك القوة التي تكتسب بالخبرة وتسـتفاد بالتعلم وتتراكم وتزداد على مرّ السنين والايام . وأقول كذلك انهُ يجب علينا أن نستفيد بخبرة من سبقنا من الامم في تحـديد وظيفـة تلك الهيئة . فمثلاً أراد بطرس الاكبر عاهل روسـيا أن يقلد ، فأمر بانشاء « اكاديمية » في عاصمة ملكه . ومع ان الاجل لم يمهلهُ لرؤيتها تمَّ انشاؤها وخرجت الى عالم الوجود في عهد « كاترين » الاولى خليفته على العرش

كانت الأكاديمية الروسية كالجوهرة البرَّاقة الخلاَّبة كانت أشبه شيء بالحلية الثمينة التي تشترى أو تستعار للزينة — أقول تشترى أو تستعار لأن روسيا اشترت أو استعارت فعلاً علماء أجانب كثيري العدد من فرنسا والمانيا وايطاليا جعلتهم أعضاء فيها، واقول للزينة لأنها أنتجت حقـا ولكن انتاجاً ان افتخرت بهِ روسيا فلم تستفد منهُ روسيا . كانت تلك الاكاديميـة حلية رسمية عاطلة لم ينتفع من وجودها السواد الأعظم من الأمة . ولكنها نظمت في عهدها الجديد تنظيماً جديداً يستفاد فيه بالعلم في اغراض الحياة وصارت اداة تعتمد عليها الدولة في تنفيذ مشروعاتها للاصلاح في جميع نواحي الحياة سواءٌ منها الصـناعية او الزراعيـة او الاجتماعية او الصحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فمثلاً — شاركت هذه الاكاديمية في مشروع السنوات الخمس الثالثة وكان عليها درس عشر مسائل أساسية يتوقف عليها ذلك المشروع ، وتوجيه جهود المعاهد العلمية في البلاد[١] الى تحقيق هذه الغاية

اذكر الموضوعات الآتية منها على سبيل المثال :

١ — استنباط وسائل جيولوجية وكيميائية جيولوجية وطبيعية جيولوجية للبحث عن المعادن المفيدة ولا سيما القصدير والفلزات النادرة والزيت

٢ — البحث عن وسائل نقل الطاقة الكهربائيــة وتوزيعها في حالة توحيد معين هذه الطاقة في جميع ولايات الاتحاد ونقلها تحت ضغط كهربائي مرتفع

٣ — البحث عن نوع جديد من الوقود لآلات الاحتراق الداخلي

٤ — المعاونة في تحقيق زيادة محصول الغلال من سبعة ملايين (پود) الى ثمانية ملايين (اي ما يقرب من ١١٤ مليون كيلو جرام الى ما يقرب من ١٥٠ مليوناً)

٥ — استنباط وسائل يستطاع بها ادارة الآلات في الصناعات المختلفة عن بعد

٦ — دراسة تاريخ أجناس شعوب ولايات الاتحاد[٢]

ان دراسة هذه الموضوعات وأمثالها يتطلب اجراء البحوث العلمية البحت في فروع الكيمياء والطبيعة والنبات وما الى ذلك وتتطلب الاستفادة بأحدث الكشوف والنظريات وتطبيقها

لا شك ان الفضل في تقدم الصناعة في روسيا الحديثة ذلك التقدم الذي كفل لها أن تقف وقفتها المجيدة في هذه الحرب يرجع الى العلم . ولا شك ان الفضل في تقدم الزراعة يرجع اليه[٣]. ان البحث العلمي هو السبيل الذي سلكته روسيا الى استنباط فصائل من البطاطس تزرع في أقصى الشمال على شواطىء البحر المتجمد الشمالي حيث لم يك من قبل نبات يزرع أو محصول يجنى ، وهو السبيل الذي سلكته كذلك لاستنباط الوسائل التي تعالج بها تقاوي القمح بحيث تزرع في غير مواطنها وفي غير أوقاتها ويربي محصولها على الرغم من ذلك ٤٠ ٪ أو أكثر من محصول الانواع المحلية . وقد طبقت هــذه الطريقة في غلات أخرى وشاع استعمالها حتى شملت سنة ١٩٣٧ زراعات تقدر مساحاتها باثنين وعشرين مليوناً من الافدنة[٤]

---

(١) المعاهد التي توجهها هذه الاكاديمية أربعون وثمانمائة معهد . منها أربعون تتصل بالاكاديمية وتشرف عليها الاكاديمية عن قرب . أما الثمانمائة الاخرى فتتصل بالوزارات والمصالح الحكومية المختلفة ولكنها تحت رقابة الاكاديمية وتسترشد بارشاداتها وتوجيهاتها

(٢) انظر كتاب Bernal الذي سبقت الاشارة اليه

(٣) الفضل في تنظيم هذه الناحية ينسب الى Vaviloff العالم النباتي المشهور ومعاونيه

(٤) انظر Science and Every day Life تأليف J. B. S. Haldane

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كان العلم في روسيا في العهد السابق جزءاً صغيراً تابعاً للدوائر العلمية في خارج روسيا فصار قبل قيام هذه الحرب دائرة علمية مستقلة لذاتها يزيد انتاجها على الانتاج العلمي في فرنسا ويوشك ان يساوي الانتاج العلمي في المانيا . ولعلّ من اوضح الادلة على مبلغ انتشار العلم في روسيا هذا المثال البسيط الذي آخذه عن (برنال) [1] قال ان الطبعة الانكليزية الاولى من كتاب « ديراك » في « ميكانيكا الكم » بيع منها في ثلاث سنوات الفا نسخة ولكن الطبعة الاولى من الترجمة الروسية لهذا الكتاب بيع منها في خلال أشهر ثلاثة آلاف نسخة

***

اذكر هذه الامور لأني ارى انهُ اذا اريد ان تنشأ في مصر هيئة علمية فلنعتبر بأمثالها . ليست مصر في حاجة الى حلية جديدة تتزين بها ، حسبها ما فيها من حلى وزينة انما هي في حاجة شديدة ملحة الى اداة يكون اول ما يستفاد بها واول ما يجب ان يوجه اليهِ همها ان تعمل في رفع مستوى الحياة عند السواد الأعظم من المصريين من الحضيض الذي هي فيهِ الآن الى المستوى الذي يليق بأن ينسب الى الانسان . ان مصر في حاجة الى هيئة علمية تخلق في البيئة المصرية الروح التي ينظر بها في شؤون مصر وحاجات مصر نظر العلم الى ظواهر الطبيعة ، وتوجه اسلوب التفكير الذي يسود البيئة المصرية نحو اسلوب التفكير العلمي الصحيح . ان مصر في حاجة الى هيئة علمية تكون الصلة بين علماء المستقبل في مصر والحياة في مصر . فان امانة العلم تلزم المشتغلين بالعلم ان يخرجوا من الصوامع ويشاركوا في امور الدنيا . نريدها لكي تقود حركة الاصلاح في مصر قيادة علمية وتوجهها توجيهاً علمياً ، يسترشد فيه بالعلم وينتفع فيه بالعلم عسى ان تنال بذلك مصرُ مثل الغاية التي ارادها لانكلترا منشئو الجمعية الملكية بلندن « فتتبوأ مصر مكان الزعامة في الشرق وتصير مصر فخر دول الشرق » ، لا بالمظهر الخارجي والطلاء السطحي بل بالواقع الموجود من امورها بتقدم الصناعة فيها وبتقدم الزراعة فيها وبتقدم الحالة الصحية فيها وبيسر ابنائها وبرفع مستوى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية

نريدها لكي تتحقق بوساطتها رسالة العلم في حياة مصر — فيرفع العلم هذه الحياة الى أعلى وتدفع هذه الحياة ذلك العلم الى اعلى ويكون دفع بعد دفع ورفعة بعد رفعة

فهل تتحقق الآمال ؟

---

(١) كتابه المشار اليه آنفا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسواق الاسلامية

لنقولا زيادة

الاسواق ، بما يعرض فيها من سلع ، وبمن يؤمها من متاجرين ، تصف الدرجة التي وصلت اليها التجارة خاصة والحياة الاقتصادية عامة . فاذا رافق الاتجار لون من الوان الأدب، واحتفال بالمواسم الدينية، كانت الأسواق صورة للحياة العقلية والاجتماعية كذلك. وكلما تعددت الاسواق ، وازداد ما يعرض فيها وكَثُرَ التبادل فيها ، دل ذلك على وجود النشاط في حياة الجماعات . وركود الاسواق على العكس من ذلك دليل على اضطراب شؤون المعاش والأحوال المالية وغيرها في الدولة

واذا عرضنا الأمم والشعوب وجدنا ان البدوي منها له اسواق موسمية تقام في اماكن معينة ، مرة في السنة أو الفصل أو الشهر أو الاسبوع . والسنوي أو الفصلي منها أعم وأشيع لارتباطهِ بالانتاج الزراعي والحيواني . اما الجماعات الحضرية فتغلب عليها الاسواق الثابتة ، لان لكل مدينة اسواقها تباع فيها مصنوعاتها وغلاتها وتحمل اليها ما تحتاج اليهِ مما تنتجه البلاد الاخرى

كان العرب في الجاهلية تغلب على تجارتهم الاسواق الموسمية وكانت تقوم في ملتقى الطرق التجارية الكبرى فيفد اليها الناس من اطراف الجزيرة مثل عكاظ ودومة الجندل ، وقد يأتيها قوم من الخارج مثل اسواق عدن وصنعاء

ولم تكن اسواق العرب في الجاهلية تقتصر على التجارة ، بل كان يقصدها طالب الامن يستجير ، ويؤمها طالب الفداء يحمل فداء اسيره فيفكه . وقد عُقِد الصلحُ غير من مرة بين المتخاصمين في الاسواق . لكن المزية التي اختص بها كثير من اسواق العرب الحولية الكبيرة ، هي كونها سوقاً أدبية . فقدكان الشعراء يتناشدون فيها شعرهم ، متنافسين متنافرين وكانت قبائل العرب تحتفل بالشاعر الفائز احتفالاً كبيراً

وقد وصلت الينا اخبارٌ كثيرة عن هذه الاسواق وايامها ، وعما كان يدور فيها من المفاخرة والمعاظمة والمنافرة ، وعمن كان يقصدها من الماجنين والمتماجنين ، وهذه الاخبار ثروة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ادبية ، في قراءتها متعة ولذة . وعكاظ اشهر الاسواق التي حفظ لنا التاريخ والادب اخبارها ولا ريب في انها كانت اكبر الاسواق التي وصلت الينا انباؤها . وهي تربى على عشرين

فقد كانت مع تجارتها الواسعة ، مجمعاً ادبيًّا له محكمون تضرب لهم القباب ويتناشد الشعراء بين ايديهم وحكمهم لا يحتمل تجريحاً . بل ثمة من كان يأتي عكاظ ببناته بقصد تزويجهنَّ وفيها كان الرجل يستلحق آخر بنسبهِ ، او يتبرأ منهُ . ويلي عكاظ في المقام المجنة وذو المجاز . وهذه الاسواق الثلاث كانت تقام في موسم الحج

اما بعد الاسلام ، وبعد الفتوح التي مكنت العرب من اقطار من الارض غنية واسعة فقد كفوا مؤونة الترحال ، ومصروا الامصار وسكنوا المدن ، فصار لهم في الاسواق الثابتة غنى عن الاسواق الموسمية . لكن الذي نود أن نوجه النظر اليه هو ان بعض الاماكن القريبة من منازل البداوة بقيت لها نزعة بدوية ، فكانت تقام في نواحيها الاسواق التي يؤمها أهل الترحال المستمر ، يبيعون فيها ويشترون ، شأن سوق المربد في البصرة ، وأسواق بزاعة الى الشرق من حلب ، وسوق زاوية ابن ادهم في جبلة . والسوقان الاخيرتان روى خبرها المتأخرون من الرحالين العرب . فالاول ذكره ابن جبير ، والثاني حدثنا عنهُ ابن بطوطة

والمربد سوق البصرة ، انشىء لما مصرت في زمن عمر بن الخطاب . والاصل فيه انهُ متسع للابل تعرض فيه للبيع . واتسعت تجارته في عهد الراشدين فشملت السلاح والتمر ، وصار مركزاً للدباغين . ثم اصبح على عهد الامويين سوقاً عامة ، تتخذ فيها المجالس ، وتتعدد الحلقات يتوسطها الشعراء والرجاز ، ويؤمها الاشراف ، فيتناشدون ويتهاجون ويتشاجرون . وهكذا جمع المربدُ الى التجارة ، الادبَ والسياسةَ . فقد نزلت فيه عائشة أم المؤمنين بعد مقتل عثمان تطالب بدمه ، وتؤلب الناس على علي . وكان والي البصرة لعلي ينقض قولها ، حتى وقعت بين الفريقين معركة بالحجارة ، تضرر منها كثيرون . وفي المربد تهاجى جرير والاخطل والفرزدق . أما في العصر العباسي فكان المربد مدرسة يقصدها الشعراء كبشار وابي نواس ليأخذوا عن اعرابه الملكة الشعرية ، وكان يؤمه اللغويون ، يأخذون عن أهله ويدوّنون ما يسمعون . لكن هذه السوق كانت فذة في الاسلام . فلسنا نعرف لها شبيهاً . ولا شك ان موقع البصرة ، على أول مدر من العراق وآخر حجر من الصحراء ، كان له تأثير كبير في طبعها بهذا الطابع الخاص

اما أسواق المدن الثابتة ، فقد كانت تتأثر في شكلها وتنظيمها وتنسيقها ، وموقعها وسلعها واعمالها بالاقليم والمدينة ، والمكان الذي تحتلهُ الاسواق من المدينة كان يتوقف على عوامل كثيرة . فدمشق وحلب ، وهما من المدن القديمة ، بقيت اسواقهما حيث كانت قبلاً . ولما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بنى ابو جعفر المنصور بغداد صيّر الاسواق في طاقات مدينته من كل جانب . فلما قدم عليه وفد ملك الروم امر ان يطاف بهم في المدينة ، ثم دعاهم ، وسألهم كيف وجدوها ، فقال رئيسهم « رأيت أمرَها كاملاً إلاّ في خَلة واحدة . فان عدوك يخترقها متى يشـاء ، وأنت لا تعلم . لأن الأسواق فيها ، وهذه غير ممنوع عنها أحد » . فزعموا ان المنصور أمر عندها باخراج الاسواق الى الكرخ . وكانت الدكاكين في أسواق مصر وغرب آسيا تمتد على طول الشارع من الجانبين ، على كل جانب صفٌّ منها . وكانت أسواق حماه أيام أن زارها ابن جبير حسنة التنظيم ، بديعة الترتيب والتقسيم . أما في المدن الايرانية فكانت الاسواق الجزء التجاري المنفصل عن المدينة الرسمية وعن القلعة . ولذلك جمعت الدكاكين في مكان واحد

وبنى عضد الدولة أسواقاً (عند مدينة جامع رام هرمز) غاية في الحسن . كانت نظيفة ، مبلطة مبربقة مظللة

والغالب على الاسواق أن تسقف وتظلل . فقـد روى ابن جبير ان أسواق مَنْبَج فسيحة ، وسككها متسعة ، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخاناتُ والمخازنُ اتساعاً وكبراً ، وأعالي أسواقها مسقفة . وعلى هـذا الترتيب أسواق أكثر المدن في شمال سوريا . وقال عن اسواق حلب انهـا مسقفة بالخشب . وروى فون سوخم الفرنسي ان عكا كانت في القرن الثالث عشر (قبل وقوعها بأيدي المماليك) ذات اسواق مظللة بالحرير وغيره من ثمين القماش

وكان يراعى في اختيار اسمـاء الاسواق امور كثيرة . فهناك سوق الثلاثاء في شرقي بغداد . وهذا يدل على ان السوق كانت اصلاً اسبوعيـة . ومثل ذلك سوق القيروان التي كانت تعقد في يومي الاحد والخميس . وربما كان قوام كثير من هذه الاسواق ، في بدء الأمر دكاكين لا تمتلىء وتعمر الاّ في يوم السوق ، ثم تغيرت طبيعتها واحتفظت باسمها . وثمة الاسواق التي كانت تسمى باسم منشئها . فقد سميت (سوق اسد) بالكوفة نسبة الى اسد بن عبد الله القسري ، وسميت سوق وردان بالفسطاط باسم منشئها . وهناك الاسماء التي ترجع الى القوم النازلين فيها ، كسوق البربر في الفسطاط . لكن الغالب على التسمية ان تعرف السوق باسم السلعة التي تغلب عليها او العمل الذي يتم فيها . ومثل ذلك سوق الخشب في الاسكندرية ، وسوق الصرافين بأصفهـان ، وكان يجلس فيها مائتان منهم ، وسوق العطارين والبزازين في جامع رام هرمز ، وسوق الرقيق في سامراء ، وسوق الارز في عكاء ، وسوق الوراقين — جميع هذه الاسواق ، اسماؤها تابعة لسلعها ومتاجرها

وكانت الاسواق مراكز للصناعة كما كانت للتجارة ، ومن ثمَّ كانت اسواق للجوهريين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللدباغين والصيادلة والغزالين وللمرجان وغير ذلك . وقد بنى عضد الدولة ابن بويه بمدينة كازورن داراً جعلها مركزاً لنسج الكتان ، وكان دخلها في كل يوم عشرة آلاف درهم (أي أقل من اربع مائة جنيه بقليل)

وفي رحلة كل من ابن جبير وابن بطوطة ، وناصر خسرو وغيرهم ، وفيما تركهُ جغرافيو العرب كثير من المعلومات عن الاسواق الاسلامية وأوصافها . فلما وصل ابن جبير الى الاسكندرية استوقف نظره (حسنُ وضع البلد ، واتساع مبانيه) حتى انهُ ما شاهد بلداً أوسع مسالك منهُ ولا أعلى مبنى ، ولا أحفل ، وأسواقه في نهاية من الاحتفال . وتأتي أهليه الخيرات من جميع البلاد ، فيتصرفون في الليل بالبيع والشراء كتصرفهم بهِ في النهار . وكان في الاسكندرية اثنا عشر الف دكان . ويصف ابن بطوطة رحلته من الاسكندرية الى مصر ويذكر مروره بسمنود والمحلة الكبرى ثم يقول (والاسواق متصلة بين الاسكندرية ومصر) وهذه الأخيرة مركز الوارد والصادر . وكانت بغدادُ مشتبكةً أرضُها بالعمارة وأسواقها رائجة التجارة — فيها ما تشتهي الأنفس ويلذ الأعين ، إذ انها في نهاية الاحتفال ، وقد جمعت أخلاط التجار إلاّ سوق الصاغة فيها فانهُ منفرد بالفرس وقد بلغوا من الاجادة انهم رصعوا الزجاج بالجوهر . وكانت سوق الجواري فيها الحبشيات والروميات والجرجيات والشركسيات . وكان الدلاّلُ ينادي بمن حوله من المشترين ويصف الجواري بما لهنَّ من الاوصاف الحسان وهم يتسابقون الى مشتراهن

ويرى المحدثون من الباحثين ان الاسكندرية وبغداد كانتا تعينان أسعار الحاجيات ، على الاقل فيما يختص بالكماليات

وقد تركت دمشق أثراً جميلاً في نفس ابن جبير فقال عنها (وأسواق هذه البلدة من أحفل أسواق البلاد ، وأحسنها انتظاماً ، وأبدعها وصفاً ، ولاسيما قيسارياتها ، وهي مرتفعاتٌ كأنها الفنادق ، مثقفةٌ كلها بأبواب حديد كأنها أبواب القصور ، وكل قيسارية منفردة بصيغتها واعلاقها الجديدة . ولها كذلك سوق تعرف بالسوق الكبيرة ، تجتاز المدينة من باب الجابية الى باب شرقي)

وكان البيع والشراء يتمان بالمقايضة . وتغلب المناداة بأسماء البضائع قبل الاتفاق . كالذي عرفناه عن سوق الجواري ببغداد ، و(المناداة بسرمين على ما رواه ابن بطوطة وياقوت) وقد وى ان المقايضة كانت اساساً للبيع والشراء في بعض الاحوال كما ان ياقوت يذكر بلدة بالمغرب لاقصى اسمها البصرة عرفت « ببصرة الكتان » لأن البيعَ والشراءَ فيها كان اساسهُ قماش الكتان . لكن استعمالَ النقود كان القاعدةَ الشائعةَ والغالبة في الاتجار في العالم الاسلامي .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بل ان التعامل المالي في العالم الاسلامي عرف نظام الصرافين . فلم يكن عن الصراف غنى في سوق البصرة . وكان العمل ان كل من معهُ مال يعطيه للصراف ويأخذ منهُ رقاعاً ثم يشتري ما يلزمهُ ويحول ثمنهُ على الصراف، ولا يعطون شيئاً غير الرقاع ما داموا في المدينة

وتدلنا الامثلة التالية على الاموال الطائلة التي كانت تروج في الأسواق «كان في القرن الثالث الهجري بمدينة همدان خان كبير تباع فيه الامتعة المختارة، قدّر صاحبه دخلهُ منهُ بمليون ومائتي الف من الدراهم (نحو اربعين الفاً من الجنيهات). واشترى تاجران في عصر المأمون غلات العراق فأشرفا على ربح عشرة ملايين درهم ثم اتضع السعر فخسرا ستة ملايين درهم. وروى ياقوت انهُ كان في قيسارية البز في حلب في القرن الخامس للهجرة عشرون دكاناً للوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون الف دينار (نحو عشرة آلاف جنيه) وان ذلك مستمر منذ عشرين سنة . وكان المتحصل من مكس القمح بدمشق في اواخر القرن الثامن الهجري يزيد على مليون من الدراهم . وكانت رسوم الذبح في طرابلس الشام في الوقت عينهِ ثمانين درهماً في اليوم الواحد

وروى ابن بطوطة لطيفة عن اسواق سرمين بين حماه وحلب ، جاء فيها :. (وبها (أي سرمين) يصنع الصابون . . . ويجلب الى مصر والشام . . . وأهلها سبابون يبغضون العشرة . . . حتى انهم لا يذكرون لفظ العَشرة ، وينادي سماسرتهم بالاسواق على السلع فاذا بلغوا الى العشرة قالوا تسعة وواحد . . .)

ونقل المحدثون عن الثعالبي ان أكثر ما كان يباع من الثمار في الاسواق البطيخ . ولذلك كانت سوقُ بيع الفاكهة تسمى دار البطيخ . وروي ان شاعراً مدح وزيراً بقصيدة أكثر فيها من ذكر الفاكهة فسماها عامة بغداد « دار البطيخ » تشبيهاً لها بمكان بيع الفواكه

زار بتاحيا اليهودي الاوربي العراق في عصره الزاهي وروى ان التاجر اذا وصل الى بغداد أو غيرها ، وضع أمتعتهُ في بيت رجل من الناس ورجع ، فيحملون هذه الامتعة الى جميع الاسواق للبيع . فاذا دفع فيها ثمنها المقرر كان بها ، وإلاّ حملوها الى جميع السماسرة فان رأوا انها أقل قيمة باعوها بهذا الثمن القليل وكل هذا مع غاية الامانة والذمة

ولعلَّ من أغرب ما روي عن طريقة الاتجار هو انه كان وراء سجلماسة من أرض المغرب وبأقاصي خراسان، مما يلي الترك قوم يتبايعون من غير مشاهدة ولا مخاطبة »فيتركون عند كل متاع ثمنه من أعمدة الذهب : فاذا جاءَ صاحب المتاع اختار الذهب وترك المتاع اذا وافقهُ والاّ أخذ سلعته وترك الذهب .

القدس الشريف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غربٌ يَغرب وشرق يُشرق

لميخائيل نعيمة

كانت الحرب الماضية خاتمة لعهد وفاتحة لعهد من حياة البشرية على سطح هذي الأرض. فبدخولها دخل الغربُ دور التصفية فأخذت أمواجه في الانكفاء . ودخل الشرق دور التعبئة فأخذت أمواجه في الامتداد

وما الحرب التي ننوء بكابوسها اليوم غير مرحلة من مراحل هاتيك التصفية وتلك التعبئة ومنْ ظنّها المرحلة الأخيرة كان على ضـلال مبين . فحياة البشرية ، ما كرَّ منها وما برح ملفوفاً على بكرة الزمان ، أطول من أن تقاس بحركات عقرب في ساعة. وأدوارها لا تتعاقب بسرعة الليل والنهار فالفجر الذي يفصل دوراً عن دور قد يطوي من الاجيال أكثر من واحد أو اثنين

وها نحن في طليعة فجر ينذر بانتهاء دور ويبشر بابتداء آخر . أما كم يطول هذا الفجر ، ومتى ينجلي عن صباح جديد ونهار جديد — أفي هذا الجيل أم في الآتي — فجواب ذلك ليس عندي ، بل عند مَن « ألف سنة في عينيه كيوم أمس العابر وكهجعة من الليل »

وسواء أطال ذلك الفجر أم قصر فالأمر الذي لاشك فيه هو ان ما تشهدونه اليوم من غليان في العالم وفوران ، وما تسمعونه من ضجيج وجلبة ليس سوى حشرجة مدنية تحتضر ، ووعوعة مدنية تقتبلها الاقدار من رحم الايام التي ما تنفك حبلى وما تنفك تولّـد

انّ ما وقع للشرق في سالف الزمان لشبيهٌ كل الشبه بما هو واقع للغرب في هذا الزمان . فمثلما امتدت مدنية الشرق وأساسها الدين — الى أن غمرت المعمورة بأسرها ، كذلك امتدت مدنية الغرب — وأساسها العلم — الى أن طغت على كل أمة وبقعة من أمم الارض وبقاعها. ونظير ما دين الانبياء والاصفياء ، من بعد أن انحدر الى الدهماء والغوغاء ، احتجبت أنواره في دياميس من الخرافات والترهات ، وتكسرت أمواجه على سـدود من التعصب الكافر ، هكذا علم العلماء ، وقد تناولته ألسن الجهلاء وأيدي المستثمرين والنفعيين ، أصبح منجنيقاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لهدم كل علم عداه ، ومهمازاً لـكل هوًى طائش ، وشهوة جموح ، وبوقاً للتبجّح في فم كل زعنفة ما أهـلته الحقيقة ان يرى وجهها سافراً

ان في الـكون الذي نحن بعض منهُ اسراراً لا يزال العقل بعيداً جدًّا عن الوصول الى كنهها وفي جملة تلك الاسرار سرّ التوازن ولعلهُ من الـكون في منزلة حجر الزاوية من البناء فالمسكونة بكل ما فيها — ما ظهر منها وما استتر — في توازن أبديّ. وحيثما طرأ أقـلّ اختلال في توازن أقل عضو من أعضائها أصلحتهُ في الحال. اما الوسائل التي تلجأ اليها لتعديل الخلل في توازنها فأكثر من أن يحصيها عدّ ، وأبعد حكمةً من أن يدركها عقل

ما زلزلت الارض زلزالها ، ولا كان كسوف او خسوف ، ولا تطايرت الشهب في الفضاء، ولا هبت عاصفة ، أو انهمر سيل ، ولا كان بحر بمدّهِ وجزره ، ولا يابسة بجبالها وأوديتها الاّ لحفظ التوازن الـكوني من خلل طارىء. كذلك هي الحال في عالم الانسان . فلولا خلل يطرأ على توازن كلٍّ منا بمفرده لما عرفنا المرض ولا الوجع ولا الموت ولا المصائب بأنواعها

ولولا خلل يطرأ على توازن الامة لما عرفت القلاقل والثورات والمجاعات والعسف والظلم والانحلال . ولولا خلل يطرأ على توازن الانسانية بأسرها لما كانت الحروب ، والأوبئـة ، والاضطهادات والتقلبات في انواع الحـكم ووجهة النظر

ولـكن حذار ان يتبادر الى ذهن أحد منكم انني ابارك الموت والوجع والثورات والأوبئة والحروب لانها بعض من الأساليب التي تلجأ اليها الحكمة الأزلية لصون التوازن في عالم الانسان. اجل. انها لدليل على وجود تلك الحـكمة. ولـكنها ، في آن ، دليل على جهل الانسان لسرّ التوازن والحـكمة التي اوجدته . فلا سبيل للانسان ، اذا ما شاءَ الانعتاق منها ، الاّ الانصراف بكل قواه الجسدية والروحية الى تفهم ذلك السرّ والوقوف على تلك المشيئة التي جعلت منهُ حجر الزاوية في بنيان الـكون وبنيان حياة الانسان

اما قصدي من الكلام عن هذه الأمور فليس اكثر من ان امهد تمهيداً سريعاً للفكرة التي هي نواة حديثي، وهي التي تدور حول اختلال التوازن ما بين الشرق والغرب، وهما توأما البشرية، بل ساعداها، بل الـكفتان في ميزانها . وهذا الاختلال في التوازن قد بدأ يقلب مدّ الغرب الى جزر ، وجزر الشرق الى مدّ. وطلائع هذا الانقلاب ليست بخافية عن كل ذي بصيرة

عند ما حمل الشرق مشعل الدين الى العالم حصر جل همه في قلب الانسان وما انطوى عليهِ من الاشواق المحرقة لمعرفة من هو ، ومن أين ، والى أين ، ولماذا . أما عقله فقلما أعاره اهتماماً . والعقل هو الدرجـة الاولى في سلم المعرفة . فـكأن الشرق حاول ان يبلغ بالانسان اعلى درجة من سلم المعرفة من غير ان يطأ الاولى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لئن كان ذلك في مستطاع الانبياء والرسل والاولياء فما هو في مستطاع الذين لا يبصرون من العالم ماكان ابعد من انوفهم ، والذين لا يؤمنون الاّ بما يبصرون . وهم سواد النـاس لذلك نام العقل ، ولـكن على مضض . فما ان دار الزمان دورته ، وفترت الحماسة الدينية حتى احست البشرية خللاً في التوازن ما بين قلبها وعقلها . فتنبه العقل وراح يطالب بقسطه من حياة الانسـان . وحمل الغرب راية العقل ، وأجلسـه على عرش من الوقار ، وانبرى يناضل باسمه . ومن هذا النضال انبثقت المدنية التي عشنا ولا نزال عائشين في كنفها طوال هذه الاجيال

غير ان هذه المدنية ، لشدة مغالاتها في الامانة للعقل واندفاعها في خدمته ، قد اهملت القلب البشري وحنينه الابدي الى ما وراء المعقول والمحسوس . فهي قدصرفته ، او حاولت صرفه ، عن الدين ، ولكن من غير ان تعطيه جواباً افضل من جواب الدين على اسئلته الملحة من أنا ؟ ومن أين ؟ والى اين ؟ ولماذا ؟ فما ان بلغت اقصى مداها حتى عادت البشرية فأحست من جديد خللاً فظيعاً في التوازن ما بين عقلها وقلبها . وعادت الحكمة التي لا تحد تصلح ذلك الخلل بشتى الوسائل من ظاهرة وخفية . ومنها هذه الحرب التي يكاد الناس يغرقون في غمارها ويختنقون بدخانها

وكأني كلما أنصتُّ في هذه الايام الى قلب الانسانية الدامي سمعته يخاطب عقلها فيقول :

«ألا بوركت يا أخاه . فلقد جئت حقـًا بالمعجزات . لقد خرقت حرمة الاعالي. وفضضت بكارة الاعماق . وحشرت اجرام السماء في عدسية مرقبك . وفضحت أسرار الجراثيم بعين مجهرك . واتخذت من البرق رسولاً لأفكارك . وجعلته قنديلاً في دارك

«ولقد أرحت الثور من نيره ، والجواد من مركبته ، والحارث من محراثه ، والحطّـاب من فأسهِ ، والحداد من كوره ومطرقتهِ وسندانهِ

« ولقد دخلت بسحرك جوف الارض فقرأت تاريخها في ما سـطرته الدهور على صخورها وطبقاتها ، ثم أكرهتها على التخلي لك عن الكثير من دفائن كنوزها

« ولقد خلقت الطبعة واتخذت من دواليبها رسلاً تذيع سحرك في الناس وتجعلهُ حلالاً لكل راغب وطالب بلا تمييز بين خاصة وعامة

«ولقد بنيت للناس معاهد يستظهرون فيها علومك ، وينممون بفنونك ، ويتذوقون سحرك ، ويحرقون لك البخور ويسبحونك ويمجدونك

ولقد شيدت للناس بيوتاً يداوون فيها أوجاع أبدانهم وعقولهم . فان نجع الدواء كان الفضل لك . وان لم ينجع كان اللوم على الابدان والاقدار لا عليك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« أجل . لقد فعلت كل ذلك من أجل الناس ، وفعلت أكثر من ذلك يا أخاه . ولكنك بعتَ نفسك والناس من مخلوق عجيب خلقته ليكون خادمك وخادمهم . فاذا به يصبح سيّدك وسيّدهم من غير منازع . فواعجباً لمخلوق فاق خالقه . ولعبد ساد سيّده . أمّا اسم ذلك المخلوق فالدرهم

« فبالدرهم تُباع رحمتك للموجوع . وياليتها كانت رحمة . ومعرفتك للجاهل ، وياليتها كانت معرفة . وخبزك للجائع ، وعطفك لليتيم ، وقراك لابن السبيل ، ودفؤك للمقرور ، وثوبك للعريان ، وحريتك للرقيق ، وعدلك للمظلوم ، وسلواك للمفجوع . ودرهمك لا يُنال إلاّ ببذل ماء الوجه ، وسفح دم القلب ، وانفاق الدماغ ، وارهاق العضل ، وتخدير الضمير ، وحرق فتيلة العمر بلا شفقة ولا حساب

وهكذا أصبحت يا أخي ألعوبة في يد مخلوقك العجيب . وأصبح من والاه مخلوقك سيد الناس ، وان يكن أشدهم فتكاً بالناس . وأصبح من جافاه مخلوقك عبداً للناس ، وان يكن أشدهم غيرة على خير الناس ، وأعرفهم بالسبل المؤدية الى سعادتهم . ورحت تأمر بأمر الدرهم . فان قال لك اخترع لي ما ألهي بهِ الجائع عن جوعه ، والعبد عن حريته ، وما أسلّي بهِ أخا الضجر والبطر ، وما أخدع به طالب الجمال والكمال — اخترعت له في الحال من الملاهي ما يلهي حتى الحمار عن عليقه ، ومن الملذات ما يخدّر الوجدان . وخلقت لطالب الجمال والكمال تمائم دعوتها الفنون ، ولطالب المعرفة تعاويذ أسميتها سنة النشوء وتنازع البقاء وبقاء الأنسب. وخلقت لناشد الحرية والاستقلال تعاويذ سواها دعوتها الوطنية ، والقومية ، والجنسية ، وشرف المحتد واللسان ، وعلّقتها كلها بحواشي خرقة ذات ألوان ، وقلت للناس: ها هو ذا رمز حريتكم واستقلالكم . فافدوه بدمائكم — فآمن الناس بما قلت وبما فعلت وراحوا بدمائهم يشرقون

« وأما أنا — أنا القلب الذي ما انفكَّ ينبض منذ كان الزمان وكان الانسان — فاسألك : مَن أنا ؟ ومن أين ؟ والى أين ؟ ولماذا ؟ فلا تسمع ولا تجيب . واشكو اليك أوجاعاً تتآكلني من غضب وبغض وحقد وحسد وطمع وفجور وقلق وذعر وشك وحيرة فلا تتعطف عليَّ بدواء سوى التملق والتخدير

« وأسرّ اليك أشواقاً تساورني في هدأة الليل وضوضاء النهار الى حياة لا محاباة في عدلها ، ولا مؤاربة في صداقتها ، ولا مخاتلة في اخائها ، ولا شناعة في جمالها ، ولا باطل في حقها ، ولا خوف في قلبها ، ولا موت في مفاصلها . الى كيان لا يبتدىء هنا وينتهي هناك ، بل تضيع في جوانبه البدايات والنهايات ، وتغور في أعماقه الفواصل والمتناقضات ، وتتلاقى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في فضائه سائر الكائنات . فلا نزاع ولا صراع . بل فَهْمٌ يترفع عن النزال ، ومحبة لا تتدنس بالقتال

« أسرّ اليك أشواقي فتسخر بها وتدعوها أضغاث أحلام . وأنا أعرَف منك بها وبمصادرها . واني لعلى يقين من انني ما اشتقت شيئاً إلاّ كان لهُ في كياني كيان . فلو انهُ كان عدماً لاستحال عليَّ أن أشعر به وأن أشتاقهُ . ففي جوعي الدليل على وجود الغذاء . وفي عطشي الدليل على وجود الري . ولكن مسالكي قد استعصت على علمك وسحرك . فما نالني من طعامك غير الجوع . ومن ريّك غير العطش . ومن نارك إلاّ البرد . ومن نورك إلاّ الظلمة

« لقد تسلّمت يا أخي قيادة الناس زماناً ليس باليسير . فأحسنت وأسأت . لكنك أسأت أكثر مما أحسنت . وها هي ذي البشرية لا تنهض من حفرة إلاّ لتقع في أخرى . ولا يلتئم لها جرح حتى ينفتح في جسمها الف جرح . واني لأسمعها في خلواتها وصلواتها تستغيث بي . فتنحَّ وناوِلني الأعنة ! »

***

بمثل هذا الكلام اسمع قلب الانسان المفجوع بآماله يخاطب عقلهُ المغرور بأوهامه ولا عجب. فالتوازن بين الاثنين قد اختلّ اختلالاً لا يطاق . فلا بدّ من تعديلهِ وتصحيحهِ

واني لأبصر اعنّة البشرية التائهة ما بين سمعها وبصرها تنتقل من يد الغرب — وهو توأمها الماشي على ضوء البصر — الى يد الشرق — وهو توأمها السائر على هدى البصيرة . واني لأرى هذا الشرق يعبىء قواه منذ الآن للقيام بمهام القيادة الملقاة اليه

والذي يعبئهُ الشرق لن يكون باذن الله جيوشاً برية تحمل النقمة والثأر ولا عمارات بحرية تزرع الويل والدمار ، ولا اساطيل جوية تمطر الناس كبريتاً وناراً . بل سيكون بلسماً لجراح الانسانية الدامية ، ودعامة لما تصدّع من ايمانها بالعدل والاخوّة ، وطعاماً وريّاً لما جاع وعطش فيها الى السلام الذي لا ينام على الأسنة والشفار ، والحرية التي تأبى فوهة المدفع مسكناً لها ، والحق الذي يغيث ولا يستغيث

واذ ذاك فما على الشرق الاّ ان يدير وجه البشرية شطر المحجة التي ادارت لها قذالها من زمان . فمحجة الشرق ما برحت وضّاءة الجبين والسلّمُ الاوحد الواصل ما بين الارض والسماء . والمنارات القائمة على جانبيْ الطريق المؤدي اليها لا تزال تشعّ القوة والايمان لكل قلب جسور ينشر الحق الابدي ، ولكل روح مقدام يحنّ الى مواطنه الفردوسية بما فيها من حياة لا تبلى ، ونور لا يخبو ، وحرية لا يطوّقها زمان ولا يحصرها مكان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلم وكشف الجرائم

التحليل الكيميائي — التصوير بالاشعة

استعمال العقاقير

من أندر النوادر، أن يرتكب المجرم جريمة بغير ان يترك وراءه أثراً مهما يكن ذلك الأثر صغيراً لا يؤبه لهُ في الظاهر، فيكون مفتاحاً ينفذ به الباحث المحقق الذكيّ الى سرّ الجريمة. قد يكون هذا الأثر بقعةً صغيرة من دم أو دهان أو قد يكون مداداً كتب بهِ كتاباً غفلاً من التوقيع، أو شعرة بشرية، أو بقية من سمّ في كأس، أو لطخة من دخان بارود على ثوب، أو قليلاً من أحمر الشفاه على قدحٍ، أو أليافاً نباتيةً أو غير ذلك. وقد تكون هذه الآثار مما لا صلة لها في الظاهر بين الجريمة والمجرم، لأن الانسان مهما يتسع نطاق علمه، فإنه لا يستطيع أن يدرك جميع العلاقات بين الأشياء والحوادث. وقد يتدبر المجرم الذكيّ معظم هذه العلاقات، فيجيء الباحث ويرى علاقة جديدة لم تخطر للمجرم، فتكون سبيلهُ الى كشف السر

من الحوادث التي حدثت في مرفإٍ مدينة نيويورك من عهدٍ غير بعيد، اصطدام طائرة بحرية في الضباب بزورق يحمل طائفة من الركاب فغرق الزورق وجميع من كانوا فيهِ، وفرّت الطائرة في الضباب. والحادثة ليست جناية مع سبق إصرار. ولكنها على كل حال مما تجب معاقبة الأثيم فيها. وكان الذين شاهدوا الحادثة على مقربة من مكان حدوثها ولكنهم لم يستطيعوا تبين الطائرة ولا وصفها لكثافة الضباب. فجاءَ رجال التحري وانتشلوا الزورق وفحصوهُ فحصاً دقيقاً فعثروا على بقعة صغيرة من دهانٍ أخضر، فقالوا لعلّهُ مكشوط من زورق الطائرة البحرية أو أحد أجزائها. فجعلوا يبحثون في المطارات التي في تلك المنطقة فوجدوا طائرة بحرية، دهانُ زوارقها أخضر اللون، وعليها آثار اصطدام وكشط، فحللوا بالكيمياء دهان الطائرة وبقعة الدهان التي وجدت على الزورق الغريق، فوجدوهما واحداً، فكشف بالتحليل الكيميائي، سرّ تلك الحادثة

ومما يعمد اليهِ الجناة البارعون نبذُ السلاح الذي يستعملونهُ في ارتكاب جناية ما، بعد أن يزيلوا عنهُ رقمهُ الخاص المطبوع في الصلب، منعاً لقراءَتهِ وتتبعهِ من الصانع الى البائع الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المشـتري . ولكن العلماءَ كشفوا طريقة تمـكنهم من تبيُّـن الرقم الممحوّ ولو كان الصلب قد بُـرد بالمبرد

وذلك بوضع مركب كيميائي ازرق اللون ضارب الى الخضرة على السطح المعدنيّ . هذا المركب هو سائل كلوريد النحاس القويّ . فبعد ما تنقضي ربع ساعة او نحو ذلك على وضع هذا السائل على السطح المعدني تظهر خطوط رمادية اللون ، ثم لا تلبث هذه الخطوط ان تنتظم وان تتجسم في شكل أرقام وحروف ضئيلة ، ثم تتضح عند تصويرها . وتفسير ذلك ان بلورات المعدن ، تتحطم عند ضغطها وطبعها طبعاً عنيفاً بآلة حادة ، فتتكوّن حروف ، على حدود الارقام المطبوعة ، هي أعوص من الارقام نفسها ولكن يمكن اظهارها بعد برد الارقام نفسها بالمبرد . وهناك مواد اخرى غير كلوريد النحاس تفعل الفعل نفسه . وقد كشفت غير جناية واحدة باستعمال احداها

وقد رويت حادثة اخرى ، كان التحليل الكيميائي فيها رائداً الى كشف غوامض . فقد عثر في احد الايام على طبيب اسنان غنيّ وهو قتيل على الكرسي الخاص بالعيادة . وبعد الفحص وجد ان رصاصةً قد اخترقت قلبهُ . وكان على مقربة منهُ مسدَّس قديم يخصُّ عائلتهُ . وكان هذا المسدَّس ناقصاً خرطوشة واحدة . ومما قالته زوجهُ ، انهُ كان عليلاً مزمناً وقيل كذلك إن شدائد مالية حلّت بهِ . فكاد الرأي يجمع على انه إنتحر انتحاراً

ولكن دخل في الحادثة عند هذا الحدّ ، شابٌّ ذكيٌّ من رجال التحرّي ، فأخذ معطف الطبيب القتيل . وشاهدَ الثقب الذي اخترقته الرصاصة في طريقها الى القلب . وكان في زَغَب القماش حولَ الثقب ، رائحـة البارود . فاستروحها الذاب قليلاً . ثم فحص مسدس العائلة . فابتسم وأبرقت أسرتهُ . لأنهُ تبين ان رائحة البارود في زَغَب القماش حول الثقب ، رائحة بارود لا دخان له . وأما مسدس العائلة الذي وجد ، قرب القتيل فجميع خرطوشاتهِ مما استعمل فيها بارود له دخان . فسقط القول بان الطبيب انتحر . وكان هذا الاكتشاف سبيلاً للمحققين في السير على الطريق القويم الى الجاني ، بدلاً من ان يضلّوا ولا يهتدوا

اما حوادث القتل بالسمّ فكثيرة والكيمياء أفضل السبل الى كشف أسرارها . ولما كان الزرنيخ من أشهر المواد السامة ، فقد استنبطت وسائل جديدة فعَّالة لفحصه أو للبحث عنهُ في جثث الموتى . وهذه حكاية من أعجب الحكايات في هذا الصدد

اتهمت امرأة في احدى المدن بانكلترا بقتل شقيقتها سمًّا . فأخرجت الجثة من المدفن وفحصت فتبين الباحثون وجود الزرنيخ فعلاً فيها . فألقي القبض على الاخت الحية للتحقيق معها . فلما نهض المحامي عن هذه السيدة قال : انهُ يسلِّم بوجود الزرنيخ ولكنه يعزوه الى وجوده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في تربة المدفن كغيرها من اراضي مناطق التعدين . فوجب حينئذٍ ان يُعلم هل الزرنيخ تسرَّب الى جثة المرأة بعد دفنها او هو كان وسيلة لقتلها . أي هل دخل الزرنيخ جسمها قبل الموت او بعده . فاستعان القضاء بالمخبرين الفنيين واستدعوا كيميائيًّا مشهوراً بتحقيق الجنايات بالوسائل الكيميائية في مركز البوليس العام فاقتلع بعض شعرات من رأس المرأة القتيل وغسلها تكراراً ثم شقّ بصيلاتها وفحص داخلها فحصاً دقيقاً فظهرت له بقايا الزرنيخ فيها فحكم بأن المرأة سمت بالزرنيخ . ولما سئل كيف ذلك . قال ان الزرنيخ لا يمكن ان يتسرّب الى بصيلات الشعر تسرباً ، وانه لا يمكن ان يتصل بها الاّ عن طريق الدورة الدموية ، واذن فالزرنيخ دخل البصيلات قبل وفاة المرأة لا بعد وفاتها . فانهارت بذلك حجة الدفاع

هذه حوادث ؛ تدلُّ على ما للكيمياء من مقام في جلاء غوامض الجنايات ، وثمة عشرات اخرى من الحوادث تختلف في تفصيلاتها ووسائلها ولكنها جميعاً تتجه الى هذا الغرض

***

والآن نريد ان نقول كلمة عن مكانة التصوير الضوئي في الاهتداء الى الجاني ، وفي تبرئة ساحة البريء . والسر في استعمال التصوير الضوئي ، ان الذهن الانساني لا ينسى صورة رآها بسهولة . وقد دلّ البحث العلمي ان ناساً بلغت منهم بلادة العقل مبلغاً عظيماً يستطيعون ان يحفظوا في خمس دقائق ٢٥ صورة ضوئية ويتعرفوا عليها متى عرضت عليهم ، مع انهم يعجزون عن حفظ بضعة ابيات من الشعر في ضعف ذلك الوقت . فاعتماداً على هذه الحقيقة يوجه رجال البوليس جهدهم الى تعقب الجناة والمجرمين بواسطة نشر صورهم في كل مكان . وكثيراً ما رأينا ذلك في الشرائط السينمية التي تعرض في دور مدننا

ولعلَّ أبلغ مثل على ذلك الحادثة التالية . ففي سنة ١٩٢٧ تعدى ثلاثة أشقاء اشقياء على قطار بريد وقتلوا ثلاثة من رجاله وحاولوا نسف عربة البريد فلم يفلحوا ثم فروا تاركين وراءهم قميصاً يخص أحدهم . فلما فحص هذا القميص ظهر ان صاحبه حطاب طويل القامة أشقر يستعمل اليد اليسرى ، فبحث رجال البوليس في تلك الناحية فثبت لهم ان ثلاثة أشقاء اختفوا فجأة حوالي وقت الحادثة . ثم ثبت بالاستنتاج انهم لا بدّ ان يكونوا أصحاب هذه الفعلة . فأصدر وزير البريد الاميركي امراً بنشر صورهم في كل مكان ويقال ان مليوني صورة ضوئية طبعت ووزعت وعينت جوائز لمن يدل عليهم ، قدرها ١٠ آلاف جنيه . وبعد ما انقضت سنة ولم يظهر لهم اثر طبعت مليون صورة اخرى ووزعت . وفي احد الايام نزل على شاطىء سان فرنسسكو جندي من الجيش الاميركي في الفيلبين ودخل الى مكتب بريد في تلك المدينة ليصرف حوالة مالية ، فرأى الصورة ، فعرف صاحبها في الحال اذ صاح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« ولكن هذا الرجل هو المراسلة الخاص بي » . وكذلك قبض على اول الجناة . وكان قد بلغ في فراره الى جزائر الفيلبين وتجرأ على الخدمة في الجيش الاميركي هناك . ثم قبض على شقيقيه بتوزيع صورهما من جديد . ولما انتهت الحكاية صرّح وزير البريد الاميركي فقال « ان بصمات هؤلاء المجرمين لم تكن تجدينا نفعاً ما زالوا مطلقي السراح فكان همنا أن نطبع صورهم في أذهان الناس حتى نستطيع القبض عليهم ومحاكمتهم » . وقد آتت هذه الطريقة نتيجتها المبتغاة بعد انقضاء سنتين على الحادثة

وقد كانت آلة التصوير سبيلاً الى تبرئة متهم بريءٍ في حادثة أخرى كان لها صدًى بعيد لمقام القتيل والمتهم . ذلك ان انكليزيًّا كريماً كان ضيفاً على يختٍ برازيلي في مرفأ ريو ده جانيرو ، فاختلف الضيف مع مضيفهِ اختلافاً عنيفاً على مسألةٍ ما . وبعيد ذلك وجد البرازيلي على دكة اليخت مهشّم الرأس بأداة غير حادة . فكان الانكليزي المتهم الوحيد ، وكانت جميع الدلائل تدلُّ على ثبوت التهمة عليهِ وهو ينكر . ومن حسن حظهِ انهُ لما حدثت هذه الحادثة كانت باخرة كبيرة داخلة المرفأ وكان أحد ركابها يصوّر بعض المشاهد بآلته ، فلما ظهرت الصور كان بينها صورة لليخت ظهرت فيها نقطة قاتمة أمام الشراع الأبيض . ولكن الصورة كانت صغيرة جدًّا فكبّرت فثبت ان النقطة القاتمة انما كانت صورة الرجل البرازيلي ساقطاً من أعلى الصاري . وكذلك برئت ساحة الانكليزي

وفي قسم المباحث الجنائية بوشنطن آلة عجيبة يظهر انها معوان عظيم على تعقب المجرمين وكشفهم . فلنفرض ان جماعة من اللصوص سطوا على بنكٍ في مدينة صغيرة في احدى الولايات . وكل ما يستطيعهُ حارس البنك أو صرّافهُ أن يتذكرهُ من أوصاف الجناة ، انَّ زعيمهم كان قصير القامة أسمر اللون ايطاليّ السحنة في الراجح ويحمل بندقية رش . فتؤخذ هذه المعلومات وترسل الى قسم المباحث الجنائية في وشنطن فيتناولها الموظف المختص بهذه الآلة العجيبة وهو يبغي أن يعلم مَن مِن ألوف الجناة الذين دوّنت أسماؤهم وفعالهم ، يتصف بهذه الأوصاف . فيعمد الى خزانةٍ فيها بطاقات دوّنت على كل منها أوصاف المجرمين ، كلٌّ على حدة . ولكن هذا التدوين ليس مكتوباً كلاماً ، بل هو مصنوع بنظام خاص من الثقوب . فيضع الموظف المختص هذه البطاقات في الآلة ويحركها بعد أن يضبطها ضبطاً معيناً فتستخرج لهُ من ألوف البطاقات ، الشخص أو الأشخاص المتصفين بالأوصاف التي ذكرها حارس البنك ان كانت بطاقة أحدهم أو بطاقاتهم جميعاً هناك . فتؤخذ صورهم وترسل الى مدير بوليس المدينة ، وتعرض على الحارس أو الصرّاف فيتعرف منها على زعيم العصابة ثم تطبع وتوزّع في طول البلاد وعرضها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم ان بصمات الاصابع قد تكون ضئيلة ولا يمكن تبيّنها فيذر عليها ذرور (بودرة) خاصّ فتتضح معالمها ثم تصوّر وتكبّر . وقد تستعمل طريقة التصوير الضوئي في تصوير الجواهر لتبيّن ما فيها من خدش أو خلل في تركيبها الداخلي . ومن أعجب ما يروى في هذا الصدد ان صورة من هذه الصور أرسلت من عهد قريب بأسلوب نقل الصور باللاسلكي من أميركا الى أوربا ، لتكون معواناً للبوليس في حادثة سرقت فيها جواهر نفيسة مشهورة

***

ولنفرض الآن ان القبض ألقي على رجل ظنَّ انهُ الجاني ، فأنكر ، ولم تكفِ الدلائل العلمية وغيرها على اثبات التهمة عليهِ . فهل ثمة سبيل الى معرفة دخيلتهِ وهل هو يقول صدقاً أو كذباً ؟

هناك آلة جديدة تفعل ذلك تعرف باسم « پوليغراف كيلر » . والمبدأ الذي بنيت عليه هو قياس ضغط الدم . . فهي تشبه في مبدئها آلة الطبيب الذي يفحص بها ضغط الدم في مريض يخشى تصلب الشرايين . ولكن ابر الجهاز ترسم خطًّا على ورقة منسابة . فيجلس المتهم وهذه الآلة ملفوفة على ذراعه ، ويوجه اليهِ الباحث الاسئلة فيجيب عنها المتهم ، فاذا كان يجيب كذباً ارتفع ضغط دمهِ وظهر أثر هذا الارتفاع في الخط الذي ترسمه الريشة على الورقة المنسابة

وسر ارتفاع ضغط الدم عند الكذب والافتراء ، في تحقيق كهذا ، يرجع الى التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على الجسم عندما يكون متأثراً او منفعلاً انفعالاً عنيفاً . فالانسان اذا واجه خطراً ما استعدَّ جسمهُ من الوجهة الفسيولوجية لدفع الخطر ، فتطلق الكريات الحمر من الطحال الى مجرى الدم حيث تتصل بمفرزات الغدة الكلوية وغيرها من الغدد وغرضها جميعاً ان تبعث النشاط في الجسم للكفاح او للفرار فيخفق القلب ويرتفع ضغط الدم

ومهما يكن المجرم بارعاً في كبت انفعاله حتى لا يبدو هذا الانفعال في نظراته وكلماته فانهُ لا يستطيع ان يمنع احتشاد قوى جسمه الداخلية لهذا الدفاع . وهذه الآلة تستطيع ان تتبين أثر هذا في ضغط دمهِ . وعند ما يفسر المحقق للمتهم ما يبدو في الخط المتعرج من آثار اضطرابه الداخلي ، ينصرف المتهم في الغالب عن محاولة الانكار الى الاعتراف

هذه الآلة لم يعترف بعد بها على ما نعلم في دوائر القضاء . ولكن كثيراً من البنوك يستعملها لتبين صغار المختلسين من عمالها وموظفيها . وقد استعمل أحد البنوك هذه الآلة في امتحان خمسة او ستة من الموظفين بحثاً عن مختلس مبلغ ٥٠٠٠ ريال فكشف الرجل ولما كشف أقرّ . واهتدى أصحاب البنك في خلال هذا البحث الى مختلسين آخرين كانوا قد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اختلسوا مبالغ يسيرة من المال وهم يمتحنون بها جميع الوظفين الآن مرة كل سنةٍ

وأعجب منها، دواءٌ يفعل فعلاً خفيًّا في الدماغ فيعترف المجرم بالحقيقة ولذلك سمي « مصل الحقيقة »

هذا الدواء يدعى « سكوپولامين » وهو عقار مستخرج من الحشيشة الفارسية، وقد اكتشفه جرَّاح اميركي يدعى هوس في اثناء عملية جراحية نسائية . فظهر له انهُ يخدّر أو يفعل فعلاً مخدّراً في بعض مناطق الدماغ ولكنهُ لا يضعف ذاكرة من يتناوله ولا سمعهُ ولا مقدرتهُ على النطق . وبعد موالاة البحث ظهر له ان منطقة الدماغ التي تتأثر بهِ، هي المنطقة التي تمكننا من اختلاق الاقوال في سبيل الدفاع عن النفس . وكذلك كشف ان الانسان الذي يحقن بهِ يظل محتفظاً بجميع حواسه ولكن مقدرتهُ على الاختلاق والكذب تزول في أثناءِ تأثره بهِ

وفي اميركا رجل عالم بأساليب المجرمين وطرائق البحث العلمي في جرائمهم يدعى كالڤن غودرد. هذا الباحث جرّب السكوبولامين في طائفة من زملائهِ وذلك بانهُ جهّز عشرين سؤالاً مختلفاً ووجهها الى احد الزملاء ودوّن اجوبتهُ تحتها ثم حقن هذا الزميل بجرعة من هذا الدواء وعند ما فعل العقار في الجسم شرع الكولونل غودرد في توجيه الأسئلة نفسها اليهِ . فظهر ان الرجل صادق في ردوده على تسعة عشر سؤالاً منها ولكن ظهر اختلاف بين جوابهِ في اليقظة وجوابهِ وهو تحت تأثير المخدّر عن سؤال واحد . فلما استيقظ وسئل كيف يجيب كذباً عن هذا السؤال وهو بسيط ولا شأن له، قال انهُ كان قد نسي الحقيقة لأنها كانت حادثة حدثت له لما كان طالباً في المدرسة التجهيزية . فكأن الحقيقة بقيت مستكنة في خبايا الذاكرة الى أن نبشها هذا الدواء

وقد استعملت نيابة بلدة تدعى برمنغهام بولاية الاباما الاميركية هذه الحقنة فكشفت بها سلسلة من جنايات القتل الغامضة بلغ عددها خمساً وعشرين جناية . واستجوب بعض المتهمين تحت تأثير هذا العقار . ولكن لما كانت المحكمة لا تسلّم باعتراف من هذا القبيل، اعتمد رجال التحقيق على الحقائق التي ذكرها المتهمون في خلال تأثرهم بهِ في معرفة جميع احوال الجنايات وبعد ذلك أصبح من السهل انتزاع اعتراف صريح منهم في المحكمة

هذه بعض النواحي العلميــة عن تعقب المجرمين وكشفهم وحملهم على الاعتراف، وهي أشدُّ رأفة وأفعل أثراً وأهدى الى الغرض من وسائل التعذيب المشهورة في الأزمنة القديمة والحديثة . وبعض هذه الوسائل لم يعترف به بعد في القضاءِ والقوانين الجنائية . ولكن صحة الاعتماد عليه كفيلة بجعلهِ ركناً من أركان الأمن العام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المرأة المصرية

ونهضتها في عشرين سنة

للسيدة هدى شعراوي
رئيسة الاتحاد النسائي المصري

— ٢ —

اما الناحية الاخلاقية فقد اشترك الاتحاد النسائي سنة ١٩٢٤ في المؤتمر الاخلاقي المعقود بجراتس وكان الغاء البغاء هو الطلب الجوهري الذي قدمناه الى المؤتمر ثم الى حكوماتنا المتعاقبة. وقد وجهت مندوباتنا في المؤتمرات الدولية المتعددة عناية كبيرة إلى درس هذا الموضوع باشتراكهن في اللجان الخاصة به علاوة على الموضوعات الاخرى التي درسنها

ولما ألفت سنة ١٩٣٩ برآسة معالي الدكتور حامد محمود بك وزير الصحة وقتئذ لجنة لبحث مشكلة البغاء وكنت عضواً فيها عرضت آراءنا في الطريقة التي نراها منتجة في تيسير الغائه وانتشال اولئك البائسات اللواتي يحترفن البغاء ليقتتن وقدمت لمعاليه تقريراً بمقترحاتنا في علاج هذه المشكلة وقطعنا مرحلة طويلة في هذا السبيل ولكن للاسف جدت أحوال عدة قهرية حالت دون تنفيذ الغائه . ولنا في نشاط معالي الاستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية وحبه لتعميم الاصلاح اكبر أمل بازالة هذه الوصمة من جبين مصر الاسلامية

وطالما طالب الاتحاد النسائي بتحديد وقت لبيع الخمور وتحريمها على من هم دون الثامنة عشرة من العمر وألح الاتحاد في اقفال دور الميسر والمراهنات التي كثيراً ما سببت خراب البيوت وتقويض الأسر . وكذلك طالب الاتحاد باصلاح نظم الاحوال الشخصية لتهيئة الاساس الصالح لبناء الاسرة واستقرار الحياة الزوجية بوضع حد لفوضى الطلاق وتقييد تعدد الزوجات إلاّ لضرورة ومد أمد الحضانة على مذهب سيدنا مالك أي لسن البلوغ للولد وسن الزواج للبنت وطالب بمراعاة جانب المرأة في شروط بيت الطاعة الذي يتخذه بعض الازواج وسيلة لارهاق الزوجة لارغامها على النزول عن حقوقها . وقد وفقنا الى مد أمد الحضانة الى التاسعة للولد والحادية عشرة للبنت مقابل تنازلنا مع الاسف عن سنتين من حق المرأة في مدة النفقة . وصدر قانون بذلك سنة ١٩٢٩ في عهد المغفور له محمد محمود باشا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك وصلنا الى تعديلات يسيرة في نظام الطلاق. أما مشكلة تعدد الزوجات فما زالت العقبة الكؤود في طريقنا على رغم الامتحانات القاسية التي يبتلى بها أصحاب ذلك المبدأ

وكذلك طالب الاتحاد بالقضاء على البدع والخرافات كالزار والولولة خلف الموتى ومحاربة الخرافات والتدجيل وما أشبه ذلك مما له خطره على عقلية البسطاء وصحتهم وطالبنا بمراعاة تحسين أخلاق الاحداث بأن تتولى المرأة الحقوقية مناصب القضاء في قضاياهم وبأن يعهد كذلك الى النساء في الاشراف على سجونهم لان المرأة بحكم أمومتها أعرف الناس بأخلاق الطفل. وأخيراً بدأ الاتحاد بضم جهوده الى جهود جماعة انقاذ الطفولة المشردة لانتشال الأطفال البائسين الذين فقدوا عائليهم او حرموا عناية ذويهم. وهنا نرجو ان يظل معالي وزير الشؤون الاجتماعية على عزمه على تشجيع هذه الجماعة التي درست مشكلة التشرد وأسدت خدمات جليلة في توجيه المشردين وعلاجهم وانقاذهم بطرق حديثة ناجحة وان يشمل بعنايته واهتمامه تلك المشكلة الخطيرة لانقاذ هذا النشء البريء من ابناء الوطن الذين لهم علينا مثل ما لغيرهم من الحقوق. ويجدر بي هنا ان أذكر أننا طالبنا بانشاء حدائق للاطفال وتعميم التعليم الاولي لمحاربة الأمية واتقاء الشحاذة جهد المستطاع

أما في الناحية الاقتصادية فقد نشر الاتحاد دعوة واسعة الى تشجيع الصناعات المحلية وترويجها بتفضيلها على غيرها من المصنوعات وبتعليم الاشغال اليدوية وفن حبك السجاد في مشغله وباشتراكه في المعارض الوطنية والاوربية بعرض منتجات مشغله وقد حازت الميداليات الذهبية وشهادات الشرف في المعارض المحلية والخارجية واشترك الاتحاد في المعرض النوعي للصناعات المصرية باعداد ازياء حديثة من المنسوجات المصرية اظهاراً لحسنها ومتانتها وترويجاً لها. ولاعداد معلمات فنيات في الاشغال اليدوية والتدبير على الطراز الحديث أوفدنا سنة ١٩٣٦ بعثة مكونة من ست تلميذات ثلاث الى بلجيكا وثلاث الى تركيا ليتخصصن في علوم التدبير والاشغال اليدوية وليتبحرن في اللغات الاجنبية فحصلن على الشهادات العالية وكن محل الاعجاب بحسن سلوكهن وهنا اذكر بالشكر وعرفان الجميل موقف الحكومة التركية النبيل فقد أبت الا ان تتولى نفقات تعليم بعثتنا بمعهد اينونو بأنقرة تشجيعاً لنهضتنا

ولم يكن الاتحاد النسائي أقل من غيره من الهيئات نصيباً في خدمة الانسانية بايواء كثير من المهاجرات بأطفالهن في مدة الغارات والعناية بخدمتهن وتهذيب اولادهن وتعليمهم بعض الصناعات وتكفله ببعض العائلات التي فقدت عائليها وتبنيه بعض اليتامى فضلاً عن مساهمته من قبل بقسط وافر في مساعدة منكوبي الحبشة بعقد اجتماع لاتخاذ القرارات اللازمة والطرق المنتجة في مساعدتهم ومساعدة منكوبي زلزال تركيا والهلال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاحمر وقد ساهم بقسط وافر في نشر الدعوة إلى السلام بالاشتراك في الاجتماعات التي عقدت لهذا الغرض في مصر والخارج بما جمعه من توقيعات ذوي المكانة بمصر سنة ١٩٣٢ في حركة السلام التي تولتها نساء العالم وأرسلتها لعصبة الامم لتقديمها لمؤتمر نزع السلاح سنة ١٩٣٣ وقد اشترك الاتحاد النسائي في عشرة مؤتمرات دولية هي، مؤتمر روما سنة ١٩٢٣ وجراتس سنة ١٩٢٥ وباريس سنة ١٩٢٦ وامستردام سنة ١٩٢٧ وبرلين سنة ١٩٢٩ وفي مارسيليا للمطالبة بحق الانتخاب لنساء فرنسا سنة ١٩٣٣ وفي استانبول سنة ١٩٣٥ وفي بروكسل سنة ١٩٣٦ وفي بودابست سنة ١٩٣٧ وفي كوبنهاجن سنة ١٩٣٩ . وأخذ عدد مندوبات مصر في المؤتمرات الدولية يزيد حتى بلغ اثنتي عشرة سيدة في مؤتمر استانبول . وكان لمندوبات مصر نصيب كبير في الدعاية الموفقة لمصر في الخارج بالقاء المحاضرات والخطب في المجتمعات والحفلات المتبادلة ونشر الأحاديث في الصحف والمحافل مما أدى الى إدحاض المفتريات الكاذبة الضارة بسمعة بلادنا . وكانت قرارات هذه المؤتمرات تبلغ الى عصبة الأمم وحكومات الدول للاسترشاد بها في مشروعات الاصلاح وتتولى الجمعيات المندمجة من جانبها تنفيذ ما هو في دائرة استطاعتها أو السعي الى تحقيقها بوسائلها الخاصة

وانه لمن دواعي فخر الاتحاد النسائي المصري كذلك مساهمته الفعلية في العمل على الغاء الامتيازات الاجنبية بالدعاية الواسعة النطاق التي كان ينشرها في كل مؤتمر دولي ضد هذا النظام الممقوت متخذاً حجته في ذلك انهُ يعرقل في مصر تنفيذ قرارات المؤتمرات حتى انتهى الأمر بأن أصدر مؤتمر برلين سنة ١٩٢٩ ومؤتمر استانبول سنة ١٩٣٥ قرارين باستنكار قيام نظام الامتيازات الأجنبية في مصر وضرورة الغائها وتكليف مندوبات الدول تبليغ ذلك الى حكوماتهن ومطالبتها بالتنازل عن امتيازاتها في مصر

واليكم البرقيات المتبادلة في هذا الصدد عند اجتماع مؤتمر مونترو لالغاء الامتيازات الأجنبية بمصر

مني الى رئيسة الاتحاد النسائي الدولي — مسز كوربيت اشبي رئيسة الاتحاد النسائي الدولي بلندن:(نرجو أن تبرقوا لمؤتمر الامتيازات بقرارى برلين واستانبول بخصوص الغاء الامتيازات بمصر) فأتاني منها الرد الآتي:

أبعث اليك بصورة البرقية المرسلة مني « عن الاتحاد النسائي الدولي الى سكرتير مؤتمر الامتيازات بمونترو » .

« الاتحاد النسائي الدولي للمساواة السياسية والمدنية بين الرجل والمرأة يذكر مؤتمر الامتيازات بالقرارين اللذين وافق عليهما المؤتمر النسائي الدولي ببرلين سنة١٩٢٩ وباستانبول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سنة ١٩٣٥ وفيهما الاعتراف بضرورة الغاء الامتيازات الاجنبية ارضاء لمبدأ العدل الدولي ولأن في هذا الالغاء ما يمكن الحركة النسوية المصرية من القضاء على البغاء والرقيق الأبيض والمخدرات ويفسح أمامه المجال لتحقيق برامج الاصلاح الاجتماعي ، ومن أهمها المساواة بين الزوج والزوجة في الجنسية « كوربيت اشبي »

وهذه صورة البرقية التي بعثت بها الى رئيس المؤتمر : (الاتحاد النسائي المصري الذي دافع عن حق مصر بطلب الغاء الامتيازات لدى مختلف المؤتمرات النسائية الدولية وحصل على قرارات تؤيده في طلبه يتجه نحو أعضاء المؤتمر مستمداً قوته من عضد نساء العالم مطالباً باسم مبادىء العدالة للوصول الى اتفاق عادل مع الوفد المصري يحقق كل آمالنا القومية المشروعة)

وهذه صورة البرقية التي بعثت بها الى رئيس الوفد الاميركي لدفاعه عن قضيتنا في المؤتمر (الاتحاد النسائي المصري تأثر كثيراً بدفاعكم المجيد عن مصر ويشكر الحكومة الاميركية على ما أولتها من ثقة)

فردَّ جنابه عليّ بالبرقية الآتية : —

مونترو في ١٦ ابريل سنة ١٩٢٧

سيدتي العزيزة :

وصلت اليَّ اليوم البرقية التي تفضلت بارسالها إليَّ والتي تحمل شكر الاتحاد النسائي المصري على خطابي في اجتماع امس ولست في حاجة إلى أن اعبر لعصمتك عن عظيم تقديري لرسالتك الحكيمة والروح التي أملتها وأرجو أن تتفضلي بقبول خالص الشكر والامتنان

(برت فيش)

وهذه صورة البرقية المرسلة الى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس وفد المفاوضة المصري بمونترو

تمشياً مع جهوده المتواصلة في المطالبة بالغاء الامتيازات الاجنبية الاتحاد النسائي المصري يؤيدكم كل التأييد متمنياً لكم النجاح الكامل في مهمتكم (هدى شعراوي)

فرد رفعته بالبرقية التالية : (أوجه عظيم الشكر الى الاتحاد النسائي المصري على تأييده الوطني) مصطفى النحاس

وقد ساهمت المرأة المصرية في مناصرة عرب فلسطين ودافعت عن قضيتهم العادلة دفاعاً مجيداً إذ دعا الاتحاد النسائي في اكتوبر سنة ١٩٣٨ نساءَ العرب من أنحاء الشرق العربي الى عقد مؤتمر نسائي في القاهرة جاء برهاناً ساطعاً على نهضة المرأة المصرية خاصة والشرقية عامة وكان فاتحة عهد ائتلاف وأخاء بين نساء الشرق العربي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويسرني أن أخبركم بأنهُ جاءَني خطاب من الآنسة حسن القاسم ينبيء بتأسيس فرع للاتحاد النسائي بيافا في هذه الساعة من هذا اليوم وهذا مظهر جميل للتعاون المنشود بين نساء العرب فأتمنى لهذا الفرع الرطيب الترعرع والازدهار راجية أن يكون قدوة حسنة للاقطار الشقيقة

وقد أيدت الصحافة النزيهة هذا المؤتمر وساعدته مساعدة عظيمة كما حبت الاتحاد النسائي منذ تأسيسه حتى الآن بتشجيعه وعضده ولم تتوان في نشر الدعاية لهُ ومعاونته حتى الآن فأنتهز هذه الفرصة وأقدم خالص شكرنا لحضرات قادة الاقلام في بلادنا وحضرات الذين كان لهم فضل السبق في تمهيد السبيل لتحرير المرأة كالأستاذ الكبير احمد لطفي السيد باشا مدير الجريدة إذ ذاك والاستاذ عبد الحميد حمدي في مجلتي المنبر والسفور وجريدة الاهرام والسياسة والبلاغ وجورنال ديجبت

ومن نتائج النهضة النسوية الحديثة التي عززها الاتحاد النسائي وأقام صرحها ظهور المرأة في ميادين الاعمال المنتجة حكومية كانت او حرة اجتماعية او علمية فقد أصبحنا نرى المصرية موظفة في دواوين الحكومة والمصارف تعمل مع الرجل جنباً الى جنب في الطب والمحاماة والصحافة والتجارة وتساهم بأوفر نصيب في اصلاح حال الاسرة ورعاية الطفل وها نحن اولاء نراها اليوم تخدم الانسانية منضمة الى جمعية الهلال الأحمر برعاية حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا العاملة وفي ميادين الخدمة الاجتماعية ، نراها تساهم باوفر نصيب في اصلاح حال الاسرة ورعاية الطفل باشراف بعض حضرات صاحبات السمو الاميرات وفضليات السيدات . كما نراها في المرشدات عنوان النشاط تمارس الرياضة البدنية التي تنمي جسمها وتكوّن عقلها وتهيؤها للحياة العملية ويرجع اكبر الفضل في ذلك الى اهتمام ورعاية المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وهو الذي اعدهُ بحق دعامة قوية في تأسيس نهضتنا النسائية الحديثة بفتح ابواب الجامعة على مصراعيها امام السيدات ايام كان رئيساً لها بتخصيص أيام لهنَّ تلقي عليهنَّ فيها اديباتنا امثال الباحثة (ومي) والسيدة لبيبة هاشم ورحمة صرُوف محاضرات علمية وأدبية وقد تفضل جلالته رحمهُ الله فشمل برعايته اول احتفال أقيم لأحياء ذكرى قاسم على رغم ثورة الرجعيين

عشرون عاماً قضاها الاتحاد النسائي المصري لا في نضال وخصام شأن معظم الهيئات العاملة بل قضاها في دراسات واختبارات وبناء آمال عظام تجمع كلمتنا فيها روح التضامن والاخوة والشعور بالمسؤولية وقدسية الرسالة التي يؤديها مؤمنات بأننا عنصر حيوي في استكمال استقلالنا ونجاح نهضتنا الفتية وكان هذا الايمان في منزلة قوة الهبة تدفعنا الى الامام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مستبسلات في اداء الواجب الوطني والجنسي في هذا العصر الذي تقدمت فيهِ الامم وسبقتنا بمراحل شاسعة في مضمار الحضارة والعلم والاختراع ومضينا في سبيلنا بعون الله لا تثنينا نبال الرجعيين عن قصدنا ولا ترهبنا الحملات الشعواء التي شنها علينا المغرضون بمختلف الوسائل لاعتراض طريقنا وهدم نهضتنا

عشرون عاماً مضت على تأسيس اتحادنا وقد كان بودي ان أطلع عليكم اليوم بمحصول أوفر عن جني وغرس السنين العشرين الماضية ولكن حتى في بلادنا ذات التربة الخصبة والري السهل كثيراً ما تتعرض جهود الزارع للزوابع والأعاصير فيتعطل نمو النبات وتجف السنابل ويضعف النبت فيضمحل المحصول بفعل التقلبات الفاجئة على رغم ما يبذرهُ الزارع من بذور ويذروه من سماد ويبذلهُ من سهر على صون زرعهِ. ومثل المجاهد في سبيل الاصلاح كمثل الزارع في زرعهِ وحصاده وكما ان المفاجآت الوقتية لا تثني من عزم الزارع فانها كذلك لا تثبط من همة المجاهد. فان اعترضت سبيلنا في بعض الاحايين عوامل قللت من انتاجنا او حالت دون تحقيق جميع أمانينا فلا نشك انهُ سيأتي اليوم الذي نصل فيهِ الى أهدافنا ما دمنا على خطتنا مثابرات

هذا ما حققناهُ من أغراضنا وما أنتجته جهودنا في مدة خمس القرن الماضية فترى هل قامت المرأة المصرية نحو المجتمع بما كانت تنتظره مصر منها ؟ نترك هذا التقدير لحكمكم أما نحن فان تولينا منصب القضاء فيهِ فسنكون أقسى على أنفسنا منكم لاننا نعترف بما للرجل من سبقٍ في مضمار تحرير المرأة ولولا صيحة قاسم التي نبهتنا من غفلتنا لظللنا في سباتنا العميق ولا يعلم الا الله متى كنا نفيق. تلك الصيحة التي وجدت سبيلها الى نفس كل مصري غيور على استقلال بلاده ونفذت الى قلب « أتاتورك » منقذ تركيا الاعظم فاكتمل بناء نهضة بلاده على اكتاف المرأة التركية

انه ليؤلمنا ان تظل المرأة المصرية التي خاضت بجانب الرجل معترك الحركة الوطنية ومن بعدها اقتحمت ميادين الحياة العامة ووصلت الى ارقى مراتب التعليم ونالت الشهادات العالية وشغلت المناصب الحكومية وغيرها وأسدت الى المجتمع كثيراً من الخدم — يؤلمنا انها تبقى الى الآن مهضومة الحق السياسي ولا تتساوى حتى بالرجل الأمي في الاقتراع والانتخاب. أجل يؤلمنا ذلك لا لهضم حقوقنا فحسب، بل لما يخسره الرجل من انفراده بالعمل وما تخسره البلاد من عدم الانتفاع بمواهب المرأة وهي نصف الامة

وانتهز هذه الفرصة المواتية فرصة مرور عشرين سنة على جهادنا فأرفع صوتي عالياً على الملأ مطالبة بتخويل المرأة المصرية حقها السياسي في الاقتراع والانتخاب ومجالس المديريات ودار النيابة والمجالس الحسبية ومساواتها بالرجل في جميع الحقوق والواجبات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأهيب بنساء مصر الاّ يفرطنَ في هذا الحق المشروع لهنَّ كما أتوجه بمزيد الثناء والتقدير لحضرات زميلاتي المحترمات أعضاء الاتحاد النسائي على ما بذلنه في اثناء خمس القرن الماضي من جهود أدبية ومساعدات مادية في خدمة اغراض الاتحاد فضلاً عن ادارة مصالحهن الخاصة وانضمامهنَّ إلى عدة جمعيات نسائية أخرى فمثلاً زميلتي نفيسة هانم علوبة وكيلة جمعيتنا ترأس جمعية مستشفى مصر الجديدة وهي عضو في مجلس ادارة الهلال الاحمر . والآنسة ماري كحيل وهي تعمل معنا منذ بدء حركتنا ترأس عدة جمعيات خيرية واجتماعية — ومن اعضائنا الموظفات الحكوميات والمشتغلات بالاعمال الحرة ومع ذلك لا يتأخرنَ عن العمل معنا والسهر على تقدم جمعيتنا ونجاح أعمالها واني لأتمنى لحضراتهنَّ دوام التوفيق فيما ينهضنَ به من واجب نحو الوطن العزيز. وكذلك أوجه خالص الشكر الى حضرات الذين سهروا على تعليم بنات معهدنا وتربيتهنَّ من ناظرة نشطة ساهرة على تثقيف وحسن توجيه ومديرة عاملة ومدرسين ومدرسات اكفاء

وكم يؤلمني ألاّ نرى اليوم بين صفوفنا زميلاتنا اللواتي جاهدنَ بجانبنا ولم يمهلهنَّ القدر حتى يجنينَ ثمرات جهودهنَّ ويشاركننا سرورنا بهذا اليوم وهنَّ المرحومات السيدات اسماء المطيعي ووجيدة خلوصي وسعاد وفردوس الهلباوي ونعمت حجازي وفكرية الصلح تغمدهنَّ الله برحمته واسكنهنَّ فسيح جنانه

***

واني لأعقد اكبر الأمل في تحقيق ما بقي من امانينا قريباً جداً في عهد حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الاول ملك الجميع الذي يضع مصلحة بلاده فوق كل اعتبار ويزيد في ثقتي هذه ما لقيناه من عطف جلالته ورعايته السامية لاعمالنا وما نلقاه في كل وقت من حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة وحضرة صاحبة الجلالة الملكة نازلي من التشجيع والرعاية . وانني لن أنسى ما بقي من حياتي تلك المفاجأة السارة التي أراد ملك الجميع ان يتوج بها اعمال الاتحاد النسائي برضاه عن شخصي الضعيف وانعامه السامي عليّ بوشاح الكمال بتلك الطريقة الفذة التي أظهرت للملأ أجمع رضاه الكريم عني وعن الهيئة التي أنتمي اليها حفظ الله جلالته ذخراً للامة المصرية بأسرها . تلك الامة الوفية المتفانية في الاخلاص لذاته المحبوبة ولبيته الكريم وهيأ الله لمصر العزيزة كل خير ورفاهية وعز في عهده السعيد ان شاء الله ، وأضرع الى المولى القدير أن يتولى العالم برحمته وعنايته في هذه الاوقات العصيبة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفن

للفيلسوف الفرنسي برجسون

نقلها سليم سعده

ما هي ماهية الفن ؟ لئن قدر ان تصطدم الحقيقة رأساً بحواسنا وضميرنا ، او كان في مكنتنا ان نحتكّ مباشرة بالاشياء او بأنفسنا اذن لاعتقدت ان الفن أصبح معدوم الفائدة او بعبارة أصح، اننا نصبح جميعنا فنانين، فتستطيع روحنا ان تتغنى مع الطبيعة بغير انقطاع وتستطيع عيوننا — بمساعدة ذاكرتنا — ان تقتطع من لوحة الفضاء غرراً فنية لا تضارَع لتثبتها على صفحة الزمن ، وتستطيع نظراتنا انِ تلتقط كلمح البصر ، من الرخام المنحوت في الجسم البشري الحي ، أجزاء تمثال لا تقل جمالاً وروعة عن تلك الاجزاء المجسمة في التماثيل القديمة ونستطيع ان نسمع في أعماق نفوسنا ألحاناً أشبه شيء بالموسيقى تارة شجية سارة ، وغالباً أشبه شيء بالانات المؤلمة ، ولكنها في مجموعها غريبة اذ تمثل أنشودة حياتنا الداخلية المستمرة . كل ذلك يتجلى حولنا ، وكل ذلك يدور في دخيلة نفوسنا ، ومع ذلك كله لا نستطيع أن نتبين منهُ شيئاً

ان بين الطبيعة وبيننا ..... ماذا أقول ؟ ان بيننا وبين ضميرنا الذاتي ، حجاباً ، هو حجاب كثيف بالقياس الى عامة الرجال، وهو حجاب خفيف يكاد يكون شفافاً بالقياس الى الفنان والشاعر . فأية حورية او جنية نسجت هذا الحجاب ؟ وهل كان ذلك خدعة منها أم صداقة ونبلاً ؟ كان لا بد من الحياة ، والحياة تحتم ان نخشى الاشياء فيما لها من العلاقة بمطالبنا . ان الحياة تتطلب العمل . والحياة هي ألاّ نرضى من الاشياء الاّ بما يعود علينا من التأثير المفيد كي يتسنى لنا ان نجيب عليهِ بما يلائمهُ من الانفعالات : اما الانفعالات الاخرى فيجب ان تتلاشى او لا تصل الينا الاّ في صورة مبهمة

انني انظر فيخيل اليّ أنني أرى ، وأصغي فأعتقد أنني أسمع ، وأدرس نفسي فأتوهم أنني أقرأ في قرارة نفسي وقلبي . على ان ما أراه وما أسمعهُ من العالم الخارجي ليس الاّ ما تنتزعهُ حواسي من هذا العالم ليرشدني ويهديني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ان ما أعرفهُ من نفسي لا يزيد عمـا يطفو على سطح هذه النفس وما له صلة بالعمل واذن فأن حواسي وضميري لا يقدمان لي من الحقيقة الاّ صورة مصغّـرة عملية بسيطة . فازاء الرؤيا التي توحيها اليّ حواسي وضميري عن الاشياء وعن نفسي ، تتلاشى الفوارق التي لا تفيد الرجل . أما أوجه الشبه التي تفيد الرجل فانها تزداد وتتضاعف ، والى جانب ذلك ترسم لي الطرق التي يجب ان تسلكها اعمالي . وهذه الطرق هي التي مرت فيها الانسانية بأسرها من قبلي . لقد وضعت فيها الاشياء بنظام تام ليسهل اختيار ما يصلح منها للغرض الذي أقصدهُ وأتوخاه . وهذا النظـام بالذات هو الذي أتبينه أكثر مما أتبين لون الاشياء وشكلهـا . لا شك في ان الرجل أسمى كثيراً من الحيوان من هذه الناحية . وانهُ لا يحتمل ان تفرق عين الذئب بين الجدي والحمل ، فكلاهما في نظره فريسة واحدة وكلاهما سهل الاقتناص لذيذ الطعم

أما نحن فاننا نفرق بين النعجة والخروف ، ولكن هل نستطيع ان نميز بين نعجة ونعجة وخروف وخروف ؟

ان فردية الاشياء والكائنات تغيب عنا كلما انتفت حاجتنا الى تبيانها للتفريق بينها . بل وفي الحالات التي نفرق فيها بينها (كالتي نفرق فيها بين رجل ورجل آخر) ليست الفردية او الانسجام في الاشكال والالوان هو ما تلتقطه أعيننا اذ انها لاتلتقط الاّ لمحة — او اثنتين — هي كافية في الواقع لتسهل علينا معرفة الشيء معرفة عملية تامة

***

ومجمل القول هو اننا لانرى الاشياء بالذات ، واننا نكتفي في أغلب الاحيان بقراءة البطاقات الملصقة عليها . وهذا الميل ، الناشيء عن الحاجة ، قد ازداد بتأثير الكلام . لأن الكلمات (فيما عدا الأسماء) تعـبر عن الانواع . والكلمة التي لا تعبر إلاّ عن وظيـفة الشيء الشائعة ومظهره العادي ، تتدخل بين الشيء وبيننا وتخفي شكله عنـا ، إن لم يكن الشيء قد توارى وراء الحاجات التي خلقت تلك الكلمة بالذات . وليس الامر قاصراً على الاشياء الخارجيـة ، فهناك حالاتنا النفسية التي تحتجب عنا بما فيها من أسرار خفيـة ومظاهر شخصية على الرغم من انها شغلت حياتنا . اننا عند ما نشعر بالحب والحقد ، عنـد ما نشعر بالفرح أو الحزن ، فهل شعورنا هذا هو نفس شعورنا الذي يصل الى ضميرنا بما فيه من تقلبات شاردة ورنات عميقة تجعل من هذا الشعور جزءاً من ذاتنا ؟ أما انه لو صح ذلك لأصبحنا جميعاً روائيين ، وشعراء ، وموسيقيين ، ولـكننا في الغالب لاندرك من حالتنا النفسية إلاّ مظاهرها الخارجي ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اننا لا نلمس من مشاعرنا إلاّ ظاهرها الذي استطاع الكلام أن يعبر عنهُ ، لأنهُ يكاد يكون متشابهاً عند جميع الرجال . وهكذا يغيب عنا معنى الفردية حتى في شخصنا الذاتي ، مما يجعلنا نتقلب في وسط العموميات والرمزيات ، كما لو كنا في حقل تحيط بهِ أسوار تقاس فيه قوتنا مع غيرها من القوات حتى اذا ما سحرنا العمل وجذبنا بما فيه نفعنا الى الميدان الذي اختاره ، أصبحنا نعيش في منطقة متوسطة بين الاشياء وبين أنفسنا ، خارجة عن الأشياء وخارجة أيضاً عنا

على ان الطبيعة لا تكف — عن بُعدٍ وعلى سبيل اللهو — عن اغراءِ نفوس هي في عزلة عن الحياة واثارتها

انني لا أتكلم عن العزلة المختارة التي يسلم بها المنطق، العزلة وليدة التفكير والفلسفة، ولكنني أقصد تلك العزلة الطبيعية اللازمة للكيان الحسي أو الضمير وهي التي تتجلى في الحال بطريقة عذرية في النظر والسمع والتفكير . فاذا كانت هذه العزلة تامة واذا كفت الروح عن الاتحاد بالعمل في أحد مدركاتها الاولى ، آخت هذه الروح روحَ فنان لم يرَ العالم مثلها اطلاقاً . فتمتاز في جميع نواحي الفنون معاً ، أو بعبارة أصح ، إنها تصهر جميع أنواع الفنون في بوتقة لتخلق منها فنًّا واحداً ؛ وتدرك جميع الأشياء في طهرها الاصلي وصفائها الحقيقي

وكذلك الأشكال والألوان وأصوات العالم المادي بل وأدق حركات الحياة الداخلية . ولكن مطالبة الطبيعة بمثل ذلك كثير . بل ان أولئك الذين انتخبتهم الطبيعة من ظهرانينا وصيرتهم فنانين قد نزعت عنهم القناع من ناحية واحدة وبطريق المصادفة، ونسيت أن تربط الادراك الأولي بالحاجة من اتجاه واحد فقط

ولما كان كل اتجاه يتفق مع ما نسميه « حاسة » ، فان الفنان يتخصص عادة في الفن بفضل تلك الحاسة بالذات

***

ومن هنا نشأ تنوع الفنون في الأصل ، ومن هنا أيضاً نشأ تخصيص الملكات والمواهب . فالفن يرتبط بالألوان والاشكال. ولما كان الفن يحب اللون لمجرد اللون ، والشكل لمجرد الشكل ، ولما كان يدركهما لذاتهما لا لذاته ، فانهُ لذلك يرى الحياة الداخلية تتجلى خلال أشكالها وألوانها ، فيدخلها رويداً رويداً في ادراكنا الأولي الذي تبدو عليه الحيرة من تلك المحاولة الجريئة ، ويبعدنا ، ردحاً من الزمن ، عن أباطيل الشكل وأوهام اللون التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحجب الحقيقة عن أعيننا ، وبذلك يحقق أسمى ما يطمح اليهِ الفن وهو أن يكشف لنا عن أسرار الطبيعة

على ان هناك أنواعاً من الفن تنكمش على ذاتها ، نخلف آلاف الاعمال الناشئة التي ترسم شعوراً خاصًّا وتبرزه ، وخلف الكلمة التافهة الاجتماعيــة التي تعبر عن حالة نفسية فردية وتحجبها ، تبحث هذه الفنون عن ذلك الشعور وعن تلك الحالة النفسية ، وانهــا لتجتهد في أن تبرز لنا شيئاً مما تكون قد رأته لكي تحملنا على القيام بمثل ذلك المجهود مع أنفسنا : انها تقول لنا ، أو بعبارة أصح ، توحي الينا — بكلمات موزونة — أشياء لم تكن اللغة أو الكلام ليعبر عنها

***

وهناك أنواع أخرى من الفن تذهب الى أبعد من هذا المدى فتغوص في الأعماق .نخلف ستار هذه الأفراح وتلك الأحزان تتناول شيئاً ليست له صلة ما بالكلمة — كبعض أهازيج الحياة والنفس المتصلة بكيان الرجل اكثر من اتصالها بمشاعره لارتباطها بالحياة واختلافهــا باختلاف الشخص وانحلاله وثورات اعجابهِ وأحزانه وآماله . وهي اذ تبرز هذه الموسيقى وتحركها تفرضها علينا وتسترعي انتباهنا اليها ، بحيث تندمج فيها عفواً كما يفعل المارة اذا اختلفوا الى احدى دور الرقص واندمجوا عفواً مع الراقصين . ومن ثمّ تحملنا على هز اوتار مرتبطة بأعماق نفوسنا كانت مستيقظة مترقبة اللحظة المناسبة لترنّ

وهكذا فسواء أتصويراً كان الفن أم حفراً أم شعراً ام موسيقى فليست له غاية ما الاّ اقصاء الرمزيات المقال بنفعها والعموميات المصطلح عليها عرفاً واجتماعاً ، وبالاجمال كل ما يحجب الحقيقة عنا لكي يضعنا امام الحقيقة بالذات ويوقفنا منها وجهاً لوجه . ان النقاش الذي قام بين أنصار المذهب الواقعي وانصار المذهب المثالي في موضوع طبيعة الفن كان وليد سوء تفاهم في هذه النقطة

ليس الفن في الواقع الاّ رؤيا تتجلى فيها الحقيقة . على ان ذلك الصفاء في الادراك الاولي يحتم القطيعة التامة مع العرف المصطلح والزهد الغريزي المركز في الحواس او الضمير ، وفي النهاية يتطلب نوعاً من التجرد المادي عن الحياة وهو ما دأبوا على تسميته بالمذهب الخيالي ، بحيث يمكن ان يقال — بغير كناية او تورية — انالمذهب الواقعي يكون ممثلاً في الشيء المصنوع عند ما يكون المذهب الخيالي مسيطراً على النفس ، وان الانسان يحتك بالحقيقة بفعل الخيال وتأثير التخيُّل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطبيعة الانسانية

كما يراها ابو العلاء المعري

— ٢ —

لكامل كيلاني

الطبع والخلق

على أن أبا العلاء يرى — بعد — أن الأخلاق تختلف وتتفاوت، وفي الشر خيار . فمنها المذموم ، والممدوح ، والنافع ، والضار ، والقاسي والرحيم ، وما الى ذلك من حميد الصفات ومرذولها . وهذه الأخلاق تأتلف وتختلف ما شاءت لها خصائصها وظروفها وملابساتها ، ولكن الطبع الفاسد الذي صيغت منهُ الجبلة الانسانية واحد لم يتغير جوهره — مهما تختلف فروعه ومظاهره أو تأتلف — في بعض النزعات المستحدثة الطارئة . الطبع واحد لا يتغير معدنه أبداً مهما يتميز هذا عن ذاك في الأخلاق التي ارتضاها الاناسيّ في حياتهم وتواضعوا عليها وألفوها . فهو يقول :

« ان مازت الناس أخلاق يُعاش بها ... فإنهم — عند سوء الطبع — أسواء »

أو يقول : « والخلق شتّى . ولكن ضمهم خلق ... للشر . لم يلق بين الناس إفرازا »

» : « تفرَّع الناس عن أصل به دَرَنٌ ... فالعالَمُون — اذا ميزتهم — شَرَعُ »

» : « سجايا كلها غدرٌ وخبثٌ ... توارثها أناس عن أناس »

» : « لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً ... وجاءوا الذي جاءوهم من شرهم طبعا »

» : « وفي الأصل غش والفروع توابع ... وكيف وفاء النجل والأب غادر »

» : « فلا تعذلينا . كلنا ابن لئيمة ... وهل تعذب الأثمار إن لَؤُم الغرس »

» : « والأرض ليس بمرجوٍّ طهارتها ... إلاّ اذا زال عن آفاقها الأَنَسُ »

سيَّان في ذلك الرجل والمرأة .. فهو يقول :

« جرى الناس مجرًى واحداً في طباعهم ... فلم يرزق التهذيب أنثى ولا فحل »

أو يقول : « فأُفٍّ لعصريهم : نهارٍ وحندسٍ ... وجنسيْ رجال منهم ونساء »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

او يقول : « كلنا غادرٌ يميل الى الظُّلْــــمِ ، وصَـفـوُ الأيام للتعكير »
« ورجال الأنام مثل الغواني غيرَ فرقِ التأنيث والتذكير »

الجنس والنوع

ولن يقف سخط المعري عند هذا الحد ، بل هو يرتقي الى لعن الجنس والنوع ، يعني : جنسَ الأحياء وما يتفرع عليهِ من أنواع الحيوان والحشرات والانسان ، فيقول :

« أرى الحي جنساً ظل يشمل عالمي بأنواعه . لا بورك النوع والجنس »

ماذا ؟ بل إن شكّـه ليغتلي حتى يرقى الى العالم العالي : كواكبَ وسيارات، وما يمكن أن تحويه من كائنات ، فيسأل : هل تختلف الكواكب والسيارات كما نختلف ؟ :

« وهل الـكواكب مثلنا في ديننا لا يتفقنَ ، فهائدٌ ، أو مسلم ؟ »

وهل يمتُّ بعضها الى بعض بصـلات المصاهرة والزواج وما الى ذلك ، وهل تصلي كما نصلي ، وتـفـجـر كما نفجر ؟ :

« وتـكذب ؟ إن المين في آل آدم خلائق جاءت بالنِّـفاق وبالْـعُـهْـر »

***

على انهُ بعد أن يلعن الانواع والأجناس مجتمعة ، يفرد الجنس الانساني بأوفر قسط من هذه اللعنات ، فيقول :

« فإن كان في دنياك للشر معدِن فإنهم — في ذاك — أذكى المعادن »

ويقول : « شر أشجارٍ — علمتُ بها — شجرات أثمرت ناسا
حملت بيضاً ، وأغربة ، وأتت بالقوم أجنـاسا
كلُّهم أخفت جوانحـه مارداً في الصـدر خنَّـاسا
لمْ تسِـقْ عذْباً ، ولا أرِجاً بل أذيّـاتٍ وأدناسـا »

مركب النقص

ولا يفوته أن يندد بحقراء النفوس الذين يلجأون الى نقيصة الكبرياء ليستروا بها ما تأصل في جبلتهم، وامتزج بفطرتهم، من شعور بالهوان والنقص ، فيقول :

« لو لم تـكن في القوم أصغرهم ما بانَ منك عليهم كبر »

وفي هذا البيت صورة من أبرع الصور التي حللت مركب النقص وجلته في بيان سهل ممتع أخاذ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوعظ وسامعوه

وهو يلعن جمهور الواعظين الذين يتصـدرون لوعظ الناس ، وهم يضمرون عكس ما يعلنون . فيقول :

«طلب الخسائس وارتقى في منبر   يصف الحساب لأمة ليهولها
ويكونُ غير مصدق بقيامة   أضحى يمثل في النفوس ذهولها»

أو يقول: «رويدك قد غُررت وأنت ندب   بصاحب حيلة يعظ النساء
يحرِّم فيكم الصهباء صبحاً   ويشربها — على عَمْد — مساء
يقول : « لقد غدوت بلا كساء »   وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنهُ يَنْهَى   فمن جهتين — لا جهة — أساء »

ومتى انتهى شيخنا من اهداء تلكم اللعنات الفنية الى سادتنا رجال الوعظ ، التفت الى سامعي مواعظهم فأنحى عليهم باللائمة ، ووصفهم بأنهم اذا لاحت لهم الغنائم اندفعوا اليها فاتكين، كما تندفع الأسود الضارية الى تمزيق صيدها . فاذا وجَّهتهم الى الخير تبلدت قلوبهم، وأشبهوا الحمير في غبائها وترددها وبلاهتها ، فقال :

«يرقى على المنبر العالي خطيبهم   وانما يعظ الآساد والنَّمرا
هم السباع اذا عنَّتْ فرائسها   وان دعوتَ لخير حُوِّلوا حُمُرا »

على أنهُ — مع هذا كله — يرضى بالحقيقة الراهنة، ويوصي بأن نقبل الناس على عِلاتهم ، فيقول :

« هذي طباع الناس معروضة   فخالطوا العالم أو فارقوا »

ثم يرتقي في فلسفتهِ العالية في تهوين مشكلات الحياة ، فيقول

« إن جَدَّ عالَمك الأرضي في نبإٍ   يغشاهم ، فتمثل جِدهم لعبا »

الانسان والحيوان

فإذا قلت لهُ : « ليت الناس كلهم في مثل صفاء طبعك ، وبعدك عن الأرجاس والدّنايا » زوى عنك وجهه غاضباً ، وقال : « ما أنا ببدْعٍ في الناس ، وما طبعي بمختلف عن طبعك وطبائع غيرك من الآدميين . فاذا كان ثمة فرق بيني وبينكم ، فهو أنني أشدكم ايغالاً في النقص والظلم ، والاقبال على الدنيا الخادعة ، والبعد عن الصلاح . فأنا أظلم كما تظلمون ، وأخون كما تخونون ، وأسْهِم في الخيانة والبغي بمثل ما تسْهِمون :

« ظلمت ، وكلنا جانٍ ظلوم   وطبعك في الخيانة مثل طبعي » .

وأُفتن بالحياة الخادعة كما تفتنون ، وأعيش بالخداع كما تعيشون :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

«أهوى الحياة وحسبي من معايبها أني أعيش بتمويه وتدليس»

وأشبه الكلاب كما تشبهون ، وأجري وراء الدنيا كما تجرون :

«كلاب تغاوت أو تعاوت لجيفة وأحسبني أصبحت ألأمها كلبا»

وما أتمنى أن يسير أحد على غراري ، فأنا شرٌ من ولدت حواءُ من الابناء :

« لو كان كل بني حواءَ يشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء »

وأنا أول من يبدأ بذم نفسه قبل أن أذم غيري :

« بني الأرض مهلاً إن ذممت فعالكم فإني بنفسي لا محالة أبدأ »

وليس أدل على فساد طبعنا من إننا إذا سمعنا صادقاً ينعت أصولنا باللؤم ثارت ثائرتنا :

« وغَضِبْنا من قول زاعم حق : « أننا في أصولنا لؤماء »

وما أشبهني بالحية في الظلم والعدوان :

« فأنا ابن العَفَر المستودع في الأرض ، وأبو العثرات المرفوعة الى رب العرش ، وأخو الجنايات الموجبة نقيض العفو . أظْلَمُ من بنت الجبل (الحية) ، ام العثمان (ابن الحية) ، أخت الصِّل (الخبيث من الحيات) الصؤول . أظلم على التجربة وألوم الأعمار»

الطبع والعقل

فاذا عنّ لباحث ان يسأله : ألم تُشدْ في جمهرة أقوالك بالعقل، وتفتنّ في تمجيده والنصح باتباعه ؟ . ألم تقل في رسالة الغفران : « ومتى جُعلَ المعقول هادياً نقع من الغُلَّة صادياً » ؟ ألم تقل في لزومياتك :

«يخالف الطبعَ معقول خصصت بهِ فاقبل اذا ما نهاك العقلُ أو أمرا»

فكيف لا تتبعه ليهديك الطريق المستقيم، وينقذك من طبعك الذميم ؟ أجابنا في غير تردد:

« أن العقل — كما قررت لكم في جمهور شعري ونثري — نبراس ينير طرائق الحياة الداجية، ويَحُلُّ المعضلات الفكرية العويصة، ولكنهُ عاجز أمام الطبع الذي مزجت بهِ مهج الأنام . لا يكاد يصطرع معهُ حتى يخرج من المعركة دامياً مهزوماً :

« يتحارب الطبع الذي مزجت بهِ مهج الأنام وعقلهم فيغلبهُ »

وكم ينهاني عقلي عما يسوء ، ويجذبني اليهِ طبعي الذميم :

« نهاني عقلي عن امور كثيرة وطبعي اليها بالغريزة جاذبي »

وماذا يجدي اللب اذا آراد أن ينقي لون الغراب ، أو يستأصل الغرائز المتوشجة في قرارة نفوسنا :

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

« واللب حاول أن يهذب أهلهُ فاذا البرية ما لها تهذيب
من رام إنقاء الغراب لـكي يرى وضح الجناح أصابه تعذيب »

إن الطبع أقوى من العقل وأشد مراساً، فهو لا يلين لنصحه ، ولا يخضع لسلطانه :

« فطبعك سلطان لعقلك غالب »

فهو لا يفتأ يلغى كل ما يشير بهِ العقل على أصحابهِ :

« اذا ما أشار العقل بالرشد جرهم الى الغيّ طبع ، أَخْـذُهُ أخذ ساحب »

ذلك بأن الشر غريزة متأصلة في كل نفس منذ جدنا الأعلى :

« ولسيد الأقوام ـ عند حجابه ـ طبع يقاتله الحجى ويحارب
والشر في الْـجَـدِّ القديم غريزة في كل نفس منـهُ عرق ضارب »

أو كما يقول: « والطبع يخفر ذمة من ناسك والعقل يكره — جاهداً — اخفارها »

وما دام الفوز مكتوباً للقوي على الضعيف في هذه الحياة ، فان الغلبة مكفولة دائماً للطبع على العقل . وربما اتخذه الطبع خادماً يذلل له ما يستعصى عليهِ ارتياده من أفانين الشرور ، وسخر كل ما يملك العقل من عـتاد وقوة، ليمهد له ما صعب من طرائق الغَـي والضلال، وحينئذٍ يصبح العقل الراجح نكبة راجحة بالغة الأثر محققة الضرر ، ويصبح أقلّ الاحياء حظّـاً منهُ، أقلهم قدرة على الأذية والضرر

« ان الله وله علو المكان ، جعل الشر غريزة في الحيوان . فأبعدهم من الشرور ، أقلهم حظّـاً في المعقول »

الطبع والعادة

فإذا عنّ لنا ان نسأل شيخ المعرة عن رأيه في العادات وأين هي من الطبائع ، قال :

« الطبع شيء قديم لا يُحَـس به وعادة المرء تدعى : طبعه الثاني »

وقال : « هي العادات يجري الشيخ منها على شيم يعـوّدها الصبي »

فإن سألناه : « وهل تتبدل العادات أيها الشيـخ الجليل ، أم هي ثابتة كالطبـائع الانسانية ؟ » . قال :

« أما في المعقول فلا ، وأما في القدرة فبلى . العادات — باذن الله — متغيرات »

والمعري الذي يدين بالقضاء والقدر ، فيقول : « والعقل زين ولـكن فوقهُ قدر » هو الذي يقول :

« قد بدل العالم عاداتهم بل قـــدر من فوقهم بدلا »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على أنهُ قد يقسم الطبائع الى قسمين : طبائع أصيلة ، وأخر مستحدثة . فيقول :

« طبع جبلت عليه ، ليس بزائل طول الحيـاة ، وآخر مُتـَعـَلـَّم

وهناك الطبع الفنيّ ، وهو شيء آخر غير الطبع النفسيّ الذي عرضنا له في هذه الوجازة ، وهو ما يشير اليهِ شيخنا بقوله :

« والطبع يكسر بيتاً أو يقوِّمه بأهون السعي تحريكاً وتسكينا »

والطبع الانساني المتعلَّم المكتسَب، ليس — على أي حال — في قوة الطبع الأصيل الفياض بالشر ، وليس في متانته وثباته :

« والشر في طبع الأنام ، فإنْ يُبـِنْ شيئاً سواه ، فليس رِخيمَ نجـار »

والخيمُ — كما تعلمون — الطبعُ ، والنجـار : الأصل . فهو يقول : « إن ما يبدو من أخلاقنا المستحدثة التي تخالف طبائعنا ليس طبعاً أصيلاً في نفوسنا » فاذا سألنا شيخ المعرة : «فهل من دواء يَشفي ساكني هذه الأرض من طبائعهم الفاسدة وأهوائهم الجامحة؟» . قال :

« اذا كان الهوى في النفس طبعاً فليس بغـير ميتتها سلوٌّ »

رحم الله استاذه وأستاذنا المتنبي القائل :

«كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا ! »

الـكنز العلائي

ان بعض ما أبدعه شيخنا الجليل وشاعرنا الفيلسوف، في تصوير القدرة الالهية والطبيعة الانسانية، من لوحات بيانية مشرقة بأروع آيات الفن العالي والابداع الاصيل، وإن في أكثر ما أوردناه لحافزاً للتأمل والافاضة والشرح ، حتى لتضيق بهِ الاسفـار الضخمة والمحاضرات المستفيضة . على اننا اجتزأنا من ذلكم المعين الفياض بما يجتزئ به الشارب من النهر الجاري : بجُـرْعة تشفي الصدى ، وتـروي الظمأ .

ونحن أمام الـكنز العلائي أشبه بروّاد الكنوز الذين تمثلهم الاساطير: يقفون أمام نفائسها حائرين مأخوذين، لا يعرفون ماذا يتخيرون منها وماذا يتركون . ولنا الى هذا الـكنز العلائي الحافل عودة قريبة — ان شاء الله — لنرى كيف تمثل شيخنا الجليل طبائع الاناسيّ في الدار الآخرة . بعد أن بعثتهم القدرة الالهية . وكيف صوّرها خياله الوثاب في قصته الخالدة: رسالة الغفران ، ونعرف : هل تبدل النـاس في العالم الآخر ؟ وهل غيرت الجنة والنار من طبائع ساكنيهما بعد ان تحول كل شيء من الضد الى الضد ؟ أم تغيرت الاشكال والصور والهيئات ، ولم تتغير الطبائع والسجايا والعادات ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المباقل المحمولة

بقلم : كوركيس عواد

نقل البقول الطرية في ترابها من موطن الى آخر ، أمرٌ مألوف في عصرنا ، نظراً الى ما توصل اليهِ البشر من التحسين والتفنن في أساليب الزراعة والاستنبات . أما نقلها في الأزمنة القديمة فقد كان عملاً حريًّا بالاعتبار جديراً بالتقدير ، خاصة إذا أريد نقلها الى مسافات بعيدة ، كالذي رواه هلال بن المحسن الصابىء ؛ في عرض كلامهِ على سرعة النقل من بلد الى بلد في العهد العباسيّ ، بقوله إن الهليون [1] وكان يحمل الى المعتصم [2] بالله صلوات الله عليه ، من دمشق في المراكن [3] الرصاص ، فتصل في اليوم السادس » [4]

« وشبيه بذلك ما رواه الثعالبي من أن جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني، لما حجّت سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) حجتها التي ذاع خبرها في التاريخ ، واشتهرت كثيراً بما اظهرتهُ فيها من الإسراف والبذخ « كانت استصحبت البقول المزروعة في مراكن الخزف على الجمال » [5]

ومثل ذلك ما قاله ابن كثير في حوادث سنة ٦٠٤ للهجرة (١٢٠٧ م) من ان الصدر جهان البخاري الحنفي حينما خرج الى الحجّ في تلك السنة « ضيَّق على الناس في المياه والميرة ، ؤمات بسبب ذلك ستة آلاف من حجيج العراق، وكان فيما ذكروا يأمر غلمانه فتسبق الى المناهل،

---

(١) الهليون : نبت طبي ذو منافع مختلفة ، ذكرها مؤلفو كتب المفردات الطبية

(٢) ثامن الخلفاء العباسيين (٢١٨—٢٢٧ هـ = ٨٣٣—٨٤٢ م) وهو باني مدينة سامراء

(٣) المراكن، واحدها المركن : اناء كبير كالطشت تغسل فيه الثياب، ويتخذ ايضاً لحفظ البقول والاثمار حين يراد نقلها من موطن الى آخر

(٤) رسوم دار الخلافة (مخطوط ص ١٩) وقد حققه أخي ميخائيل عواد وأعده للنشر

(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي (ص١٦٢) ومطالع البدور في منازل السرور للغزولي (٢: ٨٤) نقلا عن لطائف المعارف للثعالبي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فيحجزون على المياه ويأخذون الماء فيرشونهُ حول خيمته في قيظ الحجاز، ويسقونهُ للبقولات التي كانت تحمل معهُ في ترابها » [١]

ونظير ذلك ، ما حكاه المقريزي فيما صنعه كريم الدين الكبير ناظر الخاصّ ووكيل السلطان بمصر ، حين ذهاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الى الحجّ سنة ٧١٩ هـ (١٣١٩م)، فانّ كريم الدين هذا « أحضر الخولة لعمل مباقل ورياحين في أحواض من خشب تحمل على الجمال ، فتصير مزروعةً وتُسقَى ويحصد منها ما تدعو الحاجة اليهِ ، فيها من البقل والكراث والكزبرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شيء كثير، ورتّب لها الخولة لتعهدها» [٢]

وقد وقفنا في بعض كتب الزراعة القديمة على إشارة إلى ما يجب إتّباعه في نقل الاشجار من مكان الى مكان دون أن تصاب بعطب أو يعتريها الجفاف . من ذلك قول قسطا بن لوقا البعلبكي الذي كان حيًّا سنة ٢٢٠ هـ(٨٣٥م) انهُ يجعل ما كان منهُ قضباناً في طين أو في تراب حرّ ندي قد أعد لها في أوانٍ من فخار أو من خشب، وينبغي ان تدفن هذه القضبان في ذلك الطين أو في ذلك التراب حتى لا يظهر منها شيء ، ويتعاهد بالسقي لتبقى ندية مبلولة

« وما كان من الغرس من لطاف الشجر فينبغي أن يتخذ له أوانٍ من خشب وتملأ تراباً طيباً نديًّا ، وتقلع الشجرة اللطيفة التي يراد حملها بأصولها بما اشتمل على أصلها من الطين والتراب وتغرس في تراب تلك الآنية ، وتُتعاهد بالسقي الى أن تبلغ الموضع الذي يُراد قرارها فيهِ » [٣]

فالأحواض أو المراكن التي كانت تتخذ لدى نقل البقول والرياحين وغيرها من المزروعات دون أن تتعرّض طراوتها للتلف ، كانت تصنع من مواد مختلفة كالخزف والفخار والخشب والرصاص

بغداد

(١) البداية والنهاية في التاريخ (١٣ : ٤٧) . وانظر هذا الخبر في كتاب الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحيي الدين القرشي (٢ : ٨٤) ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٨ : ٣٤٧ طبع شيكاغو)

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك (٢ : ١٩٦ بتحقيق الدكتور زيادة)

(٣) كتاب الفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا الرومي ، وترجمة سرجس بن هليا (ص ٧٢ المطبعة الوهبية بالقاهرة سنة ١٢٩٣ هـ)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مرثاة

العلامة فقيد العلم والادب الفريق أمين باشا المعلوف

لحق اليومَ بالرفاق أمينُ كيف يسلو هذا الفؤاد الحزينُ
يا أليفي من الصبا هل تلت أفــراحَنا الذاهبات إلاّ الشجون
أين جولاتنا وأين الدعابات وأين الهوى وأين الفتون ؟
أين تلك الآمال غِبَّ الدراسات وفيها الحجى وفيها الجنون ؟
رام كلٌّ منا مراماً من العيــش اذا شــطّ قرَّبته الظنون

***

لسـت أنسى وقد أُجيز لك الــطبُّ وزانت لك المنى ما تزينُ
يوم وافيتني وتوشـك أن تبــدوَ في وجهـك النضير غضون
ما الذي جدَّ يا أمين لقد أزمعتَ أمراً مراسه لا يهون
قلتَ هذا بَتِّي سألحق بالجيش فإمّـا العـلى وإما المنون
قلتُ يا صاحبي أتقحم بِيْداً تتلظى والحرب فيها زبون ؟
قلتَ إني خلقت للسعي في الأر ض وما بي الى السكون سكون

***

ونهجتَ النهج الذي اخـترتَ لا تَثنيك عنهُ أخطاره والدُّجون
فتمنطقت بالسـلاح ولكن لا لمـا تطبع السلاح القُيون
رحتَ تأسو جرحَى وتشفي مِراضاً تترامى الرُّبى بهم والحزون
وتوقّـيهم الردى وتريهـم معجزات الانقاذ كيف تكون

***

بعد حرب السودان والعود منهُ جدَّ شأنٌ هانت لديه الشؤون
جلجلت دعوة العروبة فاهـتزَّ لهـا من بهِ اليهـا حنين
وتنادَى حماتهـا وتلاقى في السرايا مَن بالوفاء يدين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فشددت الرحال في نصرة القوم وقد عزَّ في الجهاد المعينُ
وقضيت الأعوام في نَقَلٍ تقسو تصاريفها وآناً تلين
ذقتَ أحداثها تمرُّ وتحلو في ظروف حديثهنَّ شجون
فبلغت المنى العصيَّة بالعزم وذو العزم بالنجاح قمين
وأثابت بغداد مسعاك إذ بتَّ وفيها لك المكان المكين

***

ما توطنت ناعم البال حتى كاد كيداً لك الزمان الخؤون
نزلت علّةٌ بجسمك لم يقوَ عليها وهو البناء المتين
فوهى الهيكل المنيع ولكن سلم الجوهر الرفيع الحصين
فتفرغتَ للتآليف عليها ضميرٌ حيٌّ وذهنٌ رصين
أين شغل الديوان مما أفاد الشرق ذاك التحبير والتدوين
كم كتاب أبحتَ فيه كنوزاً كان في الغيب ذخرها المكنون
تلك للضاد ثروة نشرت فيها علوم مطوية وفنون

***

يا بني مصر يا بني العُرْب ان العهدَ دَيْنٌ والحفظ للعهد دِين
الفريق المقدام والعالم العامل والكاتب الأديب المبين
هل توفّيه حقّه مرثياتٌ أو يوفيه حقه تأبين
بان عن موقع اللحاظ محيَّاه ولكن نوره لا يبين
فليخلد في قلب كل شكور ذلك الصادق الوفيُّ الأمين
يا صديقاً فجعت فيه واني لم أخل آنهُ وشيكاً يؤون
ان قبراً تزار فيه لروضٌ قد كساه الريحان والنسرين
فاذا أخطأ السحاب ثراه نضَّرته بما سقته العيون
يا شقيق الفقيد صبراً على رزئك فهو الشقيق وهو الخدين
لا يردُّ القضاءَ حزنٌ جزوع كل من عاش بالقضاء رهين

خليل مطران

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جون ديوي

فلسفته وآراؤه في التربية

لتوفيق اسكندر

﴿ تمهيد ﴾ لا عجب في أن يتجه الفيلسوف الحديث الى التربية فقد اتجه اليها قدماء الفلاسفة من قبل . ولكن العجب في أن تؤثر آراؤه تأثير آراء ديوي في عصره على قصر المدة التي قضاها في الاشتغال بالتربية في جامعة شيكاغو (١٨٩٤ — ١٩٠٤) وهي المدة التي عاد بعدها الى الفلسفة بانتقاله الى جامعة كولمبيا بنيويورك . وتمثل فلسفته العملية روح العصر من انتشار الرأسمالية واستخدام الآلات وفكرة وحدة العالم والتطوّر والتجريب الاجتماعي . على أن ديوي يمثل فوق ذلك استقلال الفكر الاميركي عن الاوروبي فقد انتقلت الفلسفة الأميركية من المثالية المجردة في عهد Emerson الى العقلية العلمية لسبنسر والتطوّر لداروين في عهد Fiske وأخيراً الى البرجماتزم والتأثر بالبيولوجيا وعلم النفس . وقد تأثر ديوي بستانلي هول ووليم جيمس وكان كلاهما مناهضاً لاتّباع الفكر الأميركي الفكرَ الاوروبي .

١ — ﴿ الفلسفة في رأي ديوي ﴾ يرى ديوي ان الفلسفة نظرة عامة الى الحياة أي أن يتخذ الفرد من العالم موقفاً عمليًّا دائماً حسبما تتطلبه نتائج العلوم المختلفة التي تمدنا بالحقائق عن الحياة ، ويرى كذلك ان الفلسفة تمثل الوحدة والتوازن والاستمرار في وسط التعدد والاضطراب . وجعل لها مهمتين (ا) نقد الاغراض القائمة استناداً الى حالة العلم الراهنة . (ب) بيان تأثير العلم في مستقبل الانسان وجهده الاجتماعي لأن العلم الواقعي لا يعنى بالاغراض ولا يهتم بآثارها الاجتماعية . والفلسفة فرضية كالتفكير وليست أكيدة كالعلم وهي البحث في الممكن لا في الواقع وقيمتها في تحديد المشكلات واقتراح طرق علاجها لا في تقديم الحلول لأن الحلول لا يمكن أن تقدم إلاّ بالعمل . وتنشأ الفلسفة حين تتعارض المصالح في المجتمع كتعارض الدين مع العلم أو الفرد مع المجتمع وهكذا . والحلول الفردية لمثل هذه المشكلات لا تؤدي الى نظام فلسفي (system) لأن كل مجتمع وكل عصر له فلسفته الخاصة به . ففي النظريات الفلسفية التاريخية يبين انقسام المجتمع الى طبقات متفاوتة الحظ في الثقافة أو الثروة أو الحقوق . كما تبين فيها كذلك شخصية الفرد حين نمت واستقلت . ولكن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تخصص الفلاسفة ولغتهم حجبت صور الظواهر الاجتماعية في المذاهب الفلسفية المختلفة

تتضح مما تقدم علاقة الفلسفة بالعلم والتفكير والمجتمع. أما علاقتها بالتربية فنواتها انه اذا كانت الفلسفة هي اتخاذ موقف عملي عام من الحياة ، والتربية هي تكوين الميول الاساسية نحو الطبيعة وبني الانسان أي نحو الحياة ، فالفلسفة هي النظرية العامة للتربية . وكل تغيير تشير بهِ الفلسفة يتوقف على تأثير ما فيهِ من تربيــة أي على مدى تغييره العقل والخلق . فالتربية هي معمل تتجسم فيه الفروق الفلسفية وتختبر . وليست فلسفة التربيــة اذن تطبيقاً للآراء الفلسفية على التربية ولكن هي تحـديد الشكلات الخاصة بتكوين العادات العقلية والخلقية الصحيحة وبيان علاقتها بمشكلات الحياة الحاضرة

﴿ البرجماتزم ومعارضة الثنائيات ﴾ بعد ان عرفنا رأي ديوي في الفلسفة ننتقل الى دراسة فلسفته الخاصة : كانت النزعة العملية كامنة في التفكير الأميركي حين خضع منذ بدايته لمؤثرات الفكر الاوربي حتى اذا ما انتشرت الحركة الصناعية في أميركا ظهرت فلسفة عملية جديدة تمثلها ، ويعَـدُّ جيمس وديوي وشلر خير من يمثل هذه النزعة الحديثة التي عرفت بالبرجماتزم ، وان يكن ديوي لا يمثل ناحيتهــا المتطرفة الاّ في نظرية المعرفة . والبرجماتزم تخضع كل شيء للعمل، فالتفكير خاضع للارادة والحقيقة خاضعة للعمل، ومعيــار الحقيقة هو صلاحيتها للعمل، والمعرفة نوع من العمل بل هي تنشأ منهُ . وعلى ذلك فهي تنكر وجود القيم النهائية والمطلقة والذاتية التي تقول بها المثالية القائمة على أن هذه القيم صور من طبيعة الوجود كالحق والجمال.. الخ . وكل حقيقة عند اصحاب البرجماتزم لا تقبل على أنها مطلقة بل لا بد لها من نعت يحددها ولا بد أن تراجع من حين الى آخر. ثم هي وسيلة عابرة لغرض ما . فالقانون الخلقي الذي قال بهِ كانـتْ وسماهُ الأمر القاطع impératif catégorique تنكره البرجماتزم وتراه وجوداً سابقاً لذاته . ومعيار العمل الصالح عندها هو الاتفاق الاجتماعي أو العرف . ويعتمد اصحاب البرجماتزم في سيكولوجيتهم على التفسير البيولوجي للحياة الذي يعد الجسم والعقل وحدة تفسرها قوانين واحدة . وهو التفسير الذي اتبعــهُ برسي نن باستخدامه مصطلحات شملت الجسم والعقل معاً

﴿ نقدها ﴾ يسهل على المثاليين بل على المتطرفين كبرتراند رسل نقد البرجماتزم فهي عندهم تعارض الدين وعقيدته في الثبات والخلود واللانهاية وتعارض الفن والثقافة لذاتهما كما تعارض القانون الاخلاقي . ويرون أن السلوك الخلقي شيء آخر غير الآداب الاجتماعية القائمــة على العرف وأنهُ يمكن أن يكون المجتمع منظماً دون أن يكون روحهُ خلقيًّا . وأن تقـديم المجتمع يؤدي الى التشكل الجامد الذي نشكو وجوده في الأفراد . وان الفنــان الأصيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يستوحي ذاتهُ دون أن يعبأ بالمجتمع وأنهُ مهما تكن القيم مباشرة فهي بداية لسلسلة من القيم تنتهي حتماً الى قيم نهائية ذاتية، وسيكولوجية البرجماتزم في اعتمادها على التفسير البيولوجي للحياة قد اعتمدت على اشياء لم تثبت صحتها بعد لأن النمو من الوظائف الدنيا الى العليا لا يزال يرفضه كثير من البيولوجيين فليس هناك ما يقابل الفن أو الخلق أو الدين من الناحية البيولوجية وليس هناك حيوان آخر كالانسان الاّ الانسان نفسه، فهو لا يتعلم بالعمل دون غيره كالحيوان ولذلك وجب ان ينفصل علم النفس عن البيولوجيا كما انفصلت البيولوجيا عن الطبيعة

﴿ ديوي ومعارضة الثنائية ﴾ على أن ديوي يفترق هنا عن البرجماتزم الاصيلة التي لا تفرق بين التعلم بالعمل عند الانسان والحيوان فهو يرى ان التعلم بالعمل عند الانسان غيره عند الحيوان ولذلك بحث مشكلة التفكير الانساني ولكنه يرى في الوقت نفسه أن طريقة البحث المتبعة في العلوم الآلية الصناعية تصلح للكشف عن المبادىء العلمية والخلقية ولحل لغز الوجود ولذلك عرفت فلسفته « بالوسيلة العمليـة او التجريب » Experimentation or Pragmatic Instrumentalism واقترح Rusk ان يطلق لفظ Technosqphy على هذا المنهج . ولكن هذا المنهج الآلي العملي لا يمكن ان يطبق في الفلك او الرياضة او الوراثة الانسانية أو في كشف مبادىء الجمـال . وقد أدى الاستنتاج الى كشف خواص وقوانين علمية كثيرة . وعندي ان خير ما يميز فلسفة ديوي هو نزعته المضادة للفلسفات الثنائيـة حتى يصح لنا ان نطلق على فلسفته Anti-dualism او Non-Dualism ان جاز لنا ان نطلق عليها اسماً سلبيًّـا فقد كان أرسطو يتوسط بين النقيضين كما في رأيهِ في الفضيلة . أما ديوي فانه يبين لنا في براعة ان التناقض نفسه لا وجود له ولا أساس له من الصحة . فليس هناك تناقض بين الفرد والمجتمع او بين العقل والعالم أو بين المعرفة النظرية والمعرفة العملية او بين الباعث الخلقي والعمل الخلقي . وفي التربية لا تعارض بين المدرسة والمجتمع او بين المادة والطريقة أو بين مواد الثقافة والصناعة أو بين الاهتمام والجهد او بين الحرية والنظام وهكذا

وقد بين ديوي مواضع الضعف في جميع النظريات الفلسفية التاريخية كنظريات افلاطون وارسطو وفلسفة المدارس (المنطق الشكلي والتدريب وانتقاله) والمذاهب الحديثة كالعقلية والاحساسية والمثالية وغيرها كما نقد آراء روسو وكانْتْ وهربارت وفروبل ووفق بينها جميعاً في فلسفته . وسنعرض بالايجاز لما يهم التربية منها

﴿ نظرية المعرفة ﴾ لكل فلسفة نظريتها في المعرفة . وقد ساد في الفلسفـة اليونانية والوسيطة التفريق بين المعرفة والعمل او الخبرة باعتبار ان الخبرة مصدرها الحواس وتتصف بالتنوع والمادية. أما المعرفة فمصدرها العقل وتتصف بالوحدة والثبات . وقد أرجع ديوي

هذه التفرقة الى أسباب اجتماعية حين عمدت الفلسفة اليونانية الى العقل لنقد عادات المجتمع التي عدتها ممثلة للخبرة المضطربة ومناقضة للمعرفة العاقلة التي هي وحدها اليقين حتى دعا افلاطون الى حكم الفلاسفة لتحقيق الوحدة والنظام والعدالة

ولما ظهر التجريب واستخدام الاستنباط كوسيلة للمعرفة وللاستيثاق من صحة القديم وكشف الجديد لم تعد الخبرة تلك المعلومات المضطربة المناقضة للمعرفة الحقة او العاقلة بل أصبحت هي فهم الضوابط في سير العقل ووسيلة لبناء الحقائق على الاشياء ، وعُدَّ العقل مستقلاً بحتاً وبذلك ظهر المذهب الاحساسي التجريبي وأصبحت المعرفة مهمة لذاتها

ولما ظهرت شخصية الفرد في شؤون الدين والاقتصاد والسياسة زاد ما له من شأن في الحصول على المعرفة ولكن اختلفت المذاهب الفلسفية في تقدير نصيب الفرد وحقه في الحصول على المعرفة كما هو واضح في المذاهب العقلية او مذهب المنفعة او فلسفة هيجل وكلها تصف الثنائية بين الفرد والمجتمع وتفصل بينهما كما حدث في التربية . ووفق ديوي توفيقاً كبيراً في نسبته الى كل من الثنائيات ما يقابلها من مزايا في الاجتماع والفلسفة والتربية فالثنائية التي تفصل بين التجريب (Empiricism) والمعرفة العقلية مثلاً تتفق مع الفصل الاجتماعي بين الطبقة العاملة (التجريب) والطبقة العالمة (العقل) وهي كذلك تتفق مع الفصل الفلسفي بين الخاص (التجريب) والعام (العقل) ومع فصل التربية بين تعلم الحقائق المفردة والقوانين العامة . وهكذا الحال في كل فلسفة ثنائية . وعارض ديوى هذه الثنائيات في المعرفة بمذهبه في «الاستمرار» وبناه على نتائج قابلة للجدل في الفيزيولوجية وعلم النفس والبيولوجيا وعلى نمو الطرق العلمية التجريبية . وقال إن المعرفة والعادة كلتيهما تجعل خبرة ما صالحة للاستعمال في موقف آخر ولكن المعرفة غير مقيدة كالعادة لأن العادة ثابتة لا تقيم وزناً لتغير الاحوال والتجدد فكأن المعرفة تتضمن اختيار عادة من مجموعة كبيرة من العادات فهي ادراك علاقات الشيء التي تحدد قابليته للتطبيق في موقف ما ، وهي وان كانت تشمل الواقع فعلاً وتعتمد على الماضي إلاّ أنها تستند الى المستقبل وليست كاملة في ذاتها

﴿ الأخلاق ﴾ ان ديوي لا يفصل بين الباعث الخلقي وبين نتيجته العملية أو العمل الخلقي ذاته فهما سلوك واحد ينتقل من الشك والانقسام الى التحديد ومن التوتر الجسمي الداخلي الى العمل الصريح المحدود . والباعث هو كالفكر أي أنهُ عمل في دور التكوين وهو التفكك الذاتي أو الشخصي المضمن في نشاط الفرد في المواقف الغامضة . وللفصل بين الباعث والعمل نتائج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سيئة كاسراف الفرد في الأحلام دون الأعمال وانتشار روح التصوّف في المجتمع وقصر الصفة الخلقية على المثل المجردة دون الاعمال المحسوسة مما عارضهُ مذهب المنفعة بتبيينهِ منزلة العمل . وثمة تعارض آخر يقوم بين العمل الخلقي الصادر عن مبدإ والعمل الصادر عن المصلحة الشخصية والخلاف في أيهما أساس السلوك الاجتماعي : الأنانية أو التضحية . ويقول ديوي اذا أدركنا ان الذات ليست شيئاً قائماً وانما هي شيءٌ في حالة تكوين مستمر بواسطة اختيار العمل ، زال التناقض والغموض . فقيـام الانسان بعمل محفوف بالمخاطر معناه أنهُ « وجد نفسهُ » في ذلك العمل فمن الخطإِ الفصل بين الذات والمصلحة فهما اسمان لشيء واحد ومقدار الاهتمام يدل على مقدار الذاتية ، وانكار الذات ليس معناه انعدام الاهتمام أو المصلحة . ويعترض ديوى على النظرة الضيقة للاخلاق وهي التي تقصرها على الفضائل . فالأخلاق واسعة سعة الاعمال التي تخص علاقتنا بالغير لان كل عمل يعـدُّ اجتماعيـاً وان لم نفكر في نتائجه الاجتماعية وقت عملهِ ، فهو يعدّل عاداتنا التي تؤثر في علاقتنا بغيرنا . أما تمييز الفضائل فلأنها مركزية تشمل غيرها من الاعمال لا لأنها منعزلة بذاتها

ولا ننسى أن الخير المطلق أو الكمال المطلق لا يقرّه ديوى . فالغرض الخلقي يختلف باختلاف الفرد والزمان والمكان والشيء الوحيد الذي هو خير عام هو النمو وعلى ذلك فالشرير هو من أخذ يسير في طريق النقص فيصبح أقل خيراً مما هو مهما تبلغ طيبته والخيّر على الضد هو من يسير في سبيل التحسن مهما يكن مبلغ شرّه . وقد قيل أن هذا الراي يجعل الانسان صارماً في الحكم على نفسه رفيقاً في الحكم على غيره

﴿ السياسة ﴾ لم يفرد ديوي في مؤلفاتهِ بحثاً خاصّـاً بالسياسة ولكن في تضاعيف كتبهِ وفي مواقفه من المشكلات السياسية والاجتماعية في بلاده والعالم يتضح مذهبه في السياسة

وضع ديوي معيارين للمجتمع . أولهما : التواصل الحر بين أعضائه . وثانيهما : التواصل والتعاون مع غـيره من المجتمعات . ولم يجد نظاماً ينطبق عليهِ هـذان الشرطان إلاّ النظام الديموقراطي الذي يراه أكثر من نظام سياسي ، ويجعلهُ أسلوباً للحياة وعلى أسـاسه وضع آراءَه في التربية لأن التربية وظيفة اجتماعية ومن العبث التحدث عن التربية دون أن تستند الى نوع المجتمع الذي تقوم فيهِ وتهيء له

وقد ناصر ديوي الديموقراطية مخلصاً حتى بعد أن قلت الثقة بها ونافستها أنظمة جديدة كالشيوعية والفاشية ولـكن اخلاصه لها لم يمنعه من المطالبة في حزم وقوة باصلاح مساويها . والمدرسـة من ادوات هذا الاصلاح الاجتماعي فلا يجب ان تبدو فيها مساوىء المجتمع . ومن أنبل ما نقرأه لديوي الفيلسوف الاجتماعي تنديده باستغلال الاقوياء للضعفاء كاستغلال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرأسماليين للصناع، وأصحاب الثقافة لأصحاب المهن، ومهاجمته الحواجز التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية أو بين العقول المختلفة، وقوله بضرورة تثقيف العمال بالصناعة العلمية حتى لا يكونوا مجرد أدوات مسخرة دون ارادة . والسبيل الى ذلك أن يحب الفرد عمله ولا يكره عليه في سبيل الكسب ويكون ذلك بادراكه معنى أعماله وهذا الادراك يتوقف على الخبرة الحرة . وحبّ الانسان لعمله كان وقفاً على المشتغلين بالعلم أو الفلسفة فجعله ديوي حقاً لكل انسان كما جعله أساساً لتجديد المجتمع

وقد نادى ديوي كذلك بحق الانتخاب للمرأة وساعد الرئيس ولسن بقلمه في الحرب الماضية ولكنه اشترك بعدها في الدعوة الى مواثيق السلم العالمية . واهتم بالتجارب الاجتماعية في المكسيك والصين وتركيا وروسيا . وناصر العدالة في قضايا هامة واجه فيها الرأي العام كما واجهه اميل زولا من قبل . وقد علل ديوي عجز الديموقراطية باستمرار تغلب مصلحة الحاكم بالرغم من قيام حق الانتخاب . وبانضمام الحكام الى القوى الاقتصادية لحماية الملكية الفردية . ويرى أن تستخدم العلومُ الاجتماعية طرق العلوم التجريبية كالطبيعة حتى تصبح اداة صالحة لتنظيم المجتمع القائم على الحرية والتعاون ولسدّ الثغرة التي تفصل بين مقدرتنا على استخدام الطبيعة وبين عجزنا عن معرفة الشروط اللازمة لتحقيق القيم الممكنة في الحياة . وينسب ديوي الى هذه الثغرة كل ما يعتري حضارتنا الراهنة من خلل واضطراب . وفي حين أن G. Tarde يرى ان التقليد هو أساس المجتمع يخالفه ديوي فيقول ان تشابه أعمال الافراد لا يرجع الى التقليد الشعوري أو اللاشعوري بل الى أن غرائز الأفراد واحدة

٣ — ﴿ آراء ديوي في التربية ﴾ سنلخص فيما يلي أهم نظريات ديوي في التربية معتمدين على نظرياته الفلسفية السابقة فهو قد جمع بينها جمعاً مثمراً . وقد قال كلاپاريد أن التربية عند ديوي مثل سيكولوجيته تمتاز بأنها دينامية ووظيفية واجتماعية . ووصفها فندلاي بأنها تكوينية تحليلية . وفي الحق ان معظم النزعات الحديثة في التربية إن لم نقل كلها تتفق عرضاً أو قصداً مع نظريات ديوي . وان كلاپاريد على حق في قوله ان نظريات ديوي في التربية لا تتأثر بما يعلق بفلسفة البرجماتزم من شوائب

﴿ الاهتمام بالطفل ﴾ لم يكن ديوي أول من قال به فقد سبقه اليه روسو وهربارت في نظرية الميل ولكن أضرّ بمذهب هربارت الاهتمام بالمادة والطريقة وشكلية الخطوات الخمس[1] وعلى ذلك فقد واجه ديوي نظريات خيالية تقول بالاهتمام بالطفل ويكذبها الواقع لأن المدرسة كانت لا تزال تهتم بالمادة والاستذكار وترى مهمتها قاصرة على نقل المعرفة فقال

(١) الخطوات الخمس قال بها هربارت وهي التمهيد والعرض والربط والتطبيق والخاتمة وهي عنده تصلح لكل درس ولكل مادة دراسية مما أدى الى شكليتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن سيكولوجية هربارت انها سيكولوجيـة المدرس في الفصل . ولم يكن هناك خيراً من البرجماتزم للقضاء على هذا التناقض بين النظر والواقع فثار عليه ديوي في كتبه ومدرسته التجريبية في شيكاغو

﴿ التعلم بالعمل ﴾ نظر ديوي الى التربية من نواحٍ كثيرة على انها ضرورية للحياة والمجتمع وعلى انها ارشاد ونمو وتجديد ونقد هذه النظرات وحللها تحليلاً دقيقاً وجعل اساس التربية « التعلم بالعمل » وعدَّها نموًّا واعادة بناء الخبرة وانها غاية في ذاتها فقضى بذلك على الأغراض المحدودة الجامدة في التربيـة المتعارضة احياناً وجعل اساسها النشاط ذا الغرض او القصد purposeful activity

﴿ التفكير ﴾ بين ديوي في كتابه « كيف نفـكر » خطوات التفكير الخمس وهي (١) الشعور بقيام صعوبة أو نشوء مشكلة (٢) تحديدها وتعريفها (٣) اقتراح الحلول الممكنة لهـا (٤) التوسع في نتائج هذه المقترحات بوساطة الاستدلال (٥) التوسع في الملاحظة والتجريب المؤديين الى القبول أو الرفض

وفكرة Binet عن الذكاء تؤكد ثلاث ميزات هامة لعملية التفكير ١—النزعة الى اتجاه محدد والاحتفاظ به ٢—القدرة على القيام بالتشكل بغية الحصول على الغاية المطلوبة ٣—القدرة على نقد الانسان لذاته . فكأن عناصر الذكاء عند بينيه تشبه خطوات التفكير في نظر ديوي

أما طريقة المشروع Project Method فهي طريقة في التربيـة تلقي عبء التعلم على عاتق التلميذ ولا يتولـى المدرس إلاّ إرشاده من وراء ستار . وهي لا تعترف بالفصل بين المواد الدراسية ، بل يختـار التلاميذ موضوعاً أو (مشروعاً) اهتموا به ويدرسونه من كافة نواحيه ولذلك يقف التلميذ في دراسته للمشروع موقف المفكر من المشكلة ومن هنا كان الاتفاق بين خطوات التفكير لديوي وطريقة (المشروع)

﴿ الميل والجهد ﴾ فسر ديوي الميل على انهُ العلاقة بين العقل والمادة Inter-est وأنهُ مضمن في كل عمل لهُ غرضٌ يوكّد فيهِ حيناً اللون الوجداني الذي يصحب العمل وحيناً آخر الجهد اللازم لتحقيق الميل ، فالميل والجهد وجهان للعمل لا ينفصلان . واذ ثبت ذلك فليس هناك ما يدعو الى تحلية مادة الدراسة بطرق صناعية خارجيـة حتى تكون مشوقة بل يجب اعداد البيئة التي يجد فيها التلميذ الاعمال النشطة التي يدرك الغرض منها . وبذلك قضى ديوي على تعارض الميل والجهد وعلى انفصال العقل عن الطريقة . وفي مقاله عن « الميل وعلاقته بتربية الارادة » عرف الميل بأنه متجه الى الخارج وانهُ موضوعي وذاتي وانهُ اذا ارتبطت الوسائل والغايات في الشعور لم تعد ثمة حاجة الى البواعث الخارجية للميل . وفضلاً عن ذلك فقد بيّـن الآثار الخلقية لمذهبه لارتباط الميل بمشكلة الحرية والنظام . وقد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اتهم ديوي بأنهُ من انصار التربية اللينة ولاشك ان هذا الاتهام خاطىء يقوم على عدم فهم نظريته في الميل وهي نظرية تتفق مع فكرة الطفل كمركز في التربية وقد كان لها أعظم تأثير في المناهج الحديثة

﴿ المدرسة كمجتمع ﴾ كلما تقدم المجتمع اتسعت الهوة بين التربية الشكلية المقصودة في المدرسة والتربية غير الشكلية أو العرضية التي يقوم بها المجتمع . فالمدرسة يجب أن تكون صورة مصغرة من المجتمع الاكبر ومرآة لحياته، وتعدّ له بل ولمجتمع خير منهُ على انها يجب أن تكون نقية من مساوىء المجتمع ووسيلة للاصلاح الاجتماعي . ومع ان ديوي رفض أن يقول بأغراض محدودة للتربية وقال بأن التربية هي غرض في ذاتها فان هذا الغرض الاجتماعي يلوّن آراءه في التربية تماماً . وقد بين السبيل للوصول اليهِ في نقده الأنظمة القديمة . فاعطاء الحرية والحكم الذاتي للتلاميذ وسائل للتربية الخلقية والاجتماعية ولا قيمة لها اذا كانت نشاطاً خارجاً عن المقرر الدراسي بل يجب أن تكون من صميم نظام المدرسة والتوجيه الذاتي في السبل الاجتماعية هو أساس التربية الخلقية والاجتماعية ولا قيمة للتعليم الشكلي فيهما لأنهُ يفصل التعليم عن العمل ولا يثير التفكير الذي هو أساس الخبرة والتعلم

﴿ التربية الخلقية والاجتماعية ﴾ وقفت الأخلاق في المجتمع والمدرسة بين منزلة الباعث ومنزلة العمل فلابد من النيّات الحسنة والاعمال الطيبة ، فهمت أم لم تفهم. ولاعلاج للاضرار الناشئة من ذلك إلاّ بالنشاط المتتابع المتجمع الشاغل للاهتمام والباعث على التفكير والمؤدي الى نتيجة لا أثر فيها للآلية أو للاملاء أو للاهواء العارضة . وعدّ المعرفة الخلقية شيئاً قائماً بذاته معتمداً على العقل المجرد كما قال كانت، أدى الى عدّ التربية الخلقية وحدها عديمة القيمة والى ان كسب المعرفة وهو أهم ما يشغل المدرسة لا علاقة له بالأخلاق. ولذلك اقتصرت التربية الخلقية على دروس الأخلاق أي على معرفة ما يظنهُ الغير خلقاً وفضائل . وقيمة هذه الدروس محدودة باستعداد التلاميذ لمراعاة عواطف الغير وفيما عدا ذلك لا قيمة لها ومن أضرارها انها تزيد في اعتماد التلاميذ على غيرهم وتلقي على الكبار وحدهم مسئولية السلوك . واقتصار الاخلاق على الفضائل دون أن تشمل جميع الاعمال الاجتماعية أدى الى فصل الصفة الاجتماعية عن الصفة الخلقية في السلوك في حين أنهما شيء واحد اذا تذكرنا ان للتربية وظيفة اجتماعية وان المنهج وغيره تقاس فائدته بما فيهِ من روح اجتماعية . وأكبر الاخطار التي تهدد المدرسة خلوها من الروح الاجتماعية وهذا الخلو هو ألد أعداء التربية الخلقية فالميول الاجتماعية لاتنمو إلاَّ في وسط اجتماعي صحيح أي بالتعاون في بناء خبرة حرة مشتركة ذات غرض يدركه الفرد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قال Goblot في مقدمة كتابه في المنطق : ان الروح العلميـة ليست في النهـاية إلاّ صـفات خلقية . وكذلك الحـال في قيم التربية فهي جميعهـا صفات خلقيـة لا تنمو إلاّ في وسط اجتماعي

﴿ خاتمة . تأثير ديوي ﴾ سبق القول بأن آراء ديوي تتفق مع الحركة الحديثة في التربية ولكن يصعب تحديد نصيبه في هذه الحركة سواء في بلاده أو في خارجها . وقد علل فندلاي انفراد أميركا بهذه الحركة الحديثة بأنها أقل البلاد تأثراً بالتقاليد أو المركزية التي طغت على التعليم الاوروبي ومناهجه منذ ظهور الحركات القومية الى ما بعد الحرب الماضية . أضف الى ذلك عقيدة الاميركيين في تأثير المدرسة ولاسيما في تحويل التلاميذ من أصل غير اميركي الى مواطنين اميركيين . وقد دل تحويل الجمعيات الهربارتية الى الجمعية الوطنية للدراسة العلمية للتربية في ١٩٠٢ على انتهاء تأثير المربين الألمان كهربارت وتلميذه Rein

أما في اوربا فقد بدأ التأثر بديوي متأخراً لانعدام الثقة بالفلسفة الاميركية ولا سيما في البلاد التي لا تتكلم الانكليزية وقبل أن تترجم مؤلفات ديوي الى لغاتها غير أنهُ يمكن القول ان الحركات الاجتماعية التي سبقت الحرب الماضية أو أعقبتها وجهت انظار المربين وغيرهم الى منزلة التربية ووجَّهت أنظارهم الى آراء ديوي

وفي اميركا شملت حركة التجديد توسيع المناهج الابتدائية بعد اقتصارها على القراءة والكتابة والحساب وعدّها التعليم في المرحلة الابتدائية لا يختلف في النوع عن التعليم في المراحل الاخرى وهو لا يهيّئ لغيره وظهرت المدارس التي أطلق عليها junior high schools واتسعت حركة التجريب وظهرت طرق كثيرة وتغيرت الكتب الدراسية وتنوعت وقل الاعتماد عليها بالقياس الى النشاط وانتشرت روح الحرية في المدرسـة حرية التلميذ وحرية المدرس الذي أصبحت العناية باعداده تعدل العناية ببناء المدرسة وتأثيثها بما يتفق مع روحها الجديدة . ولكن المدرسة الثانوية كانت أقل تأثراً بالحركة الجديدة . واذا كان يصعب تحديد نصيب ديوي في الحركة العملية الجديدة فنصيبه العلمي فيها واضح بدأه بمدرسته التجريبية في شيكاغو واتبع بهِ مؤلفاته التي أجملنا أهم آرائها

ولنا أن نقف متأملين عند قول فندلاي : ان انتشار آراء ديوي يرجع الى اننا من أتباع البرجماتزم (النزعة العملية) دون أن نشعر ، والى اننا نعتقد ان الطفل عملي بطبعه والى أن العملي ينجح في تحليلهِ نفسية الطفل حيث يخفق غيره

وبعد فقد بيّن ديوي ما يمكن ان تقوم بهِ الفلسفة في حياة الفكر والواقع . وهو خير مثل لمن يظنون الفلسفة جدلاً لفظيًّا أو تأملاً صوفيًّا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عقاقير الجمال

عند قدماء المصريين

— ٢ —

للدكتور حسن كمال

٩ — ﴿ البخور ﴾ من المعروف ان لفظ incense مشتق من لفظ لاتيني incendere بمعنى احترق واشتعل . أما لفظ perfume فمشتق من كلمتين لاتينيتين هما per و fumum — أي بطريق الدخان . ويطلق هذا الاخير على كل دخان عطري وعليه فعبارة perfume of flowers الانكليزية مثلاً هي تعبير مجازي . أما اسم البخور بالمصرية القديمة فهو neter senter ومعناه الرائحة المقدسة لكثرة استعماله في الطقوس الدينية . وقد سمي احياناً عطر (ازوريس) . وولع المصريون بالازهار فقدموها لموتاهم حقيقية وصناعية وزانوا بها حجرات منازلهم . وصنع المصريون بخورهم حبوباً صغيرة تحرق في مباخر متعددة الاشكال . ولا نزال نجهل تاريخ البدء في استعمال البخور بالتاريخ المصري وان كان أقدم المباخر يرجع الى الاسرتين الخامسة والسادسة (حوالي ٢٥٠٠ ق . م .) وتاريخ اقدم حبوب للبخور عثر عليها بالمقابر المصرية (القرن الخامس عشر ق . م .) يرجع الى عهد الأسرة الثامنة عشرة . وأهم المواد المستعملة للبخور في مصر القديمة هي اللبان او الكندر frankincense والمر myrrh

أما اللبان او الكندر frankincense وهو يعرف كذلك باسم Olibanum فصمغ راتنجي gum-resin اصفر اللون قليلاً شفاف نوعاً اذا كان طازجاً قاتم اذا كان قديماً. وكان بياضه يعدُّ دليل جودته ايام بلينيوس Pliny (١٠٠ ب م.) ومنه اشتق الاسم العربي والعبري والاغريقي وهو (اللبان) ويعني ابيض اللبن . ويستخرج اللبان من شجر البوزوليا boswellia بالصومال وجنوب بلاد العرب . وهناك لبان آخر يستخرج من شجرة ommiphora pedunculata وهي شجرة المر الحجازي تنبت بالسودان في جهة القلابات والحبشة . ويطابق هذا روايات الفراعنة القائلة إن اللبان كان يستورد من قبائل العبيد أيام الاسرة السادسة (٣٠٠٠ ق . م) والصومال أيام الاسرة الثامنة عشرة (القرن الخامس عشر ق . م) . ولا يبعد أن يكون اللبان المستورد من فينيقيا والعراق أيام الاسرة الثامنة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عشرة نقل عن طريق بلاد العرب لأنهُ كان الطريق التجاري الكبير وقتئذٍ . فتجارة البخور العظيمة كان يؤتى بها من الهند والشرق الاقصى والصومال الى جنوب بلاد العرب بالسفن ومنها بالقوافل عن طريق (سبا) و (يثرب) مسايراً في ذلك طريق سكة الحديد الحجازية الآن حتى (العلا) و (ميدان صالح) . ومن ثمَّ يتفرع الطريق فرعين . احدهما يتجه نحو غزّة . والآخر نحو (دمشق) و (طيره) ومن أجل هذا الطريق ناضلت مصر نفوذ بابل في شمال بلاد العرب ومن أجلهِ كذلك شقت قناة السويس

والاشجار المرسومة على جدران معبد الدير البحري بالاقصر وهي التي جاءَت بها بعثة الملكة حتشبسوت من الصومال وصفهـا (برستد) بأنها شجر المرّ و (نافيل) بأنها اللبان أو الكندر frankincense وشوف Schoff بأنها شجرة البوزوليا boswellia التي يستخرج منها اللبان الحبشي المعروف باسم المرّ الحجازي . وعلى جدار معبد الدير البحري ثلاثون رسماً لهذه الأشجار . وهي نوعان أحدهما مورق وثانيها نافض

وكان اللبان من المواد التي تجبى عليها الضرائب عند دخولها القطر المصري في العهد الروماني سواء الوارد منه من بلاد العرب أو افريقيا . قال (پلينيوس) ان هذه المادة كانت بعد وصولها الى الاسكندرية تفرز بحسب درجاتها ثم تنظف وتجهز للبيع

والبخور الذي وجد في قبر (توت عنخ امون) فحصه (لوكاس) فوجده قريباً جداً من اللبان فهو أصفر اللون سهل الكسر راتنجي الشكل . اذا احترق تصاعد منهُ دخان ذكيٌّ الرائحة يذوب في الكحول بنسبة ٨٠ ٪ وفي الماء بنسبة ٢٠ ٪ فهو لذلك من نوع الصمغ الراتنجي gum-resin . وعليه فهو ليس لادن مرّ ladanum ولا بلسان مكي Mecca balsam ولا استراكس storax

(المر myrrh) : هو صمغ راتنجي عطري كاللبان . يستورد من الصومال وبلاد العرب . وهو أنواع متعددة منها البلسان balsamo dendron والمرّ الحجازي commiphora وهو كتل حمر ضاربة الى الصفرة . قال الاستاذ برستد ان المصريين نقلوا المرّ من الصومال منذ الاسرة الخامسة (٢٥٠٠ ق٠م) وأثبت كل من ثيوفراستس Theophrastus (٤٠٠ ق٠م) وپلينيوس Pliny (١٠٠ ب.م) استعمال المصريين المرّ في مراهمهم العطرية . وتوصل (روتيه Reutter) الى معرفة المرّ بين العطور المصرية القديمة — ويقال المرّ بالمصرية القديمة (عنتي anti) . واليكم بياناً بالعطور الأخرى التي استعملها المصريون بخوراً : —

(خلباني galbanum) : صمغ راتنجي أصفر اللون ضارب الى الخضرة صلب المادة . موطنه الفرس . وهو المعروف عند الاثريين بالبخور الاخضر الوارد ذكره في الآثار المصرية كثيراً . ويرجح ان الخلباني استورد اولاً في زمن الاسرة الثامنة عشرة (القرن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخامس عشر ق.م) قال بلينيوس إن الخلباني هذا كان من عقاقير (مرهم منديس) العطري ولم يعثر على الخلباني في المقابر المصرية حتى الآن

(اللادن المرّ ladanum) : هو راتنج حقيقي استعمل كبخور عطري . أسمر اللون ضارب الى السواد . يستخرج من نبات القستوس vistus بآسيا الصغرى وكريت وقبرص واليونان وفلسطين واسبانيا ما عدا مصر . وأقدم رواية عنهُ هي الواردة في التوراة (سفر التكوين — اصحاح ٣٧ — آية ٢٥ .) وهي « ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً فرفعوا عيونهم ونظروا . واذا قافلة اسمعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء وبلساناً ولاذناً ذاهبين لينزلوا بها الى مصر »

بعد ذلك تأتي رواية بلينيوس (Pliny) (١٠٠ ب . م) عن وجود اللادن المرّ بمصر . وأقدم قطعة منهُ وجدت بوادي حلفا في جهة فَرَس . وهي من العصر القبطي أي القرن السابع ب . م . وقد حللها لوكاس

(الميعة storax) : بلسم مستخرج من شجرة الميعة السائلة الشرقية واسمها liquidamber orientalis من مرتبة (الهاميليدي hamamelideoe) وهو سائل غليظ له رائحة الجاوى ويمتاز عنه باحتوائه على حامض قرفي أو السناميك cinamic acid في حين ان الجاوى يحوي الحامض الجاويك benzoic acid وقد عثر روتيه (Reutter) على (الميعة storax) في موميا مصرية وبين عطور مصرية كذلك

مواد أخرى للبخور : وجدت بالمقابر المصرية أنواع راتنج كثيرة وهي من غير الصمغ الراتنجي gum resin مثل (اللبان frankincense) و(المرّ myrrh) شكلا ولكن لم يهتد الى نوعها بالضبط . وكانت العطور المستعملة في الطقوس الفرعونية مركبة من عقاقير متعددة . وصنع المسيو لوريه Loret بالاتحاد مع اخصائيين في العطور مثل Rimmel و Domère عطوراً على النمط الفرعوني أودعوها معهد Académie des Inscriptions في سنة ١٨٨٦ ميلادية

وهناك نوع من البخور أطلق عليه قديماً اسم (كيفي kyphi) ذكره مانيتو في القرن الثالث قبل الميلاد و Julian (القرن الاول ق . م) وهو مكوّن من ستة عشر صنفاً منها النبيذ والمرّ والاسفلت والحبهان cardamom والزعفران saffron والعرعر juniper وقد جاء في قرطاس ايبرس الطبي ذكر لهذا البخور

١٠ — ﴿ الحال الآن ﴾ تستعمل عقاقير الجمال الآن لاتمام ما يراه الشخص ناقصاً من جمال الطبيعة أو لعلاج تشوّهات مرضية . وقد بذل الكيميائيون مجهوداً عظيماً لنقاوة هذه العقاقير فأصبحت كثيرة الفائدة معدومة الضرر . واعترض أولاً بأن هذه العقاقير تسدّ مسام الجسم فتسيء اليه . ثم اتضح ان بقاءها على البشرة وقتي لأنها سرعان ما تزال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالصابون بعد مدة يسيرة . وثبت كذلك ان هذه المراهم واقية للبشرة من آثار التقلبات الجوية وتدليك الوجه يحفظ نظافة بشرته ونضارتها وملاستهـا فلا تتجعد تجعداً سابقاً لأوانه . وتقدمت بعد ذلك جراحة الجمال . فعمد الجراحون الى حقن المواد نصف الصلبة تحت الجلد لتحسين شكل الانف والاذن والذقن . وأهم ما يستعمل الآن من هذه العقاقير :—

(ا) عقاقير الحمام : هي كربونات الصودا والنشادر والبوراكس ومواد عطرية وهي تستعمل لازالة العسر المائي وتيسير احداث الرغوة وتطهير البشرة

(ب) عقاقير الاسنان : هي مساحيق ومعاجين ومحاليل تزيل الاقذار وتطهـر الاسنان . تحوي الطباشير وفوسفات الجير وكاربونات المجنزيوم والصابون . واحياناً الصعتر وزيت الاوكاليبتوس والحامض الفنيك وصبغة المرّ وغيرها

(ج) عقاقير الشعر : البرليانتين يكسب الشعر لمعاناً ورونقاً . وهناك عقاقير مزيلة للشعر depilatories تحوي كبريتور الباريوم barium sulphide الذي يحلُّ سيقان الشعر فيقصفها . وهناك مقوّيات للشعر مثل (الجابوراندي jaborandi) والذبابة الهندية والكينا. اما « الشامپو » فصابون وبوراكس وحناء (للشعر القاتم) ويستعاض من الحناء بالبابونج للشعر الفاتح

(د) احمر الشفاه : يصنع الآن أقلاماً قوامها زيت اللوز واللانولين والبرافين وزيت الكاكاو مضافاً اليها المادة الحمراء العادية وهي (كارمين carmine)

(هـ) عقاقير الاظافر manicure preparations : تحوي غالباً (اكسيد الصفيح tin oxide) وشمع العسل مع سوائل مثبتة ولون احمر لاكساب الاظافر لمعاناً واحمراراً

(و) احمر الوجنتين : يحوي عادة مادة الـ carmine و eosine مع نشا واكسيد الزنك zinc oxide)

(ز) عقاقير الحلاقة : أساسها الصابون مضافاً اليه عقاقير مطهـّرة

(ح) عقاقير الجلد : أهمها cold cream وهو مستحلب الزيت والشمع في الماء . وقد يستعمل لتدليك الوجه دهان يحوي صبغة الجاوى وجلسرين البورق . ويستعمل الكلامين calamine واكسيد الزنك لوقاية الجلد تأثير لفح الشمس

(ط) الاملاح المفوّقة smelling salts هي محاليل تحوي النشادر أو املاحه

(ي) الصابون : ومبادىء صناعته مشهورة . وقد اضاف اليه الكيميائيون اخيراً عقاقير علاجية وعطرية

(ك) المساحيق الجلدية : toilet powders : تحوي اكسيد الزنك مع (التلك talcum) وقد تضاف اليها ألوان كاملاح الحديد yellow ochre واحياناً عطور نباتية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حديقة المقتطف

الورد

في حياة الخلفاء العباسيين

لصلاح الدين المنجد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الورد[1]

في حياة الخلفاء العباسيين

لصلاح الدين المنجد

الوردُ جمال الربيع ومنبعُ الطيب وحلية الرعابيب . غرِم به الشعراء فجعلوه أبدان العذارى، وخدود المِلاح وأنفاس الحبيب . واتخذه الاوائلُ من النصارى، رمزاً ينثرونهُ مع الزّهر على قبور الشهداء . وهو إلى ذلك مَهْوى الأنفس الرقيقة: تهشّ له الروح ، ويهفو الى مرآه القلب ، فان لونهُ الصافي ، وطيبَه المسكر، ورقّتَهُ الناعمة ، لِما يُذهبُ الشجى ، ويهزّ الحس ، ويناغي القلوب

لا جرَم أن الفتنة بالورد لا تصدر إلاّ عن وفرَةِ الشعور، ورهافَة الذوق ، وغضوضة الطبع . فإذا أُتيح لمن أوتي ذلك، مباهج النعيم ، ولذاذات الترف ، كان للورد عنده المحل الأول والشهوة الكبرى . وتعجّل بالتمتّع بهِ ، لأن أيّامه ، كما يقولون ، قِصارٌ كأيام الهوى ، ولفحهُ مسكرٌ كغماغم الحبّ الوليد

والباحث في تأريخ العصر العباسيّ ، يجد أن الترف والنعيم هذّبا النفوس وأرهفا الاحساس ، وأن اختلاط العرب بالفرس الذين كانوا يحتفلون بالورد ، ويقيمون لهُ الاعياد ، دفعهم الى الاعجاب بهِ وتمجيده . فذكرهُ الشعراء : مدحوه تارة وهجوه أخرى . واتخذته القيان حلية يزِنَّ به قدودهنَّ، ويعطرْنَ بعطره أجسامهنَّ . ويُفرحْنَ بهِ أحبتهنَّ وألاّفهنَّ [2]. ونثره العُشّاق على مفارش الحبّ ، واتخذوه رسائل الحِبّ الى الحِبّ ، كأنهُ كلمات حلوة ، فيها الشوق والروْح والحنين . وحفِلَ بهِ بعض الخلفاء ، فكانوا يفرشون مجالسهم بفرْش كالورد ، أو ينثرونهُ في الفضاء والهواء ، أو يشربون على منظره وأرجه

وقد ألّفوا عن الورد الرسائل الحسان ، فمنها كتاب « العقد بفضل الورد » لمحمد بن احمد الوشّاء [3] وكتاب « المفاخر بين الورد والنرجس » لأحمد بن

---

(١) حديث أذيع في راديو القدس (٢) أنظر مقالة « عشق القيان » لنا ، في مجلة الرسالة (العدد ٤٥٣ ، في ٩/٥/٤٢) (٣) الموشى (طبعة أوروبا) ج ٢ ص ١٣٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبي طاهر [١] ، وكتاب « الورد » للثعالبي [٢] ، وكتاب « الأنوار والثمار في الورد والنرجس وجميع الانوار ، وما ورد فيها من الأشعار ، وماجاء فيها من الآثار والاخبار » لمحمد بن عمران المرزباني [٣] وغيرها

ولعلَّ البحثَ يطول اذا فصّلت ، على أني سأخصّ كلامي بذكر ما أثر عن الخلفاء العباسيين في شغفهم بالورد وولوعهم بهِ . فان في ذلك طرافة ومتعة ، وتبياناً لناحية لم يطرقها الباحثون ، وحدَها ، بالتفصيل

* * *

ذكر الطبري[٤] أن يعقوب بن داود وزيرَ المهديّ ، دخل على الخليفة يوماً فاذا هو في مجلس مفروش بفرش مورّد ، مبناه في السرو يشرف على بستان قد اكتسى بالاوراد والازهار ، فكان ذلك كلّه مورّداً يشبه فرش المجلس الذي كان فيه . قال يعقوب : فما رأيت أحسن منهُ ، ثم دخلت جارية ما رأيتُ أحسن منها ولا أشطر قواماً ولا أحسن اعتدالاً ، وعليها ثياب من نحو لون الورد

فهذا التوافق بين لون الفرش ولون الزهر ولون الثياب ، غاية في الذوق والفن ، ثم انه في اختيار لون الورد البهيج لاولئك جميعاً رهافة حس ونعومة طبع ، قد تصادفهما في الغرب في هذه الايام

وبلغت فتنة الرشيد بالورد مبلغاً شديداً . دخل ابراهيم الموصلي ، أمير الغناء عليه يوماً وعنده جارية أديبة شاعرة ، وبين يديه طبق ورد . فقال الرشيد: يا أبا اسحاق ، أما ترى حسن هذا الورد ونضارته ؟ فقلت لزيّنك يا أمير المؤمنين أحسن منهُ ! فقال : قل فيهِ شيئاً . فقلت :

كأنهُ خدٌّ موموق يقبّلهُ ، فمُ الحبيب، وقد أبدى بهِ خجلا

فقالت الجارية في الحال :

كأنهُ لونُ خدي حين تلمسني كفُّ الرشيد لأمر يوجب الخجلا ..!

فسرَّ الرشيد سروراً عظيماً . وقال قم يا أبا اسحاق . . فقد حركتني هذه

---

(١) معجم الادباء (طبعة مرجوليوث) ج ١ ص ١٥٥

(٢) عيون التواريخ لابن شاكر (مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق) الجزء الثالث عشر

(٣) معجم الادباء ج ١٩ : ص ٥٠

(٤) الطبري (طبعة اوربا) في حوادث سنة ١٦٦ ج ١٠ ص ٥١١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الجارية ، بخلابة كلامها وحسن جوابها [١]

وجميل جداً أن يكون الورد حديث الخليفة وندمائه . ومثير لذته وطربه ، ومهوى نفسه وروحه . ولا يتاح هذا الا لمن هذبته الحضارة . وفتنه الجمال في كل صورة من صوره حتى في الورد العطر البهيج

أما المأمون فقد كان معجباً بالورد ، معجباً بمن يحبه ويهواه ، رُفع اليه مرّة أن حائكاً يعمل السنة كلها، لا يتعطل في عيد ولا جمعة . فاذا ظهر الورد طوى عمله ، وغرّد بصوت عالٍ

طاب الزّمان، وجاءَ الورد فاصطبحوا ما دام للورد أزهار ونوّار

فاذا شرب مع ندمائه على الورد غنّى

اشرب على الورد من حمراءَ صافيةٍ شهراً وعشراً وخمساً بعدها عددا

ولا يزالون في صبوح وغبوق ما بقيت وردة . فاذا انقضى الورد ، عاد الى عمله وغرّد بصوت عالٍ

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح وإن متّ، والهفي على الورد والخمر !

فقال المأمون : لقد نظر هذا الرجل الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءَة . فأمر أن يدفع له في كل سنة عشرة آلاف درهم في زمن الورد [٢]

لقد كان المأمون الى جانب سعة عقله وغزارة علمه حلو النفس رقيق الحاشية. ولا شيء أدلّ على هذا من الحادثة التي ذكرناها فلقد عدّ حبّ الورد والميل إليهِ والشراب على وردتهِ وطيبه من المروءَة ، وأعان صاحب هذه المروءَة ليمتع نفسه بالورد وبالخمر ما شاءَ له طبعه المرهف وذوقه الرقيق

وقد ذكر الاتليدي ان المأمون شرب يوماً ومعهُ يحيي بن أكثم . فمال الساقي على يحيي حتى وقع سكران ، فأمر المأمون أن يلقى عليهِ الورد والريحان حتى يدفن فيها كأنه ميت . وصنع بيتين من الشعر وقال لمغنيته خذي العود وغنّي على رأسهِ فغنّت :

(١) ثمرات الاوراق (هامش المستطرف) ج ١ ص ٢٤

(٢) العقد الفريد ج ٤ ص ٣٧٣ ، وانظر نزهة الابصار والاسماع ص ١٠٣ .

ناديته وهو حيٌّ لا حراك بهِ مزمّلٌ في ثياب من رياحين
فقلت:قم، قال : رجلي لا تطاوعني فقلت : خذ ، قال كفّي لا تواتيني [1]

وكأن منظر الورد ، وما قيل في الورد، كانا يثيران إحساس المأمون، فيجود على حامله أو قائل الشعر فيه ، أو مغنيه ، بالمال الكثير، جودَ من لا يخشى عاقبة ولا يحسب حساباً . قال إسحق بن ابراهيم : « دخلت يوماً على المأمون في زمن الورد . فقال لي يا أبا إسحاق ، هل قلتَ شيئاً في الورد ؟ قلتُ : أقول بسعادة أمير المؤمنين . وفكّرت ساعة فلم يفتح عليَّ بشيءٍ . فخرجتُ من عنده، وبقيت ليلتي ساهراً متفكراً . فلم يفتح عليّ بشيء . فلما أصبحت غدوتُ إلى دار الخلافة . واذا غلام الفضل بن مروان على باب المأمون ، ومعهُ سبع وردات ، على صينيةٍ فضة ، ينتظر الاذن في الدخول بها عليه . فسألته المهلة بها قليلاً ، فامتنع . فسألته ثانية وقلت : لك بكل وردة دينار إن أمهلت ! فأجابني الى ذلك . فدفعت له سبعة دنانير ، وأحببتُ ألاَّ يصل اليه الورد قبل وصول الشعر . وخرجتُ أقصد الأزقّة لعلّي أسمع شيئاً من أحد أو ينبعث خاطري ولو ببيت واحد . فبينما أنا كذلك ، وإذا برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول :

اشربْ على ورد الخدود فإنه أزهى وأبهى، فالصّبوح يطيب
ما الورد أحسن من تورّد وجنةٍ حمراءَ جاد بها عليك حبيبُ
صبَغ المدام بياضَها فكأنهُ ذهبٌ بقالب فضّة مضروبُ ...

فلما سمعته نزلتُ عن دابتي ودخلتُ مسجداً بالقرب منهُ فطلبته وسألتهُ أن يمليها عليّ . فاعتلّ وقال إن أردتَ فأعطني بكل بيت عشرة دنانير ! فدفعتها له ، واستمليتها منهُ ، وعدتُ ... ودخلت أنا وغلام الفضل . واذا بالمأمون يشرب من وراء الستار . فلما جسستُ العود قال لجواريه : اسكتنَ فقد جاء اسحق . فقدمتُ ذلك الورد بين يديْـهِ ، وأنشدت الأبيات : فسمعتُ الشهيق والزفير من وراء الستار. ثم أخرج اليّ بدرة فيها عشرة آلاف درهم ، فأعدتُ الأبيات.

(١) الاتليدي (طبعة المكتبة العلامية) ص ٩٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فأخرج اليّ بدرة أخرى ، فأعدتُ الثالثة ، فأخرج بدرة ثالثة . فخرج اليَّ خادم وقال : يقول لك أمير المؤمنين : لو دُمتَ على إنشادك ، لدُمنا على البدرة ، ولو الى الليل ... » [١]

***

ولعلّ أشد الخلفاء العباسيين شغفاً بالورد جعفر المتوكل على الله . والحق أن حياته الخاصة لتدل على رقة ذوقه وطرافة لهوه . وكأنهُ كان فناناً شاعراً ، وان لم يؤثر عنهُ قول من شعر

ذكر الصفدي أن المتوكل كان مفتوناً بالورد . بلغ من فتنتهِ بهِ انهُ استأثر بهِ وحده وحرّمهُ على الناس ، وكان يلبس في زمن الورد الثياب الحمر ، ويأمر بالفرش الاحمر كالورد، وكان الورد لا يرى الاّ في مجلسهِ وكان يقول : أنا ملِك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، وكل منا أولى بصاحبهِ » [٢] .

ووجدنا في كتاب « الديارات » للشابشتي ، الذي حققناه وعلقنا عليهِ وأعددناه للطبع [٣] أن المتوكل شرب في بركوارا . وهو قصر من قصوره . فقال لندمائهِ « أرأيتم ان لم تكن أيام الورد ، لا نعمل نحن شاذكلى ؟ (والشاذكلى عيد يمرجون فيهِ ميلاد الورد) فقالوا يا أمير المؤمنين لا يكون الشاذكلى الاّ بالورد . فقال : بلى . ادعوا لي عبيد الله بن يحيى . فحضر . فقال له : تقدم بأن تضرب لي دراهم في كل درهم حبتان . فتقدم عبيد الله في ضربها ، فضربت ، وعرفهُ الخبر . فقال : اصبغ منها الحمرة والصفرة والسواد [٤] واترك

(١) الاتليدي (طبعة المطبعة العامرة الشرفية ١٣٠١ ﻫ) ص ١٠٥

(٢) انظر الاعلام للزركلي مادة المتوكل . وقد عثرت على هذا النص أيضاً في مطالع البدور للغزولي ج ٢ ص ٩٣

(٣) انظر ما كتبناه عن هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ومجلة الرسالة بمصر

(٤) يعني ألوان الورد المعروفة إذ ذاك . فلقد عرفوا ورداً أصفر ، وآخر أسود ، ذكر صاحب نشوار المحاضرة انه رأى ورداً أصفر ، ورأى ورداً أسود حالك اللون له رائحة ذكية . ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ، ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض . (وانظر مطالع البدور ج ١ ص ٩٤)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعضها على حاله . ثم تقدم الى الخدم والحاشية ، وكانوا سبعمائة ، بأن يعد كل واحد منهم قباءً جديداً وقلنسوة على خلاف لون الورد وقلنسوته ، ففعلوا . ثم عمد الى يوم تحركت فيهِ الريح ، فنصب له قبة لها أربعون باباً فاصطبح فيها ، والندماء حوله . ولبس الخدم الكسوة التي أعدها ، وأمر بنثر الدراهم كما ينثر الورد ، أولاً أولاً . فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد . (قال) : فكان ذلك اليوم من أحسن أيام المتوكل وأظرفها

***

وكان الورد يبعث الشعر ويهيجه في صدر بعض الخلفاء . فقد ذكر ان الواثق كان لا يشرب الا على الورد والريحان . وذكروا أن خادمه مهج ناوله ذات يوم ورداً وهو يشرب فأنشد

حيّاك بالنرجس والورد معتدلُ القامة والقدِّ

فألهبتْ عيناه نار الهوى وزاد في اللوعة والوجد

أمَّلتُ بالملكِ له قربة فصار مُلكي سببَ البعدِ

ورنّحته سكراتُ الهوى فمال بالوصل الى الصدِّ

إن سئل البذلَ ثنى عطفه وأسبلَ الدمعَ على الخدِّ

مولىً تشكى الظلم من عبده فأنصفوا المولى من العبد !

فأجمعوا انهُ ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات في الجودة [1]

***

فهذه طُرف عن شغف الخلفاء العباسيين بالورد تدل على مبلغ الحضارة والرقي ، سقتها لما فيها من لذة وطرافة وجمال

دمشق — بستان الرئيس

(١) أخبار الخلفاء للسيوطي ص ١٣٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com





عبقرية الصديق

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، سنة ١٩٤٣ ، الثمن ٢٥ قرشاً

ان شخصية أبي بكر هي إحدى الشخصيات الممتازة الاولى التي جعلت صاحبها حديث الناس — فلا تجد لأحد من اصحاب رسول الله من الذكر والشهرة ما تجد لأبي بكر ولا تجد اجماعاً على فضل كالاجماع الذي انعقد على أبي بكر ، ومع ذلك فان الذي روي من أخبار أبي بكر وما حفظ عنهُ ، وما عرف عن حياته الخاصة ، وما أثر من أحاديثهِ وخطبه ، أقل بكثير مما روي عن الذين لم يبلغوا مرتبته في الفضل ولم يذكروا على ألسنة الناس كما ذكر أبو بكر حتى صار ثاني اسم في الاسلام بعد رسول الله . ولم تكن شهرته قد جاءَته بعد وفاة النبي ، ولم تكن من أجل خلافته على المؤمنين ، بل لقد كان أبو بكر مذكوراً مشهوراً مقدَّماً في حياة رسول الله . اذن فهناك أسباب قد حالت دون كثرة ما يجب أن نعرفهُ من اخبار أبي بكر ومن كلامه ومن خطبه ومن حياته الخاصة . وهذه الاسباب مردُّها على الاكثر الى الاضطراب الذي حدث بعد وفاة رسول الله ، ثم لموت كثير من الصحابة في قتال الردّة ، ثم لاشتغال اكثر من عرف أبا بكر بأمر الجهاد وتشتتهم في البلاد ، ثم لاهتمام المسلمين بأمر اخبار رسولهم يحوطونها ويحفظونها أن تضيع ، ثم لقلة زمن خلافته ، ثم لمجيء العصر العبقري في صدر الاسلام ، عصر عمر بن الخطاب الذي كان يتدفق بقوة هذا الرجل العجيب الذي بهر الدنيا وشغل الناس

ولقلة ما عرف عن أبي بكر وقلة ما أثر من كلامه ، كان من العسر على الكاتب الذي يريد أن يكتب عن شخصيته أن يتوسع في تحديد صفاتها تحديداً بيناً يوازي الشهرة التي ذاعت له . ولذلك لجأ بعض الكتّاب حين كتبوا عنهُ الى التاريخ المحض ، وهو عمل عظيم الشأن في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذاته ، ولكنهم لم يفردوا كتاباً يصورون بهِ هذه الشخصية تصويراً يجعل قارىء الكتاب كأنما يصاحب هذا الرجل في حياته ، فيفهم أعماله وأقواله وأحكامه فهماً يتميز بهِ عن غيره من عظماء الرجال . هذا الى أن تصوير شخصية ما ، عملٌ فنيٌّ عسرٌ يقتضي أن يكون الكاتب مستولياً على خصائص في نفسه تهديه الى معرفة العناصر الاساسية التي تتكوَّن منها الشخصية ، وتنبّهُهُ الى الكلام أو العمل الذى ينبغي لهُ أن يقف عنده طويلاً يتأملهُ ليستخرج منهُ هذه العناصر ، ثم تسوغه القدرة على ترتيب هـذه العناصر بدقة لا تخطىء ، ثم تلهمه الاسلوب الموفَّق الذي يمزج بهِ العناصر مزجاً رفيقاً حتى يصوغ منها الشخصية التي تفسر كل شيء من الاعمال المختلفة المتباينة تفسيراً منطقيًّا صحيحاً لا اختلال فيه

وقد عرض الاستاذ العقاد لتصوير كثير من الشخصيات ، فكان عظيم التوفيق في استخلاص العناصر الاولى التي يجب أن تتوفر له في تصويرها ، ثم عرض في كتابهِ الأخير « عبقرية الصديق » صورة لأبي بكر الصديق ، كان فيها أكثر توفيقاً وأدق عملاً ، وكل الكلمات التي وقف عندها ، والاعمال التي تأملها ، كانت بغير شك أحفل الأشياء بالعناصر التي تتكوَّن منها صورة ابي بكر . وكان العقاد ماهراً في نفي ما لا حاجـة للصورة بهِ ، وأخذ ما لا تتم الصورة الاَّ به ، ثم رتب ذلك ومزجه ، ورسم لنا شخصية أبي بكر بدقة تجعل القارىء يشعر ان الكاتب لم يتعب في عملهِ ، مع انهُ قد بذل من الجهد ما يستوفي التعب ويزيد عليهِ

وكما استطاع العقاد ان يصل الى « مفتاح الشخصيـة » في صورة عمر بن الخطاب ، استطاع ايضاً ان يهتدي الى ان « مفتاح الشخصية » في صورة ابي بكر هو : « الاعجاب بالبطولة » . وقد قدم الادلة مفسرة لأعمال أبي بكر كلها ، فتعرف صدق ما ذهب اليهِ في اقباله على الاسلام اقبالاً لا تردد فيهِ ولا تحبُّس ، ثم في صداقته لرسول الله واتّباعه فيما جاء به من الحق ، ثم في اخلاقه التي امتاز بها أحسن الامتياز . ولم يفت العقاد ان يفصل أنواع الاعجاب ، بالبطولة ، وان يعطي أبا بكر منها ما هو موافق لطبيعته ومطابق لأقواله وأفعاله . فقد «كان عمر بن الخطاب معجباً بمحمد غاية اعجابه ، ولكن الاعجاب بالبطولة كان صفة من صفاته ، ولم يكن صفته الاولى التي تغلب على كل الصفات ، فاذا قضى حقّ الاعجاب بقيت له بقية للمناقشة والمراجعة ، واستطاع ان يجمع بين التوقير والاستفسار والتفسير . فكانت له طريق الى الايمـان تصاحب طريق الاعجـاب وتنتهي معها الى مثل نهايتهـا . أما أبو بكر فكان الاعجاب بالبطولة أقرب طرقه الى الايمـان وأكبرها على السواء »

ص ٧٩ — ٨٠

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم أراد أن يزيد رأيه بياناً ، لتظهر صورة أبي بكر على أتمها ، وبذلك يمهدُ للقارىء الطريق الى فهم أعمال أبي بكر وأقواله فهماً مميَّزاً عن غيره من عظماء التاريخ ، فقارن في فصل سماه « نموذجان » ، بين أبي بكر وعمر بن الخطاب . فكان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد ، فلذلك كان حبّ أبي بكر لشخص رسول الله هو الذي هداه الى الايمان بنبوّته ، وكان اقتناع عمر هو الذي هداه الى مثل هذا الايمان . وليست المقابلة بين هذين النموذجين مقابلة بين قوّة وضعفٍ ، وقدرة وعجزٍ ، بل هي مقابلة بين القوة من نوع والقوة من نوع آخر ، فقد يكون الاقتداء خيراً كله ، ويكون الاجتهاد لا خير فيه . وقد أبان العقّاد عن نوع قوة أبي بكر بمقارنته بين موقفه وموقف عمر حين فاجأهما موت رسول الله

ثار عمر وغضب وهدّد الناس ، وجاءَ أبو بكر هادئاً ساكناً فسكّن الناس ، فلما زالت غاشية الفجاءة ظهر أن عمر لم يكن ثورة كلّه ، بل كانت فيه الى جانب الثورة رويّة تعالج أدق المشكلات في أحرج أوقاتها ، وظهر ان أبا بكر لم يكن روية كله بل كان يزيله أحياناً عن رويته ما يثور في قلبه من الحب والألفة . وأتبع ذلك بعرض أعمال أبي بكر وعمر في مسائل كثيرة اختلفا فيها كمسألة الردة ، وكمسألة خالد بن الوليد ، وكمسألة المؤلفة قلوبهم ، واستقصى علل الخلاف ، فكان مفتاح الشخصية الذي صنعه لكل منهما يتسنى معه ما استغلق على كثيرين

وقد استطاع العقاد ايضاً أن يجمع العناصر المتفرقة من أخلاق أبي بكر وشمائله ويمزج ألوانها مزجاً دقيقاً حتى انتهى الى الغاية في تصوير الرجل بصورته التي تجعلها حية في نفس من يراها وتجعله يعلم لِمَ كانَ أبو بكر — وعلى قلة ما عرف عنه — هو الرجل الثاني في الاسلام بعد رسول الله . وأنّ هذه الطبائع والاخلاق هي التي كانت تعده لمواجهة الموقف الحرج الذي لازم موت رسول الله ، ولو كان غيره من العظماء الذين صحبوا رسول الله هو الذي واجه الموقف ، لكانت النتيجة التي ينتهي اليها أمرُ الإسلام غير موفقة كلّ هذا التوفيق الذي جعل أبا بكر يعدّ بحقٍّ رجل الدعوة الاسلامية بعد صاحبها صلوات الله عليه وسلامه . واذا أنت انتهيت من قراءَة الكتاب « عبقرية الصديق » لاحت لعينيك صورةٌ صحيحةٌ لبطل من الابطال استطاع ان يؤسس دولة جديدة خرجت الى الدنيا لتقنعها أن الانسانية قد كتب عليها أن تحيي حياة حرّة سامية ، لا قيد فيها الاّ قيد الخلق العظيم ، ولا هدف لها الاّ السموّ بالانسانية كلها الى الحق والجمال والعدل والمساواة بين الناس

*

ابراهيم الثاني

بقلم ابراهيم عبدالقادر المازني-مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — القاهرة ١٩٤٣ — ٢٢١ ص من القطع الصغير

نقد بقلم الدكتور بشر فارس

من سنوات عملت بحثاً في الفرنسية طرحته على أعضاء مؤتمر المستشرقين في بروكسل ثم نشرته لي « مجلة القاهرة » السنة الماضية ، وأظن « المقتطف » أجملت ما له في سنتنا هـذه تخبرتك بأني نظرت في مجرى الأدب المصري لسنة ١٩٣٨من الجانب الاجتماعي ، ومعنى هذا اني تناولت الكتب الأدبية على اختلاف ألوانها تناول من يستشف مجرى الحياة الاجتماعية من التآليف فيستخرج الحالات الذهنيـة والنفسانية والثقافية والارادية ويتبين النزعات المختلفة ، وبذلك يتحسس مدى الانقلاب الذي يعانيه الشرق العربي الآن

ومن هذه الوجهة أحب أن افتتح الكلام على « ابراهيم الثاني » . ذلك بأنه كتاب جيّاش بالحياة ، الحياة التي لا تثني مندفَقها خطة ملفقة في ذهن المنشيء ولا يعوق منفجرها قعود في الخاطر أو تباطؤ في الأداء . هو كتاب داخل في فن القَصص ولكنهُ كالقصص المدوَّن أولاً أولاً في دفتر يجول القلم فيه يوماً بعد يوم . ان حروف هذا الكتاب من مادة الحقيقة . هو مرآة للطور الذي نقبل عليه وربما دخلنا فيه من حيث لا ندري . ولا شك ان المرأة قطبه فانها الموجِّهة في أكثر الحال وان ظنَّ بعض الاغرار ان أمر اتجاهها في قبضة الرجل وحدها . ومن هذا الباب خطر « ابراهيم الثـاني » فانه يعرض ثلاثة أصناف من النساء المصريات الحديثات :

احداهنَّ زوجة فطنة أحست أن رجلها مَلول بل طرف بعض الشيء ، فبدلاً من أن تغضب وتفور و « تعكر عيشته » كما نقول اليوم أخذت تحيطهُ بالفتيات الحسان اللواتي بينهنَّ وبينها ألفة وايناس ، رجاء ان تدخل السرور على قلبه وتنشر الانبساط في جوه . وتلك حيلة تشف عن لباقة، وما كنا نعرف نساءنا بقادرات عليها . والغرض من وراء هذه الحيلة أن ينجو الرجل من ناب الضجر فيتنقل بالفكر لا بغيره بين ازهار مفتحات فيعود بشوق وارتياح الى الغصن الذي اعتاده وان فاته التنوير

واما المرأة الثانية ففتاة جرؤت على التقاليد فكسَّرت قيودها يوم نضجت فاستيقظت أنوثتها . فتراها على استعداد لتمكين حبيبها منها اذا رأت سعادته في ذلك . وتراها بعد ذلك حين تلتقي ببطلنا ابرهيم (الفاتك ، لا الثاني) « تنطلق تريد ان تعدو بغير عنان وتحاول وتطلب أن تعتصر وتختزل في القليل الباقي لها من العمر كل ما يخطر على بالها ان تستفيده من متع الحياة ولذاذات العيش»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأما المرأة الثالثة فشأنها بدعة بل فتنة .أحبت بطلنا — ومن لا يهواه لحلو شمائله ؟ — فأصرت على ان تكون له قلباً وجسماً وان كان ذا زوج يودها ويجلها، بل أصرت على أن تنصرف عن الزواج «وتتبتل» اليه الى هذا الفاتك الذي يغوي وهو يوهم المرأة ويحاول ان يوهم القارىء أنهُ غير مذنب وانهُ اجتهد في دفع خليلاته عن الغواية بالنصيحة والارشاد بل حملهن على تركانه وعلى إيثار شاب قابل للزواج على كهل (مولع في وليجة نفسه بالمخادنة) . لذلك لا أصدق «ابراهيم الثاني» حين يخبرني في خاتمة قصة «ميمي » انها ولّت عنهُ راضية مقتنعة لتقترن بفتى لا تحبه الحب الصادق . ان في هذه الخاتمة تزيداً وتوشية . انما بذلك يحدثني حسّي الدفين ، وعليّ التبعة وإن ثار المازني وهل يثار على اخ مثلي لا يرجف ولا يفشي سرًّا ، ولكنهُ يحكم بخاطره ، ولا بد من الحكم اذا نقد ونقّب

هنّ ثلاث نساءٍ مصريات شرقيات محصنات لاعهد لنا بأمثالهنّ، غير انهنّ موجودات وقد يقربهنّ ويلمسهنّ من يغامر ويخاطر . وعرضهنّ في هذا الكتاب اثبات لطور جديد للمرأة أظنهُ ذاهباً في الارتكاز باسترداد المرأة شخصيتها من طريق التثقف والتطلع الى حال المرأة الغربية

بقي ان أحدثك عن أسلوب الصديق المنشىء في سياقة أحوال هذه النساء الثلاث ، الى جنب حال البطل نفسه

أما الطريقة فهي الواقعية وما تنطوي عليهِ من وصف دقيق للأشياء ومن تحليل ممعن للحالات والخطرات والنزعات . وربما جاء الحديث غاية في المباشرة فلا همس ولا تلويح ولا إيماء . وربما دخل في الاعتراف . مثال ذلك : ما يصرح به المنشىء في شأن البطل فهو يكاشفنا بأنهُ صاحب أناة ومواساة ومروءة وروية وهدوء وفلسفة . فليس للقارىء أن يعمل فكره لاستنباط كل ذلك واستخراجه من جريان الحوادث واحتدام الحالات والتطام الحوار .تلك طريقة من طرائق التعبير ، وهي بين أنامل المازني في أسمى درجاتها

وأما الاسلوب فلشهرين مضيا ، يوم نقدت كتاب « عود على بدء » ووقفتك على ترسله وتدفقه وتصرفه . وهذا الكتاب شاهد جديد على ان المازني من أحسن الكتّاب نسجاً وأعلاهم أداءً ، بل لا أعرف كاتباً حديثاً انقاد البيان له مثلما انقاد للمازني : قريحة سمحة وخطو منفسح ومنطوق حلو . كلها تذكرك هنـا وهنا بالبلغاء القدمين أمثال ابن المقفع والجاحظ (اقرأ له مثلاً ص ١٠٣) ، مع ما في هذا الأسلوب الرفيع من لفظ زائد أحياناً (مثلاً : « تلزم بيتها لا تريمه ، ص ٢١ — « جفاها ابن عمها وملها ، ونباها وتخلى عنها » ص ١٠١ — « وكان فارغاً غير محشو » ص ١٠٤) ومع ما فيه من مطروقات وذكريات قراءة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

(ص١١٨و٢١٩).ومن محاسن هذا الأسلوب ما يطرد فيه من الفاظ فصيحة لاغنى عنها لاستيفاء التعبير في القصص وان عدها الجهال تفاصحاً اليوم . ومن محاسنه أيضاً ان الكاتب القدير قدرة الاستاذ المازني يستطيع ان يروّض الصعب ويدني البعيد . انظر اليهِ كيف ينفتل عن الحرج وهو يسرف في الغزل » (ص ٢١٠)

ولا أترك هذا الباب دون أن أخبرك بأن المازني في هذا الكتاب لم ينصرف الى الكلام الجاري على ألسنة الناس انصرافاً مقصوداً كما كانت حال قلمهِ في « عود على بدء » . فالذي يلوح لي انه ذهب اليه متباطئاً متثاقلاً ، فاني لم أحصِ لهُ غير خمسة تعبيرات وألفاظ (ص ٣٦ و ١٣١ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٨٤)

تلك قصة « ابراهيم الثاني » وقد حاولت أن أنبهك الى خطرها من الناحية الاجتماعية وأن أبين لك رفعتها في جانب الادب الخالص ، بارك الله في براعة الاستاذ الصديق فهو يصبّرنا ويعزينا عن جلّ ما يخرجه الكتبة في هذا الزمن[1] ب . ف

حديث السندباد القديم

للدكتور حسين فوزي صفحاته ٣٧٥ صفحة من القطع الكبير ، طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

كان الدكتور حسين فوزي العميد الحالي لكلية العلوم في جامعة فاروق الاول والمدير السابق لمعهد الأحياء المائية في الاسكندرية في طليعة روّاد القصة الحديثة في مصر الذين شقوا الطريق ومهّدوها ، ووضعوا الأسس وثبتوها . وهو الى جانب هذا شاعر عذب الرنين كاد يعدُّ على المسرح العربي جناحه يوم بدأ تأليف مسرحيته الشعرية كليوباترة لولا أن عرائس البحر وجنياته اجتذبته من عرائس الشعر وربات الفن ، ولولا ان شغلته حقائق العلم ومرئياته عن تصورات الخيال واحلامه ، ولكن برغم التحول فيهِ بقي للعالم حسين فوزي أسلوب القاصّ ورنين الشاعر ، حلاوة السرد وفتنة التعبير . ولا أنسى وداعه لسفينته التي عبر بها المحيط الهندي وهو الذي ختم بهِ كتابه « سندباد عصري » فهذا قصيدة شاعر . لهذا حبب الى القارىء ما يكتبه هذا العالم الأديب

فقد طالع قراؤه في كتابه السندباد العصري طرفاً من مشاهداته في رحلته في المحيط الهندي ، وهم يطالعون في كتابه الجديد «حديث السندباد القديم» لوناً جديداً من الرحلات

ولقد امتد به خياله الى ثبج البحر الآن من فوق الشاطىء بعد أن عزت عليهِ المغامرات بسبب هذه الحرب الطاحنة ، وعادت به الذكريات الى قصص سمعها في طفولتهِ ، وقصص

(١) المقتطف : أتحفنا أيضاً بقصة أخرى للاديب الكبير الاستاذ عبد القادر المازني « ميدو وشركاه » ظهرت بمصر أخيراً . وسنعرضها في عدد آت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قرأها في حداثته عن السندباد البحري وعن عجائب البحار فدفعه ذلك الى القيام برحلة خيالية في المحيط الهندي لا كما عرفه في رحلته الواقعية بل كما عرفه البحريون العرب فيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر . فقرأ ماخلّف رحالة العرب وجغرافيوهم من آثار في هذا الفن،قرأه بروح الرحالة البحاثة على ضوء حقائق العلم الحديث ولاءم بين أساطير أولئك وبين الواقع الذي تجلّى لعالم اليوم. فكان هذا منهُ فضلاً على هذه الآثار وإحياءً لها وتجديداً

فلقد سمع رحالة العرب قصصاً ، ورأوا ظواهر طبيعية لم يستطع العلم يومذاك حلاًّ لها ، فرأى المؤلف من واجبه ان يكشف عن هذه الظواهر كعالم خبير ، وان يحقق هذه الاقاصيص تحقيق باحث امين ، فوُفّق في ذلك خير التوفيق ، وتناول في القسم الاول من الكتاب المعارف العربية في الرحلات والاقاصيص ، وتناول في القسم الثاني جوهر هذه الاقاصيص . واستطاع بذلك ان يتصدى لهذا الموضوع رجلاً واحداً جمع في نفسه من ابواب العلم والمعرفة ما مكنهُ من تحقيق هذه الغاية بما هو أهل للثناء والتقدير

ولقد كان في اخراج هذا الكتاب ظفر للمكتبة العربية بأثر له قيمته ونفاسته من الوجهتين العلمية والادبية ، فهو كتاب يقرأه الاديب والعالم فيجدان فيه لذة روحية ومتعة عقلية ، ويجدان فيه هذه الحيوية التي تفيض بها آثار هذا المؤلف حسن كامل الصيرفي

روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة

تأليف الياس ابو شبكة . منشورات دار المكشوف بيروت ١٩٤٣ في ١١٦ صفحة من القطع الوسط

لعلّ خير ما يوصف بهِ هذا الكتاب أن يقال انهُ تحية الى فرنسا والى الادب الفرنسي بوجهٍ خاص . فالمؤلف وان كان معنيًّا ببيان الصلات العقلية والثقافية بين العرب والغربيين عامة ، إلاّ انه يرى أن سائر الآداب الانسانية مدينة لفرنسا بالشيء الكثير ، لأن فرنسا كما قال أحد المؤرخين هي « الفرن الذي يخبز فيه خبز الانسانية الثقافي » . ونحب أن نعلن تأييدنا للمؤلف في قوله (ص ١٧) : « ان الوضوح من المزايا الثمينة التي اتصف بها الفكر الفرنسي ودفعت أدباء الارض الى الاقبال على فرنسا ، والاستقاء من معينها فمنذ « أنشودة رولان » الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر بقي أدباء فرنسا ، كتابها وشعراؤها ، يحترمون تلك الحقيقة الأدبية ، وهي ان الاديب لا يكتب إلاّ ليُفهَم ، وان على الكاتب ان يكلف نفسه مشقة الافهام، وليس على القارىء أن يكلف نفسه مشقة حل الرموز والاحاجي » وقوله ص ١١٨ : « ويقيننا انهُ لولا ذلك الوضوح المشرق في الفكر الفرنسي لما كان للأدب الفرنسي ذلك الذيوع العظيم في مشارق الارض ومغاربها » (ويجد القارىء ما يشبه هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرأي مبسوطاً في خصائص « التفكير الفرنسي » وهو بحث لنا نشره المقتطف شهر نوفبر ١٩٤٢ ص ٣٦٩ وما بعدها)

وجملة القول ان هذا الكتاب — على ما فيه من قصور في بعض المواضع — جدير بالاحترام ، لأنه يصدر عن قصد نبيل ، وعاطفة صادقة : وهي الاعتراف بالجميل لبلاد لها على الانسانية المفكرة يد لا تنسى ، « ففرنسا الأدبية ، كما قال المؤلف ، حية في كل أرض يستنشق فيها روح انساني »

عثمان أمين

١ — اسكندر الأكبر

لعزيز خانكي بك — صفحاته ١٤٨ من القطع المتوسط — المطبعة العصرية

ظفرت المكتبة العربية بهذا الكتاب الذي يعد — على ما نعلم — أول مؤلف وضع بالعربية عن حياة ذلك العاهل الكبير . وعجيب جداً أن يظل الاسكندر الأكبر قروناً طويلة في التاريخ الاسلامي تروى له الحادثة ، أو يذكر الخبر من أخباره أو الوقعة من وقائعه في عرض التاريخ كما فعل المسعودي والبيروني والمقريزي وغيرهم ، ولا يظفر من واحد من مؤرخي العرب بكتاب مستقل ودراسة مستقلة كما يفعل الغربيون في ترجمة بعض العظماء من رجالنا

ولا شك ان كاتب السير ومؤرخ الأبطال تستهويه من حياة الرجال نواح توحي اليه بالكتابة وتدفعه الى الحديث عنهم . وعزيز بك خانكي يعترف في مقدمة كتابه بهذا حين يقول (تولتني الدهشة من عظمة هذه الشخصية العجيبة فحفزتني الى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التي طالعتها وهي تنيف على الستين)

وهذا العدد من المراجع ليس كثيراً على من يريد أن يتحف العربية بكتاب عن ملك وفاتح من أعاظم ملوك التاريخ وفاتحيه . وفي المؤلف صبر على معاودة هذه المراجع ، وفيه جلد كثير على التحقيق والتدوين وجمع المتشابه ولم الطرائف والنوادر . تعينه على ذلك ذاكرة قوية زاخرة بصور الماضي

أما الاسكندر وهل هو ذو القرنين أم هما رجلان فقد اختص المؤلف هذه المسألة بكلام طويل ورجع فيها الى حكم المجتهدين وبعض المحققين من المعاصرين ، وفاته أن للمقريزي في هذا الموضوع كلاماً أخذه عنه كل من أدلى دلوه في هذه المسألة ولكنهم لم يذكروه . وكلام المقريزي في الجزء الاول من خططه صفحة ٢٤٧ مطبعة النيل . وقد قامت في مجلة الرسالة الغراء من أشهر مناقشة في هذا الموضوع بين الدكتور ابراهيم الدسوقي والشيخ عبد المتعال الصعيدي ولكنها لم تصل الى رأي حاسم

في هذا الكتاب مزية ضبط الأعلام الافرنجية بحروف لاتينية ، كما ان فيه مزية أخرى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهي ايراد بعض النصوص والعبارات الافرنجية مع ذكر ترجمتها العربيـة ، ولو انهُ في قليل من الأحيان لا يذكر الترجمة فيضيع على من لا يعرف الفرنسية بعض المعنى

أما أسلوب المؤلف فهو أسلوب المؤرخ المعنيّ بسرد الحوادث على نسق شائق ، ولهذا لا تجد فيه غرابة أو اغراباً أو امعاناً في تكلف . ولكنه سهل يمتنع على من يحاوله . وتلك مزية عزيز بك خانكي في كل ما يكتبه من كتب وما ينشره من مقالات

ولعلَّ المؤلف بعد ما أشبع رغبة المؤرخ الممحص فيه بكتاب على هذا النمط ، يعود الى الموضوع نفسهِ فيشبع رغبة المترجم الأديب ورغبة جمهرة القراءِ في أسلوب من التراجم يخلو من النصوص وترجمتها الدقيقة ويحفل بقصة رجلٍ فيها من التاريخ الممحَّص حقائقهُ وفيها من الرواية استهواؤها

٢ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

المجلد الثاني من القسم الاول — صفحاته ٤٦١ من القطع الكبير
طبعة كلية الآداب

مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن بسَّام الشنتريني فهو من أهل الأندلس ، وهو غير أبي الحسن علي بن منصور بن بسَّام البغدادي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وتوفي في مطلع الرابع

وفرق ما بين السميين في الزمان يزيد على مائتين من السنين ، أما فرق ما بينهما في الأخلاق فقـد عرف من أدبهما وطريقة تأليفهما . فالبغدادي شـاعر خبيث اللسان حديد الكلام لم يسلم من هجائه أبوه ولا جماعة من وزراء بغداد ، والأندلسي عف اللسان شريف المقال صان كتابه عن أن يذكر فيه من شعر الهجاء ما لم يتورَّع الثعالبي عن ذكره في كتابه اليتيمة[1]

ويعد طبع هذا الكتاب الجليل عملاً جليلاً لكلية الآداب ، فهو سجل لأدب الأندلس ومفتاح من مفاتيح الحياة الأدبية فيها . وهو كتاب تراجم وتعريفات وافية لكثير من شعراء الأندلس وأدبائها وعلمائها ووزرائها . ولم يفت المؤلف أن يترجم لأعلام عصره أو يذكر شيئاً من أخباره معهم كما صنع مع أبي العباس احمد بن قاسم المحدث[2]

ويمتاز ابن بسام بذوق أدبي خاص ، ويتجلى هذا الذوق في حسن اختياره لشعر الشعراء ونثر الكتّـاب . وأسلوبه قوي إلاَّ انهُ يؤثر السجع الذي كان طريقة أهل زمانه. كما انه مولع أشد الولوع باقتفاء أثر أهلَ المشرق في تعبيراتهم . وله في نقد الشعر جولات تدل على بصيرة وفهم وتذوق . فهو يروي الأبيات لشـاعر اندلسي ، ولكنه لا يكتفي بذكرها بل يعلق

(١) الذخيرة المجلد الثاني ص ٦٣ المجلد (٢) المجلد الثاني ص ٣٩١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليها تعليقاً سريعاً هو أشبه بأحكام النقد الخاطفة في القرنين الرابع والخامس . وقد يردُّ المعنى المسروق الى صاحبه اثباتاً لفضل المسروق منهُ . ولكنه في كثير من مواضع النقد لا يتعرض للموازنة بين شاعر وشاعر أو بين معنى ومعنى بل يكتفي بإثبات السرَق وتسجيل الأخذ ، ويترك القارىء لحكمه ومخصوص نقده

ويخيل اليَّ أن ابن بسّام لم يأخذ نفسه بمنهج خاص من مناهج النقد ، فهو حيناً يتتبع المعاني الشعرية ويردها الى اصحابها ويقف عندها وقفات قد تبعده عما هو بسبيل الكلام فيه وهو أحياناً يمر على المعاني التي تستحق الوقوف عندها فلا يشير الى مآخذها ولا يردها الى أصحابها . مرَّ على بيت لأبي حفص عمر بن الشهيد سطر ٢ ص ٢٠٠ فلم يذكّره بقول ابن الرومي

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الأثمار كل الاباء

ولم يذكره بقول الآخر

في شجر السرو منهمو مثلٌ له رُواءٌ وما له ثمر

ومرَّ على البيت الآتي لابن الشهيد سطر ٩ ص ١٩٦

وأحسن من روض تحلى بنوره محيَّا ابن معن في حليّ الفضائل

فلم يذكره ببيت ابي تمام في الصوغ والفكرة : —

وأجملُ من ورد تفتح نَوْره بياضُ العطايا في سواد المطالب

ولابن بسّام غير هذا الأغضاء كثير ، ومحال على إلمام ابن بسّام ان يعز عليه تتبع هذه المعاني التي يخيل اليَّ انه قصد الى إغفالها

أما الجهد الذي بذله القائمون بنشر الكتاب فهو جهد خليق بالاطراء والأعجاب ، لما صحب ذلك من عناية كبيرة تبدو الآن فيما تخرجه الهيئات العلمية والأفراد المحققون من موروث أدبنا القديم إخراجاً يحبب القارىء في قراءتها ويسهّل عليه الرجوع اليها والاهتداء بها . وتلك عناية يجب أن يستحي منها قوم أضروا أدبنا وتراثنا بما نشروه من كتب مشوّهة مغلوطة

الاّ أن هذه العناية الكبيرة في كتاب الذخيرة لم تسلم من بعض هفوات في الطبع استدركها ناشروه في جدول خاص بالخطأ والصواب . ولكن هناك هفوات أخرى لم يشيروا اليها — وليس هنا موضع نشرها — فاكتفينا بارسالها الى الدكتور عبد الوهاب عزام طمعاً في أن تصحح في ذيل المجلد الثالث المترقب الظهور ، والقراء والأدباء على عزم من قسم اللغة العربيـة بكلية الآداب ان يضـيفوا الى « الذخيرة » كتباً اخرى من الامهات في الأدب العربي . « وتلك بداية فيها وعد السحابة بالرّوي »

محمد عبد الغني حسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

فتوحات في صناعة الزجاج

لخصها : عوض جندي [1]

لغز الزجاج الحديث

خفيف كالفقاعة ، متين بحيث لا تخرقه رصاصات المدافع الرشاشة ، تستطيع أن تكتسي به ، وتطبخ في أوانيه وتقيم في مبانيه ، معوان للجرّاح على انقاذ السقيم ، منقذ للملاّح من الغرق المحتوم — انهُ الزجاج

فاذا قالت الجرائد مثلاً ذات صباح ان اليابانيين قد قطعوا عنّا مصادر الزجاج ، أو أشيع ان الحكومة مزمعة توزيع الزجاج بالبطاقات ، شأنه في ذلك شأن المطاط أو القصدير أو الفولاذ وانها تؤثر الجيش بالقسط الاكبر من المنتجات جميعها فلا يبقى منها للشعب إلاّ اليسير ، فلعلّ الناس يدركون حينئذٍ قيمة الزجاج . ولكن يجب ألاّ يكترثوا لتلك الاقوال ولا يخشوا حرمانهم الزجاج الجميل ، اذ ليس في مقدور اليابان لحسن الحظ ، أن تحرمنا الزجاج ما دام لدينا الجير ورماد الصودا وكثبان الرمال المتبلورة التي تيسّر لنا صنعه

طرف من تاريخه القديم

والزجاج من أقدم الأشياء التي اخترعها الانسان . إذ يرجع تاريخه بحسب اسطورة قديمة الى أن فوجاً من الفنيقيين غرقت سفينتهم في البحر المتوسط فلجأوا الى شاطىء رملي لنهر من أنهار سوريا حيث عضهم الجوع فأخذوا يطهون عشاءهم في قدر نصبوها على حجر وكان من أحجار من الصودا على ذلك الشاطىء الرملي ولشدّ ما كان دهشهم إذ أبصروا الرمل والصودا قد امتزج بعضهما ببعض امتزاجاً جعل منهما مجرى من الزجاج المصهور

ويثبت التاريخ ان العراقيين كانوا منذ خمسة آلاف سنة يصنعون تحفاً من الزجاج المزخرف . وانه قد تكشفت للمنقبين في خرائب مدينة بومبي الرومانية نوافذ ثبتت فيها ألواح من الزجاج المسطح . وقد استمرت صناعة الزجاج على حالتها المصطلح عليها ألوفاً من السنين . وقوامها رماد الصودا والرمل

---

(١) عن مجلة خلاصة العلم الاميركية

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ثم تشعّبت منها منذ سنوات فروع تجارية كبيرة غريبة الشكل فلم تعد صناعة الزجاج مقتصرة على ألواح النوافذ وعدسات النظارات وكؤوس الشراب وأكواب المياه بل شرعت منذ عشر سنين احدى الشركات الاميركية الكبرى للزجاج — وقد حذت حذوها حديثاً شركة اميركية أخرى — في صنع خيوط رفيعة من عجينة الزجاج لتنقية الهواء مما يحمله من العثير وكذلك ما هو في منزلة صوف عازل للحرّ والقر، ومنسوجات مختلفة

غرائب ما يصنع منه الآن

واخذ الزجاج يدخل في حياة الناس رويداً رويداً دخولاً مدهشاً حتى أصبحت النوابض «الزنبركات» تؤخذ من عجينته فتفوق النوابض المعدنية بمرونتها، وعدم استهدافها لآفة الصدأ. وجعل الاميركيون يصنعون من عجينة الزجاج قوالب لبناء الحيطان تقاوم النيران. كما صنعوا من تلك العجينة قضباناً للابرق المسلح سوف تحل محل الاسياخ الفولاذية المألوفة. ولكن هذا العمل لا يزال في طور التجربة

زجاج يطفو وينقذ الغرقى

وها هوذا الزجاج يباري المطاط والفلين والكابوك (راجع وصفه الاخير بقلمنا في مقتطف يناير سنة ١٩٤٣) اذ قامت احدى شركات الزجاج في مدينة بتسبرج باختراع زجاج أطلقت عليه اسم Foamglas اي الزجاج العوّام لانهُ ينقذ مستعملهُ من الغرق في غير حالة واحدة وذلك لخفته إذ لا تزيد على $\frac{1}{15}$ من ثقل الزجاج المألوف

ويؤلف هذا الزجاج العوّام من مجموعة خلايا زجاجية لا يدخلها الهواء ولا يغرقها الماء على الاطلاق. فتصلح كل الصلاحية لصنع عطيفات الانقاذ من الغرق ولأطواف النجاة وزوارقها. ومن غريب أمر ذلك الزجاج أن عجينته تختمر كما يختمر الخبز بالخمير. وخميرته هي مقدار ضئيل من الكربون النقي يضاف الى عجينته ثم تسخن فتلين وحينئذٍ يتحد بها الكربون فيولد فيها غازاً يحدث فيها انتفاخاً يظهر في فقاقيع هلامية الشكل

وللزجاج العوّام منافع شتى في الحرب الدائرة الرحى الآن. واهمها انقاذ ملاحي السفن وركابها من الغرق ثم صنع الجسور العائمة والعوامات وما اليها. وهذا عدا نفعه في منع الحرارة عن الخزائن المبردة، أجهزة تحضير الدوندورمة ومصانع الالبان وما شاكلها

منفعته في القلاع الطائرة

وحيث انهُ صلب ولا تؤثر فيه الرطوبة ولا ابخرة الحجر المنخفضة الحرارة فيمكن نشره بسهولة وتكييفه بالآلات المعتادة. ويقول الخبراء إن الحرب الراهنة لا تعدّ حرباً عصرية بغير وساطة الزجاج ونعني ألواح البلور ذات اللون الذهبي التي ما برحت مستعملة للمرايا الزخرفية. فقد ظهر ان هذه الالواح البلورية أصلح ما تكون لحجب اشعة ما فوق البنفسجي من الشمس التي يكتوي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بها قادة القلاع الطائرة المحلقة في الطبقة الملخرورية فتنقذهم من فعلها

خيوط من زجاج في الجراحة

وقد اخترعت شركة اميركية اخرى من شركات الزجاج الكبيرة خيطاً زجاجياً صالحاً لخياطة الجروح . اذ ظهر ان الاوتار (الخيوط المألوفة التي تتخذ من الحرير او امعاء الغنم او الخيل) قد تكون مصدراً للتعفن

وثمة عوامل تعترض استعمال اسلاك الفولاذ الذي لا يصدأ او اسلاك الفضة في جراحة العظام على حين ان الشقوق التي تخاط بالخيوط الزجاجية ، يتاح تطهيرها . لأن تلك الخيوط ليست عضوية فلا تتأثر بالمؤثرات الكيميائية . وقد أسفر استعمالها عن اندمال الجروح بلا تعفن وبغير احداث تهيج جلدي وهذه علاوة على كون الخياطة بالزجاج أمتن منها بالحرير . وتؤلف الخيوط الزجاجية من ٢٠٤ فتائل لا يدركها البصر لدقتها لأن ثخانتها لا تزيد $\frac{٢٢}{١٠٠٠٠٠}$ من عقدة الاصبع « البوصة »

بالزجاج تنقى « بلازما » الدم

ومن المخترعات الجراحية الجديدة أيضاً الشريط الزجاجي المؤلف من الخيوط الزجاجية وهو مستعمل لتنقية بلازما الدم مما يشوبها من المواد الغريبة عند ازماع الاصفاق . ثمَّ ان الخيط المفرد غير الشفاف الذي يتخذ من عجينة الزجاج العوَّام تخاط به الاسفنجة التي تستعمل في العمليات الجراحية لتتشرب الدم الذي يسيل في أثنائها ، فيكون دليلاً قائماً على وجود تلك الاسفنجة اذا ما أغفلها الجراح في موضع العملية اذ يظهر الخيط الزجاجي موضعَ الاسفنجة عند تصويرها بالأشعة السينية

الزجاج في صناعة الطعام

وكان غزو شبه جزيرة الملايا وجزائر الهند الشرقية سبباً في تقليل استيراد الصفيح اللازم لصنع العلب فاستوجب هذا العمل توفير القوارير اللازمة لحفظ الأغذية . ثم ان ذلك الحادث الحربي أزعج صناع أغطية القناني فلم يروا مناصاً من اختراع سدادات وأغطية محكمة لها من العجائن الكيميائية وقاية لما تعبأ به من الأغذية والسوائل . وتوخياً لتعجيل الانتاج ، بطل صنع القوارير المزخرفة الاشكال وحلت محلها زجاجات ذات اشكال بسيطة اصطلحوا عليها وأحجامها أصغر من سابقتها . وهي أخف من أخواتها وأمتن وأجور نقلها في البواخر ونفقات حزمها أقل وتشغل حيزاً أضيق مما يتطلبهُ غيرها ، ومنها زجاجات اللبن وهي أقصر بوصة من النوع المألوف وأخف منهُ بخمس أواق ، علاوة على متانتها وعدم تعرضها للكسر العاجل . وثمة القوارير المخصصة لحفظ الفواكه

أتصنع دور من زجاج ؟

وكان من أماني الناس في مختلف العصور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بناء الدور التي لا تحطمها الصخور فجاء في القول المأثور : من كان بيته من زجاج فلا يرجم الناس بالأحجار . أما الآن فقد تحققت تلك الأمنية بالوسائط العلمية . فما زال الزجاج يوصف بأنهُ مادة سهلة التحطيم ولكنها حينما تقوّى بالحرارة ، تستطيع احتمال ما يساوي ثقل الفيل . واذا رجمت بالحجارة ارتدت عنها دون أن تكسّرها . وبعض أنواع الزجاج يحتمل الصدمات بيد انه يكاد يتحوَّل الى مسحوق اذا قرع عليه بمطرقة . وقد شرع بعض المهندسين في انكلترا حديثاً في تصميم منازل من الزجاج او يدخل الزجاج في بنائها لتحل بعد انقضاء الحرب ، محل البيوت التي دمرتها القنابل . كما عرف علماء الكيمياء كيفية مزج الزجاج بعناصر أخرى فتصنع منهُ الحيطان والنوافذ الزجاجية التي تسمح بدخول القدر الصالح من أشعة ما وراء البنفسجي وأشعة ما دون الاحمر

طريقة لابادة الاعشاب في محصول البصل

تستورد بريطانيا في وقت السلم من اوربا والبلاد الاخرى الواقعة على شاطىء البحر المتوسط أكثر من تسعة أعشار ما تستهلكه من البصل . ولكن نظراً للحرب الحالية وما نتج عنها من التغييرات الاقليمية قلَّ هذا المقدار . فأصبح من الضروري العناية بالانتاج الداخلي . ولما كان محصول البصل يستلزم عناية خاصة حيث لا بد من ابادة الاعشاب ليصبح الانتاج جيداً . ولما كانت هذه الطريقة تستلزم كثيراً من الأيدي العاملة أصبح من الضروري الكشف عن طريقة كيميائية يمكن بواسطتها التخلص من الاعشاب بدون الحاق الضرر بالمحصول . وقد بدأ البحث في هذا الموضوع الاستاذ ج . بلاكمان بالكلية الامبراطورية بلندن

وقد دلت التجارب في المعمل وفي المزارع التي أجريت فيها انهُ من الممكن ابادة الاعشاب برشها بمحلول من الحامض الكبريتيك

وبالرغم من ان تركيز الحامض في المحلول استعمل بنسبة ١٤ ٪ فان هذا لم يؤثر في البصل نفسه

ويرجع الفضل في نجاح هذه التجربة الى اختلاف أساسي في تركيب ورقة البصل وورقة العشب . فالاولى اسطوانة وقائمة عمودياً وعليها طلاء من مادة شمعية ولذلك ينزلق عنها رشاش المحلول السام ولا تمتصه . وفوق ذلك فان الانساج الحيوية التي تتركب منها الأوراق الجديدة قاعدية ولذلك فهي محمية . اما الاعشاب فان معظمها له اوراق مسطحة منظمة في مستوى أفقي وليس عليها طلاء شمعي كما ان اطرافها النامية تقع في اعلاها ولذلك فهي معرضة غير محمية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علاج جديد للجروح

كثر استعمال العقاقير الكيميائية ومنها السلفوناميد لمداواة الجروح في الحرب الحالية . وهذه العقاقير سواء تعاطاها المريض شرباً او وضعت على الجرح فهي تمنع البكتيريا الموجودة في الدم من التكاثر وذلك بتجريدها من بعض مواد اساسية لازمة لنموها. وقد كان من نتيجة استعمال هذه العقاقير ان أصبح تقيح الجروح في الوقت الحاضر اقل شيوعاً منهُ في الحرب الماضية

ويحدث مع ذلك ان يصل بعض الجرحى الى مستشفى القاعدة وجروحهم متقيحة إما بسبب عدم معالجتهم بالسلفوناميد وإما لمعالجتهم معالجة ناقصة . ففي هذه الحالات لا تجدي هذه العقاقير الاَّ في حصر العدوى ومنع انتشارها الى اجزاء الجسم الاخرى

وقد حدث في احد المستشفيات التي وراء ميدان القتال في مصر وهي من المستشفيات الخاصة بعلاج الاصابات في العظام و المفاصل واليها ترسل أسوأ المصابين حالاً ان استقر رأي طبيبين من وحدة الجيش البريطاني الطبية على استعمال مسحوق (البروفلافين Proflavine) بوضعهِ على الجروح المتعفنة مباشرة. وقد دلت التجارب على ان هذه المادة صبغة مطهرة غير سامة نسبيًّا ولكنها تقتل معظم انواع البكتيريا . وقد كانت العادة المتبعة استعمال المحلول بنسبة ١ في ١٠٠٠ على قطعة من الشاش المعقم ولكن مادة هذا النسيج تمتص منه ٨٠ ٪ أي ان ما يترك على الجرح هو ٢٠ ٪ من المحلول فقط

والطريقة الجديدة وهي استعمال مسحوق البروفلافين على الجرح مباشرة تضاعف تأثيره. وقد نجحت في الثمانين حالة التي استعملت فيها. وفي بعض الحالات نجحت هذه الطريقة حيث اخفقت طرق اخرى . وقد وجد انهُ في جميع الحالات التي يكون فيها « الاستافيلوكوك » هو العامل في نشر العدوى — وهو احد فصائل الاحياء الدقيقة المسببة للخراج وتعفن الجرح وتسمم الدم — ان مسحوق البروفلافين أنجع في حد مدى العدوى أو التغلب عليها من كل علاج آخر استعمل حتى الآن

هل تعلم

* ان سكر القصب لا يمكن تفريقهُ من الناحية الكيميائية عن سكر البنجر

* ان البحث أثبت ان اطعام البقر وحلبها ثلاث مرات في اليوم بدلاً من مرتين يزيد مقدار انتاجها من اللبن من ١٠ في المائة الى ٢٥ في المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الثالث بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثالث بعد المائة

١ اغسطس سنة ١٩٤٣ — ٢٩ رجب سنة ١٣٦٢

العلم والحريات الاربع

في الرسالة التي وجهها الرئيس روزفلت الى مجلسي الكونغرس الاميركي يوم ٦ يناير سنة ١٩٤١ قال « وفي الايام المقبلة التي ننوي ان نحيطها بكل ضمان، نتوقع ان يقوم العالم على اربع حريات انسانية اساسية. اولاً — حرية الكلام والتعبير ، في كل بقعة من بقاع الارض. ثانياً — حرية كل امرىءٍ في عبادة الله على طريقته الخاصة ، في كل بقعة من بقاع الارض. ثالثاً — التحرُّر من ربقة العوز ، وهو اذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناه عقد اتفاقات اقتصادية تضمن لأبناءِ كل أمةٍ عيشة راضيةً ، في كل بقعةٍ من بقاع الأرض. رابعاً — التحرُّر من الخوف ، وهو اذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناهُ خفض السلاح خفضاً عالميًّا واسع النطاق حتى يستحيل على أمةٍ ما أن تعتدي على جارة لها ، في كل بقعةٍ من بقاع الأرض

كذلك تكلم روزفلت السياسي والمصلح الاجتماعيّ . فماذا يقوله العلم في هذه الحريات ، لو تجسَّم العلم رجلاً يستطيع أن يعرب ، أو لو تولى عالمٌ مهمة الاعراب عنهُ ؟

ليس ثمة ريب في ان الحريات الأربع أصيلة في روح العلم وغرضه وتاريخ تطوُّره وارتقائهِ ، وليس ثمة ريبٌ كذلك في أن معقد الرجاءِ في المستقبل ، انما هو تآزر العلم والحرية . ولعلَّ غير واحد من قراءِ هذا المقال يذكر قول الانجيل « وتعرفون الحقَّ والحقُّ يحرِّركم »

فلولا حرية الفكر والتعبير عن الفكر لما كان للعلم كيان، وبغير العلم في المستقبل ، وتعزيز

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

روحهِ يكون الرجاء ضعيفاً في تحقيق حرية الانسان . فالناس ما فتئوا من فجر التاريخ ، بل ومن العصور السابقة لعصر التاريخ المدوَّن ، يناضلون ويموتون في سبيل معرفة الحق ، ولكي يطلقوا غيرهم من قيودٍ كثيرةٍ ثقيلة تستعبدهم

ومن المآثر الأولى التي يدين بها البشر الى العلماء الأول تحرير الناس من ربقة السحر وعبادة الأوثان . ومع ذلك ففي كثير من بلدان العالم الآن ، تحدُّ حرية الناس في عبادتهم أو تقيَّد بقيود باهظة . وشرٌّ من القيود المادية التي تقيد العبادة ذلك الاستعباد الروحي ، الذي يفرض على المرء ، وينشيء الصغار على عبادة « الدولة » التي يعدُّها بعضهم كلية القدرة مسيطرة على كل صغيرة وكبيرة في حياة الناس المادية والاجتماعية والعقلية والروحية

ان سرَّ الحياة في التربة التي يزكو فيها العلم أسلوباً ونتيجة ، هو حرية البحث وحرية التعبير . فالباحث الذي تمضهُ غوامض الحياة وتومىء اليهِ أسرار الطبيعة بإصبع خفية ويكون ذهنهُ مهيَّأً ، عليهِ أن ينطلق خفيفاً من كل قيدٍ ، الى حيث يقودهُ البحث . فاذا قال لهُ البحث في العظم والدم والأحافير ، ان الانسان يمت بصلات كثيرة الى طوائف الحيوان ، على نحو ما يقول أصحاب التطوُّر العضوي فعليهِ أن يخضع للدليل ، ويجب أن يتاح لهُ أن يقول ذلك . واذا هداهُ البحث الى أن الأرض ليست مركز الكون ، كما يقول أصحاب الفلك الحديث من عصر كوبرنيكوس وغاليليو ، انقاد الى النتيجة ، ووجب أن يتاح له الاعراب عن رأيه فلا يعذَّب ولا ينفى . واذا تبيَّن ان الاحتراق هو الاتحاد بالاكسجين أخذ بهِ وأذاعهُ ، بغير أن يعرَّض لقطع رأسهِ كما فعل رجال الثورة الفرنسية برأس لافوازييه . واذا أيَّدت الارصاد قولهُ في تحدُّب أشعة الضوء ، وجب ألاَّ تنكره حكومةٌ ما لأن صاحبهُ اينشتين وهو غير آريّ . لأنهُ اذا انقضت حرية البحث ، وحرية تبادل نتائج البحث ، سلب الاسلوب العلمي سرَّ حياتهِ ، واذا سلب سرَّ حياتهِ ، عاد الظلام يرين على العقول ، والسلاسل تقيِّد الفكر ، ولو لم تكن من حديد . أي ان شجرة العلم ، يتمشى فيها الذبول فاليبس . وجميع مخترعات الأرض ، وهي من شجرة العلم في منزلة الثمر ، مردُّها الى ما كشف من نواميس الطبيعة ، وهي في منزلة الجذور . ما أبلغ قولك يا ڤولتير حين قلت : « انني أمقت ما تقول وأخالفك في كل كلمة منهُ ، ولكنني أدفع بحياتي عن حقك في أن تقولهُ »

فالصلة بين طبيعة العلم وتاريخه ، وبين الحريتين الاولى والثانية صلة وثيقة ولا تنفصم بغير ان يعود الانفصام على العلم وعلى الحريتين ، وعلى الاجتماع ، بأعظم ضرر

***

وعن طريق العلم وتطبيقهِ خلال العصور ، دنا الناس من الحرية الثالثة ، وهي التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصفها روزفلت بقوله : التحرّر من ربقة العوز. والقول في ما صنعه العلم من هذه الناحية حتى الآن يستغرق عشرات المجلدات، في وصف ما استنبطه العلماء في ميادين استغلال موارد الطبيعة من معدنية وزراعية، ووفروه من مأكل وملبس ومسكن وصحة لطوائف كثيرة من الناس. ورخاء البشر وسعادتهم مرتبطان بالموارد الطبيعية المتاحة لهم . وبحسن استغلالها . وبغير ذلك لا تجدي النيات مهما تحسن ولا الآمال مهما تسمُ. فوفرة هذه الموارد وإجادة استغلالها من الموضوعات التي يعنى بها كلٌّ من يعنيه مستقبل البشر على سطح الارض . والعلماء مجمعون على ان وفرة الموارد الطبيعية تكفي عدداً من سكان الارض يفوق عددهم الآن . ولكنها موزعة توزيعاً غير متساوٍ على سطح الأرض وهذا أصل طائفة كبيرة من وجوه النزاع السياسي والاقتصادي التي مني بها البشر. فإتاحة هذه الموارد لجميع الشعوب شرط أصيلٌ لاجتماع دولي مستقرّ . والى هذا أشار روزفلت في تفسير « التحرّر من ربقة العوز » حيث قال في العبارة التالية : « وهو اذا أُفرغ في عبارات السياسة الدولية كان معناه عقد اتفاقات اقتصادية تضمن لأبناء كل امة عيشة راضية . في كل بقعة من بقاع الأرض ». وإلى هذا كذلك أشارت المادة الرابعة من دستور المحيط الأطلسي اذ جاء فيها : أنهما (اي روزفلت وتشرتشل واضعا هذا الدستور) يحاولان — مع احترام التزاماتهما القائمة — منح جميع الدول صغيرة كانت او كبيرة ، ظافرة او مقهورة ، حق الوصول الى اتفاقات تجارية متساوية ، والحصول على مواد العالم الأولية التي تحتاج اليها لرخائها الاقتصادي »

وقد صنع العلم مآثر عظيمة خلال القرن الماضي ، في استغلال موارد الارض . ولكن الذين اعتمدوا على العلم في استغلالها ، حصروا الفائدة التي تجنى منها ، في نطاق ضيق أو خاص . فالاستغلال لم يكن على أساس نظرة عالمية شاملة. ومن هنا ما نشاهده في بلد كبير غنيّ بالموارد الطبيعية كالصين والهند من فاقةٍ وسوءِ حال ، وما نشاهده في بلد آخر من عيش رخيّ. ومن هنا كذلك ما طرق سمعنا في اثناء الأزمة الاقتصادية العالمية في العقد الماضي ، عن تكدس نتاج الارض في بلد او اكثر ، وعن اشتداد الحاجة الى هذا النتاج في بلد آخر او اكثر

والعلم الحديث، لا يكتفي بتبيان كفاية الموارد الطبيعية واستغلالها، بل يضيف اليها موارد جديدة فتقتها حيل العلماء . فكأنهم أضافوا الى موارد الطبيعة ، وبعضها صائر الى النفاد ، موارد لا تحد ولا تنفد . وقد ضربنا من أشهر مثلاً على ذلك عند ما قلنا : ان كتب السياسة والاقتصاد التي كتبت او نشرت قبل قرن ونصف قرن من الزمان تشير الى ان أقطاب التفكير السياسي والاقتصادي كانوا غارقين في بحر من التشاؤم حيال موارد الطعام المتاحة للبشر على سطح الأرض . وكتب مالتوس رسالة بيَّن فيها ان عدد سكان الكرة الأرضية يميل الى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزيادة زيادة تفوق زيادة موارد الطعام . وعلى هذا حكم على الجنس البشري بالعيش في حدود الفاقة والجوع، الا اذا ابتدع طريقة تحد من تكاثره . ولم يكن أحد من العلماء قادراً حينئذٍ على إدحاض مذهب مالتوس لأن أحداً لم يكن قادراً ان يتصور ما يجيء به العلم في الغد . وما جاء به العلم في الغد لم يكن فتح مناطق شاسعة من الاراضي البكر وحسب، فهذه خاضعة على طول المدى لحكم مالتوس . ولكنه جاء بأساليب ، أحلت الزراعة الجديدة محل الزراعة القديمة . فنطاق المعارف آخذ في الاتساع ، وتطبيق المعارف العلمية على الزراعة مقترناً بارتقاءِ أسباب المواصلات والنقل زاد قدرة الانسان على إنتاج الطعام من الأرض ، واتاحته لمن يحتاج اليه ولو كان بعيداً عن موقع انتاجهِ . فزاد سكان الارض بعد وفاة مالتوس زيادة كبيرة ، ولكن معدَّل انتاج الارض زاد كذلك . بل ان زيادة معدل القدرة على الانتاج الزراعي سبقت معدَّل زيادة السكان . وهناك دلائل كثيرة تدل على اننا ما زلنا في مستهل العصر الذي يمكننا فيه العلم من استغلال الارض على أوفى وجهٍ مستطاع

وما حدث في الزراعة وموارد الطعام ، حادث الآن في الصناعة وموارد الصناعة . فقد كان الظن الى عهد غير بعيد ان موارد الخامات اللازمة للآلات ، في عصر الصناعة ، لا تكفي لاشباع نهم الآلات . هنا منجم فحم ، وهناك بئر نفطٍ ، وكلٌّ من يملك المنجم أو البئر يستطيع أن يشبع نهم آلاته ، وعلى غيره أن يقنع أو ان يحارب في سبيلها . ولكنَّ العلم الحديث أثبت، انك تستطيع ان تصنع من موارد الطبيعة، التي تخرجها الارض — وهي موارد لا تنفد وتتجدَّد كلَّ سنة — طائفة كبيرة من المواد التي كنا نعتمد فيها على المناجم والآبار . فئات من العجائن الكيميائية ، تحلُّ محل عشرات من الفلزات في أوضاعٍ ووجوهٍ من الاستعمال شتى . والمطاط والنفط والاسمدة وغيرها ، تصنع الآن بالتركيب الكيميائي . وفول الصويا وحده — في نظر علم الكيمرجي أي استخراج مواد الصناعة من منتجات الحقول — كنزٌ لا يفنى . ففي حبوبهِ طاقة تجهَّز بها من يأكلها . وفيها مواد كثيرة تصلح لشتى الصناعات فعلاوة على مواد الطعام التي تؤخذ من هذه الحبوب ، يستخرج دهن يحلّ محلَّ النفط في محركات ديزل . ويصنع نوع من البنزين . وصوف . ومواد من قبيل العجائن تدخل في هياكل شبابيك السيارات ومقابض أكر الأبواب ، ودهانٌ يدهن بهِ الخشب والحديد ، ومطاط وغير ذلك . والتحرُّر من العوز يجرُّ في أثره التحرُّر من الجوع والمرض

ونحن من هذا التطوُّر العلمي لا نزال في مستهلّ المرحلة الأولى

فاذا قال رجال السياسة « التحرر من ربقة العوز » . قال رجال العلم : « لبيكم ، بين أيديكم »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما الحرية الرابعة فهي التي وصفها روزفلت بقولهِ إنها « التحرر من الخوف » . والمعنى الاول الذي اتجه اليهِ ذهن روزفلت هو التحرُّر من خوف الحرب . فهل عند العلم ما يقوله في قدرة الانسان على التحرر من خوف الحرب ؟

من عهد قريب عمد كاتب علمي أميركي يدعى بروس بليفن ، الى استطلاع آراء العلماء في هذا الموضوع وقد وصف نتائج بحثه في كتاب جديد دعاه « الرجال الذين يبنون المستقبل » ، ويلخص ما قاله في هذه الناحية الخاصة في ما يلي : مع تعدد الآراء في هذا الموضوع الخطير يكاد يكون هناك اجماع بين علماء العصر في هذه الأيام على ان الحضارة الحديثة لا تنطوي على قوى قاسرة ، تدفع البشر دفعاً الى الحرب كل فترةٍ قصيرةٍ من الزمان ، ما لم ينحدر البشر الى همجيةٍ لا يحق لأحدٍ أن يتوقعها ، برغم نوائب الحرب . فالحرب في نظر علماءِ الاقتصاد لا تجدي جدوى مالية ، لا على الغالب ولا على المغلوب ، ولو أُنفق جزءٌ يسير مما ينفق على الحرب ، في سبيل تحسين العيش وتربيـة الناس لمهّـد السبيل الى ارتقاءِ شعوب الارض ارتقاءً صحيحاً في الصحة والعمل وطلب الاشياء العليا . وضغط السكان بحسب ما هو معروف من اتجاه معدَّل المواليد والوفيات الآن ، لا يكفي في نظر علماءِ الاجتماع لتسويغ الحرب . فهو في كثير من الأمم وعلى الاكثر مائل الى النقص . والنزاع على موارد الخامات الصناعية لا يجب أن يكون باعثاً على الحرب ، اذا صفت النيـة وأحسن التوزيع . فموارد الارض نفسها وآيات العلم الحديث والصناعة ، تكفي جميع الشعوب وتفي بحاجتها القصوى

وعلماءُ الطبيعة البيولوجية لا يقرون وجود غريزة تدفع الى الحرب ، او تجعل الحرب امراً لا مفرَّ منهُ . فالاعتداءُ في نظرهم يتلوَّن بلون البيئـة الاجتماعيـة . فعند ما كانت البيئة الاجتماعية تبيح المبارزة كان الجبان يقدم عليها ، وعندما قضت البيئة الاجتماعيـة بأن المبارزة شرٌّ اجتماعي ، أصبح أشدُّ الناس ميلاً الى العدوان يسعى الى حسم الخلاف بالتحاب اوعن طريق المحاكم . وعلماءُ النفس والتربية يذهبون الى انهُ في الوسع السيطرة على الانفعالات والتحكم فيها والتسامي بها . وهذه الطائفة من العلماء تذهب الى ان المربين متأهبون للذهاب الى مدارس الأمم المغلوبة ، واخراج جيل بعد سنين ، يؤمن بتفضيل الاسلوب الدمقراطي ومزاياه في تنظيم الاجتماع البشري على النظم الاخرى . فالعلماء مجمعون او في حكم المجمعين على ان عالماً بغير حرب مستطاع وانهُ على كل حال ضروري ، وفي تحقيق هذا الغرض لا بدَّ لأقطاب الأمم من الاستعانة بما كشفهُ العلم الحديث في الزراعة والصناعة لتوفير أسباب العيش لكل أحد ، وما يقتضيه العلم الحديث من حرية هي سرُّ حياته ، وما عرفه علماء النفس والاجتماع بالبحث والتجريب عن طبائع البشر وطبائع منشآتهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

صقلية العربية

ملتقى ثقافات عظيمة

اتجهت انظار العالم الى صقلية لترى كيف يبدأ غزو الحلفاء لقلعة أوربا . وأصبح اسم هذه الجزيرة ملء الافواه والاسماع ، ويكتب بالخط العريض على صدور الجرائد بمختلف اللغات . صقلية ! كم ناطق باسمها لا يدري اي حنين يثيره هذا الاسم في قلوب الشرقيين . . . فلنا بها تاريخ وأي تاريخ ! وان قلوبنا ليملأها الفخر والأسى معاً اذا استعرضنا فيما يلي موجزاً لحكم العرب لهذه الجزيرة وللثقافة العربية التي تركت بها طابعها الذي لا يمحى

* * *

يمثل فتح صقلية أقصى ما وصلت اليه موجة الفتح العربي للاندلس وأوربا . وكان معاوية بن أبي سفيان أول من أوفد الجيوش لمهاجمة الجزيرة في سنة ٦٥٢ م وهي السنة التي سحق فيها الاسطول البيزنطي تجاه الاسكندرية وانتقلت السيادة في البحر المتوسط الى العرب . ولكن الغزاة لم يثبتوا أقدامهم بالجزيرة واكتفوا بالمغانم والاسلاب الثمينة التي عادوا بها من سرقسه — الميناء العظيم الواقع على الشاطىء الشرقي من صقلية

وفي خلال القرن الثامن واصل قراصنة العرب والبربر من الاندلس وشمال افريقيا حملاتهم على جزر صقلية وسردينيا وكورسيكا . غير ان هذه الحملات لم تكن إلاّ غزوات مفاجئة وقتية لا تدبر طبقاً لخطة موضوعة أو لغرض مرسوم . ثم تغيّرت الامور بقيام أسرة الاغالبة القوية في القيروان في أوائل القرن التاسع إذ كان لا مفرّ من سقوط صقلية في أيديهم عاجلاً أو آجلاً . وقد سنحت لهم فرصة الغزو في سنة ٨٢٧ عندما ثارت سرقسه في وجه الحاكم البيزنطي واستنجدت بالأغالبة فأسرع زيادة الله الاول (٨١٧ — ٣٨) ثالث ملوكهم بارسال أسطوله الضخم المكوّن من سبعين سفينة تحمل ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل من المشاة وسبعمائة من الفرسان تحت قيادة وزيره وقاضي قضاته « أسد بن الفرات » وكان شيخاً قارب السبعين من عمره ونزل الجيش في الركن الغربي الجنوبي من الجزيرة واتجه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شرقاً نحو سرقسة (ومن الممتع مقارنة خطة الأغالبة بخطة الحلفاء في الحرب الحالية) وسقطت بلرم Palermo في سنة ٨٣١ ومسينا في ٨٤٣ وسرقسة في سنة ٨٧٨ ، بعد حصار دام تسعة أشهر . ولكن غزو الجزيرة لم يتم إلاّ على يد السفاح الأغلبي ابراهيم الثاني (٨٧٤ — ٩٠٢) الذي نزل بصقلية ودمّر تاورمينا ، ثم مات ودفن بالجزيرة في سنة ٩٠٢ . وهكذا أصبحت صقلية عربية : واستمرت تحت حكم العرب قرنين كاملين يتناوب الأمر فيها امراء دبَّ بينهم النزاع والشقاق ومنها تطرّفوا حيناً ما الى جنوب ايطاليا وحكموه ولهم فيه آثار

وعند ما اندثرت أسرة الأغالبة دخلت صقلية تحت حكم الدولة الفاطمية الفتية ولعلّ المنازعات الطائفية هي التي دفعت بمسلمي صقلية بعد اربع سنوات من الحكم الفاطمي الى الثورة تحت قيادة « احمد بن قرحب » واعلان استقلالهم ودعوا في صلاة الجمعة للخليفة العباسي المقتدر عدوّ الفاطميين . وفي سنة ٩١٧ تخلى الجنود المغاربة عن احمد فتمكن الفاطميون من القبض عليه وقتله ، وبذلك عادت صقلية الى حكم الفاطميين

وقد اتخذ الفاطميون صقلية قاعدة يشن منها أسطولهم القويّ حملاته على الساحل الايطالي حتى جنوى التي غزوها سنة ٩٣٤ وغنموا مغانم كثيرة

وكانت الحالة الداخلية في صقلية بعيدة عن الاستقرار . الشعب منقسم طائفتين — العنصر الاندلسي والعنصر الافريقي — لا ينفك بينهما النزاع قائماً . ومما كان يزيده تعقيداً تلك الخصومة القديمة المتوارثة بين اليمنيين (وهم من جنوب شبه جزيرة العرب) والكلبيين (وهم من شمال الجزيرة)

وفي سنة ٩٤٨ عين المنصور ثالث خلفاء الفاطميين الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي حاكماً على صقلية (حوالي سنة ٩٦٥ م) فوضع الحسن أساساً لامارة مستقرة شبه مستقلة . وفي عهده وعهد خلفائه بدأت بذور الثقافة العربية تنتج ثمارها في تلك الجزيرة المتعددة الالسن المختلفة الاجناس . وبلغت الحضارة العربية أوجها في الجزيرة في عهد ابي الفتوح يوسف بن عبد الله (٩٨٦ — ٩٨) أحد أحفاد الحسن

وكان الامراء الكلبيون يعيشون في قصور باذخة في بلرم الزاهرة عاصمة أمارتهم . وكان بلاطهم عامراً بأهل العلم والادب . وقد وجد السائح الشرقي ابن حوقل (٩٤٣ — ٧٧) في بلرم أكثر من مائة وخمسين محلاً للجزارة وحوالي ثلاثمائة مسجد وعدّ ايضاً أكثر من ثلاثمائة معلّم في المكاتب العامة ولاحظ ان أهل المدينة كان يحلونهم محل الاحترام والاجلال ويعدونهم أتقى أهل المدينة وأفضلهم وذلك « رغماً عما هو معلوم عن معلمي المكاتب من النزق وقلة العقل »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد زالت أمارة الكلبيين بسبب الفتن والحروب الداخلية وعاد البيزنطيون الى الجزيرة غير انهم لم يتمتعوا بها طويلاً ، فقد لحقهم النورمنديون واستولوا على صقلية في ١٠٩١

* * *

وتحت حكم النورمنديين ازدهرت في الجزيرة ثقافة مسيحية اسلامية ، ترجع أصولها الى الشرق والى اليونان والرومان . ومع أن الكونت روجر فاتح الجزيرة النورمندي كان مسيحيًّا غير متثقف إلاّ انهُ اتخذ معظم جنده من المسلمين وشجع العلوم العربية وأحاط نفسه بالعلماء المسلمين من فلاسفة وفلكيين وأطباء . وكفل لغير المسلمين حرية العبادة واقامة الطقوس الدينية ، بل انهُ حافظ على الاداة الحكومية كما وجدها وأبقى كبار الموظفين المسلمين في مناصبهم . وكان الطابع الذي يتسم بهِ بلاطه طابعاً شرقيًّا أكثر منهُ غربيًّا . وبذلك استمرت صقلية قرناً كاملا في صورة فذة لدولة مسيحية يشغل المسلمون أكبر مناصبها. وفي هذا القرن ظلت مقاليد تجارة الجزيرة على الأكثر في أيدي المسلمين، كما كان الفضل في ازدهار الزراعة بها راجعاً الى خبرة الفلاحين المسلمين . وقد أدخل العرب في الجزيرة زراعة قصب السكر والكتان والزيتون وغيرها . وكان نبات البرديّ الذي لم ير له ابن حوقل نظيراً إلاّ في مصر يزرع بوفرة لم تعهدها الجزيرة من قبل . وقد زار ابن جبير صقلية في سنة ١١٨٤ فاستوقف نظره خصوبتها وكثرة مواردها ووفرة دوالي العنب وغيره من الفواكه

***

وقد بلغ الميل الى العرب ذروته في عهد روجر الثاني (١١٣٠ — ٥٤) وفي عهد فردريك الثاني

ولو بُعث امامنا روجر الثاني لوجدناه يرتدي ثياباً كثياب المسلمين ورداؤه مزخرف بحروف عربية . وكان خصومه يلقبونه بالملك نصف الكافر . وفي عهد حفيده وليم الثاني (١١٦٦—٨٩) رأى ابن جبير نساء بلرم المسيحيات مرتديات ملابس المسلمات ومما لا شك فيه ان مهرة العمال والصناع العرب استخدموا في بناء الابنية الهامة في صقلية . كما ان امراء البحر العرب هم الذين أشرفوا على بناء اسطول روجر وهو الذي اصبحت صقلية بفضله أقوى دولة بحرية في البحر المتوسط

ولكن ألمع جوهرة في تاج روجر الثاني كانت شخصية الادريسي اشهر جغرافي العصور الوسطى . وقد كتب الادريسي مؤلفاته النفيسة في بلرم تحت رعاية روجر الثاني. وكتابه المسمى « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » لا يلخص مؤلفات بطليموس والمسعودي فحسب بل يعتمد في اكثره على تقارير اصيلة دوّنها رجال ندبوا للسفر الى بلاد مختلفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لجمع المعلومات . ولم يكتف الادريسي بهذا المؤلف العظيم بل قدم الى روجر كرة سماوية وخارطة للكرة على شكل قرص . وكلاهما من الفضة الخالصة .

وكذلك كان بلاط فردريك الثاني عامراً بالعلماء من الشام وبغداد . واظهر اهتمامه بالعالم الاسلامي فسعى في انشاء علاقات سياسية وتجارية مع الدول الاسلامية . ولا سيما مع الملك الكامل الايوبي في مصر . وقد أرسل اليه الملك الأشرف من الشام قبة تمثل فيها الكواكب السيارة Planetarium مع صورتي الشمس والقمر وقد بين عليها بالساعات مواعيد دورانها . وتحدّى فردريك الثاني الملك الكامل وغيره من ملوك المسلمين في حلّ بعض المسائل الرياضية والدينية العويصة كما ارسلها الى ابن سبعين (أبو محمد عبد الحق بن سبعين ١٢١٧—٧٩) العالم المتصوف الاندلسي الذي كان يلقب بقطب الدين . وقد حلّ علماء مصر والشام المسائل الرياضية والفلكية وأجاب ابن سبعين على المسائل الفلسفية واللاهوتية في رسائل سماها « الاجوبة على الاسئلة الصقلية » وأبى اخذ الجائزة التي عرضها فردريك عليه

واستقدم فردريك مهرة مدربي الصقور للصيد . وكلف مترجمه تيودور الانطاكي ترجمة كتاب من العربية عن الصيد بالصقور وجعل هذا الكتاب مع كتاب آخر نقل له عن الفارسية اساساً لتأليف كتابه الكبير عن الصقور والاستعانة بها في الصيد . ويعد هذا الكتاب اول مؤلف حديث في التاريخ الطبيعي . وكذلك ترجمت في عهده مؤلفات ارسطو في علوم الحياة وكتابه في الحيوان مع تعليقات ابن سينا عليه . واول جامعة علمية مستقلة الكيان في اوربا هي الجامعة التي أسسها فردريك الثاني في نابولي سنة ١٢٢٧ ولعلها أمجد آثاره . وقد أودع في مكتبة هذه الجامعة مجموعة كبيرة من الكتب العربية وكان من ضمن المناهج فيها دراسة ارسطو وابن رشد . وأرسلت الجامعة نسخاً من تراجم مؤلفاتهما الى جامعتي باريس وكولونيا . فليس من المبالغة اذن في شيء اذا ارجعنا النهضة الايطالية الى هذه الروح العلمية في البحث والتنقيب وهي التي تجلت في بلاط هذا الامير المثقف

واذا استعرضنا تاريخ صقلية في ذلك العهد وتدبرنا ازدواج ثقافتها وموقعها الفريد بين الشرق والغرب خيل الينا ان القدر قد رسم هذه الجزيرة في البحر المتوسط كالبوتقة تلتقي فيها مختلف التيارات الفكرية ويشع منها ضياء العلوم . كان يعيش بها جنباً الى جنب عنصر يوناني يتكلم اليونانية وعنصر اسلامي يتكلم العربية وجم غفير من العلماء يتقنون اللاتينية وكانت هذه اللغات الثلاث شائعة الاستعمال في السجلات الحكومية وتصدر بها المراسيم كما كان التخاطب بها شائعاً بين سكان مدينة بلرم المتعددة الالسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي صقلية ترجم كتاب المجسطي اول ما ترجم الى اللاتينية من اليونانية رأساً . وترجم اوجين الصقلي الذي كان يدعى « الامير» والذي عاش في ابان حكم روجر الثاني وخلفه وليم الاول كتاب « البصريات » المنسوب الى بطليموس من العربية الى اللاتينية . كما اشترك أيضاً في ترجمة كتاب « كليلة ودمنة »

واشترك يهود صقلية في نقل الكتب من العربية الى اللاتينية . فمؤلف الرازي الضخم في العلوم الطبية ترجمه الى اللاتينية الطبيب اليهودي فرج بن سليم ونقلت عنهُ نسخ متعددة شاع استعمالها في القرون التالية . وبعض هذه الكتب ترجم مرة أخرى ترجمة أدق وأضبط في طليطلة بالاندلس . إلاّ أن مشاركة صقلية في حركة الترجمة كانت في المحل الاول من عظم الشأن إذ أن أمراء صقليـة من النورمنديين كانوا يحتلون أيضاً الجزء الجنوبي من ايطاليا فساعد ذلك على انشاء جسر انتقلت عليهِ الثقافة العربيـة الى شبه الجزيرة الايطالية وأوربا الوسطى . وهذا التسرب واضح في محيط الفن أيضاً وضوحهُ في محيط العلوم والآداب

فالمأذنة المربعة التي كانت شائعة في شمال افريقيا ومصر ألهمت الطراز الذي بنيت عليهِ أبراج الاجراس Campanile في الكنائس التي ترجع الى عهد النهضة الايطالية . وحتى بعد ان عادت صقلية الى حكم المسيحيـة بوقت طويل ظلّ الصنّاع والفنانون المسلمون محتفظين بشهرتهم ورواج صناعاتهم . ومصنع النسيج الشهير الذي أسسهُ ملوك المسلمين في بلرم ظلّ يموّن ملوك اوربا بأرديتهم الملوكية المزركشة بالعبارات العربية . وفي اوائل القرن الثالث عشر أصبحت صناعة نسيج الحرير أولى الصناعات في عدة مدن ايطالية وأخذت هذه المدن تصدّر الى نواحي اوربا المختلفة منسوجات كل مزيتها انها تقلد منسوجات صقلية

وكان التهافت على الاقمشة الشرقية كبيراً حتى ان الاوربي المتأنق لم يكن يعد نفسه حسن الملبس إلاّ اذا امتلك رداءً شرقيًّا واحداً على الاقل

والخلاصة ان صقلية كناقلة للثقافة الاسلامية الى أوربا تأتي في المنزلة بعد الاندلس مباشرة وتسبق الشام ابان الحروب الصليبية

(هذا المقال مستمد من كتاب فيليب حتي « تاريخ العرب »)

في التاريخ فترات كثيرة غلب عليها الخير ، وأخرى غلب عليهـا الشرّ . ولكن فترة واحدة منها لم تدم . ومن سوء حظنا اننا نعيش في فترة يغلب الشرّ عليها . ولكنها الى أمد وستنتهي . ولاريب في ان أمدها يقصر بقدر ما يبذلهُ كل فردٍ في سبيل الخير

(برتراند رسل)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف يحفظ الطعام

بتأثير الحرارة والبرد

الطعام عماد الحياة . لا غنى عنهُ في حربٍ أو سلم . والجيوش تزحف على بطونها . فقلة زادها كقلة سلاحهـا وعتادها . واذا كانت ضرورات الملاحة في هـذه الحرب قد حفزت العلماءَ ورجال الصناعة الى استنباط الأساليب الجـديدة في تجفيف الطعام فان القواعد التي يقوم عليها تبادل جانب كبير من مواد الطعام لا تزال قواعد حفظ الطعـام بتأثير الحرارة أو البرد لصونه من الفساد وتمكين المصدرين والمستوردين من نقله من بلدٍ الى بلد وحفظهِ الى أن يطلبهُ المستهلك . واذا دخلت في الأيام السوية دكاناً من دكاكين البقالة الكبيرة في القاهرة أو أية مدينة كبيرة أخرى رأيت في نواحٍ مختلفة من الدكان مئات من العلب ، تحتوي على عشرات من أصناف الاطعمة المحفوظة فيها . هنا السمك على أصنافهِ ، وأنواع من الحساءِ ، والفواكه والخضروات وغيرها . واذا كان الدكان منظماً على أحدث الاساليب ، كان لهُ غرفة باردة شديدة البرد ، يحفظ فيها كل ما يسهل تطرّق الفساد اليها . من هـذه الغرفة يستخرج لك البائع لحماً من استراليا ، تأخـذهُ فتراه غضّـا كأنهُ من ذبيح العاصمة وقد يفوقهُ نقاءً من الجراثيم . في هاتين الناحيتين من دكان البقالة الحـديث ، تتجلى القاعدتان اللتان قامت عليهما صناعة حفظ الطعام الحديثة . فالقاعدة الاولى المتمثلة في الاطعمة المحفوظة في العلب ، هي قاعدة استعمال الحرارة العالية . والقاعدة الثانية المتمثلة في اللحم الاسـترالي ، هي قاعدة استعمال البرد الشديد

والواقع اننا عندما نفكر في الموضوع ، يتضح لنا ، ان صـناعة حفظ الأطعمة ، وهي صناعة حديثة ، كانت من أهم العوامل تأثيراً ، في الأحوال الاقتصـادية في طائفة كبيرة من بلدان العالم . بل ان تأثيرها الى حدٍّ ما ، ظاهرٌ في جميع بلدان العالم قاطبة . إذ لا يعرف ، كيف يستطيع شعب كبير ، وخاصة شعب صناعي تجمّعت أكبر طوائفهِ في المدن بعيدة عن الارياف ، أن يتغذّى ، من دون الوسائل العلمية الحديثة ، التي تمكن الزارع والتاجر ، من تعقيم الاطعمة بالحرارة او تبريدها لحفظها من الفساد . وهذه الأطعمة تشمل الزبدة والفاكهة والخضراوات والسمك واللبن والبيض واللحم وغيرها من المواد التي يسهل تحللها أو تطرق الفساد اليها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فاختراع هذه الاساليب . مكّـن تجار الطعام ، من الاحتفاظ بمقادير كبيرة من اصناف كثيرة منهُ وفقاً للطلب ، وحال دون تقلب الاسعار تقلباً كبيراً ، بين كثرة العروض منها وقلتهِ . فلحم استراليا وزبدتها ، وتفاح كاليفورنيا ، وسمك السلمون من اسكتلندا والولايات المتحدة الاميركية ، وغيرها في متناول يدنا دائماً — في الأيام العادية — مع انها ليست العناصر الاساسية التي يقوم عليها غذاؤنا في هذه البلاد

كلُّ هذا انما هو ثمرة الظفر الذي أحرزناه ، على ميكروبات التعفُّن

أدرك الانسان البدائي، ظاهرة التعفن في الاطعمة ، فعمد من عصوره الاولى الى تجفيف اللحم والسمك وتدخينهما وتمليحهما . وعرفت الاقوام الزراعية أسلوباً لحفظ اللبن ، بتحويلهِ الى زبدةٍ وجبن . وادرك الفلاحون ان خير طريقة لحفظ الحبوب من التعفُّن ، هي حفظها جافة لا تتطرق اليها الرطوبة . وتعلمت ربات البيوت حفظ بعض الخضراوات . بنقعها في الخل او تجفيفها، والفواكه بتسكيرها أو عمل شراب منها

فطريقة التجفيف هي الطريقة الطبيعية لحفظ الاطعمة . وهي أقدم الطرق كما تقدَّم. ذلك ان المكروبات التي تحدث التعفن ، من فصيلة الكائنات الدنية التي لا تعيش ولا تتكاثر من الرطوبة . فتجفيف ما يمكن أن تعفنهُ أو تدخل اليهِ الفساد ، يقيهِ بعض الشيء منها

وتستعمل طريقة التجفيف كذلك في حفظ بعض الخضراوات والثمار . فيجفف العنب والتين في الصيف والخريف للاستعمال في الشتاء وتجفف البامياء والملوخية مثلاً في فصلها، لتطهى في الفصل الذي لا توجد فيه غضة طرية . وهذا التجفيف يتم بتعريض الثمار أو الخضراوات للشمس . ولكن طرقاً مختلفة استنبطت للتجفيف بالصناعة . كطريقة امرار الهواء الساخن فوق ما يراد تجفيفهُ . او التجفيف في الفراغ . ولكن العنب الذي يجفف بهاتين الطريقتين، لا يماثل في نكهتهِ العنب الذي يجفف في الشمس . الاّ ان طريقة التجفيف قد افرغت خلال هذه الحرب على وجه خاص في قالب جديد بسطنا اساليبه وفوائده في مقال نشرناه في مقتطف فبراير ١٩٤٣ صفحة ١٣١ — ١٣٦

ويلي طريقة التجفيف لحفظ الاطعمة، طريقة استعمال المواد الكيميائية التي تقاوم الفساد. والمادة الغالبة في هذا الميدان هي مادة ملح الطعام ، لرخص ثمنها . ثم انها متصفة بقدرتها على قتل الجراثيم ، وبفائدتها للجسم الانساني اذا أُخذت في مقادير معقولة معتدلة . فبعض اصناف السمك واللحم يكفي لحفظها ، ان تنقّى وتملّح . وفي بعض الاحيان تدخّن أي تعرَّض للدخان الصاعد من خشب يحترق . لان في دخان الخشب مادة كيميائية ، تدعى كريوزون تساعد على حفظ الطعام المعرّض لها . ومع ان الكريوزون مادة سامة الاّ ان تعريض بعض اللحوم لها ، لا يجعل هذه اللحوم ، عسرة الهضم على ما يظهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومنذ ما اكتشف باستور العلامة الفرنسي الكبير ، ان التعفن سببهُ فعل الكائنات الحية الدقيقة التي تعرف باسم المكروبات ، زاد استعمال المواد الكيميائية في حفظ الاطعمة زيادة عظيمة واتسع نطاقهُ . وأهم هذه المواد المستعملة، الحامض البوريك، والبوراكس أو محلولات منهما ، والحامض السليسيليك ، أو مادة الفورملدهيد أو بعض مركبات الكبريت . فالحامض البوريك والبوراكس يستعملان كثيراً في حفظ اللبن والزبدة والقشدة وبعض أنواع اللحوم والسمك . أما الحامض السليسيليك ، وهو عقار خطير ويوجد في المشروبات الروحية غالباً ، فيستعمل في حفظ المربَّيات . والفورملدهيد في حفظ اللحم . وهذه المادة الاخيرة سامة ، ثم انها تتحد بمادة معيَّنة في اللحم فتجعلهُ عسر الهضم

ويقال ان ساكن المدينة ، يتناول في خلال يوم واحد ، وعن طريق الاطعمة المختلفة المحفوظة التي يأكلها ، جرعة كبيرة من الحامض البوريك ، وان ذلك في مقدمة البواعث على تفاقم ادواء المعدة ، وما يتلوهُ من تعب الاعصاب

يضاف الى هذا ان استعمال المواد الكيميائية ، يجعل الطعام المحفوظ بها ، وكأنهُ جديد طازج ، حالة انهُ في الواقع أخذ يفسد ويتعفَّن

ولكن استعمال المواد الكيميائية لحفظ الطعام ، أصبح غير ضروري الآن ، لأن العلم الحديث قد كشف طرقاً جديدة لمنع التعفُّن، من دون أن تضرّ بالصحة . ففي الطريقة الأولى تقتل الجراثيم التي تحدث التعفّن بالحرارة . وفي الطريقة الثانية يمنع فعلها الضار بالبرد الشديد

***

يقال ان مخترعاً فرنسيًّا يدعى « آپير » Appert كشف سنة ١٧٩٥ طهي اللحم حتى يتعقّم ثم تغطيتهُ حتى لا يتلوّث ، فوضع الاساس لصناعة حفظ الطعام الحديثة . وقد كان لهذا الكشف شأن كبير من الناحية الحربية ، حتى ان نبوليون أجازه عليهِ باثني عشر الف فرنك ، لأنهُ حلَّ لهُ بذلك ، مشكلة إطعام الجيش . وقد استعمل آپير ، آنية من الزجاج والخزف ، لحفظ الأطعمة التي عولجت بطريقتهِ المتقدمة الذكر . ولا تزال آنية الزجاج والخزف خير ما يستعمل لهذا الغرض . ولكن سهولة تكسُّرها ، وغلاء ثمنها ، حالا دون ارتقاء صناعة حفظ الأطعمة واتساع نطاقها . فلما استنبطوا في أميركا علب الصفيح ، التي يسهل صنعها بالآلة ، ازدهرت صناعة حفظ الأطعمة وأينعت،وها هي ذي مئات العلب المرصوفة على رفوف البقالين ، في جميع أنحاء العالم ، محتوية على عشرات أو مئات من الأصناف ، أبلغ شاهد على هذا الارتقاء

والغالب في هذه الناحية من صناعة حفظ الاطعمة ، أن يقدَّ اللحم مثلاً قدداً بطول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العلب التي يحفظ فيها ، وترصف القدد في العلب ، ثم تغطى العلب وتُلحم ، ولكن يبقى فيها ثقب صغير . ثم تؤخذ هذه العلب ، وتوضع في حجرة خاصة ، وتقفل الحجرة اقفالاً محكماً ، ثم يطلق فيها من الداخل عن طريق صمام ، بخار الماء حتى يبلغ ضغطه داخل الغرفة درجة معينة . هذا البخار يحمي العلب وما فيها تحت ضغط شديد فيميت ما فيها من المكروبات . ثم تؤخذ العلب علبة علبة . ويسد الثقب الصغير الذي فيها ، بقطرة من اللحام المصهور . واذا لاحظ القارىء احدى هذه العلب التي تحتوي على الحبوب أو الفاكهة او اللحم أو السردين ، ظهر له المكان حيث وضعت قطرة اللحام المصهور لسد الثقب

على هذا النمط تعد معظم الاطعمة المحفوظة بطريقة الحرارة

ولكن اعداد السمك بهذه الطريقة ، يحتاج الى زيادة من العناية ، لأن تعفنه وتحلله أسهل وأسرع من تعفن الاطعمة الاخرى وتحللها . في صناعة حفظ السمك المعروف باسم سمك السلمون salmon يغسل السمك اولاً بماء بارد جداً ، ثم ينقى ويغسل ثانية ، ثم يقطع قطعاً قطعاً بآلة خاصة ، ثم يوضع في العلب ، ويعرَّض لحرارة عالية . بل ان هذه الحرارة تبلغ من الشدة مبلغاً يؤثر في عظام السمك نفسها ، ولذلك عندما يشتري القارىء علبة تحتوي على سمك السلمون يرى العظام مفتتة او تفتيتها من أسهل ما يكون . وتعرض علب السلمون على هذا المنوال مرتين ، تفحص بينهما فحصاً دقيقاً ، ثم تختم وتلصق عليها البطاقات وتوزع

ولا بدّ من كلمة في هذا المقام عن التسمم الناشىء عن بعض الأطعمة المحفوظة وهو ما يعرف بالتسمم « التوميْني » Ptomaine ويعزى هذا الضرب من التسمم في أقوال بعضهم الى تفاعل يقع بين حوامض الطعام المحفوظ ومعدن العلب التي يحفظ فيها . ولكن العلماء يشكون في مقدرة الطعام المحفوظ على ان يتناول من معدن العلب ، مقداراً كافياً للتسميم ، بل يرجحون ان السم الذي يوجد احياناً في بعض هذه العلب ويحدث اصابات التسمم « التوميني » . سببه عدم تعقيم العلب ومحتوياتها تعقيماً تامًّا . وهذا القول يصح على العلب الكبيرة اكثر مما يصح على العلب الصغيرة ، لأن تخلل حرارة البخار الى داخل العلب الكبيرة أصعب كثيراً من تخلله الى داخل العلب الصغيرة . ولا يخفى ان لبعض المكروبات أغشية ، تجعلها منيعة فتحتمل درجات عالية من الحرارة ، وواطئة من البرد ، فاذا زالت الحرارة تأخذ في التكاثر فتفرز سمومها في خلال تكاثرها

أما القاعدة الثانية من قواعد العلم الحديث ، لحفظ الطعام فهي قاعدة التثليج او التبريد ولعلّ القراء يذكرون فلماً رأيناه في القاهرة من سنوات ، مثل فيه پول موني ، وكان اسمه « العالم يتغير » The World Changes

في هذا الفلم كان پول موني، او الشخص الذي يمثلهُ — تاجراً شهيراً من تجار اللحم. وكانت مشكلتهُ في توسيع نطاق تجارتهِ — انهُ لايستطيع ان يرسل بلحمهِ بعيداً عن مقرّ عملهِ لانهُ يتعفّن ويفسد، الى ان خطر له ، ان يجعل كلّ عربة من عربات القطارات التي تنقل اللحم ثلاّجة قائمة بنفسها تسير على عجلات وراءَ القاطرة . وبذلك استطاع ان ينقل لحمهُ الى حيث أراد . وقد كان پول موني في تمثيلهِ عند ما بدأت هذه الفكرة تتضح له من أبرع وأعجب ما يكون

وليس الغرض من هذا المقال بحث أساليب التبريد والتثليج المختلفة بحثاً مسهباً فالمجال لا يتسع لها ، وحديثها فنيٌّ دقيق لا يصلح فيهِ الاّ دراستهُ في كتب العلماء . ولكن الغرض أن نقول ان أساليب التثليج والتبريد قد أُتقنت اتقاناً لامزيد بعده، وتأثير التبريد والتثليج في اللحم وغيره من الاطعمة التي من أصل حيواني او أصل نباتي ، قد درست كذلك دراسة وافية ، فأصبحنا نشتري في القاهرة — في أيام السلام — لحم أغنام أو أبقار ذبحت في استراليا أو الأرجنتين ، وتفاحاً وموزاً قطفا في كليفورنيا ، او فلوريدا ، وزبدة صنعت في أستراليا او الدنمارك . فالمصانع الرئيسية فيها الثلاجات الوافية ، والسفن والقطارات كذلك ، ودكاكين البقالين . فهذه السلسلة من الثلاجات القائمة على أساس من العلم الحديث تحفظ هذه الاطعمة ، من مصدرها الى ان نتناولها طهياً وأكلاً

وقد قرأنا في كتاب علميّ ، ان الثلاجة المتقنة تستطيع ان تحفظ اللحم الطريّ ، اثني عشر شهراً او اكثر ، ثم تخرجهُ من هناك وتأكله فاذا هو كاللحم الغضّ (الطازج) . نعم ان الناس بوجهٍ عام ، لا يزالون متأثرين ، بما وقع في صناعة تثليج اللحم في بدئها من الأخطاء ، فيأنفون من أكلهِ ، ولكن اذا أتيتهم بلحم أسترالي او أرجنتيني محفوظٍ وفقاً لأحد أساليب التثليج والتبريد ، أكلوه بشهية ووجدوه سهل الهضم طيّب النكهة . وقد عينت من سنوات لجنة في انكلترا ، مؤلفة من رجال العلم ، فأخذت من دكان جزار قطعتين من اللحم احداهما من لحم أسترالي محفوظ بالتبريد ، والأخرى من لحم طازج ، من دون ان تعلم او يقال لها أي قطعة هي اللحم الاسترالي ، وأي قطعة هي اللحم الانكليزي الطازج ، فلم تستطع ان تعرف احداهما من الاخرى ، الاّ بعد بحث مكرسكوبيّ . وهذا البحث المكرسكوبي ، لا صلة له بصلاح احداهما وفساد الأخرى ، ولكن اللحم المحفوظ ، تتأثر خلاياهُ ، ببلورات الجمد التي تتكوّن فيهِ عند تثليجهِ فتميّز عن الأخرى

هذا قليل مما نفحنا بهِ العلم التطبيقي الحديث ، في موضوع غذائنا . والعلم التطبيقي قائم أبداً على العلم النظري ، فلولا دراسة تأثير الحرارة في الميكروبات ، وتأثير البرد فيها ، ومعرفة القواعد العلمية اللازمة لصنع الثلاّجات واتقان صنعها بأساليب شتّى ، لما كان لنا شيءٌ من هذا كلهِ

عيناكِ

لعدنان مردم بك

ضحكتْ بعينيك الحياة فأرسلتْ ... عيناكِ من قبس الحياة شهابا

عشيتْ بمرآه العيون فأطبقت ... أجفانهـــا وتفتحت اعجابا

وترنحتْ منا القلوب وصفقت ... كصريع خمرٍ لو أصاب شرابا

فوقفت أروي عن عيونك سورةً ... نفث الصبا فيها هوًى وشبابا

في كل لحظٍ من لحاظك آيةٌ ... تغري القلوبَ وتفتن الألبابا

عيناكِ أفق واسع عصفت بهِ ... حمى الشباب فصيّرته عبابا

تتلاطم الشهوات في أرجائه ... غضبى فتقذف أسهماً وحرابا

عيناكِ بحر ليس يسبر غوره ... عجز الحكيم بأمره فتغابى

صورٌ من الأحلام تبسم تارةً ... وتصد آونة أسى وعتابا

وقف المحبُ أزاءها متحيراً ... لا يستطيع النطق والاعرابا

***

اني لألمس في عيونكِ صورة المـــاضي ... وعهداً باسماً خلابا

وأرى الزمانَ خلال هدبكِ مونقاً ... والعمرَ غضًّا والحياة شرابا

وتطوح بي الاوهام حتى انني ... لأخال عينكِ عن صباي كتابا

***

ما بال عينكِ غاض ماء معينها ... وغدت مغاني الانس منك خرابا

أسفاً أتخبو من عيونكِ جمرة ... كانت لنفس الحائرين شهابا ؟

نفث الأسى في مقلتيك سمومه ... فغدا الشباب بناظريك سرابا

إني وان لم أجنِ من ثمر الصبا ... الاّ البكاءَ المرَّ والأوصابا

ليسوءني ان تنطوي اعلامه ... ويحول مغناه الوسيم تبابا

دمشق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الديمقراطية والأخلاق

للدكتور منصور فهمي بك [1]

مدير دار الكتب الملكية المصرية

١ — ﴿ تمهيد ﴾ يحسن أن نتبين من عبارة «الديمقراطية» مدلولها وحدودها ، ففي تحديد معاني الكلمات خير عون على توضيح الحقائق العملية . وحين يفهم معنى اللفظ المتداول على وجه من الوجوه ، ثم يتغلغل هذا الفهم في قوى النفس المريدة الفاعلة ، فان أثر ذلك يبدو جليًّا في تقدير قيم الحياة وشؤونها . ومن ثمَّ في أخلاق الناس ومسالكهم

تذكر كلمة « الديمقراطية » ، ويتردد صداها في الجماعات ، وحول الاسماع وقد يختلف ذاكروها وسامعوها في فهم معناها باختلاف طبقاتهم وثقافاتهم . حتى انهُ ليلوح أحياناً للبعض من معناها محاولة اضعاف الفوارق التي فرضتها الطبيعة بين ضروب الناس ، وهيأتها فيهم ملابسات الحياة الاجتماعية ، بل لقد يذهب منهم من يحاول محو الفوارق كل المحو الى حد القول بتعميم المساواة فيما يصير الى الناس من أمور الحياة جميعاً

وقد يخيل الى بعض الناس كذلك ان «الديمقراطية» هي اتجاه الى التوسع في معنى الحقوق الفردية ، حتى ليذهب بهم هـذا التخيل الى استساغة الافراط في استباحتهم شتى الحريات ، وفكاكهم من قيود الآداب كلما استطاعوا الى ذلك سبيلاً

وقد يبدو لبعض الناس أيضاً ان « الديمقراطية » تؤدي الى الخروج على كل سلطان سواء أروحيًّا كان هذا السلطان كسلطان الديانات والعقائد ، أم مستمدًّا من الحياة الاجتماعية والنفسية كسلطان الأب والمعلم والحاكم ومن اليهم من ذوي السلطان الذي تفرضه طبيعة الوجود

ومهما يكن من تباين الأفهام ، على دقتها أو بساطتها ، في تحديد معنى « الديمقراطية » في تخيل حدودها ، بل ومهما يكن بُعد الفهم أو قربه من العلم بهـا على نحو ما يفقه أهل الذكر وطلاب الحقائق ، فان فهمها على أية صورة لابد أن يؤدي الى ما فيهِ تقوية شخصية الفرد ، وابرازها في ميدان الحياة الاجتماعية مؤيدة بنزعات الحرية والاستقلال ، على انه ليس ينبغي أن يعوَّل في فهم «الديمقراطية» على ما أشرنا اليهِ مما يجري في سواد الناس ويتناقله الجماهير . ولكن ينبغي أن يعول على ما يدرك المحققون ويطمح اليهِ المثقفون ممن يتقرون سير الفكر البشري ويتتبعون تاريخه في تقديره لمعاني «الديمقراطية» الحقة وصلتها بالأخلاق

(١) محاضرة ألقيت في الجامعة الاميركية في القاهرة في سلسلة « الديمقراطية والعالم »

﴿ ضروب الديمقراطية والاخلاق ﴾ وقبل أن نخوض في صميم الموضوع يجب ألاّ نغفل ما هنالك من ضروب شتى من الديمقراطيات وما هنالك أيضاً من ألوان متباينة للاخلاق . فقد توجد ديمقراطية اقتصادية ، وثانية سياسية ، وثالثة دينية . وقد تختلف الديمقراطية السياسية في بعض البلاد عنها في البعض الآخر ، فديمقراطية اميركا قد تغاير ديمقراطية الانكليز وكلتاهما مغايرة للديمقراطية في فرنسا ، أو في روسيا ، أو في غيرهما من الممالك والأمم . وقد نجد في بعض الديمقراطيات أن اللون الانساني أنصع من اللون القومي ، كتلك الديمقراطية الفرنسية التي تقررت في الثورة الفرنسية الكبرى وعلى العكس من ذلك نجد اللون القومي أشد نصاعة في بلاد اخرى . وكذلك الشأن في الأخلاق ، فهي تتمايز في بعض ألوانها على الرغم من وحدة الأسس والأصول فقد تطبع الثقافة الانكليزية اخلاق الانكليز بطابع يميز مسالكهم عن مسالك الفرنسيين ، وقد تطبع الثقافة الاسلامية أهل الاسلام بطابع يتميز عن طابع الغربيين في أخلاقهم أو الصينيين او أهل اليابان

ونحن في حرصنا على ألاّ يتشعب الحديث نقصر القول فيما يلوح لنا من صورة محببة للديمقراطية تقارب بين اشتات الناس والطبقات في الثروة وفي بعض متع الحياة ، وتتوافر اخلاق العدالة والغيرية والتراحم والتعاون ، وتتأكد عند افرادها الراشدين أوضاع عقلية ووجدانية تؤهلهم للاشتراك في امور الجماعة التي ينتمون اليها ، وابداء الرأي المستنير في تقدير الصالح العام ، مدفوعين الى ذلك بعاطفة صادقة ووجدان .

وكذلك نقصر القول في صورة من الأخلاق تجتمع فيها الاصول الأولى على ما هو متفق عليه في تعاقب الازمان والعصور ، وفي اختلاف البيئات والشرائع والعقائد والفلسفات. ولعلَّ هذه الصورة من الديمقراطية ليست من نسج الخيال وحده ، فقد استطاعت بعض البلاد الاوربية كسويسرا والدانمارك والسويد والنرويج ان تحقق منها الجانب الكبير . ولعل ما نقصد اليه من الاخلاق المرجوة يبدو فيما هو متفق عليهِ في الديانات من اخلاق الرحمة والحنان والعدل والاحسان والتعاون والتضامن والتآخي بين الناس . وكذلك في الاخلاق المدنية الفاضلة التي تلازم روح التقدم والحياة الديمقراطية الصحيحة

ولكي نمعن في حصر الحديث حول الديمقراطية ، نجتزىء في بحثنا بصورة من صور الديمقراطية السياسية التي قد يكون لها أفعل الأثر في تحقيق الصورة المتقدمة ، حينما تحدد هذه الديمقراطية السياسية بأنها حكم جميع الأفراد الراشدين في جماعة ما لشؤون انفسهم وعملهم في سياسة مصالحهم المشتركة اذ يشتركون في هذا الحكم ، ويسوسون هذه المصالح. فالجماعة الديمقراطية توجب اذن ان يضطلع الجميع بمهام الحكم مباشرة او بالواسطة ، واذن فهي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تدع لهم ان يضعوا النظم والقوانين والمناهج التي يريد افراد الجماعة او أكثرهم انتهاجها لصالح المجموع ، ويرون في تلك المناهج ما يرضيهم لانهُ فيها الحق والعدل والسعادة والخير في هذه الحياة الدنيا . ويستخلص مما تقدم ومما نتخيلهُ من صورة الديمقراطية المعقولة ان أشد الأخلاق صلة بها هي تلك التي تعين على تحقيق المصلحة العامة المشتركة التي تجمع بين خير الأفراد المتضامنين في وحدة من الوحدات الاجتماعية فما هي اذن أهم الأخلاق التي يجب ان يتخلق بها الأفراد جميعاً ليساهموا في خير المجموع ؟

لعلها كثيرة ، فمنها خلق الغيرية والعدل والرحمة والسخاء والقناعة والواجب واتقان العمل وغير ذلك . وأحسب ان جماع تلك الأخلاق اللازمة للديمقراطية هو العدل والغيرية

ومما يجب ان نلتفت اليه هو ان هذه الاخلاق ليست كلها من عمل الفطرة والطبيعة ، فكثير منها من كسب التربية والارشاد وتوجيه الحياة الاجتماعية ومن ثمَّ فالصلة قوية بين التربية والاخلاق وبين تغلغل الحياة الديمقراطية في أمة من الامم . لأن الفرد الانساني الذي يتربى من المهد الى اللحد وتستقيم نظراته في الحياة بما يصل اليه من التربية والتهذيب ، وتتلوّن أخلاقه طوعاً لمختلف المؤثرات — هذا الفرد خليق بأن تنسجم أخلاقه التي ينشأ عليها مع مطالب الحياة الديمقراطية التي تنتهي على الجملة الى التوسع في تقدير حقوق الفرد وتقرير واجباته أصح تقدير وتقرير

﴿ اكتساب الخلق الديمقراطي ﴾ وما دمنا قد قررنا ان أكثر الأخلاق اكتسابي ، فلنبحث اذن في خير الطرق والوسائل التي يغنم الفرد بها خلق العدالة وخلق الغيرة . وليس من شك في ان بيئة البيت والاسرة والقدوة الحسنة ، كل ذلك له عظيم الاثر في تلوين أخلاق الفرد ، ولكني أتجاوز الآن هذه البيئة البيتية لأخطو الى البيئة المدرسية وأثرها في الأخلاق ما دامت مصر قد أصبحت تقدر كما يقدر غيرها من البلاد الراقية قيمة التعليم العام والتربية وحق أبنائها فيهما ، وما دامت تحاول سوق ناشئتها جبراً الى هذا التعليم العام منذ فتوة السن لكي تهيء هذا النشء للقيام بالواجبات يعملون لها في جماعة متضامنة ووحدة متماسكة . فالواجب الأول على المدارس اذن أن تثقف العقول بقدر من العلم والمعرفة الصحيحة الثابتة الواضحة تعين الافهام على الاصابة في الحكم على أمهات المسائل الاجتماعية والحقوق الفردية . وفي الوقت نفسه تؤكد هذه المدارس في نفوس الناشئين بمختلف طرائقها في التربية قيمة الفضائل اللازمة للديمقراطية وتعمل على ان تروضهم عليها بشتى الوسائل

ولكي يكون الفرد في أمة ما غيريًّا عادلاً يجب أن يفهم أولاً معنى هذه الغيرية ويدرك قيمة ذلك العدل . وهل يفهم ذلك اذا خلا عقلهُ من ثقافة ذهنية واسعة وعلمية ناصعة ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تعين على تقدير ما ينبغي تقريره من هذه الاخلاق ؟

﴿ التربية العقلية والاخلاق ﴾ فأي ضروب العلم أعود بالنفع لتقدير الغيرية والعدل؟ وأية المعلومات أكفل بخلق ذهن منطقي صحيح الادراك يهيمن على مسلك الفرد ويهديه في حياته الاجتماعيــة العامة ؟ وأية الدراسات أجمل أثراً في تهيئة الفرد لحسن التفكير وتنوير البصيرة في ميادين العيش ؟ انهُ بالعقل وحسن التفكير يتسنى للمرء ان يميز بين قيم الغايات التي يتخذها أهدافاً له ، وبالعقل وحسن التفكير يتعرّف المرء أقرب الطرق وأيسرها الى ما يبلغه هذه الغايات والأهداف . واذا كان الخلق يستخدم في التزام السبيل الموصلة الى الغاية فان العقل والتفكير هو المرشد الاول الى هذه السبيل . فاذا كانت مكانة العقل من الخلق على هذا النحو فأول الواجبات اذن أن يتربى العقل ويهذب بحيث ترتفع عنهُ كل غشاوة تحول دون حسن التمييز . وعلى هـذا يجب ان تكون التربية العقلية حائلة بين الفرد وبين كل ما يحجب عنهُ معاني الحق والعدل والغيرية . وعلى الجملة تكون التربية منطقية علمية تبنى على ما لا يقاوم من اليقينيات والمشاهدات والتجارب المقنعة والحق الواضح وحب الحق الواضح

ولعلهُ يبــدو عسيراً ذلك الطموح الى صقل عقول الافراد جميعاً في أمة من الامم ، وتوفير الصحة والسلامة في فطرهم وأفكارهم ، بحيث يلتزمون الحق والعلم الصحيح والعدل والغيرية ، مما تطمئن بهِ الحيــاة الديمقراطية اطمئناناً وتتأكد . ولعلّ مرجع ذلك العسر الى انهُ ليس من الهين أن يكون لجميع الافراد حظٌّ متساوٍ من نتائج العلم والعرفان يبصرهم بمسائل الاجتماع ومصالح الحياة المعقدة المتشابكة . ذلك لأن الناس ليسوا سواء في الذكاء ، وان كانت حظوظهم منهُ متقاربة ، وقد تكون الملابسات المحيطة ببعضهم مغايرة لما يلابس البعض الآخر في تهيئتهم لقبول النتائج العلميــة والاقبال عليها . فمن شؤون صحية تداخل الفرد ، الى شؤون نفسية أو اقتصادية تحول بينهُ وبين ما يراد له . على انه اذا كان التساوي عسيراً بين مختلف الأفراد في الذكاء وتحصيل العلم وتنوير البصيرة وفهم الأمور الاجتماعية العويصة ، فان من اليسير أن يتقاربوا في تقدير ما يجيء بهِ اهل الذكر والخبرة من الآراء . فالحياة الاجتماعية الراقية تمتاز بتنوع في الأعمال وتزايد في الاختصاص ، فان قدر لكل فرد من الأفراد في الحياة الديمقراطية أن يطمئن الى عمل المختصين فيما اختصوا بهِ ، كانت النتيجة أن تقدر الجماعة قيم النشاط في مجموعها وأن يتلاقى الجميع في حسن تقدير هذه القيم التي تعود على مجتمعهم بالخير والتوفيق . وهنا ترسخ فكرة التضــامن بين شتى الطبقات وذوي الاختصاصات ، ويتأكد شعور الأفراد بحاجة بعضهم الى بعض ، ويتواصلون مع تفاوت مراكزهم في الفهم وتباين وجهاتهم في الأعمال ، وتظهر إذن حرمة النظام . وكل ذلك من أجلى مظاهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الديمقراطية الصحيحة التي تنتهي بالفرد الى أن يكون للجماعة، وتنتهي بالجماعة الى أن تكون للفرد

﴿ مختلف المعلومات والأخلاق ﴾ وربَّ سائل يسأل ما هي المقادير العلمية التي أشرت الى ضرورة تلقينها لتكوين الفكر المستنير في بيئة ديمقراطية ، ولانشاء جماعة تلتقي في المعرفة العامة الى حد مشترك بين الجميع ، دون أن يكون جميع أفراد تلك الجماعة علماء مختصين أو خبراء متفقهين . والجواب عن هذا السؤال يقحمني في ساحة التربية حيث تتلاطم الآراء والنزعات ، وتتنازع التوجيهات والارشادات فحسبي أن ألمع دون تفصيل الى ما يجب أن يكون عليهِ الفرد من ثقافة عامة يمكن أن تستخلص مما يلقن في التعليم الابتدائي وبعض ما في التعليم الثانوي ، بشرط أن يتخذ لوناً جديداً من العرض والايضاح والتيسير ، فاذا أضيف الى هذا ثقافة المجلات والمحاضرات العلمية وغيرها من النشرات والاذاعات التي تبصر الناس بحقائق الحياة ، أمكن أن يجتمع من ذلك كله غذاء صالح لتنمية ذهن الفرد وحبه للحقيقة وتعويده احترام الحق والعدل مما يمكن فيه الخلق ، ويجعله صالحاً للقيام بقسطه في محيط ديمقراطي رشيد يتداول أهله الرأي في حرية واستقامة وسداد ، فتمضي الجماعة متساندة الى تحقيق آمالها الجسام في تطور طبيعي جدير بالديمقراطية الحقة البعيدة عن تيار الثورات الجارفة

﴿ الدين وتربية القلب ﴾ واذا كان في تعميم التربية العقلية ما يعين على الحق ومن ثمَّ على الخير ، حين تعد العقول لقبول الاحكام الصحيحة ، فانه لا بد مع ذلك من تربية القلب والوجدان . والحديث في تربية الوجدان يطول ويتشعب كما يطول الحديث في التربية العقلية ويتشعب ، حالة ان المقام مقام ايجاز وحسبي القول بأن الدين كان منذ القدم أكبر مستودع تستمد منهُ التربية الوجدانية السامية . ففي تاريخ الديانات أنها جميعاً تنهى عن العدوان الشخصي على اختلاف صوره ، وتحض على النظام والاستقامة ، وتوجه الى محبة الغير والاحسان والتراحم وغير ذلك من الفضائل التي أجمعت عليها شتى الديانات ، فيجب ان تجري هذه الفضائل في النفوس مجرى الدم في العروق ، وتسيطر على النزعات حيث تسيطر العقائد على توجيه الافعال . وان شيوع هذه الفضائل لازم للانسانية ديمقراطية وغير ديمقراطية ، ولكن هناك فضائل أوجب وألزم للصبغة الديمقراطية وهي ما اصطلح على تسميته بالفضائل المدنية التي ترمي الى تمكين صفته الاجتماعية بين الناس وتسويد خلة التضامن بين الافراد حين يعيشون جميعاً لخيرهم جميعاً . فادراك ذلك إدراك للغيرية التي استوجبناها للحياة الديمقراطية الصالحة ·

﴿ الفضائل المدنية ﴾ ويلوح لي انهُ يتحتم في تقدير معنى الغيرية ان يعرف الفرد أولاً حقهُ الشخصي وواجبه حيال نفسه ، وذلك يقتضي استكمال شخصيته بالتربية الاستقلالية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التي تؤهل نمو الذات بما فيها من قوى ومقدمات واستعدادات خاصة، لخير المجتمع ولحاجات التضامن الاجتماعي ، ولهذا يجب أن يسود تقدير قيمة الحرية ويسود خلقها عند الافراد ، ويجب أن ينعم في ساحتها هؤلاء الافراد ويتمتعوا ، على أن يحسنوا كيف يكون الوقوف عند حدود هذه الحرية ، لأن الحرية المطلقة لا وجود لها ولأنها وهم وخيال ، أما الحرية السليمة فهي مقيدة بالحق والعدل وتجنب الهوى والعمل للواجب والصالح العام ، ومقيدة قبل كل ذلك وبعده بالغيرية التي هي الفضيلة المنشودة في الحياة الديمقراطية

ومتى كان الفرد المثقف ثقافة مقبولة في جماعة ديمقراطية ذا شخصية مستقلة حرة ، دون ان يتجاوز حدود هذه الحرية التي يبيحها هدى المنطق وفطرة الله ، فانه يصبح قوة من القوى العاملة وهمة من الهمم الوثابة في الجماعة . وتحتاج الهمم والقوى العاملة المتوثبة الى تنسيقها في سلك النظام واخلاق النظام . ومن مقتضيات النظام خلق الخضوع للقوانين وما يشبه القوانين من سيطرة القوانين المحترمة . وكذلك مراعاة الحرمات لذويها واعطاء كل ذي حق حقه ، وكذلك خلق الوطنية ، حين تكون الوطنية تآلفاً وتجمعاً بين الأفراد المتلاقين على مصلحة جماعة ما في بيئة ما ، وهوى يربط الفرد بوطنه ويربط الوطن ببنيه ، دون ان يشاب ذلك بكراهة وبغضاء للجماعات المتغايرة في البيئات المتغايرة ، لأن الوطنية المشوبة بالكراهية والبغضاء وطنية مزيفة تشبه أنانية الأنانيين . وفوق ذلك لا بد من أخلاق أخرى تمت الى هذه الأخلاق الدنية لا ينفسح المجال لتفصيلها الآن

﴿ لزوم الدين للديمقراطية ﴾ ويبدو لي في خاتمة القول ان الهدايات الخلقية الكبرى التي وصلت الينا من طريق الديانات ، أراها مطابقة لمقتضيات المنطق المنزه عن الشوائب ، فهي اذن جديرة بكل رعاية وعناية واحترام ، وان في المسيحية والمحمدية وآثارهما والمأثور من تراثهما الخلقي ما يتناسق مع مطالب الديمقراطية المعقولة ، حين تتجه الديمقراطية الى التوسع في الحريات لمصلحة الجماعة وحين يحد الدين هذه الحريات طوعاً لما يتطلبه الصالح العام . فالديانات تأمر بالتواصي بالحق والعدل والتراحم والنظام وما الى ذلك من فضائل ، والديمقراطية الحقة السليمة لا تقوم الا على مثل هذه الأخلاق . وبما ان الدين مرانة للعقيدة فان الديمقراطية تقوى وترسخ كلما كانت متصلة بالقلب والعقيدة

ويلوح لي أن مصر تكسب كسباً عظيماً اذا اصطبغت اتجاهاتها الديمقراطية بصبغة الدين والاعتقاد ، فمصر صاحبة ماضٍ ديني طويل المدى في أغوار التاريخ ، وللدين في الامة المصرية مكانة مرموقة . ولعل الديمقراطية ترتفع كلما تسامت الى قدس العقائد ، وامتدت الى كنف الله الذي هو جماع كل عدل وخير وحق ورحمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السفسطائيون اليونان

للدكتور عثمان امين

﴿ تمهيد ﴾ : عرفت بلاد اليونان في القرن الخامس قبل ميلاد المسيح عصراً من عصور العظمة والازدهار ، لا من الناحية السياسية فحسب ، بل من الناحية العقلية أيضاً . كان ذلك العصر فتحاً جديداً في تاريخ الفكر البشري : استيقظ فيه الانسان من سباته العقلي ، فنحّى عن ذهنه كابوس الخيالات الاولى التي كانت اشبه بخطرفة المرضى وتخريفات الاطفال ، وزال عن نفسه ما كان يساورها من فزع وهلع إزاء مشاهد الطبيعة وأحداثها ، تلك المشاهد التي كان يشعر بعجزه عن السيطرة عليها فضلاً عن الاحاطة بها

ولأول مرة في ذلك العصر تحقق الانسان ، عن وعي وشعور ، أنهُ هو الناظر المتفرج على مشاهد الكون كله ، وتبين ان العالم المعقد بأسره موجود بالقياس اليه ، وعرف ان له عيناً ليرى ، وأذناً ليسمع ، ويداً ليعمل ، وعقلاً ليتدبر ، وانهُ اذا تهيأ له من الصبر والاقدام وبذل الجهد ما يدعم به قواه ، حقّ له ان يطمع في الاشراف على الاشياء ، فيضبط جريانها ، ويوجهها الى تحقيق أسمى ما يصبو من غايات

كان ذلك العصر أول دويّ للمذهب الانساني الحديث ، وكان ذلك من بعض الوجوه أعظمها لأنهُ كان أبسطها وأبعدها عن الكلفة وأقربها الى الحرية ، وأقلها تأثراً بالقيود والسدود

١ — ﴿ خصائص الوسط الذي نشأت فيه السفسطائية ﴾ : كانت الفلسفات اليونانية الاولى بحراً فاض بالمذاهب والآراء : فهذا « هرقليطس » يقول ان كل شيء في الكون دائم التغير والجريان ، وذاك « برمنيدس » قد أنكر الحدوث والصيرورة وقرر انهُ لاحقيقة هنالك الاّ للموجود الثابت الواحد الباقي ، في حين أن « ديموقريطس » قد وجد في مذهب الجزء الذي لا يتجزأ حلاً وسطاً بين التغير والثبات

وكان كل صاحب مذهب او مقالة يعلن ان آراءه هي عين الحق . وكان في كل ذلك ما يدعو العقول الى الحيرة والشك ويبث في النفوس البلبلة والاضطراب

ولم تكن حال اليونان السياسية أقل إثارة للتشكك من حالها العقلية : فقد ذهبت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الارستقراطية ، وأخذت تحل محلها الديمقراطية ، وبدأت تضيع من نفوس الناس حرمة القانون ، وانقضى معها نفوذ الآباء والأجداد ، كما ضاعت سيطرة العرف وهيبة التقاليد والعادات . وانبسط جاه المهرّجين والزعماء الشعبيين ، وذاعت شهرة الخطباء وذوي المهارة في التأثير في نفوس الجماهير

عاش السفسطائيون في أثينا ابان ذلك القرن ، فأصابوا من النجاح حظّاً عظيماً . وتعليل ذلك غير عسير : فلقد كانت تلك الجماعة السفسطائية تزدري البحث في الميتافيزيقا الخالصة وتنفر من النظر في طبائع الاشياء واصولها الاولى . ولعلّ في هذه النزعة ما يجتذب نفوس الاثينيين الذين كان يعنيهم تدبير المدينة اكثر مما يعنيهم الوقوف على كنهِ الطبيعة، وتعنيهم الاخلاق والسياسة اكثر مما يعنيهم العلم المحض والنظر العقلي الصرف . ونستطيع ان نتبين هذه الظاهرة عند فلاسفة اليونان أنفسهم : فان ميتافيزيقا افلاطون ذات اتصال وثيق بالاخلاق . وأرسطو هو صاحب العبارة المشهورة : « الانسان حيوان سياسي » (أي مدني) . وهذا الوصف الأرسطاطالي ينطبق خير انطباق على الاثينيين بوجه خاص : فقد كانوا شعباً مشغوفاً بالسياسة ، تبهرهم الفصاحة ويسحرهم الاستدلال الدقيق، ويستهويهم حب الجدل ، ويروقهم النقاش والتحليل والتقسيم

والحق لقد كان وجود السفسطائيين مطابقاً لميول الناس وحاجاتهم في بلد يستطيع كل مواطن من أهله ان يكون له نصيب فعلي في الشؤون العامة ، وليس يدين ببسطة نفوذه فيه الاّ الى ما أوتي من ملكة الكلام ، بلد يريد كل فرد فيه ان يعلن على رؤوس الاشهاد مواهبه وفضائله الخاصة التي يستطيع بها قيادة حياته وحياة الآخرين

وقد نستطيع ان نلخص فيما يلي خصائص الوسط الاجتماعي اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد : توثب وحماسة ، وتقلب في الاهواء ، واشتعال في الفكر ، وشوق الى الحياة ، وطمع في الرآسة ، ونزوع الى الحرية ، وتطلع الى المعرفة ، مضافاً الى ذلك كله مرونة عقلية باهرة ودقة ذهنية نافذة

٢ — ﴿ السفسطائيون ﴾ : غير ان السفسطائيين لا يؤلفون فرقة بالمعنى الصحيح للمدرسة الفلسفية ، وليس لهم مذهب مشترك محدد مرسوم ، على نحو ما نجد مثلاً في المدرستين الرواقية والابيقورية ، بل السفسطائيون قوم يجيئون من جميع المدارس اليونانية الفلسفية . ولكن الانصاف يقتضينا ان نلاحظ مع ذلك ان تعاليم السفسطائيين كان يجمع بينها غرض واحد . وغرضهم قبل كل شيء غرض عملي : هو تعليم « الخير » ، وهم يفسرون ذلك على معنى القدرة على تدبير الحكومة والأسرة تدبيراً مستقيماً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولما كانت الحاجات التي يسدها هذا النوع من التعليم هي حاجات جميع المدن الديمقراطية فقد وجب ان يتنقل هؤلاء السفسطائيون من مدينة الى مدينة ، يجوبون البلاد اليونانية ، ملتمسين التلامذة والمستمعين ، مغرمين بالهتاف والتصفيق والتهليل . . .

وكان السفسطائي يستوفي على التعليم أجراً ، مثله في ذلك مثل صاحب أية صناعة أو عمل . وربما كان بعض السفسطائيين يقيس نفوذه وتأثيره الروحي بمقياس الربح الذي تدره عليه أجور دروسه وكثرة عدد تلاميذه . وهذا التكسب من العلم هو الذي أثار على السفسطائية سخط أفلاطون وأرسطو من بعد

٣ — ﴿ منهج السفسطائيين وموضوع بحوثهم ﴾ أما منهج السفسطائيين فيرجع في صميمه الى المناظرة والجدل ، ومعارضة الرأي بالرأي ، ومقارعة الحجة بالحجة . واذ كان مقصد السفسطائي ان يعلم تلاميذه ومستمعيه أموراً تنفعهم في الشؤون العامة والخاصة ، وان يلقنهم النصائح والارشادات ، والوسائل التي يتمكنون بها من التفوق على الأقران والغلبة على المنافسين ، فلم يكن بد من تعليمهم كيف ينقدون آراء الغير ، ويناقشون الحجج التي يدلي بها الخصوم . ولذلك كان سبيل السفسطائي في دروسه إما ان يلقي خطبة ضافية ، وإما أن يدلي باعتراضات على آراء غيره ، أو يوجه الاسئلة والاستجوابات الى تلاميذه ومستمعيه

وكثيراً ما يلقي السفسطائيون الخطب الحافلة التي هي في منزلة نماذج لما يستطيعون القيام بتعليمه في شتى الاغراض والموضوعات . فتراهم يخوضون تارة في مسألة من المسائل العامة ، فلسفية كانت أو سياسية . وتارة يمتدحون أهل مدينة ما ، أو يرثون عظيماً من العظماء . وقد يتناولون موضوعات عادية أو تافهة : فيخطبون مثلاً في مدح الفيران أو ديدان الحرير وما الى ذلك

ومن أمثلة الأغراض التي كان يخطب فيها السفسطائيون اليونان ما نجده في رسالة صغيرة ألفها سفسطائي مجهول، ويرجع عهدها الى القرن الخامس قبل الميلاد. وتكلم فيها على تسعة من الموضوعات التي اختلف فيها نظر الفلاسفة : كالخير والشر ، الحسن والقبح ، العدل والجور ، الحق والباطل ، الحكمة والسفه ، العلم والجهل ، العلم والفضيلة هل يلقنان ? هل يقام القضاة بالقرعة أو بحسب الكفاية ? أقدر الناس على سن القوانين وتطبيقها هو صاحب الجدل لأنهُ يعرف جميع النقائض بين الآراء ، فنّ تقوية الذاكرة أجمل المخترعات

تلك أمثلة للموضوعات التي كان يخوض فيها خطباء السفسطائيين عند اليونان (وهي شبيهة بما نجد في كتب الجاحظ وغيره من الاسلاميين من تفضيل العرب على العجم أو تفضيل البيض على السود الخ . . ولعلها تشبه ايضاً موضوعات المناظرات التي يقيمها الجامعيون المصريون في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذه الأيام للبحث في مسائل من قبيل: هل يصلح المجتمع اذا تولى الشباب قيادته؟ أو الثورة على المدنية الحاضرة شرٌّ على المجتمع الانساني الخ)

فالسفسطائي قبل كل شيء خطيب، يعلم الناس الكلام الجيد أو الكتابة الحسنة الرشيقة في جميع الشئون والمقاصد الممكنة. ولكن ممارسة هذا الفن الكلامي في جميع الأغراض يتطلب معرفة واسعة. ويظهر أن من السفسطائيين من يدعي المعرفة بصناعات كثيرة فاننا نقرأ في احدى محاورات أفلاطون عن هيبياس انهُ حين قدم الى اوليمپيا أعلن أن ما يرتدي من ثياب وما يملك من أمتعة جميعها أشياء من صنع يده: رداؤه وعباءته وحزامهُ الموشّى ونعلاه وخاتم أصبعه، حتى فرشة حصانه[1]

وعلى كل حال نجد السفسطائيين في لغة القرن الخامس واوائل القرن الرابع قبل الميلاد يشبهون من يسميهم ديكارت في عصره «بالعلماء»، يعني رجالاً يُعدُّون قوّامين على الحكمة أو إخصائيين، سواء أموسيقيين كانوا أم رياضيين أم اطباء أم معلمي ألعاب رياضية أم «شعراء ربابة»، قد مهروا في صناعة من الصناعات فهم يتصدّون لتعليم الغير إياها

٤ — ﴿ انسانية السفسطائيين ﴾ كان السفسطائيون ينشدون ثقافة «انسانية» وعقلية تجعل من الانسان مقياساً لجميع الأشياء، وترى عدم الاشتغال الاّ بالأمور الانسانية، أعني التي تهم الانسان خاصة. ويقول پروتاجوراس في ذلك: «أما الآلهة فليس في وسعي أن أعلم أموجودون هم أم غير موجودين، يحول دون علمي بذلك موانع كثيرة: غموض الموضوع وقصر العمر»[2]

والسفسطائيون انما يلتمسون الانسان بوجه عام؛ من غير اعتبار لما يفرق بين البشر عادة من جنس او لغة او دين. ويروى ان «هيبياس» كان ينظر الى الناس جميعاً نظره الى «الاقارب وأهل البيت الواحد، وهم كذلك بالفطرة ان لم يكونوا بمقتضى القانون»[3]

والخلاصة انه في حين ان الفلسفة عند الفلاسفة الأقدمين كان مركزها الطبيعة أصبح مركزها عند السفسطائيين الانسان نفسه. فنظر السفسطائيين — كما قال الاستاذ «روبان» — أشبه بمحاولة أو وضع حجر أساسي لبناء فلسفة انسانية جديدة بأوسع معاني لفظ الانسان. والسفسطائيون، وبعدهم سقراط، أهم من عمل على احداث هذا الانقلاب في توجيه الفكر وجهة انسانية

٥ — ﴿ السفسطائيون والشكاك ﴾ خلط بعض الكتّاب بين السفسطائية والشكاك. وقد نستطيع ان نعدَّ السفسطائيين شكّاكاً من حيث انهم متفقون على انكار ما يسميه

(١) افلاطون: هيبياس الثاني ٣٦٨ ب د (٢) ديوجانس اللايرسي. ك ١٠ ف ٥١
(٣) افلاطون: بروتاجوراس. ص ٣٣٧ ج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الفلاسفة « بالحق المطلق » او « بالخير على الاطلاق » . اذ الحق والخير عند السفسطائية أمران نسبيان ، وليسا كذلك في ذاتهما وطبيعتهما . فما هو خير فبالنسبة للانسان ، وما قد يكون خيراً في ظرف لا يكون كذلك في ظرف آخر . وعلى كل حال كانوا يرون ان الانسان مقياس لجميع الاشياء ، وان الاشياء « هي حق عند من هي عنده حق ، وهي باطل عند من هي عنده باطل » . وعمدة ما ذكروا من اعتراضات هو اختلاف الحواس في المحسوسات [1]

والشكاك يتوقفون عن الحكم على الاشياء . في حين ان السفسطائيين يتكلمون في جميع الأمور ، ويخوضون في كل مسألة ، ويتعرضون لكل رأي ، ويزعمون القدرة على المعرفة في كل موطن

على ان الشكاك اصحاب مذهب مرسوم . هم يطلبون الحقيقة ، لكنهم يذهبون الى انهم لا يستطيعون الوصول اليها . والسفسطائيون — كما قلنا — ليس لهم مذهب معلوم يدعون اليه ، ولا مبدأ مرسوم يناضلون عنه . وأكبر ما يعنيهم هو ان ينشئوا من تلامذتهم وأتباعهم خطباء ذوي فصاحة ولَسَن ، وسياسيين أهل حذق ومرونة ، وأصحاب جدل يتقنون تأييد كلّ قضية والانتصار في كلّ موقف . فلا عجب أن يكون السفسطائيون قوماً لا يحفلون بالحق من حيث هو ، وان يكون شأنهم في ذلك شأن أغلب الخطباء وطلاب الشهرة في كل زمان : ومن كان همه التأثير في أكبر عدد من الناس من أيسر سبيل فحسبه ان يوهمهم بصدق ما يقول ، وأن يوقع في نفوسهم غلبة ظن ، وان يجعل رأيهُ لديهم شبيهاً بالحق

٦ — ﴿ الحملة على السفسطائية ﴾ لكن هذه الحركة الفكرية التي لا يُنكر شأنها في تاريخ الفلسفة اليونانية كان لها فيما بعد عواقب وبيلة . فقد أفضت في اوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، من جهة الاخلاق والسياسة ، الى قيام مذهب الكلبيين الذين لا يحفلون بالأوضاع والتقاليد

ومن جهة اللغة أفضت الى تغليب اللباقة اللفظية على الفكر الصحيح . وربما كان السفسطائيون ممن شجعوا الميل الى الخطب الرنانة ، والأسلوب المزركش ، ورص الكلام رصًّا يحدث في النفوس وقعاً وقتيًّا وان كان لا يؤدي معنىً واضحاً ذا قيمة

وقد يكون من نتائج هذا الانقلاب السفسطائي أنهُ أدخل فلسفة جديدة إما جدلية صرفة وإما نظرية مجردة ومنطقية محضة . ثم انهُ أضرَّ بتطور العلوم التجريبية التي اتجهت اليها بحوث الفلاسفة الطبيعيين

والمفكرون يأخذون على السفسطائيين عيوباً كثيرة اخرى ، فنقدوا آراءهم وزيفوها ، كما هاجمها من قبل افلاطون وارسطو . ومن الباحثين الالمان من ذهب الى أن السفسطائيين

(١) ابن حزم : الفصل في الاهواء والملل والنحل : الجزء الاول ص ١٤

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قوم يمثلون من نسميهم في لغة عصرنا بحزب « اليسار » : فهم دائماً ثائرون على الاوضاع في الاخلاق او في السياسة او في الدين

٧ — ﴿ الدفاع عن السفسطائية ﴾ ولكن السفسطائيين وجدوا مع ذلك من تولى الدفاع عنهم ولا سيما بعض فلاسفة الانكليز وعلمائهم (مثل فرديناند كانتج شِلر) : فقد بينوا ما كان يتحلى به جورجياس وبروتاجوراس وبروديكوس من خصال الصدق والامانة والشرف، ووصفوا ما كان لهيبياس من سعة العلم، وما كان لجميع افراد هذه الطائفة من حيطة وحكمة اذ انصرفوا الى الاخلاق والسياسة ، معرضين عن المسائل الطبيعية التي يعسر حلها

ووصف أولئك العلماء فضل السفسطائيين على السياسة إذ أعلنوا قدرة الانسان وحريته، ونادوا باستقلاله عن الاوضاع والتقاليد التي ترهق كاهله ، ذاهبين الى أن القوانين الوضعية هي من اختراع الناس وليست أموراً طبيعية، فهي الى حد ما اشياء تحكمية مصطنعة، فيجب أن تكون قداستها محدودة

ومن المدافعين عن السفسطائيين من يذهب الى انهم أفادوا فن الخطابة والكلام عند اليونان فوائد جمة : وان فصاحة توسيديد[1] وديموستين[2] مدينة لهم بالشيء الكثير

٨ — ﴿ السفسطائيون ما لهم وما عليهم ﴾ مهما يكن في حجج المدافعين والناقدين من حق فليس يسعنا الاَّ ان نلاحظ أن من مآثر السفسطائية انها قد أيقظت الناس من نعاسهم الفكري واطمئنانهم الى الاعتقاد المألوف والعادة الجارية ، وبعثتهم الى الشك النظري والشك العملي . ثم انها قد ساعدت يقيناً على تربية ملكة أدبية أو ذوق عام في النقد لم يكن للناس عهد بهما من قبل . لكن اكبر ذنوبها — في نظرنا — هو قلة مبالاتها بالحقيقة ، وبعدها عن روح البحث المنزه عن الهوى ، والمقرون بالامانة والصبر

ونأخذ عليها كذلك جريها وراء شقشقة اللسان ، وحصر عنايتها لا في المعرفة بل في الاقناع ، وميلها في كل شيء الى المظهر ، والأثر الخارجي، والمنفعة المباشرة العاجلة

ان صحَّ ان للسفسطائيين مدرسة فهي مدرسة ينقصها الجد الفلسفي والامانة العقلية . فلا عجب ان روحها هذه قد ألحقت بالعقلية اليونانية أضراراً كثيرة . ولا شك ان شبيبة بلادنا ليست بحاجة الى مثل دروس السفسطائية في « الوصولية » ، وعبادة القوة ، والتماس النجاح بأية وسيلة . وجميعها صفات لا توافق خلق الفيلسوف

(جامعة فؤاد الأول)

---

(١) Thucydide اكبر مؤرخي اليونان . مصنف كتاب: تاريخ حرب البلوبونيز. هو مؤرخ فيلسوف يتوخى الصدق وله اسلوب قوي سريع (٤٦٠ — ٣٩٥ تقريبا قبل المسيح)

(٢) Démosthène اكبر خطباء اليونان على الاطلاق (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م.)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جمهورية حيوانات

لنقولا الحداد

رووا ان الدجاجة قالت للحدأة ذات يوم : بالله تعلميني التحلبق في الجو مثلك لكي أسلم من غزو الثعالب وبنات آوى . فانها تسطو كل يوم علينا وتروّعنا وتخطف منا ما تستطيع حمله

فقالت الحدأة : ليس الطيران علماً يا عزيزتي وانما هو جناحان طويلان عريضان . وانتنَّ طائفة الدجاج فقدتنَّ طول الجناحين وعرضهما منذ اعتمدتنَّ في رزقكنَّ على الانسان: على اني أرى ان حيلة « فرّق تسد » قد تنقذكنّ أحياناً من أنياب الثعالب والذئاب

قالت الدجاجة : ما هي حيلة فرّق تسد ؟

قالت الحدأة : سأعملها أنا وأريك

ومضت الحدأة ورأت ذئباً فسألتهُ : كيف الحال يا صاحب

فقال : جوع ولا شبع . وتعب ولا راحة . أقضي الليل بعد النهار في السعي وراء دجاجة او بطة ، حتى اذا ظفرت بها اضطررت ان أقدمها الى الأسد ، لكي يمنحني منها ولو عظمة والاّ فيسحقني سحقاً

فقالت : ان الأسد، ملككم طماع ظالم طاغ . فلماذا لا تخلعونه وتؤلفون منكم جمهورية تقسم الرزق بينكم بالعدل . فلا يذهب الجانب الاكبر منهُ الى الملك ووزرائه وأعوانه وهم لا يسعون ولا يتعبون في تحصيله ؟

— والله انها لفكرة صائبة . ولكن كيف نستطيع خلعه وهو قوي وله أعوانه

— أقوى أعوانهِ النمر وزيره الاول . عدوا النمر برآسة الجمهورية . فينفصل عنهُ ويعاونكم على خلعهِ

— والله ان لكِ لحكمة الفلاسفة . سنفعل

ومضت الحدأة . فرأت النمر : السلام عليك ايها الوزير الخطير . كيف الحال

— والله ان الرعية كسول . فقلَّ المورد

— قلَّ المورد لأن الأسد ملككم لا ينصف الرعية لكي تشبع وتقوى على الصيد والقنص

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— صدقت . انهُ شديد الطمع عديم الشبع . يحرم الشعب حتى الوزراء احياناً

— أنت أولى منهُ وأجدر ايهاذا النمر . لأنك أشد اعتدالاً وأوفر عدلاً ولست أقل منهُ بأساً وبطولة . فلماذا لا تخلعونهُ وتتولى الحكم أنت ؟

— كيف نستطيع وهو يجند كل الرعية للدفاع عنه ؟

فدنت الحدأة من النمر وهمست في أذنه : الكلام بسرك . ان الرعية ضاقت ذرعاً بهِ وأظنها تتآمر الآن عليهِ لخلعهِ وانشاء جمهورية تقسم الرزق بالعدل . فاقبل نصحي وترأس المؤامرة تكن رئيس الجمهورية ، ثم دكتاتوراً ، ثم ملكاً مطلق السلطان . فاذا عدلت بقي الصولجان لك

***

وما هي الاّ أيام معدودة حتى تمت المؤامرة وتألفت الجمهورية سرًّا . وما درى الاسد الاّ وقد دخل اليهِ في عرينهِ وفد من الفهود والضباع والذئاب وأبلغوه ان حكومة الشعب الجمهورية قد قررت خلعه لشدة ظلمه . وانه سيبقى اسيراً في عرينه والسلاسل في يديه ورجليه ، ويقدم له كل يوم نصف فخذ خروف

فقال الملك الاسد : أين النمر ؟ لا أراه معكم في وفدكم . لقد أبدلتم بملككم وزيره . لسوف ترون هل تكون جمهوريتكم الزائفة أعدل من ملككم . انّ الحكم الذي حكمتموه عليّ لا قبل لكم على تنفيذه ، لأن اخواني الأسود سيأتون لانقاذي . فاذا تركتموني أبرح الى منطقة أخرى بعيدة عنكم ضمنتم الأمن لكم

— كيف نضمن انك لا تنقلب علينا ولا تغدر بنا ؟

— أعاهدكم بشرف الملوك . أنتم الآن عصبة فلماذا تخافون مني

قالوا : اكتب لنا ميثاق الأمان بيننا وبينك

فكتب الميثاق : وانطلق الى غابة بعيدة

***

ما انقضت برهة طويلة على الجمهورية حتى صار النمر دكتاتوراً أشد ظلماً وجشعاً من الاسد الملك . فكان يفرض على الذئاب والضباع والثعالب وبنات آوى قدراً معدوداً من الدجاج والنعاج والماعز . فاذا لم يؤدُّوا هذه الأتاوة عاقبهم عقاباً شديداً

حينئذٍ اعتصبت الوحوش وامتنعت عن الصيد والغزو والسطو . فقال النمر الدكتاتور: اذا امتنعتم عن الصيد ايها الاغبياء فماذا تأكلون ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قالوا : نأ كل العنب والقثاء والخيار وسائر الفاكهة لاننا نباتيون كما اننا أكلة لحوم . وأما أنتم النمرة والفهود فلا تعيشون من غير لحم ودم . فموتوا جوعاً

ومضت مدة كانت اكنان الدجاج وحظائر الأغنام في أمن من غزوات الوحوش . واما النمر فاستعان بالفهود لتأديب تلك الوحوش وارغامها على العمل حتى ضاقت ذرعاً به

وندمت الوحوش على خلعها الاسد لان النمر جاء بعده أشد طغياناً وأسوأ عسفاً وظلماً . واجتمعت في مؤتمر سري وبحثت في الامر وقررت ارسال وفد الى الأسد لكي يستسمح منه ويستعطفه عسى ان يعود الى عرشه رافقاً بهم

ولما مثل الوفد بين يدي الاسد يستعطفه قال الاسد ، لن أعود الآن اذا خلعتم النمر كما خلعتموني ، وجئتم جميعاً اليّ تبايعوني وتحلفون يمين الطاعة لي

فعاد الوفد حزيناً لأنهم رأوا ان عودة الاسد الى عرشه ستكون نقمة أشد وطأة عليهم

***

وفيما الوفد عائد بخفي حنين صادف فيلاً . فقال احدهم : لماذا لا نضع صولجان الملك في يد هذا الفيل . فهو أقوى من الاسد والنمر وهو لا يفرض اتاوةً علينا لانهُ لا يأ كل لحوماً

فاستوقفوه وعرضوا الامر عليه . فضحك وقال : أتظنون انكم فيما تبحثون عن سيد يحكمكم تنفضون عن رقابكم نير العبودية ؟ الاحرار لا يفتشون عن سيد

قالوا : نريد ملكاً ديموقراطيًّا

فقهقه وقال : الملكية المطلقة والديموقراطية لا تجتمعان . إما هذه وإما تلك

قالوا : ماذا تفعلون انتم ايها الفيلة في نظامكم السياسي ؟ قال : نحن جمهورية بحتة

— اذن ، بربك تعال كن عندنا رئيس جمهورية

فأمعن الفيل في القهقهة وقال : لا تصلح الجمهورية لكم . ولا أنتم تصلحون لها

— كيف يمكن ان نصلح لها وتصلح لنا ؟

— تصلحون لها اذا صرتم كلكم أسوداً بحيث يصلح كل فرد منكم رئيساً للجمهورية . نحن جميعاً افيال . وكل فرد منا يصلح ان يكون زعيماً يمشي امامنا فنمشي وراءه كتلة واحدة . واما انتم فلا تجانس بينكم . بل انتم من جنسيات مختلفة : أسد وفهد ودب ونمر وذئب وضبع وثعلب وابن آوى الخ . . . متفاوتون في القوة والشهوة والطمع . القوي فيكم يأكل الضعيف منكم : فلا يصلح لكم الآ الحكم الملكي المطلق بحيث يكون الاقوياء فيكم اسياداً لكم وانتم عبيد لهم . تتعبون وتشقون وهم يتمتعون بجنى تعبكم وانتم تقنعون بما يبقى لكم من الفضلات .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كونوا جميعكم اسوداً فتتعادل قواكم وشهواتكم وتتساوى حصصكم في ارزاقكم . والاّ فالاقوياء اسياد والضعفاء عبيد . هذه سنة الطبيعة فعبثاً تحاولون ان تتمردوا عليها

***

فعاد افراد الوفد يضربون اخماساً بأسداس وهم يفكرون بفلسفة الفيل الحكيم وما ان رووا الخبر بتفاصيله لاخوانهم في المؤتمر حتى باغتهم « طابور » من الاسود يضرب نطاقاً حول مؤتمرهم . ثم أعلن قائد الطابور « ان الاسود قد رأت ان سعادة المملكة في تلك المنطقة تتوقف على الحكم الجمهوري العادل ، فألّف الاسود جمهوريتهم . وقررت هذه الجمهورية ان تسود المملكة وان تدرّب سائر الوحوش على العمل تدريباً نظاميًّا يكفل لهم الرزق بحسب ما يفرض عليهم من العمل . وليفهم الوحوش ومن جملتهم النمرة انهم جميعاً عبيد لجمهورية الأسود وعليهم الطاعة المطلقة »

عند ذلك انبرى رئيس الوفد وتقدم الى الأسد رئيس الجمهورية ورفع ورقة بيده وقال : هل نسي الرئيس هذا الميثاق — ميثاق شرف الملك

فقال الأسد : هذه قصاصة ورق . وقد مزقتها فلسفة مستشاركم الفيل

***

وكانت الحدأة والدجاجة على فرع الشجرة تشاهدان مجلس الحيوانات الاخير وتسمعان فقالت الدجاجة للحدأة : ما استفدنا من حيلتك ياصاحبتي الا ان جمهورية الضواري جاءت أشد نكبة علينا من دولة الأسد

فقالت الحدأة : الاسد لا يغزو أكنانكنّ بل الثعلب . فأين الكلب حامي الدار ليحميكنّ من الثعلب ؟

فقالت الدجاجة : الكلب لا يصول الاّ متى كان الى جنب سيده . والاّ فهو جبان ينبح من بعيد فلا خير لنا فيه

فانبرى الكلب من فوق الجدار وقال : انك مأكولة على كل حال يا مغفلة . ان لم يأكلك الثعلب يأكلك سيدي •

فتأوهت الدجاجة وقالت : آه . أجل اني مأكولة على كل حال . لان ذنبي ان لحمي لذيذ

فأطلت فأرة من وكر في الجدار وقالت : ان ذنبي كذنبك يا عزيزتي . لحمي لذيذ للسنور فاستحله . تبًّا لهذا النظام الحيواني الظالم

فانبرى السنور وقال : اصمتا . هذه شريعة داروين وقد أجمع العلماء على انها أصح شريعة للطبيعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مشكلة العصر

وواجب كل فرد ازاءها

لسلامة موسى

نحن نعيش في عالم فاسد . ونعني بالفساد هنا ان هذا العالم يستمسك بقواعد ومبادىء بالية لا تصلح للعصر . وينتج عن هذا أننا في وسط الثروة الحافلة التي يكتظ بها العالم نعيش فقراء ومرضى وجهلاء

واعظم ما يدل على هذا الفساد هذا الفقر الذي يعم العالم فان اكثر من ٩٥ ٪ من سكان العالم يعيشون وهم محرومون ما يليق من الملبس أو المسكن أو المطعم ، مع ان وسائل الانتاج الحاضرة الزراعية والصناعية تكفي وتفيض . أي تكفي لأن تملك كل عائلة في العالم بيتاً مستقلاً متمدناً لا يقل ثمنهُ عن الف جنيه ويحوي جميع وسائل الرفاهية من الاثاث . بل يمكن كل عائلة ان تملك سيارة . ونعني كل عائلة في العالم . ولا نذكر الطعام ولا نذكر اللباس لانهما يكفيان ويفيضان بلا حساب

فاذا استعملنا وسائل الانتاج والتوزيع اي الاستهلاك بالاساليب العلمية بدون التقيد بالقواعد القديمة ، واذا اخذنا بالمبادىء التي تنظر الى المستقبل بدلاً من المبادىء التقليدية ، استطعنا ان نمحو الفقر من العالم كله وان نحيل جميع سكانه اغنياء . ولسنا بالطبع نقصد بالغنى أن يملك كل منا فيلا أو يزين رأسه بأحجار لماعة براقة مثل الألماس أو اللؤلؤ . لأن هذا الغنى هو غنى الجهلاء . وهذا الخيال هو خيال العقل الضعيف . وانما نعني غنى الكفاية في الحصول على الطعام واللباس والمسكن

اننا نعيش تحيط بنا الثروة ولكننا نعالجها باقتصاديات الفقر . ففي الوقت الذي نعرف فيه أن سكان العالم جميعاً (وهم لا يزيدون على الفي مليون انسان) يكفيهم ثلاثة او اربعة مصانع فقط لصنع الأحذية أو عشرون أو ثلاثون مصنعاً كبيراً لصنع الملابس ، ومثل هذا العدد لاخراج السيارات أو أجهزة الراديو — بينما نعرف هذا نقف عند المعرفة ولا نستخدمها في محو الفقر والحاجة . وفي عالمنا الحاضر رجال مثل فورد يشيرون بأصابعهم الى الطريق السوي للانتاج الكثير الذي يكفي هذا الكوكب الصغير ومع ذلك لا نلتفت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى اشارتهم . فان فورد كان يخرج في اليوم الواحد نحو خمسة آلاف سيارة يتسلم موادها خاماً ويخرجها مركبات تجري ناصعة الظاهر مترفة الباطن . وبدهي ان عشرة رجال مثل فورد يمكنهم ان يزوّدوا كل عائلة على هذا الكوكب بسيارة فاخرة . بل استطيع أن أقول إن فورد نفسه لو كلف هذه الخدمة لقام بها وحده

وليس فورد ممتازاً على أي انسان منا . وكل ما يمتاز به أنهُ يستخدم العلم في الانتاج. هذا العلم الذي يمكن أن نستخدمه ايضاً في صنع الملابس والأثاث وبناء المساكن بل في كفاية جميع الناس الطعام الوافر المغذي

ولكننا لا نفعل هذا لأن العلم لا يستعمل في الانتاج الصناعي والزراعي ولأننا نقسم الأمم الى طبقات ونكاد نحس لفرط جهلنا أن الفقر ضروري ومحتوم واننا يجب ان نرعاه مع أن العلم الحديث قد جعل امكان الغائه الغاء تامًّا في العالم كله ممكناً في بضع سنوات

نحن نعيش في عالم فاسد يحفل بالفقر في وسط الثروة لاننا لا ننتج هذه الثروة ولا نوزعها بالأصول العلمية على الناس . ونحن نعيش في عالم فاسد أيضاً نكاد نرعى المرضَ ونحميه مع ان وسائل الوقاية منهُ وكذلك وسائل معالجته متوافرة . وأول الوسائل لمقاومته هو الغاء الفقر لان الفقر اعظم الاسباب للمرض . والوقاية تحتاج الى المسكن الحسن واللبس الحسن والطعام الحسن . وهذه كلها يمنعنا الفقر من الحصول عليها . وليس من حق أمة أن تسمي نفسها متمدنة اذا كان مرض مثل التيفوس ينتقل بالقمل ، أو مرض آخر مثل الدرن يتفشى بقلة الغذاء ، أو مرض آخر مثل البلاجرا يتفشى لهذا السبب نفسه — اقول ليس من حق امة ان تسمي نفسها متمدنة اذا كانت تترك هذه الامراض تفشو فيها للفقر بينما فيها افراد يحصل أحدهم على مائة أو الف جنيه في اليوم وآخرون لا يحصل احدهم على سبعة او ثمانية جنيهات في السنة كلها

ان تفشي الفقر والمرض في أمة ما برهان على فساد في المجتمع . وكلاهما أي الفقر والمرض مرتبط احدهما بالآخر ، كل منهما يثمر الآخر . او بالاحرى نقول ان الفقر هو التربة الخصبة للمرض ثم يعود المرض فيساعد الفقر على ان يقوى ويشتد . وكلاهما يمكن محوهُ بالقليل جدًّا من مبادىء العلم العصري وترك التقاليد الآسنة في الانتاج والاستهلاك

ونحن نعيش في عالم فاسد لاننا نعيش في وفرة من المعارف العصرية ولا نستعملها في تربية أنفسنا . فنحن جهلاء باتفاق عام أو بنظام معين ارتضته الامم لكي لا يتعلم أبناؤها . بل ان أعظم الوسائل للتربية التي اخترعت في عصرنا مثل الراديو والسينماتوغراف تستعمل الآن للتسلية التافهة التي لا تزيد على مستوى العقل الأبله في حين كان يمكن أن تكون هاتان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوسيلتان قوة دينامية لتحريك الذهن البشري وتعبئة العواطف للرقي العام والتثقيف العصري . وليس على هذا الكوكب الآن أحدٌ يستطيع أن يقول انهُ حصل على تربية حسنة لأن الواقع اننا كانا جهلاء . وهذا الجهل قد جعل المعارف منفصلة غير مترابطة حتى ان العالم في البيولوجيا يجهل مبادىء السياسة،والعالم في الزراعة يجهل مبادىء الاجتماع . فعارفنا في تحليل وليست في تأليف . ومن هنا كوارثنا المتعددة وجهلنا الفاضح . فعالم الزراعة مثلاً يمكنهُ بالعلم العصري أن ينتج من الطعام ما يكفي كل فرد على هذا الكوكب أن يأكل ويشبع كما يشاء من الخبز واللحم والخضروات . ولكنه بعلمه الزراعي قد انفصل عن العلم الاجتماعي فلا يعرف أين يجب أن يذهب نتاج القطن والبن والقمح والعجول والخراف والخنازير ولذلك أحرقت هذه الاشياء في سنتي ١٩٣٠ و١٩٣١

هذا الكوكب يجوع سكانه ومع ذلك تحرق محاصيله الوفيرة التي أنتجها العلم الزراعي · لأن العلم الاجتماعي لا يزال ناقصاً أو ان ما يعرف عنهُ يجهله عالم الزراعة أو ان بعض الحكومات تمنع الحرية في بحث الاجتماع فلا يتقدم هذا العلم ولا يفشو بين السكان في حين هي لا تمنع بحث الزراعة فتتقدم ويكثر انتاجها ولكن مع كثرته لا تنتفع به الامم

اننا جهلاء . نتعلم في المدرسة والجامعة ألاعيب من الفصاحة والبلاغة والثرثرة ونتزين بهارج من تاريخ الاغريق والعرب والرومان ونقرأ جرائد تحدثنا عن زواج هذه المغنية أو الجواهر التي يملكها ثري في أميركا أو مهراجا في الهند . ونحن نغذو أذهاننا بهذا الغذاء التافه بعد تعليم زائف في المدرسة أو الجامعة فلا يبلغ أحدنا سن الاربعين أو الخمسين حتى يجد انهُ جاهل عظيم لا غش في جهله ولا علاج لهُ . وكل هذا لأن المعارف العصرية يفضّل عليها تقاليد في الثقافة هي العفن والأسن واللعب والتهريج لا ينتفع بها غير الذين يتناولون أجراً لتعليمها

نحن جهلاء ومجتمعنا مضطرب مرتبك لأننا لا ندرس المعارف العصرية ولا نربطها بعضها ببعض حتى يتأثر بها المجتمع وتدخل في تفاصيل نظامه. ولذلك تجد جاهلاً من وقت لآخر يطالبنا بنظام اجتماعي كان فاشياً قبل الف سنة لأن هذا المسكين يجهل اننا في القرن العشرين ننتج من غذاء الجسم وغذاء الذهن ما يكفي لأن يجعل أصغر صعلوك في عصرنا يعيش في ترف وحضارة لم يبلغهما سليمان في عظمته ولا رمسيس في قوته

ولكننا لا نستخدم الوسائل العصرية لالغاء الفقر ، وكذلك لا نستخدم الوسائل العصرية لمحو الجهل . بل نحن لجهلنا أيضاً نخشى المعرفة ونعتقد ان فيها أنواعاً خطرة فنمنع الناس من درسها . ويبلغ الجهل ببعض الساسة أن يسنوا القوانين لمنع دراسة بعض القيم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاجتماعية والدينية الجديدة أو بحثها . كأن تقرير المصير للذهن البشري قد أصبح من حقهم موقوفاً عليهم

ونحن نعيش في عالم فاسد لأنهُ زيادة على ما فيه من فقر ومرض وجهل يوقعنا من وقت لآخر في الحرب بعد أن يهيء لها بالاستعمار واستعباد الأمم التي لا تملك السلاح . والترابط واضح بين جميع هذه الشرور الأربعة . وكذلك الأمل واضح فيها . وهو اننا لا نستخدم العلم الحديث ولا نتعلم الوسائل العصرية لكي نصل الى المعارف الجديدة التي تكفل لنا طعاماً ولباساً ومسكناً ورفاهية عامة وسلاماً دائماً

هذا السلام الذي يُهدم من وقت لآخر لأن الجهلة من الساسة يجهلون ان العلم العصري يمكنهُ ان يوفر لنا كل ما نحتاج اليه . ويؤدي جهلهم هذا الى ان يلجأوا الى الأساليب القديمة في إنشاء طبقة ممتازة أو أمة ممتازة وفي الالتجاء الى الاستعمار وخطف الاسواق او المواد الخام . فبدلاً من ان يتوافر لنا العلم والمعرفة والصحة والمسكن واللباس والتربية مدى الحياة يتوافر لنا الجهل والفقر والمرض والقتل بالحرب او بالجريمة . ونحن نموت بالجملة في هذه الفوضى العامة يقتلنا الألمان بطائراتهم أو يقتلنا التيفوس بالقمل

***

فما هو الواجب ازاء هذه الفوضى على كل فرد منا ؟

الواجب الأول ، الواجب الديني ، الواجب الذي تحتمه علينا الحياة الشريفة النقية هو ان نواجه هذه الدنيا بعلامة الاستفهام وبتواضع الجاهل نسأل لكي نعرف ونتعلم مدى حياتنا . لا نتعلم البهارج والزخارف ولا نخفي نقصنا بالالتجاء الى التقاليد ومجد التاريخ ، وانما ندرس لنعرف كيف نستطيع ان نمحو الفقر والمرض والجهل والحرب . والمعارف العصرية كفيلة بهذا المحو اذا تعلمناها ودرسناها بدلاً من قضاء وقتنا وحشو أدمغتنا بما نسميه ثقافة وهي في حقيقتها مجموعة من العادات اللفظية التي كانت تعيش بها مجتمعات متأخرة وكانت هذه الثقافة نفسها نتيجة لتأخر هذه المجتمعات وسبباً أيضاً لزيادة تأخرها

يجب ان يكون لنا وجدان عالمي . يجب ان نحس أن هذا الكوكب كوكبنا . واننا أمة واحدة عددنا الفان من الملايين نقاسي ضروباً من المظالم ليست لها ضرورة ما واننا نستطيع ان ننظم هذا العالم كما ننظم قرية صغيرة ، فنبني مساكنه ونؤثثها ونعلم ابناءه ونقدم لهم أجمل الملابس وأصح الأطعمة . ويجب ان نعرف ان الامم المتحاربة الآن — في هذا اليوم — تنفق نحو مائتي مليون جنيه ، مائتي مليون جنيه في اليوم لقتل الشبان من الروس والانكليز والالمان والايطاليين والهنود والاميركيين واليابانيين . وما ينفق الآن على الحرب يمكن ان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ننفق أكثر منهُ مدة السلم لكي يعيش الناس في مساواة يستوون في الحصول على متع الحضارة

فاذا وصلنا الى هذا الوجدان واذا شرعنا نتعلم ونعرف فاننا نستطيع عندئذ ان نشرع في الكفاح . فنؤمن بالعالم قبل ان نؤمن بالوطن . ونجعل هذا الايمان ديناً بشريًّا جديداً يبعثنا على احترام هذه الدنيا وصيانتها بما فيها من كنوز وحيوانات وناس . فلا يجوز لأمة ان تستغل مناجمها حتى تنضب . ولا يجوز لفرد او طائفة ان تبيد حيواناً من غابات العالم لأن هذه الغابات هي حديقتنا وهذه الحيوانات هي تراثنا من الطبيعة. ولا يجوز لأحد ان يستبدَّ بشعب ويحرمهُ المعرفة أو الثروة او الصحة أو الطمأنينة لأننا كلنا أمة واحدة عددنا ألفان من الملايين . والحضارة القائمة هي تراث ورثناه بعد كفاح لا يقل عن نصف مليون سنة فلا يجوز لفرد أو طبقة ان تستأثر دون غيرها بمتع هذه الحضارة او مزاياها

يجب ان نكافح الرق بكل أنواعه . رق الاستعمار ورق المرأة ورق العامل لا لأننا بشر سواء فقط بل لأن المجتمع الذكي يستغني الآن عن الرق باستخدام الحديد والنار والكهرباء . وقد وجد في استخدام هذه كلها خيراً عظيماً زيادة على ما كانت تجده من الخير أو من الشر تلك المجتمعات القديمة التي كانت تجيز رق الانسان

ان متوسط ما يملكه الرجل او المرأة او الطفل في الولايات المتحدة الاميركية هو أربعون حصاناً من الطاقة المحرّكة . أي ان هذا المجتمع الاميركي قد صار يستخدم من آلات الحديد والنار والكهرباء في البيت والمصنع والمزرعة والمتجر وفي التنقل بالبحر والجو واليابسة ما متوسطه أربعون حصاناً لكل فرد . أو بكلمة أخرى صار كل طفل وامرأة ورجل في الولايات المتحدة يملك نحو ثمانين عبداً يعمل في خدمته دون ان يتألم

فلتكن لنا دعوة الى التحرير . تحرير الناس من رق العمل الذي يسير على التقاليد القديمة . هذا التحرير الجديد الذي يسَّره لنا العلم والذي سوف نرى منه اكثر مما نرى الآن اذا تخلصنا من قيود التقاليد الآسنة

معرفة ثم كفاح . معرفة تتألف بها الثقافة حتى تنتهي كلها الى غاية اجتماعية . فلا نتعلم الزراعة للانتاج الكثير فقط بل لتوفير ما ينتج للناس . ونعني للناس أي ليس للتجارة ولا للثراء . فاذا زادت المحصولات فللخير العميم وليس للاحراق كما حدث سنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ حين أحرق القمح والبن وأتلف القطن وقتلت العجول والخنازير ، لا لأن الشعوب لا تحتاج اليها بل لأنها لم تجد الثمن الذي يعود على أصحابها بالربح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا الجهاد ينشأ عن وجدان عالمي يجعلنا نحس أننا أبناء هذه الدنيا التي لن يكون فيها فقر أو مرض أو حرب أو جهل

مشكلة العصر هي هذه : اننا نعيش في عالم حافل بالمعارف العصرية، بالعلوم الجديدة التي تستطيع ان توفر لنا الصحة و الثروة والسلم . توفره لكل بيت . لكل فرد . واننا بهذه المعارف الجديدة يستطيع كل منا ان يستخدم قوة كهربائية أو بخارية تساوي ثمانين عبداً

ولكننا محرومون استخدام هؤلاء العبيد الجدد ، محرومون لانهُ يسوس العالم ساسة لم يتعلم معظمهم العلوم الجديدة فلم يعرفوا الوسائل الجديدة للانتاج ولم يفكروا في وسائل جديدة للتوزيع . فعقلية هتلر أو غيره من الساسة هي عقلية نبوخذنصر أو رمسيس الثاني او نابليون ، عقلية الاستحواذ على الثروة باخضاع الامم الاجنبية . مع ان العلوم العصرية والمعارف الجديدة قد أوجدت وسائل اخرى لانتاج الثروة تفوق الف مرة اخضاع الامم الاجنبية كما أوجدت الآلات لخدمة الاميركي بدلاً من العبيد

***

والآن ما حاجتنا نحن المصريين — على الاخص — في عالم فاسد كهذا ؟ واجبنا ان نستنير ونتعلم ونفهم محور المشكلة وبؤرة الفساد في العالم وفي مصر . فاذا فهمنا استطعنا أن نقيس جهلنا ومرضنا وفقرنا بمقاييس عالمية واستطعنا ان ننقل مشكلاتنا الى التيار العالمي فنتكلم بلغة المتمدنين ونفكر بتفكير المتمدنين. فلا نسفه ونقول اننا امة شرقية لنا تقاليد خاصة ونكتفي بذلك كأننا نعيش في كوكب آخر غير الأرض . لأن العالم الآن لا يقسم الى شرق وغرب . وانما هو يقسم الى امم دستورية واخرى اتوقراطية ، وامم دموقراطية واخرى فاشية، وامم بلوتوقراطية وأخرى اشتراكية ، وامم زراعية تقليدية واخرى صناعية تنظر الى المستقبل . وهذا تقسيم يفهمه ذهن متمدن مثقف . وهو تقسيم الذهن والمعرفة . اما قسمة العالم الى شرق وغرب فتقسيم الجهل والعاطفة . الاول ينير والثاني يظلم

بؤرة الفساد ومحور المشكلة في العالم كله ان الدنيا تنتقل في عصرنا من عمل اليد الى عمل الآلات الكبيرة . فالاسس التي كانت تنبني عليها المجتمعات القديمة قد تزعزعت . وصار العالم في حاجة الى بناء جديد . وواجبنا نحن في مصر ان نساعد على اقامة هذا البناء

تغير العالم من اقتصاديات الزراعة والعمل اليدوي ، اقتصاديات المالك الصغير والفاقة العامة والمذلة الشعبية، الى اقتصاديات الصناعة الآلية أي عمل الآلات ، اقتصاديات المالك الكبير والانتاج الكبير والثروة الوفيرة ووجدان الشعوب التي تحس ان هذه الثروة يجب ألاَّ تترك في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أيدي طائفة تحد من انتفاع الشعوب بها باحراق المحصولات أو اقفال المصانع . ويجب علينا نحن المصريين أن نساعد على هذا التغير

تغير العالم من النظر التقليدي للمعاش والرضى بأساليب الانتاج الصغير بأدوات يدوية من الخشب، الى النظر الى المستقبل واستخدام العلم في الانتاج الكبير. أي انتاج ؟ الانتاج الذي نعرف منه ان مصنعاً واحداً — أجل واحداً — يكفي العالم كله من بعض الحاجات كالأحذية أو الزجاجات أو العقاقير المختلفة

ومثل هذا المصنع يجب ألاّ يملكه انسان . بل ولا شركة . بل ولا أمة . وانما يملكه العالم كله . لأنه هو ثمرة مكتشفات ومخترعات قد احتاج البشر الى نحو نصف مليون سنة لاتمامها منذ ابتداء الاكتشاف للنار الى الاهتداء الى القراءة والكتابة الى معرفة المعادن الى دراسة العلوم والفنون المختلفة . والبشر سواء في هذا التراث الثقافي ليس لأمة فضل على أخرى

فواجبنا في مصر أن نساعد على هذا الانقلاب العالمي

١ — نساعد على انتقال العالم الى الصناعات الآلية حتى ننتقل الى اقتصاديات الوفرة ونترك اقتصاديات القلة

٢ — ونساعد على تأصيل الاخلاق الجديدة التي تنشأ عن هذا الوجدان : أخلاق الوفرة في المعيشة بحيث يتوافر لكل عائلة بيت وطعام ولباس وتربية وفراغ وصحة وطمأنينة . وكل هذا وأكثر منهُ سهل ممكن في عصرنا

٣ — ويجب ان نساعد على هذا الانقلاب بالنظر الى المستقبل ورسم الخارطة للدنيا الجديدة وأن نترك النظر التقليدي

٤ — ويجب أن يأخذ الرأي والعلم والمناقشة الحرة للاذهان الحرة مكان العقيدة والتقاليد وتقييد التفكير

٥ — ويجب ان ننتقل من حسابات القرية ومهاترات القرية في السياسة المصرية الى سياسة عالمية تشعرنا بالتضامن البشري وتحملنا على التيارات الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية التي تؤثر في العالم وتغيره

***

وفي مصر يجب علينا أن نقتل الاسطورة القائلة بأننا أمة زراعية واننا لن ننجح في الصناعة . ويجب ألاّ نصدقها لأنها أسطورة كاذبة . واذا قيل لنا انه ليس عندنا حديد أو فحم فيجب أن نرد بأن عندنا البترول ومساقط المياه . ويجب أن نقول انه كما نصدر نحن القطن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يمكننا أيضاً أن نستورد الفحم . ويجب أن نقول ان ايطاليا وسويسرا ليس في احداهما فحم أو بترول أو قطن أو حديد ومع ذلك صارت كل منهما أمة صناعية أي أمة عصرية أي أمة تعيش باقتصاديات الوفرة . ففي سويسرا ينال الكنّاس في الشارع (٥ر١٩) تسعة عشر جنيهاً ونصف جنيه في الشهر ، ذلك لأنها أمة غنية بصناعاتها . ولو اقتصرت على الزراعة لكانت فقيرة مثلنا . ونحن نمتاز على سويسرا بمادتين من المواد الخام هما القطن والبترول . وكلانا سواء في السياحة ومساقط المياه أو يجب ان نكون سواء

في سنة ١٩٠٤ سن قانون في مصر للصناعات المصرية . فلم يسمَّ المصنع مصنعاً بل سمي « محل مقلق بالراحة أو مضرّ بالصحة أو خطر » وهذا القانون لا يزال قائماً منفذاً . وهو يعرقل صناعاتنا ويهدم مصانعنا

والعجب ان لفظة مصنع لم تذكر الى الآن في القوانين المصرية . ولكي ندرك المعنى والمغزى من هذا القانون يجب ان نسأل ماذا يكون شعور الطبيب والمريض لو اننا وصفنا المستشفى في قانون جديد بأنه « محل لتقطيع أجسام الناس من رجال ونساء وأطفال أو للموت » ؟

انه ليس شك في ان أجسام المرضى تقطع في المستشفيات وكذلك يحدث فيها الموت . ولكن الى جنب هذا نجد آلافاً ممن يشفون ويهنأون بالسعادة والصحة

وكذلك الحال في المصنع فهو أحياناً يقلق الراحة او يضر بالصحة أو يكون خطراً ولكنهُ يخرج لنا مصنوعات رخيصة ويستخدم ألوف العمال وينقلنا من حضارة الزراعة التقليدية الى حضارة الصناعة، حضارة المستقبل. ويغير تفكيرنا من العقيدة الجامدة الى العلم الحر ويحملنا على تيار عالمي جديد نحو اقتصاديات الوفرة والشبع والمعرفة والصحة بدلاً من اقتصاديات القلة والجوع والمرض والجهل .

فيجب ان يلغى هذا القانون لأن عاقبة بقائه هي عرقلة تطورنا الاجتماعي وابقاؤنا في أسر فكريات قديمة بالية

ولن يمكن أن نصير امة عصرية الاّ بالصناعة على الرغم مما قد يكون فيها من اقلاق بالراحة وضرر بالصحة وخطورة . وكل هذا لن يصل الى جزء من مائة او الف مما في الزراعة من بلاغرة وبلهارسيا وانكلستوما ودرن وجوع وذل وقل

واذا دخلت بلادنا في الطور الصناعي شملت اذهاننا فكريات العلم واخذنا بالنظر الى الأمام واستطعنا أن نسير مع قافلة التمدن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جبرائيل تقلا باشا

لمحمد زكي عبد القادر

في السادس من شهر يوليو الماضي ، فقدت الصحافة العربية كبيراً من بُناتها ، هو المغفور له جبرائيل تقلا باشا صاحب «الاهرام» . وقد كان تقلا باشا شخصية مستترة ، تبدو عظمتها في أثرها ، أكثر مما تبدو في ذيوع اسمها . ذلك انه كان يحب عمله أكثر مما يحب نفسه ، بل لعلّ نفسه كانت تتجسم له في عمله ، فلم يكن يجد ما يفرق بينهما . ومن هنا كره أن يطنطن باسمهِ ، ولو فعل ما كان أحد لينقده ، فان مئات الناس ممن هم أقل منه شأناً وكفاية وأثراً تدوي أسماؤهم صباح مساء . ولم تكن تنقصه الوسيلة للاذاعة والاعلان، فان «الاهرام» بلغت من الانتشار مبلغاً كبيراً . ولكنه آثر أن يكون المجد كله والذيوع كله لجريدته ، وكان يجد رضاء النفس كاملاً ، كلما أتيح له أن يصعد بالاهرام في سلّم الفن الصحفي درجة واحدة

وأخص ما كانت تمتاز به شخصية تقلا باشا التجديد وسبق الزمن . كان حركة دائبة ، لا يحقق أملاً من الآمال ، إلاّ ليرنو الى أمل جديد . ولم تكن الصعاب ، مهما تثقل وطأتها، لتصرفه عن السير الى الأمام . وقد ورث « الاهرام » وهي جريدة ثابتة القدم لها قراؤها ومطبعتها وادارتها ، ومع ذلك فان من يقارن بين « الاهرام » التي ورثها و « الاهرام » التي خلفها ، يكاد يفقد أوجه الشبه بين الاثنتين . ذلك أن تقلا باشا — كما قدمت — كان بانياً مجدداً ، له أفكاره واتجاهاته ومطامعه . وقد سبق « بالاهرام » ما كانت تحتمله النهضة المصرية ذاتها ، فبلغ بها في نحو عشرين سنة مبلغ الصحف الكبرى في أوربا وأميركا . والصحافة — كما يقال — مرآة النهضة الثقافية في البلاد، فهل بلغت مصر من هذه الناحية مبلغ أوربا وأميركا ؟ ما نحسب إلاّ ان يكون الجواب سلباً ، ومع ذلك فان تقلا باشا قد استطاع ، بفضل تفننه وشدة غيرته على عمله ، أن يدفع النهضة الثقافية في البلاد الى الامام دفعاً

وقد كانت « الاهرام » ، قبل أن تخفض الصفحات بسبب ظروف الحرب ، مدرسة للثقافة العامة ، تطالع قراءها كل صباح بالأبحاث المختلفة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الداخلية والخارجيــة ، فتثير فيهم الاهتمام بها ، وتدفعهم الى درسها والاحاطة بمختلف التيارات الجديدة في شتى بلاد العالم . وقد ساعد اتقان اصدارها من الوجهة الفنيــة على ذيوعها ، فكانت تنقل هذه الثقافة الى عشرات الألوف من القراء ليس في مصر فحسب ؛ ولكن في سائر البلاد التي تنطق بالعربية . ومن هنا كانت خدمة تقلا باشـا للنهضة المصرية خاصة ، وللنهضة الشرقية عامة ، ومن هنا كان ما أشرت اليهِ من دفعه لها الى الامام دفعاً ، فكانت جريدته تسبق النهضة وتجذبها وراءها

وكان من المحتمل لو لم يكن تقلا باشا مجدداً طموحاً ، سخيًّا في الانفاق ، مغامراً في سبيل تحقيق أهدافه ، أن تظل « الاهرام » حيث تركهـا أبوه ، أو أن تبلغ من التقدم مبلغاً يناسب النهضة العامة في البلاد ، ان لم تتخلف عنها قليلاً . ولكن « الاهرام » كوسيلة من وسائل نشر الثقافة تفاعلت مع هذه النهضة فدفعت كل منهما الآخرى . وكان دفع « الاهرام » لها، فيما أحسب ، أقوى وأعظم

وقد كان من المحتمل أن لا يكتب لتقلا باشا كل النجاح الذي كتب له ، لو لم يسند روح المجازفة الذي كان بعض خصائصه ، علمٌ وافر، وذكاء نافذ ، ونظرة صادقة للحوادث والاشخاص واحتمالات المستقبل . وقد كان عنيداً ، ولكن عناده لم يكن عناد الجاهل المغرور ، بل عناد الدارس الباحث المقتنع . وقد كان له من سعة فكره وعمق ثقافته ما صرفه عن كثير مما يعنى به عامة الناس ، ويحول بينهم وبين الجد المثمر والعمل الناجح . فلم تكن الخلافات الدينية او المذهبية او الثقافية لتحمله على التعصب لواحدة منها او الانحراف عن الأهداف التي وضعها نصب عينيه ، فاستمع لكل الآراء ، ونشرت جريدته كل الابحاث فتمثلت فيها الحرية الكاملة : حرية البحث والرأي، حرية الكفاح والدفاع ، فلم يكن من هؤلاء الذين لا يحبون الاّ آراءهم ولا يتعصبون الاّ لها، ويكرهون ان يعرف الناس أو يقرأوا غيرها . كان حق قرائه عليه أسمى عنده من كل شيء ، حتى من حق نفسه عليه

***

وكان يحب صناعتهُ حبًّا جمًّا ، ويعنى بجريدته عناية لا حد لها . كان حريصاً على اسمها وسمعتها . ولم يكن مبعث ذلك كله انهُ يبتغي الربح وجمع المال ، بمقدار ما كان يبتغي أن يبلغ بعمله غاية ما يرجوه ، إرضاءً لهوى نفسه . فكان أشبه بالفنان يعنيه ان يعبر بريشته او قلمهِ عن خوالج نفسه ، فاذا بلغ ذلك فقد بلغ هواه . ومن هنا كان سخاء تقلا باشا في الانفاق سخاء منقطع النظير على كل ما يحسبه تحسيناً او ترقية لجريدته دون نظر أو مقارنة بين ما يصرف وما ينتظر ان يرد اليهِ ، ومن هنا ايضاً كانت طفرات « الاهرام » ، التي أثارت عند بعض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اصدقاء تقلا باشا النقد له ، بل والتحذير من عواقب ما سموه اندفاعاً . أدخل قسم التصوير في « الاهرام » وكان الاول من نوعه في الصحافة اليومية وكان خطوة كلفتهُ الكثير من الجهد والمال . وأثار عمله حينئذٍ نقداً وتحذيراً ، ولكنهُ لم يتردد في انفاذ ما اعتزمه . وما هي الا أشهر حتى اذا ما سموه « اندفاعاً » يصبح انقلاباً في الصحافة العربية كلها وإذا الصحف اليومية تتابعهُ فيه ، واذا بها تقطع مرحلة جديدة كبيرة من مراحل تطورها . ولولا جرأة تقلا باشا لكان من المحتمل بل من المؤكد أن تظل الصحف اليومية في مصر وغيرها من بلاد الشرق العربي خالية من الصور، أعني متخلفة عن مثيلاتها في اوربا واميركا بثلاثة اجيال

***

وكان تقلا باشا يؤمن بأن اصدار الجريدة عمل متعدد النواحي ، ولكنهُ متماسك او ينبغي ان يكون متماسكاً ، فكان يرى ان الغلطة الصغيرة في ناحية صغيرة من نواحي هذه الماكينة الضخمة التي تحرر المقالات وتجمع الاخبار وتصفها وتطبعها وتوزعها على القراء لا بد ان يؤثر تأثيراً سيئاً في سائر النواحي . وكان يضرب المثل دائماً بموزع الجريدة هذا المعاون البسيط في دائرة هذه الماكينة الضخمة ، يقول لنفرض انهُ أهمل في توصيل الجريدة الى المشترك أو تأخر في ذلك ، ماذا تكون فائدة الجهد الكبير الذي بذل في اعداد الجريدة وطبعها ؟ من أجل هذا كان حريصاً على ان يسير كل شيء بدقة . وكان يتهاون في الكثير مما يتصل بشخصهِ في معاملاتهِ الخاصة ، ولكنه لم يكن ليتهاون قط في خطأ يمس جريدته من قرب أو بعد

ولم يكن ينظر للجريدة على انها عمل للربح أو للتجارة ، ولكنه كان يراها مجموعة تقاليد صالحة ، أساسها الخلق الفاضل والتعاون الكامل . ولم يكن يغيظه من انسان يشتغل معهُ ان يكون قليل الكفاية ضعيف الانتاج ، بمقدار ما كان يغيظه ان يكون فاسد السيرة ضعيف الخلق . ولم يعرف عنه قط انهُ تخلص من واحد من النوع الاول ، ولكن عرف عنه دائماً انهُ كره التعاون مع النوع الثاني . لذلك كان يتحرى في كل من يضمهم الى أسرة «الاهرام» ان يكونوا من ذوي الاخلاق الفاضلة أولاً حرصاً منهُ على اسم « الاهرام » وسمعتها

***

وقد جعل من « الاهرام » أسرةً ، لا مجازاً ولكن حقيقة . كان يعد كل عامل فيه سواء كان في قسم الصف أو في مقاعد التحرير فرداً من أفرادها يعنى بأمره ، ويتحرى شؤونه ويشاركه في مسراته ومتاعبه ، ويبذل له في السر والعلانية ما ييسر عليه حمل الحياة وكان ديمقراطيًّا بنزعته وروحه . لم تكن الديمقراطية عنده — كما هي عند الكثيرين — ألفاظاً تقال أو مبادىء تقرأ وتحفظ ثم تروى للمباهاة ، ولكن كانت نبض روحه ونبض

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دمه تحس بها في نظرته وكلمته وتصرفه . لم تكن تصنعاً ولا تكلفاً ، ولكن سجية وطبعاً . وكان يكره لذلك ان يبدو في مظهر صاحب العمل المالك ، فكنت اذ تراه يتنقل بين مكاتب المحررين والموظفين ، وبين الصناديق والآلات يلاحظ هذا ويضاحك ذاك ، ترى رجلاً لا فارق بينه وبين غيره ، وكلهم موظفون عنده

***

كان هذا الخلق الرضي بعض قوائم النجاح الذي صادف تقلا باشا في عمله الصحفي . فقد جمع بين صفتين ، قلَّ ان يحسن انسان الجمع بينهما كما فعل تقلا باشا . وأعني بهما صفة صاحب العمل الرأسمالي ، وصديق العمال الاشتراكي . لم يكن أحد ممن اشتغلوا معهُ يضيق بهِ ولا برآستهِ . كان مع دقتهِ وحرصهِ على مصلحة العملِ ، يشعر الجميع بأنهم يعملون لانفسهم وليس له . ومن هنا كان حرصه الدائم على ان يشعر الكل بأن « الاهرام » لهم ، جريدتهم كما هي جريدته بل أكثر مما هي جريدتهُ

وقد وضع « للأهرام » في هذا الصدد طائفة من التقاليد . فلم يكن من سياستهِ ، قط ان يستغني عن أحد ، بل كان من سياسته دائماً ان يحتضن الجميع ويستبقي الجميع ، ويحاول اصلاح من يبدو انه فاسد ، وتشجيع من يبدو انهُ متكاسل ، فكان بهذا الروح الطيب الخير ، القوة الهائلة الدافعة وراء ماكينة « الاهرام » الضخمة ، يجعلها تعمل وتنتج في جدٍّ وسكون وصبر وابتسام

وكان يؤثر في استخدام عماله وموظفيهِ ومحرريه ذوي من كانت لهم صلة عمل سابقة «بالاهرام» فأولادهم واخوتهم مقدمون عنده على من عداهم ، يؤثرهم ببره وعطفه ورعايته وأحسبهُ لم يكن في ذلك متصنعاً ، بل كان جارياً مع سجية أصيلة فيهِ . فقد كان الوفاء بعض خلقهِ . الوفاء للاهل والاقارب والصحاب والوطن ، بل الوفاء للامكنة والرسوم والحيطان ومن كان يستمع اليهِ وهو يتحدث عن أمهِ وأبيهِ ، عن تأسيس «الاهرام» وجهد مؤسسيهِ يشعر ان الرجل يفيض براً بأبويهِ كما يفيض براً بما ورثاه — «الاهرام» العزيز . ظلَّ صديقاً لاصدقائهما ، محباً لمن كانا يحبان ، دائم الذكر لهما والاشادة بفضلهما عليهِ وعلى الاهرام

ولم تكن عين تقلا باشا على مصر فحسب ، بل كانت على العالم كلهِ يحب أن يوثق الصلات بينهما ، فلا تظل مصر متخلفة عن موكب الحضارة . ولذلك عني عناية خاصة بقسم الانباء الخارجية في جريدتهِ ، وجعل لها في أهم العواصم العالمية مراسلين ، اختارهم من صفوة رجال الصحافة فيها ذوي المقام المحترم والمكانة الملحوظة ، ولم يدخر في سبيل ذلك — على عادتهِ — جهداً ولا مالاً . كان ثمة هدف يضعهُ أمام عينيهِ ، فلابد أن يحققهُ مهما يكن الثمن باهظاً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد حققهُ وكفل لقراء العربية خلاصة وافية لأهم الانباء الخارجية في السياسة والاقتصاد والاجتماع والآداب والفنون

وكان تقلا باشا مخبراً من الطراز الاول ، يوجه مخبريه ومندوبيه ، ويرسم لهم الطريق الصحيح للصحافة الاخبارية الراقية . يدلهم على المصادر التي يستقى منها الخبر ، والوسيلة اليها ، ثم على الاسلوب الذي يكتب بهِ الخبر . وكان يراجع كل ما ينشر في « الاهرام » اذا تولى رآسة التحرير في غيبة الأستاذ انطون الجميِّل بك ، فكان يمسك بيده قلماً ضخماً أحمر أو أخضر ، ويلقي نظرة على الورقة ، وسرعان ما يضع قلمهُ على الخطإ الذي يراه ، أو على الملاحظة التي تعن لهُ . فاذا أردت أن تقرأ بانعام ، وأردت أن تلاحظ الخطأ أو توجه الملاحظة وأنفقت أربعة أمثال الوقت الذي أنفقهُ تقلا باشا في النظر الى الورقة ، لم تجد غير ما وجده تقلا باشا . ذلك انهُ كان دقيق الحس ، صادق النظرة ، سريع الفهم ، ملتمع الذكاء ، لم يكن يحتاج إلاّ الى ربع الوقت الذي يحتاج اليهِ غيره ليفهم ما يفهمهُ ويلاحظ ما يلاحظهُ وينجز ما ينجزه

وكان حبه للاستاذ أنطون الجميِّل بك واحترامهُ اياه بعض مظاهر تقديره للخلق الفاضل والكفاية النزيهة . جاءَه يوماً طلاب جامعة فؤاد من القائمين بمشروع القرش ، طالبين اليهِ ان يتبرع للمشروع على عادتهِ كل سنة ، فسأل بكم تبرع رئيس تحرير «الأهرام» فقالوا له بجنيهين فقال وأنا أيضاً أتبرع بجنيهين

***

فالمصاب بوفاة تقلا باشا ليس مصاب الصحافة العربية فحسب ، ولكنهُ مصاب الأخلاق الكريمة القوية ، والشخصية الناجحة المسيطرة في غير عجب ولا غرور ، الموجهة في غير منٍّ ولا زهو ، العاملة في غير ضجة ولا اعلان . وقد أحسّ الجميع فقده احساساً عميقاً ، من عرفوه ومن لم يعرفوه ، وانتظمت جنازتهُ كبراء الدولة في المناصب الرسمية ، وفي مراكز القيادة الشعبية والتوجيه القومي . لم يبقَ في مصر رجل ذو مقام لم يعزّ في تقلا باشا ، ولم يأسف لوفاتهِ ، فكان يومها يوم حداد عام

وقد طويت ، بموت جسده ، صفحة حياته العاملة بيننا ، ولكنَّ ذكره سيظل خالداً أبد الدهر . وحينما يكتب الكاتبون تاريخ الصحافة المصرية ، بل الصحافة العربية ، سيجعلون لتقلا باشا صفحة من أزهى صفحاتها . فقد كان من أوائل الذين كفلوا لها المقام الذي بلغتهُ . لم يعطها ماله فحسب ، ولكن أعطاها قلبهُ وعقلهُ ، ووهب لها آخر العمر حياته، فأضفت عليهِ المجد الذي لم تضفه على أحد قبلهُ.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استكشاف الطائرات

بالأشعة تحت الأحمر

وبأمواج الراديو القصيرة

لا تزال الاحوال الجوية من أعدى عداة الطيران على مقربة من سطح الأرض. حتى السفن الجوية الكبيرة الحديثة التي أعدت للطيران على ارتفاع عظيم، يتعين عليها ان تجتاز في صعودها وهبوطها، طبقات من الهواء تضطرب فيها احوال الجوّ. والضباب من أعظم حالات الجوّ خطراً على الطائرات. ولكنَّ العلماء مكّنوا للطيارين من اختراق الضباب فكأنهم ينظرون من خلال زجاج صاف شفاف

فقد جرّب الطيّارون مثلاً تصوير بقعةٍ ما على سطح الارض تصويراً ضوئيًّا دقيقاً برغم طبقٍ من الضباب — أو ما ظنَّ ضباباً — يحول بين الطائرة والأرض. ولو كان الاعتماد على اشعة الضوء المألوف في هذا التصوير لكان متعذراً، ولكن اشعة الضوء الذي تحت الأحمر جعل ذلك التصوير مستطاعاً

وقد أفضت تجارب من هذا القبيل الى الاعتقاد بان الاشعة التي تحت الاحمر تخترق الضباب. وصنع جهاز خاص لتصوير صورٍ بها على «فلم» خاص وتثبيته وتظهيره بسرعة ومن تلقاء ذاته ووضع هذا الجهاز في مقدَّم الطائرة فيستعين بهِ الطيار في الهبوط الى الارض بغير مشقةٍ أو خطر عندما يكون الضباب يحجبها

ولكنّ الحقيقة ان الاشعة التي تحت الاحمر لا تخترق الضباب

***

فالاعتقاد الشائع بأن الأشعة التي تحت الاحمر تخترق الضباب كان قائماً على صورٍ أثبتت ان هذه الأشعة تستطيع أن تخترق الهباءَ المنثور في الهواءِ - لا الضباب - وعلى سوء استعمال قاعدة علمية تصف سير أشعة الضوءِ في جوٍّ انتشرت فيهِ دقائق صغيرة. وهذه القاعدة تصحُّ، اذا كان حجم هذه الدقائق من رتبة طول أمواج الضوءِ. وحجم دقائق الهباءِ المنثور في الهواءِ من هذه الرتبة. ولكنّ دقائق الضباب تفوق دقائق الهباء خمسمائة ضعف. وكل منها يبلغ قطرها ستة أجزاء من مائة جزءٍ من البوصة. واذن فلابدَّ من استعمال أمواج من الضوء طولها من رتبة قطر هذه الدقائق، لاختراق الضباب. وأدهى من هذا ان الأمواج الطويلة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

— نسبيًّا — القادرة على اختراق الضباب ، على أساس هذه القاعدة ، تمتصها الغازات التي في الهواء فتضيع فائدتها

ولكن اذا كانت الأشعة التي تحت الاحمر عاجزة عن اختراق ضباب كثيف ، فان لها فوائد جمة أخرى . منها كشف طائراتٍ معادية أو سفن معادية عند اقبالها في الليل بغير أضواء ترى

تصدر الأمواج التي تحت الأحمر عن جسم حامٍ . وهي أمواج لا ترى لأن العين لا تحس إحساساً بصريًّا بأمواج ما تحت اللون الأحمر في الطيف ، وهي أمواج أطول من أمواج اللون الأحمر. والاسطوانات الحامية في محركِ طائرةٍ ، أو مداخن سفينة ، تطلق هذه الأمواج — أمواج الضوء الذي تحت الاحمر — وكذلك الغازات الحامية الخارجة من أنابيب العادم في طائرة أو سيارة

ولما كانت الأمواج التي تحت الأحمر متصفة بخواص أمواج الضوء المألوف ، ففي الوسع جمعها في نقطة واحدة بوساطة عدسةٍ أو مرآة مقعَّرة ، وبذلك يمكن تكوين شبح أو صورة للجسم الذي يطلقها أو يعكسها . وكان لا بدَّ من استنباط وسائل ، لجعل الشبح أو الصورة مما تراهُ العين . واحدى هذه الوسائل استنبطها الباحث زوروكين وأقامها على أساس من استعمال الكهيربات . فثمة عدسة تجمع الضوءَ الذي تحت الاحمر ، المنطلق من جسمٍ ما ، وتصنع شبحاً لهُ على لوحٍ من الفلز مغطى بطبقة من الفضة والسيزيوم والاكسجين

فعند ما تقع الاشعة على هذا الغشاء ، تتأثر ذراته بها فتتطاير منها كهيرباته وهذه الكهيربات تجمَّع بأسلوب خاص شبيه بما يتمُّ في التلفاز المستقبل، على لوح من زجاج تغشاه مادَّة تتألق بتأثير الكهيربات ، وعندئذٍ يظهر الشبح. وبهذه الوسيلة تستطيع ان ترى طائرة مقبلة ، اي ترى صورة محركاتها التي تطلق اشعة تحت الاحمر

وهناك طريقة أخرى أدنى وأسهل اخترعها رجل يدعى روسكو جورج مساعد استاذ الهندسة الكهربية في جامعة پرديو . وقد قام اختراعه على ملاحظة بعض المواد التي من قبيل الفضة والسيزيوم في جهاز في زوروكين ، وأنها تبقى متألقة بعد وقوع الاشعة عليها — سواء كانت أشعة الضوء المرئي أو الأشعة التي فوق البنفسجي وهي قصيرة لا تراها العين لقصرها — وتأثيرها فيها . وكما تؤثر هذه الاشعة في هذه المواد فتتألق مدةما بعد انحجاب الاشعة ، تؤثر فيها كذلك الكهيربات والاشعة السينية . اي ان هذه المواد تخزن الطاقة ثم تطلقها بعد انحجاب الاشعة ، أو تيارات الكهيربات الموجهة اليها . وهذه الظاهرة تعرف بظاهرة « الفصفرة » Phosphorescence ولكن اذا عرضت للاشعة التي تحت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاحمر، كان إطلاقها للطاقة المخزونة فيها أسرع مما يكون عادة أي انك تستطيع ان تعرض لوحاً مفصفراً لضوء الشمس، ثم تدخله حجرة معتمة فيتألق فيها . ولكن اذا عرضته في الحجرة المعتمة للاشعة التي تحت الأحمر، اشتدَّ تألقهُ، وان كان زمن تألقه أقصر مما يكون عادة

لجهاز روسكو جورج، قائم على جمع الاشعة التي تحت الاحمر، الصادرة من جسم بعيد كأشعة شبح طائرة مقبلة، على لوحٍ مفصفر . وتكون اداة جمع الأشعة مرآةً مقعَّرة فكأن الجهاز كلهُ مرقب فلكي من النوع العاكس. فداخل المرقب مصدرٌ للضوء الذي فوق البنفسجي . . هذا الضوء موجه الى اللوح المفصفر فيتألق تألقاً ضعيفاً . ولكن البقعة من اللوح التي تقع عليها الأشعة التي تحت الاحمر، تتألق تألقاً قويًّا فتتميَّز عن سائر اللوح

على انهُ اذا كانت الأشعة التي تحت الأحمر، عاجزة عن اختراق الضباب، فان أمواج الراديو القصيرة المتناهية في القصر تخترقهُ، وهي أطول من الأشعة التي تحت الأحمر مراراً . وتوليد أمواج الراديو القصيرة، مستطاع بغير طريقة واحدة، ومنها طريقة جهاز يدعى كليسترون Klystron صنع اولاً في جامعة ستانفورد الاميركية والثانية جهاز يدعى ماجنترون صنع في الشركة الكهربية الاميركية العامة

ان الأمواج التي يولدها هذان الجهازان يبلغ طولها عشرين بوصة وهي أقصر كثيراً من الأمواج المستعملة في الاذاعة اللاسلكية . وهي تتصف بكثير من خواص الضوء . ومن هذه الخواص انها تعكس، لجسم طائرة مصنوعة من المعدن يعكسها . وبجهاز من هذا القبيل تمكن أحد رجال القوات المسلحة الاميركية في برل هاربر، من تبين الطائرات اليابانية المقبلة للاغارة في صباح ٧ دسمبر ١٩٤١، وكانت الطائرات لا تزال على ١٣٠ ميلاً . أما لِمَ لمْ تتق الغارة بعد الإنباء باقبال الطائرات فليس اللوم فيه على الجهاز . ومبدأ هذين الجهازين هو كذلك مبدأ النظام الذي استعمل في تبين الطائرات المغيرة على بريطانيا اولاً ثم على مالطة في إجادة تسديد القذائف اليها من المدافع المضادة للطائرات وتوجيه الطائرات المطاردة الليلية اليها. وأجهزة من هذا القبيل تمكن أصحابها من معرفة اتجاه الطائرة المقبلة وسرعتها وارتفاعها كما تمكن سفينة حربية مجهزة به من تبين سفينة معادية اذ تكون بعيدة لا ترى بالعين أو بالمنظار فتقذفها قذفاً محكماً، بغير ان يدري رجال السفينة المعادية من اين جاءتهم القنابل، وبغير ان يسمعوا قصف المدافع التي أطلقتها

أما تفاصيل هذه الاجهزة فمن الاسرار الحربية المكتومة، وليس ثمة ريب في انها ستغدو بعد الحرب من وسائل تأمين السفر في الجو والبحر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نفس الطغاة

في ضوء علم النفس التحليلي

لعلي أدهم

— ١ —

يزعم الماركسيون ان الافراد لا يقام لهم وزن في سير التاريخ ، وان القوى الاقتصادية والاجتماعية هي التي ترسم الخطط ، وتوجه المصائر ، وتحقق الغايات ، في المدى الواسع والحركات الشاملة ، سواء عاش من عاش أو مات من مات . ولكن الواقع ان الاحداث السياسية الكبرى هي في الغالب نتيجة للتفاعل المستمر بين الاحوال المادية والاهواء البشرية ، وربما كان هناك شيء من الاسراف فيما يعزوه بعض المفكرين الى ما كان لانف كليوبطرة من خطر الشأن في الحركة التاريخية ، ولكن مما لا يكاد يختلف عليه انهُ لولا تمكين الالمان للزعيم لينين من الوصول الى روسيا في أواخر الحرب العالمية الاولى لما كانت الثورة الروسية ، او لتأخر حدوثها واخذت صورة غير صورتها المعهودة ، ولا يمكن ان يفسر التاريخ من ناحية واحدة تفسيراً صادقاً ، ولا مفر لمن يحاول أن يستقري أسبابه ويتعرّف بواعثه من ان ينظر اليهِ من زوايا مختلفة ، ويصطنع اساليب متعددة

وفي اعتقادي ان هتلر زعيم الالمان في العصر الحاضر من الاشخاص الذي وسموا الحوادث بميسمهم الخاص ، وأثروا في مجرى التاريخ . وقد تختلف الآراء في تقدير مواهبه ، وتحليل اخلاقه ، وتعديد صفاته ، ولكن لا يمكن انكار شخصيته الفذة ، وتأثيره البعيد . فلولاه لما وقعت هذه الحرب الطاحنة ، اوعلى اقل تقدير لما وقعت على النمط المعروف ، واصطبغت بالصبغة التي تبدت بها . وقد لا يكون الوقت الحاضر هو أنسب الاوقات لاصدار الاحكام على هتلر ، ووضعه في الميزان ، ولكن لا نزاع في ان لآراء معاصريه في نقد اعماله ، ووصف اخلاقه ، وفهم شخصيته ، شأناً يذكر ، وقيمة لا تنكر ، وسيفيد التاريخ من أمثال هذه الآراء ويستشهد بها ويرجع اليها في تقرير احكامه بعد التمحيص والمراجعة والمقابلة والموازنة . ومما يزيد في قيمة أمثال هذه الآراء أن يكون مصدرها أحد العلماء البارزين المشهود لهم بنزاهة القصد وصدق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التحري وثقوب الفكر . ومن هؤلاء المفكرين الذين تناولوا شخصية هتلر بالتحليل الدقيق والكشف الفاحص الدكتور يونج ، وهو أحد علماء علم النفس الاعلام ، وفي طليعة تلامذة العلامة الكبير فرويد ، وقد اختلف مع استاذه واستقل بمذهبه الخاص وأسلوبه الممتاز مثل ضريبه العلامة ادلر . قال عنه الدوس هكسلي : « يونج يوحي الى الانسان الثقة به والاطمئنان اليهِ لانهُ عالم نفسي بالطبع والصنعة، ويخالجك في اثناء قراءة كتبه الشعور بأنك في حضرة رجل يفهم الكائنات البشرية فهماً لا تشوبه الشوائب ويدرك كنهها ببصيرة نفاذة كالبصيرة التي يهتدى بها في فهم الناس الروائيون من طراز تولستوي ودستيوفسكي ، ولست أعرف عالماً نفسيًّا آخر يثير في نفسي مثل هذا الشعور ، وغيره من علماء النفس يعرفون واجبهم ، ولكن يونج على ما يلوح لي يفهم بكل كيانه لا بعقلهِ فحسب ،وهو الى جانب معرفته بالنفس الانسانية المستمدة من البصيرة محلل قدير وفيلسوف وعالم ، والعالم النفسي الذي يستطيع ان يحدثنا بشيءٍ له قيمة يلزم ان يكون صاحب مواهب متعددة »

— ٢ —

وفي اكتوبر سنة ١٩٣٨ بعد اعتداء هتلر على الجمهورية التشيكوسلوفاكية ذهب الى زيورخ الكاتب الصحفي الاميركي البارع نيكر بوكر ، وقصد الى العلامة يونج ليستوضح رأيه في هتلر ، وكان يعلم ان مثل هذه الشخصية العجيبة لا بد ان تكون قد شغلت بال هذا العالم النفسي الكبير وأثارت تفكيره ، وفعلاً علم منهُ انهُ درس شخصية هتلر سنوات عدة ، ولما سأله نيكر بوكر عن سر قوة هتلر أجابه بما يأتي : —

الرجال الاقوياء في المجتمع البدائي نوعان ، النوع الأول الزعيم وقوته عضوية فهو أقوى من مناظريه جميعهم ، والنوع الثاني رجل الطب الروحي وهو ليس قويًّا بنفسه وانما مصدر قوته ، تلك القوة التي يمنحه الناس إياها ، ومن ثمَّ عندنا « الامبراطور » و « البابا »

وهتلر من طراز رجال الطب الروحي ، وجسمه لا يوحي القوة ، والخاصة البارزة في محيّاه هي نظرته الحالمة ، وقد استرعى نظري هذا بوجه خاص عند مشاهدتي للصور الشمسية التي أخذت له عند حدوث أزمة تشيكوسلوفاكيا ، فقد لمحت فيعينيهِ نظرة « الرائي العارف»

وهنا وجه اليه نيكر بوكر هذا السؤال « ليس لهتلر تأثير ما في أجنبي على حين ان كل فرد ألماني يكاد يخر أمامه ساجداً ويعبده عبادة ، فكيف ذلك ؟ »

فوافق على ذلك الدكتور يونج وقال هـذا صحيح ، وقليل من الأجانب يتأثرون به ويستجيبون له ، والالمان على نقيض ذلك ، وسبب هذا ان هتلر هو مرآة العقل الباطن لكل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الماني ، ولكنه بطبيعة الحال لا ينعكس في نفسه شيء من غير الالمان

وهو مكبر الصوت الذي يضخم الهمسات غير المسموعة للروح الالمانية فيصل سمعها الى الأذن الالمانية الواعية ، وهو الرجل الذي يطالع كل الماني بما يشعر بهِ في ثنايا عقلهِ الباطن عن مصير المانيا وبخاصة منذ هزيمتها في الحرب العالمية ، والطابع الذي غلب على الروح الألمانية هو « عقدة النقص » التي يشعر بها الاخ الاصغر أو الفرد الذي يحضر دائماً المأدبة متأخراً قليلاً ، وليست قوة هتلر سياسية وانما هي سحرية

ولأجل أن نفهم السحر يلزم أن نفهم العقل الباطن ، والعقل الباطن جزء من تكويننا العقلي ليست لنا عليه سوى سيطرة يسيرة ، وهو حافل بضروب التأثرات والأحاسيس ، وهو يحوي أفكاراً وألواناً من الاستنباط لا ندري عنها شيئاً ، وعلاوة على المؤثرات الواعية التي تنتاب حواسنا فانها تتلقى كذلك مؤثرات لا تعيها ولا تدركها لأنها طفيفة لا تسترعي انتباهنا الواعي ، وهي تكمن وتستخفي وراء مدخل الوعي ، وجميع هذه المؤثرات غير الواعية تثبت وجودها في سجل العقل الباطن ولا يفقد منها شيء ، وقد يتحدث بعض الناس بصوت خفيض لا يكاد يسمع في الحجرة المجاورة ولا نعيره نحن اهتماماً خلال تحدثنا في هذه الحجرة ولكن المحادثة مع ذلك تسجل في عقلنا الباطن

وليس سر قوة هتلر في ان عقله الباطن يحوي من القوة المذخورة اكثر مما عندك أو عندي ، وانما سر قوته له وجهان ، الاول هو ان عقله الباطن متصل بعقله الواعي اتصالاً شديداً غير مألوف ؛ والثاني هو انه يسترسل مع وحي عقله الباطن ويتأثر بهِ ويخضع له ، فهو كالذي يصغى الى ايحاءات متواترة منبعثة من مصدر خفي في صوت مهموس ويعمل وفقها

وأما نحن فقد نتلقى أشياء من عقلنا الباطن بطريق الاحلام ، ولكنْ لنا من عقولنا وتفكيرنا ما يحول بيننا وبين الانقياد لهُ وتلبيتهِ رغائبه ، أما هتلر فانه يصغي ويلبي الطلب والزعيم الحق دائماً « يُقاد »

ونحن نستطيع أن نلحظ تأثره بذلك الصوت الخفي ونلمح أثره فيهِ ؛ وقد أشار هو إلى ذلك ، وليس هذا الصوت سوى صوت عقله الباطن الذي ادمج فيهِ الألمان نفوسهم ، أي العقل الباطن لثمانية وسبعين مليوناً من الالمان ، وهذا هو ما يجعل هتلر قوياً ، وهو لاشيء بدون الشعب الالماني ، وهو صادق الصدق كله عندما يقرر انه يعمل ما يعمل لان الشعب الالماني يؤيده ويشد أزره ، أو كما يقول هو في بعض الاحايين « لانه هو المانيا » فهو قوي بعقله الباطن وكون هذا العقل وعاء لأرواح ثمانية وسبعين مليوناً من الالمان ، وشعوره

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللاواعي بالتوازن الحقيقي بين القوى السياسية في بلاده والقوى السياسية في العالم لم يخطىء حتى الآن (١٩٣٨)

وهذا هو السبب في انهُ يصدر احكاماً سياسية صحيحة تزيف آراء مستشاريه وتخطىء آراء الاجانب الذين يراقبون سير الأحوال ، ومعنى ذلك ان المعلومات التي جمعها عقله الباطن، وتسللت الى عقله الواعي ، عن طريق تلك الموهبة الخارقة كانت أدنى الى الحق وأقرب الى الصواب من المعلومات التي جمعها غيره من الناس سواء كانوا من الالمان او الاجانب الذين حاولوا ان يحكموا على الموقف وانتهوا الى نتائج مخالفة للنتائج التي انتهى هو اليها »

ولم يكن هتلر حينذاك قد اتّهم تشيكوسلوفاكيا برمتهـا ، وقال نيكر بوكر للدكتور يونج «لو استمرَّ صوت هتلر الداخلي على صواب دائماً لأصبحنا في عصر يثير الاهتمام الى أقصى حد »

فأجاب الدكتور يونج وقد بدت على وجهه أمارات الاهتمام « نعم ، ان الشعب الالماني على ما يلوح مقتنع بأنه قد وجد منقذه او «مسيحه» وموقف الالمان يشبه من بعض الوجوه موقف اليهود قديماً شبهاً يسترعي النظر .

وقد انتظر الالمان « مسيحهم » المخلّص منذ هزيمتهم في الحرب العالمية ، وهذا من خصائص الأقوام المصابين بعقدة النقص ، وقد أصابت اليهود عقدة النقص من جراء عوامل جغرافية وسياسية ، فقد كانوا يعيشون في ناحية من العالم مستهدفة لغزوات الفاتحين من الناحيتين ، وبعد عودتهم من السبي الاول الى بابل كان الرومان يهددونهم باستئصالهم وقطع دابرهم فابتكروا فكرة « المسيح » ليتعزوا بها ، وكان هذا « المسيح » هو الذي سيجمع شملهم ويتم وحدتهم وينقذهم

وقد أصابت الالمان عقدة النقص من أسباب مشابهة لذلك ، فقد قدموا من وادي الدانوب متأخرين ، وعندما بدأت تتكوّن حياتهم القومية كانت حياة الانكليز والفرنسيين القومية قد اكتملت ونضجت ، وشرع الالمان في البحث عن المستعمرات ومحاولة وضع أسس امبراطورية جد متأخرين ، ولما تمت وحدتهم وأصبحوا أمة واحدة أداروا الطرف حولهم فرأوا الانكليز والفرنسيين وغيرهم من الامم تملك المستعمرات الغنية ، والعدة الكاملة، فاستولت عليهم الغيرة ، واشتد بهم الحقد ، وهم مثل الأخ الاصغر الذي أخذ اخوته الأكبر منه سناً نصيب الأسد من الميراث

وهكذا كان الالمان يغطون في النوم اثناء تقسيم العالم الى امبراطوريات استعمارية ، ومن ثمَّ لحقتهم عقدة النقص وجعلتهم ينزعون الى الحرب العالمية ، ولما خسروا هذه الحرب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ساءت حالة عقدة النقص الكامنة في نفوسهم ، وتفاقمت العلة ، وقويت رغبتهم في ظهور المنقذ المنتظر ، فكان لهم هتلر ، واذا لم يكن هو مسيحهم الحق فانه يشبه أحد انبياء كتاب العهد القديم (التوراة)ورسالته هي ان يضم شمل قومه ويقودهم الى أرض الميعاد ، وهذا يفسر لنا لماذا كان النازي يحاربون كلّ لون من ألوان الدين يناظر عبادتهم وتقديسهم لزعيمهم ولست أشك في أن الحملة على الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية ستستمر بلا هوادة ولا توقف ، وسبب ذلك معقول من وجهة النظر النازية ، فهم يريدون ان يحل محل هذه المذاهب العقيدة الهتلرية الجديدة

وروى الدكتور يونج انه شاهد هتلر عن قرب عند مقابلته لموسوليني في برلين فقال :

كنت على كثب من الرجلين ، وأستطيع أن أدرسهما دراسة دقيقة ، وبدا لي ان هتلر بالقياس الى موسوليني كأنهُ آلة تدور بقوة محركة من الداخل ، ففي خلال فترة المقابلة لم يبتسم قط وكان كأنهُ حانق متعكر المزاج ، ولم يظهر ما يدل على انهُ انسان

«وكان المعنى الذي يلوح على وجهه هو شدة تصميمه على الاتجاه الى هدفه المقصود تصميماً لا تشوبه روح الفكاهة ، وبدا كأنه صورة أخرى لشخص حقيقي ، وان هتلر الرجل ربما كان مختبئاً في الداخل كأنه ملحق أو هامش وانه يتعمد ذلك حتى لا يعوق سير الآلة

ولا تشعر في حضرة هتلر انك مع رجل ، وانما أنت في حضرة طبيب نفسي ، فيغشاك الخوف وتدرك انك لاتستطيع أن تتحدث الى هذا الرجل لانه ليس هناك انسان، فهو ليس رجلاً وانما هو « جماعة » وليس هو فرداً وانما هو « أمة » برمتها ، وأنا أصدق كل التصديق انه ليس له صديق شخصي، وكيف تستطيع أن تتحدث حديثاً بلا كلفة مع أمة ؟

ثم استرسل يونج يقول : وأنت تعرف انك اذا جمعت في صعيد واحد مائة شخص من أوفر الناس ذكاءً تكوّن منهم جمهور سخيف ، واذا اجتمع منهم عشرة آلاف كان لهم عقل تمساح ، ألم تلاحظ انه كلما كثر عدد المدعوين على المائدة سخف الحديث ؟ وفي الجماعات تتضاعف الصفات المشاعة المشتركة بين الناس وتتكدّس وتصبح هي خاصة الجماعة كلها

وليس في كل انسان فضائل ، وانما كل انسان له غرائزه الحيوانية الوضيعة ، وفيه ايحاءات انسان الكهوف البدائي وفيه سمات المستوحش السيء الظن النزاع الى الشر ، والنتيجة المحتومة لذلك هي انهُ متى تمت وحدة شعب مكون من ملايين كثيرة من الناس فهو ليس انساناً وانما هو برص او تمساح أو ذئب ، ورجال السياسة في هذا الشعب لا يرتفعون عن مستوى آدابه الحيوانية ، ولو ان السياسيين في الحكومات الدمقراطية قد يرتفعون قليلاً في سلوكهم فوق هذا المستوى ، وليس في وسع هتلر ان يبر بعهد قطعه على نفسه أو ان يحترم اتفاقاً ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

او يحافظ على معاهدة اذا كان في ذلك ما يفوت على المانيا مصلحة ما وذلك لانه هتلر هو الامة الالمانية »

— ٣ —

هذا هو رأي الدكتور يونج في هتلر وسر قوتهِ وتعليل تأثيره في نفوس الالمان ، كما رواه الصحفي نيكر بوكر

ويرى «جون جنثر» ان اكثر الحاكمين بأمرهم من الشواذ لان الرجل العادي لايستطيع ان يحتمل تبعة حكم امة من الامم حكماً استبدادياً ، وعنده ان الحاكمين بأمرهم مصابون في أعصابهم . فكمال اتاتورك كانت حياته عاصفة مضطربة ، ودولفوس كان شديد الشعور بأنه قزم قميء ، وموسوليني مجنون بالقوة وأقربهم الى صحة الجسم وسلامة الاعصاب ستالين ولكنه كان في صباه من الثوّار الذين يلقون القنابل

وقد فسّر العلامة النفسي النمساوي الدكتور ستيكل نفسية الطغاة بأنهم مصابون « بعقدة السيادة » وهو يرى ان تعليل ذلك يلزم ان يبدأ بالطفل والعمل على فهم ميوله ونوازعه . ففي كل طفل صراع بين غرائزه الخاصة والدروس التي يتلقاها من الخارج ، فالطفل مثلاً يحب أن يكون قذراً ، ولكننا نرغمه على ان يكون نظيفاً ، والتربية الى حد كبير مجهود يبذل لصياغة الطفل في قالب جديد وكبت غرائزه الاصيلة ، وهي تعتمد على تقرير السلطة ولذا تصبح السلطة هي عدوة الطفل لان معناها اهدار حقوق غرائزه وقمعها

والسلطة الاولى هي سلطة الوالدين ، فهما اذا كانا ضعيفين وكان الطفل متحدياً للسلطة خارجاً على الأوامر والنواهي ظهرت سلطات اخرى لكبح جماحه والحد من طغيانهِ وهي سلطة أطفال أكبر منه سناً وسلطة المدرس وفي بعض الاوقات سلطة القانون ثم سلطة الدين وهي فوق جميع هذه السلطات . ومنذ سنة ١٩١٤ أخذت تتحلل عقدة السلطة . ومن الواضح المعروف ان الأسرة ليست في العصر الحاضر هي الوحدة المقدسة كما كانت في الماضي والآباء انفسهم لا يستجيبون الآن لمعايير الآداب التي يحاولون فرضها على ابنائهم . وقد كان ذلك سبباً في شق الاطفال عصا الطاعة وتمردهم على آبائهم ، وقد ضعفت كذلك سلطة المدرس فأصبح الأولاد لا يأخذون المدرس مأخذ الجد . وقد أضعفت الحرب الكبرى السلطة الدولية وتأثر بذلك القانون والنظام في حيز الحدود القومية وأغرق العالم طوفان من الجرائم وخاصة في أميركا ، وأخذ الشبان بعد ذلك يتساءلون « كيف نؤمن بالله الذي سمح بحدوث مثل هذه الحرب الشعواء وقتل ملايين البشر ؟ » وهكذا ضعفت نظرية السلطة وتحطم بناء العقيدة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واستتبع ذلك بضرورة الحال هبوب عاصفة الطغاة ، فأمثال هتلر وموسوليني يقومون مقام الآباء وقد ينقم الناس سلطتهم ولكنهم لايستطيعون أن يعيشوا بدونهم وقد وجد الطفل الحديث ان والديه غير جديرين بالطاعة فأخذ يبحث عن قائد محترم وامام رشيد فانتقل مركز السلطة الى خارج المنزل

ولكن لماذا لا يخرج الفرد على سلطة الزعيم كما خرج على سلطة الوالد ؟

يرى العلامة ستيكل ان شك الفرد في ان الزعيم غير معصوم يقل ويضعف كلما كثر انصار الزعيم ، وقويت شوكته ، واستفحل نفوذه ، وكلما كثرت الجموع الملتفة حول الزعيم قلت الحاجة الى الشك في قوته وعمَّ البلاد تمجيده وخرَّت الأمة كلها عند اقدامه

ويقول ستيكل انهُ كلما تكاثرت الناس حول الزعيم استحال شعورهم بالنقص شعوراً بالتفوق ، وذلك لأنهم يضعون انفسهم في مكان الزعيم ، ويقاسمونهُ سلطته ، ويخلطون انفسهم به ، ويصبحون منه ويصبح هو منهم ، ويشاركونهُ في « عقدة السلطة » . والالمان يقولون انهم لا يحاربون من أجل هتلر وانما هتلر هو الذي يحارب من اجلهم ، وموسوليني لا يطلب القوة لنفسه وانما من أجل ايطاليا اي من أجل ايطاليين آخرين وهكذا يلتقي الخضوع والتحدي ، ويمتزج الحب والكراهة ، ويصبح الطاغية المستبد هو المنقذ

وأكثر الطغاة تمرَّدوا في طفولتهم على سلطة آبائهم ، وقد وهبوا عقلاً أرجح وأسمى وارادة أمضى وأقوى ولذا نجحت ثورتهم بعد الطفولة البائسة والحرمان المؤلم وثأروا لأنفسهم وانتقموا لما لحقهم من الاهانة وسوء المعاملة وأخذوا يفرضون سلطتهم على الغير ويعنفون الناس وأصبحوا اباء للوطن بأسره لا للاسرة وحدها

واكثر طغاة العصر الحديث ولدوا فقراء فموسوليني وهتلر كانا في فقر مدقع ، وبعض الطغاة كانت طفولتهم مرة قاسية مثل هتلر ، ودولفس كان من أصل وضيع ، وقد استعاضوا عن مرارة طفولتهم بالبحث عن القوة وطلب المجد والشهرة

ولكن لماذا يصل الطغاة الى السلطة في يسر وسهولة حتى كأن الاقدار تسدد خطواتهم وتمهد لهم السبيل وتذلل العقبات ؟

السبب في ذلك هو اننا نحن الأشخاص العاديين نحاول أن نلقي عبء كل أزمة على شيء ما ، وأقرب شيء نراه وأيسره هو النظم التي نعيش في ظلها ، ولذلك ينقدح الشك في تلك النظم وتزول قداستها وتسقط وتنهار ، ويخلو الطريق للطاغية ، ويسهل بعد ذلك عليه الاحتفاظ بقوته لأن قوة السلاح كمينة في نظامه والبشر كما يقول ستيكل « يحبون أن يخوَّفوا »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوزارة والوزراء (1)

في عصور مختلفة من الاسلام

لمحمد عبد الغني حسن

لم ترد كلمة « الوزارة » فيما نعرف من كلام العرب في الجاهلية شعراً أو نثراً ، وقد ورد في القرآن أحد مشتقاتها وهو قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « واجعل لي وزيراً من أهلي »

وظل هذا اللفظ غير مستعمل في فجر الاسلام وفي صدره الى أن جاءت الدولة العباسية فاستعمل ، لأن الوزارة كما يقول صاحب كتاب الفخري (لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس . فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فاذا حدث أمر استشار بذوي الجاه والآراء الصائبة فكل منهم يجري مجرى وزير)

وقد اهتم بعض المؤلفين من المسلمين بموضوع الوزارة وأفردوا له كتباً مستقلة تبحث في تاريخ الوزارة ورسومها وآدابها وذكر طرف من أخبار الوزراء في الدول الاسلامية المختلفة . ومن هذه الكتب كتاب الوزراء الذي ألفه هلال الصابي البغدادي من مؤرخي القرن الخامس الهجري وهو مطبوع ، ومنها كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشياري المتوفى في الثلث الاول من القرن الرابع الهجري . وهذا الكتاب النفيس قد طبع حديثاً في مصر أول طبعة له بالحروف على يد بعض المحققين . ومنها كتاب تاريخ الوزراء المنسوب إلى الصولي

وهناك من المؤرخين من تكلم على الوزارة في عرض كتابه . كما فعل ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الآداب السلطانية . وكما صنع النويري المصري في كتابه المشهور نهاية الأرب في فنون الادب . على ان كثيراً من مؤلفي المطولات التاريخية كالطبري وابن الأثير والخطيب البغدادي وابن كثير صاحب البداية والنهاية وابن عساكر صاحب تاريخ دمشق

(1) حديث أذيع من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قد عرضوا لنا في خلال تاريخهم صوراً لوزراء الدول الاسلامية وسجلوا كثيراً من أخبارهم ونوادرهم وفقاً لتسلسل الحوادث

أما المؤلف العربي الذي تناول الوزارة والحديث عنها من الناحية الفنية بغض النظر عن أشخاص الوزراء وأخبارهم فهو ابن حبيب البصري الماوردي من علماء القرن الخامس الهجري ومؤلف كتاب الاحكام السلطانية . فقد عقد في كتابه هذا فصولاً فنية عن الامامة وانعقادها ، والخلافة وتقليدها وشروطها ، والوزارة وأنواعها وما تنعقد به . كما تحدث عن مسائل أخرى من إمارة الجهاد وولاية القضاء وولاية المظالم وولاية الحج والاحكام من ناحيتها التشريعية . فكتابه هذا يعد مجموعة من الدساتير والقوانين المعمول بها في الامة الاسلامية، وقد رجع فيه إلى الكتاب والسنة والصحيح من القياس

***

كان منصب الوزارة في صدر الاسلام وعصر بني أمية قائماً بالمعنى ، وان لم يكن قائماً بالاسم ، فكان هناك من يشيرون على الخلفاء الراشدين في كل ما يعرض من أمور . وكان في أيام بني أمية كتّاب يشبه عملهم من وجوه كثيرة عمل الوزراء ، إلا أن هؤلاء لم يكن لهم من التفويض والتنفيذ ما للوزراء في العصر العباسي وما تلاه من العصور . وكان هؤلاء الكتّاب في العصر الاموي يلون الدواوين المختلفة التي اقتضتها طبيعة التوسع الاسلامي واتساع رقعة المملكة . فقد اتخذ معاوية ديواناً للخاتم وجعل عليه قاضياً هو عبد الله بن محمد الحميري [1] وجعل على ديوان الخراج سرجون الرومي ، وعلى ديوان الجند عمرو بن سعيد ابن العاص . واتخذ عبد الملك بن مروان كاتباً له قبيصة الخزاعي وكان خاصاً به . وبلغ من لطافة محله منهُ أن كان يقرأ الكتب الواردة على عبد الملك قبل أن يقرأها عبد الملك نفسه

والوزارة في الاسلام نوعان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ [2] فالاولى أن يستوزر الامام من يفوض اليهِ تدبير الامور برأيهِ وإمضاءها على اجتهاده . والثانية أضعف من الأولى وشروطها أقل لان النظر فيها مقصور على رأي الامام وتدبيره ، وليس للوزير الا الوساطة بين الامام والرعية والولاة يؤدي عنهُ ما أمر وينفذ عنه ما ذكر

ووزارة التفويض ليست استبداداً من الوزير لانهُ مسئول أمام الامام عما عمله وملزم بمطالعته بما أمضاه ، كما ان الامام ملزم بتصفح أعمال الوزير ومراجعتها ليرده إذا خالف الصواب [3]

---

(١) الوزراء والكتاب للجهشياري: ص ٢٥ سطر ٢ (٢) الاحكام السلطانية لابن حبيب البصري الماوردي
(٣) المصدر السابق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفرق ما بين الوزارة في الاسلام والوزارة في الامم الديمقراطية اليوم أن المسئولية الوزارية كانت في الاولى أمام الخليفة الشرعي وفي الثانية أمام المجالس النيابية التي تتمثل فيها سلطة الامة وهي مصدر السلطات

وللوزارة رسوم خاصة أشار الى بعضها الشاعر الكاتب لسان الدين بن الخطيب ، فقد كان هو نفسهُ وزيراً لمحمد بن يوسف سلطان بني الاحمر في غرناطة ، فوصف ما عهد اليهِ فيهِ من الأعمال بقولهِ (وجدد لي — يعني السلطان — الرسوم الوزارية من الوقوف بين يديهِ في المجالس العامة وايصال الرقاع وفصل الامر والتنفيذ للحكم والترديد بينه وبين الناس والعرض والانشاء والمواكلة والمجالسة في صف الموازاة)[1] . وتختلف هذه الرسوم تبعاً لاختلاف الدولة والعصر والتقاليد . ولكن ما ذكره ابن الخطيب يصور لنا رسوم الوزارة في الاندلس في القرن الثامن الهجري

ولم يشترط في الوزير في تاريخ الامة الاسلامية أن يكون مسلماً بل أجاز علماء التشريع الاسلامي أن يكون الوزير من أهل الذمة بشرط أن يكون الذمي وزيراً للتنفيذ لا للتفويض والاّ بطلت وزارته . واول من فعل ذلك من السلاطين عضد الدولة بن بويه . فقد اتخذ نصر بن هارون وزيراً له وكان نصرانيًّا . وقد سرى هذا التقليد الى مصر في العهد الفاطمي فاتخذ العزيز بالله لوزارته عيسى بن نسطورس وكان نصرانيًّا وبلغ من وقاره وجلال قدره أنهُ كان يخاطب بسيدنا الأجل . وهناك وزير فاطمي كان يهوديًّا ثم أسلم في عهد الأخشيد فقلده بعض مصالح مصر [2] . ولما جاءَ المعز لدين الله الفاطمي أحبهُ وخلع عليه خلع الوزارة في عام سنة ٣٦٨ ﻫ ولقبه بالوزير الأجل وهو الوزير ابن كلس

ولقد بلغ من سلطة الوزراء في بعض عصور الاسلام انهم كانوا يتدخلون في بيعة الخليفة بحسب أهوائهم . ويروي ابن كثير أن الوزير في مطلع القرن الخامس ألزم جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضي ونظام الحضرة وقاضي القضاة والشهود بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة سنة ٤١٥ ﻫ.[3]

- وكان من عمل الوزراء السفارة عن الخلفاء في المهمات السياسية أو في تزويجهم من بنات الخلفاء والأمراء والملوك . ويروي ابن كثير[4] أن الوزير الكندري وزير طغرلبك السلجوقي أرسل الى الخليفة العباسي من قبل السلطان يطلب ابنته . ومن الوزراء الذين سفروا لملوكهم

---

(١) اللمحة البدرية في الدولة النصرية لابن الخطيب — طبع المطبعة السلفية بمصر . ص ١٠٣
(٢) الاعلام لخير الدين الزركلي ، ص ١١٧٠ ج ٣ وتاريخ الجامع الازهر لمحمد عبد الله عنان ، ص ٤٥
(٣) البداية والنهاية لابن كثير . ج ١٢ ص ١٧ (٤) المصدر نفسه . ص ٨٨ ج ١٢ وص ٨٦ ج ١٢

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في مهمة سياسية لسان الدين بن الخطيب الذي سفر عن سلطانه الى السلطان أبي عنان ملك بني مرين بالعدوة ليمدهم على ملك اسبانيا في القرن الثامن الهجري[1] ومنهم الوزير عميد الدولة ابن جهير وزير القائم والمقتدي في القرن الخامس الهجري فكان رسولهما الى السلاطين وكانت تنجح السفارة على يديه

وكما كان الوزراء يوفدون للزواج كانوا يجلسون للعزاء فانه لما مات جعفر بن المقتدي بالله من الخاتون بنت السلطان ملكشاه جلس الوزير في ديوان الوزارة للعزاء ثلاثة أيام .

وكانت الألقاب الفخمة الجليلة تخلع على الوزراء ، فلقب علي بن المسلمة وزير الخليفة القائم بلقب رئيس الوزراء . ولقب علي بن فخر الدولة وزير المستظهر بلقب زعيم الرؤساء، ولقب أبو الحسن بن صدقة وزير الخليفة المسترشد بلقب جلال الدين سيد الوزراء صدر الشرق والغرب ظهير أمير المؤمنين[2] ، ولقب أبو شجاع وزير الخليفة المقتدي بظهير الدين. ويذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء أن ذلك اول حدوث التلقيب بالاضافة الى كلمة « الدين » كما لقب ابن كلّس وزير العزيز بالوزير الاجل . ولما بلغ ضعف الخلفاء والسلاطين حدًّا كبيراً صار الوزراء يلقبون بالملوك . واول من لقب بذلك الوزير طلائع ابن رزّيك في مصر فقد لقب بالملك[3] ولقب بهِ أيضاً أسد الدين شيركوه ، كما لقب بهِ صلاح الدين الأيوبي لما كان وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي ، وزيد عليهِ لقب الناصر . فصار اسمه الملك الناصر صلاح الدين ، وذلك قبل أن يصير اليهِ ملك الدولة الأيوبية

ولم يصل أحد من وزراء العباسيين الى الخلافة ، ولم يحدث أحد منهم نفسه بالوصول اليها ، لان الخلافة العباسية كانت في آل البيت من بني عباس فكان يتطاول اليها الطامعون فيها من بني العباس أنفسهم . أما الوزراء انفسهم فلم يفكروا في شيء من ذلك ، وان كانوا وصلوا فيعصور الضعف العباسي الى الاستبداد بكل شيء . ولكننا نرى خارج نطاق الدولة العباسية بعض الوزراء الذين وصلوا الى الملك أو السلطنة او الخلافة ذاتها . واول هؤلاء الوزراء صلاح الدين الايوبي الذي وزر للعاضد الفاطمي بعد وفاة عمه اسد الدين شيركوه. والواقع ان الخليفة العاضد لم يكن له من الأمر شيء في وزارة صلاح الدين. وكانت الخلافة اسمية فقط[4] واخيراً قطع صلاح الدين الخطبة باسم الخليفة الفاطمي وخطب باسم الخليفة العباسي المستضيء بالله . وبذلك انتهت دولة الفواطم في مصر. ومن الوزراء الذين وصلوا الى الملك

---

(١) اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص ٦ من المقدمة (٢) الفخري . ص ٢٧٠ (٣) البداية والنهاية ص ٢٤٢ ج ١٢ ، والسلوك للمقريزي وتاريخ مصر الحديث لجورجي زيدان ج ١ ص ٢٥٦ وما بعدها (٤) تاريخ مصر الحديث لزيدان ج ١ ص ٢٥٧ وما بعدها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الوزير ابن جهور الذي نادى بنفسه ملكاً على قرطبة بعد ان خلع هشام المعتمد بالله. وكان ذلك في النصف الاول من القرن الخامس الهجري [١]. ومن الوزراء الذين وصلوا الى الخلافة المنصور بن أبي عامر الذي اتخذ لنفسه شعار الخلافة في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري [٢]

اقتضت طبيعة الأحوال السياسية في عصور مختلفة من تاريخ المسلمين أن يتولى الوزير الوزارة أكثر من مرة. وكان للدسائس والسعايات أثر كبير في ذلك. فقد ولي علي بن الفرات الوزارة ثلاث دفعات للخليفة المقتدر العباسي في القرن الرابع الهجري [٣]. وكان من أكبر الساعين عليه الحاقدين الوزير ابن مقلة الخطاط المشهور. ولقد جوزي ابن مقلة على دسائسه شر جزاء فقطعت يده اليمنى وصودرت أملاكه. ودفعت عنهُ قيمة المصادرة زوجته وكانت ذات مال طائل. وممن ولي الوزارة أكثر من مرة الوزير ابن جهير. عزله الخليفة العباسي سنة ٤٦٠ هـ أول مرة ورحّلهُ. فلما اجتاز بدار الخلافة وهو طريد قبّل الارض دفعات والخليفة في الشباك والوزير يقول: «يا أمير المؤمنين: ارحم شيبتي وغربتي وأولادي». فأعيد الى الوزارة بشفاعة ابن مزيد وفرح الناس بعودته [٤]. كما أعيد ابن مقلة وأعيد الشريف الزينبي وزير المسترشد بالله العباسي. على ان لسان الدين بن الخطيب صادف عند ملوك بني الاحمر أو بني نصر بعض السعاة الذين أفسدوا بينه وبين ملكه. فاضطر الى عبور البحر والهروب الى بلاد المغرب، ولكنه عاد الى الوزارة وحظي مرة أخرى عند ملكه [٥]

***

وكان الوزراء يختارون أول الامر من أفضل الناس رأياً وأحسنهم عقلاً وأخلصهم مشورة وأفصحهم لساناً وأعرفهم بالامور وأكثرهم بصراً بالعواقب

وقد اجتمعت هذه الصفات في أبي أيوب المورياني وزير أبي جعفر المنصور. واذا تتبعنا تاريخ وزراء العباسيين الاولين وجدناهم من طراز رفيع وغرار ممتاز كالربيع بن يونس وزير المنصور، ويعقوب بن داود الذي استخلصه المهدى لنفسه لما خاطبهُ فرآه أكمل الناس عقلاً وأفضلهم سيرة، وكالبرامكة الذين اشتهر منهم يحيى وولداه الفضل وجعفر

وقد حملت تكاليف الوزارة وأعباؤها بعض الفضلاء على رفضها حينما عرضت عليهم ومنهم احمد بن خالد الذي تنصل من قبولها لما عرضها عليه المأمون. ولكن المأمون اضطره الى

(١) نفح الطيب للمقري ص ١٤١ ج ١، ومذكرات في تاريخ الاندلس لحسن مراد ص ١١٤، ١١٥
(٢) نفح الطيب للمقري ومذكرات في تاريخ الاندلس لحسن مراد. ص ٩٢ (٣) الفخري لابن الطقطقي ص ٢٣٨ وما بعدها (٤) البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩٧ (٥) اللمحة البدرية في الدولة النصرية: مقدمة الكتاب ص ٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قبولها[١] ومنهم عبيد الله بن يحيى بن خاقان الذي استوزر المعتمد على كره شديد منهُ وتنصل. ويبدو هذا غريباً اذا عرفنا ان بعض الرجال حاولوا الوصول الى الوزارة من طريق شرائها بالمال . فالوزير ابن مقلة بذل خمسمائة الف دينار حتى استوزره الراضي في اوائل القرن الرابع، والقراريطي وزير الخليفة المتقي لم يصل الى الوزارة إلاّ بعد أن وعد الخليفة بأن يضاعف له الاموال من العمل . وهو اغراء منه ليشتري بهِ منصب الوزارة

على ان من الوزراء من نال الوزارة بمجرد البخت والحظ لا الذكاء والفهم كابن مخلد وزير المقتدر العباسي في أوائل القرن الرابع ، ومعقول ان يحدث ذلك في مثل هـذا العصر لا قبله، فقد كان الخلفاء قبلاً يتحرون في اختيار وزرائهم

***

وفي عصور مختلفـة من الاسلام كانت بعض البيوت تشتهر باخراج الوزراء وامداد الخلفـاء بهم . فبيت ابن برمك مشهور بثلاثة من أبنائه الوزراء ، وآل وهب اشتهر منهم طائفة كثيرة وزروا للمقتدر والمعتضد والمكتفي والمهتدي ، وآل سهل وزر منهم الفضل وأخوه الحسن ، وآل الفرات وزر منهم جعفر للمقتدر وابنه الفضل للراضي . وكان ثلاثة من آباء الحسين بن وهب وزراء وفي ذلك يقول الشاعر : —

يا وزير ابن وزير ابن وزير ابن وزير
نسقا كالدر إذ نظّـــم في عقد النحور[٢]

***

وفي زمن الضعف الذي طرأ على الدولة العباسية وانقسامها سقطت هيبة الخلفاء وضاعت صولة الوزراء، ولم يبق للخلافة رونق ولا وزارة[٣] . وتملك بنو بويه في فارس فصارت الوزارة من جهتهم والأعمال اليهم . كما تملك بنو حمدان في ديار بكر وربيعة ومضر . وتملك بنو سامان في اقليم خراسان والبلاد الشرقية وأصبحنا نرى الاصفهاني وزيراً للمتقي ولم يكن له في الوزارة علم ولا نظر . ونرى السامري وزيراً للمستكفي ولم يكن له حكم ولا استبداد . وقصرت أيام الوزراء وانتهت بالخلع والقبض والمصادرة وبلغ من ضعف الخلفاء أنهم عجزوا عن عزل الوزراء فهذا الوزير ابن صدقة عزله الخليفة المسترشد على غير ارادة منه ، وانما دعاه الى ذلك تعصب وزير السلطان السلجوقي عليه

واذا كانت الوزارة في عصرنا هذا عبئاً ثقيلاً على الرغم من توزيعها على بضعة من الوزراء ، فما بالك بها بالأمس وقد كانت جميع أعمالها مركزة في يد واحدة ؟ ؟

(١) الفخري لابن الطقطقي ٢٠٥ (٢) المصدر نفسه ص ٢٤٧ (٣) المصدر نفسه . ص ٢٥٨

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عرس في قرية

لـكرم ملحم كرم

أوشك الفجر ان يزحزح لثامه لما تثاءب جميل الباغي وفرك عينيه ، والنعاس لا يبرح يهمّ به ، وتلفت الى ما حوله ، ونهض الى مداسه الثاوي بجانبه فانتعله ، وتأبط عصاه الغليظة كأنها جذع سنديانة هرمة ، وشك في وسطه خنجره المسنون ومزماره الرقيق النغم ، واندفع الى الحظيرة الساهدة على خطوات منه يلكز برأس عصاه ظهور خرفانه الجاثمة في مباركها يجتاز رحبة الليل على هدهدة النهار

ووثبت الخرفان كجيش روّع في هدنته . وأطلق جميل الباغي قطيعه في معابر الكروم والليل يلملم أذياله . ومعابر الكروم وعرة المسلك بصخورها وأخاديدها ، نهاشة بأشواكها. تعلو كالسلالم من السفح الى القمة ، ولـكنها سلالم معوّجة خانهـا الانسجام دون أن يذهب بروعة الفطرة المتألقة في اضطرابها الصبيح وكأنه ربيب طفل في حبوة الزحوف

وفيما يتوقل الراعي في المشارف حامت عيناه على بيت اقتعد صدر تلة نهداء . بيت حقير أغبر طوّقت هامته هالة من الكاس الابيض فبدا كشيخ معمّم زاهد في دنياه . وكلما رقي جميل مصاعد الجبل صرفه عن غنمه الحومان بمقلتيـهِ على ذلك البيت الاعزل كالناسك في صومعة جرداء . وما أضحت الخرفان على منبسط الجبل من قبلة أنظار راعيها حتى انتهرها جميل ولم تـكن بحاجة الى النهرة ، وهي المتزنة الصعدة ، غير ان الراعي شاء أن تعلو صيحته انذاراً لمن يثوون في المنزل الساجي الغفلان

وتنفس المنزل بالجواب . ففُتحت منهُ نافذة شفّت عن رأس أشـقر الشعر كعناقيد الخريف ، أبيض الجبين كبُلجة الصبـاح . فارتعش جميل الباغي ووقف كالمفتون أمام رؤيا تموج بالاغراء . ونغشت الابتسامة الولهى في شفتيه، فتمتم بليان الخجول المتقي العثار: تحية الصبح النبيل الفوح ، فردّ لهُ التحية صوت نديّ كالطلّ : أسعد الله صباح جميل !

وقابلت التحية تحية والابتسامة ابتسامة . واجتهد الراعي في أن يطيل الوقوف إمساكاً على النشوة الطارئة ، وغالب ذهنه على كلمات توفر له مرجاه فقال : أيكون ابريقكم بارد الماء ؟

فأجاب الصوت النديّ : الابريق مكانه على المصطبة ينضح بذوب الثلج !

ومشى الى المصطبة قدّ أهيف يمتشق ساقين بضتين تناهى فيهما جمال الصـياغة . ففارت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نزوة الحب في راعي القطيع ودفعته الى المصطبة يسبق الى الابريق القدّ الأهيف المشوق الساقين . قال : خلي عنك ، أنا أعرف طريقي الى ابريق الماء !

على ان اليدين قبضتا معاً على فك الابريق . يد جميل ويدها . وحاولت صاحبة القد الأهيف المشوق الساقين ان تفلت الفك فلم تسعفها قواها ويد جميل تضغط يدها كالكلابة العصبة . قالت وهي تجاهد في الافلات : أوجعتني . أتظل عابثاً ؟.. متى تعرف الجدّ ؟

فاتسعت عيناه ينكر ما ترميه به وقال بايمان العابد ذي التقى : ناهدة ! مواقفي منك لا تستروح غير الجد الناصح . اني لأربأ بنفسي أن أكون في مودتك عابثاً وأنت عندي الكون . . . الحياة ! . فشددت في الخلاص من ضغط راحته الفتيّة الاعصاب ، الخشنة ، وهي تقول : دعني والحقّ بقطيعك . قطيعك أولى مني بك !

ففاض صدره بالقول الصفيّ : القطيع وصاحب القطيع فداك !

ورشح بالصدق قلبهُ ومقوله وناظراه . وأدركت انه جاد لا هازل نعضت شفتيها ان اسكت لئلاّ يسمعوك . أبوها وأمها وعمتها في المنزل . فقال بجفوة : لست أبالي أحداً . أنا أشتهي في حبك الفضيحة !

فأعلنت بصيحة تترجح بين الغضب والرضى ويغلب عليها الخفوت : اسكت ، اسكت !

— لن أسكت الاّ وقد سمعت منك المعاهدة على الولاء . أيستطيع جميل أن يعقد عليك غده ؟

وغرز عينيه في عينيها مستطلعاً ملحّاً . فدمدمت بقوة تروم الانفجار وتخشاه : اسكت ، اسكت . أخاف أن يسمعوك ، أن يبصروك . دعني أفلت يدي !

لجبهها بألم وحدة : سأرفع صوتي حتى لا يبقى في القرية من لا يسمع . وسأظل قابضاً على يدك حتى تراني كل عين . أتكونين لجميل ؟ . . أجيبي . أتريدينني زوجاً لك ؟... وعلا في المنزل وقع أقدام . فاستعطفت ناهدة جميلاً أن أفلت يدي . فتلظت شفتاه بفحيح كاو : أجيبي !

فهالها ان يفتضح أمرها ورفت عيناها بالميثاق الغليظ . فاطمأن جميل وأفرج عن راحتها . وأطلّ أبوها من الباب فأمال الراعي بالابريق على فمه يتصنع الظمأ فضحك الاب وقال مازحاً : أمصاب أنت منذ طلوع الصباح بكل هذا العطش يا جميل ؟ .. هل تعشيت خروفاً ؟

فكفّ الراعي الفتى عن الشرب وقال باسماً : ما حيلتي في ابريقكم وهو يغريني ابداً بمائكم العذب ؟ والتفت الى خرفانه فاذا هي تتابع المرتقى . فقال وقد ثمل بفرحة عذراء : يجب أن ألحق بخرفاني ، فعفواً عني !

ووثب الى خرفانه السوارح في طريق القمة وقد ودع ناهدة بنظرة وأباها بومضة من نظرة . وما لبث ان تعالى نغم مزماره يلقي في اذن الصباح الوليد الشجو الناغي . وانساب القطيع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في القمة يقرض الكلأ الطريّ ويميل حيناً بعد حين على دوالي الكرمة يستبيحها وراعيه لاهٍ عنهُ بهواه المجنّح ومزماره الغرّيد

ونظر اليهِ فارس مقصود ، والد ناهدة ، في وثبته الى القطيع فقال : جميل الباغي فتى عامر القلب . فالدنيا لديه ضحكة وأغرودة وكأس رويّ !

وفارس في عهد شبابه انتفض فيه هذا المرح الخصيب . على ان السنين فلّت من غليانه وان تكن أبقت على عزيمته . فلا يبرح ذلك اللبناني القح العابد ربه وجبله وحريته ، الحريص على التقاليد . عاش أجداده وأبوه في هذا البيت الأعزل المعصوب الجبين بالعمامة البيضاء ، وهو يأبى الاّ أن يعيش فيه مثلهم دون ان يفكر في بناء جدار . فما ورث عن أبيهِ سيورثهُ لمن يليهِ . فالوزنات الخمس تظل لديه خمس وزنات لا تنقص ولا تزيد

والعيش لم يكن يضيق بفارس مقصود . حقوله توفر له الكفاف . فالمال وان لم تزخر بهِ يداه لم ينضب لديه معينه . حبوبه من ارضهِ . وزيته من دوّارة الزيتون في المرج الاخضر . والحلوى من كروم العنب والتين . وفي كل عام يشتري خروفاً ويعلفه ليذبحه في مطلع الخريف ذخيرة للشتاء الجهوم . فالقرية حين يدهمها الثلج تتنكر للذبائح وتنعم بالدهن المصفّى في القوارير . ومع يقين فارس مقصود ان القناعة كنزٌ لا يفنى تشهّى ابو ناهدة امتلاك الثروة الدفاقة ليسلو لبعض الزمن حياته الرتيبة الوزن والقافية . وعرف الغيرة وهو يبصر بفئة من ابناء قريته تعود من المهجر وفي راحاتها حفنات النضار . وفكر في الاقتداء بها ولكن بعد الاوان . فلم يبق في المصباح زيت يرجح على ما بلي منهُ بالنفاد

غير ان ما اصيب فيه فارس مقصود بالحرمان سيمنع عن ابنته اذاه . ابنته ناهدة خميرة البيت ومعقد الرجاء . فهي وحيدته وقد بخل عليه الزمن بسواها من النفثات . وناهدة في نظيرة بنات القرية . وجه القماش . زهرة لم تحفل بمثلها الضمة ، وعطرة أطيب شذاً من كل هاتيك الرياحين

وفي سبيل ناهدة لم تنقطع الخرفان عن الالتفاف صباح مساء حول البيت الاعزل الجاثم في مفرق الربوة . ولم يبرح جميل يسأل عن الابريق الغافي على المصطبة ، ويُسكر بشدو مزماره ، المخمور النغم ، الاشجار والتلال والاودية والقطيع

وكلما عرج في المساء على ناهدة حباها بما طالت في جولة نهاره يده فيحمل اليها أقراط الحصرم السائل لها اللعابُ تشهياً ، فعناقيد العنب المنظومة كالقصائد الغيد ، فالتين الملوّن النازي فمه بحبه قلبه ، فالزعرور الاحمر كالاظفار المخضوبة ، فكروز الصنوبر الخضر ، العجر اللذان وبحث الراعي الفتى عن المال بعيد ذهوله عنه . فتمثل يومه الأروع ، يوم يعقد له على ناهدة

مقصود ، وأعدّ له العدة . فكان يبيع خرفانه بثمن ربيح ويشتري سواها . ويجز صوفها ويعرضه على الغزالين وربات المنازل لحشو الوسائد والفرش ويتقاضى البدل ويحشده في جرة تتبطن الأرض . فالجرة في القرية بيت المال وملجأ الدينار

وحدّث الفتاة عن مناه . سيشتري منزلاً في القرية وينقطع عن رعي الغنم . فحسبه الاتجار بالخرفان واللحوم ، حتى اذا ما تزوج فلا تخجل بهِ ناهدة في معرض الفخار

وشعر بأن الحب على هناءته قيد صليب . الاّ انهُ راضٍ بهِ على قسوتهِ . ولكن ثمة من لم يرض . ففي القرية من طاب له تعكير الصفاء . والناس كتلة من حسد وغيرة . فكانت وشوشات على خلوة تلتها مجاهرات ملء الاسماع . أين جميل من ناهدة وهو راعي غنم ؟

وانسابت هذه القواصم الى اذن فارس مقصود . وفارس متشامخ غضوب . فرقص شارباه وبرقت عيناه وصاح بنفرة : لا وأبيكم ، ليس لجميل عندنا لقمة !

وتسلق الى الصومعة والحقد في صدره والجهامة في أساريره . وتناول الابريق الحالم على المصطبة وحطمهُ في عربدة نكراء . فأسرعت ناهدة تتبين أثر القضقضة . وما بصرت بأبيها حتى تولاها جمود راعب . هل جنّ أبوها ؟

وشاءت الكلام تروم استيضاحاً . فخنق أبوها في صدرها كل نقمة وقد علا صوتهُ ناخعاً دفاق الزبد . فضحتني يا ملعونة الطلعة بمسايرتك جميل الباغي . ولكن أباك ليس ممن ينامون على الهضيمة . انت تعلمين مبلغ نقمتي . والله لأقطعنَّ رقبتك اذا عدت الى مخاطبة جميل بكلمة ، بايماءة ! وكشر عن نواجذه الكوالح . وهدّد بقبضة يده . فوقف الدم في عروق ناهدة . أي انقلاب طرأ على أبيها فأمال من جانب الى جانب الكفة الراجحة ؟

قال الأب وهو لا يبرح في فورة الغضب : جميل لا يليق بكِ . ان هو الاّ راعي غنم . والقرية كلها تلومني في رضاي عن مساقطتكما الأحاديث . فامنعي عني الأنياب العضاضة وقاطعيه . أنتِ خلقت لمن هو أعلى قدراً !

فعزَّ عليها ان يموت حبها الطرير دون ان يقوم من ينعاه . وأحست نفسها في معرض الدفاع عنه فقالت متجاوزة تهديد أبيها : ما بك تبدلت ؟ . . . كنت محبًّا لجميل ، راغباً في مكالمته ! . فانفجر كالاطلاقة : أنا ؟ . . . لأقصفنَّ عمركِ . ادخلي المنزل لقيتِ الخيبة . لا تقفي ثانية واحدة أمامي . فليس يخفى عليك ما يكون مني في نزوة الغضب !

وغضبته تخيف . وعند نائلة منها الخبر الجلي . فلا تزال تذكر الفتاة كيف قبض ذات يوم على غدائر أمها ورمى بالمسكينة من السطح الى حقول التوت . ولو لم تقع على أكداس الشيح لتحطمت أضالعها . ولكن حظها شفع فيها فهوت على موطىء رفيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وليست تنمى كيف حطم هذا الأب مرآتها وقد أطالت اليها الوقوف . فغاظهُ ان تهيم ابنتهُ بالجديد وتخرج على تقاليد السلف ، فأهوى بمدقة الجرن على المرآة ونثرها شظايا براقة وناهدة لا تملك الجرأة حتى على البكاء

والآن وقد فار فائره فانها لتخشى الاصطدام بهِ لئلاَّ ينالها منهُ ما يؤذيها فدخلت المنزل وهي ترتجف كورقة الخريف الساقطة الهمة حيال الريح . وشكت أمرها الى أمها . فاكتفت الأم بأن تنوح . هذا كل ما تستطيع !

قضت ناهدة ليلة موصولة النشيج . فأرمد عينها حكم أبيها عليها . ودبت الى النافذة ترقب جميلاً يزفها اياه مبسم الصباح . وتلألأ الفتى في المنحدر يسوق قطيعه الى القمة وعيناه على الكوة المطلة منها ابنة فارس مقصود . وانبسط البشر في قسماتهِ . سيرى الفتاة . فتألمت ناهدة للنكبة المنقضة وساءلت نفسها : أتبدو لعينيه ؟

وأوجعها ان تقلقهُ وما درج الى مأثم . ولكن ألا يرصدها أبوها ؟ . . . وتنهدت جزعاً وهي تفكر في هذا الأب الغشوم ، محطم المنى الابكار . وكان جميل قد اندفع الى المصطبة ينادي الفتاة . فكادت ناهدة تجيب . غير ان أباها طفر الى الباب يشقه وجرجر بصوت نفور كصرير المنشار : ماذا تريد ؟

فجرحت النبرة الخشنة اذن جميل . ووثب فوراً الى ذهن الفتى ان الأب حانق برطام . وألمت به الظنة فنفضها عنهُ وقال ، ولكن برعشة من ارتباك : أريد شربة ماء !

فجبههُ فارس مقصود بسخرية ذات أنياب : الابريق المعهود أعطاك عمره.حياتك الباقية !

فحزَّت في قلبه اللهجة المضة وتعجب من هذا الملقى البغيض . فأي انقلاب طرأ ؟ . . . وناءَت كتفاه بالخيبة فكاد ينصرف وليس في أعصابه قوة تسعفه في السؤال عن ابنة فارس مقصود . ولوى وجههُ على استخذاء وتولته هنيهة من وجوم . إلاَّ ان حبه القلق أكرههُ على الاستيضاح : وأين ناهدة ؟

وأفلتت سؤاله شفتان كاسفتان يحشرج فيهما الأداء الجليّ . فأجاب فارس مقصود بحدة النقمة : ناهده تنعم بغفوتها . ما شأنك فيها ؟ . . . حذار أن تزعجها بعد اليوم بنظرة !

ونضت لهجة فارس مقصود عنها كل رفق واحتراس . فارتاع جميل وأحسَّ دواراً يرين عليهِ . وتراجع على مضض راجف . ولكن أين ناهدة ؟ . . . فلا يزال يرجو رؤيتها لاستطلاعها أمر النازلة الشامتة العين ، الكاوية الضميم

وناهدة أمسكت على احتجابها الصفيق وليست تجرؤ على كشف الستر . فخفق ضمير جميل الباغي كأن بهِ نهشاً من حمى . وحبا الراعي المكلوم المهجة الى الخرفان حزيناً ساهماً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لا يكاد يلتفت الى قطيعه . فالوساوس اختبطت في ذهنـه الاملَ البشوش . بيد ان الراعي لا يبرح على رجاء ، ولكنه رجاء غشته رقاقة من رماد خيم

وانقضى عليهِ نهاره وهو يسائل نفسه عما جرى . ورقب المساء بحرقة الظمآن ليدفع خرفانه في طريق الصومعة . بل هو استعجل الموعد فما لاحت ناهدة لناظريه . هناك فارس مقصود وحده يتحفز للنهش كالمصيبة المنقضة . فارتعد جميل وأحسَّ قلبهُ يتعصر . وخشي أن تزل بهِ قدمه لفرط الارتباك وأبى ان يلتفت الى فارس يحييه . ولكنها تقاليـد القرية . فغمغم وصوته يحرق شفتيهِ المنتفختين حرداً : مساء الخير !

وهوى في المنحدر لا يرقب جواباً . فردَّ فارس مقصود التحية بزمجرة تنضح بالوعيد . وسمعها الراعي فانتفض غاضباً للكرامة . فالصدمة دامية عمياء سلخت من أسارير الراعي كل زهوٍ ومرح . فغام على جبينه العبوس واستيقظت فيه القسوة . فهو ناقم حتى على نفسهِ . ينقض عفواً على خرفانه ويهيجها بالعصا من يد لا تلين . وساوره خجل من اخوانه . أينبذه فارس مقصود وتعفّ عنه ناهدة ؟ ... يا للغضاضة الصافعة في القرية الفضوح !

هذا الطريق الملامس الصومعة في نهدته الى مفرق القمة مالت عنـه خرفان جميل الباغي الأنوف . فشقَّ لها راعيها صعيداً لا يطل على بيت فارس مقصود وقد كره الراعي الفتى مرأى وجار الثعالب المقيت . بيد انه لا يكاد يبلغ القمة حتى يحتال على نفسه ويجلس القرفصى وراء صخرة تشرف على مثوى ناهدة . وما ان تبدو ابنة فارس مقصود على المصطبة أو في حُكرة التوت حتى يتأوه جميل وتندلع أشجانه . فالحب في صدره لا يبرح على وهج وسعير

وماجت القرية بالنبأ . فارس مقصود أزاح جميلاً وأضحت ناهدة طليقة اليدين . من حق كل طالب ان يلتفت مليـّا الى جلوة الطلالة فيها وان يتشهى ويتمنى. فقد لان باب المحراب العصيّ .وفي ساحة القرية أذاع فارس مقصود بنفسه النبأ الصارخ . منزله أضحى على جميل الباغي الحرم المنيـع . فليس للراعي أن يدوس منهُ بعد اليوم العتبة . فانتعشت والكلام يلقى، آمال مكبوتة . وحامت على فارس مقصود ابتسامات لم يكن له بها سالف عهد . بيد ان فارس مقصود يريد لابنته سعادة وارفة في عيش جميل . وليس يضمن الطلبة سوى ذي مال ثريّ

وفي القرية ابن خمسين لا يبرح أخضر الصبابة على جفاف العود . هذا سعيد غانم ، الملقب بالاميركاني ، مضرب المثل في الغنى والوفر . أشاح عن خيرات المكسيك بعد ما ملأ منهـا وطابه ، ورجع يتفيأ في أعالي لبنان ظل السنديانة الشموخ . على ان حفنات النضار الثاوية في جرابه السمين لم تنزع من جسده طابع مشقات المهجرة الكاوية يديه وكتفيه وظهره والبارية قدميه ، ولم تهذب فيه خشونة الفطرة وجفاء السجية . فأقبل كما أدبر . هـذا هو بمنطقه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وشحّـهِ وجهلهِ . فكأنهُ لم يبرح القرية الى بلدٍ نبيه

كان يرتدي الثوب الغليظ رقعة في رقعة ، ولا يزال يرتديه على رقاع في رقاع كالمملق الزريّ . رحل وكوخه متصدّع الجدران ، رثّ الاخشـاب ، وعاد الى الكوخ نفسه يرقد تحت السقف الاسود الاديم ، النفّـاث التراب ، وينزوي في شـبه حفرة أضحت أعشاشاً للعناكب والفئران

واكتفى من الرياش بسجادة حمراء نصل لونها وتطاير زغبها ، وبصندوق ضخم حملهُ من أميركا وشحن فيهِ ثيابه وثروته : وما ثيابه ؟ ... رداء أسود اللون عرف الكيّ يوم خياطته مرة واحدة في العمر وقبعة دكناء مترامية الاطراف جرباء ، انتشرت فيها بقع الزيت كأنها من بقايا السلع الكاسدة . وحذاء يحتاج الى نظر حادّ ليبدو انهُ كان لمّـاعاً وما عرف منذ شرائه ماسح أحذية

وشاق سعيد غانم الاقتران بناهدة وقد رسخ في ضميره ان هذه اللؤلؤة لهذا الخاتم . ومن يلويه عنها وهو يزن ثقلها ذهباً باهر اللمع ، عذب الطنين ؟ ... كفة بكفة . وقد تكون قبضات الذهب أرجح مثقالاً . وربما كان فارس مقصود يفكر في ذلك الرثّ البردة الوارم الكيس ، وهو يعدّ ابنته لغدها . فما جاءه سعيد يحدثهُ عنها حتى وهبها له طفاح اليدين

ودعيت ناهدة الى ابداء الخضوع والانحناء . أمة في حضرة المولى ، قارورة يبعث لعطـار . وابتسم سعيد غانم ابتسامة التيه . « السنيوريتا » ناهدة باتت ملك يمينه . وكان يستطيب ان يخلع على ناهدة لقب « سنيوريتا » . فأين أضاع أيامهُ ؟ . . . ألم يكن في بلاد المكسيك ؟

وجنح سعيد الى العجلة في عقد القران . ولماذا التأني والأمر قد أبرم ؟ . . ثم هو خاف بعد طول قعود عن الوجد والهوى ان تفوته منهما نهزة في تشميره لها فليسرع في نهش قرص الحلوى بملء طواحنه ، وليتمتع باللذاذة على مدة ذراعيه . بعد اسبوع سيتزوج . وهـذه امواله . فلينحدر فارس مقصود الى بيروت وليأت منها بكل ما تطيب نفسه من مأكل ومشرب واثاث . فالصندوق المقفل بألف مفتاح ، المسدود الثقوب الجاثمة عليه الحشاشة تحجبهُ حتى عن أهداب النور ، ستفتح ابوابه لفـارس مقصود رحبة طليقة ، فليكشط عنهـا العفن وليغرف ما يشاء

وانحدرا معاً الى بيروت وقد ضربا موعـداً للزواج . لا يعود الاميركاني من جولة الاستبضاع حتى تزف ناهدة اليه وليتحطم قلبها . ولتمت آمالها . صندوق سعيد غانم خـير ضمان لهنائها ودفئها . فلترقد بجانبه وهو المشتعل القلب بالنضار الوهاج . غير ان ناهدة كانت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

رى في هذا الوهج برودة دونها الزمهرير وودت الفرار من بليتها. والى اين الفرار وفأس فارس مقصود ونقمته بالمرصاد ؟

ووقع النبأ في مسمع جميل الباغي فكاد يجن . وثار فيه حبه الموتور فاستجار بخنجره. لن يتزوج الاميركاني ناهدة ولن تشهد القرية عرساً بل مأتماً تتساقط فيه جثث اربع. فيقتل جميل ناهدة وأباها وسعيداً ثم يقتل نفسه . وحقده على فارس مقصود أشد منهُ على الجميع . فاعتزم ان يخنق بيديه فارساً ويستل لسانهُ الخبيث ويفقأ عينيه اللاسعتين

الآن الثورة الجامحة عقبها فتور رشيد .لماذا الجنون ؟ .. أيخضب القرية بالدم لاجل فتاة لا ترتضيه؟ ... وجمع بعضهُ على بعض وارتأى براحمنبته بكبده النخرة ومناه المغلولة. بلاد الله واسعة ولا بد أن يجد فيها حفرة يودعها هواه الطليل. وتحامى ان يودع اخوانه. فالخجل بكسفه ، والشماتة تروعه وليس يقوى ان يجابه منها سخرية العيون

أجل، سيرحل . سينأى الى حيث ينسى. وداعاً أيتها القرية اللائي بالذكريات النضرة. ناهدة ليست عقدة الامل ومبعث الحياة فلن يطيش حتى يسفك الدم لاجل فتاة كل عزها انها على سقاطة من جهارة ونزرة من سناء !

الخبز في التنور تلة على تلة . ودقّ الكبّة كالزغاريد كلاهما يتوالى · ورقص الدبكة حلقات تلو حلقات . ومزامير القصب تطلع بشجيّ أنغامها فيثور لحنّتها القلب الخليّ . والعرق يملأ الكؤوس . وشرب الانخاب كسيل جحاف : حبًّا ! — صحتين !

وناهدة على دكة عرسها مثلها على مرتبة نعشها . ورقة خريف صفراء في متناوح الريح · تفكر في ساعة زفافها برعب يطغى على وجهها فيخزيه

وشكت جوارحها الظلم · انها لضحية الابد . وانتفض في ضميرها سعي جميل لانقاذها. تراءى لها انهُ سيشق اليها الجموع وينتشلها من أنياب الذئب . ولكن جميلاً ناقم حاقد . أيدري انها مغلوبة على أمرها وانها ليست ذات رأي في الانفصال عنهُ ؟ . . . الانفصال عنهُ ؟ . . . الموت أسبق منهُ الى خاطرها !

ودار بها غشيان اليأس فهي في ذهول عن نفسها · وقد تكون تملك فضلة من معاندة ، نفاضة من ثورة ، الاّ أن فأس أبيها ترهبها . وهي مع خشيتها الفأس تحاذر أن تستفز أباها الى ما يفضحه في الناس

والعرس في القرية هو العرس . ففي الفرح نشوة للجميع . وعلى مقعد تجلله الطنافس حملت ناهدة الى بيت سعيد غانم البعيد عن القرية بعد الصومعة عنها . فالصومعة في التلة وبيت الاميركاني في السفح . فكأن العرس الزاحف جمع الشتيتين !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وصبّت قماقم ماء الزهر وماء الورد كرائمها على العروس الغارقة في رزيتها . وأدهش ناهدة أن تنكب بقلبها وتظل من الحياة على رمق . فاشتهت الموت وأقامت منه على أهبة . فلن تعيش في كنف من اصطفاه لها أبوها وما خلقت لتعيش فيهِ . وأطاعت في كل ما دعيت اليه . ودخلت بيت سعيد غائم وهي في سهوة حجبت عنها كل ما يمثل حولها

ووقف سعيد بباب المربّع يرحب بالأمنية الطالعة . والمربّع لديه أشبه بقاعة العمود في قصر الامير بشير . وله بجانب المربع مسكنٌ آخر هو القبو . ولكنه على مسافة مرموقة. وفي القبو الطبخ والنفخ والخدمة . وان يكن المربّع الاسود الاديم ، الرثّ الاخشاب ، لا يليق بعرس مشرق الصفحة ، فالقبو يكاد يكون في حقارته زريبة للخنازير

وانصرفت القرية عن العرس في مغرورق العتمة . وخلا المربّع لسعيد وناهدة ، للعروسين. دبّ حيال مهاة . وأقامت حفنة من النساء في القبو حول والدة ناهدة عاكفات على طعام البكارة يعددنه بغبطة وعناية . ودنا سعيد من عروسهِ مثله من متعة اكتراها . هذا أوان الذوى . وامتدت يد الاميركاني الى معصم ابنة فارس مقصود ، فاستيقظت ناهدة من ونيتها كأن حشرة لسبتها ونفضت عنها اللمسة وهي تقول برهبة ! دعني ، لا تمدّ إليّ يداً !

فابتسم ابتسامة تنم على ازدراء وقال : خففي عنكِ . لماذا الممانعة ؟ . . . أصبحت لي . والعناد بات لا يجدي ! وشاء أن يضمها اليهِ . فأفلتت منه وهي تصيح بهِ : مكانك . أمات الاختيار في اقترانك بي . أشقيت وشقيت !

فتعجب من منطقها الجافي ، ووثب عليها يمسك بغدائر شعرها ويجذبها الى صدره بعنف وهو يقول : أتماحكين ؟ . . ولكني اشتريتك بمالي . اذا أبيت الطاعة على رضى امتثلت على كره . لا يغرنك مني المشيب ، فلا أبرح بقوة الشباب . تعالي !

وجرّها الى السرير وقد اندلع من عينيهِ أشر السلطان . فهالها موقفه وتولاها ذعر جائح . واجتهدت في الافلات منهُ واقصائهِ عنها . فرفعها بين يديه بقسوة وضرب بها السرير قائلاً بحنق : عنادك يكلفك حياتك أطيعي وإلاّ جعلت من عرسك مأتمك . أوّل الطريق ولا كلهُ . أتسمعين ؟

فهفت يدها الى صدرها . وتناولت منهُ منديلها وقد عقدت طرفه على مسحوق أغبر . وحلت العقدة في ما دون اللحظة ونفضت في فمها المسحوق بخفة وابتلعته في غصة نائثة والاميركاني واقف حيالها عابساً حائراً في ما تصنع . فصاحت بهِ وقد ومض الظفر في عينيها : لن تنال مني منالاً . لست أريدك . هذا منقذي منك أعددته ليوم خلاصي !

وتعالت نبرتها . فأدرك انها تناولت سمّاً . وانقض عليها يمسك بخناقها ويكرهها على

القيء . فليس يريدها للموت بعد طول علالة . واذا الشباك السقيم ، النابي بهِ وساده ، المطل على دوّارة التوت ، يتطاير كأن عاصفة تقتلعه . فالتفت سعيد غانم وناهدة بأعين جاحظة . وملكهما الرعب وقد أبصرا جميلاً يثب عليهما شاهراً خنجره . غير ان نائلة لم تلبث أن استطابت المفاجأة وبهـا يلتمع خلاصها . فلم يرمقها جميل الباغي بنظرة . كان سعيداً هدفهُ الأوحد . فطفر اليهِ يصيح بحقد ذميم ، ناتىء العين : يدك عنها أيها العلج !

ففتح سعيد فه رعباً وتراخت يده عن عنق ناهدة . ووقف مشدوهاً كالمصـاب بالشلل وقد عُـدم النطق والحركة . وعبث به خنجر جميل الباغي فشك في قلبهِ لا يفسح له في شهقة . فهوى في الارض وفمهُ على فتحة الذعر ووجهه على كمدة الخيبة

ولم يحفل جميل بالجثة الهامدة ، ولا كلف نفسهُ انتزاع الخنجر من مثواه ، بل مال على ناهدة يقول بحماسة المنتصر وعجلة المتقي : انهضي . انقذتك منهُ وأنقـذت نفسي . جئت لاقتلكما معاً قبل هجرتي ، إلاّ اني أيقنت ، وقد سمعت من وراء النافذة بعض حديثكما ، ولاح لي موقفهُ منك ، انك مغلوبة فيهِ على أمرك . انهضي ولنرحل معاً . غداً نركب البحر الى العالم الجديد !

والى أين ترحل وقد تناولت طعم الفأر سمًّـا تخلع بهِ عنها عبء الحياة ؟ ... فالموت على أنملة منها . وباتت لا ترجو وهي على يقين من منيتها إلاّ أن تنقذ من تهوى من شر العقاب . وشاقتها التضحية فانغمست فيها . وتكلفت النقمة تجبه بهـا جميلاً وتكرههُ على الفرار . فصاحت به وكل ما فيها على رجفان : أتقتل زوجي وتريدني على اللحاق بك ؟ . . . ارحل ، لا تقف لحظة واحدة على مرأى مني والاّ ملأت القرية صراخاً للقبض عليك !

ومشت الى الباب تتظاهر برغبتها في فتحه وطرح الصوت . فارتاع جميل أمام ما يلوح له منها وأعول : ماذا تفعلين ؟

— ماذا أفعل ؟ . . . أتلطخ يديك بدم زوجي وتفرض عليّ السكوت عنك ؟

فهاله تناقضها . كانت تكره سعيداً كتلة من حياة فاذا بها تغار عليه جثة بلا روح . وارتعش جميل الباغي تجاه عزمها على الايثار لزوجها المضرج بدمه . وتراجع خائفاً مضطرباً والجثة المبسوطة أمامه على مداها تزيد في رعبه . فأشارت ناهدة الى النافذة المحطمة وهي لا تبرح في صياح ناقم : ارحم نفسك واركن الى الفرار . الى الفرار والاّ دعوت القرية الى ذبحك !

فامتثل كالعبد المهين . وتوارى ذليلاً كالجبان لا يجرؤ حتى على الالتفات الى الوراء وقد انتزعت منه ناهدة بانقلابها عليه صلابته وهدمت بأسه . وتبطن الليل وأشباح ابناء القرية ترف في عينيه ، وتهديد ناهدة ينتفض في عروقه . وكلما تقدم خيل اليه ان وقع الاقدام

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يقترب منه ، وان الجميع جادون في أثره . وتمثل الحديد يعض ساعديه ، والسجن يغلق عليه أبوابه ، والشماتة والسخط يهويان عليه دراكاً . فدهمهُ الروع ، وحث على النجاة خطاه المرتجفة . وتولتهُ كسفة الندم . فهو قاتل مجرم . ولكنه وقد سفك الدم لماذا قتل سعيداً ولم يقتل فارس مقصود ؟ . . فارس هو الاثيم . ليتهُ أودى بهِ !

ووقفت ناهدة الى النافذة تنظر اليهِ في فراره وأبهجها انقاذه من هول ما يرقبهُ . فالجريمة ليست في دمهِ وقد حمل عليها . هواه المغلول أهاب بهِ الى الانتقام ممن سحقوا لبهُ

وآثرت ابنة فارس مقصود وقوع خنجره في صدرها على اجتياحهِ قلب سعيد غانم . فما ذنب سعيد ؟ . . . وتماسكت على فتكة السم مجالدة على الألم الناهش لا تبيح لفمها أنة . فتتلوَّى والسم يزق أحشاءها كأنهُ بأجمعه أنياب قاضمة . وما أذنت في صيحاتها البواكي الاّ وقد تلاشى هناك ، في غابة البلوط وقع خطوات جميل في مسمعها . فأيقنت أنهُ بات بمأمن من عبث النائبات وأعادت بجهد يتفلت منها خشب النافذة الى وسادهِ اخفاءً لأثر الملمة ، وهزت الليل في رقدتهِ الهانئة تبثهُ بليغ شجاها

وأعولت في الصراخ المصيبة . وترا كضت النساء المتكفات في القبو على الطعام هالعات وقد تعالى منهنَّ الصياح والاستيضاح . فدبت ناهدة الى الباب تفتحهُ وليست تملك القوة على الاداء . واكتفت بأن تشير الى الجثة وانطرحت في الأرض تختلج وتتقصف كالحية على النار

ولاحت الجثة للنسوة وقد غارت في كبدها نصلة الخنجر ، فاد بهنَّ الذعر ولطمنَ بولولتهنّ وجه القرية الهاجدة . وبين مزدحم المناكب وحومة العيون الجاحظة استطاعت ناهدة ان تغالب لسانها على القول : سعيد غانم أكرهني على ما لا تشتهي نفسي . وهددني بخنجره يروم القضاء عليَّ . فانتزعتُ من يده الخنجر وأغمدتهُ في قلبهِ . وتناولت السم أبغي به الخلاص من حياة قنوط !

ورشقت عيناها والدها فارس مقصود بتبعة الفاجعة . واستلها الموت بعد طول تعذيب لا يبالي فيها العقاقير . فوجمت القرية حيال ما ترى وما تسمع متنكرة لما ترى وما تسمع . وساورها جزع قلق يطغى عليهِ الشك فلا يستقر على يقين

خمسة عشر عاماً تغفو في خاطر الزمن . واذا القرية تستيقظ على نواح شيخ في مقابرها . شيخ وليس بشيخ . فالأيام نسجت له من شعره الكفن ، الاّ ان أعصابهُ دحضت فيهِ مزاعم أيامهِ . هذا جميل الباغي بقده وحده . تماوجت في أذنيهِ ، وهو في العالم الجديد ، تضحية ناهدة لأجلهِ ، فأقبل تحت عبء أرزائهِ يبدو الريبة عن الاخلاص المصفى ، ويجلو الغمامة عن السر المكنون !

بيروت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطوطمية

او تقديس الاشياء

لرشوان احمد صادق

كثيراً ما نسمع أو نقرأ عن تقديس بعض الحيوانات أو النباتات في المجتمعات البائدة وكثيراً ما تكشف لنا الحوادث والايام بعض تلك الظواهر كامنة في مجتمعاتنا المتحضرة واضحة بين الشعوب التي لا تزال تعيش على الفطرة. ولقد قرأت في عدد جريدة المصري الغراء الصادر في ١٢ نوفبر سنة ١٩٤١ نبأ فتاة دون العاشرة تضع طفلاً. وفسر ذووها هذا الحادث الغريب في بابه بأن حية نظرت الى هذه الفتاة بغدر فتم هذا الحمل. ذلك الاعتقاد ما فتئ سائداً بين الهنود الحمر سكان أميركا القدماء الذين لا يزالون ممثلين الى وقتنا هذا في ارجاء قارة اميركا وهم محافظون على معظم عقائدهم القديمة رغم أخذهم بأساليب المدنية الحديثة واليهم تنتسب تلك الفتاة

ذلك الاعتقاد ليس في الحقيقة إلاّ بقايا نظام اجتماعي قديم ولم يقتصر انتشاره على هنود اميركا الحمر بل كان يعم معظم بقاع العالم القديم قبل معرفة قارة أميركا ولا تزال بقاياه ممثلة في المجتمعات الحديثة. تلك البقايا تتمثل في المعتقدات المستترة التي تحتاج الى البحث والتنقيب لكشف القناع عنها. ويعرف ذلك النظام الاجتماعي القديم في الاوساط العلمية باسم « الطوطمية »

وكلمة « طوطم » هذه من كلمات هنود اميركا وتهجيتها الحقيقية غير معروفة لنا تماماً. وقد ظهرت هذه الكلمة أولاً في كتابة المستر لنج J. Long وهو مترجم هندي كتبها طوطام Totam [1] أما فرنسيس وهو هندي من سكان مدينة يوتاه الاميركية فقد كتبها « اودودام » Ododam [2] وأخيراً اصطلح العلماء الانكليز على كتابتها «طوطم» Totem وهذه الكلمة تدل على شيء يختص بالاسرة أو القبيلة [3]

(١) Voyages and Travels of an Indian Interpreter P. 86 London 1791

(٢) See "Academy" 27 th Sep. 1884. P 203. (٣) J. A. Cuoq's Lexique de la langue algonquine (Montreal 1886) P. 312.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والطوطم فئة من الاشـياء المادية التي ينظر اليها الانسان غير المتمدين باحترام اساسه لاعتقاد في الخرافات والخزعبلات . فهو يؤمن بوجود علاقة خاصة بينه وبين كل مفرد من حدات فصيلة هـذا الطوطم . فعلاقة الانسان بطوطمه علاقة مؤسسة على العطف المتبادل نعنى ان الطوطم يحمي الانسان وفي نفس الوقت يحترم الانسان طوطمه بطرق شتى . فمثلاً حرم على نفسه قتل هذا الطوطم ان كان حيواناً ويحجم عن قطعه او حصـده ان كان نباتاً . من ذلك نتبين ان الطوطم ليس سحراً أو طلسماً بل هو فصـيلة او فئة من أشياء مجتمعة ن حيوان أو نبات وقلمـا يكون الطوطم جماداً كما انه يندر جـداً أن تتخذ الظواهر طبيعية طواطم

ويمكن أن نورد هنا ثلاثة أنواع من الطواطم خاصة بالذكور وهي :

١ — طوطم القبيلة وهو عام لجميع أفرادها ويستمر الاعتراف بهِ جيلاً بعـد جيل طريق الوراثة الاجتماعية

٢ — الطوطم الجنسي وهو عام لجميع ذكور القبيـلة دون نسائها أو لجميع نسـائها ون ذكورها .

٣ — الطوطم الشخصي ، ويختص بالفرد دون نسله وسلالته

هذه هي أهم أنواع الطوطم ومع ذلك هنالك أنواع أخرى نادرة قليلة منه

وطوطم القبيلة تبجله مجموعة من الرجال والنساء الذين يطلقون على أنفسهم اسم الطوطم يعتقدون أنهم وهذا الطوطم من دم واحد ومن سلالة جد واحد . كما ان كلاً منهـم يرتبط لآخر بالتزامات عامة وكذلك بالاعتقاد في هذا الطوطم . ومن ذلك يتبين ان الطوطمية نظام يني اجتماعي . أما الناحيـة الدينية فتتمثل في العلاقات المؤسسة على الاحترام المتبادل بين طوطم وكل فرد من أفراد القبيلة ؛ وكذلك تتضح في حماية الطوطم لافراد قبيلتـه ودفاع ولئك الافراد عن طوطم القبيلة . أما الناحية الاجتماعية فتتجلى في علاقة كل فرد من أفراد قبيلة بالآخر من ناحية وعلاقة أفراد هذه القبيلة بأهل القبائل الاخرى من ناحية أخرى

ولـكي نوضح الطوطمية من الناحية الدينية سنضرب بعض الامثلة من قبائل الهنود الحمر ميركا وغيرهم من قبائل العالم وهي توضح لنا تماماً علاقة القبيلة بطوطمها

فمثلاً قبيلة « الاركواي »[1] التي كانت تتخذ السلحفاة طوطماً لها تتلخص قصتها في أن ذه السلحفاة كانت عظيمة الحجم وكان الصدف الذي يغطيها ثقيلاً عليها فألقته جانباً وتحولت

---

(١) Iroquois

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فجأة الى انسان . كما ان هناك بعض العشائر من هذه القبيلة كانت تتخذ الدب طوطماً لها في حين كانت عشائر أخرى تتخذ الذئب طوطماً لها

أما قبائل «الشكتاو»[1] فكانت تتخذ نوعاً من السمك طوطماً لها ويعتقدون ان أجدادهم كانوا حيوانات بحرية تعيش تحت سطح الارض ثم انبعثت فجأة من الطمي الى سطح الارض

ويعتقد جماعة الاجبواي[2] انهم من سلالة كلب كما ان فرعاً منهم وهم عشيرة الكرمين كانو يعتقدون انهم ابناء زوج من طير الكركي حطا بعد جولة طويلة على شلال عند مخرج بحيرة سوپيريور (أي البحيرة العليا باميركا الشمالية) وهناك تحولا بواسطة الروح العليا الى رجل وامرأة

اما قبيلة « الكتف الاسود » أو قبيلة الجاموس وهي فرع من قبيلة « الاوماها »[3] فكانت تعتقد انهم في الاصل جاموس وكانوا يسكنون تحت سطح الماء

اما قبيلة «الآساج[4]» فكانوا يعتقدون انهم وجدوا نتيجة اختلاط قوقع بكابة بحر اختلاطاً جنسيًّا . اما القوقع فقد حطم اصدافه واظهر ذراعيه وقدميه وساقيه وأصبح رجلاً حسن المنظر طويل القامة ثم بعد ذلك تزوج من كابة بحر .وكان الهنود الحمر في كلفورنيا يعتقدون انهم من سلالة ذئب وانهم كانوا يمشون على اربع في اول امرهم ثم بعد ذلك اصبح لهم أعضاء جسم الانسان مثل اصبع يد واحدة وأصبع قدم واحدة وعين ثم بعد ذلك اصبح لهم زوج من كل من الاعضاء التي ذكرناها واستمروا كذلك يستكملون اعضاءهم حتى اصبحوا بشراً كاملاً وكانوا يبكون ضياع ذيولهم ويعتقدون ان ذلك نجم عن جلوسهم مستقيمين في وضع رأسي ويعتقد جماعة «الليناب»[5] وهم فرع من قبائل « الدلاور » انهم من سلالة الذئب والسلحفاة والديك الرومي ولكن الفضل للقبيلة التي تتخذ السلحفاة طوطماً لها وذلك لان هذه القبيلة ليست من سلالة سلحفاة عادية ولكنها من سلالة السلحفاة العظيمة الاصلية التي تحمل العالم على ظهرها وهي التي كانت أول مخلوق حي على ظهر البسيطة

وكانت تعتقد قبيلة « الهيدا[6] » وأبناؤها هم سكان جزائر الملكة شارلوت ان غراباً نوحيًّا ذهب منذ زمن بعيد الى الساحل وتزوج من قوقعة وضعت له انثى اتخذها الغراب زوجة له ومن هذا الارتباط نشأ الهنود

اما قبائل «الاراواك[7]» سكان غيانا فكان السائد بينهم ان لنشأتهم علاقة ببعض الطيور والحيوان والنبات. كما ان بعض قبائل بيرو من سكان اميركا الجنوبية وهم من الهنود الحمر القدماء

---

(١) Shactaws (٢) History of the Ojebways Indians, London 1861. P. 136 (٣) Black shoulder, — Omahas (٤) Osages (٥) Lenape Delawar (٦) Haidas (٧) Al-Arawaks

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ليسوا من جنس الانكا اصحاب المدنية المشهورة والحضارة العظيمة. كان هؤلاء الاراواك يعتقدون ان اصلهم يرجع الى العقاب وبعضهم يرجع الى الرخمة

كما ان بعض قبائل اواسط استراليا كانوا يظنون انهم نشأوا من البط والبجع وغيرها من الطيور المائية. وقبائل «الجوجال»[1] في جنوب ويلز الجديدة كانوا يؤكدون ان كل انسان مماثل لطوطمه بطريقة غير مباشرة. كذلك جماعة «السانتال[2]» في بلاد البنغال كانوا يتخذون الأوزة البرية المتوحشة طوطماً لهم ويعتقدون ان نشأتهم كانت ترجع الى بيضة هذه الاوزة

وفي سنغامبيا كانت تعتقد كل عائلة أو عشيرة انها من سلالة حيوان مثل فرس البحر أو التمساح او العقرب وغيرها فتنتسب كل عشيرة الى طوطمها

وكان يظن سكان بعض جزائر جنوب المحيط الباسفيكي مثل جزائر فونا فوتي واليس انهُ كان القنفذ يسكنها ثم تحولت القنافذ الى سلالة رجال ونساء كما ان قبائل «الكالانج» [3] الذين يقال انهم سكان جزيرة جاوا الاصليون كانوا يعتقدون انهم من سلالة اميرة ورئيس سخط وتحوّل الى كلب. كذلك بعض سكان جزائر امبن ويلياس وكيزر ووتار وارخبيل الارو والبابار كانوا يعتقدون انهم من سلالة اشجار وخنازير وثعابين مائية وتماسيح وكلاب بحر وحيات وكلاب وسلاحف وغير ذلك

***

وننتقل الآن الى نوع آخر من الطوطمية يرتكز على اساطير خرافية مؤداها ان امرأة من الجدات ولدت حيواناً من النوع الذي تتخذه القبيلة طوطماً لها، مثال ذلك قبيلة «موكى»[4] وهم هنود حمر من ارزونا كانوا يعتقدون انهم من سلالة امرأة ولدت الثعابين. كذلك جماعة «الباكالاي»[5] في افريقية الاستوائية الغربية كانوا يؤمنون بأن نساء ولدن الحيوانات التي يتخذونها طواطمَ لهم مثل العجل والتمساح وفرس البحر والقرد والبوا والخنزير البري. وفي ساموا كانوا يعتقدون ان طفلاً تحول عند ولادته الى عدد من حيوان بحري يشبه الجنبري

وكثير من تلك الاساطير المختلفة لا تبين تاريخ مبدأ ظهور الطوطم فمثلاً عشيرة من قبائل «الاوماها»[6] تقول ان أول رجل من رجال القبيلة ظهر من الماء وفي يده سنبلة من الذرة الحمراء التي تتسمى هذه العشيرة باسمها

ويرجع تحريم قبيلة الاوماها اكل لسان الجاموسة ورأسها، الى سبب ديني فحواه انهُ بينما كان احد رؤسائهم يؤدي الطقوس الدينية للشمس فاذا به يبصر فجأة شبح جاموسة ينبعث من خلال الماء. وفي غرب استراليا قبيلتان تعترفان بأنهما سميتا باسم حيوان بحري وهو

(١) Jeawa—gal (٢) Santals (٣) Kalang (٤) Maquis (٥) Bakalai (٦) Omahas

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غذاء أساسيّ لها . كما ان بعض العشائر في جزائر ليتي وموا ولا كر تحترم كلب البحر ولا تأكله ويرجعون السبب في ذلك الى ان أحد كلاب البحر ساعد مرة أحد اجدادهم عندما كان ينجز مهمةً ما في البحر ومن ثمّ نشأ هذا الاحترام . أما جماعة «الاينو» [1] في بلاد اليابان فكانوا يعتقدون انجدهم الاول وضع من دب ويعزون غزارة شعرهم الى هذا السبب . وفي جنوب استراليا تحرم قبيلة «منت جمبي» [2] أكل لحم طوطم القبيلة الاّ اذا اضطرهم الجوع الى ارتكاب هذا الوزر العظيم وعند ذلك يبدون أسفهم الشديد الذي يعبرون عنه بذكر كلمة ونجنج (Wingong) ومعناها أصدقاء وكلمة توماناج (Tumanang) ومعناها لحومها وعند النطق بالكلمة الاخيرة يلمسون صدورهم ليعبروا عن العلاقة المتينة بينهم وبين الطوطم الذي يعدونهُ جزءًا منهم . ومن القبائل الاسترالية مَن كانت تحرم على الصبية أكل لحوم طوطمهم لأنها تعدّه في منزلة الأخ لهم كما ان بعضها يحرم قتل الطوطم وهو نائم ولا يكون هذا القتل الاّ عند ضرورة قصوى ومع ذلك يعطى الطوطم فرصة للفرار لأنهم يعدُّون الطوطم فرداً منهم وفي قتله جريمة لا تغتفر لذا وجب تجنب هذا القتل ما أمكن . وفي كولمبيا البريطانية يحرم الهنود قتل الطوطم واذا فرض ورأى أحدهم شخصاً يقتل طوطماً فانه يغطي وجهه من العار وبعد ذلك يطالب بالتعويض واذا رسم أحد هؤلاء الهنود صورة للطوطم على جبهته فان جميع أفراد القبيلة التي تنتمي لهذا الطوطم تقدم لهذا الشخص فروض الاحترام وذلك بالقاء الامتعة أمامه . وكان بعض الهنود الحمر في بنسلفانيا يتخذون الحية ذات الجرس طوطماً لهم ويحرمون قتلها لاعتقادهم انها جد لهم وان هذا الجرس يستعمل في تحذيرهم من الخطر الذي قد يداهمهم كما كانوا يحرمون على أنفسهم أكل لحم الخنزير والأرانب لما بينهم وبينها من صلة. أما قبائل «الدامارا» [3] في جنوب افريقية فانها تنقسم الى عدة عشائر تسمى اندا [3] ولكل منها طوطم خاص ومن هذه الطواطم نذكر الثور الارقط وهو مرقط برقط بيض سود او حمر، والغنم التي لا قرون لها وبعضها يقدس الجرعة التي يتناولها الثور وقد بلغ احترام بعض هذه العشائر لهذه الطواطم انحرموا على أنفسهم لمس الاواني التي تطهي فيها لحوم هذه الحيوانات . ويتحاشون حتى الدخان الذي يتصاعد من النيران التي تستخدم في طهي هذه اللحوم. كذلك الحال في زنوج سنغامبيا [4] وبين جماعة «المندا او المنداوي [5]» وجماعة الاريون [5] في البنغال ويحرم عليهم الزواج من قبيلتهم، كل هؤلاء لا يأكلون لحوم طواطمهم

«يتبع»

---

(1) Ainos (٢) Mount gembier. (٣) Damaras—Eandas

(٤) Revue d'Ethnographie Vol III. Page. 396

(٥) Mundas, Mundaris. Oraons

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نباتات الصناعة في مصر

قديماً وحديثاً

لمحمود مصطفى الدمياطي

٢ — القُنَّب[1] والبامية القنبية (التيل) والقطن

اتضح من مقالي السابق أن المصريين القدماء زرعوا الكتان واستعملوه في ثيابهم وأكفان موتاهم . فهل أثبت التاريخ زراعتهم واستعمالاتهم لنباتات ليفية أخرى ؟ والجواب عن ذلك أنهم لم يعرفوا القنب منافس الكتان في البلدان المعتدلة كنبات ليفي ولا كمخدر بالرغم عما قيل في هذا الصدد

القنب كحشيشة الدينار ثنائي المسكن في الاصطلاح أي مذكر الزهرات في نبات ومؤنثها في نبات آخر . موطنه وسط آسيا وبالأخص الهند وايران . تكثر زراعته في المناطق المعتدلة والاستوائية يزرع في الأولى لاليافه فيبذر منه بذر كثير متقارب لتنمو النباتات متكاثفة مستقيمة السوق بلا أغصان . ويزرع في الثانية للحصول على ما فيه من الدواء وتستعمل الالياف التي يحصل عليها كما في الكتان من القلف الداخلي للساق — بعد النقع والتجفيف ونزعها من السوق وتمشيطها — في فتل الحبال ونسج الزنانير وما شاكلها . أما البذور الزيتية[2] فيعتصر منها زيت القنب أو تستعمل غذاء لطيور الاقفاص أو يصنع من كسبها أقراص تعلف بها الماشية . وأجود أنواع القنب من حيث أليافه تزرع في جنوب أوربا

---

(١) ويقال له الابق قيل هو فارسي قد جرى في كلام العرب وقال بعضهم انه عربي صحيح اسمه النباتي Cannabis sativa L. وبالانكليزية hemp وبالفرنسية chanvre وعند عرب السودان الحشيش والكنجا وبالهندية الجانجها والبهانج أو البهنج وبالفارسية البنج . ومن أساميه في كتاب مخزن الادوية المطبوع في الهند : ورق الخيال وحشيشة الفقراء والمنشط وحبة المساكين والمرعد ومحرك الشهوة والمؤنس عند الهموم

(٢) ويقال لها الشهدانج أو الشهدانق معرب شهدانه بالفارسية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وخاصة إيطاليا وفي شرق الولايات المتحدة وفي بلدان أخر . أما الانواع التي تزرع من حيث ما فيها من الدواء فتجود في بعض بلاد آسيا وبالاخص الهند فينضح منها راتينج مخدّر يستعمل دواءً ومنشطاً . وله ثلاثة أشكال معروفة في اللغة الهندية السنسكريتية هي الجانجها والجرس والبهانج : — الاول هو الراتينج ممزوجاً بأطراف الزهرات الانثيّة إبّان نضجها. والثاني هو الراتينج نقيًّا بعد نضوحه وانتزاعه من الاغصان والقلف وغيرها ويحصل عليه من الاقاليم الاكثر برودة . والثالث ويكثر الحصول عليه من القنب البرّي هو الاوراق الناضجة وما رسب عليها من راتينج

والآسيويون شديدو الولع باستعمال ما في القنب من الدواء مخدراً بتدخينه منفرداً أو مع التبغ [١] أو بسحق أوراق النبات المجففة مع الماء فيتكوّن شراب مسكر يسمونه الحشيش

والراتينج لهُ تأثير مخدّر تصحبهُ اللذة اذا أخذ بمقدار قليل أما اذا زاد عن ذلك حدث منهُ هذيان يعقبه صرع . وجاءَ في كتاب طبيّ هندي أن القنب مفرح منقٍ للون البشرة مسكر مخدّر ملطف للفكر والخيال معطش مشهٍ للطعام وانهُ مكدّر لصفاء المخ مقلل لنور البصر وسعوط ورقه منقّ للدماغ

ولابدَّ لبيع الجانجها والجرس في الهند من ترخيص يتبع نظاماً شديداً . أما البهانج الذي يجنى من القنب البري فتتعذر مراقبته . لكن في مصر والسودان قد حظرت الحكومة زراعة القنب والاتجار بالحشيش منذ سنين عدّة وذلك محافظة على صحة الجمهور

هذا وقد قيل ان القنب اذا زرع في حافات الحقول وقى نباتاتها من فتك الحشرات

أما البامية القنبية (التيل) [٢] والقطن وكلاهما من الفصيلة الخبازية ويزرع بمصر في وقتنا الحاضر ، وقد أثبت التاريخ وجودها عند المصريين القدماء ولكن لم يتحقق استعمالهم لالياف النبات الاول وهو عشب سنوي طويل يغشاه وبر وله زهر اصفر بهيج بنيّ الوسط ينبت في آسيا الاستوائية وافريقية واستراليا ويزرع في مصر حول حقول القطن وقصب السكر ومن

(١) وقد ذكر القنب ضمن النباتات الواردة في كتاب رحلة سبيك وغرانت لارتياد منابع النيل قال الاخير ما ملخصه ان هذا النبات ينبت في جنوب خط الاستواء على كل تل من الروث وتجتنى أوراقه للتدخين في آخر ابريل ويبلغ ارتفاعه خمس أقدام وأن الرجال الذين يدخنونه يصيحون ويصرخون ببلاهة وهم يخرجون الدخان من أفواههم وأنوفهم

(٢) اسمها النباتي Hibiscus cannabinus L. وبالانجليزية ambari fibre plant وبالفرنسية gombo chanvre وبالهندية « انبارا » او «انباري»

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أليافه تفتل الحبال وقد يعتصر من بذوره نوع من الزيت

واما القطن فقد سمّى پلينيوس شجيرته الجوسيپيون[١] أو الزيلون[٢] ووصفهُ وصفاً نستنتج منهُ انهُ من فصيلة البامية القنبية نفسها وان ما كان ينبت منهُ في مصر العليا يحتمل أن يكون القطن الشجري[٣] وقد أشار ڤرجيل في شعره المعروف بالجورجيات[٤] الى هذا النوع من القطن المستوطن في افريقية بين دائرتي الانقلاب . ولهذا فلا يستغرب وجوده في مصر العليا . ولكن هل استطاع المصريون القدماء نسج ألياف هذا النبات ؟ الجواب عن ذلك ما قاله پلينيوس من ان الكهنة المصريين كانوا يرتدون ثياباً قطنية . ومال بروكش الى اعتقاد أن المَحْرم المصري القديم كان مصنوعاً من قماش مادته القطن . واخيراً عثر روزيليني على اصيص اصله من طيبة وما زال محفوظاً بمتحف فلورنسا يحتوي على بذور ولما فحصها پارلاتوري وجدها تنتمي الى القطن الشجري

ومما تقدم يتضح لنا من دون شك ان المصريين القدماء عرفوا القطن الشجري ومن المحتمل زراعتهم له . وقد اكّد پولوكس الذي نشأ في نقراطيس[٥] بعصر القدمة ان المصريين في عهده كانوا ينسجون الأقمشة من الياف ثمار هذا النبات[٦] ولكن يظن في الغالب انهم لم يفعلوا ذلك إلاّ في زمن متأخر . والى هذا يرجع عدم العثور على أقمشة قطنية في مقابر الفراعنة

***

الاعلام في هذا المقال

پلينيوس (Pliny)

كاتب روماني يعرف بالأكبر لتمييزه عن ابن أخيه ولد سنة ٢٣ ب . م وبعد خدمة لهُ في جرمانيا عيّن نائباً عن القيصر في اسبانيا سنة ٦٧ فقائداً للاسطول وفي سنة ٧٩ هلك

---

(١) gossipion (٢) xylon

(٣) اسمه النباتي Gossypium arboreum L. وبالانكليزية tree cotton وبالفرنسية cotonnier en arbre

(٤) الجورجيات في اللغة اليونانية معناها الفلاحة وقد تناول ما ورد نبأ من شعر حياة الرعاة صنفها فرجيل حوالي سنة ٤٠ ق . م وهي أربعة مجلدات

(٥) نقراطيس مستعمرة من اليونانيين القدماء في الوجه البحري بين القاهرة والاسكندرية وهي المعروفة الآن باسم النبيرة . وقد احتكرت التجارة اليونانية في مصر من زمن احمس الثاني حتى الغزو الفارسي (٥٧٠ — ٥٢٠ ق . م)

(٦) يؤيد هذا ما جاء في أحد المراجع الاميركية من ان القطن الشجري دخل مصر في أواخر عهد الاسر المصرية القديمة عن طريق بلاد النوبة أو السودان الشرقي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في ثوران بركان ڤيزوف . وقد كان لا يعرف الملل في طلب العلم والاستقصاء ويتناول مؤلفه في التاريخ الطبيعي أيضاً البحث في النقش والتصوير وغيرهما . قيل إنه قرأ ألفي مصنّف لتنسيق هذا المؤلف المكوّن من ٣٧ مجلداً

ڤرجيل (Vergil or Virgil)

شاعر روماني شهير ولد سنة ٧٠ ق . م ومات بايطاليا سنة ١٩ ق . م وبعد أن تثقف في روما وغيرها عكف على البلاغة والفلسفة والشعر وقد قضى آخر سني حياته في الريف ومن ضمن مصنفاته « الجورجيات » كتبها بين سنتي ٣٧ — ٣٠ ق . م

هينرخ كارل بروكش (Brugsch, Heinrich Karl)

عالم ألماني شهير في العاديّات المصرية ولد ببرلين في ١٨ فبراير ١٨٢٧ ومات بها في ١٠ سبتمبر ١٨٩٤ ومن مؤلفاته « معجم في اللغتين الهيروغليفية والديموطيقية » (١٨٦٧ — ١٨٨٢) و « مذكرات عن رحلات في مصر » (١٨٥٥) و « الآثار المصرية » (١٨٥٧) و « مجموعة الآثار المصرية » (١٨٦٢ — ١٨٦٦) و « تاريخ مصر في عهد الفراعنة » (١٨٧٧) و « المعجم الجغرافي لمصر القديمة » (١٨٧٩ — ١٨٨٠) وغيرها

إيوليتو روزيليني (Rosellini, Ippolito)

عالم ايطالي بتاريخ الشرق وبالعاديات ولد في پيزا بايطاليا سنة ١٨٠٠ ومات بها في ٤ يونيه ١٨٤٣ وعاون شامپوليون في مصر وصار استاذاً للغات الشرقية في پيزا من ١٨٢٤—١٨٣٩ ثم عين استاذاً للعاديات . وقد الف كتاباً عنوانهُ « آثار مصر وبلاد النوبة » (١٨٣٢ — ١٨٤٠) .

فيليپ بارلاتوري (Parlatore, Philippe)

ايطالي عالم بالطبيعيات وطبيب شهير ولد بباليرم عاصمة صقلية في ١٨١٦ ومات بفلورنسا في ١٨٧٧ . هجر الطب سنة ١٨٤٠ وعكف على علم النبات وأهم مؤلفاته فيه « النباتات الايطالية » (١٨٥٠ — ١٨٩٠) وأتم هذا المؤلف كارويل

يوليوس پولوكس (Pollux, Julius)

يوناني عالم في البلاغة وقواعد اللغة ولد في نقراطيس بمصر القديمة ومات بأثينا (في القرن الثاني الميلادي) وأثره الوحيد الباقي هو معجم يوناني في عشرة مجلدات يُعدُّ مرجعاً نادراً ونفيساً لكثير من الموضوعات الخاصة بالآثار القديمة « يتبع »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تدريب الخلق

الروماني

لوديع الضبع

ما أحوجنا في هذه الأيام المكفهرة التي تتطاحن فيها أمم الأرض بجميع ضروب الأسلحة وآلات الهلاك والتدمير ، ويناضل رجال السياسة بعضهم بعضاً دون التقيد في أغلب الحالات بقيود أدبية أو وسائل شريفة — ما أحوجنا الآن الى أن نهملَ ولو الى حين قصير أخبار المعارك والحروب والمناقشات والدسائس ونشغل أنفسنا بمعضلات الحياة الاجتماعية العامة أو الخاصة والمسائل الاقتصادية والخلقيـة الى غير ذلك من الشؤون التي قد تنير السبيل لنشء اليوم فيرى كيف تقوم أسس الحضارة الحقيقية وأسباب عظمة الشعوب والدول. وليس ثمة بحث أروع أو أمتع أو أجدى في هذه الناحيـة من أساليب الرومان القدماء أيام الجمهورية الأولى في تربية النشء وتهذيب خلقهِ وتدريبه لمجابهة مشكلات الحياة العديدة خاصة كانت أم عامة

ومع ان الرومان الذين شادوا أكبر امبراطورية عرفها التاريخ في العصور القـديمة قد اندثروا وضاعت معالم امبراطوريتهم المترامية الاطراف إلاّ انهم ما زالوا حتى اليوم يؤثرون تأثيراً عميقاً مباشراً أو غير مباشر في حياة الأمم الحديثـة ، وما زلنا ننتفع بعبقريتهم في التشريع ووضع القوانين . ونتمتع عن طريقهم بأفضل مبتكرات العقل الاغريقي من فن وآداب وعلوم . ولقد قال المستر أسكويث أحد رؤساء الوزارة البريطانية السابقين معبراً عن دين العالم الكبير للرومان « لقد شيدت روما سواء في الآداب أو الفنون أو الفلسـفة أو الاديان الجسر الذي انتقل فوقه خير ما خلفه العالم القديم من الافكار والآثار الى العـالم الوسيط ومن ثمَّ الى العـالم الحديث » . ولـكي ندرك ادراكاً صحيحاً الأسس التي قامت عليها الامبراطورية الرومانية ، ونفهم جدارة الرومان عن حق بما أصابوه من عظمة ومجـد وخلود يجب ان ندرس حياة الرجال والنساء العاديين فيهم في حياتهم اليومية وأعمالهم العادية ونتعرّف مناقبهم ونقائصهم فهم الذين يكوّنون الأمم ويمثلون آدابها وشرائعها

كانت التربية الرومانية تقوم على أساس سليم في تكوين الخلق . فهي تبدأ وتنتهي في البيت. وكان أثر الأم في هذه الناحية لا يقل خطـرَ شأنٍ عن أثر الدين . وكان مركزها وطيداً في البيت ، لها الهيبة والمكان الثاني في الأسرة بعد الأب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهنا يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن نظام الاسرة familia التي كانت أساس المجتمع الروماني والتربية الرومانية . فلم يكن يعنى بها على وجه الدقة ما يقصد عادة بكلمة أسرة الآن : بل ربما كانت العشيرة أقرب اليها في مدلولها ، أي جماعة متقاربة من الافراد يعتمدون على ما تنتجهُ الارض لهم . فلم يكن يقصد بها الاب والام وأولادهما وحسب. بل كانت تشمل أيضاً الاتباع سواء أكانوا أحراراً أم أرقاء . وكان الاحرار يتألفون من العملاء الذين انضموا الى الأسرة في مركز أدنى واعتمدوا عليها في معاشهم وحمايتهم ، أما الأرقاء فكانوا يتألفون من أسرى الحروب وأولادهم او الذين فقدوا حريتهم لعدم تسديدهم ديونهم

***

وكانت الأسرة تشمل ايضاً ارواح العشيرة الالهية التي كان يعتقد الرومان انها تسكن معهم في المنزل أو على الأرض الزراعية وهي التي كان ينتظرمنها أفراد العشيرة العون والحماية في جميع مراحل الحياة . وكان لكل روح منها اسم وعمل خاص وأهمها فستا Vesta روح البيت وبيناطس Penates روح المخازن . ومع ان هذه الارواح لم تكن في مرتبة الآلهة الا ان عقل الروماني البدائي كان يعدها عضواً حقيقياً عاملاً كأي عضو بشري من أعضاء الأسرة او العشيرة

وان الظروف الخارجية التي أحاطت بروما ولا سيما مركزها الجغرافي الذي جعلها معرضة للهجمات المستمرة من جيرانها الاقوياء كانت عاملاً هاماً في تدريب أهلها في شؤون الحرب والسياسة منذ فجر تاريخهم . فقد ولدت في أهلها سجيتين خلقتا فيهم روح الصمود للحوادث الجسام التي كادت تعصف بمدينتهم ، تلك الروح التي كانت تخرجهم من كل كارثة انتابتهم أو ملمة حلت بهم وهم أعظم قوة وأثبت جناناً وأقدم وأصلح لأعمال الحرب والغزو . وهاتان السجيتان اللتان تعبران تعبيراً دقيقاً عن الخلق الروماني في أكمل مظاهره وأبهى ألوانه هما النظام والواجب أي سجية الطاعة المطلقة لولاة الامور والسلطات الشرعية وهي لازمة للحكم الصالح وسجية الشعور بالواجب وهو أساس قوة الدول وتقدمها

وكان الروماني يتعلم هاتين الفضيلتين الكبريين في البيت اولاً . فقد كان نظام الأسرة الرومانية الذي جمع بين البساطة المتناهية والمقتضيات العملية يقضي بخضوع جميع أفرادها خضوعاً مطلقاً لرئيسها وهو الاب والزوج . واذا كان هنالك أكثر من أسرة واحدة تعيش معاً فيكون رئيس العشيرة وحاكمها المطلق هو اكبر الآباء والأزواج فيها

وكانت روما في بدء نشأتها تستخدم كقلعة تفد اليها أسرات الفلاحين في أزمنة الخطر فقط حيث تقطن منازل بنتها فوق آكامها السبع . وكانت الاسرة تحترف الزراعة ويتولى كل فرد منها عملاً معيناً فكان ربها يدير دون رقيب او حد من سلطته جميع اعمال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المزرعة التي يملكها ، ويفصل في جميع المنازعات التي قد تقوم بين أفراد الاسرة ويوقع مايراه من عقاب عادل على كل ذنب او هفوة ترتكب . اما اعمال المنزل الضرورية كطبخ الطعام وغزل الصوف للملابس افراد الاسرة فقد تركت لزوجته وبناته . ونتج عن ذلك ان صار للزوجة بمضي الزمن نفوذ عظيم ، وان كان نفوذاً غير مباشر في الحياة الرومانية الاجتماعية أضف الى هذه الواجبات واجبات اخرى ينهض بها أفراد الاسرة جميعاً لأعضائها الروحيين الذين كانوا يعتمدون عليها في حفظ صحتهم وثروتهم ، فكان الجميع يقومون كل يوم بشكل بسيط من أشكال التعبد ، وفي أيام معينة من السنة لها تواريخ معلومة كانوا يحتفلون بأعياد خاصة كعيد الحصاد او بذر البذور او قطف الفاكهة لتكريم آلهتها وذلك في احتفالات دينية يشترك فيها عادةً جميع أسرات الاقليم الواحد. وكان يصحب هذه العبادات ألعاب ومسابقات رياضية يشترك فيها الشبان حتى تكون الحياة أقل مللاً وسآمة وأبعد من الضجر والكآبة

ومن سوء الحظ لم تخلف سجلات معاصرة لتلك الأزمنة الاولى عن نوع التربية التي كانت تغرس في نفوس النشء الروماني . ولكن لا ريب في أن نضال رومة الطويل المتشعب مع جيرانها اولاً ، ثم مع منافسيها الأقوياء داخل ايطاليا ثانياً ، ثم الخطر الذي ظل يلازمها فترة طويلة من الزمن في كفاحها ضد قرطاجنة ثالثاً ، كل هذا كان عاملاً كبيراً في توجيه الفضائل والسجايا التي كان يرغب أن يتصف بها الشباب الروماني وجهة حربية ، فكان يعنى عناية خاصة بتدريبه على الصفات التي تمكن المواطن من الصمود امام العدو والتغلب عليه مهما يكلفه ذلك من جهد وتضحية . ولم يكن في وسع الرومان وقتئذٍ ان يعنوا بالفنون والآداب والفلسفة كما عني بها الاغريق ، فقد كانوا لا يخرجون من حرب حتى يدخلوا أخرى تحدق بهم إبانها الأخطار الداخلية والخارجية على السواء . فقد ركزت روما قواها جميعها وحصرت كل جهدها خلال نضالها الشاق الطويل، في سبيل البقاء ، ذلك النضال الذي انتهى بأن أصبحت سيدة العالم المعروف وقتئذٍ

فنعرف من كتابات كاتو عن التربية الرومانية وخطاباته لابنه والفصل الذي خطه بلوطرخس عن سيرته ان الشجاعة الجسمية هي الفضيلة الاولى التي وجه الرومان جل اهتمامهم لغرسها في نفوس أبنائهم ومع ذلك فلم يقصر كاتو مثلاً على تدريب ابنه على الركوب والملاكمة والعوم بل رباه ايضاً على أن يبتعد عن كل ما يشين . وكان هو شديد الحذر في ألاّ ينطق بكلمة بذيئة واحدة امام ابنه كأنهُ ماثل في حضرة الآلهة

ولا شك ان الرومان كانوا يعنون بثقافة العقل ورياضة الخلق عنايتهم بغرس الشجاعة والنظام والواجب. ويرجح جدّاً انهم كانوا يبدأون بتلقين الفتيان في سن الصبا بعض المبادىء الخاصة بواجباتهم نحو الدولة والآلهة فوق واجباتهم نحو أسرهم وأرواحها الحارسة. فكان يسمح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لاولاد الأسر الطيبة ان يصحبوا آباءهم الى السيناتو لسماع الخطب الرائعة التي كان يرثي بها عظماء المدينة بل كان يسمح لهم ايضاً في وقت ما بالدخول لاستماع ما يدور فيه من نقاش وخطب

ويروي كاتو قصة طريفة توضح اهتمام الرومان بغرس واجب خدمة الدولة في نفوس الأولاد ، تتلخص في أن ولداً اصطحب أباه الى مجلس الشيوخ ، وعند رجوعه سألته أمه في شيء من الفضول وحب الاستطلاع عن الامور التي دارت حولها مناقشات « آباء السيناتو » فأجابها الابن انهُ محرم عليهِ تحريماً قاطعاً أن يدلي بشيء منها لأحد . فما عمل هذا الجواب الا ان زاد فيها شهوة الاستطلاع فأخذت تشدد النكير وتلح عليهِ في إخبارها . وأخيراً لما ضاق ذرع الفتى بها فتق له ذهنه الحاد أكذوبة رأى فيها كاتو مخايل النجابة ودلائل الفطنة والذكاء . ذلك ان الولد أخبرها ان السيناتو كان يتداول في : هل أفضل للدولة ان يتخذ الرجل لنفسه امرأتين او ان المرأة الواحدة تتخذ لها بعلين

فجزعت الأم للامر وأخبرت صديقاتها المتزوجات . وما جاء اليوم التالي حتى هرع عدد كبير من الزوجات الى دار السيناتو يلتمسن ويلححن في الالتماس ان يخول لكل امرأة ان تتزوج من رجلين بدلاً من ان يأذن لرجل في الاقتران بزوجتين

ولم تذهب دهشة اعضاء السيناتو من ذلك الالتماس العجيب الاّ بعد ان أفضى لهم الولد بقصته ! ومنذ ذلك الحين لم يؤذن لولد آخر غيره ان يحضر جلسات المجلس اذ رئي مكافأته على أمانته وفطنته . وان هذه القصة لتدل دلالة واضحة على نوع الفضائل التي كان يحبب غرسها في النشء حتى يتدرّب من صغره على خدمة الدولة والعناية بخيرها العام

وكانت فضائل النظام والخضوع واداء الواجب ماثلة على الدوام أمام الروماني في حياته العائلية وكفرد في الدولة . فقد كان للأب سلطان مطلق على زوجه وأولاده . ولكن كان هنالك عرف قوي نافع يمنعه من أن يستخدم تلك السلطة المطلقة استعمال مستبدّ غشوم . فقد كانت التقاليد الرومانية الواجبة الاحترام والتنفيذ تقضي عليهِ بأن يسترشد برأي مجلس من الاقارب قبل ايقاعه أية عقوبة صارمة لذنب كبير ارتكبه أحد أفراد أسرته . وكذلك كان سلطانه المطلق على عملائهِ أو عبيده المعتقين يُحدّ بعادات الالتزام المتبادل التي أصبحت فيما بعد جزءًا من القانون . وحتى عبيده كان يلزمه العرف بأن يعاملهم معاملة أشخاص لازمين لحياة العشيرة . بل كانوا يشتركون الى درجة ما في عبادات الاسرة الدينية

وكان نظام الدولة في رومة يشبه في وجوه عديدة نظام الاسرة. وأشدما يستوقف انظارنا في هذا النظام هو سلطان رئيس الدولة سواء أملكاً كان أم قنصلاً أم حاكم اقليم ، ذلك السلطان الذي لا حدّ له على جميع مصالح الحكومة . فكما منح رب الاسرة سلطة مطلقة على جميع افرادها ، كذلك خُوِّل الملك ثم قنصلا الجمهورية سلطة لا حدّ لها على جميع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المواطنين . وكان يعبر عن سلطة رئيس الدولة بكلمة imperium ، وهي كلمة لا تزال شائعة الاستعمال في اشكال شتى ومعانٍ مختلفة في اللغات الاوربية

وكانت تعبر هذه الكلمة imperium للروماني أكثر من أي اصطلاح آخر عن فكرة النظام في الدولة وهو الايمان المتوارث جيلاً بعد جيل بوجوب الخضوع خضوعاً مطلقاً للسلطات الشرعية واطاعتها طاعة عمياء . وكان العرف النافذ يقضي ايام الجمهورية بانتخاب صاحب السلطان بشرط أن تظهر الآلهة بعلامات معينة طيبة موافقتها على ذلك الانتخاب

وكانت رموز وظيفته عصيًّا وفؤوساً يحملها «الكتورين» أمامه أينما حل وذهب. وهي رموز تذكر الروماني أن الواجب الاول على كل مواطن هو الطاعة المطلقة للسلطة القائمة ، أما السلطة غير الشرعية كتلك التي جاءت عن طريق التزوير أو التهديد والعنف فليس لها سلطان على احد ، ويجب ان تقاوم حتى تزول . وقد منح رئيس الدولة بموجب هذا السلطان سلطة مطلقة في الفصل في الأقضية والمنازعات بين الافراد وفي اصدار الاحكام والعقوبات حتى عقوبة الموت كذلك . وهنا ايضاً كان يتدخل العرف فينظم هذه السلطة حتى لا تستخدم استخداماً مستبدًّا غشوماً إذ قضى بأن يستشير اعضاء السيناتو وان لم يجبره على ان يعمل بما يشيرون به. فكانت ممارسة السلطة والاحتفاظ بالنظام مقرونين على الدوام بروح الواجب والتزامه

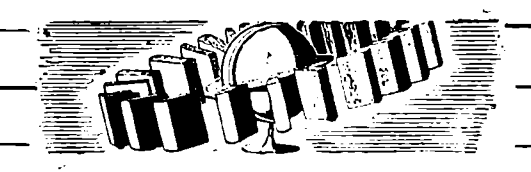
ونرى حب الرومان للنظام والعدالة وقيام كل فرد بواجباته مدنية كانت او عسكرية إبان الحروب . فقد كان يفرض على المواطنين الاحرار جميعاً سواء كانوا ينتمون الى طبقات ممتازة او غير ممتازة الانخراط في الجيش كواجب وطني ، ويدفعون من الضرائب كل على قدر طاقته ما كان ضروريًّا للاغراض الحربية

وكان جميع الرومان يخدمون في الجيش بدون مرتب . وكان اكثر الناس يحمّلون اكبر الاعباء إذ كانوا يعتبرون ان لهم نصيباً اكبر في الدولة . وكان عليهم ان يشتروا من مالهم ما يحتاجون اليه من معدات حربية ما عدا الخيل فقد كانت الدولة تجهزهم بها لارتفاع أثمانها . وكانوا يوضعون في الصفوف الامامية أثناء القتال . اما افراد الطبقات الفقيرة وهم يؤلفون عادةً المشاة فكانوا يقفون في المؤخرة اذ لم يكن في متناول يدهم ان يجهزوا انفسهم الا بأبسط أسلحة القتال وأقلها كلفة. وبذا روّض الجميع أنفسهم على مبادىء الواجب والنظام حتى أصبحت الطاعة والخضوع واحترام السلطة القائمة والثبات والاقدام أوقات الخطر عادات وسجايا مغروسة في نفوس الرومان على بكرة أبيهم

وبهذه المناقب الرفيعة والفضائل الكبرى أثبت الرومان العمليون قول أمير الشعراء

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

من سلسلة إقرأ

١ — دستويفسكي للاستاذ حسن محمود

٢ — الشاعر الرجيم بودلير للاستاذ عبد الرحمن صدقي

صدرت من سلسلة « إقرأ » الى آخر شهر يوليو سبع حلقات: قصتان وبحث وأربع تراجم. وهي بهذا الوصف تصلح مادة لسلسلة من الموازنات النقدية، بين اتجاهات موضوعاتها، وطرائق مؤلفيها، وطبائعهم الأدبية

أما القصتان فهما « أحلام شهر زاد » للدكتور طه حسين بك، و « عود على بدء » للاستاذ المازني

وقد سبق لي أن تحدثت في المقتطف عن القصة الأولى في موازنة بينها وبين قصيدة للاستاذ العقاد، وتمثيلية للاستاذ توفيق الحكيم. فلست أنوي الآن أن أعود الى الحديث عنها في هذا الحيز المحدود

وأما القصة الثانية. فأوثر ألاّ أتحدث عنها الآن. ذلك أن المازني عزيز عليّ. وأنا لم أكتب عنهُ قبل اليوم شيئاً، فأحب ألاّ يكون أول حديثي عنهُ كلاماً عن هذه القصة التي يبدو لي أن حبكتها الفنية قد أفلتت من بين يديه، فأراد شيئاً وصنع شيئاً آخر. فلم تعد هذه القصة نموذجاً لعملهِ الأدبي ولطريقته الفنية، والنظر فيها يجيء عند النظر في مجموعة أعمال المازني. وأنا بسبيل ذلك في بحث كبير يشمل « أعلام الأدب المعاصرين »

وأما البحث القيم « على مذبح المريخ » للاستاذ فؤاد صرّوف فانا بانتظار توأم له عن « المذاهب السياسية المعاصرة » للاستاذ علي أدهم ليكون الحديث واحداً

وأما التراجم الاربع فأولاها « شاعر الغزل » للعقاد، وهذه قد سبقت منذ الشوط الأول لخرجت من السباق. على انني تحدثت عنها حديثاً مفصلاً في مقالة بالرسالة

والثانية « شاعر ملك » للجارم بك. وهذه قد تخلفت منذ الشوط الاول لخرجت من السباق كذلك. ولا حديث لي عنها الآن أو بعد الآن!

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بقيت الحلقتان الأخيرتان اللتان عنونت بهما لهذا المقال . وكأنما تشاء الظروف جميعها أن تعقد بينهما موازنة مستقلة . فكلتاهما عن فنان غربي، وكلتاهما عن حياة هذا الفنان لا عن فنه ، وكلتاهما بقلم كاتب من كتاب المدرسة الحديثة الشبان (على معنى من معاني الشباب !) وكلتاهما أول كتاب مؤلف يخرجهُ كلا الكاتبين ... وهكذا تجتمع المصادفات !

ولست أنوي أن أستعرض هنا محتويات هاتين الحلقتين ، فحلقات السلسلة تقرأ في محيط واسع ، تدل عليهِ أرقام المطبوع منها وهي أرقام ضخمة بالقياس الى المعتاد من كتب اللغة العربية . فأكتفي إذن بابداء الرأي فيهما باختصار

وخلاصة هذا الرأي ، اني على كثرة ما قرأت للاستاذ عبد الرحمن صدقي من بحوث أدبية وفنية وتاريخية ، وعلى معرفتي الوثيقة بحسن اطلاعه ودقة حسه ، رأيت في « الشاعر الرجيم » شيئاً أكبر مما كنت أنتظر منهُ !

وان ما قرأته للاستاذ حسن محمود من الفصول ، وما أعلمهُ عن سعة اطلاعه وتنوع ثقافاته جعلني أنتظر منهُ شيئاً أكبر من « ديستويفسكي » الذي لم يوفق فيه كل التوفيق

وعلة هذا الحكم كامنة في الطريقة التي اتبعها كلا الكاتبين في العرض والتنسيق وفي تصوير حياة « البطل » وملابسات هذه الحياة

فأما « الشاعر الرجيم » فتلمح فيه المصور المتمكن ذا الريشة الحاذقة ، الذي يرسم الخطوط ويصوّر الملامح ويوزع الألوان بدقة واضحة فلا تفلت الريشة من بين أصابعه ولا تختلج أو تخطىء في التقسيم والتلوين

وقد أفلح المؤلف في أن يشيع الحرارة والحركة في الصورة التي رسمها لبودلير ، وفي أن يوثق المعرفة بل التعاطف بيننا وبين « الشاعر الرجيم » وأن يجعلنا نتتبع خطاه في الحياة وقلوبنا تخفق على وقع هذه الخطوات

وهذا بلاشك توفيق كبير . وان يكن هناك ما يقال في بعض الجزئيات

والذي يقال : هو أن الحيز المحدود لحلقات السلسلة لم يكن يحول دون إضافات قليلة تشرح الجانب المجهول من حياة « بودلير » وهو جانب ثقافته واطلاعه وعناصر تكوينه الفنية — بعد ما أفاض المؤلف إفاضة واسعة في عناصر تكوينه النفسية ، فهذا الجزء مطويّ بسرعة كبيرة . ولعلنا هنا في الشرق أحوج ما نكون لأن نعلم عن أمثال بودلير من الفنانين الشواذ جوانب الجد والخير مع جوانب العبث والشر فالشباب المصري أو الشرقي عامة يريد الشهرة والمجد بلا تعب ولا كد ويتخيل حياة الفنان تخيلاً خاطئاً أو مضللاً ، ويجد في المتعارف عن أمثال بودلير ما يشجعهُ على جني الاشواك دون الازهار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكذلك لم يكن هذا الحيز يضيق عن صفحات تتحدث عن طبيعة بودلير الفنية وعن أثره في الأدب الفرنسي وفي الأدب العالمي فقد طوى ذلك كلهُ في سطور وهذه السلسلة انما تصدر لقراء العربية،لا لمن يستطيعون الرجوع الى المصادر والثقافات الغربية وهذا كل ما يقال

وأما «ديستويفسكي» فقد اضطربت الريشة في يد مؤلفه ، فتداخلت الخطوط والملامح وتقدمت الحوادث والشخصيات في بعض الاحيان أو تأخرت و « طرطشت » الريشة في احيان اخرى . وخرجنا من الكتاب بسجل من الحوادث التي ألمت بحياة المؤلف ومن الشخصيات التي اعترضت طريق هذه الحياة ، ولكننا لم نعرف عن « نفس » ديستويفسكي الا قليلاً ، ولم نعرف عن طبيعة عمله الفني الا قليلاً كذلك . ولست أعنى أنها ترجمة فاشلة . فالمسافة كبيرة بين هذا الوصف وبين الحقيقة بل أعني فقط ان التوفيق فيها لم يكن كاملاً ، ولكنها — على كل حال — تعريف للقارىء العربي بحياة الروائي الكبير

بقيت مسألة أخرى بعيدة كل البعد عن الموضوع وعن طريقة التأليف . مسألة خطرت لي وأنا أقرأ هذين الكتابين فأثارا في نفسي قضية كنت قد أنكرتها طويلاً . تلك هي قضية الأسلوب . الأسلوب التعبيري في ذاته بغض النظر عما يؤدي اليه من المعاني والافكار !

فأسلوب الاستاذ حسن محمود أسلوب هادىء بسيط مريح، ولكن فيه مع ذلك شيئاً... يصعب تحديده ، ولا أملك في وصفه الا أن أقول : إنه مطفأ الطلاء ينقصه شيء من البريق المقبول ، وان البساطة فيه تستحيل في بعض الاحيان الى سذاجة بدائية وضعف في التعبير . ولست أدري مدى عناية الاستاذ بالقراءات العربية ، ولكني أعنى ان تتكافأ مع اطلاعه الواسع وأدبه الغزير

وأما أسلوب الأستاذ صدقي فواضح فوق رأس الجرس لامع الطلاء ومع هذا فقد أحسست فيه بشيء ما حرت أول الأمر في تحديده ثم وضح في حسي رويداً رويداً . ذلك ان موسيقاه — ولكل أسلوب موسيقى — هي موسيقى التقابل والتقسيم ، لا موسيقى التموج والانسياب، ولهذا أثره في وضع حدود مرسومة أمام الحس في أثناء القراءة تجعله في يقظة دائمة لمواضع التقابل والتقسيم

وانهُ ليخيل اليَّ أن هذه الموسيقى إنما تنبعث دائماً من الآلات النحاسية ، ولا تنبعث الا نادراً من الآلات الوترية . ولهذا تفوتها بعض النغمات الرقيقة السارية بين الاوتار !

ولو تخيلنا للاساليب ألواناً — وكثيراً ما يخطر بالوهم ان للاسلوب لوناً — فاننا نجد الالوان في هذا الأسلوب هي ألوان المعادن لا ألوان الأزهار . فالأحمر مثلاً هو لون النحاس لا لون الوردة، والأبيض هو لون الفضة لا لون الفلة ، والأصفر هو لون الذهب لا لون الورسة ... وهكذا !

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذه أو تلك خاصية أسلوب لا سبيل فيها الى التغيير والتحويل ، وهي في بعض المواضع حلية وزينة ولكنها حين يبالغ فيها تصبح عائقاً في طريق اللذة الفنية. وهذه المبالغة يمكن تجنبها بلا جدال ، هي وبعض التعبيرات القاسية القالب التي توجد بين الحين والحين ، مثل قوله في مقدمة الكتاب : « ليست هذه بالترجمة الخالصة لحياة بودلير ، ولا هي بالدراسة النقدية الخالصة لشعره ولكنها الشيئان معاً، واذا صح ان كان بين الفنانين من قام موضوع فنه بمعزل عن موضوع حياته ، فان بودلير من ذلك في القطب المقابل والطرف النقيض». فهذا كلام واضح وكلام دقيق ، ولكنه حاد التقسيم عنيف التقابل لا سبيل فيه الى التموج والانسياب المريح!

وبعد فاننا نرحب بالكتاب الاول لكل من الكاتبين ، لأنه بدء التحول في حياتهما الأدبية من أدب المقال الى أدب الكتاب ، وهو تحول مرغوب فيه مطلوب من كتاب الشباب

حلوان سيد قطب

ميدو وشركاه

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني — ١٦٨ ص من القطع الصغير
القاهرة ١٩٤٣ — تطلب من مكتبة المعارف ومطبعتها بمصر

وهذه قصة ثالثة يخرجها الاديب الكاتب القدير الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . وكان الاستاذ المازني كأنه ترك التأليف في السنوات الاخيرة حتى تساءل الناس في شأنه فاذا به يتحفهم هذه السنة بثلاث نفائس على التالي . وقد وصف صديقنا الدكتور بشر فارس — قبل سفره الى لبنان وفلسطين — القصتين الاوليين وذهب في تحليلهما وتقديرهما مذهباً نظن قارىء المقتطف عرف به طريقة الاستاذ المازني في الابتداع وأسلوبه في الانشاء

وهذه القصة الثالثة على نحو السابقتين . إلاّ انها أقرب الى فن الدعابة منها الى فن التحليل وألصق بالأسلوب القريب منها بالأسلوب البعيد . وحوادث القصة تجري في ثمان واربعين ساعة بسرعة لا يدانيها إلاّ سرعة الصور المتحركة . فكلها نشاط واندفاق . وأما أشخاصها فمنتزعون من صميم الحياة وكأنك تلابسهم وتعاشرهم ففيهم الظريف والثقيل والطائش والرزين والمتهوّس والبليد . وأما النساء فمرسومات بريشة العارف لهنَّ العاطف عليهنَّ : حبيبة وأخت وأم وزوج تارة في نضال وأخرى على وئام . واسلوب القصة يتراوح بين الفصحى المختارة التي اشتهر بها قلم الاستاذ المازني وبين العامية احياناً اذا انساق الحوار اليها على ألسنة الخدم وبين لغة وسطة لا تثب الى القمة ولا تنحط وهي المستعملة عند الحديث السهل البسيط

وتمتاز هذه القصة بالخفة والتندر فهي جدّ مشوّقة . ولا يسعنا إلاّ ان ندعو القراء الى استلذاذ فصولها ومصاحبة مؤلفها الخفيف الظل البارع الاداء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

١ — خيوط الغمام

ديوان شعر لعبد الله يوركي حلاق — ١٤٠ صفحة من القطع الصغير — مطبعة كامل سبع بحلب

هذا الديوان مجموعة من الشعر الوطني الاجتماعي الغزلي ، وفكرة الوطنية عند هذا الشاعر لا تضيق فتحدُّ بالحدود السياسية التي خلقتها مقتضيات السياسة . ولكنها تتسع الى ما وراء هذه الحدود فتجتازها وتحطمها وتلتقي عند فكرة الوطن العربي الأكبر ، ولواء العروبة هو اللواء الذي يسير الشاعر تحت ظله مغنياً أناشيده لعلَّ شباب العرب في كل قطر عربي يرددونها فتفيض بالاتحاد قلوبهم : —

هــذا لوانا امتدَّ من أقصى العراق الى اليمن
فانظره يخفق في السما كالقلب يخفق في البدن
واسمعهُ يدعو العُرب للْـمجد الرفيع .. أو الكفن

وتظهر فكرة العربية عند الشاعر في شغفه باللغة العربية التي تربط هذه الأوطان السياسية برباط وثيق ، فهو يحبها ويعاهد بأن يبذل جهده في سبيل السمو بها . اسمعه يقول :

سأبذل في سبيل الضاد جهدي لتسمو الضاد بالأدب الرفيع
فحب الضاد ينمو في فؤادي نموَّ الزهر في فصل الربيع

ويعجبك من هذا الشاعر المسيحي سماحته ونظرته الواسعة الى الأديان الاخرى ، ولعلَّ ذلك راجع الى طبيعة الخير المتأصلة في نفسهِ القارَّة في فؤاده ، فهو يشيد بالاسلام في كل موضع يتطلب الاشادة ، وهو يمدح النبي محمداً ويخصه باحدى الطوال من قصائده . ويعدد من جوانب الرسول العربي ما يقتضيه الانصاف والصدق الذي يتحلى به الشاعر الحق . وهو هنا يذكرنا بالشاعر المسيحي العربي الاستاذ وصفي قرنفلي الذي مدح النبي عليهِ السلام بقصيدة نشرت في الجزء الثاني عشر من كتاب « الحديقة » الذي كان يُصدره في القاهرة الاستاذ الجليل محب الدين الخطيب

وليس عجيباً أن تبدو هذه الروح السمحة الصافية من الشعراء الذين اختصتهم الطبيعة بصفاء النفس وصدق الحس ، فالعرب أحوج الامم الى نبذ التعصب الممقوت الذي يجد فيهِ العدو مرتعاً لنفث سمومهِ . ولقد قامت النهضات القومية في البلاد العربية على هذا الاساس ، وهذا شوقي أمير الشعراء يقول في العلاقة بين المسلمين والاقباط : —

أعهدتنا والقبط إلاَّ أمة في الحق واحدة تروم مراما
نُعلي تعاليم المسيح لأجلهم ويقدسون لأجلنا القرآنا

ولكن شوقي فاتهُ من تعليل حب المسيح ومحمد ما لم يفت شاعرنا عبد الله يوركي حلاق ... فالمسلمون — عند شوقي — يحبون المسيح لأجل النصارى ... والنصارى يحبون محمداً لأجل المسلمين ... ولكن الاستاذ عبد الله حلاق يعلل حبه محمداً بقوله : —

اني أباهي بالرسول لأنهُ صقل النفوس وهذّب الوجدانا
ولأنهُ داس الجهالة وانتضى سيف الجهاد لحطم الأوثانا
ولأنهُ حفظ العروبة وابتنى للعرب مجداً رافق الأزمانا

***

قلت ان في هذا الشاعر طبيعةً خيّرة ، وهذه الطبيعة تبدو في ألحان مختلفة نظمها في الفقير وقسوة الشتاء عليه ووجوب الاحسان على الاغنياء للفقراء وكرم العروبة وغيرها ، وهي قصائد أو مقطعات صغيرة تحمل أكبر المعاني وأنبل العواطف . ومدائحه لبعض كرام أهل الشام تدور حول معاني البر والرحمة والانسانية والأخوة والشفقة التي أوجبت عليه مدحهم وأنطقته بثنائهم

والديوان على ضآلة حجمهِ مليء بما يدل على العاطفة الخيّرة ، والنفس الشاعرة والقلب الكبير

٢ — في الادب المصري

للاستاذ امين الخولي بكلية الآداب . طبع بمطبعة الاعتماد صفحاته ١٤٤ من القطع الصغير

هذا الكتاب ليس بحثاً في الأدب المصري ، ولا دراسة لهذا الأدب في مختلف عصوره . ولكنهُ فكرة يدعو المؤلف اليها ويؤمن بها الايمان كله ، ويدافع عنها في حرارة وتحمس بالغين . وبجانب الفكرة منهج دراسي وضعهُ المؤلف للراغبين في دراسة الأدب المصري ، وخطة التزمها المؤلف في دعوته الى اعتناق فكرته والتزام منهجه

والفكرة جديدة من حيثُ الاعلانُ عنها والدعوةُ لها والمجاهرةُ بها في كتاب يطبع وينشر وينتظر من المقاومة ما يصادف الدعوات الجديدة والأفكار الناشئة . ولكنها قديمة من حيث خطورُها على البال وحدوثها في الذهن

والفكرة التي يدور حولها الكتاب هي « أقليمية الادب » . والاستاذ أمين يناصر هذه الفكرة ويرى انها أقوم السبل لخلق أدب اقليمي متميز موسوم بسمة الاستقلال ومطبوع بطابع البيئة المحلية ، بدلاً من هذا (الادب العربي) المشترك الذي لا يميز أقليماً من اقليم ولا بيئة من بيئة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وظاهر الدعوة أن المؤلف يرى تقسم البلاد العربية الى دويلات وممالك سياسية. وان هذه الدويلات تجمعها وحدة اللغة العربية، ولكن تفرق بينها عوامل شتى من البيئة المحلية. فليس من الحق — في نظره — ان نغفل هذه العوامل البيئية ثم نحاول أن نجمع هذه الآداب العربية المختلفة البيئات في إطار واحد هو «الأدب العربي» والرأي عنده أن تظهر شخصيات البلاد العربية الآن في آداب مستقلة بكل واحدة منها. فالأدب المصري والأدب الشامي والأدب العراقي والأدب الحجازي يجب ان يستقل كل واحد منها بالدراسة الخاصة والميزات الخاصة والاقليمية الخاصة، ولا بأس — بعد ذلك أن تندرج تحت الاسم العام: الأدب العربي

ولا شك ان هذه الدعوة تلقى اعتراضاً من كثير ممن يؤمنون بالوحدة العربية ويدعون لها، وممن يرون ان الاسلام واللغة العربية هما الرابطة التي يجب ألاّ تدانيها رابطة اخرى من وطن او جنس او أقليم. ولقد لقيت هذه الدعوة بالفعل اعتراضاً سمعهُ المؤلف فيما يدور من نقاش حول دعوته، ولهذا هيأ قلمه لدفع الاعتراض في كتابه. كما دفع كل ما يمكن أن يطرأ من اعتراض أو يقوم من انكار دعوته. وتلك براعة من الاستاذ أمين الخولي. فهو لم يصدع بامر دعوتهِ الا بعد ان ناقش وجادل وحادث وعرف مواطن الاعتراض عليه، فقام يدعو وفي يمينه دعوته وفي شماله براهينه وحجته، فقطع بذلك أوجه الاعتراض على المعترضين

والدعوة الى فكرة الاقليمية في الأدب دعوة شائكة ليس من اليسر تناولها من غير اثارة جدال عنيف، وليس من السهولة المجاهرة بها من غير تعرض لسخط الساخطين الذين يرون في العروبة والاسلام أصلاً كبيراً تجتمع حوله الاصول الصغرى مع الدينونة لذلك الأصل والفناء فيهِ

ولكن المؤلف كان بارعاً في دعوتهِ فهو يغضبك اذا دعا ويعجبك اذا استدل، ويرضيك اذا ناقش وخاصة حين يرد على من يخشون من دعوة الاقليمية أن تكتسح الدعوة العربية الكبرى. فهو هنا يفرّ من المناقشة بحجة أن البحث العلمي غير العواطف والميول وانهُ من الخير لدعاة الوحدة العربية ان يقووا روح الاقليمية في نفوس الشعوب العربية حتى تكون وحدتهم المرجوّة مبنية على بنيان راسخ وأساس متين

ولقد يعترض على المؤلف أن انماء فكرة الاقليمية في الأدب فيه توهين للفكرة العربية العامة، وفيه قطع للصلات بين البلاد العربية التي يؤلف بينها هذا اللسان العربي وهذا الأدب العربي ولكن المؤلف أخذ لذلك حيطته فهو يرى انماء الاقليمية مع الاحتفاظ في الوقت نفسه بالصلات الوثيقة بين البلاد العربية، وخاصة بينها وبين الجزيرة العربية التي يجب ان تكون موضوعاً مشتركاً للدرس من كل البلاد العربية في منازلها واوطانها السياسية المختلفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهذا الاقتراح الاخير يبدو غير عملي والسبيل اليه متقطعة والأسباب اليه غير مادة لأن المنهج الذي أعده المؤلف لدرس الجزيرة العربية منهج تنوء به العصبة أولو القوة وهو يحتاج الى مال وجهد لا تسعفه ولا تعين عليه طبيعة الجزيرة العربية

لاشك ان التعاون الادبي بين الوحدات القوية الشخصية المستقلة الكيان الواضحة المتميزة التاريخ هو التعاون المثمر المجدي . فاذا ما ظهرت الاقليمية في مصر قوية واضحة الشعور بنفسها، وظهرت الاقليمية في العراق قوية واضحة كذلك وظهرت في غيرهما من البلاد العربية قوية واضحة ، ظهرت البلاد العربية في مجموعها، قوية واضحة الشخصية لأنها تتكون من افراد اقوياء الشخصية . وهذا هو دليل من أدلة الرأي عند المؤلف دعا اليه وكرره في أكثر من صفحة

فظهور الاقليمية في مصر لا يقطع الصلة بينها وبين العراق مثلاً ولكنه — على الضد من ذلك عند المؤلف — يحوج أهل البلدين الى التعاون والكشف عن صلات قديمة توثقت بين البلدين الكريمين حتى ولو كان ذلك قبل الاسلام

ويظهر لنا ان المؤلف الفاضل ممن يدينون برأي غوستاف لوبون في التكرار وترديد الفكرة مرات ومرات حتى تستقر في الاذهان وتجد الى القلوب سبيلاً . والمؤلف هنا نفسي من طراز لبق ، فهو يدعو ويكرر الدعوة ، ويناقش ويكرر المناقشة ، ويرد ويكرر الرد حتى ليخيل اليك ان كل صفحة لاحقة من كتابه هي ترديد لصفحة سابقة ولعلهُ غالى فيه

وجميلٌ جداً ان يدع المؤلف تقديم كتابه الى واحد من تلاميذه المعروفين بالنشاط الموفور والدأب في سبيل العلم والدرس هو الاستاذ عبد الحميد يونس أحد أعضاء لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

ضاق نطاق « المكتبة » في هذا الجزء من المقتطف عن الاتساع لجميع الكتب التي اهديت اليها فوعدنا ببحثها بحثاً وافياً العدد المقبل ان شاء الله ونخص منها بالذكر

١ — مطالعات علمية : للدكتور علي مصطفى مشرفة بك

٢ — قصة الادب في العالم — الجزء الاول — للاستاذين احمد امين بك وزكي نجيب محمود

٣ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي للدكتور شوقي ضيف

***

وفي الكتاب بعض هفوات كقوله في صفحة ٢٩ (وما محاولة العناية بالاقليمية اليوم الا لوناً) . والصحيح لون بالرفع ، وكهفوات أخرى من عجلة الطبع وسرعة التهيئة للنشر لا تخفى على القارىء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — أنات حائرة

ديوان من شعر الاحزان والاشجان — لعزيز بك أباظه

مطبعة المعارف في ١١٢ صفحة من القطع الصغير

كنت في طريقي الى « الاهرام » مكرراً التعزية في فقيدها الكبير ، فاذا هناك نسخة تنتظرني من هذا الديوان هدية من مؤلفه الفاضل عزيز بك أباظه مدير البحيرة . وهو رجل لم تصلني به صلة ، ولم تجمعني به معرفة ظاهرة

قرأت هذا الديوان النفيس حرفاً حرفاً فاذا هو نفس حزينة منطوية على همومها : مغمورة في الآلام حتى إنها لتجد فيها شفاء غليلها وراحة صدرها

وقصة هذا الديوان هي قصة الدموع ، والنار المتلظية بين الضلوع . هو قصة الرجل الكبير في قلبه ، المخلص في حبه الهادىء في عشه الناعم في ظل زوجته فاذا الموت يهدم لذات هذا العش الهادىء الجميل ، واذا الزوجة الوفية المخلصة تنتقل الى الدار الآخرة تاركة عشها موحشاً كئيباً ، وزوجها وحيداً غريباً . واولادها حيارى يتامى : يتلفتون فلا يجدون ، وينادون فلا يجابون ...

***

قصائد هذا الديوان الحزين نظمت كلها في عام او قرابة العام ، فأولها نظم في يونيو سنة ١٩٤٢ وآخرها في يونيو سنة ١٩٤٣ ، وهي فترة — على قصرها في عمر الدهر ومسافة الزمن — مليئة بأشجان هذا القلب المحطم وذكرياته . فهو يبكي اذا وقف على عرفات في غمار الآلاف المؤلفة من حجاج البيت الحرام وزوجته ليست معه تلبي كما يلبون ، وتكبّر كما يكبّرون... هو يبكي اذا أهلّ هلال رمضان الفائت فاذا به يتفقد أليفته فيراها كما يذكر في الديوان وقد : —

ذهبت كما ذهب الضحى متألقاً   وبقيتُ أضرب في الليالي الجُون

وذوت بشاشات الحياة ولم يعد   في أنسها «يا زين» ما يُصبيني ...

وهو يبكي اذا وقف على قبر السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بالحجاز لأن هذا القبر الطاهر يذكره بقبر آخر في قرية « الربعماية » بمصر أودعهُ أوفى الأوفياء لهُ ، وأعز الناس طرًّا لديه . وهو هنا يصنع كما صنع متمم بن نويرة حينما قال في رثاء أخيه مالك : —

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته   لقبر ثوى بين اللوى فالدكادكِ

فقلت لهم ان الشجى يبعث الشجى   دعوني ! فهذا كله قبر مالك

https://t.me/megallat   oldbookz@gmail.com

هذا الديوان كشف عن عزيز أباظة بك شاعراً مصريّاً معاصراً من طراز رفيع ، ومن عجائب الدهر أن تكشف المصائب عن حسنات ، وتعلن الفجائع عن روائع . . . ويظهر انه شاعر متواضع ، يكره الاعلان عن نفسه والتحدث عن بضاعته

ولقد كان يكون لهُ من مناصبه الادارية الراقية ما يعينهُ على نشر شعره والاعلان عنهُ والدعاية لهُ . ولكنهُ آثر الصمت ، واختار الانزواء ، وفضَّل الغناء همساً لنفسه أو لخاصته حتى نكبه الدهر في زوجته . فآثر أن يكون أول نتاج أدبي لهُ باقة من الشعر العربي الرصين المنحوت من قلبهِ ، والمصبوب من دمعه — لتكون تذكاراً لها

ولقد ربأ الشاعر بذكرى فقيدته الغالية ان يكون شعره لها ، ودموعه الغالية فيها موضوعاً رخيصاً للبيع والشراء في سوق الادب . ولكن هذا الشعر — الذي يؤثره كل محزون — دموع الشاعر أهداها الى من رأى ايثارهم بها ، او لمن شاء من كل حزين اقتناءها

وليس في تاريخ الأدب العربي — على ما نعرف — من رثى زوجته بديوان بأكمله كما صنع عزيز اباظة اليوم ، فمسلم بن الوليد يرثي زوجته بأبيات منها : —

غدت والثرى أولى بها من وليها الى منزل ناء بعينك دان
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعترف الاحشاء بالخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما في القلب يعتلجان

ومحمود سامي البارودي رثى زوجته بأبيات منها : —

لا لوعتي تدع الفؤاد ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغادي
يا دهر فيم فجعتني بحليلة كانت خلاصة عدة وعتادي
ان كنت لم ترحم أساي لموتها هلاَّ رحمتَ من الضنى أولادي ؟؟

ولكن عزيز أباظه — الشاعر الذي كشفته لنا الاحزان — يصنع من دموعه الغزار ديواناً برمته ثم يتحف بهِ الادب العربي في باب المراثي الخالدة

***

لقد كنا نرجو ان يكون اولَ مايصدر عن عزيز بك شيء غير الدموع والآلام والاحزان والاشجان والحنين، والانين ... ولكن شاءَ الله أن تكون دموعه هي سبيل تقديمه الينا ... فسنجلُّ هذه الدموع ونكبرها لانها دلتنا على رجل جليل ، ومثالٍ في الوفاء قليل .

محمد عبد الغني حسن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مجلة جمعية الآثار القبطية

تبدي جمعية الآثار القبطية نشاطاً ملحوظاً في النهوض بدرس احدى نواحي تراث مصر القومي ، وهي ناحية الفن والأدب والتاريخ القبطي ، وما يتصل بها من الفنون والآداب والعلوم الأخرى ، فتنظم المحاضرات والمعارض والرحلات الى المناطق الأثرية ، وتشجع على نشر الوثائق التاريخية والكتب العلمية . وتصدر مجلة سنوية تنشر فيها بحوثاً نفيسة في الشؤون القبطية وغيرها

وقد ظهر في الأيام الأخيرة المجلد الثامن من هذه المجلة حافلاً بكثير من الموضوعات باللغات العربية والانكليزية والفرنسية . ويقع هذا المجلد في ٢٤٠ صفحة تضم ثماني لوحات مصورة ، عدا ما في المتن من صور أخرى ، وهو مطبوع طبعاً جيداً فيحق لجمعية الآثار القبطية ان تفخر بمجلتها وبمنزلتها ، وان تضعها بين أرقى المجلات العلمية

وقد افتتح الدكتور دريتون هذا المجلد بمقال نفيس عن نقش يمثل « اليهود الثلاثة في أتون النار المتقدة » . وقصة اليهود الثلاثة شدرخ وميشخ وعبدنغو موضحة في الاصحاح الثالث من سفر دانيال ، ويقول الدكتور دريتون ان هذا النقش هو رابع ثلاثة نقوش أخرى قبطية وجدت في مصر تمثل هذه القصة وتبين مقدار تأثير فن التصوير المسيحي في هذه البلاد

ويلي ذلك مقال للاستاذ بيانكوف عن القديس ابي سيفين وقصته في بلاد يسكنها أناس خرافيون لهم وجوه تشبه وجوه الكلاب ، كان الاغريق يعتقدون انها تقع على حدود العالم من ناحية الهند او الحبشة او ليبيا

ويقول الاستاذ اننا نجد كذلك صوراً لهذه الفئة من الناس في آثار مصر القديمة في معبد مدينة حابو وفي نقوش أخرى تمثلهم وهم يعبدون الشمس

ومقال آخر لهذا الاستاذ عن طبق من العصر القبطي محفوظ في متحف اللوفر ، عليه شكل صليبي تتخلله اربع مناطق في كل منها طائر او حيوان . وزخرفة هذا الطبق شديدة التأثر بالزخارف الساسانية التي انتشرت في البلاد البيزنطية وفي مصر في ذلك العصر

ومقال للاستاذ يسى عبد المسيح عن مخطوطات قبطية لم تنشر من قبل تحتوي على تسابيح كنسية تنشد في مناسباتها من أيام شهري توت وكيهك

وكتب الاستاذ درشر عن قصة روح القديس كلاوديوس مع اللصوص الثلاثة من عبدة الاصنام . فانهم سرقوا الاواني الثمينة والحلى التي وجدوها في مدفن هذا القديس وفي مدافن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معض القديسين الآخرين ، وفروا الى بلدهم عن طريق الصحراء ، فظهرت لهم روح القديس كلاوديوس في ملابس رجال الشرطة . وبعد أن استردت ما يخص مدفن القديس من الأواني الحلي ، أرشدت حاكم المدينة اليهم فحكم باعدامهم ، ولكن روح القديس شفعت فيهم اعتنقوا المسيحية

وتلاه الدكتور مراد كامل بمقال نشر فيه خطابات مرسلة من مصر الى امبراطور الحبشة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . وفات الدكتور انهُ كانت توجد بين مصر والحبشة ، في العصور السابقة للفتح العثماني ، علاقات أخرى ثقافية وسياسية ، بدليل تبادل البعثات بين البلدين . أما ما يسميه الدكتور « الغزو الاسلامي للحبشة » في سنة ١٥٤٠ فلم يكن سوى محاولة العثمانيين فتحها بعد فتح مصر لما بين البلدين من روابط ولا شك ان في الخطابات التي نشرها الدكتور أكبر دليل على هذه الروابط

وكتبت الدكتورة هلده زالوشر مقالاً عن نقش محفوظ في المتحف القبطي يمثل منظراً لصيد وبينت كيف ان شكل الصيادين في هذا النقش يناقض ما اعتاد الاغريق أن يصنعوه في شكل هرقل — عند تصويرهم له في مناظر الصيد — من مرونة الجسم والقوة والشجاعة

ونشر الدكتور جورجي صبحي بك ترجمة انكليزية لمخطوط باللغة العربية مؤرخ في سنة ١٧٦٨ عن حساب الشهور القبطية مع مقارنتها بالشهور العربية

وترجم الدكتور مراد كامل للمستشرق الالماني الشهير الدكتور اويجين ميتفوخ المتوفى في العام الماضي في انكلترا بعد ما اضطرته الظروف السياسية أن يهجر وطنه فسرد ما ألفه هذا المستشرق الكبير من كتب وأبحاث كثيرة ، لا سيما ما كتبه منها عن الحبشة (كذلك راجع ما كتبهُ الدكتور مراد في مقتطف فبراير سنة ١٩٤٣ صفحة ١٨٠ وما يليها)

ومن طريف ما اشتمل عليه هذا العدد من المجلة مقال تحدث فيه الاستاذ مونييه عن الدراسات القبطية خلال سنة ١٩٤٢ ، فجاء بملخص بعض المحاضرات التي ألقيت باسم الجمعية، وما نشرته من المطبوعات، وبيان أهم الحوادث في مصر بين القرن الأول الميلادي وسنة ٦٤٠. ومقال آخر نقد فيه الدكتور دريتون كتاباً من مطبوعات الجمعية عن النصوص القبطية واليونانية في بلاد النوبة للاستاذ توجو مينا

ولا يسعني قبل اختتام هذه الكلمة إلاّ أن أشيد بالمجهود الكبير الذي يبذلهُ القائمون بأمر هذه المجلة فهي رسالة علمية جديرة بالاعجاب والتقدير

الدكتور محمد مصطفى
مساعد فني بدار الآثار العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

جبرائيل تقلا

صفحة من صفحات الجلال في هذا الشهر المشؤوم طويت ! خطف الموت رجلاً من رجالات الشرق العربي، رجلاً ورث بناءً ثابتاً فأعلاه ووسَّعهُ وزاد في توطيده وتحصينه

قد تحدث الكتَّاب في شأن تقلا وأفاضوا وعلقوا . فذكروا كرم خلقهِ وطيب نفسهِ واتقاد ذكائهِ وصلابة عزمهِ . وثمة سجيَّة أحب أن أمهل لديها ، فانها ، عندي ، صفة الراحل الأولى وبها اتسمت صحيفة «الاهرام» وعليها جعلت تجري

استطاع جبرائيل تقلا أن يغلّب الموضوع على الذات في هذا الشرق العربي الذي لا يزال في أكثر الحال على الحكم بالهوى أو على التشبث بالأنانية أو على خلط العمل بصاحبهِ . استطاع الراحل الكريم أن يتجرد في سبيل صحيفتهِ ، إذ أدرك أن الفناء مكتوب لهُ وأن البقاء انما هو لها ، وان الفاني ان قبض على سعي أفسده

كان — رحمه الله — كمن يخرج مسرحية من المسرحيات : يدرّب الممثلين ، ويوجه الحوار ، ويبين الحوادث ، ويعيّن المشاهد ، حتى اذا خرجت المسرحية الى النظارة غاب وتخلّى . وهو على ذلك حاضر متجلٍ ، وما حضوره إلاّ بذاك الحذق الذي أجرى التمثيل خير مجرى ، وما تجليهِ إلاّ بفضل الروح التي نفثها في أشخاص المسرحية

وما كان — بعد ذلك — ليرضى عن كل مدح تقال فيه بل أسرف في التواضع فكان يأبى أن يذكر اسمه في صحيفته الاّ عند الضرورة التي لا مفرّ منها ، وكم يدٍ أسدى فكتم ، وكم صالح عمل فأغفل. وأجلُّ من ذلك شأناً أنهُ نظر الى صحيفته لا الى اسمه فما عد نفسه صاحبها بل عدَّ نفسه خادماً لها . فكان من ذلك أنهُ رفعها عن الغرض ونزهها عن الهوى

فالناس لديه سواء ، ورأي هذا كرأي ذاك ، ولفلانٍ الحق في النشر ولفلان مثل هذا ايضاً . هو خادم صحيفته فليس له أن يتطاول على مهمتها ويخضعها وينزلها عند قضاء شهوته وصحيفته خادمة الجمهور فليس لها أن تؤثر ناساً على ناس وان تبدي مسألة وتخفي مسألة

تلك السنّة التي استنها جبرائيل تقلا باعثها ومبعثها نفس رفيعة أبية ومغذّيها عقل سليم راجح . ومثل هذه السنن باق على مدار الأيام وتقلب الحوادث، ذلك لانهُ ناهض على أس مكين التجرد أصل الفلاح والثبات. تلك حقيقة سيكشف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تاريخ الصحافة المصرية بل العربية عن خطرها
في ذمة الله من جاهد النفس وأجرى
السفين آمناً في بحر لا تسكن عواصفه . ولقد
أحسن الله عزاءنا بفضل أمير بحرك ، انطون
الجميّل ، فعليه كان معولك ، وفيه استقرت
ثقتك ، وأنت تدري ان صفتك صفته . فان
كنت ذهبت فصاحبك هنا وسعيكما سعيٌ باقٍ

بشر فارس

امتحان جديد للحمل

كشف فريق من الاطباء الباحثين في الولايات المتحدة اسلوباً جديداً لامتحان الحمل وجربوه في مستشفى مشهور في مدينة نيويورك فثبت انهُ دقيق في تبين الحمل في ٩٧ في المائة من الحوادث . وأهم ما يمتاز بهِ هو السرعة وقلة النفقة . وقد جاءَ في رسالة العلم الاسبوعية ان الطبيب الممتحن يستطيع ان يعرف في ساعتين على الأقل وست على الاكثر هل المرأة حامل او لا . وكانت الأساليب المستعملة لامتحان الحمل قبل هذا الاسلوب تستغرق يومين الى اربعة ايام قبل معرفة نتيجة الامتحان

وأساس هذا الامتحان او الكاشف الجديد تطبيقه على الجرذان بدلاً من الأرانب فالأرانب — في اميركا — غالية الثمن الآن وقد يكون ثمن الارنب جنيهاً او دون الجنيه قليلاً . وقد ازداد الطلب على الأرانب من أجل لحمها ، في منطقة مدينة نيويورك حتى لقد تمضي أيام بغير ان يستطيع الطبيب الحصول على ما يلزم منها لاستعماله في امتحان طبي للحمل . أما الجرذان فأرخص وقد لا يزيد ثمن الجرذ على عشرة قروش الى خمسة عشر قرشاً . وحفظ الجرذان في معمل الطبيب أسهل من حفظ الأرانب . والجرذان على كل حال ليست نادرة إذ لا يحتمل — على رأي أحد كاشفي هذه الطريقة — أن يشتد الطلب عليها لأجل الأكل !

وكاشف الحمل الجديد قائم على ملاحظة جديدة ، وهي : ان حقن مفرزات كليتي الحامل في فأرة صغيرة يحدث احتقاناً في الأوعية الدموية في مبايض الفأرة قبل أن تنقضي ساعتان . وأما كاشف الحمل السابق فكان قائماً على حقن المادة نفسها وانتظار تغيُّر معين في المبايض لا يتمُّ قبل ٤٨ ساعة وهذا التغير هو نموُّ جسيمات خاصة . والتطلُّع الى هذه الجسيمات صرف نظر الباحثين عن ملاحظة حالة الأوعية الدموية

وقد جرِّب الكاشف الجديد في ٩٤٨ حالة فاذا كانت المرأة حاملاً فاحتمال معرفة حملها معرفة صحيحة هو ٩٧ في المائة واذا لم تكن حاملاً فان معرفة ذلك لا تخطيء مطلقاً

وسرعة الحصول على نتائج هذا الكشف لها شأن عظيم في حالات نمو الجنين خارج الرحم وهي حالة تقتضي عملية جراحية لانقاذ حياة المرأة . والتبكير في معرفة هذه الحالة يزيد احتمال نجاح العملية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

امواج الدماغ الكهربية في قضية قتل

روت جريدة التيمس اللندنية ومجلة اللانست الطبية قصة جندي حوكم أمام محكمة عسكرية لاطلاقه النار من بندقيته على جاويش فدفع المتهم بأنه كان قد أصيب اصابة في رأسه قبل اطلاق النار وانهُ لا يتذكر شيئاً

ولم يكن في القضية شهود عيان فقبلت المحكمة شهادة الخبراء المبنية على ما سجل من الامواج الكهربية في دماغ المتهم وهو يدل على حالة شاذة فأفرج عنه . ثم حوكم بعد ذلك امام محكمة جنائية مدنية متهماً بقتل وحشي فدافع عنه محاميه بأنه مصاب بالاضطراب الذي يعقب حالة الصرع. فجيء بسجل الأمواج الكهربية لدماغه ، فحكم المحكمون بأنه مدين ولكنه مخبول . وقد شهد الخبراء في المحكمة المدنية بأن تشخيص الصرع تشخيصاً دقيقاً استناداً الى سجل امواج الدماغ الكهربية غير مستطاع . ولكن بعض العلماء المختصين في الولايات المتحدة يخالفون الخبراء الانكليز في هذا

ففي جامعة هارفرد الاميركية طبيبان باحثان يدعى أحدهما « جبز » والثاني « لينوكس » استطاعا مراراً ان يكشفا حالات الصرع « المخفية » أو « الكامنة » بالاستناد الى أمواج الدماغ الكهربية

ومن يرجع من قرّاء المقتطف الى الفصل الذي كتبناه في كتابنا « آفاق العلم الحديث » بعنوان « عقل الانسان بين الكهربية والغدد » يعلم ان دراسة الكهربية في الدماغ من أطرف المباحث العلميــة الطبية الحديثة . وقد وصل الباحثون في هذه الدراسة الى نتائج ليست قاطعة ولكنها تبشر بفائدة عظيمة وتشجع على الاستمرار . ومما أثبتتهُ هذه التجارب ان دماغ الانسان تبدو فيهِ ظاهرات كهربية واضحة في أثناءِ اليقظـة . وقد ميّزوا بين ضروب مختلفة من التموُّج الكهربي الصادر عن الدماغ . ثم أرادوا أن يعلموا هل يستمرُّ هذا النشاط الكهربيُّ إذ يخمد نشاط اليقظة وتخبو شعلة الوعي . وقد أثبت « جبز » ان الاصابة بالصرع يصحبها ظهور نوع معيّن من الأمواج ، وانهُ قبل حدوث نوبة الصرع ، تظهر أمواج منذرة بقرب حدوث النوبة ، وهذه الامواج تسبق أي اعراض جسمانية ظاهرة تشير الى اقتراب حدوث نوبة الصرع

ولكن الفصل في المسألة من الناحية القضائية ليس ميسراً . فدراسة دماغ امرىءٍ ما على هذه الطريقـة ، واستخراج الدليل منها على انهُ معرَّض للإصابة بالصرع ، لا يقوم دليلاً قانونيًّا على انهُ كان مصاباً او يوشك ان يكون مصاباً عند ارتكابه الجـريمة . وكلُّ ما يمكن ان يقـال ان سجل الامواج الكهربية في دماغهِ ، يشير الى إمكان اصابته عند ارتكابه الجريمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عنصر التنتالوم في ترقيع الجماجم

التنتالوم عنصر فلزي من العناصر النادرة وهو أبيض مزراقٌ يشبه الفولاذ في خواصهِ الطبيعية والزجاج في أوصافهِ الكيميائية . وهو يستعمل الآن في جراحة الجمجمة فتصنع منهُ لوحات وأقراص صغيرة تحلُّ محل قطع من العظم تكسر في الجمجمة في اصابات القتال . وقد نشرت مجلة الجمعية الطبية الاميركية اقتراحاً بتعميم استعمالهِ لهذا الغرض بقلم اللازم بودنز أحد رجال الفيلق الطبي الاميركي . وفيه بيَّن هذا اللازم نتائج بحثهِ العملي في استعمالهِ التنتالوم على هذا الوجه واقتبس فقرات من تقارير لم تنشر لأطباءٍ استعملوهُ فعلاً في ترقيع جماجم الجرحى ، فأسفرت التجارب في الحالين عن نجاح يستوقف النظر

ومن خواص التنتالوم التي تجعلهُ أصلح ما يكون لهذا الغرض انهُ يمدُّ سلكاً دقيقاً ويطرق حتى يصبح كالورق بينما الفلز نفسهُ باردٌ وهذا يعين الجراح أن يقطع قطعة منهُ ويفرغها في القالب الذي يحتاج اليه بغير أن يضطرّ الى إحمائهِ . ومن خواصهِ كذلك انهُ لا يتأكل وغير سامّ ولا يتفاعل تفاعلاً مستنكراً مع أنساج الجسم . وهو فلز ثقيل وزنهُ الذرّي يفوق الوزن الذرّي للحديد ثلاثة أضعاف . ولكن امكان استعماله في رقائق تكاد تشفُّ لا يجعلهُ ثقيل الوطأة على رأس من تعالج جمجمتهُ بهِ ولم يشك ثقلهُ احد عولج به

وقد سبق استعمال التنتالوم على وجوهٍ شتى في جراحة العظام والغضاريف

نباتٌ مزهر يتبع أوجه القمر

في « مجلة النباتات الزهرية » وصفٌ لنبات زهري غريب . ففي الربع الأول والأخير من وجوه القمر يكثر الزهر فيهِ وعندما يكون القمر هلالاً أو بدراً يتجرد النبات من الزهر وأصل هذا النبات يرجع الى جنوب افريقية وهو تابع للفصيلة الزنبقية واسمهُ العلمي Morea iridoides وأول من لاحظ ظاهرة اتباعهِ لأوجه القمر في إزهاره عالم سيكولوجي لا عالم نباتيّ وهو الأستاذ دنلاپ احد علماء ولاية كليفورنيا الاميركية المتوفر على زراعة البساتين في ساعات فراغه ، من بحث غوامض العقل وخفايا النفس البشرية

طريقة جديدة لمقاومة الانفلونزا

تجرب الآن في احد معامل البحث العلمي التابع لوزارة البحرية الاميركية ، طريقة جديدة لمقاومة الانفلونزا . قائمة على تحضير مصل معقم ورشهِ رذاذاً واستنشاقه . وقد حضّر هذا المصل في دم جواد ثم رشّ رذاذاً بحيث استنشقتهُ الفيران لحمايتها من الاصابة بالانفلونزا ومقدار حمايته اياها كان متكافئاً مع طول مدة الاستنشاق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

السر روبرت وطسون وات

يرجع الفضل في نجاح سلاح الطيران البريطاني في المعركة الكبرى التي نشبت في سماء بريطانيا في عام ١٩٤٠ الى استخدام الراديو في تحديد مواقع طائرات العدو وهي على بعد من سواحل بريطانيا . وقد كان هذا الكشف في منزلة حارس جوي خفف عن قائدي طائرات الدفاع البريطانية ضرورة الطواف المستمر في سماء بريطانيا واكتساب بعض الراحة وقد كانوا في شديد الحاجة اليها . وكسبت المعركة بالرغم من ان عدد طائرات العدو كانت تفوق عدد الطائرات البريطانية كثيراً . ويرجع الفضل في تقدم هذا الكشف الخطير الى العالم البريطاني السر روبرت وطسون وات . ولد السر روبرت في اسكتلندا منذ احدى وخمسين سنة وتلقى علومه بمدينة دندي باسكتلندة . أما أبحاثه فكانت خاصة بعلم الظواهر الجوية والراديو وعلاقته بعلم الطبيعة واشتغل كثيراً بدراسة العواصف البعيدة فوجد — وذلك باستعمال جهاز راديو خاص — محال نشأتها وهي على بعد آلاف الأميال في بعض الاحيان

والسر روبرت يشغل الآن وظيفة مساعد مراقب ادارة الاجهزة العلمية اللازمة للمواصلات . وفضلاً عن كشوفه الهامة وأبحاثه الخطيرة في الفنون الحربية العلمية فقد شغف بالشئون العلمية العامة وتتبع أخبار المشتغلين بها . وقد عين السر روبرت رئيساً « لجمعية المشتغلين بالعلوم » وهي رابطة تجمع أكثر المهتمين بالعلوم من شباب بريطانيا . وقد زاد عدد أعضائها وقت الحرب من الف عضو الى عشرة آلاف عضو . ومما يدل على شغف العلماء بالبحث عن أجدى الطرق لتدبير العلوم والانتفاع الصحيح بالمشتغلين بها ان اشترك مئات العلماء في المؤتمر الذي عقدته هذه الجمعية حديثاً حتى ضاقت بهم الردهة الكبيرة التي عقد الاجتماع فيها فاضطر اكثرهم للوقوف

ونبوغ السر روبرت في البحث العملي وميله للاشتغال بكل ما فيه الصالح العام يعد مثالاً نبيلاً لما يتصف به معاصروه من العلماء البريطانيين الذين بكشوفهم العديدة حافظوا على المدنية من الانهيار وبحكمتهم وجدوا الطريق القويم لاستعمال العلم في خدمة بني الانسان [النشرة العلمية الشهرية]

القوة المحركة في هذه الحرب

كانت القوة المحركة المتاحة لفرقة من المشاة في الحرب العالمية الاولى ٣٣٠٠ حصان على المعدل . وقد بلغت القوة المحركة المتاحة لفرقة مدرعة في هذه الحرب ٤٠٠٠٠٠ حصان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثالث بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثالث بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٣ — ٣ ذي القعدة سنة ١٣٦٢

كيف هوى الاجتماع الدولي ؟

العوامل الهدّامة بين الحربين

الاول — حدود القانون الدولي

عني الكتّاب الاولون الذين ألفوا في القانون الدولي ، من أمثال جروتيوس الهولندي ، بتوضيح الأساس الخلقي moral للقانون الدولي برغم الهوّة العميقة القائمة بين قواعد الأخلاق المثلى ، وأعمال الدول . ثم جاءت طائفة أخرى من الكتّاب ، من أمثال « فاتل » في القرن الثامن عشر ، فالت الى الانحراف عن الأساس الخلقي للقانون الدولي ، والأخذ بأن كل دولة هي وحدها دون غيرها الحكَم في سلوكها من الناحية الخلقية أو الأدبية . وفي أواخر القرن التاسع عشر مال الكتّاب الى القول بالنزعة « الوضعية » أو « الواقعية » في القانون الدولي . فتخلّوا عن تعيين المبادىء الخلقية وتعريفها وهي المبادىء التي تقاس بها أعمال الدول ، وأخذوا بالنزعة العملية pragmatic — حملاً على فلسفة وليم جيمز — فقالوا ان القانون الدولي مستندٌ الى العرف والعادة اللذين تجري الدول عليهما ومنتزع منهما . فكانت النتيجة ان القانون الدولي ، أصبح يستمد من سلوك الدول ، بدلاً من أن يقاس سلوك الدول، بمبادىء خلقية وقانونية ، ثابتة أو تكاد تكون ثابتة . وأدرك المشتغلون بهذه المسائل بعد الحرب العالمية الأولى ، الحاجة الملحة الى الملاءمة ، بين القانون الدولي ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبين مستوى أعلى من العدل الدولي في عالم نظمت دولهُ في هيئة أو هيئات متعاونة متساندة. ولكن النزعة « العملية » أو « الوضعية » ظلت غالبة ، وظلت مشيئة الدولة الواحدة ، متفوقة ، على المبادىء الخلقية الأصيلة

***

هذه الفكرة الخاطئة في أصول القانون الدولي ، أفضت الى الاعتراف بمبدإ ليس هناك ما هو أعظم خطراً منهُ على السلام . فاذا قام نزاع بين دولتين ، وأخفقت المفاوضة بينهما وخابت مساعي التوفيق ، فلكل من الفريقين ، أن يقبض بيديه على زمام القانون ، ويلجأ الى استعمال القوة ، لتحقيق ما يزعمه حقًّا لهُ . وعندما تزعم الدولة المدعية ، ان مصالحها القومية الحيوية معرضة للخطر ، فلها ان « تدافع » أو أن « تحمي » نفسها بما تملكه من قوة . فبذلك أصبحت « الحرب » عملاً قانونيًّا ، عملاً مشروعاً

ومتى نشبت الحرب ، أصبح للقانون الدولي قول في حقوق الدول وواجباتها . وهو ما يسمَّى ، في كتب القانون الدولي بقانون الحرب ، والمفروض أن يكون سيرُ الحرب خاضعاً لهذه القواعد . ولكن الصفة المميّزة لهذه القواعد كانت انتهاكها دائماً ، ومرجع ذلك الى اختراع أدوات جديدة للقتال ، وقيام أحوال جديدة تدور الحرب في ظلّها ، مما حمل الدول المتحاربة على اعادة النظر في القواعد التي كانت مقبولة في الماضي ، وتبديلها وفقاً لمصلحتها القائمة

وقد سعت الدول في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، الى عقد معاهدات التحكيم ، لفض النزاعات الدولية . ولكن الدول ، برغم سعيها هذا ، ظلّت محتفظة بحق تقديم المشيئة القومية ، وبحق الحكم الاخير ، في ما تعرضهُ للتحكيم من نزاع . فأفضى ذلك الى تضييق نطاق الموضوعات التي تشملها هذه المعاهدات والحد من قيمة المعاهدات وقيمة التحكيم . وعلاوة على ذلك كانت كل معاهدة تقريباً ، تنطوي على نصٍّ خاص ، بأنَّ التزام التحكيم لا يشمل المسائل التي تتعلّق بالشرف القومي والمصالح الحيوية ، فنشأ عن ذلك ، أولاً ان المسائل التي يشملها التحكيم ثانوية لا تفضي عادة الى الحرب ، وثانياً ان المسائل التي لا يشملها التحكيم ، هي المسائل التي تفضي عادة الى الحرب ، وكان يجب أن يشملها التحكيم ، اذا أريد أن يكون للتحكيم شأن يذكر في منع بواعث الحرب . وحيث ان الدول احتفظت بحقها في تقرير المسائل التي تتصل بالشرف القومي أو المصالح الحيوية ، ففائدة معاهدات التحكيم كانت محدودة مشكوكاً فيها

حتى بعد انشاء عصبة الأمم ، وزيادة معاهدات التحكيم ، وقيام محكمة العدل الدولية ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ظلت فائدة هـذه المعاهدات محدودة ، لأن اختصـاص المحكمة كان محدوداً ؛ ولا يفي بحاجات الزمان

وقد كانت فكرة السيادة القومية المطلقة أحد الحوائل الكبيرة ، التي حالت دون التعاون الدولي الفعّـال . وفكرة السيادة المطلقة بين الدول تقابلها الحرية المطلقة للافراد في علاقتهم بعضهم ببعض ضمن الدولة الواحدة . فلو عمت فكرة الحرية المطلقة للافراد داخل الدولة الواحدة ، لأسفرت عن اضطراب وفوضى . وهما بوجهٍ عام نتيجة الأخذ بها في علاقة الدول بعضها ببعض

نعم كانت الدول في أوائل هذا القرن تعترف ببعض الحدود لسيادتها المطلقة ولكنها لم تكن تعبأ بهـا كثيراً متى جدَّ الجدُّ ، فكانت الدولة تعدُّ نفسها ، الحكمَ الاخير في كل مسألة تهمها وتلجأ الى تحكيم القوة في سبيل ما تعدُّهُ هي حقّـا من حقوقها . ولم يكن لفكرة التساند ، واعتماد الدول بعضها على بعض ، تأثير ما في سلوكها

فلما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وأنشئت عصبة الامم ، فرض مبدأ جديد في الحياة الدولية ، وهو مبدأ « المسؤولية المشتركة » في حفظ السلام بين الدول ووضعت قاعدة جديدة ، مؤداها ان الدولة التي تأبى التحكيم في نزاعٍ ما ، وتلجأ إلى الحرب تجني على سائر أعضاء العصبة . وهذا معناهُ الحدُّ من السيادة المطلقة في سبيل الخير العام . ومع ذلك ظلّت فكرة السيادة قائمة ، بكل جلالها السابق ، حتى في تضاعيف بعض النصوص في دستور العصبة ؛ فأضعف ذلك من نفوذ العصبة ، وحدَّ من فائدتها ، ولا سيما انهُ اقترن بممارسة سياسات لاتنطبق على صورة العالم الجديد ، الذي وحَّـد العلم والصناعة بين اجزائه ، فأصبح « عالماً واحداً » ، خيره العام أعظم من الخير الضيق الذي يسعى اليهِ أحد هذه الاجزاء

بقيت مسألة واحدة ، من مسائل القانون الدولي لا بدَّ من كلمـة موجزة فيهـا وهي مسألة الحياد . ففي القانون الدولي القديم ، الذي سُلِّم فيهِ بشرعية الحرب ، نصوص خاصة بالدول التي لاتشترك في الحرب أي الدول المحايدة . وهذه الدول لها بحسب هذا القانون حقوق وعليها واجبات . وكان في ذلك الزمن ، من يستطيع أن يقف من حرب ما موقف المتفرّج ويحس ان الأمر لا يعنيه ، وانهُ لا يجب عليه أن يشارك في ضمان أحد أعضاء الأسرة الدولية من الاعتداء او التفريق بين الفريقين المحاربين على أساس الاعتداء او الدفاع . ولذلك كانت الدولة المحايدة قبلاً ترى في قيام الحرب ، وفي حيادها هي ، فرصة للانتفاع

ولكن مطالب الدول المتحاربة من المحايدة ازدادت في السعي الى تطبيق الحقوق المباحة لها بحسب القانون ، أو في زعم حقوق لم تكن مباحة لهـا قبلا بحسب القانون ، وتغ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تفسير الحقوق والواجبات المنطوية تحت قواعد الحصر البحري، واتسع نطاقها وضاق الخناق على بعض الدول المحايدة ، فخاض بعضها الحرب، دفاعاً عن مصلحتها ، لا دفاعاً عن مبدإ في القانون الدولي او عن خيرٍ عام

وبقيام عصبة الأمم ، ومبدإ السلامة المشتركة ، واحتمال فرض العقوبات على الدولة التي تعتدي على غيرها، زالت نظريًّا فكرة الحياد القديمة، ولكنها ظلت قائمة فعلاً برغم التناقض بين الحياد وبين المسؤولية المشتركة . وهذا مردُّهُ في بعض الدول الى سياسة العزلة ، حيث كان الاهتمام محصوراً في ما يعدُّونهُ « سلامة الدولة » في نطاق المصلحة الخاصة الضيقة ، بغير نظرٍ الى صلة هذه السلامة بالسلامة العامة . وقد كانت هذه السياسة تنطوي على تشجيع مضمَّن للدول التي تضمر الاعتداء

الثاني — مواطن الضعف في التنظيم الدولي

قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، كانت الحرب تعدُّ عملاً مشروعاً ، وكل ما يتضمنهُ القانون الدولي في موضوعها انما كان تنظيمها او تنظيم العرف الخاص بها ، مثل معاملة الأسرى والجرحى ، واهالي البلاد المحتلة ، والدول المحايدة وما أشبه . فالقواعد التي وضعت في مؤتمرى لاهاي المعقودين في سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٧ انما قصد بها الى تنظيم شنّ الحرب وفقاً لعرفٍ كانوا يعدُّونهُ عرف المتحضرين ، دون منعها . فجماعة الأمم في ذلك العهد لم تكن منظمة ، ولا لها هيئات عامة قائمة يقظة تتولى بحث مسائل النزاع الذي يخشى ان يفضي الى قيام الحرب، فكانت الدول اذا قام نزاع ما ، تتفاوض عن بُعد بواسطة الممثلين السياسيين على الاكثر ، وفي جوٍّ مشبَع بالريبة والعداء ، بينما سائر الدول واقفة على الغالب موقف المتفرّج لا يهمهُ ما في الأمر ، او موقف العاجز عن منع الكارثة

ولم تضع العبرة المستخرجة من هذه الحال على بعض أقطاب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، فسعوا الى انشاء هيئة ، مهمتها السعي الى تعزيز التعاون الدولي، وتحقيق السلام الدولي والسلامة الدولية . فدخل القانون الدولي مرحلة جديدة ، اذ انظمت فيهِ معظم دول الأرض في هيئة تعرف بعصبة الأمم ، لتتولى مسؤولية السهر على حفظ السلام ، وفض كلّ نزاع قد يفضي استفحالهُ الى نشوبها . ولكنَّ الولايات المتحدة ، أبت برغم الرئيس ولسون وما كان لهُ من نصيب كبير في انشاء هذه الهيئة ، أن تنتظم فيها ، ففقدت العصبة منذ ولادتها عون أحد الاعضاء الكبار في مجمع الدول ، وهو عون كان لا بدَّ منهُ لنجاحها . أما المانيا فلم تنتظم فيها قبل سنة ١٩٢٦ وروسيا قبل ١٩٣٤ . ففريق من الدول الكبيرة ،

لم يتعاون مع العصبة تعاوناً متصلاً ، إما لتأخر انضمامه اليها كالمانيا وروسيا ، وإما لخروجه منها كاليابان والمانيا وغيرهما

وأشهر مواطن الضعف في تنظيم العصبة ، موطنان أحدهما في تنظيمها الاساسي ، والآخر في التطبيق . أما موطن الضعف في تنظيمها الاساسي ، فالهوَّة العميقة ، بين ما عقد عليها من آمال ، وما وُكل اليها من مهام ، وبين السلطة التي كانت لها ، بمقتضى الدستور . فكلُّ قرارٍ في مسألةٍ كبيرةٍ كان يقتضي الاجماع ، وهو ما لا يتيسر في كثير من أصغر شؤون الحياة ، فكيف به في كبارها . وكان يقتضي كذلك ان تكون كلُّ دولةٍ على حدةٍ هي الحكَمَ الأخير ، في هل تطبق القرار أو لا تطبقهُ ، وهذا مردُّه الى الاحتفاظ بمبدإ السيادة المطلقة . ثم أخيراً ، على فرض الاجماع في القرار والاجماع في قبوله ، كان هناك نقص في اعداد القوة اللازمة لتنفيذه تنفيذاً سريعاً حاسماً، وهذا يتيح للمعتدي فرصة ضرب الضربة الاولى ، والضربة الأولى في العمران الحديث قد تكون ضربة حاسمة

وأما التطبيق فهو ان الدول الكبيرة في العصبة نظرت الى مهمتها فيها ، على انها في المقام الاول المحافظة على الحالة الراهنة ، والتسوية التي وضعت بعد الحرب . نعم ان المادة التاسعة عشرة نصَّت على وجوب التعديل السلمي في الحالة الراهنة ، تعديلاً يطابق أحوال هذا العالم المتغيرة، ولكنَّ المطامع والرِّيَب وقصور اداة العصبة نفسها حالت جميعاً دون إحداث هذا التغيير

وكانت النتيجة ان عمل العصبة ، كان موسوماً بالتردُّد والضعف ، ثم انهار تماماً

واذا كان القانون والنظام ، يقتضيان استنكار العنف والاعتداء وإلغاء شرعية الالتجاء الى الحرب من حيث هي أداة للسياسة القومية ، ووسيلة لتحقيق طلب قومي ما ، فان القانون والنظام يقتضيان كذلك من جماعة الدول كلها النهوض بالمسؤولية المشتركة في منع الاعتداء ، وعون المعتدَى عليه ، علاوة على انشاء أداة وافيةٍ فعّالةٍ ، لفض النزاعات الدولية . ولكن الدول كانت على الاكثر لا تشعر أن سلامتها مهدَّدة ، إلاّ عند ما يكون التهديد مباشراً ، حالة ان الخطر الأكبر والتهديد الأكبر ينشآن عن انهيار القانون والنظام بوجهٍ عام وهذا يفسّر لنا — برغم أصوات جهيرة رفعتها فئةٌ قليلة من الذين ادركوا هذه الحقائق — كيف سلّمت عصبة الامم ، باستباحة الصين سنة ١٩٣١ ، وكيف قصَّرت عندما استباحت ايطاليا الحبشة سنة ١٩٣٥. فتحدّي اليابان وايطاليا لحكم القانون والنظام ونجاح الأساليب التي اعتمدتا عليها حينئذٍ ألقيا ظلاً قاتماً على فكرة السلامة المشتركة لا من حيث المبدإ ، بل من حيث التطبيق فتزعزع الايمان بالمبدأ . فلما ضمَّت النمسا الى المانيا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالقوة في سنة ١٩٣٨ لم تلق المانيا مقاومة ما من العصبة ، وعند ما قطّعت أوصال تشيكوسلوفاكيا في سبتمبر من السنة نفسها تمَّ ذلك في ميونخ وبغير رجوع إلى العصبة ، وحين نقضت المانيا في مارس ١٩٣٩ اتفاق ميونخ — مهما يكن الرأي فيهِ — كانت العصبة أضعف من أن تردع معتدياً ما ، إذا كان كبيراً ومصمِّماً على الاعتداء . كانت الثقة بالعمل المشترك قد ضاعت ، وغدا العمل المشترك للدفاع عن حكم النظام والقانون مستحيلاً ، ووجدت كلُّ دولة نفسها مضطرَّة أن تدبر أمرها ، على خير ما تستطيعهُ من تدبير ، لتواجه خطر الحرب

الثالث — العوامل السياسية

في العهد السابق لإنشاء عصبة الأمم ،لم يكن لفكرة السلامة المشتركة وجود فأفضى ذلك الى الأخذ بنظام « توازن القوى » وكان غرض هذا النظام أن تمنع دولة ما ، أو مجموعة ما من الدول ، من الظفر بمقام المتفوق المسيطر بالقوة على الحياة الدولية . فكانت المحالفات تعقد لموازنة قوة دولة ما . وكانت هذه المحالفات تقابل من الناحية الاخرى ، بمحالفات مضادَّة لها لتتوازن الكفتان . ولكن هذا الذي سموه « توازن القوى » كان توازناً غير مستقر ، وكانت كفتا الميزان في تبدُّل دائم

فكانت الصلات بين الدول ، في هذه الحالة ، متصفة بروح العداء والريبِ والخوفِ من الاعتداء ، ولم يكن بين « توازن القوى » وبين العدل صلة ما . فلما رفع توازن القوى الى منزلة مبدإ سياسي ، لزم عنه ان العلاقات الدولية قائمة على القوة ، وان الدول بطبيعة الحال منقسمة كتلاً متعادية

واذن فكل أمل معقود على سلام له صفة دائمة في عالم تسوده سياسة توازن القوى ، كان وهماً من الأوهام . والتاريخ يشهد بأنهُ اذا كانت سياسة توازن القوى ، قد افلحت في الحيلولة دون نشوب حروب صغيرة ، فانها لم تفلح مثقال ذرة واحدة في انقاذ العالم قاطبة من كونهِ معسكراً مدججاً بالسلاح . فالثقة المتبادلة بين الدول كانت مفقودة والحرب يوماً ما ، وعلى نطاق واسع ، كانت أمراً لا مفر منهُ

وقد أفضى مبدأ توازن القوى وانتفاء الشعور بالمسئولية المشتركة ، الى سباق الدول في السلح . فعلى كل دولة أن تحمي استقلالها ومصالحها القومية . وعلى كل دولة كبيرة ان تعتمد على قواتها المسلحة ، في تعزيز مطالبها وتأييد مصالحها ، عند ما تصطدم بمطالب دولة أخرى ومصالحها . ولم يكن للسياسة من جدوى الاّ على قدر الاحترام الواجب للقوة المسلحة من برية وبحرية . وكل مفاوضة خطيرة الشأن كانت تدور في جوٍّ تسوده «سياسة القوة» وتقوم من ورائها أشباح الجيوش والاساطيل

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبعد ما كان السلاح يطلب للدفاع ، أصبح غاية في ذاته ، فصارت الدول تنشىء جيوشاً كبيرة، وأساطيل قوية، بغير ان يكون لها هدف خاص تسعى اليه ، ولكن لأنها تعلم انهُ عندما يجد الجد ، في بحث مسألة مهما فوجود الجيش والاسطول ، قد يكون الوزنة الحاسمة في كفة الميزان . ومن هنا صارت القوة الحربية تطلب لذاتها . فغدت الحالة النفسية التي ينشئها الاعتزاز بالقوة والارتياح اليها ، سبباً من أسباب الحرب

ومن المفارقات العجيبة في تاريخ التسلح الحديث ، ان المعالم بين أسلحة الدفاع وأسلحة الهجوم قد طمست . فكلُّ دولة كانت تؤكد ان السلاح الذي كانت تصنعهُ إنما هو لغرض الدفاع . ولكنَّ الدول الأخرى لم تكن تثق بحسن نية دولة أو أخرى من هذا القبيل . وكلمة « الدفاع » لا معنى لها في جوٍّ « سياسة القوة » إلاَّ في حدود ما يحسب مصلحة أو حقاً يجب الدفاع عنها أو عنهُ . فاذا قال فلان — زعيم دولة ما — ان الاستيلاء على البلد الفلاني ، مصلحة حيوية لقومهِ في نظره ، ففي وسعهِ حينئذٍ أن يزعم ان الدبابات الضخمة والقاذفات الكبيرة والغواصات هي أسلحة دفاعية !

وقد اعترف أعضاءُ عصبة الأمم ، في دستور العصبة ، بأنَّ حفظ السلام يقتضي خفض السلاح . وبذلت مساعٍ كثيرة وعقدت اجتماعات متعددة والتأم مؤتمر نزع السلاح ، بعد ما بحثت لجنته التحضيرية الموضوع من جميع وجوههِ سنوات متوالية ، ولكنها أخفقت جميعاً في الوصول الى اتفاق يرضي . وكثيراً ما دار الجدال الطويل المملّ في هل يقدَّم نزع السلاح على ضمان السلامة ، أو يُقدَّم ضمان السلامة على نزع السلاح ، مع ان الحل الصحيح يقتضي عدَّ كلٍّ منهما وجهاً لمسألةٍ واحدةٍ ، وتحقيق الواحد يجب أن يسير جنباً الى جنب تحقيق الآخر . والعجز عن تحقيق قسط ما من نزع السلاح كان الدليل الاخير ، على ان فكرة « السلامة المشتركة » ، كانت لا تزال فكرة نظرية

وزاد الموضوع إشكالا وتعقيداً ، تجار السلاح والشركات التي تصنعه . فنقص السلاح لم يكن في مصلحتها فكانت تبذل كل حيلة يفتقها لها الخيال والمال والطمع لتبذر بذور سوء الظن بين الدول وتقضي على كل أمل — مهما يكن ضعيفاً — في الوصول الى اتفاق . وفي هذا الباب ، نوادر وفضائح لا تحصى يقرأها القارىء فيعروه يأس من صلاح الناس

وقدساير سياسة « توازن القوى » نزعة الى الاستعمار السياسي واخرى الى المغالاة في قومية السياسية

اما الاولى فقد سبقت اليها الدول الكبيرة بدوافع شتى ، بعضها أو معظمها اقتصادي . فبسطت حكمها وسيطرتها على ما وصفوه بعبارتي « الشعوب المتأخرة » و«البلاد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الغنية غير المستغلة مواردها ». فنشأت كذلك مشكلة المستعمرات ، فأضافت عنصراً آخر شديد التعقيد الى « سياسة القوة » لأن المنافسة بين الدول على المستعمرات بالاضافة الى سباق التسلح كانت من أهم العوامل التي أفضت الى نشوب الحرب العالمية الاولى . واذا كان الاستعمار قد أسفر في بعض النواحي عن بعض الخير للشعوب البدائية التي استعمرت، فانه كان منافياً لنزعة العدل ورغبة الحرية . ثم إن الخصومة الشديدة التي قامت بين الدول على المستعمرات وما نشأ عنها من عداء واضطراب ترجح كثيراً ذلك الخير . وجاءت عصبة الامم فأنشأت نظام الانتداب . وهو في مبدإه صحيح لانه مبدأ الوصاية على القاصر . ولكن تطبيقه في معظم النواحي لم يساوق سلامة المبدإ . ولعل مشكلات المستعمرات بعد الحرب ، لا تحل الاّ عن طريق نظام قائم على مثل فكرة الانتداب على أن تطبّق تطبيقاً صحيحاً وتراعى فيه مصلحة القوم ولا تميز فيه دولة على دولة الاّ من حيث الخير الذي تصنعه والارشاد الذي تسديه ؛ فتزول مشكلة المستعمرات من حيث هي عامل نزاع بين الامم وتضمن حقوق شعوبها وحسن حالهم

أما المغالاة في النزعة القومية او النعرة القومية فكانت الديناميت المتفجر في الاجتماع الدولي الحديث. حتى قبل الحرب العالمية الاولى، بدرت بوادر المبالغة في النزعة القومية السياسية وكان من اظهر مظاهرها نظريات التفوق العنصري التي سوغ بها كثيرون من الكتاب والساسة حقّ شعبٍ ما في ان يسيطر على شعوب أخرى أدنى منهُ في سلم الانسانية كما زعموا . وأفكار من هذا القبيل ، كان لها ولا ريب ، شأن يذكر في إذكاء روح الخصام التي أفضت الى الحرب العالمية الاولى . ولكن النزعة القومية لم تظهر في أشد مظاهرها تطرفاً وخطراً الاّ بعد الحرب العالمية الاولى ، فبولغ أعظم مبالغة في تفوق بعض الشعوب ، من ناحيتي السلالة والثقافة ، حتى غدت هذه النزعة ، خطراً لا ريب فيه على سلام العالم

وبرغم المثل العليا ، والرغبة العامة في تحقيق التعاون الدولي، التي أُعرب عنها إعراباً بليغاً في جنيف، كان من الواضح ان هناك حكومات دول معينة ، لم تقبل إقبالاً صادقاً على الاخذ باغراض العصبة اساساً لسياستها . فذكريات الحرب كانت لا تزال مرة مثيرة للحفائظ والريب فكانت فعّالة في إضعاف ثقة هذه الدول بنظام السلامة المشتركة

وكان في الدول الظافرة طائفة من رجال السياسة لا تفكر الاّ في كبت الدول التي غلبت كبتاً دائماً وكان الرأي العام في الدول المغلوبة متجهاً على الاكثر الى نقض ما تمّ في الحرب ، وقلب ما أودع في نصوص معاهدات الصلح رأساً على عقب . وغذّى هذا الاتجاه ، مشتغلون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالسياسة ، كان كل همهم أن يصعدوا على أكتاف المتبرمين ، الى مقام الحكم والسلطان . فكانت أقوالهم كالزيت يُصب على نار مشبوبة

وقد بذلت مساعٍ كثيرة ، بذلها رجال مستنيرون ، رحبة صدورهم ، واسعة آفاق تفكيرهم ، لجعل عصبة الامم ، أداة صحيحة للتنظيم الدولي ، ووسيلة لتعديل نصوص المعاهدات التي يبدو فيها جورٌ أو منافاةٌ لأحوال العالم الحديث ، لعلّهم يزيلون بذلك بعض بواعث الجفاء الدولي . ولكنّهم آبوا بالخيبة ، لان النزعة القومية الجتاحة ، من الجانبين ، غلبتهم على أمرهم

ومن ثمة بدأت الدول ، تحصر اهتمامها ، في ما تعدُّه مصلحتها المباشرة ، غير ناظرة الى المصلحة العامة ، مصلحة الجماعة الكبيرة من الدول . وقد غالى بعضهم في هذه النزعة القومية حتى غدت أشبه ما تكون بمرض نفسي ثابت، أشبه ما يكون بالوسواس فأثر ذلك في السياسة الداخلية والسياسة الخارجية على السواء . وأفضى هذا في بعض الدول ، الى قيام فئةٍ قليلة ، بشؤون الحكم ، مستندة الى فلسفة فاسدة ، تنكر على الروح الانسانية حريتها ، وتعدُّ الفردَ في الدولة ، سنًّا في عجلةٍ في آلةٍ كبيرة . وهذا اللون المغالى فيه من النزعة القومية ، أنكر في ميدان السياسة الداخلية ، مبدأ تقيُّد الحكومة بالقانون ، وأنكر في ميدان السياسة الخارجية ، مبدأ التساوي القانوني ، بين الدول . فديست حقوق دول كثيرة واشتدَّت الدعوة الى التوسع والفتح

ومن هنا نشأت فكرة السيطرة العالمية ، وهي السيطرة التي أعدت لها أدوات مسمومة من التغلغل والتفتيت الداخلي ، ثم الحرب . فكان ذلك نوعاً جديداً من الاستعمار يلجأ الى القوة في صراحة ، وينقض المعاهدات الدولية ، في غير تحرج

وقد ساعد على تعزيز هذه النزعة ، ما عمدت اليه الفئات الحاكمة بهذا الاسلوب ، من سيطرة محكمة دقيقة على وسائل نشر المعرفة ، أيًّا كانت تلك الوسائل ، مثل الرقابة على الصحافة ، واحتكار محطات الاذاعة ، وحظر الاجتماعات العامة ، وتوجيه التربية وجهة خاصة ، وفرض مبادىء معينة حتى في العلوم الطبيعية والرياضية ، فغدا الجمهور من الشعب ، وقد سُلب وسائل الفوز بالحقائق التي يقوم عليها الحكم السليم سهل الانقياد للدعاية المنظمة هذا التنظيم كأنهُ صلصال ليِّن في يد الخزَّاف

فالنزعة القومية التي مضت الى هذا الحد من التطرف غدت عاملاً فعالاً في نشوب الحرب العالمية الثانية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرابع — العوامل الاقتصادية والاجتماعية

على ان النزعة الاستعمارية لم تتجلَّ في أشد مظاهرها كتجليها في حلبة المصالح الاقتصادية ذلك بأن هذه المصالح ، الاقتصادية ، لا تنفصم في الدولة الحديثة عن المصالح السياسية ، وهي في الوقت نفسهِ القوة المحركة على الغالب من وراء العمل السياسي ، فتشمل مسائل الخامات اللازمة للصناعة والانتاج والنقل وبيع المنتجات في الاسواق الداخلية والخارجية ، والاعمال المالية التي تصحب الصناعة والتجارة بوجهٍ عام

ونمو الصناعة الآلية في القرن التاسع عشر واتساع نطاقها اتساعاً عظيماً في القرن العشرين حملا الدول الصناعية الكبيرة ، على السعي الى الفوز بموارد الخامات لمصانعها ، والاسواق لمنتجاتها الصناعية . فأسفر ذلك عن منافسة لا رحمة فيها ولا هوادة ، بين هذه الدول للاستئثار بالسيطرة على هذه الموارد والأسواق لكي تضمن لنفسها مقاماً مميزاً تستند اليهِ في حلبة السياسة . ومن هنا غدا الاستغلال الاقتصاديُّ له ناحيتان ، سياسية وحربية ، فغدت نزعة الاستعمار السياسي، ونزعة الاستعمار الاقتصادي ، وجهين لغرض واحد، وغدت مصالح القوم في البلدان المستغلة في المرتبة التي تلي مرتبة مصالح الدولة المستعمرة او المستغلة . ورغبةً في تحقيق هذه المزايا ، انشأت الحكومة تؤيد أفرادها ، في حلبة هذه المنافسة ، حتى ولو كانت أساليبهم في بعض النواحي مناقضة لقواعد الانصاف ، فأصبح النزاع الاقتصادي بين أفراد دول شتى نزاعاً بين حكومات تلك الدول . وصبغ تنافس الشركات بصبغة سياسية ، فعزَّز كلُّ هذا الشعور بأن مصالح دولة ما مناقِضة مناقَضة أصيلة ، لمصالح دولة أخرى

وقد سايرت المغالاة في النزعة القومية السياسية مغالاة في النزعة القومية الاقتصادية وعزَّز هذه المغالاة إصابةُ العالمَ بالأزمة الاقتصادية العالمية ابتداءً من سنة ١٩٢٩ فشرعت دول كثيرة ، تعتقد أن نهوضها من الكبوة الاقتصادية ، عمل يخصُّها هي دون غيرها من سائر الدول،وأنها تستطيع أن تنهض بمعزلٍ عن نهوض سائر العالم ، فبليت التجارة العالمية بقيود مختلفة أرهقتها وعاقتها عن النهوض . فالحماية والحواجز الجمركية أول هذه القيود ثم أُضيف اليها نظام الرخص في بعض البلدان لتقييد الاستيراد ، تشجيعاً للصناعة المحلية ، وضنًّا بالكمبيو الاجنبي . ثم تلا ذلك نظام الحصص، وفرض قيود ثقيلة على التبادل النقدي، كأن في احدى هذه الوسائل أو جميعها سحراً يعيد الاقبال والرخاء . أي إن الاكتفاء أصبح القاعدة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وهنا دخل الميدان فريق من الزعماء ، فحاول ان يتغلب على مظاهر الأزمة ، بتجييش الجيوش ، وتجنيد العمال ، للعمل في الصناعات الحربية ، وبالدعوة الى الفتح للسيطرة على بلادٍ ، تكفي مواردها لتفريج الأزمة . على أن انشاء الأداة الحربية ، زاد المطلوب من المواد الخام ، ومن موارد العمل ، فكانت النتيجة أن صنعت حلقة مفرغة ، يسوّغ فيها التأهب الحربي بضرورة الحصول على مواد الصناعة ، وتشتدّ فيها الحاجة الى خامات الصناعة لاتساع نطاق التأهب الحربيّ . وفي هذه الحالة ، أصبحت النزعة القومية السياسية المغالى فيها ، والنزعة القومية الاقتصادية المغالى فيها ، وجهين لسياسةٍ واحدة ، فسهل على بعض الحكومات أن تُثبِّت في عقول أبنائها معنى « الحرمان » من خيرات الدنيا ، فبلغت بذلك النزعة القومية في الحالين ، درجة الغليان والتفجّر

وقد حاول ممثلو الأمم في جنيف أن يصلوا الى اتفاق ما على نزع السلاح ، ولكنهم لم يعنوا إلاّ عناية عابرة حينئذٍ ، بما يصحّ أن يسمى «نزع السلاح الاقتصادي» وما كان يحتمل أن يقوم السلام على أساسٍ وطيد، ولو رضيت الأمم بخفض سلاحها الحربي، ما دامت الحرب الاقتصادية قائمة

وليس هناك من ينكر ، أن الأمم لم تكد تسير على الطريق المفضي الى العدل الاجتماعي . فمستوى العيش ، وضمان أسباب الرزق ، والتحرّر من الفاقة والعوز ، لم تبلغ بين الطبقات العاملة في معظم بلدان العالم مبلغاً يتكافأ والتقدّم الصناعي . فأثر ذلك في سياسة الدول نفسها . وقد يسهل أن نفهم تأثير جهاد العمال في سبيل العدل الاجتماعي ، في السياسة الداخلية في دولةٍ ما . فاذا كانت دولة بلغت دور الرشد السياسي، كان الجهاد في نطاق الدستور ، وبغير زلزلة كيان الدولة السياسي ، واذا كانت غير ذلك ، نشبت فيها حربٌ أهلية أو ما هو في حكم الحرب الأهلية . ولكنّ النضال في سبيل العدل الاجتماعي ، قد يؤثر كذلك في سياسة الدولة الخارجية ، إذ قد يقود حكومتها ، في طريق المغامرات السياسية الخارجية وربما يقودها الى الحرب ، لتصرف نظر الشعب عن متاعبه الداخلية . وقد شهد العالم في العهد الحديث ، حكومات قومية متطرفة ، استطاعت ان تستغلّ الضعف القومي المعنوي الناشيء عن الاضطراب الاقتصادي والاجتماعي ، وكثرة المتعطلين عن العمل ، لانشاء حكومات دكتاتورية ، والغاء منشآت الحكم الحر ، ثم هيجت الشعب باقناعه ، عن طريق الدعاية ، بأنهُ محروم حقوقهُ في الحياة وأسباب العيش الرخي ، ثم ساقته الى الحرب وهو يعتقد بأنهُ يحارب في سبيل حقٍّ له ، نُزع منهُ ، وإذن فليحارب ضد دول وشعوب نزعت منهُ هذا الحق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غيوم بين النجوم

تحجب مركز المجرة وتقي الارض

تهبُّ رياح قوية في رحاب الفضاء بين النجوم . ففي تلك الفلوات الفساح الخالية ، من أجرام سموية ، اضطراب يفوق اضطراب الرياح في جوّ الأرض

هناك غيوم كبار تكتسح الفضاء فتحجب ملايين من النجوم كما يحجب الغيمُ والضبابُ في جوّ الارض وجهَ الشمس . ووجود هذه الغيوم كان معروفاً من زمن ، ولكن علماءَ الفلك تمكنوا من عهدٍ قريب أن يقيموا الدليل على أنها تتحرّك بسرعة عظيمة .

وأحد العلماء الكبار الذين عنوا بقياس السرعة التي تتحرّك بها هذه الغيوم في الفضاء الرحب بين النجوم ، هو الدكتور ولتر أدمز أحد علماء مرصد جبل ويلسون . وقد أذاع أدمز في مجلة « علم الفلك الطبيعي » ان هذه الغيوم مؤلفة من بخار عنصر الكلسيوم . وهذه حقيقة جديدة او تكاد تكون جديدة . لأن الرأي السابق كان على ان الغيوم التي في فضاء النجوم قوامها على الأكثر من غاز الايدروجين الخفيف ، الذي يفلت لخفته من جوّ الارض ، فقلما تجد لهُ أثراً في غلافها الغازي

والكلسيوم عنصر كثير الوجود في كرة الارض ، فيدخل في تركيب صخور كثيرة ويعدُّ عنصراً حيويًّا فهو من العناصر الاصيلة في تركيب العظام ، ولولاهُ لكانت لينة ، لا تقوى على النهوض بمهمة الهيكل العظمي في جسم الانسان وسائر الحيوان

وها هوذا الدكتور ولتر أدمز يقول ان في الفضاء بين النجوم غيوماً من بخار الكلسيوم ، واسعة الارجاء ، وقد تبيَّنها بالمطاييف[1] الدقيقة في مرصد جبل ويلسون

وقد وجد أدمز هذه الغيوم في صور الدجاجة والرامي والجبَّار . وبلغ من سعة مساحتها ان الضوء السائر بسرعة ١٨٦ الف ميل في الدقيقة يستغرق سنوات في اجتياز هذه الغيوم من طرف الى طرف . والضوء يجتاز في سنة ستة ملايين مليون ٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل وهي مسافة تفوق المسافة بين الشمس والارض خمسة وستين الف ضعف

وهذه الغيوم الكبار تسير — بحسب ما بيَّنهُ أدمز — بسرعة قد تبلغ خمسة وعشرين

---

(١) جمع مطياف Spectroscope

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ميلاً في الثانية ، أي ١٥٠٠ ميل في الدقيقة ، أو ٩٠٫٠٠٠ ميل في الساعة . وهذه السرعة تفوق سرعة رياح الأعاصير فوق سطح الارض الف ضعف

ولم يقم دليل ما حتى الآن ، على ان هذه الغيوم موزّعة على نمطٍ واحد منسق في رحاب الفضاء ، ولكن البحث حتى الآن بيّن أنها تكثر في منطقة درب التبان وجوارها

وقد وجد أدمز في اتجاه صورة الرّامي ، غيمتين من هذه الغيوم ، إحداهما أمام الأخرى فالغيمة التي هي أدنى الى الارض من شقيقتها سائرة نحو نجوم الرامي بسرعة ميلين ونصف ميل في الثانية . وأبعدُ الغيمتين عن الأرض تبتعد عن الارض بسرعة ثلاثة عشر ميلاً في الثانية

وصورة الرامي واقعة على خطٍّ واحدٍ مع مركز مجرّتنا ، ولكن أحداً من علماء الفلك في العصر الحديث لم يرَ هذا المركز ، لأن الغيوم التي عني أدمز بدراستها تحجبهُ

وليس ثمة ريب في أن هذه الغيوم ، أشبه ما تكون بستار ، أو درع واقية ، إذ يرجَّح ان في مركز مجرتنا مجموعة كرية كبيرة من البلايين من النجوم شديدة الاشراق. وحول هذه المجموعة الخفية نجد في جهة الرامي مجموعة أخرى من النجوم تفوق كثافتها كثافة النجوم الأخرى في أي جهة أخرى من السماء . ويقول الراصدون ان في المواقع الاستوائية العاليــة ، يكفي ضوء النجوم التي في جهة الرامي ، لقراءة صحيفة في ليلة غير قمراءَ

واذا كانت مجرّتنا تشبه الملايين من المجرّات الأخرى المنثورة في رحاب الفضاء، فيجب أن يكون في المركز الذي تخفيه هذه الغيوم كتلة كرية من النجوم تشع ضوءًا فائقاً في اشراقه وشدتهِ ولو كانت هذه الكتلة مكشوفة لكان اشراقها في الليل يفوق اشراق الشمس في النهار. ولو وصلتنا أشعتها لكانت مؤذية للاحياء ، على النقيض من ضوء الشمس اللازم للاحياء

فالى مركز مجرّتنا هذا تسير هاتان الغيمتان الكبيرتان بسرعة عظيمة . وتحجبانهِ عنا . وأقربهما الى المركز تسير بسرعة خمسين الف ميل في الساعة ، وأبعدهما عنهُ تسير بسرعة عشرة آلاف ميل في الساعة

ولو كان في وسعنا ان نتخذ في الفضاء موقعاً ننظر منهُ مجرتنا لبدت لنا كأنها زوبعة من النجوم ، لها مركز مضيء وحواليه تيارات حلزونية الشكل من النجوم . وقد قال الدكتور هبل أحد علماء مرصد جبل ويلسون ، في التقرير السنوي لمعهد كارنيجي ، انهُ اثبت أن السدم الحلزونية الشكل تدور حول مركز ، وانها في دورانها تمتدُّ منها أذرع حلزونية الشكل

وقد وجد ادمز كذلك ان بين الارض وبين النجوم في صورة الجبار، وعلى مسافة قصيرة نسبيًّا، من درب التبان،غيمتين أخريين. وان اقربهما الى الأرض تدنو من الارض بسرعة ١٥ الف ميل في الساعة ، وان أبعدهما تبتعد عنها بسرعة ٣٢ الف ميل في الساعة .والطريقة المتبعة في دراسة هذه الغيوم ، قائمة على تبين تأثيرها في ضوء النجوم التي تجتازها . ويدلُّ البحث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في ٨٠ في المائة من النجوم ، على وجود غيتمين الى خمس غيوم . ومتى تمَّ جمع الحقائق ، وتمحيصها ، فقد يصنع علماءُ الفلك خارطة جديدة للرياح التي تهبُّ في مجرَّتنا ولعلها حينئذ تميط اللثام عن أفعال في الفضاء لا يزال الخفاء والجهل يكتنفانها

هذا البحث الجديد نتيجة منطقية لبحث آخر سبقهُ خلال الخمس عشرة السنة الاخيرة ، كان مدارهُ على معرفة هل الفضاء بين النجوم فراغ أو لا

كان من الراسخ في روع الباحثين ، من عهد غير قريب ، ان الفضاء الكائن بين النجوم ليس فراغاً تامًّا . فقد شاهد الراصدون ان أشعة الضوء التي تمرُّ في رحاب الفضاء تتشتت ، وهذا التشتت لا يمكن ان يتم اذا كان الفضاءُ فراغاً تامًّا ، ولا بد أن يحتوي هنا وهناك على ذرة تائهة أو كهيرب شارد . والواقع ان الصور الفوتوغرافية التي صورت لمناطق مختلفة من الفضاء ، وخصوصاً مناطق المجرَّة ، تثبت وجود نواحٍ تملأها مادة غازية كثيفة تحجب ضوءَ النجوم التي وراءها فتمنع وصوله الينا بامتصاصهِ . وبعض هذه اللطخ الغازية ذو معالم وحدود واضحة ، وبعضها لا حدود لهُ ولكن كثافتهُ تقلُّ رويداً رويداً الى أن يندمج في ما نحسبهُ عادة الجلد الصافي الاديم . هذه المشاهدات تشير اشارة لا لبس فيها ولا إبهام الى احتمال وجود مادة منتشرة انتشاراً دقيقاً في رحاب الفضاء الذي بين النجوم

بسط ادنغتن أولاً هذا الرأي في خطبتهِ الباكرية Bakerian من نحو خمس عشرة سنة وأثبت بالادلة الراجحة ان الفضاء بين النجوم ليس فراغاً بل هو « ممتلىء » مادة . وليس المراد بلفظ « ممتلىءٌ » هنا احتشاد المادة حتى لا يسع شيئاً علاوة على ما فيهِ ، وانما يقصد معناها النسبي أي اننا لا نجد ناحية معينة في رحاب الفضاء خالية خلوًّا تماماً من المادة ولو في ألطف حالاتها . بل ان في الفضاءِ من الذرات المنتشرة فيهِ ما يكفي لوجود ذرة واحدة في كل سنتمتر مكعب منهُ . هذا كان رأي ادنغتن ومحصّل أدلته النظرية . وقد انقضت الآن مدة أثبت الراصدون في أثنائها بالمشاهدة صحة هذا الرأي ، بل ان حديث التقدم في هذه الناحية من الطبيعيات الفلكية من أفتن الاحاديث العلمية للب . والغريب ان هذا الاكتشاف نشأ — كطائفة كبيرة من المكتشفات — من مشاهدة شذوذ أو انحراف عن القاعدة العامة في أثناء بحث مسألة علمية أخرى

في علم الطبيعة مبدأ يعرف بمبدإ دبلر Doppler مؤداهُ ان اقتراب جسم صائتٍ اليك في أثناء احداثهِ للصوت من شأنه أن يقصّر أمواج الصوت ، وان ابتعاده من شأنهِ أن يطيلها . وعليهِ فاذا كنت واقفاً وكان قطار صافر متجهاً اليك قصرت أمواج الصفير وارتفع صوتها . واذا كان مبتعداً عنك طالت أمواج الصفير وخفت صوتها . وكان السر وليم هجنز Huggins الفلكي البريطاني يبحث في هذا الموضوع من نحو خمسين سنة ، نخطر لهُ أن

يطبق هذا المبدإ على أمواج الضوء ويستعملهُ في قياس سرعة النجوم . فاذا كان نجم من النجوم مقترباً منا كان طول كل موجة من أمواج الضوء الذي يشعهُ أقصر من طول أمواج الضوء المماثل على الارض . فاذا حللنا ضوء النجم المقترب بالمطياف حادت الخطوط المظلمة الخاصة بالنجم الى جهة اللون البنفسجي . وأما اذا كان النجم مبتعداً عنا فان الحيود يكون الى جهة اللون الاحمر . فمن معرفة جهة الحيود تعرف جهة سير النجم اقتراباً منا أو ابتعاداً عنا . ومن معرفة مقدار الحيود تعرف سرعتهُ . وقد طبقت هذه الطريقة في طائفة كبيرة من أشهر المراصد فقيست بها سرعة ألوف من النجوم . واستعملت في قياس سرعة السدم الحلزونية التي خارج المجرة فثبت ان بعضها يبتعد عنا بسرعة الوف من الأميال في الثانية وهذا مما حدا بالعلماء الى القول بأن الكون آخذ في الاتساع كأنهُ فقاعة صابون ينفخ فيها

وقد استعملت خطوط فرنهوفر لمعرفة نسبة العناصر التي في الشمس بعضها الى بعض، وذلك بدرس عرض الخطوط التي تظهر في الطيف ونسبة عرض الواحد منها الى الآخر ثم استعملت هذه الخطوط أيضاً لمعرفة شيءٍ عن حركة الاجرام السموية فقد ثبت انهُ اذا كان الجرم السموي متجهاً نحونا فان حركة الخطوط في طيفهِ تتجه من الاحمر الى البنفسجي . واذا كان مبتعداً عنا فان حركة هذه الخطوط في طيفهِ تتجهُ من البنفسجي الى الاحمر . لأن عدد الأمواج التي تصلنا منهُ في الحالة الأولى آخذ في التزايد والقصر وفي الحالة الثانية آخذ في التناقص والطول . فاتجاه حركة هذه الخطوط وسرعتها يمكنان العلماء من معرفة اتجاه الاجرام السماوية بالنسبة الى الارض وسرعتها وبالجري على المبدإ ذاتهِ يستطاع الكشف عن النجوم المزدوجة واثبات دوران الارض حول محورها

ومن أول الذين وجهوا عنايتهم الى هذا الموضوع الدكتور هارتمان أحد علماء مرصد بوتسدام الالماني فلم يلبث أن صرَّح انهُ في أثناء درسهِ خطيْ الكاسيوم في طيوف بعض النجوم وجد ظاهرة غريبة لا تتفق ومقتضيات مبدأ دپلر المذكور . ذلك انهُ لاحظ انخطي الكاسيوم لا يحيدان الى جهة اللون البنفسجي ولا الى جهة اللون الأحمر كما تحيد بقية خطوط الطيف، وهذا من الفارقات . فاذا كان نجم من النجوم يسير سيراً سريعاً نحونا فلابد ان تحيد الخطوط في طيفه نحو اللون البنفسجي . واذا كان مبتعداً عنا فلا بدَّ ان تحيد الى جهة اللون الأحمر . ومن الغريب ان هارتمان وجد ان جميع خطوط الطيف تحيد الى احدى الجهتين الاَّ خطي الكاسيوم وأحياناً خط الصوديوم

وما صرَّح هارتمان تصريحه المتقدم حتى عني الراصدون بتحقيق مشاهداته فأيدوها بمشاهداتهم . ومن ثمَّ أخذوا يقترحون النظريات لتعليلها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا يخفى ان الارض في أثناء سيرها في الفضاء تنقل معها غلافها الغازي المكوّن من غازات باردة وكذلك النجم ينقل معهُ في أثناء سيره غلافاً من الغازات التي تحيط بكتلته الغازية الشديدة الحمو . فاذا انبثقت من داخل النجم أشعة ومرت في جوّه الغازي الخارجي —البارد اذا قيست حرارته بحرارة قلب النجم — واذا كان في هذا الجو الخارجي ذرات عنصر الكاسيوم الموجبة الكهربائية ، ظهر خط الكاسيوم في طيف ضوء النجم مع خطوط العناصر الأخرى ، وهو خط مظلم من خطوط فرونهوفر لأنهُ حدث بالامتصاص . ولكن الغريب ان خطوط الطيف الأخرى تحيد الى جهة الأحمر او جهة البنفسجي بحسب ابتعاد النجم او اقترابه ، وأما خطا الكاسيوم فلا يحيدان ولذلك عرفا هما وما ماثلهما « بالخطوط المستقرة » Stationary . أفلا يجوز ان تكون ذرات الكاسيوم منتشرة في الفضاء بين النجوم وبهذا يعلل استقرار خطي الكاسيوم في طيوف النجوم ؟ وما منشأ هذا الكاسيوم الذي في الفضاء النجمي ؟ هل هو مادة منبعثة من النجوم الجبارة في أثناء سيرها في الفضاء ؟ او هو بقايا سديم كوني نشأت منهُ النجوم بالتجمع الجاذبي ؟

ولما تناول الدكتور ستروف Struve أحد علماء مرصد يركيز Yerkes الاميركي هذا البحث أثبت انهُ كلما زاد بعد النجم عن النظام الشمسي زاد ظهور الخطوط « المستقرة » في طيفه. وهذا يعلل بأن الضوء مرَّ في مسافات شاسعة من السحاب الكوني المالىء للفضاء بين النجوم فزاد امتصاص هذا السحاب لضوء الكاسيوم فزاد ظهور خطيه في الطيف

ولم يلبث العلماء ان وجدوا ان هذه الخطوط تحيد الى أحد طرفي الطيف ولكن حيودها يسير جدًّا اذا قيس بحيود الخيوط الأخرى . لذلك عدلوا عن تسميتها بالخطوط المستقرة وقالوا انها خطوط ما بين النجوم interstellar : وجاء الاكتشاف المتوّج لهذه المباحث لما ثبت ان هذا الحيود الضئيل في خطي الكاسيوم وما يماثلهما يمكن تعليله تعليلاً دقيقاً بافتراض ان المجرة تدور حول مركزها وهو ما أثبتته المباحث الفلكية الأخرى

ويرى أدنغتن ان بقايا «السديم الكوني » المالئة لرحاب الفضاء النجمي ليست كلسيوماً فقط او كلسيوماً وصوديوماً . وانما أحوال الرصد فقط هي التي مكنتنا من مشاهدة خطوط هذين العنصرين قبل غيرهما . وعنده ان هذا السديم الكوني يحتوي على كل العناصر التي على الأرض . أما كثافة بقايا «السديم الكوني» فيسيرة جدًّا لا تزيد عن كثافة نفخة مدخن وقد تمددت حتى ملأت فضاءً سعته الف ميل مكعب ! على ان رحاب الفضاء تفوق التصور في سعتها . وعليه فهذا الغاز المتناهي في اللطافة الذي يملأها تبلغ كتلته نصف كتلة النجوم . فاذا سلمنا بهذا الرأي الجديد قلنا ان المادة الأصلية التي تكونت منها النجوم ، تحوَّل ثلثاها نجوماً وسدُماً وبقي الثلث الآخر مادة لطيفة منتشرة في رحاب الفضاء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من مآثر العرب

في علم الطبيعة

١ — فيما يتعلق بالفلاسفة *

لمصطفى نظيف بك
استاذ الطبيعة بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول

من المعلوم أن موضوع علم الطبيعة الحديث هو مجملاً ما يعرض بين الطاقة والمادة من الفعل والانفعال وبيان ما هنالك من المناسبات في حدود خاصة تستبعد منها ظواهر الحياة التي تعرض في النبات والحيوان . وقد جرت عادة المؤلفين في هذا العلم أن يقسموا موضوعه خمسة أقسام هي علم الميكانيكا ، وعلم الصوت ، وعلم الحرارة ، وعلم الضوء ، وعلم الكهرباء

هذا بايجاز هو علم الطبيعة في اصطلاحنا الحديث

فهل كان لدى الاسلاميين علمٌ يمتُّ موضوعه بصلة الى موضوع علم الطبيعة بالمعنى المذكور؟ وهل كانت لهم مباحث في مسائل ترد في باب أو أبواب من هذه الأبواب الخمسة التي ذكرناها ؟ وما هو حظ الاسلاميين من العمل في وضع الأسس التي قام عليها هذا العلم بعد عصر النهضة في أوروبا ؟ هذه أمور ثلاثة آثرت أن أتناولها في حديثين تفضلت ادارة محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية فشرَّفتني بدعوتي لإذاعتهما في سلسلة الأحاديث التي نظمتها عن مآثر العرب

***

لم تكن العلوم العقلية والنظرية عند الاسلاميين قد تنوّعت فروعها بحيث تتطلب من المنصرفين اليها التفرغ لفرع أو بضعة فروع منها ، تفرغاً يشبه التخصص بمعناه الضيق المعروف في الوقت الحاضر . بيد أن المطلع على حركة العلوم العقلية عند الاسلاميين يتبين من غير عناء ، أن المنصرفين الى هذه العلوم ، نحوا في الاشتغال بها نحوَ صوبين ، يصح من غير تكلف أن يميز بينهما . فانقسموا فريقين : الفلاسفة وأصحاب التعاليم

وكانت الفلسفة عند الاسلاميين تتكوَّن من جزئين أساسيين هما الطبيعيات والالهيات. والذي هو جديرٌ في نظري بالذكر في مستهل هذا الحديث أن طبيعيات الفلسفة الاسلامية قد تضمنت آراءً تتعلق بفلسفة علم الطبيعة، بلغت من السمو مقاماً يدعو الى العناية والتنويه بها

* حديث سبقت اذاعته من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم هي قد تضمنت أيضاً مباحث في مسائل من علم الطبيعة ليس من الصواب عندي أن يغفل أمرها عند البحث في مآثر الاسلاميين في هذا العلم . وسأقتصر في هذا الحديث على تفصيل هذا وذاك مع العناية بمسألة خاصة تتعلق بنشوء بعض المبادىء الأساسية في علم الديناميكا الحديث

والموضوع العام لطبيعيات الفلسفة الاسلامية هو « الأجسام وما يلحقها من الحركة والسكون » وتعريف الجسم فيها هو الجوهر المحسوس الذي يمكن أن يفرض فيه ثلاثة امتدادات متقاطعة على زوايا قائمة . وهو يتفق وأحد التعريفات المقول بها في الوقت الحاضر، والتي من الشائع نسبتها الى «ديكارت» أحد الفلاسفة الرياضيين الفرنسيين في القرن السابع عشر. والحركة في الفلسفة الاسلامية يقصد من لفظها التغير الذي يستغرق زماناً أيـًّا كان نوع ذلك التغير

وواضح من هذا أن موضوع الطبيعيات في هذه الفلسفة يشمل جميع الأجسام المحسوسة وما يعتريها من التغير والتبدل بأعم معانيهما . فهو يشمل جميع الظواهر سواء منها ما يتعلق بالجماد الذي لا حياة له ، وما يتعلق بالأجسام الحيـة من نبات وحيوان . فالطبيعيات عند الاسلاميين تقابل مجموعة العلوم التي نسميها الآن «سيانس ناتيورال» أو Natural Science وتتجاوز حدود علم الطبيعة بمعناه الحديث

لـكن الفلاسفة الاسلاميين وعلى رأسهم ابن سينا — وهو بلا منازع كبيرهم أو بالأحرى كبير المشرقيين منهم — قد مالوا في الوقت نفسه الى تمييز ناحية معينة من الطبيعيات بنسبتها الى الطبيعة بمعنى أخص وأضيق . وهذه الناحية هي من غير شك أدنى الى علم الطبيعة عندنا . فالقوة التي ينسبون اليها ما يعتري الأجسام من تغيّـر وتبدّل ويصح تسميتها بوجهٍ عام « الطبيعة » منها كما يقول ابن سينا في طبيعيات الشفاء بلفظه « قوة تحرك وتغير ويصـدر عنها الفعل على نهج واحد من غير ارادة » وهذه القوة التي تصدر عنها الأفعال والتحريكات على نهجٍ واحد من غير إرادة هي التي خصها ابن سينا باسم الطبيعة . فاذا ميزنا من طبيعيات الفلسفة الاسلامية الجزء الذي موضوعه هذه القوة، وخصصناه كما فعل ابن سينا نفسه بنسبته الى الطبيعة ، وسميناه من عندنا العلم الطبيعي ، وجدنا موضوع هذا العلم الطبيعي يتفق الى مدًى بعيد وموضوع علم الطبيعة الحديث

وتخصيص البحث في العلم الطبيعي وحصره في القوى التي تصدر عنها الأفعال والتحريكات على نهج واحد من غير ارادة ينبىء في ذاته عن اعتقاد راسخ عند الفلاسفة الاسلاميين في أن الامور الطبيعية تحدث بنظام وترتيب ويتكرّر حدوثها على نهجٍ واحد . وهذا اعتقاد مهما أثير في فلسفة العصر الحديث من الشكوك عليه ، فلست أخطىء كثيراً اذا قلت انهُ شرطٌ لازمٌ اذا ما ارتفع أو بطل التصديق به، امتنع العلم في ذاته وزال من الوجود

والعلم الطبيعي بالمعنى الذي بيّـناه أخذه الفلاسفة الاسلاميون عن المتقدمين وخاصة عن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلاسفة اليونان وعلى الأخص عن المشائين . فلا غرابة في أنهم سلكوا في مباحثه مسلك فلاسفة اليونان . فلم تكن مذاهبهم من جنس ما نسميه اليوم نظريات علمية ، يستعان في الوصول اليها بالامور الواقعة المدركة بالحس ، ودليل صحتها انها تتفق والمشاهدات أو الاعتبارات أو التجربات . وانما كانت قضايا يبرهن عليها بالقياس أتبع في اكثرها ان لم نقل فيها كلها برهان الخلف . فالبرهان على مذهب أو رأي هو البرهان على بطلان نقيضه بوقوع المحال منهُ . ولعلهم آثروا برهان القياس لانهُ هو البرهان الذي تثبت بهِ قضايا الهندسة، وهي مَثَل من العلم الصادق الذي لا سبيل لمعترض الى التشكك في صدقه، متى أقرّ بصدق البديهيات التي هي المقدمات الأُوَل في براهين هذا العلم

غير أن اعتماد الفلاسفة الاسلاميين على القياس لم يكن البتة عن جهل منهم بطريقة أخرى للبحث . فقد أدركوا أن طريقة النظر في العلوم التعليمية تختلف عن طريقتهم . بل قد أدركوا أن من بين مسائل علمهم الطبيعي مسائل ترد بذواتها في العلم التعليمي ، ويسلك في النظر فيها هذا المسلك المغاير لمسلكهم هم في النظر فيها . وقد بيّن ابن سينا هذا الأمر في فصل من مقالتهِ الأولى من طبيعيات الشفاء ، تناول فيه « كيفية بحث العلم الطبيعي ومشاركاته لعلم آخر ان كانت له مشاركة »

وهذا التفريق بين الطبيعي والتعليمي جاء من جهتين . احداهما من حيث حقيقة الوجود فيما يتعلق بالأمور المبحوث عنها . وثانيتهما من حيث طريقة البحث والغاية المرجوّة منها . فهم قد أدركوا أن العلم التعليمي يبحث عن أمور كمية أو أمور يمكن أن يلحقها الكم، تتعلق بالأجسام الطبيعية ، ولكن بعد تجريدها عن هذه الاجسام بحيث تُتصوَّر كأمور لها وجود ذاتي مستقل عن وجود الأجسام التي تتعلق بها . أي أن الأمور المبحوث عنها في العلم التعليمي يجردها الذهن عن ملابساتها بالواقع الموجود فعلاً في الطبيعة . ووجودها إذن ذهني . في حين أن الطبيعي ينظر في الأجسام الطبيعية وما يلحقها من التغيرات على ما هي عليهِ هذه الأمور في الواقع الموجود في الطبيعة . أمّا ما يتعلق بطريقة البحث نفسهِ فقد شرحهُ ابن سينا بوضوح يدعو الى الاعجاب وهو في صدد بيان الفرق بين بحث الطبيعي وبين بحث التعليمي في المسائل المشتركة الواردة في العلمين . وضرب لذلك مثلاً كرية الأرض وقال بلفظه : « أما التعليمي فيستعمل في بيان ذلك ما يجد عليه حال الكواكب في شروقها وغروبها وارتفاعها عن الأفق وانخفاضها ، وان ذلك لا يمكن الاّ ان تكون الارض كرية . والطبيعي يقول ان الأرض جسم بسيط فشكله الطبيعي الذي يجب عن طبيعته متشابه ، يستحيل ان يكون مختلفاً فيه ، فيكون في بعضه زاوية وفي بعضه خط مستقيم ، او يكون بعضه على ضرب من الانحناء والآخر على خلافه » فهو يُدرك بوضوح القيمة الصحيحة للرأي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذي يقره العلم التعليمي من حيث هو رأي ، لا يبرهن عليه العلم التعليمي ببرهان يحتمهُ قطعاً واطلاقاً ، وانما هو رأي يتفق والمعلومات أو المشاهدات المعروفة . وابن سينا يؤكد تباين طريقتي النظر في العلمين ويُخطِّئ الطبيعيَّ اذا قال في اثبات كرية الارض « لو لم تكن الارض كرية لم يكن فضل الكسوف القمري هلاليًّا » . ويرميه اذا ساق هذا البرهان بالخلط بين ما هو طبيعي وبين ما هو تعليمي . ويطالبهُ ببرهان يوجب للارض كريتها لأن غايته من العلم الطبيعي معرفة الأسباب التي توجب ان تكون الامور الطبيعية على ما هي عليها في الطبيعة . نحن لا يعنينا هنا ان الفلاسفة الاسلاميين قد حاولوا عند البحث عن الاسباب الموجبة للاشياء أمراً ، قد يكون في نظر العلم الحديث فوق طاقة البشر ولا نريد ان نناقش موقفهم فنسوّغهُ او نستنكره . انما يعنينا انهم سبقوا الى ادراك الأسس التي يقوم عليها ما نسميه اليوم أسلوب البحث الحديث ، والى ادراك صحيح لما يستطيع البحث الحديث ان يحققه من غايات ، ولِمَا يقصر عن تحقيقه منها

هذا بايجاز هو العلم الطبيعي عند الاسلاميين . وتلكم بايجاز أيضاً هي الغاية التي أرادوها منه والطريقة التي سلكوها في البحث عنها

أما موضوعات هذا العلم فقد تناولوا فيه كما يقتضيه مقصدهم منه ، الفلسفة العامة التي ينطوي عليها علم الطبيعة . وتناولوا فيه بالذات مما لا يزال يتصل بفلسفة علم الطبيعة ، موضوع الزمان ونظرية قياسه وموضوع المكان ، وموضوعاً قديماً اتصل بصلة وثيقة في الفلسفة القديمة بموضوع المكان ، هو موضوع الخلاء . وهي مسائل لا تزال تشغل أذهان المفكرين في معاني المبادىء الاساسية التي يقوم عليها علم الطبيعة في الوقت الحاضر . ثم هم تناولوا أيضاً ظواهر كثيرة تُعد اليوم من موضوعات علم الطبيعة وحسبي ان أذكر منها أمثلة هي في نظري أشدها اتصالاً بالفروع الأساسيةِ الخمسة لهذا العلم ، مثل موضوع الحركة وهو جزء من علم الميكانيكا بالمعنى الشامل ، وتكوّن السحاب والضباب وحدوث الامطار والثلوج والرياح وما الى ذلك وهي من المسائل المبحوث عنها في علم الحرارة . ثم حدوث الاثَرَين الهالة وقوس قزح وما سمَّاه ابن سينا الشمسيات والنيازك وما ورد في بيان كيفية الابصار وهي جميعاً من الامور التي يبحث عنها في علم الضوء . ثم ما جاء في الادراك بالسمع من البحث عن حقيقة الصوت وكيفية انتشاره وانعكاسه من المباحث التي يتناولها علم الصوت . وهذه المباحث الكثيرة المتنوعة قد اختلط الغث فيها بالسمين ولا تخلو من آراء وأقوال قد أبطلها علم الطبيعة الحديث . ويشق على المستعرض لها خصوصاً في حديث قصير أن يلتزم العدل في استيفاء بيان الصواب منها ويلتزم العدل أيضاً في استيفاء بيان أخطائها . ولعلي لا أخطئ التقدير كثيراً إذا أنا قسمتها أقساماً أربعة . مباحث قد أخطأوا فيها اجمالاً وأصابوا تفصيلاً .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومباحث قد أخطأوا فيها تفصيلاً وأصابوا إجمالاً . ومباحث قد أدركوا فيها حقيقة الأمر. ومباحث تُثبت لهم فضل التمهيد والتعميد الى نشوء بعض القواعد الاساسية المقول بها في علم الحركة الحديث

فالتي أخطأوا فيها اجمالاً وأصابوا تفصيلاً هي المتعلقة بعلم الحرارة . فأقوالهم فيها تكاد تتفق وما هو متبع الآن في شرح كثير من الامور التي تناولوها لولا ذهابهم بوجهٍ عام مذهب المشائين في القول بالعناصر الأربعة والقول بالاستحالة . ومن الانصاف أن نقول ان أقوالهم المفصلة في العناصر الاربعة تدل على انهم قصدوا منها معنى هو أقرب من المعنى الذي نقصده من أحوال المادة الثلاثة وفعل الحرارة فيها . فاذا حملنا لفظ العنصر في قولهم ، إن الهواء عنصر ، على معنى حالة الغازية ، وفي قولهم المـاء عنصر على معنى حالة السيولة ، وفي قولهم الارض عنصر على معنى حالة الجمود ، وفي قولهم النـار عنصر على معنى الحرارة التي تفعل في الاجسام التخلخل وتفعل في الاحوال الاستحالة، زالت من مباحثهم في هذا الصدد مواضع الضعف العامة وصارت أشبه بما يقال فيها في الوقت الحاضر

والتي أصابوا فيها اجمالاً وأخطأوا تفصيلاً فهي المتعلقة بعلم الضوء . فهم قد ادركوا ان حدوث قوس قزح مثلاً موقوف على وجود قُطيرات من الماء منتشرة في الجو أو كما يقول ابن سينا بلفظه « على وجود هواء رطب فيهِ أجزاء مائية رشية كثيرة مشفة » . وأدركوا أيضاً ارتباط ظهور الهالة بمثل ذلك . وابن سينا يستشهد بأمثلة منها ما يشاهد اذا أخذ الانسان الماء في فمه ونفخه في الجو حذاء الشمس أو السراج . ومنها الخيال الذي يتولد حول الشمعة في الحمام من رطوبة الجو فيـهِ . ولكنهم لم يقفوا على حقيقة أمر القوس أو الهالة مثلاً تفصيلاً . وبالمثل مباحثهم في الابصار فلو انهم خالفوا اقليدس وبطليموس وغيرهما من أصحاب التعاليم المتقدمين في ان الابصـار يكون بشـعاع يخرج من البصر وذهبوا في الابصار مذهب الورود ، فان تفصـيل أمر الابصار ، ومعنى الشبح الذي قالوا بوروده من المبصر الى البصر ، وكيفية ادراك صور المبصرات بالانعكاس أو من وراء الأجسام المشفة ، لم يأتوا فيه بشيءٍ مقنع

ومباحثهم التي أصـابوا فيها حقيقة الامر فهي المتعلقة بعلم الصوت فقـد علموا أن الاصوات تحـدث عن حركة الاجسام عنـد ما تقرع أو تقلع كما يقول ابن سـينا . وان الحركة تنتقل في جسم مادي كالهواء أو الماء على هيئة التموج . ويقول ابن سينا « وكما أن الماء والهواء والفَـلك تشترك في طبيعة اداء الألوان وتلك الطبيعة لها اسم وهو الشفيف ، فكذلك الماء والهواء لهما معنى يشتركان فيه، من حيث يحدث فيهما الصوت، وليكن اسمه قبول التموج » وقد ميّـزوا كما يتضح مما ورد في رسائل اخوان الصفاء بين الاصوات (اولاً) من حيث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ما نسميه الآن الشدة فقسموها الى الجهير والخفيف وعللوا الأصوات الجهيرة بعظم الأجسام المصوتة وكثرة تموج الهواء بها. و(ثانياً) من حيث ما نسميه الآن الدرجة فقسموها الى الحادّ والغليظ، وأثبتوا مناسبات الحدة والغلظ في أصوات الأوتار بالطول والغلظ والحَزْق، وهو اصطلاحهم لمعنى التوتر أو الشد وأدركوا أن السبب في حدوث الصدى هو الانعكاس ومن أروع ما قيل قولُ ابن سينا في مستهل أقواله عن الصدى: «وأما الصدى فهو يحدث عن تموج يوجبه هذا التموج» . والاشارة هنا الى تموج الهواء بالصوت الاول . وبيّنوا انهُ يجوز عدم الشعور بالانعكاس لقرب المسافة فلا يسمع الصوت وصداه في زمانين مختلفين

ولا يسعنا في هذا المقام أن نغفل علاقة الصوت بالموسيقى لاسيما وقد عني بها كثير من الفلاسفة الاسلاميين نخص بالذكر منهم الكندي وأبا بكر الرازي والفارابي وابن سينا . وكتبهم في الموسيقى كثيرة فيها ذكر الآلات الموسيقية ووصفها وشرح طرق اصلاحها . ولكن يعنينا منها بصفة خاصة ضبط نسب النغمات وبيان أبعادها وخصوصاً على أوتار العود . وهو عمل جعل من الميسور في الوقت الحاضر حساب تلك النسب ومعرفة ابعاد النغمات في مقياسهم الموسيقى ، والوقوف على ما ادخلوه من التعديل على المقاييس الموسيقية التي استعملها المتقدمون كالنغمة الوسطى المعروفة عندهم بوسطى الفرس ونسبتها الى الأساسية كنسبة ٨١ : ٦٨ ، والوسطى المعروفة عندهم بوسطى زَلزل ونسبتها الى الاساسية كنسبة ٢٧:٢٢ وقد ذكر ذلك اخوان الصفاء في رسائلهم وعبد الله محمد الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم

اما المباحث التي أرى أن الفلاسفة الاسلاميين مهدوا بها الى نشوء بعض المعاني الاساسية في علم الديناميكا فهي اقوالهم في المعنى الذي عبروا عنهُ بلفظ الميل وعبر عنهُ المتكلمون بلفظ الاعتماد . ولعلّ أدنى ما يؤدي هذا المعنى بايجاز التعريف الذي ذكره الغزالي في كتابه معيار العلم حيث قال: «الاعتماد والميل هو كيفية بها يكون الجسم مدافعاً لما يمنعه عن الحركة الى جهته»

وقد بين ابن سينا ثم نصير الدين الطوسي ان الحركة يقتضي الامر فيها نسبتها الى سبب قريب أي مباشر بحيث يكون اختلافها في الشدة والضعف بحسب اختلاف هذا السبب القريب في الشدة والضعف وسموا هذا السبب الميل أو الاعتماد . وهو أمر يغاير الحركة نفسها ومظهره للحس مدافعة الجسم المتحرك لما يمنعهُ عن الحركة في الجهة التي يتحرك فيها

وكان الفلاسفة الاسلاميون يقسمون الحركة قسمين حركةً طبيعية وهي حركة الجسم اذا ما ترك وشأنه وكانت عندهم اما الى أسفل وهي حركة الجسم الثقيل وإما الى أعلى وهي حركة الجسم الخفيف ، وحركة قسرية وهي حركة الجسم المرمي قسراً عند مفارقة المحرك الذي يحركه . فقسموا تبعاً لذلك الميل قسمين أحدهما طبيعي ، والثاني قسري يستفيده الجسم المتحرك بالقسر من المحرك الذي يحركه . وتتضح خطورة فكرة الميل اذا علمنا أن الفلاسفة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاسلاميين في تعليلهم الحركة القسرية قد خالفوا ارسطو وكثيراً من فلاسفة اليونان الذين رأوا ان السبب في هذه الحركة رجوع الهواء المدفوع الى خلف المرمى ، والتئامه في الخلف التئاماً بقوة تضغط المرمى فتدفعه . كأن استمرار المرمى في الحركة يتطلب دفعاً مستمرًّا من خلف . او قالوا ان الدافع يدفع الهواءَ والمرميَّ والهواءُ أقبل للدفع فيندفع أسرع فيجذب معه المدفوع المحمول فيه . وابن سينا يفند هذين الرأيين ويبطلهما ويقول بلفظه « ولكنا اذا حققنا القول وجدنا أصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد ميلاً من المحرك . والميل هو ما يُحس بالحس اذا ما حُوول ان يسكَّن الطبيعيُّ بالقسر او القسريُّ بالقسر » ولعلَّ ابن سينا يشير بأصح المذاهب الى مذهب الفيلسوف الاسكندري « فيلوپونوس » في النصف الأول من القرن السادس بعد الميلاد

والاسلاميون قد خطوا خطوات واسعة بمعنى الميل فبينوا ان وجود الميل القسري في المتحرك بالقسر هو السبب في استبقاء الحركة القسرية فيه . واذا ضعف الميل القسري فيه بفعل مقاومة الوسط الذي يتحرك الجسم فيه أو بفعل مقاومة الميل الطبيعي للحركة القسرية، ضعفت حركة الجسم القسرية . كما انهم ولاذكر منهم ابن سينا والطوسي قد بينوا ان الجسم المادي يعاوق معاوقة ذاتية الحركة القسرية التي يستفيدها من المحرك والطوسي يعبر عن هذه المعاوقة الذاتية للحركة القسرية بقوله « الميل المعاوق » بحيث اذا كان الميل المعاوق أشد كانت الحركة القسرية أضعف . ومن الواضح ان هذه الآراء تعبر عن معنى القصور الذاتي المقصود في علم الديناميكا معناه بشطريه ، الاول ان الجسم يعاوق حدوث الحركة القسرية فيه والثاني ان الجسم المتحرك يستبقي حركته ما لم تعاوقه مقاومة الوسط او تعاوقه الطبيعة بفرض الحركة الطبيعية عليه . وقد أخذ بعض مصنفي اللاتين في القرن الثالث عشر عن الفلاسفة الاسلاميين معنى الميل القسري الذي أوضحناه وعبر عنه بالعبارة Inclinatio Violenta وهي ترجمة لفظية للاصطلاح العربي

هذا هو كل ما يتسع له هذا الحديث . وفي اعتقادي ان إغفال اثر الفلاسفة الاسلاميين في علم الطبيعة عند النظر في تاريخ هذا العلم تعنت لا مبرر له . فالفلاسفة الاسلاميون قد احاطوا علماً بأمور كثيرة من مسائل هذا العلم . وتعمقوا في تفكيرهم ونظرهم في مبادئه الاساسية . ولا يُضيرهم انهم سموا الى طلب الاسباب الموجبة للاشياء . مع علمهم بقصور العلوم التعليمية عن ادراك هذه الغاية

وفضلاً عن هذا كله فحسبهم انهم ادركوا معنى القصور الذاتي قبل ان يظهر معناه في العلم الحديث بخمسة او ستة قرون . ادركوا هذا المعنى الذي طوى به « غاليليه » صفحة علم الحركة القديم وبدأ به « نيوتن » صفحة علم الحركة الحديث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موجتان!

لحسن كامل الصيرفي

ضحكت موجةٌ وقالت لأخرى أنتِ مثلي وما تنالين مجدي

أنا عنـد الصباح أبلغُ غرْقا يَ، وعند المساءِ أبلغُ حدّي

وسعى عاشقان ذات مساءٍ ينشدان الهدوءَ والصمت عندي

زورقٌ ناعمٌ يداعبِ مجْدا فاهُ صـدري ويعبثان بجهدي

فتنكّـرتُ بالضغينة والحقدِ وأقصى الحُـقودِ في النفس حقدي

فعَـلَتْ صرختانِ لا أنا أُصغي للصّـدى منهما ولا البثُّ يُـجدي

أنا وحدي في البحر أُرهبُ ملاّحين يخشون هول بأسي وكيْـدي

ظنّـني بعضُـهم إلهةَ بطشٍ تتراءى على الخضمّ لتـردي

***

قالت الموجةُ التي ما تغالت أنتِ يا أُخت تفخرين كفرْدِ

لا تقولي يا أُخت ذلك مجدي أو تقولي يا أُخت أغرقُ وحدي

نحن يا أُخت موجتان ببحرٍ واحـد النبع والمدى والحـدّ

الغرور الأثيم يفسد مسعا نا، ويطوي هذا الوفاءَ التحدّي

فتعالَيْ معي نحـــدّد مرما نا، ونسعى الى الوصول بودّ

غايتي غايةٌ سعيتِ اليها ذاك عهدي، ولست أنكثُ عهدي

***

فكرةٌ صادفت هوًى فاستعدّا لهجومٍ على سفينة صيْـدِ

ساقها والرجاءُ يحدوه صبًّا دٌ يسعى سعْيَ الدؤوب المُجدِّ
رزقه فوق راحة الغيب كنزٌ رَصَدَتْهُ الأقدار أحرص رصدِ
هادئٌ هانئُ الفؤاد رضيٌّ يبذل العمر بين كدْحٍ وكدِّ
البنون الجياعُ يرجون منهُ عودة الوالد الحنون المفدّي
بيد أن المقدور يمضي سريعاً حيث يقضي بصوْلةِ المستبدّ
لم يكن عالماً بما خبأتْهُ نيّةُ الموج في انحسارٍ ومدّ
والقضاءُ السريعُ يبرمُ أمراً ليس فيهِ لدى الرّدى من مردِّ
صرّح الهول بالفجيعة فاربدّ لها الجوُّ كالعدوِّ الألدّ
ومشى العاصفُ الغصوبُ يدوّي فكأنَّ الخضمَّ غابةُ أُسدِ
وعلتْ موجةُ الغرورِ فألقتْ بالسفينِ الضعيفِ من مثل طودِ
وطغت أُختها تكشّر عن نا ب المنايا لحائرٍ دون رشدِ
ورمتْ جثةَ الغريق الى الشطّ هموداً من بعد عزمٍ وجدّ
وضلوعُ السفين يقذفها المو جُ حطاماً في كل صوبٍ وبُعدِ
وعلتْ ضحكتان أرهب صوتاً من ضجيج الوغى ومن قصفِ رعدِ
وانثنى الموجُ بعد ذلك كالنشـ ـوان يمضي الى حماه بجهدِ

***

صورةٌ للحياة في كل آنٍ هزلها ينطوي على شرِّ جِدِّ
روّعتها الخطوبُ في كل يوم بالعداء المريع من كل وغدِ
ونفوس الورى طبائع شتّى لم يزل داؤها المروّع يُعدي
وصراع الحياة من عهد (هابيل) نداءٌ من القويّ الأشدّ
عبثاً تصلحُ النفوس وفيها بذرةُ الشرّ وانتواءُ التعدّي

الرياضة بالرتع [1]

بقلم الدكتور شوكت موفق الشطي

تعد الألعاب من أفضل الطرق وأحسن الوسائل لتربية البدن وتقويم العقل وكبح جماح العاطفة بها تنشط ملكات الابداع والتخيل وتتنبه قوى التفكير والتعقل وتقوى مزايا الصبر والحزم وتتأصل صفات الاعتداد بالنفس والثبات وبها ينعم اللاعب بلذة الربح الذي أحرزه بعمله وحسن تدبيره وتتحفز همم الخاسر ليفوز في الألعاب المقبلة فاذا أتيح لبعض المتبارين الغلبة كان ذلك ثمرة عنايتهم ونتيجة إتقان تمرينهم وسوف يكون ذلك أمثولة للمغلوب فيتنبه الى مواطن الضعف فيه او ينبه اليها فيصلحها وقد تكون له الغلبة حين معاودة الكرة. وهكذا يتنازع اللاعبون اكليل الفخر وصولجان الظفر. ويجب أن ينعم باللعب الغالب والمغلوب على السواء لذلك كان على اللاعبين ان يعدّوا ميادين الألعاب مسارح رياضة شريفة تحسّن الخُلق فيظهروا فيها آثار التعاطف والأخوة وعليهم أن يجتنبوا المنافسة الخسيسة التي تذهب بشرف الغاية التي يرمي اليها الرتع بأنواعه. ومن ذلك ان تُحل الخصام بدلاً من الالفة والوئام

تتنوّع باللعب الحركات وتختلف الأوضاع والوضعات ويعقب فيها الحركة المتعبة سكون مريح ويتناوب العمل عضل الجنب والخاصرتين والساقين وعضلات الكتفين والذراعين وتتناسق وظائف الحس العضلي والموازنة وتقوى أعضاء الحواس وتنشط جميع أقسام الجسم دون استثناء. وما الألعاب الاَّ مجموعة من حركات غريزية نافعة تساعد الطفل على ان ينشأ قويّاً نشيطاً وتمكن الشاب من اشتداد ساعده وتوفر قوته وتهيء للكهل وسائل الاحتفاظ بقوة شبابه وتمنع عن الشيب الهرم وكذلك يعد اللعب من مستلزمات الحياة

وتؤدي المنافسة بين اللاعبين الى اظهار كوامن الاستعداد الجسمي وباطن النشاط العقلي فتتحفز همم البليد الخامل والكسول الماطل ويمكن ايجاز ذلك بالقول ان الالعاب هي أيسر

---

(١) الرتع هو التنعم باللعب واللهو به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطرق لتربية الاجسام ولا سيما أجسام الاطفال وأجزلها نفعاً وأكثرها قرباً من الطبيعة وملاءمة لقواعد حفظ الصحة ولذلك تعَدُّ الألعاب في مدارس انكلترا رياضة الاطفال الاساسية فالالعاب على ما يقول فروبيل تفتح أمام الطفل سبل الترقي والتقدم والقوة

ان الأولاد ميالون بفطرتهم الى اللعب ما لم يعقهم عائق. واللعب في الحدائق والعراء أنفع من الرياضة في البيت لانهُ يجمع بين حسنات تحريك الاعضاء ومحاسن استنشاق نقي الهواء ويعد المرح في الرتع أعظم منشط للجسم والنفس ولا يخفى ان الخبر السار المفرّح والتفاؤل بالخير يحولان احياناً حالة المريض من سيء الى حسن أو من حسن الى أحسن وقد اتضح من البحث الدقيق والتقصي العميق ان عمل التنعم في مراكز الجسم العصبية عظيم ونفعه أكيد وعميم تقوى بتأثيره المبادلات الحيوية فتنشط أجهزة الهضم والدوران والتنفس وتزداد القدرة الحيوية

يفعل السرور في إظهار قدرة الخلايا العصبية الكامنة فعل السلك المكهرب في اظهار قدرة المكثف الكهربائي الكامنة ويمكن تشبيه قوة الجملة العصبية والغدية الكامنة به . يقدح الرتع والتنعم به زناد هذه القوة فتظهر ويؤدي ظهورها الى عودة النشاط الى الجسم فالشعور بالسعادة والرضى . ويشبه أحياناً عمل الرتع والتنعم باللعب عمل رش الماء البارد على وجه المغمى عليه وتنبه كوامن قوى أجهزة الدوران والاعصاب والغدد فيه

وكثيراً ما يكون نحول جسم الانسان غير مصاحب لاضطراب في بناء الأعضاء ووظائفها بل يكون سببه اهمال الرياضة واللعب في الهواء الطلق . ومن الخطأ المسارعة في مثل هذه الحالة الى وصف العلاج فقد يكون ضرره أكبر من نفعه . على ان الرتع كفيل بالشفاء لأنه يبدل طراز المعيشة فيحسنها . ويولد السرور باللعب وحركاته نشاطاً غريزيًّا تبنى عليه دعائم الصحة والقوة

ومن الواجب ان لا تفرض الرياضة بقسوة وغلظة وان لا يكثر المربي أو المعلِّم او المرشد من اصدار الأوامر وتكرار النواهي رغبةً منهُ في اظهار سلطانه وتوهماً في بسط نفوذه واظهار سيطرته لأن ذلك يقلب اللعب من هناء ومرحٍ الى شقاء وترحٍ

وعليه أيضاً ان يمتِّع اللاعبين بالحرية في لعبهم على أن يراقبهم ليحول دون شذوذهم في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قواعد اللعب دون حدوث مشاكسات بينهم وان لا يكرههم على اللعب اذا كانوا غير راغبين فيه خاصة الأولاد ولا سيما البنات فان نفوسهنَّ تأبى الانقياد للضغط في اللعب ويعدونهُ حينئذٍ عملاً مرهقاً فتضيع الفائدة المرجوة منه . لقد كان اللعب في كثير من الاحيان مرشداً الى توجيه الأولاد شطر ما يستطيعون النبوغ فيهِ ويكونون أفذاذاً . فذاك نابليون الذي علمته أمه كيف يحمل في يمناه سيفاً خشبيًّا ويهجم على أترابهِ الصغار أصبح من كبار قواد العالم . وكذلك ولنغتون القائد الشهير فقد قال عن نفسهِ أثر انتصاره في معركة واترلو ان ساحة الألعاب المدرسية واللعب فيها كانا من أسباب ظفره

ان اللعبة الصغيرة التي يمارسها الطفل قد تكون من جملة الوسائل التي تقود الى النبوغ والعبقرية في مختلف مناحي الحياة فلا غرو بعد ما بيّنا ان يعد اللعب مدرسة تنتج أعظم الرجال

وتوجد ألعاب ورياضات صالحة لأكثر مراحل الحياة نسميها رياضات العمر ومنها ما يصلح لأعمار خاصة . ونذكر فيما يلي حكاية رياضية تصلح لأطفال تختلف أعمارهم من ثلاث سنوات الى سبع سنوات

قصة احمد والذئب

يجتمع الأولاد حول المرشد او المربي فيقص عليهم قصة تسترعي انتباههم وتمتد مدة سردها من ٢٠ — ٢٥ دقيقة ويأتي المرشد خلال ذلك بحركات مرنة لأعضاء البدن يتطلبها سير القصة ويقلدها الأطفال بانتباهٍ ودقةٍ . وعلى المرشد او المعلم ان يخلق جوًّا من المرح يستأنس بهِ طلابه الصغار فيبدأ حديثه عن أحمد والذئب راوياً

كان احمد غلاماً كريم الخلق محبًّا للخير يلبس ثياباً نظيفة ويستر رأسه بقلنسوة لطيفة ولكنهُ كان مغروراً لا يأبه لوصايا من هو أكبر منهُ فأوقعهُ ذلك في ورطة كادت تهلكه لولا ان الله عزَّ وجل منَّ عليهِ بالنجاة. وذلك ان أمه كلفته أن يوصل قطعة من الخبز وآنية صغيرة من الزبد الى جدته المريضة المقيمة في دار واقعة في طرف الغابة وقد نبَّهت عليهِ بأن لا يضيع الوقت سدًى وأن يمشي مشياً رويداً [١] فيضع الغلام قطعة الخبز تحت ذراعه الأيمن ويحمل وعاء الزبد على رأسه ويمسكه بيده اليسرى [٢] . يشعر بعد مدة بالتعب لذلك

(١) يمشي المعلم بهوادة ويتتبع الاطفال خطاه مقلدين سيره (٢) يقوم المرشد بهذه الحركة ويقلدها الاطفال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

يبدل الذراع اليسرى بالذراع اليمنى مراراً [١] ثم يثقل عليه حمله فيعمد الى الراحة وبينما هو يهم بالجلوس على الارض يرى زهرة جميلة فيقتطفها [٢] ثم ينهض فيشاهد زهرات أخرى جميلات فيقتطفها أيضاً واحدة بعد أخرى ويؤلف منها طاقة جميلة زكية الرائحة فيشمها شماً عميقاً [٣] ثم يدخل الولد في الغابة مخالفاً أوامر والدته ويمشي بين نبت طويل [٤] وبينما هو كذلك يسمع صوتاً غريباً فيصغي اليهِ ويوجه أذنه بيده الى جهة الصوت [٥] فيتضح لهُ ان الصوت صوت ذئب فترتعد فرائصهُ من الخوف ويود أن يطير [٦] كما تطير العصافير لو كان لهُ جناحان يمكنانه من ذلك ويرجو من الله أن يكون في الغابة حطّاب لينقذه فينادي مستنجداً [٧] وتحدثهُ نفسهُ إذ ذاك عن خبث الذئب وعما يعملهُ بالحملان والنعاج فيدفعه خوفه الى الركض والاختفاء وراء الاشجار [٨] ولكن الذئب يتابعه ويدانيه فيأخذ الولد حجارة من الارض ويقذفها على الذئب [٩] ثم يولي احمد وجهه شطر دار جدته فيصلهُ مذعوراً وجلاً ويدرك الذئب حينئذٍ ان فريستهُ قد أفلتت منهُ فينساب في الغابة بين الاشجار . يقص احمد على جدته ما وقع لهُ فتهنئهُ بالسلامة والنجاة وترشده الى وجوب اتباع نصائح أمه وتبيّن لهُ ان ما أصابه قد وقع لانهُ خالف وصاياها

ويناسب الأطفال بين السنة الثانية والرابعة من العمر ألعاب بسيطة كدفع عربات صغيرة متحركة والسير في الحدائق واللعب بألعاب سهلة التنظيف مصنوعة من المطاط او الخشب مصبوغة بألوان عديدة تمثل الطيور وأنواع الحيوان المألوفة . ويجدر بالأم او المربية تلعيب الاطفال الصغار واللعب معهم كأن تمثل الأم مع اولادها قطاراً وغير ذلك من الألعاب البسيطة او كأن يعلم الصغير اتخاذه العصاة الصغيرة حصاناً يركبه أوأن تعلّم الطفلة طيّ القماش

---

(١) يبدل المرشد يده كما تقتضيه القصة ويعمل الاطفال مثل حركاته (٢) يثني المعلم ساقيه كمن يهم بقطف الزهور والجلوس على الارض ويقلده الاطفال (٣) يقلد الاطفال ذلك ويقومون بالحركات نفسها ولا يخفى ان الغاية من الحركة الاخيرة تمرين الجهاز التنفسي والقوصرة الصدرية (٤) يمشي المعلم رافعاً ركبتيه شأن من يسير في الحقول بين واحات النبت الطويل ويمشي طلابه مثله (٥) يوازن الاولاد أثناء ذلك بين الحركات التي يقتضيها الانتصاب على الساق اليسرى بينما تكون الساق اليمنى منثنية الى الوراء ويكون الجذع معطوفاً الى الجانب ويضع كل من الاولاد يده اليسرى على أذنه اليسرى كما يفعل من يوجه أذنه شطر صوت آت من بعيد (٦) يقفز المربي على الارض مقلداً العصفور ويقفز الاطفال مثله (٧) يدعو ذلك الى شهيق قوي (٨) يركض المعلم ركض الفار مسافة ٢٠ — ٣٠ متراً ويتبعه الاولاد في ركضه (٩) ان في قذف الحجارة بهذا الاسلوب تمريناً للايدي وتعويداً على اصابة الهدف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

واتخاذه كعروس تسميها وتلبسها وتحاكيها . وكثيراً ما تدفع غريزة الأطفال في هذه السن الى التشبه بمن هو اكبر منهم فان كان الطفل انثى تشبهت ببعض اعمال امها وقلدتها وان كان ذكراً تشبه بأبيه ويناسب الأطفال بين السنوات الرابعة والثامنة التنزه في الحدائق وانواع المبادحة[1] الخفيفة واللعب بألعاب متحركة تقبل الحل والربط او الهدم والبناء ويجب ارشاد الاطفال ومساعدتهم في عملهم لتنمية غرائزهم واستغلالها لمصلحتهم . وعلى المربي ان يتخذ من رغبات الاطفال سبيلاً الى معرفة اتجاههم . وعليه ان يشاركهم في ألعابهم وان يساعدهم على اتمام ما عجزوا عنه من اصلاح ما افسدوه او اكمال ما نقصوه . ويجب عليه ايضاً ان يجيب على أسئلة الاطفال فانهم محبون للاستطلاع ولذلك شأن كبير في تعليمهم . ويشعر الطفل بسرور زائد في معاشرة أترابه واللعب معهم ولذلك ينبغي استثمار هذه الناحية في غرائز الاطفال ومساعدتهم على القيام بألعاب يلعبها عدد كبير منهم تنمي حواسهم واجسامهم . ومن هذه الالعاب لعبة الغمامة التي تعد من أحسن الألعاب لانها تقوي أجسام الاطفال وتروضها بدون إرهاق وتكسبهم الثقة بالنفس وتعلمهم السعي الى الخروج من المآزق والصبر والاحتمال والتأني ومما يزيد في فائدتها الغناء أثناء اللعب

وقد نظم شاعر الاطفال محمد الهراوي ابياتاً يحسن التغني بها اثناء اللعب وهي قوله

هيا هيَّا نجري جريا
غطِّ البصرا وخذ الحذرا
حاول غلبي بضيا القلب
عقل المرء كلُّ الشيء
أنا في الخلف أنا في الصف
أنا يمناك أنا يسراك
سارع سارع أنت البارع
أدرك ندك تبلغ قصدك

وما قيل عن لعبة الغمامة يصح قوله عن لعبة الذئب والغنم والخروف . يتمكن المربي بالألعاب من ترويض الأطفال جسماً وخلقاً فيشبون أقوياء خَلقاً وخلقاً والسلام

(١) المبادحة : من بدح يبدح وهو اللعب بالكرة وقد ورد ذكر هذه الكلمة في الحديث الشريف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النظام الادبي

بين الحيوانات[1]

يسلم معظم المتعلمين بأن الحيوانات العليا متصفة بالذكاء وان كانت درجته أدنى من درجة ذكاء الانسان . ولكن يندر بينهم من تراه مستعداً للتسليم بأن الحيوانات تشاطرهم قواعد النظام الأدبي الذي يسود الحياة فالنظام الأدبي في نظرهم صفة خاصة بالانسان . ولكن الباحث يستطيع ان يكشف بين الحيوانات ألواناً من التصرف يصح ان تحسب أساساً للنظام الأدبي وأهمها أربعة

١ — ﴿ حق التملك ﴾ ان الحضارة الصناعية راسية على ما يعرف بحق التملك . وجانب كبير من قوانيننا المدنية يدور على هذا الحق . أتستغرب أيها القارىء اذن اذا قلنا لك ان حق التملك معروف عند الحيوانات كذلك وانها تدافع عنهُ ؟

ان حق التملك هذا مشاهد بين الحيوانات من أعلاها الى السمك ولكنهُ على اوضح ما يكون بين الحيوانات العليا . فالطيور مثلاً تدعي حق تملكها للعش الذي تقطنه وللمنطقة التي تجاوره كذلك . وبعض العقبان لا تسلّم لمنافس من العقبان ان يشاطرها المناطق الخاصة بها . أما حق التملك عند القردة فيمتد الى كل شيء له قيمة في نظرها . فالباحث « برهم » Brehm يذكر ان « بابوناً » عني بقصعة من الصفيح لسبب ما فصار يأخذها معهُ كل ليلة الى المكان الذي ينام فيه ويعالجها كأنها ملكه الخاص . والفرديس Alverdes راقب قرداً أسيراً كان يلعب بكرات من المطاط وقطع من الخشب فصار يحنق حنقاً شديداً اذا مسها أحد لأن هذه الأشياء ملكه الخاص . واذا جاز لنا ان نفسر أفعال الحيوانات كما نفسر أفعال الناس صحّ لدينا أن نقول انها متصفة بحسّ التملك وانها تدرك حقها في التملك نتيجة سبقها الى بقعة من البقاع او الى استعمالها شيئاً من الأشياء كحق الغزو او الفتح بين الشعوب

٢ — ﴿ الألم الأدبي ﴾ لا ريب في انك ايها القارىء لاحظت تصرف كلب من الكلاب عند ما أنبهُ صاحبه أو نهره . فهو لا يفر من أمامه كأنهُ يخشى ان يلكمهُ او يلطمه بل يظل قريباً من صاحبهِ أو بالحري يقترب منهُ وفي عينيهِ معنى التوسل وقد يحاول أن يلحس يدي صاحبهِ . فهذا التصرف ليس قائماً على خوف الكلب من العقاب . فعلى ماذا يقوم ؟

وقد قام بين الالمان عالم يدعى كوهلر قضى سنوات في مستعمرة من القردة المعروفة باسم

---

(١) ملخص مقال للكاتب العلمي جيمس لوبا في مجلة هاربرز الاميركية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شمبانزي في جزيرة تناريف ووضع كتاباً جعل عنوانه « عقلية القردة » فذكر فيهِ القصة التالية :

لاحظت في أحد الأيام وأنا أطعم طائفة من القردة مجتمعة حولي ان احدى الأناث تنتزع الطعام من أحد الذكور الضعاف . فنهرتها وضربتها . فتراجعت الى الوراء وصرخت ثم جعلت تحدق بي واذا بها في اللحظة التالية قد رمت ذراعيها حول عنقي ولم تستقر حتى ربتُّ لها على ظهرها . وهذه ظاهرة غير عادية في حياة القردة الانفعالية . فالذي يتأثر بهِ الكلب والقرد ليس الخوف من العقاب الاليم ضرباً أو لكماً بل هذه الحيوانات تصاب اذا ضربتَ أو أقصيت عن جماعتها بألم أدبي هو من قبيل الألم الذي تصاب بهِ اذا قاطعك أو أقصاك من تحب

٣ — ﴿ العطف والمساعدة ﴾ ان السخاء والمساعدة الصادرين من انسان لا غرض لهُ ولا غاية خاصة من أجلّ الصفات الادبية في الانسان وأسماها . وقد لوحظت هذه الصفات عينها في الحيوانات . فالطيور من نوع معين تتصرف بعضها مع بعض تصرفاً لو شاهدناهُ في الانسان لدعوناهُ « الحنان » . ولعلَّ هذه الصفة أي صفة الحنان تبدو على أروعها في الفيلة — بصرف النظر عن القرود . فاذا جرح فيل برصاصة أصابتهُ تهرول اليهِ الفيلة التي على مقربة منهُ لاغاثتهِ . فاذا وقع الجريح ركع بعضها الى جانبهِ فيضع بعضها أنيابه تحتهُ ويلف البعض الآخر خراطيمه حول عنقه بغية انهاضه . ولكن القردة تفوق حتى الفيلة في هذا . ففي الكتب التي وضعها العلماء ودوَّنوا فيها حياة القردة نجد أمثلة عديدة على ذلك ولكننا نكتفي بذكر مثال واحد منقول من كتاب طومانيس في « ذكاء الحيوانات » . وهو ان ذكراً من الحيوان وقع من شجرة فأصيب في معصمهِ . فنال عناية خاصة من القردة الاخرى . وخاصة من قردة عجوز مع انها لم تكن تتصل بهِ بصلة نسب . فكانت قبل أن تبدأ طعامها تأخذ أول قطعة من الطعام تقدم اليها وتعطيه إياها . وقد قال طومانيس انهُ في خلال مراقبته للقردة مدة طويلة لاحظ انهُ اذا صرخ قرد ما صرخة ألم أحاط بهِ جمهور من القردة وأحاطوه بعطفهم ولم يكن من النادر أن يحيطوه كذلك بأذرعتهم كما نفعل نحن الناس بطفل متوجع

٤ — ﴿ الشكر والاعتراف بالجميل ﴾ ومن الصفات الادبية التي تلاحظ في القردة صفة الشكر والاعتراف بالجميل . فالعلامة وهلر الالماني يذكر حادثة أقفل فيها الباب خطأً على قردين فاضطرَّا ان يبقيا خارجه وكان الجوّ بارداً ماطراً . وكانا واقفين أمام الباب ينتظران وعلى وجهيهما أمارات الخوف إذ مرَّ بهما ففتح لهما الباب . ولكنهما بدلاً من أن يسرعا الى الدخول تأخر كل منهما قليلاً لكي يشكر لصاحبه هذا الخير بوضع ذراعيه حول عنقه . ولو كان الغرض من هذا المقال رسم صورة تامة لحياة الحيوانات من ناحية انفعالاتها لوجب أن نقول شيئاً عن حسدها وغيرتها وخوفها ولرأى القراء اذن ما يراهُ العلماء الذين توفروا على درس حياتها من ان هذه الحيوانات أقرب ما تكون الى الانسان من ناحية حياتها الانفعالية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

سر الحياة

حل لغز الامراض وبساطة العلاج

لنقولا الحداد

ظهر في أول الحرب الحاضرة كتاب في موضوع جديد لم يطرقهُ أحد قبل جورج لاخوفسكي العالم الطبيعي الروسي . كتبهُ بالفرنسية لأنهُ مقيم في باريس ومتجنس بالجنسية الفرنسية . وترجمه الى الانكليزية مارك كليمنت وطبع سنة ١٩٣٩ . وسيكون لنظرية هذا العالم شأنٌ كبير في علوم البيولوجيا والباثولوجيا والبكتيريولوجيا والسيكولوجيا

برهن لاخوفسكي Lakhovski بالملاحظات الدقيقة وبالعمليات العملية المحسوسة ان الحياة اشعاع كهرطيسي Electromagnetic Radiation يصدر من الخليات الحيوية في الأحياء من أدق الميكروبات حتى الانسان . وان جميع الافعال الحيوية تصدر من أمواج هذا الاشعاع . وقد اخترع جهازاً سمَّاه Multiple Wave Oscillator لكشف هذا الاشعاع في الخليات الحيوية ولمعالجة معظم الامراض ولاسيما السرطان بحسب نظريته التي لا تقبل الشك عند من يطلع على تفاصيلها في كتابه . وسنبين في هذا المقال ان الخليات الحيوية التي يتألّف منها الجسم الحي تعمل أعمالها الحيوية وتتحرك وتنمو بفعل الامواج الكهرطيسية التي تنفعل بها من الخارج والتي تصدر من داخلها

اذا أخذت بعض أناث الحشرات الطائرة (الفراش) في قفص ، من موضع تولُّدها الى مكان بعيد لاحشرات فيه — كما لو أخذتها من ضفة النيل الى الصحراء مثلاً — ففي اليوم التالي تجد جمهوراً من الذكور قد تجمع حول القفص على الرغم من ان المسافة بين موطنها والقفص بضعة أميال . فكيف اهتدت الذكور اليها ؟ فلا حاسة الشم ولا حاسة السمع ولا النظر تكفي لهذا الاهتداء مهما كانت هذه الحواس قوية . وانما الموجات الكهرطيسية الصادرة من الأناث والتي تصدم نوعاً خاصاً من خليات الذكور في قرونها أو في نتوآتها تكفي لتنبيه الذكور وتوجيهها الى جهة الاناث . يحدث ذلك على نمط الاذاعة والاستقبال في أجهزة الراديو تماماً وبموجات كأمواج الراديو في طبيعتها . بيد ان موجات الراديو طويلة وموجات خليات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحشرات قصيرة جداً ، أقصر من الموجات السينية (أشعة رنتجن) بل تقارب موجات الاشعة الكونية

بفعل هذا الفعل الكهربطيسي الموجود في خليات الأحياء الحقيرة والعليا حتى النباتات يتسنى للطيور المهاجرة أن تهاجر في فصل معين من أوروبا الى افريقيا ومن أية قارة الى أخرى . وما فتىء العلماء يقولون ان هذه المزية في بعض الطيور وغيرها من الحيوانات انما هي غريزة فيها . ولكن ما من أحدٍ فسّر لنا ما هي الغريزة تفسيراً يخرجها من حيّز الغموض الى حيّز الوضوح . بل لا تزال الغريزة لفظة مبهمة لا معنى لها إلاّ انها تسمية لهذه الظاهرة الغامضة وغيرها من الظاهرات غير العقلية في الاحياء . ولكن نظرية لاخوفسكي أبانت لنا ان الغريزة ليست إلاّ هذه الموجات الكهرطيسية المترددة بين الخليات الحيوية كما سيتضح فيما بعد

ومن أمثلة ذلك أيضاً ان تألُّق حشرة الحُباحب في الليل انما هو أمواج كهرطيسية في نوع من خلياتها تقارب موجات النور في الطول وعدد الذبذبات ، أي عد الموجات في الثانية . حتى ان قوة الشم التي تهتدي بها الكلاب الى المجرمين ليست بالحقيقة في حاسة الشم نفسها وانما هي الجهاز الكهربطيسي في خليات من أنف الكلب مختصة بالانفعال بما يصدر من كهرطيسية المواد المشمومة كما ينفعل جهاز الراديو عندك بموجات اذاعية خاصة لا بغيرها حينما توجههُ الى تلك الموجات

وحاصل القول ان خليات جميع الاجسام الحية على الاطلاق انما هي أجهزة كهرطيسية مختلفة القوات الموجية من حيث طول الموجة وعدد الموجات في الثانية (الذبذبات) وكل نوع منها ينفعل بدرجة خاصة من الامواج كما انهُ يصدر ذلك النوع نفسه . كل خلية تصلح أن تكون مذيعة وأن تكون قابلة للمذاع

وكذلك ما يسمونهُ تلبثي Telepathy (توارد الخواطر) انما هو من هذا القبيل أيضاً — أمواج كهرطيسية خاصة تصدر من خليات دماغ واحد فتصدم خليات دماغ آخر قابلة لتلك الامواج فتحرك فيهِ فكراً يشبه الفكر الذي سببها في الدماغ الأول

الاشعاع

وقبل ان نفصل هذه الاجهزة في الخليات الحيوية نشرح للقارىء بأخصر ما يمكن ما هو المراد بالاشعاع Radiation الكهرطيسي — أي الكهربائي المغنطيسي — وهو من طبيعة الاشعاع الذي ألفهُ الناس في الراديو . فجهاز الاذاعة يطلق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في الفضاء موجات لا هي كهربائية فحسب ولا هي مغنطيسية فحسب بل هي كهربائية مغنطيسية مندمجتين معاً . فاذا صادفت جهاز راديو مفتوحاً على نفس درجة تلك الموجات تأثر الجهاز بها وإلاّ بقي صامتاً . هذه الموجات هي ذبذبات موجية في الاثير تنتشر في الفضاء الى مدى لا نهاية له وكلما ابتعدت عن المصدر ضعفت قوتها بحسب مربع البعد . فهذا الانتشار هو ما نسميه اشعاعاً Radiation . وهذه الموجات تختلف بطولها وقصرها . ومهما طالت أو قصرت فهي تندفع بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية . ولذلك كلما كانت الموجة قصيرة كان عدد الموجات (الذبذبات) في الثانية كثيراً وكلما كانت طويلة كان عدد الموجات أقل . وسواء كان هذا أو ذاك فحاصل ضرب طول الموجة بعدد الموجات في الثانية يساوي ٣٠٠ الف كيلو متر دائماً

والعدد المعيّن في كل نوع من الموجات في الثانية نسميه « درجة » والدرجات التي بين العدد الواحد ومضاعفه تسمى طاقماً أو سلّماً كالسلم الموسيقية تماماً . وفي الطبيعة نحو ستين طاقماً أو سلّماً كهذه . ونحن لا نرى بالنظر من هذه الستين سلّماً إلاّ طاقماً واحداً وهو النور المؤلف (اذا انحلّ) من سبعة ألوان رئيسية كما هو معلوم (كالسلم الموسيقية المؤلفة من سبعة أنغام) وأما سائر الطقوم فلا نراها . وانما في امكان الآلات العلمية اشعارنا بها ، وفي امكان الآلات احداث معظمها أيضاً . والسلم النورانية تقع في الثلث الاول من الستين سلّماً . وسلالم اللاسلكي هي السلالم الاولى منهُ . والأمواج السينية أعلى من السلم النورانية . وسلم الاشعاع الكوني هي أعلاها جميعاً

الأشعة الكونية التي هي الطاقم الاعلى من طواقم الاشعاع أو الموجات تسمى « الأشعة النافذة » لأنها أقوى الأشعة في نفوذ الحُجب . فهي تخترق طبقة سبعة أمتار من الرصاص في حين ان الأشعة السينية لا تخترق اكثر من بعض القدم . وهي (أي الكونية) تأتي من مصادر سحيقة في أجرام الفضاء . وقد ثبت ان جانباً منها يصدر من كلف الشمس وهذه الاشعة الكونية تلعب ادواراً عظيمة الشأن في كهرطيسية الخليات الحيوية وليست وحدها تلعب بل لسائر الاشعاع ادوار اخرى ايضاً

كهرطيسية الخليات

نأتي الآن للاجهزة الكهرطيسية في الخليات الحيوية

تؤلف الخلية من نواة في وسطها تحيط بها مادة مائعة تسمى بلازما، وحولها غلاف غشائي وفي النواة اعضاء مختلفة ليس يهمنا منها الاّ خويطات تسمى كروموسوم . وهذه الخويطات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كأنابيب . وداخلها مائع يحتوي على املاح معدنية (منها الحديد) صالحة للتكهرب والتمغنط وجدرانها مواد عضوية —كربوهيدرات— عازلة للكهرباء Insulater اي انها تمنع انفلات الكهرباء منها . وفي هذه الانابيب أو الخويطات النواتية (نسبة الى نواة) تلعب الموجات أو الذبذبات الكهرطيسية أدوارها

تصدم الاشعاعات الموجية من الخارج (كالاشعة الكونية مثلاً) الخويط فتكهربهُ، اي تحدث فيهِ قوة كهربائية مغنطيسية تسمى فعلاً ذاتيًّا Self Inductence فيصدر هو بنوبته كهرطيسية مطابقة بالطول والذبذبة للموجة الصادمة على نفس مبدإ الراديو (ولا محل هنا لتفسير الفعل الذاتي أو الكهربة الذاتية فمن شاءَ فليرجع الى متون الكهربائية أو اللاسلكي) ولكل نوع او أسرة من الخليات درجة خاصة من درجات الأشعاع السابق بيانها ، كما إن لكل وتر في الآلة الموسيقية اهتزازات خاصة تصدر نغماً خاصًّا بهِ

« جميع الاجسام الحية نباتات كانت أو حيوانات تشتمل خلياتها على أجهزة كهرطيسية كهذه تكون في حالتها الطبيعية متوازنة تحت تأثير جوّ من الأشعة الكونية وغيرها المنضمَّة الى اشعاعات داخلية في الخلية نفسها متوقفة على بنيتها وعلى العمليات الغذائية التي تحدث فيها . فاذا كان مدى هذا الأشعاع زائداً أو غير مطابق لاشعاع الخلية الداخلي فلا بد أن يحدث عدم توازن في الذبذبات الموجية وهو امرٌ قاتلٌ أو معطل لخليات الجسم الحي . وقد يمكن أن يحدث هذا الاضطراب التوازني من جراء تغيُّرات في الاشعاعات وهذه التغيرات تحوِّر النشاط الوظيفي في الخليات في حالتي بث الامواج الكهرطيسية أو قبولها الامر الذي يسبب عطل الخلية أو تحوير بنيتها كما يحدث في السرطان » (صفحة ٧٧ من الكتاب)

وحاصل الكلام ان الحياة ليست الاّ ظاهرة تذبذب موجي في نواة الخلية — هي نتيجة الأشعاع . ووجودها يتوقف عليهِ . ومن هذا نفهم بسهولة وجلاء ان الحياة باعتبار انها تَسطابُقٌ في الذبذبات الموجية، يمكن ان تتحور أو تتعدل أو تتلف بأي عامل يفضي الى اختلال توازنها في الذبذبة الموجية ؛ وعلى الخصوص اذا كان سبب هذا الاختلال فعل الذبذبات الصادرة من ميكروب والتي تتغلب على ذبذبات الخليات الضعيفة أو القليلة المقاومة لذبذبات الميكروب نفسه

يمكن القارىء أن يفهم ذلك جيداً من التمثيل بالاهتزازات الصوتية . اذا ضربت على وتر في البيانو جاوبتهُ الأوتار الأخرى الموافقة له في عدد الاهتزازات في الثانية أو المضاعفة لها . واما الأوتار الاخرى فلا تتحرك لان عدم التوافق في الاهتزازات يعني عدم التوافق في طول الموجات كما تقدمت الاشارة . فاهتزاز الوتر الاكثر عدداً في الاهتزاز أو الاقصر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

موجة لا يحرك الوتر الأقل عدداً والأطول موجةً ، أي أن الوتر العالي يسكت الوتر الواطيء النغم وسبب ذلك أن الموجة الهوائية التي صدرت من الوتر الذي ضربتهُ تصدم جميع الاوتار ، ولكن لا يتحرك بها الا الوتر الذي يستطيع أن يطاوعها ، أي انهُ يحرك موجة بطولها أو مضاعف طولها أو نصف طولها . وأما الوتر الذي اهتزازاته تحرك موجةً أطول أو أقصر فلا يستطيع أن يجاري موجات الوتر الذي ضربته فيبقى صامتاً ، وأن تحرك فلا يلبث أن تسكتهُ الموجات المنتشرة من الوتر المضروب

هذا الناموس التموجي يصدق تماماً على كل تموج آخر أثيري كالتموج الكهرطيسي

النزاع بين الميكروب والخلية

فاذاً للتفوق في الذبذبة قيمة في الغلبة بحيث ان الخلية التي تفوق ذبذبتها الموجية على ذبذبات الميكروب مثلاً تكون أقدر على الدفاع عن نفسها . وعلى كل حال الميكروب الذي هو خلية حيّة سواءً كانت ذبذباته الاشعاعية أكثر أو أقل من ذبذبات خليات الجسم الحي لابدّ أن يحدث اضطراباً في التوازن الذي كنّا بصدده . والخلية السليمة التي لا تعود تتذبذب تذبذبها الطبيعي لهذا السبب تضطر أن تعدل سعة موجتها وعدد ذبذباتها ، الأمر الذي لا تستطيعه لأنهُ يستوجب تغيير بنيتها ، وهذا أمرٌ متعذرٌ أيضاً ، ولذلك لا يعود في امكانها أن تقوم بوظيفتها الطبيعية . ولكي يمكنها أن ترجع الى حالتها الطبيعية الصحية يجب أن تعالج باشعاع (صناعي) موافق لاشعاعها في التذبذب الذي يرد لها نفس الطاقة اللازمة وبذلك تعود الى حالتها الصحية الطبيعية

« فهذه المساعدة الاضافية تبطل تأثير الميكروب الضار ، بل يمكن تغيير ذبذبة الميكروب نفسه بفعل ذبذبة الاشعاع المفتعل لمساعدة الخلية على العودة الى صحتها الطبيعية . وبهذا التغيير يختل توازن ذبذبة الميكروب نفسه فيهلك ، لأن للميكروب ، وهو خلية كسائر الخليات ، طبيعة الاشعاع والانفعال بالاشعاع كالخلية الانسانية نفسها

« بناءً على ذلك يكون الميكروب المسمى « كولي باسيل » مثلاً ضارًّا بخلية الجسم الحي لانهُ يغير طبيعة اشعاعها . ولكن اذا كانت ذبذباته مطابقة لذبذبة خلية جسم آخر فلا يضرها لانهُ لا يغير مدى ذبذباتها ولا سرعتها . واما باشلوس التيفوئيد فلأن ذبذباته تختلف في الطول والسرعة عن ذبذبات خليات الجسم الانساني ، بل ان طبيعته الكهربائية مغايرة لهذه لاختلاف ظاهر في تركيبه الكيماوي ، فلابد ان يؤثر على اشعاعها ويغير مدى ذبذباتها . وبالتالي يتغلب عليها ويقتلها » (صفحة ٨٣ من الكتاب)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حروث المرض

فمسألة العلاج اذن ليست قتل الميكروبات في جسم المريض مباشرةً ، بل اعادة الذبذبة الكهرطيسية في خلايا الجسم الى حالها الطبيعية بتأثير مباشر عليها بإحداث اشعاعات مطابقة لإشعاعاتها. وهذا ما اخترع لهُ العلامة لاخوفسكي جهازاً يحدث إشعاعات متنوّعة الموجات بحيث يطلق الاشعاع الملائم لطبيعة اشعاعات الخلايا المريضة حسب مقتضى الحال

وقد وجَّه لاخوفسكي معظم همه الى تعليل مرض السرطان وعلاجه . فهو يعتقد ان السرطان ينشأ في كبار السن كنتيجة لتغيرات أو تنوعات الذبذبات الموجية في الخلايا بسبب التعدُّل أو التحوُّر في تطور الخليات الكهربائية مع الزمن

« ففي الانسجة الشائخة يزداد عدد الجُزيئات Molecules المحتوية على املاح معدنية كالحديد والفوسفور الخ بسبب تكون بعض المواد كالجلوبيولين Globulin وغيره ذي القدرة على تحوير المقادير الكهربائية الثابتة في الخليات وفي الدم . وزيادة الجزيئات هذه تؤثر في قوة مقاومة التيار الكهربائي الداخلي في الخلية . فالتيار الذي يتكوَّن في الخويطات العضوية في نواة الخلية لا يعود مالكاً القدرة الكهربائية المعتادة التي لا بد منها لتوازنه ، لان طول موجاتهِ قد تغير . ولم يعد عدد الذبذبات في الثانية كما كان بل يصبح مختلفاً عن ذبذبات الخليات السليمة الصحيحة

« ومن جهة أخرى يحدث تقسُّم الخليات (الذي هو طريقة التوالد فيها) كنتيجة لازدياد الجزيئات المشتملة على معادن والمشتقة من تكاثر الجلوبيولين وامثاله من المواد العضوية وهذا التقسم (التوالد المشار اليه) يزيد القدرة الكهربائية في الخليات الاخرى ، الامر الذي يحدث اضطراباً في التوازن الموجي (اي عدم التوازن في الذبذبات الموجية) . وحالما يتحوَّر معدل التذبذب الطبيعي او يتغير التوازن المذكور ويضطرب، فبدلاً من ان الخليات السليمة الصحية تنقسم تقسيماً طبيعيًّا ، تنقسم الى خليات سرطانية Neoplastic متذبذبة تذبذباً مخالفاً لذبذبة الخلية الاصلية . وهذه الخليات الجديدة ، تفعل (بالفعل الكهربائي المباشر Induction) في الخليات المجاورة وتحرجها الى تغيير نوع ذبذباتها بحيث تطابق ذبذبات الخليات السرطانية المشار اليها . وهذه تفعل في جاراتها نفس الفعل وهكذا دواليك، فتحوَّل الخليات السليمة الى خليات ورم او دُمَّل سرطاني

« وهكذا يتضح لنا ان السبب الرئيسي في هذا التغيير الخُلَيّي هو التغير في نوع الذبذبات الموجية الاشعاعية (الكهرطيسية) في الخليات السليمة بسبب زيادة الجلوبيولين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المحتوي على قدر من الحديد والفصفور اكثر من اللازم في خليات كانت مستضعفة قبلاً « في سن الخمسين يطرأ على بعض الاعضاء تطورات كيماوية . وبسبب هذا التطور تتطور الخليات أيضاً وتشرع تتذبذب ذبذبات جديدة تخالف ذبذباتها السابقة في الطول والعدد وتوجب على التقسيم الخلي ان يكون سرطانياً على نحو ما تقدم بسطه . وزيادة الجلوبيولين والمواد الاخرى التي تحدث في سن خاصة ، وتغير ذبذبات الخليات الصحية ، وتغير مقدرتها الكهربائية او تبدلها بتاتاً تحدث ليس السرطان فقط بل جميع امراض الشيخوخة » (صفحة ٩٣ من الكتاب)

***

انكشاف سر الشفاء

وفي رأي لاخوفسكي ان الشفاء ، بعد بيان نظرية المرض هذه أصبح مسألة بسيطة . وقد أشرنا فيما سبق الى ان نواة كل خلية تشتمل على مواد مختلفة قابلة للتغير في طبيعتها وفي نسبة بعضها الى بعض كمّاً وكيفاً . وبعض هذه المواد موصل جيد للكهرباء كالأملاح المعدنية وبعضها عازل لها Insulatur كالمواد الدهنية والراتنجية والكولسترول وهي مرتبة بحيث تظهر النواة بها كأنبوبة مصنوعة من مواد « عازلة » ومملوءة بشبه مائع « موصل »

وجميع هذه المواد العازلة قابلة للذوبان عند درجات خاصة من الحرارة متنوعة حسب طبيعة كلٍ منها . وغشاء خيط النواة هو مادة عازلة تذوب عند درجة خاصة من الحرارة مختلفة بحسب نوع المكروب ومتوقفة على طبيعة العناصر المؤلفة منها وعلى نسبيات أجزائها . والدرجة العليا من الحرارة التي تستطيع الخلية احتمالها من غير ان تهلك تتوقف على بنية الخلية نفسها لأن الخلية تموت حين تذوب نواتها . زد على ذلك ان كل نوع من الميكروبات يقاوم الحرارة الى حدٍّ معين . وقد لوحظ ان بعض الميكروبات تهلك عند إحداث حد معين من الحمى اللهمَّ بحيث لا تتجاوز الحرارة الحد الذي يستطيعه الجسم . وإحداث الحمى يكون إما بالتلقيح بالملاريا أو بالكولويدال بحيث يحدث اضطراباً عضويًّا ويحدث حمى رد الفعل . ولكن قد تتجاوز الحمى الحد فيهلك المريض في حين يراد شفاؤه — لذلك لا يعتمد على هذه الطريقة في العلاج

ولكن فلاخوفسكي رأى ان رفع حرارة الحمى الى الحد المراد بلا ضرر يمكن إحداثه باحداث التيار الذبذبي في الخلية بإمرار تيار ذي ذبذبة عالية على الجسم يحدث ذلك بالإحراج Induction . ويظهر ان الجهاز الذي اخترعه يقضي هذا الوطر من غير أذًى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وظيفة هذا الجهاز أن يقوي ذبذبات الخلية الانسانية بإحداث ذبذبة مطابقة لها فتغلب على ذبذبة خلية الميكروب أو خلية السرطان فتقتلها

وكان العلم أخيراً يحاول أن يعالج بعض الأمراض بالكهرباء على غير علم أو غير هدًى من غير أن يفهمنا تعليلاً للشفاء بها . وقد ظهر أخيراً ان هذا العلاج قليل الجدوى أو عديمه لعدم التطابق في الذبذبات كما تقدم شرحه

وكذلك كان الأطباء يعالجون السرطان بالراديوم من غير أن يفهموا كيف يشفيه الراديوم لأنهم لم يستعملوه على قاعدة الاشعاع في الخلية بل استعملوه اعتباطاً . ولذلك كان الغالب في نتيجة المعالجة بالراديوم ان الخليات السليمة تتلف بهِ كما تتلف الخليات السرطانية

وقد ذكر لاخوفسكي حكاية الطبيب الانكليزي الدكتور برسي فورنيفال الذي عالج سرطانه بالأشعة السينية ثم بالراديوم مدةً ، الى أن قضى هذا العلاج على حياتهِ . فكتب قبل وفاتهِ يصف الجحيم الذي كان يعانيه منَ الراديوم والاشعة السينية ، وسخط على الأطباء الذين اشاروا بالمعالجة بالراديوم والاشعة على غير هدًى

وقد جرّب جهاز لاخوفسكي في كثير من المستشفيات فنجح نجاحاً باهراً . واستشفى به قداسة البابا منذ سنة ١٩٣٧ فشفي تماماً . واحتفظ قداسته بالجهاز المذكور في مستشفى الفاتيكان . ولا يزال يستعمل فيه كلما مست الحاجة اليه وقد شفي بواسطته كثيرون

وليس في الامكان الاسترسال في هذا المقال فيما أبانه لاخوفسكي من الظاهرات البيولوجية والباثولوجية التي تنتج من اشعاع الخليات الحيوية . وما ذكرناه ليس الاّ نموذجاً بسيطاً لهذه الظاهرات

على ان لهذا العلاَّمة فصلاً خطير الشأن عن أصل الحياة ونشوءها سنتحين فرصة أخرى لتلخيصه . والذي نراه انهُ سيكون لنظرية لاخوفسكي هذه شأن عظيم في عوالم العلم . وستتنقح به تنقيحاً كبيراً علوم البيولوجيا والباثولوجيا والبكتيريولوجيا والسيكولوجيا وقد تقلبها رأساً على عقب . وسينكشف بها سر الجهاز العصبي ولاسيما الدماغي وتبرز حقيقة العقل من خفائها الى حيز الوضوح

[المقتطف] النظرية بديعة محكمة الأجزاء تستهوي الذهن ولكن المهم أولاً إقامة الدليل التجريبي على صحتها وثانياً هل تفسر مجهولات ثم يثبت البحث أن تفسيرها صحيح وثالثاً هل تكشف عن خفي أو توجه الى الكشف عن خفي ثم يكشف فعلاً ، والى أن تثبت هذه المسائل يجب أن تقابل بحذر علميّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ليس اقليدس وحده المتسلط على الفكر

البديهيات

خليل السالم

قرأت منعماً النظر مدققاً في رد الاستاذ نقولا حداد على العنوان الجانبي الذي أضافه المقتطف لبحث «الهندسات غير الاقليدسية» وأعجبت جدًّا بحماسة الاستاذ واندفاعه في الدفاع عن اقليدس وانتقاده لواضعي الهندسات غير الاقليدسية، وتزييفه لآرائهم وبديهياتهم. فأعاد الى ذهني أسلوبهُ العاطفي قصة رواها الدكتور كيزر أحد أعلام الفلسفة الرياضية الحديثة في معرض حديثه عن الهندسات غير الاقليدسية قال: «زرت استاذاً لامعاً درّس الرياضيات في إحدى الجامعات مدة طويلة، فوجدته على حالة نفسيـة محزنة. كان منزعجاً متهيجاً قلقاً لا يتذوّق طعم النوم والراحة، وقد أنهك ذهنه ببحث مشكلة لم يجد لها حلاًّ. أتدري أسباب قلقه وانشغال باله؟ لقد علّـم هذا الاستاذ هندسة اقليدس سنين طويلة كان خلالها مؤمناً أعمق الايمان بقدسية علمهِ ومحترماً روح فلسفتهِ. وككل مثقف معاصر وكالملايين من رجال العلم الذين سبقوه في القرون الخالية، كان يعتقد ان الهندسة التي يعلمها ليست قضايا منطقية متسقة فحسب، بل كانت وصفاً يقينيًّـا دقيقاً للحيّـز الذي تملأه النجوم. ولم تكن بديهياته قضايا افتراضية وأحكاماً شرطيـة في حقيقتها، بل كانت مفاهم مطلقة واضحة بنفسها والقضايا المبنية عليها حقائق سليمة صحيحة الى الابد. وباختصار كانت هندسة اقليدس معرفة مطلقة عن الحيّـز — حيّـز العالم الخارجي المنقطع النظير

« الاَّ انهُ سمع مؤخراً بالهندسات غير الاقليدسية، فتكشف له ان يقينه المحبب الى نفسه وهمٌ منكور لا يتفرد بأي ميزة خاصة. كان حائراً لأن الحقائق الجديدة أبرزها رياضيون عظماء وعباقرة مبتكرون فلا هو يستطيع ان يقبل ويسلم ولا يستطيع ان ينكر ويرفض ولا سبيل الى التوفيق والمصالحة. خيل اليـه أن أسس الحياة الفكرية قد تزعزعت، وفكر طويلاً وأسرف في التفكير. ولكنهُ هرم بحيث لم يتسنَّ له أن يستوعب الآراءَ الجديدة فشلّ عقله عند المحاولة وقتل بتقدم العلم وطعن بثورة الفكر ... حقًّـا أن أفعال الزمن والمنطق والفكر الخلاق لا تشفق ولا ترحم. انها لا تحترم ما يقدسهُ الناس، فعلى طريقها تتحشرج الاشياء والمعتقدات وتلقى حتوفها، ومع هذا فهي تفضي الى مجد العالم وبعث النور ونموّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المعرفة وتقدم الفهم وسعة الحياة البشرية وتحرير الانسان من قيوده وعبوديته . اهـ »

قد أظلم الأستاذ الكبير ان جعلت وجهاً للمقارنة بينه وبين بطل القصة السالفة ، ولكن الروح المحافظة — التي تميز تاريخ العلم — الواضحة في رد الاستاذ ، وهي التي حملتهُ على التحيز الصريح ضد الهندسات الجديدة تسوّغ لي رواية القصة . ولا أنكر على الاستاذ سبقه الى فهم قضايا النسبية وهي ترمي اقليدس ظهريًّا ولا ترى امكانية تطبيقه تطبيقاً واضحاً على الحيّز المألوف ، ولكنني استغرب ان يفهم الاستاذ معنى البديهيات على وجه فاسد بالنسبة لفلسفة الرياضيات الحديثة الشائعة . وغرض مقالي هذا أن أجلو ما غمض من مدلول البديهية الرياضية وكيف تكون جهود الرياضيين المحدثين — من أمثال واضعي الهندسات غير الاقليدسية — مشروعة نافعة لا تعسف ولا عنت فيها

لا ضرورة لعرض مذاهب الابستمولوجيا (نظرية المعرفة) التي ائتلفت أو اختلفت مع « كانت » في اعتباره البديهيات « فكراً » سابقية » واضحة بنفسها مشتقة من فكرتي الزمان والمكان السابقيتين أيضاً اللتين تبدآن بابتداء العقل وتنشآن معه . فقد كان منطق « كانت » في بحثهِ هذه النقطة دائريًّا لا يؤدي الى نتيجة ايجابية فتأكدهُ من صحة علم الرياضيات جعلهُ يؤمن بوضوح أساساتها الأولى — البديهيات — وانتقل بعد ذلك الى النص بأن صحة البديهية ووضوحها دون برهان ولجوء الى الحسّ والتجربة دليل قوي على اطلاق الحقيقة الرياضية وشمولها وعمومها

كيف نقرر وضوح البديهية وصحتها ؟ ! ربما نقصد بوضوح البديهية الدافع الداخلي الذاتي الذي يجبرنا على اثباتها ، وانكار كل ما يمكن أن يجعل وجود قضية أخرى مناقضة صحيحة ، شيئاً معقولاً . ولكن هذا الدافع النفسي ليس دليلاً قاطعاً ، فتاريخ الفكر البشري يقطع قطعاً حاسماً بان قضايا كثيرة كانت تعتبر واضحة بنفسها ثم أبطلها العلم وأثبت فسادها وبطلانها . ان الطبيعة تكره الفراغ ، ان لكل سطح وجهين . . . هذان الحكمان قد نبذهما الفكر مع انهما كانا في وقت ما حدسين أساسيين واضحين بلا برهان . . .

اذن لا نعدم سبيلاً الى البرهان بأن مثل هذا الوضوح نسبي يعتمد على ثقافة الناس ومستوى علمهم فلا يمكن أن يكون واضحاً لنفر من الناس وأن يكون حقائق مبهمة مستغلقة لنفر آخر . وفهم قضية ما أو ادراكها ، غير الحكم بصحتها وانطباقها على حقائق الكون الاخرى . ولعل أقوى الادلة على عدم صحة البديهيات ووضوحها الوضوح الكافي هو امكان وجود بديهيات أخرى مناقضة لها تفي بالغرض وتؤدي الى نتائج منطقية معقولة يمكن أن يكون لها في الكون تطبيق دقيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ودارس تاريخ هندسة اقليدس يجد بسهولة ان عدداً كبيراً من نظرياته عرف قبلهُ وان مهمة اقليدس انحصرت في وضع تلك النظريات في نظام منطقي منسجم منسق . فوضع البديهيات التي بني عليها هيكلهُ الخالد . فاذا كانت النظريات قد سبقت البديهيات فكريًّا أفلا يكون من التحيز الباطل الظن بأن المقدمات أكثر يقيناً من النتائج ؟

ان هذه المقدمات فروض كالفروض العلمية التي تخدم غرضاً مخصوصاً . فصحة الظواهر الطبيعية لا تعتمد على الفروض وانما يصح العكس في أكثر الاحيان إذ ان ارتفاع نسبة الاحتمال في صحة النظريات أو الظواهر العلمية يستتبع شمول تلك الفروض وقبولها الاجماعي

هل البديهيات صحيحة في عالم المادة ؟ ان الجواب على هذا السؤال لا يعني فلسفة الرياضيات التي توجه همها الى الشكل المنطقي وقد بينا استحالة تقرير بعض القضايا بمجرد النظر في مضمونها. وقد كان في الوسع أن لا نشير الى هذا السؤال لولا ان قضية زوال اقليدس عن عرشه تضطرنا أن نورد جواب هذا السؤال من كتاب « هندسة الكون بحسب ناموس النسبية »

يقول الاستاذ نقولا حداد في ص ١٤٠ من هذا الكتاب : « كان العلماء منذ القديم الى أن بزغ فجر نظرية النسبية يذهبون الى ان الهندسة التي ضبط اقليدس قضاياها خاصة من خواص الفضاء وغفلوا عن نظرية ان الفضاء بغير المادة هو العدم بعينه ولا هندسة في العدم — غفلوا عن هذه النظرية واعتبروا الفضاء وجوداً حقيقيًّا ذا ثلاثة أبعاد (الطول والعرض والعمق) واشتغلوا بالهندسة بناءً على هذا الاعتبار من غير نظر الى المادة التي تشغلهُ بل اعتبروا المادة خاضعة لاحكام هذه الهندسة حتماً »

وفي ص ١٤٥ « اذن يجب أن نعدل عن كونه (أي الكون) قرصاً مسطحاً مستوياً تنطبق عليه هندسة اقليدس أي هندسة الخطوط المستقيمة. وفي ص ١٤٧ « . . . أن هندسة اقليدس لا تصلح لكون محدب كهذا ولا بد له من هندسة خاصة به — هندسة اقليدس تصلح لفضاء خالٍ من المادة تستطيع أن تتصور فيه الخطوط ممتدة بحرية حيث تشاء ولكن الحيز المادي الذي نحن بصدده تتوقف هندستهُ على مادته . فمادتهُ ، لا هو ، تتحكم بهندسته . ومادتهُ قد جعلتهُ محدَّباً فأصبحت الخطوط التي تمتد فيه على أقرب مسافة بين نقطتين محدَّبة حتماً كتحدبه

هذا هو معنى قول النسبيين : ان كوننا المادي ليس اقليدسيًّا أي ان قضايا هندسة اقليدس لا تنطبق عليه فلا مجموع زوايا المثلث فيه قائمتان ولا زوايا المربع فيه تكون دائماً قائمة ... اهـ »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والجدال في معنى البديهيات لا يتناول الاشياء الحسية — لا يهتم بسكة الحديد او حدود منضدة مستطيلة او مثلث كبير مرسوم على الارض بل يتناول مخلوقات الفكر المجرد المستقل عن الاجسام المادية . ولذا يهز الفيلسوف الرياضي كتفيـه استخفافاً بالنص على وضوح البديهيات ويرى في التجربة العملية التي تقرر فساد هذه النظريات أو تلك جهداً ضائعاً لا يصل الى الأعماق . يسمي « هويتهد» البديهيات « شروطاً هندسية »فاذا ما اخترنا قائمة بعينها من هذه الشروط نكون قد رتبنـا جسماً هندسيًّا كاملاً غير منقوص . لأن الشروط الاولى تتضمن في تضاعيفها وطياتها النظريات او النتائج التي نكتشفها بالضرورة عند استعمال قوانين المنطق المطلق . ولعلَّ أجمل عمليات الفكر وأبلغها في الروعة والسمو هو التغلغل في مضمر تلك الشروط وكشف النقاب عن قضايا جديدة لم تكن صريحة الوجود ولـكن وجودها تابع ضمني لوجود تلك الشروط

ومن هنا ندرك استحالة الوصول الى حل بعض المشكلات الاقليدسية كتثليث الزاوية مثلاً ، ذلك ان الشروط التي قيد بها اقليدس نفسه لا تتضمن في ذاتها امكان الحل ولـكي يتسنى لنا تثليث الزاوية يجب ان نتحلل من تلك القيود ونلجأ الى شروط جديدة لا ترى ضرورة استعمال الخط المستقيم وحده

والرياضيات — كما يقول « بيري » — علم افتراضي استنتاجي فنحن عندما نفكر رياضيًّـا لا نحتاج الى كميات ومقادير وأشكال هندسية لتكون موضوع تفكيرنا ، بل نفكر بطريقة مستقلة عن الاشياء الحسية وكل محاولة لاكتشاف علاقة التضمين بين قضية وأخرى واستنتاج واحدة من أخرى هي أصدق المحاولات للتفكير رياضيًّـا .

وللهندسات غير الاقليدسية منزلة رياضية لا تختلف عن منزلة هندسة اقليدس . ولبديهياتها الأولية من الصحة المنطقية ما لبديهياته . وأقوى دليل على هذا ان هندسة «ريمان» وجدت من التطبيق العلمي الصحيح على حيّز المادة ما أزرى بهندسة اقليدس أفتكون جهود «ريمان» بعد هذا عنتاً لا موجب له ، أو تكون تلك المحاولات العبقرية التي انصرفت نحو برهنة البديهية الخامسة والتي بعثت النور أمام الـكشف الجديد تعسفاً وجهداً لا طائل تحتهُ ؟

لقد وضع « هلبرت » — الرياضي الشهير — كشفـاً باحدى وعشرين بديهية وخمسة حدود مبهمة واستطاع ان يستنتج منها كل نظريات اقليدس ، اما فبلن Veblen . فقد تضمنت قائمته اثنتي عشرة بديهية وحدين مبهمين فقط ومع ذلك فقد وفت بالغرض عينه . وكان يمكن أن يتحدث نظام اقليدس المنطقي عن النجوم أو الحركات الصوتية أو الألوان ومع هذا تبقى له سلامة التضمين واستقامة المنطق ، ولا يقصد الرياضي هدفاً غير هذا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتتغير البديهيات طبقاً لرغبة الباحث ، وتتغير معاني الحدود الأولى وفقاً لهواه . فرياضيات النسبيــة لا تتناول الزمان والمكان كما نعهدهما ، بل هي وصف رمزي لنظام تتعلق اجزاؤه بعضها ببعض على شكل مخصوص . وكان من عجيب المصادفة وغريب الاتفاق ان وجد ذلك النظام الرمزي تفسيراً له في حقائق الكون بحيث استطاع ان يتنبأ بظواهر جديدة ويقدم للانسجام الكوني صورة أدق وأضبط

نحن ننشأ اقليدسيين ، فالبشرية تدرس هندسة اقليدس منذ الفي عام . ولم يأتِ يوماً ما عالم دعا الى هجر هندسة اقليدس ووضعها على الرف ، بل كل المراجع العلمية المحترمة تفرض تعميم تدريسها في كل مدارس الدنيا ، ويستعمل نظرياتها المهندس والملاح والبنّاء الخ . ولكن لنتساءل : ترى لو قدر «لريمان» ان يظهر قبل اقليدس أفلم يكن ممكناً أن يتوصل العلماء منذ ذلك العصر السحيق الى تبسيط عملياته الحسابية واستخدامها في الاغراض العملية ؟ ولو ظهر اقليدس بنظريات جديدة وبديهيات جديدة أفلم يكن رد الفعل مشابهاً لما نراه اليوم ؟ أو لا يكون المرجح حينئذٍ اننا نرفض هندسة اقليدس رفضاً باتّاً لأنها لا تصلح لوصف حيز المادة الذي نفكر فيه ؟

ان الرياضيات تبيح اللعب بالبديهيات ولا يهمهــا موضوع البحث فلا يدري الرياضي معنى ما يقول ولكنه يحكم ببساطة ان ما يتوصل اليــهِ صحيح لأن استنباط النتائج من المقدمات صحيح . ومنطق الهندسات غير الاقليدســية منطق صحيح ، وتزيد احداها عن هندسة اقليدس انها — من حسن حظها — تنطبق قضــاياها على الحيّز المادي المتحدب . إذن ما هي أفضلية اقليدس ؟ أيكون سبقهُ الى كشف هــذا النظام الرياضي سبباً كافياً لأن يبقى متسلطاً وحده على الفكر متربعاً على عرشهِ غير ممانع في ملك أو منازع في عرش ؟ أليس من الأولى أن ينزل اقليدس عن عرشهِ وينضم الى بقية العباقرة الرياضيين الذين انشأوا للفكر الرياضي هيــاكل خالدة ومحاريب قدسية يتعبد فيها كما فعل هو والذين سيحتكرون المستقبل بمجاراتهم العلم الحديث كما احتكر هو الماضي ؟

ليس معنى نزول اقليدس عن عرشه انهُ أصبح مهملاً موضوعاً على الرف لا فائدة منهُ ولكن المقصود بذلك انه لم يعد وحــده متسلطاً على الفكر البشري ولم تعد أحكامه منزلة وحدها ولم تعد بديهياته واضحة بنفسها ولم تبق هندستهُ النمط الوحيد الفريد من الحقيــقة الرياضية المطلقة .

الحصن — شرق الأردن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كاسحات البحار

كاسحات البحار هي حيتان من نوع القرش يبلغ طولها ٥٥ قدماً وقد يتجاوزها الى الستين وان من بينها ما يزن ١٣ طناً ونصف طن . وعلى الرغم مما يمتاز به هذا الحيوان من ضخامة الجثة فهو لا ينزع الى أذى ، ولا يميل الى نشاط . ولكنهُ شره يريد أن يشبع نهمه لهذا فهو يستعمل مغرزه في تصيد الحيوانات البحرية ذات القشور ، وما اليها ، وان في فمهِ ما يربي على ٦٠٠٠ سن لا يزيد طول الواحدة على ⅛ بوصة . وجسمه مغطى بغضاريف مطاطة سميكة ، يصل سمكها في بعض الحيتان البالغة الى أربع بوصات ، وهذه الغضاريف هي دروع قوية صلبة دونها صلابة الحجر الصلد إن شدَّت عليها عضلات الجلد

ولقد كتب الدكتور بيت — في احدى رحلاته — يقول ان حوتاً من نوع القرش قد دهمته الحراب غير أنها ارتدت كما لو كانت قد ارتطمت في ألواح من حديد . وجاء في وصف حوت من هذا النوع انهُ أطلق عليه نيف وأربعون عياراً نارياً فما بدا عليه أثر ظاهر ، غير أن طلقاً واحداً أحدث خدشاً مستديراً لا قيمة لهُ لأنهُ قذف على مسافة قدمين من الحوت

وفي الحق ، لم يخلق خلق يجمع بين المتناقضات مثل ما يجمع حوت القرش فهو لا يبذل جهداً — رغم قوته الخارقة — يدفع بهِ عن نفسه ولو قذف بالحراب أو وقع في أنشوطة يجرها زورق بخاري ، أو قذف بطلق ناري

وفي ذات مرة استشعر الحوت شيئاً ليس في الحسبان يوشك أن يلم به فراح يدور حول نفسه ويحرك ذيله العظيم حركة بطيئة منتظمة ويجر من ورائه القوارب الصغيرة في غير مشقة ولا عناء ولكن خطافاً صدم رأسهُ فأحدث جرحاً عميقاً فبرز مخه ، فمات من توّه من أثر ما أصاب رأسه

وحيتان القرش لا يغيظها أن ترى شيئاً كبيراً يسبح ، وليس في عقل واحد منها ما يوحي اليه بأن يخاف عمالقة البحر ، لهذا فهو ينطلق على سننه يفتش عن طعام وما في رأيه القاصر أن المدرعة الضخمة ستنحاز نحوه ساعة من زمان ثم تصدمه صدمة قاتلة

وهذا النوع من الحيتان يمتاز بميزات جسمانية تسمو به على جميع مخلوقات البحر ، فما في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جسمه عظم صلب ولكن هيكله يتكوّن من غضاريف أو مواد مطاطة ، ثم هو لا ينضم على حويصلات هوائية — على خلاف ما يوجد في الاسماك جميعاً — ولهـذا فهو ينغمر في قاع البحر ان هو فقد الحياة

وهناك فرق واضح بين حوت القرش وباقي أنواع السمك فجلده الخارجي لا تغطيـه الحراشيف كما في جميع أنواع السمك بل تغطيه طبقة خشنة هي آلاف كثيرة من الاسنان. ولقد أثبتت التجارب ان جلد هذا النوع يحتمل قوة شدّ قدرها ٥٨٠٠ رطل لكل بوصة مربعة وقد تبلغ قوة احتماله — في بعض اجزاء الجلد — نحواً من ٨٠٠٠ رطل لكل بوصة مربعة

هذا النوع من الحيتان يشغل مقاماً سامياً بين أقرانه لأنهُ هو أشهر كاسحات البحار ، وما كان له ان يحفظ مكانه لو لم تهيئه الطبيعة بمجموعة قوية من الاسنان الحادة ، وبقدرة عظيمة على الهضم. هاتان منحتان أصاب منهما نصيباً كبيراً . فأسنانه القوية منغرزة في اللثة ، ومن وراء الصف المستعمل صفّ آخر ينتظر دوره ليقوم بالعمل ، ولهذا فأسنانه — دائماً — في حالة جيدة من الصحة . ثم هو حين يفقد بعض أسنانه لا يعاني ضرراً دائماً . وان أسنان هذا النوع من الحيتان حادة جدًّا حتى انها لتستعمل في الحلاقة بدل الموسى

هذا السلاح المروع — الاسنان — والقوة العظيمة المكتنزة في فكيه ، وقدرته على ان يحرك في سهولة الفك الأسفل نحو البطن ، كل اولئك يكشف لنا — نوعاً ما — عن القوة الخارقة التي تبدو في بعض الأحايين في هذا النوع من الحيتان

وفي مياه استراليا يستعمل صيادو هذا النوع من الحيتان حبالاً سميكة لا يقل قطرها عن بوصتين ، ثبتت في طرفها خطاطيف غليظة من الصلب . هذه الخطاطيف تنفرد ان انغرزت في جسم الحوت . . . تنفرد من أثر ما تعاني من قوة هذا الحيوان ، وقد تنقطع الحبال . وفي بعض الاحايين ينهش الحوت سلسلة تحتمل ضغط ثقل قدره طن . ولقد حدث — مرة — ان حوتاً من هذا النوع عضّ صارياً ، وهو يدفع عن نفسه زورقاً يهاجمه ، فقضم الصاري فقصمه وهو من خشب البلوط الذي سُمْكه ½ ٥ بوصة

وحين تنتهي الاسنان من عملها في الفريسة ، تبدأ عصارات الهضم تؤدي واجبها في المعدة ، هذه العصارات تحتوي على نسبة كبيرة من الحامض الايدروكلوريك لو انصبت على جلد حي لأحدثت به بثوراً يبدو بعدها كأنه حرق حرقاً شديداً

ومن أعجب ما يروى عنهُ ان وزن كبد هذا الحوت يعادل خمس وزنه الكلي على حين ان وزن كبد الانسان لا يزيد على $\frac{1}{40}$ من وزنه . ولقد أجرى ولاس كاسويل تجارب استطاع بعدها ان يثبت ان أسرع طريقة لقتل هذا النوع من الحيتان هي اصابته في كبده

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولا عجب ان كانت معدة حوت القرش شديدة الاحتمال ،عظيمة القدرة على الهضم، تكفي الانزيمات الهضمية فيها لان تهضم المحار في دقائق ، وتذيب العظام الصلبة في سهولة ، وتلين القرون حتى تصبح في قوام الغراء ثم هي تذر الحديد نفسه هشًّا متآكلاً

ولقد وجد الكابتن بنج — في ذات مرة — ثماني حذوات حديدية من حذوات الفرس مع خطاطيف وشوكات . ولو اختبرنا بعض الأشياء التي عثر عليها في معدة هذا الحيوان لوجدناه يستحق في جدارة ، لقب « مخزن نفاية المحيطات » . فهو يبتلع في غير عناء جوالاً من فحم الكوك أو الزجاجات أو ٢٥٠ رطلاً من المرجان واوراقاً ولبنة ملففة في قماش أملس . وهو يستطيع أن يلتهم أشياء كثيرة اذا تحركت شهوته للطعام ولو بملء الفم طعاماً

على أن قدرة هذا الحيوان على ابتلاع الأشياء تبعث على الدهشة والعجب ، فلقد قرر ليتون أن صياداً اصطاد حوتاً من هذا النوع فألفى في معدته كيساً به ثماني زجاجات من (البيرة) وهي لا تزال مسدودة كأن يداً لم تمسها

وأنواع حيتان القرش عديدة منتشرة تعيش في جميع بحار العالم تقريباً، وفي بعض الأنهار. غير أن نوعاً واحداً منها فقط يعيش دائماً في المياه العذبة . وحوت القرش قد يكون عملاقاً يبلغ طوله ٥٠ قدماً وقد يكون صغيراً لا يزيد طوله على قدمين

ومن حيتان القرش نوع يبعث شكله على الضحك ، وهذا النوع يسمى بالحوت الطحان، فجانب ذيله العلوي يتكون من فصوص يبلغ طولها مبلغاً كبيراً ، قد يكون — عند الانواع البالغة — في طول جسم الحوت نفسه

والحوت الطحان ينمو الى عشرين قدماً في الطول ، والى ما يقرب من الف رطل في الوزن وذيل الحوت الطحان يستعمل أحياناً في لمّ الأسماك الصغيرة في كتل متراصة لتكون فريسة سهلة . وقد يتفق اثنان من هذا النوع فينضم ذيل الى ذيل وينطلقان يجمعان معاً أسراباً من السمك . ثم هي تستعمل ذيلها في تناول الاسماك ، فهي تقذف السمك بذيلها الى الفم حتى اذا انفلتت واحدة قذفت الى مسافات شاسعة في الماء من شدة الدفع . والحوت الطحان يهاجم غيره من الحيتان ويجتز منها — بذيله — قطعاً كبيرة من الدهن

وهذا النوع من الحيتان نهم لا يجتزىء بقليل من الطعام ، فلقد وجد في معدة واحد منها قرابة نصف بوشل من السمك المسمى بأبي منقار ، وابتلع واحد آخر ١٩ سمكة من الأسقمري واثنين من الرنجة. على أن الحوت الطحان ليس خطراً على الانسان مثل حوت القرش

نقلها : كامل محمود حبيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أساليب البناء

بين الماضي والمستقبل

— ١ —

لصبحي كحالة

المقدمة

تطغى على العالم اليوم أقسى وأرهب موجة من التخريب والتدمير عرفها في تاريخه الطويل . وقد لا ينتهي هذا الصراع العالمي الهائل إلاّ وتكون ألسنة اللهيب قد نالت بدمارها الآلاف من المدن والقرى وأتت بنيرانها على أروع ما أنتجتهُ الحضارات القديمة فيها من نفيس الآثار وتركت بلا مأوى عشرات الملايين من البشر يبلون البؤس ويقاسون أفظع الشدائد والآلام

وقد يبدو أن البحث عن البناء في هذه الايام السود ، لا يتلاءم وما يكتنفنا من جو قاتم صاخب مشبع بالهدم والتدمير والتخريب . ولكن ليس ثمة ما هو أمعن في الخطإ من مثل هذا الاعتقاد فما لا ريب فيهِ اننا نقف اليوم على أبواب أكبر فرصة للانشاءِ والتجديد قد تمرُّ في تاريخ البشرية . ومما لا شك فيهِ ان العالم سوف يدعى بعد هدوء هذه العاصفة الجارفة لبذل أعظم ما بطوقهِ من جهود للعمل على إعادة تلك المدن المهدمة ، وتشييد تلك الصروح المحطمة ، وإيواءِ تلك الملايين من البشر من منكوبي هذه المأساة العالمية الكبرى خلال أقصر مدة يمكّن منها الفنُّ الهندسي ، والتقدم الصناعي ، وجهد الانسان

فترى كيف يكون شكل هذا البناء الجديد في المستقبل ، وما هي الاتجاهات التي يحتمل ان يتخذها ؟ والى أي حد يحتمل أن تتأثر أساليب البناء بعد الحرب بطراز البناء السائد قبلهُ ؟ وترى الى أي مدى يكون بإمكاننا الاستفادة من أساليب البناء الجديدة في بلادنا هذه ، والى أي حد يحسن بنا التقيد بالقديم منها ؟ أسئلة لا بد انها تخطر لكثيرين ، ولا بد ان يكون في دراستها والسعي للاجابة عنها بعض الفائدة . على ان البحث في هذا الموضوع لا يستقيم اذا لم نعد بنظرنا الى ماضي البناء وندرس بايجاز العوامل الأساسية التي عينت الاتجاهات الخاصة لكثير من أساليبهِ في مختلف الحضارات القديمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والتطورات الرئيسية التي أوصلت فنّ البناء الى حالته الحاضرة . فمن مثل هذه الدراسة الشاملة فقط يمكن ان نستقرئ الاحتمالات ونتتبع تأثير الماضي في الحاضر ، وتأثير الحاضر في المستقبل ، وان نخرج من ذلك كلّه باستنتاجات منطقية عن اتجاهات المستقبل قد يكون فيها بعض الفائدة والطرافة . وهذا ما أرجو التوفيق في الوصول اليه في هذا المقال

أساليب البناء في الحضارات القديمة

شعر الانسان بحاجته الى البناء منذ ان وجد في تقلب الظواهر الطبيعية ما اضطره للسعي وراء مأوى يقيه حرّ الصيف وقرّ الشتاء ويدفع عنه شر الأعداء والوحوش الضارية . وقد بدأ ، اول ما بدأ ، باستغلال الكهوف حولهُ لسكناه . ثم لما ادرك عدم كفاية هذه الكهوف لغاياته شرع في الاستفادة مما في متناول يده من موارد الطبيعة ، من أشجار وتراب وأحجار ومعادن ، ليبني منها بيته ويصنع منها الأدوات التي تساعده في هذا البناء . وقد قضى الانسان الأول حقبة طويلة من الزمن وهو في عهده الأوليّ هذا يجرب الموارد والمواد ، ويختبر فيها المزايا والعيوب ، ويحسّن ويعدّل في أساليب صنعها وطرق استعمالها حتى وصل وهو في العصور الأولى من التاريخ الى تقدم باهر في هذا المضمار يبدو جليًّا رائعاً في الآثار الخالدة التي تركها اليوم للعالم في مصر وسوريا والعراق واليونان وروما وغيرها من مراكز التاريخ القديم

وقد نشأ في كل من الحضارات القديمة التي سادت العالم في العصور السالفة أسلوب خاص من البناء ، له خصائصه ومميزاته ومزاياه ، وله طابعه الخاص به ، وهذا الأسلوب هو في الواقع وليد مختلف العوامل والظروف التي أحاطت بتلك الحضارة في تلك الأزمان

ففي الحضارة المصرية القديمة ، مثلاً ، كان لعقيدة خلود الروح والايمان بقدسية الفراعنة وألوهيتهم الأثر الأول في تكوين الحياة الاجتماعية وتكييف الأسلوب البنائي عند المصريين . وما تلك الصروح الحجرية الاهرامية الجبارة التي يقدر المؤرخ هيرودوتس ان بناء أكبرها قد استنفد جهد أكثر من مائة الف عامل مصري مدة لا تقل عن ثلاثين عاماً طوالاً ، وما تلك المعابد العظيمة في الكرنك والاقصر واسنا وادفو وما فيها من أعمدة ضخمة متراصة وآثار فنية رائعة إلاّ صدًى لتلك العقيدة وترديداً لذلك الايمان

فالاهرام على ضخامتها وعظمتها ، ما أنشئت إلاّ لتكون قبوراً للفراعنة قصد فيها تقليد التلال التي كان يشيدها الانسان الأول ليدفن فيها موتاه . ومعابد الكرنك والاقصر وغيرها ، على ما فيها من جسامة وفن وإبداع ، ما أنشئت إلاّ لتكون مسكناً خالداً لروح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الآلهة تستقبل فيها الهدايا وتقدم فيها العطايا ، وتبذل فيها الضحايا . ولذلك فلا عجب إن هي كلها أنشئت من حجر ضخم كبير يبلغ وزن بعضه نحو مائة طن ، وان أضفي عليها كلها أروع ما عند المصريين في ذلك الزمن من فن وعبقرية . لقد امتاز البناء المصري بالضخامة لأنهم جعلوه رمزاً الى البقاء والخلود . وماذا يهمُّ دهماءَ المصريين ان يبذلوا مثل تلك الجهود البشرية الهائلة التي يقتضيها تحقيق ذلك الهـدف من قطع ونقل ونحت ورفع وبناء لمثل تلك الكتل الضخمة من الصخر ، اذا كان ذلك كله يبذل في سبيل تشييد المثوى الخالد الذي ستأوى اليه أرواح ملوكهم وآلهتهم فتشعُّ عليهم منهُ بركاتها القدسية الى أبد الدهر

وقد أملت الطبيعة حكمها على الكلدانيين والبابليين في العراق استعمال الآجر (أو الطابوق بلغة أهل العراق اليوم) في كل ما شيدوه من بناء . فالمحاجر الصالحة لدى هؤلاء كانت مفقودة ، وشواطىء الفرات ودجلة كانت غنية بالرواسب الطينية الممتازة لصناعة هذه المادة الجديدة . ولذلك ما لبثوا ان برعوا في طرق طبخها وسبكها وتلوينها فأنشأوا منها أبراجهم الاهرامية الضخمة التي كانوا يستعملونها للعبادة ورصد النجوم . وقد كانت هذه الابراج مؤلفة من طبقات سبع بني كلٌّ منها بآجر ذي لون خاص ، وحولها أدراج لولبية كانت جموع الكهنة تصعد منها الى القمة في الأعياد الدينية لعبادة الشمس أمام حشود الشعب الخاشع في الحقول المجاورة من كل جانب . وليس برج بابل الشهير باسم الجنائن المعلقة الاّ واحداً من مثل هذه الصروح العظيمة ، أُوصلت المياه الى أعلاها وأُطلقت تتدفق كالشلالات المنهمرة من الذروة على مختلف الجنبات لتسقي أنواع الاشجار والورود والزهور التي غرست على سطوح طبقاتها فيختلط بريق ألوانها الفضية بألوان الآجر المتنوعة لتنعكس مع أشعة الشمس الساطعة فتلقي في الناظرين أعظم روعة وأجل تأثير . وقد عرف البابليون الزفت واستعملوه لطلاء سقوف منازلهم وجدران بيوتهم لمنع الرطوبة والمدّ في حياة أبنيتهم . الاّ ان يد الزمن مع ذلك قد عبثت بأكثر ما تركوه من آثار فاندثرت معالمهم وعفت رسومهم ولم يبقَ لهم في الأرض الاّ بقايا آثار دلت الباحثين عند ما عثروا عليها في القرن الاخير على مبلغ ما وصلت اليه مدنية البابليين في ذلك الوقت من عظمة وازدهار

وكما ان الأسلوب المصري في البناء عرف بالضخامة والجسامة لرمزهِ الى الخلود ، فان الأسلوب اليوناني عرف في التناسق والتناسب وانسجام الخطوط لرمزهِ الى الجمال . وقد بلغ قدماء الأغريق في هذا السبيل مرتبة من السموّ والكمال لم يصل اليها أحد غيرهم من الامم . ويمكن إرجاع ذلك لسببين : الأول ، نزعتهم الفلسفية التي كانت تسود ذلك الزمن من تمجيد الجمال والسعي وراءَ الكمال في الفن والأدب ومناحي العقل والتفكير . والثاني

مامنحتهُ إياهم الطبيعة من مقادير وافرة من الخشب بدأوا باستعمالها أولاً في بناء معابدهم فسهل عليهم فيها تجربة مقاييسهم الفنية وتغيير شكلها ونسبها الى ان استكملت في نظرهم شروط الجمال وتمَّ لهم منها إيصال فنهم الى حدّ الابداع الذي صبوا اليه . وبعد ذلك فقط ، بدأوا بإعادة إنشاء تلك المعابد من الرخام الابيض فأحسنوا فيها وأتقنوا ، وأسبغوا عليها أروع ما عندهم من ذوق وموهبة وخبرة وإلهام . وقد بلغ من دقة فن الاغريق ما ثبت خلال القرن الأخير بعد الفحص الدقيق من ان معبد البارثنون الشهير في اثينا لا يحتوي على خط مستقيم واحد. لقد عرفوا تأثير خداع البصر فاستغلوه ، وقرَّبوا وبعَّدوا بين مختلف المسافات وأعطوا كافة الخطوط انحناءات بسيطة بحيث تناسب منظرها من بعيد ، وبدت كوحدة تامة ، آية في الجمال والفن . ولم يعمد اليونانيون الى المبالغة في الزخرفة ، فقد كانوا يستسيغون البساطة النسبية . وأشكال الأعمدة الثلاثة التي كانوا يستعملونها في أبنيتهم بين دوريكي وآيوني وكورنثي لا تنمُّ على إسراف في أي زخرف لا تستلزمه وحدة التناسق في المنظر العام

وأما الاسلوب الروماني ، فقد امتاز بإدخال عنصر جديد هام في فن البناء هو استعمال القوس أو القنطرة لتحمل الأثقال . ومع ان الأشوريين سبقوا الى معرفة القوس والاستفادة منها في تغطية بعض المجاري ، الاَّ ان الرومانيين يُعدّون أصحاب الفضل الأكبر في استعماله على نطاق واسع وفي جعله عنصراً أساسيًّا في التقدم الفني لاساليب البناء . فالمصريون والاغريق كانوا يعمدون الى تحميل السقوف وتغطية الفتحات بواسطة أعتاب مستقيمة ترتكز على أعمدة ضخمة . ولذلك فإن الحدّ الاعظم للبعد بين الاعمدة عندهم كان على الاكثر محدوداً ضيقاً لا يتجاوز طول الحجارة والاخشاب التي يمكن ايجادها لتغطية هذه الفتحات . ولكن إدخال الرومانيين القوس في عالم البناء فتح أمام بنّائيهم ميداناً رحيباً لإجراء تعديلات أساسية في أشكالها ولإنقاص عدد الأعمدة والدعائم الى الحدّ الأدنى الذي كانت تسمح به مقدرتهم وخبرتهم الفنية في ذلك الزمن . والرومانيون كانوا على الغالب مهندسين أكثر منهم معماريين . يهمهم في البناء القوة والمتانة والمناعة ، أكثر مما يهمهم فيه التناسق والجمال . ولتلافي ضعفهم هذا في نواحي التجميل ، كانوا كثيراً ما يستعينون بفنّاني اليونان لينحتوا لهم الأعمدة ، ويساعدوهم في إضفاء ما ينقصهم من رونق وبهاء على ما يشيدون من بناء . ولاغرابة ، فالرومان كانوا قوم فتح وتوسع واستعمار . شادوا المدن والأمصار والقلاع ، وفتحوا وعبَّدوا الآلاف من الأميال من الطرق ، وأنشأوا الآلاف من الجسور والمعابر ، وأجروا المياه وعمموا أساليب الري ، وبنوا الأقنية والمجاري . ولذلك فليس من العجيب أن لا يتسع وقتهم الثمين لاتقان فنّ التزيين والتجميل ، فذلك في نظرهم كان ثانويًّا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي مطلع القرن السابع بعد الميلاد بزغ في بطحاء مكة نورٌ ساطعٌ ما لبث ان ازداد تألقه واتسع أفق إشعاعه . فانبثقت منه حضارة جديدة ما عتمت ان عمت القسم الأكبر من العالم المتمدين حينذاك . والفنُّ الإسلامي هو وليد هذه الحضارة وربيب نعمتها . نما بنموِّها ، وازدهر بازدهارها ، وبقي حتى اليوم سجلاً رائعاً لمختلف الصفحات التي مرت عليها

***

والطراز العربي في البناء هو أسمى مظهر من مظاهر هذا الفن . تأثر في اول عهده بأساليب الحضارات القديمة التي اتصل واحتكَّ بها . فأخذ عن الفرس القبة ، وعن الروم القوس ، وعن البيزنطيين تيجان الاعمدة والفسيفساءَ ولكنهُ في أخذه هذا كان مقتبساً ولم يكن مقلداً . فما لبث ان طبعها بطابعه الخاص ، وأعطاها لونه ورونقه ، وكساها ثوبه ولباسه . فالقوس الرومانية المستديرة الجافة مثلاً ، أصبحت بيد العرب مصدر وحي وإلهام . نفخوا فيها الحياة وأخرجوا منها الأقواس المدببة والاقواس ذات الفصوص والأقواس الشبيهة بحذوة الحصان ، ولكل منها أشكال وأنواع استعملت في مختلف المباني فكانت في كل حال آية في الروعة والفخامة

ولم تقف عبقرية العرب عند هذا الحد . فقد افتروا عن ألوان زاهية جديدة من أساليب البناء . فكانوا اول من بنى المآذن والمنائر وتفننوا فيها ، وكانوا أول من استعمل الحجارة المختلفة الألوان في البناء الواحد ، وكانوا أول من أدخل المقرنصات ، ويقول بعض المؤرخين انهم كانوا أول من برز بالشرفات . على ان مبتكراتهم الجديدة في أساليب فن الزخرف لا بدَّ أن تظل معجزتهم الكبرى . فمن خطوط ومنحنيات متشابكة بسيطة خلق العرب فنّاً رائعاً من الزخارف ما زال حتى اليوم يعدُّ آية الإبداع في بهائهِ ورونقه وسحره وعذوبته . ولا بد ان كان لتعاليم الاسلام يدٌ في الأمر . فعبقرية الفنانين التي حيل بينها وبين فنون الرسم والموسيقى والنحت ، ما لبثت ان وجدت مخرجاً لها في فن زخرفة البناء فنبغت فيه وسجلت مآثر خالدة لا تمحى . وقد نتج عن اختلاف بعض مواد البناء وتباين بعض الأساليب المعمارية المحلية في مختلف مراكز الحضارة الاسلامية أن تفرع عن الفن الاسلامي مدارس خمس : السورية المصرية ، والمغربية الأندلسية ، والايرانية ، والعثمانية ، والهندية . ورغم انهُ كان لكل من هذه المدارس ميزات خاصة تفرقها عن أخواتها الاَّ ان طابع الجلال والأناقة واللطافة الذي اشتهر به الفنُّ الاسلامي قد جمع بينها كلها وميَّزها بوضوح عن طابع القوة والقسوة الذي عرف به الاسلوب الروماني . ولعلَّ الفارقَ بين الاسلوبين من

هذه الناحية كان نتيجة مباشرة للفارق بين البيئتين ونفسية المجتمع في الامبراطوريتين

وفي ظلمات القرون الوسطى ، كان القساوسة والرهبان في الغرب يقفون أكثر أوقاتهم وجهودهم على إنشاء الكنائس الفخمة والكاتدرائيات العظيمة ، فيهبونها كل ما أوتوه من مال وثروة وقوة وسلطان . وقد استساغوا لهذه الغاية شكل الباسيليكا الرومانية ، وهو مؤلف من قاعة رئيسية في الوسط وجناحين ثانويين على الطرفين تفصل بينهما أعمدة ضخمة تحمل السقوف المقنطرة ، فاقتبسوه وبنوا بيوت عباداتهم على غراره بعد ان أدخلوا فيه ألواناً رائعة من الزخرف والتجميل . وظلّ هذا الاسلوب الذي يدعى بالرومانسك سائداً حتى القرن الثاني عشر ، حين وجد البناؤون الفرنسيون وغيرهم فيما بعد ضرورة لإدخال تعديلين هامين عليه من حيث الشكل ومن حيث البناء . فكان ذلك أساساً لنشوء طراز جديد عرف فيما بعد باسم الاسلوب القوطي في البناء . أما التعديل الاول في الشكل فكان باستعمال الاقواس المدببة العالية بدلاً من الاقواس الرومانية المستديرة . وكان الداعي اليه رغبة البنائين في زيادة ميلان السقوف قدر الامكان كي يخفّ ضغط الثلوج المتراكمة عليها ويزول عن الجدران او الدعائم الحاملة قسم من عبئها الثقيل . وأما التعديل الثاني فكان في توزيع الضغط الجانبي لأقواس السقوف على دعائم ساندة بنيت خصيصاً على طرفي البناء لهذه الغاية ، بدلاً من توزيعها على الجدران مباشرة كما في الأسلوب الروماني . وقد أدّى هذا التعديل الأخير الى تقدم جديد هام في البناء . فبينما كانت الكنائس المبنية على الطراز الروماني القديم تستدعي إنشاءَ جدران ضخمة الى أبعد حدٍّ ليمكنها مقاومة الضغط الجانبي الذي تحدثه اقواس السقوف عليها ، نرى ان جدران الكنائس القوطية أصبحت في منتهى الخفة والرشاقة لأن عملها من هذه الناحية أصبح ثانويًّا . وبينما نرى ان الظلام والقتام كان سائداً أكثر الكنائس الرومانية لأن عدد نوافذها كان محدوداً جدًّا خشية إضعاف مناعة جدرانها ، نجد ان النور الساطع قد ملأ أرجاءَ الكنائس القوطية لانه لم يبق فيها من مانع فني يحول دون توسيع النوافذ الى أي حدّ يتطلبهُ بُناة الكنيسة . وفي الواقع فقد فتح هذا التوسع في مساحات النوافذ ميداناً جديداً أمام عباقرة الطراز القوطي لصنع أنواع جديدة من الزجاج الملوّن، كانت ميزته الكبرى ان أشعة الشمس تنفذ منهُ دون أن تتأثر بلون الزجاج نفسه مهما تنوَّع . وقد بلغ من نجاحهم في هذه الناحية الخاصة ان العصر الحاضر مع كل ما سجلهُ من تقدم عظيم في صناعة الزجاج عجز عن محاكاة إنتاج صناعة العصر القوطي في هذا الصدد

وقد اشتهر الطراز القوطي عدا هذا بجلاله ومهابته في البناء وجماله وروعته في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزخرف والتفصيل . والكاتدرائيات الضخمة في فرنسا وانكلترا وشمال أوروبا ، ما فتئت تقف أثراً حيًّا خالداً لهذا الطراز تشهد بعبقرية بنائيها وعظمة مبدعيها

وحوالي القرن الخامس عشر نشأت في ايطاليا نهضة فنية جديدة عرفت بعهد الرينسانس ما فتئت أن عمت مختلف أنحاء اوروبا وانتشرت فيها . وقد كان أساس هذه النهضة التجديدية الحديثة إحياءَ كل ما اندثر من فن غابر والعود الى تجديد آداب وفنون الأغريق والرومان وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة وصقلها كلها وطبعها بروح العصر المتجدد وإخراجها للناس فنًّا جديداً ومدنية نيرة جديدة . وقد ساعد في نشوء هذه النهضة آنذاك ظهور فنانين كبار كليوناردو دافنشي وميكايل انجلو ، ورفائيل ، وبرونيلشي وغيرهم من نوابغ فن الرسم والنحت والبناء ، كما ساعدها أيضاً وجود ملوك وأمراءَ ونبلاءَ مترفين كانوا متشوقين للبذل عن سعة في سبيل تشييد أجمل القصور والمباني الفخمة وتزيينها بأبدع ما تنبئه مواهب اولئك الفنانين العباقرة المعاصرين من تصميمات وتخطيطات ورسوم . وكانت النتيجة أن بدأت تظهر في عواصم اوروبا الكبرى سلسلة من القصور الباذخة ، على نمط قصر فرساي الشهير ، منشأة باسلوب الرينسانس الجديد المقتبس من أساليب الحضارات القديمة جميعها وحاملة طابعه الخاص من الاسراف في الزخرفة والزركشة في منظر البناء الخارجي وفي الجدران والسقوف والأدراج والغرف الداخلية أيضاً . وقد ترك طراز عصر النهضة هذا ، الغني بنحته ونقوشه ورسومه ، اثراً بليغاً في عالم البناء خلال العصور الاخيرة ما زلنا نلاحظ ترديد صداه في مختلف انحاء العالم حتى هذا اليوم ، وما فتئ بعض مهندسي وبنّائي وفنّاني المدرسة القديمة يستوحون تعاليمه في كثير مما ينشئونه من أبنية حتى يومنا هذا

ما أردت من هذا العرض السريع الخاطف لمختلف أساليب البناء التي مرّت على العالم في العصور السالفة حتى الآن ، أن أقف عليها طويلاً ، أو أن أتوسع في البحث في مختلف النواحي والتفاصيل الفنية التي امتازت بها كلٌّ منها . فأمر ذلك يطول ، ولا يسمح المجال هنا لي بمثل هذا الاسهاب . وانما قصدت من هذه الدراسة الاولية الموجزة أن ارسم صورة جامعة لمختلف الدوافع والاسباب التي أدّت الى إعطاء كل أسلوب لونه الخاصَّ بهِ . وأن أبيّن أن أساليب البناء لا تنشأ وتنمو وتتغير لهوى في النفس أو تحت تأثير التصادف وانما هناك عوامل وعناصر أساسية يتوقف على مدى اجتماعها واختلافها والتطور الدائمي الذي يطرأ عليها شكل الخصائص والمميزات والمزايا التي يطبع بها أسلوب كل بناءٍ في كل وقت وكل ظرفٍ وكل مكان

[تتمة البحث في العدد التالي]

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نشيد أصدقاء الشجرة

لممدوح حقي

هيّا نغرس نجني أزهاراً وثمارا نبني المستقبلَ أحرارا

أين فرقُ التلعةِ الصلعاء مِن روضٍ مشجَّرْ
يرسلُ النفحةَ بالطيب مع الريحِ المعطّر
نسمةٌ تحتَ الظلالِ الفيح ، بالزهر تعثّر
نعمةٌ يندُبها مَنْ تحت وهجِ الشمس يُصهَر

* * *

هيا نغرس نجني أزهاراً وثمارا . نبني المستقبل أحرارا

الخيالُ العذبُ والحبُّ النديُّ اشتاقَ سِحْرا
والجمالُ الطلقُ مِنْ كفِّ الفنون اشتقَّ سُكْرا
نشوةٌ عُلويةُ النفحاتِ تولي النفسَ بِشْرا
خمرةُ الوحيِ : اعتصارُ الزهرِ في الأرواحِ عِطرا

* * *

هيا نغرس نجني أزهاراً وثمارا نبني المستقبل أحرارا

يتهادى الشجرُ المخضرُّ كالغادات فتنه
كلما هبَّ النسيمُ الرخصُ ، ماجَتْ فيه جنَّه
فعلى الأغصان أعراسٌ ، وفي الأظلالِ جُنه
زَقْزَقَت فيها العصافيرُ وغنّى الطيرُ لحنهْ

* * *

هيا نغرس نجني أزهاراً وثمارا نبني المستقبل أحرارا

منْحَةُ الاشجار : أزهارٌ وأثمارٌ وظلٌّ
وجمالٌ كالربيع الغضِّ حلوٌ لا يُمَلُّ
ثروةٌ للوطن الغالي على الثرواتِ تغلو
فاغرسوا الأشجار واجنوا ، واخدموا الأجيال واعلوا

هيا نغرس نجني أزهاراً وثمارا نبني المستقبل أحرارا

دمشق

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

ظاهرة التلبثي [1]

وما يتبعها من ظواهر

لأحمد فهمي أبو الخير

صاغ العلامة الروحي الشهير الاستاذ مايرز سنة ١٨٨٢ كلمة « تلبثي Telepathy وعرفها بأنها « ايصال تأثيرات من أي نوع كان ، من عقل الى آخر ، بعيداً عن مجاري الحس المعروفة» والعلامة مايرز هذا هو الذي رأت جامعة كمبردج أن تخلد ذكراه بانشائها تلمذة ودراسة للعلم الروحي الحديث

وتتصل بالتلبثي في كثير من الاحيان ظاهرتان أخريان هما « الجلاء البصري Clairvoyance » و « الجلاء السمعي Clairaudience » والجلاء البصري قدرة الانسان على الرؤية بشكل يخالف العرف ، وبدون استعمال الحواس العادية ، فيخترق ببصره الحجب المعتمة ويرى ما وراءها متعدياً حدود الفضاء والزمن . والجلاء السمعي خاص بالتأثيرات الصوتية ، وهو كزميله الجلاء البصري لا يتقيد بأبعاد الزمان والمكان

وكأمثلة للتواصل بالتلبثي البحت أشير بالرجوع الى سلسلة التجارب التي أجراها الاستاذ جلبرت موراي والمستر ابتون سنكلير في انكلترا والدكتور راين في أميركا والدكتور رودلف تشنر في ألمانيا . وهذه التجارب معملية اتبع فيها الاسلوب العلمي وأحيطت بكل أنواع الرقابة العلمية

التجريب العلمي في التلبثي

١ — فأما التجارب التي أجراها الاستاذ جلبرت موراي فنجدها مفصلة كل التفصيل في المجلدين التاسع والعشرين والرابع والثلاثين لصحيفة جمعية البحوث النفسية البريطانية ففي المجلد التاسع والعشرين نجد بياناً لتجارب عددها ٥٠٥ أجريت في المدة ١٩١٠— ٩١٥ ويتناول المجلد الرابع والثلاثون سلسلة أخرى من التجارب عددها ٢٣٦ أجريت في المد ١٩١٦ — ١٩٢٤ ، فيكون العدد الكلي لتجارب الاستاذ موراي هو ٧٤١ نجح منها نجاح

(١) Telepathy

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كاملاً ٢٥٢ تجربة و ١٩٦ تجربة كان النجاح فيها جزئيًّا و ٢٩٣ تجربة كانت فاشلة . ومن بين هذه التجارب الفاشلة ١١٥ تجربة لم يحدث فيها أي اتصال البتة . وعلى ذلك يكون عدد حالات النجاح الكلي والجزئي ٤٤٨ أي ٦٠٫٤ في المائة من العدد الكلي . ولاشك ان لعدد مرات التجارب تأثيراً ، ولكنهُ قد لا يفصح عن القيمة الجوهرية الخاصة للتجارب . فاذا كانت الصور الذهنية المرسلة أشكالاً هندسية بسيطة مثلاً كان من الضروري الحصول على نسبة نجاح مرتفعة حتى يمكن استبعاد المصادفة من حسابنا باعتبارها تفسيراً جائزاً . ولكن حينما يكون الموضوع الذهني المرسل معقداً وغير عادي فان مرة واحدة من النجاح الكامل تكفي لتوطيد الظاهرة . وكثير من تجارب الاستاذ موراي الناجحة كانت من هذا الطراز الاخير

فمن تجاربه المتكررة انهُ كان يترك الحجرة وفيها كثيرون جاؤوا ليشاهدوا التجربة وقت اجرائها ، وكان ينتظر خارج الحجرة في مكان يستحيل عليه وهو موجود فيهِ أن يسمع أو يرى شيئاً مما كان يجري . وكان المجتمعون يقررون الموضوع الذي سيرسل بالفكر . وفي بعض الأحيان كان الموضوع يكتب ويمر على الحاضرين ، وأحياناً كانوا يتحدثون فيه همساً وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يركزون ذهنهم في الموضوع الاّ ان شخصاً كان ينتخب ليكون « المرسل » الرئيسي . وكان الاستاذ موراي أحياناً يستجيب لهذا « المرسل » بعد عودته الى الحجرة بأن يلمس يده في رفق ، على ان ذلك لم يكن ضروريًّا دائماً

وما غادر الاستاذ الحجرة في احدى التجارب حتى قالت مسز أرنولد توينبي وكانت « المرسل » المختار في تلك التجربة « انني أفكر في بداية قصة من تأليف دوستيفسكي حيث يموت في مطعم كلب رجل عجوز » . فلما عاد الاستاذ موراي الى الحجرة قال « إخال الامر مذكوراً في كتاب ، واخالهُ كتاباً روسيًّا . أرى رجلاً عجوزاً بائساً ، وأراه يعمل شيئاً لكلب ميت . ما أتعس حظه ! والرجل موجود في مطعم والناس من حوله يسخرون ، وقد وجموا بعد ذلك وغمرتهم عاطفة رفق وشفقة (سؤال : وما جنسيتهم ؟) إخالهم من نوع الجوركي . أظن ان الجنسية روسية»

***

ويلاحظ ان مسز توينبي لم تقل شيئاً عن القوم الساخرين ، ولا عن وجومهم ثم اشفاقهم ومع ذلك فقد صدق الاستاذ موراي في كل شيء مع انهُ لم يكن قرأ الكتاب

وبين تجارب الاستاذ موراي أمثلة كثيرة من هذا الطراز ، ولكن هذا المثل يكفي لتوضيح القيمة الجوهرية للناجح من تلك التجارب

٢ — وأما سلسلة التجارب التي أجراها أبتون سنكلير بالتعاون مع زوجته فقد ذكرها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كلها في كتابه « الراديو العقلي » الذي كتب له العلاّمة السيكولوجي الذائع الصيت الاستاذ مكدوجل مقدمة نفيسة

وتجارب سنكلير هذه مقنعة للغاية، وهي عدا ذلك تعطينا طريقة لتوضيح ظاهرة التلبثي تخالف طريقة الأستاذ موراي . ذلك ان مسز سنكلير في تجاربها تتلقى بعقلها صوراً ورسوماً بعد أن كان المختبرون ينقشون بأنفسهم هذه الصور والرسوم فوق بطاقات ، وكانت مسز سنكلير تصفها او تعيد لهم رسمها . ويلاحظ ان الرسوم والصور كانت تارة تنقش في حجرة أخرى ، وتارة في مكان على مسيرة عدة أميال ، ومع ذلك فقد كانت مسز سنكلير تراها بذهنها وترسم صوراً مطابقة لها بدون أن تكون قد رأتها من قبل

فمثلاً «جلس روبرت ل . اروين ، وهو من رجال الأعمال وفي مقتبل العمر ، في حجرة في منزله ببلدة باسادينا في ساعة عينت له هي منتصف الثانية عشرة من صباح يوم ١٣ يوليه سنة ١٩٢٨ ، وقد اتفق معهُ على ان يرسم صورة لأية سلعة يختارها هو اعتباطاً ، ثم يجلس محدقاً فيها مركزاً كل انتباهه وتفكيره فيها فترة من الزمن من ١٥ الى ٢٠ دقيقة . وفي نفس الساعة المتفق عليها اضطجعت مسز سنكلير على وسادة في مكتبها بمنزلها في لونج بيتش التي تبعد عن مقر روبرت أربعين ميلاً . ومكثت مطبقة العينين فيما يشبه الظلام تستخدم نظاماً من التركيز العقلي الذي ظلت تمارسه سنين عديدة بين ارسال وتلقٍّ ، متطلعة الى معرفة ما يجوس في عقل روبرت زوج شقيقتها . ولما اقتنعت بأن الصورة التي انطبعت في ذهنها هي الصورة الصحيحة لأنها استقرت أمامها حيث كانت تختفي ثم تعود — جلست وأمسكت القلم الرصاص والورق وكتبت التاريخ وست كلمات كما يأتي :—

١٣ يوليه سنة ١٩٢٨

أرى شوكة مائدة ولا شيء غيرها —

وبعد ذلك بيوم أو يومين ذهب سنكلير وزوجته الى باسادينا ، وفي مواجهة روبرت وزوجته اخرج الرسم وأخرجت هذه الكتابة وتمت المضاهاة فكانا متطابقين »

وتعطينا مسز سنكلير بياناً شائقاً جداً عن طريقتها تلك فتقول كما هو مذكور في كتاب « الراديو العقلي » الذي نقلنا عنهُ المثل السابق :—

« تظهر هذه الصور العقلية وتختفي بسرعة البرق ، وهي لا تستقر لحظة ما لم تثبَّت على الفور بمجهود عميق من مجهودات الوعي (الشعور) ولا تظهر هذه الصور بتاتاً في خطوط غليظة واضحة بل كأنما هي قد خططت في رقة بلون سنجابي أظهر (أغمق) قليلاً من لون الشراع العقلي »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وفي كتاب « الراديو العقلي » شُرحت تجارب عديدة ، ودوّنت رسوم وكتابات كثيرة

٣ — وهناك سلسلة أخرى من التجارب أجراها العلامة الدكتور ج. ب. راين أستاذ السيكولوجيا في جامعة ديوك Duke ونجد بياناً شاملاً لهذه التجارب في كتابه النفيس المسمى: « الادراك خارج الحواس Extra Sensory Perception » أي « الادراك بدون وظيفة الحواس المعروفة » حسب تفسيره هو. ولهذا الكتاب النفيس عدا مقدمة المؤلف مقدمتان أخريان احداها ، بقلم العلامة السيكولوجي الاستاذ مكدوجل ، والثانية بقلم العلامة السيكولوجي الدكتور ولتر فرنكلين برنس

ويقرب عدد تجارب هذه السلسلة من مائة الف ، وقد أجريت على نحو ستين شخصاً. ومن هذه التجارب أكثر من سبعة عشر الف تجربة أجريت أمام شهود عدول أساتذة جامعيين كبار من بينهم مكدوجل، وعلى شخص واحد هو هيوبرت بيرس Hubert Pearce أحد طلبة الجامعة . وقد كانت النتائج مدهشة . وأجريت التجارب على الأساس التالي . ذلك أنهُ جهزت مجموعة من خمس بطاقات رسم في الأولى منها نجمة، وفي الثانية دائرة ، وفي الثالثة مستطيل ، وفي الرابعة صليب ، وفي الخامسة خطان متموجان متوازيان . نخمس من هذه المجموعات تكوّن إضمامة من خمس وعشرين بطاقة . وأعدت التجارب لاختبار ظاهرتي الجلاء البصري والتلبثي. وما كانت تقر حالة جلاء بصري إلاَّ حينما يكون كل من الشخص الذي تجري عليه التجربة (أي الوسيط) و الشخص المجرِّب (أي الذي يشرف على سير التجربة) يجهل كل شيء عن البطاقة المقدمة. وأما في حالة التلبثي فكانت تقر الحالة وتعتبر ناجحة اذا كان الشخص المجرب وحده يعرف البطاقة وقد لا يفي ذكر ملخص النتائج باظهار متانة البينة التي قدمها كتاب الدكتور راين في هذا الصدد ، ولكن التقدير الرياضي المستخلص من معادلات الاحتمال الجبرية فاق كل تقدير يبنى على المصادفة ، لانهُ في بعض الحالات كانت النسبة ضد المصادفة كما استخرجت من حساب المعادلات الجبرية أكبر من نسبة الف مليون الى واحد. وهذا الى انهُ في بعض التجارب كان يفصل ما بين «المرسل» و«المستقبل» مسافات وجدران. وكتاب الدكتور راين تحدّ مسكت للمرتابين ، وقد ظهرت أولى طبعاته سنة ١٩٣٥ ، ثم طبع حديثاً في مطبعة الجامعة بكمبردج

٤ — ولا تخرج تجارب الدكتور تشنر في التلبثي والجلاء البصري عن هذا الطراز ، ونجد لها شرحاً مستفيضاً في كتابه المسمى « التلبثي والجلاء البصري » وقد ظهرت بالانجليزية سنة ١٩٢٥ . ففي بعض هذه التجارب كان « المرسل» وهو الدكتور كوتك يفكر في بعض الكلمات. وكانت الفتاة ليديا Lydia وهي في الرابعة عشرة تعمل «كمستقبل» فكانت تكتب هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكلمات على الفور . وفي البعض الآخر من هذه التجارب كان الدكتور تشنر نفسه يكتب كلمات على قطع من الورق (كل كلمة على ورقة) بقلم رصاص ، وكانت الكتابة لا تترك أثراً يظهر على السطح الآخر للورقة . وكان الدكتور يختار منها اعتباطاً أي عدد من هذه الورقات ويسلمها للوسيط ري Re الذي كان يتلقاها بيده وذراعه مبسوطة وقد لفت رأسه صوب الجهة الأخرى المقابلة

ومع كل هذا كان يقرأ ما في الورق المطويّ ورقة ورقة بدقة متناهية دون خطأ البتة . وكل من يقرأ كتاب الدكتور تشنر يجد أن الرجل قد اتخذ كل حيطة ممكنة لمنع الوسيط ري من انتهاز أية فرصة تساعده على معرفة مضمون الورق المطوي . فكان الوسيط ري من ثمَّ يرى الكتابة بغير وسائل الابصار المتعارفة

ثلاث مجموعات متميزة

لما كانت ظاهرة التلبثي تقترن في كثير من الحالات ببعض ظواهر أخرى فيتحتم قبل ذكر التفسيرات المقدمة لها أن نرتبها ونقسمها الى مجموعاتها المتميزة . والواقع أنهُ توجد لحالات هذه الظاهرة ثلاثة مجموعات متميزة

١ — الأولى تنتقل فيها الانطباعات من عقل الشخص « المرسل » الى عقل الشخص « المستقبل » دون أن يحس هذا الاخير بشيء عدا ذلك الطابع العقلي المنتقل اليه بغير استخدام أعضاء الحس عنده . وفي هذه الحالة لا يرى « المستقبل » شبح « المرسل » ولا يسمع صوته ولا يحس بهِ وفيما يلي مثل توضيحي لهذا الطراز من الظاهرة مذكور في كتاب « المسألة الكبرى والبينة على حلّها » لمؤلفه الطبيب الدكتور جورج لندسي جونسون وكان قد نشره قبل ذلك في مجلة « لايت Light » الصادرة بتاريخ أول اكتوبر سنة ١٩٢١ . قال : —

« ذهبت لزيارة مستر ه . وزوجته في منزلهما بشارع ألباني بالقرب من محطة بورتلند رود بلندن وحدث أن زارها في الوقت نفسه رجل يدعى مستر د — وكان هذا الرجل ذا قوى روحية عظيمة ، فطلب اليه مستر ه . ، وكان يعرف قواه تلك ، أن يرينا بعض هذه القوى . وكانت سيدة أخرى تقيم في ذلك المنزل ، وتعيش مع هذه الاسرة لقاء أجر معين . وكانت والدة هذه السيدة وشقيقتها تقيمان في هاي وايكومب في اكسفورد شير . وكانت الساعة قد بلغت منتصف الثامنة مساءً ، فسأل صديقي صاحبه مستر د . عما اذا كان يمكنه أن يؤثر في أم هذه السيدة بحيث يدفعها الى اتيان أمر ضد ارادتها . وما كاد مستر د . يقف على شيء من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خصـائص هذه السيدة حتى قال انهُ سيحاول . ثم ألقى نظرة فاحصة على خريطة انكلترا ، وأخرج من جيبه بوصلة ثم وجهها صوب هاي وايكومب ، وطلب الينا أن نقر في أماكننا بضع دقائق قضاها في انغمار ذهني عميق . ثم اتجه الينا وقال « أعتقد اني قد فعلت ما تريدون » وكانت السيدة قد أخبرتنا أن أمها وشقيقتها الصغرى اعتادتا أن تلعبا لعبة البردج في الساعة الثامنة كل مساء بغير انقطاع فاتفقنا على أن يؤثر مستر د — في أمها فيمنعها من اللعب تلك الليلة . وعلى هذا الأساس بدأ مستر د — يجري تجربته . وكتبت السيدة الى شقيقتها تسألها عما اذا كان قد حدث لها حادث غير عادي في ذلك المساء ، فتسلمت في البريد التالي الرد الآتي : —

« عندما بدأت أمي لعبة البردج معي كالمعتاد رأيتها فجأة ترمي بالورق ثم تقول لي انها لا تدري ما الذي عراها ، وانها تشعر كأن ثمة شيئاً مفزعاً لا بد حادث الليلة اذا هي لعبت . فظننت بطبيعة الحال في مبدأ الأمر أنها ربما تكون قد أصابتها وعكة ، ولكنها أجابتني بأنها ليست مريضة الاَّ انها تحس كأن قوة غير عادية تمنعها من اللعب . فأوقفنا اللعب من ثمَّ ، وذهبت الوالدة الى سريرها على الفور »

فهنا في هذه الحالة نرى ان التأثير قد حدث في الشخص « المستقبل » وهو هذه السيدة فشعرت بأن ثمة أمراً يجري وهي لا تعرف « المرسل » باعث الرسالة ».

وتلك هي ظاهرة إملاء الفكر وتلقيه بغير وسائل الحس المتعارفة ، أي ظاهرة التلبثي البحتة في أبسط صيغها

***

٢ — أما المجموعة الثانية فتزيد على ذلك خطوة أخرى هي أن يحس الشخص « المستقبل » بالشخص « المرسل » كأن يسمع صوته مثلاً سواء أكان ذلك « المستقبل » غارقاً في النوم أم مستيقظاً

ا — والمثل الآتي يوضح الاستقبال في النوم . وهذا المثل مأخوذ من كتاب «السيكولوجيا كعلم طبيعي » لمؤلفه الدكتور رو فقد جاء في الصفحة رقم ٥١٠ من هذا الكتاب الذي ظهر سنة ١٨٨٩ ما يلي : —

«كان يقيم في برن سنة ١٨٢٦ رجل يدعى دانيال كيبفر وكان مريضاً بالسل . وكنت أزوره مرتين أو ثلاثاً في كل أسبوع . وحدث أن حجبتني ظروف عن زيارته بضعة أيام . ففي ذات ليلة إذا بصوته يوقظني من نومي ويدعوني لزيارته . فنهضت وأوقدت شمعة ، فاذا نحن في منتصف الليل والوقت غير مناسب للزيارة فرقدت ثانية . ومرت ساعة حدث بعدها نفس الشيء ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ورقدت مرة أخرى . وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل ناداني نفس الصوت ولكن في الحاح وتأنيب ، فنهضت وذهبت الى المريض . ولما طرقت بابه في لطف صاح بي « أن ادخل فلقد كنت أناديك هاتين الساعتين » . ووجدت ممرضته قد تركته منذ اثنتي عشرة ساعة ، وأنهُ كان في شدة الجوع والعطش »

***

ب — والحادثة التالية مشابهة في معظم وجوهها للسابقة ولا تختلف عنها إلاَّ في أن الشخص « المستقبل » كان مستيقظاً . وهي مأخوذة من كتاب السيدة الروحية الموهوبة مسز فيوليت تويديل المسمى « أشباح الفجر » صفحة ١٦٥ وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٢٤ قالت :

« كنت أقيم إذ ذاك في هل ستريت وفي تلك الليلة كنت مدعوة لتناول العشاء خارج المنزل وكنا في منتصف الشتاء فرأيت أن استحم بالماء الساخن قبل ارتداء ملابسي . وبينما أنا في الحمام سمعت فجأة صوت أمي تناديني في نبرات قلق شديد وكنت أعرف أنها تقيم في نيس في جنوب فرنسا ، وكانت هي كذلك تعلم أنني أقيم في لندن ، فاستخلصت من ذلك أنها عرضة لخطر داهم . وقد سمعتها ست مرات تدعوني في الحاح واضطراب بصوت خلته خارجاً من الحجرة المجاورة . فلم أتوان لحظة . وسمعت الساعة تدق السابعة فجففت نفسي بسرعة ، وطلبت الى خادمتي التي دهشت أن تعد لي ملابس السفر لا ملابس السهرة . وفيما يزيد قليلاً على ساعة كنت في طريقي الى دوفر . وحدث أن سبقتني احدى صاحباتي الى الريفيرا وكان معها طفلها ، فقضت ليلها في فندق لورد واردن في دوفر ، وسافرنا معاً . وعند وصولي الى نيس وجدت والدتي في حالة حرجة ، وقد حمدت هي الله على حضوري غير المنتظر . ولكنها بعد أيام نجت من الخطر ، واستطعت بعدئذٍ العودة الى لندن

« وقد أخبرتني هي أنها نادتني فعلاً ، وكانت تظن انها تحتضر فاشتاقت إليَّ شديداً ، فاستطاعت أفكارها أن تصل إليَّ وأن تؤثر فيَّ وأنا في لندن . ونحن نعلم أن الرسائل الذهنية يمكن إرسالها عبر الفضاء ، وليس مستحيلاً أن نتصور إذاً وجود وسيط غير منظور يستطيع أن يصطدم بوعينا وشعورنا ... والقول بأن هذه الظاهرة تلبثي ليس حلاً للمسألة . وقد تكون هذه الظاهرة انهيار وعيين معاً تفصل بينهما مسافة قدرها الف ميل ؛ وقد تكون قوة تحصيل للمعرفة خارج القوى المعروفة وقد تكون من شخصيات غير مجسدة . نعم قد تكون هذا أو ذاك ، ولكن العلم لا يعرف هذا ولا ذاك »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٣ — وأما المجموعة الثالثة فنوع من « الفعل الروحي على بعد » ان صحَّ هذا التعبير ، فيظهر شبح « المرسل » وقد يسمعهُ أو يلمسه ، وقد يراه يعمل عملاً كأن يكتب رسالة بخطه أمامه وفي وجوده . ولا ننسى ما قالهُ الطبيب العالمي أحد حائزي جائزة نوبل في الطب الجراحي والفسيولوجيا ، وهو الدكتور ألكسيس كاريل ، في كتابه « الانسان ، ذلك المجهول » ما يؤيد فكرة الفعل الروحي على بعد . فقد قال « في كثير من الحالات قد يتصل فرد بآخر بشكل ما وقت الموت أو عند الخطر العظيم . ذلك أن الشخص المحتضر أو الذي يقع ضحيـة حادث ما ، يظهر لأحد أصدقائه بمظهره العادي حتى في حالة ما لم ينته الحادث بالموت ، ويسكت هذا الشبح لا ينبس بشيء عادة ، وأحياناً يتكلم معلناً عن موته »

وفيما يلي مثلان لهذه المجموعة ذات الفعل الروحي على بعد

ا — القصة الآتية من هذا الطراز تقريباً ، وترويها مسز بيسانت في الصفحة ٢٧٤ من المجلد ٢٢ من المجلة الثيوصوفية وخلاصة هذه القصة أن الكابتن بنر قبطان الباخرة موهوك التجارية التي تعمل في جزر الهند الغربية قد أيقظه ذات ليلة رجل يرتدي لباساً أخضر اللون ، طالباً اليه ان يغير اتجـاه السير ويجعله صوب الجنوب الغربي . فظن ان مساعده قد أرسل اليهِ من يستدعيه فاندفع يجري صاعداً الى ظهر السفينة ، ولـكن مساعده أنـكر أنهُ أرسل اليهِ أحداً . فلمـا عاد الى حجرته تـكرر النـداء له كما تـكرر صعوده الى ظهر السفينة

ولـكن لما ظهر هذا الرجل الخفي للمرة الثالثة بنفس الرسالة محذراً القبطان في هذه المرة أنهُ ان لم يستمع لندائهِ فلا يلومنَّ الا نفسه ، خضع متبرماً وأصدر أمره بتغيير الاتجاه وبعد فترة ظهر قارب يحمل أربعة رجال بينهم ذلك الرجل ذو اللباس الأخضر . والذي حدث هو ان هذا الرجل رأى في نومه أنهُ جاء ثلاث مرات الى السفينة يرجو القبطان ان يغير اتجاه مسيره لـكي يعثر على القارب وينقذ راكبيه

ففي هذه الحالة كما في تاليتها كان الزائر حيًّـا في لحمه ودمه ، وكل ما في الأمر انهُ كان في شبه غيبوبة أو في سنة من الـكرى يحلم . فكيف ظهر الشبح اذاً وكيف أسمع القبطان صوته وأبلغهُ رسالتهُ ؟ فهل هذا يدخل تحت باب التلبثي أم هو طرح روحي ؟ لا يمكن ان يكون الشخص المرسل قد بعث رسالة ذهنية انطبعت هي وصورته في ذهن الشخص المستقبل ناهيك بالـكتابة كما في المثل التالي . والـكتابة أمر مادي قائم . انما تلك هي الروح الـكامنة في الانسان ، فهي التي تكسبه ملـكات وقوى تتخطى حدود الزمان والمكان

« تتبع »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تنظيم النقد الدولي

بعد الحرب

لفؤاد محمد شبل

تتجه الافكار في الوقت الحاضر الى بحث مشكلات ما بعد الحرب ولعلّ النظام النقدي الدولي من أكثر هذه المشكلات تعقداً وخطورة لما لهُ من شأن في البناء الاقتصادي العالمي فهو قطب الرحى فيهِ . وقد أصبحت المسائل النقدية في هـذا العصر في مقدمة المسائل التي تسترعي الأنظار وتثير الاهتمام في كل أمة ولها من الخطر والمنزلة ما جعلها من أقوى العوامل التي تؤثر في ارتقاء الأمم وتدهورها . فاضطراب نظام ألمانيا النقدي—مثلاً— عقب الحرب الماضية قاد الى انهيار الاقتصاد الألماني وتفشي العطل في ربوعها فكان من أهم عوامل التقلقل السياسي الذي سادها وتوّج بتسلم النازي أزمة حكم البلاد . والى تصدع النظام النقدي العالمي، وزوال الذهب عن عرشهِ المكين، يمكننا أن نرد جانباً كبيراً من الأزمة الاقتصادية والمالية العنيفة التي جابهها العالم طوال سني ١٩٢٩ — ١٩٣٣ ، فأشاعت البؤس والفاقة في ربوعهِ جميعاً وخلفت نفوساً ثائرة متوثبة وسرعان ما تولد عنها اضطراب المحيط السياسي الذي انتهى بالحرب الحاضرة . ومن ثمَّ تعددت الآراء بشأن بناء العالم النقديّ بعد هذه الحرب . وعنيت الأذهان برسم الخطوط الأساسية لنظام نقدي مكين يجد العالم في ظله الأمن الاقتصادي ويقيه شر التقلبات الاقتصادية العنيفة التي كانت سمة الفترة التي تلت الحرب الماضية وسبقت هذه الحرب

١ — المشروعان الاميركي والانكليزي لتنظيم النقد

تصوَّر المشروعان عالماً يضم عدداً كبيراً من الدول التي تلزمه ديوناً لن يستطيع لها اداء فاذا لم يتيسر للدول المدينة وسائل الاداء فلن تجد مناصاً من التقصير عن الدفع أو تقييد مشترياتها من الخارج رجاء الحصول على فضلة تسدد بها جزءًا من ديونها ، وتقييد الواردات معناه ابتكار شتى الموانع ووضع مختلف العقبات أمام التجارة الدولية

وتبنى الفكرة الأساسية للمشروع الأميركي على انشاء احتياطي كبير تغترف منه الدول المدينة حاجتها من النقد الاجنبي لمواجهـة التزاماتها . وتلتزم الدول الاعضـاء في المشروع بالمساهمة في تكوين هذا الاحتياطي ، والمصدر الوحيد — عدا بيع الذهب — الذي يغترف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

منه الاحتياطي الدولارات لبيعها للاقطار العاجزة، سيتكوَّن من الدولارات والأوراق المالية المقوَّمة بالدولار التي تساهم بها الولايات المتحدة في المشروع . وما دام الذهب يستبدل في الولايات المتحدة بدولارات ، فطريقة الدفع هي في الواقع كطريقة معيار الذهب

أما المشروع البريطاني فيطبق المبدأ المصرفي على العمليات المالية الدولية . فهو يفرض مقدماً رضى الأمم بقبول المبالغ المطلوبة لها لا عن طريق الدفع النقدي بل بتقييدها لحسابها في دفاتر احدى مؤسسات الائتمان ، وهذا الرضى يتيح لاتحاد المقاصة The Clearing Union خلق القوة الشرائية الدولية كما يفعل البنك — بالنسبة للامة — في فتح الودائع التي تستخدم في الدفع كالنقود سواء بسواء . وسيغدو اتحاد المقاصة في هذه الحالة مجرد وسيط بين الدول ذات الميزان غير الموافق والدول ذات الميزان الموافق

ولكل أمة عضو في المشروع حصة تكسبها الحق في المساعدة ، وتعدُّ أساس التصويت . ويختلف المشروع البريطاني عن الاميركي في طريقة احتساب الحصة . فأساسها في المشروع البريطاني مجموع الواردات والصادرات المنظورة (أي من السلع) ومدارها متوسط تجارة السنوات الثلاث التي سبقت سني الحرب، ثم يتعدل هذا الأساس بعد ذلك عند استقرار أحوال العالم . ولما كان المتوسط السنوي للواردات والصادرات البريطانية من السلع خلال أعوام ١٩٣٦ــ١٩٣٨ قد بلغ ١٣٧٥ مليون جنيه والمتوسط السنوي للواردات والصادرات الأميركية من السلع في نفس المدة قد بلغ ٥٤٥٥ مليون دولار ، فان حصة كل من الدولتين تتناسب مع قيمة عملة أحد البلدين بالنسبة للأخرى التي ستتقرر بعد الحرب. ولو فرض وكان سعر الدولار بالنسبة للجنيه بعد الحرب هو سعره الحالي لفاقت حصة بريطانيا حصة الولايات المتحدة اذ تغدو النسبة بين الحصتين ٥٥٢٧ لانجلترا و٥٤٥٥ للولايات المتحدة . أما المشروع الاميركي فيقرر أساس الحصة « ما تحوزه الدولة من ذهب ونقد أجنبي ومقدار دخلها القومي ومدى تقلبات ميزان مدفوعاتها » ولما كانت الولايات المتحدة تحوز مقادير هائلة من الذهب والنقد الاجنبي ويصل دخلها القومي الى رقم جسيم فضلاً عن استتباب ميزان مدفوعاتها فستغدو لها حصة أعظم من أي دولة أخرى

وتتناسب قوة التصويت مع مقدار حصة الدولة طبقاً للمشروع الاميركي ، وان كان لا يسمح لأي عضو بأن يكون له أكثر من ربع مجموع الاصوات . ويشترط الحصول على أربعة أخماس الاصوات لتنفيذ الأعمال الهامة . وهذا ما يجعل للولايات المتحدة الأرجحية عند التصويت في جميع الأعمال الهامة (والى حد ما بريطانيا العظمى كذلك) في حين يذكر المشروع البريطاني « حصة الأمة هي التي تقرر مقدار مسئوليتها في ادارة الاتحاد » ولا يتطلب سوى الأغلبية المطلقة في تنفيذ القرارات

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ابتكر المشروعان كلاهما وحدة نقدية قياسية جديدة . فطبقاً للمشروع الاميركي يعادل كل يونيتاس ١٣٧ ١/٧ حبة من الذهب الخالص تعادل عشرة دولارات بقيمة الذهب في الوقت الحاضر .واليونيتاس في الواقع مجرد وحدة للقياس .فانهُ وان كان التقييد في دفاتر الاحتياطي أساسه وحدات اليونيتاس الاّ أن الاحتياطي نفسه سيتكوّن من الذهب والعملات والأوراق المالية الحكومية

أما البانكور فقد قصد بهِ المشروع البريطاني أن يجعلهُ عملة دولية حقيقية . ويرمي الى أن يكون قطب الرحى في المدفوعات الدولية اذ «ستجمع الدول الأعضاء على قبول دفع مطلوباتها من الأعضاء الآخرين بعملية نقل البانكور الى حسابها في دفاتر اتحاد التصفية »

***

ويشترك المشروعان في عد الذهب جوهر القيمة الدولية وأساسها واعتباره النقدية "Cash" في النظام المصرفي الدولي. بيد أن ارتباط الذهب بالمشروع الاميركي أعظم توثقاً منه في المشروع البريطاني اذ يحتم أن تكون نسبة من الحصة التي تكتتب بها الدولة في الاحتياطي من الذهب ، وتبلغ هذه النسبة ١٢ ١/٢ ٪ للدول التي تحوز ذهباً تنيف قيمتــه على ٣٠٠ مليون دولار و ٧ ١/٢ ٪ للدول التي تمتلك ذهباً قيمتهُ بين مائة مليون وثلاثمائة مليون دولار و ٥ ١/٤ للدول التي تمتلك ذهباً قيمتهُ أقل من مائة مليون دولار ، كذلك يشترط على الدول التي حصلت على المساعدة النقدية من الاحتياطي أن تسدد ما اقترضته ذهباً . أما المشروع البريطاني فأوضح أن المراد هو ايجاد كم جديد للنقد الدولي معين بطريقة ملائمة ومنطقية، ولا يؤثر فيهِ التقدم الفني لصناعة الذهب أو تعرضه للتقلبات القوية المتوقفة على السياسات الخاصة للدول بشأن الذهب . ويتسم المشروع البريطاني كذلك بأن قيمة البانـكور خاضعة للتغير بالنسبة للذهب على عكس اليونيتاس (في المشروع الأميركي) فهو مرتبط أوثق ارتباط بالذهب

وستتحدد قيمة العملة الوطنية لـكل دولة على أساس البانـكور أو اليونيتاس ، ولا يجوز اجراء تعديل فيها الاّ بموافقة الهيئة الدولية لشؤون النقد . ويذكر المشروع الاميركي انهُ لا يسمح باجراء تغيير ما في معدلات الصرف الاّ عنـدما تكون ضرورية لتصحيح المركز المالي للدولة ، ويشترط موافقة اربعة أخماس أصوات الأعضاء على هـذا التعديل . بيد أن المشروع البريطاني يسمح بتعديل سعر الصرف اذا أصبحت الدولة مدينة لاتحاد المقاصـة بمبلغ يتجاوز ربع حصتها فيمكنها حينئذٍ خفض قيمة نقدها بنحو ٥ ٪ بلا حصول على اذن وبنسبة أكبر من هذه بشرط الحصول على اذن خاص . واذا تجاوز دين الدولة نصف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

حصتها فلاتحاد المقاصة أن يطالبها بنقص قيمة نقدها وعلى العكس من ذلك اذا ما تجاوز الرصيد الدائن لاحدى الدول نصف حصتها فيوصي الاتحاد هذه الدولة بأن تسمح بزيادة قيمة نقدها

٣ — التوازن المالي الدولي

ينوّه المشروع البريطاني بمسؤولية كل دولة عن ايجاد التوازن المالي الدولي ، ويرتإي جباية ١ ٪ من احتياطات جميع الدول من البانكور . أما المشروع الاميركي فيفرض إتاوات على الدول ذات الميزان غير الموافق لحسب ويشترط أداءها ذهباً

وينص المشروع البريطاني على ان لاتحاد المقاصة أن يوصي (أو يلزم في بعض الحالات) الدول ذات العجز باتباع الوسائل الآتية لاستعادة التوازن المنشود

أولاً — خفض النقد ويتأتى عنه نشاط حركة الصادرات وتعثر الواردات

ثانياً — تصدير الذهب او الاموال الحرة الاخرى لتسديد جزء من ديونها للخارج

ثالثاً — الهيمنة على صادرات رؤوس الأموال ، وبذلك تحتفظ بالأموال الضرورية للانعاش الاقتصادي الداخلي وللحيلولة دون احداث ذعر في سوقها المالية

رابعاً — الاجراءات الداخلية تؤثر في اقتصادها الأهلي وتبدو موافقة لتوطيد مركزها المالي الدولي

اما الدول ذات الفائض في ميزان مدفوعاتها فيوصيها اتحاد المقاصة باتخاذ التدابير الآتية

اولاً — ما من شأنه اتساع حجم ائتمانها الداخلي والطلب الداخلي ، فينجم عن اتساع الائتمان وفرة النقود واشتداد الطلب فارتفاع الأسعار الداخلية فيثبط هذا حركة التصدير وينشط حركة الاستيراد

ثانياً — تشجيع حركة الأقراض الدولي حتى تحصل الدول العاجزة على الأموال الضرورية لحركة انعاشها الاقتصادي والوفاء بالتزاماتها

ثالثاً — خفض الرسوم الجمركية وغيرها من عوائق الاستيراد وتنشيط حركة الاستيراد

ويحتم المشروع الاميركي على الدولة ذات العجز في ميزان مدفوعاتها ان تتخذ وتنفذ الاجراءات التي يوصي بها الاحتياطي لاصلاح الخلل في ميزان مدفوعاتها ، وعليه ان يقدم تقريراً الى الدولة ذات الفائض في ميزان مدفوعاتها متضمناً تحليلاً للعوامل التي أدت الى ايجاد الفائض وعلى هذه الدولة ان تولي توصيات التقرير عناية ورعاية خاصة

ويوصي المشروع الاميركي الدول الأعضاء بالغاء جميع العقبات والموانع المفروضة على عمليات التبادل الخارجي ، وأن لا تفرض أي نوع من الموانع الاضافية قبل الحصول على موافقة الهيئة الدولية ويطالب المشروع البريطاني أعضاء الاتحاد بالامتناع عن فرض الموانع على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المدفوعات الناشئة عن التجـارة العادية وان كان يرحب بفرض إشراف الدولة على انتقالات رأس المال منها واليها ، ويوصي كذلك بتركيز حركة طلب وعرض النقد الأجنبي في البنوك أو مراقبات الصرف ، وبذلك يستغنى عن سوق الصرف الخارجي ويحصل الافراد على النقد الاجنبي بطريق البنوك فقط وليس عن طريق مباشر

٤ — كتلة الاسترليني

يبدي المشروع البريطاني تحفظاً بشأن الكتلة الاسـترلينية إذ يذكر « ليس ثمة ما يحول دون أن يكون لهـذه الدول مركز مزدوج ، ولكن للاقطار التي لا تمت الى هـذه الجماعة برباط سياسي أو جغرافي أن تجعل رصيدها الاحتياطي مع اتحاد المقاصة وليس بعضها مع البعض الآخر » أما المشروع الاميركي فلا يتصدى لبحث حالة هذه الكتلة أو ما يماثلها ، وواضح انهُ لا يرحب بمثل هذا النظام بدليل نصه « تنبغي موافقة كل دولة عضو على أن لا تشترك في أعمال نقدية مزدوجة وأن تبيع للاحتياطي جميع النقد الأجنبي الذي يفيض عن حاجتها » وظاهر أن هذا الشرط يتعذر معهُ وجود كتلة الاسترليني أو ما يماثلها في ظل المشروع الاميركي

ومما يتصل بمسألة كتلة الاسترليني موضوع ديون بعض الدول المتحالفة والمحايدة ولاسيما أعضاء كتلة الاسترليني على بريطانيا العظمى . وتتمثل هذه الديون في حيازة هـذه الدول لأوراق مالية بريطانية (ولاسيما أذونات الخزانة البريطانية وأذونات الحرب) وديون مقيدة لحسابها في لندن ومنشأ هذه الديون مشتريات بريطانيا العظمى من هـذه البلاد وما تنفقهُ قواتها المحاربة في بلادها

ويقرر المشروع البريطاني انها مشكلة « ذات صعوبة خاصة » إذ الدائنون سيرغبون في استخدام ديونهم في الشراء من بريطانيا أو استخدامها في عمليـات مالية شتى . ويقترح المشروع تحويل هذه الديون الى بانكور على أن لا يُحدث هذا ضغطاً على الموارد البريطانية منه، وهذا يتطلب منح بريطانيا العظمى حصة اضافية من البانكور يسحب عليها الدائنون، والاثر الاقتصادي المباشر هو مساعدة الدائن على تحويل هذه الارصدة الى سلع لحسابه

أما المشروع الاميركي فيرسم خطة معقدة بمقتضاها يضطلع الاحتياطي The Fund بالديون الاستثنائية ، فيقوم الدائن والمـدين على السواء بشراء ٤٠ ٪ من الأرصـدة الأصلية — بالذهب في خلال فترة عشرين عاماً وتلغى الـ ٢٠ ٪ الباقية بأتاوات على الدائن والمدين . والنتيجة الاقتصادية هي أن المدين يمحو ٩٠ ٪ من الدين بسداده سلعاً ٥٠ ٪ من تجارته العامة و٤٠ ٪ بالاتجار مع الدائن بصفة خاصة ، أما الـ ١٠ ٪ الباقية فيتنازل عنها الدائن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

٥ — دور الذهب في التنظيم النقدي الدولي

كان للذهب دور خطير مفيد في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة على الحياد . فكان الذهب يتدفق عليها ثمناً للسلع والخدمات التي تبذلها للحلفاء . فلما تقرر قانون الاعارة والتأجير لم تعد للذهب منزلتهُ التجارية السابقة ، ومن ثمَّ غدا العالم يرى انهُ كلما قلَّ انتاج المعدن النفيس كان ذلك خيراً وأبقى للمجهود الحربي . فقررت الولايات المتحدة وكندا واستراليا وقف انتاجه في غضون الحرب حتى ينصرف العمال وتتحوَّل الأدوات المشتغلة بانتاجه الى انتاج معادن أكثر نفعاً للمجهود الحربي .

بيد أن البحث والنقاش ينصبان على وظيفة الذهب في البناء النقدي العالمي بعد أن تضع الحرب أوزارها . على أنهُ مهما يكن من أمر الخطة التي ستتبع في هذا الصدد فانها لن تتضمن العودة الى الآراء النقدية التي طبقت في عام ١٩٢٥ . فان معيار الذهب على صورته التقليدية التي كان عليها خلال القرن التاسع عشر وأوائل العشرين قد انتهى منذ عام ١٩١٤، لأن الديون الفلكية (الطائلة) التي نشأت بسبب الحرب الماضية والقومية الاقتصادية التي اعتنقتها الشعوب المختلفة بعد هذه الحرب أفسدت نظام معيار الذهب الذي أخذ بهِ العالم منذ عام ١٩٢٥ وكان من شأنها أن تفسد كل نظام نقدي دولي أيًّا كان . ولما استطاعت المانيا تسليح نفسها تسليحاً هائلاً دون أن يكون لديها ذهب وبغير أن تستند في تمويل هذا التسلح الى الأسس المالية التقليدية ، كان هذا نذيراً بزوال عصر سيطرة المسائل المالية على الاقتصادية فدالت دولة هذا المعدل الثابت من الذهب واعتباره قطب الرحى للسياسة الاقتصادية لكل أمة

وليس هناك أمل في أن يؤدي معيار الذهب وظيفتهُ ما دام سوء توزيع المعدن باقياً على حاله وما دامت العوامل التي أدت الى سوء التوزيع هذا باقية على ما هي عليه . فالمشكلة بعبارة أخرى تتوقف الى أبعد مدى على سياسة الاقراض وبوجهٍ عام السياسة المالية التي ستتبعها الولايات المتحدة بعد هذه الحرب ، وعلى الاستقرار والثبات السياسيين وهل يتخذان سبيلهما الى اوروبا أو لا . ولو فرض وبقيت الأسوار الجمركية وعادت الولايات المتحدة الى عزلتها السياسية التقليدية واستأنفت رؤوس الاموال حركة فرارها من أوروبا ، فلن تبقى والحالة هذه بارقة أمل، لا في عودة الذهب الى المسرح النقدي، ولا في وجود أي نظام دولي مستقر . وحتى لو منحت الولايات المتحدة الذهب للعالم بلا مقابل لاتخذ سبيله اليها كرة أخرى بفعل العوامل المسيطرة على الاقتصاد العالمي التي أدت الى نزوحه اليها

٦ — الخطوط الاساسية للنظام النقدي العالمي

اذا قدّر للنظام العتيد أن يكون دوليًّا وجب تقرير ماهيـة المعيار الذي ستقاس بهِ وتنسب اليه العملات المختلفة . ولن يمكن البتة إغفال أمر التوازن الاقتصادي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدولي ولبابه وجود معيار دولي للقيمة ، واداة لتسوية الالتزامات الدولية . ومن المتعذر ان نجد معياراً آخر غير الذهب . ومصداقاً لهذا رأينا مشروع كينز (المشروع الانكليزي) يقوم على الذهب ، كذلك يقضي المشروع الأميركي بانشاء وحدة دولية هي « اليونيتاس » وايجاد رصيد دولي من الذهب للتثبيت . وتتطلب الحال ايجاد هيئة خاصة — بنك دولي — تتولى عملية تسوية المدفوعات الدولية ، وتتلافى العجز الحاصل في المدفوعات الدولية للدول المدينة وبذلك يمكنها مواجهة التزاماتها المالية دون قلقلة كيانها المالي

ويجب ان يتسم النظام الجديد بالمرونة الضرورية التي تجعله قادراً على مواجهة تلك المشكلات التي ستتمخض عنها هذه الحرب من سوء التوازن في الاقتصاد العالمي ، وان يزوَّد بالوسائل التي تمكنه من اقامة التنظيم الدولي للمسائل النقدية على أساس مكين

وهذا يعني وجوب تزويد البنك الدولي (أو مركز المقاصة العالمي)بالموارد المالية ، فكل رصيد مدين يجب أن يواجهه رصيد دائن معادل في جهة أخرى . واذا قربت دولة ما من حدود التسهيلات الممنوحة لها ، فان عليها ان تتبادل المشورة مع البنك الدولي ، وواضح ان نجاح المشروع يرتكز على استعداد الدول المشتركة لقبول مبدأ التشاور أي قبولها التنازل عن شيء من حريتها في شؤونها النقدية . كما يستند المشروع الى قدرة الدول الأعضاء وكذلك استعدادها للاخذ بالاصلاحات المقترحة وأهمها الاشراف على القيمة الداخلية والخارجية لعملتها . ومن المشكلات التي ستراعى في حالة الموافقة على خفض قيمة عملة أحد الأعضاء ، توزيع الخسارة في الصرف الناتجة عن هذا الخفض . وانهُ وان تمسك البنك الدولي بأن يقيد في دفاتره على أساس وحدة اسمية للذهب (كما يفعل بنك التسويات الدولية الآن) فانه في الواقع سيدين ويدان بخليط من عملات الدول المشتركة . وستهبط ودائع البنك المقوّمة بالبانكور او اي وحدة أخرى . وستبتكر قاعدة على أساسها يمكن توزيع اي خسارة تنجم عن الموافقة على خفض أحد العملات على جميع الاقطار

وثمة حقيقة هامة وهي انهُ لن يكتب لهذا النظام البقاء اذا ما طالت حالة قلقلة الاقتصاد العالمي عامة واختلال توازن عناصر النظام المالي لكثير من الدول بصفة خاصة . فنجاح المشروع مرتبط اذاً بتمكن الدول المشتركة في المشروع من اعادة التوازن في ميزان مدفوعاتها الدولي خلال فترة قصيرة نسبيًّا كأربعة أعوام أو خمسة . ويجب أن لا يعزب عن البال مركز الولايات المتحدة العظيم ، فهي الدولة الوحيدة التي تحوز فيضاً هائلاً من النقد ومن ثمَّ يكون محور المشكلة النقدية في السنوات التي تتلو اعلان الهدنة — كيف يتسنى لبقية العالم ايجاد الوسائل التي تمكنه من مقابلة التزاماته للولايات المتحدة وشراء السلع الاميركية التي يحتاج اليها ، سيما تلك الدول التي أثَّرت الحرب تأثيراً بليغاً على اقتصادها القومي ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تحصين الاسنان البشرية

لوقايتها من النقد « التسويس »

ان تحصين الاسنان البشرية لوقايتها من النخر ، أحدث وسيلة وفّق لها طب الاسنان الحديث وانها لبشرى نزفها الى الناس أجمعين ، لأن نقد الاسنان الذي يدعوه أطباؤها « تأدباً » نَخَر الاسنان أكثر العاهات شيوعاً بين الخلق . وقد ثبت لنطس أطباء الاسنان الاميركيين بعد قضاء سنين عديدة في تجربة وسائل شتى لمكافحة تلك الآفة ، ان الطرق التي أقرّها طول الاستعمال حتى الآن ، لم تقوَ على درء ذلك المرض الوبيل، الذي أخذ شرّه يستفحل سنة فأخرى . على حين أنهم آنسوا في هذا العلاج الجديد المقصود به صيانة الاسنان من النقد ، فوزاً للبشرية على تلك الآفة العمومية

وخواها وجوب استشارة طبيب الاسنان ثلاث مرات كل سنة ، أسوة بالذين يؤدون هذا الواجب نحو صحتهم سنوياً ، ليقوم الطبيب بتنظيف أسنانهم تنظيفاً شاملاً كما يجب أن يكشط الغشاء الرقيق الذي يغشاها أو يتراكم عليها ، وحينئذٍ يتغلغل الطبيب بمسباره في أغوار الاسنان وأسناخها وشقوقها التي لا يصل فرجون الاسنان اليها

ثم يجلو الطبيب الاسنان بمساحيق خشنة منظفة قلما يجرؤ غيره على استعمالها . ويتناول من رفٍّ قريب منهُ ، قارورة صغيرة محتوية على سائل ، فيغمس فيهِ قطعة صغيرة من القطن ويدهن بها أسنان المريض دهناً يستمر من ثماني دقائق الى عشر فيتم بذلك العلاج المنشود . واذا كانت أسنان المريض سوية كأسنان أكثر الناس نقص عدد التجاويف الجديدة التي تحدث فيها في السنة التالية الى نصف ما كانت تصاب به عادة

اما هذا العلاج السحري الجديد الخاص بالاسنان، الذي ابتدعه أطباء الاسنان الباحثون في جامعتي إنديانا وروتشستر وكلية طفتس Tufts فهو محلول من ملح فلورور الصوديوم ، وهو مادة كيميائية مركبة تشبه ملح الطعام المألوف في البيوت . وفلورور الصوديوم كملح الطعام المعتاد ، لا ضرر فيهِ واذا عالجهُ طبيب الأسنان علاجاً صالحاً، صار دواءً ناجعاً جداً لوقف تسوس الاسنان . وقد ظهر بطريقة كشفت حديثاً أن الفلور الذي يكون في ذلك المحلول يؤثر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تأثيراً شديداً في الميناء الخارجي الصلب للاسنان .وهو الذي يعدّه العلماء ، الخط الاول من خطوط الدفاع ضد النقد هذا مع العلم بأن الميناء الخارجي للاسنان يحتوي على كثير من الفصفور

ويرجع معظم الفضل في اثبات صلاحية الفلور للقضاء على نقد الاسنان ، الى باسيل جلوڤر بيبي Basil Glover Bibby عميد كلية طفتس لطب الاسنان ، وذلك بالنتائج الباهرة التي ظفر بها من تجاربه في عيادته الخاصة . فانهُ قصد الى مفتشي المدارس في مدينة بروكتون بولاية مساشوستس القريبة من بوسطن وطلب اليهم أن يجرّب ذلك العلاج في مائة تلميذ من تلاميذهم الذين تتفاوت أعمارهم بين ١٠ سنوات و١٢ سنة فسمحوا له بذلك بعد استئذان والديهم. فقام بيبي بمعالجة أولئك الأحداث ثلاث مرات في السنة بمحلول فلورور الصوديوم بنسبة جزء منهُ الى الف جزءٍ من الماءِ فكان يغمس قطنة بذلك المحلول ويدهن بها ربع دائرة فم كل تلميذ دهناً يستمر ثماني دقائق في كل مرة . ويترك الربع المقابل لهُ من دائرة الفم بلا مس . والأرباع الأربعة التي تقسم اليها دائرة الفم . هي الربع الأعلى الايسر والربع الاعلى الايمن والربع الأسفل الايسر والربع الاسفل الايمن . وعند بدءِ التجربة أحصى العميد بيبي ومعاونهُ الدكتور ج . ف . ڤولكر طبيب الأسنان في شركة كرنيجي التجاويف التي وجدت في الارباع التي عالجاها في أفواه التلاميذ جميعاً ثم أعادا احصاءَها عند نهاية تلك السنة ليقفا على نتيجة العلاج وذلك بمقابلة حالتها الراهنة بحالتها السابقة فأسفرت التجربة عما يأتي : —

كان عدد تجاويف الاسنان في أفواه جميع التلامذة التي عولجت بمس سطوحها بمحلول الفلور في بدء التجارب ٢١٢ تجويفاً . وبلغ عدد التجاويف الأخرى في سطوح أسنانهم التي لم تمسّ بذلك المحلول ٢٢٤ تجويفاً وذلك عند بداية الفحص . وفي ختام الفحص السنوي تبين ان سطوح الأسنان التي مست بمحلول الفلور بلغت ٣٠٧ تجاويف أي ان الزيادة بلغت ٩٥ تجويفاً في السنة . وكانت الزيادة في سطوح الاسنان غير المعالجة أكثر جدًّا إذ بلغ عددها ٣٦٠ تجويفاً أي بزيادة ١٣٦ تجويفاً . وهذا دليل على التحسين الكبير . غير ان ما أوجب مزيد الدهشة في ذلك البحث هو انهُ لما حققوا عدد التجاويف الجديدة التي نشأت في خلال تلك السنة تبين ان الافواه التي لم يمس محلول الفلور سطوح أسنانها ، حدث فيها ٦١ تجويفاً جديداً في التلاميذ المائة أي ان كل ٦ تلاميذ من ١٠٪ منهم أصيب كل منهم بتجويف جديد في اثناءِ السنة . وبعكس ذلك ثبت أن السطوح التي مست بمحلول الفلور لم يظهر فيها عند نهاية السنة اكثر من ٣١ تجويفاً جديداً . وهذا يكاد يكون نصف التجاويف التي تولدت في السطوح التي لم تعالج بذلك العلاج وهو دليل قاطع على ان استعمال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

محلول الفلور خفض حالات النقد الى ٥٠ ./. في السنة . وللتجارب التي جربتها كلية طفتس لطب الاسنان فائدة جليلة لانها تمت في أحداث يزيد تعرضهم للنقد في سنهم

وقد حذا الدكتور ڤرجيل د . شين Virgil D. Cheyne طبيب الاسنان الجراح في جامعة انديانا ، حذو الباحثين السالفي الذكر فاختار ٤٦ تلميذاً وجعل ١٩ منهم تحت رقابته وسمح للسبعة والعشرين تلميذاً الباقين ان يعالجوا بمحلول فلورور الصوديوم فحصل على نتائج حسنة كالتي حصل عليها علماء كلية طفتس اذ ظهر له ان كل تلميذ لم تعالج اسنانه ، نشأت في سطوحها ستة تجاويف جديدة بعد انقضاء سنة . اما الذين مسّت اسنانهم بمحلول الفلور ، فلم يظهر في سطوحها اكثر من ثلاثة تجاويف جديدة أي انها هبطت الى ٥٠ ./. عن الحالة المألوفة

هذا وقد طال استياء الناس وعمت شكواهم وزادت شكوكهم في الوسائل المعروفة المستعملة لتنظيف الاسنان وذلك لضعف تأثيرها في وقاية الاسنان من النقد . فان تنظيف الاسنان بالفرجون وتطهير الفم بالسائلات التي يصفها الاطباء للمضمضة ومعجونات الاسنان، جميع هذه يقدر نفعها بمقدار تطهيرها للفم ومنعها للبخَر وصقلها للاسنان ولكنها ليست مصداق قول اطباء الانكليز ان السن النظيفة لا تنقد ابداً (A clean tooth never decays) بل لا تزال بعيدة عن غاية الأماني التي يصبون اليها . ولدينا دليل آخر على ان العلاج بمحلول الفلورور خير مانع للنقد وهو ما يشاهد منذ عهد بعيد بين قبائل مؤبّدة ليست على شيء من التمدن او العلم او النظافة فان اسنانها تكون غالباً سليمة خالية من كل اثر للنقد مع شدة قذارة افواهها وكثيراً ما سمعنا الباحثين يقولون ان ذوي الاسنان القذرة التي تشاهد على مينائها بقع ونكت قلما يصابون بالنقد وان اهالي ولاية تكساس قلما تصاب اسنانهم بالنقد مع ان ميناءها مبقعة قبيحة المنظر حتى كان اطباء الاسنان لا يكادون يفتحون عياداتهم فيها حتى يغلقوها لقلة المصابين بالنقد منهم مع ان ميناء اسنانهم مبقعة غير حسنة المنظر في الغالب . والسبب في ذلك ان ميناءها يحتوي عادة على قليل من محلول الفلورور الذي يكون في المياه التي يشربونها. والفلورور هذا يترك آثاره على الاسنان بقعاً قبيحة المنظر . ولذلك حار الاطباء في معالجة هذا الداء بالفلورور لان الناس يأبون عادةً تشويه منظر أسنانهم وتقبيحها ولو سلمت بذلك من النقد . فرأوا ان يعالجوا به الاطفال في بدء نضج اسنانهم اي بعد ادراكهم السنة العاشرة من عمرهم رجاءَ أن تكون عاقبة ذلك تحسين الاسنان وتحصينها في الأجيال القادمة واستراحة الناس من عذاب نقد الأسنان وآلامها . فعسى أن يصحَّ بذلك حلم مجلة « خلاصة العلم » الاميركية التي لخصنا هذه المقالة منها

عوض جندي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطوطمية

أو تقديس الاشياء

– ٢ –

لرشوان احمد صادق

كانت القبائل التي تسكن غرب استراليا تتخذ انواعاً من النبات طوطماً لها ، وكان من المحظور قطع هذا النبات أو حصد ثماره في أوقات ومواسم معينة من السنة . كذلك كانت الحال بين بعض قبائل جنوب افريقية فقد كان محرماً عليها أكل لحم الطوطم او ارتداء جلده . وكان بعضهم يتمادى فيحجم عن النظر الى هذا الطوطم. كذلك كانت تقدّم بعض قبائل الهنود الحمر اول محصول تجمعهُ الى الحيوان الذي تعدّهُ قبائلهم طوطماً لها وينحرون له التضحيات المختلفة وكان سكان جزيرة صاموى يتخذون البوم طوطماً لهم فان وجد أحدهم بوماً ميتاً في الطريق جلس بجواره وأخذ يبكي ويولول وينوح ويضرب جبهته بالحجارة حتى ينفجر الدم من وجهه . ثم يكفن هـذا البوم الميت ويدفن باحتفال عظيم كما لو كان بشراً . وعلى هذا جرت قبائل الوانيكا في شرق افريقية فقد كانت الضبع طوطماً لهم فان مات بكاه أهل القبيلة وزاد حزنهم عليهِ أكثر من حزنهم عند موت رئيس من رؤسائهم

ولم يكن انتشار الطوطمية قاصراً على تلك الاصقاع المجهولة والقبـائل التي تعيش على الفطرة بل ازدهرت الطوطمية في حوض البحر الابيض المتوسط مهد المدنيات العظيمة وغيره من الاصقاع المعمورة والتي نالت قسطاً وافراً من التقدم والعمران . فقد كان اليونانيون يقدّسون الجمبري فاذا وقع واحد من هذا الحيوان البحري في شباك أهل جزيرة سيرقوسه احدى الجزائر الايونية فانهم يعيدونه الى البحر ثانيةً واذا عثروا على واحد من هذا الحيوان ميتاً دفنوه ويكون كما لو كان فرداً منهم . وكان المتبع في اثينا ان كل شخص يقتل ذئباً عليه ان يقوم بدفنه عن طيب خاطر[1] . وما قصص العجل ابيس والصقر والجعران والحلوف والأسد وغيرها في تاريخ مصر القديم ببعيدة عن أذهاننا[2]. وما عجل السامري الذي التفّ حوله قوم موسى الاّ صورة من ذلك النظام الاجتماعي الذي عمّ العالم القديم ، ذلك النظام هو

( ) See "Totemism & Exogamy" by J. Frazer. 4 Volumes.

(2) See "Ancient Times" by J. H. Breasted.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطوطمية التي نحن بصدد الحديث عنها . هكذا ظهرت وهكذا انتشرت في حوض البحر المتوسط يوم ان كان في أوج عظمته ، يوم ان كان مصدر الافكار العظيمة والآراء الجليلة والمعتقدات السامية . وما عبادة السماء والملائكة وأرواح الآباء في الديانة الكونفوشيوسية Confucianism (وهي الأركان الثلاثة لهذه الآراء التي ذكرها وابتدعها كنفوشيوس Confucius [1] الفيلسوف الصيني) الاّ مظهراً من مظاهر الطوطمية . وما فكرة اكتساب الحياة الخالدة في الدنيا بعبادة الاولياء في مذهب الطاوية (المحرَّف عن المذهب الاصلي لهذه الفئة التي كوَّنها الفيلسوف الصيني لاوتسو Lao Tsu [2] (والمذهب الطاوي) Taoism الاّ مظهراً من مظاهر الطوطمية . وما تحريم قتل الانسان والحيوان وعبادة الاصنام في التعاليم البوذية التي أنشأها جوتاما Gautama الفيلسوف الصيني [3] (والمذهب البوذي) Buddhism الاّ مظاهر من ذلك النظام الاجتماعي القديم المعروف بالطوطمية . وكذلك عبادة الظواهر الطبيعية عند الصابئين ، والنار عند المجوس

* * *

وقد اتخذ بعض هنود كليفورنيا الحمر الباز طوطماً لهم وكانوا يقيمون لهُ كل سنة حفلاً عظيماً يقتلون فيهِ بازاً دون أن تفقد قطرة من دمهِ ثم يضعونهُ في كساء من الجلد ويصنعون من ريشه رداءً مقدساً يتقلده رجل الطب. وتدفن جثة الباز بين عويل النساء وولولتهنَّ كما لو كان الميت أحد أقاربهم . وكانوا يخافون أكل لحم الطوطم خشية أن تحمل الأنثى بحيوان أو تموت إثر مرض شديد الوطأة . وكانت قبيلة الباكالاي تخاف ظهور بقع بيض على الجسد إثر أكل لحم الطوطم . كما ان القبائل التي كانت تتخذ الذرة الحمراء طوطماً لها كانت تخاف ان أكلها شخص ظهر حول فيهِ قرح حمر . أما جماعة الاماها فكانوا يعتقدون ان من يأكل لحم الطوطم منهم حتى ولو كان نسياً أو بغير علم فانهُ يمرض هو وزوجته وأولاده . وكان بعضهم يظن ان ذلك يؤدي الى الجنون . وكان بعض السوريين يخشون أكل السردين الذي قد يؤدي الى إصابة الجسم والساق والكبد والبطن . أما المصريون فكانوا يعتقدون ان من يشرب لبن الخنزير يصاب جسمه بالقرح . كما ان بعض القبائل كانت تقتل طوطمها اذا كان حيواناً ضارياً خشية فتكه بهم مثل الاسد . وفي هذه الحال ينتحلون الاعذار كما كانت الحال في بلاد بتشوانالاند في افريقية وبين بعض هنود أميركا الشمالية الحمر . فاذا حدث ان فرداً ما عضهُ أو لدغهُ طوطم القبيلة اعتبر ذلك الشخص في نظر أهل قبيلته مجرماً وان الطوطم قد

---

(١) ولد كونفوشيوس سنة ٥٥١ قبل الميلاد (٢) ولد لاوتسو Lao Tsu قبل كونفوشيوس بخمسين عاماً وقد قابله (٣) ولد جوتاما Gautama سنة ٥٦٠ ق . م . ومبدأ البوذية كان في الهند ثم انتقل الى الصين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتقم منهُ بعمله هذا فيطرد ذلك الفرد من القبيلة في الحال . وهذا يوضح لنا ما كان للطوطم من المركز القانوني في القبائل قبل ظهور القوانين التي جاءت نتيجة لانتشار المدنية والحرية. ويقول الاستاذ الدكتور ايفانز بريتشارد والاستاذ سلجمان [١] ان الدجاجة كانت تتخذ بين قبائل الازندي في أعالي النيل حكماً على المجرم فكانت تعطى الدجاجة مادة سامة وتسأل عن المجرم المشتبه فيه فان ماتت ثبت إجرامه وإلاّ فلا . ويسمي الاستاذ بريتشارد هذه الطريقة باسم بنج Benge ويسميها الاستاذ سلجمان poison wood ordeal . ويقول الاستاذ سلجمان ان انتشار الطوطمية بين الازندي (في وسط افريقية) يتمثل في فكرة انتقال الروح بعد موت الفرد الى طوطم القبيلة بينما يذهب فرع منها الى القبر حيث يبقى ردحاً من الزمن ثم ينتقل الى مجرى مائي حيث ينعم ببقائه مع أرواح أجداده . كما ان القبائل التي تتخذ الحية طوطماً لها كانت تستخدم هذا الطوطم في منصب قضائي فان عثروا على مجرم اشتبهوا في أمره فانهم يلفون حية بقماش وينادى بالرجل المشتبه في إجرامه ويؤمر بوضع يده داخل الكساء الموضوعة به الحية فان لدغته دلّ ذلك على صحة إجرامه، وإلاّ فلا جناح عليه . وان وجدوا حية ميتة أحرقت باحتفال عظيم كما لو كان الميت ينتمي الى أسرة عريقة . وهناك قبائل كانت تقسم على الطوطم الذي كانت تقدسه ، فبعض العشائر تقسم بالتمساح في بتشوانا لاند . وفي مقاطعة البنغال في بلاد الهند كانت بعض العشائر تتخذ النمر طوطماً لها فيقسمون على جلده . وكثيراً ما نسمع في عصرنا هذا عن الاستعانة بالكلاب البوليسية لكشف الجرائم

على ان تلك القبائل كانت ترى ان لا بدّ للطوطم من أن يسدي خدمات الى أهل قبيلته توازي ما يلاقيه من احترام وتقديس . فقبيلة الأوفيجين في آسيا الصغرى كانت تعتقد بشفاء من لدغهُ ثعبان بوضع ثعبان على الجرح فعند ذلك يمتص الطوطم السم فتزول الالتهابات والآلام . كما ان رجال الطب في قبيلة الاماها كانوا يستخدمون الطوطم الفردي لهذا الغرض فكانوا يقلدون صوت الطوطم الشخصي وفعلهُ للمريض ويعتقدون ان في ذلك شفاءه . ولعلّ تخويف الاطفال بأصوات الحيوانات من بقايا ذلك النظام الاجتماعي القديم . كذلك الحال في سنغامبيا كان رجال الطب يشفون من لدغتهُ حية بمجرد لمسهم إياه لان الحية طوطمهم ويستدل بالآثار القديمة [٢] على ان القبائل التي كانت تتخذ الثعبان طوطماً لها كانت تعمل مثل

---

1 — See "The Pagan Tribes of the Niletic Sudan" by Prof. Seligman
» "The Races of Africa" » »

2 — Pliny, N. H. XXVIII

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا العمل في افريقية وقبرص وايطاليا . كذلك الحال في بعض العشائر التي تنتمي الى قبيلة الاماها فقد كانوا يتخذون صغار الطيور طوطماً لهم ، وكان محرماً عليهم أن يأكلوها

ومع ذلك قد كانوا يخالفون هذه القاعدة في حالة مرض أحدهم اذ يصرح للمريض ان يتناول صغار طيور البراري ليتم شفاؤه . اما قبائل الصاموى الذين كانوا يتخذون نهاية اوراق الاشجار طوطماً لهم وكانوا يحرّمون قطع هذه الاوراق فكان مرخصاً لهم بل ان شئت فقل محتماً عليهم ان يستخدموا وريقات شجر النارجيل او جوز الهند كمروحة يجلبون بها الهواء للمريض . وبعض عشائر صاموى كانت تقدّس النباتات البحرية وكانوا يلقون هذه النباتات في الماء أيام الحرب لإفساد حرب العدو وعرقلة انتصاراته فاذا ما همَّ العدو بإلتقاطها غطست في الماء ثانيةً ولكنها سرعان ما تعود فتطفو فوق سطح الماء بمجرد مرور بعض تلك النباتات فوقها . وهذا يشبه كثيراً الأعشاب التي كان القدماء يستخدمونها في السحر للعرقلة والتي لا تزال بقاياها في المجتمعات الحديثة . وربما أشبهت هذه الفكرة الالغام العائمة في الحروب الحديثة . كذلك استخدم الطوطم في الشعوذة فهو ينبىء اخوانه ومواطنيه بما سيحلُّ بهم من خطر داهم . ففي ويلز الجديدة الاسترالية كانت بعض قبائل السكان القدماء تعتقد ان حيوان القنقر يحيطهم علماً بما سيتعرضون له من اخطار . كذلك كان الحال في قبائل كرناي في فكتوريا الاسترالية فإنهم كانوا يتخذون الغراب طوطماً لهم فاذا نعق كان ذلك في منزلة انذار بخطر قادم . وما زال القوم بمصر يقرنون نعيق الغراب بحلول ضيف قادم من سفر . ويمكن مقارنة ذلك بصفارات الانذار في الحروب الحالية . وجميعها ترمي الى الاصطلاح على صوت يقرر حلول خطر بالبلاد أو حلول جديد أو غريب. أما قبائل الصاموى وكانوا يتخذون البوم طوطماً لهم فان تقدَّمهم بومٌ في اثناء خروجهم للحرب استبشروا بالنصر أما إذا حلّق خلفهم أو طار فيخط يتقاطع مع خط سيرهم فالحرب فاشلة لا محالة . وعند ذلك يعدلون عن شنها . ولهذا السبب كانوا يربون البوم في منازلهم . ولا نزال نسمع في مصر انواع التشاؤم المختلفة عند سماع صوت البوم فهو نذير الخراب أو الموت . فهو طير مكروه بين أغلبية المصريين . وكان بعض أفراد هذه العشائر يعتقد أن مجرد ظهور البوم على سطح المنزل إنذار بموت أحد أفراد الأسرة وانهُ ما جاءَ الا ليبحث عن صاحبه ليحمل روحه . ويجب ان نلاحظ أن هذه الفكرة تختلف عن فكرة المصريين فالعقيدة في مصر ترجع الى ان البوم يأوي الى الخرائب . ولذا يعدُّ بعض المصريين ظهور البوم على سطح منزل شؤماً إذ بموت أحد أفراد المنزل سيتحوَّل المنزل الى مكان خرب أو سيهجر لغياب هذا العزيز عنهُ . وكان بعض قبائل القدماء يعتقد في البرص والثعبان والسمك نفس الاعتقاد.وفي البلاد المصرية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذا ظهر برص في منزل وجه اليه بعض القوم الفاظاً يستدل منها على تشاؤمهم منهُ

أما فيما يختص بالاجسام السماوية والظواهر الطبيعية كالشمس والقمر والرعد والبرق وغيرها فلم نسمع انها اتخذت طواطم في يوم ما ولكنها كانت موضع احترام وتقديس في جهات عديدة في العالم القديم

أما الأدوات الصناعية والنماذج الفنية فلا نعرف منها إلاّ نماذج قليلة اتخذت طواطم . مثال ذلك : الخيمة والشبكة وبعض المباني . وقد تطورت الأخيرة الى إقامة المعابد والمقابر والصوامع والكنائس والمساجد ولكن الفكرة تغيرت بمعرفة الحق جلّ جلاله

وكان السائد في تلك الأيام الخالية وبين تلك القبائل الساذجة أن الفرد عليهِ أن يحاكي الطوطم ما أمكنهُ سواء في الملبس والشكل وغير ذلك حتى يحوز رضاء طوطمه . فتراه يلبس فرواً من فراء الطوطم .ويعمل على محاكاة الحيوان في جسده فينظم شعره على نحو نظام شعر الطوطم . ويظهر ان صناعة الحلي على شكل حيوانات وعمل التماثيل ونماذج الحيوانات وتشبيه جسم الانسان بغصن البان وأعضائهِ بالزهور المختلفة وتحلّي نساء ورجال أواسط افريقية بريش الطيور ووضع ريشة في قبعات الاوربيات ورسم الحيوانات والمناظر على اليد والذراع ورسم الصليب على أيدي بعض الأفراد وتحلي الرجال في القبائل الهمجية بجلود الحيوان واستعمال الفرو حديثاً، كل هذه بقايا من تلك المظاهر القديمة غير أنها تخالفها في تطور الفكرة . أما في القبائل الساذجة فكانت الفكرة ترمي الى تمثيل الطوطم مع الفرد على الدوام في حركاته وسكناته وسفره واقامته في حين ان هنود أميركا الحمر كانوا يعملون مثل تلك الأعمال لاعتقادهم ان بجسم كل فردٍ منهم حيواناً أو طائراً من هذه الطواطم مثل الثور الاميركي والعجل والسلحفاة والضفدع وغيرها من الحيوانات والطيور التي كثيراً ما كانت تمثل على أجسامهم بطريق الرسم أو الوشم تبركاً وتيمناً بهذا الطوطم . وقد يكون ذلك لبيان الفروق الادارية والسياسية بين القبائل المختلفة . فمعرفة الطوطم قد توضح القبيلة التي ينتمي اليها الفرد

نعم لقد أتى على الانسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ولكن الله سبحانه وتعالى هداه السبيل وظهرت المعتقدات الدينية القويمة فتمسك الانسان بمعظمها وأخذ في أسباب الرقي وطريق الحضارة ونبذ القديم من خرافات وخزعبلات لا ترتكز على أسس ولا قواعد . ومع ذلك كلهِ ما زالت الطوطمية (ذلك النظام الاجتماعي القديم) ممثلة في كثير من المجتمعات وان شئت فقل في العالم أجمع ممثلة سرّاً لا جهراً مستترة في زوايا المجتمعات البشرية وليست واضحة جلية بل قد تكلفنا عناء البحث والتنقيب للاستدلال عليها والوقوف على مظاهرها وأشكالها ومدى تأثيرها والتأثر بها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فما زلنا نسمع بتقديس البقرة في بلاد الهند[1] وكثيراً ما تقوم المنازعات والذابح بين الهندوس سكان بلاد الهند على أثر قتل بقرة. وما زلنا نرى الورد والرياحين والزهور المختلفة وسعف النخل تهدى الى الأحياء وتنقل الى مقابر الأموات وإن تمتع الحيّ بمنظرها ورائحتها الطيبة فلا ندري ماذا يكتسب منها الميت وقد اختفى من الوجود المحسوس. لقد سمعت من كثيرين انها تجلب الرحمة. وفي مصر كثير من النباتات ينالها شيء من التقديس مثال ذلك البصل الأخضر في عيد شم النسيم حيث يتحتم على كل فرد أن يضع بصلة فوق رأسه

وتعتقد العامة من الشعب، سواء أخذت بأسباب الحضارة أم لم تأخذ بها، فيما يسمونه «الشمامة» وانها روح طاهرة تزورهم في الليل فتمتدح النظيف منهم. وهكذا يأكلون الخس والحمص الأخضر (المعروف بالملانة) ويجهزون الورد والبصل لهذا الغرض

وفي ليلة عيد الغطاس — وقد كان يحتفل بها قديماً في البلاد المصرية[2] أما الآن فقد تقلص هذا الاحتفال ولم يبق إلا اسمه فقط — في هذه الليلة يفضل كثير من المصريين طهي القلقاس. ثم الاستحمام بنبات «الرعرع» المنسوب الى النبي أيوب، فأمره معروف لا يكاد يجهله أحد من المصريين. هذا فيما يختص بالنبات، أما عن اتخاذ الحيوان طوطماً فلا تزال بقاياه في خبايا المجتمع المصري الى وقتنا هذا فكثيراً ما ترى السلحفاة مع الاطفال. كذلك الحال مع الحمام والكلاب. وتنال تلك الحيوانات والطيور عناية كبيرة وتبذل الاسرة خصوصاً والدة الطفل جهدها في درء الأذى عنها

وتعتقد بعض السيدات من العامة انه اذا طارت ذبابة في مساء يوم الخميس فتلك روح أحد الموتى اشتاقت الى أهلها فجاءتهم على شكل ذبابة لتطوف بهم وتعلم شيئاً عن أحوالهم ولذلك يحرمن قتلها او إلحاق أي أذى بها فيترحمن على الميت ويغالي بعضهن فيتوجهن الى زيارة القابر في صباح الجمعة. أما التفاؤل ببعض الحيوانات والتشاؤم ببعضها فأمر لا يتسع المجال للتحدث عنه. كما ان بعض الماديات تنال شيئاً من الاحترام في المجتمع المصري فاذا سقط الخبز على الارض رُفع وقبّل. كذلك الأرز والألبان ان أُلقيت على الارض فالمرور عليها أمر غير مرغوب فيه كما ان لبعض الحبوب والأخشاب كحب البركة والبخور قيمتها في المجتمع المصري

---

(1) See "Stanford's Compendium of Geography and Travel". Asia, by Keane

(٢) — انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ١ ص ٢١٢ فقد وصف الاحتفال بعيد الغطاس في مصر حيث ذكر المسعودي انه حضر الاحتفال بليلة الغطاس في مصر في ولاية محمد بن طغج الاخشيد

العصر الكهربي

« رادار » للحرب وعشرات من الاجهزة
الكهربية للسلام

يبدو لمتتبعي الناحية العلمية الصناعية ، من هذه الحرب ، أنها ستسفر عند ما تضع اوزارها عن عصر يصحّ أن يوصف بالعصر الكهربي ، على نحو ما وصفت عصور سابقة ، بعصور الظرّان او البرونز أو الحديد . وهو عصر ، يكاد يكون في عجائبه أقرب الى الوهم والخيال منهُ الى الواقع . ولكنهُ عند التحقيق ، عصر تغلب عليه سمة المنفعة العملية ، لأن «العلم الكهربي» يشمل الطاقة الكهربية المنطلقة من أنبوب مفرغ ، كأنبوب جهاز الراديو (الصمام) ، وقد خضعت خضوعاً تامًّا لعلم العالم وصناعة الصانع

وقد دلَّ السؤال في مختبرات العلم الحديث على أن البحث العلمي في ما يتعلَّق بالحرب ، لم يسفر عن مكتشفات جديدة أصيلة في العلم الكهربي ، ولكنهُ نبَّه عناية الناس ، وأتاح مبالغ من المال لازمة لمواصلة البحث واتقان الأجهزة الكثيرة

فما هو العلم الكهربي ؟

يستمدُّ العلم اسمهُ من لفظ كهيرب (الكترون Electron) والكهيرب دقيقة صغيرة جدًّا من الكهرباء السالبة ، وهي جزءٌ من الذرَّة التي تتقوَّم بها جميع انواع المادَّة الاصيلة أي جميع العناصر. وحجم الكهيرب لم يقس قياساً دقيقاً ، وان كان مليكن قد قاس شحنته الكهربية بأسلوبه المشهور المعروف باسلوب قطرة الزيت (راجع فصل طمسن في كتاب اساطين العلم الحديث) . على ان الكاتب العلمي جيمز ستوكلي يقول في كتابه «العلم يبني العالم بناءً جديداً » إنهُ اذا وضع ٢٥ مليون مليون كهيرب جنباً الى جنب فانها تملأ مسافة طولها بوصة

وقد أجرى المخترع توماس اديصن في مستهل حياته العلمية تجارب أسفرت عن نتيجة علمية خطيرة الشأن لم يدرك مغزاها حينئذٍ ، وهي أن الكهيربات تنطلق ، في انبوب مفرغ ، من الذرات ، وتنقذف في الفضاء . وكشف علماء آخرون ان هذه الكهيربات التي تتحرر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العبارة الواردة في كتاب الدكتور مشرفة بك، لأنهـا تفيد ان صاحبة الاسمين المذكورين سيدة واحدة هي « مدام كوري سابقاً » . والحقيقة انهما سيدتان : احداهما الأم (ماري كوري) ، وهي بولونية الاصل ، والثانيـة الابنة (ايرين جوليو كوري) وهي فرنسية . وكلتا السيدتين قد شرّفت المرأة العاملة كما شرّفت البحث العلمي . واني انتهز هـذه الفرصة لأوجه الأنظار الى الكتاب الرائع الذي ألّفته أخيراً « إيف كوري » ترجمة لحياة والدتها : « مدام كوري »

وأود أن أشير أخيراً الى ان الملاحظات الثلاث التي أوردتها على كتاب الدكتور مشرفة بك لا تمسّ ما للكتاب من قيمة علمية ثابتة ، ولا تغضّ من اعجابنا بما اتصف بهِ صاحبه من ثقافة انسانية واسعة ، وما أبدى في ثناياه من لفتات فلسفية موفقة وتأملات روحية عميقة

١ — بلادي « احياء مصر محمد علي باشا »

تأليف الاميرة شيوه كار وترجمه عن الفرنسية اميل مراد — صفحاته ١٩٨ من القطع الكبير
طبع بمطبعة المعارف بمصر

لا يزال عهـد محيي مصر المغفور لهُ محمد علي باشـا رأس الاسرة المالكة في مصر نبعاً يستمدُّ منهُ كل باحث ما يشـاء ، ولكل قلم يصوّر منهُ للاجيال أخلد صورة رائعة من صور النهضة في تاريخ أمتنا الخالدة

فمن تلك البلدة المباركة « قوله » فوق تلك الصخرة العاتية التي تشقُّ البحر والقائمة على أطراف سهول « سيريس » كانت الاقدار السعيدة تهيء لمصر جيلاً من المجد وتاريخاً من العظمة في تجاليد فتى مقدام خُلق لرسالة دنيوية في عالم بعيد عن وطنه ، ومن تلك البلدة المباركة هبط الى مصر محيي نهضتها وباعث مجدها ، فأيّ فتى كان ؟ وأيّ عزيمة كانت ؟ وأيّ نفس كانت هذه النفس التي استطاعت أن تخلق لنفسها المجد الخالد وتبعث في أمة عريقة في المجد تاريخها التالد ؟

جميلٌ جدًّا أن تقرأ الأجيال المتعاقبة في كل آن مؤلفات تتناول البحث في عظمة هـذا العاهل الكبير ، وأجمل منهُ أن تقرأ هذه الأجيال مؤلفاً نفيساً بقلم أميرة جليلة من أميرات هذا البيت الجليل تكشف فيهِ الستار عن سرّ عظمة جدّها العظيم بما لديها من مراجع قيّمة ومعلومات نفيسة فتصوّر لنا حياة هذا البطل المغامر والمحـارب المظفّر والسياسيّ المحنـك والحاكم الساهر على رعيته والمصلح الاجتماعي الخطير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فلقد أحسنت سموُّ الأميرة الجليلة « شيوه كار » الى تاريخ بلادها وأسدت للعلم يداً كريمة الى جانب أياديها البيض إذ وضعت في الفرنسية هذا الكتاب النفيس ترسم صورة رائعة لجدّها العظيم في إطار فاتن لجوانب العظمة الخالدة الباقية من آثاره في حكم هذه البلاد وشاءَ فضلها أن لا تحرم لغة وطنها من أثرها النفيس فأذاعته في هذه اللغة وقد تولى نقله اليها الاستاذ اميل مراد في أسلوب سلس وأخرجتهُ في الثوب الجميل اللائق بهِ مطبعة المعارف . ولكن حبذا لو تفضلت سموُّ الاميرة الجليلة فأعادت طبع هذا الكتاب على نطاق أوسع ليستطيع عامة أبناء هذا البلد قراءة هذا السفر إذ لم يطبع منهُ إلاَّ عدد محدود

٢ — الخطايا السبع

تأليف علي أدهم — صفحاته ٢٠٠ من القطع الوسط — نشرته مطبعة المعارف بمصر

الاستاذ علي أدهم في طليعة أدباء العربية ترسُّل أسلوب واتزان فكر وسعة اطلاع ونفاذ بصيرة ، ولقد عرفه قرائ هذه المجلة مما طالعوا لهُ من مقالات تفيض بآثار الروية والمطالعة ومن آثاره النفيسة التي أخرجها وهي « محاورات رينان » و « صقر قريش » وكتابه الحافل « المذاهب السياسية المعاصرة » فقدَّروا أدبه وتبينوا مزايا هذا الكاتب الناقد

وقد أراد الاستاذ أدهم ان لا يحرم قراءه بعض قراءاته فاختار لهم أربع عشرة قصة من خيرة القصص العالمي هي ألوان شتى من الأدب الروسي والبولوني والسويدي والالماني والفرنسي والاسباني والنمسوي والمجري أولها « الخطايا السبع » للروائية السويدية سلمى لاجيرليف «وحارس المنارة» للكاتب البولوني سينكوكز وهي قصة انسانية سامية تشترك معها في روحها الحزين وجوّها العاطفي القصة التي تليها وعنوانها « الفارّ » لستيفان زفايج ثم قصة «آسرحدّون » لتولستوي وقراء هذه المجلة يذكرونها جيداً فقد سبق نشرها على صفحات المقتطف و« لحن الشيطان» لفيلكس دورمان و« أزمة الإثراء » لكوزمتولاني و«قصة بلا عنوان » و « شخصية غامضة » لانطون تشيكوف و « حلم نورسكا » للفكاديو هيرن و « في الصومعة » لاناتول فرانس و « الغلام الابكم » لسنيد الفو دي لافنت و « الحلم » لإيفان ترجنيف و « أكبرت الأشقر الشعر » و « الكأس » للدويج تيك

وقد راعى الأستاذ ادهم في اختياره الرأي الصحيح الذي يمكن به اجتذاب العدد الوفير من القراء وانقاذهم مما يغمر السوق من مفسدات الذوق الادبي ، فهو يرى ان النفوس قد لا تقوى على احتمال أدب التفكير المحض كما ان أدب المتعة وحده ضرب من الترف فاختار قصصه من « الأدب الذي تمتزج فيه الفكرة بالصورة امتزاج الروح بالجسد» والتزم في نقلها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الى العربية جهد الطاقة الأمانة والدقة ، وسيجد قراء هذه المجموعة ان كل قصة منها لا تخلو — كما يقول الاستاذ أدهم — من فكرة فلسفية أو وصف حقيقة نفسية ولكنها معروضة في الثوب الملائم لها ومصبوبة في قالبها الخاص بها .

٣ — دراسات عن مقدمة ابن خلدون

بقلم الاستاذ ساطع الحصري — ٣٢٤ صفحة من القطع الوسط — مطبعة الكشاف ببيروت

الأستاذ الجليل « ابو خلدون » ساطع الحصري عَلمٌ من أعلام التربية والتثقيف في العالم العربي ، وجهبذٌ من جهابذة الفكر فيه . وهو ليس في حاجة الى التعريف به او التنويه بفضله ، فان علمه وأدبهُ وسعة تفكيره واطلاعه محل تقدير المثقفين وموضع ثقة المتأدبين

فهذه آية من آيات فضله على الثقافة العربية ودلالة على سعة علمهِ في ناحية كنا في حاجة اليها حتى تفضل بها ، فان مقدمة ابن خلدون التي ظلت وستظل مفخرة الفكر العربي لم تنل في العربية من الدراسة والبحث مقدار ما نالتهُ في اللغات الأخرى ، كما ان طبعات هذا الأثر العلمي النفيس بحاجة الى التحقيق والتدقيق والى الشرح والتعليق اللذين حرمتهما طبعاتها العربية وظفرت بهما ترجماتها . حتى قام الأستاذ الحصري بالمهمة التي هو لها فعقد دراسة نفيسة عن هذا الأثر فيجب ان يضم كتابه الى دراسة الدكتور طه حسين وكتاب محمد عبدالله عنان في مكتبة كل عربي مثقف

وقد جعل رائده في دراسة مقدمة ابن خلدون مراعاة اشتراك المؤلف مع معاصريه في معظم آرائهم ومشاطرتهم أكثر أخطائهم وان منزلة الباحث والمفكر في تاريخ العلوم والأفكار لا تتعين بملاحظة جميع الآراء الصائبة والخاطئة المنبثة في كتاباتهِ ومؤلفاته بل تتقرر بملاحظة الآراء المبتكرة التي تسمو بها على معاصريه والحقائق الجديدة التي يضيفها الى التراث الفكري وما يقوم به في سبيل تقدُّم العلوم والأفكار ، وانهُ على من يتصدى لدراسة مثل هذه الكتب أن يقدر أفكار الكاتب بموازين تاريخية خاصة لا بموازين فكرية عصرية

على هذا الاساس العلمي الصحيح بنى الاستاذ ساطع دراسته النفيسة التي ستخلد الى جانب مقدمة ابن خلدون وإنا لنرجو ان يتاح للاستاذ المؤلف أن يتمَّ دراسته فهذا اللون من التأليف التاريخي المحكم حافز لا غنى عنه للنهضة العربية الفكرية .

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النقل البحري (سلسلة الحياة مصورة للاطفال)

وضع الاستاذ محمد عاطف البرقوقي — طبع بمطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

أخرج الأستاذ محمد عاطف البرقوقي كتاب النقل البحري وهو من سلسلة الحياة مصورة للاطفال يحتوي على وصف الطرق المختلفة للنقل في مياه الانهار والبحار مع وصف الوسائل المساعدة لهذا النقل. وقد أودع الأستاذ البرقوقي في كتابه صور جميع أنواع السفن ملونة واستقصى شواذها ونوادرها في الشرق والغرب وفي السلم والحرب — والكتاب مكتوب بعبارة علمية واضحة تقرب الى الأطفال فهم الملاحة البحرية. ولا شك ان هذا العمل يوسع أمام أطفالنا دائرة ادراكهم فيما يحيط بهم من مظاهر التقدم العلمي

صناعة الجبن الجاف

رأت وزارة التجارة والصناعة تخصيص العدد الاول من السنة الثانية من مجلتها التي تصدرها بموضوع صناعة الجبن الجاف لارشاد المشتغلين بهذه الصناعة وفقاً للاسس الفنية الحديثة. وقد تولى وضع هذا البحث القيم الاستاذ السيد مصلح الاخصائي بمعهد الابحاث والارشاد الصناعي بوزارة التجارة والصناعة وتناول فيه الكلام على المواد الأولية التي لها تأثير في صناعة الجبن الجاف ثم صناعة هذا الجبن وأشهر أنواعه المهمة في العالم وقدم للمشتغلين بصناعته ارشادات هامة. وهو بحث يهم كل مشتغل بالصناعات الزراعية الاطلاع عليه، فليس هناك ما هو أجدى على تلك الصناعات من قيامها على أسس علمية صحيحة وتجارب فنية دقيقة

مجلة الحقوق

الجزء الثاني . ابريل ، يونيه ١٩٤٣

قد سبق لنا ان نشرنا (عدد مايو) مقالا مسهباً لصديقنا الدكتور بشر فارس في الجزء الاول من «مجلة الحقوق» التي تصدرها في الاسكندرية كلية الحقوق بجامعة فاروق الاول تحت رآسة تحرير الدكتور زكي عبد المتعال. وقد وافانا الجزء الثاني من هذه المجلة وفيها الدراسات الوافية النفيسة، من ذلك «التفتيش وما يترتب على مخالفة احكامه من الآثار» للدكتور محمود محمود مصطفى، و«النصوص الخاصة لتنازع القوانين في مشروع تنقيح القانون المدني» للدكتور حسن احمد البغدادي (بالفرنسية)؛ وتتمة «تطبيق احكام المواريث في نطاق التنازع الدولي للقوانين». ويلي ذلك تعليقات على احكام تتصل بالقانون المدني والتجاري الاجنبي وثائق وتقارير مثل «مذكرة بشأن مكافحة غلاء المعيشة». ونحن نهنىء المجلة باطرادها الناجح

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

آثار المراقبة العامة للنشاط المدرسي

تعمل المراقبة العامة للنشاط المدرسي بوزارة المعارف على تنظيم رحلات لتلاميذها تهيء لهم فيها مشاهدة الآثار المصرية القديمة والاسلامية وزيارة المصانع الهامة في مصر وارتياد المناطق والبلدان التي لها شأن تاريخي أو صناعي ، وقد رأت المراقبة أن تقدم للتلاميذ رسائل تتضمن المعلومات الواجب على التلاميذ معرفتها قبل القيام بالرحلات حتى يكونوا على بيّنة مما يشاهدون ولتثبت هذه المعلومات في أذهانهم بالمشاهدة وليستطيعوا تتبع أساتذتهم وقت الشرح

وبين أيدينا أربعة كتيّبات عن الصناعات المصرية وضعها الاستاذ مراد عزيز المحاضر بالمراقبة العامة للنشاط المدرسي تناول في أولها « صناعة حامض الكبريتيك » وفي الثاني « صناعة الصابون » وفي الثالث « صناعة الكحول والخل » وفي الاخير « صناعة غاز الاستصباح » وقد تولى مراجعتها جميعاً الاستاذ أمين ابراهيم كحيل كبير مفتشي الكيمياء بوزارة المعارف

ولقد أحسنت المراقبة العامة للنشاط المدرسي بالوزارة الى التلاميذ باخراجها هذه الفكرة والعمل على اذاعتها فان فيها من الفائدة ما تحمد عليه .

بين عدن والأردن

ترجمة الدكتور احمد سوسة ومحمد الهاشمي — صفحاته ٩٠ من القطع الوسط
مطبعة الحكومة (بغداد)

وضع هذا الكتاب بالانجليزية السير وليم ويلكوكس المهندس العالمي المعروف وقد عرف في الشرق عامة وفي مصر خاصة بمشروعات الريّ التي وضعها فيها وأهمها خزان اسوان. وفي هذه الرسالة وصف المؤلف جهود اربع وثلاثين سنة قضاها في البحث والتنقيب فأبان فيها تاريخ نشأة الريّ في العراق منذ أقدم الازمنة وذهب الى ان العراق كان مهداً لنظام « الري المستديم » كما ان مصر كانت مهداً لنظام « الريّ الحوضي » وعالج فيها قصة الطوفان معالجة فنية وصلت به الى نتيجة ربما كانت اكثر وضوحاً وانطباقاً على قواعد المنطق والعقل. وقد تولى ترجمة الجزء الاول من هذا الكتاب الدكتور احمد سوسه المهندس في مديرية الريّ العامة بالعراق والاستاذ محمد الهاشمي المدرس في الاعدادية المركزية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

قصص البطولة والوطنية

بقلم ابراهيم المصري — عدد خاص من مجلة « الهلال »

كان عزيزاً جداً على الأدباء أن يحرم الادب العربي الحديث قلم الاستاذ ابراهيم المصري حين آثر العزلة والسكوت . فلما عاد هذا القلم الى عهده فرح الأدباء لذلك واستبشر المعجبون بأدبه لعودته

وهذا هو الهلال يطلع على قرائه بأثر طيب من آثار ابراهيم المصري في القصة يضم ثماني قصص تاريخية استمدها الكاتب من بطون التاريخ . وجالت ريشته المبدعة في تصويرها والمزج فيها بين الحقيقة والخيال ، بين مادة التاريخ ومادة الفن ، بحيث تتوافر فيها قبل كل شيء عناصر القصة ، أي روعة الموضوع وحبكة الحوادث ، وليس في هذه القصص ما هو مترجم او ملخص او مقتبس عن أي كاتب أجنبي

ومن عرف مقدرة ابراهيم المصري القصصية وموهبته الفنية فيما ظهر له من آثار قصصية جمعت الى دقة التحليل دقة التصوير والأداء وبخاصة في ممرحيته «نحو النور» عرف مقدار ما أضفاه على مجموعته الأخيرة «قصص البطولة والوطنية» من ألوان فنه

ولقد أخرجت دار الهلال هذه المجموعة بما عهد في مطبوعاتها من جمال في الطبع والتنسيق متوخية في اصدارها الاشادة بروح البطولة وتمجيد عاطفة الوطنية وتقديس فكرة الحرية لتستنهض بها عزائم الشباب وتغريهم بحب العظمة وتوحي اليهم فضائل الحياة الكبرى أي الايمان والعمل والتضحية.

ح . ص .

إخفاق الفاشية

بقلم عصام الدين حفني ناصف — صفحاته ٥٦ من القطع الوسط

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر

كانت الفاشية الى عهد قريب مبدأ من المبادىء التي نشرها وطبقها أحد طغاة العالم الذين زجوا به في الأتون الجهنمي الذي تقامي الانسانية ويلاته وقد رزح تحت نيران هذا المبدأ شعب ايطاليا فعانى في خلال عشرين عاماً ماعانى حتى اراد الله له السلامة فما كادت طلائع الجيوش المتحالفة تطأ الارض الايطالية حتى كان الشعب الايطالي قد تقدم ليرفع عن نفسه هذا الكابوس ولقد وضع الاستاذ عصام الدين حفني ناصف رسالة نفيسة عن الفاشية وإخفاقها وهي دراسة لها قيمتها من باحث متوفر على هذه المسائل .

https://t.me/megallat
oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

معارضو الحرب

يتطوعون للتجارب الصحية

في أرض واسعة تحيط بدار قديمة في مدينة شفيلد الانكليزية ، ثلاثة عشر رجلاً يغطون في نومهم وهم جلوس. وقد مضى عليهم أربع وثمانون ساعة لم يشربوا في خلالها ماء. وكان أحدهم كنيث ملانبي العالم المشهور بالحيوان . وكان الباقون من المعترضين على الحرب بوحي من ضمائرهم وقد تطوعوا ليجري ملانبي عليهم تجاربه العلمية ، فتعين عليهم أن يتعرضوا لجميع ألوان الألم والعذاب التي يتعرض لها البحارة الذين تغرق سفنهم ويقل ماؤهم الصالح للشرب حتى يشتد بهم العطش

وكان غرض التجارب حسم مسألة لها شأن. فاذا وجد البحارة بين أيديهم قدراً محدوداً من الماء ، فهل خير لهم أن يشربوه الى أن يرتووا ولو لم يبق شيء منه أو أن يرتشفوه ارتشافاً حتى تطول مدة استعماله

وقد قضى هؤلاء المتبرعون ثلاثة أيام ونصف يوم لم يعطوا الماء خلالها فأصيبوا في اليوم الاول بصداع شديد وضعفت شهيتهم. ثم أحسوا باسترخاء استولى عليهم . وأكلوا قليلاً من الزاد اليسير المسموح عادة للبحارة في مثل هذه الاحوال . فلما أقبل اليوم الثالث جفّ اللعاب وتيبست الألسنة في أفواههم حتى غدا مضغ قليل من الطعام امتحاناً قوياً لجلدهم . وأخذت تساورهم أحلام — أحلام عن الطعام الشهي — وكانت الاحلام في نظرهم كأنها حقائق

وبعدما انتهت هذه المرحلة من التجربة ، أعطي كل منهم قدراً يسيراً من الماء على أن يطيلوا مدة شربه ما استطاعوا فشربوا أولاً كوباً واحداً في اليوم ثم نصف كوب في اليوم وهكذا

وقد قبل هؤلاء المتطوعون أن يعرضوا أنفسهم للاصابة بالجرَب وهو من الامراض التي ثبت في الحرب الماضية انها أشد الامراض أثراً في ضعف القوة المعنوية . فناموا في فرش ملوثة حتى أصيبوا بالعدوى . وكان الاطباء يراقبونهم ويعد المراقبة عالجوهم الى أن برئوا

وكانت أسهل التجارب أعظمها وأوسعها أثراً عمليًّا . فقد عاش المتطوعون أسابيع وهم يأكلون خبزاً ٨٥ ٪ منهُ من حبوب القمح ، وكانوا لا يأكلون طعاماً آخر إلاّ ما يلزم لاستساغة الخبز . فثبت ان هذا الخبز أكمل غذاءً وأسهل هضماً من الخبز العادي فجعلتهُ وزارة الطعام ببريطانيا « خبز الشعب »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المجهر الكهربي

أصبح من الممكن بعد اكتشاف نوع جديد من المجهر يعرف باسم « المجهر الكهربي » رؤية دقيقات صغيرة كان من المستحيل رؤيتها بالمجهر العادي . وهذا الجهاز الجديد يشابه كثيراً المجهر الضوئي غير انهُ بدلاً من استخدام شعاع من الضوء لانارة الجسم المزمع بحثه يستعمل شعاعاً من الكهربات . اما «عدسات» المجهر الكهربي فهي عبارة عن مجالات كهربية ومغنطيسية ينكسر تحت تأثيرها الشعاع الكهربي كما هي الحال في الجهاز البصري حيث ينكسر الشعاع الضوئي تحت تأثير العدسات الزجاجية

وبترتيب الملفات المغنطيسية ترتيباً مناسباً يمكن الحصول على صورة مكبرة لجسم صغير الحجم ورؤية تلك الصورة المكبرة اما على ستار فصفوري او تصويرها فوتوغرافيًّا

ويتوقف حجم الدقيقات التي يمكن رؤيتها بالطرق البصرية على طول موجة الشعاع الضوئي المستعمل. وحيث ان طول الالكترونات اصغر كثيراً من طول موجة الشعاع الضوئي فمن الممكن حينئذٍ رؤية دقيقات أصغر كثيراً من الدقيقات التي يمكن رؤيتها بوساطة المجهر البصري. ويمكن القول على وجه التقريب انهُ من الصعب تقدير شكل الاجسام التي يقل قطرها عن طول موجة واحدة . واذا اتخذنا وحدة « الميكرون » للقياس ورمزنا له بالحرف (م) — مع العلم بان المكرون يساوي جزءًا واحداً من الف من المليمتر — فان اصغر دقيقات يمكن تمييز شكلها بوساطة الميكروسكوب البصري هي التي يكون قطرها ٥ ، م . تقريباً واذا ما قل قطرها عن هذا المقدار ظهرت تحت عدسة الميكروسكوب البصري وكأنها اقراص مستديرة الشكل . واذا قلَّ قطرها عن ٢ ، م . اصبح من المتعذر رؤيتها . وأما اذا استخدمت الالكترونات بدلاً من الشعاع الضوئي فيصبح في الامكان تمييز شكل الدقيقات ولو لم يزد قطرها عن ٢ ، م . كما يصبح من الممكن رؤية الدقيقات التي لا يقل قطرها عن ١ ، م . بسهولة (عن النشرة العلمية الشهرية)

الازرار البيض من اللبن

تصنع بعض الأزرار من كاسيين اللبن فاذا اريدت بيضاً كلون اللآلىء وجب ان يزال الفيتامين من اللبن لان وجوده يجعلها صفر. وهو يزال بمعالجة الكاسيين بكحول دافىء او بمادة الاسيتون . وصنع العجائن الكيميائية من كاسيين اللبن امر مألوف . ولكن كشف هذه الحقيقة سيكون معواناً على اطراد استعمال الكاسيين بعد الحرب في تركيب عجائن كيميائية تصنع منها ازرار ومقابض أبواب وأمشاط وأدوات أخرى لأغراض شتى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اختزان فيتامين (ا) في الصيف

الصيف هو الوقت الذي يستطيع الانسان فيه ان يختزن فائضاً من فيتامين (ا) ليكون عوناً له على الشتاء الذي يليه وهذا بخلاف فيتامين (ب) وفيتامين (ج) اللذين لا يختزنان أبداً

ويمكن ان يحصل الانسان على قدر كبير من فيتامين (ا) بأن يأكل كثيراً من الخضر الصفراء المورقة او الخضراء الداكنة، كما ان زبدة الصيف تمد الجسم بمقادير كبيرة منهُ يمكن ان تحفظ فيهِ الى الشتاء القادم

وفيتامين (ا) مادة أساسية في تكوين الجسم الناشىء فهو يساعد على النمو، لهذا كان أكثر الناس حاجة اليهِ هم الاطفال الذين لا يزالون في دور النمو، وهؤلاء يتناولون مقادير كبيرة منهُ في زيت كبد الحوت والمستحضرات الاخرى التى تمدهم بفيتامين (د) ليقيهم خطر الكساح. والكبار أيضاً يحتاجون اليهِ لان فقده يؤثر في البصر فيعشيه ويؤثر في الصحة العامة فتنحط

وخير الاطعمة التي يكتنز فيها هذا الفيتامين هي الكبد ومح البيض واللبن والقشدة والزبد. وهذه أطعمة كثيراً ما يهملها الانسان، فجل الناس لا يشربون اللبن ولا يتناولون مقادير كبيرة من القشدة والبيض

أما الخضر التي يتوفر فيها هذا الفيتامين فهي التي تمتاز باللونين الأصفر والاخضر الداكن. ومن الخضر الصفراء: الجزر والبطاطس ومن الخضر الخضراء الداكنة المورقة: القنبيط والاسفاناخ واللفت الأخضر والكرنب وغيرها. اما الخس فلا يحتوي على شيء من هذا الفيتامين

فيتامين ب٢ من الخميرة

فيتامين ب٢، وهو مادة واقية من كثير من أمراض العين والجلد معاً، يمكن استخراجه من نوع من أنواع الخميرة. وهو فيتامين نادر الوجود رغم انهُ يوجد في كثير من الخضر وفي بعض أنواع اللحوم وفي مح البيض وفي اللبن، وهو في هذه المواد لا يوجد إلاَّ في مقادير يسيرة لا يستطيع المرء أن ينال منهُ ما يقوم بهِ في وجبة واحدة. وهذه مشكلة ما تبرح في حاجة الى حل. غير ان منبعاً آخر من منابع هذا الفيتامين بدا يشغل الناس من الناحية العملية. فقد استخرج البروفسور بيرك هولدر فيتامين ب٢ من الخميرة كما استخرجهُ الدكتور لينفورد من اللبن منذ سنوات. ولما زرعت الخميرة في مركب كيميائي مغذٍ يحتوي أملاحاً معدنية — مثل الجلوكوز والأحماض الامينية — نتجت مقادير كبيرة من هذا الفيتامين حوَّلت لون المحلول الى اللون الأصفر. ويبدو أن خلايا الخميرة تفرز هذا الفيتامين في سرعة لأنهُ وجدَ انهُ عند فصل هذا الفيتامين عن الخميرة بتأثير القوة المركزية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الطاردة ارتدّ لون الخميرة الى اللون الأبيض كما كانت قبل عملية الافراز على حين ظلّ لون السائل الذي بهِ الفيتامين أصفر . هذه عملية آلية بسيطة قد تسمو الى الصناعات الراقية لما لهذا الفيتامين من قيمة عملية في الطب

وقد تتحكم العوامل المحيطة بالخميرة في استخراج هذا النوع من الفيتامينات ، فاحلال سكر القصب محل سكر العنب ثم امرار قليل من الاكسجين في الخميرة يسرع من نشاط الخميرة ويزيد من مقدار الفيتامين الناتج، في حين أن أجزاء صغيرة من السيانيد تسرع من تكوّن الفيتامين غير انها تميت الخميرة

فيتامين C في البطاطس

جاءَ في مجلة نايتشر ان الدكتور جنكنز احد علماء الطب في جامعة كمبردج اثبت ان البطاطس يفقد ما فيهِ من فيتامين C اذا هرس وحفظ في الفرن من ربع ساعة الى ساعة قبل أكله

وقد اثبت كذلك أن ثلث الفيتامين ضاع بعد انقضاء عشر دقائق على هرس البطاطس وحفظهِ في الفرن ، وان تسعة اعشارهِ ضاعت ، بعد هرسه وحفظه نصف ساعة في الفرن . ويلوح من هذه التجارب انهُ اذا هرس البطاطس وقدم للاكل وأكل في خلال بضع دقائق فانهُ يبقى محتفظاً بما فيه من فيتامين C . وفيتامين C هو الفيتامين الذي يكثر في البرتقال والطماطم والبطاطس

امتحان فيتامين الشيب

سبق لنا أن روينا في هذا الباب من المقتطف نبأ كشف فيتامين قيل انهُ يعوق الشيب، على أثر التجارب الأولى التي جربت بهِ ولكن سلسلة جديدة من التجارب الدقيقة اسفرت عن نتائج تضعف ما عقده الشيب او المعرّضون للشيب الباكر من أمل على هذا الفيتامين . فقد أجريت تجربة على تسعة عشر رجلاً وامرأة شيباً مسنين ، فاشتمل غذاؤهم على مقادير معينة من هذا الفيتامين خلال ثمانية اشهر فلم يحدث تغير يذكر الاّ في شعر رجلين

الفيتامين « بيوتين » يصنع بالتركيب الكيميائي

كشف العلماء من عهد غير بعيد فيتاميناً أطلقوا عليه اسم بيوتين . وسموه اولاً بحرف H ظنّاً منهم انهُ فيتامين مستقل . ثم ثبت انه أحد أفراد اسرة B التي تشمل غير فيتامين واحد . وقد ثبت انَّ البيوتين لا غنى عنه لنمو الخميرة . وهو يشفي الجرذان او يقيها من ادواء شتى منها داء يصيب الجلد عند ما تعطى عقاقير « السلفا » . ولذلك يظن ان البيوتين قد يكون ذا اثر في شفاء السرطان ولا يعلم على وجه التحقيق ما له من شأن في تغذية اجسام البشر

أما وقد ركب الآن بالتأليف الكيميائي فيجب ان تتاح مقادير وافرة منهُ ، فتسهل تجربة التجارب به

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التجفيف بالاشعة تحت الحمراء

لقد امكن —حديثاً— استعمال الاشعة تحت الحمراء المنبعثة من المصابيح في تجفيف الخضر والفاكهة . ولقد أجرى البروفسور نيكاسون المهندس الزراعي بجامعة بنسلفانيا عدة تجارب استغرقت سنتين ثم أثبتت ان هذه الاشعة تعمل عملية التجفيف في سهولة وسرعة

وفي عملية التجفيف — كما قال الاستاذ نيكاسون — يفقد النبات مقادير كبيرة من الماء فتقلل من وزنه ومن حجمه في وقت معاً ثم تسلبهُ بعض ما يحتوي عليه من الفيتامينات واللون والنكهة ، غير انهُ كلما قصر زمن التجفيف قل النقص في هذه الخواص

على ان جهاز التجفيف الذي اقترحهُ الاستاذ نيكلسون يحتوي على مصابيح تشع الاشعة تحت الحمراء وتتم عملية التجفيف بوساطتها لان الموجات المنبعثة منهُ والتي يتفاوت طولها بين ٦٥٠٠ الى ١٤٠٠٠ انجستروم تستطيع ان تنفذ الى مدى كبير

وفي اثناء عملية التجفيف بجهاز نيكلسون لا ترتفع درجة حرارة المادة الجففة ولا تترك معرضة للاشعة مدة طويلة مما يفقدها كثيراً من خواصها . ولقد اجريت تجارب عديدة على التفاح والجزر والبطاطس وغيرها انتهت كلها بنتيجة طيبة

فول الصويا النابت

اثبت الدكتور ماكاي أحد علماء مدرسة التغذية بجامعة كورنيل الاميركية ، ان فول الصويا النابت ، غذاء عظيم القدر ، تكثر فيه المواد البروتينية والدهنية والمعدنية والفيتامينية ولما كان خلواً من النشاء ففي الوسع استعماله مضافاً الى الرز والبطاطس

والفول النابت خير من الفول غير النابت ، لأن طبخهُ أسهل ، ولأن مقدار ما يحتويه من فيتامين C أكبر

والرأي ان العناصر الغذائية التي يحتوي عليها فول الصويا نابتاً كان او غير نابت تجعله بديلاً من اللحم

الغذاء ومستوى الذكاء

أجرى الدكتور كوجيلماس ، أحد أطباء مدينة نيويورك بحثاً صحيًّا عقليًّا شمل ١٨٢ طفلاً سيئة تغذيتهم. فوجد ان مستوى ذكائهم يرتفع ارتفاعاً محسوساً ، متى حسنت تغذيتهم وقد ضبط تجربته بطائفة أخرى من الاطفال كانت تغذيتهم وافيــة حين أمتحن ذكاؤهم اولاً وثانياً مع الأطفال الذين كانت تغذيتهم سيئة ثم تحسنت

وقد أظهرت هذه التجربة شيئاً آخر وهو ان الأطفال الذين يزيد عمرهم على أربع سنوات لا يرتفع مستوى ذكائهم ارتفاعاً يذكر وفقاً لتحسين تغذيتهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

انتاج الاتبرين في الولايات المتحدة

يعلم قرّاء المقتطف أن الأتبرين مادة كيميائية تفعل فعل الكينا في حمى الملاريا . وقد صنعت أولاً في المانيا ، ثم في الولايات المتحدة، وهي لازمة للجيوش التي تحارب في المناطق الاستوائية الوبيئة . فأقراص الاتبرين جزء لا غنى عنهُ في عدَّة هؤلاء الجنود

وكان لا يصنع من هذه الأقراص في الولايات المتحدة قبل حادث بيرل هاربر إلاَّ كميات يسيرة لا تكفي في حالة نشوب حرب

ولكن بعض ثاقبي النظر من رجال الحكومة الأميركية، شجعوا شركات المواد الصيدلية على زيادة مايصنع من الأتبرين. وحسناً فعلوا ،لأن استيلاءَ اليابانيين على جزائر الهند الشرقية ، قطع صلة الدول المتحدة بأعظم موارد الكينا في العالم. وقدقرأنا في مجلة رسالة العلم الاسبوعية الصادرة بتاريخ ٢٢ مايو ١٩٤٣ ان مصانع أميركا تصنع الآن مامتوسطهُ الف مليون قرص أتبرين في السنة

يتعذر وزن بارجة وزناً دقيقاً

تقول رسالة العلم الاسبوعية ان البارجة أيُوى المفروض ان تفريغها ٥٢ الف طن، قد يكون تفريغها ٥٢٠٥٢ طنًّا وقد يكون ٥١٩٤٨ طنًّا . ذلك لأنهُ من المتعذر وزن بارجة ما وزناً دقيقاً واحتمال الخطإِ في وزنها يبلغ واحداً في الالف

وفي خطبة علمية القاها الدكتور هارفي كورتيس رئيس معهد المعايير بوشنطن قال ان وزن أكبر الاجسام وأصغر الاجسام او قياسها من أشق الأمور

والبارجة تكاد تكون اكبر جسم يستطيع العلماء وزنهُ وزناً مباشراً

ويقابل هذا ان هناك نوعاً من الجراثيم يدعى « تيينوموكوكوس » وهو من أصغر الاجسام الحيـة . ولو جمع منهُ الف مليون مليون مليون مليون جرثومة لما بلغت كتلتها كتلة البال الازرق وهو اضخم الحيوانات ولكن الكهيرب أصغر كثيراً من هذا النوع من الجراثيم وهو أصغر الاجسام المادية المعروفة

بيضة كل يوم

جاءَ في رسالة العلم الاسبوعية ان دجاجة في ولاية نيويورك من نوع « رود ايلند » باضت بيضة كل يوم مدة ستة اشهر متوالية نهايتها ٣١ مارس سنة ١٩٤٣

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اذا كنت في طائرة على ارتفاع ٢٥ الف قدم فوق سطح الارض ، وكان الجوّ صافياً ، فما أقصى مسافة على سطح الارض يستطيعُ بصرك أن يمتدّ اليها ؟

ليس الجواب عن هـذا السؤال بالأمر السهل . لأن البصر على هذا الارتفاع خدّاع . وقد روي ان فتاة كانت في طائرة على ارتفاع ٢٠ الف قدم فوق ساحل البرازيل فأصرّت على انها رأت من ذلك الارتفاع ساحل افريقية الغربي ، غير عابئة بأن المسافة بين ساحل البرازيل الشرقي وساحل افريقية الغربي تبلغ ١٥٠٠ ميل أو تزيد

وقد أثبت البحث أنَّ مدى الرؤية يوافق الارقام التي في الجدول التالي : —

ارتفاع		مدى الرؤية
١٠٠٠ قدم	تستطيع ان تبصر مسافة	٣٩ ميلاً
٢٠٠٠ »	» » » »	٥٥ »
٣٠٠٠ »	» » » »	٦٧ »
٤٠٠٠ »	» » » »	٧٧ »
٥٠٠٠ »	» » » »	٨٧ »
١٠٠٠٠ »	» » » »	١٢٣ »
١٥٠٠٠ »	» » » »	١٥٠ »
٢٠٠٠٠ »	» » » »	١٧٣ »
٢٥٠٠٠ »	» » » »	١٩٤ »

دماغان في رأس كلب

روت مجلة «رسالة العلم الاسبوعية» ان الباحث هولند كان يفحص رأس كلب مصاب بالسعار (الكَلَب) فوجد في الجمجمة دماغين احدهما اصغر من الآخر ووراءه قليلاً وكلا الدماغين متصل بالحبل الشوكي . ووجدت دلائل السعار في الدماغين

ويقول علماء قسم الحيوان في وزارة الزراعة الاميركية انهم لم يسمعوا بوجود دماغين في رأس كلب قبل الآن مع ان علماء التاريخ الطبيعي شاهدوا عجلاً ذا رأسين وحيوانات ذات خمس قوائم بدلاً من أربع قوائم وغيرها من الخلق الشاذ

ويرى الدكتور نوبل رئيس قسم الصحة في مقاطعة كولومبيا انهُ قد يكون هناك رؤوس كلاب أخرى تحتوي على دماغين، ولكنها لم تكشف لأنها لم تفحص على أثر الاشتباه في اصابتها بالسعار . ومما يؤسف لهُ ان الدماغين اللذين كشفا في رأس الكلب لا يصلحان للاحتفاظ بهما في متحف طبي بعدما تداولتهما أيدي الباحثين

ما تستهلكه القاذفة

تستهلك القاذفة الضخمة من البنزين مقدار ثلاثة جالونات ونصف جالون كلّ دقيقة اذا كانت سرعتها مائتين وخمسين ميلاً في الساعة فرحلة ١٠٠٠ ميل تستنفد ٣٥٠٠ جالون

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخبز المعزَّز يخفض معدل مرضين

وصفنا في عدد سابق من المقتطف (مايو ١٩٤١ صفحة ٤٦٩ — ٤٧٢) ما صنعوه في الولايات المتحدة وبريطانيا من اضافة فيتامينات وأملاح معدنية الى الدقيق الذي يصنع منهُ الخبز. وقد أطلقوا على هذا الخبز وصف enriched فقلنا الخبز المعزَّز لأن الكلمة الانكليزية تعني تعزيز قدرة الدقيق أو الخبز على التغذية. وكان الرأي ان الامة التي تتغذى بهذا الخبز تكون أقدر من غيرها — اذا تساوت جميع العوامل — على تحمل متاعب الحرب وشدائدها. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الحكومة البريطانية قرَّرت في شهر يوليو من سنة ١٩٤٠ ان تشبع الدقيق الذي يصنع منهُ رغيف الشعب بالثيامين المبلور، فكانت الحكومة الاولى في التاريخ التي اعترفت بضرورة تجهيز شعبها عامة بالفيتامين علاوة على مواد الطعام المألوفة

وقد اطلعنا الآن في أحدث المجلات العلمية التي تلقيناها من الولايات المتحدة على بيان علميّ يؤيد فائدة الخبز المعزَّز اذ ثبت ثبوتاً قاطعاً لكل ريب أن استعماله أفضى الى نقص ظاهر في مرضين من امراض سوء التغذية وهما البريبري والپلاجرا

القوة المحركة في الحربين

كتب العالم الاميركي تشارلز كيترنغ في مجلة «أخبار الكيمياء والهندسة» مقالاً أورد فيهِ مقابلة طريفة بين القوة المحرِّكة التي كانت فرقة من الجيش تستعملها في الحرب العالمية الاولى وبين القوة المحركة التي تستعملها فرقة مدرَّعة في هذه الحرب. فقال ان الفرقة في الحرب العالمية الأولى كانت تستعمل ٤٤٠٠ حصان و ١٥٣ مركبة مجموع قوتها المحركة ٣٥٠٠ حصان أي ان مجموع القوة المحركة التي كانت تستعملها الفرقة يبلغ ٨٠٠٠ حصان، بين حصان حيّ وحصان ميكانيكي. أما في هذه الحرب، فان الفرقة تستعمل على المعدل ٢٧٠٠ مركبة من موتوسيكل الى دبابة ومجموع القوة المحركة التي تولدها هذه المركبات يبلغ ٤٥٠ الف حصان

ثم قال ان انتاج المحركات لتوليد القوة المحركة للطائرات يتفاوت الآن بين ١٥ مليون حصان و ٢٠ مليون حصان كل شهر

الفحم كنز العجائب

بالعلم والصناعة الحديثين غدا الفحم، وهو من اكثر خامات الطبيعة، أغنى بأنواع المطاط من جميع جزائر الهند الشرقية وبالالياف من كل دود الحرير في اليابان، وبالأصباغ من قوس قزح، وهو علاوة على ذلك كنز لا يفنى لشتى الادوية والعقاقير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثالث بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث بعد المائة

١ دسمبر سنة ١٩٤٣ — ٣ ذي الحجة سنة ١٣٦٢

الحمقى وعلماء الكهربية الحيوانية

حقائق عجيبة عن الكهربية في الجسم
وكيف تكشف بعض الأمراض

كتب الفيلسوف البريطاني برود Broad مرّة ، عبارة ظنّ انهُ ينسف بهـا دعوى أصحاب الفلسفة الآلية ، فقال : « لو قال رجلٌ عن أخيهِ ، أو هرّتهِ ، ها هي ذي آلة بارع لحسبنا الرجل ، إما أحمق وإما عالماً فسيولوجيًّا » . والعبـارة تنطوي ولا ريب على سخرية لاذعة ، ولـكن لو أراد الفيلسوف أن يعيد افراغَ حكمهِ هـذا الآن في عبارة جديدة لوجب أن يضيف الكيميائيين الحيويين وبعض السيكولوجيين وعلماءَ الكهربائية الحيوانية الى طبقة الحمقى والفسيولوجيين . فعلماء الكهربائية الحيوانية يميلون الآن ، ميلاً قويًّا الى الايمان ، بأن بين الكهربائية وسرّ الحياة صلة ما ، على الأقل

كشفت ظاهرة النشاط الكهربي في أدمغة الحيوانات سنة ١٨٧٥ ولـكن دراستها دراسة منتظمة تجريبية ترجع الى سنة ١٩٢٩ . ففي تلك السنة أخذ العالم الألماني هانس برجر — وهو من المتوفرين على دراسة الاعصاب في جامعة يينا — سلكين ووضعهما على صدغي رجل ووصلهما بأنبوب مفرغ يقوّي التيارات الكهربية الضعيفة ويضخمها ، فوجد ان التيارات المنطلقة من الجمجمة يمكن تدوينها بعد تضخيمها ، بريشةٍ على لوحة منسابة ، فتبدو لها حركة موجية منتظمة معقدة ، فيهـا أمواج متشابهة ارتفاعاً وسعةً تتوالى عشراً في كل ثانية —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

دعاها برجر « أمواج ألفا » . وكانت هناك أمواج أسرع تواليا وأقل اتساقاً دعاها أمواج بيتا » ووجد غيرهُ نبضات أو ذبذبات كهربية أخرى غير منتظمة الطول والاتساق

كيف يتبينها العلم

هذا الموضوع لا يزال في مراحله الاولى . ولكنَّ ما كشف فيهِ حتى الآن يبدو جديراً لعناية لأنهُ غدا أداة فعَّالة في يد الطبيب . ولذلك قلما نفتح مجلة علمية أو مجلة تبسط العلم ، غير أن نرى فيها خطوة جديدة أو تحقيقاً جديداً في هذا الموضوع ، وثمة طائفة كبيرة من علماءِ في أشهر الجامعات من كمبردج وبرلين الى برون وهارفرد في الولايات المتحدة الأميركية وجّهون عنايتهم الى هذا الموضوع

ويرجّح الباحثون ، ان هذه التيارات الكهربية التي تضخّم وتدوَّن صورة أمواجها على الورق المنساب ، تنشأ في خلايا قشرة الدماغ ، وهي وحدات المادة السنجابية التي تتركز فيها أعمال التفكير المبدع . هذه المادة السنجابية قوامها أجسام الخلايا العصبية ، وقد استغرق نشؤها من الأجهزة العصبية البسيطة البدائية في الحيوانات الدنيا عشرين مليوناً من السنين على رأي الاستاذ جدسن هريك الاستاذ بجامعة شيكاجو . ومراتب تطوّرها وارتقائها معروفة بوجهٍ عام . أما كيف تتم فيها عجائب التفكير المنطقي المبدع في العلوم والفلسفة وغيرها فلا يزال محجّباً بستر الجهل . إلاّ ان الأجهزة الجديدة التي استنبطت للايغال في دراسة موضوع الكهربية في الدماغ ، قد تفضي الى تقدم خطير في فهم فسيولوجية الجهاز العصبي على نحو ما تمّ من التقدم في دراسة التشريح المرضي والبكتيريولوجيا بعد اكتشاف المجهر

ومن هذه الأجهزة جهاز يزيد عدد الحروف في اسمِهِ الانكليزي على عشرين حرفاً ، وهو « إلكترو انسفيلو جراف » أي مصوّرة الكهربية في الدماغ . وهو يختلف اختلافاً أساسيًّا عن المجهر . فالمجهر لا يمكّن الباحث إلاّ من دراسة مجموعة صغيرة من الخلايا منتزعة من النسيج ، ومصبوغةٍ بصبغ قد يطفىء شعلة الحياة فيها . ولكن المصوّرة الكهربية للدماغ تمكن الباحث من اجراء البحث على العضو أو الكائن الحيّ ، جملة واحدة ، ودون أن تعرقل عملهُ المألوف وأساليب حياتهِ السويّة . بل لا يلزم ثقب الجلد حين استعمالها . وقد أصبحت الاجهزة الحديثة المتقنة ، مرهفة الاحساس ، فاذا وضعت قطبيها الكهربيين على منطقتين مختلفتين من فروة الرأس استطعت أن تتبيَّن تياراً كهربيًّا جارياً في الدماغ ، من منطقة في الدماغ مستواها الكهربيّ عالٍ الى أخرى مستواها الكهربي منخفض . والتجربة تتم بغير ازعاج من تجري التجربة عليه . بل انهُ اذا انزعج ظهرت آثار انزعاجهِ في صورة التيار الكهربيّ الذي يتبينهُ الجهاز ويسجلهُ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيف تجري التجربة

ولعلّ القارىء يهمهُ أن يعلم كيف تجري تجربة من هذا القبيل . فنقول ان في جامعة هارفرد ، صنعوا في احد معاملهم ، حجرة خاصةً وضع فيها مقعد وثير ، يستلقي عليه المرء ، ولا تجرَّب التجربة بهِ إلاَّ بعد أن يستلقي مرة أو مرتين على المقعد ، ويتعرَّف ما حواليهِ حتى اذا بدأ تجريب التجربة كان مستريح الجسم ناعم البال من كلّ ناحية . وهذا ضروريٌّ لأن صورة التيار الكهربي الصادر من دماغهِ والملتقط من فروتهِ والمسجل على الورق المنساب في الجهاز المصوِّر ، تختلف في النوم عنها في اليقظة ، وفي حالة الاضطراب وانشغال البال عنها في اثناء الراحة . فاذا استلقى المرء على المقعد وضع القطبان الكهربيان ملامسين لفروته ويمتدُّ منهما سلك الى سلسلة من مضخمات التيار ، ثم يحرِّك التيار المضخَّم إبرةً في جهاز خاص فترسم أمواجاً على شريط منساب

في بدء التجربة يؤمر المرء بأن يستلقي ويغمض عينيه وألاّ يشغل عقلهُ بشيءٍ معيَّن ، فترسم الريشة على الشريط ، امواجاً من انتظام معيَّن . ثم يؤمر أن يضرب ١٨ في ١٣ مثلاً ، فلا يكاد يشرع في تشغيل عقله بالضرب ، حتى يتغيَّر انتظام الامواج. وفي الحالة الثانية ، تكون الامواج أقصر وأسرع توالياً منها في الاولى ، فكأن حشدَ الدماغ لقدرته الواعية وإقباله على التفكير في معضلة معروضةٍ عليهِ ، يؤثِّران في التيار الصادر منهُ . وتدوم هذه الحالة بضع ثوانٍ ، ثم تعود صورة الأمواج الى ما كانت عليهِ في حالة الراحة . وبعد قليل تضطرب الابرة ثانية فتقصر الأمواج ويسرع تواليها كأنَّ الدماغ عاد الى نشاطهِ . والواقع انهُ عاد الى نشاطه . ذلك بأن الرجل الذي أجريت التجربة عليه ، قال حين سُئل في ذلك ، انهُ بعد ضرب العددين ، استراح الى انجاز المهمة ، ثم عاد فاضطرب اذ خطر له ان الجواب قد يكون خاطئاً فأعاد الكرَّة على عملية الضرب

كيف حالها في اليقظة والمنام

وقد درست حالة الامواج الصادرة من الدماغ في احوال شتى من اليقظة والنوم فثبت أن ما يصدر منهُ خلال النوم ثلاثة أنواع من الأمواج . الأول امواج منتظمة السياق كأمواج الفا ، التي تصدر من الدماغ في حالة اليقظة ، وهي تصدر من الدماغ كذلك في اثناء النوم الخفيف المتقطع . والثاني امواج تدل آثارها على انها نتيجة نشاط يشتد فجأة ثم يخبو فجأة . والثالث أمواج غير منتظمة في ظهورها وشكلها وقد أطلقوا عليها وصف الأمواج

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لشاردة . والنوعان الاخيران مرتبطان بحالة النوم العميق . ومن أغرب ما ظهر حين دراسة الأمواج المسجلة ومقارنتها بحوادث التجربة في أثناء التسجيل ، ان الانتقال من تسجيل الأمواج الشاردة الى تسجيل أمواج ألفا يحدث بمجرد التحدث مع النائم . ولكن الأصوات الرتيبة التي تعوَّدتها الأذن كصوت مرور قطار او بوق سيارة او ضجيج مطبعة — اذا كان المجرَّب فيه صحفيًّا — لا تسبب هذا الانتقال. ويلوح ان الذين ينوَّمون نوماً مغناطيسيًّا وتجري هذه التجربة عليهم ، تصدر عنهم أمواج من أمواج الفا الخاصة باليقظة او النوم الخفيف المتقطع . واذا كانت هذه الأمواج مقياساً يصح الاعتماد عليه ، فهي تقول ان النوم المغنطيسي ليس نوماً حقيقيًّا

كيف تفيد فائدة عملية

هذه المباحث الطريفة لها ناحية عملية مفيدة ، وان كان الموضوع لم يستوف بحثاً حتى الآن . فقد وجد فريق من علماء هارفرد مثلاً صلة بينة بين الظاهرات الكهربية في الدماغ وبين الاصابة بداء الصرع . فقد تبينوا ان نوبة الاصابة بالصرع يصحبها نوع معين من الأمواج . وانهُ قبل حدوث النوبة تظهر أمواج منذرة بقرب حدوثها ، وهي تسبق ظهور الأعراض الجسمانية الظاهرة . ولضبط البحث ، أخذ هؤلاء المجربون ، اثني عشر رجلاً سليماً ونشقوهم النتروجين حتى أشرفوا على الاغماء وسجلت الامواج الصادرة عن أدمغتهم خلال ذلك فوجدوها تشبه في بعض خواصها الأمواج الصادرة من أدمغة المصروعين او المشرفين على نوبة الصرع . وقد نوعت هذه التجربة تنويعاً كثيراً ، فكانت النتيجة واحدة تقريباً في جميع الأحوال ، وعولج أربعة آخرون بعلاج من شأنه ان يضعف ضغط الدم فلا يصل منهُ الى الدماغ المقدار الطبيعي السوي في وقت معين ، فكان التغير الحادث في صورة الأمواج الصادرة من دماغهم شبيهاً بالتغير الحادث في أمواج السليم عند اصابته بنوبة الصرع وأكثر فريق آخر من استنشاق الهواء هنيهةً وهذا العمل ينقص مقدار ثاني أكسيد الكربون الذي في الدم فكانت النتيجة واحدة

ولعلَّ من أغرب ما يروى في هذا الصدد التجارب التي انتهى منها الرأي الى القول بأن الصورة الخاصة بامرئٍ ما ، للامواج الكهربية الصادرة عن دماغه ، هي كبصمة أصبعه ، صفة تميزه عن سائر الخلق . وقد وجد أحد الباحثين ان صورة الامواج الدماغية الصادرة من دماغ توأمين متماثلين واحدة . وأما اذا كان التوأمان غير متماثلين فصورة الامواج قد تختلف في احدهما عنها في الآخر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ثم ان الأطباء بدأوا يعتمدون في هذه الآونة ، على بعض الاجهزة الخاصة بتصوير الأمواج الكهربية الصادرة عن الدماغ لتشخيص علة خفية. وقد سجلت قصة رجل جيد الصحة من كل ناحية الاّ انهُ يخطىء الحساب في أمور بسيطة في الحياة مع انهُ تعود ضبط الحساب. ففحص بالمصورة الكهربية للدماغ فوجدان صورة الأمواج الصادرة عن دماغه ، تختلف عن صورة الأمواج الصادرة عن دماغ سليم الخلايا من كل ناحية . فاشتبه الأطباء في وجود خراج في الدماغ ، فانصرفوا الى التدقيق في البحث ، على ضوء هذا الاشتباه ، ثم أجروا عملية فوجدوا الخراج واستأصلوه وعاد الرجل صحيحاً تام الصحة . وقد يستعان بهذا الاسلوب من البحث على التفريق بين العمى الناشيء عن دماغ مؤوف في مراكز البصر ، وبين العمى العارض أو التعامي ، وفعلاً سجلت حوادث من هذا القبيل ، في المجلات العلمية . فقد شكا عامل العمى ، وظن انهُ متعام ، ففحص ، فثبت ان الأمواج الصادرة عن دماغه هي الأمواج التي تصدر عن دماغ أصيبت بعض مراكزه بآفة

***

ولا يقتصر بحث هذه الامواج على الأمواج الصادرة من الدماغ ، بل منها ما يصدر من القلب ، وهذه درست وضبطت بعض نواحيها وطبقت في معرفة عمل هذه الآلة الحية الدقيقة المحكمة وهل أجزاؤها جميعاً تعمل عملاً متسقاً في دفع الدم في الشرايين . فاذا كشفت هذه الاجهزة خللاً ما فعندئذٍ يتجه نظر الاطباء الى تدقيق الفحص من جميع الوجوه ، ولعلهم يكشفون بدءَ علة ما ، فيستأصلونها قبل ان تستفحل

ولعلَّ أعجب ما روي عن هذه التجارب ، ان هذا اللون من البحث ، قد أفضى الى معرفة الوقت الذي يحدث فيه تكوّن البيض في مبايض المرأة . وقد كان الرأي انهُ يتكوَّن على الغالب في نحو اليوم الرابع عشر بعد الحيض . ولكن البحث الكهربي أثبت ان هناك تفاوتاً عظيماً في ذلك بين النساء ، وقد يحدث تكون البيض في كلّ وقت ، حتى وقت الحيض . وهذا أفضى الى معرفة الوقت الذي يتكوَّن فيه البيض في نساءٍ ما زلنَ عقيمات منذ زواجهنَّ ، فلما عرف الوقت ، حصل الحمل وولدنَ اولاداً كلاً منهم سويَّ الخلق

***

وموضوع من هذا النوع ، حريٌّ بأن يكون مطيّةً للدجالين . فيلزم الحذر . ومع ما عرف عن ظواهر الكهربية في الجسم فان العلم لا يزال في ديجور من طبيعة هذه الكهربية وأصلها.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شؤون التعليم *

لحضرة صاحب المعالي نجيب الهلالي باشا
وزير المعارف العمومية

حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوفد ، حضرات اعضاء الوفد، حضرات اعضاء الهيئة الوفدية ، حضرات رؤساء واعضاء اللجان الوفدية ، سيداتي ، سادتي :

ان للتعليم في حياة الامة وفي مستقبلها شأناً عظيم الخطر بعيد الاثر ، فهو الذي يعد ابناءها منذ الطفولة الاولى لما يرجى منهم في مستقبل ايامها وهو الذي يطبعهم بطابعها الذي تتميز به شخصيتها العامة بين الامم، وهو الذي يعين لها الهدف ، ويحدد الغاية ،ويرسم الطريق

ولا عجب في ذلك فان الناشيء الصغير اليوم في المدرسة ، هو المواطن الكبير غداً في الحياة العاملة ، هو العامل غداً في المصنع او المتجر ، وهو الاب في الاسرة فاذا ما عنيت الدولة بهذا الناشيء في اوليته ، فقد ضمنت للشعب اجيال المستقبل ، فالمدرسة هي التي تصنع للامة حياتها قبل أن تكون هذه الحياة حوادث واقعة ، وهي التي تكتب للامة تاريخها ، قبل ان يكون أنباء تؤثر واخباراً تروى

واننا لنستطيع ان نتبين مستقبل امة من الامم قبل ان يكون اذا عرفنا نوع التعليم الذي يتعلمه بنوها وبناتها في المدرسة ، فلا غرابة وهذا اثر التعليم في حياة الامة ومستقبلها أن يعد أثمن رأس مال لها ، وأمضى سلاح تواجه به أحداث الزمن

فطن لهذه الحقيقة كل المشتغلين بشؤون التربية كما فطن لها رجال الاجتماع ، وأساطين السياسة في الدول المتحضرة جميعاً ، حتى لقد قرروا ان التعليم هو النشاط الاساسي للدولة ولا يجوز أن يحول دون اتقان وسائله او انتشاره اي اعتبار . ولا ان تقف دون تقدمه ازمة من ازمات المال أو من أزمات السياسة

وان الناظر في تاريخ انكلترا في السنين المائة الاخيرة ليشهد بأنها ما انتابتها ازمة داخلية أو أزمة حرب الا كان اول ما تعنى به هو اصلاح التعليم لثقتها ان التعليم الذي يشعر القلوب ايماناً ويقيناً ، ويكسب الاخلاق قوة وثباتاً ، هو أمنع درع تقيها عوادي الزمن

وقد كان لبحث مشاكل التعليم وما ينبغي لاصلاحه نصيبٌ وافٍ من عناية الامم

---

* من خطبة معاليه في المؤتمر الوفدي بعيد يوبيل الوفد الفضي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الديمقراطية منذ بدأت الحرب في سنة ١٩٣٩ ليمكن تنفيذ ما يستقر عليهِ الرأي في إصلاح التعليم عقب انتهائها بلا ريث ولا ابطاء ، وقد تبارت في ذلك هذه الدول حكومات وشعوباً ، مشبعة بالرغبة في وضع الأساس لعالم جديد ، لا تعصف بهِ الاهواء والشهوات ، ولا يتعرض لمثل ما تعرَّض له هذا الجيل من الاخطار

وطبيعي أن يكون هذا هو الاتجاه العام لجميع الأمم الحرة مادامت تؤمن بأن التعليم الصحيح هو أساس كل شيء من مقومات الوجود الانساني ، وانهُ اذا لم يصلح التعليم فلا بدَّ أن ينهار كل شيء في العالم من جديد ، وان تثقيف العقول وتقويم الأخلاق أهم من التعمير المادي . وقد قال دزرائيلي : « على تعليم الشعب في هذه البلاد يتوقف مصير الوطن »

وقد فطنت حكومة الشعب لهذه الحقيقة وعملت لهـا من أول يوم تولت فيه مقاليد الحكم ، فأخذنا الأهبة لوضع سياسة ثابتة للتعليم ، تسير به الى غاية مرسومة تحدد الغرض منهُ ، وتوجهه وجهة تتحقق بها منفعة الفرد ومنفعة الأمة جميعاً

وقد كان من حسن التوفيق ان المبادىء الاساسية والاتجاهات العامة التي بنينا عليها سياستنا لاصلاح التعليم ، مدفوعين بروح من الرئيس الجليل وبما نحس من حاجات الشعب وآلامه وآماله ، جاءَت مطابقة للمبادىء العامة التي انتهى اليها الرأي في الدول الديمقراطية ، بعد بحوث طويلة منذ بدأت هذه الحرب بمشكلاتها في سنة ١٩٣٩ ، ولا عجب في أن يكون الأمر كذلك ، ما دام رائدنا في العمل هو الرغبة الخالصة في الاصلاح ، وما دامت وزارة الشعب تصدر في كل عمل تحاوله عن روح الشعب ، مشبعة بمعاني الديمقراطية الاصلية في هذا الشعب الكريم

وليس أدل على روح الديمقراطية التي تحرص على التزامهـا حكومة الشعب في كل عمل تحاوله من خطتها في التعليم ، فقد يسرنا الالحاق بالمدارس على نطاق واسع ، إذ كان المذهب الذي تقوم عليه سياستنا التعليمية ان العلم حق لكل فرد من أفراد الشعب ، وان على الدولة أن تيسر أسبابه لكل راغب فيه

فلم نكد نتولى الحكم حتى فتحنا أبواب التعليم للفقراء والأغنياء على السواء موقنين انه ما من قوة في العالم تستطيع أن تحول بين الطبقات الفقـيرة والتطلع الى التعليم فاذا لم نعمل على تيسيره على أبناء الأسر الفقيرة باعفائها من نفقاته كانت نتيجة ذلك ان تتحمل هذه الأسر آلام الجوع والحرمان في سبيل تدبير المال اللازم لالحاق أولادها بالمدارس ، وهذا شقاء اجتماعي خطير يجب على الدولة أن تحول دون وقوعه

واننا لنحس جميعاً احساساً واضحاً بما ينوب الطلاب وأسرهم جميعاً من شقاء محزن وضيق

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

خانق بسبب المصروفات المدرسية ، ولو أتيح لكل انسان أن يطلع على حرج الآباء ومايصفون من حالهم في طلبات المجانية وما يلتمسون من أسباب اليها ، لهالهُ أمر هؤلاء الآباء وبنيهم وبناتهم وأسراتهم جميعاً ، ولروّعهُ ما يحملون من آلام الشقاء والحرمان فضلاً عما ينشأ عن ذلك من ضعف النفس وانكسار القلب وما يثير من أسباب الموجدة والبغضاء بين الطبقات

وماذا تجدي التربية واصلاح أساليب التعليم اذا كان التلميذ في المدرسة يحمل من هم أبيه في ذلك ما يباعد بينهُ وبين هدوء النفس والاستقرار والنشاط العقلي وينشأ بينهُ وبين رفاقه الذين يراهم أقدر منه على دفع المصروفات شعوراً بالمرارة يطرد في الزيادة يوماً فيوماً حتى ليوشك في مستقبل الأيام أن يقسم الأمة طبقات متعادية لا تجمعها الراحة الروحية المقدسة التي تجمع أبناء الوطن الواحد قلباً وعقلاً وعاطفة وشعوراً

رعايةً لهذه الاعتبارات العظيمة الاثر في التعليم وفي الخلق الاجتماعي العام ، أخذت حكومة الشعب الأهبة من أول يوم لتيسير التعليم على جميع طبقات الشعب ، وكانت نسبة المجانية في مدارس الحكومة لا تزيد على ٣ في المائة فلم نزل نزيدها ونزيدها حتى تجاوزت ٣٠ في المائة وهي نسبة لم يكن يبلغها حلم الحالم في عهد من العهود الماضية ، على ان هذه النسبة ان تقف عند هذا الحد ، وستطرد الزيادة وفقاً للخطة التي رسمناها ، وقد قطعت الحكومة العهد على نفسها لهذا الشعب أن تيسر أسباب التعليم لكل طالب ولابد أن تبر بهذا العهد مهما بلغت نتائجه حتى يأتي ذلك اليوم الذي تنتظم فيه المدارس أبناء الشعب جميعاً غير مصروفين عنها ولا ممنوعين منها ولا مضيق عليهم فيها ، ويومئذٍ نقول واثقين ، لقد أنشأنا الدعامة الاولى التي يستند اليها مجد الوطن

تريدون مثلاً آخر على تأصل روح الديمقراطية في التعليم لهذا العهد

أنظروا الى مدارسنا الالزامية ماذا كان تلاميذها وكيف صاروا ؟

لما تولت حكومة الشعب لم تغفل أمر تغذيتهم ، وكان من أول ما قررت من المشروعات مشروع تغذية تلاميذ المدارس الالزامية ومضت في تنفيذه ، ولا أذيع سرًّا حين أعلن ان هذا المشروع الجريء كان في كفة الاقدار بين الاهمال والاعتبار لولا تأييد صادق من حضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا ، ولم تمض بضعة أشهر حتى كان عدد الذين شملهم هذا المشروع في العام الاول ١٣٠ الف تلميذ وتلميذة يزيد عددهم في هذا العام الى ثلثمائة الف ، غير تلاميذ المدارس الصناعية الذين شملهم مشروع التغذية جميعاً في هذا العام . وسنمضي في هذه الخطة حتى يأتي اليوم القريب الذي يشمل فيه مشروع التغذية تلاميذ المدارس كلها بلا استثناء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وقد تعرّض لهذا الموضوع مؤتمر التغذية الذي عقد في أميركا هذا العام واشتركت مصر فيه وسجل هذا المؤتمر في تقريره النهائي ان هناك اتجاهاً عالمياً لتقرير تغذية التلاميذ واعتبار ذلك أساساً من أسس التعليم المجاني العام

وقد جاء في هذا التقرير عن موقف مصر في هذا الموضوع ما يأتي :

وعلى سبيل المثال قامت مصر بادخال نظام التغذية المجانية في مدارسها على نطاق واسع بطريق التشريع . وفي لجنة المؤتمر أبان المندوب المصري ان ما قامت بهِ مصر في هذا الشأن ، سابقة لكل دول العالم يعتبر تحولاً في الاتجاه الاجتماعي للدولة إذ فرضت على نفسها تنفيذ هذا المشروع بتشريع عام متحملة في تغذية التلاميذ والعناية بصحتهم مثل التبعة التي تتحملها في تعليمهم. وقد أقرت لجنة المؤتمر هذه المبادىء وسجل المؤتمر أهمية هذا الاتجاه الجديد كما سجل لمصر فضل السبق في هذا الميدان ، وانه لفخرٌ دولي تعتز به مصر الديموقراطية بين أمم الأرض جميعاً إذ كانت أسبق الدول جميعاً في التشريع الذي يلزم الدولة بتغذية جميع التلاميذ وفي تنفيذ ذلك التشريع على أوسع نطاق وهي الحقيقة التي سجلها مؤتمر الاغذية وأشاد بها على رؤوس المؤتمرين من ممثلي مختلف الامم الديموقراطية ، وكانت تحية لمصر من وراء البحار تفاخر بها في تاريخ الديموقراطية الحديثة

وكان مما واجهنا في وزارة المعارف لأول ما توليناها في هذا العهد ، ضيق الجامعة عن استيعاب من يتقدم اليها من خريجي المدارس الثانوية ، بل ضيقها بالقليل من خريجي هذه المدارس وكانت الشكوى من ذلك تترددّ كل عام ، ويظل صداها يرن في الآذان طوال العام ، ومع ذلك لم تحرك حكومة من الحكومات السابقة ساكناً لازالة أسباب هذه الشكوى المريرة

فلما تولينا وزارة المعارف لم نغفل هذا الأمر الخطير ، وما زلنا نعالج أسبابه ونلتمس وسائله حتى تغلبنا عليه فوسعنا جامعة فؤاد الأول وأنشأنا جامعة فاروق ، كما أنشأنا مدرستين عاليتين كانت الامة في حاجة اليهما منذ سنين لنستكمل بهما النقص في نوع من التعليم الفني العالي طالما دعت اليهِ دواعي الاصلاح وهما المعهد الزراعي العالي والمعهد العالي للعلوم المالية والتجارية. وبهذه الوسائل استطعنا أن نجتث أسباب الشكوى وان نيسر التعليم العالي لطالبيه ، كما يسرنا التعليم العام بما أنشأنا من معاهد وما زدنا من فصول في المدارس الابتدائية والثانوية والفنية للبنين والبنات

ولم يكن ذلك كل ما انشأنا من انواع التعليم فقد درسنا حال التعليم الالزامي واسباب اخفاقه على رغم ما أنفقت عليه الدولة وما تزال ترصد له من الملايين وعلى رغم ما يبذله المعلمون من جهد صادق وما يملؤهم من الثقة بأنفسهم والشعور بالفخر لثقة الدولة بهم حين وكلت اليهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تربية الجيل القادم من أبناء الشعب وهم اكثريته العظمى

نظرنا في كل ذلك ودرسنا اسبابه المختلفة فظهر لنا انهُ ليس هناك من سبب لاخفاق هذا التعليم غير النظام نفسه ، ذلك النظام الفاسد من كل وجه سواء من ناحية مدته او من ناحية الغرض منهُ . فلما أتممنا البحث مضينا في درس وسائل العلاج اذ كان هذا النوع من التعليم هو الاساس لبناء التعليم العام ، أخذنا نعد العدة لاصلاحه اصلاحاً يحقق الغاية منهُ بحيث لايقتصر اثره على محو الامية بل يتجاوز ذلك الى تثقيف الشعب كله تثقيفاً يبنيه بناءً جديداً جسماً وعقلاً وخلقاً ، ويربط بينه وبين الحياة ووسائل الكسب ولا سبيل الى تحقيق ذلك الا ان يوجه هذا التعليم توجيهاً جديداً يلائم حاجة الطبقات العاملة في المدن والقرى ويعد الشباب للعمل النافع في الزراعة والصناعة على أساس من التعليم العام ،ويساعدهم على اكتساب المهارة فيما يزاولون من زراعة او صناعة

وعلى هذا الاساس وضعنا مشروع المدارس الريفية والمدنية وهي معاهد اقليمية تختلف مناهجها باختلاف البيئات ، والغرض منها اعداد التلاميذ لاكتساب رزقهم من خيرات الارض في القرى او من صناعات البحر في المدن الساحلية او من عمل الايدي في الحواضر لننشىء جيلاً من الصناع والعمال المهرة على قسط من التعليم ينهض بهم وبصناعاتهم، ولعل هذه المدارس ان تكون سبباً الى نهضة عامة تجني الامة منها الخير الكثير وتزيد في ثروتها العامة ،وستفتح طائفة من هذه المدارس ابوابها للتلاميذ بعد قليل وقد اعددنا العدة لزيادتها عاماً فعاماً حتى تنتظم البلاد جميعاً في وقت قريب

وقد كان من اول ما عنينا به في وزارة المعارف ان نزيد توثيق روابط الثقافة بين مصر والبلاد العربية ليكون ذلك سبيلاً الى توحيد الروح العربي بين مصر وشقيقاتها وسبباً الى الوحدة الثقافية بين ابناء العربية جميعاً ، ولم ندخر جهداً ولا مالاً في سبيل هـذا التعاون العلمي ، فقد بلغ عدد المدرسين المصريين المنتدبين للعمل في الاقطار الشقيقة ما يقرب من المائتين على ان اطراد العدد في الزيادة لن يقف عند هذا الحد ، فقد أخذنا على أنفسنا العهد ألاّ نرد طلباً لبلد من البلاد العربية في هذا السبيل مهما كلفنا ذلك من الجهد والمال

وفي سبيل تنظيم هذا التعاون الثقافي بين مصر واخواتها أنشأنا مكتباً للتعاون الثقافي هو اليوم بسبيل اعداد اتفاقية بين مصر والبلاد العربية

وفي مدارسنا وجامعاتنا اليوم من الطلاب العرب عدد غير قليل يطرد في الزيادة عاماً فعاماً وقد يسّرنا لهم جميعاً سبيل العلم في الجامعة والمعاهد المختلفة كما انشأنا لاقامتهم دار الطلبة الشرقيين لنشعرهم انهم في مصر بين اخوانهم وأهليهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

على اننا لم نكتف بما اقتضته طبيعة التعاون مع الاقطار الشقيقة من نشر الثقافة المصرية في الشرق بل حرصنا على ان ننشر الثقافة المصرية في الغرب تحقيقاً لما نصبو اليه دائماً من ان يكون شأن مصر مرفوعاً في كل مكان ومن ان يكون العلم بحقيقة الحياة المصرية ملائماً لهذه الحقيقة ومطابقاً للواقع لا يعرض مصالحها ولا كرامتها وسمعتها لشر مهما يكن قليلاً . لذلك انشأنا معهد الثقافة المصرية في لندن ليكون مصدراً تنتشر منهُ المعرفة الصحيحة للجهود الحقيقية التي بذلتها مصر في الماضي والتي تبذلها الآن وستبذلها في المستقبل لتأخذ بنصيبها في بناء الحضارة الانسانية

وكنا في انشاء هذا المعهد حريصين على تحقيق التعاون الثقافي بيننا وبين حليفتنا تعاون الند للند والصديق مع الصديق فللحليفة معاهدها البريطانية في مصر ولمصر اليوم معهدها المصري في لندن ، ونحن نرجو ان تكثر أمثال هذا المعهد لا في بلاد الحليفة وحدها ، بل في البلاد الاوربية والاميركية التي يهمنا ان يكون بيننا وبينها تعاون يقوم على الديمقراطية الصحيحة

ولا يسعنا حين نذكر امتداد الثقافة المصرية في الشرق والغرب ان نغفل الاشارة الى مدرسة الخرطوم الثانوية التي قررنا انشاءها في هذا العام . وقد كان انشاء هذه المدرسة أمنية مصرية قديمة لم تستطع حكومة من الحكومات السابقة ان تحققها . وكان آخر جهد الحكومات السابقة في سبيل تحقيق هذه الامنية أن تعتمد المال اللازم لها في الميزانية ثم تنقطع بها الوسائل فتقف عند هذا الحد ، ولا تخطو خطوة عملية واحدة الى الامام

فلسنا نغلو اذا عددنا انشاء هذه المدرسة في هذا العهد وقيامها حقيقة ثابتة — مأثرة من مآثر حكومة الشعب العظيمة — وستفتح هذه المدرسة ابوابها للطلاب في يناير المقبل ان شاء الله وهو موعد بدء السنة الدراسية في السودان

ولم يقف جهد حكومة الشعب عند هذا الحد في تشجيع التعليم بل سلكت كل ما تستطيع من السبل في هذا الشأن وقد كان قرار انصاف الجامعيين في مختلف وظائف الدولة وتحسين مرتباتهم ووضعهم في الدرجات اللائقة لهم باباً من تشجيع العلم وتكريم المتعلمين ليشعر كل طالب علم وهو في المدرسة وبعد انتهائه من التعليم انهُ في موضع الاعزاز والكرامة من رجال الدولة جميعاً لا يغمطونه حقه ولا يضنون عليه بمال

ولما تولينا وزارة المعارف في هذا العهد هالنا ما وقفنا عليه من سوء حال المعلمين واغفال الحكومة لهم وشعرنا بمقدار ما يحسون في نفوسهم من المرارة والالم لهذه الحال وهم الذين يتولون تثقيف الامة وتنشئة شبابها ، فقدرنا ما يعود على التعليم من سوء هذه الحال في نفوس المعلمين وأخذنا في تدبير الوسائل لانصافهم وتحسين حالهم على اختلاف انواعهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومعاهد تخريجهم ورصدنا المال اللازم لذلك في الميزانية وقد أتممنا تحسين حال فريق منهم هذا العام وسيتم انصاف سائرهم في ميزانية السنة القادمة ان شاء الله

وقد ارتبطت الحكومة بهذا العهد الوثيق وانا لنرجو بذلك ان نيسر لهذه الطائفة النافعة نوعاً من الحياة الكريمة يلائم المهمة العظيمة الملقاة على عاتق رجالها في تثقيف النشء وتربية الجيل

وكانت حال المعلمين الالزاميين سيئة أشد السوء مثيرة للالم حقًّا ، فقد انحطت مرتباتهم الى حيث لا تستطيع ان تنهض بحاجاتهم ، وأهمل مستقبلهم اهمالاً مثيراً ونحن نطلب الى هؤلاء المعلمين ان يكونوا أمناء على أبناء الشعب ، يربوهم في الطور الاول من أطوار حياتهم تربية كريمة حرة ، فلا أقل من ان نكفل لهم حياة كريمة ومستقبلاً آمناً

ذلك جهدنا وما بلغنا ، وانا لنضع في خاتمة ما تقدم من الحساب ، ان آخر رقم بلغته ميزانية التعليم في مصر في عهد حكومة الشعب يزيد على آخر رقم بلغته ميزانية التعليم في العهد السابق بمقدار مليون وستمائة الف جنيه ، منها مليون جنيه في ميزانية وزارة المعارف ومائة الف جنيه زيادة على الاعانة المقررة لجامعة فؤاد الاول وخمسمائة الف جنيه لجامعة فاروق

على اننا وقد أشرنا الى مقدار الزيادة في ميزانية التعليم في العهد الحاضر ، لا يسعنا ان نغفل حقيقة أخرى مؤلمة ، ووددت لو استطيع ان أطويها ، هي ان آخر ميزانية للتعليم في العهد السابق كانت أقل من سابقتها ، والسابقة اقل مما قبلها ، واذا كان للارقام في كثير من الاحيان دلالتها على المعاني فاني أدع هذه الارقام تتحدث اليكم حديثها وتوحي بمعانيها لتدلكم على الفرق الهائل بين عناية حكومتكم بالتعليم ، وتقديرها لأهميته وعناية الحكومة السابقة

***

ذلك بعض ما قامت به الحكومة في شؤون التعليم في هذه الفترة القصيرة من تاريخ الوفد على اننا كما قلت من قبل لا نزعم اننا بذلك قد حققنا لمصر كل ما نرجو ، ولكننا قد بذلنا كل ما نستطيع ، فان ما بقي علينا بعد ذلك لكثير ، كثير جدًّا بالقياس الى هذا الذي مضى

اننا لا نزال علينا في التعليم واجبات كثيرة ، واننا بسبيل الاعداد لها منذ اليوم وسنتقدم الى البرلمان بعد أيام بالسياسة العامة الجديدة التي رسمناها للتعليم ، وحددنا بها اتجاهاته وأهدافه العليا ، وخطته العامة جملة ونوعاً نوعاً ، وستكون مشروعاتنا واسعة النطاق شاملة لكل مشاكل التعليم ، متناولة كل غرض من اغراضه مفصلة انواعه ووسائله وحاجة الشعب اليه وحقه فيه ، ولم نغفل فيما رسمنا من هذه السياسة العامة ان نلائم بين الديموقراطية الصحيحة ونظام التعليم نفسه ليكون برنامجنا في الاصلاح التعليمي متمشياً مع السياسة العامة للدولة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وسيشمل تقريرنا عن هذه السياسة ما اتخذنا من القواعد لتقرير حق الفقراء في التعليم بكل نوع من انواعه ، والتسوية بين جميع طبقات الأمة في التعليم تشجيعاً للمواهب الممتازة حيث كانت وأين نشأت ، فان الأمة في حاجة الى الانتفاع بجميع المواهب الممتازة . فلابدّ ان تتاح لكل موهبة فرصتها للنمو الى آخر الطاقة ، لا يعوقها عائق ولا يحول دونها حائل ، فان قصر نوع من التعليم على طبقة من الشعب لأنها تملك وسائله ، معناه حرمان الطبقة التي لا تملك ، ونتيجة ذلك ان تصاب الديموقراطية بالعقم ، لأن المواهب ليست احتكاراً لطبقة من الشعب دون طبقة

وسنعالج الى جانب ذلك في سياستنا العامة توجيه التعليم وجهة النفع والانتفاع حتى لا يؤدي الى التعطل والبطالة . وقد سبقت الاشارة الى ما اتخذنا من خطة لاصلاح التعليم الالزامي باعتباره الاساس الذي يقوم عليه بناء التعليم العام

ولم ننس ان البلاد وهي في مستهل نهضتها الصناعية الحاضرة في حاجة الى مزيد من العناية بالتعليم الفني . فحاولنا بما رسمنا له من خطة ان نجعله وافياً بحاجات البلاد كيفاً وكمّاً ، وبدءًا وغاية

كما عالجنا نظام التعليم نفسه ومشكلة الامتحانات المدرسية والامتحانات العامة علاجاً نأمل أن تزول بهِ أسباب الشكوى ويتحقق النفع العام

ولما كانت كل محاولة لاصلاح التعليم لاتبدأ بالنظر في اعداد المعلم قضيًّا عليها بالاخفاق فقد جعلنا هذا الاعداد باباً من سياستنا العامة لهُ حظهُ من العناية والتقدير

واننا لنوقن يقيناً لاشك فيهِ أن التعليم حق طبيعي لكل حي لا يمنع منهُ مانع من فقر أو مرض أو عاهة ، وتحقيقاً لهذا الرأي أولينا تعليم ذوي العاهات شيئاً من عنايتنا وأعددنا العدة لتنفيذ برنامجنا في هذا الشأن

هذه خطتنا الجديدة في التعليم وهذه عناصر سياستنا العامة التي وضعنا اساسها لم أتناولها بالشرح والتفصيل اذ كان المقام لا يتسع لشيء من ذلك . وانما اجتزأت هنا بالعنوان بعد العنوان حتى يحين أوان التفصيل الوافي في البرلمان في وقت قريب

واحسبكم بعد هذا الاجمال لما قامت به حكومتكم وما تعتزم أن تقوم بهِ في شؤون التعليم وغير التعليم ، قد طابت نفوسكم واطمأنت قلوبكم وعلمتم انكم لم تثقوا بغير أهل للثقة ولم تكلوا أموركم الى من لا يحسنون النهوض بهذه الامور

أما نحن فنكرر لكم العهد الوثيق على أن نبذل كل ما نستطيع من جهد وقوة ، لتحقيق الثقة العظيمة التي اوليتمونا اياها وقلدتمونا بها فخر التاريخ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

غرائب النقل الجوي

في أثناء الحرب

في سرعةٍ وأمنٍ وإحكام

جلس عامل الاشارة في مقر القيادة الأميركية بوشنطن امام جهازه. واذا الجهاز يسجِّل رسالة من قيادة الجنرال ماك ارثر في الجانب الآخر من الكرة. وكان مؤدى الرسالة ان الجنرال يحتاج الى طنين من اجزاء التغيير في استراليا وان حاجتهُ اليها ماسة. فلم تمض دقائق معدودات حتى كان سلاح التموين في الجيش الاميركي، قد حدَّد المصنع الذي يمكن ان تؤخذ هذه الاجزاء منهُ. وبعد دقائق أخرى، تلقى قائد طائرة من طائرات قيادة النقل إشارة، وكان في طريقهِ بين مدينتين اميركيتين، وطائرته مشحونة شحناً ما. وكان الوقت قرب منتصف الليل حين تلقى الطيار هذه الاشارة. فانحرف عن سيره الى مدينة لم تكن في حسبانه فافرغ شحن طائرته، وشحن الاجزاءَ التي طلبها ماك آرثر واتجه بها الى مطارٍ على ساحل اميركا الغربي فبلغه في الصباح. وتولَّت طائرة اخرى نقل هذه الاجزاء، من هذا المطار الى استراليا، فبلغتها في ثمانٍ واربعين ساعة

وكان طيارٌ آخر على موعد لتناول طعام الغداء في مطعم بوشنطن، فاعتذر الى صاحبه في اللحظة الاخيرة قائلاً « يؤسفني ألاَّ أحضر لتناول الغداء معك ولكن عليَّ ان اكون في بورما بعد يومين »

هاتان لمحتان من عمل قيادة النقل الجوّي الاميركية

كانت هذه القيادة منذ سنة لاغير في مهدها فاذا هي اليوم لها حظ في كل جهدٍ حربيٍّ على سطح الأرض ويبلغ طول الخطوط المقرَّرة لطائراتها تسعين الفاً من الأميال. وقد قال الجنرال هارولد جورج قائد هذه القيادة لمكاتب مجلة الميكانيكا العامة — وعنها ننقل — « ليس في وسعي أن أنبئك بعدد الطائرات التي تروح وتغدو على هذه الخطوط، ولكنها كانت لا تزيد على عشرات منذ سنة وهي الوف الآن. ففي قيادة النقل الجوّي الآن، من الضباط عدد يفوق عدد ضباط الجيش الاميركي كلهِ حين نشبت الحرب »

وقد قضت قيادة النقل الجوي، سنةً تماماً، قبل انشاءِ خطوطها العالميــة النطاق، وهي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تتولى نقل الطائرات الحربية من المصانع الى مطارات التدريب ، أو الى ميادين القتال في جميع أنحاء العالم ، فقطع طيَّارو هذه الطائرات ، في سنة نهايتها شهر ابريل ١٩٤٢ ما مجموعهُ ثمانون مليون ميل ، من الولايات المتحدة ، الى أوربا أو آسيا أو جزائر الوشيان أو افريقية والشرق الأوسط ، أو غيرها

ويتباين ما تنقلهُ هذه الطائرات تبايناً عجيباً : فقد تنقل أفلام السينما وخطابات الأهل الى الجنود في غينية الجديدة ، أو قد تنقل فلز التنغستن الثمين من الصين الى الولايات المتحدة ، أو خشب البلزا الخفيف من أميركا المتوسطة الى الولايات المتحدة لاستعمالهِ في صنع الطائرات السابحة في الهواء ، أو الزوارق الخفيفة لحراسة السواحل ومقاومة الغوَّاصات . وقد يكون شحن بعضها عشرين طنّاً من بزور شجر المطاط ، من جمهورية ليبيريا ، أو فلز البلاتين من خليج ايران ، أو جرحى الأميركيين من ميدان القتال الى مستشفى الأساس

ويروى ان مصانع بريطانيا أعوزها في فترة ما معدن الميكا ، اللازم لأجهزة الطائرات فصدر الأمر الى قيادة النقل الجوّي الاميركية ، بنقل الميكا من الهند الى انكلترا ، فأنجزت المهمة بعد انقضاء ثلاثة أيام أو أربعة أيام على الطلب . وكانت في ميناء سياتل الاميركية على الساحل الغربي سفينة شحن تهمُّ بالقيام بعد أيام. ولكنها عاجزة عنهُ ان لم تجهز بما زنتهُ ١٥ الف رطل من أنابيب النحاس . فطلب من مصنع بكونكتيكت في شرق الولايات المتحدة ، أن يصنع الأنابيب فأنجز المصنع صنع الطن الأول من هذه الانابيب وسلمهُ الى مطار بنيويورك بعد انقضاء يوم واحد على صدور الأمر الى المصنع ، وتولت قيادة النقل الجوي نقلهُ الى سياتل ، فسلِّم للسفينة يوماً كاملاً قبل ميعاد إقلاعها . وشبَّت نار في مستشفى حربي ببلدة نوم في الاسكا ، فدمَّرت كل شيء ، فلم ينقض يومانِ على ذلك حتى كانت طائرات قيادة النقل ، قد حملت الى نوم مستشفى نقَّالاً يشمل أربعةً وعشرين سريراً ، وجهازاً للاشعة السينية وحقناً ، وما أشبه . وقد حدث مرة أن احتاجت القوات الحليفة في ساحةٍ ما بالشرق الأوسط الى أجهزة خاصة بالمدافع المضادَّة للدبابات فجاءَها ما تريد بعد طلبهِ بثلاثة أيام ، من الولايات المتحدة ، والرأي الغالب ان هذا الحادث الصغير في حدّ ذاتهِ ، كان لهُ شأن عظيم في انقلاب ميزان الحرب

***

ان المطارات التي تستعملها طائرات قيادة النقل ، يحيط بها ستار من الكتمان . ولكنَّ حديثاً مذاعاً من لندن ، قبل أشهر ، أشار الى « أعظم مطار في العالم » في لابرادور ، وهو المطار الذي تقوم منهُ الطائرات الحربية الى بريطانيا . وجاءَ في هذا الحديث كذلك ان رجال

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

هذا المطار يتولون خدمة مائة طائرة في يوم واحد ، قامت جميعها منهُ متجهة الى بلادٍ وراء البحار . وهذا المطار واقع في منطقةٍ جوُّها مؤات للطيران في جميع فصول السنة فمن المحتمل أن يغدو بعد الحرب ، ملتقى خطوط جوية كثيرة تعبر المحيط الاطلسي الشمالي ، بين أميركا وأوربا

وغنيٌّ عن البيان ان معرفة أحوال الجوّ من أهم العناصر في النقل الجوّي. ولذلك أنشأت قيادة النقل الجوية محطات خاصة بها، لرصد الظواهر الجوية في جميع أنحاء المعمورة. ولها الآن مراقبون ، يقومون على هذه المهمَّة ، منتشرون من خط الاستواء الى المنطقتين المتجمدتين في الشمال وفي الجنوب، وهم يوافونها بالحقائق التي يجمعونها في فترات رتيبة ، معتمدين في نقل الحقائق على اشارات لاسلكية خاصة . ومنهم من يقيم في عزلة مدى تسعة اشهر من السنة. وقد وصلت جماعة منهم الى مقرها في المنطقة المتجمدة الشمالية في ١٥ اكتوبر سنة ١٩٤٢ فلم يروا بعد ذلك رجلاً أبيض الاَّ في يناير من السنة التالية

وعمل النقل الجوي، عمل رتيب على الأكثر ، لا تتخلله مغامرات . ولكن من الطيارين ما يحدث لهم في الحين بعد الحين ، حادث غير مألوف . فقد كان احدهم طائراً على ارتفاع مائة قدم فوق سطح البحر في المنطقة الشمالية من المحيط الأطلسي ، فرأى غوَّاصة على السطح ولم يكن معه سلاح ما ، فلم يستطع ان يصنع شيئاً ضدَّ الغوَّاصة ، فانصرف جهده الى اجتناب مدافع الغواصة ان رآه رجالها وسددوا مدافعهم اليه. وقد يعبر الطيارون المحيط الأطلسي مراراً ، وقد يقضي رجال الدوريات الجوية أياماً واسابيع وهم يرصدون سطح البحر بحثاً عن الغواصات ولا يظفرون برؤية واحدة منها

* * *

وقد كان الناس الى عهد قريب ، يعنون بأخبار الطيران عبر المحيط لمعرفة المدَّة التي تستغرقها الطائرة بالقياس الى ما كانت عليه الحال في العشرين السنة الأخيرة . ولكن رجال قيادة النقل الجوي ، لا يعنون هذه العناية ، لأن الأرقام القياسية في عبور المحيط ، تتبدل تبدلاً سريعاً ، ولهم في كل يوم ظفرٌ جديد ، وقد كانت أقصرُ مدة لعبور المحيط الأطلسي في أواسط هذه السنة ست ساعات وثلثي الساعة . وقد طار أحد طياري هذه القيادة من اميركا الى استراليا في يوم ونصف يوم

ومع كل هذا ، لا يزيد عدد الحوادث التي تصاب فيها الطائرات بأذى مَا على أقل من نصف واحدٍ في المائة ، اي ان طائرة واحدة في مائتي طائرة تصاب بما يؤذيها ، والأذى على الغالب ، عابر ولا تلبث الطائرة حتى تعود الى الخدمة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من مآثر العرب

في علم الطبيعة

٢ — فيما يتعلق بأصحاب التعاليم*

لمصطفى نظيف بك
استاذ الطبيعة بكلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول

اقتصرت في حديثي السابق على بيان ما تناوله الفلاسفة الاسلاميون من المباحث التي لها ارتباط بعلم الطبيعة سواء من الناحية الفلسفية العامة أو من الناحية الخاصة بمسائل معينة من هذا العلم

فبقى أن أتناول في هذا المقال ما يتعلق بأصحاب التعاليم

أصحاب التعاليم الاسلاميون قد عُنوا بمسائل كثيرة من المسائل التي ترد الآن في علم الطبيعة . ولكنهم كانوا أكثر شغفاً بالمسائل الميكانيكية ، والمسائل الضوئية ، وأكثر ميلاً الى دراستها . وسيكون حديثي هذا مقصوراً على ما يرتبط من مباحثهم بفرعي الميكانيكا والضوء دون فروع علم الطبيعة الأخرى

أما في الميكانيكا فقد استرعى انتباههم من أول الأمر علم سموه « علم الحِيَل » ألَّف فيه بنو شاكر الثلاثة محمد واحمد والحسن ، في منتصف القرن التاسع بعد الميلاد كتاباً عرف بحيل بني شاكر . وألَّف فيه أبو العز اسماعيل الجزري في أوائل القرن الثالث عشر كتاباً سماه «الجامع بين العلم والعمل» . وتناول المشتغلون بهذا الفن وصف آلات مختلفة كالساعات وآلات لرفع المياه ، وفوارات يتبدل خروج الماء منها ، وآلات على هيئة الطير اذا سال الماء منها أحدثت صفيراً وما الى ذلك ، قد بنيت صنعتُها على قواعد علمية ولها لاشك قيمتها الفنية ، وأظهر فيها أربابها ابتكاراً وتفنناً عجيبين

ولم تكن عناية الاسلاميين بعلم الميكانيكا مقصورة على هذه الناحية الضيقة . فقد كانت لهم مباحث أخرى استطاعوا فيها أن يتبيّنوا بعض المعاني الاساسية التي يقوم عليها علم الميكانيكا في الوقت الحاضر ، وألمّوا فيها ببعض النظريات الهامة في علم الاستاتيكا ، خصوصاً النظريات المتعلقة بمراكز الأثقال

* ثاني حديثين سبقت اذاعتهما من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية . وقد نشر اولهما في العدد السابق من المقتطف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ويتضح مدى تقدمهم في هذا المضمار مما ذكره الخازني في كتابه « ميزان الحكمة » وهو كتاب علمي عربي يرجع تأليفه الى القرن الثاني عشر بعد الميلاد كان قد عثر عليه « خانكوف » قنصل الروسيا في تبريز وعلّق عليه في بعض المجلات الاميركية ونقل بعض فقراته الى الانكليزية سنة ١٨٦٠ [1] فقد أورد الخازني في مقالته الاولى من الكتاب رؤوس مسائل مراكز الاثقال التي ينتفع بها في الميزان نقلاً عن الحسن بن الهيثم وأبي سهل الكوهي

ويضيق المقام عن تفصيل المسائل التي نقلها الخازني عنهما وسأكتفي بأن أبين بايجاز المبادىء الاساسية والنظريات الهامة التي أوردها

فمن ذلك بيان واضح لمعنى الثقل عُرِّفَ فيه الثقل بالقوة التي يتحرك بها الجسم نحو مركز العالم أي مركز الأرض ، وذُكر فيه ان الأجسام المتساوية الثقل كما يقول الخازني بلفظه « هي التي اذا تحركت في جسم واحد من الاجسام الرطبة من نقطة واحدة كانت حركاتها متساوية أعني انها تجوز في أزمنة متساوية مسافات متساوية ». وجاءَ فيه التمييز بين الأجسام من حيث الكثافة وورد في هذا التمييز معنى عبر عنهُ الخازني بلفظ « القوة » يغاير معنى الثقل لعلهُ أراد به معنى شبيهاً بمعنى الكتلة في الوقت الحاضر

وأعجب من ذلك معرفة أن تساوي الاثقال لا يكفي فيهِ تساوي الكتل والحجوم بل يتطلب علاوة على ذلك أن تتساوى الأبعاد عن مركز الارض

ومن بين المسائل التي ذكرها الخازني تعريف مركز الثقل . والشرط الذي يجب أن يتوافر عند تعادل ثقلي جسمين عند نقطة . ثم النص على انه اذا انضمّ الى أثقال متعادلة عند نقطة أو مركز ، أثقالٌ متعادلة عند ذلك المركز ، كان ذلك المركز مركز ثقلها جميعاً . أو اذا أنقص من أثقال متعادلة عند مركز ، أثقالٌ متعادلة عند ذلك المركز ، كان ذلك المركز مركز الباقي منها . والنص على ان المستوى الذي يخرج من مركز ثقل الجسم يقسم الجسم قسمين متعادلي الثقل وان المستوى الذي يقسم الجسم قسمين متعادلي الثقل يمر بمركز ثقله

ولو ان الخازني قد اقتصر في المسائل التي أوردها عن مراكز الأثقال ، على ما يتعلق منها بالميزان فقد كان لأبي سهل الكوهي مباحث أخرى تناول فيها تعيين مراكز الاثقال لبعض الاشكال الهندسية كقوس الدائرة والقطعة أو القطاع منها والمثلث والمخروط ونصف الكرة

---

(١) جميع ما يتضمنه هذا الحديث من الامور المتعلقة بهذا الكتاب مستق من رسالة « خانكوف » المشار اليها . والخازني اسمه الكامل « ابو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازني » ويعرف ايضا بالخازن . (انظر « تراث العرب العلمي » للاستاذ قدري حافظ طوقان)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والقطع المكافىء ومجسم القطع المكافىء وما الى ذلك . وقد اشتهر لدى معاصريه ببحوثه عن هذه المسائل وتبودلت بينه وبين أبي اسحاق الصابي الكاتب المعروف خطابات ورسائل في هذا الشأن

والاسلاميون سبقوا أهل أوروبا الى العناية بالاوزان النوعية وتعيينها وجعلوا لها جداول أدرجوا فيها مقاديرها لكثير من الاجسام التي شاع عندهم استعمالها سواء كانت فلزات مختلفة ، أو جواهر أو أجساماً استخدموها في بعض صناعاتهم ، أو مائعات . وقد امتاز في هذا الامر أبو الريحان محمد البيروني وهو من معاصري ابن سينا وابن الهيثم . واتخذ البيروني في بحوثه آلة استعان بها في تعيين مقدار الماء الذي يساوي حجمهُ حجمَ الجسم . وكانت تشبه الابريق لها عنق ضيق بهِ أنبوبة ضيقة مقوسة الى أسفل على صورة الميزاب ، حتى اذا ملئت الآلة ماء وقف سطحه ازاء ثقبها ، فاذا غُمر الجسم فيها انسكب من الانبوبة ماء بقدر حجم الجسم

والبيروني نفسه وأصحاب التعاليم الاسلاميون الذين أخذوا عنهُ لم يستعملوا الاصطلاح (الوزن النوعي) المألوف في الوقت الحاضر أو اصطلاحاً آخر يؤدي معناه ، وانما اكتفوا بأن رصدوا في جداولهم وزن الماء الذي حجمه يساوي حجم مائة مثقال من الجسم . ومما يدل على درجة دقتهم في الوزن وفي تعيين الحجم بالآلة التي اخترعها البيروني ان المقادير الواردة في تلك الجداول صحيحة الى حد يثير الاعجاب فالوزن النوعي للزئبق مثلاً بحسب نتائج البيروني ١٣ر٥٦ في حين ان « بويل » العالم الطبيعي المشهور كما قال خانكوف في تعليقه على كتاب « ميزان الحكمة »، عيّن في القرن الثامن عشر أي بعد البيروني بسبعة قرون ونيف ، الوزن النوعي للزئبق بطريقتين مختلفتين فلم يوفق في كلتيهما الى بلوغ الدقة التي بلغها البيروني من قبله

ومما لا شك فيه ان البيروني ومن حذا حذوه في هذا الامر قد أدركوا جميعاً ان قيم المقادير التي رصدوها تتفاوت بحسب درجات الحرارة . وقد دعاهم هذا الى عنايتهم بذكر البقعة التي استخدموا ماءها في أرصادهم وذكر الفصل من السنة الذي عملت فيه تلك الارصاد والخازني يذكر ان البيروني قد رصد الفلزات والجواهر بزنتها المائية بجرجانية خوارزم في أوائل فصل الخريف والمياه معتدلة البرد . ويشير الى وجوب العمل في الشتاء بالماء الفاتر دون البارد جداً

وللبيروني بحث عيّن فيه بكل ما تيسر له من الدقة وزن الذراع المكعب من الماء . وهذا البحث على قدر ما وصل اليه علمي هو أول محاولة من نوعها في تاريخ العلم قصد منها وضع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحدات القياس على دعامة ثابتة . والبيروني في نظري قد سبق علماء فرنسا في ابان مستهل القرن التاسع عشر الى فكرتهم في تثبيت الكيلوجرام بالديسيمتر المكعب من الماء . وقد تناول الاسلاميون موضوع الوزن النوعي على أسلوب آخر . واستعانوا في ذلك بقاعدة ارخميدس . وتوسعوا في الأمر حتى اتخذ الموضوع عند كثير منهم صبغة عملية انتفعوا بها في الصياغة وفي صك النقود . وليس أدل على ذلك من تفننهم في عمل موازين مختلفة جعلت ذات تدريجات او شعيرات كما كانوا يسمونها تصلح للاغراض التي أرادوها بأهون سبيل

حسبي ان أذكر من هذه الموازين الميزان الذي اخترعه المظفر بن اسماعيل الاسفزاري وسماه « ميزان الحكمة » . وهو المقصود من عنوان كتاب الخازني الذي أسلفنا ذكره . وكان للميزان خمس كفات منها كفة تغمر في الماء وكفتان متنقلتان وجعل عاتق الميزان مدرجاً ذا شعيرات ولا يسمح المجال بتفصيل العمل بهذا الميزان العجيب . واكتفي بالاشارة الى انهم استطاعوا به معرفة هل كان الجسم المفحوص عن حقيقة معدنه مثلاً من فضة خالصة ، او من ذهب خالص ، أو ممتزجاً منهما ؟ وان كان ممتزجاً فاستطاعوا بالميزان معرفة وزن ما فيه من الفضة أو الذهب وذلك من غير سبك أو تخليص أو طروء أي تعديل أو تغيير عليه

وقد أدرك الاسلاميون ان قاعدة ارخميدس لا يقتصر تطبيقها على السائلات بل هي قاعدة عامة تطبق أيضاً على الغازات وكما يقول الخازني بلفظه « الاجرام الثقال يعاوقها الهواء وهي بذواتها في الحقيقة أثقل من ثقلها الموجود في ذلك . واذا نقلت الى هواء ألطف كانت أثقل . وعلى خلافه اذا نقلت الى هواء أكثف كانت أخف »

ونقص الوزن بحسب القاعدة هو بقدر وزن الهواء الذي يُزيفه الجسم . فلا جدال في ان الاسلاميين قد علموا بأن للهواء وزناً . وقد سبقوا أهل اوربا الى معرفة هذا الامر . وعلمهم بأن وزن الجسم في الهواء ليس هو وزنه الحقيقي هو في ذاته جديرٌ بالتقدير

هذا ما أحببت أن أستعرضه في هذا الحديث من مآثر الاسلاميين في علم الميكانيكا

أما علم الضوء أو بالأحرى فرعه الذي نسميه الآن البصريات الهندسية فقد كان امره أعجب. واذا ذكر علم الضوء عند الاسلاميين ذكر الحسن بن الهيثم . فهو الذي وضع القواعد التي لا يزال يقوم عليها هذا العلم . وهو الذي دعم أصوله بالاعتبار . وهو الذي جعل له كيانه الحديث الذي أخذه عنهُ علماء الغرب ، وظلَّ لديهم قروناً عدة ، من غير أن يضيفوا اليهِ من عندهم شيئاً ذا قيمة . ولابن الهيثم مقالات كثيرة متفرقة تناول فيها موضوعات مختلفة من هذا العلم . وله كتاب المناظر . وقد بلغ به الذروة وهو من أجلّ الكتب العلمية التي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ألّفها الاسلاميون . وقد تُرجم الى اللاتينية ونُشرت ترجمته في الربع الاخير من القرن السادس عشر وعُرف عندَ الغربيين باسم « الذخيرة في علم الاوپْطيقي للهازن » والهازن هو اسم الحسن بن الهيثم المحرَّف الذي عرف به عند الفرنجة

***

واعمال ابن الهيثم في الضوء تضيق الأحاديث عن الاحاطة بها ولا يسعني الاَّ أن أبيّن منها سياق مجراها العام على وجه الاجمال فابن الهيثم استأنف النظر في هذا العلم من مبادئه الاولى . فأثبت بالاعتبار امتداد الاضواء على السموت المستقيمة في الجسم المشف الواحد . وتناول على هذا الاساس شرح الظواهر التي تنجم عن خاصة الامتداد على السموت المستقيمة كظاهرة الاظلال ، وحدوث صور المبصرات عند نفوذ اضوائها من ثقب ضيق الى بيت مظلم. وابن الهيثم قد سبق علماء الغرب الى بيان حقيقة الامور المتعلقة بهاتين المسألتين وله من غير شك فضل السبق في هذا المضمار

ثم هو تناول موضوع الانعكاس وكانَ قد تناوله من قبل اقليدس وبطليموس . ولكنهُ أعاد النظر فيه من مبادئه . فبحث عن كيفية الانعكاس مستنداً على الاعتبار . واتخذ آلة خاصة سماها آلة الانعكاس استطاع بها أن يستقصي احوال المرايا المختلفة كالمستوية والكرية المحدبة والمقعرة والاسطوانية المحدبة والمقعرة والمخروطية المحدبة والمقعرة بل وذكر امكان الاعتبار بالآلة المذكورة بالمرايا ذات القطوع المخروطية . واستقرأ من بحوثه كيفية انعكاس الاضواء جميعاً ونصَّ بجلاء ودقة على ما نسميه اليوم قانون الانعكاس بشطريه المعروفين

ثم أخذ يطبق القانون لشرح كيفية تكوّن الصور وقد سماها الخيالات . وبيّن مواضع تلك الخيالات في المرايا المختلفة التي ذكرناها . وأوضاع الخيالات واعظامها . وتضمنت أقواله حالتي الصور الحقيقية والصور التقديرية . وأحاط في هذا الصدد بظاهرة الزيغ الكري

وعني بالمرايا المحرقة وشرح كيفية صنع المرايا المحرقة التي تحدث احراقاً في نقطتين معينتين فضلاً عن النقطة الواحدة

وقد ابتكر في الانعكاس مسألة عرفت عند اهل اوربا بمسألة الهازن وهي تتلخص في تعيين النقطة او النقاط من السطح التي اذا وصلت بنقطتين مفروضتين حيثما اتفق كان احد الخطين بمثابة الشعاع الساقط والآخر بمثابة الشعاع المنعكس . واستطاع أن يضع لهذه المسألة حلولاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

في احوال السطوح الكرية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة وبيّن الاحوال التي تكون فيها نقطة الانعكاس واحدة والاحوال التي تتعدد مثنى وثلاث ورباع . وهي جميعاً مسائل معقدة تتعلق بالهندسة الفراغية وتتضمن هندسة القطوع المخروطية

وتناول ابن الهيثم موضوع الانعطاف وقد تناوله من قبل بطليموس ولكنه هنا ايضاً أعاد النظر فيه من مبادئه وتوسع في دراسته واتخذ له آلة هي آلة الانعطاف كانت كفيلة باستقصاء الانعطاف من الهواء في الماء ومن الهواء في الزجاج ومن الماء في الزجاج وبالعكس في جميع هذه الاحوال وذلك عند السطوح المستوية فيما يتعلق بالهواء والماء وعند السطوح الكرية والمستوية في الاحوال الاخرى . فتحقق بذلك من صدق ما نسميه الآن القانون الاول في الانكسار . ورصد مقادير الزوايا وأراد أن يستخرج علاقة بينها ولكنه عني بزاوية الانعطاف لا بما نسميه الآن زاوية الانكسار فلم يوفق الى الكشف عن العلاقة المنصوص عنها الآن بثبوت النسبة بين جيب زاوية السقوط وجيب زاوية الانكسار . وقد ظلت هذه العلاقة في طيّ الكتمان زهاء ستة قرون من بعده . حتى كشف عنها سنل العالم الدانماركي سنة ١٦٢١

وان لم يوفق ابن الهيثم في كشف هذه العلاقة فقد استطاع ربط قيم زوايا السقوط التي اعتبر بها في تجاربهِ وقيم زوايا الانعطاف التي تقتضيها تلك الزوايا . استطاع ربطها بعلاقات اضطر لبيانها الى وضع سبعة او ثمانية أحكام لا يسمح المجال بذكرها او مناقشتها في هذا الحديث

ومضى ابن الهيثم الى بيان الخيالات التي ترى بانعطاف الضوء عند السطوح المستوية وعند السطوح الكرية واستقصاءِ أحوالها من حيث الوضع والعِظَم وبيّن في هذا الصدد أثر الانعطاف في أوضاع الأجرام السماوية وتناول في مقالته في الكرة المحرقة شرح كيفية نفوذ أشعة الشمس في كرة من الزجاج وقدّر بُعدَ النقطة التي تتجمع فيها وهي نقطة الأحراق وألمّ بظاهرة الزيغ الكري في الانعطاف نخطا على هذه الصفة بموضوع الانعطاف خطوات واسعة لم يسبقه اليها أحد من قبل

تلك بايجاز هي رؤوس الموضوعات التي عالجها في فرع البصريات الهندسية وهي جميعها لا تزال تدرس في مدارسنا في الوقت الحاضر على وتيرة لا تختلف في جوهرها كثيراً عن الطريقة التي سلكها هو نفسه

وفضل ابن الهيثم على علم الضوء ليس مقصوراً على هذه الامور التي اوجزناها . فابن الهيثم قد غيّر وجهة النظر في هذا العلم بل هو في نظري قد قلب أوضاعهُ . فقد كانت الآراء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عن حقيقة وجود الضوء في ذاته غامضة فان كان المتقدمون من الفلاسفة وأصحاب التعاليم كانوا قد ذهبوا بوجهٍ عام الى القول بوجود الاضواء الذاتية وهي التي تشرق من الاجسام المضيئة بذاتها، فانهم ميزوا بينها وبين الاضواء الثواني أو العرضية وهي التي تشرق من الاجسام المستضيئة بغيرها وذهبوا الى كيفية الإبصار مذهبين متناقضين. جمهور اصحاب التعاليم يقولون بأن الابصار هو بخروج شعاع من البصر. وجمهور الفلاسفة يقولون بان الابصار هو بورود شبح المُبْصَر الى البصر دون ان يعينوا ماهية هذا الشبح فجاءَ ابن الهيثم وأثبت بالاعتبار ان خواص الاضواء الذاتية والاضواء العرضية واحدة على تصاريف الاحوال ودلل بذلك على ان التمييز بينهما باطل، وفنَّد رأي أصحاب الشعاع وبيَّن انهُ عبث، وفنَّد رأي الفلاسفة وبيَّن ان الشبح الذي يقولون بوروده الى البصر لا يفيد اجمالاً ولا تفصيلاً في بيان كيفية الابصار

ووضع نظريته في ان الابصار هو بورود الضوء من المبصَر الى البصر ومهَّد لتفصيل نظريته بشرح تركيب البصر وطبقاته ورطوباتهِ المعروفة في الوقت الحاضر وبيَّن على هذا الاساس على قدر ما سمحت لهُ المعلومات التي توافرت لديه حدوث صورة المبصرَ في البصر وبيَّن السبب في ادراك الصورة واحدة بالنظر اليها بالبصرين وعالج الإبصار من الناحية النفسية وشرح كيفية ادراك البعد والشكل والعظم وما الى ذلك. وتدرَّج الى تفصيل أغلاط البصر وبحوثه في هذه المسائل آية في الاتقان. وهي على ما هي عليهِ في الاصل لا تزال تحتفظ بسلامتها وجدَّتها وروعتها

ولا يزال تعليلهُ لظهور الاجرام السماوية مثلاً وهي على الأفق أعظم منها وهي عند السمت هو المعوَّل عليه في الوقت الحاضر

وابن الهيثم قد أدرك بجلاء بصيرته ما شقَّ ادراكه على أساطين العلم من أهل أوروبا الى أواسط القرن السابع عشر من أمثال كِبْلر وديكارت من ان الضوء ينتقل في زمان وان لهُ سرعة محدودة. بل هو قد سما فوقهم جميعاً في ذهابه الى ان السبب في انعطاف الضوء عند نفوذه من جسم مشفّ الى آخر يختلف عنه في الشفيف انما هو اختلاف سرعته في الجسمين. وان كان نيوتن قد أخطأ في القول بأن سرعة الضوء في الوسط الأغلظ أعظم منها في الألطف فابن الهيثم قد أصاب في قوله بعكس هذا القول

***

هذا ما اتسع لهُ هذا الحديث من مآثر أصحاب التعاليم الاسلاميين في علم الطبيعة ولا شك ان حظهم من العمل على تقدم هذا العلم ورفع مستواه عظيم جليل الشأن.

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

من زوايا التاريخ

غزو روسيا

تفشل فيه ثلاث دول في ثلاثة عصور

لادوار مرقص
من اعضاء المجمع العلمي

توطئة

أما الدول فهي أسوج وكانت يومئذٍ من دول أوربا العظمى لا دولة صغيرة كما هي اليوم وكانت جيوشها تحت قيادة ملكها البطل المغوار كارلوس الثاني عشر في أوائل القرن السابع عشر . وأما الدولة الثانية فهي فرنسا تحت قيادة امبراطورها الطائر الشهرة غازي مشارق الارض ومغاربها نابليون بونابرت الأول في أوائل القرن الثامن عشر . وأما الدولة الثالثة فهي المانيا الكبرة بعد ضم النمسا اليها وزعيمها الاكبر الطاغية هتلر الذي أخضع واستعبد معظم الدول الاوروبية في اواسط القرن العشرين الحالي ولا تزال رحى الحرب فيها دائرة بين الفريقين حتى اليوم . ولكنها في مرحلتها الاخيرة ومصيرها الفشل التام الذي يهدد المانيا النازية وأدلة فشلها تشتد وضوحاً يوماً بعد يوم . ورحم الله القائل :

ان الأمور اذا بدت لزوالها فعلامة الادبار فيها تظهر

والذي أذكره في ما يلي من محصل أخبار الغزوتين الاولى والثانية مأخوذ عن كاتبين يحسبان في المرتبة العليا من رجال الاقلام وأرباب الافهام وهما فولتير Voltair والكونت دي سيجور De Ségur وكلاهما فرنسي

اطلعت على فصل شائق دبجته براعة الكاتب العبقري فولتير في وصف معركة بولتافا وهي المعركة الاخيرة الحاسمة التي وقعت بين الروس والاسوجيين ودارت فيها الدائرة على الجيش الاسوجي ولم تقم لاسوج بعدها قائمة . والمعركة تعرف بمعركة بولتافا باسم النهر الذي وقعت بجواره باقليم أوكرانيا في جنوبي روسيا ومن أخصب أقاليمها وهي من المعارك العظيمة الممتازة في تاريخ الحروب ولا يزال الروس يعيّدون حيناً بعد حين لذكراها وتمجيد

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذين قاموا بها من قومهم وهم في هذا التمجيد معذورون بل محقون فان هذه المعركة فاقت ما قبلها وكان لها ما بعدها من نتائج السياسة والقوة والمجد بالنسبة الى الدولتين المتجاورتين روسيا وأسوج . معركة بولتافا قلصت ظل الاسوجيين وخضدت شوكتهم وقلمت أظافرهم وأفقدتهم جانباً كبيراً من مملكتهم وردت دولتهم من دول الطبقة الاولى الى دول الطبقة الثالثة . وكان أثرها في الروس عكس ذلك على خط مستقيم فقد رفعت شأنهم وأشربت نفوس العالمين هيبتهم ورهبتهم وفتحت أمامهم مجالاً واسعاً لازدياد البسطة والنفوذ واتمام الاصطلاحات العظيمة التي كانوا يسيرون في طريقها

ولكي يكون للقارىء صورة ذهنية صحيحة لوقائع تلك الايام ينبغي لنا أن ننبههُ الى التفاوت العظيم بين حروب أيامنا الحاضرة وحروب ذلك العصر من جهة عدد الجيوش وأعتادها . فان حروب قرننا العشرين الحاضر تفوق الحروب القديمة أضعافاً مضاعفة لما أحدث في أيامنا من معدات ووسائل عسكرية وللزيادة الكبيرة التي حصلت لكل أمة بالنسبة الى عددها في القرون السابقة . فمن الصواب أو مما يجاور الصواب أن نعد كل الف جندي في عهد بطرس الاكبر الروسي وعدوه كارلوس الاسوجي تعادل بعشرة آلاف جندي في حربنا الحاضرة كما ان كل الف جندي في عهد نابليون الاول يعادل خمسة آلاف جندي في هذه الأيام . فاذا قرأ القارىء مثلاً ان كارلوس الاسوجي زحف على روسيا بثلاثين الف جندي فليتصوَّر ان هذا الجيش هو بمثابة ثلاثمائة الف جندي في معارك أيامنا . وقس على ذلك نظائره

معركة بولتافا

قال ڤولتير : « وقعت معركة بولتافا الحاسمة في ٨ تموز (يوليو) من سنة ١٧٠٩ بين ملكين هما أشهر ملوك عصرهما الملك كارلوس الثاني عشر الاسوجي والامبراطور بطرس الاول الروسي . أما كارلوس فقد توجهت اليهِ أنظار العالم بانتصاراته الجلية على الروس مدة تسع سنوات متوالية . وأما بطرس فقد توجهت اليهِ أنظارهم بما بذله من الجهود والمساعي الجبارة في تلك السنوات التسع لانشاء جيش مدرب منظم مثل جيش أعدائهِ أولئك . كارلوس أحرز مجداً باهراً بفتوحاته وشدة ولوعه بتجشم المخاطر والأهوال . وبطرس أحرز مجداً باهراً بادخال اصلاحات جمة على بلاده الواسعة وأمته الكبيرة وبكونه لا يتهيب الخطر ويهرب منهُ كلما دعته الدواعي الى مقاساته وتجشمه ولكنهُ لا يتعمد البحث عنهُ والاصطلاء بناره عفواً صفواً كما كان يفعل كارلوس . كارلوس كان معتدلاً في معيشتهِ وأحوالهِ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخصوصية وهو ممتلىء حمية وأريحية ونخوة لا يروقه إلاَّ المجد والعظمة وأما ما وراءَ ذلك من الفوائد فقلما يأبه لهُ . وأما بطرس فكان مفرطاً في معيشته وسائر خصوصياته إفراطاً عجيباً أثر تأثيراً سيئاً في بنيته وان كانت بنية جبار عنيد وأفضى الى تقصير أجله في الحياة. ولم يكن يقدم على أمر إلاَّ اذا أيقن من ورائهِ نفعاً محسوساً لأمته أو دولتهِ . وأما ما وراءَ ذلك من أبهة ومجد واستطارة شهرة فهو عنده في المرتبة الثانيـة . كارلوس لقبهُ معاصروه بالملك الذي لا يقهر وهو لقب غير ثابت له فان انكساراً واحداً يصيبه ينبغي أن يسلبه هذا اللقب ويكذبهُ ويكذب الذين خلعوه عليه . وقد جرى ذلك فعلاً . وأما بطرس فقـد لقبهُ معاصروه بطرس العظيم أو بطرس الأكبر وهو لقب لهُ ثابت لا يتزعزع لأنهُ غير مدين لهـذا اللقب بانتصارات وفتوحات بل باصلاحات جمة تدارك بهـا شعبه وحكومته . وهي اصلاحات مدهشة خالدة الأثر لا تنكرها عليه أرض ولا سماء

« واذا أراد القارىء أن يحصل على صورة ذهنية واضحة عن معركة بولتافا وموضعها فليتصوَّر نهر بولتافا واقعاً في الشمال والمعسكر الاسوجي في الجنوب يميل الى الشرق وعناده على مسافة ميل وراءَه والنهر يجري بجوارهم من الشرق الى الغرب . أما القيصر الروسي فكان قد اجتاز النهر على مسافة فرسخ من جهة الغرب وجعل ينظم معسكره هناك . وعنـد بزوغ الفجر خرج الاسوجيون من خنادقهم ومعهم أربعة مدافع فقط . وأما بقية المدافع فتركت في المعسكر مع ثلاثة آلاف مقاتل وقد رابط أربعة آلاف آخرون عند العتاد ومن ثمَّ كان جيش الملك الاسوجي الزاحف واحـداً وعشرين الف مقاتل بينهم ستة عشر الف أسوجي والباقون من حلفائهم وأنصارهم

«وكان من كبار قواد الجيش الاسوجي في ذلك اليوم رنشيلد وروس وليفنهوت وسبار وهملتون وورتمبرغ وهو من أقارب الملك كارلوس وغيرهم من القواد ومعظمهم كانوا قد اشتركوا في معركة نارفا من معارك تلك الحرب الطويلة الأمد . ومعركة نارفا من أغرب المعارك في نتيجتها اذ انتصر فيها ثمانية آلاف مقاتل أسوجي على تسعين ألفاً من جنود الروس فكانوا يتذاكرون ذلك النصر العظيم ويترنحون بحديثه ويفضون به الى الجنود لانهاض الهمم واضرام نار الحماسـة والأمل . وهكذا كان فقد انتعشت قلوب الجيش الاسوجي بتلك الذكريات الجيدة وأخذوا يزحفون جميعهم على عدوّهم زحف الآمن المطمئن الممتلىء حمية وثقة بنفسه

« وكان الملك كارلوس يقود تلك الحملة راكباً محفة تقودها الخيل وتتقدم جيش المشاة وقد أمر ثلة من خيالته بمهاجمة خيالة الروس ففعلوا وهكذا ابتدأت تلك المعركة في الساعة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الرابعة والنصف من صبيحة ذلك اليوم . وكانت خيالة الروس في الجانب الغربي الى ميمنة جيشهم وقد نظم القائدان الروسيان منزيكوف والكونت كولوفان فرسانهما وقسموهم الى فرق وكل فرقة تحميها مدافع كافية . فحمل القائد الاسوجي سلبينهاك برجاله على اولئك الفرسان حملة صادقة هائلة واستلحمهم . وقد عرف الخبراء العسكريون في ذلك العهد ان الصدمة الاولى الاسوجية لا تطاق ولا يقف شيء في وجهها . فاخترق الاسوجيون صفوف الخيالة الروس وأحدثوا فيها فجوات واسعة حتى كادت تتضعضع ولكن الامبراطور بطرس هبّ الى تدارك الحال وجمع شمل ما تفرّق ومعهُ رجاله فأصيبت قبعته برصاصة ذهبت بها وقائده منزيكوف قتلت تحته ثلاثة جياد واستبشر الاسوجيون خيراً بتلك الحملة وصرخوا بأعلى أصواتهم النصر النصر . وأما ملكهم كارلوس فكان يعلم ان المعركة لم ينته أمرها ولم تعرف نتيجتها وكان قد ارسل من منتصف الليل الجنرال كروتز ومعهُ خمسة آلاف فارس لكي يهاجم جناح الجيش الروسي على حين يهاجم هو قلب ذلك الجيش . ولكن سوء الطالع خيم عليه فان الجنرال كروتز تاه هو ورجاله في تلك الفلوات ولم يظهر لهم أثر . وأما القيصر الروسي فبعد ما كاد يوقن بالهلاك من جراء تلك الصدمة وهولها تجلّد وتمالك وأظهر منتهى الحزم والعزم حتى تمكن من لمّ شعث خيالته ثم هجم بهم هجوم الذئاب الجائعة على فرسان اسوج ولم يكونوا متمتعين بنجدة اخوانهم فرسان الجنرال كروتز مما سبقت الاشارة اليه فتضعضعوا . واخترق الروس صفوفهم وأسروا منهم في جملة من أسروه الجنرال سلبينهاك نفسه وهو أحد قوادهم الممتازين وكان اثنان وسبعون مدفعاً روسيًّا تصلي العدو ناراً حامية وحمماً جهنمية ثم تحركت مشاة الروس وهاجموا مشاة الاسوجيين الذين يقودهم الملك كارلوس

«ثم اصدر القيصر بطرس أمره الى الجنرال منزيكوف بأن ينسحب هو ورجاله شطر نهر بولتافا ويحول بين النهر والاسوجيين . فأنفذ منزيكوف امر مولاه بمنتهى السرعة والمهارة ولم يكتف بأن يقطع الخط على أعدائه فاصلاً بينهم وبين اخوانهم المعسكرين عند النهر بل تصدى ايضاً لفرقة عددها ثلاثة آلاف مقاتل من جيش اسوج الاحتياطي فطوّقها ثم مزقها شذر مذر . فاذا كان قد قام بهذا العمل من عند نفسه فروسيا مدينة له بخلاصها في ذلك اليوم الرهيب واذا كان القيصر قد أوعز به اليه فلا شك انهُ ملك عظيم يحسب من أقران وأكفاء عدوه كارلوس الثاني عشر

« ثم قام مشاة من الروس من مكامنهم وزحفوا في السهل الذي أمامهم كما ان خيالة من الاسوجيين نهضوا من جهة اخرى وأمر كارلوس بتوسيع نطاق المعركة وجعلها عامة شاملة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكان يساعده في تدابيره المارشال رتشيلد . فقسم الملك من بقي له من الجيش الى خطين المشاة في القلب والخيالة على الجناحين الايمن والايسر. ونظم القيصر الروسي جيشه على هذه الصورة تقريباً وكان له رجحان العدد والعتاد ولا سيما في المدافع . وكان بارود الاسوجيين لمدافعهم الأربعة على أهبة النفاد

وكان القيصر الروسي في وسط جيشه وهو يومئذٍ برتبة قائد الف اذ لم يشأ أن يتقلد الرتب العسكرية الاَّ تدريجاً بحسب الاستحقاق الذي يراه له رؤساؤه فكان يخضع رسميًّا وعسكريًّا لقائد فرقته الجنرال كزيرمينوف في حركات الجيش المعتادة ولكنهُ باعتباره ملك البلاد وقيصرها المفدَّى كان يجول بين صفوف الجنود راكباً جواداً شرقيًّا مطهماً أهداه اليهِ سلطان آل عثمان فيحض القواد والجنود على الصبر والاستبسال واعداً كل واحد بجزاء الخير وحسن المصير

« وعند الساعة التاسعة استأنفت المعركة شدتها وأصابت قنابل الروس الجوادين اللذين يقودان محفة الملك كارلوس فقضت عليهما فاستبدل بهما سواهما . وما لبثت القنابل الروسية ان تجدَّد أوارها فأصابت المحفة نفسها فتحطمت وسقط الملك كارلوس عنها سقطة فظيعة كادت تذهب بحياته بعد ما كسرت إحدى ساقيه فأسرع اليهِ أربعة وعشرون مقاتلاً من جنده لكي يحموه وينقذوه فهلك منهم على الأثر واحد وعشرون رجلاً وسلم ثلاثة رجال ومعهم مليكهم مثخناً بجراحه . وعندئذٍ دبَّ الخوف والرعب الى قلوب الاسوجيين فتضعضعوا وانضوى صفهم الأول الى الصف الثاني الذي وراءه ولكن الصف الثالث ولى الأدبار وما لبثت الهزيمة أن أصبحت عمومية . مع ان القوة الروسية التي كافحتهم مباشرةً واجبرتهم على هذا المصير لم تكن الاَّ عشرة آلاف مقاتل . فواعجباه ما كان أعظم الفرق بين عزَّة اسوج سابقاً وذلها لاحقاً ، وبين تقصير الجيش الروسي في أمسهِ بمعركة نارفا وتبريزه في يومهِ بمعركة بولتافا !

«والذي يزعمهُ كتَّاب الامة الاسوجية ان تلك المعركة الحاسمة ما كان قومهم ليخسروها لو لم يرتكبوا فيها أغلاطاً فادحة . فيرد عليهم ضباط جيشهم قائلين : ان الغلط الفادح الوحيد الذي ارتكبناه هو اننا خضنا غمار تلك المعركة ونحن على ما نحن عليهِ من ضعف العدد والعتاد بالنسبة الى عدونا . خضناها في مجاهل بلاده التي يعرفها هو شبراً شبراً ونحن نتلمسها تلمساً بالتخمين والتقدير . فلو أصخنا الى مشورة العقلاء من قوادنا بعدم التعرض لتلك المعركة أو بتأجيل ميعادها ريثما نستتم شروطها ووسائلها لما حلت بنا ويلاتها . هذا ما يقوله ضباط اسوج وهو قرين الصواب ولا يقل صواباً عنهُ ان نلتفت الى العامل الأساسي في ذلك الخطأ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ذلك العامل هو نشوة الاسوجيين بخمرة انتصاراتهم السابقة على الروس ولا سيما في معركة نارفا بحيث ركبهم البطر والغرور ولم ينظروا بعين الفطنة والحزم الى قوة عدوهم فكان من أمرهم ما كان

« ومن الذين وقعوا أسرى بيد الروس في تلك المعركة الدوق ورتمبورغ والجنرال وتشيلد وكثير من القواد غيرهما . وأما المعسكر الاسوجي القائم تجاه نهر بولتافا فقد استولى عليه الروس وغنموا ما فيه من ميرة وذخيرة ومعدات مما جعل حالة الجيش المنهزم في منتهى البؤس واليأس ، وقد تمكن الكونت بيار ومعهُ بضعة ضباط أن يفلتوا من ذلك المعسكر فهاموا على وجوههم وهم لا يدرون أي طريق يسلكون ولا عند أي غاية يقفون كما كانوا يتساءلون عن مصير ملكهم كارلوس بعد سقطته وانكساره فلا يعلمون من أمره شيئاً ثم قام أحدهم الكونت بيار وهو قائد الف وزعم انهُ يعرف طريقاً للمنجى والمأمن حيث يجدون شيئاً من أمتعتهم ومؤونتهم وطلب منهم أن يتبعوه فتبعوه ولكن تضعضع حواسه وحواسهم وعوامل الرعب في قلوبهم جميعاً وحيلولة سحب الدخان والغيوم دون ما يعوزهم من تبين الطريق وتمييز الجهات خيبت آمالهم فتاهوا ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم أمام قوة من أعدائهم الروس فاستسلموا اليهم في رمشة عين

« وأما الملك كارلوس فلم يشأ في أول الامر أن يشارك جيشه في الهزيمة ولكنهُ لم يكن قادراً على الدفاع وكان الى جانبه الجنرال بونياتوفسكي وصفيه قائد حرسه الخاص الكولونيل ستانسلاس وهو رجل شديد الاخلاص للملك والتعلق به وقد برهن في عدة مواقف على ما لهُ من ثبات ورباطة جأش وحضور ذهن . فلما رأى تلك الحالة المشؤومة أمر رجلين من فلول حرسه الباقين بقربه فتقدما من الملك وأمسكاه من تحت ابطيه وأركباه جواداً قوياً فركب متجلداً مع ما كان يقاسيه من الآلام المبرحة الناجمة عن جراحه

« وكان الجنرال بونياتوفسكي قائداً اكرامياً بغير قيادة وانما مهمته المشاركة في الرأي والمشورة ولكنهُ في تلك الحال الاستثنائية تحوَّل الى قائد فعلي فأسرع في جمع شمل من بقربه من مقاتلة الاسوجيين فاجتمع له منهم خمسمائة رجل ما بين راجل وفارس وجندي وضابط فتولى تنظيمهم وقيادتهم وقد أشربت أرواحهم حماسة وحب تضحية حين رأوا ملكهم في ذلك الخطر المبين وتمكنوا من الوصول بهِ الى مركز للعتاد الاسوجي بعد مسيرة ميل وبعد ما اخترقوا قوة من الجند الروسي اعترضت طريقهم . وفي أثناء الطريق وكان العدو يطاردهم قتل جواد الملك فتقدم منه الكولونيل جيانا وكان مجروحاً ودمه يسيل بغزارة فترجل عن جواده وقدمه للملك فأركبوه عليه . ومحصل القول ان حوادث تلك الهزيمة زادت القوم محنة

على محنة وويلاً على ويل ، ولم يكن لهم مندوحة من الهرب وقطع مسافة طويلة فلما بلغوا موضع العتاد الاسوجي وجدوا بين المعدات هناك مركبة للكونت بيار فأسرعوا الى أخذها وأركبوا الملك فيها عوضاً عن جواده ثم أخذوا في طريق نهر بورستين . ولم يكن الملك منذ أركبوه الجواد في أول انهزامه الى تلك الساعة قد نطق بكلمة واحدة فلما ركب المركبة وهمَّ باستئناف السير مع رفاقه التفت الى بعضهم سائلاً : « ما الذي جرى للكونت بيار » فأجابوه: « أخذه الروس أسيراً ومعهُ أعوانه » فسألهم « وماذا جرى للجنرال رتشيلد والدوق ورتمبرغ » فأجابه الجنرال بونياتوفسكي » وقعا أيضاً أسيرين في قبضة الروس » فهزَّ الملك كتفيه قائلاً «أخذهم الروس جميعهم ؟ فهيا بنا الى الأتراك» قال الملك ذلك بلهجة مرضية وملامح وجههِ على حالها ولا يمكن أحداً يراه أن يظنهُ ذلك الرجل المكسور المقهور المثخن جراحاً

« وفي أثناء هربه مع أعوانه استولى الجيش الروسي على المدافع الاسوجية المنصوبة قرب نهر بولتافا وعلى ما هناك من الاعتدة المختلفة وأهمها الخزينة العسكرية وفيها مبلغ جسيم من النقود كان كارلوس قد غنمها من البولونيين والسكسونيين حينما انتصر عليهم . وفقد المغلوبون في تلك المعركة ستة آلاف أسير وتسعة آلاف قتيل من الأسوجيين وممن حالفوهم من القوزاق . وبقي في قيد الحياة مشتتين مبعثرين ستة عشر الف رجل ما بين أسوجيين وبولونيين وقوزاق . ووجهتهم جميعاً مدينة بورستين تحت قيادة الجنرال ليفنهوت . وبعد قليل تحطمت مركبة الملك من وعورة الطريق فأركبوه جواداً . ومما زاد الطين بلة ان الليل هجم عليهم فضلوا طريقهم وسط غابة كثيفة اعترضتهم وبلغ الاعياء من الملك مبلغاً لا يطاق وزادت آلام جراحه فأنزلوه واضطجع على ساق شجرة وكان هو ورفاقه هناك تحت خطر الأسر في كل لحظة لأن مطارديهم الروس كانوا يبحثون عنهم في كل جهة

«وفي غداة ١٠ تموز (يوليو) اصبحوا أمام نهر بورستين فلما رأى الأسوجيون الذين هناك ملكهم في قيد الحياة فرحوا بهِ وتهللت وجوههم اذ كانوا يرجحون هلاكه ولكن سرعان ما عادوا الى الكآبة والغم حين شاهدوا ما هو فيه من الآلام والشقاء . ولم يكن للهاربين بدٌّ من عبور النهر وأنى لهم ذلك والنهر كبير عظيم الخطر قوي التيار ولا جسر عليه ولم يكن لهم لأجل الدفاع عن أنفسهم حين يبلغهم العدو بل لو كان لهم البارود الكافي لما أجداهم نفعاً اذ لا طعام عندهم يمسك عليهم رمقهم وقد قضوا على الطوى اليومين الأخيرين حتى خارت قواهم . وبعد البحث والتفكير وتقليب الامور على كل وجوهها اعتزموا عبور النهر معولين على خيولهم وقوتها وصلابتها اذا خاضت النهر متراصة . وأما الملك فكانت الحمى قد أخذت منهُ كل مأخذ وأفقدته حسه وتمييزه فنقلوه كأنهم ينقلون شيئاً جماداً ولو بقيت له بقية من

الادراك والتمييز لكان من القريب الامكان ان يأمرهم بالتربص والانتظار للقاء العدو ومكافحته وهي مجازفة غريبة هائلة ولكنها غير بعيدة عن قائد مثل كارلوس الثاني عشر وعن جيش مثل جيشه الاسوجي . حملوا الملك الى مركب ضعيف وجدوه على ضفة النهر وأركبوا معهُ قائداً قوزاقيًّا من أحلافهم برتبة جنرال وهو الجنرال مازيبا وكان قد تمكن من حشد مبالغ من النقود في صناديق متينة قبل استيلاء الروس عليها فأنزلها معه الى المركب ولكنه لم يلبث ان أحسَّ بخطر الغرق لثقل الحمولة فرمى في عباب النهر ثلاثة أرباع تلك الصناديق بقصد تخفيف الحمولة واتقاء خطر الغرق فسلم هو والملك وبحارة المركب وأما فلول الجيش الاسوجي هناك فكانت ثلاثمائة خيال وجمهوراً من المشاة. أما الخيالة فخاضوا النهر متلاصقين بحيث كوَّنوا بتلاصقهم قوة عظيمة تحملت قوة التيار وتغلبت عليها فعبر معظمهم النهر سالمين حتى بلغوا ضفته المقابلة ولم يهلك من الفرسان الاَّ قليلون هم الذين كانوا في أطراف الموكب متنحين قليلاً عن قوة المزدحم فجرفهم التيار وهلكوا غرقاً كما غرق كل المشاة الذين سبحوا في النهر وراء الفرسان

« وبينما كان أولئك على تلك الحال هم وسائر فرقهم المنهزمة الهائمة على وجهها كان القائد الروسي الأعلى الجنرال منزيكوف يطارد فلولهم ومعهُ عشرة آلاف فارس وقد أردف كل فارس جنديًّا من المشاة وراءه . ولم يتعذر على الروس أن يعرفوا الطرق التي يسلكها المغلوبون في هزيمتهم بل استدلوا عليها بجثث قتلاهم وآثار دمائهم المنتشرة في تلك الفلوات على مسافات متفاوتة. فلما اقترب منهم المنتصرون ارسل الجنرال منزيكوف رسولاً الى قائدهم الاعلى ليفنهوت يطالبهُ بالاستسلام والخضوع التام مع كل جيشه الباقي وعدده ستة عشر الف مقاتل فلم يرَ القائد الاسوجي بدًّا من النزول على هذا الحكم المرّ الاليم اذ لم يبق للاسوجيين بارقة أمل واحدة لا بالانتصار ولا بطول المدافعة . وكانت عوامل الشقاء من ضعف وجوع وانكسار ومخاطر الطرق والهزيمة قد فعلت فعلها العجيب في تلك النفوس الجبارة التي لم تتعوَّد ذلاً ولا استكانة بل كان ستة عشر الف مقاتل اسوجي في السنوات السابقة أهلاً لان يقاوموا الامبراطورية الروسية من أقصاها الى أقصاها مع أمل راجح بالانتصار استناداً الى المعارك التي دارت رحاها بين الدولتين قبل معركة بولتافا. ومن ثمَّ أرسل القائد ليفنهوت اربعة قواد وكل منهم برتبة جنرال الى القائد المنتصر منزيكوف يجيبونهُ بالايجاب الى ما طلب ويعقدون بين الفريقين كتابة الشروط المتفق عليها وهكذا تمَّ الصلح

« ولما تدانى الفريقان والفريق الاسوجي متأهب للخضوع والتسليم على الصورة التي فرضها عليهم قاهروهم اشمأزت نفس الكولونيل الاسوجي تروتفير اي اشمئزاز من ذلك الهوان وأراد المقاومة ورجاله آملين ان يحذو غيرهم من رفاقهم حذوهم ثم هموا باستئناف القتال فلحظ منهم ذلك قائدهم الأعلى ليفنهوت فصدهم عنهُ بالحسنى وقوة الاقناع فكفوا وشاركوا الباقين في نصيبهم

« وبعد قليل تقدم ستة عشر الف جندي اسوجي وفي مقدمة كل كتيبة قوادها وضباطها ووضعوا اسلحتهم بالتدريج عند قدمي الجنرال منزيكوف وكان ثلاثون الف مقاتل روسي منذ تسع سنوات على أثر انكسارهم في معركة نارفا قد فعلوا هذا الفعل ملقين أسلحتهم عند قدمي الملك كارلوس وبعد استسلامهم أطلق الملك سلاحهم مظهراً انهُ لا يخشاهم ولا يهمهُ رجوعهم الى محاربته. واما الامبراطور بطرس الاكبر فلم يفعل فعله بل احتفظ قائده منزيكوف بحسب أمره بأسراه من الاسوجيين وحلفائهم ريثما تم جميع مظاهر الصلح وتعود مياه السلم الى مجراها

الى هنا انتهى الفصل الذي تولينا نقله وتعريبه عن الكاتب الفرنسوي فولتير. وقبل الخروج من هذا الموضوع لا بأس ان نورد مرويات يسيرة بقيت في محفوظنا عن ذينك العاهلين كارلوس الثاني عشر وبطرس الاولّ. فقد زعم بعض الرواة ان جماعة من خواص الملك كارلوس تفاوضوا في حضرته ذات يوم أحاديث مختلفة حتى أفضوا الى حديث الموسيقى وأخذ كل منهم يذكر اللحن الموسيقي الذي يختاره على سواه من الالحان. فأنصت الملك الى كلامهم حتى فرغوا منهُ فقال لهم: « أما انا فأطيب الالحان عندي وأدعاها الى الطرب لعلعة المدافع في معركة حامية الوطيس ». ولم يكن في ما قاله مبالغاً ولا متصنعاً استناداً الى ما عرف عنه من ولوعه بالحروب والغارات. ومما يؤثر عن وفائهِ وكرم اخلاقهِ مع قوة عزيمته انهُ ذات يوم كرع من الخمر المعتقة اكثر مما تعوَّد فرأته جدتهُ على تلك الحال وهي التي ربتهُ ووقفت حياتها لاجلهِ وكان هو باراً بها الى الدرجة القصوى فساءَتها منه هذه البادرة وعاتبتهُ عليها فأغلظ لها الجواب وأهانها بلهجة انتهار فسكتت وعادت الى مقصورتها مفحومة ودخل هو مقصورته وبات ليلته وعند ما اصبح لم يتذكر شيئاً مما جرى الليلة البارحة وانتظر جدته ان توافيه بحسب جاري عادتها لكي تتناول معهُ طعام الصباح وتستأنس بحديثه هنيهةً ثم تقبلهُ وتزوده بدعائها قبل انصرافهِ الى عمله في دار الحكومة. انتظر دخول جدته وطال انتظارها عبثاً فحار واستغرب تخلفها وسأل الحشم الذين حواليهِ أهي منحرفة الصحة فأجابوه سلباً فقال ولماذا لم تأتني فلزموا الصمت وبعد ما ألحَّ في السؤال تجرأ رئيسهم وهو شيخ وقور على ان يفضي الى الملك في أسلوب لطيف عما جرى منهُ البارحة فاحمرَّ وجهه خجلاً وأطرق مفكراً بعد ما صرف الخدم ثم أترع كأساً من الخمر وحملها ودخل بها على جدته وبعد ما حيَّاها قال لها ما مؤداه: بلغني يا جدتي العزيزة ما جرى مني ازاءَك الليلة البارحة في ساعة لم أكن فيها أملك شعوري وصوابي. والذي ساءَني من هذه البادرة الجائرة أعظم من الذي ساءك وهاءَنذا جئتك وبيدي كأس خمر وكل ما عندي من الاعتذار

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

والاستغفار اني أشرب هذه الكأس على حبك وطاعتك واعداً إياك أن تكون آخر كأس أشربها في بقية حياتي . أفلا يرضيك مني هذا الاعتراف وهذا التكفير عن زلتي تلك يا جدتي العزيزة — فأشرق وجهها وابتسمت وقالت له : « بلى بلى يا ولدي وحبيب قلبي » فشرب كأسه وقبّل جدته وقبلته وأقام بقربها نصف ساعة ثم زودته بدعائها وانصرف الى عمله

وأما عدوه القيصر الروسي بطرس الأكبر فمما يروى عنهُ انهُ في أثناء الحرب التي دامت بينهما تسع سنوات كان يقوم بتجهيزات تلك الحرب الضروس وبتدريب جيشه في خلال من الوقت على نظام فني جديد عن يد قواد أوربيين ماهرين استقدمهم واستخدمهم لهذه الغاية ولم يكن الجيش الروسي يعرف نظاماً ولا ترتيباً ولا خبرة لهُ في استعمال الأسلحة الحديثة مما جعلهُ ينكسر في معظم معارك تلك الحرب ولم تفده كثيراً شجاعته وبسالته الفطرية . وكلما وصل الى القيصر خبر انكسار جنده في معركة كان يتجلد ويقول : « ستتحوّل الحال وتأتي نوبتنا في الانتصار ذات يوم » وقد رأى القارىء كيف صدقت معركة بولتافا حدسه وحققت آماله . ولما انكسر الروس انكسارهم الشنيع في معركة نارفا قطب بطرس جبينه وقال لرجال حاشيته : « ان جارنا كارلوس يريد أن يجعل نفسه اسكندر المكدوني . وقد يكون له ذلك ولكن هيهات أن يجدني أمامه داريوس الفارسي » وقد أشار بكلماته تلك الى انتصارات الاسكندر المتعددة على داريوس بجيوش ومعدات دون جيوش عدوه ومعداته.وقد تمّ انتصاره عليهِ نهائيًّا في معركة اوبل من أعمال ما بين النهرين . ومما يحكى عن بطرس الأكبر انهُ بعد انتهاء الحرب بينهُ وبين كارلوس أقام في قصره وليمة شائقة دعا اليها كبار القوّاد من جيشه وكبار القوّاد من أسراه الاسوجيين . وعند افتتاح الوليمة تناول كأس خمر وقال : « اني أشرب هذه الكأس نخب الرجال الذين علمونا الحرب » ثم شرب كأسه . فقام أحد القواد الاسوجيين وسأله : « ومن الذين علموكم الحرب يا صاحب الجلالة » فأجابه : «أنتم الاسوجيين علمتونا الحرب وأسرارها ومكايدها » قال الاسوجي : « اسمح لي اذن يا صاحب الجلالة ان أقول لكم انكم ناكرو الجميل » قال القيصر : « وكيف ذاك » قال : « لأنكم لا تزالون تحتفظون بأساتذتكم ومعلميكم هؤلاء أسرى بين أيديكم وتسومونهم عذاباً أليماً بانفصالهم عن أوطانهم وأولادهم وأهلهم » فراقت في عيني الامبراطور هذه الجرأة وهذه النكتة حتى ضحك مقهقهاً وقال : « لا بأس عليك وعلى رفاقك سترون غداً ما يسركم » وفي اليوم التالي أمر باطلاق أسراه من ضباط الاسوجيين وأسراهم فانصرفوا الى بلادهم آمنين موفوري الكرامة

نكتفي بهذا القدر من اخبار الغزوة الاسوجية في روسيا وفشلها وما يتعلق بعاهلي الدولتين المتحاربتين

« يتبع »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

معجم زراعي[1]

تأليف الامير مصطفى الشهابي
وزير معارف سوريا الاسبق

❊ أبحاث المعجم ❊ هذا معجم سلخت سنوات عديدة في جمع ألفاظه ومدارستها وتحقيقها تحقيقاً علميّاً ولغويّاً : وهو يشتمل على أكثر من تسعة آلاف لفظ فرنسي او علمي ، وضعت أمامها ما يقابلها بالعربية . ومن الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هي من وضعي او تحقيقي لم يسبقني اليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية

وقد كنت نشرت عدداً صغيراً منها في مجلة المجمع العلمي العربي بعنوان « ألفاظ عربية لمعان زراعية » و « ألوان الخيل وشياتها » و « الرسالة النباتية » و « الاسماء العربية للثمار النباتية » و « اصطلاحات النباتات الدنيا » و « أهم الحشرات الزراعية » ، وفي مجلة المقتطف بعنوان « ألفاظ الآلات الزراعية » و « ألفاظ الغيوم » و « ألفاظ التصنيف في الحيوانات الدنيا » الخ . . . ثم جمعت هـذه الألفاظ وأضفتها الى ما حققته أو وضعته أو اقتبسته من المصطلحات منذ عشرين سنة الى اليوم، في الزراعة والعلوم المتصلة بها ، فتألف منها جميعاً هذا المعجم الصغير . وقد رغب اليّ صديقي العلاّمة السيد محمد كردعلي رئيس المجمع العلمي العربي وزملائي في المجمع أن أقدم على طبعه فأقدمت . وهو يتناول أهم الكلم الفرنسية المتعلقة بالعلوم الزراعية على اختلافها كالزراعة العامة والخاصة (ومنها أبحاث الاتربة والإسقاء وزراعة الحبوب والنباتات الصناعية الخ . .) ، وزراعة البساتين (ومنهـا زراعة أشجار الفواكه وأشجار التزيين والبقول والأزهار) ، وعلم الحراج وتربية الخيل والأنعام والنحل والأسماك والطيور الأهلية ، وما لهُ صلة بالزراعة من نباتات وحيوانات وحشرات وجويّات وآلات وصناعات ومعدنيّات واقتصاديّات وغيرها . ويتناول ايضاً أسماء أهم الفصائل النباتية ، واسماء التصنيف في علم الحيوان ، والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات الزراعية مع ذكر فصائلها بالعربية والغاية من تأليفه ان يجد فيه العلماء والادباء والأساتيذ وارباب الزراعة أصلح الكلمات العربية الواجب استعمالها في العلوم الزراعية الحديثة وفي علم المواليد

❊ مصادر المعجم ❊ ومن العبث سرد جميع كتب الزراعة والنبات والحيوان، بالفرنسية والانكليزية ، التي راجعتها في صدد هذا المصنف ، فهي تُعد بالعشرات . لكنهُ من واجبي ذكر ثلاثة كتب فرنسية اقتبست منها المعنى الأصلي لكثير من أسماء النباتات العلمية وهي :

(١) مقدمة مأخوذة من كتاب «معجم الالفاظ الزراعية» للامير مصطفى الشهابي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كتاب الأشجار والجنبات تأليف مويّفر، وكتاب الأزهار تأليف ولمورين اندريو، ومهد النباتات المزروعة تأليف دوكندول

أما العلماء الأجانب الذين درسوا نباتات بلادنا وحيواناتها البرية والمائية مثل فرسكال وشوينفرث وبواسيه وبُسْط «پوست» وغريفل وغيرهم فانهُ لم يفتني مصنف من مصنفاتهم وعمدتُ في ايجاد أصلح الألفاظ العربية ، الى كتب اللغة ولا سيما المخصص لابن سيده والقاموس المحيط للفيروزابادي فقرأتهما وأخرجت منهما ما له علاقة بالعلوم الزراعية من الكلام . وكذلك فعلت بكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة الاندلسية لابن العوام الاشبيلي وهو مطبوع في مدريد ، وكتاب فضل الخيل لشرف الدين عبد المؤمن الدمياطي وقد طبع حديثاً في حلب ، والفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وحسن الصناعة في علم الزراعة لأحمد ندى ، وحسن البراعة في علم الزراعة لفيجري . وكثيراً ما كنت أراجع مفردات ابن البيطار وترجمتها، وحياة الحيوان للدميري ، والترجمة الفرنسية لكتاب « كشف الرموز » تأليف عبد الرزاق الجزائري ، ورسائل الاصمعي في الخيل والنبات والشجر

ومن المؤلفين المعاصرين الذين اقتبستُ منهم ألفاظاً حققوها أو وضعوها قبلي صديقي الدكتور أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان والمعجم الفلكي وقد توفاه الله في هذه السنة ، والدكتور ماكس مايرهوف الذي ترجم وصحح ونشر كتاب « شرح أسماء العقار » لأبي عمران موسى بن عبيد الله الاسرائيلي القرطبي ، ودُوكْرُو مؤلف كتاب العقاقير التي يستعملها بعض سكان القاهرة ، والأب انستاس ماري الكرملي صاحب مجلة « لغة العرب » والدكتور احمد عيسى صاحب معجم أسماء النبات ، والدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية . وقد أشرت الى الكلمات التي اقتبستها منهم . ولم أنس مراجعة الاصطلاحات التي اشتملت عليها مجلة المجمع العلمي العربي ومجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ومجلة المقتطف في القاهرة ومجلة المعهد الطبي العربي بدمشق بغية اقتباس ما يهمني من تلك الاصطلاحات . ولا بدَّ لي من ذكر الحقيقة الآتية وهي انه ما من نبات ورد ذكره في معجمي هذا إلاَّ رجعت في التثبت من اسمهِ العربي الى المعاجم الأصلية العربية والى مفردات ابن البيطار ، كما رجعت في معرفة أصل اسمه الفرنسي الى المعاجم والكتب الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ومن الواجب الاعتراف بفضل المسيو دِلْبس مستشار وزارة الاقتصاد الوطني الذي مكنني من مراجعة مجموعة النباتات التي جمعها من ديار الشام والشرق الأدنى ، ومسيو غنيوبان أحد علماء النباتات في متحف المواليد في باريز ، فقد بعث اليّ بأصول الأسماء العلمية لبعض أجناس الفصيلة النخليَّة فتمكنتُ من وضع أسماء عربية لها . ومن حق العلم عليَّ شكران المندوب العام لفرنسة المحاربة وممثله في دمشق ومستشاريه لأنهم لم يضنّوا عليَّ

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بما لديهم من الكتب والمجموعات والدراسات ، معربين عن رغبة صادقة في طبع هذا المعجم

﴿ طريقتي في وضع المصطلحات ﴾ والطريقة التي اتبعتها في وضع الكلمات العربية أمام الكلمات الفرنسية او أمام الأسماء العلمية تُلخص بما يلي :

أولاً — كلما وجدتُ في المعجمات العربية الأصلية أو في الكتب العربية الزراعية القديمة الموثوقة ، كلمةً عربية أو مولدة، لها معنى موافق أو مقارب لمعنى الكلمة الفرنسية أو العلمية، رجحتُ تلك الكلمة العربية أو المولدة قديماً على غيرها من الكلم

ثانياً — لقد جهل اجدادنا العرب عدداً كبيراً من النباتات الزراعية فلم يذكروها في كتبهم . ولمعظم هذه النباتات أسماء علمية من أصل يوناني او لاطيني تطلق على اجناسها وتدل على صفة بارزة من صفاتها . وقد ترجمتُ اسماء هذه الاجناس بمعانيها ولم أعربها ، فقلت مثلاً الجريس ولم أقل كمبانولا Campanola وزهرة الحب لا أغابنطوس Agapanthus ، ورملية لا أريناريا Arenaria ، وقبس لا فلكس Phlox وهكذا

اما الاجناس النباتية المسماة بأسماء الاعلام فقد عربت اسماءها العلمية اضطراراً ، لان هذه الاسماء قد تكون اسماء العلماء النباتيين الذين كشفوا عن النباتات المذكورة ، أو اسماء علماء آخرين ، او اسماء ملوك او امراء او حكام او آلهة من آلهة القدماء او مدن او كور أو أقطار من الارض مثال ذلك الزهرة الجميلة المسماة دهلية Dahlia « أضاليا في الشام » فهي موضوعة باسم نباتي سويدي اسمه دهل . وقد اطلقوا عليها هذا الاسم تنويهاً بفضل هذا النباتي وتخليداً لاسمه ، فلا يجوز لنا الا تعريب كلمة دهلية كما وردت ، او جعلها بصيغة النسبة فنقول دهليَـة او دهليّـة . وعلى هذا المنوال سار الاوربيون في لغاتهم فهم بذلك اسوتنا

هذا في الاسماء العلمية الدالة على الجنس النباتي . أما الالفاظ العلمية الدالة على النوع النباتي ، فانه يكون لها معان قابلة للترجمة في الغالب ، ولهذا وضعت لهـا ألفاظاً عربية على حسب معانيها ، ولم اعرب شيئاً منها خلافاً لما فعل بعضهم في معجماتهم . فقلت مثلاً في أنواع الخبازة : خبازة مجعدة Malva Crispa وخبازة صغيرة الزهر M. Parviflora وخبازة حرجية M. Sylvestris ولم أقل خبازة كرسبا ولا خبازة بَرْويفلورا ولا خبازة سلوستريس[1]

ولم أذكر في هذا المعجم سوى اسماء الأجناس والانواع للنباتات الزراعية ، أي انني أهملت ذكر الاصناف أي الضروب لانها كثيرة جداً تختلف باختلاف البلاد . ولو ذكرتها

(١) قد يكون للكلمة الفرنسية الدالة على النوع النباتي معنى يختلف عن معنى الكلمة الدالة على ذلك النوع . ففي حالات كهذه كنت أترجم الكلمة العلمية إلا عندما كنت أجد ان ترجمة الكلمة الفرنسية أرجح لسبب من الاسباب . وليلاحظ انني لم أتقيد بترجمة الكلمات الدالة على النوع ترجمة مضبوطة تماما ، لانه رب لفظ عربي رشيق له معنى مقارب ، يكون أرجح عندي من لفظ غليظ او مهجور وان كان أدل على معنى الكلمة الاعجمية من اللفظ الاول

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

لتضاعف حجم المعجم بغير فائدة تذكر ، لأن اللفظ الذي يعبر عن الصنف اذا كان لهُ معنى قابل للترجمة ، تُرجم بمعناه ، وإلاّ عُرب اضطراراً

ثالثاً — لم اتبع في وضع أسماء الحشرات الزراعية الطريقة التي اتبعتها في وضع أسماء النباتات الزراعية ، أي لم أرجع الى أصول الأسماء العلمية لتلك الحشرات إلاّ نادراً ، لأن عدد ما يهمنا منها قليل لا يتجاوز العشرات . ولهذا رجحتُ اضافة الحشرات الى النبات الذي تستولي عليه فقلت مثلاً سوسة الفول وذبابة البرتقال وخنفساء الحنطة وفراشة الدقيق الشهباء وقملة الزيتون وبقة الخطمي وقتَع ساق التفاح وأرْقة القطن الخ ...

وليست هذه الطريقة علمية ، لكنها متبعة في تسمية كثير من الحشرات باللغات الاوربية ومن بدائه الامور ان اتباعها يتعذر كلما كان للنبات الواحد حشرات عديدة متشابهة تفتك به

رابعاً — عربت أسماء الأجسام الكيمياوية ، لأن معظم العلماء يرجحون تعريبها ، ويرون انه من المتعذر ترجمة الأدوات العديدة التي تضاف الى أول الاسم الفرنسي أو الى آخره فتقلب مدلوله مادةً جديدة . ولهذا قلت كبريتات وحامض كبريتيك وهلمَّ جرَّا

خامساً — لم أحجم عن ذكر عدد من الأفعال المشتقة والأسماء المنحوتة حديثاً وان كان بعض فقهاء اللغة يعدون الاشتقاق والنحت سماعيين. ولو عاش هؤلاء العلماء في أيامنا هذه واطلعوا على العلوم الحديثة وأدركوا ما تستلزمه من الأفعال والأسماء لتساهلوا كثيراً في هذا الباب

﴿ الخلاصة ﴾ وبعد فلا يظنَّن اني جمعت في هذا المعجم ألفاظ علوم وفنون لم أدرسها فان تخرجي من مدرسة غرينيون الزراعية في فرنسا منذ سنة ١٩١٤ م واشرافي بضع سنين على بعض المزارع وتقلدي مديرية الزراعة فمديرية أملاك الدولة في سوريا مدة خمس عشرة سنة كافية للاطلاع على مدلولات معظم الألفاظ . ولقد شرحت بعضها شرحاً علميًّا موجزاً تسهيلاً للمراجعين . واذا ساعدتني الأيام شرحتها جميعاً باسهاب في معلمة زراعية صغيرة

وأرجو من العلماء القادرين على تمييز بعض الاصطلاحات العلمية عن بعض ان يدلوني على الهفوات التي يعثرون عليها فأكون لهم من الشاكرين . واذا كان لديهم اصطلاحات ترجح التي وضعتها او حققتها أكون أول من يقتبسها في الطبعة التالية معترفاً لهم بجميلهم على لغتنا الضادية

أما المؤلفون الذين ينقلون عني ألفاظاً لقيت عرق القربة في وضعها او في تحقيقها فقصاراي ان أطلب اليهم ألاّ ينتحلوها ، فمن حق الادب عليهم أن يذكروا النبع الذي استقوا منهُ وان كان وشلاً. أقول « وشلاً » لانني لا أدري ما سيموت وما سيعيش من مئات الألفاظ العلمية التي أضفتها الى لغتنا العربية. وحسبي انني مهدت السبيل بهذا المعجم أمام المجمع اللغوي الذي ما برح العالم العربي يرقب ولادته ، وهو المجمع الذي يستطيع ان يفرض على علماء العرب وأدبائهم اصطلاحات لا سبيل الى ترجيح غيرها عليها .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الغذاء وصحة الشعب[1]

عبر التدبير البريطاني
في أثناء هذه الحرب

أحدثت الحرب كثيراً من التغييرات في انجلترا ومن هذه التغييرات ما كان يطالب به الطب منذ أعوام في عهد السلم. فمنذ أعوام والأطباء المختصون يقولون للناس ان الخبز الأبيض ليس جيداً وان الخبز الاسمر (السن) يفضله كثيراً لأن فيـه أهم الفيتامينات والأملاح المعدنية التي يفقدها الدقيق في عمل التحويل الى الدقيق الأبيض . ولكن التيار كان يتجه الى تفضيل الخبز الأبيض والجمهور كما هي الحال كثيراً لم يحفل بما يقوله لهُ أطباؤه . على أن الجمهور البريطاني يجد نفسهُ الآن أمام أمرين إما أن يأكل الرغيف الأسمر (الرغيف الاسمر القومي) وإما لا يأكل خبزاً وهو لذلك يأكل الخبز الاسمر وهذا يفيد صحته العامة فائدة قيمة

لقد ظلَّ الاطبـاء أعواماً يحثون الناس على الاكثار من شرب اللبن . ولـكن اللبن كان غالياً على الفقراء مهملاً عند الاغنياء ، والآن استرد اللبن مكانته الغذائيـة وبالرغم من وجوب تعقيمه إجباريًّـا ، فان هـذه الخطوة لم تتم بعد ولكن اجراءَات الحرب قد جعلته خاضعاً للرقابة الحـكومية . وما يقال عن اللبن في هـذا الصدد يقال عن كل ما عداه من الاغذية الاساسية فكلها خاضعة لوزارة الطعام من حيث الرقابة عليها ونظافة توزيعها . وان تكن وزارة الصحة هي وحـدها المطالبة بابداء الرأي في سياسة التغذية العامة . ومن أهم مستشاري وزارة الصحة السير جون اور John Orr وبموجب النظام الحالي تعطى الحوامل والاطفال دون الخامسة وعـددهم حوالي الثلاثة ملايين ونصف كل يوم ثُـمن جالون من اللبن (١٢٥ درهماً) بثمن زهيد أو دون ثمن . وما جاء شهر يونيو سنة ١٩٤٢ إلاَّ ونحو ٨٥ ٪ من الاطفال الذين يمكن أن يشربوا اللبن كان يصرف لهم نصيبهم من اللبن بموجب هذا الانفاق ووزع اللبن أكثر مما كان يوزع وفي عدالة لم تـكن معروفة في توزيعه من قبل مع مراعاة نظام التفضيل ، الذي ينال بمقتضاه الاطفال دون الخامسة حقهم من البرتقال والبيض وعصـير الفاكهة وزيت السمك . ويوزع على الاطفال دون السنة ربع جالون من

(١) من محاضرة الـكابتن هارفي فلاك الطبيب بالسلاح الطبي في الجيش البريطاني

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

اللبن يوميًّـا . كذلك يوزع على الاطفال دون الخامسة أنواع من العسل الغنية بالفيتامينات. وبعبارة أخرى نجد أن الحكومة لاول مرة ترسم سياسة غذائية تضحي بها لهؤلاء المحتاجين الى التغذية أكثر من غيرهم كل ما يحتاجون اليه من غذاء . فالناس في بريطانيا الآن يأكلون ما يفيدهم لا ما يلذ لهم أن يأكلوه وهم ينالون ما يكفيهم بدل أن ينالوا ما يستطيعون شراءه ليس غير . وقد كان هـذا الذي يستطاع شراؤه بالنسبة الى خمسي السكان غير كافٍ للتغذية الملائمـة أو التامة . وفي الثالث والعشرين من شهر يونيو قررت وزارة الوقود والقوة انهُ بالقياس الى مطعم (وست أند) فإن مطاعم عمال المناجم أصبحت تنال من الطعام أكثر مما كانت تنال . ونسبة هذه الكثرة تختلف باختلاف الانواع فهي في اللحم ١٠٠ ٪ وفي الدهن ٦٧ ٪ وفي السكر ٦٠ ٪ وفي السمك ٢٥ ٪

وقد ظلَّ الاطباء طويلاً يدعون الى الايمان بالحاجة الى الغـذاء الجيد الكافي في سبيل المحافظة على الصحة الكاملة ، ولكن وجد كثيرون في جميع الامم قبل الحرب مرضى بسبب قلة التغذية . وفي الوقت نفسه كانت هذه الامم تتلف مقادير كبيرة من القمح واللبن والفاكهة لان في توزيعها على الناس خسارة مالية . ان الامة المحاربة تحتاج الى كل رجل وكل طفل من أبنائها ولكنها تحتاج اليهم أصحاء . ولهذا فان الغذاء الذي يمكن إنتاجه يوزع كله في سبيل هذه الغاية — وهي أن يكون البريطانيون جميعهم أصحاء . فان الاهتمام الآن متجهٌ نحو العناية بصحة المجموع . أما حرية بعض الافراد في أن يربحوا من المواد الغذائية على حساب الصحة العامة فانها تأتي في المرتبة الثانية، بل إن الأمل في ألاَّ تعود اليها منزلتها السابقة. لقد بلغت بعض المواد الغذائية من خطر الشأن بالنسبة الى الصحة العامة لأفراد الشعب مبلغاً يجعلنا نقول إن توزيعها يجب أن يكون مسؤولية قومية حكومية كمسؤولية توزيع المياه النقية تماماً

وقد انقضت الآن أربع سنوات تأثر في خلالها الشعب البريطاني كلهُ بتجربة السيطرة على الطعام وتوزيعهِ . ونتائج هذه التجربة قد أخذت تتضح الآن

***

ومن الاحصاءات التي أشار اليها السير ويلسن جيمسن وهو الرئيس الطبي لوزارة الصحة والمجلس التعليم في خطاب ألقاه في ٢٤ مارس سنة ١٩٤٣ أن نسبة المواليد ارتفعت الى ٨ و١٥ في الالف وهذه النسبة هي أعلى معدَّل للمواليد بلغته البلاد في اكثر من عشر سنين. وبالرغم من الزيادة في عدد المواليد فإن نسبة الوفيات في الأطفال وهي ٤٩ في الألف كانت أقل نسبة سُجّلت الى الآن . ولعلهُ مما يستحق التنويه أن عدد الذين ولدوا في مستشفيات الامومة التي أعدتها وزارة الصحة لظروف الحرب قد بلغ حتى اكتوبر سنة ١٩٤٢ سبعين الفاً. وكذلك

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الحال في نسبة الوفيات ووفيات الاجنة وهي ٦ و١١ في الالف بالنسبة لسكان بريطانيا جميعاً وتعدُّ كل منهما أقلَّ نسبةٍ سجلت الى الآن

قال السير ولسن جيمسن . « ان الامة لا يمكن ان تصل الى مثل هذه النسب اذا كانت صحتها العامة تعاني عناءً يذكر من ويلات الحرب . ولا بد لنا من ان نذكر أنهُ مما لاشك فيه ان وطأة الحرب تزداد على مرّ الأعوام بل هي تتراكم وتتجمع ولا بد من ان تكون الصحة العامة جزءًا من الثمن الذي ندفعهُ في هذه الحرب. ولكن ليس هناك دليل على إن هذا النوع من الثمن يدفع حاليًّا » . ويرجع الفضل في صحة الأمة الى الاجراءَات التي اتخذت في تزويد الناس بالطعام اللازم لصحتهم بمقادير كافية . ولقد أعرب لورد وولتن حديثاً عن الأمل في أنْ ترى الامة صلاحية الاستمرار بعد الحرب في هذه النظم التي وضعتها وزارة الطعام في اثناء الحرب ولا سيما فيما يختص برعاية الطفل وحماية الأم . وهذا اقل ما يمكن أن نطمع فيه لأن هذه مطالب اولية ، ولكن ما سيطالب بهِ الشعب بعد الحرب هو أن تكون له سياسة غذائية تكفل مقادير وافرة من الطعام الضروري — الطعام الذي لا يمكن للصحة أن تدوم الاَّ بهِ — لا للحوامل والوالدات فحسب ولكن لجميع افراد الشعب

صحة العمال

رحب الشعب بالعناية المتزايدة بتحسين صحة العمال في المصانع وهي عناية من آثار الحرب ، فالجيش لا يستطيع أن يقوم باعباء العمل في حرب حديثة دون تموينه من المصانع، والمصانع لا يمكن أن تعمل دون عمال أصحاء . والعناية بصحة العمال في المصانع كانت من اختصاص وزارة الداخلية . ثم نقل اختصاصها الى وزارة العمال لا الى وزارة الصحة وكان ذلك في يونيو سنة ١٩٤٠ . ومن ذلك الوقت اتسع مدى العناية بالصحة والترفيه عن العمال في المصانع اتساعاً أبعد مما تقتضيهِ الحاجة في زمن السلم . وزاد عدد الاطباء الذين يقفون وقتهم كلهُ على المصانع من ٣٥ الى ١٦٤ طبيباً في سنتين كما زاد الذين يعملون نصف الوقت من ٧٠ الى ٦٧٣ طبيباً. كذلك اتسع نطاق التمريض في المصانع اتساعاً كبيراً وتعطى الآن دروس قصيرة الأجل خاصة بالتمريض تنظمها كلية التمريض الملكية . ونظمت الوزارة حملة كبيرة لاتقاء الحوادث كما ذللت صعاب كثيرة خاصة بالتهوية والأضاءَة نشأت عن ضرورة الإظلام الباكر وعلى كل مصنع يشتغل في عمل اساسي ويوظف اكثر من ٢٥٠ عاملاً أن يعد مطعماً للعمال . ويزيد عدد هذه المطاعم العاملة على ١٠٫٠٠٠ مطعم يقابلها بضع مئات قبل الحرب . وأُعدّت وسائل خاصة للعناية بالعدد الكبير من النساء والصغار الذين يؤدون واجبهم في الصناعة .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وتبذل الآن عناية أكثر من قبل بالتوجيه الفني اي اختيار الشخص منذ سن مبكرة للعمل الذي يلائمه . وكذلك استخدمت الموسيقى للترفيه عن العمال الذين يستمرون في عمل ما على وتيرة واحدة ونظمت لهم فترات راحة ، وجعل العمل محبباً الى انفسهم كما منحوا اجازات بأجر

ومن المرجح ان يكون المستوى الخاص بالصحة وقواعدها في المصانع قد ارتفع الآن في بريطانيا العظمى عما كان عليه من قبل . وقد أدرك الجميع ان ساعات العمل الطويلة لا تؤدي الى انتاج كبير ولكنها تؤدي دائماً الى الاجهاد الصناعي وتقليل الانتاج . ويرى الوزير المسؤول ان هذه التغيرات ليست تغيرات وقتية فرضتها الحاجة الملحة في زمن الحرب وحسب فقد قال أرنست بفن في مجلس النواب في ٢٢ يونيو الماضي « اني اكرر ان الوسائل التي اتبعتها الوزارة في اثناء هذه السنة لم تكن جزافاً ... انها تخدم أغراض الحرب وتحمي امتنا وتغذيها وتعمل على المحافظة على صحة أبنائها في وسط هذه الاحوال العصيبة ولكنها رسمت لتقوية الادارة ولادخال واجبات جديدة متسعة الأفق شاملة ، وطرق لمكافحة المشكلات الصناعية واني لأرجو ان تكون هذه الطرق دائمة الفائدة للمجتمع »

وتعتمد الصحة العامة التامة في المقام الأول على اشياء ثلاثة : غذاء صحي ، أحوال ملائمة للعمل ، ووسائل ميسرة للعيش . وقد أدت الحرب الى ادراك الفرد العادي لهذه الحقيقة . فالعمال الآن أقوى صحة مما كانوا من قبل . وهذا بالرغم من الحقيقة الواقعة وهي أن عدد الأطباء نقص عما كان عليه . وقد كان لكل ٢٢٠٠ شخص طبيب على وجه التقريب والآن يعمل كثير من الأطباء خارج البلاد في ميادين الحرب فأصبح لكل ٢٧٠٠ شخص طبيب . ولو لم يتيسر خدمة ٨٠٠ طبيب أجنبي — بين بولنديين وتشكيين ويونانيين وغيرهم من الحلفاء — لكانت الحالة أسوأ مما هي

ومن الواضح أيضاً ان جميع الأطباء الذين يعملون في انجلترا يقضون وقتاً أطول في الارشاد الصحي من الوقت الذي يقضونه في معالجة الأمراض . وكثير منهم يعملون في المصانع ويصادفون كثيرين من الاصحاء رجالاً ونساءً . وهم يكتشفون العلامات الاولى للمرض ويعالجونها . وتقبل الآن باستعداد طيب النصيحة الطبية عن الغذاء وعن أحوال العمل مع كسب اضافي لصحة المجتمع . ويعامل المرضى من الرجال والنساء بكل عناية كما يستغل وقت أطول وأموال أكثر لمنع المرض ولرفع المستوى الصحي

وقد أمضت المصالح الطبية أثناء القرن الماضي أغلب وقتها وبذلت كثيراً من مجهودها في البحث عن الامراض الناتجة عن واحد او آخر من هذه الاسس الثلاثة . الغذاء الصحي ، والاحوال الملائمة للعمل ، والوسائل الميسرة للمعيشة . ان حالة سوء تغذية عامة وما يتبعها

.ة من أمراض وارتباكات لتقوم لان الشعب إما أن يكون فقيراً فلا يستطيع شراء الغذاء
جاهلاً فلا يشتري الغذاء الصحي . فالسكن غير الصحي والازدحام الشديد يؤديان الى
ف الصحة بقدر ما يؤدي اليه سوء التغذية، وأحوال العمل غير الملائمة للصحة تفضي
زيادة الحوادث وارتفاع معدل الامراض الصناعية . وستستمر الحاجة الى الخدمات الطبية
، لو سكن كل الناس في بيوت صحية وعملوا في مصانع وعزب وورش ملائمة وتوفرت
، مقادير وافية من الغذاء الصحي ومنحوا ضماناً ضد الخوف او الحاجة . ولكنها لن
'ون الخدمات الطبية التي نعرفها اليوم ، وسيكون من المناسب عندئذٍ أن تسمى
.دمات الصحية ، لانها ستوجه للوصول الى الصحة التامة لا الى ما يقع اليوم من علاج
ه الامراض التي كان يجب ألاَّ يكون لها وجود

وليست الصحة الايجابية بفكرة جديدة ولكنها لقيت رواجاً جديداً في السنين الاخيرة لأن
صول اليها أصبح قريب المنال . لم يعد الناس يقنعون بأنهم غير مرضى، بل يجب ان يشعروا
حة تامة وافرة — صحة كافية لان يتغلبوا بها على أي مشكلة أو صعوبة — صحة كافية
نهم من الرياضة والتمتع بها بدلاً من مراقبة إخصائيين ذوي أجور مرتفعة يختصون بها
ن غيرهم . ويودون ان تكون لهم صحة كافية تمكنهم من العمل واللعب ومن الاكل
نوم والتمتع بكل ما يحبون عمله — صحة كافية ليواجهوا بثقة كل صعوبات العالم
شكلاته بعد الحرب

رغبات الشعب

يقول السير وليم بفردج في فقرة ٤٣٧ من تقريره — « ان المقصد الاعلى من التأمين
جتماعي هو نظام صحي يكفل العلاج الشامل بأنواعه كلها والوقاية التامة من الامراض لكل
اطن دون استثناء لا تحده ميزانية ولا يقف في سبيله أي عائق اقتصادي يرجع اليه
التنفيذ »

وبرنارد شو قال نفس هذا الكلام من قبل بزمن طويل وردَّده كثيرون من قبل
ن بعد . ومن الواضح أن هذه هي الفكرة المثالية ومقصد الشعب . والنتيجة التي نريد أن
ل اليها بعد الحرب هي تعيين أحسن الوسائل وأسرعها في سبيل الوصول الى هذه الغاية
ني لاود أن أعتقد كما يعتقد البعض أن الفكرة قابلة للتنفيذ بمجرد اصدار تشريع حاسم .
كني أشك في امكان حدوث شيء مثل هذا . وأظن انهُ من الاقرب الى طبيعة الاشياء ان
ي هذا تدريجيًّا — بالاستمرار الدقيق في بناء جديد من النظم الصحية على أساس ما عندنا
قديم أراه كما أشرت الى ذلك من قبل ، من أفضل ما يوجد في العالم .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نشوء الديموقراطية
وتطورها (١)
— ١ —

لناشد سيفين

كان الناس في جاهليتهم الاولى أحراراً . لا يعرفون من أنواع السلطان الا سلطان الأبوة . وكانوا رعاة متبدين . يتنقلون في الارض بماشيتهم لالتماس المرعى . وكانت ماشيتهم تسد شتى احتياجاتهم من مأكل وملبس ومأوى . وكانوا متساوين . ليس لأحدهم مزية ع الآخر وفضل الا في قوة البدن . وكانت الشرائع في ذلك العهد تتسم بالبساطة . وتنحصر في قولهم العين بالعين والسن بالسن

ظلَّ الناس على ذلك دهراً طويلاً حتى عرفت الزراعة وأصبحوا يعولون في أمور معاشهم او الجانب الأعظم منها على ما تنتجهُ الأرض . فتبدَّل الحال غير الحال وختم عهد البداوة ورعاية الماشية وابتدأ عصر الحضارة الزراعية . ويتميز هذا العصر بالحكم المطلق الذي يقوم على الدعوى بأن الملوك يحكمون بحق الاهي . كذلك كان يزعم الفراعنة حتى لقد قال قائل منهم لقومه : أنا ربكم الأعلى.وكذلك كان يزعم لويس الرابع عشر ومن ذلك كانت كلمته المشهورة أنا الدولة.ومن آثار الحكم المطلق انقسام الشعب إلى طبقات بعضها فوق بعض وانعدام المساواة

لم يشذ عن هذه القاعدة في العالم فيما أعلم سوى شعب اليهود . فانهم أقاموا دولتهم في فلسطين على قاعدة المساواة . وكان يرأس هذه الدولة في اول نشأتها قضاة . فكانت أشبه شيء بجمهورية.ثم لما توطدت قدمهم في البلاد أقاموا عليهم ملكاً فأصبحت ملكية . الا انها كانت مقيدة بالشريعة التي أعطاهم اياها موسى . وهي شريعة كاملة . لم تترك صغيرة او كبيرة من أمور دينهم او دنياهم الا أحصتها ووضعت لها نصًّا . وقضت فيها قضاة . وسأجتزئ من هذه الشريعة بما يهمنا في هذا المقام لاثبات ما قررتهُ عن المساواة عندهم

جاءَ في سفر العدد « تقتسمون الارض بالقرعة بحسب عشائركم الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه »

واحتاطت الشريعة لما عساه ان يقع بعد زمن طال او قصر من اختلال ميزان المساواة بانتقال

---

(١) محاضرة القيت في جمعية الشبان المسيحية بأسيوط

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نصبة من سبط الى سبط بالبيع أو الميراث . فقيدت حرية التصرف بالبيع بنص في سفر
لاويين وهذه عبارته : « الارض لا تباع البتة . انها لله . وانتم غرباء ونزلاء عنده »
لك قيدتها في التوريث بنص في سفر التثنية يقول « كل بنت ورثت نصيباً من أسباط
رائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب
ئه . فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر »

اما ما عدا ذلك من انواع المعاملات والالتزامات فقد سنت لها الشريعة سنة فريدة
بابها ليس لها مثيل عند الأمم الاخرى هي سنة اليوبيل . وهي السنة الخمسون بعد كل تسعة
ربعين سنة وجعلتها حداً ونهاية لكل التزام . وخلاصة ما جاء في سفر اللاويين بصددها
ها سنة مقدسة ينادى فيها بالعتق في الارض لجميع سكانها فيرجع كل واحد الى ملكه وعشيرته

وغير خاف ان الغاية من اليوبيل هي اعفاء الافراد الذين ينزلون الى درك الفاقة من كل
زام على اشخاصهم في خدمة أو نحوها . أو على أراضيهم . فترجع البلاد من حيث تقسيم
راضي وتوزيع السكان الى الحالة التي كانت عليها يوم سلمت الأنصبة الى الأسباط في اول
ة . وكل ذلك بسبب المبالغة في الحرص على المساواة . لكي تظل دعامة للدولة الى الأبد
لا يختل ميزانها بتعاقب الاجيال وكر العصور

عرضت الشريعة بعد ذلك للملك وهو المنوط بهِ تنفيذ احكام الشريعة . وعليه يتوقف
لاح امور الشعب وانتظام أحواله . واليكم ما أوصت بهِ الشعب في هذا الصدد : « لا
لّك ان تجعل عليك رجلاً أجنبياً ليس هو أخاك . لا تكثر له الخيل والنساء والفضة
لذهب . لئلا يزيغ قلبهُ . وعندما يجلس على كرسيّ مملكتهِ يكتب لنفسه نسخة من هذه
ريعة ليقرأ فيها كل أيام حياته لئلاً يرتفع قلبه على أخوته »

ولما كانت المساواة تقتضي توزيع العدالة بين أفراد الشعب بالقسطاس فقد حرصت
ريعة أن توجه التفات الملك الى هذا الأمر ليوليه اهتمامه ويصرف اليه عنايته . واليكم بعض
جاء في سفر التثنية في هذا الشأن : « قضاة وعرفاً ، تجعل لك . فيقضون للشعب قضاءً
دلاً . لا تحرف القضاء . ولا تنظر الى الوجوه . ولا تأخذ رشوة . لان الرشوة تعمي عين
لحكماء وتعوّج كلام الصديقين . العدل . العدل تتبع »

أحسبني بهذا القدر قد بلغت الى ما اريد اثباته عن اليهود انهم أقاموا دولتهم على
عدة المساواة . فاذا أضفت الى ما تقدم انهم اخوة من أبناء اسرائيل وانهم احرار ، كان
هود اذن اول شعب في العالم أقاموا دولتهم على الدعائم الثلاث : الاخاء والحرية والمساواة

وقد عاشت دولة اليهود زهاء خمسة قرون وهي رافعة لواء المساواة على مرأى من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

شعوب تعبد ملوكها . وفي زمن لم يعرف فيهِ سوى الحكم المطلق الى ان اجتاحها نبوخذنصر ملك بابل وسقطت منذ ذلك الحين فريسة يتداولها الغزاة واحداً بعد آخر

وبينما كان الحكم المطلق في الشرق يهاجم دولة المساواة في فلسطين ويدك أركانها . كان شعب اليونان في الغرب يهاجم الحكم المطلق في بلاده ليقيم مكانه حكومة ديموقراطية . وهذه اللفظة من وضعهم ومعناها حكم الشعب . واني حين أشير الى اليونان لست أعني سوى أثينا . فقد كانت اليونان في العصر الذي أتحدث عنهُ مقاطعات ولكل مقاطعة حاضرة ذات أسوار يقيم فيها الملك والنبلاء والملاك . وكانت اثينا احدى هذه الحواضر . وانما اختصصتها بالذكر لان النظام الديموقراطي هو نتيجة نضال شعبها لتكون لهم مشاركة في الحكم ، ورأي يعتدُّ بهِ في ادارة شؤون المقاطعة صوناً لحقوقهم لئلاَّ تهدر وضماناً لهم ألاَّ يظلموا

ابتدأ العامة هذا النضال وكان شاقاً مريراً . لكن مشيئة الأحرار قوة دافعة لا تهدأ حتى تنتصر . وكان اول فوز لهم انضمام النبلاء اليهم ضد الملك . لأنهم كانوا يأخذون عليهِ انهُ اذا كانت حرب استنفرهم لها وكانوا فيها عدته . فاذا كان سلام استأثر الملك بالسلطان من دونهم . واذا شاورهم في شأن فلا يتقيد بمشورتهم . واستمر النضال بضعة قرون ثم أسفر عن إدالة الحكم المطلق . وزوال الملكية الوراثية . وقيام حكومة في مكانها من مجلسين أحدهما مجلس الحكام ويتكوَّن من تسعة اعضاء يعينون بالانتخاب من بين النبلاء ويحملون الأعباء المختلفة التي كان الملك يضطلع بها من دينية ومدنية وقضائية وسياسية وحربية كلٌّ في دائرة اختصاصه التي عينت له . وكان كل منهم يلقب أرخون . ومدة هذا المجلس سنة واحدة . اما المجلس الآخر ويطلق عليهِ اسم أريوباج فكان يشكل من الحكام الذين تنتهي مدتهم ووظيفته مراقبة الهيئة الحاكمة لكبح جماح من تحدثه النفس من الأراخنة بتجاوز اختصاصه وتعدّي حدوده

لم يستفد الشعب من تلك النتيجة خيراً . لانهُ لم يتغير من الحكم المطلق غير الصورة والمظهر . اما الشريعة وهي روح الحكم وجوهره والشذى الذي يتنسم فيهِ الشعب ما في اعطاف حكامهِ من عدل او جور فقد ظلت بدون تغيير وهي من عمل الاجيال الماضية ووليدة الحكم المطلق . وكانت لذلك تنطوي على مظالم فادحة . وحسبي ان اجتزىء منها بشريعة الدَّين على سبيل المثال لبلوغها أقصى ما يتصور العقل من الجور . اذ كانت تبيح للدائن بيع المدين العاجز عن الوفاء ، في سوق الرقيق لاستيفاء دينهِ . فاذا لم يفِ ثمنه لذلك أخذ بعض أهله ليبيعهم كذلك حتى يستوفي ماله كله مع الربا

وكانهُ لم يكف الحكام ما في الشريعة من مغارم ومظالم فزادوها نكالاً بانهم كانوا يحرّفونها لمصلحة ذويهم . وكان ذلك عليهم يسيراً . لان الشريعة لم تكن في ذلك الحين

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مكتوبة . فلم يكن للشعب حينئذٍ مرجع يرجعون اليه لكشف ضلالهم .أو حجة يستمسكون بها لردهم الى سواء السبيل . ولم يكن لهم محيص عندئذٍ من الثورة

ثار الشعب في أثينا من المظالم التي حاقت به وخشي الحكام سوء المنقلب . فعهدوا الى أحدهم ويدعى دراكو في ان يجمع شتات الشريعة ويدوّنها . فأكبّ على ذلك حتى أنجز المهمة . غير انهُ لم يغير فيها شيئاً ولا استحدث جديداً يجعلها أدنى الى الرحمة . فجاءَت بين الشرائع نسيجاً وحده . يعز أن يكون لها في صرامتها نظير في العالم . فلقد أبقى شريعة الدين . وأثبت شريعة أخرى أبلغ منها في الظلم والقسوة . هي القضاء بالموت في جميع الجرائم صغيرها وكبيرها على السواء . فمن سرق فاكهة أو بقلاً كمن قتل نفساً كلاهما جزاؤه الاعدام . وقد سئل دراكو في هذا فأجاب بقوله : « لقد وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم أجد غيره للجرائم الكبرى »

كانت النتيجة من تدوين شريعة كهذه ونشرها زيادة سخط الشعب وتذمره من حكامه فظهرت بوادر الثورة مرة أخرى . وكاد يضطرم نارها ويستفحل شرها . لولا ان قوماً من جيرة أثينا نزلوا في جزيرة تابعة لها يريدون الاستيلاء عليها . فانصرف عندئذٍ اهتمام الشعب الى استنقاذها . وكان زعيم الشعب في هذه الحركة شابّاً نبيلاً يدعى صولون . كان شاعراً متأجج العاطفة . فأذكى حمية الشعب بأشعار تفيض حماسة . وسار على رأسه للقاء المعتدين . فقاتلهم حتى غلبهم واستردَّ الجزيرة منهم

تبتدىء شهرة صولون منذ ذلك الحين . فلقد عرف له الاثينيون فضلهُ وأولوه ثقتهم وتقديرهم . وكان من مظاهر تكريمهم له بعد ذلك انهم انتخبوه عضواً في مجلس الحكام

أراد المجلس ان يضع حدّاً لتذمر الشعب فعهد في ذلك الى صولون ومنحهُ السلطة المطلقة لمعالجة الموقف على النحو الذي يراه ، لما رأى انهُ أكفأ رجل في أثينا للاضطلاع بتلك المهمة لحكمته ومحبة الشعب له وثقتهم بهِ . خطا صولون اول خطوة في هذا السبيل بازالة الأسباب المباشرة لشكوى الشعب وتذمره . ورفع الاعباء التي كانت تبهظه . فمنح فكاكاً للارض المرتهنة وألغى سائر الديون . فاغتبط الفلاحون بذلك . وانتظروا ان تكون الخطوة التالية الاستيلاء على الاراضي التي يملكها النبلاء واعادة توزيعها توزيعاً عادلاً . لكنه لم يمض في هذا السبيل . بل اتخذ حلاً وسطاً بأنهُ جعل حدّاً أقصى للمساحة التي يجوز للفرد ان يملكها أما المساواة في الأنصبة فقد كانت بعيدة عن تفكيره ، لما يقتضيه ذلك من هدم المجتمع واعادة بنائه ، وتغيير أداة الحكم بحذافيرها . وقد خشي صولون ان يهدم ، لئلاّ يخونه التوفيق عند البناء ، ويخطئه الصواب وتتخلى عنه الحكمة فلا يحسنه . وفضل أن يتبع سنّة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التطور فيصلح النظام القائم ويدخل عليهِ ما يشاء من التعديل

وبناءً على هذه الخطة المعتدلة قسم صولون الشعب الى اربع طبقات . فجعل في العليا النبلاء ومن في مستواهم بحسب الدخل . وجعل في الطبقتين التاليتين الذين لا يقل دخلهم عن قدر عينه لكل طبقة . وجعل في الرابعة من بقي بعد كل أولئك من المواطنين الأحرار . شرع صولون بعد ذلك في بناء أداة الحكم على وجهٍ يتيح لعامة الشعب الاشراف عليها فاحتفظ بالمجلسين اللذين كانا من قبل . أي مجلس الحكام ومجلس الآريوباج واختص بالعضوية فيهما النبلاء كما كان الشأن من قديم . وأنشأ الى جانبهما مجلسين سمَّى أحدهما مجلس الأربعمائة نسبةً الى عدد أعضائه وهم ينتخبون من الطبقات الثلاث العليا وجعل اختصاصه اقتراح القوانين وتحضيرها . وسمى المجلس الثاني مجلس العموم نظراً لأنهُ كان من حق عموم أفراد الشعب أن يختلفوا اليه ويعطوا أصواتهم فيه ما عدا الأرقاء لأنهُ ليس للعبد المقيد بمشيئة سيده ارادة ولا اختيار . وجعل اختصاصه التصديق على القوانين التي يرسلها اليه مجلس الأربعمائة وانتخاب الحكام

وتوَّج صولون أعماله بما أدخلهُ على الشريعة من تعديلاتٍ وتخليصِها مما كان يشوبها من جور وأزال ما كان فيها نابياً عن العدالة . ثم دوَّنها على لوحات وعلقها في الميادين العامة ليطلع عليها الشعب . ولا يزال بعض هذه اللوحات محفوظاً في المتاحف

واذا أنعمنا النظر فيما صنعهُ صولون نجد انهُ أخذ من الحكم المطلق نظام الطبقات . ومن حكم النبلاء مجلسي الحكام . أما الطبقات فكانت اثنتين : طبقة عليا تضم النبلاء وأخرى تشمل من عداهم . فزادها الى أربع . وكان معوَّله في تقسيم الشعب الى طبقات على مقدار الدخل حيث اشترط دخلاً معيناً لكل طبقة . واختصَّ الطبقات العليا بالوظائف الكبرى في الدولة . ولذلك صحَّ في زمانه ان يقال « المال يصنع الرجال » لما رؤي انهُ بدونه لا يكون لرجل اعتبار في الدولة ولا منزلة محترمة . وأما المجلسان فقد أبقاها بدون تعديل في طريقة تشكيلهما والاختصاص

وقد أثبتت أحداث السنين التالية كيف انهُ أخطأ في اقامة الديموقراطية على أسس من الحكم البائد . وذلك لأنهُ لم يمض غير قليل حتى نبتت من الطبقات الدنيا طبقة جديدة من التجار الذين استطاعوا بجرأتهم ومغامراتهم أن يحصلوا على ثروات طائلة رفعتهم الى مستوى النبلاء وكبار الملاك فنازعوهم الحقوق المخولة لطبقتهم العليا . وكان ذلك مبدأ النزاع بين العصامية والعظامية . والرأسمالية المكتسبة والشرف الموروث

واستطاع شاب يدعى بزيستراتوس أن يجمع الشعب حوله . وما زال يمنيهم بالوعود

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الخلابة حتى ألف منهم قوة استطاع بها أن يغتصب الحكم من النبلاء ويقيم نفسه حاكماً بأمره . وهكذا تصدَّع البناء الذي أقامه صولون ولما يمض غير قليل على بنائه . وكذلك كل بناء يشيد على غير الأسس التي تلائمه، لا محالة بعد حين يتصدَّع

ولو ان صولون أقام بناء الديموقراطية على قواعد ثابتة غير نظام الطبقات التي لا دوام لها ولا يمكن أن تكون بمأمن من مدِّ الأيام وجزرها واقبال الحظوظ وإدبارها في غير ظلال الحكم المطلق ، لو انهُ فطن الى ذلك ما حدثت الثغرة في بنيانه بنشوء طبقة لم تكن في حسبانه

وقد استطاع الزعيم الشاب أن يوطد سلطانه فظلَّ في الحكم الى وفاته ثم خلفه عليه ابناه فلم يكونا على شيء من مقدرته وحذقه وحسن تصرفه وعدله فاغتيل أحدهما واستطاع الثاني أن ينجو بنفسه ويفر الى آسيا

تبين للأثينيين من ذلك ناحية الضعف في الديموقراطية ومكمن الخطر الذي يتهدَّدها . واخترعوا لحمايتها شريعة فريدة في بابها مؤداها انه اذا خيف من أحد الزعماء أن يجنح يوماً الى الطغيان فانه يجوز ابعاده لعشر سنوات اذا أجمع ستة آلاف مواطن رأيهم على ذلك . وكان الاقتراع في هذه المناسبات سريًّا . وكانت طريقة ذلك أن يكتب المواطن اسم الزعيم المرغوب في إبعاده على قطعة من الشَّقَف ثم يضعها في مكان خصص لذلك حتى اذا اجتمع العدد المقرر فان الزعيم يؤمر بالرحيل فوراً الى بلاد أجنبية

واني أذكر بهذه المناسبة على سبيل الفكاهة عادة عند عامتنا من هذا القبيل . وتتلخص في أن أحدهم اذا زاره شخص في داره وهو له كاره ويتمنى عدم عودته فانه يتربص به حتى يغادر الدار فيلقي خلفهُ شقفاً أو يكسر قلة . فلعلَّ هذه العادة يرتد أصلها الى ما كان عند اليونان الاقدمين لنفي الزعماء الخطرين ثم انتقلت الينا مع مهاجريهم الذين لم ينقطع سيلهم عن مصر منذ أقدم العصور

ظلت الأمور تجري في أثينا على هذا المنوال بضعة قرون خاضت في خلالها غمرات حروب طاحنة ضد أعداء من الخارج وفي داخلها . لكنها استطاعت مع ذلك أن تحتفظ بشعلة الديموقراطية وان تقدم فوق ذلك كنزاً لا يبلى ولا تذهب جدته ، وذخيرة لا تفنى على الايام ، من ثمرات عقول فلاسفتها وعلمائها وحكمائها وأهل الفنون وشعرائها . ثم أتاها أمر الله فخرَّت صريعة تحت أقدام المقدونيين

ومن ذلك الحين غشي العالم القديم كله ديجور الحكم المطلق . ثم أوقد سراج الديموقراطية في روما بقيام الجمهورية . ثم لم يلبث ان انطفأ بانتقال السلطة الى أيدي قياصرة يؤلهون ذواتهم .

« يتبع »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أساليب البناء

بين الماضي والمستقبل

— ٢ —

لصبحي كحالة

العوامل الرئيسية في تكييف أساليب البناء

العوامل الرئيسية المؤثرة في تكييف أساليب البناء يمكن تلخيصها في البنود الاربعة التالية : —

العامل الاول : هو عامل البيئة وما يتبع ذلك من أثر التقاليد والعادات والمعتقدات وطرق التفكير في توجيه الرغبات وتحديد مدى الحاجات التي لا يشاد البناء الا لتطمينها . هذا العامل هو الذي أعطى أكثر المعابد والصروح والمباني الشكل الخاص الذي أخذته وهو الذي أعطى بيوتنا الشرقية القديمة مثلاً شكلها الخاص من حيث حصر الاهتمام في داخل البيت بساحته وايوانه وأحواضه وقاعاته بحسب مقتضيات مجتمعنا الشرقي

وهذا العامل هو الذي أملى على الطراز المصري طابع الضخامة والجسامة ، وعلى الطراز اليوناني طابع التناسق والجمال ، وعلى الطراز الروماني طابع المناعة والقوة ، وعلى الطراز العربي طابع الاناقة والجلال ؛ وعلى طراز عهد النهضة « الرينسانس » طابع الترف والاسراف . وما كانت هذه الظواهر في الواقع الا انعكاسات طبيعية لخصائص معروفة عن بيئات تلك الحضارات في تلك الازمان

والعامل الثاني : هو عامل مواد البنـاء . فعلى قدر توافر مختلف أنواع هذه المواد تحت تصرف كل مجتمع كان يتوقف انتخـاب الشـكل والاسلوب الأنسب في البنـاء لملاءمة مقتضيات تلك المواد . وكثيراً ما كان يساعد وجود بعض المواد في ناحية ما على ابتكار أسلوب جديد في البناء أو إتقان أسلوب قديم . فاستعمال الآجر في بابل كان وليد هذا العامل ، وبناء القبة في فارس ما كان محتملاً لولا توافر مقادير كبيرة من الخشب يمكنهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

استعمالها بإسراف في عمل القوالب الكثيرة اللازمة لدوْر الاختبار الطويل المقتضي لذلك ، والقوس الرومانية لم تنشأ الاَّ عند ما وجد الرومانيون لديهم وفرة من الحجارة الصغيرة وحاجة الى بناء الفتحات الكبيرة فقادتهم مواهبهم الانشائية الفذة الى ابتكار هذا الاسلوب الذي جمع عندهم بين تأمين الحاجة واستغلال الموفور

والعامل الثالث : هو عامل التقدم الفني في أساليب البناء . فاستعمال العتبات المستقيمة اولاً ، ثم ابتكار القوس ثم القبة ثم دعائم القوطيين كانت خطوات تدريجية لتقدم الاساليب الفنية في استعمال المواد لتأمين حاجات البناء . وقد سجلت كلٌّ منها أثراً بارزاً في تعديل الطراز السائد قبل ادخالها من حيث توسيع الفتحات وتقليل عدد الأعمدة وتغيير الشكل العام للبناء . والتقدم الفني في الماضي كان بطيئاً لانهُ كان يعتمد في الدرجة الاولى على التجارب والاختبار التدريجي . وأما في العصر الاخير حين لجيء الى التصميم بواسطة التحليل العلمي والحساب الرياضي فقد اختلف الامر واتسعت حلقة التقدم فأفضى الى حلول جديدة من أنواع البناء . والانشاء العمراني ما كان يمكن الوصول اليها لولا امتداد أفق العلم الرحيب الى هذه الناحية العامة من نشاط الانسان

وأما العامل الرابع والاخير : فهو عامل الظواهر الطبيعية ومدى تأثيرها في شكل البناء في مختلف نواحي العالم . ففي اليابان مثلاً لم يفضل البناء الخشبي الاَّ لانه وُجد ملائماً لطبيعة تلك المواد المعرضة للزلازل، وفي شمال اوربا حيث تكثر العواصف الثلجية لم يلجأ الى السقوف المائلة المرتفعة الاَّ لما عرف بالتجربة عن تخفيف هذا الميل لضغط الثلوج المتراكمة. واننا نرى ان هذا الميل في السقوف كان يتناقص في مختلف أنحاء اوربا الاخرى بالقدر الذي يتناقص تأثير الثلوج فيها حتى اذا نظرنا الى مباني بلادنا وجدنا السقوف فيها على الاكثر منبسطة لا ميل فيها لأن عامل الثلج عندنا قليل الشأن بالقياس اليهِ عندهم

هذه العوامل الاساسية الاربعة هي التي عينت الاتجاه الخاص للبناء في كل حضارة قديمة وكل دور مضى . وعلى ضوء دراسة مدى تأثير كل منها اليوم ، يصبح من السهل علينا إدراك الدوافع والاسباب التي أدَّت بمهندسي القرن العشرين وفنانيه الى طلب الانعتاق من تأثير الاساليب القديمة والعمل بعد الحرب العالمية الاولى على ابتكار أسلوب عصري جديد في البناء يتفق وروح العصر الحديث المتجدد وينسجم بخصائصه ومزاياهُ مع ذلك التطوُّر الخطير الذي طرأ على العالم خلال المائة السنة الأخيرة في عالم الفنون والعلوم والصناعات والمواصلات فغيَّر بذلك مجرى التاريخ ، وبدَّل من أساليب التفكير ، وجعل الحياة اليوم غيرها أمس ، ورفع مستوى العيش الى حد لم يكن يحلم بهِ فيما مضى

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الأسلوب العصري في البناء

والأسلوب العصري الجديد في البناء هو جديد في كل شيء . جديد في اهدافه ، جديد في مواده ، وجديد في تفاصيله وطرق انشائه . وليس من العجيب أن يتمخض هذا العصر عن ثورة على القديم في البناء مثل هذه . بل الغريب حقاً ان تتأخر أسباب هذه الثورة حتى العقد الثالث من هذا العصر ، والتباين في البيئة والأوضاع العامة بين الحاضر والماضي على ما نرى

كانت ذخيرة الأساليب القديمة في البناء الحجارة والآجر والخشب . وأما اليوم فقد طغى على استعمال هذه المواد مواد جديدة أخرى — الحديد والخرسانة وطائفة أخرى من المواد المصنوعة في معامل خاصة لغايات البناء . وكانت ذخيرة الماضي في التقدم الفني التجارب المستمرة والخبرة المتراكمة . وأما اليوم ففي علوم تحليل القوى ومقاومة المواد ونظريات الانشاءات وغيرها من العلوم الحديثة فتحت امام المهندسين آفاق جديدة واسعة من التقدم والتحسن . فانطلقوا بفضلها من كل قيد . وعلوا فوق الارض بمبانٍ من ناطحات السحاب يربي عدد طبقاتها على المائة . وبنوا من الجسور ما زاد طوله عن الثلاثة عشر كيلو متراً ، وشادوا من السدود الضخمة ، والمصانع الكبيرة ، وأسباب العمران الأخرى ما قلب شكل الارض وغيّر من منظر المدن

ومقاييس الفن والجمال قد اختلفت في نظر المهندسين والبنائين اليوم عنها أمس . كانوا في الماضي يجدون الجمال في الزخارف وأنواع الزركشة ويرون فيها ضرورة لا غنى للعين عنها . وأما اليوم ، ونحن في عصر المادة والسرعة ، فالجمال لا يستعذب الا بالبساطة المطلقة المجردة من كل تكلف ، وباظهار كل جزء من البناء على حقيقته خالياً من كل زينة أو تمويه . لا شيء إلا خطوط أفقية أو عمودية للتأكيد أو القياس في مختلف نسب أجزاء البناء — ولكل خط منها غاية ، ولكل جزء منها قصد ومغزى

وكانوا في الماضي يستجملون الضخامة مهما كلفت لأنها في نظرهم كانت عنوان القوة والمتانة وأما اليوم فالحسابات الفنية الدقيقة أصبحت تمكننا من اعطاء كل جزء من البناء الأقيسة اللازمة لتأمين متانته تماماً دون أي إسراف في المواد أو تبذير في النفقات . فلا بدع إذا امتاز الأسلوب العصري الجديد بدقة الخطوط ورشاقة النسب وجرأة التصميم والانطلاق من كل تقليد أو قيد قديم

وكانوا في الماضي يحفلون بمنظر البناء العام ويستسيغون تعقيده ويكثرون من التفاصيل الدقيقة في كل ناحية من نواحي البناء — يهمهم امر ذلك اكثر مما يهمهم فيه تناسق الترتيب

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الداخلي واستيفاء شروط حاجات مستعمليه على أكمل وجه . وأما اليوم فقد انعكست الآية وأصبح أول ما يستهدف في البناء هو جعله ملائماً بتنظيمه وترتيبه وشكله للخدمة التي يقصد منهُ تأديتها . وكل اعتبار آخر خلا ذلك أضحى في المرتبة الثانية من خطر الشأن. فالبيت في نظر مهندسي الاسلوب العصري مثلاً ، هو مركز حياة العائلة وموطن سعادتها . فما أحرى بهِ اذاً أن يكون جنتها أيضاً . ولذا فقد أكثر فيهِ من الصالونات الرحيبة القابلة للجمع أو الفصل بقواطع متحركة تنقل بحسب الرغبة وتعدل بحسب الحاجة الطارئة. وزيدت الصلة بين الخارج والداخل بتوسيع النوافذ والاكثار من الشرفات (الفارندات) ليمكن التمتع بجمال الطبيعة والهواء الطلق والنور سواءٌ كان الشخص في داخل البيت أو خارجه متى أراد وبالقدر الذي يشتهي . وأما تجهيزات التدفئة والتأسيسات الصحية وأساليب تعديل الحرارة والتهوية وتوزيع المياه والنور الكهربائي وغير ذلك من مظاهر الرقي العصري فقد باتت بفضل التقدم الصناعي الواسع الذي تمَّ في مختلف مواد البناء الجديدة طوع رغبة العائلة ورهن حاجتها . فأضفي بها على البيت الحديث ألوان زاهية من الروعة ما كانت له في الماضي فغدا الركن الجذاب الذي يجد الانسان فيهِ كل أمنية من أسباب الراحة والهدوء والمتعة والانشراح

والاسلوب العصري في البناء يختلف عن أساليب الحضارات القديمة بكونهِ لا قوميًّا ولا شعبيًّا. لحضارة العصر الحاضر ليست حضارة أمة وحدها وانما هي الخلاصة المتجمعة لكافة الحضارات السالفة الكبرى ، ورثت عن كل منها الزبدة الخالصة لكل ما تركه عباقرتها من تراث قيم في عالم الفكر والعلم والادب والعمران . ولذلك فلا غرو اذا وجدنا هذا الاسلوب العصري في البناء، وهو النتاج الطبيعي لهذه الحضارة اللاأممية، يعم كل زاوية من زوايا المعمورة وينتشر في أوروبا وفي أميركا وفي اليابان على السواء ويدخل كل مدينة من مدننا العربية أيضاً

***

واذا جاز لنا أن نؤمن بمبدأ التطور العام ، وجب علينا أيضاً أن نتوقع بعد خمود نيران هذه الحرب الجارفة التي يتلظى العالم في أتونها اليوم تطوراً هامًّا في هذا الاسلوب العصري من البناء يتمشى جنباً الى جنب مع التطورات الخطيرة الاخرى التي لا بد أن تحدثها مثل هذه الهزة العالمية الهائلة في أوضاع العالم الاجتماعية والاقتصادية والصناعية والسياسية . وقد بدأنا منذ الآن نسمع المستر تشرتشل والمستر روزفلت وغيرهما من كبار القادة السياسيين يحدثوننا باسهاب عن خطط البناء بعد الحرب وعن دور الانشاء الخطير في العالم المقبل . فترى ما هي الاتجاهات التي يحتمل أن يتخذها شكل هذا البناء الجديد في المستقبل ؟

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الاتجاهات المقبلة في البناء

وقبل الاجابة عن هذا السؤال أرى من واجبي هنا أن أشير الى أن التنبؤات في هذا الموضوع كثيرة ، منها الخيالي البعيد ومنها المعقول القريب . ولست أجد من وقتي ما يسمح لي بالتطرق الى الاحلام الواسعة التي يستطيب البعض اطلاق خيالهم فيها . وانما سأحصر جهدي في التحدث عن بعض الاتجاهات الخاصة التي تكاد الدلائل تجمع على انها سوف تكون في العالم بعد الحرب حقائق ثابتة ، لا مجرد أحلام عذبة ولّدها الخيال الخصب

***

والاتجاه الاول الذي أريد ان أحدّث عنه في هذا الموضوع هو ان قسماً كبيراً من البناء في المستقبل سوف يصبح سلعة جاهزة في المصانع تباع عند الطلب وفق رسوم ومخطوطات مهيأة يختار كل راغب في البناء ما يروقهُ منها فتنقل اليه في أيام قلائل وتركب وتبنى عنده في ايام قلائل ويصبح بإمكانه الاستفادة من نعمها خلال فترة قد لا تتجاوز الاسبوعين من تاريخ قراره على اقتناء البناء

ومثل هذا الاتجاه في الواقع ليس جديداً تماماً . فقد سعت بعض المصانع في اميركا وأوربا قبل هذه الحرب الى صنع بيوت على هذا النحو تقسم الى اجزاء مستقلة يمكن نقلها وتركيبها في موقع البناء وفق رغبات مشتريها . ولكن مساعيها في الماضي كانت فاشلة لسببين رئيسيين

الاول — هو ان نفقة صنع هذه البيوت كانت كبيرة جدًّا بالنظر الى ان طلبها كان محدوداً

والثاني — هو ان اضطرار المصانع لحصر انتاجها في عدد قليل من اشكال البيوت جعل المهندسين ورجال الفن يعارضون بشدة في مثل هذا الاتجاه خشية ان يحد من التفنن المرغوب في أشكال الابنية فيعطي مدننا طابعاً من التشابه ووحدة النسق لا يستطيبهُ الذوق ولا ترضى به العين

الاَّ ان المقياس الواسع الضخم الذي ستضطر مصانع الغرب بعد الحرب لانتاجه من مثل هذه البيوت الجاهزة للاسراع في ايواء تلك الملايين من الكتل البشرية التي شرّدتها كوارث الحرب سوف يجعل من السهل ، ولا ريب ، خفض نفقتها والاكثار من تنويعها وتشكيلها بحيث تزول بذلك الى حدٍّ كبير الاعتراضات التي كانت تحول دون تقدم هذا الاتجاه الصناعي في البناء قبل وقوع هذا الصراع العالمي الكبير

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وأما الاتجاه الثاني الذي سيظهر في بناء المستقبل فهو التطور الفني المطرد الذي سيطرأ على صناعة مواد البناء الرئيسية وفنون استعمالها والتأثير الكبير الذي سيحدثهُ ذلك في أشكال البناء

وقد كان أحد مشاهير المهندسين الفرنسيين المسيو فريسينيه اقترح منذ بضع سنوات تعديلا هامًّا في صناعة الخرسانة ، ينطوي على تعريض اسياخ حديد التسليح لشدّ قبل صب الخرسانة واطلاقها بعده . وقد أثبتت النظريات الفنية والتجارب العملية التي اجريت في هذا الشأن اخيراً ان تعديلاً مثل هذا اذا أمكن وضعه في قالب عملي واقتصادي مع اجراء تحسينات ممكنة في انواع الخرسانة والحديد المستعملة سوف يحدث ثورة هامة في ساليب بناء المستقبل ، وسوف يطلق امكان توسيع الفتحات وتخفيف أقيسة مختلف أجزاء لبناء الى حدود جديدة لم تكن تخطر ببال . وجميع الدلائل تدل على ان اتجاهاً مثل هذا سوف يحدث في المستقبل القريب . والمختبرات الهندسية في اوربا واميركا ما فتئت تنفق عن سعة لتحقيق هذه الغاية خلال أقرب فرصة ممكنة. وأما صناعات المعادن من حديد والومنيوم وغيرها من السبائك المتنوعة ، فهي تخطو اليوم تحت حافز مقتضيات صناعات الحرب الحالية ، خطوات واسعة من التقدم . ومن المحتمل جدًّا ان نرى أنواعاً جديدة من هذه السبائك ولا سيما الالومنيوم منها ، تغزو عالم البناء في المستقبل وتؤثر فيه أعظم التأثير

وأما صناعة مختلف المواد العازلة للصوت والحرارة والرطوبة وغير ذلك من المزعجات فيتوقع فيها رقيّ مستمر ويؤمل ان تصل في بناء ما بعد الحرب الى درجة من الكمال لم تبلغه يوماً قبله وان يزداد استعمالها ويرخص ثمنها بحيث يصبح في وسع كل صاحب بيت التمتع بمزاياها وفوائدها دون أي عائق

***

وهناك اتجاه آخر يحتمل جدًّا أن نراه في أسلوب بناء المستقبل — هو إنشاء المصانع الضخمة وما ماثلها من المباني خالية من كل أثر للنوافذ والمناور فيها . وعلى قدر ما يبدو ذلك غريباً لأول وهلة فأن الحجة التي تساق لتسويغه تبدو معقولة . يقول أصحاب هذا الرأي ان النوافذ في المصانع تخدم غايتين الأولى تأمين تجديد الهواء والثانية تأمين النور والضياء الاَّ أن الاختبار في الماضي أثبت أن العمال في بيوت الصناعة يتعرضون في كلا الحالتين لمحاذير غير مستحبة . ففي الحالة الأولى يجابه العمال اخطار مجاري الهواء وما ينتج عن ذلك من علل . وفي الحالة الثانية فان العمال يضطرون لارهاق عيونهم بنوع من الضياء تختلف قوتهُ وتتنوَّع كثافتهُ بحسب اختلاف الساعة بين الصباح والمساء وبحسب اختلاف الموسم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بين الصيف والشتاء وبحسب اختلاف الجو بين شمس ساطعة وسحاب مكفهر . وفي جميع هذه الاحوال ترى العمال الذين يقومون على الغالب بأعمال صعبة وحيدة النسق تتعرض عيونهم وصحتهم لمتاعب ذات بال . فللحيلولة دون هذه المحاذير وجد بعض المهندسين ضرورة لالغاء النوافذ في بيوت الصناعة والعمل لتأمين النور اللازم والهواء النقي بالاساليب الفنية الحديثة التي ابتكرها العلم الحديث . وهذه الاساليب يمكن تنظيمها وتعديلها بحسب حاجات العمال تماماً وبشكل يكون أوفر فائدة من أي عددٍ من النوافذ في البناء

وأما الاتجاه الأخير الذي أود أن أشير اليه فهو احتمال دخول التلفزة والطائرة في حياتنا اليومية بعد الحرب . وسوف يضطر المهندسون لتثبيت مطار خاص في كل ما يصممونه من مبانٍ جنباً الى جنب مع حظيرة السيارة التي اعتدناها . ولاريب في ان هذا التقدم الهائل الذي طرأ على صناعة الطيران خلال هذه الحرب سوف يضمن للطائرة الانتشار الواسع بعده، على نفس النحو االذي ضمن للسيارة الانتشار الواسع بعد الحرب العظمى الماضية على أثر التقدم الميكانيكي لذي حصل فيها

وقبل أن أختم كلامي في هذا الموضوع أود أن أسوق البحث الى بلادنا العربية وأتساءل مع المتسائلين : ترى الى أي مدى سوف نستطيع في هـذه البلاد الاستفادة من مثل هذه الاساليب الجديدة للبناء ، والى أي حدٍّ يجمل بنا التقيد بالأطرزة القديمة منها ؟

نصيبنا من هذه الاتجاهات

والجواب عن هذا ، على ما أرى ، يمكن استيحاؤه من الاحتمالات المقبلة التي يمكن أن تطرأ على بيئتنا ومجتمعنا العربي بعد هذه الحرب . فما لاريب فيه ان هـذا الاصطدام الجبار بين قوى البشر سوف يؤدي الى تعديل أساسي في مجمل أوضـاع العالم الاجتماعية . وسوف ينالنا ولا بد ، كما سينال كل شعب آخر ، نصيب وافر من هـذا التطور الخطير

فدرجة اقتباسنا من تلك الاتجاهات الجـديدة للبناء سوف يتوقف الى حد كبير على قدر ما يدنو بعد هـذه الحرب من المجتمع الغربي . وما دامت هناك بعض الفوارق بين المجتمعين فلا بدَّ ان تبقى هنـاك بعض الفوارق في البنـاء يجب على مهنـدسينا في البلاد العربية أن يحسبوا لهـا الحساب ويتحفظوا من أجلهـا في كل ما يأخذونهُ عن الغرب من أساليب . فالبناء عندنا قبل كل اعتبار آخر يجب أن ينسجم وحاجات بيئتنا ، ويتناسب مع احوالنا وأوضاعنـا الاجتماعية الخاصة . وعندما تزول تلك الفوارق ، ويزداد على مدى الأيام توثق الروابط وصلات التشابه بين البيئات والمجتمعات تحت تأثير هذا التطور

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الدائم الناتج عن تقدم الحضارة ، أرى انهُ يجب ان لا يكون عندنا أي تردد في الاستفادة من كافة مزايا الاتجاهات الجديدة في البناء الى أبعد حد والاستمتاع بفوائدها الى أقصى مدى

وهناك كثيرون من المتحمسين لفكرة إحياء الطراز العربي القديم والعودة الى استلهام أساليبه الرائعة وصبغ بنائنا العربي بطابع قومي خاص واعطائه لوناً براقاً يختلف عن كل ما تراه العين في بلاد الأرض الاخرى . على اني أرى ان توجيهاً مثل هذا يجب أن نتقبلهُ بحيطة وتحفظ . فاذا كان من المستحسن مثلاً ، ان نقتبس من وحي هذا الطراز في ما ننشئهُ من مساجد وأضرحة وبيوت أثرية وغيرها من المباني التي يمكن أن نجد لها صلة بالماضي والتي نستسيغ اعطاءَها روعة خاصة تتسق مع مقامها ومع ما توحيه للناظرين من ذكريات وعبر وشجون ، الا اني لا أجد ثمة ما يسوغ الأخذ به في أشكال مبانينا الأخرى . لحضارتنا اليوم لا امية . وأساليب البناء فيها تعم كل انحاء الأرض ولا تخص أمة دون أخرى . والطراز العربي كما سبق ورأيناه هو وليد بيئته الخاصة . والعوامل التي دعت لنشوئه وازدهاره هي غير العوامل التي تحوطنا في الحاضر وفي المستقبل . وتكاليف انشائهِ اذا روعي فيه الاتقان تزيد أضعافاً على تكاليف البناء وفق الأساليب الحديثة . ولذلك فلست أرى من سداد الرأي أن نرجع في اتجاهنا الى الماضي لنستلهم مما ابتكره آباؤنا لزمن غير زماننا ، ونحن اليوم نعيش على غير ما كان آباؤنا يعيشون ، ونفكر على غير النحو الذي كانوا بهِ يفكرون . وكم أجدر بنا ، بدلاً من أن ننفق ثروتنا المحدودة في سبيل العودة الى القديم ، أن نصرفها في شتى النواحي العمرانية والاجتماعية الأخرى التي نحن اليوم بأشد الحاجة اليها

***

لقد سنحت للعرب بعد انتهاء الحرب الماضية فرصة ممتازة لتجديد معالم بلادهم النامية على أساس متين من التنظيم الفني والتوجيه الهندسي الصحيح . ولكنها فرصة مع الأسف قد ضاعت ولم نعرف كيف نستفيد منها على الوجه الاكمل . وها هي ذي عمان ، ولم يمض على انشاء القسم الاكبر منها أكثر من عشرين عاماً تمدنا بمثال بليغ النوع من الفوضى والارتباك في أساليب الانشاء والتنظيم . بينما كان بالامكان ، بقليل من بعد النظر وبمبالغ لا تزيد عما صرف في سبيل تعميرها ، جعلها آية من آيات العمران الحديث . فعسى ان لا ندع للتاريخ والأجيال المقبلة ما تعدهُ علينا في الغد اهمالاً في استخلاص العبر وتهاوناً في حسن توجيه حملة البناء الكبيرة التي تدل كل الدلائل على انها ستعم العالم بأسره بعد وقف رحى القتال الطاحنة عمّا قريب ان شاءَ الله

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التجارة الاسلامية

في عصور مختلفة من الاسلام

لمحمد عبد الغني حسن

التجارة قديمة في بلاد العرب ، وقد كانت عاملاً من عوامل اتصال العرب بغيرهم من الامم المجاورة في الجاهلية . وكثيراً ما التقت في مكة القوافل في رحلتي الشتاء والصيف . ولقد أثرى بعض العرب قبل الاسلام عن طريق التجارة . فكان أبو سفيان تاجراً واسع الثراء . وكان للسيدة خديجة بنت خويلد مال كثير تتجر به ، واشتغل النبي عليه السلام بمالها قبل الزواج بها . ويقول الاستاذ فيل Weil الالماني أن النبي سافر في رحلات تجارية الى اليمن ست عشرة مرة ، ولكن الدكتور سبرنجر Sprenger يكذب هذه الرواية

جاء الاسلام فحث على الكسب من طريق شريف ، ووضع للتجارة حدوداً ، « وأحل الله البيع وحرم الربا »(١) . وذكرت كلمة التجارة في القرآن في بضعة مواضع . الا انها جاءت فيما يتعلق بتجارة الآخرة التي لن تبور . ولهذا تحرَّج بعض المسلمين السابقين من مزاولة التجارة ، لقوله تعالى « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »(٢) ولقوله « واذا رأوا تجارةً او لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ، قل ما عند الله خيرٌ من اللهو ومن التجارة »(٣)

وقد اشتغل عمر بن الخطاب بالتجارة فكانت تشغله أحياناً عن أخبار الرسول ، وهو يعبر عن أسفه لذلك حينما نسي حديثاً من أحاديث النبي فقال « ألهاني الصفق بالاسواق »

وكانت روح الاسلام المتحرجة من التجارة باقية عند الأمويين ولم تترك لهم المنازعات السياسية ، والحربية مجالاً للبيع والشراء

فلما جاء العباسيون تغيرت نظرة الناس الى الاشياء ، وأصبح التاجر الغني موضعاً للتبجيل ومحلاً للاحترام . حتى لقد صارت التجارة سلماً للوزارة ، أو بعبارة أدق صار الوزراء يختارون من طبقة التجار ، ففي أيام القائم بأمر الله العباسي اختير فخر الدولة بن جهير للوزارة . وكان في ابتداء أمره فقيراً ثم تاجر فأثرى . وفي أيام الخليفة المستضيء العباسي اختير للوزارة ظهير الدين بن العطار وكان في ابتداء امره تاجراً ، ولكنهُ أنفق على الخليفة في محنته ومحنة

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٥ (٢) سورة النور آية ٣٧ (٣) سورة الجمعة آية ١١

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أبيه فاستوزره : وفي أيام المستنصر والمستعصم آخر خلفاء بني العباس ولي الوزارة لهما ابن الناقد البغدادي المعروف بالوزير نصر الدين وكان من ابناء التجار

وكان كثير من الوزراء في العصر العباسي يختارون من أبناء التجار لحسن نشأتهم وجمال تأديبهم وخبرتهم بالآداب العامة . فهذا محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كان أبوه تاجراً للزيت في أيام المأمون وكان على جانب غير يسير من اليسار

***

اتسعت التجارة في العصر العباسي اتساعاً لا مثيل له في تاريخ المسلمين ، وأخذت المكان الاول في التجارة العالمية . وكان لها طريقان : السفن والقوافل البرية

ولقد برع المسلمون في ركوب البحر وخاصة أهل سيراف على الخليج الفارسي . فكانوا أخبر الناس بالبحار المعروفة في عهدهم وأعلمهم بالأنواء ومهاب الرياح والمد والجزر

وكان أهل عمان لا يقلون عن أهل سيراف جوباً للبحار ، وكانت مراكبهم تزحم البحار المعروفة . أما بحر الروم أو البحر المتوسط فقد ركبه العرب وسخروا شاطئيه لسفنهم . وحملوا فيه تجاراتهم بين اللاذقية وطرابلس وصيداء وصور والاسكندرية وسواحل المغرب وغيرها . وذكره جماعة من أصحاب الزيجات في كتبهم مثل محمد بن جابر النسائي وغيره . واجتاز المسلمون بحر الخزر المعروف الآن ببحر قزوين الى بلاد الخزر والروس ، وان كان الروس كما يقول المسعودي أول من دخل بحر الخزر في أوائل القرن الرابع الهجري[9] ولكن ابن خرداذبة الجغرافي المشهور وهو أسبق من المسعودي يذكر في كتابه المسالك والممالك ان هناك اتصالاً تجاريًّا حدث بين الروس وبلاد المسلمين في القرن الثالث الهجري عن طريق بحر جرجان وهو بقية بحر الخزر أو بحر قزوين

أما طرق القوافل فكانت كثيرة المسالك والشعب ، وان كان المسلمون — على الجملة — لم يهتموا بتعبيد الطرق إلاَّ قليلاً . ولقد فطن الفاطميون الى أهمية الطريق البري المحاذي للنيل من جنوبي مصر الى شماليها ، فتعهدوه بتجديد عمارته كل عام . وجعلوا اصلاح هذا الطريق وجهاً من وجوه النفقات في الدولة . ويروي ناصري خسرو الرحالة الفارسي الذي زار مصر في القرن الخامس الهجري ان السلطان كان يرسل كل سنة عشرة آلاف دينار الى عامل معتمد ليجدد عمارة الجسر

ومن عجب ان المسلمين لم يهتموا بتعبيد الطرق التجارية ورصفها على حين انهم اهتموا كل الاهتمام بحراستها وتأمينها وانشاء المحاط للاستراحة فيها وتزويدها بالماء والطعام . فقد كان في الطريق الكبير شرقي فارس صهاريج على مسافات مختلفة ليتجمع فيها ماء المطر .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وكانت المحاط على الطرق البرية تسمى الرباطات ، وفي كثير منها — كما يقول الاصطخري — اذا نزل النازل أقيم علف دابته وطعام نفسه ان احتاج الى ذلك . ولم تعرف الرُّبط « الرباطات » في مصر قبل عهد الدولة الايوبية

وقد اقيمت الجسور على الأنهار وكان منها كثير على نهر دجلة والفرات وجيحون والشاش وطاب وسنجه « فرع من دجلة » . وكانت قنطرة سنجه من عجائب الدنيا ذات عقد واحد من الأحجار الضخام . وبالرغم من سهر الخلفاء والعمال على تأمين الطرق نجد أن بعضها عرف بالخوف وكثرة اللصوص وقطاع الطرق . وكان الطريق الذي يتفرع من سمرقند الى بلاد الصين معدن الخوف ولهذا تحاشاه المسافرون . كما كان الطريق الذي يقطع ايران عرضاً من شيراز الى نيسابور . ولهذا لم يرد له ذكر في كثير من كتب الرحالة المسلمين

وللدولة البويهية فضل أي فضل في تأمين الطرق التجارية في ايران وشرقيها ، وأول من صنع ذلك عضد الدولة فقد ابتنى مخفراً على الطريق العام وزوده بالحراس إلاَّ أن ذلك لم يجد على الأمن شيئاً . فقد سار فيه المقدسي صاحب « أحسن التقاسيم » في القرن الرابع ووصف اللصوص فيه بأنهم (لهم قلوب قاسية وبأس وجلادة ، لا يبقون على أحد ولا يقنعون بالمال حتى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيات) . وكانت حركة طرق القوافل تضيق وتتسع تبعاً لأمن الطريق وطروقها وتوفر الراحة فيها . فكان كثير من التجار ينتهزون أمن الطريق بين بغداد ومكة في موسم الحج فيخرجون في حماية قوافل الحج المنهالة من كل فجٍّ عميق

وما اكثر ما كانت طرق القوافل بأفريقية الشمالية والشرقية ، واستطاع تجار المسلمين أن يطوفوا ببلاد الحبشة وسنار وكردفان ومنها الى دارفور . وكانت قوافلهم تسير مجتازة صحراء أفريقية الى شطآن المحيط الأطلسي اليوم أو بحر الظلمات كما كان يسميه مؤرخو المسلمين

***

كانت التجارة الاسلامية في العصور المختلفة للاسلام في قبضة تجار من المسلمين غالباً ، وان اختلفت جنسياتهم . ولكن اليهود لم يتخلفوا في هذا الميدان ! بل اجتمعت في أيديهم تجارة أوربا وخاصة في الرقيق والفراء والصفيح ، وأثروا في هذا ثراءً عظيماً . ولكن الكثرة كانت للمسلمين ، فكان رأس التجار مسلم ، ولا يقبل فيهم إلاَّ حكم المسلم ، حتى في البلاد التي يقل فيها عدد المسلمين مثل بلاد الخزر وغانه وسيمور بالهند

وكان تجار اليهود ينافسون أهل العراق وفارس في القرن الرابع الهجري ، بل نافسوا أصحاب مغاصات اللؤلؤ في شواطىء بلاد العرب ، فقد ذكر الرحالة بنيامين التوديلي في رحلته — في القرن السادس الهجري — ان أحد اليهود كان قائماً في وقته بتأجير الغواصين

وذكر ابن الفقيه صاحب كتاب البلدان ان التجار اليهود كانوا يأتون من مقاطعة بروفانس من بلاد الفرنجة (فرنسا) بالخدم والغلمان والجواري والديباج . كما ذكر ذلك ابن خرداذبة في القرن الثالث الهجري . وكان هؤلاء اليهود يسمون عند العرب بتجار البحر . كما كانت تجارة البسط الفارسية بمدينة « تستر » في يد اليهود

* * *

كانت المملكة الاسلامية خليطاً من أجناس مختلفة تجمعهم رابطة الاسلام ، ولهذا كان لكل جنس منهم خصائصه المميزة لهُ . فللعناصر الرومية والهندية والفارسية التي اعتنقت الاسلام نشاط عجيب في التجارة ، وللسوريين كذلك نشاط ظهر في تجارة طرابلس وصيدا وبيروت وحيفا في بحر الروم . وكانت مصر بلداً تجاريًّا إلاَّ أن أهلها لم يكلفوا أنفسهم عناء الرحلة والانتقال والتجوال في البحار أو القفار كما فعل أهل اليمن وسيراف والبصرة وهؤلاء الاخيرون كانوا أقل الناس حنيناً الى أوطانهم . فقد روى هذا البيت مكتوباً على حجر :

ما من غريب وان أبدى تجلده إلاّ سيذكر عند العلة الوطنا

وقد كتب تحته : إلاَّ أهل البصرة ! !

أما أهل ارمينية فلم يخوضوا غمار التجارة مع الخائضين ، بل اخذوا لهم ميداناً آخر يتفق مع مواهبهم في الحرب ، فكان منهم القواد مثل بدر الجمالي الذي قلد وزارة مصر الادارية والعسكرية في عهد المستنصر الفاطمي ولقب بأمير الجيوش

***

اقتضت هذه التجارة الاسلاميّة الواسعة وجود كثير من الثغور والمدن التجارية ، كما اقتضت وجود أسواق تعرض فيها السلع . أما الثغور فكان منها البصرة ، وعدن وسيراف ، وعمان ، وعيذاب وجدة ، وانطاكية التي كانت في القرن الثالث الهجري أهم ميناء تجاري في بلاد الشام ، وطرابلس الشام ، التي يصف اليعقوبي ميناءها بأنهُ « عجيب يحتمل الف مركب » وصور التي جمعت الى التجارة الصفة الحربية ، فكان فيها دار للصناعة ، وتخرج منها مراكب للغزو ، والاسكندرية وطرابلس وتونس

وكان المسلمون يهتمون بهذه الثغور والموانيء ويتعهدونها بالاصلاح والوقاية ، فقد ذكر ابن خرداذبة أن المعتصم العباسي حصَّن ميناء انطاكية ، وذكر المسعودي وناصري خسرو أن الخليج الفارسي كان به أعمدة من الخشب تعلو سطح البحر بخمسين متراً ، وفي أعلاها حجرة مربعة للناظور وهؤلاء النواظير كانوا يوقدون النار ليلاً حتى تهتدي السفن بها فلا

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تصطدم بالجزيرة الكائنة في وسط الخليج فتعطب. وكان بها حامية وجند لمكافحة متلصصي البحار

وكانت المكوس تفرض على السلع في كل ثغر ، وقد ذكر ابن البلخي ان المكوس التي كانت تؤخذ من المراكب بثغر سيراف بلغت نحواً من ٢٥٣ الف دينار في العام . وذكر ياقوت الرومي صاحب معجمي الأدباء والبلدان أن المكوس كانت تجبى بمدينة عبّادان على السفن الذاهبة الى البصرة

أما الاسواق التجارية فكانت لتصريف السلع والبيع والشراء ، الاّ أن الصفة الادبية التي كانت لمثل سوق عكاظ وذي المجاز في الجاهلية قد زالت في العصر الاسلامي . وأصبحت الاسواق للتجارة فقط . فلم يجلس فيها واحد للحكم بين الشعراء . كان لكل بلد يوم خاص بالسوق كما هو الشأن في زماننا اليوم ، فسوق بغداد يوم الثلاثاء ، وسوق القيروان — كما يروي المقدسي . في يومي الأحد والخميس

واذا كان لبني بويه فضل تأمين الطرق كما ذكرنا سابقاً ، فلهم فضل العناية ببناء اسواق للتجارة ، فقد ذكر صاحب أحسن التقاسيم أن عضد الدولة بنى عند مدينة رام هرمز أسواقاً وكانت غاية في الحسن نظيفة قد بلطت وظللت وزوقت وربقت وجعل عليها دروب تغلق في كل ليلة . ويذكر المقريزي في خططه طائفة من الأسواق المصرية في عصره ، وكل سوق يختص بسلعة معينة كسوق الدجاجين وسوق الشماعين وسوق الحلاويين وسوق الكتبيين وغيرها

وكانت التجارة الاسلامية تفيض على أصحابها فيوضاً واسعة من الثروة . فكان أهل سيراف يسكنون مساكن عالية مبنية من خشب الساج الهندي الثمين ، ويذكر الرحالون المسلمون من لقوم من أغنياء التجار ، فابن سعيد صاحب كتاب المغرب يروي أن أغنى تجار مصر وأجلهم في أواخر القرن الثالث الهجري كان عفان بن سليمان البزاز وأنهُ لما مات أخذ الاخشيد من ماله نحو مائة الف دينار . وكان بعض هؤلاء التجار يلجأون الى الغش في السلع ورفع اسعارها واحتكارها وحجزها عن السوق ، والتطفيف في الكيل والميزان والغلظة والخشونة في العاملة مما لا يتفق مع آداب الاسلام ، لقوله تعالى « ويلٌ للمطففين » الخ . الآية ، ولقوله عليه السلام « من احتكر طعاماً على امتي اربعين يوماً وتصدق بهِ لم يقبل منهُ »

وكان في اخلاق التجار في القرن الثالث الهجري ما بغض التجارة الى ابي القاسم التوزي الشطرنجي الذي مدحه ابن الرومي بقوله :

ورفضت التجارة الجمة الربـــح وما في مراسها من جداء
لم تبع طيب عيشة بفضول دونه خبث عيشة كدراء
تعب النفس والمهانة والذلّـــة والخوف واطّراح الحياء

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نظام الاعارة
والتأجير

لفؤاد محمد شبل

عرّف الرئيس روزفلت الاعارة والتأجير بأنهُ نظام خاص لتزويد الدول التي يُعدُّ الدفاع عنها ضد أعدائها من دول المحور ضروريًّا للدفاع عن كيان الولايات المتحدة . ولما حدث الاعتداء الياباني على ميناء بيرل نشأت المساعدة المتبادلة أو ما يمكن تسميته « الاعارة والتأجير العكسي » أي المساعدة التي تبذلها الأمم الأخرى لقوات الولايات المتحدة في الاراضي الأجنبية . وهكذا غدا نظام الاعارة والتأجير وسيلة لتعبئة موارد الأمم المتحدة لجهود الحرب المشترك ، وعدة للسير بها نحو الغاية المنشودة

ويسعى نظام الاعارة والتأجير الى اقامة أساس محكم للسير بالحرب واجتناب الأخطاء المالية التي ارتكبت في الحرب الماضية والتي ساهمت بنصيب عظيم في التقلقل السياسي والاقتصادي الذي كان سمة الفترة بين الحربين . ومن ثم قررت المادة السابعة من الاتفاقات الاساسية للاعارة والتأجير « ان شروط التسوية لن تكون عبئاً على التبادل بين الدولتين، ولكن لاجتناء ثمار العلاقات الاقتصادية المتبادلة وتحسين حال العلاقات الاقتصادية الدولية بوجه عام»

١ — تطور نظام الاعارة والتأجير

أقر الكونجرس قانون الاعارة والتأجير في ١١ مارس سنة ١٩٤١ أي قبل دخول اميركا الحرب بتسعة أشهر تقريباً وكان العامل الأول لاقراره تخفيف الضغط عن ميزان المدفوعات البريطاني . فقد لبثت بريطانيا العظمى تحارب عاماً ونصف عام ، منها تسعة أشهر قاتلت قوات المحور فيها بمفردها، ولكن لم تكف صادراتها من السلع والذهب ومبيعاتها من الاوراق المالية الخارجية لتمويل حركة وارداتها المتزايدة من المواد الضرورية ومنها الأطعمة . فلجأت الى جميع الاوراق المقومة بالدولار والذهب والأوراق المالية الأجنبية من أنحاء الأمبراطورية لاستخدامها للوفاء بمشترياتها . على ان المشتريات البريطانية كانت جسيمة الى حد أضعف كثيراً الاحتياطي البريطاني من الذهب والأوراق المالية المقومة بالدولار ، فلم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

تتوافر والحالة هذه الأموال الحرة لمواصلة عملية الشراء والتوسع فيها لمواجهة الاحتياجات الحربية المتزايدة . فكانت الغاية من قانون الاعارة والتأجير حلّ هذه المشكلة بتيسير حصول بريطانيا والدول المهددة على السلع التي تستخدم لأغراض الحرب

وعممت الولايات المتحدة نظام الاعارة والتأجير عقب دخولها الحرب مباشرة .وبادلت بريطانيا العظمى وغيرها من الدول المساعدة . فحصلت منها على مقدار كبير من المدافع المضادة للطائرات ولقيت قواتها ما ترجوه من معاونة ومساعدة وما يلزمها من سلع وخدمات . بيد أنهُ رغماً عن مشتريات الولايات المتحدة من بلاد الامم المتحدة وما تجده قواتها فيها من مساعدة بمقتضى الاعارة والتأجير « أي دون أن تدفع مقابلها نقداً في معظم الأحيان » فانها تدين إلام المتحدة بمبالغ طائلة

وتظهر التقارير المقدمة للكونجرس ، مدى تعبئة الموارد الاقتصادية للأمم المتحدة . فجاء في التقرير الخامس الصادر في يونيه سنة ١٩٤١ مثلاً إن جانباً من تموين القوات الأمريكية في الاراضي الاسترالية والبريطانية بالأطعمة والعتاد والملبس والمأوى هو من الامداد والأسلحة البريطانية والاسترالية . وقد أمد حلفاؤنا مصانع ذخيرتنا بآلات خاصة ، وساعدتنا المدافع البريطانية المضادة للطائرات على حماية قواعدنا الجوية ، والخبرة البريطانية على تعيين مواقع طائرات العدو » وذكر التقرير السادس الصادر في سبتمبر ١٩٤٢ « يتلقى رجال الجنرال ماك ارثر بمقتضى الاعارة والتأجير المتبادل ، الامداد والملابس والطعام والمأوى من الاستراليين كذلك تتلقى قوات الولايات المتحدة المساعدة من نيوزيلندا ، ويمدنا الفرنسيون المحاربون في افريقيا الاستوائية وكاليدونيا الجديدة بالعتاد والتسهيلات والخدمات . ونتلقى في بريطانيا العظمى مقداراً هائلاً من الامداد والتموين ومُـنحت قواتنا معسكرات ومخازن ومطارات وفي شهر يوليه وحده كان هناك ربع مليون عامل بريطاني يشتغلون لحساب الجيش الاميركي»

وتجلت فكرة تنظيم الموارد في الاتفاق الخطير الذي عقد بين بريطانيا والولايات المتحدة في ٢٣ فبراير ١٩٤٢ ، وعقدت اتفاقات مماثلة بين الولايات المتحدة وجميع الأمم المتحالفة . وبذلك تمّ انشاء شبكة كاملة من الاتفاقات الاقتصادية والمالية بين جميع الأمم المتحدة المتحالفة

٢ — عمليات الاعارة والتأجير

أباح الكونجرس للرئيس بمقتضى قانون الاعارة والتأجير في ١١ مارس ١٩٤١ شحن سلع لأغراض الدفاع لا تجاوز قيمتها ١٣٠٠ مليون دولار . ثم اعتمد الكونجرس في ٢٧

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

مارس ١٩٤١ مبلغ ٧٠٠٠ مليون دولار لتنفيذ نظام الاعارة والتأجير. وتزايدت الاعتمادات المخصصة لهذا الغرض ففي ٢٨ اكتوبر ١٩٤١ اقر الكونجرس مبلغاً اضافيًّا قدره ٥٩٨٥ مليون دولار ، وفي ٥ مارس ١٩٤٢ اعتمد مبلغ ٥٤٢٥ مليون دولار لتمويل عمليات الاعارة والتأجير غير المتعلقة بالمسائل الحربية كالاطعمة والمواد الاولية التي تستخدم في صناعات الأسلحة . أما العتاد الحربي فقد أخذت المبالغ اللازمة له من الاعتمادات المخصصة للجيش والبحرية واللجنة البحرية مباشرة . وقد بلغت هذه الاعتمادات حتى أول سبتمبر ١٩٤٢ — ٤٤٥٣٥ مليون دولار . وبذلك بلغت المبالغ المخصصة لنظام الاعارة والتأجير رقماً هائلاً قدره ٦٢٩٤٥ مليون دولار. بيد ان المبالغ التي انفقت فعلاً حتى هذا التاريخ بلغت ٦٤٨٩ مليون دولار وقد زاد معدل الانفاق الشهري زيادة عظيمة منذ منتصف عام ١٩٤٢ فأصبح يعادل ثمانية بلايين دولار سنويًّا

ويشير التقرير السادس عن عمليات الاعارة والتأجير الى توزيعها الجغرافي حتى ١١ سبتمبر ١٩٤٢ بقوله : « صُدِّرت سلع الاعارة والتأجير الى بريطانيا أول الامر لمساعدتها في معركتها ، ولما اتسع أفق الحرب أرسلت المعونة إفريقيا والشرق الأوسط واستراليا والصين والى روسيا — منذ اكتوبر ١٩٤١ — » . ثم ذكر التقرير أن ٣٥ ٪ من صادرات الاعارة والتأجير تذهب الى بريطانيا و ٣٥ ٪ منها الى روسيا و ٣٠ ٪ الى الشرق الاوسط واستراليا والمناطق الأخرى وثمة الآن خمس وثلاثون أمة تنتفع بمزايا الاعارة والتأجير

وتبلغ قيمة البضائع التي صُدِّرت بموجب الاعارة والتأجير ٣٦٧٣ مليون دولار خلال المدة من مارس ١٩٤١ الى مايو ١٩٤٢ ونسبة المنتجات الزراعية والصناعية فيها ٤٣ ٪ وتتكون غالباً من اللحم ومنتجات الألبان والتبغ الخام والنفط ومشتقاته والعدد والآلات والصلب والمعادن الأخرى . وقد بلغت حمولة المنتجات الزراعية الموسوقة على أساس الاعارة والتأجير في غضون هذه الفترة ٢٫٣ مليون طن قيمتها ٧٠١ مليون دولار

٣ — تأثير الاعارة والتأجير في التجارة الدولية

تقدر المبالغ التي وضعها الكونجرس تحت تصرف الرئيس لعمليات الاعارة والتأجير بستين بليون دولار . ويمثل أربعة أخماس هذا المقدار عتاداً حربيًّا ومواد أولية وغذائية وسلعاً مصنوعة ويمثل الخمس الباقي خدمات كأجور النقل واصلاح السفن وتسهيلات الشحن والتفريغ . الخ

وبلغت صادرات الولايات المتحدة لهذا الغرض ٢٠ ٪ من مجموع صادراتها في السنة الأولى للاعارة والتأجير . ثم أخذت النسبة بأسباب الزيادة السريعة فوصلت في السنة الاشهر

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

التالية ٦٠ ٪ منها ، وما زالت في زيادة مطردة . وبلغ المعدل السنوي للسلع المصدرة ٨ بلايين دولار في اغسطس ١٩٤٢ ووصل هذا المعدل الى ١١ بليون دولار في شهر اكتوبر ، ولا تشمل هذه الأرقام المهمات المصدرة للقوات الامريكية في الخارج . وفي نفس الوقت تقلّصت التجارة الدولية العادية قيمة ومقداراً . ومن ثمّ يمكننا أن نقرر أن الاعارة والتأجير — وهو نظام وقتي رُسم لمواجهة الاحتياجات الحربية — قد بسط ظله على التجارة الدولية وأخذ مكان النظام التجاري الدولي المعتاد

واذا ما تقصينا حالة التجارة الدولية في الدول المتحالفة في الوقت الحاضر وجدنا ان نظام الاعارة والتأجير غدا قطب الرحى فيها . وفتحت عمليات الاعارة والتأجير آفاقاً وأسواقاً جديدة للتجارة والصناعة الاميركيتين ، كما ان استعاضة الحلفاء بانتاج افريقيا وأميركا الجنوبية من المواد الأولية ونهوض الصناعة في بلاد كالهند ومصر واستراليا وجنوب افريقيا سيحدثان انقلاباً عظيماً في الخطوط التجارية المعروفة قبل الحرب . وقد أحدثت عمليات الاعارة والتأجير مشاكل مالية واقتصادية خطيرة لبعض الأقطار فنيوزيلندا مثلاً ، إذ تمد القوات الامريكية بالطعام والعتاد بمقتضى الاعارة والتأجير ، تفقد نقداً استرلينيًّا تحصل عليه بتصديرها هذه المؤن الى انجلترا (والى كتلة الاسترليني بصفة عامة) ، كما يعتاد المستهلكون الانجليز احلال السلع الامريكية المستوردة بمقتضى الاعارة والتأجير محل السلع التي كانت تستورد من نيوزيلندا في العادة . وهذا يفقدها السوق البريطانية ويحرمها بالتالي وسائل دفع وارداتها

وتتسم الحروب الحديثة بما تحدثهُ من انقلاب هائل في طرائق الانتاج وفي التخصص الاقتصادي الدولي ، وأبرز مثال عندنا في هذا الشأن نجاح الكيميائيين الألمان خلال الحرب الماضية في النهوض بصناعة النترات فأصيبت شيلي بضربة قاصمة في رخائها الاقتصادي . وقد يكون لصناعة المطاط أثر أبلغ وأقوى في رفاهية الاقطار المصدرة للمطاط الطبيعي في المستقبل ، ويقال مثل ذلك عن كثير من صناعات الأعواض التي استحدثتها هذه الحرب . كذلك تغيرت التكاليف النسبية لانتاج كثير من السلع ، ونشاهد في أقطار كاستراليا والهند والبرازيل وكندا وجنوب افريقيا ومصر وغيرها نهضة صناعية عظيمة ، بينما تعمد بريطانيا الى ترقية زراعتها . ولقد أحدث النازي انقلاباً عظيماً في نظام التخصص الزراعي في أوربا كيما يتفق مع خطتهم في الاستكفاء الاقتصادي ، وعزز هذا الانقلاب تعبئة المواد الحيوية باستخدام اتفاقات الشراء وابتكار شتى الطرائق التجارية للاستيلاء على محصولات اوربا . ولا مرية في أن الانقلاب الاقتصادي الذي استحدثته ألمانيا في أوربا من شأنه أن يضاعف

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ارتباك الاحوال الاقتصادية العالمية بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولا سيما وقد اتفق هذا مع اشراف الحكومات في جميع أنحاء العالم على شؤون النقد والاستبدال الدولي والتحكم في التجارة الدولية الى أبعد مدى

٤ — تسوية التزامات الإعارة والتأجير

سددت نقداً أثمان مقادير ضئيلة من سلع وخدمات الاعارة والتأجير ، وتركت تسوية الجانب الاعظم من الالتزامات المالية للمستقبل . ولقد ذكر الرئيس روزفلت في اجتماع صحافي في ١٧ ديسمبر ١٩٤٠ موضحاً اقتراحه لفكرة الاعارة والتأجير فقال « ان ما أبغي الوصول اليه هو التخلص من رمز الدولار فيجب أن لا يكون هناك دين مالي بل الأداء النوعي » وأشارت التقارير المتعاقبة التي قدمها الرئيس للكونجرس الى الوسائل المتاحة للتسوية . فرسم تقرير مارس ١٩٤٢ ثلاثة خطوط أساسية للتسوية مع بريطانيا العظمى ، الأول « المساهمة الحربية في السلامة الامريكية التي تتمثل في مواصلة بريطانيا القتال ضد المحور » والثاني « زيادة تدفق المساعدة المتبادلة » والثالث « التفاهم مع بريطانيا وحلفائها على شكل السياسة التجارية والمالية المستقبلة » . واختتم تقرير ديسمبر ١٩٤٢ بالعبارات التالية « لا يمكن قياس التكاليف الحقيقية للحرب ولا يمكن مقارنتها ولا دفعها بالنقد ، فيجب أن تسدد بطريقة تمكنها من خدمة أغراض السلم الطويل الأجل والرفاهية الاقتصادية المتبادلة . واذا ما كرّس كل قطر نفس النسبة — تقريباً — من انتاجه الاهلي للحرب فان العبء المالي لها يتوزّع بالتساوي على الأمم المتحدة تبعاً لقدرتها على الدفع ، وانه وان كانت الأمم الغنية منها أقدر على الاشتراك بنصيب أوفى إلاَّ أن عبء الحرب سيكون متساوياً — نسبيًّا — عندها كلها ، ومثل هذا التوزيع لتكاليف الحرب المالية معناه انه لا تغتني أية أمة من مجهود حلفائها الحربي ، وستقع الأعباء النقدية للحرب طبقاً لمبدأ المساواة في التضحية كما هي في الجهد »

بيد انهُ ثمة ظاهرتان قد تتمخض عنهما صعوبات سياسية عميقة الاثر . وهما الاعتقاد السائد في الولايات المتحدة بأن عليها ان تسترد ما بذلته من مساعدة وفقاً للاعارة والتأجير ، ومسألة اعتبار هذا النظام منّة أسدتها الولايات المتحدة للأقطار الأخرى

ففي يناير سنة ١٩٤٣ عرض معهد جالوب موضوع الاعارة والتأجير للاستفتاء العام فتبين منهُ أن ربع الاصوات لا يدري اصحابها ماهية الاعارة والتأجير وقرر ٥٤ في المائة من الأصوات ضرورة وفاء الحلفاء بما اصدرتهُ اميركا اليهم وفقاً للاعارة والتأجير من سلع

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وخدمات . بيد انهُ تبين من نتيجة الاستفتاء أن ٢٩ في المائة من الأصوات تعتقد بأن الدول المتحالفة ستسدد فعلاً ما أخذته من اميركا في حين يرى ٥٨ في المائة أن اميركا لن تحصل على شيء منهُ . وهذه النتائج تعزز استفتاء اجراه مركز ابحاث الرأي الاهلي بجامعة دنفر في يوليه سنة ١٩٤٢ واسفر عن أن ٣٥ في المائة من الأصوات المشتركة ترى وجوب سداد بريطانيا أثمان ما تحصل عليهِ من سلع وخدمات الأعارة والتأجير من الولايات المتحدة ، في حين أن ٤٣ في المائة من الاصوات ترغب في الوفاء بقسط من المساعدة التي تلقتها بريطانيا . ولم يصوت سوى ٨ في المائة في صف التجاوز عن الوفاء . ولا شك ان لنتائج هذه الاستفتاءات معنىً سياسيًّا عظيماً إذ ترى نسبة صغيرة من السكان ضرورة تنازل الولايات المتحدة عما أسدته من مساعدة على أساس الأعارة والتأجير. وتؤمن اكثرية الاصوات بوجوب وفاء الحلفاء بما عليهم للولايات المتحدة . وتظهر الاستفتاءات ان جانباً كبيراً من الجمهور الاميركي يعتقد بأن اميركا لن تحصل على ما اصدرته من سلع وخدمات مع اعتقاده بضرورة ذلك

ويكمن في ثنايا تسوية الاعارة والتأجير خطر سياسي آخر كبير فقد قصدت الولايات المتحدة من نظام الاعارة والتأجير مساعدة حلفائها قبل أي شيء آخر ومصداقاً لهذا يذكر التقرير الخامس المقدم للكونجرس عن عمليات الاعارةوالتأجيرأن «التحويلات التي تتم وفقاً لقانون الاعارة والتأجير هي مساهمة واشتراك مادي في تعبئة مشتركة للحرب » بيدأن هذه المساعدات ما زالت تقيد في السجلات أنها مساعدة أرسلت من الولايات المتحدة للدول المتحالفة . وتحتفظ ادارة مكتب الاعارة والتأجير بحسابات تفصيلية لمقادير وقيم السلع والخدمات المصدرة للحلفاء والمصدرة منهم لها ، والفرق بين الرقم الذي يمثل المساعدة الاميركية (سلعاً وخدمات) والمساعدة التي تبذلها الأمة الحليفة يعد ديناً على الدولة التي أعطت أقل للدولة التي أعطت اكثر . ومن المسلم به قطعاً ان الولايات المتحدة ستغدو بعد الحرب ولها دين جسيم على حلفائها . ومهما يكن من امر الوفاء فان ديون اميركا على حلفائها ستكون في منزلة دليل على سخاء الولايات المتحدة واشارة لما تنتظره من حلفائها من المزايا مقابل ما جنوه من الاعارة والتأجير سواء أسياسية كانت هذه المزايا أم عينية

ويعترض كثير من المفكرين وخاصة في بلاد الحلفاء بأن للنصر أهمية حيوية لجميع الأمم المتحدة وما تؤديه دولة منها من واجبات هو عون لبقيتها لادراك هذا الهدف، ولا يمكن قياس حصص دولة ما بالوسائل العادية ، ولا مناص من ان تكابد احداها خسارة في الارواح أفدح من غيرها فكيف يتأتى تقرير هذا بالنسبة لما بذلته الاخرى من عتاد أعظم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ومواد أوفر ؟ ولقد قرر المستر Stettinius مدير الاعارة والتأجير الى عهد قريب « ان ما تفعله الأمم المتحدة الأخرى لهزم المحور واضح بانهُ مساهمة حيوية في الدفاع عن كيان الولايات المتحدة وتلك فائدة لا يمكن ان تقاس بالارقام . وليس ثمة معيار للقيم يمكن ان تقاس بواسطته حياة الف روسي مثلاً وتقارن هذه الخسارة بفقد الف طائرة قتال »

٥ — التقدم الاقتصادي العالمي ونظام الاعارة والتأجير بعد الحرب

رأينا كيف تطور نظام الاعارة والتأجير الى نظام محكم للمساعدة المتبادلة وغدا مظهراً للتعبئة المشتركة لموارد الأمم المتحدة ، واتسع أفقه وعظمت عملياته حتى حجبت التجارة الدولية وضمرت أعمالها. وكان لا مناص من تضخم مساعدات الولايات المتحدة بحسبانها أعظم دول العالم انتاجاً وأوفرها غلة . وقد أدى احلال المقايضة في السلع والخدمات محل التجارة الدولية الى اضعاف وقلقلة السبل والوسائل التقليدية للتجارة الدولية . وسيتطلب انهاض التجارة الدولية من عثرتها جهداً جباراً تبعاً للانقلاب الهائل الذى أخذ مجراه في التخصص الاقتصادي الدولي والتغييرات العميقة التي طرأت على نفقات انتاج الصناعات المختلفة . فضلاً عما استحدثته الحرب من صناعات جديدة واوجه طريفة للنشاط الاقتصادي

ولقد نشأ نظام الاعارة والتأجير لحل مشكلة حصول الأمم المتحدة على السلع الأميركية دون التقيد بالدفع فهي لا تملك القدر الكافي من الدولارات لسداد اثمان ما تشتريه نقداً كما لا تمكنها أحوال الحرب والنقل من أدائها سلعاً. وهذه الحالة ستظل امداً طويلاً بعد الحرب لاحتياج العالم الى السلع الاميركية للتعمير والانشاء . واذا كنا نلمس رغبة الرأي العام الاميركي في الوفاء بأثمان ما صدره الى الخارج على أساس الاعارة والتأجير في وقت الحرب فسيكون أشد رغبة في وفاء الامم الاخرى بأثمان ما تستورده من السلع في وقت السلام . وان اصرار اميركا على تقاضي اثمان صادراتها الى الامم المحتاجة اليها معناه إما تسرب النقد الحر اليها ، واما زيادة دين العالم لها ، واما السداد سلعاً ، وهذا متعذر امام الرسوم الجمركية العالية التي دأبت على صد المنتجات الاجنبية عن ولوج الاسواق الاميركية . ومهما يكن من أمر الخطط التي ترسم للاقتصاد العالمي بعد الحرب فانها ستتوقف الى أبعد مدى على استعداد الولايات المتحدة للقيام بوظيفة « دائن العالم » وعلى رضاها باستيراد سلع البلاد الاخرى وكذلك موافقتها على عقد القروض للدول المحتاجة

وهنا نلمح رأياً يجد تأييداً قويًّا من كثيرين من المفكرين الاقتصاديين ، وينادي بأن تتزعم الولايات المتحدة أعمال الترفيه الانسانية وقيادة الانعاش الاقتصادي بعد الحرب على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أساس شكل من الاعارة والتأجير . وهذا الرأي يجد معارضة قوية في بعض المقامات الاميركية التي ترى ان الاعارة والتأجير وسيلة مفيدة خلال مدة الحرب الطارئة ولكنهُ لا يعدُّ اساساً موافقاً لاقامة أسس التعاون الاقتصادي الدولي الدائم ، فلا ترغب أمة تحترم نفسها أن تظل معتمدة على مثل هذه الاعانة كما لا تتمكن بحال ما دولة بمفردها مهما عظم غناها من اعانة بقية أنحاء العالم الى ما لا نهاية

ومهما يكن من أمر الدور الذي يمكن أن يؤديه الاعارة والتأجير في وقت السلم بحسبانه عنواناً لسخاء أميركا ومظهراً لتعاونها عمليًّا لانقاذ العالم من متاعبه ، إلاَّ انهُ من الضرورة بمكان التفرقة بين الوسائل التي طبقت في أوقات الحرب وما يجوز الأخذ بهِ بعدها ، فان أحوال السلام والحرب متباينة . وانه وان كانت المشكلة المالية تكاد تكون واحدة في السلم والحرب على السواء وهي الحاجة الى الدولارات لسداد أثمان السلع الاميركية إلاَّ أن المشكلة الاقتصادية مختلفة في الحالتين ، ففي أوقات الحرب نرى حاجة العالم ماسة الى السلع الأميركية أما في السلم فاذا لم يستطع العالم أن يبيع مقداراً أكثر من انتاجه لأميركا فلن يتأتى له الحصول على الدولارات للوفاء بأثمان ما يشتريه من السلع الاميركية ولا مناص له اذاً من تقييد مشترياته من اميركا والحد منها

ومن ثمَّ يتطلب تقويم الاقتصاديات العالميـة واقالتها من عثارهـا توجيه الشؤون الاقتصادية والسياسية الدولية نحو اتجاهين اساسيين، الأول سلبي بخفض عوائق التجارة الدولية والحد من العقبات التي ما فتئت تحد من السير الطبيعي للاستبدال الدولي وكانت عاملاً هامًّا في نشوب الحرب الحاضرة ، والثاني ايجابي بتنسيق السياسات الاقتصادية القومية وتوجيهها نحو التعمير وابتكار الوسائل للقضاء على التعطل ، واتفاق الدول بشأن تثبيت الصرف وتنظيم انتقال رؤوس الاموال من دولة لأخرى ، والاستثمار الدولي ، والسعي لانشاء التوازن في ميزان مدفوعات كل أمة . ولن يتم هذا كله دون معاونة اميركا الفعالة سواء عن طريق الاعارة والتأجير او بغيره ، وأهم مظاهر هذا التعاون تنازلها عن سياسة العزلة التقليدية وان تكيف اقتصادها القومي — وقد أصبحت دائنة العالم — حتى تستورد أعظم مما تصدر وبذلك تحصل الدول العاجزة من تجارتها معها على فضلة تسدد بها ديونها ، وتقيم شؤونها الاقتصادية والمالية على أساس من التوازن مكين، على ان يسبق هذا — خلال الفترة التي تلي الحرب مباشرة — ان تفتح الاعتمادات المالية الضرورية لأعمال التعمير والانشاء ، وان توفى هذه الديون سلعاً بعد استقرار أحوال العالم وعودة الأمن والطمأنينة الى ربوعهما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذرات المشعة

ومنافعها الحيوية(١)

نقلها عوض جندي

عن مجلة خلاصة العلم الاميركية

يستعمل العلماء « السيكلوترون » وهو جهاز تهشيم الذرة لحلّ معضلات جمة من غوامض علمي وظائف الاعضاء والطب . وقد أسفرت مباحثهم عن كشف معلومات جديدة في التابوليزم metabolism ويُقصد بها جميع التغيرات الكيميائية في الاجسام الحية ، واستحالة الاغذية والطاقة البشرية في نُسُج حية . ويقوم جهاز تهشيم الذرة بعجائبه إذ يستطيع تحويل المواد العامة المألوفة ، كملح الطعام الى مواد نادرة تكتسب بعض مزايا الراديوم . وذلك حينما يطلق السيكلوترون قذائفه ، وهي الدترونات ، على العنصر المقصود اكسابه مزية الاشعاع أي جعل ذلك العنصر مميزاً أو موسوماً بسمة الاشعاع التي تتيح كشفه وتنمّ على موقعه حينما يسري في الجسم البشريّ . وتسلك هاتيك العناصر المشعة ، والاجسام المركبة مسلكاً كيميائيًّا ، كمسلك أمهاتها الاصلية التي اشتقت منها . ولذلك يستحيل تمييزها عنها بأية وسيلة من وسائل الكشف الكيميائية . وكذلك لا تستطيع الخلية الحية نفسها — النسيج الحي التفريق بين العاديّ والمميز . واذا صادفت الخلية الحية المواد الكيميائية المشعة ، استعملتها كمثيلاتها المركبة المعتادة ، على السواء . وذلك في احتياجاتها الحيوية الخاصة . وهذا هو سبب استفادة العلماء الباحثين الذين يقتفون آثار المواد الكيميائية في الاجسام الحية ، بوساطة المواد المشعة ، إذ يهتدون الى مواقعها في الجسد بالأشعة التي تصدر منها في أثناء تجوالها في نواحيه . فيتمكنون من تتبع سيرها ، منذ تناولها طعاماً أو حقناً تحت الجلد ، حتى تصير جزءًا لا يتجزأ من النسج البشرية الحيوية . وبالعناصر المشعة يمكن الاستدلال على استحالة المواد الغذائية الى نُسُج حية . ومع أن تلك العناصر لما ينقض على استعمالها عشر سنوات ، فقد أفادت في مكتشفات أساسية شتى ، وغدت تُعدّ وسيلة

(١) المترجم — أطلعنا حضرة الدكتور رمسيس جرجس الخبير الفني في لجنتي الطب والكيمياء في مجمع فؤاد الاول للغة العربية بالقاهرة على هذا المقال ، فنقح بعض ما ورد فيه من النقط الطبية .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

علمية ، كالجهار وأشعة رنتجن ، تنفع رجال الطب المحققين الذين همُّهم استطلاع مسير عناصر الاغذية المختلفة في الجسم البشري ، مثل الحديد والنحاس واليود والصوديوم . ومثال ذلك انهُ إذا أراد أحد العلماء معرفة مصير الصوديوم في الجسم ، خلط بعض الصوديوم المشع ، بالصوديوم الذي في ملح الطعام الذي يَذُرُّه المرء مثلاً على البطاطس المهروسة التي يتغذَّى بها

وحينما يبتدئ هضم الغذاء وتمثيله يسجل العداد الكهربي المسمى عدَّاد جيجر Geiger مسير الطعام في جسم الانسان الى مقره الاخير حيث يصير جزءًا من ذلك الجسم لأن خاصية الاشعاع الصناعي التي تكتسبها العناصر المشار اليها وقتية تزول في بضعة أيام ولا تترك أثراً سيئاً في الجسم البشريّ ، بل تنفعه في دراسة أمراض تضخم الغدة الدَرَقية وفي حالة اللوكيميا leukemia وهذه تتميز بزيادة كبيرة ثابتة في عدد الكريات البيض وتضخم الطِحال والغدد الليمفية والأورام وفقر الدم

والعمل قائم الآن في استخدام المواد المشعة الصناعية في كثير من معاهد الأبحاث العلمية وأولها جامعة كليفورنيا التي يشرف عليها الدكتور جون لورنس . أما المعهدان الآخران العظيمان اللذان يعاونان في هاتيك المباحث فهما مختبرا مدرسة هارڤرد الطبية والمعهد الصناعي الفنيّ في مساشوستس . وبوضع ذرّات الكربون المشعة بالاشعاع الصناعي في غذاء النباتات واقتفاء أثرها ، تيسَّر لعلماء علم الاحياء الاهتداء الى مقدرة النباتات على صنع السكر في الظلمة ، لا في ضياء الشمس فقط كما كان العلماء يزعمون . الاَّ أن قيامها بذلك العمل ليلاً يكون أبطأ منهُ نهاراً . ويمكن معرفة مستقر الأشعة (التي تنطلق من المواد المشعة الصناعية) بغاية الضبط ، كذلك قياسها قياساً مدققاً جديراً بالاعجاب ، ولو توغلت في النسج البدنية بمقادير دقيقة جدًّا ، وذلك بآلة كهربائية حساسة هي عداد جيجر الذي أشرنا اليه آنفاً . وفي ظروف أخرى يمكن تعريض فيلم التصوير الفوتوغرافي للمواد المشعة اشعاعاً صناعيًّا فتصور عليهِ نفسها بنفسها . فاذا شئنا مثلاً إدراك كيفية مسير الفوسفات في أجسامنا نتناول اولاً قليلاً من الفوسفور ونجعلهُ مشعًّا بتعريضهِ لمقذوفات الجهاز المهشم للذرة ثم نحول الفوسفور الى فوسفات او غيرها من المركبات وذلك بطريقة كيميائية بسيطة . وبهذه الوسيلة يمكن استخدام كل الاشعة التي اكتسبها الفوسفور في تجارب اقتفاء أثره حتى تتبدد طاقته

واما تمثيل الفوسفور في نسج حيوية فقد درس على هذا المنوال منذ سنة ١٩٣٥ فاستدلَّ العلماء من ذلك الحين على كيفية امتصاص الجسم للفوسفات ، عقب تناولها في الغذاء واتسعت معرفتهم بالعمل الذي تؤديه مركبات الفوسفات في تكوين العظام وزادت عما كانت

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عليه . وقد خطا العلاج الطبيّ خطوة واسعة أخرى الى الامام . وكانت هذه الخطوة وليدة المهمة التي يضطلع بها الفوسفور المشع . وذلك لميل الفوسفور اولاً الى الاستقرار بجوار النقي (نخاع العظام) الذي يولد الدم — وثانياً لما يولده الفوسفور المشع من أشعة ب Beta القوية . وهاتان الخاصتان هما سبب نجاح علاج بعض الامراض السرطانية التي يحملها الدم ، بالاشعة الداخلية ، وان تكن هاتيك العلاجات لما تجاوز طور التجربة

وقد تكشف للعلماء ايضاً مكتشف جليل الشأن هو أن نُسُجاً مختلفة في الجسم تبذل مجهوداً جباراً في انتقاء العناصر الصالحة لها . فالغدة الدرقية مثلاً تتناول من اليود مائة مرة اكثر من سائر النسج البدنية . وكذلك الكاسيوم وأخوه عنصر الاسترونتيوم strontium يهويان الاستقرار في العظام . ولا يشذ عنهما إلاّ اليسير فيذهب الى النسج الاخرى على حين يصبو الفوسفور الى النسج الليمفية فيرحل اليها . وكان المجهود الذي تعانيه النسج المختلفة في اصطياد المواد المشعة ، الصالحة لها سبباً لاستعمال طريقة علاج الامراض السرطانية بالاشعاع الداخلي في الدم والأعضاء البدنية الاخرى . ويلوح أن بعض المواد المشعة يستقر في الأورام ، ولذلك عولجت بعض اورام العظام بالاسترونتيوم المشع . كما عرّضت بعض أورام جهاز الغدد الليمفية للمقذوفات الداخلية التي تتولد من الفوسفور الذي تمتصه النسج . وأسفرت التجارب التي أجريت في هذا العلاج عن نتائج مشجعة ، مثلها في العلاج بأشعة رنتجن . ولكنه ما زال علاجاً باهظ النفقات ، رهين تمحيص نطس الاطباء . وجل المعلومات التي حصل عليها العلماء حتى الآن ، بشأن الدم وتكوينه في الجسم ما فتئت تنقح وتتسع تنقيحاً واتساعاً عاجلين ، هما نتيجة التجارب التي تجرب بالحديد المشع . ومن الحقائق الثابتة المسلم بها ان الحديد ضروري لصنع (الهيموجلوبين) اليحمور او (صبغة الدم الحمراء) بيد انهُ لم يعلم المقدار اللازم لتكوينها ، كما لم يعرف أي جزء من المعى يمتص الحديد المولد لليحمور ولا الواسطة التي تحدد مبلغ الحديد الواجب امتصاصه . وما فتىء العلماء يتساءلون ، هل الطحال حقيقة مقبرة خلايا الدم الحمر ومستودعها ؟

وقد أسفرت التجارب التي جربت بالحديد المشع في أبدان الحيوانات عن كثير من أجوبة تلك الاسئلة ، وان مقدار الحديد الذي يمتص لا يتوقف على مقدارهِ الذي في الغذاء المأكول . فان كانت مقادير الحديد الاحتياطية المدخرة في الجسم ، كبيرة جدًّا ، فلا تمتص الامعاء الدقيقة منها الاّ قدراً ضئيلاً جدًّا . وأما اذا نقصت تلك المقادير من الحديد المذخورة في بدن الحيوان ، من تكرار النزف ، فيجب ان يمتص ذلك الحيوان مقداراً من الحديد يفوق المألوف

« البقية في باب الاخبار العلمية »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ظاهرة التلبثي

وما يتبعها من ظواهر

— ٢ —

لأحمد فهمي أبو الخير

« انتهينا في العدد السابق من المقتطف بذكر مثل لظاهرة التلبثي المصحوبة بفعل عن بعد ونتابع الحديث هنا مبتدئين بذكر مثل آخر »

ب — الحادث الذي نرويه هنا حادث شهير ذكرتهُ عدة كتب من بينها الكتاب الشهير « سقطات القدم عند حدود عالم آخر » لمؤلفه ديل اوين . وقد ذكره بالتفصيل في الصفحة رقم ٢٤٢ ونقله عنه الدكتور جونسون في كتابهِ « المسألة الكبرى والبينة على حلها » في الصفحات ٥٨ و٥٩ و٦٠ كما يلي : —

كان روبرت بروس يشغل وظيفة مساعد القبطان في سفينة تجارية تسير ما بين ليفربول ونيو برنزويك . ففي احدى رحلاتها، وقد كانت تقترب من شواطىء نيو فوندلاند، كان القبطان ومساعده هذا على السطح يجريان بعض الأرصاد وقت الظهر ، فلما انتهيا هبطا الى حجرتيهما ليجريا العمليات الحسابية . ووضع هـذا المساعد مكتبه أمام حجرته في طرقة مربعة مواجهة لحجرة القبطان ، فاذا جلس الى مكتبه تكشفت لعينيه حجرة القبطان بما فيها . فلما أتمَّ العمليات الحسابية سأل القبطان عن نتائج حسابه ، وكان القبطان قد غادر حجرته الى ظهر السفينة . فلما لم يتلق جواباً التفت ليرى من ظنه القبطان جالساً الى مكتبه يكتب على لوحه الاردوازي وأعاد عليه سؤاله . ولكنه لم يتلقَّ جواباً . فسار اليهِ ، فلما رفع الجالس رأسه دهش بروس حيث رأى وجه رجل غريب . ولم يكن بروس جباناً ، ولكنه حين رأى نظراته الثابتة لم ينبس بكلمة ولم يكن منه إلاَّ أن انطلق يجري صاعداً الى ظهر السفينة في حالة فزع شديد . فسأله القبطان قائلاً « ماذا حدث يا بروس ، ما الأمر ؟ » قال « الأمر يا سيدي ا مَنْ ذلك الرجل الجالس الى مكتبك ؟ » قال « لا أحد فيما أظن » قال « ولكن هناك رجلاً غريباً يا سيدي » . قال « لعلك تحلم يا رجل . لا بدَّ أن تكون رأيت هناك كبير الخدم أو المساعد الثاني » قال « ولكن الرجل كان

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

جالساً فوق كرسيك المواجه للباب منحنياً فوق مكتبك يكتب في لوحك الاردوازي. ولقد رأيته بعيني كما أرى أي رجل آخر »

قال « رأيت من ؟» قال « لست أدري ولا يعلم من هو إلاّ الله » قال « أسرع اليه وسلهُ من هو »

فنلكأ بروس وقال « ما كنت قط أصدق بالأشباح ، ولكن الحق أولى أن يقال . وددت لو أعفيت من الذهاب اليه » . قال « هيَّا معي ولا تكن رجلاً أخرق »

وهبط القبطان درج السلم ، وتبعهُ مساعده بروس فلما لم يجد أحداً في الحجرة قال القبطان « ألم اقل لك يا بروس إنك كنت تحلم ؟ »

قال « لك يا سيدي أن تقول هذا ، ولكن لا ردني الله سالماً إلى أهلي اذا أنا لم أكن قد رأيت هذا الرجل فعلاً يكتب على الأردواز أمامي »

فرفع القبطان الأردواز وقال « أرى شيئاً حقيقيًّا هل هذه الكتابة بخطك يامستر بروس ! »

فتناول بروس الأردواز ورأى مكتوباً عليهِ ما يأتي : « اتجه بالسفينة صوب الغرب شمالاً » وقال القبطان « أتمزح معي يا بروس ؟ »

فأنكر بروس مقسماً بشرفه قائلاً « إنما أنا أخبرتك بالصدق ياسيدي »

ففكر القبطان فترة ثم استكتب بروس في النهاية نفس الكلمات ، وبعد المضاهاة استكتب رجال السفينة كلهم فلم يجد خطًّا مماثلاً ، وبعد ذلك أصدر الأمر بتفتيش السفينة تفتيشاً دقيقاً فلم يعثروا على أحد . وأخيراً قال القبطان « إن الريح تساعدنا فلنتجه صوب الغرب ، ولنر ما يكون وكونوا جميعاً متأهبين »

ومضت بعد ذلك ثلاث ساعات ، واذا بعامل المراقبة يعلن ظهور جبل من الجليد وبجواره سفينة محطمة . فلما اقتربوا رأى القبطان السفينة فعلاً محطمة بين الجليد ، ووجد فوقها بضعة نفر . وعلم فيما بعد أن السفينة قامت من كوبك قاصدة ليفربول ، وأنها اصطدمت بالجليد فتحطمت وتهشم سطحها وضاعت مؤونتها . وكان في احد القوارب رجل من رجالها ما كاد بروس يلمح وجهه حتى وجم . لقد رأى هذا الوجه وهذا القد بل حتى هذه الملابس . نعم رأى نفس الرجل الذي سبق أن شاهده يكتب فوق مكتب القبطان في السفينة قبل ذلك بساعات

وما ان انتهوا من نقل البحارة والمسافرين من السفينة الغارقة الى الأخرى حتى انتحى بروس بالقبطان جانباً وقال له « يخيل اليَّ يا سيدي انني لم أرَ اليوم شبحاً بل رأيت رجلاً حيًّا »

قال « ماذا تعني ، ومن هو ذلك الرجل الحي »

قال « ان أحد المسافرين الذين انقذناهم هو نفس الرجل الذي رأيته يكتب فوق مكتبك في لوحك الأردوازي » وجيء بالرجل الى القبطان . وبعد أن استوضحهُ بعض الشيء عن هذه

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزيارة الخفية قال« أكون شاكراً يا سيدي لو تكرمت فكتبت شيئاً على لوحي الأردوازي»
قال« حبّاً وكرامة ، وما الذي أنا كاتبهُ ؟ » قال « اذا لم يكن لديك مانع فاكتب على هذا الجانب من اللوح : اتجه بالسفينة صوب الغرب شمالاً » ثم أدار له اللوح

فأجاب الرجل الطلب على الفور . وفحص القبطان الكتابة بدقة ثم أدار اللوح مظهراً وجهه الآخر دون أن يلحظ المسافر ذلك ، لكي يريه الكتابة الأصلية الأولى ، ثم قال له «هل هذا خطك ؟ »

قال« وهل استطيع انكاراً وقد رأيتني وأنا أكتبه ؟ » قال « وهذا ؟ » ثم أدار اللوح قال الرجل « ما معنى هذا ؟ لقد كتبت احدى هاتين فمن الذي كتب الاخرى ؟ »

قال قبطان السفينة الغارقة «هل رأيت في الحلم أنك تكتب على لوح من الاردواز ؟ »

قال « كلاّ ولست أذكر » قال قبطان السفينة السليمة يخاطب قبطان السفينة الغارقة «هل تتكرم يا سيدي باخباري بالذي كان يعمله هذا المسافر حوالي ظهر اليوم ؟ »

قال « الذي أذكره ان هذا المسافر كان متعباً مجهداً فغشيه نوم عميق حوالي الظهر ، فلما استيقظ جاءني وأكد لي أننا سننجو اليوم . فلما سألته كيف عرف ذلك قال لي انهُ رأى في نومه انهُ فوق سطح سفينة جاءت لانقاذنا . وقد وصف لي مظهر السفينة وصاريها فلما بدت سفينتكم في الأفق وجدتها مطابقة تماماً لتلك التي وصفها »

قال « ان الكتابة على الاردواز هي التي أنقذتكم دون شك . لأننا كنا مبحرين صوب الجنوب الغربي فغيرت الاتجاه الى الشمال » . ثم وجه الحديث الى المسافر قال « ولكنك تقول انك لم تر في منامك انك كتبت على الاردواز »

قال « نعم ولست أذكر أني صنعت هذا ؛ ولست أدري كيف أدركت أن سفينتكم قادمة لانقاذنا . ولكن الغريب أنهُ يخيل إليَّ أني أعرف تماماً كل شيءٍ على ظهر سفينتكم »

هذه القصة تقدم لنا نقطاً غريبة . فهي تحدثنا عن رجل أجهد فنام فرأى في نومه انه فوق تلك السفينة ولكنه لا يذكر انه كتب شيئاً فوق لوح الاردواز . وعدا ذلك فالرجل وقت حدوث هذه الأحداث كان حيّاً يرزق وفي صحة جيدة . والذي يمكن استخلاصهُ من هذه الحادثة أن روح ذلك الرجل غادرت جسده وقت النوم مع بقائها متصلة بهِ ، واستطاعت أن تتجسد على سطح السفينة فرآها شخص آخر ، كما استطاعت أن تكتب رسالة . وليس هذا مكان شرح حدوث هذه العملية ، ويكفي أن أوجه نظر القراء الى كتابين نفيسين هما كتاب «طرح الجسم الروحي» تأليف الدكتورين السيكولوجيين ملدون وكارنجتون، وكتاب «الحياة الآن والى الأبد» تأليف الدكتور آرثر .ج .ولز عميد كلية البحوث والعلوم الروحية

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بالينويس بالولايات المتحدة بأميركا . ففي هذين الكتابين شرح مستفيض لهذه التجارب . ولا يخفى ان العلم الروحي الحديث يقول ان الموت طرح روحي مستديم ، وان النوم طرح روحي مؤقت . ويقول الله تعالى في كتابه العزيز « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى الى أجلٍ مسمًّى »

الحيوان والتلبثي

جاءَ في « موسوعة العلم الروحي » التي أصدرها العلامة الدكتور ناندور فودور تحت مادة «التلبثي » ما يأتي :—

« يوجد من البينات ما يثبت ان ظاهرة التلبثي ليست وقفاً على الانسان وخير مثل يقدم لاثبات التلبثي من الحيوان الى الانسان هو ذلك المثل الذي بسطه الكاتب القصصي ريدر هجارد في عدد اكتوبر ١٩٠٤ من صحيفة جمعية البحوث النفسية البريطانية . وخلاصته ان زوجته سمعتهُ في ليل ٧ يوليو ١٩٠٤ وهو نائم يتأوَّه ويئن بأصوات غير واضحة تشبه أنين حيوان مجروح ، فأيقظته من نومه ، فأخبرها برؤياه التي كانت على جزءين متميزين . ففي الاول أحسَّ بضيق شديد في التنفس حتى لكأنه يختنق . ومضى يصف الثاني فقال : « رأيت كلبنا المسكين بوب راقداً على جنبه بين أغصان منثورة بجوار النهر . وخيِّل اليّ كأن شخصيتي ترتفع بشكل خفي غامض من جسم الكلب الذي رفع رأسه في زاوية غير طبيعية ليقابل وجهي . وكأن بوب كان يحاول ان يكلمني ، فلما لم يستطع افهامي ما يريده بالصوت نقل الى عقلي بوسيلة غير مفهومة انهُ يحتضر » . والذي حدث بعد تلك الرؤيا ان بوب قد وجد بعد ذلك بأربعة أيام ميتاً . طافت جثته على ماء النهر ، وقد تهشمت جمجمته وتكسرت أرجلهُ دهمه قطار فوق جسر ورمى به في الماء . وقد وجد طوقه مضرجاً بالدم فوق الجسر صبحاً بعد ذلك الحلم . ويعطينا وليم ج لونج في كتابهِ « كيف يتكلم الحيوان » أمثلة كثيرة تثبت وجود خاصية التلبثي بين الحيوان . فهو قد لاحظ مثلاً انهُ اذا لم تستطع ذئبة ان تنبه جروها ألاَّ يمضي في جريهِ بعيداً عنها وان يعود اليها فانها تقف ساكنة ثم ترفع رأسها الى أعلى وتحدق باستمرار صوب جروها المسرع في جريه. واذا به يقلل فجأة من سرعته ، ثم يستدير اليها ويعود من حيث أتى . وذكر العلامة ادمند سيلوس في كتابه « انتقال الفكر لدى الطيور » كثيراً من الملاحظات الغريبة حول الموضوع مأخوذة من حياة الطيور . وتعطينا كذلك قصة خيل إلبرفلد بينة طيبة على ان من الممكن ان يحدث تلبثي بين الحيوان وعقل الانسان »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وبالرجوع الى ما ذكرته هذه الموسوعة عن تلك الخيل نجدها تقول عنها انها استطاعت فعلاً ان تجري عمليات حسابية تضمنت استخراج الجذر التربيعي ، وكانت تعطي الجواب بالدق بالأرجل . وقد أجريت هذه الاختبارات الحسابية أمام اساتذة من جامعات برلين ودارمستاد وباريس وجنوى وفلورنسا وكولونيا وبروكسل وبولون وفرنكفورت وستوتجارت وبال ومعهد باستور . وذكرت الموسوعة اسماء الاساتذة نذكر منهم الدكتور ادنجر استاذ الامراض العصبية بفرنكفورت ، والاستاذ استوالد بجامعة برلين ، والاستاذ بردكا بمعهد باستور بباريس

التفسيرات المقدمة لظاهرة التلبثي

كيف حاول السيكولوجيون الماديون تفسير ظاهرة التلبثي ؟ يوجد بطبيعة الحال جماعة يحترفون الشك ، وعند مناقشة هؤلاء المرتابين نجدهم يكافحون مستميتين ضد قبول الحقائق الجديدة . وما كان شكهم هذا الاّ وسيلة دفاع لحماية كيانهم النظري . فلما اثبتت الحقائق التجريبية صدق النظرية كان لا بد من البحث عن تفسير لها . وقد ظنّ في بادىء الأمر أن المسألة ولو في بعض الحالات ترجع الى الاتفاق والمصادفة . ولكن الحساب الدقيق الذي أمكن استخلاصه من جداول الدكتور راين ومعادلاته وخطوطه البيانية قد برهن على امكان استبعاد ذلك . وافترض بعضهم فرضاً جديداً هو ما اصطلحوا على تسميته « زيادة حس الحواس » hyperaesthesia of the senses . وهذه الزيادة في الحس هي التي يستشهدون عليها بما يحدث في بعض حالات الوعي (الشعور) . وضربوا لذلك مثلاً حالة التنويم المغنطيسي حيث تكون الحواس فيها مرهفة فوق المعتاد . ولهذا احتجوا على تجارب الاستاذ موراي مثلاً بأنهُ « كان مدركاً بشكل لا شعوري مجهول موجاتٍ صوتية جملته يتجه بتفكيره اتجاهاً خاصّاً على الرغم من ضعف هذه الموجات ضعفاً يجعلها لا تثير الحس بالصوت » أرأيت ؟! !

ولكن زيادة الحس هذه لا يمكن تطبيقها على الاستاذ موراي في تجربته التي ذكرناها ، وذلك لأن الرجل قد تلقى تفصيلات أكثر من التي ذكرت للمجتمعين . ويقول لورد بلفور وقد حضر اجراء بعض هذه التجارب « لقد أدركت من زمن بعيد انهُ اذا كانت زيادة الحس هذه تصلح أن تكون تفسيراً لاي شيء كان فانها لا تصلح أن تكون تفسيراً للتلبثي » . وكذلك تكون زيادة الحس هذه تفسيراً سخيفاً للتجارب البعيدة المدى ، التي تفصل فيها بين المرسل والمستقبل مسافات شاسعة وحجب وجدران من أمثال تجربة مسز سنكلير التي أجريت وكانت المسافة بين المرسل والمستقبل أربعين ميلاً

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وحاول آخرون تفسير الظاهرة بالاهتزازات الفيزيقية والاشعة وبعض أنواع الطاقة . وقد استعرض الدكتور تشنر في كتابه « التلبثي والجلاء البصري » هذه التفسيرات كلها وخرج منها بأنها فروض لم تثبت فضلاً على كونها غير مقنعة . واكتفى بالتدليل على عدم صحتها بحالة قراءة ما في الورق المطوي الموضوع في مظروف معتم . وزراه يقول « يجب أن نذكر أن الحروف ملفوفة بعضها فوق بعض ، ولا تستطيع الورقة المطوية إلاَّ أن تعطي خليطاً من السطور اذا كانت الرؤية خلال الورق ممكنة . وان هذه التجربة لتثبت بشكل قاطع أن الابصار لا يمكن أن يكون قد تمَّ بالعينين . وتدحض هذه التجربة بشدة كل تفسير فيزيقي »

ولمناسبة الحديث بصدد قراءة الأوراق المطوية نرى لزاماً أن نذكر تجربة يصح اعتبارها فذة بين التجارب . ففي سنة ١٩٢٣ أجريت سلسلة من التجارب في المؤتمر الميتافيزيقي الذي انعقد في وارسو في تلك السنة تحت رياسة العلامة الدكتور البارون فون شرنك نوتزنج ، أستاذ البيولوجيا في جامعة ميونخ ، على الوسيط الشهير أوسوفيكي وقد أثبت هذا الوسيط انهُ يستطيع أن يعرف محتويات المظاريف المختومة وقراءة ما يكون فيها من رسائل حتى ولو استعيض عن المظاريف بأنابيب من الرصاص . ولذلك أرسلت جمعية البحوث النفسية البريطانية مع أحد رجالها وهو المستر دنجوال مظروفاً رمادي اللون ، بداخله مظروف آخر أخضر اللون في سواد ، وبداخل هذا مظروف أحمر وضعت فيهِ ورقة مطوية بيضاء ، بعد أن رسمت فيها زجاجة داخل مستطيل ، وكتبت عليها جملة فرنسية . ولكي يتلافى المجربون كل انتقال فكري ممكن تسلم الوسيط أوسوفيكي هذه الرزمة من يد الدكتور شرنك نوتزنج الذي كان يجهل محتوياتها . فوصف أوسوفيكي محتوياتها كتابة ، وأرسل هذا الوصف المكتوب الى المؤتمر وقرئ عليه . وبعد أن تحقق المستر دنجوال من سلامة المظروف فتحهُ في المؤتمر ، ووجدت محتوياته مطابقة بالضبط لما قالهُ أوسوفيكي بما في ذلك الجملة المكتوبة بالفرنسية . فوقف المؤتمرون كلهم وحيوا وسيط الجلاء البصري بالتصفيق الحاد . وهذا الوسيط يتمتع بوساطة أخرى هي « السيكومتري » أيْ تقصي الأثر في الفضاء والزمن .

ونعود الى حديثنا عن ظاهرة التلبثي فنقول ان هذه الظاهرة مخيبة الى أبعد حد كل فرض مادي يقول بأن الفكر محصور داخل حدود المجموع العصبي الفيزيقي . وترى السيكولوجيا الكلاسيكية أن الفكر جزء من الدائرة العصبية التي تبدأ بمنبه من الأعصاب الداخلة afferent nerves وتنتهي ببعض نشاط محرِّك وان كل تواصل بين شخص وآخر تبعاً لما تقول به نظرية « الدائرة المغلقة » هذه يحدث فقط حينما تنبعث اهتزازات في الجو

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

المحيط المتداخل الذي يطبع المجموع العصبي للشخص الآخر بطوابع لمسية أو بصرية أو سمعية ولكن التواصل أو التخاطب بالتلبثي يلغي كل عمل للحس العادي ، لأن الفكر ينتقل من عقل الى عقل خلال وسط أو وسيط ما ، له ميزات تختلف في الجوهر عن ميزات المادة الفيزيقية

ويفسر بعضهم ظاهرة التلبثي في بساطة بأنها نوع من اهتزاز كهربائي او مغنطيسي أو كهرطيسي ينبعث من المخ . ولكن علم الفيزيقا لا توجد فيه أقل اشارة تدعونا الى الظن بأن الكهربائية والمغنطيسية هما سبب التلبثي . بل انهُ لا توجد كذلك أية اهتزازات فيزيقية معروفة تستطيع احداث نقل الافكار

وقد جاء بدائرة المعارف البريطانية تحت مادة «البحث الروحي» ما يأتي : « ان أولئك الذين يظنون ان الارسال بالتلبثي نوع من الموجات يصح ان يطلب اليهم ان يكونوا أكثر وضوحاً وتدقيقاً بصدد طبيعة هذه الموجات وطولها وما الى ذلك ، وان يعينوا في جسم الانسان ذلك العضو الذي يستطيع ارسال الموجات الفيزيقية الى الجانب الآخر من الكرة الأرضية. ثم لماذا تبدو التلبثي كأنها لا تخضع لقانون التربيع العكسي العام ؟ هناك في الواقع بينات كثيرة ذاتية وأخرى تجريبية على انها لا تتأثر بالمسافة »

ومن ثمَّ يتضح اننا حتى اذا رأينا ضرورة افتراض نوع ما من الصلة الاهتزازية بين مخ وآخر فاننا بذلك نتخطى حدود جميع خواص المادة والقوة . وقد يقف المادي وجلاً كذلك ، لأن أي تفسير للتلبثي يتضمن « الاهتزازات » يدفعهُ لا محالة الى الاعتقاد بصدق الحالات التي فوق الفيزيقية لكل من المادة والطاقة. ومع أن العلم يذهب الآن الى وجود مادة في الحالة التي فوق الفيزيقية فان المادي قد يفضل ألاَّ يسلم بها حتى لا يوجد نفسه في مأزق حرج. والواقع أن المادي يقف حائراً أمام ظاهرة التلبثي وما اليها من الظواهر غير العادية . وهو يعلن اعتقاده بأن المادة العصبية والفكر مرتبطان لا ينفصلان ، فكيف اذاً تمر فكرة من عقل الى عقل عبر فضاء يفصل بينهما وقد خلا من الأعصاب بتاتاً ؟ فاذا وجد وسيط يستطيع ان يقود الفكر ويمضي به الى خارج حدود المخ فان هذا الوسيط يكون أساس الوعي البعيد عن مسالك المخ

وقد لا يستسيغ السيكولوجيون الاخذ بالرأي القائل ان الفكر يمر من مخ الى مخ خلال وسيط فوق فيزيقي Superphysical . ولهذا فلنقيد أنفسنا بالمصطلحات السيكولوجية الكلاسيكية ونقول ان الوعي (الشعور) قد يمتد فعله وتحصيله الى خارج الحدود المادية ومهما كانت المصطلحات التي نستعملها فان الامر الاساسي هو أن الوعي يسلك بشكل ينافي اعتماده على مادة المخ .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نباتات الصناعة في مصر

قديماً وحديثاً

لمحمود مصطفى الدمياطي

٣ — القطن

تعتبر الهند الوطن الأصلي للقطن الشجري الا ان الدكتور إنجلر قد أشار الى وجوده في غينيا العليا وبلاد الحبشة والسنغال وغيرها . وترتفع ساقه من ست أقدام الى سبع وهي ليست متفرعة كثيراً وأوراقه كفيَّة قيل إنه كان موجوداً في بعض الحدائق بالقاهرة بين سنتي ١٨٧٠ و ١٨٨٠

وثمَّ قطن آخر يسمى القطن العشبي أو الهندي[1] ينبت في الهند وايران ومصر وسائر البلاد الشرقية وجنوب اوربا وغيرها وأليافه قصيرة غير مرغوب فيها . قيل انه أول قطن دخل مصر وان أصله من ايران وجزيرة العرب وداخل الشام ثم نقل الى مصر في مدة الاسكندر ولكن لم تنتشر زراعته كثيراً . وقد سبق بيان أن من تكلموا على مصر قديماً لم يذكروا هذا النبات

ظلَّ القطن المألوف زرعه الى سنة ١٨٢١ من النوع الآنف الذكر على الراجح ولكن في سنة ١٨٢٢ وما بعدها حدث انقلاب من جهة نهضة مصر اقتصاديًّا بتعميم زراعة القطن في مصر السفلى (الدلتا) وكان يوجد في حديقة محّو[2] بك نوع جيد من القطن جلبه معه من السودان فلما شاهده المسيو جومل الذي استقدمه محمد علي باشا من فرنسا لتنظيم مصانع

(١) اسمه النباتي Gossypium herbaceum L. وبالانجليزية New Orleans cotton وبالفرنسية coton de la Nouvelle Orlean وبالهندية « كپاس » و « كرباسي» ويعرف في مصر بالقطن البلدي (٢) احد كبار الحكام في عهد محمد علي وحكمدار السودان فترة من الزمن

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

النسيج أعجبتهُ رتبته وأشار على الباشا بتعميم زراعته . وقد فطن محمد علي الى ما ينال مصر من الأرباح الوفيرة اذا أكثر من زراعته لأنهُ كان يفوق القطن القديم في طول تيلته ونعومته فاعتزم الباشا تعميمهُ وأنشأ السواقي اللازمة لري الأطيان التي تزرعهُ واشتراه بأثمان مرتفعة ليشجع الفلاحين على زرعهِ فلم تمض غدةِ سنوات حتى انتشر هذا النوع من القطن وصار يعرف باسم قطن محو بك أو قطن جومل ثم أدخل محمد علي نوعاً آخر وهو القطن البربادي أو قطن « سي ايلاند » الاميركي [1] ومن ثمَّ أخذ القطن المصري ينافس قطن البنغال وأميركا وأقبلت على طلبهِ مصانع النسيج في فرنسا وانكلترا وتقدمت زراعتهُ وأخذ محصوله يزداد سنة فسنة [2] . والقطن البربادي وطنهُ الأصلي جزائر الهند الغربية فقد نقل من جزائر بهاما الى الولايات المتحدة في أميركا سنة ١٧٨٥ وكان يزرع في الجزائر البحرية والمناطق الشاطئية لولايات جورجيا وسوث كارولينا وفلوريدا لنجاح زراعته فيها ولكن قد عدل عن ذلك حديثاً لفتك سوسة اللوز بهِ وأصبحت زراعته هناك محصورة الآن في الجزائر الجافة من الهند الغربية بعد أن أدخل اليها ثانية من الولايات المتحدة . وهو ينتج أنفس قطن وأليافه طويلة ناعمة حريرية يختلف طولها بين $\frac{3}{8}$ و $\frac{1}{2}$ ٢ بوصة . ويعتبر القطن المصري ناشئاً عنهُ ولكن في اعتقاد وات ان كثيراً من الاقطان المصرية هي مولّدات أو نغولة من القطن البيروي [3] والقطن المصري من حيث أليافه وسط بين القطن البربادي والقطن العفائي [4] وهو علاوة على زرعه في مصر فانهُ يزرع ايضاً في مناطق الري بالولايات المتحدة واريزونا وكليفورنيا حيث نتجت عنه مولدات جديدة وبالاخص قطنا « پيما » و « يوما » كما انتشرت زراعته بالمناطق الحديثة الري في السودان

---

(١) اسمه النباتي Gossypium barbadeuse L. وبالانكليزية Sea-Island cotton وبالفرنسية coton longue soie (٢) لخصت هذه النبذة بتصرف عن كتاب عصر محمد علي لعبد الرحمن الرافعي بك

(٣) اسمه النباتي Gossypium religiosum L=Gossypium peruvianum Cavan وبالانكليزية Peruvian or Brazilian cotton

(٤) اسمه النباتي Gossypium hirsutum L. وبالانكليزية — Upland و or Short staple cotton

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

وللقطن المصري صفات معينة ترغّب فيهِ حتى في الولايات المتحدة نفسها فقد بلغ ما يصدر منه اليها في السنوات الأخيرة نحو ستين في المائة من جميع الأقطان الأجنبية. وهذه الصفات هي نعومته ومتانته ومرونته وعظم قابليته الطبيعية للفتل وهي في مجموعها تجعله ملائماً لعمل الجوارب والسراويل والسجوف وما شاكلها وللخلط بالحرير والصوف الى غير ذلك وتصلح فيه ايضاً عملية اكتساب لمعان الحرير

ولا يفوتني التنويه بأن حياة أصناف القطن التجارية المصرية لا تظل محتفظة بجودتها فالصنف المعروف بالسكلاريدس قد حلَّ الى حد كبير محل الميت عفيفي واليانوفتش اللذين كانا سابقاً أجود الاصناف المعروفة وأكثرها زراعة . كما ان السكلاريدس قد أخذ في الضعف الآن حاذياً حذوها وظهرت أصناف جديدة

والعُطب أو نسالة القطن مادة ليفية بيضاء تغلف حبه أو بزره المسمى الخيسفوج . أما جوزته (لوزته) ويقال لها العفازة فعُلبية تشتمل على غريفات في كل منها سبع بزور الى تسع . وتكسو الغلاف الخارجي من البزرة ألياف اوشعرات انبوبية مفتولة ومنبسطة معاً كل منها خلية واحدة

ويفصل العطب عن البزور بالحلج ويزن نحو ثلث المكمْهَل (أي القطن ما دام فيهِ الحب) . ثم يكبس هذا العطب بوساطة مكبس يحرك بالماء في بالات زنة الواحدة منها ٥٠٠ رطل انجليزي «باوند» في المتوسط. وبعدئذٍ تصدر البالات الى مصانع غزل القطن لتحويلها الى غزل . وتزن البزور ضعف العطب المغلف لها وهي تشتمل على زيت ثمين يعتصر منها ليقوم مقام زيت الزيتون . وقد تحول البزور بالطحن الى دقيق لتستعمل غذاء للمواشي أو سماداً لاخصاب تربة الأرض . ويصنع ورق من النسالة غير القابلة للغزل وهي خلّيُوس[1] نقي.

هذا وقد كان غزل القطن ونسجه الصناعة الراسخة في لانكشير بانكلترا من زمن مديد وكثيراً ما أمدَّت العالم جميعه بكمية وافرة من المواد القطنية ولكن الآن تغيرت الحال واعترضت هذه الصناعة منافسة شديدة من الهند واليابان وبلدان اخرى في الشرق .

---

(١) نسبة الى الخلية النباتية ، وهي مادة تتركب من ثلاثة عناصر كيمائية هي الكربون والايدروجين والاكسجين . ونسبة العنصرين الاخيرين في هذه المادة كنسبتهما في جزيء من الماء .

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

عجائب الذهب

الاسود

البترول ، الذهب الاسود ، هذا الخليط المتراكب الذي يستخرج من أعماق آبار النفط (البترول) ما يبرح من أكبر المواد فائدة لنا . حتى ولو لم نضطر الى قيادة السيارة ميلاً واحداً فهو مادة أساسية في حياتنا اليومية

ولكي نحصي بعض المواد الناتجة من البترول يجب أن نعرض — باديء ذي بدء — حاجات الطيار الذي يقود قاذفة القنابل ، ولعلهُ الآن يقذف قنابله على أرض العدو . فالبنزين النقي الذي يسمو بالطيـارة الى كبد السماء هو احدى المواد الناتجة عن تكرير البترول والزيت والشحم مما يستعمل في تشحيم الآلات هما أيضاً بعض هذه المواد . وكذلك ثالث ايثيل الرصاص ، مادة اذا أضيفت الى البنزين زادت من قوته . وقد يكون محرك الطيارة من ذوات التبريد بسائل . وإذن يكون السائل المبرد هو إيثيلين الجلوكول ، وهو يحضر من غازات البترول ويمنع التجمد . والبوتاديين ، أحد مستخرجات البترول هو واحد من مواد تدخل في صناعة اطارات العجلات في الطيارة وهو اذا سوّد بالكربون المحضر من البترول ايضاً منع عنها التلف . ومن البترول يجهز نوع جديد من المطاط الصناعي له خواص تختلف عن خواص المطاط الطبيعي وتصنع منه سدادات خزانات الوقود التي تنغلق ثقوبها من تلقاء نفسها عند ما تصاب بالرصاص، والجلسرين أيضاً من منتجات البترول وهو سائل يستعمل لمنع الجمد على أعمدة المراوح . وان اسلاك القيادة في الطائرات لتدهن بدهان عازل يمنع الصدأ هو بعض نواتج البترول

وحين يبلغ الطيار هدفه ، متجهاً اليهِ بارشاد آلات كثيرة فهذه آلات دقيقة تسبح في برك من الكيروسين ، ويفتح ابواب مخزن قنابله وهي أبواب صنعت من صنف من البترول المرن ، ثم هو يسدد رمايته من خلال شباك شفاف دخلت في تركيبه مواد بترولية . واذ انبعث التيار الكهربائي ليقذف بالقنابل ، فهو يندفع خلال اسلاك معزولة بعـازل من المطاط البترولي . واذا كانت القذائف تندفع بالضغط الهيدروليكي فان السائل الذي يقوم بهذا العمل هو مركب بترولي يوضع عادة — في أنابيب من المطاط البترولي

وان قوة تدمير القنابل هي بعض فضائل البترول ، لان التولوين الموجود في ثالث

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

نيترو تولوين nitro toluene هو شقيق البنزين الذي يحمل الطيار الى هدفه

هذا وللآن لم نستطع أن نوفي البترول بعض حقه في هذه الناحية وحدها ... ناحية قاذفات القنابل ، لأن زيت الصوف الذي يستعمل في صنع ملابس الطيارين هو مادة من البترول وهذه الملابس تنظف باستعمال تركيب بترولي . والبترول ينتج الشمع الصلب الذي يغطي ذخائر المدافع الرشاشة ، وكذلك ينتج المراهم والأدوية التي يتداوى بها الجرحى من اللاحين ان أصيبوا أثناء الطيران . وحين يعود اللاحون الى اوطانهم ، يجدون على المائدة زيت السلاطة المستخرج من البترول ، والفاكهة ملفوفة في ورق البرافين ، واللبن معبأ في علب الورق المقوى المدهون بشمع البرافين الذي لا طعم له ، وحينذاك ينطلق الميكانيكيون الى قاذفات القنابل يهيئونها ويعدونها فيغسلون عنها الزيت من الشحم بصابون اساس صناعته البترول

والبترول الخام خليط من جزيئات من البرافينات والأوليفينات والنافتالينات والايدروكربونات العطرية وهي تتدرج في الخواص من البنزين النقي الى الأسفلت الصلب وان بعض هذه الجزيئات ليخف حتى يسمو فيكون غازاً وبعضها يشع فتنبعث منه الاشعة الراديومية

وفي الحق ، إن برميلاً من الزيت الخام لينضم على آلاف من المواد الكيميائية المتباينة في النوع وفي الخواص وفي الفائدة أيضاً . ولقد أوقف الكيميائيون جهودهم — عمراً طويلاً — ليستخرجوا من البترول منتجات للحريق أو التشحيم وذلك ليشبعوا رغبات صناعية تلح في طلبها صناعة السيارات . فالايدروكربونات الطيارة قُطِّرت فصارت البنزين (او الجازولين) وما كان أثقل منها كان زيتاً للتشحيم . وان حاجة ملحة في طلب الجازولين خلقت أبحاثاً لتحطيم جزيئات الايدروكربونات الثقيلة لتتحول الى جازولين ، وأبحاثاً أخرى لضم جزيئات الايدروكربونات الخفيفة لتنتج كمية أخرى من الجازولين .

والجازولين وأخوته من المواد الثقيلة ، مما تستعمل في الوقود والتشحيم ، جميعاً تتدرّج لتكون مجموعة ضخمة من المواد المستخرجة من البترول ، ولتجعل لنا القدرة على أن نستعمل — في نطاق واسع — الآلات ذات الاحتراق الداخلي . ولو ابتدأنا بالنواتج الثانوية التي تكوّن الأحماض العضوية والكيتونات والراتنجات والغازات الفائضة عن صناعة الجازولين والزيت ، لوجدنا أن كيمياء البترول تنتج من خاماتها مواد متباينة حتى ان صناعة ما لا تخلو من ناتج من نواتج البترول . فاللاكيهات والورنيشات والمواد المرنة أي العجائن الكيميائية الصناعية والألبان والجلد الصناعي وأفلام التصوير وحبر الطباعة والأدهنة والروائح العطرية وسموم الحشرات ، كل أولئك أشياء أساسها البترول . وان البناء الكيميائي للبترول — وهو يعتمد على الايدروجين والكربون ، وقد يتحد بالاكسجين والنيتروجين أو عناصر أخر —

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ليجعل الكيميائي يضع يده في برميل البترول فيخرج منه لكل عمل مادة تصلح له ولا يستقيم هو بدونها. وإن شركة مثل شركة شل لتجد نفسها أمام صناعات إضافية حين تعرض في السوق الفضلات الناتجة لديها . فمثلاً هي تستخلص الايدروجين من غاز البترول بعملية تحطيم ، ولكنه يتحد بنتروجين الهواء الجوي فتنتج الأمونيا ، وهي مادة أساسية في تنقية الماء ، وفي صناعة الثلج ، وفي تحضير الحامض النيتريك الذي تحضر منهُ المفرقعات ، ثم هي مادة لتسميد الأرض ، إما على شكل سائل أو في مركب هو كبريتات الامونيوم . وشركة شل تنتج من الامونيا ٥٨٠٠٠ طن في السنة ، ثم ان الحامض الكبريتيك اللازم لتحويل الامونيا الى كبريتات الامونيوم هو ايضاً فضلة من فضلات التقطير البترولي

غير ان شركة شل تجد لديها كثيراً من الفضلات حين تقوم بتحضير غاز الايدروجين من غاز البترول . فالكربون — أحد النواتج الثانوية — يباع في السوق على شكل قوالب او مسحوق وهو يستعمل في تلوين اطارات العجلات والنعال المصنوعة من المطاط . والنفتالين فائض من صناعة الأمونيا وهو — بعد التنقية — مادة نظافة ، وقد يجهز على شكل كرات للتخلص من الهوام . والبنزول ثالث النواتج الاضافية ، يباع كمذيب وكعنصر أساسي في تركيب صنف خاص من الجازولين

ولكي نتلمس في البترول فوائد أخرى حديثة ، أخذت شركات الزيت تهيء أقساماً للابحاث تضارع المعامل الكيميائية في أكبر الجامعات ، وفي تلك المعامل يغلي الباحثون الزيت تحت ضغط يعادل $\frac{1}{1000000}$ (واحد من مليون) من الضغط الجوي العادي ثم يحركونه حركة رحوية لها جاذبية قدر جاذبية الأرض نصف مليون مرة ثم يختبرون تفاعلاته وهم في هذه الاختبارات يستعينون بأشعة أكس والاشعة تحت الحمراء والمطياف وآلات تصوير تستطيع ان تصور انقسام الالكترونات . ولا ريب في ان العلماء الذين يعملون بهذه الآلات لا يجدون القناعة ولا الرضا . . . لا يجدون الرضا عن الاشياء كما هي ولكنهم يتطلعون — دائماً — الى الاصلاح

ولقد جعلت الحرب جل عمل هؤلاء العلماء سريًّا ، غير انه ليس سرًّا أن انقلاباً نافعاً ومثيراً للاعجاب سيكون بعد الحرب . فمثلاً الجازولين المستعمل الآن في الوقود خير منه منذ سنوات غير انه ما يزال يؤخر تطور آلة السيارة ، ولعلَّ آلة أخرى أكثر اقتصاداً وأكبر قوة تأخذ مكانها بعد الحرب . وان المطاط الصناعي ليشغل مكانه الآن وهو ليس تقليداً للمطاط الطبيعي ، بل هو يفضله في كثير من الوجوه . وما دام البترول في متناول اليد فهو يؤدي لنا — دائماً — خدمات تفوق الحصر

باب المراسلة والمناظرة

في الادب المصري

ومكتبة المقتطف

يخرج الكتاب الجديد من المطبعة فيرد الى مكتبة المقتطف فينقده كتّاب هذا الباب نقداً منزهاً عن الغرض ويزنونه بميزان دقيق، او يعرفونهُ الى القراء تعريفاً صحيحاً . لأنهم يقرءون مايرد اليهم من الكتب قراءة تدبر ولايكتفون من الكتاب الجديد بالنظرة العابرة بل يقفون فيه أمام ما يستحق الوقوف ايفاءً لامانة النقد في الاعناق

وكذلك كان الشأن مع كتاب « في الأدب المصري» الذي عرضتهُ في مقتطف اغسطس سنة ١٩٤٣ مع ما عرضت من كتب اخرى. ولم أتجنَّ على الاستاذ المؤلف حين قلتُ في تعريفي بكتابه (وبجانب الفكرة منهج دراسي وضعه المؤلف للراغبين في دراسة الأدب المصري) . فالكتاب تدور كثير من صفحاته حول الأدب المصري . ففصل عنوانه « كيف ندرس الادب المصري » وفصل آخر عنوانه « منهج الأدب المصري وتاريخه » . وقد جاءَ في صفحة ١٠٣ (. .. لنرسم بذلك المنهج الصحيح لدراسة الادب المصري وتاريخه) وبعد ذلك كله ان عنوان كتابه هو « في الأدب المصري » ولو كان عنوانه « في الادب العربي » لكان ذلك أهدى الى قصده ؟؟

ولم اكن متجنياً على المؤلف حين قلت انهُ يرى (ان اقليمية الادب هي اقوم السبل لخلق أدب أقليمي متميز) ولم اقصد بالبداهة خلق ادب جديد ، وانما قصدت خلقاً جديداً لهذا الأدب الموروث في بيئاته المختلفة

وما دعوة المؤلف لدراسة الأدب المصري على ضوء الاقليمية ، الاَّ خلق جديد لهذا الأدب القديم . ومن هنا وجد الناقدون الى كلامه سبيلاً . اما المنهج العام لدراسة الادب في مصر والاقطار الشرقية كلها فان كلمتي في مقتطف اغسطس لاتنكره

وقلت في كلمتي (أن في الكتاب خطة التزمها المؤلف في دعوته الى اعتناق فكرته والتزام منهجه) . وهذا حق .. ففي الكتاب خطة ملتزمة ما فيها شك ولا سبيل الى انكارها . اما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الظرفية في قولي « في دعوته » فهي متعلقة بالالتزام لا بالخطة . فلماذا يريد الاستاذ أن يفهم كلامي على غير جهته ؟ ؟

ولا اود بعد ذلك أن أناقش المؤلف فيما يعترض به على تعريفي بكتابه في المقتطف . وكفى أني أحلته في هذه السطور القليلة الموجزة على نص أقواله في الكتاب لتكون بعض ردّي على ردّه .

محمد عبد الغني حسن

الكيفي

عند قدماء المصريين

ذكر حضرة الدكتور حسين الهراوي على صفحات احدى الصحف الصباحية أن الكيفي نبات أصله من الشام استعمله قدماء المصريين لطرد البعوض . وبياناً لحقيقة هذا النبات أقول : —

كانت مصر في قديم الزمان مهد الصيدليات والعطور حتى قال ديودور الصقلي انهما انتشرا بها انتشاراً عظيماً ، كما اشتهرت مصر بذلك شهرة رائعة . وقد ورد في الاوراق البردية ان المعبود حورس اعتبر في عصره حامياً للصيدلة ومحسناً اليها . وقد تعلم من أمه ايزيس علم السحر والعقاقير . وتحوت الذي عبده اليونان باسم هرمس علم الانسان الطب وعلاج الأمراض

وقد دوّنت كل هذه الاسرار وحصرت في كتاب خاص ، ونقشت على جدران بعض حجارة المعابد ومعاملها ، وكان بجانب المعابد أمكنة خاصة يقوم الكهنة فيها بتجهيز الأدوية للآلهة

***

كانت مصر في أجيال عديدة ذات تجارة واسعة ، تصدر العطور والأدوية المركبة ، بينما كانت بابل مستودعاً للاصماغ والعطارة والنباتات الزكية الرائحة . وكانت مصر تستورد البهارات من الهند وخليج العجم ، والصمغ الزكي من بلاد العرب والبلسم من فلسطين . وقال هيرودوت ان أهالي كلدا وبابل واليونان كانوا يتعطرون ويدهنون أجسامهم بالطيب المصري ، كما تنطق بذلك كتب الاشوريين

***

وقد ورد في ورقة وستكار البردية ان قدماء المصريين كانوا يستهلكون مقادير وافرة من

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

العطور المخصصة للآلهة ، كما كانوا يقسمون الازهار الى سبعة أنواع ، لكل نوع منها مزية تتصل بتجهيز العطور

وقد جاء وصف العطر الشهير باسم « الكيفي » في ورقة ايبرس الطبية ، فانَّ فكتور لوريت حلله وشبهه بالتذاكر التي ذكرها مؤلفو اليونان والرومان

***

قال ديوسكوريد ان قدماء المصريين كانوا يستعملون العطر الشهير بالكيفي كبخور يطلقونهُ للآلهة ثم استعملوه كشراب لعلاج الربو . وأشار بلوتارك الى ان قدماء المصريين استعملوا « الكيفي » في الطقوس الدينية كما استعملوه كشراب مسهل وملين

وقال جاليان ان ديموكريت ذكر الكيفي في كتابه وقال انهُ لم يكن مزيجاً سائلاً ولا نباتاً ، وانما هو مركب عطري يابس يصنعه قدماء المصريين ليحرقوه عند الآلهة . وأضاف جاليان الى ذلك انهم كانوا يستعملون مقدار درهم منه لشفاء المرضى بالمرارة والرئة والاعضاء الباطنية . وقد لخص لوريت التذاكر الثلاث لديسكوريت وبلوتارك وجاليان وقال : ان الاول ذكر ان الكيفي مركب من عنصر واحد ، والثاني والثالث ذكرا انهُ مركب من ١٦ عنصراً ، والآخرون من ٢٨ الى ٥٠ عنصراً

***

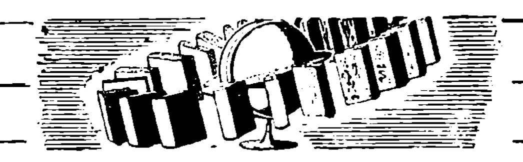
وقد عثر علماء الآثار على ثلاثة نصوص هيروغليفية تتعلق بتذكرة «كيفي» اثنان منها من مدينة ادفو ، والثالث من بيلاق والكيفي المصري مركب من ١٦ عنصراً

وأصل « الكيفي » في المصري القديم يشتق من كلمة « كاب » قلبت الباء فاء ، ومعناها حرق البخور وكان يوصف احياناً للسيدات للشفاء من امراض الرحم

وقال العالم ايبرس ان الكيفي عطر خصص لتبخير المنازل وكان يستعمل ممضوغاً كالعلك (اللبان) ليسهل حركة التنفس وبالرغم من أن هذا النوع العطري شهير منذ عصر الاهرام وبالرغم من بحثي المتواصل في النصوص المصرية القديمة واليونانية والرومانية والآثار ، لم أعثر على ما يدل على ان الكيفي نبات يطرد بهِ البعوض كما ذكره الدكتور الهراوي . اذن فليس نباتاً ولا سائلاً بسيطاً ، وانما هو مركب عطري يابس مكوَّن من عناصر عطرية مختلفة ، كما يستفاد من النصوص القديمة سالفة الذكر ، والله أعلم بالحقيقة

انطون زكري

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com



مكتبة المقتطف

على هامش السيرة

الجزء الثالث – للدكتور طه حسين بك – طبع بمطبعة المعارف بمصر – صفحاته ٢٤٧ من القطع المتوسط

كتب المؤرخون في السيرة وحواشيها وهوامشها وما يتصل بذلك من طبقات الرجال . فكان عملهم جليلاً ، لأنهم جمعوها خشية الضياع ، ولكنهم لم يعنوا بتحليل الخواطر وفلسفة النوازع وتعليل الدوافع وتجلية غوامض البواعث مثل ما عنوا بالسرد والقص ، ولهذا تراهم قد أحسنوا الحكاية ، وأجادوا الرواية . ولكنهم لم يحسنوا ما وراء ذلك من صدق التعليل وعمق التحليل وحسن الموازنة وجمال الاخراج ولباقة العرض كما يصنع الكتّاب الآن في سير الرسول وعباقرة الاسلام

ويمتاز « على هامش السيرة » بدقة الوصف وحسن التصوير حتى لا تكاد الصورة منه تخرم أصلها أو تفوت مثالها . فنفسية عمرو بن هشام « أبي جهل » قد جليت في الكتاب على حقيقتها . . فهو الحسود الذي لا تهدأ نار حسده ، وهو المسرف في البغضاء اذا أبغض وهو الصلف المغرور في مجالس عمه الوليد بن المغيرة ، وهو الشارب المسرف في الشراب ، وهو المخدوع في نفسه فيزعم انهُ يرى ما لا ترى قريش ويعلم ما لا تعلم . . وهنا يضحك عمه الوليد وقد اختلط عقله فيما بين دعوة محمد وادعاء أبي جهل ويقول (والله ما أدري ما ألمَّ بهذا الحرم وقد كان آمناً)

وهناك نفسية أخرى في الكتاب حائرة مضطربة ، لأنها تثير الحيرة والاضطراب في نفس من قرأ لها أو سمع عنها . نفسية رجلٍ قتل حمزة عم النبي يوماً ، وقتل نبيّاً كاذباً يوماً آخر . ولقد أبدع الدكتور طه حسين بك في وصف هذه النفسية الحائرة ، حتى ليشفق القارىء عليها وهي مأخوذة بدم سيد الشهداء ، ويرثي لها القارىء وقد اعتنقت الاسلام ولكن الندم على قتل حمزة يمزقها تمزيقاً . ويرثي لها كذلك وقد اضطربت آخر الأمر فاستعانت على الهم بالشراب ، لا يمنعها منه دين ولا مروءة ولا عقل ، حتى تسرف فيه فتموت ضرباً (صفحة ١٨١)

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

أما نفسية مصعب بن عمير فقد كانت كذلك حائرة غير قارة في أول أمرها . فهو يحب الاسلام ويحب نبيه ، ويحب أمّه المشركة لأنه كان باراً بها . ولهذا لم يعلن اسلامه خشية أن تفتنه قريش أو يتعرض لسخط أمه . ولكنه وضع دينه فوق بنوته ؛ ونبيه فوق عاطفته

***

يصادف القارىء في كتب السيرة كثيراً من الاخلاق الاسلامية مبثوثة في خلال الحوادث ، ويكاد كتّاب السيرة يمرون على هذه المواقف مرّاً سريعاً ، فهم يكتفون بالاشارة اليها ولا يأخذون القارىء معهم الى الاعماق والأغوار ، ولعلّ هذه الاخلاق في الصدور الاولى كانت بارزة من تلقاء نفسها فلم تحتج الى من يدل عليها أو يأخذ بيد القارىء للوصول اليها . أو لعلّ هناك من الاسباب غير ذلك ... أما اليوم فالكاتب يخرج من الحدث الصغير بالدرس الكبير . وذلك واضح في هذا الكتاب . . فحكاية التمثيل بحمزة يثور لها قلب النبي الكريم ، ويقسم ليمثّلن بقتلى المشركين كما مثلوا بعمه . ولكن الله يؤدب النبي والمسلمين بهذه الآيات الكريمة (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم بهِ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) ص ١١٧

وفي خلال الكتاب أحاديث عن الحرية شائقة كل الشوق ممتعة كل المتاع ، وكان طبيعيًّا أن يتحدث الدكتور عن الحرية ما دام في معرض الحديث عن العبيد أمثال عدّاس ص ١٣٩ ، ولسياس ص ١٦٧ ووحشي قاتل حمزة ص ١٨٤ . فلقد رفعت بعض هؤلاء العبيد نفوسهم وان وضعتهم أنسابهم ، وأعتق بعضهم لقتله حمزة فعاش بين قريش حرّاً كالعبد وطليقاً كالأسير ص ١٨٨ . والدكتور طه يشفق على قلوب الكرام من العبيد الأعزاء منهم ويقول في استفهام صارخ (ومتى آمن السادة الأحرار بالكرم والعزة للرقيق المستذل) ص ٢١٢ . وتلك التفاتة كريمة لأديب من أحرار الرجال . يعرف قيمة الرأي فيذكر في معرض الحديث عن انتشار دعوة النبي (وقد عرف الناس في تاريخهم كله انهُ لن يخدم رأي ولا دين بمثل اضطهاد اصحابه وفتنتهم) ص ٨٨

ولم يغفل الدكتور ناحية الخوارق والمعجزات ، فهو يصف المدد السماوي من الملائكة المسومين الذين كانوا يضربون من المشركين الاعناق ويقطعون منهم كل بنان ص ١٠٤ ، وهو يصف جثة الدفين الشهيد حمزة وقد أصابت المسحاة رجله فخرج منها دم زكي كما يجري دم أحدنا حين يصيبه الجرح اليسير ص ١١٦ ولكن الدكتور أغفل ذكر المصادر في معظم الكتاب الاّ في بضعة مواضع رجع فيها الى طبقات ابن سعد . وكان يكون العمل أتم في نظر طلاّب التوسع في البحث من القرّاء لو ذكرت المصادر كلها ، فلا يؤثر بعض المصادر على

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

بعض . وقد جرى كتّاب الفرنجة من الآخذين بهذا الأسلوب الشائق في الترجمة للعظماء على تخصيص صفحة او اكثر او أقل في آخر الكتاب للمصادر التي يحسن بالقارىء الرجوع اليها ، حتى لا تثقل صفحات الترجمة نفسها بالهوامش والأسانيد

وفي الكتاب قوة في التعبير وقوة في الروح لا تتخلى واحدة منهما عن صاحبتها سطراً واحداً . ولهذا كان الكتاب قوي التأثير في كل موضوع خاض الحديث فيه ، فهو يسخطك على الرجل من المشركين كأبي جهل فيهون عليك ان تتمثله أمامك فتصفعه صفعاً وتزدريه ازدراء . وهو يرضيك على نفسية العبد الاسير الكريم فترفعه وتحبه حبًّا جمًّا ، وهو يصوّر لك القلب الرحيم في آخر فصل من فصول الكتاب فيخيل اليك ان قلبك يتزحزح عن مكانه لعلّ الله يجعل منهُ قلباً آخر أكثر رحمة وأشد حناناً

محمد عبد الغني حسن

عبقرية الامام

عباس محمود العقاد — مطبعة المعارف بمصر — صفحاته ٢٠٨ قطع وسط

على صفحة واسعة مونقة من الحياة في العصر الاسلامي الأول ، الحافل بعباقرة الرجال رسم الأستاذ العقاد ، صوراً تأخذ البصر وتستقر في النفس ، للافذاذ من أصحاب هذه العبقريات . فتوالت على المكتبة العربية من قلمه المسترسل وذهنه النفاذ ، عبقرية محمد ، فعبقرية عمر ، فعبقرية الصديق ، فعبقرية الامام

فالاستاذ العقاد عالمٌ بتاريخ ذلك العصر الفذ في حياة الشرق العربي ، موغل في نواحي حياته الاجتماعية والفكرية ، ولكن علمه الواسع وفهمه الدقيق ، انما هما كالمادة التي يغمس فيها المصور البارع ريشتهُ الساحرة ليستخرج بها الألوان بالمقادير اللازمة والظلال المؤاتية ، لدهن الصفحة العامة التي لا كيان لصورة ما بدونهـا . وهي ما يسمونهُ في التعبير الفني Background . وعلى هذه الصفحة ، ترسم الصورة الخاصة المقصودة . والصورة الخاصة المقصودة ، في ترجمة المترجم ، كما هي في رسم الرسام ، ليست تخطيطاً لقسمات الرسوم وحسب ، فالتصوير الضوئي ، أصدق من ريشة الرسام في هذا . والفن في تصوير الرجال أساسه رؤية الرجل من خلال المزاج الخاص . أي ان المصور البارع والمترجم البارع ، عليهما كليهما ، ان ينفذا الى خلق الرجل ، وان يبرزا مزايا هذا الخلق ، دهاناً على اللوحة وكلاماً على الورق

والنجاح في الحالين ، مرتبط أوثق ارتباط ، بصفة نادرة بين رجال التصوير ومترجمي السير على السواء وهي صفة الفهم والتعاطف . وحظ الاستاذ العقاد من هذه الصفة ، في

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ترجمة عباقرة الاسلام الأول حظٌّ كبيرٌ حقًّا ، يمده الاطلاع الدقيق على دقائق العصر الذي عاشوا فيهِ واتصلت حياتهم بحياته . ويمده كذلك علمٌ واسع في أخلاق الرجال مستمدٌّ من تجربة الرجال ، ومن الاطلاع على ما كتبه كبار الكتاب في سير الأفذاذ من أبناء الشعوب الأخرى . وأخيراً يضبط هذا كله ذهن متوقد نافذ الى الصميم من طبائع الناس

والاستاذ العقاد لا يكتفي برسم هذه الصور ، كما كان أصحابها يحيون في العصر الذي أنجبهم ، ولا يقتصر على تأثير عصرهم فيهم ، ولا على تأثيرهم في عصرهم . بل هو يتخطى القرون ، لينقل الى عصرنا هذه العبر المستخرجة من حياتهم ، وما لها من منزلة في مواجهة مشكلات العصر الحديث . وقد يتغير القالب الذي تفرغ فيهِ مشكلات الاجتماع البشري ، ولكن الينابيع التي تفيض منها القوى الانسانية الكفيلة بمواجهة المشكلات وحلها واحدة على عصور التاريخ . ومن هنا قوله في مستهل « عبقرية الإمام » (في كل ناحية من نواحي النفوس الانسانية ملتقًى بسيرة علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ، لأن هذه السيرة تخاطب الانسان حيثما اتجه اليهِ الخطاب البليغ من سير الابطال والعظماء وتثير فيهِ أقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل) وكيف يكون لهذا العهد ما يتمنّاه لهُ المتمنون من اصلاح وصلاح بغير كلمة علي (من كلمات الامام التي لم يقلها غيره كلمتهُ في خطاب الدنيا حيث يقول : يا دنيا غرّي غيري . . . غرّي غيري)

قصة الادب في العالم

تصنيف الاستاذين أحمد أمين بك وزكي نجيب محمود — الجزء الاول منه عدد صفحاته ٥٠٥ من القطع الكبير — من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر

للاستاذ الجليل أحمد أمين بك أيادٍ لا يجحد فضلها على النهضة الأدبية والفكرية الحديثة ، وقد تعدَّدت نواحي جهوده الفكرية ونشاطه العلمي تعدُّداً جنت من ورائه هذه النهضة أطيب الثمرات . وحلَّت آثاره من نفوس أهل الأدب في المكانة العالية اللائقة بها

فكتاباه « فجر الاسلام » و« ضحى الاسلام » يعدّان من أنفس ما كتب في تاريخ الفكر العربي ، وكتابه « الاخلاق » من أمتع ما كتب في هذا الباب ، وكتابه « فيض الخاطر » بأجزائه الثلاثة معرض للقارىء يتنقل فيه بين فنون شتى من أدب الكاتب وعلمه ، كما ان كتابيه اللذين اشترك واياه في تصنيفهما الاستاذ زكي نجيب محمود وهما « قصة الفلسفة اليونانية » و« قصة الفلسفة الحديثة » مرجعان نفيسان لا يستغنى عنهما في بابهما

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

ولم يقف فضل الاستاذ أحمد أمين بك عن حدّ التأليف والتصنيف بل تعدّى ذلك في تواضع العالم الى إبراز كثير من الآثار الادبية ابرازاً علميّاً محققاً مشروحاً فقد اشترك في إخراج كتاب « المكافأة » لأبي جعفر احمد بن يوسف وكتاب « الامتاع والمؤانسة » لأبي حيان التوحيدي وكتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه وغير ذلك من الآثار النفيسة علاوة على الاشراف على لجنة التأليف والترجمة والنشر وإصدار مجلة « الثقافة » وكل هذا ليس بالجهد اليسير

ومن آثاره الجديدة كتاب «قصة الأدب في العالم» الذي اشترك معه في وضعه الاستاذ زكي نجيب محمود وهو كتاب يقع في ثلاثة اجزاءٍ يعرض الأدب في عصوره المختلفة ، قديمه ووسيطه وحديثه في الشرق والغرب مع تقديم نماذج من كل أدب

وقد صدر منهُ الجزء الأوّل في الأدب القديم وأدب العصور الوسطى فتناول فيه مؤلفاه الفاضلان قصة الكتابة ونشأة الأدب ثم عرضا للأدب القديم فتناولا في هذا العرض الكلام عن الأدب المصريّ وأدب الصين والأدب الهنديّ والأدب الفارسيّ القديم والادب العبريّ والأدب اليوناني والادب الروماني ، حتى اذا أشرفا على أدب العصور الوسطى تكلما عن الأدب الانجليزي فالفرنسي فالاسباني فالايطالي وانتقلا الى الادب العربي في تلك العصور فتكلما عن الشعر من العصر الجاهلي الى آخر العصر العباسي ثم النثر كذلك فالفلسفة الاسلامية والخطابة

على ان المؤلفين الفاضلين قد أغفلا البحتري فلم يعرضا له في موكب الشعراء وليس البحتري بالشاعر الذي يغمره التاريخ وبخاصة في كتاب كهذا يتناول قصة الأدب وأبطاله . ثم انتقلا من ذلك الى الادب الفارسيّ الاسلامي فتناولا شعره وأوزانه وتاريخه وموضوعاته وخصائصه والقصص فيه والشاهنامه الخ ...

وان الفكرة التي حدت بمؤلفي هذا الكتاب الى وضعه واخراجه لفكرة جليلة خدما بها الأدب العربي وأسديا الى الادباء العرب يداً باقية الأثر فقد سدّا نقصاً كبيراً وقفت دونه النهضة العربية في عصر الدولة العباسية وما تلاه من عصور التاريخ فلم تتناول بالترجمة آثار الأمم الاخرى في الأدب كما تناولت ترجمة علوم هذه الأمم ومعارفها في الطب والفلسفة والرياضة والفلك . على اننا نرجو أن يكثر المؤلفان من نقل النماذج الطيبة من كل أدب لتكون الكثرة من هذه النماذج صوراً يضع أدباء العربية أعينهم عليها فيكسب الادب العربي من وراءِ ذلك فائدة التنويع والتوسيع في مجراه ويحفزهُ حافز الاستلهام.

حسن كامل الصيرفي

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الكون العجيب

قدري حافظ طوقان — سلسلة « اقرأ » صفحاته ١٤٢

ليس بين العلوم ما هو أعلق بالنفس وأدعى الى العجب وأحفز للخيال وأبعث على الشعور بعظمة الخالق وجلاله من علم الفلك . ولو كانت النجوم في القبة الزرقاء تظهر مرةً كل قرن ، لخيّم الناس في العراء ، للتمتع بمشاهدتها وروعة جمالها ؛ ولكننا نراها كل ليلةٍ ، فأنزلتها الألفة من المنزلة الخليقة بها ، في أذهان الناس ونفوسهم

وعلم الفلك ليس علماً نظريّـاً وحسب ، لا يستحق العناية بهِ من غير العلماء ، كما يزعم كثيرون من الذين يهملون بعض العلوم لأنهم لا يرون فيها فائدةً ما . أليس في دراسة المدّ والجزر فائدة للملاحة ، وفي دوران الكواكب ما لا غنى عنهُ في التوقيت الدقيق ، وفي الحلّ الطيفي كشف عن عناصر الارض في النجوم وعن عناصر النجوم في الارض ، وفي مسائل الاشعاع صلة بتطور الحياة على الارض ، وأحوال الجوّ والريح ، وربما ببعض الامراض والحالات النفسية ؟ ولماذا يجب ان يطلب كل علم بما فيهِ من فائدةٍ مادية وعلمية ؟ أليس تاريخ العلم سلسلة من البحوث النظرية التي أفضت — على الغالب — الى مخترعات لها في الحياة والاجتماع أعظم أثر ماديّ . وحتى اذا فرضنا ان علم الفلك خلو من كل فائدة مادية ، أليس فيهِ من بواعث السموّ وحوافز الخيال ما في الشعر العالي ؟

وعلم الفلك قائم على أدق الحسـابات الرياضية وأعقدها ، واليهـا مرجع الاحكام الذي لا يكاد يخطىء في تنبؤه بأحداث السماء . ولكنهُ مع ذلك سهل تبسيط الاساسيّ من مبادئه وظواهره ، حتى ليقرؤه غير المتعمق في العلوم فيفيد علماً بغير مشقةٍ كبيرة ، ويزداد فهماً لعجائب الكون وخالقهِ « السموات تحدث بمجد الرب والفلك يخبر بعمل يديهِ » . ولعلّ العلامة السر جيمز جينز هو أشهر علماء العصر الحديث الذين بسطوا الفلك الحديث لقراء اللغة الانكليزية . وقد أفاد الاستاذ طوقان بما فعلهُ جينز وغيره من العلماء فأسدى الى قراء العربية مثل الخدمة التي أسداها جينز الى قراء الانكليزية . ففي هذا الكتاب ١٤٢ صفحة حافلة بحقائق الفلك وعجائب الكون . والاستاذ طوقان لم يأخذ عن كتاب العلم المحدثين وحسب ، بل أحسن الاخذ ، ثم أحسن التبويب والتمثيل ، ثم أضاف الى كتابه شيئاً كثيراً من تحقيقهِ وتنقيبه في تاريخ الفلك عند العرب ، ولا غرو فهذه الناحية لا تبعد عن متناوِل مؤلف « تراث العرب العلميّ »

ان لسلسلة « اقرأ » ما كان يحسن ان تختم سنتها الاولى بغير كتاب في تبسيط احد العلوم ، ولا ريب في أنها وفقت في اختيار «الكون العجيب »

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

باب الأخبار العلمية

« دماغ » ميكانيكي عجيب

من أعجب الأجهزة التي صنعت في هذه الحرب ، تلبيةً لضروراتها ، جهاز خاص بالمدافع المضادة للطائرات . فالرجل او السيدة وراء مدفع مضاد للطائرات ليس له من الوقت لأن يحسب الحساب اللازم اكثر من ثانيتين او ثلاث ثوانٍ . وهذا الحساب يشمل بعد الطائرة وسرعتها واتجاهها وقوة الريح وقوة الجاذبيــة الأرضيــة والزمن المنقضي بين رؤية الطـائرة وإطلاق النار عليها ، وليس ثمة أحد من الناس يستطيع ان يحسب حساباً دقيقاً لجميع هذه العوامل بسرعة كافية تمكنهُ من اطلاق قذيفة على طائرة تمرق بسرعة ستة أميالٍ في الدقيقة وقد صنع المهندسون « أدمغة » ميكانيكية تعمل هذا الحساب المعقد كلهُ في الحال وعلى أعظم جانب من الدقة والاحكام

مجهر (مكرسكوب) مكبر عظيم

اخترع اثنان من الجيولوجيين الأميركيين مجهراً يكبّر الى حد ٥٠ الف قطر . وهو يزن طنّاً ويركّب على قاعدة من الفولاذ ليكون ثابتاً في مكانهِ ويحكّم عند النظر بهِ الى المرئيات بواسطة براغٍ (لوالب) تدار باليد بسرعة ٢٥ دقيقةً حتى يتحرك بمقدار جزء من ٤٠٠ جزء من البوصة . واذا أريد زيادة سرعة ادارتهِ أدير بواسطة محركات (موتورات) كهربائية . وقال المخترعان انهُ اذا أريد تكبير « النقطة » بهِ ظهرت كبيرة بحجم بيت كبير ذي دورين . وفائدته العملية تقتصر على التكبير ستة آلافِ قطر فقط . فيستعمل حينئذٍ لفحص الفلزات لأنهُ يظهر فيها الأشياء الدقيقة التي لا ترى بالمجهرات العادية فيرى الانسان بهِ مثلاً أشياء في الفلزات لا يزيد حجمها على مئة ضعف من كل جوهر من الجواهر التي تتركب تلك الفلزات منها

انخفاض الارض حول لندن

يقول الباحثون في طبقات الارض ان الأرض كانت في العصر الحجري (عصر الظران) أعلى مما هي الآن بخمسين الى ستين قدماً وانها تنخفض الآن بمعدل تسع بوصات في كل مئة عام ،

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

كيمياء العضلات

كشف البروفسور الكسندر ساندو العالم بعلم الحياة بجامعة نيويورك . . . عن العملية العجيبة — على رغم كونها بسيطة وسريعة — التي يستطيع بها القلب والعضلات الأخر أن تشحن نفسها بالقدرة على العمل . فقد استطاع أن يجد مفتاحاً جديداً على جانب كبير من عظم الشأن ليفتح به سر عمل العضلات ، وهذا — ولا ريب — بحث ذو أهمية قصوى في حياة الانسان ، لأن كل ما يعملهُ الانسان يرتكن على العضلات ، فاذا استطعنا أن نجعل القلب يدق بانتظام وفي غير عناء مدة أطول مما يفعل الآن ، استطعنا أن نطيل من عمر الانسان ومن شبابه في وقت معاً . وان ابحاث البروفسور ساندو التي أجراها على عضلات الضفدعة زوَّدتهُ بأدلة بنى عليها نظريته الآتية : —

حينما تتنبه عضلة ما ، كما لو أصابها الحر أو البرد أو هزة كهربائية أو انفعال ما ، فان عملها يعتمد على سلسلة من العمليات الكيميائية والميكانيكية

فأولاً : يتحد في العضلة من أثر هذا التنبيه مادتان كيميائيتان هما : ميوسين العضل ثم حامض اسمه ادينوسين ثالث فوسفوريك . وهذا الاتحاد ينتهي في مدى قصير يبلغ في عضلة رجل الضفدعة حوالي $\frac{1}{100}$ من الثانية

هذه «الفترة السعيدة» هي عبرة تين العضل فتوراً كامناً فتسترخي دقائق الميوسين وتنتشر غير أن هذه الفترة ليست فترة تراخٍ ، فدقائق الميوسين تعمل على تقسيم جزيئات الحامض ومن هذا الانقسام تنطلق طاقة تستولى عليها دقائق الميوسين تواً

وحينئذٍ تتجمع دقائق الميوسين — بعد أن تستولى على هذه الطاقة — في شبه انكماش وهي في هذا الانكماش تدفع الطاقة خارجاً فتبدو كأنها طاقة نشاط العضلات وطاقة حرارة للجسم

بيوت المستقبل

ان الذين زاروا معمل أبحاث جوديير رأوا منزلاً صناعيًّا قد يحل مشكلة المساكن بعد الحرب . وجدران هذا المنزل مصنوعة من طبقتين من الخشب بينهما مسافة أقل من ثلاث بوصات والطبقتان مشدودتان كل الى الاخرى بوصلات معدنية خفيفة . والفراغ بين الطبقتين ملأه مادة خفيفة اشبه بالزبد مصنوعة من العجائن الكيميائية ، وهي مادة عازلة تفوق في هذه الخاصة الجليد الذي يبني منهُ الاسكيمو منازلهم

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الزائد الطول يموت صغيراً

ولا يراد بهذا القول ان كل من يطول طولاً زائداً يموت صغيراً بل المراد أن من يطول كذلك طولاً غير موروث عن آبائهِ وأجداده بل من يكون كباقي الناس في قدّه واعتداله ولكن يعتري غدده خلل يخرجها عن المعتاد فيطول لذلك ساقاه وغيرهما من أعضائهِ طولاً زائداً فائق العادة . فقد بحثت شركة المتروبوليتان للتأمين على الحياة أمر الطول في الفريقين أي فريق الطول المعتاد والطول الخارق العادة فوجدت ان هذا الطول الاخير يكون في الفريق الثاني فقد تتبعت سيرة سبعة أشخاص طولهم يتفاوت بين ٧ أقدام وست بوصات و ٨ أقدام و ٧ بوصات فوجدت ان متوسط أعمارهم ٣٤ سنة . أطولهم عمراً عاش ٤٥ سنة وأقصرهم عمراً ٢٩ سنة

وأحصت أعمار ٢٠ الف رجل من الفريق الأول الذين بلغ طولهم بين ٦ أقدام و٧ أقدام وبوصة واحدة فوجدوا ان أعمارهم بلغت متوسط العمر في سائر الناس

العرافة في بلاد انجولا

للبرتغال مستعمرة في غرب افريقية جنوبي خط الاستواء تسمى انجولا معظم أهلها من الزنوج ومنهم قبيلة تعرف بقبيلة فكوانياما تعيش بالزراعة واقتناء المواشي ومعظم طعام أهلها من ألبانها ولكنهم لا يذبحونها عادةً إلاَّ للولائم في الحفلات والمآتم

فاذا مات شيخ من مشايخها لفوه بجلد ثور وركبوا قرني الثور على عود من الخشب وأقاموا العود على قبر الشيخ . وهناك قبيلة في وسط انجولا تقطع رأس الشيخ عن جثته وتلفه بجلد ثور وتحفظه في صندوق لتستعلم منه عن حظها وبختها

وذلك بأن يركبوا الصندوق على عمود من الخشب ويحملوه لاثنين على كتفيهما . ثم يقف العرَّاف عندهم ويسأل الرأس الموضوع في الصندوق عما يرومون معرفته من أحوال التجارة والربح والخسارة وأسباب العلل والأمراض والأوبئة والقيظ والمطر والحر والبرد الى غير ذلك . وهم يزعمون ان روح صاحب الرأس يجيبهم على ذلك بحركات في العمود لايفهمها إلاَّ العرَّاف ويخبرهم بمعناها

أنفع الدواجن

قيل ان الدجاجة أنفع للانسان من سائر الدواجن التي يربيها في مزرعته . فهو يأكلها قبل ان تولد ويأكلها وهي تلد ويأكلها حال موتها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الافاعي الرضَّع

الشائع ان الأفاعي تشرب اللبن ويقال ان الهنود يتقون شر الكوبرا اذا طرقت منازلهم بصب اللبن في آنية مكشوفة وتركها في أماكن على حدة حتى تتغذى بها فتكفيهم شرها . ولكن يقال في أميركا الشمالية ان انواعاً من الأفاعي تعلق بثدي البقر وترضع لبنها كما يرضع العجل لبن أمه. على أن من يتأمل ذلك يحكم انه محال فأسنان الأفعى كرؤوس ابر منتظمة في ست صفوف داخل أفواهها فلو علقت بثدي بقرة لتمتص لبنها من حلمتها الشديدة الحس لثارت البقرة كالمجنونة ولم تقف حتى تموت او تقتل الافعى قبل موتها

أذناب الأفاعي

يعتقد الناس في بلدان مختلفة ان أذناب أنواع من الأفاعي سامة كأنيابها . ففي أميركا الشمالية اناس يعتقدون ان نوعاً من الأفاعي يضع ذنبه في فمه حتى يصير كالدائرة ويسير على الأرض سير العجلة وان ذنبه سام فاذا هجم على عدوه جعل ذنبه أمامه وسار كالسهم فينشب ذنبه في جسم عدوه ويلدغه به فيقتله بسمه . ويقولون ان سمه زعاف اذا نفثه في غصن شجرة يبس الغصن ومات في الحال وانه اذا نشب ذنبه في شجرة غاص فيها لشدة زخمها ولم يعد يستطيع اخراجه منها الى غير ذلك من الخرافات التي أثبت الباحثون عن حقيقتها انها أوهام وتخرصات أحلام فليس بين الافاعي المعروفة أفعى ذنبها سام كنابها ولكن بعض الأفاعي تكون أطراف أذنابها يابسة قرنية فقد تخدش او تغرز في جلد من يمسكها فيتألم منها وربما كان ذلك أصل الخرافة الشائعة عن سمها

أكل لحم الكلاب

لما اكتشف كريستوفورس كولمبوس قارة أميركا وجد رفاقه ان قبائل من هنود اميركا الأصليين كقبائل المايا والازتك وأهل كوبا يربون الكلاب الكثيرة ليصطادوا بها وليأكلوا لحمها

ووجد الباحثون في العاديات بعدهم ان أكل الكلاب كان شائعاً هناك منذ ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف سنة . ووصف احد رفاق كولمبوس الكلاب التي رآها بقوله انها كلاب لاتنبح وخياشيمها كخياشيم الثعالب وتسمن سمناً زائداً ولا ينبت الشعر على أبدانها وهم يقدمونها قرابين لآلهتهم ويأكلونها

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

الذرات المشعة

تابع المنشور على الصفحة ٤٨٨ من هذا الجزء

وقد ثبت ان المصابين بفقر الدم ، الذي يكون نتيجة حرمان أجسامهم الحديد ، يتناولون من الحديد اكثر مما يتناولهُ غيرهم من الاصحاء . أما المصابون بفقر الدم من عجز أكبادهم فلا يتناولون مقداراً زائداً من الحديد في الظروف العادية . ومن الغريب ان الاشخاص الذين يصابون بفقر الدم من التعفنات المزمنة لا يمتصون مقادير زائدة من الحديد على حين ان النساءَ الحوامل ، يمتصصنَ مقادير من الحديد تفوق المعتاد عشر مرات . وحيث ان العناصر الكيميائية المعروفة البالغ عددها الآن ٩٢ يمكن جعل كل عنصر منها تقريباً ، عنصراً مشعّاً فقد وجه العلماء هممهم الى حل عدد كبير من المعضلات المختلفة الخاصة بالمرض والصحة بوساطتها ومنها اليود المشع اذ استخدموه في استقصاء امراض الغدد الدرقية وعلاجها . فصار العلماء يعرفون بالضبط مقر اليود في الغدة الدرقية وذلك بمقابلة الاجزاء الدقيقة منها بالصور الضوئية التي تلتقط بتعريض القاطع الدرقية المحتوية على اليود المشع للالواح الفوتوغرافية . أما التغيير الكيميائي في الجسم الحي لفيتامين ب المسمى ثيامين thiamin فالبحث دائر فيه من وجهة جديدة لتيسُّر صنعه بالكبريت المشع بدلاً من الكبريت العادي . وتستعمل المواد المشعة بوسائل أخرى لدراسة كيمياء المواد الحية . ويتسنى تتبع العلاقة الكائنة بين علف البقر وبين اللبن الذي يدره باستعمال عناصر الاسترونتيوم والكلسيوم والحديد المشعة في العلف ثم تقدير الزمن والمدى اللذين تستغرقهما هاتيك المواد المشعة حتى تظهر في ألبان البقر . ويمكن أيضاً دراسة كيفية تحويل النباتات للمواد البسيطة غير العضوية المحتوية على النتروجين، الى بروتينات عضوية مركبة (تثبيت النتروجين) وذلك باضافة المواد الكيميائية النتروجينية الى التربة وقد حاول بعض أطباء كليفورنيا تقصي جراثيم التدرن الرئوي في الجسم البشري وذلك بتغذيتها أولاً بأملاح الفصفور المشعة . وفي سنة ١٩٣٩ منح الاستاذ أرنست لورنس ، جائزة نوبل لاختراعه جهاز تهشيم الذرة ، ولأجل مكتشفاته في الطبيعيات وهي التي كانت نتيجة عبقريته اذ رأى بثاقب نظره ما يحتمل ان تؤديه المواد المشعة من الفوائد للعلوم الأخرى ، وان كان استعمالها في علوم الأحياء والجراثيم والطب ما زال في طور الطفولة . وقد ثبت انها نعمة للبشرية مثل المجهار وأشعة رنتجن وذلك بما تسديه من الفوائد للعلماء في دراسة كيمياء الحياة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com

فهرس الجزء الخامس

من المجلد الثالث بعد المائة

https://t.me/megallat oldbookz@gmail.com